منهاج اليقين شرح ادب الدنيا والدين

باب مشيختپناهيده متشكل تدقيق مؤلفات شرعيه مجلسنك ٢١ ذى الحجه سنه ٣٢٧ تاريخ و (١٢) نومرولى رخصت وتقدير نامه‌لريني حائزدر.

صاحب وناشرى

درسعام مجيزلرندن اويس وفا

مؤلفنك مهرى اولميان نسخه‌لر ساخته‌در.

محمود بك مطبعه‌سى

١٣٢٨



الحمد الله الذى اوسل رسوله رحمة للعالمين*فانار مناهج الحق وسبل اليقين*واظهر الدين ببدائع بيانه* وبين مكارم الاخلاق بآيات فرقانه * فهدى الانام بحسب استعداداتهم المختلفة فى العلميات والعمليات*وكمل النفوس البشرية باشخاصهم وسياساتهم العائدة الى الجماعات *والصلاة والسلام على سيدنا محمد المؤيد ببينات وحجج*قرآنا عربيا غير ذى عوج* وعلى آله واصحابه المستمسكين بالعروة الوثقى* والمتأدبين بآداب الدين والدنيا* وبعد فيقول الفقير اويس وفا بن محمد بن احمد بن خليل بن داود الارزنجانى العريف بخان زاده* اكرمهم الله تعالى بالحسنى وزيادة*لما كان كتاب ادب الدنيا والدين للامام الهمام اقضى القضاة ابى الحسن على بن حبيب البصرى الماوردى جامعا لآداب الدنيا والدين ببيان شاف واختصار كاف ومعنى سديد فلم يزل فقيرا اليه كل مفيد ومستفيد* الا انه كان كما قيل * كم من رياض لاانيس بها * تركت لان طريقها وعر * فلم يكن له بد من شرح يوضح صعابه * ويكشف عن وجهه نقابه * سرحت طرفى فى كتب المتقدمين واتعبت خاطرى فى استنباط نتائج ارآء المتأخرين من التفسير والحديث والاخلاق والسياسة والبلاغة والكتابة والمحاضرة والعروض وسائر العلوم العربية من الفروع والاصول فجاء بحمد الله تعالى مايشفى العليل ويروى الغليل ويكون تبصرة للمبتدى وتذكرة للمنتهى وانا اسأل الله تعالى ان يثيبنى به جميل الذكر فى الدنيا*وجزيل الاجر فى الآخرة*ضارعا الى من ينظر ان يستر عثارى وزللى ويسد بسداد فضله خللى ويصلح ماطغى به القلم وزاغ عنه البصر وقصر عنه الفهم وغفل عنه الخاطر فان الانسان محل النسيان وان اول ناس هو اول ناس . وقد انشد الاصمعى . وكيف فتى لم يعرف السابغ قبلها . تجور يداه فى الاديم وتجرح*على ان الجمع والتأليف كان فى ايام كما قال ابو تمام* عندى من الايام مالوانه * اضحى بشارب مرقد ماغمضا*فصبر جميل وحسبنا الله ونعم الوكيل قال المصنف رحمه الله تعالى اقتداء بالكتاب الكريم ﴿ بسم الله الرحمن الرحيم ﴾ بحث البسملة مشهور الا ان الشارحين اولعوا بقولهم ان وصفه تعالى بالرحمة مجاز عن الانعام اوارادته لانها من الاعراض النفسانية المستحيلة عليه تعالى قال الامام الرازى اذا وصف الله

(تعالى)

تعالى بامر ولم يصح وصفه به حمل على غاية ذلك وملائمه وهذه قاعدة فى كل مقام ايضا فهو صفة فعل من اطلاق اسم السبب او الملزوم على مسببه اولازمه البعيد والتحقيق ان وصفه تعالى بها حقيقة ولا تجوز فيه وبيانه كما قال العارف المحقق المنلا ابراهيم الكورانى فى كتابه قصد السبيل وللقائل ان يقول الرحمة التى هى من الاعراض النفسانية هى القائمة بنا ولا يلزم من ذلك ان يكون مطلق الرحمة كذلك حتى يلزم كون الرحمة فى حقه تعالى مجازا الا ترى ان العلم القائم بنا من الاعراض النفسانية وقد وصف الحق تعالى بالعلم ولم يقل احد انه فى حقه مجاز وكذا القدرة القائمة بنا من الاعراض النفسانية وقد وصف الحق تعالى بها ولم يقل احد انه مجاز فى حقه وعلى هذا القياس الارادة وغيرها من الصفات فلم لا يجوز ان تكون الرحمة حقيقة واحدة هى العطف وتختلف انواعه بحسب اختلاف الموصوفين به فاذا نسب الينا كان كيفية نفسانية واذا نسب اليه تعالى كان حقيقة فيما يليق بجلال ذاته من الانعام اوارادته ويؤيد ما ذكرنا ان الاصل فى الاطلاق الحقيقة ولا يصار الى المجاز الا اذا تعذرت الحقيقه ولا تعذر ههنا وكون الرحمة منحصرة وضعا فى الكيفية النفسانية دونه خرط القتاد وكونها فى حقنا كيفية نفسانية لا يدل على كونها مجازا فى حقه تعالى والا كان وصفه تعالى بالعلم والقدرة وغيرها مجازا لانها فينا اعراض نفسانية ولا قائل به انتهى قلت ووقع نظير هذا البحث فى مغنى اللبيب لابن هشام حيث تكلم على آية ان الله وملائكه يصلون على النبى فقال الصواب عندى ان الصلوة لغة بمعنى واحد وهو العطف ثم العطف بالنسبة اليه تعالى الرحمة والى الملائكة الاستغفار والى الآدميين دعاء بعضهم لبعض انتهى فجعل العطف حقيقة واحدة وانواعه مختلفة بحسب اختلاف من اسند اليه وهذا يؤيد كلام هذا المحقق وفى القاموس رحمه رحمة اذا رق له وتعطف وغفر وقال ابن القيم فى البدائع اسماؤه تعالى التى تطلق عليه وعلى غيره كحى وسميع هل هى حقيقة فيه تعالى مجاز فى غيره او مجاز فيه حقيقة فى غيره او حقيقة فيهما اقوال اظهرها الاخير كما فى نسمات الاسحار على افاضة الانوار واقول ليس من الانصاف بعد القول بان الاوصاف التى تطلق عليه تعالى وعلى غيره انها حقيقة فيهما القول بان الوصف الذى لا يطلق الا عليه تعالى كالرحمن انه مجاز فيه ﴿ الحمد لله ذى الطول والآلاء ﴾ الطول بفتح الطاء وسكون الواو القدرة او الغنى او الفضل والزيادة والآلاء بالمد بمعنى النعم جمع الى بكسر الهمزة اوفتحها وسكون اللام او الو كدلو او الى كرحى ﴿ وصلى الله على سيدنا محمد خاتم الرسل والانبياء ﴾ الخاتم بفتح التاء وتكسر اى آخرهم الذى ختموا به والرسول انسان بعثه الله الى الخلق لتبليغ الاحكام وكذا النبى فلا فرق بينهما وقد خاطب الله تعالى محمدا صلى الله عليه وسلم مرة بالنبى وبالرسول مرة اخرى وقد يخص الرسول بمن له شريعة وكتاب انزل عليه او امر بالعمل به اوله نسخ لبعض شريعة متقدمة على بعثته ولذا قال ابن الكافى والفراء كل رسول نبى من غير عكس ولغة هو الذى امره المرسل باداء الرسالة بالتسليم او القبض ﴿ وعلى آله واصحابه الاتقياء ﴾ جمع تقى على وزن غنى ﴿ اما بعد فان شرف المطلوب بشرف نتائجه ﴾ المترتبة على ذلك المطلوب ﴿ وعظم خطره بكثرة منافعه وبحسب منافعه تجب العناية به ﴾ والاهتمام اليه ﴿ وعلى قدر العناية به يكون اجتناء ثمرته ﴾ اى اقتطافها ﴿ واعظم الامور خطرا وقدرا ﴾ الخطر

بفتحتين القـدر وقدر الشيء مبلغه ﴿ واعمها نفعا ورفدا ﴾ بكسر الراء وسكون الفاء العطاء والصلة ﴿ ما استقام به الدين والدنيا وانتظم به صلاح الآخرة والاولى لان باستقامة الدين تصح العبادة ﴾ كما قال الله تعالى انما يتقبل الله من المتقين واخذ القصر من القصر ﴿ وبصلاح الدنيا تتم السعادة ﴾ واصل السعادة باستقامة الدين وصحة العبادة لان الانسان خلق لاكتسابهما كما قال الله تعالى وما خلقت الجن والانس الا ليعبدون الا ان الانسان مدني بالطبع وله حوائج لايستغنى عن دفعها فاذا كانت الدنيا صالحة سهلت عليه اكتسابها من مكاسبها المشروعة الطيبة فتتم سعادته وتكمل واما اذا كانت الدنيا فاسدة فقد يضطر المرء الى ايثار مالا يؤثره لولا الاضطرار فلا تتم سعادته ﴿ وقد توخيت ﴾ من توخى رضاه اذا تحراه اومن تأخى الشيء اذا تحرى ماهو اللائق اى اردت ﴿ بهذا الكتاب الاشارة الى آدابهما ﴾ يعني اردت بتصنيف الكتاب بيان بعض آداب الدين والدنيا يقال اشار اليه اذا اومأ ﴿ وتفصيل ما اجمل من احوالهما ﴾ الاجمال ايراد الكلام على وجه مبهم وشيء مجمل اى مبهم يحتمل امورا متعددة واصل التفصيل جعل الشيء فصولا متمايزة ويلزمه الاطالة والاكثار ويلزمه التبيين ﴿ على اعدل الامرين من ايجاز وبسط ﴾ الايجاز اداء المقصود باقل من العبارة المتعارفة ويقابله الاطناب وهو اداء المقصود باكثر من العبارة المتعارفة والبسط النشر والتوسعة فيلزمه الاداء باكثر من المتعارف وفي تطويل الكلام لنشره وتوسعته وتبعيده عن الشكوك والاوهام فالبسط شامل لمقابلي الايجاز ومن بيان للامرين ﴿ اجمع فيه ﴾ الجملة حال مقدرة من فاعل توخيت ﴿ بين تحقيق الفقهاء ﴾ جمع فقيه والفقه في اللغة عبارة عن فهم غرض المتكلم من كلامه وفي الاصطلاح هو العلم بالاحكام الشرعية العملية المكتسب من ادلتها التفصيلية وقيل هو الاصابة والوقوف على المعنى الخفي الذي يتعلق به الحكم (١) وهو علم مستنبط بالرأى والاجتهاد ويحتاج فيه الى النظر والتأمل ولهذا لايجوز ان يسمى الله تعالى فقيها لانه لايخفى عليه شيء ﴿ وترقيق الادباء ﴾ جمع اديب والادب عبارة عن معرفة مايحترز به عن جميع انواع الخطاء في القول والفعل والخلق ويطلق على جملة من العلوم العربية لكونها باعثة على التأديب وسيجيء ان شاء الله تعالى بيان تلك العلوم في باب ادب العلم فالادب ملكة تعصم من قامت هي به عما يشينه والاديب من له تلك الملكة ولذا قالوا طرق الحق كلها آداب وانما اضاف التحقيق الى الفقهاء لان احكامهم مستندة الى الكتاب والسنة والاجماع والقياس وكل منها محقق الثبوت والدلالة على تلك الاحكام واما الادباء فدأبهم اخذ المعاني الحسان اينما وجدوا سواء كان من الكتاب او السنة او من اقوال الفقهاء (٢) والحكماء او من اوضاع الطيور والحيوانات او من دلالات الاماكن والجمادات الى غير ذلك وافادة تلك المعاني بالفاظ حسنة وسبكها باسلوب يناسب المقام من افادة الترحم او الاستعطاف او التظلم او الشكاية او اللوم او الزجر الى غير ذلك فناسب اضافة الترقيق الى الادباء الذي هو عبارة عن حسن الاداء كأن الادباء يرققون كلامهم بحيث يرى ماوراءه (٣) اعني يدل مبادى كلامهم على مقاصدهم ويغني ماذكروا عما تركوا فاسكتوا عنه كما نطقوا به ﴿ فلا ينبو عن فهم ﴾ من نبا الشيء عنه اذا تجافى وتباعد اى لايبعد عن فهم بل يستقر فيه اومن نبا السيف عن الضريبة اذا كل ورجع من غير قطع ففيه قلب اى لاينبو عنه فهم لاشتماله على

(١) سواء كان ذلك الوقوف من الادلة التفصيلية اومن تتبع علم الفروع والفتوى وبهذا المعنى يطلق الفقيه على غير الائمة منه

(٢) (تنبيه) اذا اخذ المعاني القرآنية بالفاظها لا على انها قرآن يسمى ذلك اقتباسا ويلزم فيها مراعاة الادب والاجلال وكذا السنة واقوال الفقهاء والاحترام كما في الاتقان منه

(٣) ومنه المثل اعن صبوح ترقق اى تكني عن الصبوح وذلك ان شخصا يسمى جابان كان ضيف قوم فاعطوه غبوقا فقال بعد الفراغ اذا اصبحتموني كيف آخذ في طريق فقال المضيف اعن صبوح ترقق منه

حسن الاداء ﴿ ولايدق فى وهم ﴾ يقال دق الامر من الباب الثانى اذ غمض وخفى فلا يكاد يفهمه الا الاذكياء يعنى لاشتماله على تحقيق الفقهاء يفهمه كل مخاطب ولايرده تابعا لوهمه اومتفرع على قوله من ايجاز وبسط لان الموجز يدق فى الوهم والمبسوط كل البسط ينبو عنه الفهم والوهم قوة جسمانيه للانسان محلها آخر التجويف الاوسط من الدماغ من شانها ادراك المعانى الجزئية المتعلقة بالمحسوسات كشجاعة زيد وسخاوته وهذه القوة هى التى تحكم بها الشاة ان الذئب مهروب عنه وان الولد معطوف عليه وهذه القوة حاكمة على القوى الجسمانية كلها مستخدمة اياها استخدام العقل للقوى العقلية باسرها ﴿ مستشهدا ﴾ حال من فاعل اجمع فالحال متداخلة اومن فاعل توخيت فترادفة ﴿ من كتاب الله جل اسمه بما يقتضيه ﴾ ذلك الاعدل الاستشهاد به ﴿ ومن سنن رسول الله صلى الله عليه وسلم بمايضاهيه ﴾ اى يشابه الكتاب فى مدلوله والانبياء عليهم السلام اعلم الخلق بكتب الله فيكون الاستشهاد بالسنن بعد الاستشهاد بالكتاب استشهادا على دلالة الكتاب على المدعى وكذا امثال الحكماء وآداب البلغاء فيكون دلالة الكتاب قطعية كما انه دليل قطعى والسنة لغة العادة وشريعة مشترك بين ماصدر عن النبى صلى الله عليه وسلم من قول اوفعل اوتقرير وبين ماواظب النبى صلى الله عليه وسلم بلا وجوب ﴿ ثم متبعا ذلك ﴾ الاستشهاد ﴿ بامثال الحكماء ﴾ جمع مثل بفتحتين وهو فى اصل كلامهم بمعنى المثل وهو النظير يقال مثل ومثل ومثيل كشبه وشبه وشبيه ثم قيل للقول السائر الممثل مضربه بمورده مثل ولم يضربوا مثلا ولا رأوه اهلا للتسيير ولا جديرا بالتداول والقبول الا قولا فيه غرابة من بعض الوجوه ومن ثمه حوفظ عليه وحمى من التغيير كذا فى الكشاف وسيجئ فى الكلام فوائده وشروطه والحكماء جمع حكيم وهو فعيل من الحكمة والحكمة اصابة الحق بالعلم والعقل فالحكمة من الله تعالى معرفة الاشياء وايجادها على غاية الاحكام ومن الناس علم باحوال اعيان الموجودات على ماهى عليه فى نفس الامر بقدر الطاقة البشرية وتلك الاعيان اما الافعال والاعمال التى وجودها بقدرتنا واختيارنا اولا فالعلم باحوال الاول من حيث يؤدى الى صلاح المعاش والمعاد يسمى حكمة عملية والعلم باحوال الثانى يسمى حكمة نظرية وكل منهما ثلاثة اقسام اما العملية فلانها اما علم بمصالح شخص معين بانفراده ليتحلى بالفضائل ويتخلى عن الرذائل ويسمى تهذيب الاخلاق واما علم بمصالح جماعة متشاركة فى المنزل كالوالد والمولود والمالك والمملوك ويسمى تدبير المنزل واما علم بمصالح جماعة متشاركة فى المدينة ويسمى سياسة المدينة وهذا الكتاب يشتمل اصول هذه الاقسام الثلاثة اجمالا واما بيان الحكمة النظرية فمحول الى كتب اخر قال الجامى * حكمت يونانيان بيغام نفسست وهوا * حكمت ايمانيان فرمودۀ پيغمبرست ﴿ وآداب البلغاء واقوال الشعراء ﴾ لمافى كل واحد منها من ابراز خبيئات المعانى ورفع الاستار عن الحقائق بحيث تريك المتخيل فى صورة المحقق والغائب كأنه مشاهد مع تلميح الى قصة اوجمع وتقسيم او اجمال وتفصيل على ان الاشعار المنشدة كما قال ابن ميادة * لئن اهلك فقد ابقيت بعدى * قوافى تعجب المتمثلينا * لذيذات المقاطع محكمات * لوان الشعر يلبس لارتدينا ﴿ لان القلوب ترتاح الى الفنون المختلفة ﴾ الارتياح السرور والنشاط والانبساط يقال ارتاح به اذا سر وقد تعدى ههنا بالى لتضمنه

قال السيد الشريف الشعراء على اربع طبقات الجاهليون كامرئ القيس وطرفة وزهير ومن قبلهم والمخضرمون الذين ادركوا الجاهلية والاسلام كحسان ولبيد والمتقدمون من اهل الاسلام كالفرزدق وجرير وذى الرمة وهؤلاء كلهم يستشهد بكلامهم فى اللغة والمحدثون من اهل الاسلام الذين نشأوا بعد الصدر الاول من المسلمين كابى تمام والبحترى وابى الطيب ولااستشهاد باشعارهم الا بالوجه الذى ذكره الزمخشرى وهوان يجعل مايقوله بمنزلة مايرويه ويشترط فى الرواية العدالة والحفظ والاتقان
منه

معنى الميل اوالسكون والاطمئنان اى تميل منبسطة اوتنبسط ساكنة الى الفنون من الكتاب والسنة والامثال ﴿ وتسأم من الفن الواحد وقدقال على ابن ابى طالب ﴾ بن عبدالمطلب الهاشمى المكى المدنى اميرالمؤمنين وكنيته ابوالحسن وكناه النبى صلى الله عليه وسلم اباتراب روى له عن رسول الله صلى الله عليه وسلم خمسمأة حديث وستة وثمانون حديثا وولى الخلافة خمس سنين الا اشهرا ضربه عبدالرحمن بن ملجم المرادى الحميرى بسيف مسموم فاوصله دماغه فى ليلة الجمعة ومات بالكوفة ليلة الاحد تاسع عشر من رمضان سنة اربعين عن ثلاث وستين سنة ودفن بالكوفة ولكنه غيى قبره خوفا عن الخوارج كما فى العينى وقال التلمسانى وصف ابن عباس عليا فقال هو قمر باهر فى ضوئه وبهائه واسد خادر فى شجاعته ومضائه وفرات زاخر فى جوده وسخائه وربيع باكر فى خصبه وحيائه ﴿ رضى الله عنه ان القلوب تمل ﴾ اى تسأم وتعيى وبابه علم ﴿ كما تمل الابدان فاهدوا اليها طرائف الحكمة ﴾ اى نوادرها وحسنها التى يستطر فها من سمعها وفى ثمرات الاوراق وقال ابوالدرداء رضى الله عنه انى لاستجم نفسى بشئ من الباطل كراهة ان احملها من الحق مايملها وعن ابن عباس رضى الله عنهما انه كان يحدث اصحابه ساعة ثم يقول حمضونا فيأخذ فى اشعار العرب واحاديثهم ومثله عن الزهرى ومالك بن دينار و وصف رجل عند ابن عائشة فقيل هو جد كله فقال ابن عائشة لقد اعان على نفسه وقصر لها طول المدى ولو فكهها بالانتقال من حال الى حال نفس عنها ضيق العقد ورجع الى الجد بنشاط وقال الرشيد النوادر تشحذ الاذهان وتفتق الآذان ﴿ فكان هذا الاسلوب يحب ﴾ من باب الافعال اى يجعل حبيبا ﴿ التنقل فى المطلوب ﴾ اى الترحل والتجاوز فيه ﴿ من مكان الى مكان ﴾ لان فيه فرحا اومن مقام الجد ومكانه الى مقام الفكاهة والمزح ﴿ وكان ﴾ ابوالعباس عبدالله ﴿ المأمون ﴾ بن هارون الرشيد سابع الخلفاء العباسية بويع له سنة ثمان وتسعين ومأة وتوفى سنة تسعة عشرة ومأتين وهو ابن تسع واربعين سنة وكان من حكماء الملوك الاسلامية ﴿ رحمه الله تعالى يتنقل كثيرا فى داره وينشد قول ابى العتاهية ﴾ على وزن الكراهية لقب ابى اسحق اسماعيل بن القاسم بن سويد لا كنيته كما وهم ومنشأوه الكوفة وهومن الثلاثة المطبوعين الذين لايقدر على جمع اشعارهم لكثرتها بشار والسيدالحميرى وابوالعتاهية وكان اول امره يبيع الجرار على رأسه ثم تولع بالنظم وكان فيه من العجائب قيل له كيف تقول الشعر قال ما اردته قط الا تمثل لى فآخذ منه مااريد واترك مالا اريد واكثر شعره فى الزهد وكان قد تنسك وتزهد الى ان مات وكان يتشيع على مذهب الزيدية توفى سنة ثلاثة عشرة ومأتين ببغداد هو وابراهيم الموصلى وابوعمرو الشيبانى فى يوم واحد رحمه الله (من البسيط) ﴿ لا يصلح النفس اذ كانت مدبرة . ﴾ من التدبير اى معرضة وكائبة ﴿ الا التنقل من حال الى حال. وجعلت ماتضمنه هذا الكتاب خمسة ابواب الباب الاول فى فضل العقل وذم الهوى الباب الثانى فى ادب العلم الباب الثالث فى ادب الدين الباب الرابع فى ادب الدنيا الباب الخامس فى ادب النفس وانما استمد من الله تعالى حسن معونته ﴾ حين شروعى فى تأليفه ﴿ واستودعه حفاظ موهبته ﴾ بعد انتهائه وتكمله بمعونته والحفاظ مصدر حافظ واضافتهما من اضافة الصفة الى موصوفها اى معونته الحسنة وموهبته

الحفيظة الموعودة بقوله ان الله لايضيع اجر المحسنين ﴿ بحوله وَمشيئته وهو حسبي من معين وحفيظ ﴾ حسب في الاصل اسم مصدر بمعنى الكفاية ولذا يخبر به عن الواحد والمتعدد فيقال زيد وعمرو حسبك ثم استعمل استعمال اسم الفاعل بمعنى محسب وكاف ولها حينئذ استعمالان فتارة تستعمل استعمال الصفات فتكون نعتا لنكرة لان اضافته كاضافة الصفة الى معمولها نحو مررت برجل حسبك من رجل وتارة تستعمل استعمال الاسماء الجامدة غير تابعة لموصوف نحو حسبهم جهنم يعني استمدت معونته وجعلت الكتاب وديعة عنده وهو يكفيني ولا حاجة الى معين وحفيظ غيره او من زائدة اى حسبي معينا وحفيظا كما في عز من قائل والله اعلم

﴿ باب فضل العقل وذم الهوى ﴾

جمعهما في باب واحد لمناسبة الضدية بينهما ولان الاشياء تنكشف باضدادها فمدح العقل يستلزم ذم ضده وبالعكس ﴿ اعلم ان لكل فضيلة ﴾ هي المزية المخصوصة كالشجاعة والفاضلة هي المزية المتعدية كالانعام ويجمع الاول على فضائل والثاني على فواضل ﴿ اسا ﴾ بضمة الهمزة اى اصلا تبتني عليه الفضائل ﴿ ولكل ادب ينبوعا ﴾ اى عينا تتفجر الآداب منها او نهرا تغترف منه ﴿ واس الفضائل وينبوع الآداب هو العقل الذى جعله الله تعالى للدين اصلا وللدنيا عمادا ﴾ يعتمد صلاحها عليه ﴿ فاوجب الدين بكماله ﴾ اى بادراكه كماله الاول وهو البلوغ اقامة للسبب الظاهر مقام حكمه ﴿ وجعل الدنيا مدبرة باحكامه والف به بين خلقه مع اختلاف هممهم ومآربهم ﴾ جمع مأربة بفتح الراء وضمها الحاجة ﴿ وتباين اغراضهم ومقاصدهم وجعل ماتعبدهم به ﴾ اى تعبد الخلق بتلك الاحكام ﴿ قسمين ﴾ مفعول ثان لجعل ﴿ قسما وجب بالعقل ﴾ كالايمان بوجوده تعالى ووحدانيته واتصافه بصفات الكمال وتقدسه عن النقائص اجمالا ﴿ فوكده الشرع ﴾ اى اكد الوجوب مع تفصيل ما اجمله العقل فالعقل والشرع متفقان في ايجابه ﴿ وقسما جاز في العقل ﴾ التعبد به لحسن فيه لكن كان العقل لا يوجبه كالصلاة والصوم وتعين اوقاتهما وشروطهما ونحوهما من الفروع ﴿ فاوجبه الشرع ﴾ مستقلا في ايجابه ﴿ فكان العقل لهما ﴾ اى للدين والدنيا ﴿ عمادا ﴾ وسيجئ تفصيله في باب ادب الدين الا ان تحقيق المقام يقتضى بسطا من الكلام . ذهب جمهور مشايخ الحنفية الى انه تعالى لو لم يبعث للناس رسولا لوجب عليهم بعقولهم معرفة وجوده تعالى ووحدته واتصافه بما يليق به من الحيوة والعلم والقدرة وغيرها وكونه محدثا للعالم كما هو المشهور عن الامام الاعظم والمستفاد من التأويلات للامام علم الهدى ابى منصور الماتريدى والمصرح في شرح الوصية لاكمل الدين البابردى وفي اشارات المرام وهكذا صرح الحاكم الشهيد في المنتقى والناطفى في الاجناس وابو زيد في التقويم ونور الدين البخارى في الكفاية وذهب جمهور مشايخ الاشاعرة الى انه لا يجب ايمان ولا يحرم كفر قبل البعث فيعذر الناشي في الشاهق الذى لم يبلغه الدعوة كما هو المصرح في شرح الوصية للشيخ الاكمل والمسايرة للامام ابن الهمام والمستفاد من التلويح احتج مشايخ الحنفية بقوله تعالى ان انذر قومك من قبل ان يأتيهم عذاب اليم حيث دل على ان حجة الايمان تلزم الخلق قبل ان يأتيهم النذير لانها لو كانت لا تلزمهم لكانوا في امن من نزول العذاب بهم قبل ان يأتيهم النذير فلا

يخوفون بنزول العذاب بهم قبل ان ينذروا فلما خوفوا بنزول العذاب بهم قبل ان يأتيهم دل على ان الحجة لازمة عليهم وان الله تعالى يعذبهم لتركهم التوحيد وان لم يرسل اليهم الرسل كما في التأويلات لعلم الهدى ابى منصور وبانه لو كان معرفة الله تعالى بذاته وصفاته من قبل الرسول لكان المنة على جميع الناس في معرفة الله بذاته وصفاته من قبل الرسول لا من قبل الله تعالى وحده بتركيب الله تعالى العقول والتوفيق للاستدلال ولم يثبت كل ذلك قبل الشرع . لكن الحكم بحسن شكر الاحسان وقبح كفرانه مشترك بين جميع العقلاء وعلة المشترك مشتركة فلا يكون موقوفا على الشرع لعدم اختصاصه بالشرع ولا عرفيا ولا عاديا ولا لفرض لعدم اختصاصه باهل عرف او عادة او فرض بل ذاتيا للفعل مدركا بالعقل وكيف ووجوب التصديق بالرسول وثبوت الشرع عند المكلفين يتوقف على تعريف الله تعالى اهم بتركيب الله تعالى العقول فيهم كما في كتاب العالم والمتعلم للامام الاعظم * واستدل مشايخ الاشاعرة بقوله تعالى وما كنا معذبين حتى نبعث رسولا نفى العذاب مطلقا قبل وصول الشرع ولو وجب شئ من الاحكام قبله للزم بتركه العذاب قبله واللازم منتف بالنص (الجواب ان الآية الكريمة محمولة على عذاب الاستيصال ونفى وقوعه قبل بعث الرسول لدلالة سياقها وهو قوله تعالى واذا اردنا ان نهلك قرية امرنا مترفيها الآية على ذلك وللجمع بينها وبين الآية المثبتة للعذاب قبل بعث الرسول كما في قوله تعالى ان انذر قومك الآية فان حمل قوله تعالى وما كنا معذبين الآية على الاطلاق يستلزم التنافى الظاهر بينهما او ان الآية الكريمة محمولة على الاعمال التى لا يعرف وجوبها الا بالشرع (واعترض الامام الرازى في الكبير على استدلالهم بالآية بوجهين (الاول) انه لو لم يثبت الوجوب العقلى لم يثبت الوجوب الشرعى لان التأمل في معجزات الشارع لو وجب بالعقل ثبت الوجوب العقلى ولو وجب بالسمع لزم اثبات الشئ بنفسه (الثانى) انه لو لم يثبت الوجوب العقلى لم يثبت وجوب الاحتراز عن العقاب لانه لو ثبت بالعقل ثبت الوجوب العقلى ولو ثبت بالسمع لزم اثبات الشئ بنفسه (تمة) في فصول البدائع (المذهب ان العقل معتبر شرطا للوجوب عند انضمام امر آخر كارشاد او تنبيه على الاستدلال وادراك مدة التجربة المعينة على الاستدلال وليس في مدة التجربة تقدير بل في علم الله تعالى ان تحققت يعذبه وعلى هذا يحمل قول الامام الاعظم لا عذر لاحد في الجهل بخالقه لقيام الآفاق والانفس انتهى وقول الشيخ ابى المنصور الماتريدى وعامة مشايخ سمرقند وجوب الايمان به تعالى وتعظيمه وحرمة نسبة ما هو شنيع اليه تعالى عقلى وان من لم يبلغه دعوة نبى ولم يؤمن حتى مات هو مخلد في النار انتهى فلا يقال ان من مات في زمان الفترة ومن مات في شاهق الجبل ولم يبلغه الدعوة مات ناجيا كذا في نظم الفرائد لحاقر زاده احمد افندى الاودهمشى ﴿ وروى ﴾ في الجامع الصغير رواه الطبرانى عن عمر بن الخطاب رضى الله عنه ﴿ عن النبى صلى الله عليه وسلم انه قال ما اكتسب المرء مثل ﴾ فضل ﴿ عقل يهدى صاحبه الى هدى ﴾ بضم اوله والتنوين اى امر محبوب شرعا كتقوى وصبر وشكر ورجاء وخوف وزهد ﴿ او يرده عن ردى ﴾ بفتح اوله والتنوين اى امر مذموم شرعا كغل وحقد وحسد وغش وخيانة وكبر وطول امل وبخل (وما تم ايمان عبد ولا استقام دينه حتى يكمل عقله) قال المناوى بان يعقل

عن الله امره ونهيه ﴿ وروى ﴾ فى احياء العلوم عن ابى سعيد الخدرى رضى الله عنه ﴿ عن النبى صلى الله عليه وسلم انه قال لكل شئ عمل ﴾ بالبناء للمفعول والجملة صفة شئ ﴿ دعامة ﴾ بكسر الدال وهو عماد البيت ﴿ ودعامة عمل المرء عقله فبقدر عقله تكون عبادته لربه اما سمعتم قول الفجار ﴾ فى النار حين سألهم خزنتها الم يأتكم نذير ﴿ لو كنا نسمع ﴾ الانذار سماع طالبين للحق ﴿ او نعقل ﴾ اى نعقله عقل متأملين انما جمع بين السمع والعقل لان مدار التكليف على ادلة السمع والعقل والمراد ما كان لهم سمع الهداية ولا عقل الهداية ﴿ ما كنا فى اصحاب السعير وقال عمر بن الخطاب رضى الله عنه اصل الرجل عقله وحسبه دينه ﴾ لان شرف الدين اعظم المفاخر ولذا يقاتل الرجل نصرة لدينه من كان ينسب اليه من الآباء والاعمام كاسيجئ فى باب ادب الدنيا ﴿ ومروءته خلقه وقال الحسن البصرى رحمه الله ما استودع الله احدا عقلا الا استنقذه به ﴾ اى خلصه به ونجاه عن امر مذموم ﴿ يوما ما ﴾ ولو بعد حين ﴿ وقال بعض الحكماء العقل افضل مرجو ﴾ ولذا ما امر الله رسوله صلى الله عليه وسلم بطلب الزيادة فى شئ الا فى العلم وقال وقل رب زدنى علما وطلب زيادة العلم يستلزم طلب ازدياد العقل لان العقل المكتسب هو العلم بعينه والغريزى سببه وعلى تحقيق المصنف هو العلم ايضا كما سيأتى ويؤيده المقابلة بقوله ﴿ والجهل ﴾ دون الحمق ﴿ انكى عدو ﴾ لا يرحم اصلا بل يقتل من صادفه ﴿ وقال بعض الادباء صديق كل امرء عقله ﴾ اذ ما من خير اصابه الا دل عليه عقله وحث عليه واعانه وهون مشاقه وذلك صفة الصديق الكريم ولدوام تلك الاوصاف وكثرتها فى العقل جردمنها شخصا واضافه الى المرء وسماه صديقا وكذا قوله ﴿ وعدوه جهله ﴾ اذ ما من شر اصابه الا دل عليه جهله آه ﴿ وقال بعض البلغاء خير المواهب العقل وشر المصائب الجهل ﴾ ولاشتمال الكلام المقابلة بين كل جزء من القرينتين مع الترصيع اسنده الى البلغاء ﴿ وقال بعض الشعراء وهو ابراهيم بن حسان ﴾ (من الطويل) ﴿ يزين الفتى فى الناس صحة عقله ﴾ الصحة فاعل يزين المؤخر وجوبا لكونه مضافا الى ضمير المفعول بواسطة اى يزينه اصابة رأيه اللازم لصحة العقل ﴿ وان كان محظورا عليه ﴾ اى ممنوعا ومحجورا من حظاره الشئ وحظر عليه من الباب الاول اذا منعه ﴿ مكاسبه ﴾ جمع مكسب بكسر السين وفتحها او جمع كسب والمراد ما يكسبه وجمعه باعتبار الانواع يعنى وان كان ذلك المرء فقيرا ﴿ يشين الفتى فى الناس قلة عقله ﴾ اى فساد رأيه ﴿ وان كرمت ﴾ بضم الراء اى عزت وشرفت ﴿ اعراقه ﴾ جمع عرق وهو اصل الشئ ﴿ ومناسبه ﴾ بفتح الميم جمع نسب على غير القياس وهو القرابة من الجانبين او من جانب الاب خاصة خص شرف الآباء بالذكر وان كان المقابلة بالبيت السابق يقتضى التخصيص بالغنى لان العرب لا يفتخر بالمال والغنى او اراد بكرم الآباء ما كان من جهة الجود والسماحة والجود يستلزم الغنى فيتم المقابلة ﴿ يعيش الفتى بالعقل فى الناس انه ﴾ اى الشان ﴿ على العقل يجرى علمه وتجاربه ﴾ يعنى يكون عالما ومجربا بقدر عقله فلذا يتفاوت افراد الانسان فى العلم والتجربة لتفاوت العقول ﴿ وافضل قسم الله للمرء عقله ﴾ القسم بفتح فسكون مصدر قسم الشئ فانقسم والمراد ههنا ما قسم الله تعالى لعباده بعلاقة التعلق ﴿ فليس من الاشياء ﴾ التى اعطاها الله تعالى

الترصيع ان تكون الالفاظ مستوية الاوزان متفقة الاوزان كقوله تعالى ان الينا ايابهم ثم ان علينا حسابهم منه

﴿ شئ يقاربه ﴾ اى يقارب العقل ويماثله فى الفضل والشرف ﴿ اذا اكمل الرحمن للمرء عقله * فقد كملت اخلاقه ومآربه ﴾ جمع مأربة الحاجة اى مايحتاج اليه ﴿ واعلم ان بالعقل تعرف حقائق الامور ﴾ التصورية والتصديقية بالاقوال الشارحة وبالحجج والبراهين العقلية ﴿ ويفصل بين الحسنات والسيئات ﴾ فيزين الاولى ويقبح الثانية ويكرهها ﴿ وقد ينقسم قسمين غريزى ومكتسب فالغريزى ﴾ اى الجبلى والطبيعى سمى به لانه مغروز بيد القدرة ومغروسها ﴿ هو العقل الحقيقى وله حد يتعلق به التكليف لايجاوزه ﴾ اى لايجاوز التكليف ذلك الحد ﴿ الى زيادة ولايقصر عنه الى نقصان ﴾ قال الاصوليون (التكليف موقوف على الاهلية فى المكلف الموقوفة على العقل بالملكة وقالوا العقل يطلق على معان كثيرة والمختار انه قوة للنفس بها تكتسب العلوم والقوة مابه يصير الشئ فاعلاً اومنفعلا والنفس هى النفس الناطقة المسماة بالروح والمراد بالعلوم النظريات واكتسابها تحصيلها من الضروريات او من النظريات المنتهية اليها ولها قوتان احدهما مبدأ الادراك وهى باعتبار تأثرها عما فوقها مستكملة فى ذاتها وتسمى عقلا نظريا واخرى مبدأ الفعل وهى باعتبار تأثيرها فى البدن مكملة له وتسمى عقلا عمليا وللقوة النظرية فى تصرفها فى الضروريات وترتيبها لاكتساب الكمالات اربع مراتب فان النفس فى مبدأ الفطرة خالية عن العلوم قابلة لها وتسمى هذه المرتبة اوالعقل فيها عقلا هيولانيا تشبيها لها بالهيولى الاولى الخالية فى نفسها عن جميع الصور القابلة لها وهو بمنزلة استعداد الطفل للكتابة مثلا ثم اذا ادركت الضروريات واستعدت لتحصيل النظريات سميت هذه المرتبة اوالعقل فيها عقلا بالملكة لحصول ملكة الانتقال كاستعداد الامى لتعلم الكتابة ثم اذا ادركت النظريات وحصل لها القدرة على استحضارها متى شاء من غير تجشم كسب جديد سميت هذه المرتبة اوالعقل فيها عقلا بالفعل لشدة قربه من الفعل كاستعداد القادر على الكتابة الذى لايكتب وله ان يكتب متى شاء . واذا كانت النظريات حاضرة عندها مشاهدة لها سميت هذه المرتبة اوالعقل فيها عقلا مستفادا لاستفادة هذه القوة من الفياض وجعلوا المرتبة الثانية مناط التكليف اذبها يرتفع عن درجة البهائم ﴿ وبه ﴾ اى بذلك الحد ﴿ يمتاز الانسان عن سائر الحيوان ﴾ ويشرق عليه نور العقل بحيث تجاوز ادراك المحسوسات * والعقل بالملكة متفاوت فى افراد الانسان حدوثا وبقاء اما حدوثا فلان النفوس متفاوتة بحسب الفطرة فى الكمال والنقصان باعتبار تفاوت اعتدال امزجة الابدان فكلما كان البدن اعدل وبالواحد الحقيقى انسب كان النفس الفائضة عليه اكمل والى الخيرات اميل والكمالات اقبل وهذا معنى صفائها ولطافتها بمنزلة المرآة فى قبول النور وان كان بالعكس فبالعكس وهذا معنى كدورتها وكثافتها بمنزلة الحجر فى عدم قبول النور ولاخفأ فى ان النفس كلما كانت اكمل واقبل كان النور الفائض عليها من الفياض اكثر * واما بقاء فلان النفس كلما ازدادت فى كثرة العلوم بتكميل القوة النظرية ازدادت تناسبا بالمبدأ الفياض الكامل من كل وجه فازدادت افاضة نوره عليها لازدياد الافاضة بازدياد المناسبة . ولما تفاوتت العقول فى الاشخاص تعذر العلم بان عقل كل شخص هل بلغ المرتبة التى هى مناط التكليف ام لافقدر من قبل الشرع

تلك المرتبة واقيم البلوغ مقام العقل بالملكة اقامة للسبب الظاهر مقام حكمه كما فى السفر والمشقة وذلك لحصول شرائط كمال العقل واسبابه فى ذلك الوقت بناء على تمام التجارب الحاصلة بالاحساسات الجزئية والادراكات الضرورية وتكامل القوى الجسمانية من المدركة والمحركة التى هى مراكب للقوة العقلية بمعنى انها بواسطتها تستفيد العلوم ابتداء وتصل المقاصد وبمعونتها تظهر آثار الادراك وهى مسخرة مطيعة للقوة العقلية باذن الله تعالى كذا قيل ولا يخفى ان بعض ماذكر وان كان مأخوذاً من كلام المتفلسفين لكنه ليس مما يخالف عقائد اهل السنة من من المتكلمين افاده المولى خسرو ﴿ فاذا تم فى الانسان سمى عاقلا وخرج به الى حد الكمال كما قال صالح بن عبد القدوس ﴾ من الطويل ﴿ اذا تم عقل المرء تمت اموره ﴾ جمع امر بمعنى الحال والشان ويعم الافعال والاقوال واما الامر الذى هو طلب الفعل وضد النهى فيجمع على اوامر للفرق بينهما ﴿ وتمت امانيه ﴾ جمع امنية بضم الهمزة وكسر النون وتشديد الياء المقصود اى تمت مقاصده وهو من عطف الخاص على العام وكذا قوله ﴿ وتم بناؤه ﴾ اى بناء جسمه لان فيه محل العقل وخلو ذلك المكان عن العقل نقيصة او بناؤه وبيته الذى يسكن فيه لحسن تصويرها ابتداء ووضعه كل شئ موضعه واقدامه فى مقاصده بقدر شرفها بما يلزم من الاقدام عليها والاهتمام بها ﴿ وروى الضحاك ﴾ بن مزاحم الهلالى الخرسانى يروى عن ابى هريرة وابن عباس وابن عمر وانس رضى الله عنهم وعنه خلق وثقه احمد وابن معين وضعفه شعبة اخرج له اصحاب السنن الاربع وتوفى سنة خمس ومأة ﴿ فى قوله تعالى ﴾ فى سورة يس ﴿ لينذر من كان حيا اى من كان ﴾ حى القلب ﴿ عاقلا ﴾ متأملا لان الغافل كالميت اومؤمنا فى علم الله تعالى فان الحياة الابدية بالايمان وتخصيص الانذار به لانه المنتفع به ﴿ واختلف الناس فيه ﴾ اى فى حقيقة العقل وماهيته ﴿ وفى صفته ﴾ اى وصفه وتعريفه ﴿ على مذاهب شتى ﴾ جمع شتيت بمعنى المتفرق ﴿ فقال قوم هو جوهر لطيف ﴾ اى روحانى لايشاهد بالابصار ﴿ يفصل به بين حقايق المعلومات ﴾ فيقال هذا بسيط وذاك مركب مثلا اوهذا حلال وهذا حرام ونحو ذلك والجوهر لفظه عربى مأخوذ من الجهر عند بعض اهل اللغة لكن المتعارف انه معرب كوهر فارسى وجوهر الشئ اصله الذى ينشاء ذلك الشئ منه وفى اصطلاح الحكماء ماهية اذا وجدت فى الاعيان كانت لافى موضوع وهو منحصر فى خمسة هيولى وصورة وجسم ونفس وعقل لانه اما ان يكون مجردا عن المادة اوغير مجرد فالاول اما ان يتعلق بالبدن تعلق التدبير والتصرف اولا يتعلق والاول العقل والثانى النفس والثانى من الترديد وهو ان يكون غير مجرد اما ان يكون مركبا اولا والاول الجسم والثانى اما حال اومحل الاول الصورة والثانى الهيولى * واعلم ان الجوهر ينقسم الى بسيط روحانى كالعقول والنفوس المجردة والى بسيط جسمانى كالعناصر والى مركب فى العقل دون الخارج كالماهيات الجوهرية المركبة من الجنس والفصل والى مركب منهما فى الخارج كالمولدات الثلاث وعند المتكلمين الجوهر هو المتحيز بالذات ومقابله العرض وهو مالا يقوم بذاته بل يحتاج فى وجوده الى موضوع اى محل يقوم به كاللون المحتاج فى وجوده الى جسم يحله ويقوم هو به والاعراض على نوعين قار الذات وهو الذى يجتمع اجزاؤه فى الوجود كالبياض والسواد وغير قار الذات وهو الذى لايجتمع اجزاؤه فى الوجود كالحركة

والسكون كذا في التعريفات للسيد ﴿ ومن قال بهذا القول ﴾ من الحكماء والمتكلمين ﴿ اختلفوا في محله فقالت طائفة منهم محله الدماغ لان الدماغ محل الحس ﴾ لان الحواس التي هي الآلات للادراك نافذة الى الدماغ دون القلب ولان الاعصاب التي هي الآلات في الحركات الاختيارية نافذة من الدماغ دون القلب. ولان الآفة اذا حلت في الدماغ اختل العقل ولان في العرف كل من اريد وصفه بقلة العقل قيل انه خفيف الدماغ خفيف الرأس ولان العقل اشرف فيكون مكانه اشرف والاعلى هو الاشرف وذلك هو الدماغ لا القلب فوجب ان يكون محل العقل هو الدماغ ﴿ وقالت طائفة اخرى منهم محله القلب لان القلب معدن الحياة ﴾ وهو اول الاعضاء تكونا وآخرها موتا وقد ثبت ذلك بالتشريح وايضا من شان الملوك المحتاجين الى الخدم ان يكونوا في وسط المملكة لتكتنفهم الحواش من الجوانب فيكونوا ابعد من الآفات ﴿ ومادة الحواس ﴾ لان بدل ما يتحلل منها يجيء من قبل القلب . ولان القلب اذا غشي عليه فلو قطع سائر الاعضاء لم يحصل الشعور به واذا افاق يشعر بجميع ما ينزل بالاعضاء من الآفات فدل ذلك على ان سائر الاعضاء تبع للقلب ولذلك فان القلب اذا فرح اوحزن فانه يتغير سائر الاعضاء عند ذلك ولان القلب منبع المشاق الباعثة على الافعال الصادرة من سائر الاعضاء واذا كانت المشاق مبادي الافعال ومنبعها هو القلب كان الآمر المطلق هو القلب كما افاده الفخر الدين الرازي والدلائل السمعية على ان القلب موضع التمييز والاختيار ﴿ وهذا القول في العقل بانه جوهر لطيف فاسد من وجهين احدهما ان الجواهر متماثلة فلا يصح ان يوجب بعضها ﴾ وهو العقل ﴿ مالا يوجب سائرها ﴾ من الفصل بين حقائق الموجودات ﴿ ولوا وجب سائرها ما يوجب بعضها لاستغنى العاقل ﴾ مادام عاقلا ﴿ بوجود نفسه عن وجود عقله ﴾ لانهما جوهران يوجب احدهما ما يوجب الآخر وهذا خلف لان عدم استغنائه عنه ضروري لان عنوان الموضوع معتبر في ذات الموضوع ﴿ والثاني ان الجوهر يصح قيامه بذاته فلو كان العقل جوهرا لجاز ان يكون عقل بغير عاقل كما جاز ان يكون جسم بغير عقل ﴾ كالحجر مثلا ﴿ فامتنع بهذين ﴾ الدليلين ﴿ ان يكون العقل جوهرا وقال آخرون العقل هو المدرك للاشياء على ماهي عليه من حقائق المعنى وهذا القول وان كان اقرب مما قبله فبعيد من الصواب من وجه واحد وهو ان الادراك من صفات الحي والعقل عرض يستحيل ذلك ﴾ الادراك (منه) لانه ليس بحي ﴿ كما يستحيل ان يكون ﴾ ماليس بحي ﴿ متلذذا او آلما او مشتهيا ﴾ او فرحا اومحزونا ونحو ذلك مما هو من صفات الحي لاستلزامه قيام العرض بعرض ﴿ وقال آخرون من المتكلمين العقل هو جملة علوم ضرورية وهذا الحد غير محصور لما تضمنه من الاجمال ويتناوله من الاحتمال والحد انما هو بيان المحدود بما ينفي عنه الاجمال والاحتمال ﴾ اذ يشرط كونه اجلى من المحدود ومعلوم ماقبله اذ الكاسب علة يجب تقدمها على المعلول المكتسب ﴿ وقال آخرون وهو القول الصحيح ان العقل هو العلم بالمدركات الضرورية ﴾ وقال بعضهم هو قوة للنفس بها تستعد للعلوم والادراكات وهو المعنى بقولهم صفة غريزة يتبعها العلم بالضروريات عند سلامة الاسباب والآلات ﴿ وذلك نوعان احدهما ماوقع عن درك الحواس والثاني ما كان متبدأ في النفوس فاما ما كان ﴾ اي العقل الذي كان ﴿ واقعا عن درك الحواس فمثل المرئيات المدركة بالنظر ﴾ واستعمال قوة البصر والبصر قوة مودعة في العصبتين المجوفتين اللتين

تتلاقيان ثم تفترقان فتأديان الى العينين يدرك الاضواء والالوان والاشكال والمقادير والحركات والحسن والقبيح وغير ذلك مما يخلق الله تعالى ادراكها في النفس عند استعمال تلك القوة ﴿ والاصوات المدركة بالسمع ﴾ والسمع قوة مودعة في العصب المفروش في مقعر الصماخ يدرك بها الاصوات بطريق وصول الهواء المتكيف بكيفية الصوت الى الصماخ ﴿ والطعوم المدركة بالذوق ﴾ والذوق قوة منبثة في العصب المفروش على جرم اللسان يدرك بها الطعوم بمخالطة الرطوبة اللعابية ﴿ والروائح المدركة بالشم ﴾ وهي قوة مودعة في الزائدتين النابتتين من مقدم الدماغ الشبيهتين بحلمتي الثدي يدرك بها الروائح بطريق وصول الهواء المتكيف بكيفية ذي الرائحة الى الخيشوم ﴿ والاجسام المدركة باللمس ﴾ وهي قوة منبثة في جميع البدن تدرك بها الحرارة والبرودة والرطوبة واليبوسة ونحو ذلك عند التماس والاتصال به ﴿ فاذا كان الانسان ممن لو ادرك بحواسه هذه الاشياء ﴾ اذا استعمل الحس المتعلق بكل واحد منها ﴿ ثبت له هذا النوع من العلم ﴾ وان لم يعلم بالفعل لعدم استعماله الحس المخصوص ﴿ لان خروجه في حال تغميض عينيه من ان يدرك بهما ويعلم لا يخرجه من ان يكون كامل العقل من حيث علم ﴾ بالبناء للمفعول ﴿ من حاله انه لو ادرك ﴾ باستعمال حسه ﴿ لعلم ﴾ فهو في تلك الحالة مدرك بالقوة وعاقل بالفعل لان ملكة الادراك حاصلة له بالفعل ﴿ واما ما كان مبتدأ في النفوس ﴾ من العقل ﴿ فكما لعلم بان الشئ لا يخلو من وجود او عدم ﴾ اذ لا واسطة بينهما والشئ في اللغة هو ما يصح ان يعلم ويخبر عنه عند سيبويه وقيل الشئ عبارة عن الوجود وهو اسم لجميع المكونات عرضا كان او جوهرا وفي الاصطلاح هو الموجود الثابت المتحقق في الخارج كما في التعريفات فالمعدوم شئ لغة ﴿ وان الموجود لا يخلو من حدوث ﴾ هو عبارة عن وجود الشئ بعد عدمه ويسمى حدوثا زمانيا وقد يعبر عن الحدوث بالحاجة الى الغير ويسمى حدوثا ذاتيا ﴿ او قدم ﴾ وهو كون الشئ غير محتاج الى الغير ويسمى قدما ذاتيا وكون الشئ غير مسبوق بالعدم ويسمى قدما زمانيا ﴿ وان من المحال اجتماع الضدين ﴾ الضدان صفتان وجوديتان يتعاقبان في موضع واحد يستحيل اجتماعهما كالسواد والبياض والفرق بين الضدين والنقيضين ان النقيضين لا يجتمعان ولا يرتفعان كالعدم والوجود والضدين لا يجتمعان لكن يرتفعان كالسواد والبياض ﴿ وان الواحد اقل من الاثنين وهذا النوع من العلم لا يجوز ان ينتفي عن العاقل مع سلامة حاله ﴾ عن العوارض المانعة للتعقل كالنوم والسكر والفرح والهم والغضب المفرطة ونحو ذلك ﴿ وكمال عقله فاذا صار عالما بالمدركات الضرورية من هذين النوعين فهو كامل العقل وسمى بذلك تشبيها بعقل الناقة ﴾ يقال عقل البعير من باب ضرب اذا ثنى وظيفه مع ذراعه فشدهما في وسط الذراع وذلك الحبل هو العقال ﴿ لان العقل يمنع الانسان من الاقدام على شهواته اذا قبحت ﴾ تلك الشهوة بان كانت محرمة او مكروهة ﴿ كما يمنع العقل الناقة من الشرود ﴾ على وزن قعود الفرار ﴿ اذا نفرت ﴾ وفزعت ﴿ ولذلك ﴾ اي لكون العقل مأخوذا من عقل البعير ﴿ قال عامر بن قيس اذا عقلك ﴾ اي منعك ﴿ عقلك عما لا ينبغي فانت عاقل ﴾ وترجمه السعدي بالفارسية مع التصريح بمفهومه فقال * نى آدم كه شد از قطرهٔ آب * كه چل روزش قرار اندر

رحم ماند* اگر چل ساله راعقل وادب نيست * بتحقيقش نشايد آدمى خواند ﴿ وقد جاءت السنة بما يؤيد هذا القول في العقل ﴾ اى القول بانه علم بالمدركات الضرورية ﴿ وهو ماروى عن النبي صلى الله عليه وسلم انه قال العقل نور في القلب يفرق ﴾ القلب به ﴿ بين الحق والباطل) والنور كيفية تدركها الباصرة اولا وبواسطتها سائر المبصرات وفي البصائر النور نوعان دنيوى واخروى والدنيوى ايضا نوعان مايعقل بعين البصيرة وهو النور الذى ينتشر من الانوار الآلهية كنور العقل ونور القرآن والثانى مايحس بعين البصر وهو ماينتشر من الاجسام النيرة كالشمس والقمر والنجوم والنور الاخروى ماهو المنصوص عليه في قوله تعالى يسعى نورهم بين ايديهم وقد جمع بعض المفسرين اقسام الانوار وقال* ثلاثة انوار تضئ من السماء . وفي سرقلبى مثلهن مصور* فاوله شمس وثانيه كوكب * وثالثه بدر منير مدور * علومى نجوم القلب والعقل بدره *ومعرفة الرحمن شمس منور* امامى كتاب الله والبيت قبلتى* ودينى من الاديان اعلى وافخر* شفيعى رسول الله والله غافر* ولارب الا الله والله اكبر ﴿ وكل من نفى ان يكون العقل جوهرا اثبت محله في القلب لان القلب محل العلوم كما قال الله تعالى ﴾ في الحج ﴿ افلم يسيروا في الارض ﴾ الضمير لامة الدعوة والفاء لعطف مابعدها على مقدر يقتضيه المقام اى اغفلوا فلم يسيروا يحتمل انهم لم يسافروا وافحثوا على السفر ابروا مصارع من اهلكهم الله بكفرهم ويشاهدوا آثارهم فيعتبروا ويحتمل انهم قد سافروا ورأوا ذلك ولكن لم يعتبروا فجعلوا كأنهم لم يسافروا ولم يروا ﴿ فتكون لهم قلوب يعقلون بها ﴾ اى يعقلون مايجب ان يعقل من التوحيد (او آذان يسمعون بها) مايجب سماعه من الوحى (فانها) الضمير ضمير الشان والقصة (لاتعمى الابصار ولكن تعمى القلوب التى في الصدور) المعنى ان ابصارهم سالمة صحيحة لاعمى بها وانما العمى بقلوبهم اولا يعتد بعمى الابصار فكأنه ليس بعمى بالاضافة الى عمى القلوب كما في الكشاف ﴿ فدلت هذه الآية على امرين احدهما ان العقل علم والثانى ان محله القلب ﴾ قال الرازى لان المقصود من قوله تعالى قلوب يعقلون بها العلم وقوله يعقلون بها كالدلالة على ان القلب آلة لهذا التعقل فوجب جعل القلب محلا للتعقل وسمى الجهل بالعمى لان الجاهل لكونه متحيرا يشبه الاعمى انتهى ﴿ وفي قوله تعالى يعقلون بها تأويلان احدهما يعلمون بها والثانى يعتبرون بها ﴾ والعبرة للعقل فعلى هذا الدماغ كالديوان الهمايون للملوك ينتهى جميع الحوادث اليها وتلخص فيها ثم يعرض للملوك فالدماغ آلة قريبة للقلب والحواس آلة بعيدة فالحواس تخدم الدماغ ثم الدماغ يخدم القلب ومن جهة اخرى الدماغ كمدير التلغراف يتلقى الاوامر من القلب ثم يحرك الاعضاء بواسطة الاعصاب المنتهية اليه نحو الفعل اوالترك فيخدم الملك ويستخدم الرعايا ﴿ فهذه ﴾ المذكورات ﴿ جملة القول في العقل الغريزى . واما العقل المكتسب فهو نتيجة العقل الغريزى وهو نهاية المعرفة وصحة السياسة ﴾ اى الامر والنهى ﴿ واصابة الفكرة ﴾ لان لكل شئ دلائل وامارات خفية فبالاطلاع لتلك الدلائل يحصل كل من ذلك ﴿ وليس لهذا ﴾ اى للعقل المكتسب ﴿ حد ﴾ ومنتهى يقف عنده ﴿ لانه ينمى ﴾ اى يزيد وفي بعض النسخ ينمو ﴿ ان استعمل وينقص ان اهمل ونماؤه يكون من وجهين اما بكثرة الاستعمال اذا لم يعارضه ﴾ اى العقل المكتسب ﴿ مانع من هوى ﴾

بيان للمالع كالاستبداد برأيه والعجب بمذهبه وترك السؤال مخافة لحوق العار وعدم الرغبة لمجالسة العلماء ونحو ذلك والاشجار التى لاتصلح لغير الفأس والاحتطاب تكون مثمرة بالتأبير والتلقيح وكذلك النفوس تتزايد بالنكاح والازدواج وذلك مشاهد ايضا وكذا النقود والاموال تكثر بالتجارة والمبادلة فماظنك بالعقل الغريزى الذى هو اعز من الكل فله تلقيح بآداب الشريعة وازدواج بامثال الحكماء وتجارة بتجارب العقلاء ويكون ثمرته الحكمة والعفة والعدالة والشجاعة ونتيجته ماذكر من صحة السياسة واصابة الفكرة وربحه الذكر الجميل والاجر الجزيل ﴿ ولاصاد من شهوة ﴾ عطف تفسير للفقرة الاولى كماهو دأب المصنف فى هذا الكتاب ﴿ كالذى يحصل لذوى الاسنان من ﴾ بيان للموصول ﴿ الحنكة ﴾ بضم الحاء اى استحكام العقل ومتانة الفكر بالتجارب ﴿ وصحة لروية ﴾ على وزن غنية اسم بمعنى الفكر يقال هو سديد الروية اى الفكر وفى بعض النسخ الرؤية فالرؤية قلبية ﴿ بكثرة التجارب وممارسة الامور ولذلك ﴾ الحصول ﴿ حمدت العرب آراء الشيوخ ﴾ ولااختصاص لذلك بالعرب قال السعدى . كه فن آزموده است روباه پير . ﴿ حتى قال بعضهم المشايخ اشجار الوقار ﴾ اى الرزانة والتمكين وهو خصلة توجب محافظة الناموس ويقابله الخفة وفيه تشبيه الوقار بالاثمار على طريق الاستعارة بالكناية واضافة الاشجار اليه تخييلية ﴿ ومنابع الاخبار ﴾ فهم كصحائف التواريخ (١) ﴿ لايطيش لهم سهم ﴾ يقال طاش السهم عن الهدف اذا جاز عنه ولم يصب وذلك كناية عن اصابة ظنونهم وفراستهم ﴿ ولايسقط لهم وهم ﴾ الوهم ادراك المعنى الجزئى المتعلق بالمحسوس يعنى لايخطؤن لافى الكليات ولافى الجزئيات ولكون تلك الاوصاف كالعادة والامر الطبيعى للمشايخ لام الشاعر قوما فقال . سواء كاسنان الحمار فلاترى . لذى شيبة منهم على ناشئ فضلا . اى هم مستوون فى الشر ولافضل لشيوخهم على شبانهم ﴿ ان راوك فى ﴾ عمل ﴿ قبيح صدوك ﴾ عنه ﴿ وان ابصروك على ﴾ فعل ﴿ جميل امدوك ﴾ واعانوك عليه ﴿ وقيل عليكم بآراء الشيوخ فانهم ان فقدوا ذكاء الطبع ﴾ المستلزم لسداد الرأى ﴿ فقد مرت ﴾ اى فلا يضرهم فقدان ذلك الذكاء اذ قدمرت ففيه ايجاز باقامة علة الجزاء مقامه ﴿ على عيونهم وجوه العبر ﴾ اى انواعها وهو جمع عبرة والعبرة اسم من الاعتبار وهى الحالة التى يتوصل بها ويتوسل الى معرفة ماليس بمشاهد من معرفة ماهو مشاهد يعنى يعرفون المستقبل بالماضى والغائب بالشاهد ﴿ وتصدت لاسماعهم ﴾ اى تعرضت اوتصوتت ﴿ آثار الغير ﴾ على وزن عنب اسم من التغير اوالتغيير اى حوادث الدهر ومنه الدهر ذو غير اى ذو احداث مغيرة اوبباء موحدة اى آثار الغابرين من اسلافهم ﴿ وقيل فى منثور الحكم من طال عمره نقصت قوة بدنه وزادت قوة عقله ﴾ بتكثر تجاربه ﴿ وقيل فيه لاتدع الايام جاهلا الاادبته ﴾ ولاحليما الاهذبته ﴿ وقال بعض الحكماء كفى بالتجارب تأدبا وبتقلب الايام عظة وقال بعض البلغاء التجربة مرآة العقل ﴾ بها يطلع محاسنه ومساويه ﴿ والغرة ثمرة الجهل ﴾ بكسر الغين وتشديد الراء الغفلة اى الانخداع بالامانى الباطلة او برأيه الفطير نتيجة الجهل اوالمراد بالمرآة الآلة المسماة بدوربين اى يرى العاقل بها منافع عزائمه ومضاره قبل شروعها فقوله سديد وفعله حميد ﴿ وقال بعض الادباء كفى مخبرا عمابقى مامضى ﴾

(١) وفى بعض النسخ ومناجع الاخبار والنجوع هو الدخول اى مداخل الاخبار ومراجعها يرجع اليهم لاطلاع الاخبار منه

اذلايكون الآتى الامثل الماضى مالم يحدث حادث ﴿ وكفى عبرالاولى الالباب ماجربوا . وقدقال بعض الشعراء . المرآن العقل زين لاهله . ولكن تمام العقل طول التجارب وقال آخر ﴾ من الطويل ايضا ﴿ اذاطال عمرالمرء فى غيرآفة ﴾ كاتباع الهوى والشهوات وكثرة الهموم والمشاغل بحيث لم تخاص لتذكر مافعله ﴿ افادتله الايام فى كرها عقلا ﴾ اى زادتكرر الايام عقله ﴿ واماالوجه الثانى ﴾ من الوجهين اللذين بهما نماء العقل المكتسب ﴿ فقديكون بفرط الذكاء وحسن الفطانة وذلك جودة الحدس ﴾ بفتح فسكون يقال حدس فيه من الباب الاول والثانى اذا ظن وخمن ﴿ فى زمان غير مهمل للحدس ﴾ اى غير ممدود يتمكن فيه من الحدس (٢) ويعبر عنه بالارتجال والبديهة ويمدح بالاصابة فيه كما قال اشجع فى جعفر بن يحيى . يريدالملوك مدى جعفر . ولايصنعون كما يصنع . وليس باوسعهم فى الغنى ولكن معروفه اوسع . بداهته مثل تفكيره . حتى تلقه فهو مستجمع ﴿ فاذا امتزج ﴾ جودة الحدس ﴿ بالعقل الغريزى صارت نتيجتهما نموالعقل المكتسب كالذى يكون فى الاحداث من وفورالعقل وجودة الرأى حتى قال هرم بن قطبة ﴾ بن سنان الفزارى حكم من حكام العرب يقضى بين السادات فيرضون بقضائه ولايرد قوله اذا فضل احد المنافرين على الآخر ادرك الاسلام وله صحبة ﴿ حين تنافر اليه ﴾ اى طلب المنافرة اليه اوقبل ورضى بالمنافرة اليه فهو مطاوع نافر والمنافرة المحاكمة فى الحسب والفضل بين الرجلين يقال نافره اذا حاكمه ونفره اذا غلبه ﴿ عامر بن الطفيل ﴾ بن مالك بن الاحوص ﴿ وعلقمة بن علاثة ﴾ بن جعفر من بنى عامر بن صعصعة وكل منهما سيد من سادات قومه فارس شاعر ﴿ عليكم بالحديث السن الحديد الذهن ولعل هرما اراد ان يدفعهما عن نفسه فاعتذر بما قال ﴾ عن الحكم بينهما لحالهما وحال عشيرتهما ﴿ لكن لم ينكرا ﴾ اى علقمة وعامر ﴿ قوله ﴾ عليكم آه ﴿ اذ نمانالحق فصارا الى ابى جهل لحداثة سنه وحدة ذهنه فابى ﴾ ابوجهل ﴿ ان يحكم بينهما ﴾ لمثل مامر ﴿ فرجعا الى هرم فحكم بينهما ﴾ وسبب منافرتهما كما حكى ابوعبيدة وغيره ان علقمة كان قاعدا ذات يوم يبول فنظر اليه عامر وقال لم اركاليوم سوأة رجل اقبح فقال علقمة لانها لاتثب على جاراتها ولاتنازل الا كفاتها يعرض بعامر فجرى بينهما كلام فقال علقمة ان شئت نافرتك قال قدشئت فقال علقمة والله انى لبروانك لفاجروانى وفى وانك لغادر فبم تفاخرنى ياعامر فقال عامر والله انى لانزل منك للقفرة وانحر للبكرة واطعن للثغرة فانطلقا الى هرم بن قطبة حتى نزلا به فقال هرم لاحكمن بينكما ثم لافصلن لكن لست اثق بواحد منكما فاعطيانى موثقا اطمئن اليه ان ترضيا بما اقول وامرهما بالانصراف ووعدهما ذلك اليوم من قابل فانصرفا حتى اذا بلغ لاجل خرجا اليه فخرج علقمة ببنى الاحوص معهم القباب والجزور والقدور ينحرون فى كل منزل ويطعمون وجمع عامر بنى مالك وخرجوا على الخيل عليهم السلاح فقال رجل من الاغنياء ياعامر ماصنعت اخرجت بنى مالك تفاخر بنى الاحوص معهم القباب والجزور وليس معك شئ تطعم الناس ماسوأ ماصنعت فقال عامر لرجلين من بنى عمه احصيا كل شئ مع علقمة من قبة اوقدر اولقحة ففعلا فقال عامر يا بنى مالك انها المقارعة عن احسابكم فاشخصوا بمثل ماشخصوا ففعلوا فاتوا هرما واقاموا عنده اياما فارسل الى عامر فأتاه سرالايعلم به علقمة فقال ياعامر

(٢) فما وقع فى اكثر النسخ من قوله غير مهمل فلامعنى له وانما هو مصحف منه

قدكنت ارى لك رأيا وفيك خيرا وماحبستك هذه الايام الالتصرف عن صاحبك اتفاخر رجلا لاتفتخر انت ولاقومك لاباآبائه فما الذى انت به خير منه فقال ناشدتك الله والرحم ان لاتفضل على علقمة فوالله ان فعلت لاافلح بعدها هذه ناصيتى جزها واحتكم فى مالى فان كنت ولابد فاعلا فسو بينى وبينه فقال انصرف فسوف ارى رأيا فخرج عامر وهولايشك انه ينفر عليه ثم ارسل هرم الى علقمة سرا لايعلم به عامر فاتاه فقال ياعلقمة والله ان كنت لاحسب فيك خيرا اتفاخر رجلا هوابن عمك فى النسب وابوه ابوك وهو اعظم منك عناء واحمد بقاء فما الذى انت به خير منه فقال له علقمة ناشدتك الله ان لاتنفر على عامرا فاجابه بما اجاب به الآخر وانصرف ثم ان هرما احضر بنيه وبنى ابيه فقال انى قائل غدا بين هذين الرجلين مقالة فاذا فعلت ذلك فليطرد احدكم عشرة جزائر فينحرها عن عامر ويطرد بعضكم عشرة جزائر وينحرها عن علقمة وفرقوا بين الناس لئلا يكون لهم جماعة واصبح هرم وجلس فى مجلسه واقبل الناس واقبل علقمة وعامر حتى جلسا ﴿ وفيه قال لبيد ﴾ من الرجز المشطور

﴿ ياهرم ابن الاكرمين منصبا * انك قداوتيت حكما معجبا ﴾ فطبق المفصل واغنم طيبا *

يقول احكم بين عامر وعلقمة بكلمة فصل وبامر قاطع فتفصل بها بين الحق والباطل كما يفصل الجزار الحاذق مفصل العظمين فقام هرم وقال يابنى جعفر قدتحاكمتما عندى والله انكما كركبتى البعير يقعان على الارض معا وينهضان معا قالا فاين اليمين قال كلاكما يمين وكلاكما سيد كريم وعمد بنو هرم الى الجزر فنحروها وفرقوا الناس وكره ان يفضل بينهما وهما ابناعم فيوقع بذلك عداوة بين الحيين وخرجا من عنده راضيين . ومات علقمة مسلما وله وفادتان احدها على النبى صلى الله عليه وسلم اسلم فيها والثانية على عمر بن الخطاب وولاه حوران ومات بها واما عامر فكان شجاعا مشهورا شاعرا مقدما وفد على النبى صلى الله عليه وسلم ومعه اربد بن قيس مع قوم من بنى عامر فقال يامحمد مالى ان اسلمت قال النبى صلى الله عليه وسلم لك ماللمسلمين وعليك ماعليهم قال اتجعل لى الامر بعدك قال ليس ذلك لقومك ولكن اجعل لك اعنة الخيل قال اوليست لى ثم قال يامحمد والله لاملأنها عليك خيلا ورجلا ولاربطن بكل نخلة فرسا وولى فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم اللهم اكفنى عامرا واربد واهد بنى عامر واغن الاسلام عن عامر ثم انصرفوا حتى اذا كانوا ببعض الطريق بعث الله عليه الطاعون فمال الى بيت امرأة من بنى سلول فمات فيه واما اربد فارسل الله تعالى عليه صاعقة فقتله كما فى سرح العيون ﴿ وقد قالت العرب عليكم بمشاورة الشباب فانهم ينتجون رأيا ﴾ جديدا ﴿ لم ينله طول القدم ﴾ اى لم تجده الازمنة القديمة ولم تعرفه مع طولها وكثرة العقلاء فيها لنقصان بعض المقدمات فيها ﴿ ولا استولت عليه رطوبة الهرم ﴾ اى ضعفه لتناقص الحرارة الغريزية ﴿ وقد قال الشاعر ﴾ من الوافر ﴿ رأيت العقل لم يكن انتهابا ﴾ اى شيئا يغار حتى ينتهبه المغيرون والمنتاهبون يقال انتهب النهب اذا اخذه ﴿ ولم يقسم على عدد السنينا ﴾ جمع سنة والفه للاشباع ﴿ ولوان السنين تقاسمته ﴾ اى لوثبت ذلك التقسيم ﴿ حوى الآباء انصبة البنينا ﴾ اى احرز الآباء انصبة البنين وسهامهم لكثرة سنيهم لكن التالى باطل وكذا المقدم ﴿ وحكى الاصمعى ﴾ ابو سعيد عبد الملك بن قريب بن على بن اصمع كان حافظا عالما فطنا عارفا باشعار العرب واخبارها

وفى شواهد المغنى اللبيب اتى الاعشى علقمة مستجيرا فى تلك السنة التى اهملهما هرم فقال علقمة اجيرك من الاسود والاحمر قال له ومن الموت قال لا فاتى عامرا فقال له مثله فقال ومن الموت قال نعم فقال وكيف قال ان مت فى جوارى وديتك فلما بلغ ذلك علقمة قال لو علمت مراده ذلك لهان على فقال الاعشى قصيدته التى منها

قدقلت المجاء فى فخره
سبحان من علقمة الفاخر
ان الذى فيه تماريتما
بين للسامع والناظر
ان ترجع الحكم الى اهله
فلست بالمسدى ولاالنائر
ولست بالاكثر منهم حصى
وانما العزة للكاثر
ولست فى السلم بذى نائل
ولست فى الهيجاء بالجاسر

فنذر علقمة هدر دمه وجعل له رصدا على كل طريق فظفر وابه وقال الحمد لله الذى امكننى منك فانشد الاعشى

اعلقم قدصيرتنى الامور
اليك ومالت لى منقص
فهب لى نفسى فدتك النفوس
ولازلت تنمى ولاتنقص

فقال قوم علقمة اقتله وارحنا والعرب من شر لسانه فقال علقمة اذا تطلبوا بدمه ولاينغسل عنى ماقاله ولا يعرف فضلى عند القدرة فامر به وحل وثاقه واحسن عطاءه وقال الخ

كثيرالتطوف بالبوادى لاقتباس علومها وتلقى اخبارها فهو صاحب غرائب الاشعار وعجائب الاخبار وقدرة الفضلاء وقبلة الادباء قد استولى على الغايات فى حفظ اللغات وضبط العلوم و لادبيات صاحب دين متين وعقل رصين وكان خاصا بالرشيد آخذ الصلات كثيرا وكان يقول احفظ ستة عشر الف ارجوزة روى عنه ابو عبيدة وابو حاتم السجستانى والرياشى والصغانى وغيرهم وتوفى فى بصرة سنة ست عشر ومأتين وهو ابن اربع وتسعين ﴿ رحمه الله قال قلت لغلام حدث ﴾ بفتحتين الشاب يقال للفتى حديث السن فان حذفت السن قلت حدث وجمعه احداث ﴿ من اولاد العرب كان يحادثنى فامتعنى ﴾ اى افادنى وانفعنى ﴿ بفصاحة وملاحة ايسرك ﴾ يقال سره من الباب الاول اذا فرحه والهمزة للاستفهام والجملة مقول قلت ﴿ ان يكون لك مأة الف درهم وانت احمق قال لا ﴾ يسرنى ذلك ﴿ والله قال فقلت ولم ﴾ لا يسرك هذا المبلغ الجليل ﴿ قال اخاف ان يجنى على حمقى جناية تذهب بمالى ويبقى على حمقى ﴾ فاكون عاطلا من الفضيلتين العقل والغنى ﴿ فانظر الى هذا الصبى كيف استخرج بفرط ذكائه واستنبط بجودة قريحته ما ﴾ اى جوابا ﴿ لعله يدق على من هو اكبر منه سنا واكثر تجربة ﴾ فلا يجيب بمثل جوابه لخفأ هذه النكتة عليه ودقتها ﴿ واحسن من هذا الذكاء والفطنة ما حكى ابن قتيبة ﴾ ابو محمد عبدالله بن مسلم المروزى صاحب كتاب العوارف وادب الكاتب ﴿ ان عمر بن الخطاب رضى الله عنه مر بصبيان يلعبون وفيهم عبدالله بن الزبير ﴾ بن العوام وهو اول من ولد فى الاسلام للمهاجرين بالمدينة ولدته امه اسماء بنت الصديق الاكبر بقباء فاتت به النبى صلى الله عليه وسلم فوضعه فى حجره فدعى بتمرة فمضغها ثم تفل فى فيه وحنكه فكان اول شئ دخل فى جوفه ريقه عليه السلام ثم دعا له وكان صواما قواما بويع له بالخلافة بعد موت يزيد بن معاوية واجتمع على طاعته اهل الحجاز واليمن والعراق وخراسان ماعدا الشام وجدد عمارة الكعبة وجعل لها بابين وحج بالناس ثمان حجج وبقى بالخلافة الى ان حصره الحجاج بمكة سنة اثنين وسبعين ولم يزل يحاصره الى ان اصابته رمية الحجر فمات وصلب جسده وحمل رأسه الى خراسان ﴿ فهربوا ﴾ بابه نصر اى فر الصبيان ﴿ منه الا عبدالله فقال له عمر رضى الله عنه مالك لم لا تهرب مع اصحابك فقال يا امير المؤمنين لم اكن على ريبة فاخافك ولم يكن الطريق ضيقا فاوسع لك فانظر ماتضمنه هذا الجواب من الفطنة وقوة المنة وحسن البديهة ﴾ اذ لا يتأمل مثل ذلك قبل وقوع السؤال ﴿ كيف نفى عنه اللوم ﴾ بقوله لم اكن على ريبة ﴿ واثبت له الحجة ﴾ بقوله لم يكن الطريق ضيقا ﴿ فليس للذكاء غاية ولا لجودة القريحة نهاية ﴾ قال اليزيدى اول ماظهر من نجابة المأمون وسداده انى كنت اؤدبه فوجهت اليه يوما ليخرج فابطأ فقلت لسعيد الجوهرى وهو فى حجره ان هذا الفتى قد اشتغل بالبطالة فقال سعيد قومه بالادب فلما خرج ضربته ثلاث درر فانه ليبكى اذا بجعفر بن يحيى قد استأذن عليه فوثب الى فراشه مسرعا وهو يمسح عينيه فجلس ثم قال ليدخل فدخل فقمت من المجلس وخشيت ان يشكونى الى جعفر فالقى منه ما اكره فاقبل عليه بوجه طلق وحادثه وضاحكه فلما هم بالحركة قال يا غلام دابته ورجعت فقال ما حملك ان قمت عنا فقلت خفت ان تشكونى اليه فيوبخنى فقال انا لله يا ابا محمد ما كنت

حيث شئت واخرج معه من يبلغه مأمنه فقال علقم يا خير بنى عامر للضيف والصاحب والزائر والضاحك السن على همة والغافر العثرة للعاثر منه

نظر عمر بن الخطاب الى هرم ملتفاف بت فى ناحية المسجد ورأى دمامته وقلته وعرف تقديم العرب له فى الحكم والعلم فاحب ان يكشفه ويسبر ما عنده فقال ارأيت لو تنافرا اليك اليوم ايهما كنت تنفر فقال يا امير المؤمنين لو قلت فيهما كلمة لاعدتها جذعة فقال عمر بن الخطاب رضى الله عنه لهذا العقل تحاكمت اليك العرب منه

(بت) الكساء الغليظ (السبر) الاختبار (لاعدتها جذعة) الضمير للقصة والجذعة الشابة من الابل اى لو فاضلت احدهما اليوم لارجعت تخاصمهما جديدا بعد عدمه بطول العهد منه

اطلع الرشيد على هذا فكيف اطلع جعفرا على انى احتاج الى ادب يغفر الله لك فكنت
اهابه بعد ذلك وقال الفضل بن جعفر فى مدح غلام بالذكاء . فان خلفته السن فالعقل بالغ .
به رتبة الكهل المرشح للمجد * فقد كان يحيى اوتى الحكم قبله * صبيا وعيسى كلم الناس فى المهد
﴿ وحكى ان سليمان بن عبد الملك امر الفرزدق ﴾ اسمه همام بن غالب بن صعصعة التميمى
الدارمى البصرى الشاعر المشهور صاحب جرير لقب بالفرزدق لجهامة وجهه وغلظه
لان الفرزدق القطعة الضخمة من العجين وكنيته ابو فراس وذكره الشريف المرتضى فقال
كان الفرزدق مع تقدمه فى الشعر وبلوغه فيه الذروة العلياء شريف الآباء كريم البيت وكان شيعيا
مائلا لبنى هاشم ونزع فى آخره عمره عما كان عليه من الفسق والقذف وراجع طريقة الدين
ومات بالبادية سنة عشر ومأة روى عن على والحسين وابن عمر وابى سعيد والطرماح الشاعر
وروى عنه الكميت وخالد الحذاء وابنه ليطة بن الفرزدق وحفيده اعين بن ليطة وفد على
سليمان والوليد ومدحهما ﴿ بضرب اعناق اسارى ﴾ على وزن سكارى جمع اسير (من الروم)
طائفة من نوع الانسان من نسل روم بن عيصو بن اسحق عليه السلام ﴿ فاستعفاه الفرزدق ﴾
اى طلب عفوه عن القتل والضرب ﴿ فلم يفعل ﴾ سليمان العفو ﴿ واعطاه سيفا لا يقطع شيئا
فقال الفرزدق ﴾ لما شاهد حال السيف لا اضربهم به ﴿ بل اضربهم . بسيف ابى رغوان ﴾
على وزن سلمان لقب مجاشع بن دارم اقب به لفصاحته وجهارة صوته والرغاء صوت النعم
والغلباء ونحوه والياء ضمير المتكلم ورغوان عطف بيان لانه من آبائه ﴿ سيف مجاشع ﴾ عطف
بيان او بدل من سيف ابى رغوان وقوله بسيف ابى آه مصراع من الطويل ﴿ يعنى سيف
نفسه ﴾ الموروث عن آبائه وخص المجاشع بالذكر لاجتماع الفضيلتين فيه اللسان والسيف ففيه افتخار
وتمدح بهم ﴿ فقام الفرزدق فضرب به ﴾ اى بسيف ابيه ﴿ عنق رومى منهم ﴾ هائل المنظر
فالتفت الرومى اليه وكالح فى وجهه فارتاع الفرزدق ﴿ فنبا السيف عنه ﴾ اى كل وارتد ولم يمض
فى عنق الرومى ﴿ فضحك سليمان ومن حوله ﴾ من الناس ﴿ فقال الفرزدق ﴾ لدفع ذلك العار .
من البسيط ﴿ ايعجب الناس ﴾ الهمزة للاستفهام ويعجب من الباب الرابع او من الافعال
﴿ ان اضحكت سيدهم ﴾ اى من اضحاكى اياه ﴿ خليفة الله ﴾ بدل من السيد والاضافة الى الجلالة
للتعظيم كما يقال بيت الله للكعبة ﴿ يستسقى به المطر ﴾ اى يطلب به الغيث (روى البخارى عن
انس ان عمر بن الخطاب رضى الله عنه اذا قحطوا استسقى) متوسلا (بالعباس بن عبد المطلب)
للرحم التى بينه وبين النبى صلى الله عليه وسلم فاراد عمر ان يصلها بمراعاة حقه الى من امر
بصلة الارحام ليكون ذلك وسيلة الى رحمة الله (فقال اللهم انا كنا نتوسل اليك بنبينا صلى الله
عليه وسلم) فى حال حياته (فتسقينا وانا) بعده (نتوسل اليك بعم نبينا فاسقنا قال) انس
(فيسقون) وقد حكى عن كعب الاحبار ان بنى اسرائيل كانوا اذا قحطوا استسقوا باهل بيت
نبيهم كما فى القسطلانى وسليمان خليفته صلى الله عليه وسلم والقياس شعرى اوضمير به راجع الى
الاضحاك فالمراد بالمطر عطاياه الجزيلة اى يطلب صلاته وجوائزه باضحاكه ﴿ لم ينب سيفى ﴾
بفتح الياء للوزن كما هو الاصل ﴿ من رعب ﴾ اى لاجل خوف من الرومى ﴿ ولا دهش ﴾ بفتحتين
اى ولا من تحيرى يقال دهش الرجل اذا تحير وذهب عقله وبابه علم ﴿ عن الاسير ﴾ متعلق بلم

يذنب ﴿ ولكن اخر القدر ﴾ اى اخره قدره وكان امر الله قدرا مقدورا ﴿ ولن يقدم نفسا قبل ميتتها ﴾ بكسر الميم مصدر بمعنى النوع يقال مات ميتة حسنة اى على حالة حسنة واضافتها الى ضمير النفس للعهد اى قبل ميتتها المقدرة لها (جمع اليدين) فاعل يقدم والمصدر مبنى للمفعول اى كونهما مجموعين ومغلولين من وراء ظهرها او قدامها ﴿ ولا الصمصامة الذكر ﴾ الصمصامة السيف الذى لا ينثنى وسيف عمرو بن معديكرب وكانت تقطع الحديد كما يقطع الحديد الخشب والذكر نعت له وهو اجود الحديد والفولاذ ﴿ ثم غمد سيفه ﴾ اى جعله فى الغمد ﴿ وهو يقول ﴾ من الرجز المشطور ﴿ ماان يعاب سيدا اذا صبا ﴾ اى مال الى جهة الفتوة والصباوة وان زائدة بعد النفى قاله اعتذارا عن طرف سليمان لما ادرك ان امره بقتل الاسير كان لاضحوكة وتخويف الفرزدق ﴿ ولا يعاب صارم اذ انبا ﴾ والصارم يطلق على السيف القاطع بغلبة الاسمية فلا حاجة الى تقدير موصوف ﴿ ولا يعاب شاعر اذا كبا ﴾ يقال كبا الرجل اذا انكب على وجهه وكبا الزند اذا لم يور والمعنى على الاول لا يعاب شاعر اذا زل لسانه ووقع فى هفوة وخطاء وعلى الثانى اذا حصر ولم يتكلم ﴿ ثم جلس وهو يقول كأنى بابن المراغة ﴾ لقب جرير لقبه به الفرزدق او الاخطل قيل لتولدها فى مراغ الابل الا ان المناسب لتلقيب الفرزدق ان المراغة بمعنى الاتان التى لا تمنع الفحولة بل تطلبها وسيجئ فى المصاهرة ان ولد الغيرى لا ينجب فالتسمية بابن المراغة شتم لجرير يقال تمرغ الحمار فى التراب اذا تقلب فيه وذلك المكان هو المراغ والمراغة ﴿ قد هجانى ﴾ بالجبانة (فقال . بسيف ابى رغوان سيف مجاشع . ضربت ولم تضرب بسيف ابن ظالم ﴾ ضربت به عند الامام فارعشت . يداك وقالوا محدث غير صارم . قوله ارعشت يداك اى صارتا ذوى رعش من جبانتك . وقالوا اى قال بعض من حضر اعتذارا وبعضهم استهزاء وقوله محدث اسم مفعول من احدث السيف اذا جلاه فغير صارم اى غير محدد ﴿ ثم قام ﴾ الفرزدق ﴿ فانصرف وحضر جرير وخبر بالخبر ﴾ من ضرب الفرزدق عنق الرومى بسيفه ونبو السيف ﴿ ولم ينشدله ﴾ اى لجرير ﴿ الشعر فانشأ يقول . بسيف ابى رغوان سيف مجاشع . ضربت ولم تضرب بسيف ابن ظالم ﴾ ضربت به عند الامام آه كما فى الشريشى قوله ابى رغوان فى حدس جرير كنية مجاشع او حكاية وتخمين منه ان الفرزدق كان قد قال هكذا كما ان ضربت ولم تضرب فى حدس الفرزدق حكاية وتخمين منه ان جريرا يهجوه به ويقول هكذا وحملهما فى قول الفرزدق على التجريد مما يأباه قوله كأنى بابن المراغة قد هجانى فقال لانه تنصيص على الحكاية . والمتبادر من وقوع الحكاية عند سليمان بن عبد الملك ان مرادها بابن ظالم هو يزيد بن مهلب بن ابى صفرة وابو صفرة هو ظالم بن سراقة بن كندى والمهلب هو صاحب حروب الازارقة وولاه عبد الملك خراسان بعد الازارقة سنة تسع وسبعين ومات سنة ثلاث وثمانين واستخلف يزيد ابنه عليها فاقره عبد الملك عليها وغزا يزيد جرجان فى خلافة سليمان بن عبد الملك فى ثلاثين الف مقاتل فقاتلهم اشهرا ثم صالحهم على ان يعطوا خمسمأة الف درهم كل عام يؤدونها اليه ثم غزا طبرستان فصالحهم على سبعمأة الف درهم واربعمأة وقر زعفران وانصرف عنهم ثم غدر اهل جرجان بمن خلف عليهم من المسلمين فقتلوهم فلما فرغ من طبرستان سار اليهم فقاتلهم شهرا ثم نزلوا على حكمه فقتل مقاتلهم وسبى ذراريهم

(وقاد)

وقاد منهم اثنى عشر الفا الى وادى جرجان فقتلهم واجرى الماء فى الوادى على الدم وعليه ارحاء تدور بدمائهم فتطحن واختبز واكل وكان قد حلف على ذلك ومما قيل فى اولاد المهلب هم كالحلقة المفرغة لا يدرى اين طرفاها ولبعضهم . اذا كان المهلب من ورائى . هدا ليلى وقرله فؤادى . ولم اخش الدنية من اناس . ولو صالوا بقوة قوم عاد * وقال آخر . ان المكارم ارواح يكون لها . آل المهلب دون الناس اجسادا . ولذا خص الحريرى فى المقامة الثانية والاربعين آل ابى صفرة بالشجاعة . ولعل الاسير الذى اشير بقتله هو الذى اسره يزيد (١) فهو كالحاضر المشاهد هنالك فبهذا الحضور اتفق حدسهما فظالم علم جد يزيد ولك ان تأخذه نكرة مصروفة الى الكامل فى الظلم فالمراد بالظالم هو جلندى الذى كان يأخذ كل سفينة غصبا وبابنه آل المهلب لان المهلبية ينتسبون اليه والمعنى الاول انسب واقرب والثانى ادق واشمل وفى القول الجيد ان المراد بابن ظالم هو الحرث بن ظالم المرى ولم اعرف وجها لايرادها فى حدسهما مع كونه اجنبيا وخارجا عن موضوع الحكاية لاسيما لاتفاقهما فى الحدس والله اعلم ﴿ ثم قال ﴾ جرير ﴿ ياامير المؤمنين كأنى بابن القين ﴾ يعنى الفرزدق والقين الحداد لقبه به جرير للايماء الى انه كاذب فى تلقيب جرير بابن المراغة لان سرى القين يضرب به المثل فى الكذب ﴿ وقد اجابنى فقال ﴾ من الطويل ﴿ ولا نقتل الاسرى ﴾ جمع اسير كقتلى جمع قتيل ﴿ ولكن نفكهم ﴾ اى نخلصهم من قيد الاسارة بالفداء كما قال الله تعالى فشدوا الوثاق فاما منا بعد واما فداء ﴿ اذا اثقل الاعناق ﴾ اى اعناقنا ﴿ حمل المغارم ﴾ جمع مغرم وهو مايلزم اداؤه كالدين وبدل الغصب والدية واضافته الى المغارم بيانية اى الاحمال التى هى المغارم واراد بها مايلزم اداؤه صلة وجودا لمن هم عيال كرم واضياف مروءة والجود حمل روحانى كالامانة فالحاء مفتوحة وبكسرها يستعمل فى المحسوس الجسمانى وفيه ايماء الى كرم العرب . يعنى نحن قوم ليس من دأبنا قتل الاسرى ولكن اباح الله لنا اخذ الفدية منهم فنبو سيفى عن الفعل الغير المشروع كمال افتخر به لا نقيصة اعاب عليها ﴿ فاستحسن سليمان حدس الفرزدق ﴾ وفضله ﴿ على ﴾ حدس ﴿ جرير ﴾ لان طرق الهجاء كثيرة وتعيين طريق الخصم منها وسبقه فيه ادل على البلاغة من تدارك جواب لهجو معين على ان سلوكهما فى الهجاء والجواب بطريق واحد دال على بلوغهما اقصى البلاغة ويأتى فى الكلام ان شاء الله تعالى ان البلاغة مما يعين اللفظ والمعنى والكمال فى اصابة ذينك المعينين ولذا شبهوا البليغ بالجزار الحاذق ﴿ ثم اخبر الفرزدق بشعر جرير ﴾ وهجو الذى اخبر به الفرزدق اولا ﴿ ولم يخبر بحدسه ﴾ وجوابه عن طرف الفرزدق ﴿ فقال الفرزدق * كذاك سيوف الهند تنبو ظباتها ﴾ جمع ظبة بالضم مثل ثبة وهو حد السيف الذى يضرب به ﴿ وتقطع احيانا مناط التمائم ﴾ جمع تميمة وهى الخرزات التى تعلق على الصبى لدفع النظر واصابة العين والمناط اسم مكان من ناطه به اذا علقه عليه يعنى وتقطع احيانا الاعناق مع اعالى الصدور وذلك هو كمال القطع المقابل للنبو وقد افرط فى وصف قطع السيف نمر بن تولب حيث يقول * ابقى الحوادث والايام من نمر * اسباد سيف كريم اثره بادى * تظل تحفر عنه الارض مندفنا * بعد الذراعين والساقين و لهادى (٢) وقيل تقطع الاعناق التى هى ذوات تمائم ولا يلائم ذلك المعنى بالرواية الاخرى الآتية . مناط القلائد . ﴿ ولن نقتل الاسرى ولكن نفكهم . اذا اثقل الاعناق حمل المغارم * وهل ضربة الرومى جاعلة

(١) وكانت العرب اذا اسروا اسيرا يقول مادحهم اسره فى مزاحفة ولم يأسره فى سلة والسلة هو السرقة منه

(٢) الاسباد البقايا واحدها سبد . ومن الغلو فى وصف قطعه بدريا كرفتد عكس بلالك . بماهى كاو كويدكيف حالك وقد اراد بالسمك والثور مايقول بهما بعض اهل الهيئة ان الارض عليهما يعنى يقول ذلك الثور للحوت قد قطعنى سيف الممدوح فكيف حالك منه

لكم . اباعن كليب ﴾ اى ابا بعد كليب يقوم مقامه فى الشرف فعن بمعنى بعد ويؤيده رواية ككليب وهو بنية التصغير ابن ربيعة اخو مهلهل الشاعر وخال امرئ القيس وكان اعز الناس فى العرب وبلغ من عزه فيهم انه اتخذ جرو كلب فاذا نزل بمنزل فيه كلأ قذف ذلك الجرو فيه فعوى فحيث مابلغ عواؤه لا يرعى احد عشب ذلك الموضع الا باذنه واذا جلس لا يمر احد بين يديه اجلالا له ولا يختبى احد فى مجلسه غيره ولا توقد نار غير ناره يضرب به المثل فيقال اعز من كليب كما فى الشريشى ﴿ اواخا مثل دارم ﴾ هو ابن مالك بن حنظلة التميمى وهو ابو مجاشع وبيته اكبر بيوت بنى تميم وفيه الشرف على ادعاء الفرزدق حيث يقول . بنو دارم اكفاؤهم آل مسمع * وتنكح فى اكفائها الحبطات * يعنى ان بنى دارم لا ينبغى ان يخطب اليهم الا بنو مسمع لانهم اكفاؤهم فى الشرف واما الحبطات فلا الا ان الرجل الخاطب اجاب الفرزدق فقال . اما كان عباب كفيئا لدارم . بلى ولابياب بها الحجرات * كما فى سرح العيوز ﴿ فشاع حديث الفرزدق بهذا ﴾ الغرابة وصار سيف الفرزدق يضرب به المثل للسيف الكليل فى يد الجبان ﴿ حتى حكى ان المهدى ﴾ هو محمد بن المنصور بن محمد بن على بن عبد الله بن عباس ثالث الخلفاء العباسية ﴿ اتى باسرى من الروم فامر بقتلهم ﴾ لعل الروم كانوا يقتلون اسارى المسلمين فامر بقتلهم ردعا لهم عن ذلك ﴿ وكان عنده شبيب بن شيبة ﴾ عده الجاحظ من الخطباء وقال يقال انهم لم يروا قط خطيبا بلديا الا وهو فى اول تكلفه لتلك المقامات كان مستثقلا مستصلفا (٢) ايام رياضته كلها الى ان يتوقح وتستجيب له المعانى ويتمكن من الالفاظ الاشبيب بن شيبة فانه ابتدأ بحلاوة ورشاقة وسهولة وعذوبة فلم يزل يزداد منها حتى صار فى كل موقف يبلغ بقليل الكلام مالا يبلغه الخطباء المقاصع بكثيره وقال شبيب كثر قطع الطريق بين مكة والبصرة فبعثنى المنصور اقوم فى المناهل واتكلم بذم البادية واهلها واو بخهم بما يردعهم فلم اردماء الا تكلمت عليه بما يحضرنى فلا اجد من ينطق حتى قمت على ماء لبنى تميم فلما انقضى كلامى قام رجل منهم فقال الحمد لله افضل ماحمدته وحمده الحامدون قبلك وبعدك وصلى الله على سيدنا محمد افضل صلاة واتمها واخصها واعمها ثم انى قد سمعت ماقلت فى مدح الحاضرة واهلها وذم البادية واهلها ومهما كان فينا اهل البادية من سوء فليس فينا نقب الدور ولا شهادة الزور ولا نبش القبور ولا نيك الذكور * قال فافحمنى والله حتى تمنيت انى لم اخرج لذلك الوجه. قالوا ولما مات شبيب اتاهم صالح المرى فقال رحمة الله على اديب الملوك وجليس الفقراء واخى المساكين ﴿ وقال له اضرب عنق هذا العلج ﴾ بكسر فسكون الضخم من كفار العجم ﴿ فقال ياامير المؤمنين قد علمت ﴾ بالخطاب ﴿ ماابتلى به الفرزدق فعير به قوم ﴾ وهم احفاد الفرزدق ﴿ الى اليوم ﴾ بذلك المثل ﴿ فقال ﴾ المهدى ﴿ انما اردت تشريفك ﴾ بالشجاعة على تقدير ضربك ﴿ وقد اعفيتك وكان ابو الهول الشاعر حاضرا ﴾ هناك ﴿ فقال ﴾ لانما اياه. من الطويل ﴿ جزعت من الرومى وهو مقيد . فكيف ولو لاقيته وهو مطلق ﴾ الخطاب لشبيب يقال جزع منه اذا لم يصبر واظهر الحزن والاضطراب وبابه علم اى فكيف حالك فى المعركة لو لاقيته فيها وهو مطلق وعليه سلاحه وجسارته المتأيدة برفقائه اولو للتمنى يعنى لتيك ابصرت حالتئذ او حينئذ ﴿ دعاك امير المؤمنين لقتله . فكاد شبيب عند ذلك يفرق ﴾ خبر كاد

(آل مسمع) بيت بكر بن وائل فى الاسلام والحبطات بنوا الحرث بن عمرو بن تميم يجمعهم البيت مع بنى دارم وانما نقص قدر الحبطات لقول الشاعر فيهم . وجدنا الشيب من شر المطايا . كما الحبطات شر بنى تميم وسمى الحرث حبطا لانه اكل اكلا فانتفخ بطنه فمات فعيروا بذلك منه

(٢) الصلف التمدح بماليس عندك منه

يقال فرق الرجل من الباب الرابع اذا فزع يعنى اخذه الفزع والاضطراب عند سماع لفظ الضرب والقتل ونكتة الالتفات من الخطاب الى الغيبة اظهار من اضمره والتصريح باسمه الخاص والاستهزاء بما يتضمنه لفظ الشبيب من الحركات النشاطية التى من جانها الاستلذاذ باراقة دماء الاعداء ﴿ فنح شبيبا عن قراع كتيبة . وادن شبيبا من كلام يلفق ﴾ قوله نح صيغة دعاء من التنحية وادن من الادناء والقراع مصدر قارعه اذا غالبه فى المناضلة والكتيبة العسكر من المأة الى الالف والفاء جواب شرط محذوف يعنى فاذا تبين جبانة شبيب فبعده عن المحاربة والمقاتلة لئلا يسرى فزعه الى غيره وقربه من كلام يزخرف ويزين لانه من اهل البلاغة والبيان لا من ارباب السيوف والسنان ﴿ وليس العجب من كلام الفرزدق ان صح ﴾ ما حكى ﴿ من جودة القريحتين ﴾ اى لاجلها لان اصابة الحق والواقع من لوازم الجودة بعد التفكر والتأمل والعجب فيما خفى سببه فلا خفاء ولا عجب ﴿ ولكن ﴾ العجب ﴿ من اتفاق الخاطرين ﴾ اذلم يتأملا بل قالا بما قالا بداهة وارتجالا . وانما قال المصنف ان صح ولم يلتزم صحته لما حكى بوجه آخر ذكره الصفدى فى شرح لامية العجم وقال ان جريرا والفرزدق وفدا على سليمان بن عبد الملك فجاء رجل من عبس الى الفرزدق وكان ممن يتعصب عليه لجرير فقال له ان الخليفة غدا يأمرك بضرب عنق اسير من الروم وقد علمت انك وان كنت تصف السيوف فتحسن انك لم تمامع بها وهذا سيفى يكفيك منه ضربة واحدة واتاه بسيف كهام فقال له الفرزدق ومن انت قال من اخوالك بنى ضبة فاخذ السيف ووثق به فلما كان الغد حضر الفرزدق والوفود مجلس سليمان وجئ بالاسرى فامر سليمان واحدا منهم هائل المنظر ان يروع الفرزدق ويلتفت اليه ويفزعه ووعده ان يطلقه ثم قال للفرزدق قم فاضرب عنقه فسل ذلك السيف فضربه فلم يؤثر فيه السيف شيئا وكلح الرومى فى وجهه فارتاع الفرزدق فضحك سليمان والقوم فقال جرير . بسيف ابى رغوان . البيتين . فاجابه الفرزدق . ولا نقتل الاسرى . البيتين . وقال ايضا . فان يك سيف خان اوقدراتى . لمقدار يوم حتفه غير شاهد . كسيف بنى عبس وقد ضربوا به . نبا بيدى ورقاء عن رأس خالد . كذاك سيوف الهند تنبو ظباتها . وتقطع احيانا مناط القلائد . انتهى وجرير هو ابن عطية بن الخطفى شاعر من فحول العرب واتفقت العلماء على ان الاسلاميين جرير والفرزدق والاخطل واكثرهم على تفضيله عليهما قالو وارق ما جاء فى النسيب قوله . ان العيون التى فى طرفها حور . قتلننا ثم لم يحيين قتلانا * يصرعن ذا اللب حتى لا حراك له . وهن اضعف خلق الله اركانا * اتبعتهم مقلة انسانها غرق . هل ماترى تاركا للعين انسانا * قال الجاحظ كان الفرزدق مشهرا بالنساء ومع ذلك لم ليس له بيت واحد فى النسيب وكان جرير عفيفا لم يعشق امرأة قط ومع ذلك فهوا غزل الناس شعرا وسئل الفرزدق عنه فتنفس الصعداء حتى كادت حيازيمه تنشق ثم قال قاتله الله فما احسن ناحيته واشرد قافيته والله لو تركوه لابكى الشابة على احبابها والعجوز على شبابها ولكنهم هزوه فوجدوه عند الحراش نابحا وعند الجراءة قارحا توفى سنة اربع عشرة ومأة ﴿ ولمثل ذلك ﴾ الارتجال والانتقال ﴿ قالت الحكماء آية العقل ﴾ اى علامته وامارته ﴿ سرعة الفهم ﴾ والانتقال من المبادى الى المقاصد ومن الدلائل الى المدلولات ﴿ وغايته اصابة الوهم ﴾

وسئل بعض العرب ما العقل قال الاصابة بالظنون ومعرفة ما لم يكن بما قد كان ﴿ وليس لمن منح ﴾ بالبناء للمفعول اى اعطى ﴿ جودة القريحة وسرعة الخاطر عجز عن جواب وان اعضل ﴾ اى اشتد واشكل ﴿ كما قيل لعلى رضى الله عنه كيف يحاسب الله العباد على كثرة عددهم قال كما يرزقهم على كثرة عددهم ﴾ اى مع كثرتهم ﴿ وقيل لعبد الله بن عباس اين تذهب الارواح اذا فارقت الاجساد قال اين تذهب نار المصابيح ﴾ جمع مصباح وهو آلة التنوير والضياء ﴿ عند فناء الادهان ﴾ وقال معاوية لرجل من بنى حارث ما كان اجهل قومك حين ملكوا عليهم امرأة فقال بل قومك اجهل حيث قالوا اللهم ان كان هذا هو الحق من عندك فامطر علينا حجارة من السماء او ائتنا بعذاب اليم هلا قالوا اللهم ان كان هذا هو الحق من عندك فاهدنا اليه ﴿ وهذان الجوابان جوابا اسكات ﴾ يقال تكلم فلان ثم سكت اذا انقطع كلامه فاذا افحم قيل اسكت ﴿ تضمنا دليلى اذعان وحجتى قهر ومن غير هذا الفن وان كان مسكتا ما حكى عن ابليس ﴾ ويكنى ابا مرة كان من الجن ففسق عن امر ربه قال الزمخشرى والفاء للتسبب جعل كونه من الجن سببا فى فسقه لانه لو كان ملكا كسائر من سجد لم يفسق عن امر ربه لان الملائكة معصومون البتة لا يجوز عليهم ما يجوز على الجن والانس ، وهذا الكلام المعترض تعمد منه تعالى لصيانة الملائكة عن وقوع شبهة فى عصمتهم فما ابعد البون بين ما تعمده الله وبين قول من ضاده وزعم انه كان ملكا ورئيسا على الملائكة فعصى ولعن ومسخ شيطانا انتهى وقال العينى قال ابن عبد البر الجن منزلون على مراتب فاذا ذكر الجن خالصا يقال جنى وان اريد انه ممن يسكن مع الناس يقال عامر وان كان ممن يعارض للصبيان يقال ارواح فان خبث فهو شيطان فان زاد على ذلك فهو مارد فان زاد على ذلك وقوى امره فهو عفريت والكافر من الجن يسمى بالشيطان والمؤمن بالجن انتهى قال ابن رشيق يلعنه . ارى الشيخ ابليس ذا علة . فلا برئ الشيخ من علته * يقود على الحب مستيقظا . ويأتيك فى الليل فى صورته * فيؤتيك ما شاء من نفسه . ويبلغ ما شاء من لذته * ومن كان ذا حيلة هكذا . تمثل للمرء فى يقظته * فلا تدخروا دونه لعنة . فان رضا الله فى لعنته * ﴿ لعنه الله انه حين ظهر لعيسى بن مريم عليه السلام فقال الست تقول انه لن يصيبك الا ما كتبه الله عليك ﴾ وقدره ﴿ قال نعم قال ﴾ ابليس ﴿ فارم نفسك من ذروة ﴾ بضم الذال وكسرها ﴿ هذا الجبل ﴾ اى اعلاه ﴿ فانه ﴾ اى الله تعالى ﴿ ان يقدر لك السلامة تسلم فقال له يا ملعون ان لله ان يختبر عباده ﴾ اى يعاملهم معاملة المختبر ويبلوهم بالتكاليف ﴿ وليس للعبد ان يختبر ربه ﴾ لانه سوء ادب ﴿ ومثل هذا الجواب لا يستغرب من انبياء الله تعالى الذين امدهم ﴾ الله ﴿ بوحيه وايدهم بنصره وانما يستغرب ممن يلجأ الى خاطره ويعول ﴾ اى يعتمد ويتكأ ﴿ على بديهته ﴾ من آحاد الناس ﴿ وروى قثم ﴾ على وزن زفر معدول عن قاثم ويقال هو قثم اى كثير العطاء ﴿ ابن العباس رضى الله عنهما قال قيل لعلى بن ابى طالب رضى الله عنه كم بين السماء والارض قال دعوة مستجابة ﴾ اى مدة دعوة اخذه من قوله تعالى اليه يصعد الكلم الطيب اى فتكتب حيث تكتب الاعمال المقبولة كما قال الله تعالى كلا ان كتاب الابرار لفى عليين ﴿ قيل فكم بين المشرق والمغرب قال مسيرة يوم للشمس ﴾ كما هو المشاهد ﴿ فكان هذا السؤال من سائله اما اختبارا ﴾ واما امتحانا ﴿ واما استبصارا ﴾ اى طلبا

للايضاح والبيان ﴿ فصدر عنه من الجواب ما اسكت ﴾ وقال رجل لمحمد الحنفية ابن على رضى الله
عنه لم غربك ابوك فى الحروب وما غربالحسن والحسين قال لانهما عيناه وانا يمينه فهو يدفع بيمينه
عن عينيه ﴿ فاما اذا اجتمع هذان الوجهان فى العقل المكتسب وهو ﴾ اى هذا القسم المركب من
قسمى العقل ﴿ ماينميه فرط الذكاء بجودة الحدس و ﴾ ينميه ﴿ صحة القريحة بحسن البديهة مع
ماينميه الاستعمال بطول التجارب و ﴾ ينميه ﴿ مرور الزمان بكثرة الاختبار فهو ﴾ اى هذا
المجموع هو ﴿ العقل الكامل على الاطلاق ﴾ لتضمنه الغريزى والمكتسب وتركبه منهما
﴿ فى الرجل الفاضل الاستحقاق ﴾ بالاضافة اللفظية حملا له على المختار فى الحسن الوجه اى الفاضل
استحقاقه حيث لم يعطل عقله الغريزى الذى هو افضل مواهب الله تعالى ولم يتبع شهواته
فاستعمله فانماه واكثره ﴿ روى انس بن مالك رضى الله عنه قال اثنى على رجل عند رسول الله
صلى الله عليه وسلم بخير فقال كيف عقله ﴾ فبالغوا فى ثنائه و ﴿ قالوا يارسول الله ان من عبادته ﴾
كذا وكذا ﴿ ان من خلقه ان من فضله ان من ادبه ﴾ حذف اسم ان فى الكل لادعاء ان
ذلك مما لايحيط به الحصر والبيان ﴿ فقال عليه الصلاة والسلام ﴾ فى المرة الثانية ﴿ كيف
عقله قالوا يارسول الله نثنى عليه بالعبادة واصناف الخير وتسألنا عن عقله ﴾ كأنه لايكفيه ماعمله
﴿ فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم ان الاحمق العابد يصيب بجهله ﴾ اثما ﴿ اعظم من فجور الفاجر ﴾
كالامن من عقاب الله تعالى والغرور والعجب ﴿ وانما يقرب الناس من ربهم ﴾ اى الى رحمته
وفضله ﴿ بالزلف ﴾ جمع زلفة بضم الزاى وهى الدرجة الرفيعة والقربة ﴿ على قدر عقولهم ﴾
وسيجئ حكاية الرجل الاسرائلى ذكر الجاحظ فى باب البله الذى يعترى من قبل العبادة
وترك التعرض للتجارب وقال قالوا كان عامر بن عبدالله بن الزبير فى المسجد وكان قد اخذ
عطاءه فقام الى منزله ونسيه فلما صار فى منزله وذكره بعث رسولا ليأتيه به فقال له
واين نجد ذلك المال قال سبحان الله او يأخذ احد ماليس له وقال سعيد بن عبدالرحمن
الزبيرى سرقت نعل عامر المذكور فلم يتخذ نعلا حتى مات وقال اكره ان اتخذ نعلا فلعل
رجلا ان يسرقها فيأثم والعبادة لاتدله ولاتورث البله الا لمن آثر الوحدة وترك معاملة الناس
ومجالسة اهل المعرفة وقال ايوب السختيانى فى اصحابى من ارجو دعوته ولا اقبل شهادته
وقال الشاعر . وعاجز الرأى مضياع لفرصته . حتى اذا فات امر عاتب القدرا ﴿ واختلف الناس
فى العقل المكتسب اذا تناهى وزاد هل يكون فضيلة ام لا فقال قوم لايكون فضيلة لان الفضائل
هيئات متوسطة بين خصلتين ناقصتين كما ان الخير توسط بين رذيلتين ﴾ الافراط والتفريط
﴿ فما جاوز التوسط خرج عن حد الفضيلة ﴾ والعقل المكتسب داخل فى عموم مافلا يكون
فضيلة اذا زاد ﴿ وقد قالت الحكماء للاسكندر ايها الملك عليك بالاعتدال فى كل الامور
فان الزيادة ﴾ على حد الاعتدال ﴿ عيب والنقصان ﴾ عنه ﴿ عجز هذا ﴾ اى الامر هذا
اوخذ هذا المعقول ﴿ مع ما وردت به السنة ﴾ كما اخرجه السمعانى فى ذيل تاريخ بغداد عن
على كرم الله وجهه ﴿ عن رسول الله صلى الله عليه وسلم انه قال خير الامور اوساطها ﴾ جمع
وسط بفتح السين ﴿ وقال على بن ابى طالب رضى الله عنه خير الامور النمط ﴾ بفتحتين
الاسلوب والطريقة ﴿ الاوسط ﴾ ثم اشار الى علة الحكم فقال ﴿ اليه يرجع العالى ﴾ لعدم

لحوق العار على تقدير رجوعه اليه ﴿ وبه يلتحق التالى ﴾ لعدم بعده عنه كل البعد ﴿ وقال الشاعر ﴾ من مشطور الرجز ﴿ لا تذهبن فى الامور فرطا ﴾ بفتحتين يستوى فيه المفرد والجمع يقال رجل فرط وقوم فرط اى متقدم الى الماء والمراد ههنا المتقدم مطلقا وبضمتين الامر المجاوز فيه حده ومنه قوله تعالى وكان امره فرطا اى مفرطا فيه مجاوز حده ﴿ لا تسألن ان سألت شططا ﴾ مفعول لا تسألن ومفعول ان سألت محذوف ليعم سؤال العلم وغيره فمعنى الشطط على الاول قصد الاعنات والتبكيت والسؤال عن الاغلوطات اذ يستلزم التذليل وتهييج الفتنة وقد قال الله تعالى يا ايها الذين آمنوا لا تسألوا عن اشياء ان تبد لكم تسؤكم وعلى الثانى فتجاوز القدر والحدو والتباعد عن الحق والعدل فى المعاملة من نحو البيع والشراء ﴿ وكن من الناس جميعا وسطا * قالوا ﴾ يعنى اولئك القوم ﴿ لان زيادة العقل تفضى بصاحبها الى الدهاء والمكر ﴾ فسر به الدهاء المذمومة له والدهاء جودة الرأى وحسن الفكر ودقة التدبير. والمشهورون بالرأى والدهاء اربعة ذكرهم الشعبى فى بيت وقال. من العرب العرباء قد عد اربع . دهاة فما يؤتى لهم بشبيه * معاوية عمرو بن عاص مغيرة . زياد هو المعروف بابن ابيه(٢) ﴿ وذلك ﴾ المكر ﴿ مذموم وصاحبه ملوم ﴾ الا ان يكون فى الحرب ﴿ وقد امر عمر بن الخطاب رضى الله عنه ابا موسى الاشعرى ﴾ هو عبد الله بن قيس الاشعرى الصحابى الكبير استعمله رسول الله صلى الله عليه وسلم على زبيد وعدن ساحل اليمن واستعمله عمر على الكوفة والبصرة . له ثلثمأة وستون حديثا روى عنه انس بن مالك وطارق بن شهاب وخلق من التابعين وبنوه ابو بردة وابو بكر وابراهيم وموسى مات بمكة او بالكوفة سنة خمس واربعين عن ثلاث وستين سنة رضى الله عنه ﴿ ان يعزل زيادا ﴾ المذكور ﴿ عن ولايته فقال زياد يا امير المؤمنين اعن موجدة ﴾ على وزن موكبة اى غضب وفى البيان اعن عجز ﴿ اوخيانة ﴾ امرت بعزلى ﴿ فقال لا عن واحدة منهما ولكن خفت ﴾ وفيه اكره ﴿ ان احمل على الناس فضل عقلك . ولاجل هذا المحكى عن عمر ماقيل قديما افراط العقل مضر بالجسد ﴾ اذ به يقتحم عظائم الامور وكثيرا ما يهلك دون وصولها قال ابو الفرج ابن الجوزى وجدت فى تعاليق بعض اهل العلم ان سبعة مات كل منهم وله ست وثلاثون سنة فعجبت من قصر اعمارهم مع بلوغ كل . واحد منهم الغاية فيما كان فيه وانتهى اليه فمنهم الاسكندر ذو القرنين وابو مسلم صاحب الدولة العباسية وابن المقفع صاحب الخطابة والفصاحة وسيبويه صاحب التصانيف والتقدم فى علم العربية وابو تمام الطائى وما بلغ فى الشعر وعلومه وابراهيم النظام المتعمق فى الكلام وابن الراوندى وما انتهى اليه من التغول فى المخازى فهؤلاء السبعة توفوا على هذا القدر من العمر انتهى قلت انظر الزركشى فانه لم يجاوز الاربعين وكذا شيخ الاسلام تقى الدين السبكى مات عن خمس وعشرين سنة وزادت مؤلفاته على اكثر من ثلاثين بين مبسوط ومختصر كافى الشهاب وقد سمعت من استاذى محمد عاطف الاسلامبولى ان خواجه زاده صاحب التحكيم بين الغزالى وابن رشد كان له ثلاث وثلاثون سنة من العمر وكذا المولى الخيالى رحمهم الله ﴿ وقال بعض الحكماء كفاك من عقلك مادلك على سبيل رشدك وقال بعض البلغاء قليل ﴾ من العقل كما يقتضيه السباق او من المال ﴿ يكفى خير من كثير يطغى ﴾ من الاطغاء اى يجعل صاحبه طاغيا ومجاوزا للحد ﴿ وقال آخرون وهو اصح القولين

(٢) ابن ابيه كناية عن عدم تحقق نسبه شرعا منه

زيادة العقل فضيلة ﴾ كاصله ﴿ لان المكتسب غير محدود ﴾ بحد حتى يكون الزيادة عليه نقصا ﴿ وانما تكون زيادة الفضائل المحمودة نقصا مذموما لان ماجاوز الحد لايسمى فضيلة كالشجاع اذا زاد على حد الشجاعة نسب الى التهور ﴾ لان الشجاعة هيئة حاصلة للقوة الغضبية بين التهور والجبن بها يقدم على امور ينبغى ان يقدم عليها كالقتال مع الكفار مالم يزيدوا على ضعف المسلمين . والتهور هيئة حاصلة للقوة الغضبية بها يقدم على امور لاينبغى ان يقدم عليها كالقتال مع الكفار اذا كانوا زائدين على ضعف المسلمين ﴿ والسخى اذا زاد على حد السخاء نسب الى التبذير ﴾ لان السخاء بذل مايحتاج اليه عند الحاجة وان يوصل الى مستحقه بقدر الطاقة والسرف هو الجهل بمقادير الحقوق والتبذير هو الجهل بمواقع الحقوق كما سيجئ فى بحثه ﴿ وليس كذلك حال العقل المكتسب ﴾ اى ليس محدودا بحد اوالزيادة فيه فضيلة ﴿ لان الزيادة فيه زيادة علم بالامور وحسن اصابة بالظنون ومعرفة مالم يكن ﴾ بقياسه ﴿ الى مايكون ﴾ والحاقه اليه ﴿ وذلك فضيلة لانقص ﴾ قال ابو الطيب . نفت التوهم عنه حدة ذهنه . فقضى على غيب الامور تيقنا * وقال آخر * العلم للاعلام اقوى ناصب . والرأى للرايات اثبت حامل * ولربما علم المغيب من له . فهم صحيح باتضاح دلائل * واخو الحجا بالفكر منه يستدل على اواخر امره باوائل * علم المجرب شمسه يهدى بها . والرأى مرآة اللبيب العاقل * لكنه كالسيف يصدأ ثم يجلى بالاشارة لابكف صاقل (٣) ﴿ وقد روى عن النبى صلى الله عليه وسلم انه قال افضل الناس اعقل الناس وروى عنه صلى الله عليه وسلم انه قال العقل حيث كان مألوف ﴾ لحسن اخلاق العاقل وسهولة طباعه ﴿ وقد قيل فى تأويل قوله تعالى ﴾ فى الاسراء ﴿ قل كل ﴾ احد ﴿ يعمل على شاكلته ﴾ اى على مذهبه وطريقته التى تشاكل حالته فى الهدى والضلالة ﴿ اى بحسب عقله ﴾ وفى الاحياء قالت عائشة رضى الله عنها قلت يارسول الله بم يتفاضل الناس فى الدنيا قال بالعقل قلت وفى الآخرة قال بالعقل قلت اليس انما يجزون باعمالهم فقال ياعائشة وهل عملوا الا بقدر ما اعطاهم عز وجل من العقل فبقدر مااعطوا من العقل كانت اعمالهم وبقدر ماعملوا يجزون ﴿ وقال القاسم بن محمد ﴾ بن ابى بكر الصديق المدنى افضل اهل زمانه كان ثقة عالما فقيها من الفقهاء السبعة بالمدينة اماما ورعا من خيار التابعين مات سنة بضع ومأة ﴿ كانت العرب تقول من لم يكن عقله اغلب خصال الخير عليه ﴾ اى الاغلب من هذا الجنس ﴿ كان حتفه ﴾ اى وقع موته ﴿ فى اغلب خصال الخير عليه ﴾ اى فى تعقيبه ذلك الاغلب وفرحه به مع ذهوله عما سوى ذلك الاغلب وذلك نوع من الغرور والانخداع زين لهم الشيطان ماكانوا يعملون كذهول العلماء الاغنياء عن وجوه البر وذهول الاجواد والاسخياء عن العلم وذهول الآمر بالعدل عن الصلة وبر الوالدين ونحو ذلك واما من كان عقله اغلب فيراعى الاوقات و لاحوال فيعمل فى كل وقت مايحسن وفى كل حال مايزين ﴿ وقيل فى منثور الحكم كل شئ اذا كثر رخص الا العقل فانه اذا كثر غلا ﴾ الرخيص ضد الغالى وبابه حسن ﴿ وقال بعض البلغاء ان العاقل من عقله فى ارشاد ﴾ يرشده الى ماهو خير وكمال ﴿ ومن رأيه فى امداد ﴾ الى ماارشد اليه عقله ﴿ فقوله سديد ﴾ لابتنائه على دليل العقل ﴿ وفعله حميد ﴾ لصدوره عن رأيه ﴿ والجاهل من جهله فى اغواء ﴾

(٣) حكى ان الرشيد كان ذات ليلة يطوف فى داره فلقى جارية كان يجد لها وجدا وكانت تأبى عليه فوجدها فى تلك الليلة سكرى فخمشها فانحل ازارها وسقط خمارها عن منكبيها فانتبهت وقالت امهلنى الليلة ياامير المؤمنين فلقد اسير اليك غدا فخلاها فلما اصبح ارسل اليها خادما فقال اجيبى امير المؤمنين فقالت ارجع اليه وقل له كلام الليل يمحوه النهار فرجع اليه واخبره بذلك فقال له انظر من على الباب من الشعراء فلقى الرقاشى واباً مصعب وابانواس فلما حضروا بين يديه قال اشتهى من كل واحد منكم شعرا فى آخره كلام الليل يمحوه النهار
(فقال الرقاشى)
متى تصحو وقلبك مستطار
وقد منع الرقاد فلاقرار
وقد تركتك حبا مستهاما
فتاة لاتزور ولاتزار
اذا وعدتك صدت ثم قالت
كلام الليل يمحوه النهار
(وقال ابو مصعب)
اما والله لو تجدين وجدى
لاذهب للكرى عنك الفرار
الكيف وقد تركت العين عبرى
وفى الاحشاء من اهوى الثار
فقالت انت مغرور بوعدى
كلام الليل يمحوه النهار

يقال اغواه اذا اضله ﴿ ومن هواه فى اغراء ﴾ وتحريض على الشهوات ﴿ فقوله سقيم ﴾ لصدروه عن جهل ﴿ وفعله ذميم ﴾ لابتنائه على الهوى ﴿ وانشدنى ﴾ ابراهيم ﴿ ابن لنكك ﴾ ابو الحسين البصرى كان رفيع القدر فى الاشعار والعربية والادب . وقد اعترض باشعاره فقال مجيبا . وعصبة لما توسطتهم . ضاقت على الارض كالخاتم * كأنهم من بعد افهامهم . لم يخرجوا بعد الى عالم * يضحك ابليس سرور ابهم . لانهم عار على آدم * كأننى بينهم جالس . من سؤ ماشاهدت فى ماتم ﴿ لابيه ﴾ من السريع ﴿ من لم يكن اكثره ﴾ اى اكثر خصاله ﴿ عقله . ﴾ خبر كان ﴿ اهلكه اكثر مافيه ﴾ وهذا معنى قول العرب من لم يكن عقله اغلب آه وفيه ايماء الى ان الاكثار من اى شئ كان سوى العقل مهلك ﴿ فاما الدهاء والمكر فهو مذموم لان صاحبه صرف فضل عقله الى الشر ولو صرفه الى الخير لكان محمودا ﴾ كما ان سائر القوى كذلك مثلا استعمال القوة الغضبية ممدوح فى الحرب ومذموم فى السلم كما قال الله تعالى اشداء على الكفار رحماء بينهم فالنقيصة من جهة الصرف فى غير محله لا من جهة تلك القوة ﴿ وقد ذكر المغيرة بن شعبة ﴾ ابو عبدالله بن عامر الثقفى وهو من دهاة العرب وقد احصن فى الاسلام الف امرأة وقد اصيب بعينه فى يرموك وحضر فى اليمامة وفتوح الشام ونهاوند وهمذان واستعمله عمر على البصرة ثم على الكوفة ثم استعمله معاوية على الكوفة الى ان توفى فيها سنة خمسين ﴿ عمر بن الخطاب رضى الله عنه فقال كان ﴾ عمر ﴿ والله افضل من ان يخدع ﴾ غيره لعدم تنزله الى الخديعة مع اقتداره عليها ﴿ واعقل من ان يخدع ﴾ بالبناء للمفعول اى يخدعه غيره ﴿ وقال عمر لست بالخب ﴾ بفتح الخاء الخيل والمكار وبكسرها مصدر يوصف به مبالغة ﴿ ولا يخدعنى الخب ﴾ وكان قد قيل ليس العاقل الذى يحتال للامور اذا وقع فيها بل العاقل الذى يحتال للامور لئلا يقع فيها الا انه حكى انه لما اراد عمر قتل هرمز استسقى ماء فاتوه بقدح فيه ماء فامسكه فى يده واضطرب فقال له عمر لا بأس عليك حتى تشربه فالقى القدح من يده فامر عمر بقتله فقال او لم تؤمنى قال كيف امنتك قال قلت لا بأس عليك حتى تشربه وقولك لا بأس عليك امان ولم اشربه فقال عمر قاتلك الله اخذت منى امانا ولم اشعر كما فى المستطرف ﴿ واختلف الناس فيمن صرف فضل عقله الى الشر كزياد ﴾ لانه كان قائد السرية من طرف يزيد المبعوث على مقاتلة الحسين بن على رضى الله عنهما ﴿ واشباهه من الدهاة ﴾ وكان عمرو بن العاص حكما من طرف معاوية فى الصفين فخدع ابا موسى الاشعرى وكان حكما من طرف على رضى الله عنهم ﴿ هل يسمى الداهية ﴾ التاء للمبالغة وجمعه دهاة كقضاة ﴿ منهم عاقلاام لا فقال بعضهم اسميه عاقلا لوجود العقل منه وقال آخرون لا اسميه عاقلا حتى يكون ﴾ ماصرف اليه عقله ﴿ خيرا دينا ﴾ او ضمير يكون راجع الى الداهية فحينئذ الخير صفة على وزن كيس وكذا الدين اى حتى يكون كثير الخير والنفع وكثير الدين والطاعة ويجوز التخفيف فى هذا المعنى كميت وميت وقوله دينا خبر بعد خبر ترك العطف لانهما فى الحقيقة خبر واحد ﴿ لان الخير والدين من موجبات العقل ﴾ ومقتضياته والموجب بصيغة اسم المفعول والعقل موجب بصيغة اسم الفاعل والموجب بالذات هو الذى يجب ان يصدر عنه الفعل ان كان علة تامة له من غير قصد وارادة كوجوب صدور الاشراق عن الشمس والاحراق عن النار

(وقال ابو نواس)
وليل اقبلت فى القصر سكرى
ولكن زين السكر الوقار
وهب الريح اردافا ثقالا
وغصنا فيه رمان صغار
وقد سقط الردا عن منكبيها
من التخميش وانحل الازار
مددت يدى لها ابغى التماسا
فقالت فى غد منك المزار
فقلت الوعد سيدتى فقالت
كلام الليل يمحوه النهار
فامر الرشيد لكل واحد منهما بالف دينار وقال على بسيف ونطع اضرب فيه رقبة ابى نواس فقال ولم يا امير المؤمنين فقال كانك معنا البارحة فقال والله ما بت الا فى دارى وانا استدللت على ماقلت بكلامك فقبل منه وامر له بعشرة آلاف كما فى بعض المجاميع الادبية
منه

والعلة التامة هى تمام مايتوقف عليه وجود الشئ بمعنى انه لايكون وراءه شئ يتوقف عليه والعلة الناقصة بخلاف ذلك . وقد عرفت ان العقل معتبر شرطا لوجوب الايمان عند انضمام امر آخر كارشاد او تنبيه على الاستدلال فلا يتم الدليل على اصول اهل السنة لجواز ان انتفاء الخير من انتفاء الامر الآخر لا من انتفاء العقل ويتم على اصول المعتزلة لان العقل عندهم علة تامة لوجوب الايمان وانتفاء المعلول يستلزم انتفاء علته التامة فانتفاء الخير والدين يستلزم انتفاء العقل فمعنى قوله وقال آخرون اى المعتزلة ﴿ فاما الشرير ﴾ بفتح وتخفيف او كسر وتشديد صاحب الشر ﴿ فلا اسميه عاقلا وانما اسميه صاحب روية وفكر وقد قيل العاقل من عقل عن الله امره ونهيه ﴾ عن للبدل كما فى قوله تعالى واتقوا يوما لاتجزى نفس عن نفس شيئا اى بدل نفس يعنى من علم ان امره ونهيه ممالايجوز مخالفتهما كذاته تعالى لكونهما صادرين عنه او بمعنى من لكونهما ناشئين منه تعالى ﴿ حتى قال اصحاب الشافعى رضى الله عنه فيمن اوصى بثلث ماله لاعقل الناس انه ﴾ بالكسر مقول قال اى الثلث الموصى به ﴿ يكون مصروفا فى الزهاد ﴾ اى منقسما بينهم ﴿ لانهم انقادوا للعقل ولم يغتروا بالامل ﴾ فهم اعقل الناس على الاطلاق ﴿ وروى لقمان بن ابى عامر عن ابى الدرداء ﴾ اسمه عويمر بن زيد بن قيس الانصارى من افاضل الصحابة وفرض عمر له رزقا لجلالته وولى قضاء دمشق فى خلافة عثمان ومات بها رضى الله عنه ﴿ ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال ياعويمر ازدد ﴾ امر من الازدياد اصله ازتياد وهو ههنا متعد كما فى قولك ازددت مالا اى زدته ﴿ عقلا تزدد ﴾ مجزوم بان المقدرة بعد الامر ﴿ من ربك قربا ﴾ قال ابو الدرداء ﴿ قلت بابى انت وامى ﴾ اى افديك بهما ﴿ ومن لى ﴾ الاستفهام للاستبعاد اى من يتكفل ويضمن لى ﴿ بالعقل قال اجتنب محارم الله واد فرائض الله تكن عاقلا ثم تنفل بصالحات الاعمال تزدد فى الدنيا عقلا وتزدد من ربك قربا وبه عزا ﴾ اى وتزدد بذلك القرب عزا والنفل لغة اسم الزيادة ولهذا سميت الغنيمة نفلا لانه زيادة على ماهو المقصود من شرعية الجهاد وهو اعلاء كلمة الله وقهر اعدائه وفى الشرع اسم لماشرع زيادة على الفرائض والواجبات وهو المسمى بالمندوب والمستحب والتطوع فمعنى التنفل التكلف لاعتياد تلك الزيادات وتعهد دوامها بعد اعتيادها بلاملل ومحل الاستشهاد فى الحديث قوله عليه السلام تكن عاقلا وتزدد عقلا فالعاقل هو المتأدب بآداب الشريعة وفى حديث الجامع الصغير (انا الشاهد على الله) اى اشهدنى الله (ان) اى بان (لايعثر) من باب قتل (عاقل) اى كامل العقل (الا رفعه) الله اى وفقه للتوبة والندم على ذلك (ثم لايعثر) فى المرة الثانية (الا رفعه ثم لايعثر) فى المرة الثالثة (الا رفعه) وهكذا (حتى يجعل مصيره الى الجنة) قال المناوى مقصوده التنويه بفضل العقل واهله انتهى فاصرار الداهية على ما كان عليه من الشر يستلزم عدم تسميته عاقلا وهذا ما اراده المصنف ﴿ وانشدنى بعض اهل الادب هذه الابيات وذكر انها لعلى بن ابى طالب رضى الله عنه ﴾ انشاد الشعر قراءة شعر نفسه اوغيره والتمثل انشاد شعر الغير فى مقام يناسبه او يناسب حال المنشد ﴿ ان المكارم ﴾ جمع مكرم اومكرمة بفتح الميم وضم الراء فيهما اسم بمعنى فعل الكرم كالمعونة من العون ﴿ اخلاق مطهرة ﴾ عن دنس اللوم والذنب ﴿ فالعقل اولها والدين

وكانت عائشة رضى الله عنها تمثل بقول لبيد
ذهب الذين يعاش فى اكنافهم . وبقيت فى خلف كخلف الاجرب
منه

ثامنها * والعلم ثالثها والحلم رابعها . والجود خامسها والعرف سادبها ﴿ اى المعروف سادسها بابدال الياء بالسين لان الابيات من الضرب الثانى للبسيط وهو مقطوع فلو لم يبدل يكون بعض الابيات من ضرب وبعضها من ضرب آخر اذلا مقتضى لاسكان الحرف الصحيح وايضا اذا كان الهاء الضمير حرفا رويا يجب ان يكون ماقبلها ساكنا لان الهاء المتحرك ماقبلها لاتكون رويا بل هو وصل والروى ماقبلها فيلزم ان يكون الروى فى بعض الابيات السين فيخرج من القصيدة والياء ردف فى الكل لاحرف روى على ماهو المختار لان الروى الساكن لاوصل بعده على مابين فى علم القافية ﴿ والبر سابعها والصبر ثامنها * والشكر تاسعها واللين ﴾ ضد الغلظة ﴿ عاشيها ﴾ بابدال الياء بالراء وحروف البدل عند الصرفيين اربعة عشرة حرفا يجمعه هذا الكلام (انجدته يوم وصال زط) والشايع فى غير الادغام احد وعشرون حرفا يجمعه (بجد صرف شكس آمن طى ثوب عزته) وتفصيله فى الصرف ﴿ والنفس تعلم انى لااصدقها ﴾ فى جميع ماعرضت لى من الحاجات والنصايح يعنى تعلم نفسى انى لااسعف كل ماطلبته منى لان انتفاء اللازم يستلزم انتفاء الملزوم والا سعاف يستلزم التصديق ﴿ و ﴾ تعلم انى ﴿ لست ارشد ﴾ من الباب الاول والرابع اى لااهتدى ولا اسلك طريق الحق اولا استقيم على طريق الحق مع تصلب وتثبت فيه ﴿ الاحين اعصيها ﴾ لان النفس لامارة بالسوء فلااستقامة الا بعصيانها وتكذيبها لانها تكتم هواها وترائى انها صحة ومطمئنة كما قال البوصيرى . وخالف النفس والشيطان واعصهما . وان هما محضاك النصح فاتهم ﴿ والعين تعلم فى عينى محدثها ﴾ سقط نون التثنية بالاضافة وفى بمعنى من كما فى رواية والمحدث اسم فاعل من حدث اذا تكلم والحديث الكلام الواصل الى السمع (من كان من حزبها اومن اعاديها) الحزب بكسر فسكون الاصحاب المعينة والجند المخصوص والا عادى جمع اعداء وهو جمع عدو وكان زائدة اى تعلم من هو من حزبها وانصارها ومن هو من اعاديها فاو بمعنى الواو واراد بالعلم الادراك والاحساس الجزئى المتعلق بالمبصرات فاسناده الى العين حقيقة عقلية فالضمائر راجعة الى العين بطريق الاستخدام اذ المرجع صاحب العين اوالعين مجاز عن صاحبها فلا استخدام حينئذ ﴿ عيناك قد دلتا عينى ﴾ مفعول دلت وفاعله ضمير التثنية ﴿ منك على ﴾ بيان للاشياء قدم عليه لضرورة الوزن ﴿ اشياء لولا ها ﴾ اى لولا دلالتهما بالطبع ﴿ ماكنت تبديها ﴾ اى تلك الاشياء بالطوع اى بالقصد والاختيار فالمراد من الاشياء ما يكتم عادة من الخيانة والغدر والعداوة ونحو هاو فى رواية (اشياء قد كنت طول الدهر تخفيها) يعنى قد دلت وارشدت عيناك عينى على اشياء منك كنت تخفيها منى فعينك اعدل منك واصدق من لسانك فنكتة الالتفات الى الخطاب التنبيه على الضلال وفى قوله والنفس آه تعريض على ذلك وفى دلالة العين والحال قال بعض البلغاء الوجوه مرايا تريك اسرار البرايا ومنه المثل رب عين انم من لسان وتفصيله فى باب ادب العلم ﴿ واعلم ان العقل المكتسب لاينفك عن العقل العزيزى لانه نتيجة منه ﴾ اى متولد والنتيجة الوليدة وفى اصطلاح المنطقيين القضية التى تحصل من اقتران الصغرى بالكبرى فالعقل العزيزى كالمقدمة الواحدة ومادة العبر والتجارب كالمقدمة المطوية فمتى اقترن بواحدة منها ينتج العقل المكتسب ﴿ وقد ينفك العقل العزيزى عن العقل المكتسب ﴾ لعدم استعماله اولا تباعه الهوى ﴿ فيكون

الردف هو حرف لين قبيل الروى واعلم انه يجوز من غير قبح وقوع الواو ردفا فى بعض ابيات القصيدة الواحدة والياء فى بعضها الآخر وان كان الاتفاق احسن بخلاف الالف مع الواو اومع الياء فلايجوز ذلك كما قال به الصبان منه

الوصل هو حرف لين ناشئ من اشباع حركة الروى اوهاء تليه منه

صاحبه مسلوب الفضائل موفور الرذائل ﴿ لصرفه عقله الى الشهوات كما قال الخبزارزى . وكنت فتى من جند ابليس فارتقى . بى الحال حتى صار ابليس من جندى . فان عشت حتى مات ابرزت بعده . دقائق شرليس يبرزها بعدى ﴿ كالانوك ﴾ مثل الاحمق لفظا ومعنى ﴿ الذى لاتجد له فضيلة والاحمق الذى قلما يخلو من رذيلة ﴾ مع وجود العقل العزيزى فيه دون الاحمق فحمقه اختيارى وما كافة عن عمل الرفع قال ابن هشام ولاتتصل الابثلاثة افعال قل وكثر وطال وعلة ذلك شبههن برب ولايدخلن حينئذ الاعلى جملة فعلية صرح بفعليتها ﴿ وقد روى عن النبى صلى الله عليه وسلم انه قال الاحمق كالفخار ﴾ اى الخزف ﴿ لايرقع ولايشعب ﴾ بالبناء للمفعول فيهما يقال رقع الثوب اذا اصلحه بالرقاع وشعبه اذا اصلحه وبابهما فتح يعنى ليس بلين كالثوب فيرقع ولا بمحتوج كالمعادن فيشعب اذا انكسر ومع ذلك له صدى كالجبل يرد سريعا ماالقى اليه من المواعظ فالتشبيه فى اعلى مراتب البيان ﴿ وروى عن النبى صلى الله عليه وسلم انه قال الاحمق ابغض خلق الله عليه ﴾ بناء افعل للفمعول كالاعرف والاشهر اى اشد الخلق مبغوضية من جنس المبغوضين وعلى بمعنى عند اواللام التعدية اى عنده اوله ﴿ اذ حرمه اعز الاشياء عليه ﴾ وذلك الاعز هو العقل ﴿ وقال بعض الحكماء الحاجة الى العقل اقبح من الحاجة الى المال ﴾ لان الفقير العاقل قبيح منظرا وصورة والاحمق الغنى قبيح مخبرا وسيرة فهو اقبح ﴿ وقال بعض البلغاء دولة الجاهل عبرة العاقل ﴾ يعتبر بها بان الحظوظ ليست بالكسب والاستحقاق بل بمحض خلق الله واحسانه الا ان الجد والسعى راية الجد والبخت ﴿ وقال انو شروان ﴾ بن قباذ بن فيروز بن يزدجرد بن بهرام الملك العادل ملك العرب والعجم وكان موصوفا بالعدل معروفا بحسن الرعاية والفضل قيل كان مولد نبينا عليه السلام لاثنتين واربعين سنة مضت من ملكه وملك تسعا واربعين سنة وهو الذى قتل مزدك واصحابه كما سيذكر ﴿ لبزرجمهر ﴾ كان وزيره واكثر الفرس حكما ومواعظ ﴿ اى الاشياء خير للمرء قال عقل يعيش به قال فان لم يكن ﴾ له عقل فاى الاشياء خير له ﴿ قال فاخوان يسترون عيبه قال فان لم يكن قال فمال يتحبب به الى الناس قال فان لم يكن قال فعى صامت ﴾ العى عدم الاهتداء الى التكلم والظاهر ان صامتا صفة عى فهو ههنا متعد اى مصمت ومسكت اوخبر بعد خبر فاسم الفاعل بمعنى المصدر اى عيه وصمته ﴿ قال فان لم يكن قال فموت جارف ﴾ يوصف به الموت العام والطاعون الشامل يقال جرفه من الباب الاول اذا ذهب به او اخذه اخذا كثيرا (٢) ﴿ وقال سابور ﴾ اسم ملك من ملوك الفرس معرب شابور مخفف شاه پور ﴿ ابن اردشير ﴾ بن بابك من اولاد بهمن الاكبر ﴿ العقل نوعان احدهما مطبوع ﴾ من طبع الرجل على الشئ بالبناء للمفعول اذاجبل عليه كانه صور به اوختم به ﴿ والآخر مسموع ﴾ ومكتسب ﴿ ولا يصلح واحد منهما الا بصاحبه فاخذ ذلك بعض الشعراء فقال ﴾ من الهزج ﴿ رأيت العقل نوعين . فمسموع ومطبوع * ولاينفع مسموع . اذا لم يك مطبوع ﴾ اى اذا لم يوجد حذف نون لم يكن تخفيفا لكثرة الاستعمال ولايجوز ان يحذف من نظائره مثل لم يصن ولم يخن فان وصلت بساكن رددت النون ذكره دده افندى ﴿ كما لاتنفع الشمس . وضوء العين ممنوع ﴾ اذ يستوى نهار الضرير وليله

صحح ذلك بمتتبع راجع صحيفة الخطأ والصواب فى ذيل الكتاب

(٢) برنسخه ده وعلى سپوروب كوتورمك منه

﴿ وقد وصف بعض الادباء العاقل بما فيه من الفضائل والاحمق بما فيه من الرذائل فقال العاقل ﴾ مبتدأ والجملة الشرطية خبره بتقدير مضاف اى حاله او خبره محذوف بقرينة المقابلة اى هاد مهتد اوسعيد مسعد فالجمل الشرطيات لبيان ماابهم وتفصيل مااجمل وهذا هوالمناسب بقوله والاحمق ضال مضل ﴿ اذا والى بذل فى المودة نصره ﴾ اى اذا اتخذ وليا وصديقا بذل لاجل مودته او مدة دوامها نصره فوالى منزل منزلة اللازم وكذا قوله ﴿ واذا عادى رفع عن الظلم قدره فيسعد مواليه بعقله ﴾ لبذله نصره فيه ﴿ ويعتصم معاديه بعدله ﴾ لرفعه عن ظلمه قدره اى يتمسك عدوه بعدله ويصير سعيدا وليه بعقله فالموالى اسم فاعل من والاه وفاعل يسعد وكذا المعادى ﴿ ان احسن الى احد ترك المطالبة بالشكر ﴾ فضلا عن المن والمطاولة عليه ﴿ وان اساء اليه مسئ سبب له اسباب العذر ﴾ فيعفو اذا اعتذر ﴿ اومنحه الصفح والعفو ﴾ وكان هو المعتذر قبل اعتذار المسئ ﴿ والاحمق ضال مضل ان اونس به تكبر ﴾ بالتقرب اليه والايناس مقدمة الموالاة لاالموالاة ﴿ وان اوحش تكدر وان استنطق تخلف ﴾ اى نطق بالخلاف ﴿ وان ترك تكلف ﴾ فى المواصلة اوالاستنطاق ﴿ مجالسته مهنة ﴾ اى نوع من الحقارة للجليس ﴿ ومعاتبته محنة ﴾ اذ يقابل المعاتب الناصح بالشناعة ﴿ ومحاورته تعر وموالاته تضر ﴾ من الباب الاول فيهما والعر بالضم الجرب والمراد لازمه اى توجب الغم وضيق الصدر وانكسار القلب ﴿ ومقاربته عمى ﴾ اى سبب جهل وقساوة من عمى الرجل اذا ذهب بصر قلبه ﴿ ومقارنته شقا ﴾ على وزن عصا ضد السعادة لان المقارن يقتدى بالمقارن ﴿ وكانت ملوك الفرس اذا غضبت على عاقل حبسته مع جاهل ﴾ ليطول حبسه بحبس عقله ايضا لان الجاهل لايفهم خطابا ولايرد جوابا ﴿ والاحمق يسئ الى غيره ويظن انه قداحسن اليه فيطالبه بالشكر ﴾ كقتله هرة سارقة بالقائه فى بئر العامة . يحكى ان عجوزا كانت تسمى بام الايتام قلمت اظفار صقر وقصت رياشه على زعم انه يتيم رجع اليها لذلك كسائر الايتام ﴿ ويحسن اليه فيظن انه ﴾ اى الاحمق ﴿ قد اساء اليه فيطالبه بالوتر ﴾ بكسر الواو الحقد والبغض فيتحرز عمن ارسل ماء فى حدائقه اوقوله ويحسن بالبناء للمفعول وضمير انه راجع الى المحسن فيكون الحقد والانتقام من جهة الاحمق لامن طرف الغير فالمعنى فيقوم لضرب معلمه لتأديبه له وقتل طبيبه وجراحه لفصده واراقته دمه والحاصل ان الاحمق لايفرق المحاسن من المساوى سواء كان هو المحسن اوغيره ﴿ فمساوى الاحمق لاتنقضى ﴾ اى لاتفنى ولا تنقطع ﴿ وعيوبه لاتتنهى ﴾ بالاحصاء ﴿ ولا يقف النظر منها الى غاية الا لوحت ﴾ ولمعت ﴿ ماوراءها مماهو ادنى منها واردى وامر وادهى ﴾ اى اشد داهية ومصيبة ﴿ فما اكثر العبر ﴾ بالنصب مفعول فعل التعجب ﴿ لمن نظر وانفعها لمن اعتبر ﴾ حكى ان احمقين اصطحبا فى طريق فقال احدهما للآخر تعال نتمن على الله فان الطريق يقطع بالحديث فقال احدهما انا اتمنى قطائع غنم انتفع بلبنها ولحمها وصوفها وقال الآخر انا اتمنى قطائع ذئاب ارسلها على غنمك لاتترك منها شيئا قال ويحك اهذا من حق الصحبة وحرمة العشرة فتصايحا وتخاصما واشتدت الخصومة بينهما حتى تماسكا بالاطواق ثم تراضيا على ان اول من يطلع عليهما يكون حكما بينهما فطلع عليهما شيخ بحمار عليه زقان من دبس فحدثاه بحديثهما فاخرج سكينه وخرق الزقين من تحتهما وقال صب الله دمى مثل هذا الدبس ان لم تكونا احمقين

﴿ وقال الاحنف بن قيس ﴾ المضروب به المثل فى الحلم والسيادة واسمه الضحاك وقيل صخر بن قيس بن معاوية بن حصن السعدى ويكنى ابا بحر ادرك النبي صلى الله عليه وسلم ولم يره وسمع عمر وعليا والعباس وغيرهم وروى عنه الحسن وغيره وسمى الاحنف لان امه كانت ترقصه وهو طفل وتقول . والله لولا حنف فى رجله . ما كان فى فتيانكم من مثله . وله حكايات حسنة والفاظ محكمة قال له عمر رضى الله عنه اى الطعام احب اليك قال الزبد والكماة قال عمر ماهما باحب الطعام اليه ولكنه يحب الخصب للمسلمين لان الزبد والكماة لايكونان الا فى الخصب . مات بالكوفة سنة سبع وستين وخرج مصعب بن الزبير فى جنازته ماشيا بغير ازار وهو اول امير فعل ذلك فى جنازة كبير ولما وضع فى قبره قامت امرأة له فقالت لله درك من مدرج فى كفن نسأل الله الذى ابتلانا بفقدك ان يوسع فى لحدك ويكون لك يوم حشرك لقد عشت حميدا مودودا ومت شهيدا مفقودا ولقد كنت من الناس قريبا وفى الناس غريبا رحمنا الله واياك فى الدنيا والآخرة وتوفنا بعدك مسلمين ﴿ من كل شئ يحفظ الاحمق الامن ﴾ جناية ﴿ نفسه ﴾ عليها ﴿ وقال بعض البلغاء ان الدنيا ربما اقبلت على الجاهل بالاتفاق وادبرت عن العاقل بالاستحقاق ﴾ اى باستحقاقه لاقبالها عليه ﴿ فان اتتك منها سهمة ﴾ على وزن غرفة النصيب ﴿ مع جهل اوفاتتك منها بغية ﴾ بكسر الباء وضمها كما ههنا المطلوب والحاجة ﴿ مع عقل فلا يحملنك ذلك ﴾ الاتيان والفوت ﴿ على الرغبة فى الجهل والزهد فى العقل فدولة الجاهل من الممكنات ﴾ بالذات والممكن بالذات مايقتضى لذاته ان لايقتضى شيئا من الوجود والعدم كالعالم ﴿ ودولة العاقل من الواجبات ﴾ لغيره والواجب لذاته هو الموجود الذى يمتنع عدمه امتناعا ليس الوجود له من غيره بل من نفس ذاته فان كان وجوب الوجود لذاته سمى واجبا لذاته وان كان لغيره سمى واجبا لغيره ﴿ وليس من امكنه شئ من ذاته كمن استوجبه بآلته وادواته ﴾ لانه الذ وافخر وادوم مدة دوام الادوات ﴿ وبعد ﴾ اى بعد كون حالى الدولتين ماذكر ﴿ فدولة الجاهل كالغريب الذى يحن ﴾ من الباب الثانى اى يشتاق ﴿ الى النقلة ﴾ على وزن غرفة اسم من الانتقال يقال اسرعوا النقلة اى الانتقال ﴿ ودولة العاقل كالنسيب ﴾ اى كالمناسب من افراد عائلة فالمراد بالغريب الاجنبى ﴿ الذى يحن الى الوصلة ﴾ اذ تتزين الدولة بالعاقل وتفتخر به كما يفتخر الجاهل بالدولة ﴿ فلا يفرح المرء بحالة جليلة نالها بغير عقل ومنزلة رفيعة حلها بغير فضل فان الجهل ينزله منها ويزيله عنها ويحطه الى رتبته ويرده الى قيمته ﴾ ولو بعد حين ﴿ بعد ان تظهر عيوبه وتكثر ذنوبه ويصير مادحه ﴾ فى دولته ﴿ هاجيا ﴾ فى نكبته ﴿ ووليه معاديا (واعلم) انه بحسب ماينشر من فضائل العاقل كذلك يظهر من رذائل الجاهل حتى يصير مثلا فى الغابرين وحديثا ﴾ مضحكا ﴿ فى الآخرين مع هتكه ﴾ اى هتك حرمته وظهور عيوبه ﴿ فى عصره وقبح ذكره فى دهره كالذى رواه عطاء عن جابر ﴾ بن عبد الله رضى الله عنهما ﴿ قال كان فى بنى اسرائيل رجل ﴾ يتعبد فى صومعته فامطرت السماء واعشبت الارض وكان ﴿ له حمار ﴾ كان يرعيه فى ذلك العشب ويعلف منه اذا يبس ﴿ فقال يارب لوكان لك حمار ﴾ اراد به الحمار المعد للركوب ﴿ لعلفته مع حمارى ﴾ ورعيته به مجانا ﴿ فهم به ﴾ يعنى فبلغ ذلك بعض الانبياء عليهم السلام

والممتنع بالذات مايقتضى لذاته عدمه منه

فهم بتأديبه ﴿ نبي من انبياء الله تعالى فاوحى الله اليه انما اثيب كل انسان على قدر عقله ﴾ وقد توهم ان اتخاذ الحمار كمال ولم يتفطن انه احقر المراكب وان الاحتياج مطلقا نقيصة وان الله منزه عن المكان والانتقال ولعل جابرا سمعه من بعض الاحبار اوطالعه فى كتب بنى اسرائيل فلا يكون حديثا وحكاها صاحب الكشكول فى رسالته (نان وپنير) بوجه آخر ﴿ واستعمل معاوية رجلا من كلب ﴾ علم قبيلة ﴿ فذكر ﴾ بالبناء للمفعول ﴿ المجوس ﴾ على وزن صبور معرب منج كوش اى صغير الاذن كان علم شخص اخترع عبادة النار ووضعها ودعى الناس اليها ثم سمى اتباعه به فالمجوس جمع جنسى مفرده مجوسى كاليهودى واليهود ﴿ يوما عنده فقال لعن الله المجوس ينكحون امهاتهم ﴾ اى يجامعونهن ﴿ والله لو اعطيت ﴾ بالبناء للمفعول ﴿ عشرة آلاف درهم مانكحت امى فبلغ ذلك ﴾ القول ﴿ معاوية فقال قبحه الله اترونه لو زادوه فعل وعزله ﴾ عن العمل لان مفهوم المخالفة معتبر فى المحاورات (١) ﴿ وولى ابو الربيع العامرى ﴾ واسمه عبدالله ﴿ وكان من النوكى ﴾ على وزن سكرى جمع انوك ﴿ سائر اليمامة ﴾ وفى البيان بعض منابر اليمامة واليمامة علم ارض فى شرق مكة والمدينة ﴿ فاقاد كلبا بكلب ﴾ اى قتل الكلب القاتل بدل القتيل قصاصا ﴿ فقال فيه الشاعر ﴾ من الطويل ﴿ شهدت بان الله حقا لقاؤه ﴾ قوله حقا بالنصب خبران قال ابن هشام قيل وقد تنصبهما فى لغة كقوله . اذا اسود جنح الليل فلتأت ولتكن. خطاك خفافا ان حراسنا اسدا * وفى الحديث ان قعر جهنم سبعين خريفا ويروى سبعون وقد خرج البيت على الحالية وان الخبر محذوف اى تلقاهم اسدا والحديث على ان القعر مصدر قعرت البئر اذا بلغت قعرها وسبعين ظرف اى ان بلوغ قعرها يكون فى سبعين عاما انتهى فحقا مفعول مطلق حذف فعله اى حق حقا ولقاؤه فاعل ذلك الفعل لا فاعل المصدر ﴿ وان الربيع العامرى رقيع ﴾ اى احمق كأن عقله مرقع او محتاج الى الرقعة لخرقه ثم فصل حمقه بقوله ﴿ اقاد لنا كلبا بكلب ولم يدع ﴾ لفعاليته واعتنائه بمصالح الرعايا ﴿ دماء كلاب المسلمين تضيع ﴾ فقوله لم يدع استهزاء وتأكيد للذم بمايشبه المدح . وقد روى الشيخان وغيرهما عن ابى هريرة ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال (العجماء) اى البهيمة لانها لاتتكلم (جرحها) بفتح الجيم على المصدر لاغير وليست الجراحة مخصوصة بذلك بل كل الاتلافات ملحقة بها (جبار) بضم وتخفيف اى هدر غير مضمون والمراد انها اذا انفلتت وصدمت انسانا فاتلفته او اتلفت مالا فلا غرم على مالكها . اما اذا كان معها فعليه ضمان ماتلفه سواء اتلفه ليلا اونهارا وسواء كان سائقها او راكبها اوقائدها وسواء كان مالكها او اجيرا او مستأجرا او مستعيرا او غاصبا وسواء اتلف بيدها اورجلها اوعضها او ذنبها . وقال مالك القائد والراكب والسائق كلهم ضامنون لما اصابت الدابة الا ان ترمح الدابة من غير ان يفعل بها شئ ترمح له . وقال الحنفية ان الراكب والقائد لايضمنان مانفحت الدابة برجلها اوذنبها الا ان اوقفها فى الطريق . وكذا قال الحنابلة ان الراكب لايضمن ماتتلفه البهيمة برجلها كما فى القسطلانى فالمسئلة ان صاحب الكلب القاتل ان حرش كلبه اورآه ولم يزجره وكان الكلب المقتول من القيميات بان يكون كلب صيد اوحراسة فعلى صاحبه قيمته والافلا شئ على صاحبه . وليس على الكلب شئ على جميع التقادير اذ ليس بمكلف . وفى البيان وخطب والى اليمامة فقال ان الله تعالى لايقار

(١) مفهوم الموافقة هو مايفهم من الكلام بطريق المطابقة و مفهوم المخالفة هو مايفهم من الكلام بطريق الالتزام وقيل هو ان يثبت الحكم فى المسكوت عنه على خلاف ماثبت فى المنطوق منه

عباده على المعاصى وقد اهلك الله امة عظيمة فى ناقة ما كانت تساوى مأتى درهم فسمى مقوم ناقة الله. وخطب عتاب بن ورقاء فحث على الجهاد فقال هذا كما قال الله تعالى . كتب القتل والقتال علينا . وعلى الغانيات جر الذيول . وقال معاوية بن مروان لابى مرأته ملأ تنا بنتك البارحة بالدم قال انهـا من نسوة يخبئن ذلك لازواجهن ﴿ وليس لمعـار الجهل غاية ولا لمضـار الحمق نهاية ﴾ جمع مضرة ومعرة ﴿ قال الشاعر ﴾ من البسيط ﴿ لكل داء دواء يستطب به ﴾ اى يطلب دواء صالح لكل داء لامكان تداويه ﴿ الا الحماقة اعيت من يداويها ﴾ اى اعجزت طبيبها المداوى لامتناع تداويهـا . قال عيسى عليه السـلام عالجت الابرص والاكمه فابرأتهما وعالجت الاحمق فاعيانى ونظر بعض الحكماء الى احمق على حجر فقال حجر على حجر ﴿ فصل ﴾

﴿ واما الهوى ﴾ مصدر هويه من الباب الرابع اذا احبه وشرعا ميل النفس الى خلاف مايقتضيه الشرع لانه يهوى بصاحبه الى الداهية فى الدنيا والهاوية فى العقبى فكأنه من هوى يهوى هويا بضم الهاء اى سقط ﴿ فهو عن الخير صاد ﴾ اى مانع وصارف ﴿ وللعقل مضاد لانه ينتج من الاخلاق قبائحها ويظهر من الافعال فضائحها ويجعل ستر المروءة مهتوكا ومدخل الشر مسلوكا قال عبدالله بن عباس رضى الله عنهما الهوى اله يعبد من دون الله ثم تلا ﴾ آية الجاثية ﴿ افرأيت من اتخذ الهه هواه ﴾ اى هو مطواع لهوى النفس يتبع ماتدعوه اليه فكأنه يعبده كما يعبد الرجل الهه كما فى الكشاف ﴿ وقال عكرمة ﴾ مولى ابن عباس هو ابو عبدالله المدنى اصله من البربر من اهل المغرب سمع مولاه وعبدالله بن عمر وخلقا من الصحابة وكان من العلماء فى زمانه بالعلم والقرآن وسمع عنه خالد الحذاء وايوب وخلق وتكلم عليه لرأيه رأى الخوارج وكان جوالا فى البلاد مات بالمدينة سنة سبع ومأة ومات فى يومه كثير الشاعر فقيل مات اليوم افقه الناس واشعر الناس ﴿ فى ﴾ تأويل ﴿ قوله تعالى ﴾ فى الحديد (فضرب بينهم بسور) اى بين المؤمنين والمنافقين بحـائط حائل بين شق الجنة وشق النار قيل هو الاعراف (له) لذلك السور (باب) لاهل الجنة يدخلون منه (باطنه) اى باطن السـور او الباب وهو الشق الذى يلى الجنة (فيه الرحمة وظاهره) ماظهر لاهل النار (من قبله) من عنده ومن جهته (العذاب) وهو الظلمة والنار (ينادونهم الم نكن معكم) يريدون موافقتهم فى الظاهر . قالوا بلى ﴿ ولكنكم فتنتم انفسكم . يعنى بالشهوات ﴾ وفى الكشـاف محنتموها بالنفاق واهلكتموهـا ﴿ وتربصتم . يعنى بالتوبة . وارتبتم . يعنى فى امر الله . وغرتكم الامانى . يعنى بالتسويف ﴾ والطمع فى امتداد الاعمار ﴿ حتى جاء امر الله . يعنى الموت . وغركم بالله الغرور . يعنى الشيطان ﴾ بان الله عفو كريم لا يعذبكم ﴿ وروى عن النبى صلى الله عليه وسـلم انه قال طـاعة الشهوة داء وعصيانها دواء ﴾ وقد قال الله تعالى فاما من طغى وآثر الحياة الدنيا فان الجحيم هى المأوى واما من خاف مقـام ربه ونهى النفس عن الهوى فان الجنة هى المأوى . فما اقبح داء علاجها الصديد والزقوم وما احسن دواء مزاجهـا الكوثر والسلسبيل ﴿ وقال عمر بن الخطاب رضى الله عنه اقدعوا ﴾ بالدال المهملة امر من قدعه مثل منعه لفظا ومعنى ﴿ هذه النفوس عن شهواتها ﴾ بالزواجر والمواعظ كما فى رواية ﴿ فانها طلعة ﴾ بضم ففتحتين مثل همزة يقـال نفس طلعة اذا كانت تكثر التطلع الى الشئ يعنى كثيرة الميـل الى ماتشتهيه ﴿ تنزع ﴾ اى تتنزع وتتسرع ﴿ الى شر غاية ﴾ اى غاية النزع او غاية الشر ﴿ ان

هذا الحق ﴾ الذى هو القدع ﴿ ثقيل مرى ﴾ على وزن درّى دواء معروف بين الاطباء يعنى ان منع النفس عن شهواتها وان كان ثقيلا عليها فقد يحفظ صحة الابدان والارواح ﴿ وان الباطل ﴾ اى اتباع الشهوات ﴿ خفيف ﴾ متاعبها على النفوس لكونها مقتضى ذاتها وجبلتها ﴿ وبى ﴾ اى من طبعه الاهلاك كالوباء فالياء فيهما النسبة المشبه الى المشبه به ﴿ وترك الخطيئة خير من معالجة التوبة ﴾ كما ان الصحة خير من مرض له دواء مجرب مقطوع على ان الطبائع مختلفة والمرض وبى كما سبق فيقع الهلاك الابد والضلال السرمد نعوذ بالله من شرور انفسنا وسيئات اعمالنا ﴿ ورب نظرة ﴾ بناء مرة من النظر وهو اخص من مطلق الرؤية والابصار لان اتباع القلب معتبر فى النظر ﴿ زرعت شهوة و ﴾ رب ﴿ شهوة ساعة ﴾ كشهوة بطن اوفرج من حرام ﴿ اورثت حزنا طويلا ﴾ فى الدنيا والآخرة لان من كثرت لحظاته دامت حسراته . قال المتنبى . عزيز اسى من داؤه الاعين النجل . عناء به مات المحبون من قبل * فمن شاء فلينظر الى فنظرى . نذير الى من ظن ان الهوى سهل * وماهى الا لحظة بعد لحظة . اذا نزلت فى قلبه رحل العقل * وقال السعدى بسا نام نيكو كه هفتاد سال . كه يك نام زشتش كند پايمال ﴿ وقال على بن ابى طالب رضى الله عنه ﴾ موقوفا . ان اخوف ما ﴿ اخاف عليكم اتباع الهوى وطول الامل ﴾ الخوف غم يحصل من توقع امر مكروه والحزن غم يحصل من فوات امر محبوب ﴿ فان اتباع الهوى يصد عن الحق وطول الامل ينسى الآخرة ﴾ الاوان الدنيا ارتحلت مدبرة وارتحلت الآخرة مقبلة ولكل واحدة بنون فكونوا من ابناء الآخرة ولا تكونوا من ابناء الدنيا فان اليوم عمل ولا حساب وغدا حساب ولا عمل فيه كما فى القسطلانى برواية ابى نعيم ﴿ وقال الشعبى انما سمى الهوى هوى لانه يهوى بصاحبه ﴾ اى يسقطه ﴿ وقال اعرابى الهوى هوان ﴾ بالفتح اى ذل وخزى ﴿ ولكن غلط باسمه ﴾ قصدا ليرغب اليه مع بقاء المسمى فى محله وهذا معنى بديع يعنى وضعت امارة وعلامة فى اسمه على المكر الخفى فى المسمى فلا يخفى مكره لا لاهل البصر ولا لارباب البصائر ﴿ فاخذه الشاعر وقال ﴾ من الكامل ﴿ ان الهوان هو الهوى قلب اسمه . فاذا هويت فقد لقيت هوانا ﴾ معنى ولك ان تقول فاذا قلت هويت فقد لقيت الهوان لفظا ومعنى لاتحاد رسم خطهما فى هويت . وقال آخر . نون الهوان من الهوى مسروقة . فصريع كل هوى صريع هوان ﴿ وقيل فى منثور الحكم من اطاع هواه اعطى عدوه مناه ﴾ بضم الميم جمع منية اى انواع ماقصده واراده اذ فتح له ابواب الهجو والشماتة ﴿ وقال بعض الحكماء العقل صديق مقطوع ﴾ يقطعه كثير من الناس لمنعه عن الشهوات ﴿ والهوى عدو متبوع ﴾ يتبعه الكثير لاغرائه عليها ﴿ وقال بعض البلغاء افضل الناس من عصى هواه وافضل منه من رفض دنياه ﴾ اى زهد فيها لان حب الدنيا رأس كل خطيئة ﴿ وقال هشام بن عبد الملك بن مروان ﴾ بن حكم عاشر ملوك الاموية بويع له سنة خمس ومأة بعد يزيد بن عبد الملك وتوفى سنة خمس وعشرين ومأة . من الطويل ﴿ اذا انت لم تعص الهوى قادك الهوى . الى كل مافيه عليك مقال * قال ابن المعتز رحمه الله لم يقل هشام بن عبد الملك سوى هذا البيت . وقال الشاعر ﴾ من الطويل ﴿ اذا مارأيت المرء يقتاده الهوى ﴾ الاقتياد بمعنى القيد وهو جذب الدابة من امامها وضده السوق ﴿ فقد ثكلته عند ذاك ثواكله ﴾ جمع ثاكلة يقال ثكل فلان الحبيب اوالولد اذا فقده وبابه علم ﴿ وقد اشمت الاعداء جهلا بنفسه ﴾ اى جعل اعدائه فرحين

لجهالته ﴿ وقد وجدت فيه مقالا عواذله ﴾ جمع عاذلة اسند الشكل والعذل الى جماعة النساء لانهما من الاوصاف الغالبة فيهن ﴿ ومايردع النفس اللجوج عن الهوى ﴾ كصبور صيغة مبالغة من اللجاج وهو العناد والتمادى فيما منع وزجر وصف به النفس اذ يستوى فيه المذكر والمؤنث اذا كان بمعنى الفاعل وذكر الموصوف اى لايمنعها عن هواها احد ﴿ من الناس الاحازم الرأى كامله ﴾ بدل من حازم والاستثناء مفرغ ﴿ فلما كان الهوى غالبا ﴾ على الناس ﴿ والى سبيل المهالك موردا ﴾ اسم فاعل من اورد ﴿ جعل ﴾ بالبناء للمفعول ﴿ العقل عليه رقيبا مجاهدا يلاحظ ﴾ ذلك الرقيب ﴿ عثرة غفلاته ﴾ بكسر العين الزلة يعنى فاذا زل الهوى عن غفلة يوقظه ذلك الرقيب ﴿ ويدفع بادرة سطوته ﴾ اى ويجاهد ذلك الرقيب لدفع سطوته الظاهرة عند قوة سلطان الهوى فالبادرة من البدور بمعنى الظهور والسطرة القهر والغلبة ﴿ ويدفع خداع حيلته ﴾ عند ضعفه وعجزه عن اظهار سطوة فالعقل رقيب لوجوه ثلاثة ايقاظ الهوى عند عثرته عن غفلة ومجاهدته ومدافعته عند اظهار سطوة اواستعمال حيلة وخص المدافعة بالاخيرين ﴿ لان سلطان الهوى قوى ﴾ فلايتحاشى عن اظهار سطوة ﴿ ومدخل مكره خفى ﴾ فلايعجز عن احداث حيلة ﴿ ومن هذين الوجهين ﴾ الاخيرين لامن الوجه الاول ﴿ يؤتى العاقل حتى تنفذ احكام الهوى عليه ﴾ اما بقهر العاقل وتعجيزه عن دفع تلك الاحكام او بمكره واختلابه ﴿ اعنى باحد الوجهين قوة سلطانه وبالآخر خفأ مكره * فاما الوجه الاول فهو ان يقوى سلطان الهوى بكثرة دواعيه ﴾ واشياعه من النفس والسمع والبصر وسائر القوى وبيانه ان القوى الجسمانية اشياع واتباع للنفس وان الهوى عدو للعقل وان النفس مائلة الى متابعة الهوى فاذا غلب الهوى على العقل بمعاونة النفس يستوزر النفس وهى تستخدم سائر القوى فلايتفكر القلب غير الشهوات ولايسمع السامعة ولايبصر الباصرة ولا يبطش اليد ولا يمشى الرجل الا اليها وهكذا حال سائر القوى واما اذا غلب العقل على الهوى فيستوزر النفس ايضا الا ان النفس خائنة للعقل ومائلة الى الهوى يلزم ترقبها دائما وكثيرا ما تظهر صداقة ليعتمد عليها وهذا مكر منها ولو تفحصتها تجدها لاتخلو من اختلاس نظرة اوسمعة اوعجب اوغرور ونحو ذلك الى ان تبلغ الى كمالها وتطمئن فحينئذ يكون كلامه حكمة ونظره عبرة وسمعه بصيرة وصورته شريعة وسيرته حقيقة (وفى الحديث القدسى اذا احببت عبدى كنت سمعه الذى يسمع به وبصره الذى يبصر به ويده التى يبطش بها ورجله التى يمشى بها) والمعنى ان كليته مشغولة بى فلايصغى بسمعه الا الى مايرضينى ولايرى ببصره الا ما امرته به ولايبطش بيده الا فيما يحل ولا يسعى برجله الا فى طاعتى كما رواه البخارى عن ابى هريرة . وقال الشيخزاده فى شرح البردة الاصل فى تزكية النفس ترقيها من مقاماتها ولها اربع مقامات (مقام الامارية) وهو كونها بحيث تميل الى الطبيعة البدنية وتأمر باللذات والشهوات الحسية فهى منبع الشرور والاخلاق الذميمة كما قال الله تعالى ان النفس لامارة بالسوء (ومقام اللوامية) وهو كونها بحيث تنورت بنور القلب فتطيع العقل مرة وتعصى اخرى ثم تندم وتلوم نفسها وهى منبع الندامة وقال تعالى ولا اقسم بالنفس اللوامة (ومقام الملهمية) وهو كونها بحيث الهمها الله العلم والتواضع والقناعة والسخاوة فكانت منبع الصبر والتحمل والشكر كما قال الله تعالى فالهمها فجورها

وتقواها (ومقام المطمئنية) وهو كونها بحيث تخلت عن صفاتها الذميمة وتخلقت بالاخلاق الحميدة كما قال الله تعالى يا ايتها النفس المطمئنة ارجعى الى ربك وقوله ارجعى صورة جذبة العناية الربوبية يجذب النفوس من انا نيتها الى عبوديته انتهى ﴿ حتى يستولى عليه مغالبة لشهوات فيكل العقل عن دفعها ﴾ اى يعجز يقال كل الرجل من الباب الثانى اذا اعيا ﴿ ويضعف عن منعها مع وضوح قبحها فى العقل المقهور بها ﴾ اى بالشهوات ودواعيها ﴿ وهذا ﴾ الوجه ﴿ يكون فى الاحداث اكثر وعلى الشباب اغلب لقوة شهواتهم ﴾ كابدانهم ﴿ وكثرة دواعى الهوى المتسلط عليهم ﴾ وادهى الدواعى اقرانهم الذين يلومون على عدم متابعة شهواتهم وقلما يوجد فيهم من يعاتبهم عليها بخلاف الشيوخ ﴿ وانهم ربما جعلوا الشبابة عذرا لهم كما قال محمد بن بشير ﴾ من الكامل . قامت تخاصرنى بقنتها . خود تأطر غادة بكر (٣) ﴿ كل يرى ان الشباب له . فى كل مبلغ لذة عذر ﴾ قوله له خبر وعذر مبتدأ مؤخر وجوبا لكونه نكرة والجملة خبران . وجملة ان قائمة مقام مفعولى يرى . وفى متعلق بقوله له لكونه ظرفا مستقرا . ومبلغ مصدر ميمى مضاف الى مفعوله . يعنى له عذر ليبلغ كل لذة ويذوق كل مرة وحلوة فقوله كل يرى اى كل فرد من الشبان واهل الهوى يرى ذلك لا كل احد من الناس فقد قال آخر . قالت عهدتك مجنونا فقلت لها . ان الشباب جنون برؤه الكبر * ومازال الناس يحبون الشباب ويمدحونه لما فيه من ذلك العذر وحسن الشمائل ويكرهون الشيب ويذمونه لما فيه من دليل الفناء والهجنة عند النساء وقطع اللذات بالرقبة والحياء الا ان الحذاق من الشعراء فى تحسين ما كانوا يكرهون وتقبيح ما كانوا يمدحون رياضة للنفوس وتوسعا فى القول كما قال بعضهم . تفاريق شيب فى العذار لوامع . وما حسن ليل ليس فيه نجوم * وقال دعبل * احب الشيب لما قيل ضيف . لحبى للضيوف النازلينا * وقال المتنبى فى ذم هذا الضيف * ضيف الم برأسى غير محتشم . والسيف احسن فعلا منه باللمم * ابعد بعدت بياضا لا بياض له . لانت اسود فى عينى من الظلم * وقال محمود الوارق * للضيف ان يقرى ويعرف حقه . والشيب ضيف فاقره بخضاب * وافسخ شهادته عليك بخضبة . تنفى الظنون بها عن المرتاب * فاذا دنا وقت الرحيل فخله . والشيب يذهب فيه كل ذهاب * وقال ابن الرومى حكما * فجار على ليل الشباب فضامه . نهار مشيب سر مدليس ينفد * وعزاك عن ليل الشباب معاشر . وقالوا نهار الشيب اهدى وارشد * وكان نهار المرء اهدى لرشده . ولكن ظل الليل اندى وابرد ﴿ ولذلك ﴾ اى لعجز العقل عن منع الهوى ﴿ قال بعض الحكماء الهوى ملك غشوم ﴾ مبالغة فاعل يقال غشمه اذا ظلمه ﴿ ومتسلط ظلوم ﴾ لا يرحم اصلا ﴿ وقال بعض الادباء الهوى عسوف ﴾ مثل ظلوم لفظا ومعنى ﴿ والعدل مألوف ﴾ اذ مانهى الله عن شئ الا وقد اغنى عنه بشهوة مباحة تنوب منابه ﴿ وقال بعض الشعراء ﴾ من السريع ﴿ ياعاقلا اردى الهوى عقله ﴾ اى غلب عليه واذله ونصب عاقلا لكونه منادى منكرا وجملة اردى لغته ﴿ مالك قد سدت عليك الامور ﴾ جواب النداء والاستفهام للتعجب الترحمى وسدت بالبناء للمفعول اى سدت طرقات الامور التى تعرف بها محاسنها من مساويها ﴿ اتجعل العقل اسير الهوى ﴾ جواب ايضا والاستفهام للانكار اعنى انكار المواظبة والاستمرار يعنى خلصه من اسارته واعتقه من رقيته ﴿ وانما العقل عليه

(٣) قوله تخاصرنى اى آخذ بيدها وتأخذ بيدى والقنة المواضع الغليظة المرتفعة من الارض والخود الحسنة الخلق وتأطر اى تنثنى والغادة الناعمة اللينة منه

امير ﴾ فهو عزيز ذل فارحمه وعجل في ابلاغه مبلغه واصعاده منصبه ﴿ وحسم ذلك ﴾ الوجه اى طريق قطعه وازالته ﴿ ان يستعين بالعقل على النفس النفور ﴾ اى المتباعدة عن الطاعات غاية البعد ﴿ فيشعرها ما في عواقب الهوى من شدة الضرر وقبح الاثر وكثرة الاجرام وتراكم الآثام فقد قال النبي صلى الله عليه وسلم ﴾ على مارواه الشيخان واحمد بن حنبل والترمذى عن انس مرفوعا ﴿ حفت ﴾ وفي رواية حجبت ﴿ الجنة بالمكاره ﴾ اى احيطت بها ﴿ وحفت النار بالشهوات ﴾ اى بما يستلذ من امور الدنيا مما منع الشرع من تعاطيه والمراد بالمكاره هنا ما امر المكلف بمجاهدة نفسه فيه فعلا وتركا كالاتيان بالعبادات على وجهها والمحافظة عليها واجتناب المنهيات قولا وفعلا واطلق عليها مكاره لمشقتها على العامل وصعوبتها ومن جملتها الصبر على المصيبة والتسليم لامر الله فيها وهذا من جوامع كلمه وبديع بلاغته في ذم الشهوات وان مالت اليها النفوس والحض على الطاعات وان كرهتها النفوس وشقت عليها فكأنه قال لا يوصل الى الجنة الا بارتكاب المشقات المعبر عنها بالمكاره ولا الى النار الا بتعاطى الشهوات وهما محجوبتان فمن خرق دخل كما في العزيزى ﴿ اخبر ﴾ عليه الصلاة والسلام ﴿ ان الطريق الى الجنة احتمال المكاره والطريق الى النار اتباع الشهوات قال على بن ابى طالب رضى الله عنه اياكم وتحكيم الشهوات ﴾ اى تقويتها باعطاء ما احبته او اتخاذها حكما بقبول ما امرته . ﴿ فان عاجلها ذميم وآجلها وخيم ﴾ اى ثقيل لا يوافق المزاج ﴿ فان لم ترها تنقاد بالتحذير والارهاب ﴾ اى باشعار النفس ما في عواقب الهوى والجملة الشرطية معطوفة على مقدر اى طريق الحسم الاشعار المذكور فاما ان تنقاد بها اولا فان انقادت فبها ونعمت وان لم ترها تنقاد آه اى لشدة نفور نفسك وبغيها غاية البغى حيث لم يؤثر فيها العلاج المقطوع المجرب فنكتة الالتفات الى الخطاب التنبيه على ذلك البغى كأن قائلا قال اشعرت نفسى ما في عواقب الهوى لكنها لم تحسم فالتفت اليه وقال فان لم ترها آه ﴿ فسو فها بالتأميل والارغاب ﴾ اى بتأميلها بما كان مباحا من نوع ماتشتهيه النفس وارغابها بابقاء الاحدوثة الحسنة في الدنيا والجنات العاليات ولا يؤملها بما كان محظورا لانه توطين وتحريض لها على هواها ﴿ فان الرغبة ﴾ بما سوف ﴿ والرهبة ﴾ بما خوف ﴿ اذا اجتمعا على النفس ذلت لهما وانقادت ﴾ لان ضعيفين يغلبان قويا فكيف القويان ﴿ وقد قال ابن السماك ﴾ ابو العباس محمد بن صبيح العجلى كان من الزهاد وذا قدر عند الرشيد توفى سنة ثلاث وثمانين ومأة بالكوفة ﴿ كن لهواك مسوفا ﴾ كما حكى ان ابا حازم كان يمر بالفاكهة فيشتهيها فيقول موعدك الجنة ﴿ ولعقلك مسعفا ﴾ اسم فاعل من اسعف بحاجته اذا قضاها له ﴿ والظر الى ماتسوء عاقبته فوطن نفسك على مجانبته فان ترك النفس و ﴾ اى ارخاؤها مع ﴿ ماتهوى داؤها وترك ماتهوى ﴾ بعدم اتيانه ﴿ دواؤها فاصبر على الدواء كما تخاف من الداء . وقال الشاعر ﴾ من الطويل الا ان عروض المطلع محذوفة كضربه للتصريع (١) ﴿ صبرت على الايام حتى تولت ﴾ يعنى صبرت على الحوادث والمصائب النازلة في الايام الى ان تزول تلك المصائب ﴿ والزمت نفسى صبرها فاستمرت ﴾ على الصبر واعتادته ﴿ وما النفس الا حيث يجعلها الفتى . فان اطمعت ﴾ بالبناء للمفعول اى النفس بالتخيلات الباطلة والعزائم الفاسدة ﴿ تاقت ﴾ من التوقان اى اشتاقت النفس الى ما اطمعت به

(١) المصرع ماغيرت عروضه للالحاق بضربه بزيادة اونقصان . ويرد عليك ماغيرت بزيادة منه

﴿ والانسلت ﴾ اى فرغت ونسيت هو اجسها . وقال آخر . والنفس راغبة اذا رغبتها . واذا ترد الى قليل تقنع ﴿ فاذا انقادت النفس للعقل بما قد اشعرت ﴾ بالبناء للمفعول ﴿ من عواقب الهوى لم يلبث ﴾ من باب علم اى لم يستقر ولم يمكث ﴿ الهوى ان يصير ﴾ اى لصيرورته ﴿ بالعقل مدحورا ﴾ من دحره دحرا ودحورا اذا طرده وابعده ﴿ وبالنفس مقهورا ﴾ لما اسلفناه ان العقل اذا غلب على الهوى يستوزر النفس وليس للوزير هوالاة من طرده الملك وقهره ﴿ ثم له ﴾ اى لذلك العاقل المشعر ﴿ الحظ الاوفى فى ثواب الخالق وثناء المخلوقين قال الله تعالى واما من خاف مقام ربه ونهى النفس ﴾ الامارة بالسوء ﴿ عن الهوى ﴾ المردى وهو اتباع الشهوات وزجرها عنه وضبطها بالصبر والتوطين على ايثار الخير ﴿ فان الجنة هى المأوى . وقال الحسن البصرى افضل الجهاد جهاد الهوى ﴾ لانه اعدى الاعداء واكبرهم وقد قال النبى صلى الله عليه وسلم حين رجع عن تبوك رجعنا من الجهاد الاصغر الى الجهاد الاكبر ﴿ وقال بعض الحكماء اعز العز الامتناع من ملك الهوى ﴾ بالخروج عليه والانفة عن طاعته ﴿ وقال بعض البلغاء خير الناس من اخرج الشهوة من قلبه وعصى هواه فى طاعة ربه ﴾ اذلا طاعة لمخلوق فى معصية الخالق ﴿ وقال بعض الادباء من امات شهوته فقد احيى مروءته ﴾ لان العفة والنزاهة والصيانة من شروط المروءة واحياؤها ليس الا باماتة الشهوة كما يأتى فى فصل مستقل ﴿ وقال بعض العلماء ركب الله الملائكة من عقل بلا شهوة ﴾ ولذا لا يعصون الله ما امرهم ويفعلون مايؤمرون ﴿ وركب البهائم من شهوة بلا عقل ﴾ ولذا لم تكلف بشئ وحبس الدجاجة والجلالة لتأمين الانتفاع بها لا على ان الحبس حدلها ﴿ وركب ابن آدم من كليهما فمن غلب عقله على شهوته ﴾ فلم يعص ﴿ فهو خير من الملائكة ﴾ اذلا عائق لهم فهم مطبوعون على الطاعة ولابن آدم موانع فعبادته اشق واداء ماهو اشق ابلغ فى الطاعة وادخل فى الاخلاص ﴿ ومن غلبت شهوته على عقله فهو شر من البهائم ﴾ لانه اذا هبط من يعقل مرتبة ما لا يعقل كان شرا منه لاضاعته استعداده الفطرى فقد قال الله تعالى اولئك كالانعام بل هم اضل ﴿ وقيل لبعض الحكماء من اشجع الناس واحراهم ﴾ اى اليقهم ﴿ بالظفر فى مجاهدته قال من جاهد الهوى طاعة لربه واحترس ﴾ اى وتوقى ﴿ فى مجاهدته من ورود خواطر الهوى على قلبه ﴾ كالريا والسمعة والعجب والغرور . وقال بعض الشعراء . ليس الشجاع الذى يحمى فريسته . عند القتال ونار الحرب تشتعل * لكن من كف طرفا او ثنى قدما . عن الحرام فذاك الفارس البطل ﴿ وقال بعض الشعراء ﴾ من الرجز ﴿ قد يدرك الحازم ذو الرأى المنى ﴾ جمع منية وهو مفعول يدرك اى يفوز بمقاصده ﴿ بطاعة الحزم وعصيان الهوى * واما الوجه الثانى فهو ان يخفى الهوى مكره حتى تموه ﴾ اى تشتبه يقال موه النحاس او الحديد اذا طلاه بفضة او ذهب ﴿ افعاله ﴾ القبيحة ﴿ على العقل فيتصور ﴾ العقل ذلك ﴿ القبيح حسنا والضرر نفعا ﴾ لاغتراره بظاهر ماموهه الهوى وذهوله عن باطن امره ﴿ وهذا ﴾ الوجه ﴿ يدعو اليه احد شيئين اما ان يكون للنفس ميل الى ذلك الشئ فيخفى عنها القبيح ﴾ اى يخفى الهوى عن النفس قبح ذلك الشئ ﴿ لحسن ظنها ﴾ بذاتها بانها لا تؤثر القبيح او لحسن ظنها بذلك الشئ ﴿ وتتصوره حسنا لشدة ميلها ﴾ الى ذلك الشئ ﴿ ولذلك قال النبى صلى الله عليه وسلم ﴾ على

ويكره لحم الجلالة وهى التى تأكل العذرة فقط حتى انتن لحمها وتحبس حتى تذهب نتن لحمها والتدبر بثلاثة ايام لدجاجة واربعة لشاة وعشرة لابل وبقر . ولو اكلت النجاسة وغيرها بحيث لم ينتن لحمها حلت كما حل اكل جدى غذى بلبن خنزير لان لحمه لا يتغير وما غذى به يصير مستهلكا كما فى الدر المختار منه

ماروواه ابوداودوالبخاري في تاريخه عن ابي الدرداء رضي الله عنه ﴿ حبك الشيء يعمي ويصم اي يعمي عن الرشد ويصم عن الموعظة ﴾ فان الذي يسترسل في اتباع الهوى لايبصر قبيح مايفعله ولايسمع نهي من ينصحه وانه يقع ذلك لمن يحب احوال نفسه ولم ينتقد عليها فاذا احب الشخص نفسه رضي بكل افعال نفسه واثنى على نفسه فلايرى سوءا لنفسه فيحتاج الى صديق يبصره بعيوب نفسه فان المؤمن مرآة اخيه وقد نظم الخطيب معنى ذلك فقال . وحبك الشيء يعمي عن قبائحه . ويمنع الاذن ان تصغى الى العذل * كما في العزيزي وقال آخر * ظن العذول بان عذلي ينفع . قل ماتشاء فعلي ان لااسمع ﴿ وقال علي رضي الله عنه الهوى عمى . قال الشاعر ﴾ وهو عمر بن عبدالله بن ابي ربيعة المخزومي القرشي شاعر مجيد وصاحب ثروة ومجون وجميع اشعاره في الغزل . في هند بنت الحرث بن عوف المرية (من الرمل) ليت هند انجزتنا ماتعد . وشفت انفسنا مما تجد * واستبدت مرة واحدة . انما العاجز من لايستبد * ولقد قالت لاتراب لها . ذات يوم وتعرت تبترد * اكما ينعتني تبصرني . عمر قلن له ام يقتصد (١) فتضا حكن وقد قلن لهـا . حسن في كل عين من تود * حسـدا حملنه من اجلها . وقديما كان في الناس الحسـد * وكانت هند تترقب انهن يقلن لقد اقتصد عمر في نعتك ومحبتك وما اوفى بمقدار حقك فتضاحكن استهزاء وقلن متفقـات ﴿ حسن في كل عين من تود ﴾ اي من تحبهـا تلك العين يعنين ان عمر قدافرط في نعتـك وليس لك حسن في عيوننا ولذا عقبه بقوله حسدا آه والدال ساكنة في جميع الابيات وما قبلها مكسور في الاول ومفتوح في الاخيرين ففيه سناد التوجيه وهو ليس بعيب مطلقا عند الاخفش (٢) ﴿ وقال عبدالله بن معاوية بن عبدالله بن جعفر بن ابي طالب ﴾ كان من فتيان بني هاشم واجوادهم وفصحائهم وكان صديقا للحسين بن عبدالله بن العباس ثم وقع بينهما امر فتهاجرا فقال عبدالله (من الطويل) ان حسينا كان شيئا ملففا . فمحصه التكشيف حتى بداليا * وانت اخي مالم تكن لي حاجة . فان عرضت ايقنت ان لا اخاليا ﴿ ولست براء عيب ذي الود كله ﴾ الباء زائدة في خبر ليس وكله بالنصب تأكيد لعموم العيب واستغراقه الا انه لافادته سلب العموم لاعموم السلب أكده ايضا بقوله ﴿ ولا بعض ما فيه ﴾ من العيوب ﴿ اذا كنت راضيا ﴾ يعني لست ترى عيبا من عيوب حبيبك لاكله ولا بعضه ﴿ فعين الرضا عن كل عيب كليلة ﴾ اي ضعيفة لاتنفذ ولاتبصر ﴿ ولكن عين السخط ﴾ بضم فسكون مقابل الرضا ﴿ تبدي المساويا ﴾ وفي معناه ماقيل . وعين البغض تبرز كل عيب . وعين الحب لاتجد العيوبا ﴿ واما السبب الثاني ﴾ الداعي الى اخفاء الهوى مكره ﴿ فهو اشتغال الفكر في تمييز ما اشتبه ﴾ لاجل تمويه الهوى اياه ﴿ فيطلب الراحة في اتباع ما استسهل حتى يظن ان ذلك ﴾ الا سهل ﴿ اوفق امريه واحمد حاليه اغترارا بان الاسهل محمود والاعسر مذموم ﴾ وقد ورد الشرع بذلك على مارواه الشيخان عن انس انه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم يسروا ولاتعسروا وبشروا ولاتنفروا ﴿ فلن يعدم ﴾ من الباب الرابع اي لن يفقد ﴿ ان يتـورط بخدع الهوى وريبة المكر في كل مخوف حذر ﴾ ظرف تورط يقـال تورط فيه اذا وقع فيه ومخوف اسم مفعول من خاف وحذر على وزن كتف الرجل الحازم المتيقظ الشديد الحذر وهو فاعل تورط ويعدم على

(١) اللام للقسم والضمير للرجل اسما او لا قوية فالضمير لعمر منه

(٢) سناد التوجيه اختلاف حركة ماقبل الروي المقيد المسماة بالتوجيه منه

سبيل التنازع ﴿ و ﴾ فى كل امر ﴿ مكروه عسر ﴾ اى رجل عسر شكس اى بين العسر صعب الخلق فاذا تورط الحازم العسر فتورط غيره اولى واسهل ﴿ ولذلك قال عامر بن الظرب ﴾ على وزن كتف العدوانى كان احد حكام العرب فى الجاهلية المشهورين وهو اول من قضى فى الخنثى بميراث الرجل اوالمرأة اعتبارا بمبالها وهو حكم معمول به فى الشرع من باب الاستدلال بالعلامات ومثله قوله تعالى وجاؤا على قميصه بدم كذب وجه الدلالة على الكذب ان القميص لم يكن فيه خرق ولااثر . وهو اول من جلس على المنبر وتكلم وهو القائل يامعشر عدوان ان الخير الوف عزوف وان يفارق صاحبه حتى يفارقه وانى لم اكن حكيما حتى اتبعت الحكماء ولم اك سيدكم حتى تعبدت لكم ولما اسن عامر كان يزل فى حكمه وكانت له بنت حكيمة فامرها ان تقعد وراء ستر لتنظر حكمه فاذا انكرت منه شيئا قرعت له العصا فمتى سمع صوت قرعها علم انه زل فرجع الى الصواب وهو اول من فعل ذلك فضرب به المثل (٣) ﴿ الهوى يقظان ﴾ صفة مشبهة ضد النائم ﴿ والعقل راقد ﴾ اى نائم ﴿ فمن ثم غلب ﴾ الهوى عليه اوبالبناء للمفعول اى العقل ﴿ وقال سليمان بن وهب النهوى امنع ﴾ اى اشد منعا لايترك مايلائمه اواشد مناعة وقوة ﴿ والرأى انفع ﴾ لتليين غلظته ﴿ وقيل فى المثل العقل وزير ناصح والهوى وكيل فاضح ﴾ اى كاشف للمساوى ومظهر اياها ﴿ وقال الشاعر ﴾ من الطويل ﴿ اذا المرء اعطى نفسه كل مااشتهت ﴾ قوله كل مفعول اعطى لاظرفه ﴿ ولم ينهها ﴾ عن بعض مشتهياتها ﴿ تاقت الى كل باطل * وساقت اليه الاثم والعار بالذى . دعته اليه من حلاوة عاجل ﴾ يعنى لتشترى الحياة الدنيا بالآخرة وقال حاتم . وانك ان اعطيت بطنك سؤله . وفرجك نالا منتهى الذم اجمعا ﴿ وحسم السبب الاول ﴾ وهوان يكون للنفس ميل آه ﴿ ان يجعل فكر قلبه حكما على نظر عينه فان العين رائد الشهوة ﴾ اى جاسوسها والرائد هو الذى يتقدم القوم يطلب لهم مرعى ومنزلا ﴿ والشهوة من دواعى الهوى ﴾ وتفصيل ذلك فى فصل المروءة ﴿ والقلب رائد الحق والحق من دواعى العقل . وقال بعض الحكماء نظر الجاهل بعينه وناظره ونظر العاقل بقلبه وخاطره ثم يتهم نفسه ﴾ اى بعد جعله فكر قلبه رقيبا على نظره يتهمها ﴿ فى صواب مااحبت وتحسين ما اشتهت ليتضح له الصواب ويتبين له الحق فان الحق اثقل محملا واصعب مركبا ﴾ مصدران مبنيان للمفعول يعنى فلذا لايستحسنه الهوى ﴿ فان اشكل عليه امران اجتنب احبهما اليه وترك اسهلهما عليه فان النفس عن الحق انفر وللهوى آثر وقد قال العباس بن عبد المطلب اذا اشتبه عليك امران فدع احبهما اليك وخذ اثقلهما عليك . وعلة هذا القول هوان الثقيل يبطئ النفس عن التسرع اليه فيتضح مع الابطاء وتطاول الزمان صواب مااستعجم وظهور مااستبهم ﴾ بالبناء للمفعول فيهما اى اشكل واغلق ﴿ وقد قال على بن ابى طالب كرم الله وجهه من تفكر ابصر ﴾ اى صار ذا بصيرة ﴿ والمحبوب اسهل شئ تسرع النفس اليه وتعجل بالاقدام عليه فيقصر الزمان عن تصفحه ﴾ وامعان النظر فى صفحاته بالتأمل الصادق لذلك الاسراع ﴿ ويفوت استدراكه لتقصير فعله ﴾ واضاعة زمان فرصته بالتأمل الكثير ﴿ فلاينفع التصفح بعد العمل ولا الاستبانة ﴾ وظهور الصواب ﴿ بعد الفوت ﴾ ولذا يقال خذ الامر بقوابله اى بمقدماته يعنى دبره قبل ان يفوتك

(٣) ولما خطب رسول الله عليه الصلاة والسلام خديجة رضى الله عنها قال عمها مثل محمد لاتقرع له العصا . واصل ذلك ان الناقة الكريمة اذا اتاها فحل غير كريم منعوه عنها وقرعوا بالعصا على انفه منه

تدبيره الا ان فوت الامر المحبوب اهون من الوقوع فى مكروه ﴿و﴾ لذا ﴿قال بعض الحكماء ماكان عنك معرضا﴾ بفواته ﴿فلاتكن به متعرضا﴾ اى متصديا ومباشرا ابتداء يعنى لاتترك التصفح خوف فواته ﴿وقال الشاعر﴾ من الوافر ﴿اليس طلاب ماقد فات جهلا﴾ اذلا يطالب المعدوم ﴿وذكر المرء مالا يستطيع﴾ اعادته واتخاذه والذكر هنا قلبى اذلا فائدة فيه وقد قيل . ولا يبعث الاحزان مثل التذكر ﴿واقد وصف بعض البلغاء حال الهوى ومايقارنه من محن الدنيـا فقال الهوى مطية الفتنة﴾ فيسوق اليها ﴿والدنيا دار المحنة فانزل عن الهوى تسلم واعرض عن الدنيا تغنم ولا يغرنك هواك بطيب الملاهى﴾ جمع ملهى او ملهاة اى بطيب اصوات آلات اللهو ونغمات المغنيات اذلامعنى لطيب الاعواد والاوتار ﴿ولا تفتنك دنياك بحسن العوارى﴾ جمع عارية اراد بها متاع الدنيـا ﴿فمدة اللهو﴾ بالملاهى ﴿تنقطع﴾ بالموت ﴿وعارية لدهر ترتجع﴾ اى ترجع الى صاحبها ﴿ويبقى عليك﴾ من اسماع الملاهى ﴿ماترتكبه من المحارم و﴾ من عارية الدهر ما ﴿تكتسبه من المآثم وقال على بن عبدالله الجعفرى﴾ المدينى الامام المبرز فى هذا الشان قال البخارى مااستصغرت نفسى عند احد قط الا عند ابن المدينى وقال عبدالرحمن على اعلم الناس بحديث رسول الله عليه الصلاة والسلام خاصة وقال الاعين رأيته مستلقيا واحمد بن حنبل عن يمينه ويحيى بن معين عن يساره وهو يملى عليهما روى عنه احمد واسماعيل القاضى والذهلى وابو حاتم ، البخارى وغيرهم ولد بسامرا ومات بالعسكر سنة اربع وثلاثين ومأتين ﴿سمعتنى امرأة بالطواف وانا انشد﴾ الظاهر ان البيت له او انشد متمثلا . من البسيط ﴿اهوى هوى الدين واللذات تعجبنى . فكيف لى بهوى اللذات والدين﴾ الهوى العشق ويستعمل فى الخير والشر يقال اخذه هوى سيء وهوى حسن اى عشق ويقال هويه من الباب الرابع اذا احبه والمراد ههنا المعنى الاخير لان العشق بواحدمنهما ممايمنع الالتفات بالآخر فكيف العشق بخلاف المحبة الذى هواعم ﴿فقالت﴾ تلك المرأة ﴿هماضرتان فذرايهما شئت وخذالاخرى﴾ لتستريح وقال الله تعالى ولن تستطيعوا ان تعدلوا بين النساء ولوحرصتم ﴿فمافرق مابين الهوى والشهوة مع اجتماعهما فى العلة﴾ هو لغة عبارة عن معنى يحل بالمحل فيتغير به حال المحل بلااختيار ومنه يسمى المرض علة لانه بحلوله يتغير حال الشخص من القوة الى الضعف وشريعة عبارة عما يجب الحكم به معه ويتكرر بتكرره وفى اصطلاح العروضيين التغيير فى الاجزاء الثمانية اذا كان فى العروض والضرب والعلة الشرعية مقارنة للمعلول بالزمان كالعلل العقلية ﴿والمعلول﴾ اى فى كون كل منهما مؤثرا فى فعل المعصية وموجبا له ومتأثرا عن الدواعى اليهما كارسال الطرف والتذكر واستماع مايحرك الشهوة ونحوها ﴿واتفاقهما فى الدلالة﴾ اذيقال شهيه وشهاه شهوة من الباب الرابع والاول اذا احبه ورغب فيه وهويه هوى اذا احبه وفى التعريفات الهوى ميلان النفس الى ما تستلذه من الشهوات من غير داعية الشرع والشهوة حركة للنفس طلبا للملائم لها ﴿والمدلول﴾ اى فى كون كل منهما دالا على مايدل عليه الآخر ومفهوما مما يفهم منه الآخر ﴿فهو﴾ اى الفرق ﴿ان الهوى مختص بالآراء والاعتقادات﴾ الفاسدة ﴿والشهوة مختصة بنيل اللذة﴾ المحرمة اوالمكروهة ﴿فصارت الشهوة من نتايج الهوى﴾ وتوابعه ﴿وهى اخص والهوى اصل هواعم﴾ فكل اهل شهوة اهل هواء من غير عكس

علة الشيء مايحتاج اليه الشيء فان كان جميع ما يحتاج اليه الشيء فهو العلة التامة وان كان بعض مايحتاج اليه الشيء فهو العلة الناقصة فيدخل فى العلة التامة الشرائط وزوال المانع والعلل الناقصة اربعة صورية ومادية وفاعلية وغائية وذلك لان العلة الناقصة اما ان تكون جزأ من المعلول اوخارجة عنه اذ يمتنع ان يكون نفس المعلول والاول اما ان يكون المعلول به بالفعل وهو الصورة كصورة السرير بالنسبة اليه اويكون المعلول به بالقوة وهى المادة كالخشب بالنسبة الى السرير ويسمى العنصر باعتبار انه جزء وهو اصل المركب والقابل ايضا باعتبار انه محل للصورة والثانى اى العلة الناقصة الخارجة عن المعلول اما ان تكون مؤثرة فى وجوده اى يكون وجود المعلول منها وهو الفاعل كالنجار بالنسبة الى السرير او تكون مؤثرة فى مؤثرية الفاعل اى الفاعل لاجله صار فاعلا وهو الداعى والغاية واما الشرائط وارتفاع الموانع فراجعة الى تتميم العلة المادية اوالفاعلية فلهذا لم يجعلا قسمين بالاستقلال كما فى شرح الطوالع منه

كلى ﴿ ونحن نسأل الله تعالى ان يكفينا دواعى الهوى ويصرف ﴾ عطف تفسير لقوله يكفينا ﴿ عناسبل الردى ﴾ بأن يذكرنا جلاله وعقابه وانه لا يخفى عليه خافية ويكون حاجزاً بيننا وبينه فنقول حين هممنا معصية انى اخاف الله رب العالمين ﴿ ويجعل التوفيق لنا قائداً ﴾ التوفيق جعل الله فعل عباده موافقاً لما يحبه ويرضاه وطلب القائد لما فى النفوس من الميل والمحبة الى الشهوات وقد سبق ان الحب يعمى ولابد للعميان من قائد ﴿ والعقل لنا مرشداً ﴾ فنسترشد ونرشد ونتعظ ونعظ ﴿ لقد روى ان الله تعالى اوحى الى عيسى عليه السلام عظ نفسك فان اتعظت فعظ الناس والا فاستحى منى ﴾ وقال على رضى الله عنه لا تكونن كمن يعجز عن شكر ما اوتى ويبتغى الزيادة فيما بقى ينهى ولا ينتهى ويأمر الناس بما لا يأتى يحب الصالحين ولا يعمل باعمالهم ويبغض المسيئين وهو منهم ويكره الموت لكثرة ذنوبه لا يدعها طول حياته ﴿ وقال محمد بن كناسة ﴾ من الكامل ﴿ ما من روى ادباً فلم يعمل به ﴾ اى بالادب الذى يرويه ومن اسم موصول واسم ما ﴿ ويكف عن زيغ الهوى ﴾ اى يمنع غيره لعدوله عن الحق والاستقامة ﴿ بأديب ﴾ خبر ما ﴿ حتى يكون بما تعلم عاملا ﴾ اى حين تعلمه فيكون التعليم بعد العمل كما انه بعد العلم ﴿ من صالح فيكون غير معيب ﴾ اسم مفعول من عاب ومن بيان لما ﴿ ولقلما تغنى اصابة قائل ﴾ الواو للقسم اى والله اقلما تنفع اصابة قائل فى قوله وجملة ﴿ افعاله افعال غير مصيب ﴾ صفة قائل ﴿ وقال آخر ﴾ وهو ابو الاسود الدؤلى من قصيدة طويلة ومنها

حسدوا الفتى اذلم ينالوا سعيه . فالقوم اعداءله وخصوم * كضرائر الحسناء قلن لوجهها . حسداً وبغضاً انه لذميم * وترى اللبيب محسداً لم يجترم . شتم الرجال وعرضه مشتوم * فاترك مجاراة السفيه فانها . ندم وغب بعد ذاك وخيم * واذا جريت مع السفيه كما جرى . فكلاكما فى جريه مذموم ﴿ يا ايها الرجل المعلم غيره . هلا لنفسك كان ذا التعليم ﴾ هلا بالتشديد حرف تحضيض وذا اسم اشارة اى هلا كان ذلك التعليم لنفسك ولا يكون التحضيض فى الماضى الذى قدفات الا انها تستعمل كثيراً فى لوم المخاطب على انه ترك فى الماضى شيئاً يمكن تداركه فى المستقبل فكأنها من حيث المعنى للتحضيض على فعل مثل مافات ﴿ تصف الدواء لذى السقام وذى الضنى ﴾ على وزن العصا المرض المخامر الذى كلما ظن برئه نكس فعطفه على السقام من عطف الخاص على العام اراد به التائب الناقض لتوبته وبذى السقام المصر على الذنب ﴿ كيما يصح به وانت سقيم ﴾ كى للسببية وما مصدرية وقيل ما كافة . ونراك تصلح بالرشاد عقولنا . ابداً وانت من الرشاد عديم ﴿ فابدأ بنفسك فانهها عن غيها ﴾ وطغيانها وقوله انه امر من نهى ﴿ فاذا انتهت عنه فانت حكيم ﴾ حينئذ وضمير عنه راجع الى الغى ﴿ فهناك تعذر ان وعظت ويقتدى ﴾ بالبناء للمفعول ﴿ بالقول منك ويقبل التعليم * لاتنه عن خلق وتأتى مثله ﴾ الواو للصرف والمضارع منصوب بها عند الكوفيين وبأن المقدرة عند غيرهم وشرطه ان يتقدم الواو نفى اوطلب وسميت واو الصرف لأن الفعل ينصب بعدها ارشاداً بصرفه عن سنن الكلام الى انها ليست عاطفة فالصورة صورة العطف والمعنى على الصرف اذ ليس الغرض نهى الاتيان فلو عطف وتأتى على تنه يكون التقدير ولا تأتى وهو خلاف المفروض كما فى المغنى اللبيب ﴿ عار عليك اذا فعلت عظيم ﴾ صفة عار ولذا جاز وقوع النكرة مبتدأ ومفعول فعلت

(محذوف)

محذوف اى اذا فعلت ذلك عليك عار عظيم وقد روى مسلم عن اسامة بن زيد قال سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول يؤتى بالرجل يوم القيامة فيلقى فى النار فتندلق اقتاب بطنه فيدور بها كما يدور الحمار بالرحى فيجتمع اليه اهل النار فيقولون يافلان مالك الم تكن تأمر بالمعروف وتنهى عن المنكر فيقول بلى كنت آمر بالمعروف ولا آتيه وانهى عن المنكر وآتيه* الاقتاب الامعاء والاندلاق خروج الشئ عن مكانه كما فى النووى ﴿ حكى ابو فروة ﴾ هو عدى بن عدى الجزرى الكندى التابعى روى عن ابيه وعمه العرس بن العميرة وهما صحابيان قال البخارى هو سيد اهل الجزيرة وكان عامل عمر بن عبد العزيز على الجزيرة والموصل وتوفى سنة عشرين ومأة ﴿ ان طارقاً صاحب شرطة خالد ﴾ الشرطة على وزن غرفة الطائفة المخصوصة من اعوان الوالى والحاكم يعبر عنه بالفارسية سرهنك ﴿ القسرى ﴾ بفتح فسكون بطن من قبيلة بجيلة هو خالد بن عبدالله بن يزيد بن اسد القسرى البجلى كان من امراء الدولة الاموية واخا هشام من الرضاعة ولى اليمن ومكة من قبل الوليد بن عبد الملك وولاه هشام العراقين بعد عمرو بن هبيرة وهو الذى قتل الجعد بن درهم اول من تكلم بخلق القرأن من امة محمد بدمشــق ثم طلب فهرب ثم نزل الكوفة فتعلم منه الجهم بن صفوان القول الذى نسب اليه الجهمية وقيل ان الجعد اخذ ذلك من ابان بن سمعان واخذه ابان من طالوت بن اعصم اليهودى الذى سحر النبى صلى الله عليه وسلم وكان يقول بخلق القرأن وكان طالوت زنديقا وهو اول من صنف لهم فى ذلك ثم اظهره الجعد بن درهم فقتله خالد القسرى يوم الاضحى بالكوفة وكان واليا عليها اتى به فى الوثاق فصلى وخطب ثم قال فى آخر خطبته انصرفوا وضحوا بضحاياكم تقبل الله مناومنكم فانى اريد اليوم ان اضحى بالجعد بن درهم فانه يقـول ما كلم الله موسى تكليما ولا اتخــذ الله ابراهيم خليلا تعالى الله عما يقول الظالمون علوا كبيرا ثم نزل وحز رأسه بالسكين بيده وطفئت نار تدينه الى ان نشأت فى ايام ابن ابى داود . وكان خالد جوادا فصيحا عظيم الهيبة وله اخبار ومكايد مات بالشام سنة ست وعشرين ومأة ﴿ مر بابن شبرمة ﴾ هو عبدالله بن شبرمة الكوفى القاضى فقيه اهل الكوفة وكان راوية شاعرا خطيبا ناسبا وكان حاضر الجواب وكان لاجتماع هذه الخصال فيه يشبه بعامر الشعبى وكان يكنى اباشبرمة وقال يحيى بن نوفل . لماسألت الناس اين المكرمة . والعز والجرثومة المقدمة . وابن فاروق الامور المحكمة . تتابع الناس على ابن شبرمة . وقال رجل من فقهاء المدينة من عندنا خرج العلم فقال ابن شبرمة نعم ثم لم يرجع اليكم وقال عيسى بن موسى دلونى على رجــل اوليه مكان كذا وكذا فقال ابن شبرمة اصلح الله الامير هل لك فى رجل ان دعوتموه اجابكم وان تركتموه لم يأتكم ليس بالملح طلبا ولا بالممعن هربا وله معاريض . سئل عن رجل فقال ان له شرفا وبيتا وقدما فنظروا فاذا هو ساقط من السفلة فقيل له فى ذلك فقال ما كذبت شرفه اذناه وقدمه التى يمشى عليها ولابدله من بيت يأوى اليه ﴿ وطارق فى موكبه ﴾ على وزن مسجد الجماعة ركبانا اومشاة اوهو ركاب الابل للزينة ﴿ فقال ابن شبرمة ﴾ متمثلا بقول عمران بن حطان . من الطويل . ارى اشقياء الناس لايسئمونها . على انهم فيها عراة وجوع ﴿ اراها وان كانت تحب ﴾ بالبناء للمفعول ﴿ كأنها ﴾ والضمائر للدنيا يعنى زخرفها وزينتها ﴿ سحابة صيف ﴾ خبر كأن ووجه الشبه عدم الدوام ﴿ عن قريب

تقشع ﴾ بحذف احدى التائين اى تنكشف وتضمحل ولما ولى بلال بن ابى بردة البصرة كان اذا اجتاز فى مواليه بخالد بن صفوان كان خالد يقول . سحابة صيف آه فبلغ قوله بلالا فقال والله لا تقشع حتى يصيبك منها شؤبوب فرده ثم ضربه مأة سوط كما فى الشريشى ولعل طارقا لم يبلغه تمثل ابن شبرمة ولذا اصاب ديمتها فى حديقته ﴿ اللهم لى دينى ولهم دنياهم ﴾ من مقول قال اى قال متمثلا وقال اللهم اعطيت اواخترت لى دينى ولهم دنياهم والمراد لازمه اى رضيت بالدين والعلم ورضوا بالمال والجاه ﴿ فاستعمل ﴾ بالبناء للمفعول من طرف ابى جعفر المنصور ﴿ ابن شبرمة بعد ذلك ﴾ القول ﴿ على القضاء فقال ابنه ابو بكر اتذكر ﴾ الهمزة للاستفهام الانكارى ﴿ قولك يوم كذا اذ مر بك طارق فى موكبه ﴾ يعنى اين رضاك بالدين وهذا كما قيل لرويم حين تقلد القضاء من كان له وديعة فليأتها برويم فانه حفظ حب الدنيا اربعين سنة ولم يشعر باحد ﴿ فقال يا بنى انهم يجدون مثل ابيك ﴾ لاستعماله على القضاء ﴿ ولا يجد ابوك مثلهم ﴾ يعرفون قدره وينوهون ذكره ﴿ ان اباك اكل من حلوائهم فحط فى اهوائهم ﴾ اى سقط فيما سقطوا انتهى الحكاية فقال المصنف ﴿ اما ترى هذا الدين ﴾ على وزن سيد اى عظيم الدين ﴿ الفاضل كيف عوجل بالتقريع ﴾ والتعنيف ﴿ وقوبل بالتوبيخ من اخص ذويه ﴾ اى اصحابه وتلامذته ﴿ ولعله من ابر بنيه ﴾ اى اكثرهم برا واطاعة ﴿ فكيف بنا ونحن اطلق منه عنانا ﴾ بكسر العين اللجام الذى تمسك به الدابة اراد به اللسان ﴿ واقلق منه جنانا ﴾ بفتح الجيم اى اضيق منه قلبا والقلق الانزعاج والاضطراب والضيق لازمه اوملزومه ﴿ اذا رمقتنا اعين المتتبعين ﴾ الرمق اللحظ الخفيف وذلك النظر هو نظر الاستخفاف والاستهزاء ﴿ وتناولتنا السن المتعتبين ﴾ اسم فاعل من تعتبه اذا خاطبه الادلال اراد بهم الاعداء الذين هم فى صورة الاصدقاء فيطعنون كأنهم يمازحون وبين المتتبع والمتعتب من الجناس ما يسمى بالمقلوب وقد قال عامر بن عبد القيس الكلمة اذا خرجت من القلب وقعت فى القلب واذا خرجت من اللسان لم تجاوز الآذان ﴿ هل نجد غير توفيق الله تعالى ﴾ بما نأمر به ﴿ ملاذا وسوى عصمته ﴾ عما نهينا عنه ﴿ معاذا ﴾ اى ملجأ اللهم اجعلنا من الذين يستمعون القول فيتبعون احسنه ولا تجعلنا من الذين يأمرون الناس بالبر وينسون انفسهم وينبذون كتاب الله وراء ظهورهم كأنهم لا يعلمون وصلى الله على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه وسلم تسليما كثيرا الى يوم الدين والحمد لله رب العالمين

باب ادب العلم

هو لغة مصدر علمه اذا عرفه والمراد الحاصل بالمصدر المعبر عنه بالفارسية بدانش لا الحدث الغير القار بالذات المعبر عنه بدانستن والمعرفة ادراك الشئ بتفكر وتدبر لاثره فلا يقال يعرفه الله بل يعلمه الله فالعلم اعم من المعرفة وفى عرف المتكلمين هو الاعتقاد الجازم المطابق للواقع وقال الحكماء هو حصول صورة الشئ فى العقل والاول اخص من الثانى والجهل نقيضه وينقسم العلم الحادث الى قسمين بديهى ويعبر عنه بالضرورى واستدلالى ويعبر عنه بالاكتسابى فالبديهى مالا يحتاج الى تقديم مقدمة كالعلم بوجود نفسه والعلم الحاصل بالحواس الخمس الظاهرة

والاستدلال مايحتاج الى تقديم مقدمة كالعلم بثبوت الصانع وقدمه وحدوث الاعيان والاعراض وله انواع وتقسيمات كثيرة متعلقة بكل فن مخصوص ﴿ اعلم ان العلم اشرف مارغب فيه الراغب وافضل ماطلب وجد ﴾ اى سعى وجهد ﴿ فيه الطالب وانفع ما كسبه واقتناه الكاسب ﴾ اى اتخذه ﴿ لان شرفه يثمر ﴾ من الاثمار ﴿ على صاحبه ﴾ والثمر يطلق على انواع المال اى يرجع بنفعه على صاحبه ﴿ وفضله ينمى ﴾ ويكثر ﴿ على طالبه قال الله تعالى ﴾ فى سورة الزمر ﴿ قل هل يستوى الذين يعلمون والذين لايعلمون فمنع ﴾ معطوف على قال ﴿ المساواة بين العالم والجاهل لما قد خص به ﴾ اى امتيز به ﴿ العالم من فضيلة العلم وقال تعالى ﴾ فى العنكبوت (وتلك الامثال نضربها للناس) كان الجهلة والسفهاء من قريش يقولون ان رب محمد يضرب المثل بالذباب والعنكبوت ويضحكون من ذلك فلذلك قال ﴿ وما يعقلها الاالعالمون ﴾ اى لايعقل صحتها وحسنها وفائدتها الا هم لان الامثال والتشبيهات انما هى الطرق الى المعانى المحتجبة فى الاستار حتى يبرزها وتكشف عنها وتصورها للافهام وعن النبى صلى الله عليه وسلم انه تلا هذه الآية فقال العالم من عقل عن الله فعمل بطاعته واجتنب سخطه كما فى الكشاف ﴿ فنفى ان يكون غير العالم يعقل عنه ﴾ اى عن الله ﴿ امرا او يفهم منه زجرا ﴾ اخذ ذلك المعنى من القصر لاشتماله على الحكمين المثبت وهو مااشار اليه الزمخشرى من الحديث والمنفى وهو ماذكره المصنف ﴿ وروى عن النبى صلى الله عليه وسلم انه قال اوحى الى ابراهيم عليه السلام انى عليم احب كل عليم ﴾ الوحى الاعلام بواسطة جبريل اوغيره (وروى ابو امامة) كمارواه الترمذى عنه ﴿ قال سئل رسول الله صلى الله عليه وسلم عن رجلين احدهما عالم والآخر عابد فقال صلى الله عليه وسلم فضل العالم ﴾ العامل بعلمه ﴿ كفضلى على ادناكم ﴾ اى نسبة شرف العالم الى شرف العابد كنسبة شرف النبى صلى الله عليه وسلم الى ادنى شرف الصحابة (ان الله عز وجل وملائكته واهل السموات والارضين حتى النملة فى جحرها) لنفعها بالعلم وهو الامر بدفع ضررها بالاخف فالاخف والنهى عن حرقها مثلا فلا يتوهم انها تدخر من قوتها ماتكون مستغنية عن الخلق فلا يصل لها نفع العالم ويقال نحو ذلك فى الحوت (وحتى الحوت) فى البحر (ليصلون على معلم الناس الخير) ولا رتبة فوق رتبة من يرحمه الله وتشتغل الملائكة وجميع الخلق بالاستغفار والدعاء له كذا فى الجامع الصغير ﴿ وقال على بن ابى طالب رضى الله عنه الناس ابناء مايحسنون ﴾ اى ابناء ماينسبون اليه من العلوم والصنائع فيقال فلان العالم وفلان المجاهد وفلان الموسيقى او الطنبورى الى غير ذلك (وقال مصعب) على وزن اسم المفعول من الافعال ﴿ بن الزبير ﴾ بن العوام ابو عبدالله من اهل المدينة والتابعين وكان يجالس اباهريرة وحكى عن عمر وروى عن أبيه وسعد و ابى سعيد الخدرى وكان يقال له النحل لجوده وكان جميلا وسياشجاعا قتل سنة اثنتين وسبعين وسنه خمس وثلاثون سنة عند دير الجاثليق على شاطئ نهر يقال له دجيل وقبره معروف هناك وكان عبد الملك بن مروان سار فى جنود هائلة من الشام فالتقى مصعبا فانهزم جيش مصعب لنفاق جماعة من عسكره وقتل منهم خلق كثير وكان فى هذه الايام عبدالله بن الزبير يدعى له بالخلافة فى ارض الحجاز واخوه مصعب كان عامله على البصرة والكوفة ﴿ تعلم العلم فان يكن لك مال كان ﴾ العلم ﴿ لك جمالا ﴾ تتزين به فى المجامع والانادى ﴿ وان لم يكن لك مال كان لك مالا ﴾ تعيش به

﴿ وقال عبدالملك بن مروان ﴾ فى معجم الطبرانى من حديث عبدالملك قال كنت اجالس بريرة بالمدينة فكانت تقول لى ياعبدالملك انى ارى فيك خصالا وانك لخليق ان تلى هذا الامر فان وليته فاحذر الدنيا فانى سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول ان الرجل ليدفع عن باب الجنة بعد ان ينظر اليها بملئ محجمة من دم يريقه من مسلم بغير حق انتهى كما فى العينى ﴿ لبنيه يا بنى ﴾ بادغام ياء الجمع المذكر فى ضمير المتكلم ﴿ تعلموا العلم فان كنتم سادة ﴾ جمع سيد اصله سيودة ﴿ فقتم ﴾ جمع مخاطب من فاق فلان اصحابه اذا علاهم بالشرف ﴿ وان كنتم وسطا سدتم ﴾ اى صرتم سادة ﴿ وان كنتم سوقة ﴾ بضم السين الرعية يستوى فيه المفرد والجمع والمذكر والمؤنث سمو به لسوقهم السلطان والامير حيث شاء ﴿ عشتم ﴾ بكسر العين لانه يائى والاولان واويان والظاهر انه اراد بالسيادة ماهو الاعم من شرف الآباء والغنى وبالسوقة ماهو الاعم من خمول الآباء والفقر ولذا خص العيش بهم ﴿ وقال بعض الحكماء العلم شرف لاقدر له ﴾ بفتح فسكون اى لامقيس له حتى يقاس به من قدره به من الباب الاول والثانى اذا قاسه به ﴿ والادب مال لاخوف عليه ﴾ من نحو السرقة والغصب والحرق والغرق على انه يكثر وينمى كلما صرف وبذل ﴿ وقال بعض الادباء العلم افضل خلف ﴾ بفتحتين الولد الصالح وما يستخلف من شئ ويقوم مقامه اذ ينتفع به ويعظم ذكره على مر الدهور والاعصار ولا يسب به ﴿ والعمل به اكمل شرف ﴾ لجمعه فضيلتى العالمية والعاملية ﴿ وقال بعض البلغاء تعلم العلم فانه يقومك ويسددك ﴾ اى يرشدك للسداد اى الصواب من القول والعمل حال كونك ﴿ صغيرا ويقدمك ويسودك ﴾ اى يصيرك سيدا ﴿ كبيرا ﴾ وبين يقوم ويقدم وكذا بين يسدد ويسود من الجناس مايسمى باللاحق ﴿ ويصلح زيفك وفاسدك ﴾ تفسير للسداد لان الزيف الدرهم المغشوش فيلزمه الردو الفساد ﴿ ويرغم عدوك وحاسدك ﴾ اى يسخطه يغضبه لعدم وجدانه مايشمت ويذم به او يذله لعدم نيله بمانلت ﴿ ويقوم ﴾ اى يسدد ﴿ عوجك ﴾ على وزن عنب اسم من العوج بفتحتين يقال عوج الشئ من الباب الرابع ضد استقام ﴿ وميلك ويصحح همتك واملك ﴾ على سنن الشرع وادب العقل ﴿ وقال على رضى الله عنه قيمة كل امرئ مايحسن فاخذه الخليل ﴾ ابو عبدالرحمن بن احمد البصرى الفراهيدى ولد بالبصرة سنة مأة ونشأ بها واشتغل بالعلوم وصنف الكتب الكثيرة واجودها العروض وهو اول من وضعه فجاء من عجائب المخترعات كالشطرنج وشبهه ثم تبرمه فيه الناس وكان الخليل من ازهد الناس واعلاهم نفسا واشدهم تعففا ولقد كان الملوك يقصدونه ويتعرفون اليه لينال منهم فلم يكن يفعل وكان يعيش من بستان له خلفه عليه والده وكان يغزو سنة ويحج اخرى حتى جاءه الموت سنة ستين ومأة ويذكر اشياء كثيرة من كلامه فى هذا الكتاب . وقال ثلاثة اشياء انا اجبها لنفسى ولمن احب رشده احب ان اكون بينى وبين ربى من افضل عباده واكون بينى وبين الخليفة من اوسطهم واكون بينى وبين نفسى من شرهم . قال عبدالله بن داود لوكتب شئ بالذهب لكتب هذا . وقرأ عليه شخص كتاب العروض مدة فلم يفهم منه شيئا واتعبه فقال له الخليل يوما قطع هذا البيت . اذا لم تستطع شيئا فدعه . وجاوزه الى ماتستطيع * ففهم الرجل التعريض ولم يعد . ودخل على مريض يعوده فقال اخو المريض افتح عينك فان ابو عبد الرحمن حضر فقال الخليل ماداء اخيك الامن كلامك *

ومن شعره . العلم يذكى عقولا حين يصحبها . وقد يزيدها طول التجاريب * وذو التأدب في الجهال مغترب . يرى ويسمع الوان التعاجيب ﴿فنظمه شعرا فقال﴾ من الخفيف ﴿لايكون العلى مثل الدنى﴾ هما صيغتا فعيل بمعنى الفاعل اى العالى قيمة مثل ساقطها اولسبا او قدرا او همة الى غير ذلك ﴿لا﴾ تأكيد لفظى حذف فعله اى لايكون وانما وكذا النفى لدفع احتمال كون الاستفهام مقدرا فى صدر الكلام واكده ايضا بقوله ﴿ولا ذو الذكاء مثل الغبى﴾ فقوله ﴿قيمة المرء﴾ تذييل اخرج مخرج المثل وبيان لمأخذ الحكم ﴿قدر مايحسن المرء﴾ اى قيمته بقدر مايحسنه ان غاليا فغال وان رخيصا فرخيص والجملة الاسمية مرفوعة المحل مبتدأ خبره قوله ﴿قضاء﴾ اى ذلك الحكم قضاء صدر ﴿من الامام على﴾ رضى الله عنه عطف بيان من الامام ﴿وليس يجهل فضل العلم الا اهل الجهل لان فضل العلم انما يعرف بالعلم وهذا ابلغ فى فضله﴾ لان التعزز والتمنع عن الاغيار فضل وكمال لكل محبوب فانشدت للبهائى . كل من لم يعشق الوجه الحسن . قرب الجل اليه والرسن * يعنى آنكس راكه نبود عشق يار . بهر اوپالان وافسارى بيار ﴿لان فضله لايعلم الا به﴾ وهذا هو السبب فى حسد بعض العلماء ببعض ﴿فلما عدم﴾ من الباب الرابع ﴿الجهال العلم﴾ اى لما لم يجدوه ابتداء والعدم اعم منه ومن الاضاعة بعد النيل بشئ والمراد هنا الاول ﴿الذى به يتوصلون الى فضل العلم جهلوا فضله واسترذلوا اهله وتوهموا ان ماتميل اليه نفوسهم من الاموال المقتناه﴾ اسم مفعول من اقتنى الشئ اذا كسبه ﴿والطرف﴾ بضم الطاء جمع طريف وطراف يقال مال طارف وطريف اى حديث مستحدث ويقابله التالد والتليد ﴿المشتهاه اولى﴾ خبر ان ﴿ان يكون اقبالهم عليها﴾ اى بان يكون لان اسم التفضيل لاينصب المفعول به وحذف الجار من ان قياس ﴿واحرى﴾ اى واليق ﴿ان يكون اشتغالهم بها﴾ اى من اقبالهم واشتغالهم بالعلوم وسبب ذلك التوهم كونهم محبوسين فى سجن الطبيعة واللذائذ الجسمانية كما ان الجنين فى الرحم والدود فى الفواكه غافل عن هذا العالم ولذائذها وهم غافلون عن اللذائذ الروحانية وجذباتها واشواقها وعن سائر احوالها فلو خرجوا علموا حينئذ انهم كانوا مسجونين ويستقبحون بل يستقذرون الرجوع اليه وقال الله تعالى او من كان ميتا فاحييناه وجعلنا له نورا يمشى به فى الناس كمن مثله فى الظلمات ليس بخارج منها ﴿وقد قال﴾ ابو العباس عبد الله ﴿ابن المعتز﴾ بالله من اقدم شعراء العرب فى الاوصاف والتشبيهات اخذ من المبرد وثعلب ونحوهما . ومن المنقول ان ابن المعتز مع كماله وغزارة فضله كان لم يزل منغصا فى مدة حياته بويع له بالخلافة وظن ان الحظ قد تنبه له فلم يتم الامر له الا يوما واحدا ثم قبض عليه وقتل رحمه الله على انه ماوافق على ولاية الامر حتى اشترط عليهم ان لايسفكوا فى واقعته دما ومحله من الادب لايخفى وشمة فضله كالصبح لاتطفى قال على بن بسام يرثيه على ما كان بينهما من العداوة . لله درك من ملك بمضيعة . ناهيك فى العلم والآداب والحسب * مافيه لولا ولاليت تنقصه . وانما ادركته حرفة الادب * وكان ابن المعتز قام على المقتدر فلما ظفر به امر به فى صهريج فيه ماء فى شدة البرد فمات ومن عجائب الدنيا ان اباه المعتز لما خلع عن الملك ادخل حماما واغلق عليه فمات من حره ومن شعره . يانفس صبرا لعل الخير عقباك * خانتك من بعد طول الامن دنياك * مرت بنا سحرا طير

فقلت لها . طوباك ياليتنى اياك طوباك * ان كان قصدك شوقا بالسلام على . شاطى الفرات ابلغى ان كان مثواك * من موثق بالمنـايا لافكاك له . يبكى الدماء على الف له باك ﴿ فى منثور الحكم العالم يعرف الجاهل لانه كان جاهـلا ﴾ اولا ﴿ والجاهل لايعرف العـالم لانه لم يكن عالما ﴾ بعد ﴿ وهذا صحيح ولاجله ﴾ اى لعـدم معرفتهم ﴿ انصرفوا عن العلم واهـله انصراف الزاهدين ﴾ عن الدنيا واهلهـا ﴿ وانحرفوا عنه وعنهم انحراف المعـاندين لان من جهل شيئا عاداه وانشدنى ابن لنكك لابى بكر بن دريد ﴾ على وزن زبير مصغر ادرد مرخما وهو محمد بن الحسن بن دريد البصرى امام عصره فى الادب والشعر واللغة صـاحب كتاب الجمهرة عرض له فى رأس التسعين من عمره فالج فسقى له الترياق فبرأ ثم عاوده بعد احوال فكان يحرك يده حركة خفيفة وكان مع هذا الحال ثابت الذهن كامل العقل توفى سـنة احدى وعشرين وثلثمأة وقال جحظة يرثيه * فقدت بابن دريد كل فائدة . لما غدا ثالث الاحجار والترب * وكنت ابكى لفقد الجود مجتهدا . فصرت ابكى لفقد الجود والادب * ويأتى فى فصل الكلام تمهيده شعر الشيطان . من الطويل ﴿ جهلت فعاديت العلوم واهلها . كذاك يعادى العلم من هو جاهـله * ومن كان يهوى ان يرى ﴾ بالبناء للمفعول ﴿ متصـدرا . ويكره لاادرى ﴾ اى يكره قول لاادرى ﴿ اصيبت مقاتله ﴾ جمع مقتل اسم زمان اومكان وهو نائب فاعل لاصيبت يعنى كل من يريد افحامه وقتله بالعلم فقد يصيبه فى تلك الامكنة اوتبدو تلك الازمنة كثيرة اقتبسـه من قول ابن عباس اذا ترك العالم قول لاادرى اصيبت مقاتله كما سيأتى واقتبسه جرير فقال . ولما استقر الحب القت بى العصا . ومات الهوى لما اصيبت مقاتله * وقد عد النبى صلى الله عليه وسـلم لاادرى من العلم فقال (العلم ثلاثة كتاب ناطق) اى مبين (وسنة ماضية) اى جارية مستمرة (ولاادرى) اى قول المجيب لمن سأله عما لايعلم حكمه لاادرى كما رواه ابو نعيم عن ابن عمر رضى الله عنهما قال الشيخ الحفنى فقد قالهـا الائمة الاربع وبعض اكابر الصحـابة ومن اخطأ لا ادرى اصيبت مقاتله وتسمية لاادرى علما باعتبار انه لايقولها الامن اتصف بالعلم النافع الذى انار قلبه اما اهل الاهواء فيجيبون عن كل ماسئلوا عنـه وان لم يتحققوا الجواب خوفا على مقامهم فهذا من سوء الحال وان وافق الجواب الواقع انتهى فلا ادرى ثلث العلم فاكراهه معاداة لبعض العلم ولذا قالوا من علامة الجهل ان تجيب عن كل ماتسئل عنه ﴿ وقيل لبزر جمهر العلم افضل ام المال فقال بل العلم قيل فمالنا نرى العلماء على ابواب الاغنياء ﴾ يطلبون بما عندهم من المـال ﴿ ولانكاد نرى الاغنياء على ابواب العلمـاء ﴾ يطلبون بما عندهم ﴿ فقـال ذلك لمعرفة العلماء بمنفعة المـال وجهل الاغنياء بفضـل العلم وقيل لبعض الحكمـاء لم لايجتمع العلم والمـال فقال لعز الكمـال ﴾ يقال عز الشئ من الباب الثـانى اذا قل بحيث لايكاد يوجد ﴿ فانشـدت لبعض اهل هذا العصر ﴾ وهو اربعمأة من الطويل ﴿ وفى الجهل قبل الموت موت لاهله ﴾ اى لاهل الجهل اذ ليس فيهم معرفة ولا كمال كالجمادات ﴿ فاجسامهم قبل القبور قبور ﴾ اى قبل دخول القبور مثل القبور فى اشتمالها ماهو بمنزلة الموتى والتنكير فى الموضعين للتحقير وذلك لان الموت قطع علاقة الروح من البـدن ومنه ماهو شهـادة وتحفة للمؤمن به يصل المحب الى حبيبه والغريب الى وطنه ومن القبور مايزار ويتبرك بمن فيها والجهل ميتة سوء

فاجسام الجهال قبور اسواء لايرجى منها خير ولايؤمل فيها نفع ﴿ وان امرألم يحى بالعلم ميت .
فليس له حق النشور ﴾ اى الى القيام والبعث من القبور يقال نشر الله الموتى فنشروا نشرا
ونشورا اى احياهم فحيوا ﴿ نشور ﴾ اى انتباه من الغفلة وقيام من قبور اجسامهم
والانتباه من لوازم الحياة يعنى لوكانوا حيا الانتبهوا * وقال على رضى الله عنه * ماالفخر الا
لاهل العلم انهم . على الهدى لمن استهدى ادلاء * وقدر كل امرئ ماكان يحسنه . والجاهلون
لاهل العلم اعداء * ففز بعلم تعش حيابه ابدا . الناس موتى واهل العلم احياء ﴿ ووقف
بعض المتعلمين بباب عالم ثم نادى تصدقوا بما لايتعب ﴾ من الاتعاب ﴿ ضرسا ﴾ للينه
وحلاوته ﴿ ولايسقم نفسا ﴾ لكونه هنيئا مريئا حسن الصنيعة ﴿ فاخرج ﴾ العالم ﴿ له
طعاما ونفقة ﴾ وتجاهل عن التعريض لدفع توهم البخل واللؤم ﴿ فقال ﴾ ذلك البعض
﴿ فاقتى الى كلامكم ﴾ الموصوف بالحلاوة وحسن الصنيعة ﴿ اشد من فاقتى الى طعامكم انى طالب
هدى لاسائل ندى ﴾ اى عطية ﴿ فاذن له العالم ﴾ بالدخول الى منزله ﴿ وافاده من كل
ماسأل عنه فخرج جذلا فرحا ﴾ على وزن كتف صفتان من الباب الرابع اى مسرورا
ومنبسطا ﴿ وهو يقول علم اوضح لبسا ﴾ بفتح فسكون اى شبهة ﴿ خير من مال اغنى نفسا
* واعلم * ان كل العلوم شريفة ولكل علم منها فضيلة ﴾ مخصوصة به ﴿ والاحاطة بجميعها
محال ﴾ لعجز عقول البشر عن احاطتها اولعدم تناهيها مع تناهى الاعمار واحاطة الغير المتناهى
بالمتناهى محال ﴿ قيل لبعض الحكماء من يعرف كل العلوم فقال كل الناس ﴾ بطريق انقسام الآحاد الى
الآحاد ﴿ وروى عن النبى صلى الله عليه وسلم انه قال من ظن ان للعلم غاية ﴾ ينتهى فيها
﴿ فقد بخسه حقه ﴾ اى نقصه وظلمه وبابه فتح ﴿ ووضعه فى غير منزلته التى وصفه الله بها حيث
يقول ﴾ فى الاسراء (ويسئلونك عن الروح قل الروح من امر ربى) اى من وحيه وكلامه
﴿ وما اوتيتم من العلم الا قليلا ﴾ الخطاب عام روى ان رسول الله عليه الصلاة والسلام لما قال
لهم ذلك قالوا نحن مختصون بهذا الخطاب ام انت معنا فيه قال بل نحن وانتم لم نؤت من العلم
الا قليلا فقالوا مااعجب شانك ساعة تقول ومن يؤت الحكمة فقد اوتى خيرا كثيرا وساعة تقول
هذا فنزلت ولو ان مافى الارض من شجرة اقلام لاية وليس ماقالوه بلازم لان القلة والكثرة
تدوران مع الاضافة فيوصف الشئ بالقلة مضافا الى مافوقه وبالكثرة مضافا الى ماتحته فالحكمة
التى اوتيها العبد خير كثير فى نفسها الا انها اذا اضيفت الى علم الله تعالى فهى قليلة كما فى الكشاف
﴿ وقال بعض العلماء لوكنا نطلب العلم لنبلغ غايته كنا قد بدأنا العلم بالنقيصة ﴾ ولم نعرفه بوجه
من الوجوه وقد قالوا توجه النفس نحو المجهول المطلق محال ولذا يلزم للشارع فى علم تصوره بوجه ما
﴿ ولكننا نطلبه لننقص فى كل يوم من الجهل ونزداد فى كل يوم من العلم ﴾ اى من علمنا ﴿ وقال
بعض العلماء المتعمق فى العلم ﴾ اى مبالغ الفكر والنظر والمدقق فيه ﴿ كالسابح فى البحر ليس يرى
ارضا ﴾ يعنى برا لبعده منه كل البعد ﴿ ولايعرف طولا ولاعرضا ﴾ الطول عبارة عن الامتداد
الاول ، والعرض عبارة عن الانبساط والامتداد الثانى فى خلاف جهة الطول ويقابلهما العمق وهو
البعد المقاطع للطول والعرض ويعبر عنها بالابعاد الثلاثة يعنى لايعرف طرفه القريب من الساحل
من الطرف البعيد منه لعدم تناهيهما بالنسبة الى السابح وان كانا متناهيين فى ذاتهما كما ان مسافة

يوم للماشي غير متناه بالنسبة الى الجمل وهكذا حال العلوم بالنسبة الى العالم والعلامة ولم يذكر العمق لان الوصف معتبر وهو السباحة وهي تكون في سطح الماء وظهره ﴿ وقيل لحماد الراوية ﴾ ابي القاسم حماد بن ميسرة الشيباني من مخضرمي الدولتين الاموية والعباسية لقب بالراوية لكثرة روايته باشعار العرب فالتاء للمبالغة كما في النسابة توفي سنة خمس وستين ومأة ﴿ اما تشبع من هذه العلوم فقال استفرغنا المجهود ﴾ اي بذلنا فيها غاية طاقتنا وتمام وسعنا ﴿ فلم نبلغ منها المحدود ﴾ والمنزل الاول الذي ينزل فيه القافلة ﴿ فنحن كما قال الشاعر ﴾ من الرجز ﴿ اذا قطعنا علما بداعلم ﴾ بفتحتين الجبل اي اذا فرغنا من امر حدث امر آخر كما في مجمع الامثال ضربه لعدم تناهي العلوم وهذا كما قال السعدي. مجلس تمام كشت وبآخر رسيد عمر. ماهمچنان دراول وصف تومانده ايم ﴿ والرشيد ﴾ ابو جعفر هرون الرشيد بن محمد المهدي بويع له بعد اخيه موسى الهادي وكانت خلافته عرس الدنيا قرأ الموطأ على مالك وكان راغبا في العلم واهله مات بطوس سنة ثلاث وتسعين ومأة ﴿ عن المهدي بيتين وقال انظمهما له ﴾ من البسيط ﴿ يانفس خوضي بحار العلم اوغوصي ﴾ امر مخاطبة من غاص في الماء يغوص اذا نزل تحته وكذا الخوض ﴿ فالناس مابين معموم ومخصوص ﴾ يعني محكوم على بعضهم بالعامية وعلى بعضهم بالخاصية يقال عمهم بالعطية اذا اشملهم . سمي به الطائفة المخصوصة لعدم امتيازهم بصفة فاضلة يقال في نسبته عامي ويقابله الخواص يعني خوضي بحار العلم حتى تغتسل من حدث العامية وتطهر من اخلاقهم وافعالهم القبيحة وفيه ايماء الى ان ذلك الحدث لايزول بالخوض في نهر ونحوه ولا في بحر واحد ﴿ لاشئ في هذه الدنيا تحيط به ﴾ اي بجميع اجزائه او افراده او انواعه ﴿ الا احاطة منقوص بمنقوص ﴾ كتوقي العريان من البرد بشبكة الحوت ومما ينسب للزمخشري . العلم للرحمن جل جلاله . وسواه في جهلاته يتغمغم * ماللتراب وللعلوم وانما . يسعى ليعلم انه لايعلم ﴿ واذا لم يكن الى معرفة جميع العلوم سبيل وجب صرف الاهتمام الى معرفة اهمها والعناية باولاها وافضلها واولى العلوم وافضلها علم الدين ﴾ المبين بالكتاب والسنة والمستنبط منهما قال الجامي . نامه كش عنوان نه قال الله يا قال النبي است . حاصل ومضمون آن خسران روز محشر ست ﴿ لان الناس بمعرفته يرشدون وبجهله يضلون اذ لايصح اداء عبادة جهل فاعلها صفات ادائها ولم يعلم شروط اجزائها ﴾ مصدر اجزأه اي كفاه وحد الكفاية ادنى مايسقط به الفرض فلا تصح عبادة دون ذلك الحد ﴿ ولذلك قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ﴾ كما رواه الطبراني عن حذيفة بن اليمان والحاكم عن سعد بن ابي وقاص ﴿ فضل العلم خير ﴾ وفي رواية احب الي ﴿ من فضل العبادة ﴾ قال المناوي اي نفل العلم افضل من نفل العمل كما ان فرض العلم افضل من فرض العمل ﴿ وانما كان كذلك لان العلم يبعث ﴾ ويدل ﴿ على ﴾ عمل ﴿ افضل العبادة ﴾ من حد الكفاية ﴿ والعبادة مع خلو فاعلها من العلم بها قد لاتكون عبادة ﴾ بل مضحكة كمن صلى الفجر ثلاثا والمغرب اربعا على زعم ان الزيادة فضيلة وعزيمة ﴿ فلزم علم الدين كل مكلف وكذلك قال النبي صلى الله عليه وسلم ﴾ كما رواه الطبراني عن الحسين بن علي وابن عباس وابن مسعود وابي سعيد والخطيب عن علي وتمام عن ابن عمر واسانيده ضعيفة لكن تقوى بكثرة طرقه ﴿ طلب العلم فريضة على كل مسلم وفيه تأويلان احدها علم مالايسع

جهله من العبادات ﴾ وكل ماتتوقف عليه صحتها وكذا علم مايتعلق بالاعتقاديات كمعرفة الصانع والعلم بوحدانيته وسائر صفاته ورسله ونحو ذلك ﴿ والثانى جملة العلم اذا لم يقم بطلبه من فيه كفاية ﴾ من ذلك الجملة تحصيل ملكة الاجتهاد والفتيا والامر بالمعروف والنهى عن المنكر والترغيب والترهيب وماتتوقف هى عليها ﴿ واذا كان علم الدين قد اوجب الله فرض بعضه على الاعيان وفرض جميعه على الكافة كان ﴾ طلب علم الدين ﴿ اولى ﴾ واقدم ﴿ مما لم يجب فرضه على الاعيان ولا على الكافة ﴾ بل ابيح وعد فضيلة كعلم تواريخ الاخبار والتعمق فى الحساب ودقائق الطب والطبيعيات وغير ذلك مما يستغنى عنه فى قوام امور الدنيا والدين واما اصل الطب والحساب والنجوم فمن فروض الكفاية وكذا الصناعات كالفلاحة والحياكة والسياسة بل الحجامة والخياطة من فروض الكفايات فانه لو خلا البلد من الحجام تسارع الهلاك اليهم وحرجوا لتعريضهم انفسهم الى الهلاك فان الذى انزل الداء انزل الدواء وارشدهم الى استعماله واعد الاسباب لتعاطيه فلا يجوز التعرض للهلاك باهماله . والعلوم الشرعية لها اصول وفروع ومقدمات ومتممات (الضرب الاول الاصول) وهى اربعة كتاب الله عزوجل وسنة رسوله صلى الله عليه وسلم واجماع الامة وآثار الصحابة والاجماع اصل من حيث يدل على السنة فهو اصل فى الدرجة الثالثة وكذا الاثر فانه يدل ايضا على السنة لان الصحابة رضى الله عنهم قدشاهدوا الوحى والتنزيل وادركوا بقرائن الاحوال ماغاب عن غيرهم عيانه وربما لا يحيط العبارات بما ادرك بالقرائن فمن هذا الوجه رأى العلماء الاقتداء بهم والتمسك بآثارهم (والضرب الثانى الفروع) وهى مافهم من هذه الاصول لا بموجب الفاظها بل بمعان تنبه لها العقول كما استنبط الفقهاء مسائل من اصل واحد (والضرب الثالث المقدمات) وهى التى تجرى منه مجرى الآلات كعلم اللغة والنحو والصرف والاشتقاق وكتابة الخط ونحوها فانها آلة لعلم كتاب الله وسنة رسوله (والضرب الرابع المتممات) كعلم القراآت ومخارج الحروف فى الكتاب وكعلم الرجال واساميهم وانسابهم وصفاتهم من العدالة والجرح واسماء الصحابة فى الآثار والاخبار وكمعرفة التفسير والناسخ والمنسوخ والعام والخاص وكيفية استعمال البعض منه مع بعض وهو العلم الذى يسمى اصول الفقه الشامل للكتاب والسنة فهذه العلوم كلها من الفروض الكفايات انتهى ملخصا من احياء علوم الدين ﴿ قال الله تعالى ﴾ فى التوبة (وما كان المؤمنون لينفروا كافة) اللام لتأكيد النفى ومعناه ان نفير الكافة عن اوطانهم لطلب العلم غير صحيح ولا ممكن وفيه انه لوصح وامكن ولم يؤد الى مفسدة لوجب لوجوب التفقه على الكافة ولان طلب العلم فريضة على كل مسلم ومسلمة ﴿ فلولا نفر ﴾ اى فحين لم يمكن نفير الكافة ولم يكن مصلحة فهلا نفر ﴿ من كل فرقة منهم طائفة ﴾ اى من كل جماعة كثيرة جماعة قليلة منهم يكفونهم النفير ﴿ ليتفقهوا فى الدين ﴾ ليتكلفوا الفقاهة فيه ويتجشموا المشاق فى اخذها وتحصيلها ﴿ ولينذروا قومهم ﴾ وليجعلوا غرضهم ومرمى همتهم فى التفقه انذار قومهم وارشادهم والنصيحة لهم لا ما ينتحيه الفقهاء من الاغراض الخسيسة ويؤمونه من المقاصد الركيكة من التصدر والترؤس والتبسط فى البلاد والتشبه بالظلمة فى ملابسهم ومراكبهم ومنافسة بعضهم بعضا وفشو داء الضرائر بينهم وانقلاب حماليق احدهم اذا لمح

ببصره مدرسة لآخر اوشرذمة جثوا بين يديه وتهالكه على ان يكون موطأ العقب دون الناس كلهم فما ابعد هؤلاء من قوله عز وجل لا يريدون علوا فى الارض ولا فسادا ﴿ اذا رجعوا اليهم لعلهم يحذرون ﴾ ارادة ان يحذروا الله فيعملوا عملا صالحا كما فى الكشاف ﴿ وروى عبدالله بن عمر ﴾ بن الخطاب رضى الله عنهما القرشى العدوى اسلم بمكة قديما مع ابيه وهو صغير وهاجر معه واستصغر عن احد وشهد الخندق وما بعدها وهو احد الستة الذين هم اكثر الصحابة رواية وهو احد العبادلة الاربعة روى له الفا حديث وستماة وثلاثون حديثا وهو اكثر الصحابة رواية بعد ابى هريرة مات بفخ بقرب مكة سنة ثلاث وسبعين بعد قتل ابن الزبير بثلاثة اشهر ﴿ ان رسول الله صلى الله عليه وسلم دخل المسجد فاذا هو بمجلسين احدهما يذكرون الله تعالى والآخر يتفقهون ﴾ اى يتعلمون الفقه بالسؤال والمذاكرة ﴿ فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم كلا المجلسين على خير واحدهما احب الى من صاحبه اما هؤلاء فيسألون الله تعالى ويذكرونه فان شاء ﴾ الله ﴿ اعطاهم ﴾ ماسئلوا واستجاب دعواتهم ﴿ وان شاء منعهم . واما المجلس الآخر فيتعلمون الفقه ويعلمون الجاهل وانما بعثت معلما وجلس ﴾ متوجها ﴿ الى اهل الفقه . وروى مروان بن جناح عن يونس بن ميسرة ﴾ ورواه ابن ماجة عن معاوية والبخارى عنه ايضا بشطره الاخير ﴿ عن رسول الله صلى الله عليه وسلم انه قال الخير عادة ﴾ لعود النفس اليه وحرصها عليه ﴿ والشر لجاجة ﴾ لما فيه من الاعوجاج وضيق النفس والكرب ﴿ ومن يرد الله به خيرا يفقهه فى الدين ﴾ اى يفهمه ويبصره فى كلام الله ورسوله وفيه فضيلة العلم والفقه فى الدين والحث عليه ﴿ وروى عن النبى صلى الله عليه وسلم ﴾ كما رواه ابو نعيم عن ابى هريرة ﴿ انه قال خيار امتى علماؤها ﴾ العاملون بعلمهم ﴿ وخيار علمائها فقهاؤها ﴾ وفى رواية رحماؤها لكثرة النفع بهم ولنشر العلم عنهم ﴿ وروى معاذ بن رفاعة عن ابراهيم بن عبدالرحمن العذرى قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ليحمل هذا العلم ﴾ يعنى علم الدين ﴿ من كل خلف عدوله ينفون عنه ﴾ اى عن الدين بعلمهم ﴿ تحريف الغالين ﴾ من الغلو يقال غلا فى الدين يغلو غلوا اوفى الامر اذا تصلب وشدد حتى جاوز فيه الحد ﴿ وانتحال المبطلين ﴾ يقال انتحل الشئ اذا ادعاه لنفسه وهو لغيره يعنى ادخال الغالين فى الدين ماليس منه واخراج المبطلين بعض ما فيه ﴿ وتأويل الجاهلين ﴾ باهوائهم من غير اصل يبتنى عليه ويقاس به ﴿ وروى عن النبى صلى الله عليه وسلم انه قال على بخلفائى ﴾ اى ائتونى بهم ﴿ قالوا ومن خلفاؤك قال الذين يحيون سنتى ويعلمونها عباد الله وروى حميد ﴾ الطويل قال الاصمعى رأيته ولم يكن طويلا بل كان فى جيرانه رجل يقال له حميد القصير فقيل له حميد الطويل للتمييز بينهما مات سنة ثلاث واربعين ومأة يروى عن انس وعنه مالك ﴿ عن انس ﴾ بن مالك رضى الله عنه ﴿ ان النبى صلى الله عليه وسلم قال التفقه فى الدين حق ﴾ ثابت وواجب لله ﴿ على كل مسلم الا فتعلموا وعلموا وتفقهوا ولا تموتوا جهالا . وروى سليمان بن يسار عن ابى هريرة ﴾ اختلف فى اسمه واسم ابيه على نحو ثلاثين قولا واقربها عبدالله اوعبدالرحمن بن صخر الدوسى وهو اول من كنى بهذه الكنية لهرة كان يلعب بها وكان عريف اهل الصفة اسلم عام خيبر وشهدها وهو اكثر الصحابة رواية باجماع روى له خمسة آلاف حديث وثلاثمأة

(واربعة)

واربعة وسبعون حديثا. روى عنه اكثر من ثمانمأة رجل من صاحب وتابع مات بالمدينة ودفن بالبقيع سنة تسع وخمسين وهو ابن ثمان وسبعين سنة رضى الله عنه . وروى البيهقى عن ابن عمر ﴿ ان النبى صلى الله عليه وسلم قال ماعبد الله ﴾ بالرفع نائب فاعل ﴿ بشئ افضل من فقه ﴾ اى فهم ماشرعه الله تعالى من الاحكام الشرعية ﴿ فى الدين ﴾ لان صحة العبادة والنكاح والمعاملات تتوقف عليه ﴿ ولفقيه واحد اشد على الشيطان من الف عابد ﴾ غير فقيه اى وجود فقيه اشد كراهة وابغض عليه من وجود كثير من العباد اوحياته وبقاؤه اشد عليه من بقاء الكثير منهم لان له ان يضلهم ويزين لهم ماليس من الدين فيتها ونوا فى الفرائض ويهتموا بما سول لهم الشيطان كما هو المشاهد فى هذا الزمان ﴿ ولكل شئ عماد وعماد الدين الفقه ﴾ وقد اقتبسه بعض الشعراء فقال . تعلم فان العلم زين لاهله . وفضل وعنوان لكل محامد * وكن مستفيدا كل يوم زيادة . من العلم واسبح فى بحور الفوائد * تفقه فان الفقه افضل قائد . الى البر والتقوى واعدل قاصد * هو العلم الهادى الى سنن الهدى . هو الحصن ينجى من جميع الشدائد * فان فقيها واحدا متورعا. اشد على الشيطان من الف عابد ﴿ وربما مال بعض المتهاونين بالدين الى العلوم العقلية ورأى انها احق بالفضيلة واولى بالتقدمة استثقالا لما تضمنه الدين من التكليف ﴾ بالفرائض والواجبات والسنن والمندوبات والمكروهات والمحرمات ﴿ واسترذالا لما جاء به الشرع من التعبد والتوقيف ﴾ على ماجاء به الشرع ﴿ والكلام مع مثل هذا ﴾ المتهاون المارق من الدين ﴿ فى اصل لايتسع له هذا الفصل ﴾ لان هذا الكتاب لطالب الحق والهدى لالمن اتبع هواه فتردى ﴿ وان ترى ذلك ﴾ الميل ﴿ فيمن سلمت فطنته ﴾ عن الزيغ والضلال ﴿ وصحت رويته ﴾ عن الاعتلال ﴿ لان العقل يمنع من ان يكون الانسان هملا ﴾ بفتحتين ﴿ اوسدى ﴾ على وزن هدى يقال ابل همل اى سدى اى غير مقيد متروك ليلا ونهارا ﴿ يعتمدون على آرائهم المختلفة وينقادون لاهوائهم المتشعبة لما ﴾ متعلق لقوله يمنع ﴿ تؤول اليه امورهم ﴾ الدنيوية ﴿ من الاختلاف والتنازع ويفضى اليه احوالهم من التباين والتقاطع ﴾ فيختل امور الدنيا بالاهمال لافضائه الى التباين لان الانسان مدنى بالطبع لايستغنى عن معاونة مجانسه فى مأكله ومشربه ومسكنه وملبسه كما سيأتى فى باب ادب الدنيا ﴿ فلم يستغنوا عن دين يتألفون به ويتفقون عليه ثم العقل موجب له ﴾ اى الاتباع للدين اذا اظهر الداعى اليه معجزة مصدقة ﴿ اومانع منه ﴾ اذا لم يأت بمعجزة اوكذبه المعجزة كما لواتى اعور الى متنبى فدعاله فعميت عينه الصحيحة اونطق جماداوعجماء بانه كاذب ﴿ ولو تصور هذا المختل التصور ﴾ باضافة المختل الى التصور واتى بلو اشعارا بان الاختلال دائم له كالغرائز ولذا يفرض له التصور كما يفرض المحال ﴿ ان الدين ضرورة فى العقل ﴾ اى فى نظره وحكمه ﴿ وان العقل فى الدين اصل لقصر ﴾ جواب لو ﴿ عن التقصير ﴾ بتهاونه ﴿ واذعن للحق ﴾ اى انقاد له وخضع ﴿ ولكن اهمل نفسه ﴾ اى ظنها هملا وسدى وزعم به ﴿ فضل ﴾ فى نفسه ﴿ واضل ﴾ من يتابعه ﴿ وقد يتعلق بالدين علوم ﴾ من حيث كون بعضها اصولا وبعضها فروعا وبعضها آلات وبعضها متممات كما سبق ﴿ قد بين ﴾ الامام ﴿ الشافعى ﴾ محمد بن ادريس بن العباس بن عثمان بن شافع وهو امام الانام ونظام الاسلام احد الائمة الاربعة الاطواد الشامخة فى الدين الاجواد علم العلماء شظية من علمهم وحلم الحلماء

جذوة من حلمهم وعقائد الاصول مقتدحة من زناد كلماتهم وقواعد الفروع مقترحة من عداد لغماتهم احلهم الله محل القدس وادلى اليهم سحاب الانس قال المبرد كان الشافعى رضى الله عنه اشعر الناس و آدب الناس واعرفهم بالفقه والقراآت ولقد اخبرنى بعض اصحابى انه مات ولد لعبد الرحمن بن مهدى فكتب اليه الشافعى يا اخى عز نفسك بما تعزى به غيرك واستقبح من فعلك ما تستقبحه من غيرك واعلم ان امض المصائب فقد سرور وحرمان اجر فكيف اذا اجتمعا مع اكتساب وزر فتناول حظك يا اخى اذا قرب منك قبل ان تطلبه وقد نأى عنك الهمك الله عند المصائب صبرا واحرز لنا ولك بالصبر اجرا وكتب اليه . انى اعزيك لانى على ثقة . من الحياة ولكن سنة الدين * فما المعزى بباق بعد ميته . ولا المعزى وان عاشا الى حين * وقال المزنى دخلت عليه غداة وفاته فقلت له كيف اصبحت يا ابا عبدالله فقال اصبحت من الدنيا راحلا ولاخوانى مفارقا ولكأس المنية شاربا ولا ادرى الى الجنة تصير نفسى فاهنيها ام الى النار فاعزيها ثم انشأ يقول . ولما قسا قلبى وضاقت مذاهبى . جعلت الرجا منى لعفوك سلما * تعاظمنى ذنبى فلما قرنته . بعفوك ربى كان عفوك اعظما * وكانت وفاته فى رجب ليلة الجمعة سنة اربع ومأتين ودفن فى صبيحتها وهو ابن اربع وخمسين سنة وصلى عليه السرى بن الحكم امير مصر ودفن بها. ومن كلامه اظلم الظالمين لنفسه من تواضع لمن لا يكرمه ورغب فى مودة من لا ينفعه وقبل مدح من لا يعرفه وقال من غلبت عليه شدة الشهوة بحب الدنيا لزمته العبودية لاهلها ومن رضى بالقنع زال عنه الخضوع ويذكر فى هذا الكتاب كثير من اشعاره رحمه الله تعالى ﴿ فضيلة كل واحد منها فقال من تعلم القرآن ﴾ وجوه تأويله وقراآته ﴿ عظمت قيمته ﴾ لكونه خازن اسرار الله تعالى وحامل امانته وحافظه ﴿ ومن تعلم الفقه نبل مقداره ﴾ اى علا قدره لكثرة احتياج الناس الى الفقه ورجوعهم اليه ﴿ ومن كتب الحديث ﴾ هو لغة الخبر الجديد والكلام واصطلاحا اعم من قول النبى صلى الله عليه وسلم وفعله وتقريره ﴿ قويت حجته ﴾ لان من الاحاديث ما يفسر القرآن ويبين ما اجمل فيه وايضا الحديث احد اركان الدين واصوله فهو فى ذاته حجة قوية وبالنسبة الى الكتاب مظهر ومبين ﴿ ومن تعلم الحساب ﴾ يقال حسبه حسابا من الباب الاول اذا عده واصطلاحا العلم الباحث عن الاحوال العارضة للاعداد كالجمع والطرح والضرب والتقسيم وغير ذلك ﴿ جزل ﴾ لحسن لفظا ومعنى ﴿ رأيه ﴾ لان الحساب مما يعين على استخراج المجهولات من المعلومات ولذا جعلوه مقدمة للمنطق وكذا الهندسة وايضا الحساب ربع العلم لانه نصف الفرائض والفرائض نصف العلم ﴿ ومن تعلم العربية رق طبعه ﴾ لما فيها مما يعين على ذلك قال الجاحظ احسن الكلام ما كان قليله يغنيك عن كثيره ومعناه فى ظاهر لفظه وكان الله عز وجل قد البسه من الجلالة وغشاه من نور الحكمة على حسب نية صاحبه وتقوى قائله فاذا كان المعنى شريفا واللفظ بليغا وكان صحيحا فى الطبع بعيدا من الاستكراه ومنزها عن الاختلال مصونا عن التكلف صنع فى القلب صنيع الغيث فى التربة الكريمة ومتى فصلت الكلمة على هذه الشريطة ونفذت من قائلها على هذه الصفة اصحبها الله من التوفيق ومنحها من التأييد مالا يمتنع من تعظيمها صدور الجبابرة ولا يذهل عن فهمها عقول الجهلة انتهى * والعربية تطلق على اثنى عشر علما ويقال له علم

الادب ايضا وذلك لان علم العربية هو العلم الباحث عن احوال اللفظ صحة وفسادا . فالباحث عن حال جوهر اللفظ ومادته لغة . وعن اصله وفرعه اشتقاق . وعن هيئته تصريف . وعن حال آخره اعرابا وبناء نحو . وعن حال مطابقته مقتضى الحال المعانى . وعن اختلافه فى التعبير عن المعنى الواحد وضوحا وخفاء البيان . وعن وزنه العروض . وعن آخر الموزون القافية . وعن كيفية النظم وترتيبه قرض الشعر . وعن كيفية ايراده فى الكتابة علم الخط . وعن كيفية تركيب الكلام المنثور علم انشاء النثر . وعن كيفية ايراد قصه او شعرا وسجع لمناسبة تقتضيها الحال علم المحاضرة . ومنه علم التاريخ * فهذه اثناعشر علما ينقسم اليها علوم العربية والفرق بين العروض وقرض الشعر ان العروض يميز به الموزون من غيره وقرض الشعر يعرف به كيفية انشاء الموزون المقفى السالم من العيوب ولم يجعلوا العلم البديع قسما برأسه بل جعلوه ذيلا لعلمى البلاغة * وبيان موضوع هذه العلوم وفائدتها اجمالا ان علم اللغة علم بالالفاظ المنقولة عن العرب وبمعانيها الدالة هى عليها بالمطابقة . وفائدته التمكن من مخاطبة اهل اللسان ومن انشاء الشعر والخطب والرسائل * وان علم الصرف علم يعرف به احوال ابنية الكلام التى ليست باعراب ولا بناء . وفائدته الاحتراز عن الخطأ فى اللسان والتمكن من الفصاحة والبلاغة * وان علم الاشتقاق علم يعرف به اصل اللفظ وفرعه . وفائدته التمييز بين المشتق والمشتق منه * وان علم النحو علم يعرف به احوال اواخر اللفظ اعرابا وبناء . وفائدته الاحتراز عن الخطاء فى اللسان * وان علم المعانى علم يعرف به احوال اللفظ العربى التى بها يطابق مقتضى الحال . وفائدته فهم الخطاب وانشاء الجواب بحسب المقاصد والاغراض جاريا على قانون اللغة فى التركيب * وان علم البيان علم يعرف به ايراد المعنى الواحد بطرق مختلفة فى وضوح الدلالة عليه . وفائدته التمكن من مخاطبة اهل اللسان بذلك * وان علم قرض الشعر علم يعرف به كيفية انشاء الموزون المقفى السالم من العيوب وقيل هو التكلم بالكلام الموزون بوزن عربى . وفائدته الاعانة على سهولة حفظ الكلام وثباته فى الذهن * وان علم العروض علم يعرف به صحيح اوزان الشعر وفاسدها وما يعتريها من الزحافات والعلل . وفائدته تمييز الشعر من غيره * وان علم الخط اى الكتابة علم يعرف به احوال الحروف فى وضعها وكيفية تركيبها فى الكتابة . وفائدته الاحتراز عن الخطاء فى الكتابة * وان علم انشاء النثر هو معرفة الاتيان بالكلام المنثور على سبيل الانشاء ليليق فى الخطب وليرسل نحو الاقارب والاحباب واصحاب المناصب وسبب هذه المعرفة تتبع اشعار البلغاء ونثرهم فى خطبهم ورسائلهم . وفائدته الاحتراز عن الخطأ فى الانشاء * وان علم المحاضرة هو معرفة الاشياء التى توافق الحالة الراهنة كمعرفة قصة اوشعرا وسجع لتلقى فى مجلس التخاطب لمناسبة تقتضيها الحال . وفائدة هذه المعرفة القاء هذه الاشياء فى مجالس التخاطب الدال على نباهة من اتى بها ومن هذه المعرفة معرفة احوال الناس الماضية التى هى علم التاريخ كما فى تجريد البنانى والارشاد نقلا عن السيد والسيرامى ﴿ ومن لم يصن نفسه ﴾ بوقايتها عن المحرمات ومخل المروآت ﴿ لم ينفعه علمه ﴾ لان العلم للعمل فكما لاينفع السلاح للمجاهد مالم يستعمله والا طعمة النفيسة المدخرة للجائع مالم يأكل منها لاينفع العلم للعالم مالم يعمل به ولذا قال ﴿ ولعمرى ﴾ اى اقسم بحياتى وبقائى ﴿ ان صيانة النفس اصل الفضائل لان من

اهمل صيانة نفسه ثقة بما منحه العلم من فضيلته وتوكلا على مايلزم الناس من صيانته سلبوه فضيلة علمه ووسموه بقبيح تبذله ﴿ ضد الصيانة اى جعلوا ذلك القبيح علامة لاتزول كاثر الكى ﴿ فلم يف ما اعطاه العلم ﴾ من فضيلته ﴿ بما سلبه التبذل لان القبيح انم ﴾ اى ارفع واشيع ﴿ من الجميل والرذيلة اشهر من الفضيلة لان الناس لما فى طبائعهم من البغضة ﴾ على وزن شدة ﴿ والحسد ونزاع المنافسة ﴾ وهو الرغبة بطريق المعارضة فى الشئ النفيس ﴿ تنصرف ﴾ خبران ﴿ عيونهم عن المحاسن ﴾ فلا يرونها ﴿ الى المساوى فلا ينصفون ﴾ من الانصاف ﴿ محسنا ﴾ ولا يرحمونه ﴿ ولا يحابون ﴾ من المحاباة بمعنى المسامحة والمساهلة يعنى ولايخافون ﴿ مسيئا ﴾ بل يذكرون مساوى الكل ﴿ لاسيما من كان بالعلم موسوما واليه منسوبا فان زلته لاتقال ﴾ اى لاتعفى ﴿ وهفوته لاتعذر ﴾ لان العيب الصغير يعظم فى حق اهل المروآت كما ان الكبير يصغر فى حق اهل الريب وقال المخزومى * والعيب فى الجاهل المغمور مغمور . وعيب ذى الشرف المذكور مذكور * كفوفة الظفر تخفى من حقارتها . ومثلها فى سواد العين مشهور ﴿ اما القبيح اثرها واغترار كثير من الناس بها ﴾ واقتدائهم فيها ﴿ وقد قيل فى منثور الحكم ان زلة العالم كالسفينة ﴾ اى كزلتها او مثل زلته كمثلها ﴿ تغرق ﴾ السفينة ﴿ ويغرق معها خلق كثير وقيل لعيسى بن مريم عليه السلام من اشد الناس فتنة قال زلة العالم ﴾ كذا فى النسخ والصواب فى الجواب العالم لان من يطلب به الامر الذى يعرض لذى العلم فيفيد تشخصه وتعينه اوالتقدير ما اشد فتنة الناس فى السؤال مسامحة ﴿ اذا زل زل بزلته ﴾ الباء سببية ﴿ عالم كثير ﴾ اى خلق كثير ﴿ فهذا وجه ﴾ واحد لعدم عفو زلة العالم وثانى الوجهين ماينه بقوله ﴿ واما لان الجهال بذمه اغرى ﴾ اى احرص واولع يقال غرى به غراء من الباب الرابع اذا اولع ﴿ وعلى تنقصه احرى ليسلبوه فضيلة التقدم ويمنعوه مباينة التخصيص عنادا لما جهلوه ومقتا ﴾ اى بغضا يقال مقته من الباب الاول اذا ابغضه ﴿ لما باينوه لان الجاهل يرى العلم تكلفا ولوما ﴾ اى مادة لوم فيلومون عليه لزعمهم انه يستوعب شطرا من العمر مع قلة جدواه ﴿ كما ان العالم يرى الجهل تخلفا وذما وانشدت عن الربيع ﴾ بن سليمان ﴿ للشافعى رضى الله عنه ﴾ من الوافر ﴿ ومنزلة السفيه من الفقيه . كمنزلة الفقيه من السفيه * فهذا ﴾ اى الفقيه ﴿ زاهد فى قرب هذا ﴾ السفيه ﴿ وهذا ﴾ اى السفيه ﴿ فيه ﴾ اى فى قرب الفقيه ﴿ ازهد منه ﴾ اى من الفقيه ﴿ فيه ﴾ اى فى قرب السفيه يعنى السفيه اكثر زهدا واشد اجتنابا من زهد العالم فى قرب سفيه ﴿ اذا غلب الشقاء على سفيه . تقطع ﴾ اى يصير قطعة قطعة من قطعه فتقطع او يصير ذا قطع بضم القاف وهو التنفس من اسفل الحلق متتابعا لانقطاعه من الصدر يقال عدا عدوا فاخذه القطع اى البهر ﴿ فى مخالفة الفقيه ﴾ ولايخفى ان المغتاظ يتتابع نفسه ﴿ وقال يحيى بن خالد ﴾ البرمكى وزير المهدى قال ابو العيناء تذاكروا السخاء فاتفقوا على آل المهلب فى الدولة المروانية وعلى البرامكة فى الدولة العباسية وفى يحيى يقول القائل . سألت الندى هل انت حر فقال لا . ولكننى عبد ليحيى بن خالد * فقلت شراء قال لا بل وراثة . توارثنى والد بعد والد ﴿ لابنه ﴾ الفضل او غيره ﴿ عليك بكل نوع من العلم فخذ منه فان المرء عدو ماجهل وانا اكره ان تكون عدو شئ من العلم وانشد ﴾ يحيى من الطويل ﴿ تفنن وخذ من كل علم فانما . يفوق

امرؤ فى كل فن له علم ﴾ ومفعول يفوق محذوف للتعميم اى اقرانه وغيرهم ﴿ فانت
عدو للذى انت جاهل . به ولعلم انت تتقنه سلم ﴾ بكسر فسكون بمعنى المسالم والمصالح تقول
انا سلم لمن سالمنى . وتتقن من الاتقان يعنى انت عدو لما جهلت وصديق لما احكمت وعلمت
﴿ واذا صان ذو العلم نفسه حق صيانتها ولازم فعل مايلزمها امن تعيير الموالى وتنقيص
المعادى ﴾ اى تقبيح صديقه وتنقيص عدوه ﴿ وجمع الى فضيلة العلم ﴾ اى ضم اليها
او جمع معها ﴿ جميل الصيانة وعز النزاهة ﴾ يقال نزه الرجل من الباب الخامس اذا تباعد
عن كل مكروه وسيأتى تفصيلهما فى فصل المروءة ﴿ فصار بالمنزلة التى يستحقها بفضائله
وروى ابو الدرداء ان النبى صلى الله عليه وسلم قال العلماء ورثة الانبياء لان الانبياء لم يورثوا ﴾
اى لم يتركوا ميراثا ﴿ دينارا ولا درهما وانما ورثوا العلم ﴾ والادب فمن اخذها فقد اخذ ميراثهم
﴿ وروى ابو هريرة ان النبى صلى الله عليه وسلم قال للانبياء على العلماء فضل درجتين ﴾
نبوتهم وتعليمهم اياهم ﴿ وللعلماء على الشهداء فضل درجة ﴾ التعليم ﴿ وقال بعض البلغاء ان
من الشريعة ان تجل ﴾ من اجله اذا عظمه (اهل الشريعة ومن الصنيعة ان ترب) يقال
رب الامر من الباب الاول اذا ساسه وقام بتدبيره ومنه قيل للحاضنة رابة والصنيعة مااصطنعته
من خير يعنى من الخير الذى يليق ان تصنعه وتقوم بامره ان تسوس ﴿ حسن الصنيعة ﴾ اى صنيعتهم
الحسنة وتوصلها الى كمالها او صنيعة اهل الشريعة هو العلم ﴿ فينبغى لمن استدل بفطرته على استحسان
الفضائل واستقباح الرزائل ان ينفى عن نفسه رذائل الجهل ﴾ الذى هو اصل كل داء ﴿ بفضائل
العلم ﴾ الذى هو منبع كل دواء ﴿ و ﴾ ينفى ﴿ غفلة الاهمال باستيقاظ المعاناة ﴾ بتعهد
المواظبة والصبر ﴿ ويرغب فى العلم رغبة متحقق لفضائله واثق بمنافعه ﴾ اذ لا بد للشارع
فى شئ ان يصدق بغايته ليكون طلبه له بجد ونشاط ولا يفتر عما يعرضه فى اثناء طلبه من
متاعبه ﴿ ولا يلهيه عن طلبه كثرة مال وجده ﴾ اكتسابا او ميراثا ﴿ ولا نفوذ امر وعلو منزلة ﴾
احرزه ﴿ فان من نفذ امره فهو الى العلم احوج ﴾ من غيرهم ليكون امره ونهيه على البراهين
النقلية والقوانين العقلية ﴿ ومن علت منزلته فهو بالعلم احق ﴾ ليعرف فضله ﴿ وروى انس
بن مالك ﴾ بن النضر الانصارى يكنى ابا حمزة خادم رسول الله صلى الله عليه وسلم خدمه
عشرين سنة روى له عنه عليه السلام الفا حديث ومأتا حديث وست وستون حديثا وكان
اكثر الصحابة ولدا وقالت امه يارسول الله خويدمك انس فادع الله له فقال اللهم بارك له فى ماله
وولده واطل عمره واغفر ذنبه فقال لقد دفنت من صلبى مأة الا اثنين وكان له بستان يحمل
فى سنة مرتين وقال لقد بقيت حتى سئمت من الحياة وانا ارجو الرابعة وهو آخر من مات
من الصحابة بالبصرة سنة ثلاث وتسعين وعمره اكثر من مأة روى له الجماعة رضى الله عنه
﴿ عن النبى صلى الله عليه وسلم انه قال ان الحكمة ﴾ هى العلم والعمل ﴿ تزيد الشريف شرفا ﴾
رفعة وعلو قدر ﴿ وترفع العبد المملوك ﴾ بزيادة العبد ﴿ حتى تجلسه مجالس الملوك ﴾ نبه على
ثمرتها فى الدنيا والآخر كما فى العزيزى ﴿ وقال بعض الادباء كل عز لا يوطده ﴾ من التوطيد
اى لا يثبته ولا يثقله ﴿ علم مذلة ﴾ يحقر بذلك العز ﴿ وكل علم لا يؤيده عقل مضلة ﴾ بفتحتين
او بكسر الضاد اى يضل به الطريق ﴿ وقال بعض علماء السلف اذا اراد الله بالناس خيرا

جعل العلم في ملوكهم والملك في علمائهم ﴾ فيكونون هادين ومهديين وفي الجامع الصغير عن مهران مرفوعا . اذا اراد الله بقوم خيرا ولى عليهم حلماءهم وقضى بينهم علماءهم وجعل المال في سمحاءهم واذا اراد بقوم شرا ولى عليهم سفهاءهم وقضى بينهم جهالهم وجعل المال في بخلاءهم ﴿ وقال بعض البلغاء العلم عصمة الملوك لانه يمنعهم من الظلم ويردهم الى الحلم ويصدهم عن الاذية ويعطفهم على الرعية ﴾ من التعطيف اى يجعلهم مشفقين بهم ﴿ فمن حقهم ﴾ اى الملوك ﴿ ان يعرفوا حقه ﴾ اى حق العلم (ويستبطنوا اهله) اى ان يتخذوا اهل العلم بطانة اى المشاور ومحرم الاسرار يقال هو بطانته بالكسر اى الداخل الوليجة من خواصه ﴿ فاما المال فظل زائل وعارية مسترجعة ﴾ يقال استرجع الشئ اذا اخذ منه مادفعه اليه . تفصيل لقوله كثرة مال وجده ومعطوف على قوله فان من نفذ امره ﴿ وليس في كثرته فضيلة ولو كانت فيه فضيلة لخص الله به ﴾ اى امتاز بكثرة المال ﴿ من اصطفاه لرسالته واجتباه لنبوته وقد كان اكثر انبياء الله تعالى مع ماخصهم الله به من كرامته وفضلهم على سائر خلقه ﴾ من عامة الملائكة وافراد البشر ﴿ فقراء ﴾ بالنصب خبر كان ﴿ لايجدون بلغة ﴾ على وزن غرفة مايتبلغ بها من العيش ويكفى ﴿ ولايقدرون على شئ ﴾ من زخارف الدنيا ﴿ حتى صاروا في الفقر مثلا ﴾ لكثرته واصالته فيهم ﴿ فقال البحترى ﴾ بضم الباء والتاء وسكون الحاء قبيلة من طئ وهو الوليد بن يحيى بن عبيد من بني بحتر بن عبود يكنى بابي عبادة شاعر مقدم لايعدل به احد يفضل على حبيب والناس في تفضيلهما على اختلاف قال ابو الفرج الاصبهانى كان البحترى شاعرا فصيحا حسن المذهب نقى الكلام ختم به الشعراء المحدثون وله تصرف في ضروب الشعر سوى الهجاء فان بضاعته فيه نزرة وديوان شعره نسخ مختلفا بالزيادة والنقص لان شعره لاينضبط لكثرته * قال البحترى كنت اذم الشعر في حداثتي وكنت ارجع فيه الى الطبع ولم اكن اقف على تسهيل مأخذه ووجوه اقتضابه حتى قصدت ابا تمام وانقطعت فيه اليه واتكلت في تعريفه عليه فكان اول ماقال لى يا ابا عبادة تخير الاوقات وانت قليل الهموم صفر من الغموم واعلم ان العادة جرت في الاوقات ان يقصدها الانسان لتأليف شئ وحفظه ومن ذلك وقت السحر لان النفس تكون قد اخذت بحظها من الراحة وقسطها من النوم فان اردت التشبيب فاجعل اللفظ رقيقا والمعنى رشيقا واكثر فيه بيان الصبابة وتوجع الكآبة وقلق الاشواق ولوعة الفراق واذا اخذت في مدح سيد فاشهر مناقبه واظهر مناسبه وابن معالمه وشرف مقاومه ونقض المعانى واحذر المحتمل منها واياك ان تشين شعرك بالالفاظ الهجينة وكن كأنك خياط تقطع الثياب على مقادير الاجسام واذا عارضك الضجر فارح نفسك ولا تعمل شعرا الا وانت فارغ القلب واجعل شهوتك الى قول الشعراء الذريعة الى حسن نظمه فان الشهوة تجمع النفس وجملة الحال ان تعتبر نفسك بما سبق من شعر الماضين فما استحسن العلماء فاقصده وما تركوه فاجتنبه ترشد ان شاء الله تعالى فاعلمت نفسى فيما قال فوقفت على السياسة مات سنة ثلاث وثمانين ومأتين . من الكامل ﴿ فقر كفقر الانبياء وغربة . وصبابة ليس البلاء بواحد ﴾ الصبابة الشوق اورقته اورقة الهوى يعنى العشق مع الحرارة ﴿ ولعدم الفضيلة في المال منحه الله الكافر وحرمه المؤمن قال الشاعر ﴾ من السريع

﴿ كم كافر بالله امواله . تزداد اضعا فاعلى كفره ﴾ بحيث تكادامواله تستر كفره ولذا يقول الذين يريدون الحياة الدنيا ياليت لنا مثل مااوتى قارون انه لذوحظ عظيم ﴿ و ﴾ كم ﴿ مؤمن ليس له درهم . يزداد ايمانا على فقره ﴾ اى ويستره لصبره وعدم بثه الشكوى فكأنه ملك محض لاحاجة له اصلا . فظهر لك من هذا التقرير ان الكفر قبيحة ونقيصة لوكان شئ يستره فى الدنيا فهو المال وكذا الفقر عيب ونقيصة لوكان شئ يستره فى الدنيا فهو كمال الايمان المستلزم للصبر الجميل لنيل الاجر الجزيل فالكفر بلا مال والفقر بلا ايمان متلازمان وقبيحتان ليس لهما ساتر كما قال ابودلامة * مااحسن الدين والدنيا اذا اجتمعا . واقبح الكفر والافلاس بالرجل ﴿ يالائم الدهر وافعاله . مشتغلا يزرى على دهره ﴾ اى يعاتب الدهر مشتغلا بلومه وازرائه يعنى قصر فى لومك اذ ﴿ الدهر ﴾ فالبيت السابق مرهون لمابعده وفيه اقامة علة الجواب مقامه ﴿ مأمور له آمر . ينصرف الدهر على امره ﴾ وقال السعدى . كرجه تير از كمان همى كذرد . از كمندان بيند اهل خرد ﴿ وقد بين على بن ابى طالب رضى الله عنه فضل مابين العلم والمال فقال العلم ﴾ المجرد عن المال ﴿ خير من المال ﴾ المجرد عن العلم ﴿ العلم يحرسك ﴾ اى يحفظك عما يشينك ﴿ وانت تحرس المال ﴾ عن السارق ونحوه ﴿ العلم حاكم والمال محكوم عليه مات خزان الاموال ﴾ جمع خازن ﴿ وبقى خزان العلم اعيانهم مفقودة ﴾ بيان لبقاء خزنة العلم ﴿ واشخاصهم فى القلوب موجودة ﴾ وقال الله تعالى ونكتب ماقدموا وآثارهم فلايطوى دفاتر اعمالهم مابقى آثارهم وحياة الابد هو ابقاء احدوثة حسنة وذكر جميل * واما قول بعض الشعراء . فصاحة سحبان وخط ابن مقلة . وحكمة لقمان وزهد ابن ادهم * اذا اجتمعت فى المرء والمرء مفلس . وان كان حرا لايساوى بدرهم * فمدفوع بقول الآخر . نباهة جمشيد وملكة قيصر . وثروة قارون ونجدة رستم * اذا اجتمعت فى المرء والمرء جاهل . وان كان حرا لايساوى بدرهم ﴿ وسئل بعض العلماء ايما افضل المال ام العلم فقال الجواب عن هذا ﴾ السؤال ﴿ ايما افضل المال ام العقل ﴾ فكما ان المال يكتسب بالعقل يكتسب بالعلم ولا يشترى بالمال لاعقل ولا علم ﴿ وقال صالح بن عبد القدوس ﴾ من الكامل ﴿ لاخير فيمن كان خيرثنائه ﴾ وافضله ﴿ فى الناس قولهم غنى واجد ﴾ خبر مبتدأ محذوف اى هو اوذلك الشخص غنى مقتدر ومتمكن نعم لاخير اصلا فى ذلك القول لان الغنى يطلب للسخاء ويحسن للجود لانه آلة للمكارم فلاخير فيه بدونه ﴿ وربما امتنع الانسان من طلب العلم لكبر سنه واستحيائه من تقصيره فى صغره ان يتعلم فى كبره ﴾ اى لان يتعلم يعنى قصر فى صغره ليتعلم فى كبره واذا كبر امتنع لاستحيائه ﴿ فرضى بالجهل ان يكون موسوما به ﴾ والجملة بدل من الجهل ﴿ وآثره على العلم ان يصير مبتدأ به وهذا من خدع الجهل ﴾ بالفتح مصدر خدعه اذا اراد به المكروه من حيث لايعلم وبابه قطع والخدع بالكسر اسم منه ﴿ وغرور الكسل ﴾ الغرور بالضم مااغتر به واضافتهما من اضافة المسبب الى سببه ﴿ لان العلم اذا كان فضيلة فرغبة ذوى الاسنان فيه اولى والابتداء بالفضيلة فضيلة ولان ﴾ بفتح اللام جواب قسم مقدر ﴿ يكون شيخا متعلما اولى من ان يكون شيخا جاهلا ﴾ حكى ان بعض الحكماء رأى شيخا كبيرا يحب النظر فى العلم ويستحى فقال له ياهذا أتستحى ان تكون فى آخر عمرك افضل مما كنت فى اوله * وذكر ان ابراهيم

بن المهدى ﴾ اخا هرون الرشيد كان بمرتبة عالية من الشعر والادب لاسيما الموسيقى وضرب العود ﴿ دخل على المأمون وعنده جماعة يتكلمون فى الفقه فقال ﴾ المأمون ﴿ ياعم ماعندك فيما يقول هؤلاء ﴾ من الفتوى ﴿ فقال ياامير المؤمنين شغلونا ﴾ يعنى الندماء والمداحون باللهو واللعب ﴿ فى الصغر واشتغلنا فى الكبر ﴾ والكهولة باتباع الهوى ومشاغل العيال ﴿ فقال ﴾ المأمون ﴿ لم لاتتعلم اليوم قال او يحسن بمثلى ﴾ اى الايكون عيبا ونقيصة ويحسن قالوا عاطفة على مقدر ﴿ طلب العلم ﴾ يعنى الفقه ﴿ قال نعم والله لان تموت طالبا للعلم خير من ان تعيش قانعا بالجهل ﴾ اتى بالقسم للتأكيد لان ابراهيم انكر حسن التعلم لمثله ﴿ قال والى متى يحسن بى طلب العلم قال ماحسنت بك الحياة ولان الصغير ﴾ معطوف على قوله لان العلم اذا كان اه ﴿ اعذر وان لم يكن فى الجهل عذر لانه ﴾ متعلق باعذر ﴿ لم تطل به ﴾ من طال يطول اى لم يمتد به بعد ﴿ مدة التفريط ولا استمرت عليه ايام الاهمال وقد قيل فى منثور الحكم جهل الصغير معذور وعلمه محقور ﴾ اى عند العوام ﴿ فاما الكبير فالجهل به اقبح ونقصه عليه افضح ﴾ اى اكثر فضاحة ﴿ لان علو السن اذا لم يكسبه فضلا ولم يفده علما وكانت ايامه فى الجهل ماضيه ومن الفضل خاليه كان الصغير افضل منه لان الرجاء له اكثر والامل فيه اظهر وحسبك نقصا فى رجل يكون الصغير المساوى له فى الجهل افضل منه وانشدت لبعض اهل الادب ﴾ من الطويل ﴿ اذا لم يكن مر السنين مترجما ﴾ اى اذا لم يكن مرورها مبينا اوعنوانا ﴿ عن الفضل فى الانسان سميته طفلا * وماتنفع الايام حين يعدها ﴾ اى ايامه الماضية حين يعدها لانكار تلك التسمية ﴿ ولم يستفد فيهن علما ولا فضلا ﴾ فمرورها وعدمها سواء ﴿ ارى الدهر من سوء التصرف مائلا . الى كل ذى جهل كأن به جهلا ﴾ فيميل الى مايجانسه ويصبو الى مايشاكله . وقد رفع الظن وكشف سبب ميله بعضهم فقال . الدهر عندى لامحالة اعور . واسأل به من كان طبا حاقلا * يرنو ليلحظ فاضلا فيرده . حول بعينيه فيلحظ جاهلا * وفى اخبار الفصحاء لما افضت الخلافة الى عمر بن عبدالعزيز اتته الوفود فاذا فيهم وفد الحجاز فنظر الى صغير السن وقد اراد ان يتكلم فقال ليتكلم من هو اسن منك فانه احق بالكلام منك فقال الصبى يا امير المؤمنين لو كان القول كما تقول لكان فى مجلسك هذا من هو احق به منك قال صدقت فتكلم فقال ياامير المؤمنين انا قدمنا عليك من بلد نحمدالله الذى من علينا بك ماقدمنا عليك رغبة منا ولا رهبة منك اما عدم الرغبة فقد امنا بك فى منازلنا واما عدم الرهبة فقد امنا جورك بعدلك فنحن وفد الشكر والسلام فقال له عمر عظنى ياغلام فقال ياامير المؤمنين ان اناسا غرهم حلم الله وثناء الناس عليهم فلا تكن ممن غرهم ذلك فتزل قدمك وتكون من الذين قال الله فيهم ولا تكونوا كالذين قالوا سمعنا وهم لايسمعون فنظر عمر فى سن الغلام فاذا له اثنتا عشرة سنة فانشدهم عمر . تعلم فليس المرء يولد عالما . وليس اخو علم كمن هو جاهل * فان كبير القوم لاعلم عنده . صغير اذا التفت عليه المحافل ﴿ وربما امتنع ﴾ الانسان ﴿ من طلب العلم لتعذر المادة ﴾ التى يعيش بها ﴿ و ﴾ قد ﴿ شغله اكتسابها عن التماس العلم وهذا وان كان اعذر من غيره مع انه قلما يكون ذلك ﴾ العذر ﴿ الا عند ذى شره ﴾ اى حرص ﴿ وعيب وشهوة مستعبدة ﴾ اى يتبعها كأنه يعبدها ﴿ فينبغى ان يصرف الى العلم حظا من زمانه

فليس كل الزمان ﴾ اى جميع اجزائه من الليل والنهار ﴿ زمان اكتساب ولابد للمكتسب من اوقات استراحة وايام عطالة ﴾ بالاضافة على وزن غرفة اسم بمعنى التعطيل اوصفة ايام فجمع عاطل اى خالية عن الاكتساب كايام الشتاء والليالى ﴿ ومن صرف كل نفسه الى الكسب حتى لم يترك لها فراغا الى غيره فهو من عبيد الدنيا واسراء الحرص وقد روى عن النبى صلى الله عليه وسلم انه قال لكل شى فترة ﴾ اى زمان سكون وفى الجامع الكبير عن ابن عمرو لكل عامل فترة ولكل فترة شرة ﴿ فمن كانت فترته الى العلم فقد نجا ﴾ لما سبق من فضل العلم ﴿ وروى عن النبى صلى الله عليه وسلم انه قال كونوا علماء صالحين فان لم تكونوا علماء صالحين فجالسوا العلماء واسمعوا علما يدلكم على الهدى ويردكم عن الردى ﴾ اى الضلال والهلاك ﴿ وقال بعض العلماء من احب العلم احاطت به فضائله ﴾ ولا يظهر منه هفوة الجهل ادناها قطع كلام الغير بايراد كلام فى اثناء كلامه وادهاها جوابه بكل ماسمعه قبل ان يفهم ﴿ وقال بعض الحكماء من صاحب العلماء وقر ﴾ معهم على سبيل التبعية او مطلقا لتأدبه بآدابهم ﴿ ومن جالس السفهاء حقر ﴾ لتخلقه باخلاقهم ﴿ وربما منعه من طلب العلم مايظنه من صعوبته وبعد غايته ويخشى من قلة ذهنه وبعد فطنته وهذا الظن اعتذار ذوى النقص وخيفة اهل العجز لان الاخبار ﴾ عن شئ ﴿ قبل الاختبار جهل ﴾ وتجربة الغير لايفيد علما له وان اقتدر على ايراد مثال مساوله فى السن والعقل والذكاء واجتهد ازمانا ولم يحصل شيئا فقد على نفسه ببعد الفطنة اذ يكفى للمبتدى مثل هذا الانتقال ﴿ والخشية قبل الابتلاء عجز ﴾ وجبانة ﴿ وقد قال الشاعر ﴾ من الخفيف ﴿ لاتكونن للامور هيوبا فالى خيبة يصير الهيوب ﴾ على وزن صبور الجبان وضعيف النفس الذى يخاف ويكون دائما على حذر وفرقه من الحزم ان الحزم الحذر للتيقظ والمهابة الحذر للضعف وقد قيل من جسر ايسر ومن هاب خاب وقال على رضى الله عنه اذا هبت امرا فقع فيه فان شر توقيه اعظم مما تخاف منه ﴿ وقال رجل لابى هريرة ﴾ النحوى يروى عن مكحول وعنه ابو المليح الرقى ولا يعرف اسمه ﴿ اريد ان اتعلم العلم واخاف ان اضيعه فقال كفى بترك العلم اضاعة ﴾ وفى البيان قال اما انت فقد عجلت له التضييع ولعلك اذ تعلمته لم تضيعه ﴿ وليس وان تفاضلت الاذهان وتفاوتت الفطن ﴾ بالزيادة والنقصان والجملة الشرطية معترضة بين ليس وخبره وهو قوله ﴿ ينبغى لمن قل منها حظه ان ييئس ﴾ فاعل ينبغى واسم ليس على سبيل التنازع ﴿ من نيل القليل وادراك اليسير الذى يخرج به من حد الجهالة الى ادنى مراتب التخصيص ﴾ بالعلم ﴿ فان الماء مع لينه يؤثر فى صم الصخور ﴾ من اضافة الصفة الى الموصوف جمع اصم اى فى الاحجار الصلبة والصعبة وتأثير الماء فى الاحجار مشاهد فى بعض الميازيب ومواضع القطر من اطراف الابنية العالية كالجوامع ﴿ فكيف لايؤثر العلم الزكى ﴾ اى الطاهر من المواد المزوجية ﴿ فى نفس راغب شهى وطالب خلى ﴾ اى خالى الذهن عن التردد والانكار يعنى لايحتاج الى التأكيد والتكرار كاحتياج الحجر فى تأثره الى مرور الاعوام وفى تعليم المتعلم قال ابو حنيفة لابى يوسف رحمهما الله تعالى كنت بليدا اخرجتك المواظبة ﴿ لاسيما وطالب العلم معان ﴾ اسم مفعول من اعان ﴿ قال النبى صلى الله عليه وسلم ﴾ كما رواه الطيالسى عن صفوان بن عسالة ﴿ ان الملائكة ﴾ قال المناوى اى الذين فى الارض ويحتمل العموم ﴿ لتضع

اجنحتها ﴾ جمع جناح وهو للطائر بمنزلة اليد للانسان ولايلزم ان تكون اجنحة الملائكة كاجنحة الطائر ﴿ لطالب العلم ﴾ اى الشرعى للعمل وتعليمه من لايعلمه لوجه الله ﴿ رضا بما يطلب ﴾ قال المناوى وفى رواية بما يصنع ووضع اجنحتها عبارة عن توقيره وتعظيمه والدعاء له واعانته على مهماته لتكون الملائكة خادمة لذرية آدم بسبب العلم كما انها سجدت لآدم وخدمته بسبب العلم لما سئلوا عن الاسماء فلم يعرفوا و سئل آدم فاجاب كما فى العزيزى والحفنى ﴿ وربما منع ذا السفاهة من طلب العلم ان يصور فى نفسه حرفة اهله ﴾ بضم الحاء وكسرها المحرومية عن الحظ والبخت ﴿ و ﴾ ان يصور ﴿ تضايق الامور ﴾ الدنيوية ﴿ مع الاشتغال به ﴾ اى بالعلم ﴿ حتى يسمهم بالادبار ويتوسمهم بالحرمان ﴾ كأن العلم والادب بينهما ادبار وحرمان ﴿ فان رأى محبرة ﴾ بفتح الميم والباء اسم مكان وبضم الباء لغة كالمقبرة وبكسر الميم ايضا ظرف الحبر كالحقة ونحوها والحبر المائع الذى يكتب به ﴿ تطير منها ﴾ اى تشأم ﴿ وان رأى كتابا اعرض عنه وان رأى متحليا بالعلم هرب منه كأنه لم ير عالما مقبلا وجاهلا مدبرا. ولقد رأيت من هذه الطبقة جماعة ذوى منازل ﴾ عالية ﴿ واحوال ﴾ رفيعة ﴿ كنت اخفى عنهم مايصحبنى من محبرة وكتاب ﴾ الظاهر ان الكل كانوا صاحب عمامة وازار فيفيد اخفاءهما ﴿ لئلا اكون عندهم مستثقلا وان كان البعد عنهم مؤنسا ومصلحا والقرب منهم موحشا ومفسدا فقد قال بزرجمهر الجهل فى القلب كالنز ﴾ بفتح النون وكسرها وتشديد الزاى مايتحلب ويترشح من الارض من ماء ﴿ فى الارض يفسد ماحوله ﴾ بسراية الرطوبة ﴿ لكنى اتبعت فيهم الحديث المروى عن ابى الاشعث عن ابى عثمان عن ثوبان ﴾ بن بجدد يكنى ابا عبدالله من موالى النبى صلى الله عليه وسلم توفى فى حمص سنة اربع وخمسين ﴿ عن النبى صلى الله عليه وسلم انه قال خالطوا الناس باخلاقهم وخالفوهم فى اعمالهم ﴾ السوء ﴿ ولذا قال بعض البلغاء رب جهل وقيت به علماء وسفه حميت به حلماء ﴾ جمع حليم لان التودد الى الناس لايكون الا باختلاطهم ولا ينفع الاختلاط مالم يدارهم فى بعض ماهم عليه فالجهل بمعنى التجاهل واراد بالسفاهة بعضها لان رب للتقليل وهو رد السفيه بما يشبه السفاهة ﴿ وهذه الطبقة ممن لايرجى لها صلاح ولايؤمل لها فلاح لان من اعتقد ان العلم شين وان تركه زين وان للجهل اقبالا مجديا) اى معطيا اموالا جمة ومنازل رفيعة من اجداه اذا اعطاه عطية (وللعلم ادبارا مكديا) اى مانعا عن المال والمنازل من اكدى الرجل اذا قل خيره او بخل ومنع عطائه (كان ضلاله مستحكما ورشاده مستبعدا وكان هو الخامس الهالك الذى قال فيه على بن ابى طالب رضى الله عنه اغد عالما) اى ادخل الصباح حال كونك معلما للعلم (او متعلما او مستمعا او محبا) لواحد من هؤلاء الثلاثة (ولاتكن الخامس فتهلك) وهو من يبغض العلم واهله (وقد رواه خالد) بن مهران (الحذاء) ابو المنازل بضم الميم مولى ابى عبدالله عامر بن كريز القرشى ولم يكن بحذاء وانما كان يجلس اليهم يقال انه ما حذا نعلا قط وهو تابعى رأى انس بن مالك قال ابو حاتم يكتب حديثه ولا يحتج به وقال يحيى واحمد ثقة روى له الجماعة (عن عبدالرحمن بن ابى بكرة) نفيع بن الحارث ابى عمر الثقفى البصرى وهو اول مولود ولد فى الاسلام بالبصرة سنة اربع عشرة سمع اباه وعليا وغيرهما وروى عنه ابن سيرين وخالد

الحذاء وعبدالملك بن عمير روى له الجماعة توفى سنة تسع وتسعين ﴿ عن النبى صلى الله عليه وسلم مسندا ﴾ وكذا رواه البزار والطبرانى مسندا اليه عليه الصلاة والسلام ﴿ وليس لمن هذه حاله فى العذل ﴾ واللوم ﴿ نفع ولا فى الاصلاح مطمع ﴾ حتى يلام ﴿ وقد قيل لبزرجمهر مالكم لا تعاتبون الجهال فقال انا لا نكلف العمى ان يبصروا ولا الصم ان يسمعوا ﴾ جمع اعمى واصم ﴿ وهذه الطائفة التى تنفر من العلم هذا النفور وتعاند اهله هذا العناد ترى العقل بهذه المثابة ﴾ لما سبق ان العقل علم ﴿ وتنفر من العقلاء هذا النفور وتعتقد ان العاقل محارف ﴾ اى محروم كأنه محال ومصروف عن جهة الرزق . مقابل المسعود والمبارك ﴿ وان الاحمق محظوظ ﴾ ومسعود ﴿ وناهيك بضلال من ﴾ اى يكفيك ضلال من ﴿ هذا اعتقاده فى العقل والعلم هل يكون لخير اهلا او لفضيلة موضعا. وقد قال بعض البلغاء اخبث الناس المساوى ﴾ اى الذى يزعم بالمساواة ﴿ بين المحاسن والمساوى ﴾ جمع سوء ﴿ وعلة هذا ﴾ الزعم ﴿ انهم ربما رأوا عاقلا غير محظوظ وعالما غير مرزوق فظنوا ان العلم والعقل هما السبب فى قلة حظه ورزقه وقد انصرفت عيونهم عن حرمان اكثر النوكى وادبار اكثر الجهال لان فى ﴾ عدد ﴿ العقلاء والعلماء قلة وعليهم من فضلهم سمة ﴾ يتميزون بهما عن سائر المدبرين ﴿ ولذلك قيل العلماء غرباء لكثرة الجهال. فاذا ظهر سمة فضلهم وصادف ذلك قلة حظ بعضهم تنوهوا بالتميز ﴾ مطاوع نوه فلانا اذا رفع قدره بالتعريف والتطيير ﴿ واشتهروا بالتعيين ﴾ لكونهم نصب العيون ﴿ فصاروا مقصودين باشارة المتعنتين ﴾ المفسدين ﴿ ملحوظين بايماء الشامتين ﴾ اى الفرحين بادبارهم ﴿ والجهال والحمقى لما كثروا ولم يتخصصوا ﴾ بسمة فضل ﴿ انصرفت عنهم النفوس ﴾ لاحتجاب بعضهم بعضا ﴿ فلم يلحظ المحروم منهم بطرف شامت ﴾ اى بعينه ﴿ ولا قصد المحدود منهم ﴾ اى المحروم مقابل المجدود بالجيم وهو المحظوظ ﴿ باشارة عائب ﴾ قيل للحسن البصرى لم صارت الحرفة مقرونة مع العلم والثروة مقرونة مع الجهل فقال ليس كما قلتم ولكن طلبتم قليلا فى قليل فاعجزكم طلبتم المال وهو قليل فى اهل العلم وهم قليلون ولو نظرتم الى من تحارف من اهل الجهل لوجدتموه اكثر ﴿ فلذلك ﴾ الظهور والتميز ﴿ ظن الجاهل المرزوق ان الفقر والضيق مختص بالعلم والعقل دون الجهل والحمق ولو فتشت احوال العلماء والعقلاء مع قلتهم لوجدت الاقبال فى اكثرهم ولو اختبرت امور الجهال والحمقى مع كثرتهم ﴾ وعدم توقيهم من المكاسب الخسيسة والدنية بل ومن المحرمة ﴿ لوجدت الحرمان فى اكثرهم وانما يصير ذو الحال الواسعة منهم ﴾ اى من الجهال ﴿ ملحوظا مشتهرا لان حظه عجيب واقباله مستغرب كما ان حرمان العاقل العالم غريب واقلاله عجيب ﴾ فلذلك يصير كل منهما مثلا سائرا ﴿ ولم تزل الناس على سالف الدهور من ذلك متعجبين وبه معتبرين حتى قيل لبزرجمهر ما اعجب الاشياء فقال نجح الجاهل ﴾ اى ظفره بحاجته ﴿ واكداء العاقل ﴾ اى خيبته وقال عمرو بن شيبه من اعجب الاشياء مقارنة ثلاثة لثلاثة الحرفة للادباء وتباعد المال عن الظرفاء واقبال الدنيا على النوكى ﴿ لكن الرزق بالحظ والجد ﴾ بالكسر البخت ﴿ لا بالعلم والعقل حكمة منه تعالى يدل بها على قدرته واجراء الامور على مشيئته ﴾ قال الشاعر . ماسلم الله هو السالم . ليس كما يزعمه الزاعم * تجرى المقادير التى قدرت . وانف من لا يرتضى راغم ﴿ وقد

قالت الحكماء لو جرت الاقسام على قدر العقول لم تعش البهائم ﴾ اعدم عقولها اصلا ﴿ فنظمه ابو تمام ﴾ حبيب بن اوس بن الحرث الطائى الشاعر الفاضل الكامل صاحب كتاب الحماسة ولد سنة تسعين ومأة ومات سنة ست وعشرين ومأتين كان فى حداثته يسقى الماء بالمسجد الجامع فى القاهرة ثم جالس الادباء واخذ عنهم من النظم والنثر والادب والفضل بما لا مزيد عليه وكان فطنا ذكيا محبا للشعراء واصحاب الفضل فلم يزل يعانيه حتى ملكه وسار ذكره فى عصره وبلغ المعتصم اذ ذاك خبره فرحل اليه سرا برأى بعض اصدقائه ومحبيه فعرض عليه قصائده فقدمه على جميع شعراء وقته وزمنه ثم ترقت حال ابى تمام وتمول بالمال الجزيل وقد كان يحفظ قصيدة باستماعها مرة واحدة ومات فى موصل رحمه الله تعالى ﴿ فقال ﴾ من الطويل ﴿ ينال الفتى من عيشه وهو جاهل . ويكدى الفتى من دهره وهو عالم ﴾ هاء وهو ساكن فى الموضعين وقوله يكدى مضارع معلوم يقال حفر الحافر فاكدى اى صادف الكدية اى الارض الغليظة يعنى ينال الجاهل الكثير من عيشه بسهولة وينال العالم القليل بصعوبة ﴿ ولو كانت الارزاق تجرى على الحجى ﴾ بكسر الحاء العقل ﴿ هلكن اذا من جهلهن البهائم * وقال كعب بن زهير بن ابى سلمى ﴾ على وزن حبلى وليس لهم بالضم غيره واسم ابى سلمى ربيعة بن رياح بكسر الراء احد بنى مزينة مات زهير قبل المبعث وهو والد كعب صاحب بانت سعاد وولد كعب عقبة وكان شاعرا ايضا وولد عقبة العوام وكان شاعرا ايضا وابو سلمى شاعر ايضا وسلمى شاعرة وبجير بن زهير شاعر واخت زهير الخنساء شاعرة ايضا ولذا قال الاخطل اشعر الناس قبيلة بنو قيس واشعر الناس بيتا آل ابى سلمى واشعر الناس رجلا رجل فى قميصى . من البسيط ﴿ لو كنت اعجب من شئ لاعجبنى . سعى الفتى وهو مخبوء له القدر ﴾ اى مستور قدره له ﴿ يسعى الفتى لامور ليس يدركها ﴾ وان عاش بها عمر به نوح ﴿ والنفس واحدة والهم منتشر ﴾ والمرء ما عاش ممدود له امل . لا ينتهى ذاك حتى ينتهى العمر ﴿ على ان العلم والعقل ﴾ على للاستدراك والاضراب من قوله لو جدت الاقبال فى اكثرهم ﴿ سعادة واقبال وان قل معهما المال وضاقت معهما الحال ﴾ حافظ ارسيم وزرت نيست بروشا كرباش . چه به از دولت لطف سخن وطبع سليم ﴿ والجهل والحمق حرمان وادبار وان كثر معهما المال واتسعت فيهما الحال لان السعادة ليست بكثرة المال فكم من مكثر شقى ومقل سعيد وكيف يكون الجاهل الغنى سعيدا والجهل يضعه ام كيف يكون العالم الفقير شقيا والعلم يرفعه وقد قيل فى منثور الحكم كم من ذليل اعزه علمه ومن عزيز اذله جهله وقال عبد الله بن المعتز الجاهل كروضة على مزبلة ﴾ وان حسن منظرها من جانب يقبح من جانب مع قبيح رائحتها وفساد هوائها ﴿ وقال بعض الحكماء كلما حسنت نعمة الجاهل ازداد قبحا ﴾ لتكثر سفاهته معها ﴿ وقال بعض العلماء لبنيه يا بنى تعلموا العلم فان لم تنالوا به من الدنيا حظا فلأن يذم الزمان لكم ﴾ باعراضه عنكم وميله الى الجهال ﴿ احب الى من ان يذم الزمان بكم ﴾ وينسب فساده اليكم بان تكونوا ذوى منازل ويقول الناس اى خير يرجى من زمان زمامه فى ايادى هؤلاء الجهال ﴿ وقال بعض الادباء من لم يفد بالعلم مالا كسب به جمالا * وانشد بعض اهل الادب لابن طباطبا ﴾ هو ابو القاسم احمد بن ابراهيم طباطبا بن الحسن بن الحسين بن على بن ابى طالب المتوفى فى مصر سنة خمس واربعين

وثلاثمأة كان اديبا وشاعرا. ومن شعره. خليلي انى للثريا لحاسد . وانى على ريب الزمان لواجد * ايبقى جميعا شملها وهى سبعة . ويفقد من احببته وهو واحد * او ابوالحسن محمد بن احمد بن ابراهيم طباطبا المتوفى فى اصفهان سنة اثنين وعشرين وثلاثمأة وكان اديبا وشاعرا . ومن شعره . يامن حكى الماء فرط رقته . وقلبه فى قساوة الحجر * ياليت حظى كحظ ثوبك من . جسمك ياواحدا من البشر * من الطويل ﴿ حسود مريض القلب يخفى انينه ﴾ اراد به غيظ الحسد اى يكتم تأوهه اللازم لذلك المرض ﴿ ويضحى كئيب البال عندى حزينه ﴾ مفعول يضحى وهو من الاضحاء وفاعله راجع الى المذموم وكئيب حال منه اى سيء الحال مغموما منكسرا من حزنه . يعنى يظهر لدى حزنه كأنه يتوجع بى واترحمه اياى يكتئب ويشهد قلبى واطواره انه حسود نعمتى لامتألم نقمتى . فقوله حسود خبر مبتدأ محذوف وحذفه ليتيسر الانكار لدى الحاجة وكذا مريض ويخفى وليس من الادب تعيين المذموم (١) ﴿ يلوم على ان رحت للعلم طالبا ﴾ من راح يراح ﴿ اجمع من عند الرواة فنونه ﴾ مضارع متكلم من التجميع والجملة حال من فاعل رحت يعنى يلوم على دخولى الرواح اجمع فنون العلم من عند رواتها ﴿ فاعرف ابكار الكلام وعونه ﴾ بضم العين جمع عوان اراد بالابكار ماكان مقبولا من جنس الكلام وبالعون ماكان مبتذلا بكثرة الاستعمال لان العوان الانثى التى نتجت بعد بطنها البكر والفاء للتفريع على اجمع ﴿ واحفظ مما استفيد عيونه ﴾ جمع عين اى اعلاه وماكان قريبا من حد الاعجاز . ولذا يقال تعلموا العلم من افواه الرجال فانهم يكتبون احسن مايسمعون ويحفظون احسن مايكتبون ويقولون احسن مايحفظون ﴿ ويزعم ان العلم لايكسب الغنى . ويحسن بالجهل الذميم ظنونه ﴾ والزعم هنا بمعنى الاعتقاد الباطل وان كان اعم منه ومن القول الباطل. ولما تفطن ان ذلك الاعتقاد استحكم فى قلب اللائم ايس من صلاحه وقال ملتفتا اليه ﴿ فيالائمى دعنى اغالى بقيمتى ﴾ اى اتركنى حتى اجعل قدرى عاليا وقيمتى غاليا والغلاء ضد الرخص ولايحصل ذلك الابتفوق الاقران والتميز بين نوع الانسان ﴿ فقيمة كل الناس مايحسنونه ﴾ ضمن قول جده على رضى الله عنه قيمة كل انسان مايحسن كماسبق يعنى انا احسن ظنى بالعلم الذى هو ميراث الانبياء وتحسن ظنك بالمال الذى يطغى وكل حزب بما لديهم فرحون . وقال ابوالاسود الدئلى . العلم زين وتشريف لصاحبه . فاطلب هديت فنون العلم والادبا * كم سيد بطل اباؤه نجب . كانوا الرؤس فامسى بعدهم ذنبا * ومقرف خامل الآباء ذى ادب . نال المعالى بالآداب والرتبا * العلم كنز وزخر لافناءله . نعم القرين اذا ماصاحب صحبا * قد يجمع المال شخص ثم يحرمه . عماقليل فيلقى الذل والحربا * وجامع العلم مغبوط به ابدا . ولايحاذر منه الفوت والسلبا * ياجامع العلم نعم الذخر تجمعه . لاتعدلن به درا ولاذهبا * (تمه) وقد تطير كثير من الادباء بادبه حتى قال الحريرى فى المقامة الرابعة عشرة فى ابيات . ومامى خردلة . مطبوعة من ذهب * ثم قال . ولو خبرتم حسبى . ونسبى ومذهبى * وما حوت معرفتى . من العلوم النخب * لما اعترتكم شبهة . فى ان دائى ادبى * فليت انى لم أكن . ارضعت ثدى الادب * فقد دهانى شومه . وعقنى فيه ابى * وقال ابو اسحاق الصابى . قد كنت اعجب من مالى وكثرته . وكيف تغفل عنه حرفة الادب * حتى انثنت وهى كالغضبى تلاحظنى .

(١) كان ابو عبيد القاسم بن سلام قد تحرى فيما اضطر الى الاستشهاد به من اهاجى اشعار العرب فكنى عن اسم المهجو بوزن اسمه كقول المتنبى . كأن فعالة لم تمل كوا كبها ديار بكر ولم تخلع ولم تهب اراد بفعالة خولة كما فى الشهاب منه

شزرا فلم تبق لى شيئا من النشب * واستيقنت انها كانت على غلط . فاستدركته وافضت بى الى حرب * الضب والنون قد يرجى اجتماعهما . وليس يرجى اجتماع المال والادب * والتطير بالادب مذهب قديم متد اول الا انه من قبيل الاتساع والحذق فى الكلام كذم القمر (٢) او مكيدة لهم من قبيل المماشاة بالمخاطب لجاب قلوبهم لان لذم العلم والادب موقعا وتأثيرا لدى الجهال اعظم من مدحهما عند العلماء ومنهم من تطيربه حقيقة حتى ارتد نعوذ بالله كابن الراوندى ولذا قال ﴿ وانا استعيذ بالله من خدع الجهل المذلة وبوادر الحمق المضلة ﴾ جمع خدعة وبادرة وهو مايبدو من حدة فى حال الغضب من خطأ او هفوة اى الموصلة فى الذل والموقعة فى الضلال والكفر ﴿ واسأله السعادة بعقل رادع يستقيم به من زل وعلم نافع يستهدى به من ضل . فقد روى عن النبى صلى الله عليه وسلم انه قال اذا استرذل الله عبدا ﴾ اى اذا ارادرذله ﴿ حظر عليه العلم ﴾ اى حجره ومنعه ﴿ فينبغى لمن زهد فى العلم ان يكون فيه راغبا ولمن رغب فيه ان يكون له طالبا ولمن طلبه ان يكون منه مستكثرا ﴾ قال قتادة لوكان احد مكتفيا من العلم لاكتفى نبى الله موسى عليه السلام وقد قال للعبد الصالح هل اتبعك على ان تعلمنى مما علمت رشدا ﴿ ولمن استكثر منه ان يكون به عاملا ولايطلب لتركه احتجاجا ولا للتقصير فيه عذرا . وقد قال الشاعر ﴾ من الطويل ﴿ فلا تعذرانى ﴾ نهى مخاطب من اعذر الرجل اذا ابدى عذرا وصيغة التثنية لانه خطاب للرفيقين بناء على ان اقل الرفقة ثلاثة كما فى امثاله فالنهى متوجه على اصل الاعتذار كما هو غرض المصنف وتحتمل التكرير والتكثير كما فى لبيك وسعديك فيتوجه النهى الى اعتذار بعد اعتذار لاالى اصله ﴿ فى الاساءة انه . شرار الرجال من يسئ ﴾ كسلا او عمدا ﴿ فيعذر ﴾ دفعا لخجالته او اغفالا وخديعة يعنى شرارهم من يعتاد ذلك ﴿ ولا يسوف نفسه ﴾ للعمل بما علم ﴿ بالمواعيد الكاذبة ويمنيها ﴾ من التمنية يقال مناه اياه وبه اى جعل له امنية ﴿ بانقطاع الاشغال المتصلة ﴾ فيعمل حينئذ باستراحة البال وحضور القلب ﴿ فان لكل وقت شغلا ﴾ كثيرا ﴿ ولكل زمان عذرا ﴾ وقيرا يترك المسوف صفرا ﴿ وقال الشاعر ﴾ وهو الصلتان العبدى واسمه قثم بن حبيبة بن عبد القيس من معاصرى الفرزدق وجرير . من المتقارب ﴿ نروح ونغدو لحاجاتنا ﴾ اى نصبح ونمسى لها ﴿ وحاجة من عاش لاتنقضى ﴾ اى لاتنصرم ولا تنقطع ﴿ تموت مع المرء حاجاته . وتبقى له حاجة مابقى ﴾ اى مدة بقائه وحياته ﴿ و ﴾ ينبغى ان ﴿ يقصد طلب العلم واثقا بتيسير الله قاصدا وجه الله تعالى بنية خالصة وعزيمة صادقة فقد روى ﴾ رواه الترمذى عن ابن عمر رضى الله عنهما ﴿ عن النبى صلى الله عليه وسلم انه قال من تعلم علما لغير الله ﴾ من نحو جاه وطلب دنيا ﴿ اواراد به غير الله فليتبوأ مقعده من النار وروى ابو هريرة ﴾ كما روى الديلمى عنه ﴿ رضى الله عنه ان النبى صلى الله عليه وسلم قال تعلموا العلم قبل ان يرفع ﴾ وقوله ﴿ ورفعه ذهاب اهله ﴾ مدرج فى الحديث للتفسير ﴿ فان احدكم لايدرى متى يحتاج اليه ﴾ بالبناء للمفعول اى يحتاج الناس اليه لعلمه ﴿ اومتى يحتاج ﴾ هو ﴿ الى ماعنده ﴾ من العلم فيفوز به وقال ابو الدرداء رضى الله عنه مالى ارى علماءكم يذهبون وجهالكم لايتعلمون وقال رسول الله صلى الله عليه وسلم ان الله لايقبض العلم انتزاعا ينتزعه من الناس ولكن يقبض حتى اذا لم يبق عالم

(٢) (قال ابن المعتز) ياسارق الانوار من شمس الضحى . يامثكلى طيب الكرى ومنغصى . اما ضياء الشمس فيك فناقص . وارى حرارة نارها لم تنقص . لم يظفر التشبيه فيك بطائل . متسلخ لونا كلون الابرص . منه

اتخذالناس رؤساء جهالا فسئلوا فافتوا بغيرعلم فضلوا واضلوا * وقال عبدالله بن عباس رضى الله عنهما حين دلى زيدبن ثابت فى القبر من سره ان يرى كيف ذهاب العلم فلينظر فهكذا ذهابه كما فى البيان وقال الطغرائى . لاتيأسن اذا ماكنت ذا ادب . على خمولك ان ترقى الى فلك * فبينما الذهب الابريز مختلط . بالترب اذصارا كليلا على ملك ﴿ وليحذران يطلبه لمراء ﴾ اى لمجادلة ومنازعة من ماراه اذا جادله ﴿ اورياء فان الممارى به مهجور لاينتفع ﴾ بماعنده ﴿ والمرائى به محقور لايرتفع. وروى عن النبى صلى الله عليه وسلم انه قال لاتعلموا ﴾ بحذف احدى التاءين ﴿ العلم لتماروا به السفهاء ﴾ جمع سفيه وفيه ان المراء سفاهة ﴿ ولا تعلموا العلم لتجادلوا به العلماء ﴾ والجدال عبارة عن مراء يتعلق باظهار المذاهب وتقريرها ﴿ فمن فعل ذلك منكم فالنار مثواه ﴾ وفسر المصنف الممارى بقوله ﴿ وليس الممارى به هو المناظر فيه طلبا للصواب منه ﴾ والمناظرة لغة من النظير او من النظر بالبصيرة واصطلاحا هى النظر بالبصيرة من الجانبين فى النسبة بين الشيئين اظهارا للصواب ﴿ ولكنه ﴾ اى الممارى ﴿ القاصد لدفع مايرد عليه من فاسد اوصحيح ﴾ فيردالصحيح كالفاسد عنادا ومكابرة للحق ﴿ وفيهم جاءت السنة عن رسول الله صلى الله عليه وسلم انه قال لايجادل ﴾ فيما ظهر صوابه ﴿ الا منافق ﴾ ليوقع صاحبه فى الشك ﴿ اومرتاب ﴾ اى ذوريبة فى دينه وفى الجامع الصغير عن ابن عمر لاتجادلوا فى القرآن فان جدالا فيه كفر قال المناوى هو ان يسمع قراءة آية لم تكن عنده فيعجل على القارئ ويخطئه وينسب مايقرؤه الى انه غير قرآن اويجادله فى تأويل مالا علم عنده منه وسماه كفرا لانه يشرف بصاحبه على الكفر ﴿ وقال الاوزاعى ﴾ احدالاعلام ابو عمرو عبدالرحمن بن عمرو بن يحمد احد اتباع التابعين كان يسكن دمشق ثم تحول الى بيروت فسكنها مرابطا الى ان مات سنة سبع وخمسين ومأة كان مولده ببعلبك سنة ثمانين وكان اصله من سبى الهند . روى عن عطاء ومكحول ورأى ابن سيرين وعنه قتادة ويحيى ابن ابى كثير وهما من شيوخه ايضا وكان رأسا فى العلم والعبادة ﴿ اذا ارادالله بقوم شرا اعطاهم الجدل ومنعهم العمل ﴾ لما قال مالك بن انس المراء يقسى القلوب ويورث الضغائن وقال ميمون بن مهران لاتمار من هو اعلم منك انه يختزن عنك علمه ولم تضره شيئا وقال لقمان لابنه من لايملك لسانه يندم ومن يكثر المراء يشتم ومن يدخل مداخل السوء يتهم يابنى لاتمار العلماء فيمقتوك وقال بلال بن مسعدة اذارأيت الرجل لجوجا ممار يا معجبا بنفسه فقدتمت خسارته ولمسعر بن كدام يخاطب ابنه . انى منحتك ياكدام نصيحتى » فاسمع لقول اب عليك شفيق * اماالمزاحة والمراء فدعهما. خلقان لاارضاهما لصديق * انى بلوتهما فلم احمدهما . لمجاور جارا ولالرفيق ﴿ وانشد الرياشى ﴾ بكسر المهملة وتخفيف المثناة نسبة لرياش رجل من اجذم كان ابوه مملوكاله وهو ابوالفضل العباس اخذ عنه المبرد وابن دريد قال المبرد سمعت المازنى يقول قرأ على الرياشى كتاب سيبويه فاستفدت منه اكثر مما استفاد منى قتل بالبصرة وكان قائما يصلى الضحى فى مسجده سنة سبع وخمسين ومأتين ومن شعره * انكرت من بصرى ماكنت اعرفه. واسترجع الدهر ماقد كان يعطينا * أبعد سبعين قد ولت وسابعة. ابغى الذى كنت ابغيه ابن عشرينا ﴿ لمصعب بن عبدالله ﴾ بن مصعب بن ثابت الزبيرى الحافظ احد رواة الامام مالك ويروى عنه الشيخان وغيرهما . من الوافر ﴿ اجادل

كل معترض ظنين ﴾ اى متهم والظنة بالكسر التهمة والاستفهام مقدر اى أ اجادل وقوله ﴿ واجعل ﴾ معطوف على اجادل فهو فى حيز الاستفهام وكذا قوله الآتى واترك ﴿ دينه ﴾ المتهم فيه ﴿ غرضا ﴾ اى هدفا ومرمى ﴿ لدينى ﴾ القويم يعنى أ ارميه لدينه المعوج فاكون سببا لرميه دينى السديد وقد قال الله تعالى (ولا تجادلوا اهل الكتاب الا بالتى هى احسن) اى بالخصلة التى هى احسن وهى مقابلة الخشونة باللين والغضب بالكظم والسورة بالاناءة كما قال ادفع بالتى هى احسن (الا الذين ظلموا منهم) فافرطوا فى الاعتداء والعناد ولم يقبلوا النصح ولم ينفع فيهم الرفق فاستعملوا معهم الغلظة كذا فى الكشاف وفى الحديث من ترك الجدال محقا بنى الله له بيتا فى الجنة ﴿ واترك ماعلمت ﴾ يقينا ﴿ لرأى غيرى ﴾ الذى يحكم به هواه ﴿ وليس الرأى كالعلم اليقين ﴾ لان العلم اليقين هو الاعتقاد الجازم المطابق للواقع بحيث لا يقبل الشك ولا التشكيك والرأى اعم منه . ﴿ وما انا والخصومة وهى لبس ﴾ اى ما اصنع بالخصومة والحال انها عبارة عن لبس وخلط سقيم بصحيح ليشتبه على الخصم الباطل ويتلقنه كالحق ﴿ يصرف فى الشمال وفى اليمين ﴾ يعنى يحول كثيرا ذلك اللبس صاحب الجدال ويميله تارة الى جهة الباطل واصحاب الشمال وتارة الى جانب الحق واصحاب اليمين كما ان المغلول يميل الى الجهتين حتى يحل عقده . والميل الى الباطل ولو بطريق ارخاء العنان لتبكيت الخصم نقيصة فى الدين * ولما بين مضار الجدال فكأنه قيل اليس الجدال يذكر الانسان مانسى ويعلمه ماجهل فردها وقال ﴿ فاما ماعلمت فقد كفانى . واما ماجهلت فجنبونى ﴾ عنه وعما هو نقص فى الدين ولا يتعلم علم من المجادل المعارض كما لا يتعلم ضرب سيف من العدو المبارز . ومن اعاجيب ابن الرومى قوله فى ذم الجدال . لاولى الجدال اذا غدوا لجدالهم . حجج تضل عن الهدى وتجور * وهن كآنية الزجاج تصادمت . فهوت وكل مكاسر مكسور * فالقاتل المقتول ثم لوهنه . ولضعفه والآسر المأسور * اى الاسير والاخيذ ﴿ وقد بين ذلك بعض العلماء فقال لصاحبه لا يمنعنك حذر المراء ﴾ القبيح ﴿ من حسن المناظرة ﴾ والمناظرة فى العلم لنصرة الحق عبادة ولاحد ثلاثة حرام لقهر مسلم واظهار علم ونيل دنيا اومال اوقبول كما فى در المختار ﴿ فان الممارى هو الذى لا يريد ان يتعلم منه احد ولا يرجوان يتعلم من احد ﴾ بل كما قال الله تعالى (كالذى استهوته الشياطين) اى كالذى ذهبت به مردة الجن والغيلان (فى الارض) المهمه (حيران) تائها ضالا عن الجادة لا يدرى كيف يصنع . ومن الجدال نوع آخر قال ابن الرومى فى شعر يمازح به صديقاله . لكن فى الشيخ غريزة . يخاصم الله بها فى القدر * ماكان لم كان ومالم يكن . لم لم يكن فهو وكيل البشر * ﴿ واعلم * ان لكل مطلوب باعثا والباعث على المطلوب شيئان رغبة او رهبة فليكن طالب العلم راغبا راهبا اما الرغبة ففى ثواب الله تعالى لطالبى مرضاته وحافظى مفترضاته ﴾ باقامتها وتعليمها من لا يعلمها والامر بالمعروف ﴿ واما الرهبة فمن عقاب الله تعالى لتاركى اوامره ومهملى زواجره ﴾ بترك التعلم واهمال العلم المستلزم لترك العمل واهمال الامر بالمعروف والنهى عن المنكر وابطال الحقوق وحدوث العقوق واهمال العدل وظهور الجور الى غير ذلك ﴿ فاذا اجتمعت الرغبة والرهبة ادتا الى كنه العلم وحقيقة الزهد لان الرغبة ﴾ فى الثواب ﴿ اقوى الباعثين على العلم ﴾ والباعث

الآخر حب المباهة ونحوها ﴿ والرهبة ﴾ من العقاب ﴿ اقوى السببين فى الزهد ﴾ والسبب الآخر حب المنزلة عند الزهاد والصالحين ونحوها يعنى يترتب على فعل المأمور به الثناء عاجلا والثواب آجلا لكن الاحرى ان يكون الثانى هو الاقوى والمقصود بالذات ﴿ وقد قالت الحكماء اصل العلم الرغبة وثمرته السعادة واصل الزهد الرهبة وثمرته العبادة فاذا اقترن العلم والزهد فقد تمت السعادة ﴾ الدينية والدنيوية ﴿ وعمت الفضيلة ﴾ حالتى انفراده واجتماعه ويكمل فيكمل. فقد ذكر بعض الادباء نكتة فى لفظ العزلة وقال العزلة بلاعلم زلة وبلا زهد علة كأن حرف العين من العزلة مأخوذة من العلم فاذا اسقطت بقيت زلة وكذا الزاى مأخوذة من الزهد فاذا اسقطت بقيت علة يعنى ان ذلك العلم شبكة كبيت العنكبوت وذلك العالم يختفى كالعنكبوت ليصطاد به العوام الذينهم كالهوام ﴿ وان افترقا فياويح مفترقين ﴾ ويح كلمة رحمة وشفقة واصله عند البعض وى وهى كلمة تعجب تكون موصولة بالحاء تارة فيقال ويح فى محل الرحمة والشفقة . وموصولة باللام تارة فيقال ويل وهى كلمة عذاب. وتارة بالباء فيقال ويب بمعنى ويل وتارة بالسين فيقال ويس وهى كلمة رأفة . وبالخاء فيقال ويخ وبالهاء فيقال ويه وهى كلمة رحم ورقة مثل ويح كما فى القاموس . فياحرف ندبة وويح بالنصب لكونه على صورة المنادى المضاف (٢) يعنى ان افتراق العلم والزهد هو الافتراق الحقيق بالندبة والاحرى بالبكاء فليتحسر على افتراقهما المتحسرون وليتلهف على مباعدتهما المتلهفون لا على الرباع والاطلال ولا على مفارقة الشباب والاوطان ﴿ ما اضر افتراقهما واقبح انفرادهما ﴾ بالنصب مفعول التعجب ﴿ وقد روى عن النبى صلى الله عليه وسلم ﴾ كما رواه ابو نعيم عن على رضى الله عنه ﴿ انه قال من ازداد فى العلم رشدا ﴾ اى علما يثمر الرشد والاستقامة على طريق الحق مع تصلب فيه لما فى الجامع الصغير من ازداد علما ﴿ ولم يزدد فى الدنيا زهدا ﴾ بان كان علمه لصيد الدنيا فقط ﴿ لم يزدد من الله الا بعدا ﴾ لان ثمرة العلم الادبار عن الدنيا والاقبال على الآخرة فالعلماء احق بالزهد فى الدنيا من غيرهم . قال المناوى ولهذا قال الحكماء العلم فى غير طاعة الله مادة الذنوب ﴿ وقال مالك بن دينار ﴾ ابو يحيى البصرى العالم النقى والزاهد التقى وكان يتعيش بكد يمينه ويكتب المصحف الشريف توفى سنة احدى وثلاثين ومأة بالبصرة ﴿ من لم يؤت من العلم مايقمعه ﴾ اى يصرفه عن الدنيا من قمع فلانا اذا صرفه عما يريده وبابه منع ﴿ فما اوتى منه لاينفعه . وقال بعض الحكماء الفقيه بغير ورع كالسراج ﴾ والمصباح ﴿ يضئ البيت ويحرق نفسه ﴾ اخذه عباس بن الاحنف فقال . صرت كأنى ذبالة نصبت ه تضئ للناس وهى تحترق * ولما فرغ المصنف من بيان فضل العلم وماهو الاحرى للتعلم لكونه واجبا على الاعيان او على الكافة من علوم الدين وما يتعلق به وفرغ من بيان الموانع والقواطع عن تعلمه او تكثيره وتوفيره اراد تتميم البحث وتكميله بفصول ثلاثة اولها فيما يعين على فهم العلوم وتعلمه . وثانيها فيما يتأدب به المتعلم . وثالثها فيما يجب على العلماء فقال ﴿ فصل ﴾ ﴿ واعلم ان للعلوم اوائل تؤدى الى اواخرها ومداخل تفضى الى حقائقها ﴾ وقد تقدم مقدمات العلوم الشرعية ومداخلها . واما مقدمات العلوم العقلية فقد قال فيلسوف الاسلام ابو يوسف يعقوب بن اسحاق الكندى علوم الفلسفة ثلاثة فاولها الرياضى فى التعليم وهو اوسطها فى الطبع .

(٢) المندوب هو المتفجع عليه بيا اووا منه

والثانى علم الطبيعيات وهو اسفلها فى الطبع . والثالث علم الربوبية وهو اعلاها فى الطبع . وانما كانت العلوم ثلاثة لان المعلومات ثلاثة اما علم مايقع عليه الحس وهو ذوات الهيولى . واما علم ما ليس لذى هيولى. وهو اما ان يكون لايتصل بالهيولى البتة . واما ان يكون قد يتصل بها. فاماذات الهيولى فهى المحسوسات وعلمها هو العلم الطبيعى. واما مايتصل بالهيولى فهو علم الرياضيات التى هى العدد والهندسة والتنجيم والتأليف . واما مالايتصل بالهيولى البتة فهو علم الربوبية انتهى وكان القاضى ابو بكر بن العربى يقدم العلوم العربية والشعر على سائر العلوم ثم الحساب ثم القرآن ثم اصول الدين ثم اصول الفقه ثم الجدل(٣) ثم الحديث واقول قد صار كلام المتأخرين ممزوجا بالفلسفة ومشحونا بها فوجب تقديم الفلسفة على علم الكلام الذى هو اصول الدين . ولذا جمع استاذنا محمد عاطف الطوالع مع شرح العقائد النسفية رحمه الله ﴿ فليبتدئ ﴾ طالب العلم باوائلها لينتهى الى اواخرها وبمداخلها لتفضى الى حقائقها ولا يطلب الآخر قبل الاول ولا الحقيقة قبل المدخل فلا يدرك الآخر ﴾ لتعلقه بالاول ﴿ ولا يعرف الحقيقة ﴾ لذهوله عن مقدماتها ﴿ لان البناء على غير اس لايبنى والثمر من غير غرس لايجنى ﴾ فكما ان لكل ثمرة شجرة مخصوصة لكل مقاصد مبادو لكل مطالب مقدمات مخصوصة ﴿ ولذلك ﴾ الطلب ﴿ اسباب فاسدة ودواعى واهية (فمنها) ان يكون فى النفس اغراض تختص بنوع من العلم فيدعوه الغرض الى قصد ذلك النوع ويعدل عن مقدماته ﴾ ومتمماته ﴿ كرجل يؤثر القضاء ويتصدى للحكم فيقصد من علم الفقه ادب القاضى وما يتعلق به من ﴾ ضبط ﴿ الدعوى و ﴾ كيفية استماع ﴿ البينات ﴾ وترجيح بعضها على بعض اذا تعارضتا وتسجيلها وصكها ﴿ او يحب الاتسام بالشهادة فيتعلم كتاب الشهادات لئلا يصير موسوما بجهل مايعانى ﴾ اللام متعلق بقوله يقصد ويتعلم على سبيل التنازع وعلة لهما ﴿ فاذا ادرك ذلك ﴾ النوع المتعلق بالغرض ﴿ ظن انه قدحاز من العلم جمهوره ﴾ اى كثيره ومعظمه ﴿ وادرك منه مشهوره ﴾ الذى يكفى ذلك للاختصاص بالعلم ﴿ ولم ير مابقى منه الا غامضا طلبه عناء ﴾ لاينالها كثير من العلماء ﴿ و ﴾ الا ﴿ عويصا استخراجه فناء ﴾ اى اضاعة عمر فيما قل جدواه يقال امر عويص اى صعب شديد والشعر العويص ما اشكل استخراج معناه وفهم مضمونه كما قال الشاعر.

وارى من الشعر شعرا عويصا. ينسى الرواة بماقدرووا ﴿ لقصور همته على ماادرك ﴾ اللام متعلق بالطرف المثبت من القصر اى يراه غامضا لقصور آه ﴿ والصرا فها عماترك ولو نصح نفسه لعلم ان ماترك ﴾ من فنون العبادات والاخلاق والاعتقاد والمعاملات والحظر والاباحة الى غير ذلك ﴿ اهم مما ادرك ﴾ وهو نوع من المعاملة ﴿ لان بعض العلم مرتبط ببعض ولكل باب منه تعلق بما قبله فلا تقوم الاواخر الا باوائلها وقد يصح قيام الاوائل بانفسها ﴾ لعدم تعلقها بالاواخر ﴿ فيصير طلب الاواخر بترك الاوائل تركا للا ائل ﴾ علما ﴿ والاواخر ﴾ فهما ﴿ فاذا ليس يعرى من لوم وان كان تارك الكل الوم (ومنها) ان يحب الاشتهار بالعلم اما لتكسب اولتجمل ﴾ اى ليتخذه مكسبا يفوز بفوائده ويتجمل بعوائده كما قال الجامى * علم عالى مقام ازبهر جر خوائد علوم . چون على كش معنى استعلا وكار اوجرست ﴿ فيقصد من العلم مااشتهر من مسائل الجدل وطريق النظر ويتعاطى علم مااختلف فيه دون مااتفق عليه ليناظر على الخلاف وهو لايعرف الوفاق ويجادل الخصوم وهو لايعرف مذهبا مخصوصا ﴾ كما قال الشاعر.

(٣) والمراد به الخلافيات التى تتعلق بالمذاهب والا فآداب البحث والمناظرة وكذا المنطق بالنسبة الى اصول الدين واصول الفقه بمنزلة الدلو والرشاء للساقى اوكالمطمر والشاقول للبانى. فمن لامطمر له لم يستو بناؤه ومن لارشاء له لم يرتوظماؤه منه

خلافا لقولى من فيالة رأيه . كما قيل قبل اليوم خالف فتذكرا * واعيا هذا الداء تحرى زلل الاسلاف المجمع على جلالتهم واتخاذها احاديث كأنه فاق عليهم حتى ظفر بما لم يظفروا به ﴿ ولقد رأيت ﴾ لا حاجة الى تأكيد كلامه بالقسم ﴿ من هذه الطبقة عددا قد تحققوا ﴾ اى رسخوا وتمهروا ﴿ بالعلم ﴾ اى فى مجادلة الخصوم ﴿ تحقق المتكلمين ﴾ اى مثل رسوخهم وتمهرهم فى ايراد الحجج العقلية والبراهين النقلية ﴿ واشتهروا به اشتهار المتبحرين ﴾ اى المتسعين فى العلم والمتعمقين فيه ولهم امارة تدل على ان ماستكوا عنه مما يورث ملالهم ولكل جديد لذة كأن الجدل ادنى علومهم ﴿ اذا اخذوا ﴾ من افعال المقاربة اى شرعوا ﴿ فى مناظرة الخصوم ظهر كلامهم ﴾ وبان فضلهم على خصومهم لرسوخهم فيه اولثرثارهم ﴿ واذا سئلوا ﴾ بالبناء للمفعول ﴿ عن واضح مذهبهم ضلت افهامهم ﴾ لجهالتهم وكونهم مقلدا فيه ﴿ حتى انهم ليخبطون فى الجواب خبط عشواء ﴾ مونث اعشى مثل احمر حمراء يقال عشى الرجل من الباب الرابع اذا ساء بصره او عمى وخصه بعضهم بعمى الليل كالذى يبصر بالنهار دون الليل والناقة التى تركب على غير بصيرة ومنه المثل خبط خبط عشواء والخبط السير فى ليلة مظلمة بغير هدى لايعلم موضع رجله ﴿ فلا يظهر لهم صواب ولا يتقرر لهم جواب ثم لايرون ذلك ﴾ الخبط ﴿ نقصا ﴾ فيهم ﴿ اذا نمقوا ﴾ اى حسنوا وزينوا ﴿ فى المجالس كلاما مرصوفا ﴾ اى مربوطا بعضه الى بعض يقال رصف الحجارة فى مسيل الماء من الباب الاول اذا ضم بعضها الى بعض ﴿ ولفقوا على المخالف حجاجا مألوفا ﴾ لهم اى اذا القوا عليه مايشتبه به من لفق الثوب من الباب الثانى اذا ضم شقة الى اخرى فخاطهما معا يعنى غاية املهم ايراد كلام مموه وتشكيك الخصم ﴿ وقد جهلوا من المذاهب مايعلمه المبتدى ويتداوله الناشى فهم دائما فى لغط ﴾ بفتحتين او بفتح فسكون الصوت يقال سمعت لغط القوم اى صوتهم وجلبتهم اوهو اصوات مبهمة لاتفهم ﴿ مضل او غلط مذل ﴾ لقائله ﴿ ورأيت قوما منهم يرون الاشتغال بالمذاهب تكلفا والاستكثار منه تخلفا وحاجنى ﴾ اى خاصمنى ﴿ بعضهم عليه ﴾ اى على كون ذلك الاشتغال تكلفا ﴿ فقال لان علم حافظ المذاهب مستور وعلم المناظر عليه مشهور فقلت فكيف يكون علم حافظ المذاهب مستورا وهو سريع الجواب كثير الصواب فقال لانه ان لم يسأل سكت فلم يعرف ﴾ علمه ﴿ والمناظر ان لم يسأل سأل فعرف فقلت اليس اذا سئل الحافظ فاصاب بان فضله ﴾ اى ظهر ﴿ قال نعم . قلت افليس اذا سئل المناظر فاخطاء بان نقصه وقد قيل عند الامتحان يكرم المرء ﴾ باصابته الحق ﴿ او يهان ﴾ بخطئه اوخبطه ﴿ فامسك عن جوابى لانه ان انكر كابر المعقول ﴾ والمكابرة هى مدافعة الحق بعد العلم به كاهنا ويقال هى المنازعة فى المسئلة العلمية لا لاظهار الصواب بل لالزام الخصم ﴿ ولو اعترف لزمته الحجة والامساك اذعان ﴾ للحق ﴿ والسكوت ﴾ فى مقام الدفع ﴿ رضى ﴾ بمدلول الحجة ﴿ وان ينقاد الى الحق ﴾ بتسليمه ﴿ اولى من ان يستفزه الباطل ﴾ اى يزعجه ويذهب مكانته ووقاره بالتزامه ومدافعة الحق ﴿ وهذه ﴾ الطريقة ﴿ طريقة من يقول ﴾ لسان حاله او مقاله ﴿ اعرفونى وهو غير عروف ﴾ فعول بمعنى فاعل ﴿ ولامعروف ﴾ لاحالا ولاما لا ﴿ وبعيد ممن لايعرف العلم ﴾ ماهو ويشتغل بطنينه ويزعم ان العلم هو لاغير ﴿ ان يعرفه

الفيالة الضعف والسخافة فى الرأى منه

العلم ﴾ واهله ويشهره بستر عدم معرفته ﴿ وقد قال زهير ﴾ بن ابى سلمى فى معلقته من الطويل ﴿ ومهما تكن عند امرئ من خليقة ﴾ الخليقة والخلق بمعنى واحد اى من خلق حسن اوسئ ﴿ وان خالها تخفى ﴾ اى وان ظن ان تلك الخليقة تخفى ﴿ على الناس تعلم ﴾ مجزوم تقديرا لان حرف الروى الميم المكسورة يعنى ومهما كان للانسان خلق فظن انه يخفى على الناس علم ولم يخف لان الاخلاق لاتخفى والتخلق لايبقى والبهرجة لايكون نقدا ﴿ ومن اسباب التقصير ايضا ان يغفل عن التعلم فى الصغر ثم يشتغل به فى الكبر فيستحى ان يبتدئ بما يبتدئ به الصغير ويستنكف ﴾ اى يمتنع ويأنف من ﴿ ان يساويه الحدث الغرير ﴾ اى المغرور بعدم غفلته عن التعلم فى اوانه او بحفظه وفهمه كحفظ الكبير ﴿ فيبدأ باواخر العلوم واطرافها ويهتم بحواشيها اواكنافها ﴾ اى اطرافها ﴿ ليتقدم على الصغير المبتدئ ويساوى الكبير المنتهى وهذا ﴾ الاستنكاف ﴿ ممن رضى بخداع نفسه وقنع بمداهنة حسه ﴾ من داهنه اذا غشه ومكر به اى قنع بماغش به حسه ووهمه ولم يرجع الى معقوله بتعقله وتفكره ثانيا حتى يتبين له فساد ذلك المحسوس ﴿ لان معقوله ان ﴾ كان ﴿ احس ﴾ ذلك التصور كان يشهد بفساده لامحالة فالتقصير من عدم تأمل ماحسه وقناعته بما مكر به ﴿ ومعقول كل ذى حس ﴾ سليم ﴿ يشهد بفساد هذا التصور ﴾ يعنى البدأ باواخر العلوم وجملة يشهد خبر معقول وخبر ان محذوف للاحتراز عن العبث كما اشرنا اليه ﴿ وينطق باختلال هذا التخيل لانه شئ لايقوم فى وهم ﴾ فضلا عن عقل ﴿ ولجهل مايبتدئ به المتعلم اقبح من جهل ماينتهى اليه العالم ﴾ اللام موطئة للقسم ﴿ وقد قال الشاعر ﴾ من الوافر ﴿ ترق الى صغير الامر حتى . يرقيك الصغير الى الكبير ﴾ لان الصغير يقرب الى الكبير ويكون وسيلة اليه كالسلم للسقف ﴿ فتعرف بالتفكر فى صغيره كبيرا ﴾ مفعول لتعرف ﴿ بعد معرفة الصغير ﴾ ولهذا المعنى واشباهه كان المتعلم فى الصغر احمد . روى مروان بن سالم عن اسماعيل بن ابى الدرداء ﴾ والطبرانى عن ابى الدرداء ﴿ قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم مثل الذى يتعلم ﴾ العلم ﴿ فى صغره كالنقش ﴾ الحكوك ﴿ على الصخر ﴾ اى الحجر الصلب ﴿ ومثل الذى يتعلم فى كبره كالذى يكتب على الماء ﴾ المنجمد قال المناوى لانه فى الصغر خال عن الشواغل وماصادف قلبا خاليا تمكن فيه والكبير اوفر عقلا لكنه اكثر شغلا وقال الحفنى وهذا بحسب الغالب فلا يرد نحو الامام القفال والقدورى فان كلا تعلم بعد الشيب وصار اماما عظيما ﴿ وقال على بن ابى طالب كرم الله وجهه قلب الحدث كالاراضى الخالية ﴾ عن النباتات الغير المنتفع بها ﴿ ما القى فيها من شئ قبلته ﴾ وانمته ﴿ وانما كان كذلك لان الصغير افرغ قلبا واقل شغلا وايسر تبذلا ﴾ ضد الصيانة ﴿ واكثر تواضعا ﴾ لمعلمه ورفقائه ﴿ وقد قيل فى منثور الحكم المتواضع من طلاب العلم اكثرهم علما كما ان المكان المنخفض اكثر البقاع ماء . فاما ان تكون الصغير اضبط من الكبير اذا عرى ﴾ الكبير ﴿ من هذه الموانع واوعى منه ﴾ اى احفظ ﴿ اذا خلا من هذه القواطع فلا ﴾ نسلم ذلك ﴿ حكى ان الاحنف بن قيس سمع رجلا يقول التعلم فى الصغر كالنقش على الحجر فقال الاحنف الكبير اكثر عقلا ولكنه اشغل قلبا * ولعمرى لقد فحص الاحنف عن المعنى ﴾ اى بحث عنه واظهره ﴿ ونبه على العلة لان قواطع الكبير كثيرة (فنها) ماذكرنا من الاستحياء وقد قيل فى منثور

الحكم من رق وجهه رق علمه ﴾ لان العلم يزيد بالسؤال والحياء يمنع منه ﴿ وقال الخليل بن احمد يرتع الجهل ﴾ يقال رتع رتعا ورتوعا اذا اكل وشرب ماشاء فى خصب وسعة يعنى مأواه ومقره الذى يوجد فيه ﴿ بين الحياء والكبر فى العلم ﴾ وقال مجاهد لايتعلم العلم مستحى ولامستكبر وقالت عائشة رضى الله عنها نعم النساء نساء الانصار لم يمنعهن الحياء ان يتفقهن فى الدين كما فى صحيح البخارى ﴿ ومنها ﴾ اى من تلك القواطع ﴿ وفور شهواته وتقسم افكاره ﴾ لنيل كلها ﴿ وقال الشاعر ﴾ من الرجز اوالسريع المشطور ﴿ صرف الهوى عن ذى الهوى عزيز ﴾ اى نادر جدا ﴿ ان الهوى ليس له تمييز ﴾ حتى يفرق به بين الضار والنافع ﴿ وقال بعض البلغاء ان القلب اذا علق ﴾ اى اذا احب شيئا وعشقه ﴿ كالرهن اذا غلق ﴾ من باب علم ايضا يقال غلق الرهن اذا استحقه المرتهن وذلك اذا لم يفكه فى الوقت المشروط فاذا فكه الراهن فقد اطلقه من وثاقه عند مرتهنه فالغلق ضد الفك . وكان من افاعيل الجاهلية ان الراهن اذا لم يؤد ماعليه فى الوقت الموقت ملك المرتهن الرهن فابطله الاسلام كما فى حديث ابى هريرة عند ابن ماجة (لا يغلق الرهن) لانافية اوناهية والمعنى انه لايستحقه المرتهن اذا لم يستفكه صاحبه كما فى الجامع الصغير ﴿ ومنها الطوارق المزعجة والهموم المذهلة ﴾ عن تصور العلم وتعلمه ﴿ وقد قيل فى منثور الحكم الهم قيد الحواس وقال بعض البلغاء من بلغ اشده ﴾ على وزن افلس كأنك واختلف فى انه مفرد اوجمع اى من استكمل واستحكم قوته وعقله ﴿ لاقى من العيش اشده ﴾ على صيغة افعل التفضيل ﴿ ومنها كثرة اشتغاله وترادف حالاته حتى انها تستوعب زمانه وتستنفد ايامه ﴾ اى تفنيها ﴿ فاذا كان ذا رئاسة ﴾ عامة ﴿ الهته ﴾ اى اشغلته ذلك عن التخلى للعلم ﴿ وان كان ذا معيشة قطعته ولذلك قيل تفقهوا قبل ان تسودوا ﴾ قائله عمر رضى الله عنه قال القسطلانى بضم التاء وتشديد الواو اى تصيروا سادة من ساد قومه يسودهم سيادة قال ابو عبيدة اى تفقهوا وانتم صغار قبل ان تصيروا سادة فتمنعكم الانفة عمن هو دونكم فتبقوا جهالا ولاوجه لمن خصه بالتزوج لان السيادة اعم لانها قدتكون به وبغيره من الاشياء الشاغلة انتهى . وقال الشافعى رحمه الله * لايدرك الحكمة من عمره . يكدح فى مصلحة الاهل * ولا ينال العلم الافتى . خال من الافكار والشغل * لوان لقمان الحكيم الذى . سارت به الركبان بالفضل * بلى بفقر وعيال لما . فرق بين التبن والبقل ﴿ وقال بزرجمهر الشغل مجهدة والفراغ مفسدة ﴾ على وزن مصلحة فيهما وكل ماكان على هذه الزنة فهو بمعنى الداعى والباعث لماكان مأخوذا منه يعنى الشغل لبلوغ غاية ماطلبه يتعب النفس ويقطع عن تعلم العلم والفراغ سبب فساد لان منه يكون الصبوة وجهالة الفتوة ﴿ فينبغى لطالب العلم ان لاينى ﴾ اى لايفتر ﴿ فى طلبه وينتهز الفرصة به ﴾ اى ان يغتنمها ولايفوتها ﴿ فربما شح الزمان بما سمح ﴾ اى جاد واعطى ﴿ وضن بما منح ﴾ الضنة شدة البخل كالشح ﴿ ويبتدئ من العلم باوله ويأتيه من مدخله ﴾ كما قيل . وخير الامر ما استقبلت منه . وليس بان تتبعه اتباعا * يقال استقبل الامر اذا اخذه باوله ومقدماته وليس من الحزم ان تهمله حتى يفوت منك ثم تعدو خلفه وتتبعه بعد الفوت . ومنه المثل خذ الامر بقوابله . اى باوله وعنوانه ﴿ ولايتشاغل بطلب مالا يضر جهله فيمنعه ذلك ﴾ الطالب

﴿ من ادراك مالا يسعه جهله ﴾ بل يقدم الاهم على المهم ﴿ فان لكل علم فصولا مذهلة وشذورا مشغلة ﴾ جمع شـذر وهو قراضة ذهب تلتقط من المعدن اراد بها الشذوذ والنوادر التى قلما ينفع علمها وكتب المتأخرين مختصرة ومنقحة غاية التنقيح بحيث كادت تكون لغزا لولا الامثلة المصنوعة ولا اعرف فيها شذورا مشغلة ﴿ ان صرف اليها نفسه قطعته عما هو اهم منها ﴾ اى من تلك الفصول لذلك الطالب وقد تقدم من قول الحكماء من يعرف كل العلوم قال كل الناس فالاهمية اضافية لا حقيقية لان تدقيق طبائع الاقاليم والمعادن والنباتات والحيوانات مثلا اهم للطبيب دون الفقيه . وكذا علم قطعات الارض واعماق البحـار ومداخلهما وتدقيق احوال الجو والنجوم اهم للملاح ولقوائد السرايا دون غيرهم فلكل صنف ماهو اهم له فى حال الابتداء وبعد تمهره وحذقه فيما التزمه من العلوم طلبه لغيره فضيلة . والعلوم كالبحـار ولكل بحر مايستخرج منه من اللؤلؤ والمرجان ونحوها ولا يستخرجه غير الغواص وانما حظ السابح تبرده مدة ولا يغنيه ذلك من جوع فكل موضع يكفى فيه الظن الاشتغال فيه بالتحقيق اضاعة اوقات وقد مدح الله تعالى التقليد فى الفروع والعمليات فقال فاسئلوا اهل الذكر ان كنتم لاتعلمون وذمه فى الاصول والمعتقدات فقال انا وجدنا آباءنا على امة ولذلك ترى الفقهاء يقتصرون على ايراد دلائل ائمتهم ويسكتون عن دليل المخـالف كأنه لادليل له لكفاية الظن وترى المتكلمين يجثون عن ادلة خصومهم ومبنى مذاهبهم ومواضع غلطهم وكيفية ابطال ادلتهم لان العلم عندهم هو الاعتقاد الجازم المطـابق للواقع فالاطلاع بدليل المخـالف اهم للمتكلم دون الفقيه ولا يخفى ان كثيرا مما هو ليس باهم للمبتدى اهم للمنتهى وهذا فرق مابين العالم والمتعلم ﴿ وقال ابن عباس رضى الله عنهما العلم اكثر من ان تحصى فخذوا من كل شئ احسنه ﴾ وقال محمد بن على بن عبدالله بن العباس كفاك من علم الدين ان تعلم مالا يسع جهله وكفاك من علم الادب ان تروى الشـاهد والمثل وقال الامام ابراهيم بن محمد يكفى من حظ البلاغة ان لايؤتى السـامع من سـوء افهام الناطق ولا يؤتى الناطق من سوء فهم السـامع ﴿ وقال المأمون مالم يكن العلم بارعا ﴾ اى جميلا ﴿ فبطون الصحف اولى به من قلوب الرجال . وقال بعض الحكماء بترك مالا يعنيك تدرك مايعنيك ﴾ بالعين المهملة او المعجمة ﴿ ولا ينبغى ان يدعوه ذلك ﴾ اى ترك التشـاغل بمـا لايضر جهله ﴿ الى ترك مااستصعب عليه اشعار النفسه ان ذلك من فضول علمه واعذارا لها فى ترك الاشتغال به فان ذلك مطية النوكى وعذر المقصرين ومن اخذ من العلم ماتسهل وترك منه ماتعذر كان كالقنـاص ﴾ اى الصيـاد ﴿ اذا امتنع عليه الصيد تركه فلا يرجع الا خائبا اذ ليس يرى الصيد الا ممتنعا ﴾ حكى ان رجلا مهيبا رجع الى واشم وطلب ان يشم بين كتفيه صورة اسد يزعم انه اسد وطالعه اسد وانتخب صورة مهيبة من صور الاسد فلما اخذ الواشم يغرز الابرة تألم ولما تتابع الغرزات عيل صبره وصاح من اين شرعت قال من ذنبه قال متوجعا دعه لايكن له ذنب فاخذ من رجله ثم من الاخرى ثم من يديه وهو يصيح فى كل واحد دعه حتى شرع فى رأسه فقال دعه فغضب الواشم والقى الابرة من يده ولامه على دعوى الشجاعة وقال ان الله تعالى لم يخلق اسدا ليس له رأس ولا قوائم ولا ذنب حتى يصور صورته ﴿ كذلك العلم كله صعب ﴾ ابتداء ﴿ على من جهله سهل على من علمه ﴾ ومارسـه ﴿ لان معـانيه التى

(يتوصل)

يتوصل اليها مستودعة في كلام مترجم ﴾ اى مفسر ومبين ﴿ عنها ﴾ اى عن تلك المعانى ﴿ وكل كلام مستعمل ﴾ لامهمل ﴿ فهو يجمع لفظا مسموعا ومعنى مفهوما فاللفظ كلام يعقل بالسمع ﴾ بوصول الهواء المتكيف بكيفية الصوت الى الصماخ ﴿ والمعنى ﴾ المودوع ﴿ تحت اللفظ يفهم بالقلب ﴾ سواء كان ذلك اللفظ حقيقة فى ذلك المعنى اومجازا اوكناية ﴿ وقد قال بعض الحكماء العلوم مطالعها ﴾ جمع مطلع اسم مكان اومصدرا وجمعه لارادة العدد ﴿ من ثلاثة اوجه قلب مفكر ولسان معبر وبيان مصور ﴾ فالقلب كالزيت للقنديل واللسان كالفتيلة والبيان كايقاده . وهو اعم من ان يكون باللفظ وغيره قال الجاحظ فى كتاب البيان والتبيين قال بعض جهابذة الالفاظ ونقاد المعانى المعانى القائمة فى صدور العباد المتصورة فى اذهانهم والمتصلة بخواطرهم والحادثة عن فكرهم مستورة خفية وبعيدة وحشية ومحجوبة مكنونة وموجودة فى معنى معدومة لايعرف الانسان ضمير صاحبه ولاحاجة اخيه وخليطه وانما تحيي تلك المعانى بذكرهم لها واخبارهم عنها واستعمالهم اياها وهذه الخصال هى التى تقربها من الفهم وتجليها للعقل وتجعل الخفى منها ظاهرا والغائب شاهدا والبعيد قريبا وهى التى تلخص الملتبس وتحل المنعقد وتجعل المهمل مقيدا والمقيد مطلقا والمجهول معروفا والوحشى مألوفا والغفل(٤) موسوما والموسوم معلوما وعلى قدر وضوح الدلالة وصواب الاشارة وحسن الاختصار ودقة المدخل يكون اظهار المعانى وكلما كانت الدلالة اوضح وافصح وكانت الاشارة ابين وانور كان انفع وانجع . والدلالة الظاهرة على المعنى الخفى هو البيان الذى مدحه الله تعالى وبذلك تفاخرت العرب وتفاضلت اصناف الاعجام . والبيان اسم جامع لكل شئ كشف لك قناع المعنى وهتك الحجب دون ما فى الضمير حتى يفضى السامع الى حقيقته ويهجم على محصوله كائنا ما كان ذلك البيان ومن اى جنس كان ذلك الدليل لان مدار الامر والغاية التى يجرى اليها القائل والسامع انما هو الفهم والافهام فبأى شى بلغت الافهام واوضحت عن المعنى فذلك هو البيان فى ذلك الموضع * ثم اعلم حفظك الله ان حكم المعانى خلاف حكم الالفاظ لان المعانى مبسوطة الى غير غاية وممتدة الى غير نهاية واسماء المعانى مقصورة معدودة ومحصلة محدودة وجميع اصناف الدلالات على المعانى من لفظ وغير لفظ خمسة اشياء لاتنقص ولاتزيد اولها اللفظ ثم الاشارة ثم العقد ثم الخط ثم الحال تسمى نصبة والنصبة هى الحال الدالة التى تقوم مقام تلك الاصناف ولاتقصر عن تلك الدلالات ولكل واحد من هذه الخمسة صورة بائنة من صورة صاحبتها وحلية مخالفة لحلية اختها وهى التى تكشف لك عن اعيان المعانى فى الجملة ثم عن حقائقها فى التفسير وعن خاصها وعامها وعن طبقاتها فى السار والضار وعما يكون منها لغوا بهرجا وساقطا مطرحا * اما اللفظ والكلام فسيأتى بيانه مفصلا فى فصل مستقل وكذا الخط قريبا * واما الاشارة فباليد وبالرأس وبالعين والحاجب والمنكب اذا تباعد الشخصان وبالثوب وبالسيف وقد يهدد رافع السوط والسيف فيكون ذلك زاجرا رادعا ويكون وعيدا وتحذيرا والاشارة واللفظ شريكان ونعم العون هى له ونعم الترجمان هى عنه وما اكثر ما تنوب عن اللفظ وماتغنى عن الخط وفى الاشارة مرفق كبير ومعونة حاضرة فى امور يسترها الناس من بعض ويخفونها من الجليس وغير الجليس ولولا الاشارة لم يتفاهم الناس معنى خاص الخاص وهو مذهب للعرب ونبلاء اهل الادب وقد

(٤) الغفل ما لا علامة له منه

قالوا رب كناية تغنى عن ايضاح ورب لحظ يدل على الضمير وقال الشاعر * اشارت بطرف العين خيفة اهلها . اشارة مذعور ولم تتكلم * فايقنت ان الطرف قدقال مرحبا . واهلا وسهلا بالحبيب المتيم * وقال تميم بن المعتز * سبحان من خلق الخدو . د شقائقا تتبسم * واعارها الالحاظ فهي بلحظها تتكلم * والاشعار فى هذا المعنى كثير . هذا ومبلغ الاشارة ابعد من مبلغ الصوت فهذا ايضا باب تتقدم فيه الاشارة الصوت * والصوت هو آلة اللفظ وهو الجوهر الذى يقوم به التقطيع وبه يوجد التأليف ولن تكون حركات اللسان لفظا ولا كلاما موزونا ولا منثورا الا بظهور الصوت ولا تكون الحروف كلاما الا بالتقطيع وبه يوجد التأليف . وحسن الاشارة باليد والرأس من تمام حسن البيان باللسان مع الذى يكون مع الاشارة من الدل والشكل والتفتل والتثنى واستدعاء الشهوة وغير ذلك من الامور * واما القول فى العقد وهو الحساب دون اللفظ والخط فالدليل على فضيلته وعظم قدر الانتفاع به قول الله عز وجل فالق الاصباح وجعل الليل سكنا والشمس والقمر حسبانا ذلك تقدير العزيز العليم. وقال خلق الانسان علمه البيان الشمس والقمر بحسبان * والحساب يشتمل على معان كثيرة ومنافع جليلة ولولا معرفة العباد بمعنى الحساب فى الدنيا لما فهموا عن الله عز وجل معنى الحساب فى الآخرة وفى عدم اللفظ وفساد الخط والجهل بالعقد فساد جل النعم وفقدان جمهور المنافع واختلال كل ما جعله الله عز وجل لنا قواما ومصلحة ونظاما(١) ومنه قول الفقهاء فى التشهد ويشير بثلاثة وخمسين لما روى مسلم عن ابن عمر كان رسول الله صلى الله عليه وسلم اذا قعد فى التشهد وضع يده اليسرى على ركبته اليسرى ووضع يده اليمنى على ركبته اليمنى وعقد ثلاثة وخمسين واشار بالسبابة يعنى عند التشهد كما فى الكبير للحلبى والشعراء كثيرا مايعبرون عن المعانى المستهجنة بالعقود ومطايبات ابى نواس مشحونة بتلك التعبيرات ومن ذلك القبيل قول ابن المعتز عفا الله عنه * مضى خالد والمال تسعون درهما . وآب ورأس المال ثلث الدراهم * واما النصبة فهى الحال الناطقة بغير اللفظ والمشيرة بغير اليد وذلك ظاهر فى خلق السموات والارض وفى كل صامت وناطق وجامد ونام ومقيم وظاعن وزائد وناقص فالدلالة التى فى الموات الجامد كالدلالة فى الحيوان الناطق فالصامت ناطق من جهة الدلالة والعجماء معربة من جهة البرهان ولذلك قال الاول سل الارض من شق انهارك وغرس اشجارك وجنى ثمارك فان لم تجبك حوارا اجابتك اعتبارا . وقال بعض الخطباء اشهد ان السموات والارض آيات وآلات وشواهد قائمات كل يؤدى عنك الحجة ويعرب عنك بالربوبية موسومة بآثار قدرتك ومعالم تدبيرك التى تجليت بها لخلقك فاوصلت الى القلوب من معرفتك ما آنسها من وحشة الفكر ورجم الظنون فهى على اعترافها لك وذلها اليك شاهدة بانك لا تحيط بك الصفات ولا تحدك الاوهام وان حظ المفكر فيك الاعتراف لك انتهى ومتى دل الشئ على معنى فقد اخبر عنه وان كان صامتا واشار اليه وان كان ساكتا وهذا القول شائع فى جميع اللغات ومتفق عليه مع افراط الاختلافات بين اللغات انتهى ماقاله الجاحظ مع زيادة بعض الامثلة . واحسن ماصادفته من هذا القسم قول ابن العربى مضمنا لقول لبيد . تأمل سطور الكائنات تجدبها . من الملاء الاعلى اليك رسائل * وفى كل سطر لو تأملت مافيه . الا كل شئ ماخلا الله باطل * وقال بعضهم * فسبحان الذى قد سبح الاشياء . بحمد ذاته القدوس الاعلى * جميع

(١) مترجم قاموس احمد عاصم افندى ديبور كه اوائل عربده خصوصا على الدوام طائفهٔ اعرابده كتابت اولمغله حساب وقسمت مقوله سى نسنه لرى بينلرنده معهود اولان پرمق حسابيله محاسبه ايدرلرايدى وحساب مرقوم برقاچ كونه اولوب كتب نحويه ده مذكوردر وال اربعه نك برقسمى اولان عقودكه رسالهٔ مخصوصه سنه بالظفر ثبت اولنمشدر مجملى بودركه يدينانك اصابعندن خنصر وبنصر ووسطى عقد آحاده مخصوصدر وسبابه وابهامى عقد عشراته ويديسرا اصابعندن سبابه وابهام عقد مآته وخنصر وبنصر ووسطى عقد الوفه مخصوصدر . پس عدد واحد اراده سنده يدينانك جميع اصابعنى بسط ايدوب يالكزجه خنصرى آوجى ايچره ضم ايدر يعنى يومار . واثنين اراده سنده بنصرى دخى يوموب وثالث اراده سنده وسطايى دخى يومار كه بواوچنك ضمى اوچ عدده اشارت اولور . ورابع اراده سنده بنصر و وسطايى مضموما ترك ايدوب همان خنصرى رفع ايدر . وخامسده وسطايى ضم وخنصر وبنصرى رفع ايدر وسادسده فقط بنصرى ضم وخنصر ووسطايى رفع ايدر . وسابعده بنصر ووسطا مرفوع اولوب خنصرك عقد اسفلنى يعنى اشاغى مفصلنى ضم واوجنى آوجى ايچره مد ايدر واحدايله فرقى بوجهتله در . وثامنده بنصرى دخى وجه مذكور اوزره ايدر . (الطير)

الطير يسجع فی غصون. بالحان اشتاقا لا وحالا * وقال السعدی * نه بلبل بركلش تسبيح خوانيست . كه هر خاری بتسبيحش زبانيست . والكل مأخوذ من قوله تعالى وان من شئ الا يسبح بحمده ولكن لا تفقهون تسبيحهم ﴿ فاذا عقل ﴾ الطالب ﴿ الكلام ﴾ بسمعه فهم معانيه بقلبه واذا فهم المعانی سقط عنه كلفة استخراجها وبقی عليه معاناة حفظها واستقرارها ﴿ بتكرارها ﴾ لان المعانی شوارد ﴾ ای نوافر ﴿ تضل بالاغفال والعلوم وحشية تنفر بالارسال ﴾ وعدم التعهد مرة بعد اخری ﴿ فاذا حفظها بعد الفهم انست واذا ذكرها ﴾ باللسان او بالقلب ﴿ بعد الانس رست ﴾ من رسا الشئ يرسو اذا ثبت ﴿ وقال بعض العلماء من اكثر المذاكرة بالعلم لم ينس ما علم واستفاد ما لم يعلم ﴾ لان النظرة الاولى حمقاء وهكذا كل نظرة بالنسبة الى نظرة بعدها فكما ان الانسان لا يتبسم لمن واجهه ابتداء وكلما كثر التواصل والتعاهد يقل الوحشة ويكثر الموانسة الى ان يصير احدهما محرم اسرار الآخر كذلك الموانسة بالمعانی ﴿ وقال الشاعر ﴾ من الطويل ﴿ اذا لم يذاكر ذو العلوم بعلمه . ولم يستفد علما ﴾ جديدا ﴿ نسی ما تعلما ﴾ لان للعلوم تعلقا وارتباطا بعضها مع بعض فكما ان الخيوط الضعيفة يتقوی ويستحكم بجمع بعضها مع بعض وفتلها كذلك العلوم ﴿ فكم جامع للكتب فی كل مذهب . يزيد مع الايام فی جمعه عمی ﴾ ای جهالة بنسيان ما فيها ﴿ وان لم يفهم معانی ما سمع ﴾ من الالفاظ ﴿ كشف عن السبب المانع منها ليعلم العلة فی تعذر فهمها فان بمعرفة اسباب الاشياء وعللها يصل الی تلافی ما شذ ﴾ وتداركه ﴿ وصلاح ما فسد * وليس يخلو السبب المانع من ذلك ﴾ الفهم ﴿ من ثلاثة اقسام اما ان يكون لعلة فی الكلام المترجم عنها ﴾ ای المبين عن المعانی ﴿ واما ان يكون لعلة فی المعنی المستودع فيها ﴾ ای فی الالفاظ ﴿ واما ان يكون لعلة فی السامع المستخرج فان كان السبب المانع من فهمها العلة فی الكلام المترجم عنها لم يخل ذلك ﴾ المانع ﴿ من ثلاثة احوال احدها ان يكون لتقصير اللفظ عن المعنی ﴾ ای عن افادته او ايضاحه ﴿ فيصير تقصير اللفظ عن ذلك المعنی سببا مانعا من فهم ذلك المعنی وهذا ﴾ التقصير ﴿ يكون من احد وجهين اما من حصر المتكلم وعيه ﴾ حياء او هيبة وجلالا او بانسياق الكلام الی مقاصد لم يتقن مقدماتها ﴿ واما من بلادته وقلة فهمه ﴾ والتفهيم فرع الفهم ولم يفهمها حتی يفهمها ﴿ الحال الثانی ان يكون لزيادة اللفظ علی المعنی فتصير الزيادة علة مانعة من فهم المقصود منه وهذا قد يكون من احد وجهين اما من هذر المتكلم واكثاره واما لسوء ظنه بفهم سامعه * والحال الثالث ان يكون لمواضعة ﴾ وعرف ﴿ يقصدها المتكلم بكلامه فاذا لم يعرفها السامع لم يفهم معانيها * اما تقصير اللفظ وزيادته فمن الاسباب الخاصة دون العامة لانك لست تجد ذلك ﴾ التقصير والزيادة ﴿ عاما فی كل كلام وانما تجده فی بعضه فان عدلت عن الكلام المقصر الی الكلام المستوفی وعن الزائد الی الكافی ارحت نفسك ﴾ ای اوصلتها الی الراحة والسعة ﴿ من تكلف ما يكد خاطرك وان اقت علی استخراجه اما لضرورة دعتك اليه ﴾ ای الی الاستخراج ﴿ عناء او زغيره ﴾ واشكاله ﴿ او لحمية ﴾ وغيرة ﴿ داخلتك عند تعذر فهمه ﴾ فاصررت علی فهمه لدفع العار من نفسك ﴿ فانظر فی سبب الزيادة والتقصير فان كان التقصير لحصر والزيادة لهذر ﴾ يقال هذر كلامه من الباب الرابع اذا كثر فی كلامه الخطأ والباطل وكلام هذر ای كثير ردئ او ساقط ﴿ سهل ﴾ بابه حسن

وناسعده وسطايی دخی اويلجه ايدر . واول عشرات اولاد اونده سبابه نك طرفنی اوجنی ابهامك اوجنك ايچ طرفنه ايلشدروب حلقه شكلنده كوسترر . ويكرميده ابهامك اوجنی سبابه ايله وسطی ارالغنه قصدروب لحم زائد هيئتنده كوسترر . واوتوزده سبابه نك اوجنك ايچ طرفنی ابهامك اوجنك ايچ طرفنه ضم ايدوب يردن ايكنه آلور كبی اولور . وقرقده ابهامی سبابه اوزره بر مقدارجه آشورور شويله كه سبابه نك اوجی ابهامك يساری طرفندن كوكنه طوغری كاور . واللیده ابهامی باطن سبابه يه طوغری مد ايدر . والتمشده ابهام وسبابه يی مد ايدوب عقد اولارينك باطنلرينی بر برينه ضم ايدر شويله كه تيرانداز اوق آتديغی وقتده اوق طوتديغی شكلده اولور . ويتمشده ابهامك طرفنی اوجنی وسطه سبابه باطنندن اورته مفصله صقيجه ضم ايدوب سبابه نك اوجنی اوزرينه آشوری طوتار . وسكساننده ابهامی سبابه اوزره كركی كبی آشورر شويله كه ابهامك اوجنك ايچ طرفی سبابه نك طشره طرفندن جاق دينه طوغری كامكله سبابه بومولمش قالور قرقدن فرقی بو جهتله در . وطقسانده سبابه نك اوجنی دبنه طوغری كركی كبی بوكوب ضم ايدر وبونلره آحاد دخی ضم اولنور مثلا اوتوز اوچ عدد اراده سنده اوتوزده ذكر اولنان وجه اوزره يردن ايكنه آلور كبی باطن طرف ابهامی باطن طرف

﴿ عليك استخراج المعنى منه لان ماله من الكلام محصول لا يجوز ان يكون المختل منه اكثر من الصحيح وفى الاكثر ﴾ الغير المتخل ﴿ على الاقل ﴾ المختل ﴿ دليل * وان كانت زيادة اللفظ على المعنى لسوء ظن المتكلم بفهم السامع كان استخراجه اسهل ﴾ لان الكلام المصوغ على فهم الغبى يتسع على المتوسط والذكى ﴿ وان كان تقصير اللفظ عن ﴾ افادة ﴿ المعنى لسوء فهم المتكلم فهو اصعب الامور حالا وابعدها استخراجا لان ما لم يفهمه مكلمك فانت من فهمه ابعد الا ان يكون بفرط ذكائك وجودة خاطرك تتنبه باشارته ﴾ اى بعبارته التى لا سياق لها كالاشارة ﴿ على استنباط ما عجز عنه واستخراج ما قصر فيه ﴾ مكلمك ﴿ فتكون فضيلة الاستيفاء لك وحق التقدم له ﴾ اذا بنيت كلامك على اصل اسسه مكلمك واما اذا هدمت اساسه ايضا لفساده فلا يبقى له فضيلة اصلا ﴿ واما المواضعة ﴾ والاصطلاح وهو عبارة عن اتفاق قوم على تسمية الشئ باسم ماينقل عن موضوعه الاول ﴿ فضربان عامة وخاصة اما العامة فهى مواضعة العلماء فيما جعلوه القابا لمعان لا يستغنى المتعلم عنها ولا يقف على معنى كلامهم الابها ﴾ اى بحفظ تلك المواضعات وجمع السيد الشريف مقدارا يسيرا منها وسماه التعريفات واهل اللغة كثيرا ما ينبهون عليها ﴿ كما جعل المتكلمون الجواهر والاعراض والاجسام ﴾ ونحوها ﴿ القابا تواضعوها لمعان اتفقوا عليها ولست تجد من العلوم علما يخلو من هذا وهذه المواضعة العامة ﴾ المتفق عليها عند اهل ذلك العلم ﴿ تسمى عرفا ﴾ واصطلاحا ﴿ واما ﴾ المواضعة ﴿ الخاصة فمواضعة الواحد يقصد بباطن كلامه غير ظاهره فان كانت ﴾ مواضعة الواحد ﴿ فى الكلام ﴾ المنثور ﴿ كانت رمزا ﴾ ومعمى يقال عمى معنى كلامه اذا اخفاه ﴿ وان كانت فى الشعر كانت لغزا ﴾ بضم فسكون او بضمتين او بفتحتين او بضم اللام وفتح الغين وكذا الالغوزة كالاضحوكة الكلام المصروف عن وجهه والذى عمى فيه المرام وفرق بعضهم بينهما بان اللغز ما يجئ على طريقة السؤال ﴿ فاما الرمز فلست تجده فى علم معنوى ﴾ له معنى صحيح ﴿ ولا فى كلام لغوى وانما يختص غالبا باحد شيئين اما بمذهب شنيع يخفيه معتقده ويجعل الرمز سببا لتطلع النفوس اليه ﴾ اى لوقوفها وتعلمها ذلك المذهب بتكلف ﴿ و ﴾ يجعل ﴿ احتمال التأويل فيه سببا لدفع التهمة عنه ﴾ كما فعل اليهود حيث قال الله تعالى (من الذين هادوا يحرفون الكلم عن مواضعه) اى من الذين هادوا قوم او فريق يحرفون الخ (ويقولون سمعنا وعصينا) كانوا اذا امرهم النبى صلى الله عليه وسلم بشئ يقولون فى الظاهر سمعنا وفى انفسهم وعصينا او المعنى انهم يظهرون قولهم سمعنا وعصينا اظهارا للمخالفة واستحقارا للامر (واسمع غير مسمع) اى ويقولون ذلك فى اثناء مخاطبته عليه السلام خاصة وهو كلام ذو وجهين محتمل للشر بان يحمل على معنى اسمع منا حال كونك غير مسمع كلاما اصلا بصمم اوموت اى مدعوا عليك بلا سمعت او غير مسمع كلاما ترضاه وللخير بان يحمل على اسمع منا غير مسمع مكروها كانوا يخاطبون به النبى صلى الله عليه وسلم استهزاء به مظهرين له ارادة المعنى الاخير وهم مضمرون فى انفسهم المعنى الاول مطمئنون به (وراعنا) وهى ايضا كلمة ذات وجهين محتملة للخير بحملها على معنى ارقبنا وانظرنا نكلمك وللشر بحملها على السب بالرعونة اى الحمق او باجرائها مجرى ما يشبهها من كلمة عبرانية كانوا يخاطبون عليه السلام

سبابه يه كوشكجه ضم ايدلدلمكره اوچ اشارتى اولان خنصر وبنصر ووسطايى آووجى ايچره قبض ايدر آحاد سائره دخى بو قياس اوزره در . وعقد مآت اصابع يسرانك سبابه وابهامنه مخصوصدر يناده اون عدد شمالده يوز اولور كذلك يناده يكرمى يسرادە ايكى يوز اولور طقوز يوزه قدر اول قياس اوزره در . وعقد الوف يسرانك خنصر و بنصر ووسطاسنه مخصوصدر كه يناده آحاد محليدر پس يناده بر عدد يسراده بيك اولوب يناده ايكى يسراده ايكى بيك اولور هكذا طقوز بيكه قدر واندن زياده اولور ايسه عشرات ومآت عقودندن استعاره واستضمام اولنور . ايشته نحويونك عقود اطلاق ايتدكلرى بو اوله جقدر فاحفظها وكن من الشاكرين وادع لمن بينها على الوجه المبين انتهى بعبارته منه

بذلك يلوون الشتيمة والاهانة ويظهرون التوقير والاحترام (ليـا بالسنتهم) اى فتلابهـا وصرفا للكلام عن نهجه الى السب والتحقير (وطعنـا فى الدين) اى قدحا فيه بالاستهزاء والسخرية كما فى التفاسير فاخزى الله اليهود ومن يحذو حذوهم ﴿ واما لمايدعى اربابه انه ﴾ اى الرمز ﴿ علم معوز ﴾ اى مشكل من اعوزالامر اذا اشكل ﴿ وان ادراكه بديع معجز كالصنعة التى وضعها اربابها اسما لعلم الكيمياء ﴾ معرب من كيم يه وهو لفظ عبرانى معنـاه آية من الله كما فى الموضـوعات وفى القـاموس الصنعة المزوجة بالحـذق والحيلة وهو لفظ يونانى ﴿ فرمزوا باوصافه واخفوا معانيه ﴾ ويعبرون عن المعادن السبعة بواحد من الافلاك السبعة او الســيارات السبع فالشمس او فلك الشمس للذهب والقمر للفضـة الى آخره ﴿ ليوهموا الشح به والاسف عليه ﴾ يقال اسف عليه من الباب الرابع اذا حزن اشدالحزن يعنى على اظهاره وتعليمه كأنه يعلمه ويعيش به ومع هذا ليس له خردلة لامن دينـار ولامن درهم . كما قال السعدى . كيميا كر بغصه مرده ورنج * ابله اندر خرابه يافته كنج ﴿ خديعة للعقول الواهية والآراء الفاسدة ﴾ فيتعيش اياما بزادهم ﴿ وقد قال الشـاعر ﴾ من البسيط ﴿ منعت ﴾ بالبناء للمفعول ﴿ شيئا ﴾ منصوب بنزع الخـافض اى عنه ﴿ فاكثرت الولوع به ﴾ على وزن قبول يقال ولع بالشئ من الباب الرابع اذا علق به شديدا ﴿ احب شئ الى الانسان مامنعا ﴾ منه لان المرء حريص على مامنع ﴿ ثم ليكونوا ﴾ معطوف على قوله ليوهموا ﴿ براء ﴾ جمع برئ ككريم وكرام ﴿ من عهدة ماقالوه اذا جرب ﴾ ولم يبق غير اوساخ الايادى واسوداد الوجوه ﴿ ولوكان ماتضمن هذين النوعين ﴾ الكيميـاء والمذهب الشـنيع ﴿ واشباههما من الرموز معنى صحيحا وعلما مستفادا لخرج من الرمز الخفى الى العلم الجلى فان اغراض النـاس مع اختلاف اهوائهم لاتتفق على سـتر سليم واخفاء مفيد ﴾ وان اعوز اظهاره ﴿ وقد قال زهير ﴾ من السريع ﴿ الستر دون الفاحشات ﴾ اى امام القبايح لاخفاء قبحها ﴿ ولا . يلقاك دون الخير من ستر ﴾ ولذا حرم كشف العورة دون سائر الاعضاء وكأن ابا نواس عفا الله عنه لدفع هذا الاحتمال قال * وبح باسم من اهوى ودعنى عن الكنى . فلا خير فى اللذات من دونها ستر ﴿ وربما استعمل الرمز من الكلام فيما يراد تفخيمه من المعانى وتعظيمه من الالفاظ ليكون احلى فى القلوب موقعـا واجل فى النفوس موضعا فيصير بالرمز سـائرا ﴾ اى فاشيا كالامثال ﴿ وفى الصحف مخلدا كالذى حكى عن فيثاغورس فى وصاياه المرموزة انه قال احفظ ميزانك من البذى ﴾ الفحش فى القول ﴿ واوزانك من الصـدى ﴾ الوسخ ﴿ يريد بحفظ الميزان من البذى حفظ اللسان من الخنا ﴾ يقال خنا يخنو وخنى يخنى من الباب الرابع اذا افحش فى منطقه ﴿ وبحفظ الاوزان من الصدى حفظ العقل من الهوى ﴾ وهذا الرمز نوع استعارة الاان القائل لم يقصد علاقة ولذا صار رمزا اوقصد علاقة خفية ﴿ فصار بهذا الرمز مستحسنا ومدونا ولوقاله باللفظ الصريح والمعنى الصحيـح لماسار عنه ولا استحسن منه وعلة ذلك ﴾ الاستحسان ﴿ ان المحجوب عن الافهام كالمحجوب عن الابصار فيما يحصل له فى النفوس من التعظيم وفى القلوب من التفخيم ﴾ كرؤية الهلال وسابع الثريا ﴿ وما ظهر منها ولم يحتجب هـان واسترذل ﴾ كالنسـاء اللاتى لاحجـاب لهن ولاذلال وقد قال السعدى . ديدار مينمايى وپرهيزمى كنى . بازار خويش

كيميا معجزه موسادر . غيرى كيمسه اكا اولمز قادر . مالنى ناره ياقار مفلس اولور . آلتون آدى بوزيلور ده مس اولور . وارمى دانش كبى خالص ابريز . پاك وبى باك محك تميز . كما فى لطفية وهى منه

و آتش ماتيز مى كنى ﴿ وهذا ﴾ اى الرمز للتعظيم ﴿ انما يصح استحلاؤه ﴾ اى ارادة جعله حلوا ﴿ فيما قل ﴾ اى فى مسائل قليلة وهى المشهورة منها ﴿ وهو باللفظ الصريح مستقل ﴾ مدون برأسها فالرمز اسلوب آخر يتقرر به المسائل عند الطالب كال تقرر لتيله اجمالها وتفصيلها ورمزها وصريحها ﴿ فاما العلوم المنتشرة التى تتطلع النفوس ﴾ اى تستشرف اى وتنتظر ﴿ اليها فقد استغنت بقوة الباعث عليها وشدة الداعى اليها عن الاستدعاء اليهـا برمز مستحل ولفظ مستغرب بل ذلك ﴾ الاستدعاء ﴿ منفر عنهـا لما فى التشـاغل باستخراج رموزهـا من الابطاء عن دركهـا ﴾ كعروض الصبيان ﴿ فهذا حال الرمز واما اللغز ﴾ مأخوذ من لغز الشئ لغزا بفتح اللام اذا ماله عن وجهه ويجمع على الغاز ويسمى المعمى والاحجية ايضـا وهو الطريق الذى يلتوى ويشكل على سـالكه . وهو يشتبه بالكناية تارة وبالتعريض اخرى ويشتبه ايضـا بالمغالطـات المعنوية ووقع فى ذلك عامة ارباب هذا الفن فمن ذلك ان الحريرى ذكر فى الاحاجى التى جعلها على حكم الفتاوى كناية ومغالطة معنوية وظن انهما من الاحاجى الملغزة كقوله ايحل للصائم ان يأ كل نهارا . والنهار من الاسماء المشتركة بين النهار الذى هو ضد الليل وبين فرخ الحبارى فانه يسمى نهارا. واذا كان من الاسماء المشتركة صار من باب المغالطات المعنوية لا من باب الاحاجى. والالغاز شئ منفصل عن ذلك كله وكذا اذا حمل اللفظ على الكناية والمجاز لا يعد من جملة الالغاز ولوكان من جملته لما قيل لغز واحجية وانما قيل كناية اوتعريض اومغالطة ولكن وجد من الكلام ما يطلق عليه الكنـاية ومنه ما يطلق عليه التعريض ومنه ما يطلق عليه المغالطة ومنه شئ آخر خارج عن ذلك كله فجعل لغزا واحجية لان الكناية هى اللفظ الدال على جانب الحقيقة وعلى جانب المجاز فهو يحمل عليهما معا. وان التعريض هو ما يفهم من عرض اللفظ لا من دلالته عليه حقيقة ولا مجازا. وان المغالطة هى التى تطلق ويراد بها شيئان احدهما دلالة اللفظ على معنيين بالاشتراك الوضعى والآخر دلالة اللفظ على المعنى ونقيضه. واما اللغز والاحجية فانهما شئ واحد وهو كل معنى يستخرج بالحدس والحزر لا بدلالة اللفظ عليه حقيقة ولا مجازا ولا يفهم من عرضه لان قول القائل فى الضرس . وصاحب لا امل الدهر صحبته . يشقى لنفعى ويسعى سعى مجتهد* ما ان رأيت له شخصا فمذ وقعت. عينى عليه افترقنا فرقة الابد* لا يدل على انه الضرس لا من طريق الحقيقة ولا من طريق المجاز ولا من طريق المفهوم وانما هو شئ يحدس ويحزر والخواطر تختلف فى الاسراع والابطاء عند عثورها عليه (فان قيل) ان اللغز يعرف من طريق المفهوم وهذان البيتان يعرف معناهما بالمفهوم (قلت) فى الجواب ان الذى يعرف بالمفهوم انما هو التعريض كقول القائل انى لفقير وانى لمحتاج فان هذا القول لا يدل على المسئلة والطلب لا حقيقة ولا مجازا وانما فهم منه ان صاحبه متعرض للطلب وهذان البيتان ليسا كذلك فانهما لا يشتملان على ما يفهم منه شئ الا بالحدس والحزر لا غير وكذلك كل لغز من الالغاز كما فى المثل السائر لابن الاثير ﴿ فهو تحرى اهل الفراغ وشغل ذوى البطالة ليتنا فسوا ﴾ اى يتسابقوا ﴿ فى تباين قرائحهم ويتفاخروا فى سرعة خواطرهم فيستكدوا خواطر قد منحوا ﴾ بالبناء للمفعول اى اعطوا ﴿ صحتها فيما ﴾ متعلق بيستكدوا اى يتعبوها فيما ﴿ لا يجدى ﴾ اى لا يعطى ﴿ نفعا ولا يفيد علما كاهل الصراع ﴾ من يصرع الناس ويطرحهم على الارض ﴿ الذين قد صرفوا اما منحوا

من صحة اجسامهم ﴾ وقوة اجسادهم ﴿ الى صراع ﴾ اى مصارعة ﴿ كدود ﴾ فعول من الكداى متعب ﴿ يصرع ﴾ ذلك التحرى ﴿ عقولهم ويهدا جسامهم ﴾ يقال هدا البناء من الباب الاول اذا هدمه شديدا وكسره يعنى بشدة صوت لان كثرة التأمل يضر البدن ﴿ ولايكسبهم حمدا ولا يجدى عليهم نفعا النظر الى قول الشاعر ﴾ من الرمل ﴿ رجل مات وخلف ﴾ بسكون الفاء للضرورة اى ترك ﴿ رجلا . ابن ام ابن ابى اخت ابيه ﴾ بتتابع الاضافات والابن الاول بالنصب بدل عن الرجل الثانى او خبر مبتدأ محذوف والضمير راجع الى الرجل الميت، وحله بتعيين اسماء الكل واحد فنقول الرجل الذى مات هو زيد بن عمرو بن بشر مثلا. واخت ابى الميت هى هند بنت بشر المذكور وعمة الميت . فابن ابى هند هو الرجل الذى تركه الميت وهو ابوه المسمى بعمرو، وعمرو كما كان ابن ابى هند اعنى ابن بشر هو ابن ام هند لكونهما لابوين وحكم القاضى اياس على مقر فقال بشهادة من قال بشهادة ابن اخت خالتك يعنى باقرارك ﴿ معه ام بنى اولاده ﴾ الضميران للرجل الثانى واذا ثبت انه ابو الميت فام بنى بنى ذلك الرجل هى زوجة الميت ﴿ و ﴾ خلف ﴿ ابا اخت بنى عم اخيه ﴾ الضمير راجع الى الرجل الميت وعم الاخ عم سواء كان ابا لابنه او لاخت ابنه اولم يكن ابا اصلا ﴿ اخبرنى عن هذين البيتين وقد روعك ﴾ اى افزعك وخوفك ﴿ صعوبة ماتضمنهما من السؤال اذا استكديت الفكر فى استخراجه فعلمت انه ﴾ اى الشاعر ﴿ ارادميتا خلف ابا وزوجة وعما ماالذى ﴾ استفهام عن قوله اخبرنى ﴿ افادك من العلم وانفى عنك من الجهل الست بعد علمه تجهل ما كنت جاهلا من قبله ولو ﴾ فرض ﴿ ان السائل قلب لك السؤال فاخر ماقدم وقدم مااخر لكنت فى الجهل به ﴾ اى بالسؤال الثانى ﴿ قبل استخراجه كما كنت فى الجهل الاول وقد كددت نفسك واتعبت خاطرك ﴾ فى تصويره وفهمه ﴿ ثم لاتعدم ان يرد عليك مثل هذا مما تجهله فتكون فيه ﴾ اى فى الثالث الذى ورد عليك ﴿ كما كنت قبله ﴾ وفى المقامة الفرضية . رجل مات عن اخ مسلم حرّ تقى من امه وابيه * وله زوجة لها ايها الحبر اخ خالص بلاتمويه * فحوت فرضها وحاز اخوها * ماتبقى بالارث دون اخيه * صورتها تزوج الميت امرأة وامها لابنه فتولد لهما ابن فهو ابن ابن الميت واخو زوجته لام وابن الابن مقدم فى العصبية على الاخ. واذا فرض لذلك الميت ابن آخر من بنت زوجة ابنه يحل لغز آخر وهو قول ذلك الابن ياخالى انا عمك يدعوك ابى وهو جدك. قال ابن الاثير ومن الالغاز مايرد على حكم المسائل الفقهية كالذى اورده الحريرى فى مقاماته وكنت سئلت عن مسئلة منه وهى* ولى خالة وانا خالها . ولى عمة وانا عمها * فاماالتى انا عم لها . فان ابى امه امها * ابوها اخى واخوها ابى . ولى خالة هكذا حكمها * فاين الفقيه الذى عنده . فنون الدراية اوعلمها* يبين لنا نسبا خالصا . ويكشف للنفس ماغمها * فلسنا مجوسا ولا مشركين . شريعة احمد نأتمها * وهذه المسئلة كتبت الى فتأملتها تأمل غير ملجلج فى الفكر ولم البث ان انكشف لى ماتحتها من اللغز وهو ان الخالة التى الرجل خالها تصور على هذه الصورة ان رجلا تزوج امرأتين اسم احداها عائشة واسم الاخرى فاطمة فاولد عائشة بنتا واولد فاطمة ابنا ثم زوج بنته من ابى امرأته فاطمة فجاءت ببنت فتلك البنت هى خالة ابنه وهو خالها لانه اخو امها. واما

العمة التى هو عمها فصورتها ان رجلاله ولد ولولده اخ من امه فزوج اخاه من امه ام ابيه فجاء بنت فتلك البنت هى عمته لانها اخت ابيه وهو عمها لانه اخوابيها. واما قوله ولى خالة هكذا حكمها فهو ان تكون امها اخته واختها امه كما قال ابوها اخى واخوها ابى وصورتها ان رجلاله ولد ولولده اخت من امه فزوجها من ابى امه فجائت بنت فاختها امه وامها اخته انتهى ﴿ فاصرف نفسك تولى الله رشدك ﴾ اى صرفه وحوله ﴿ عن علوم النوكى وتكلف البطالين فقد روى ﴾ رواه الترمذى وابن ماجة عن ابى هريرة وغيرهما عن غيره ﴿ عن النبى صلى الله عليه وسلم انه قال من حسن اسلام المرء ﴾ قال المناوى حسن الشئ غير الشئ الا ترى ان بردالماء غير الماء وريح المسك غير المسك وحلاوة العسل غير العسل وقبح الشر غير الشر ﴿ تركه مالا يعنيه ﴾ قال الغزالى حد مالا يعنى هوالذى لوترك لم يفت به ثواب ولم يجر به ضرر ﴿ ثم اجعل مامن الله به عليك من صحة القريحة وسرعة الخاطر مصروفا الى علم ما ﴾ موصولة ﴿ يكون انفاق خاطرك فيه مذخورا ﴾ ومتخذا لوقت حاجة اليه ﴿ وكد فكرك فيه مشكورا ﴾ بان ينتفع به الناس ﴿ وقد روى سعيد بن ابى هند ﴾ والبخارى والترمذى وابن ماجة ﴿ عن ابن عباس رضى الله عنهما قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم نعمتان ﴾ تثنية نعمة وهى الحالة الحسنة اوالنفع المفعول على جهة الاحسان للغير ﴿ مغبون فيهما كثير من الناس الصحة والفراغ ﴾ شبه المكلف بالتاجر والصحة والفراغ برأس المال لكونهما سببا للربح فمن عامل الله بامتثال امره ربح ومن عامل الشيطان باتباع امره خسر قال ابن بطال معنى الحديث ان المرء لايكون فارغا حتى يكون مكفيا صحيح البدن فمن حصل له ذلك فليحرص على ان لايغبن بان لا يترك شكر الله على ما انعم به عليه ومن شكره امتثال اوامره واجتناب نواهيه فمن فرط فى ذلك فهو مغبون ﴿ ونحن نستعيذ بالله من ان نغبن بفضل نعمته علينا ونجهل نفع احسانه الينا . وقد قيل فى منثور الحكم من الفراغ تكون الصبوة ﴾ اى جهلة الفتوة ﴿ وقال بعض البلغاء من امضى يومه فى غير حق قضاه ﴾ كزيارة من يلزمه زيارته ﴿ او ﴾ فى غير ﴿ فرض اداه اومجد اثله ﴾ اى عظمه ﴿ اوحمد حصله او خير اسسه او علم اقتبسه فقد عق يومه ﴾ اى اضاعه اوعصى فيه ولم يبره ﴿ وظلم نفسه ﴾ لاضاعة يومه وقد قال بعض الحكماء الايام صحائف اعماركم فخلدوا فيها اجمل اعمالكم وغرض المصنف ان الالغاز ليس من احد هذه الامور فالاشتغال بها ظلم قال ابن الاثير وقد تأملت القرأن فلم اجد فيه شيئا منها انتهى وكان الجاحظ يقول ليس المعمى بشئ قد كان كيسان مستملى ابى عبيدة يسمع خلاف ما يقال ويكتب خلاف ما يسمع ويقرأ خلاف ما يكتب وكان اعلم الناس باستخراج المعمى وكان النظام على قدرته على اصناف العلوم لايقدر على استخراج اخف ما يكون من المعمى انتهى الا ان البخارى قال فى كتاب العلم باب طرح الامام المسئلة على اصحابه ليختبر ما عندهم من العلم وروى عن ابن عمر رضى الله عنهما عن النبى صلى الله عليه وسلم انه قال ان من الشجر شجرة لايسقط ورقها وانها مثل المسلم حدثونى ماهى قال ابن عمر فوقع الناس فى شجر البوادى ووقع فى نفسى انها النخلة فاستحييت ثم قالوا احدثنا ماهى يارسول الله قال هى النخلة انتهى قال العينى فيه استحباب القاء العالم المسألة على اصحابه ليختبر افهامهم ويرغبهم فى الفكر . الثانى فيه توقير الكبار وترك

التكلم عندهم. الثالث فيه استحباب الحياء مالم يؤد الى تفويت مصلحة ولهذا تمنى عمر رضى الله عنه ان يكون ابنه لم يسكت. الرابع فيه جواز اللغز مع بيانه (فان قلت) روى ابوداود من حديث معاوية عن النبي صلى الله عليه وسلم انه نهى عن الاغلوطات قال الاوزاعى احد رواته هى صعاب المسائل (قلت) هو محمول على ما اذا خرج على سبيل تعنيت المسئول او تعجيزه او تخجيله او نحو ذلك. الخامس فيه جواز ضرب الامثال والاشباه لزيادة الافهام وتصوير المعانى فى الذهن وتحديد الفكر والنظر فى حكم الحادثة انتهى فلذا اهتم به بعضا كابر المتأخرين كالمولى الجامى له مؤلفان فى المعمى صغير وكبير واول من الف فيه الامام الخليل الا ان التوغل به يضيع الاوقات لاسيما للطالب المبتدى وفيه تشحيذ للاذهان واستخراج خبيئات المعانى فلا يليق للمنتهى ان يكون عاطلا منه بالكلية وعدواله وقد استعمله اهل الادب حتى فى محاوراتهم كما حكى عن عمر وبن هبيرة وشريك النمرى ان عمرا كان سائرا على بر زون له والى جانبه شريك النمرى على بغلة فتقدمه شريك فى المسير فصاح به عمروا غضض من لجامها فقال اصلح الله الامير انهـا مكتوبة فتبسم عمرو ثم قال له ويحك لم ارد هذا فقال شريك ولا انا اردته وكأن عمرا اراد قول جرير * فغض الطرف انك من نمير. فلا كعبا بلغت ولا كلابا * فاجابه شريك بقول الآخر * لاتأمنن فزاريا نزلت به. على قلوصك واكتبها باسيار * وهذا من الالغاز اللطيفة وتفطن كل من هذين الرجلين لمثله الطف واحسن كما فى المثل السائر وعد العلامة التفتازانى امثاله من التلميح الشبيه باللغز وتفصيله فيه وفى خاتمة المطول ﴿ وقال بعض الشعراء ﴾ من الوافر ﴿ لقد هاج الفراغ عليك شغلا ﴾ اى اثاره عليك ﴿ واسباب البلاء من الفراغ ﴾ لاسيما مع الشبابة والجدة كما قال آخر * ان الشباب والفراغ والجدة. مفسدة للمرء اى مفسدة ﴿ فهذا تعليل مافى الكلام من الاسباب المانعة من فهم معانيه ﴾ وقد استوفينا بيان الموانع ﴿ حتى خرج بنا الاستيفاء الى الاطالة والكشف ﴾ اى وكشفنا عن حقائق تلك الاسباب ﴿ الى الاغماض ﴾ والاعراض عن الالغاز والمواضعة الخاصة يقال اغمض الى فيما بعتنى اى حط عنى من ثمنه لردائته ﴿ واما القسم الثانى * وهو ان يكون السبب المانع من فهم السامع لعلة فى المعنى المستودع فلا يخلو حال المعنى ﴾ خبر اما وقوله وهو الى آخره جملة معترضة والعائد قوله المعنى لانه اسم ظاهر فى موضع الضمير اى لا يخلو حاله ﴿ من ثلاثة اقسام اما ان يكون مستقلا بنفسه او يكون مقدمه لغيره او يكون نتيجة من غيره فاما المستقل بنفسه فضربان جلى وخفى فاما الجلى فهو يسبق الى فهم متصوره من اول وهلة وليس هو من اقسام ما يشكل ﴾ اى يصير ذا شكل وامثال ﴿ على من تصوره واما الخفى ﴾ وهو ما خفى المراد منه بعارض فى غير الصيغة لاينال الا بالطلب كآية السرقة فانها ظاهرة فيمن اخذ مال الغير من الحرز على سبيل الاستتار خفية بالنسبة الى من اختص باسم آخر يعرف به كالطرار والنباش وذلك لان فعل كل منهما وان كان يشبه فعل السارق لكن اختلاف الاسم يدل على اختلاف المسمى ظاهرا فاشتبه الامر فى انهما داخلان تحت لفظ السارق املا ﴿ فيحتاج فى ادراكه الى زيادة تأمل وفضل معاناة لينجلى عما اخفى ﴾ فيه المعنى ﴿ وينكشف عما اغمض وباستعمال الفكر فيه ﴾ اى فيما فى خفى ﴿ يكون الارتياض به ﴾ اى استئناسه وممارسته ﴿ وبالارتياض

به يسهل منه ﴾ اى من جنس الخفى ﴿ ما استصعب ويقرب منه ما بعد ﴾ عن فهمه ﴿ فان للرياضة جراءة ﴾ اى اقداما وشجاعة ﴿ والدراية تأثيرا ﴾ فى كشف الغوامض والشبه الفكرية لكونها كالغريب فيه لاتستقر مالم تجد مايوانسها ويجانسها وذلك هو المقرب مابعد ﴿ واما ماكان مقدمة لغيره فضربان احدهما ان تقوم المقدمة بنفسها ﴾ لكونها مقدمة لمباد تصورية والمعانى مستقلة فى تصورها وقائمة بانفسها ﴿ وان تعدت الى غيرها ﴾ لتوقف تصور الغير على تصورها ﴿ فيكون الكلام كالمستقل بنفسه فى تصوره وفهمه ﴾ لكفاية التصور ﴿ وان كان مستدعيا النتيجته ﴾ لكونها متعدية الى غيرها والمقدمة تطلق تارة على مايتوقف عليه الابحاث الآتية وتارة تطلق على قضية جعلت جزء القياس وتارة تطلق على مايتوقف عليه صحة الدليل كما فى التعريفات ﴿ والثانى ان يكون ﴾ فهم المعنى ﴿ مفتقرا الى نتيجته ﴾ لكونه مقدمة للمقاصد التصديقية ولا تصديق بدون نتيجة ﴿ فيتعذر فهم المقدمة ﴾ بالنظر الى السامع الذى من شانه ان يكون مانعا لا بالنظر الى المستدل لانه فهم المقدمة وكونها موصلا الى مطلوبه فلذا اوردها مقدمة ﴿ الا بما يتعقبها من النتيجة ﴾ وهكذا حال جميع المعدات تصورا وتصديقا ﴿ لانها ﴾ اى المقدمة ﴿ تكون بعضا ﴾ من المطلوب ﴿ وتبعيض المعنى اشكل له وبعضه لايغنى عن كله ﴾ والا فيكون حشوا وتطويلا حين اتى به النظر الى قول الشاعر * لم ارشيئا صادقا نفعه . للمرء كالدرهم والسيف * فانه مستقل وتمام باعتبار تصوره دون تصديقه مالم ينضم اليه قوله * يقضى له الدرهم حاجاته . والسيف يحميه من الحيف ﴿ واما ماكان ﴾ اى معنى كان ﴿ نتيجة لغيره ﴾ ومركبا من اجزاء ﴿ فهو لايدرك الا باوله ﴾ واجزائه ﴿ ولا يتصور على حقيقته الا بمقدمته فالاشتغال به قبل المقدمة عناء واتعاب الفكر فى استنباطه قبل قاعدته اذاء ﴾ بلا فائدة كترغيب الضرير على الكتابة والاخرس على الخطابة ﴿ فهذا يوضح تعليل ما فى المعانى من الاسباب المانعة من فهمها * واما القسم الثالث * وهو ان يكون السبب المانع لعلة فى المستمع فذلك ضربان احدهما من ذاته والثانى من طارطرى عليه ﴾ وعرض ﴿ فاما ماكان من ذاته فيتنوع نوعين احدهما ماكان مانعا من تصور المعنى وفهمه والثانى ماكان مانعا من حفظه بعد تصوره وفهمه فاما ماكان مانعا من تصور المعنى وفهمه فهو البلادة وقلة الفطنة وهو الداء العياء ﴾ على وزن سحاب وصف بالمصدر اى الذى لايبرء منه وتعجز الاطباء عن معالجته ﴿ وقد قال بعض الحكماء اذا فقد العالم الذهن ﴾ مفعول فقد ﴿ قل على الاضداد احتجاجه ﴾ مع ان استحالة ارتفاع النقيضين واستحالة اجتماعهما من اجلى البديهيات ﴿ وكثر الى الكتب احتياجه ﴾ من الشروح والحواشى لقلة انتقاله الى اللوازم القريبة اوالبعيدة ﴿ وليس لمن بلى به ﴾ اى بالبلادة ﴿ الا الصبر ﴾ على الطلب ﴿ والاقلال ﴾ من الدرس من فن واحد اومن فنون يتم بعضها بعضا كالصرف مع اللغة والصرف العربى اوالفارسى مع صرف لسانه ونحو ذلك ﴿ لانه على القليل اقدر ﴾ لوفرض قدرته على الكثير ايضا ﴿ وبالصبر احرى ان ينال ويظفر ﴾ بازالة بلادته ﴿ وقد قال بعض الحكماء قدم لحاجتك ﴾ وهو النيل الى شرف العلم ههنا ﴿ بعض لجاجتك ﴾ اى بعض عنادك واصرارك ﴿ وليس يقدر على الصبر من ﴾ فاعل يقدر ﴿ هذا حاله الا ان يكون غالب الشهوة بعيد الهمة ﴾ بان يعزم على الفداء شطار من

عمره فى سبيله ﴿ فيشعر قلبه الصبر لقوة شهوته و يكلف جسده احتمال التعب ﴾ لان السعى مع عدم الفهم اتعب لاسيما مع لوم من يعرفون انه لايفهم ففيه ترك معطوف اى ونفسه عدم الثناء والمدح ﴿ لبعد همته فاذا تلوح له المعنى ﴾ اى اذا ظهر له ﴿ بمساعدة الشهوة عقبه ذلك ﴾ التلوح اى جعل له عقبا وخلفا ﴿ الحاح الآملين ونشاط المدركين فقل عنده كل كثير وسهل عليه كل عسير . وقد روى عن النبى صلى الله عليه وسلم انه قال لاتنالون ماتحبون ﴾ من العلم والمال والجاه ﴿ الا بالصبر على ماتكرهون ﴾ من السعى والجد والمواظبة والتواضع ونحوها ﴿ ولاتبلغون ماتهوون ﴾ اى تحبونه من نيل المعالى ﴿ الا بترك ماتشتهون ﴾ من النوم ومخالطة الناس واخذ منه الشاعر فقال * ما ابيض وجه المرء فى طلب العلا . حتى يسود وجهه فى المبدأ ﴿ وقيل فى منثور الحكم اتعب قدمك ﴾ فى سبيل التحصيل ﴿ فان تعب قدمك ﴾ اذ يحرز الفرس المضمر الجعالة دائما (٢) ﴿ وقال بعض البلغاء اذا اشتد الكلف ﴾ بفتحتين العشق والمحبة يقال كلف به من الباب الرابع اذا اولع به ﴿ هانت الكلف ﴾ جمع كلفة اى المشاق قال السعدى * ملامت كشانند مستان يار . سبك تر برد اشتر مست بار ﴿ وانشد بعض اهل الادب ماذكرانه لعلى بن ابى طالب كرم الله وجهه ﴾ من البسيط * انى رأيت وفى الايام تجربة . للصبر عاقبة محمودة الاثر ﴿ لاتعجزن ولاتدخلك مضجرة . فالنجح يهلك بين العجز والضجر ﴾ وهو القلق وضيق النفس والنجح الظفر بالحاجة وقال الهذلى * وان سيادة الاقوام فاعلم . لها صعداء مطلعها طويل ﴿ واما المانع من حفظه بعد تصوره وفهمه فهو النسيان الحادث عن غفلة التقصير واهمال التوانى فينبغى ان بلى به ان يستدرك تقصيره بكثرة الدرس ويوقظ غفلته بادامة النظر فقد قيل لايدرك العلم من لايطيل درسه ويكد نفسه ﴾ وفى تعليم المتعلم ومن اقوى اسباب الحفظ الجد والمواظبة وتقليل الغذاء وصلاة الليل وقراءة القرآن وتجنب الآثام والسواك وشرب العسل واكل الكندر مع السكر واكل احدى وعشرين زبيبة حمراء كل يوم على الريق وكل مايقلل البلغم والرطوبات يزيد فى الحفظ وكل مايزيد فى البلغم يورث النسيان انتهى وذكر اصحاب الخواص والتجارب اشياء تورث النسيان وقد نظمها الشيخ علم الدين السخاوى فقال * توق خصالا خوف نسيان مامضى . قراءة الواح القبور تديمها * واكلك للتفاح ان كان حامضا * وكفرة خضراء فيها سمومها * كذا المشى مابين القطار وحجمك الـقفاء ومنها الهم وهو عظيمها * ومن ذاك بول المرء فى الماء راكدا . كذاك نبذ القمل حين تميطها * ولاتنظر المصلوب والماء راكدا . واكلك سؤر الفأر وهو تميمها ﴿ وكثرة الدرس كدود ﴾ اى متعب ولك ان تقول الكاف حرف جر وجمعه ديدان اى كعلق ﴿ لايصبر عليه الا من يرى العلم مغنما والجهالة مغرما ﴾ اى غرامة وخسرانا والغرامة ماينفقه الرجل وليس يلزمه ﴿ فيحتمل تعب الدرس ليدرك راحة العلم ﴾ اى فرحه ومرح الدرك والافلا راحة فى الدنيا ﴿ وينفى عنه معرة الجهل فان نيل ﴾ السرور ﴿ العظيم بامر عظيم ﴾ اى بتعب عظيم ﴿ وعلى قدر الرغبة يكون الطلب وبحسب الراحة يكون التعب ﴾ قال الفضيل فى قوله تعالى والذين جاهدوا فينا لنهدينهم سبلنا . والذين جاهدوا فى طلب العلم لنهدينهم سبل العلم وقال المتنبى * على قدر اهل العزم تأتى العزائم . وتأتى على قدر الكريم المكارم * وتعظم فى عين الصغير صغارها . وتصغر فى عين العظيم العظائم

(٢) يقال ضمر الخيل تضميرا اذا علفها القوت بعد السمن يعنى اذا علفها حتى تسمن ثم ردها الى القوت بعد السمن والجعالة العوض والاجر منه

وقال ابن الرومى * دعينى أنل مالا ينال من العلا . فسهل العلا فى الصعب والصعب فى السهل * تريدين ادراك المعالى رخيصة . ولا بدون الشهد من ابر النحل ﴿ وقد قيل علة الراحة قلة الاستراحة وقال بعض الحكماء اكمل الراحة ماكانت عن كد التعب واعز العلم ماكان عن ذل الطلب *وربما استثقل المتعلم الدرس والحفظ واتكل بعد فهم المعانى على الرجوع الى الكتب والمطالعة فيها عند الحاجة فلا يكون الاكمن اطلق ماصاده ﴾ واقتنصه ﴿ ثقة بالقدرة عليه بعد الامتناع منه فلا تعقبه الثقة الا الخجلا والتفريط الا الندما ﴾ لان لكل زمان اشتغالا مخصوصا به وايضا لايصفو كل زمان لفهم كل علم ولذا قيل * واذا صفالك من زمانك واحد . فهو المراد واين ذاك الواحد * وقال الحافظ * زمان خوشدلى درياب درياب . كه لؤلؤ درصدف هردم نباشد* على ان الحازم من حفظ مافى يده ولم يؤخر شغل يومه لغده وقد قال الشاعر . ولا اؤخر شغل اليوم عن كسل . الى غدان يوم العاجزين غد ﴿ وهذه ﴾ الثقة ﴿ حال قد يدعوا اليها احد ثلاثة اشياء اما الضجر من معاناة الحفظ ومراعاته ﴾ وقال لقمان لابنه اياك والكسل والضجر فانك اذا كسلت لم تؤد حقا واذا ضجرت لم تصبر على حق وقالوا * اطلب ولاتضجرن من مطلب . فآفة الطالب ان يضجرا * اما ترى الحبل بتكراره . فى الصخرة الصماء قد اثرا ﴿ اوطول الامل فى التوفر عليه عند نشاطه اوفساد الرأى فى عزيمته وليس يعلم ان الضجور خائب وان الطويل الامل ﴾ بالاضافة اللفظية ﴿ مغرور وان الفاسد الرأى مصاب ﴾ بعقله اى مجنون ومستأصل من اصابه اذا اجتاحه ﴿ والعرب تقول فى امثالها حرف فى قلبك خير من الف فى كتبك ﴾ يعنى ذاك القليل خير من ذلك الكثير ﴿ وقالوا لاخير فى علم لايعبر معك الوادى ﴾ بل يفنى بالابتلال بالماء كما هو حال الكتب ﴿ ولا يعمر بك النادى ﴾ مجلس الناس نهارا او هو المجلس مادامو مجتمعين فيه وعمارة المجالس بحسن المصاحبة وايراد الكلمات المتناسبة وذلك لايكون الا بالمحفوظ ﴿ وانشدت ﴾ اى رويت شعرا ﴿ عن الربيع ﴾ بن سليمان ﴿ للشافعى رضى الله عنه ﴾ من البسيط ﴿ علمى معى حيث مايممت يتبعنى . قلبى وعاءله لابطن صندوق * ان كنت فى البيت كان العلم فيه معى . او كنت فى السوق كان العلم فى السوق ﴾ وقال آخر * ليس بعلم مايعى القمطر . ماالعلم الا ماوعاه الصدر * وقال ابو سعيد عبد الرحمن الخراسانى * عليك بالحفظ دون الجمع فى كتب . فان للكتب آفات تفرقها * الماء يغرقها والنار تحرقها . والفأر تخرقها واللص يسرقها ﴿ وربما اعتنى المتعلم بالحفظ من غير تصور ولا فهم حتى يصير حافظا لالفاظ المعانى قيما ﴾ على وزن سيداى ثابتا ومداوما ﴾ بتلاوتها وهو لايتصورها ولايفهم ماتضمنها يروى بغير روية ﴾ وفكر ﴿ ويخبر عن غير خبرة ﴾ وعلم ﴿ فهو كالكتاب ﴾ فى محافظة الالفاظ المكتوبة فيه ﴿ الذى لايدفع شبهة ﴾ من طالعه اذا اعترته ﴿ ولا يؤيد حجة ﴾ مكتوبة فيه اذ منعها فقوله الذى بيان للواقع ويجوز حمله على التخصيص والاحتراز فالمعنى حينئذ فهو كالكتاب اى كالمتون المجردة عن الامثلة والشواهد والمعراة عن الادلة والبراهين ﴿ وقد روى عن النبى صلى الله عليه وسلم ﴾ وقد رواه ابن عساكر عن الحسن البصرى مرسلا ﴿ انه قال همة السفهاء الرواية ﴾ من غير تصور ولافهم ﴿ وهمة العلماء الرعاية ﴾ قال المناوى اى

الحفظ والاتقان والتفهم ﴿ وقال ابن مسعود رضى الله عنه كونوا للعلم رعاة ﴾ جمع راع كقاض وقضاة ﴿ ولا تكونوا له رواة فقد يرعوى ﴾ اى يرجع ويكف عن الجهالة بحسن وجه وهو من باب احمر اصله ارعوو ولم يدغم لتقدم الاعلال على الادغام فلم يبق المجانسة كاقتوى ﴿ من لا يروى ويروى من لا يرعوى. وحدث الحسن البصرى بحديث فقال له رجل يا اباسعيد عمن ﴾ تحدثه ﴿ قال ماتصنع بعمن اما انت فقد نالتك عظته وقامت عليك حجته ﴾ فاجتهد للعمل او التخلق به والظاهر ان الحسن لم ير ذلك الرجل اهلا للرواية ولذا ابيح له كتم العلم وان المصنف اراد بالمتعلم المتفقه اذ يجب عليه التفهم والتدبر والا فالرواية مطلقا من اصول الدين وقد روى الترمذى عن زيد بن ثابت عن النبى صلى الله عليه وسلم انه قال نضر الله امرأ سمع منا حديثا فحفظه حتى يبلغه غيره) والمعنى خصه الله بالبهجة والسرور بما رزق بعلمه ومعرفته من علو القدر والمنزلة بين الناس فى الدنيا ونعمه فى الآخرة حتى يرى رونق الرخاء ورفيق النعمة وانما خص حافظ سنته ومبلغها بهذا الدعاء لانه سعى فى نضارة العلم وتجديد السنة فجازاه فى دعائه بما يناسب حاله فى المعاملة (فرب حامل فقه الى من هو افقه منه ورب حامل فقه ليس بفقيه) قال المناوى بين ان راوى الحديث ليس الفقه من شرطه وانما شرطه الحفظ وعلى الفقيه التفهم والتدبر كما فى الجامع الصغير وحكى ان الاعمش سأل الامام الاعظم اباحنيفة رحمه الله تعالى فاجابه بما اقنعه فقال من اين لك هذا العلم قال من حديث ارويه عنك فقال الاعمش نحن الصيادلة وانتم الاطباء ﴿ وربما اعتمد على حفظه وتصوره واغفل تقييد العلم فى كتبه ثقة بما استقر فى ذهنه وهذا ﴾ الاغفال ﴿ خطأ منه لان الشك معترض والنسيان طارق ﴾ اى عارض وآت بمرور الايام ﴿ وقد روى انس بن مالك ﴾ كما روى الحكيم وسموية عنه والطبرانى والحاكم عن ابن عمرو بن العاص ﴿ عن النبى صلى الله عليه وسلم انه قال قيدوا العلم بالكتاب ﴾ وفى رواية بالكتابة لانكم قد تعجزون عن حفظه ويمرض لكم النسيان وبعض العلماء كره كتابة العلم لانه ربما يتكل الشخص عليها فلا يحفظ شيئا فى ذهنه منهم ابن عباس ثم انعقد الاجماع على الجواز ولا يعارضه حديث مسلم لا تكتبوا عنى شيئا غير القرآن لان النهى خاص بوقت نزوله خوف لبسه بغيره او النهى متقدم والاذن ناسخ عند امن اللبس فكتابة العلم مستحبة وقيل واجبة كما فى العزيزى ﴿ وروى ان رجلا شكا الى النبى صلى الله عليه وسلم النسيان فقال ﴾ كما رواه الحكيم الترمذى عن ابن عباس والترمذى عن ابى هريرة ﴿ استعمل يدك اى اكتب حتى ترجع اذا نسيت الى ما كتبت ﴾ وفى رواية استعن بيمينك على حفظك ﴿ وقال الخليل بن احمد اجعل مافى الكتب رأس المال وما فى القلب النفقة ﴾ وهذا مثل قوله تكثر من العلم لتعرف وتقلل منه لتحفظ ﴿ وقال مهبود لولا ماعقدته الكتب ﴾ اى ضمنت وكفلت بحفظه ﴿ من تجارب الاولين ﴾ وعلومهم ﴿ لانحل مع النسيان عقود الآخرين ﴾ اى كسد ربحهم لفقدان مادة التجارة وما يتجر به على ذلك التقدير ﴿ وقال بعض البلغاء ان هذه الآداب نوافر تند ﴾ يقال ند البعير ندا وندودا من الباب الثانى اذا شرد ونفر ﴿ عن عقل الاذهان ﴾ جمع عقال ككتاب وكتب يعنى لا يكفيها تلك العقل لكثرة نفورها ﴿ فاجعلوا الكتب عنها حماة ﴾ جمع حام من حمى الشئ يحميه اذا منع ودفع عنه مايؤذيه

وحفظه ﴿ والاقلام لها رعاة ﴾ جمع راع يعنى بكتبها وتخليدها فى الصحائف ففيه تشبيه الآ داب بالبعير النافر بطريق الاستعارة بالكناية ﴿ واما الطوارئ ﴾ معطوف على قوله فاما ما كان مانعا من تصور المعنى فهو البلادة وهذا هو القسم الثانى من السبب المانع فى المستمع ﴿ فنوعان احدهما شبهة تعترض المعنى فتمنع عن نفس تصوره وتدفع عن ادراك حقيقته فينبغى ان يزيل تلك الشبهة عن نفسه بالسؤال ﴾ ان وجد من يسأله ﴿ والنظر ﴾ اى الفكر ان لم يجد ﴿ ليصل الى تصور المعنى وادراك حقيقته ولذلك قال بعض العلماء لاتخل ﴾ من الاخلاء اى لا تجعل خاليا ﴿ قلبك من المذاكرة فيعود عقيما ﴾ كالمرأة التى لازوج لها ﴿ ولا تعف طبعك من المناظرة ﴾ اى لاتفرغه منها ولاتتركها ﴿ فيصير سقيما ﴾ بعدم اقتداره الى اتيان مقدمات قريبة موصلة الى المطلوب ﴿ وقال بشار بن برد ﴾ بن يرجوج الشاعر المقدم من مخضرى الدولتين الاموية والعباسية كان جده من طخارستان من سبى المهلب وكان يلقب بالمرعث لرعاث فى اذنه وهو صغير والرعاث القرط وقيل لبيت ذكر فيه الرعاث وولد اعمى فكان يقول اشد ماهجيت به قول الباهلى * وعبدى فقأ عينيك فى الرحم ايره. فجئت ولم تعلم لعينيك فاقئا * وكان يشبه الاشياء بما لا يقدر عليه البصراء وسئل عن ذلك فقال عدم النظر يقوى ذكاء القلب ويقطع عنه الشغل بما ينظر اليه من الاشياء فيتوفر حسه وكان يتهم بالزندقة وروى الجاحظ قوله * الارض مظلمة والنار مشرقة . والنار معبودة مذ كانت النار * وقال بهذا البيت وجد واصل بن عطاء السبيل الى تكفير بشار وخطب فيه خطبته المحذوفة الراء وحكى سعيد بن مسلم قال كان بالبصرة ستة من اصحاب الكلام عمرو بن عبيد وواصل بن عطاء وبشار الاعمى وعبد الكريم ابن ابى العرجاء وصالح بن عبد القدوس ورجل من الازد يعنى جرير بن حازم فكانوا يجتمعون فى منزل الازدى ويختصمون عنده فاما عمرو وواصل فصارا الى الاعتزال واما عبد الكريم وصالح فصححا الثنوية واما الازدى فمال الى السمنية وهو مذهب من مذاهب اهل الهند واما بشار فبقى متحيرا فقيل انه قال بمذهب الثنوية وبعده تزندق روى المازنى قال قال رجل لبشار اتأكل اللحم وهو مباين لمذهبك فقال انما ادفع به شر هذه الظلمة وبمثل هذه الحكايات المنسوبة اليه دبر عليه يعقوب وزير المهدى حتى قتل سنة سبع وستين ومأة. من الطويل ﴿ شفاء العمى طول السؤال وانما دوام العمى طول السكوت على الجهل ﴾ اراد بالعمى الجهل لانه عمى بصيرة ﴿ فكن سائلا عما عناك فانما. دعيت اخا عقل ﴾ اى صاحب عقل وعاقلا ﴿ لتبحث بالعقل *والثانى ﴾ من نوعى الطوارئ ﴿ افكار تعارض الخاطر فيذهل عن تصور المعنى وهذا سبب قلما يعرى منه احد لاسيما فيمن انبسطت آماله واتسعت امانيه وقد يقل فيمن لم يكن له فى غير العلم ارب ﴾ بفتحتين اى حاجة وتعلق ﴿ ولا فيما سواه همة ﴾ لقصرها عليه ﴿ فان طرأت ﴾ الافكار ﴿ على الانسان لم يقدر على مكابرة نفسه ﴾ اى منازعتها واجبارها ﴿ على الفهم و ﴾ لايقدر على ﴿ غلبة قلبه على التصور لان القلب مع الاكراه اشد نفورا وابعد قبولا وقد جاء الاثر بان القلب اذا اكره عمى و ﴾ لذا لايكرهه اذا عارضه افكار ﴿ لكن يعمل فى دفع ماطرأ عليه من هم مذهل اوفكر قاطع ليستجيب له القلب مطيعا وقد قال الشاعر ﴾ من الطويل ﴿ وليس بمغن فى المودة شافع ﴾

من الحسن والبهاء كما فى قول الآخر * فى وجهه شافع يمحو اساءته . من القلوب وجيه حيث ما شفعا ﴿ اذا لم يكن بين الضلوع شفيع ﴾ جمع ضلع كعنب وهى عظام الجنبين اى اذا لم يكن القلب مائلا وراغبا الى الحسن لمرضه بهومه وصدأه بغمومه ولا يحصل الانعكاس التام لا فى المرايا المكسورة ولا فى المتكاسفة ﴿ وقال بعض الحكماء ان لهذه القلوب تنافرا كتنافر الوحش فتألفوها بالاقتصاد فى التعليم والتوسط فى التقديم لتحسن طاعتها ويدوم نشاطها . فهذا تعليل ما فى المستمع من الاسباب المانعة من فهم المعانى وههنا قسم رابع يمنع من معرفة الكلام وفهم معانيه ولكنه ﴾ اى القسم الرابع ﴿ قد يعرى من بعض الكلام فلذلك لم ندخله فى جملة اقسامه ﴾ بان نجعل السبب المانع من فهم المعانى اربعة اقسام لعلة فى الكلام ولعلة فى المعنى ولعلة فى المستمع ولعلة فى الخط ﴿ ولم نستجز ﴾ اى لم نرجائزا ﴿ الاخلال بذكره ﴾ بتركه كليا ﴿ لان ﴾ متعلق بقوله لم ندخل ولم نستجز على سبيل التوزيع ﴿ من الكلام ما كان مسموعا لا يحتاج فى فهمه الى تأمل الخط به والمانع من فهمه هو على ما ذكرنا من اقسامه ﴾ الثلاثة ﴿ ومنه ما كان مستودعا بالخط محفوظا بالكتابة مأخوذا بالاستخراج فكان الخط حافظا له ومعبرا عنه وقد روى عن ابن عباس رضى الله عنهما فى ﴾ تأويل ﴿ قوله تعالى ﴾ فى الاحقاف (ائتونى بكتاب من قبل هذا) اى من قبل هذا الكتاب وهو القرآن يعنى ان هذا الكتاب ناطق بالتوحيد وابطال الشرك وما من كتاب انزل من قبله من كتب الله الا وهو ناطق بمثل ذلك فأتوا بكتاب واحد منزل من قبله شاهد بصحة ما انتم عليه من عبادة غير الله ﴿ او اثارة من علم ﴾ او بقية من علم بقيت عليكم من علوم الاولين كما فى الكشاف ﴿ قال يعنى الخط وروى عن مجاهد فى قوله تعالى ﴾ فى البقرة ﴿ يؤتى الحكمة من يشاء يعنى الخط ﴾ وفى الكشاف يوفق للعلم والعمل به والحكيم عند الله هو العالم العامل ﴿ ومن يؤت الحكمة فقد اوتى خيرا كثيرا يعنى الخط والعرب تقول الخط احد اللسانين وحسنه ﴾ املاء او مع تناسب الكلمات وتناسق السطور ﴿ احد الفصاحتين ﴾ والاخرى فصاحة اللسان ﴿ وقال جعفر بن يحيى ﴾ ابو الفضل ابن خالد البرمكى وزير الرشيد تعلم الفقه من الامام ابى يوسف وكان فريد عصره فى الادب والبلاغة والجود ﴿ الخط سمط الحكمة ﴾ بكسر السين وسكون الميم اى خيطها الذى ﴿ به يفصل شذورها ﴾ اى صغارها التى لا تفرق ولا تميز من غير جنسها ﴿ وينظم منثورها ﴾ كما فى المتجانسين ﴿ وقال ابن المقفع اللسان مقصور على القريب الحاضر ﴾ بالمجلس ﴿ والقلم ﴾ عام وشامل افادته وبيانه ﴿ على الشاهد والغائب وهو للغابر والداثر ﴾ اى للذى كان وسيكون ﴿ مثله للقائم الداهر ﴾ اى المعاصر يعنى كما ان افادة القلم ابسط من افادة اللسان من حيث المكان ابسط من حيث الزمان ايضا لان الخط يدركه الاولون والآخرون ﴿ وقال حكيم الروم الخط هندسة روحانية وان ظهرت بآلة جسمانية ﴾ فلذا يؤثر فى حسنه وقبحه نشاط الكاتب وهمومه ﴿ وقال حكيم العرب الخط اصل فى الروح وان ظهر بحواس الجسد ﴾ قال ابو نواس فى كتاب ورد عليه من صديق . ووارد ورد الشاء يؤكده . صدوره عن سليم الورد والصدر * شدت بتيجانه منه على نزه . تقسم الحسن بين السمع والبصر * عذوبة صدرت عن منطق ينع . كالماء يخرج ينبوعا من الحجر * وروضة من رياض الفكر دبجها . صوب القرائح لا صوب من المطر * كأنما نشرت ايدى الربيع بها . بردا من الوشى

اوثوبا من الحبر ﴿ واختلف فى اول من كتب الخط ﴾ مطلقا ﴿ فذكر كعب الاحبار ان اول من كتب آدم عليه السلام كتب سائر الكتب ﴾ اى جميعها ﴿ قبل موته بثلاثمأة سنة فى طين ثم طبخه ﴾ بالنار لئلا يفسد بالرطوبة ﴿ فلما غرقت الارض ﴾ بجميع اجزائهـا واطرافها ﴿ فى ايام نوح على نبينا وعليه السلام بقيت الكتابة فاصاب كل قوم كتابهم وبقى الكتـاب العربى الى ان خص الله تعالى به اسماعيل فاصابه وتعلمها ﴾ وفى الموضوعات من كتاب الخميس فى احوال النفس النفيس انزل على آدم حروف مقطعة فى احدى وعشرين صحيفة وهذا الكتاب هو الذى تعلم منه آدم الاسماء وحكى ان نمروذ بن كنعان بنى الصرح ببابل سمكه خمسة الآف ذراع ليترصـد امر السماء فاهب الله الريح فخر عليه وعلى قومه فهلكوا قيل وبات الناس ولسـانهم سريانى فاصبحوا وقد تفرقت لغتهم على اثنين وسبعين لسانا كل يبلبل بلسانه فسمى الموضع بابلا وهذا كما فى قوله تعالى وقد مكر الذين من قبلهم فاتى الله بنيانهم من القواعد ﴿ وحكى ابن قتيبة ان اول من كتب ﴾ بالقلم ﴿ ادريس على نبينـا وعليه السلام ﴾ وفى الحديث (اول من خط بالقلم) ونظر فى علم النجوم والحساب (ادريس) سمى به لكثرة درسه لكتاب الله تعالى وهو المثلث لانه نبى وملك وحكيم كما فى الجامع الصغير ﴿ وكانت العرب لعظم قدر الخط ولعده من اجلّ نافع ﴾ واعظمه ﴿ حتى قال عكرمة بلغ فداء اهل بدر اربعة آلاف حتى ان الرجل ليفادى على انه يعلم الخط لما هو مستقر فى نفوسهم من عظم حظره ﴾ اى قدره ﴿ وجلالة قدره وظهور نفعه واثره وقد قال الله تعالى لنبيه صلى الله عليه وسلم اقرأ وربك الاكرم الذى علم بالقلم ﴾ وهو اول مانزل به على نبينا عليه السلام ﴿ فوصف نفسه بان علم بالقلم كما وصف نفسه بالكرم وعد ذلك ﴾ التعليم ﴿ من نعمه العظام ومن آياته الجسام ﴾ جمع جسيم لان فى تعقيب الاكرم بالاسم الموصول ايماء الى وجه توصيف ذاته تعالى بالاكرمية ﴿ حتى اقسم ﴾ الله تعالى ﴿ به فى كتابه فقال سبحانه وتعالى ن والقلم ﴾ والمراد هذا الحرف من حروف المعجم واما قولهم هو الدواة فما ادرى اهو وضع لغوى ام شرعى ﴿ وما يسطرون. فاقسم بالقلم ﴾ تعظيما له لما فى خلقه وتسويته من الدلالة على الحكمة العظيمة ولما فيه من المنافع والفوائد التى لا يحيط به الوصف ﴿ وما يخط بالقلم ﴾ بالبناء للمفعول او الفاعل اى يكتب من كتب وقيل مايسطره الحفظة وما موصولة او مصـدرية ويجوز ان يراد بالقلم اصحـابه فيكون الضمير فى يسطرون لهم كأنه قيل واصحـاب القلم ومسطوراتهم او وسطرهم ويراد بهم كل من يسطر او الحفظة كما فى الكشـاف وقال ابو الفتح البستى * اذا اقسم الابطال يوما بسيفهم . وعدوه مما يكسب المجد والكرم * كفى قلم الكتـاب مجدا ورفعة . مدى الدهر ان الله اقسم بالقلم * وقال ابو العبـاس التنوخى * ان يخدم القلم السيف الذى خضعت . له الرقاب ودانت خوفه الامم * فالموت والموت لاشئ يقـابله . مازال يتبع مايجرى به القلم * بذا قضى الله للاقلام مذبريت . ان السيوف لهـا مذ ارهفت خدم * وناقضه المتنبى فقـال * حتى رجعت واقلامى قوائل لى . المجد للسيف ليس المجد للقلم * اكتب بنا ابدا بعد الكتاب به . فانما نحن للاسياف كالخدم * وقال الصولى فاخر صاحب سيف صاحب قلم فقال صاحب القلم انا اكتب بلاغرر وانت تقاتل على خطر فقال صـاحب السيف القلم خادم السيف ان تم مداده والا فالى السيف معـاده قال الصولى وقال

بعض اليونانيين الدين والدنيـا تحت شـيئين سيف وقام والسيف تحت القلم كما فى الشريشى ﴿ واختلف فى اول من كتب بالعربية ﴾ فى موضوعات العلوم قال صاحب شرح العقيلة المراد من الخط العربى مااشتهر بالخط الكوفى الآن والاقلام المستعملة مستنبطة منه وكان ذلك النقل فى اواخر بنى امية واوائل العباسية ﴿ فذكر كعب الاحبار ان اول من كتب به آدم عليه السلام ثم وجدها بعد الطوفان اسماعيل على نبينا وعليه السلام . وحكى ابن عباس رضى الله عنهما ان اول من كتب بهـا ووضعها اسماعيل عليه السلام على لفظه ومنطقه . وحكى عروة بن الزبير رضى الله عنـه ان اول من كتب بهـا قوم من الاوائل اسماؤهم ابجـد وهوز وحطى وكلمن وسعفص وقرشت وكانوا ملوك مدين ﴾ وطن شعيب عليه السـلام كان فى طرف من المدينة المنورة وكان كلمن قدموسهم ورئيسهم هلكوا يوم الظلة جميعا ورثت بنت كلمن ابوهـا تقول . كلمن هدم ركنى . هلكه وسط المحلة * سيد القوم اتاه الـحتف نارا وسط ظله * جعلت نار عليهم . دارهم كالمضمحله * وكان السـلف تكتب العربية بحروف هـذه الاسماء ثم ظفروا بثخذ وضظغ بعد زمان فلذا اطلقوا هذه الحروف الستة روادف ﴿ وحكى ابن قتيبة فى المعارف ان اول من كتب بالعربى مرامر ﴾ على وزن علابط ﴿ بن مرة ﴾ بضم الميم ﴿ من اهـل الانبار ﴾ كان مدينة مشهورة فى غرب بغداد بعشرة فراسخ ﴿ ومن الانبار انتشرت الكتابة وحكى المدائنى ان اول من كتب بها ﴾ الحروف العربية ﴿ مرامر بن مرة واسلم بن سدرة وعامر بن خدرة فمرامر وضع الصور واسلم فصل ﴾ الحروف المفصولة ﴿ ووصل ﴾ الموصولة ﴿ وعامر وضع الاعجام ﴾ كالنقط والتشـديد والمد والجزم وعلامة الحركات الثلث فاسـناد الاعجام الى الحجاج غير واقع ﴿ ولما كان الخط بهذا الحال وجب على من اراد حفظ العلم ﴾ بخطه ﴿ ان يعبأ ﴾ اى يعتنى ﴿ بامرين احدها تقويم الحروف على اشكالها الموضوعة لها ﴾ ولبعضهم * اذا شئت ان تحظى بحسن كتابة . ومرتبة فى العالمين تزين * تخير ثلاثا واعتمدها فانهـا . على مهجة الخط المليح تمين * مدادا وطرسـا محكما ويراعة . اذا اجتمعت قرت بهن عيون * ولابد من شيخ يريك شخوصها . يساعد فى ارشادها ويعين * ومن لاله شيخ وعاش بعقله . فذاك هباء عقله وجنون * وكتب سليمان بن وهب بقلم صلب فاعتمد عليه اعتمادا شديدا فصر القلم فى يده فانشـد * اذا ماالتقينا وانتضينا صوارما . يكاد يصم السـامعين صريرهـا * تساقط فى القرطاس منها بدائع . كمثل اللآلى نظمها ونثيرها * تقود ابيات المعانى بفطنة . تكشف عن وجه البلاغة نورها * تظل المنايا والعطايا شوارعا . تدور بما شئنا وتمضى امورها * اذا ماخطوب الدهر ارخت ستورها . تجلت بناعما بسر ستورها ﴿ والثانى ضبط مااشتبه منها بالنقط والاشكال المميزة لها ﴾ وذلك الضبط واجب فى المصاحف مطلقا وفى غيرها عند خوف الالتباس لان وضع النقط والاعجام لازالة الالتباس وعند الامن منه فالاولى تركها كما حكى ان خط بعض الكتاب عرض لعبدالله بن طاهر فقال مااحسن وانيق لولم تكثر شوانيزها لاسيما فى المكاتبات الخصوصية والمرسل اليه اديب الا فى موضع يلزم الاعتناء به اما للتلميح الى قصة اوشعر اونحوها واما لبشاعة تصحيفه فيجب ضبطه بحيث يقيدما اراده كما فى الموضوعات ولكل زمان عرف وعادة يلزم مراعاتها والحاكم العرف ﴿ ثم مازاد على هذين ﴾ الامرين

واول من كتب الخط البديع ابوعلى محمد بن على بن الحسن بن المقلة الوزير توفى سنة ٣٢٨ وظهر سنة ٤١٣ على بن هلال البواب البغدادى وبعده ياقوت بن عبدالله الموصلى توفى سنة ٦١٨ وبعده شهاب الدين ابوالدرر ياقوت بن عبدالرحمن الرومى الحموى وتوفى سنة ٦٦٧ وظهر بعده ابوالدر ياقوت الرومى المستعصمى و اشتهر اسمه فى جميع الامصار وقبل صنعته جميع الكتاب توفى سنة ٦٩٨ كما فى الموضوعات منه

﴾ من تحسين الخط وملاحة نظمه فانما هو زيادة حذق بصنعته وليس بشرط فى صحته وقد قال على بن عبيدة حسن الخط لسان اليد وبهجة الضمير ﴾ وقال بعضهم فى مدح الرسائل * كتاب فيه من غرر المعانى . قلائد لاينظمها اليدان * اذا نشرت صحائفه تجلت . بروضتها ازاهير المعانى * ترود العين منها فى مراد . مريع جاده فيض البنان * كأن مجال عين الفكر فيه . مجال اللحظ فى غرر الحسان * وقال ابو تمام * مداد مثل خافية الغراب . وقرطاس كرقراق السراب * والفاظ كالفاظ المثانى . وخط مثل وشم يد الكعاب * كتبت ولو قدرت هوى وشوقا . لكنت اليك سطرا فى الكتاب . ﴿ وقال ابو العباس المبرد رداءة الخط زمانة الادب ﴾ اى آفته وعاهته يمنعه من نفعه كما ان الزمن محروم النفع وهو كل على غيره ﴿ وقال عبد الحميد ﴾ الكاتب الشهير ﴿ البيان فى اللسان والخط فى البنان ﴾ جمع بنانة الا صابع اورؤسها ﴿ وانشدنى بعض اهل العلم لاحد شعراء البصرة ﴾ من الكامل ﴿ اعذر اخاك على نذالة خطه . واغفر نذالته لجودة ضبطه ﴾ النذالة الحقارة والخساسة ﴿ واعلم بان الخط ليس يراد من . تركيبه الا تبين سمطه ﴾ اى الا ظهور الكلمات المركبة من الحروف ﴿ فاذا ابان عن المعانى ﴾ اى اظهر عن الفاظها ﴿ لم يكن . تحسينه الازيادة شرطه ﴾ وبين ذلك الشرط بقوله ﴿ ومحل مازاد على الخط المفهوم ﴾ اى المتلو ﴿ من تصحيح الحروف ﴾ بيان لما زاد ﴿ وحسن الصورة كمحل مازاد على الكلام المفهوم من فصاحة الا لفاظ وصحة الاعراب ولذلك قالت العرب حسن الخط احد الفصاحتين وكما انه لايعذر من اراد التقدم فى الكلام ان يطرح الفصاحة والاعراب وان فهم وافهم ﴾ بل لابدله من الاعتناء بهما حتى لايعد كلامه من قبيل صرير الباب واصوات الحيوانات ﴿ كذلك لايعذر من اراد التقدم فى الخط ان يطرح تصحيح الحروف وتحسين الصورة وان فهم وافهم . وربما تقدم بالخط من كان الخط من اجل فضائله واشرف خصائله حتى صار عالما مشهورا ﴾ باملائه كتبا كثيرة واملاء كتاب مرة انفع من مطالعته مرارا ﴿ وسيدا مذكورا ﴾ ينسب اليه علم الخط ﴿ غيران العلماء اطرحوا صرف الهمة الى تحسين الخط لانه يشغلهم عن العلم ويقطعهم عن التوفر عليه ﴾ لاسيما اذا اكتسب به ﴿ ولذلك تجد خطوط العلماء فى الاغلب رديئة لاتلحظ الامن اسعده القضاء ﴾ منهم لاهتمام القضاة بالخط ﴿ وقد قال الفضل بن سهل ﴾ بن ابراهيم الاعرج البغدادى من صغار شيوخ البخارى ﴿ من سعادة المرء ان يكون ردئ الخط لان الزمان الذى يفنيه بالكتابة ﴾ اى لاجل ممارستها ﴿ يشغله ﴾ اى من شان ذلك الزمان ان يشغله ﴿ بالحفظ والنظر ﴾ فيزداد علمه والبلية كل البلية انممارسة الكتابة يحتاج الى زمان خال عن الهموم والكلال كما يحتاج حفظ العلم الى ذلك الزمان بعينه فبينهما تضاد ﴿ وليست رداءة الخط ﴾ اذا تجرد عن حفظ العلم ﴿ هى السعادة وانما السعادة ان لايكون له صارف عن العلم وعادة ذى الخط الحسن ان يتشاغل بتحسين خطه عن العلم ﴾ اذا صادف ذلك الزمان ﴿ فمن هذا الوجه صار ﴾ العالم العلامة ﴿ برداءة خطه سعيدا ﴾ لان ماناله افضل مما فاته ﴿ وان لم تكن رداءة الخط سعادة ﴾ على الاطلاق قال المأمون لمحمد بن داود ان شاركناك فى اللفظ فقد شاركناك فى الخط فقال يا امير المؤمنين ان من اعظم آيات النبى صلى الله عليه وسلم انه ادى

عن الله تعالى رسالته وحفظ وحيه وهو امى لايعرف من فنون الخط فنا ولايقرأ من حروفها
حرفا وبقى عمود ذلك فى اهله فهم يشرفون بالشرف الكريم فى نقص الخط كما يشرف غيرهم
بزيادته وان امير المؤمنين اخص الناس برسول الله صلى الله عليه وسلم والوارث لموضعه والمتقلد
لنهيه وامره فتعلقت به المشابهة الجليلة وتناهت اليه الفضيلة فقال المأمون يامحمد لقد تركتنى
لا آسى على الكتابة ولوكنت اميا ﴿ واذا كان ذلك كذلك ﴾ اى اذا كان الخط حافظا لبعض
الكلام ومعبرا عنه ووجب اعتناء الكاتب بتقويم الحروف وضبط مااشتبه ﴿ فقد يعرض
للخط اسباب تمنع من قراءته ومعرفته كما يعرض للكلام اسباب تمنع من فهمه وصحته. والاسباب
المانعة من قراءة الخط وفهم ماتضمنه قدتكون من ثمانية اوجه ﴿ احدها اسقاطه ﴾ اى
اسقاط الكاتب ﴿ الفاظا من اثناء الكلام يصير الباقى بها مبتورا ﴾ اى ناقصا عن اداء المعنى
المراد يقال بتر الشئ بترا من الباب الاول اذا قطعه اومستأصلا يعنى بتمامه اوقبيل تمامه
﴿ لايعرف استخراجه ولايفهم معناه وهذا يكون امامن سهو الكاتب اومن فساد نقله ﴾
اى من فساد الاصل الذى نقل عنه ﴿ وهذا ﴾ القسم ﴿ يسهل استنباطه على من كان مرتاضا
بذلك النوع فيستدل بحواشى الكلام ﴾ اى سياقه وسباقه ﴿ وماسلم منه على ماسقط ﴾
سهوا ﴿ اوفسد ﴾ باختلال اوخرق ﴿ لاسيما اذا قل لان الكلمة تستدعى مايليها ﴾ من المسند
اوالمسند اليه اوالمتعلقات ﴿ ومعرفة المعنى ﴾ بفهمه من القرائن ومماسلم ﴿ توضح عن الكلام
المترجم ﴾ بصيغة اسم الفاعل ﴿ عنه ﴾ اى عن المعنى ويعين ماسقط وفرقه من المحذوف ان
قرائن الحذف تعيين عموم المحذوف وخصوصه ولا دلالة على خصوصية الساقط اصلا ﴿ فاما
من كان قليل الارتياض ﴾ والاستيناس ﴿ بذلك النوع فانه يصعب عليه استنباط
المعنى منه لاسيما اذا كان ﴾ الساقط ﴿ كثيرا ﴾ من موضع واحد او من مواضع
﴿ لانه يحتاج فى فهم المعانى الى الفكر والروية فيما قداستخرجه بالكتابة ﴾ حتى يعين مايلائمه
﴿ فاذا هو لم يعرف تمام الكلام المترجم عن المعنى قصر فهمه عن ادراكه وضل فكره عن استنباطه ﴾
لما سبق ان تبعيض المعنى اشكل له ﴿ والوجه الثانى زيادة الفاظ فى اثناء الكلام يشكل بها
معرفة الصحيح غير الزائد من معرفة السقيم الزائد فيصير الكل مشكلا وهذا لايكاد يوجد
كثيرا ﴾ لان السهو كثيرا ما يكون بالاسقاط اوباملاء لفظ واحد مرتين وزيادة الفاظ اجنبية
فى الكلام اما بان يكون قلب الكاتب معلقا بشئ ومشغولا به او بان يحادث عنده مايميل اليه
قلبه فيكتب يده من غير شعور بعض ماتخالج فى قلبه او بعض ماسمعه من محادثه وذلك قليل
﴿ الا ان يقصد الكاتب تعمية كلامه فيدخل فى اثنائه مايمنع من فهمه فيصير ذلك رمزا يعرف
بالمواضعة ﴾ كقول بعضهم فى لفظ قال ماعليل من الافعال رأسه مثل قلل الجبال وسفحه
ذيل المثال وبينهما حال مابين طرفى الحال له ولدان من باب واحد لايطلمان احدهما يقول ويتكلم
بلالسان والآخر يقيل ويرقد فى جميع الازمان ولوقصر على قوله احدهما يقول والآخر
يقيل لفهم ماأراده بارادة لفظهما الا ان عطف يتكلم ويرقد مما يمنع من ذلك فصار تعمية
﴿ فاما وقوعه سهوا فقد يكون بالكلمة والكلمتين وذلك لايمنع من فهمه على المرتاض وغيره
(والوجه الثالث) اسقاط حروف من اثناء الكلمة يمنع من استخراجها على الصحة وقديكون

هذا ﴾ الاسقاط ﴿ تارة من السهو فيقل وتارة من ضعف الهجاء ﴾ اى من ضعف تعداد حروف الكلمات وتقطيعها ﴿ فيكثر ﴾ لانه يكتب كما يقرأ ولا يقرأ على الصحة او يصحح الهجاء ولكن يسقط بعض الحروف حين الاملاء لعدم ممارسته بالكتابة ﴿ والقول فيه ﴾ اى فى الوجه الثالث ﴿ كالقول فى الوجه الاول ﴾ فى سهولة استخراجه على المرتاض وصعوبته على غيره ﴿ والوجه الرابع زيادة حروف فى اثناء الكلمة يشكل بها معرفة الصحيح من حروفها وهذا يكون تارة من سهو الكاتب فيقل فلا يمنع من استخراج الصحيح ﴾ وقلة السهو لانه ربما يقع فى الكلمات المركبة من الحروف المتجانسة فيقع السهو فى ادغام المظهر واظهار المدغم وتلك الكلمات قليلة ﴿ ويكون تارة لتعمية ومواضعة يقصد بها الكاتب اخفاء غرضه فيكثر كالتراجم ﴾ اى اسماء الرجال الذين يراد جرحهم او تعديلهم او نحو ذلك وقال بعضهم فى اسم على . اسم الذى تيمنى . اوله ناظره * ان فاتنى اوله . فان لى آخره * الناظر العين وهى اذا جمع مع لى يكون على ﴿ ويكون القول فيه كالقول فى الوجه الثانى ﴾ فى عدم المنع من فهمه على المرتاض وغيره ان وقع سهوا ومعرفته بالمواضعة ان كان رمزا ﴿ والوجه الخامس وصل الحروف المفصولة وفصل الحروف الموصولة ﴾ من الكلمة المفردة او المركبة من كلمتين ﴿ فيدعو ذلك ﴾ الوصل والفصل ﴿ الى الاشكال لان الكلمة ينبه عليها ﴾ اى على ذاتها وجوهرها ﴿ وصل حروفها ﴾ الموصولة ﴿ ويمنع فصلها ﴾ اى فصل حرفها الاول مما قبلها والاخير مما بعدها ﴿ من مشاركة غيرها ﴾ المشاركة لها فى جواهر الحروف مثل كلما وكل ما وذللنا فذل لنا وان كان الفصل والوصل فى الكلمات المفردة كخط العروض فالاشكال فيه اشد يعجز كل فرد ولو كان شعبيا ﴿ فان كان ذلك من سهو قل فيسهل استخراجه وان كان ذلك من قلة معرفة بالخط ﴾ وكيفية تصوير الكلمات بحروفها ومايتصل باوائلها من الادوات واواخرها من الضمائر لقلة المعرفة بالاشتقاق والنحو ﴿ او ﴾ كان الخط ﴿ مشقا ﴾ فى القاموس مشق فى الكتابة اذا مد حروفها وهو ليس بمراد ههنا ولعله كان فى زمانهم خط يشابه الديوان او السياقة وفيهما وصل الحروف المفصولة ﴿ تسبق به اليد كثيرا ﴾ الجملة خبر كان ﴿ فصعب استخراجه الا على المرتاض به ﴾ اى بالمشق ﴿ ولذلك قال عمر بن الخطاب رضى الله عنه شر الكتابة المشق كما ان شر القراءة الهذرمة ﴾ يقال يهذرم الكلام والقراءة اى يسرع ﴿ وان كان ﴾ الوصل والفصل ﴾ للتعمية والرمز لا يعرف الا بالمواضعة (والوجه السادس) تغيير الحروف عن اشكالها وابدالها باغيارها حتى يكتب الحاء على شكل الباء والصاد على شكل الراء وهذا يكون فى رموز التراجم ولا يوقف عليه الا بالمواضعة الا لمن قد زاد فيه الذكاء فقدر على استخراج المعنى (والوجه السابع) ضعف الخط عن تقويم الحروف على الاشكال الصحيحة واثباتها على الاوصاف الحقيقية حتى لا تكاد الحروف تمتاز عن اغيارها حتى تصير العين الموصولة ﴾ من الطرفين ﴾ كالفاء ﴾ الموصولة من الجانبين ﴿ و ﴾ تصير العين ﴿ المفصولة كالحاء وهذا يكون من رداءة الخط وضعف اليد واستخراج ذلك ممكن بفضل المعاناة وشدة التأمل وربما اضجر قارئه واوهى معانيه ﴾ اى افسدها يقال وهى السقاء من الباب الثانى اذا استرخى رباطه ويلزمه اضاعة بعض الماء الذى فيه ﴿ ولذلك قيل ان الخط الحسن ليزيد الحق وضوحا (والوجه

(مطايبة) حكى ان ليلى الاخيلية كانت تتكلم بلغة بهراء فتكسر حروف المضارعة فتقول انت تعلم فاستأذنت يوما على عبد الملك بن مروان و بحضرته الشعبي فقال أتأذن لى ياامير المؤمنين فى الغض منها فقال افعل فلما استقر المجلس قال لها الشعبي ياليلى ما بال قومك لايكتنون فقالت ويحك اما نكتنى بكسر النون فقال لا والله ولو فعلت لاغتسلت فخجلت عند ذلك واستغرق عبد الملك فى الضحك ثم بعد محادثة ومشاعرة قالت ليلى كيف تقطيع حولوا عنا كنيستكم يابنى حمالة الحطب فشرع الشعبي فى التقطيع وقال حو لوعن فاعلاتن ناكى فاعلن . فقالت من الفاعل . واخذت بثارها منه

الثـامن) اغفال النقط والاشـكال التى تميز بها الحروف المشتبهة وهذا ايسر امرا واخف حالا ﴾ من الوجوه السابقة ومع كونه اخفها كان سببا لفتنة عظيمة وذلك ان عثمان رضى الله عنه لما ارسل محمد بن ابى بكر الصديق الى مصر واليا عليها كتب فى منشوره فاقبلوه فقرؤه فاقتلوه فكان سبب فتنة عثمان ولذا اوجبوا تقييد الالفاظ المشتبهة بحيث يندفع الاشتباه ولاجل هـذه الوجوه كلهـا قال الفضـولى * تبت يدا كاتب لولاه ماخربت . معمورة اسست بالعلم والادب * اردى من الخمر فى افساد نسخته . تستظهر العيب تغييرا من العنب * وقال ايضـا * قلم اولسون الهى اول كاتب بدتحريرك . كه فسـاد رقمى سوزمزى شور ايلر * كاه برحرف سقوطيله قيلور نادرى نار . كاه برنقطه قصـوريله كوزى كور ايلر * وقل ايضا فى اللسـان السقيم ويوافق الوجه الثالث * كم من لسان سقيم من تصرفه . صارت لآلى عقود النظم منثورا * اعرى القضايا عن الانتاج منطقه . تصريفه قلب المضموم مكسورا ﴿ لان من كان متميزا بصحة الاستخراج ومعرفة الخط لم تخف عليه معرفة الخط وفهم ما تضمنه مع اغفال النقط والاشكال ﴾ جمع شكل من شكل الكتاب اذا اعجمه اى ازال عجمه ﴿ بل قد استقبح الكتاب ﴾ جمع كاتب ﴿ ذلك ﴾ الاعجام ﴿ فى المكاتبات ﴾ والمراسـلات الخاصة لا فى الكتب والرسـائل العامة ﴿ ورأوه من تقصير الكاتب ﴾ امالانه اول قارئ بما كتبه واما الاستلزامه انتظاره جوابا بمثل ما ارسل ﴿ اوسوء ظنه بفهم المكاتب ﴾ والمرسل اليه ﴿ وكان استقباحهم له فى مكاتبة الرؤساء اكثر ﴾ لتنزيههم عن ذلك الظن ﴿ حكى قدامة ﴾ بضم القـاف ابوالوليد وابوالفرج ﴿ بن جعفر ﴾ الكاتب البغدادى يضرب به المثل فى الفصاحة كان بليغا مجيدا عالما باسرار صنعة الكتابة ولوازمها وله كتـاب يعرف بسر البلاغة فى الكتابة وترجمته تدل على متضمنه وله تحقيق فى صنع البديع يتميز به عن نظرائه وتدقيق فى كلام العرب يربى فيـه على اكفـائه وتحذيق فى علوم التعليم اضرم فيها شعلة ذكائه ولذلك سار المثل ببلاغته واتفق المتقدم والمتأخر على فضل براعته ﴿ ان بعض كتاب الدواوين حاسب عاملا ﴾ فتبين خيانته واختلاسه فكتب بعزله ﴿ فشكى العامل منه الى عبيدالله بن سليمان ﴾ وزير المعتضد بالله ﴿ وكتب رقعة ﴾ المعبر عنها بعرضحال ﴿ يذكر فيها احتجاجا لصحة دعواه ووضوح شـكواه فوقع فيها ﴾ اى كتب بها والتوقيع علامات السـلاطين من الخط والطغراء وامضـاء الوزراء والحكام ﴿ عبيدالله بن سليمان هذا هذا فاخذهـا العـامل وقرأها فظن ان عبيدالله اراد بهذا هذا اثباتا لصحة دعواه وصدق قوله ﴾ فيما اشتكاه ﴿ كما يقال فى اثبـات الشئ هو هو فحمل الرقعـة الى كاتب الديوان ﴾ المعبر عنه بمكتوبى ﴿ واراه خط عبيدالله وقال له ان عبيدالله قد صدق قولى وصحح ماذكرت فخفى على الكاتب ذلك ﴾ اى ما اراد به عبيدالله ﴿ واطيف به على كتاب الدواوين فلم يقفوا على مراد عبيدالله ورد اليه ﴾ اى رد ما كتب به عبيدالله الى ذلك العـامل ﴿ ليسأل عن مراده به فشـدد عبيدالله الكلمة الثـانية ﴾ اى هذا العامل يهذ هذا اى يقطع سريعا ويحكم براءته من التهمة او بغدر المحـاسب فادفعوا من لا ينقـاد الى الحق ولو بعـذر كاذب او من هذى الرجل اذا تكلم بغير معقول اى هذا كثير الهذيان ﴿ وكتب تحتها والله المستعان استعظاما منه ﴾ اى من عبيدالله ﴿ لتقصيرهم فى استخراج مراده ﴾ واسفا على تفويض الامور

لغير اهله ﴿ حتى احتاج ﴾ لتفهيم مراده ﴿ الى ابانته بالشكل ﴾ ومثل هؤلاء قال ابو العيناء *
تعس الزمان لقد اتى بعجاب . ومحى رسوم الظرف والآداب * واتى بكتاب لو انبسطت يدى .
فيهم رددتهم الى الكتاب * الاول جمع كاتب والثانى المكتب وليت شعرى لو سمع من يكتب ما آظ
الله مكان معاذ لله الى اين يرده ﴿ فهذه حال الكتاب فى استقباحهم اعجام المكاتبات بالنقط
والاشكال فاما غير المكاتبات من سائر العلوم فلم يروه قبيحا بل استحسنوه لاسيما فى كتب الادب
التى يقصد بها معرفة صيغ الالفاظ وكيفية مخارجها مثل كتب النحو واللغة والشعر الغريب فان
الحاجة الى ضبطها بالشكل والاعجام ﴾ من اعجم الكتاب اذا نقطه ﴿ اكثر وهى فيما سواه
من العلوم ﴾ كالاخلاق والتاريخ والمنطق ﴿ ايسر ﴾ لان الامثلة والشواهد فى العلوم الادبية
مقتضبة ومقصورة كثيرة على محل الاستشهاد لاسياق لها ولاسباق بخلاف سائر العلوم ﴿ وقد
قال الثورى ﴾ هو سفيان بن سعيد وثور اسم قبلة من مضر الامام الكبير احد اصحاب المذاهب
الستة المتبوعة المتفق على جلالة قدره وكثرة علومه وصلابة دينه وتوثيقه وامانته وهو من
تابع التابعين وامير المؤمنين فى الحديث قال ابن المبارك كتبت عن الف ومأة وما كتبت عن احد
افضل من سفيان روى له الجماعة توفى سنة ستين ومأتين وكان يدلس رحمه الله ﴿ الخطوط
المعجمة كالبرود ﴾ جمع برد بضم الباء اللباس المخطط ﴿ المعلمة ﴾ فى تشهيرما فيها ﴿ وقال
بعض البلغاء اعجام الخط ﴾ اى ازالة عجمه وابهامه بنقط وحركات ﴿ يمنع من استعجامه ﴾
اى من عدم القدرة على قراءته ﴿ وشكله ﴾ اى اعجامه ﴿ يؤمن من اشكاله ﴾ اى
صيرورته ذا شكل وامثال ودخوله فيه ﴿ وقال بعض الادباء رب علم لم تعجم فصوله فاستعجم
محصوله وكما استقبح الكتاب الشكل والاعجام فى المكاتبات وان كانت فى كتب العلوم مستحسنا
فكذلك استحسنوا مشق الخط فى المكاتبات وان كان ﴾ ذلك الخط ﴿ فى كتب العلوم
مستقبحا وسبب ذلك ﴾ الاستحسان ﴿ انهم لفرط ادلالهم ﴾ اى ممارستهم وملكتهم المستلزم
للانبساط والتغنج ﴿ فى الصنعة وتقدمهم فى الكتابة ﴾ على نظرائهم ﴿ يكتفون بالاشارة
ويقتصرون على التلويح ﴾ يقال لوح بسيفه اذا لمع به يعنى من غير ضرب به ﴿ ويرون الحاجة
الى استيفاء شروط الابانة تقصيرا ﴾ للكاتب او المكاتب ﴿ ولفضل مايعتقدونه من التقدم
بهذا الحال ﴾ وهو الادلال فى الصنعة بتوسيع القريحة وادراك اللمحة ﴿ رأوا مانبه عليه ﴾
اى على ذلك الحال ﴿ من سواد المداد ﴾ فى اصابعه او ثوبه ﴿ اثرا جميلا وعلى الفضل
والتخصيص دليلا * حكى ان عبيدالله بن سليمان رأى على بعض ثيابه اثر صفرة فاخذ من
مداد الدواة فطلاه به ﴾ اى طلا موضع الصفرة بالمداد ﴿ ثم قال المداد بنا ﴾ اى اخص
معاشر الرجال ﴿ احسن من الزغفران والشد ﴾ من الخفيف ﴿ انما الزعفران عطر العذارى ﴾
بفتح العين والراء اوبكسر الراء جمع عذراء وهى البكر من النساء والمراد مطلقهن بقرينة المقابلة
بالرجال ﴿ ومداد الدوى ﴾ بكسرتين اوبضم الدال وكسر الواو وتشديد الياء جمع دواة
﴿ عطر الرجال ﴾ ونظر جعفر بن محمد الى فتى على ثيابه اثر مداد وهو يستره فقال له *
لاتجزعن من المداد فانه . عطر الرجال وحلية الكتاب * وقال ابو العيناء كنت عند ابراهيم
بن العباس وهو يكتب كتابا فنقطت من القلم نقطة مفسدة فسحها بكمه فتعجبت فقال لاتعجب

المال فرع والقلم اصل والاصل احوج الى المرعات من الفرع وبهذا السواد جاءت هذه الثياب
ثم اطرق قليلا وقال * اذا ما الفكر ولد حسن لفظ . واسلمه الوجود الى العيان * ووشاه
فنمنمه جواد . فصيح فى المقال بلا لسان * ترى حلل البيان منشرات . تجلى بينها صور المعانى
﴿ فهذه جملة كافيه فى الابانة عن الاسباب المانعة من فهم الكلام ومعرفة معانيه لفظا كان ﴾
الكلام ﴿ او خطا والله ولى التوفيق ﴾ فنشكره على توفيقه ﴿ فينبغى لطالب العلم ان يكشف
عن الاسباب المانعة ان تعذر عليه فهم المعنى ليسهل عليه الوصول اليه ثم ﴾ ينبغى له ان ﴿ يكون
من بعد ذلك سائسا لنفسه ﴾ اى حافظا مراعيا لصلاحها ﴿ مدبرا لها فى حال تمامه فان للنفس
نفورا يفضى الى تقصير ووفورا يؤول الى سرف وقيادها ﴾ بين الافراط والتفريط ﴿ عسر ﴾
على وزن كتف صفة مثل عسير ﴿ ولها احوال ثلاثة فحال عدل وانصاف وحال غلو
واسراف وحال تقصير واجحاف ﴾ ترك السعى كليا ﴿ فاما حال العدل والانصاف فهى ان
تختلف قوى النفس من جهتين متقابلتين طاعة ﴾ لامر صاحبها ﴿ مسعدة ﴾ لها ﴿ وشفقة كافة ﴾
اى مانعة عن الاجابة المؤدية الى هلاكها ﴿ فطاعتها تمنع التقصير وشفقتها ترد عن السرف
والتبذير ﴾ فى السعى والطلب ﴿ وهذه احمد الاحوال ﴾ الثلاثة ﴿ لان مامنع من التقصير نام
وماصد ﴾ بالبناء للمفعول ﴿ عن السرف مستديم والنمو اذا استدام فاخلق به ﴾ فهل تعجب
﴿ ان يستكمل ﴾ بمرور الازمان ﴿ وقال بعض الحكماء اياك ومفارقة الاعتدال فان المسرف
مثل المقصر فى الخروج عن الحد * واما حال الغلو والاسراف فهى ان تختص النفس بقوى
الطاعة وتعدم ﴾ النفس من الباب الرابع اى تفقد ﴿ قوى الشفقة فيبعثها اختصاص الطاعة
على افراغ الجهد ويفضى بها افراغ الجهد الى عجز الكلال فيؤديها ﴾ الضمائر للنفس ﴿ عجز
الكلال الى الترك والاهمال ﴾ كليا ﴿ فتصير الزيادة نقصانا والربح خسرانا ﴾ وفى البيان قال
دغفل بن حنظلة ان للعلم اربعا آفة ونكدا واضاعة واستجاعة فآفته النسيان ونكده الكذب
واضاعته وضعه فى غير موضعه واستجاعته انك لا تشبع منه وانما عاب الاستجاعة لسوء تدبير
اكثر العلماء ولخرق سياسة اكثر الرواة لان الرواة اذا شغلوا عقولهم بالازدياد والجمع عن
تحفظ ما قد حصلوه وتدبر ماقد دونوه كان ذلك الازدياد داعيا الى النقصان وذلك الربح
سببا للخسران وقد جاء فى الحديث منهومان لا يشبعان طالب علم وطالب مال وقال المزنى
لا تكدوا هذه القلوب ولا تهملوها فخير الكلام ماكان عقب الجمام ومن اكره بصره عشى
وعاودوا الفكر عند نبوات القلوب واشحذوها بالمذاكرة ولا تيأسوا من اصابة الحكمة اذا
امتحنتم ببعض الاستغلاق فان من ادام قرع باب ولج ﴿ وقد قالت الحكماء طالب العلم وعامل
البر كآكل الطعام ان اخذ منه قوتا عصمه ﴾ من الهلاك ﴿ وان اسرف فيه ابشمه وربما
كان فيه منيته ﴾ اى اتخمه الطعام وقد يقتله حبطا اذا اكثر حتى تنتفخ ﴿ وكآخذ الادوية
التى القصد فيها شفاء ومجاوزة الحد فيها السم المميت ﴾ وقال السعدى * اى كه مشتاق منزلى
مشتاب . پند من كار كير وصبر آموز * اسب تازى دوتك دود بشتاب . اشتر آهسته ميرود
شب وروز ﴿ واما حال التقصير والاجحاف فهى ان تختص النفس بقوى الشفقة وتعدم قوى
الطاعة فيدعوها الاشفاق الى المعصية ﴾ الاشفاق عبارة عن الاعتناء المختلط بالخوف ﴿ وتمنعها

المعصية من الاجابة فلا تطلب شاردا ﴾ اى ماضيا ومنسيا ﴿ ولا تقبل ﴾ من الاقبال ﴿ عائدا ﴾ وآتيا عليه قبل اتيانه ﴿ ولا تحفظ مستودعا ﴾ فى الحال او المنى (لا تطلب شاردا) اى نافرا لاستصعابه (ولا تقبل) من القبول (عائدا) اى ما كان سهلا لاستنكافه منه وترفعه عنه (ولا تحفظ مستودعا) ليس بشارد ولا عائد لتسويفه فلم يبق ليومه الا عبوديته لقفاه ولهازمه ﴿ ومن لم يطلب الشارد و ﴾ لم ﴿ يقبل العائد و ﴾ لم ﴿ يحفظ المستودع فقد الموجود ﴾ وهو المستودع ﴿ ولم يجد المفقود ﴾ وهو المنى والآتى ﴿ ومن فقد ما وجد فهو مصاب محزون ومن لم يجد مافقد فهو خائب مغبون وقد قال بعض الحكماء العجز مع الوانى ﴾ اسم فاعل من ونى الرجل اذا فتر ولم يجد فى العمل ﴿ والفوت مع التوانى ﴾ اى فوت الآمال والمقاصد مع التقصير والتكاسل فى مطالبه ﴿ وقد يكون للنفس مع الاحوال الثلاثة ﴾ المذكورة ﴿ حالتان مشتركتان بغلبة احدى القوتين فيكون للنفس طاعة واشفاق واحدهما اغلب من الاخرى فان كانت الطاعة اغلب كانت الى الوفور اميل وان كان الاشفاق اغلب كانت الى التقصير اقرب فاذا عرف من نفسه قدر طاعتها وخبر ﴾ مثل علم لفظا ومعنى ﴿ منها كنه اشفاقها راض نفسه لتثبت على احمد حالاتها وقد اشار الى ما وصفنا من حال النفس الفرزدق فى قوله ﴾ من الطويل ﴿ لكل امرئ نفسان نفس كريمة ﴾ تحض على المحاسن وتنبسط لها وتحذر من القبائح وتشمئز منها ﴿ واخرى ﴾ اى ونفس اخرى بعكس الكريمة تزين القبائح وتسربها وتستثقل المحاسن وتنفر منها ﴿ فيعصيها الفتى ﴾ اى يعصى النفس الامارة بالسوء فيفوز وينجح ﴿ او يطيعها ﴾ فيخسر ويهلك ﴿ ونفسك من نفسيك تشفع للندى ﴾ اى للعطاء الكثير واراد بالنفس النفس الاخرى بقرينة المقابلة بالاحرار ﴿ اذا قل من احرار هن شفيعها ﴾ اى معينها على العطاء الكثير والضمير للاخرى يعنى ان نفسك الكريمة تأمر بالكثير فى موضعه وتمنع منه فى غير موضعه حذرا عن التبذير ونفسك الاخرى تأمرك بالكثير فى غير موضعه ايضا انفة من اعطاء القليل حكى ان يزيد بن المهلب عند خروجه من سجن عمر بن عبد العزيز مر بعجوز اعرابية فذبحت له عنزا فقال لابنه ما معك من النفقة قال مأة دينار قال ادفعها اليها فقال هذه يرضيها اليسير وهى لا تعرفك قال ان كان يرضيها فانا لا ارضى الا بالكثير وان كانت لا تعرفنى فانا اعرف نفسى فلعل المخاطب هو يزيد على فعله ذلك فيكون ضمير الجمع فى احرار هن راجعا الى نفس يزيد وابنه ومن معهما اعنى الى نفوسهم الحرائر ولم يعبر عن القسم الثانى بغير الكريمة لوجود الكرم فى نفس الممدوح ﴿ وان اهمل سياستها فاغفل رياضتها ورام ان يأخذها بالعنف ﴾ ضد الرفق ﴿ ويقهرها بالعسف ﴾ اى رام ان يغلبها بظلمها واكراهها ﴿ استشاطت ﴾ اى التهبت غضبا ﴿ نافرة ﴾ اى معرضة وصادة ﴿ ولجت معاندة ﴾ اى تمادت فى خصومتها وعنادها ﴿ فلم تنقد الى طاعة ﴾ لغضبها ﴿ ولم تنكف عن معصية ﴾ لعنادها ﴿ وقال سابق البربرى ﴾ فى قصيدة له من البسيط ومنها * نلهو ونأمل ايا ما لعدتنا . سريعة المر تطوينا ونطويها * كم من عزيز سيبقى بعد عزته . ذلا وضاحكة يوما ستبكيها * وللحتوف ترى كل مرضعة . وللحساب برى الارواح باريها * لا تبرح النفس تنعى وهى سالمة . حتى تقوم بواد غير واديها * اموالنا لذوى الميراث نجمعها . ودورنا لخراب الدهر

(نبنيها)

نبذيها ﴿ اذا زجرت لجوجا زدته علقا ﴾ اى هوى ومحبة ﴿ ولجّ النفس منه فى تماديها ﴾ اى وصولها الى غاية مازجرتها عنه يقال تمادى فى الشئ اى لج فيه ﴿ فعد ﴾ امر من عاد يعود ﴿ عليه ﴾ اى على اللجوج ﴿ اذا مانفسه جمحت ﴾ من جمح الفرس من الباب الثالث اذا اعتز فارسه اى استصعبت بحيث غلبته نفسه ﴿ باللين منك فان اللين يثنيها ﴾ اى يردها ويميلها عما لج فيه لا الزجر والعتاب والباء متعلق بعد ﴿ فاذا استصعب عليه قياد نفسه ودام منه نفور قلبه مع سياستها ومعاناة رياضتها تركها ترك راحة ﴾ بيوم او بليلة ﴿ ثم عاودها بعد الاستراحة فان اجابتها تسرع وطاعتها ترجع وقد روى عن النبى صلى الله عليه وسلم انه قال ان القلب يموت ﴾ بحيث لايبقى له امل ولانشاط ﴿ ويحيى ﴾ بعود نشاطه ﴿ ولو بعد حين وقال ابن مسعود رضى الله عنه للقلوب شهوة واقبال وفترة وادبار فأتوها من قبل شهواتها ﴾ ليسرع اقبالها ويسهل على الجوارح عمل ماكلفتموه ﴿ ولا تأتوها من قبل فترتها ﴾ حتى تردما طلبتم وتعتاد الرد ﴿ وقال الشاعر ﴾ من الطويل ﴿ وماسمى الانسان الا لانسه . ولا القلب الا انه يتقلب ﴾ يتحول من حال الى حال وقال بشر بن المعتمر خذ من نفسك ساعة نشاطك وفراغ بالك واجابتها اياك فان قليل تلك الساعة اكرم جوهرا واشرف حسبا واحسن فى الاسماع واحلى فى الصدور واسلم من فاحش الخطأ والخطبة طويلة كما سيأتى فى فصل الكلام ﴿ فاما الشروط التى يتوفر بها علم الطالب وينتهى معها كمال الراغب مع مايلاحظ به من التوفيق ويمد به من المعونة ﴾ من الله تعالى ﴿ فتسعة شروط احدها العقل الذى يدرك به حقائق الامور ﴾ على ماهى عليه ﴿ والثانى الفطنة التى يتصور بها غوامض العلوم ﴾ ودقائقها وينتقل باللوازم البعيدة كالقريبة فطرة فيستوى عنده الشكل الاول والرابع والعلم والظن كما قيل * الالمعى الذى يظن بك الظن كأن قدرأى وقد سمعا ﴿ والثالث الذكاء الذى يستقر به حفظ ماتصوره وفهم ماعلمه * والرابع الشهوة التى يدوم بها الطلب ولا يسرع اليه الملل * والخامس الاكتفاء بمادة ﴾ يتعيش به و ﴿ يغنيه عن كلف الطلب * والسادس الفراغ ﴾ من العلائق ﴿ الذى يكون معه التوفر ويحصل به الاستكثار * والسابع عدم القواطع المذهلة من هموم وامراض * والثامن طول العمر واتساع المدة لينتهى بالاستكثار الى مراتب الكمال ﴾ ولاحد لغايته ومبدؤه مابينه الشعبى بقوله ومن نال الشبر الثانى صغرت اليه نفسه وعلم انه لم ينله كما سيأتى ﴿ والتاسع الظفر بعالم سمح بعلمه متأن فى تعليمه فاذا استكمل هذه الشروط التسعة فهو اسعد طالب وانجح متعلم وقد قال الاسكندر يحتاج طالب العلم الى اربع مدة وجدة ﴾ اى غنى ﴿ وقريحة وشهوة وتمامها فى الخامسة معلم ناصح ﴾

﴿ فصل ﴾

﴿ وساذكر طرفا ﴾ اى نبذة ﴿ مما يتأدب به المتعلم ويكون عليه العالم ﴾ لتخلقه به حين تعلمه ﴿ اعلم ان للمتعلم تملقا وتذللا ﴾ للمعلم ﴿ فان استعملهما غنم ﴾ وفاز بالعلم ﴿ وان تركهما حرم ﴾ يقال حرمه الشئ حرمانا من باب علم اذا منعه اياه اى صار محروما من العلم ﴿ لان التملق للعالم يظهر مكنون علمه ﴾ لمحبته ﴿ والتذلل له سبب لادامة صبره ﴾ على التعليم ﴿ وباظهار مكنونه تكون الفائدة وباستدامة صبره يكون الاكثار وقد روى معاذ ﴾ بن جبل بن عمرو الانصارى اسلم وهو ابن ثمانى عشرة سنة وشهد العقبة الثانية والمشاهد كلها روى

له عن رسول الله صلى الله عليه وسلم مأة حديث وسبعة وخمسون حديثا توفى فى طاعون عمواس سنة ثمانى عشرة وعمره ثلاث وثلاثون سنة ﴿ عن النبى صلى الله عليه وسلم انه قال ليس من اخلاق المؤمن الملق ﴾ وفى الجامع الصغير التملق وهما بمعنى قال المناوى اى الزيادة فى التودد فوق ماينبغى ليستخرج من الانسان مراده (ولا الحسد ﴿ الا فى طلب العلم ﴾ راجع للامرين اى حسد الغبطة فينبغى للمتعلم التملق للعالم لينصحه فى تعليمه وينبغى له اذا رأى من فضل عليه فى العلم ان يوبخ نفسه ويحملها على الجد فى الطلب ليصير مثله ﴿ وقال عبدالله بن عباس رضى الله عنهما ذللت طالبا فعززت مطلوبا ﴾ العز ضد الذل ﴿ وقال بعض الحكماء من لم يحتمل ذل التعلم ساعة ﴾ من ايام ﴿ بقى فى ذل الجهل ابدا وقال بعض حكماء الفرس اذا قعدت وانت صغير حيث تحب ﴾ فى بين المطربين ومواجهات المغنيات ﴿ قعدت وانت كبير حيث لاتحب ﴾ فى صف النعال وربما تقوم فيه ﴿ ثم ليعرف له فضل علمه وليشكر له جميل فعله فقدروت عائشة ﴾ ام المؤمنين بنت ابى بكر الصديق رضى الله عنهما تكنى بام عبدالله كناها رسول الله صلى الله عليه وسلم بابن اختها عبدالله بن الزبير تزوجها رسول الله صلى الله عليه وسلم بمكة قبل الهجرة وهى بنت سبع سنين وبنى بها فى شوال فى السنة الثانية من الهجرة اقامت فى صحبته ثمانية اعوام وخمسة اشهر وتوفى عنها وهى بنت ثمانى عشرة وعاشت خمسا وستين سنة وكانت من اكبر فقهاء الصحابة واحد الستة الذينهم اكثر الصحابة حديثا روى لها الفا حديث ومأتا حديث وعشرة احاديث روت من خلق من الصحابة وروى عنها جماعات من الصحابة والتابعين قريب من المأتين ماتت بعد الخمسين سنة خمس اوسبع فى رمضان وامرت ان تدفن ليلا بعد الوتر بالبقيع وصلى عليها ابو هريرة ﴿ رضى الله عنها عن النبى صلى الله عليه وسلم انه قال من وقر عالما ﴾ لعلمه ﴿ فقد وقر ربه ﴾ لان العلم من صفات الله تعالى وتوقير صفاته يرجع الى توقير ذاته ﴿ وقال على بن ابى طالب رضى الله عنه لايعرف فضل اهل العلم ﴾ ويروى اهل الفضل ﴿ الا اهل الفضل ﴾ وقد تقدم ﴿ وقال بعض الشعراء ﴾ من الكامل ﴿ ان المعلم والطبيب كلاهما . لاينصحان ﴾ اى لايخلصان فى امريهما ﴿ اذا هالم يكرما ﴾ بالبناء للمفعول وارخص الاكرام توقيرهما ﴿ فاصبر لدائك ان اهنت طبيبه ﴾ المداوى لذلك الداء ﴿ واصبر لجهلك ان جفوت معلما * ولايمنعه ﴾ اى المتعلم ﴿ علو منزلته ان كانت له ﴾ منزلة ﴿ وان كان العالم خاملا ﴾ لامنزلة له اولا شهرة له بين الناس ﴿ فان العلماء بعلمهم قد استحقوا التعظيم لابالقدرة والمال . وانشدنى بعض اهل الادب لابى بكر بن دريد ﴾ من المنسرح ﴿ لاتحقرن ﴾ بالنون الخفيفة يقال حقره غيره من باب ضرب اذا استصغره وكذا احتقره واستحقره ﴿ عالما وان خلقت ﴾ اى بليت ﴿ اثوابه فى عيون رامقه ﴾ وناظره ﴿ وانظر اليه بعين ذى ادب ﴾ ويروى ذى خطر ﴿ مهذب الرأى فى طرائقه ﴾ عملا وخلقا ومعاملة وقال بعض الشعراء * ليس الخمول بعار على امرئ ذى جلال * فليلة القدر تخفى . على جميع الليالى * وعلل النهى بقوله ﴿ فالمسك بينا تراه ممتهنا ﴾ اى مبتذلا ومحقرا ﴿ بفهر عطاره وساحقه ﴾ الفهر بكسر فسكون الحجر قدر مايدق به الجوز اوما يملأ الكف والسحق الدق اودون الدق يعنى التليين . واصل بينا بين والفه للاشباع وهى من

كلمات الابتداء مثل بينما والميم زائدة يقال بينا اوبينما نحن كذا اذ حدث كذا فمعنى البيت مرهون لمابعده ﴿ سوف تراه ﴾ كما فى الشريشى وهوالاوفق لان مابعد بينا مبتدأ وخبر مطلقا اى بينا انت ترى المسك محقرا سوف تراه معظما ومعززا حال كونه ﴿ فى عارضى ملك ﴾ اى فى صفحتى خديه ﴿ او موضع التاج من مفارقه ﴾ يعنى فى لحيته وشعر رأسه . وذهب الاصمعى الى ان مابعد بينا مجرور ان صح وضع بين فى موضعه ولايضاف بين الا الى متعدد ليتبين معناه فالتقدير فالمسك تراه ممتهنا بين فهر العطار ومداكه حتى تراه معظما اه اوبينا زائد ولايخفى مافيه من التكلف لفظا والركاكة معنى فرواية حتى شاذة ﴿ وليكن ﴾ المتعلم ﴿ مقتديا بهم ﴾ اى بالعلماء ﴿ فى اخلاقهم متشبها بهم فى جميع افعالهم ليصير لها آلفا وعليها ناشئا ﴾ وترك صبوة الفتوة واحدا واحدا اسهل من تركها دفعة وكذا التخلق ﴿ ولما خالفها ﴾ اى افعالهم واخلاقهم ﴿ مجانبا فقد قال النبى صلى الله عليه وسلم خيار شبانكم ﴾ بضم الشين وتشديد الباء جمع شاب ﴿ المتشبهون بشيوخكم وشرار شيوخكم المتشبهون بشبانكم وروى ابن عمر ﴾ كما روى ابوداود عنه والطبرانى عن حذيفة ﴿ ان النبى صلى الله عليه وسلم قال من تشبه بقوم ﴾ قال المناوى اى تزيا فى ظاهره بزيهم وقال العلقمى اى فى لبسهم وبعض افعالهم ﴿ فهو منهم ﴾ اى من تشبه بالصالحين يكرم كما يكرمون ومن تشبه بالفساق لم يكرم ومن وضع عليه علامة الشرفاء اكرم وان لم يتحقق شرفه وفيه اشارة الى ان من تشبه من الجان بالحيات الموذيات وظهرلنا فى صورتهم فانه يقتل وانه لايجوز فى زماننا لبس العمامة الصفراء والزرقاء اذا كان مسلما وقال السهروردى * فتشبهوا ان لم تكونوا مثلهم . ان التشبه بالكرام فلاح ﴿ وانشدنى بعض اهل الادب لابى بكر بن دريد ﴾ من الرجز ﴿ العالم العاقل ابن نفسه . اغناه جنس علمه عن جنسه ﴾ اى اغناه الانتساب بالعلم عن الانتساب بآبائه قال الشريشى تكلم رجل عند عبد الملك بكلام ذهب فيه كل مذهب فقال له وقد اعجبه ابن من انت ياغلام فقال ابن نفسى ياامير المؤمنين التى نلت بها هذا المقعد منك قال صدقت فاخذه ابن دريد وقال العالم اه ﴿ كن ابن من شئت وكن مؤدبا . فانما المرء بفضل كيسه ﴾ بفتح الكاف وسكون الياء الذكاء والفطنة مقابل الحمق والبلاهة ﴿ وليس من تكرمه لغيره ﴾ كشرف آبائه وغناه ﴿ مثل الذى تكرمه لنفسه ﴾ وقال الحريرى تبا لمفتخر بعظم نخر انما الفخر بالتقى والادب المنتقى ثم انشد * لعمرك ماالانسان الا ابن يومه . على ماتجلى يومه لا ابن امسه * وما الفخر بالعظم الرميم وانما . فخار الذى يبغى الفخار بنفسه * انتهى والاصمعى ساد الناس بنفسه ادبا وعلما ودينا حتى ضرب به المثل مع كونه خامل المنشأ لانه من بنى باهلة وهى اهجى قبيلة فى العرب والأمها قال فيها الشاعر * ولوقيل للكلب يا باهلى . عوى الكلب من لؤم ذاك النسب * وقال السعدى * چو كنعانرا طبيعت بى هنر بود . پيمبرزادكى قدرش نيفزود * هنربنما اكر دارى نه كوهر . كل از خارست وابراهيم از آزر ﴿ وليحذر المتعلم البسط على من يعلمه ﴾ اى التسلط والاستيلاء عليه على طريق الادلال ﴿ وان آنسه والادلال عليه وان تقدمت صحبته قيل لبعض الحكماء من اذل الناس قال عالم يجرى عليه حكم جاهل (٢) وكلمت رسول الله صلى الله عليه وسلم جارية من السبى ﴾ اى من سبايا طئ وهى سفانة بنت حاتم فقالت هلك الوالد وغاب الوافد ان رأيت ان تخلى عنى والاتشمت

(١) فى مقدمة الادب (فهر) سنك زبرين عطار (مداك) بالفتح سنك زيرين عطر منه

(٢) لطيفة اقول المفهوم معتبر اى لاعالم يجرى عليه حكم جاهلة فلا يتحقق المذلة بوجه آخر سواء تزوج عالمة اوجاهلة منه

بی احیـاء العرب فان ابی کان یفك العـانی ویشبع الجـائع ویکسـو العـاری ولم یرد طـالب حاجة قط فامنن علی من الله علیك کما فی سرح العیون ﴿ فقال لها من انت فقالت بنت الرجل الجواد حاتم فقـال صلی الله علیه وسلم ﴾ علی ماروا‌ه الطبرانی عن ابن عمرو ﴿ ارحموا عزیز قوم ذل ارحموا غنیا افتقر ارحموا عالما ضاع بین الجهال ﴾ وقالوا اربعة اشیاء ضائعة فی اربعة مواضع عالم بین الجهال ومصباح یوقد فی النهار وامرأة تزف علی عنین وطعام یقدم بین الشبعان (ولایظهرله) ای المتعلم لمعلمه (الاستکفاء منه) ای طلب الکفایة من تعلمه (والاستغناء عنه) بتعلم ماعنده (فان فی ذلك) الاستغناء ﴿ کفرا لنعمته ﴾ المتقدمة والمتأخرة ﴿ واستخفافا بحقه . وربما وجد بعض المتعلمین قوة فی نفسه لجودة ذکائه وحدة خاطره ﴾ وحدیث عهد بحفظه ﴿ فقصد من یعلمه بالاعنات له ﴾ یقال اعنته اذا اوقعه فی العنت ای المشقة ﴿ والاعتراض علیه ازراء به ﴾ ای ادخالا فیه عیبا ﴿ وتبکیتاله ﴾ من بکته اذا غلبه بالحجة حتی اسکته ﴿ فیکون ﴾ ذلك البعض ﴿ کمن تقدم فیه المثل السائر لابی البطحاء ﴾ من الوافر ﴿ اعلمه الرمایة ﴾ علی وزن کتابة مصدر رمی یعنی تلك الصنعة ﴿ کل یوم ۰ فلما استد ساعده ﴾ ای استقام وتمهر فی الرمایة ﴿ رمانی ﴾ وجعلنی مرمی وهدفا وترجمه السعدی بقوله ۰ یا وفا خود نبود درعالم . یا مکرکس درین زمانه نکرد ۰ کس نیاموخت علم تیراز من . که عاقبت من نشانه نکرد ﴿ وهذه من مصائب العلماء وانعکاس حظوظهم ان یصیروا عند من یعلمونه مستجهلین ﴾ ای مظنونین او محکومین بالجهل ﴿ وعند من قدموه مسترذلین وقال صالح بن عبدالقدوس ﴾ من الطویل (وان عناء) اسم ان وتنوینه للتعظیم ﴿ ان تعلم جاهلا . فیحسب جهلا انه منك اعلم ۰ متی یبلغ البنیان یوما تمامه . اذا کنت تبنیه وغیرك یهدم ﴾ اراد بالبنیان اکتساب الذکر الجمیل والصیت الحسن وذلك ینتشر من المتعلمین لانهم اخص الناس به فاذا سعوا فی هدمه لایتم وکان سعیه علیه لاله کأنه ارتکب محرما فی تعلیمه ایاهم ﴿ متی ینتهی عن سیئ من اتی به . اذا لم یکن منه علیه ﴾ ای من المسیئ علی اسائته ﴿ تندم ﴾ یعنی لاینفع ذلك المسیئ نصیحة ولازجر مالم یکن من نفسه ندامة وانزجار عن سوء صنیعه کما قال ابو نواس ۰ لاترجع النفس عن غیها . مالم یکن منها لها زاجر ﴿ وقد رجح کثیر من الحکماء حق العالم علی حق الوالد ﴾ المنصوص علیه بالکتاب والسنة کما سیاتی فی اسباب الالفة ﴿ حتی قال بعضهم ﴾ ای بعض الشعراء من الحکماء من المنسرح ﴿ یافاخرا للسفاه ﴾ ای لسفاهته وخفة عقله ﴿ بالسلف ﴾ متعلق بفاخر یعنی المفتخر بآبائه ﴿ وتارکا للعلاء والشرف ﴾ ای ویا تارکا لهما وجواب النداء قوله ﴿ آباء اجسادنا هم سبب ﴾ ای اسباب وهم ضمیر فصل او مبتدأ ثان ﴿ لان جعلنا عرائض التلف ﴾ جمع عریضة بمعنی المعروض وفی الشریشی عوارض التلف جمع عارض بمعنی الجانب یعنی آباؤنا اسباب لوجودنا المعروض للتلف وخروجنا الی الدنیا ﴿ من علم الناس کان خیراب . ذاك ابو الروح لا ابو النطف ﴾ جمع نطفة . وکون المعلم خیر الآباء لان حیاة الروح بالعلم کما ان حیاة الجسد بالروح فالعلم مادة الروح الانسانی کما ان النطفة مادة الجسد والروح الحیوانی والروح الانسانی افضل الارواح فالمعلم خیر الآباء وافضله لانه سبب الانسانیة بالفعل والآباء اسباب الانسانیة بالقوة

لان كل انسان قابل للعلم ولاشك ان الفعل خير من القوة وقال الله تعالى افمن كان ميتا فاحييناه اى جاهلا فعلمناه على رأى ﴿ ولا ينبغى له ﴾ اى للمتعلم معطوف على قوله وربما وجد من حيث المعنى يعنى لا ينبغى قصد الاعنات ازراء ولا ينبغى له ﴿ ان يبعثه معرفة الحق له ﴾ اى معرفة حق التعليم للعالم ﴿ على قبول الشبهة منه ﴾ اى من المعلم ﴿ ولا يدعوه ترك الاعنات له على التقليد فيما اخذ عنه ﴾ والتقليد عبارة عن قبول قول الغير بلا حجة ولا دليل واتباعه فيما يقول او يفعل معتقدا للحقية فيه من غير نظر وتأمل فى الدليل كأن هذا المتبع جعل قول الغير اوفعله قلادة فى عنقه ﴿ فانه ربما غلا بعض الاتباع فى ﴾ حق ﴿ عالمهم ﴾ وافرطوا فى ثناءهم وانقيادهم ﴿ حتى يروا ان قوله دليل وان لم يستدل ﴾ كاقوال المجتهدين ﴿ وان اعتقاده حجة وان لم يحتج ﴾ من الاحتجاج اى وان لم يبرهن على اعتقاده كاعتقاد الانبياء عليهم السلام ﴿ فيفضى بهم الامر الى التسليم له فيما اخذوا منه فلا يبعد ان تبطل تلك المقالة ﴾ اذ لا عصمة لغير الانبياء ﴿ ان انفردت ﴾ تلك المقالة بكونها مقولة له اما لانه اول قائل بها ولم يأت بشاهد او خالف فيها ولم يبين موضع غلط من قبله ﴿ او ﴾ ان ﴿ يخرج اهلها ﴾ اى اهل تلك المقالة ﴿ من عداد العلماء فيما شاركت ﴾ بكون تلك المقالة مجمعا عليها وخروجهم من عدادهم على ذلك التقدير لان الدراية غير الرواية وكثير من العوام يروون وجوه القرأن من غير استشهاد بها على شئ ولو على اركان الوضوء ولذا قال ﴿ لانه قد لا يرى انهم ﴾ اى انهؤلاء المتعلمين ﴿ من يأخذ عنهم ﴾ اذا صاروا معلمين ﴿ ما كانوا يرونه ﴾ من التسليم ﴿ لمن اخذوا عنه فيطالبهم ﴾ الآخذون عنهم ﴿ بما قصروا فيه ﴾ من مطالبة الاستدلال والاحتجاج ﴿ فيضعفوا عن ابانته ﴾ اى عن اظهاره باتيان دليل وشاهد فيما جرد عنهما لان حصول تلك الملكة مما يحتاج الى السمع وكثرة الرياضة ﴿ ويعجزوا عن نصرته ﴾ باتيان شاهد آخر اودليل آخر اوبسط الدليل وتلخيصه فى المسائل المبرهن عليها ﴿ فيذهبوا ضائعين ﴾ لاضاعتهم اعمارهم فيما لا يجدى نفعا ﴿ ويصيروا عجزة مضعوفين ﴾ لا يقتدون على اثبات مدعياتهم ﴿ ولقد رأيت من هذه الطبقة رجلا يناظر فى مجلس حفل ﴾ بالاضافة اى جمع كثير او بالوصف اى كثير اهله يقال حفل القوم اذا اجتمعوا ﴿ وقد استدل عليه الخصم بدلالة صحيحة فكان جوابه ان قال ان هذه دلالة فاسدة وجه فسادها ان شيخى لم يذكرها وما لم يذكره الشيخ لا خير فيه فامسك عنه ﴾ اى عن مناظرته ﴿ المستدل تعجبا ﴾ من حمقه وجواب الاحمق هو السكوت ﴿ ولان شيخه كان محتشما ﴾ اى ذا اشياع اوصاحب منزلة عند السلطان ﴿ وقد حضرت طائفة يرون فيه مثل ما رأى هذا الجاهل ﴾ اما لكونهم شركائه اوندماء الشيخ فسكت المستدل خوف الفتنة ﴿ ثم اقبل المستدل على وقال لى ﴾ متناجيا ﴿ والله لقد افحمنى بجهله وصار سائر الناس المبرئين من هذه الجهالة من بين مستهزئ ومتعجب ﴾ بتبسمهم ساعة فساعة ﴿ ومستعيذ بالله من جهل مغرب ﴾ من اغرب الرجل اذا اتى بشئ غريب ﴿ فهل رأيت كذلك علما اوغل فى الجهل ﴾ اى ادخل فيه يقال وغل الرجل من باب وعد اى دخل على القوم فى شرابهم فشرب معهم من غير ان يدعى اليه ﴿ وادل على قلة العقل ﴾ من علم هؤلاء . اقول لا تحصى عجائب المكونات ولا يبعد من هذا علم من رأى تمرة ساقطة عند جرموقيه فتشأم منه ورجع يزعم

ان تلك الهيئة صيغة نهى مخاطب من مر مرورا اذ لا ينكر كون الجهل علما بعد كون الجر موقين
لاء ﴿ واذا كان المتعلم معتدل الرأى فيمن يأخذ عنه متوسط الاعتقاد فيمن يتعلم منه حتى لا يحمله
الاعنات على اعتراض المبكتين ولا يبعثه الغلو على تسليم المقلدين بزى المتعلم من المذمتين ﴾
الاعنات والتقليد ﴿ وسلم العالم من الجهتين ﴾ كونه مستجهلا عند متعلميه وخروج اتباعه
من عداد العلماء ﴿ وليس كثرة السؤال فيما التبس ﴾ واشتبه للتفهم وظهور الحق ﴿ اعناتا
ولا قبول ما صح ﴾ وثبت ﴿ فى النفس تقليدا ﴾ لان الاساتذة المهرة ربما يفرغون تقريراتهم
فى قوالب القضايا التى قياساتها معها فلا يحتاجون الى اقامة دليل الا لتنبيه المبتدى وتقريع الغبى
﴿ وقد روى ﴾ كما رواه الرافعى وابو نعيم عن على ﴿ عن النبى صلى الله عليه وسلم انه قال
العلم خزائن ومفتاحها السؤال ﴾ ويروى ومفاتيحها ﴿ فاسئلوا ﴾ سؤال تفهم لا تعنت
﴿ رحمكم الله فانه يوجر فى العلم ثلاثة القائل ﴾ اى المعلم ﴿ والمستمع ﴾ بدون اخذه
﴿ والآخذ ﴾ سواء كان السائل اوغيره ﴿ وقال عليه الصلاة والسلام هلا ﴾ حرف تحضيض
﴿ سألوا اذا لم يعلموا فانما شفاء العمى ﴾ اى الجهل ﴿ السؤال فامر بالسؤال ﴾ فى الحديث
الاول ﴿ وحث عليه ﴾ فى الثانى ﴿ ونهى آخرين عن السؤال وزجر عنه فقال صلى الله عليه
وسلم انهاكم ﴾ اى نهى تحريم ﴿ عن قيل وقال ﴾ اى قيل كذا وقال فلان كذا مما يتحدث به
من فضول الكلام وهما بالجر والتنوين بنقل الفعل الى اسم الجنس وان كان قليلا كما فى رواية
الكشميهنى والاشهر بغير تنوين باستبقاء صورتهما الاولى ﴿ وكثرة السؤال ﴾ اى عن
احوال الناس او عما لا يعنى او عن المسائل العلمية امتحانا وفخرا وتعاظما قال النووى
اتفق العلماء على النهى عن السؤال من غير ضرورة قال واختلف اصحابنا فى سؤال القادر
على الكسب على وجهين اصحهما التحريم لظاهر الاحاديث والثانى الجواز مع الكراهة
بشروط ثلاثة ان لا يلح ولا يذل نفسه زيادة على ذل السؤال ولا يؤذى المسئول ﴿ واضاعة
المال ﴾ اى صرفه فيما لا يحل اوتعريضه للفساد واما التوسع فى المطاعم والملابس فان كان
باقتراض ولا يرجو وفائه حرم والافلا انتهى وورواية الشيخين عن المغيرة بن شعبة ان الله حرم
عليكم قيل وقال الحديث ﴿ وقال ﴾ عليه الصلاة والسلام ﴿ اياكم وكثرة السؤال فانما هلك
من قبلكم ﴾ من الامم ﴿ بكثرة السؤال وليس هذا ﴾ النهى ﴿ مخالفا للاول وانما امر
بالسؤال من قصد به علم ما جهل ونهى عنه من قصد به اعنات ما سمع واذا كان السؤال
فى موضعه ازال الشكوك ونفى الشبهة وقد قيل لابن عباس ﴾ بن عبد المطلب يقال
له الحبر والبحر لكثرة علمه وترجمان القرآن وهو والد الخلفاء العباسية واحد العبادلة
الاربعة وهم عبد الله بن عباس وابن عمر وابن الزبير وابن عمر وبن العاص واحد الستة
المكثرين الحديث وهم ابو هريرة وابن عباس وابن عمرو عائشة وجابر بن عبد الله وانس
رضى الله عنهم روى ابن عباس عن النبى صلى الله عليه وسلم الف حديث وستمأة وستين
حديثا قال عمرو بن دينار ما رأيت مجلسا كان اجمع لكل خير من مجلس ابن عباس الحلال
والحرام والعربية والانساب والشعر وقال فيه حسان بن ثابت رضى الله عنه * اذا ما ابن عباس
بدالك وجهه. رأيت له فى كل احواله فضلا * اذا قال لم يترك مقالا لقائل. بمنطحات لاترى

بينها فصلا * كفى وشفى ما فى النفوس ولم يدع . لذى اربة فى القول جدا ولا هزلا * سموت الى العليا بغير مشقة . فنلت ذراها لا ذليلا ولا وغلا * مات بالطائف سنة ثمان وستين وهو ابن احدى وسبعين سنة وصلى عليه محمد الحنفية ﴿ رضى الله عنهما بم نلت هذا العلم قال بلسان سؤل وقلب عقول ﴾ مبالغة فاعلين كصبور اى كثير السؤال والعقل ﴿ وروى نافع ﴾ مولى عبدالله بن عمر اصله من المغرب وقيل من نيسابور بعثه عمر بن عبدالعزيز الى مصر يعلمهم السنن مات بالمدينة سنة سبع عشرة ومأة روى له الجماعة ﴿ عن ابن عمر رضى الله عنهما ان النبى صلى الله عليه وسلم قال حسن السؤال نصف العلم ﴾ والنصف الآخر ما كان بالاستماع ﴿ وانشد المبرد ﴾ ابو العباس بن محمد بن يزيد الازدى من ائمة النحاة وكبار الادباء صاحب كتاب الكامل تولد فى البصرة وارتحل الى بغداد واخذ من ابى عمر الجرمى وابى عثمان المازنى وابى حاتم السجستانى واخذ منه الصولى ونفطويه وابو على الطومارى توفى سنة خمس وثمانين ومأتين ﴿ عن ابى سليمان الغنوى ﴾ من الكامل ﴿ فسل الفقيه تكن فقيها مثله . لا خير فى علم بغير تدبر * واذا تعسرت الامور ﴾ بعد السؤال ﴿ فارجها ﴾ امر من ارجى الامر اذا اخره ﴿ وعليك بالامر الذى لم يعسر ﴾ يعنى لا تضع اوقاتك فى تدبر المتعسر واخره والزم غيره لعلك تطلع على مقدمة موصلة الى ذلك المتعسر ﴿ وليأخذ المتعلم حظه ممن وجد طلبته ﴾ بكسر اللام الشئ المطلوب ﴿ عنده من نبيه وخامل ﴾ الخمول ضد النباهة ﴿ ولا يطلب الصيت وحسن الذكر باتباع اهل المنازل من العلماء اذا كان النفع بغيرهم اعم الا ان يستوى النفعان فيكون الاخذ عمن اشتهر ذكره وارتفع قدره اولى لان الانتساب اليه اجمل والاخذ عنه اشهر ﴾ للمتعلم ﴿ وقد قال الشاعر ﴾ من الطويل ﴿ اذا انت لم يشهرك علمك لم تجد ﴾ من شهره اذا اظهره ﴿ لعلمك مخلوقا من الناس يقبله ﴾ يعنى اذا لم يشهرك علم من انتسبت اليه لم تجد مخلوقا يقبل علمك حتى تعلمه اياه ﴿ وان صانك العلم الذى قد حملته ﴾ واخذته عن نبيه او خامل ﴿ اتاك له من يجتنيه ويحمله ﴾ عنك يعنى ان صانك علمك عن المطامع الدنية والوقوف فى مواقف الريبة اتاك لذلك العلم من يجتنيه وينتحله كالنحل ﴿ واذا قرب منك العلم ﴾ بان يكون فى جوارك او بلدك عالم ﴿ فلا تطلب ما بعد واذا سهل من وجه فلا تطلب ما صعب ﴾ بشد الرحال الى الامصار البعيدة ﴿ واذا حمدت من خبرته ﴾ اى جربته واختبرته وبابه قتل وعلم ﴿ فلا تطلب من لم تختبره فان العدول عن القريب الى البعيد عناء وترك الاسهل ﴾ وتبديله ﴿ بالاصعب بلاء والانتقال من المخبور الى غيره خطر ﴾ اذ قد يرد الظمآن ماء عذبا فيشرب منه ويتراآى له سراب فلا يملئ قربته ولا يرجع الى ذلك الماء لبعده عنه فيبقى عطشان ﴿ وقد قال على بن ابى طالب رضى الله عنه عقبى الاخرق مضرة والمتعسف ﴾ المائل عن الطريق والخارج عنه ويقال ايضا تعسفه اذا ظلمه ﴿ لا تدوم له مسرة ﴾ اذ المتفرد عن الرفقة ربما لا يهتدى الى طريق اصلا او يهتدى الى طريق غير موصل فيهلك ﴿ وقال بعض الحكماء القصد ﴾ اى السلوك فى الطريق المستقيم وان بعد ﴿ اسهل من التعسف ﴾ اى من الخروج عنه ﴿ والكف ﴾ اى الامتناع عن شئ ﴿ اودع ﴾ اى اسكن له يقال ودع الشئ من الباب الخامس والثالث اذا سكن واستقر ﴿ من التكلف ﴾

اذ ليس للمتكلف حديقف عنده فيضل ويضل كما سيأتى ﴿ وربما تتبع ﴾ من التتبع اومن الاتباع اومن التباعة ﴿ نفس الانسان من بعد عنه استهانة بمن قرب منه وطلب ماصعب احتقار المامهل عليه وانتقل الى من لم يخبره مللا لمن خبره فلايدرك محبوبا ولايظفر بطائل ﴾ اى بفائدة ﴿ وقد قالت العرب فى امثالها العالم كالكعبة يأتيها البعداء ويزهد فيها ﴾ اى فى طوافها ﴿ القرباء ﴾ جمع قريب وبعيد كرحيم ورحماء ﴿ وانشدنى بعض شيوخنا لمسيح بن حاتم ﴾ من الخفيف ﴿ لاترى عالما يحل بقوم ﴾ اى يريد الحلول والنزول بديار قوم اما ضيفا لهم او بمصاهرتهم ﴿ فيحلوه غير دار الهوان ﴾ من احله المكان اذا جعله يحل به يعنى ينزلونه دار الهوان فقط ﴿ قلما توجد السلامة والصحة مجموعتين فى انسان ﴾ ويقل حلول العالم غير دار الهوان كقلة اجتماعهما ﴿ فاذا حلتا ﴾ اى السلامة والصحة ﴿ مكانا سحقا ﴾ اى بعيدا ﴿ فهما فى النفوس معشوقتان * هذه مكة ﴾ بدل او عطف بيان من هذه ﴿ المنيعة ﴾ فعيل بمعنى فاعل ولذا اتى بالتاء لان فعيلا بمعنى المفعول يستوى فيه المذكر والمؤنث اذا ذكر موصوفه اى العزيزة الشريفة ﴿ بيت الله يسعى لحجها الثقلان ﴾ اى الانس والجن سميا بذلك لانها ثقلا الارض ﴿ ويرى ازهد البرية فى الحج لها اهلها لقرب المكان ﴾ البرية المخلوق والبارئ الخالق اصله بريئة وقوله اهلها اى اهل مكة وهو نائب فاعل ليرى لانه المفعول الاول وقوله ازهد مفعوله يعنى يرى اهل مكة ازهد المخلوق لقرب مكانهم من الكعبة المعظمة ولقد اجاد الشاعر فى تشبيه العالم بالكعبة والامن والعافية الا انه لم يتفق له التصريح بالتشبيه فبقيا مضمرين فى النفس كما فى الاستعارة المكنية عند الخطيب يعنى كما ان اصحاب الصحة واهل مكة مغبونون مغبون من يقرب من العالم

﴿ فصل ﴾

﴿ فاما مايجب ان يكون عليه العلماء من الاخلاق التى بهم اليق ولهم الزم ﴾ وان كانت لائقة ولازمة لغيرهم ايضا ﴿ فالتواضع ومجانبة العجب لان التواضع عطوف ﴾ اى محبب ﴿ والعجب منفر وهو بكل احد قبيح وبالعلماء اقبح لان الناس بهم يقتدون ﴾ ولذا صار صغائرهم كبائر ﴿ وكثيرا مايداخلهم الاعجاب لتوحدهم ﴾ وتفردهم ﴿ بفضيلة العلم ﴾ من بين الناس ﴿ ولوانهم نظروا حق النظر وعملوا بموجب العلم لكان التواضع بهم اولى ومجانبة العجب بهم احرى لان العجب نقص ﴾ اى نقيصة ﴿ ينافى الفضل ﴾ ولايجتمع معه ﴿ لاسيما مع قول النبى صلى الله عليه وسلم ان العجب ﴾ والمحفوظ ان الحسد ﴿ ليأكل الحسنات كما تأكل النار الحطب ﴾ اى يفنيها كما تفنيه ﴿ فلا يفى ما ادركوه من فضيلة العلم بما لحقهم من نقص العجب وقد روى عبدالله بن عمرو ﴾ بن العاص كما رواه الطبرانى عنه انه ﴿ قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم قليل العلم ﴾ وفى رواية قليل الفقه وفى اخرى قليل التوفيق ﴿ خير من كثير العبادة ﴾ لانه المصحح لها ﴿ وكفى بالمرء علما اذا عبدالله عز وجل وكفى بالمرء جهلا اذا اعجب برأيه ﴾ قال المناوى اراد ان العالم وان كان فيه تقصير فى عبادته افضل من جاهل مجاهد ﴿ وقال عمر بن الخطاب رضى الله عنه تعلموا العلم وتعلموا للعلم السكينة والحلم وتواضعوا لمن تعلمون منه ﴾ من التعلم ﴿ وليتواضع لكم من تعلمونه ﴾ من التعليم ﴿ ولا تكونوا من جبابرة العلماء فلا يقوم علمكم بجهلكم وقال بعض السلف من تكبر بعلمه

(وترفع)

وترفع وضعه الله به ﴿ واذله ﴾ ومن تواضع بعلمه رفعه به ﴿ واعزه قال السعدى . بلديت
بايد تواضع كزين . كه زين بامرا نيست سـلم جزاين ﴿ وعلة اعجابهم انصراف نظرهم
الى كثرة من دونهم من الجهـال وانصراف نظرهم عمن فوقهم من العلماء فانه ليس متناه
فى العلم الا وسيجد ﴾ لو نظر بعين الانصاف ﴿ من هو اعلم منه اذ العلم اكثر من ان يحيط به
بشر قال الله تعالى ﴾ فى يوسف ﴿ نرفع درجات من نشاء يعنى فى العلم ﴾ كما رفعنا درجة يوسف
فيه ﴿ وفوق كل ذى علم عليم قال اهل التأويل فوق كل ذى علم من هو اعلم منه ﴾
وفوقه درجة ﴿ حتى ينتهى ذلك الى الله تعـالى وقيل لبعض الحكمـاء من يعرف كل العـلوم
قال كل الناس ﴾ على سبيل التوزيع والتقسيم ﴿ وقال الشعبى ﴾ ابو عمرو عامر بن شراحيل
الكوفى التابعى الجليل الثقة روى عن خلق من الصحابة قال ادركت خمسمأة صحابى وروى
عنه قتادة وخلق من التابعين ولى قضـاء الكوفة وبه يضرب المثل فى الحفظ فيقال احفظ
من الشعبى قال ابن شبرمة سمعت الشعبى يقول ما كتبت سوادا فى بياض الى يومى هذا ولا
حدثنى رجل قط بحديث الا حفظته ولا احببت ان يعيده على وقال لاصحابه ما اروى شيئا اقل
من الشعر ولو شئت لانشدتكم شهرا لا اعيد وكان مزاحا وقال الزهرى العلماء اربعة سعيد بن
المسيب بالمدينة والشعبى بالكوفة والحسن البصرى بالبصرة ومكحول بالشام مات سـنة اربع
ومأة وهو ابن اثنتين وثمانين سنة رحمه الله ﴿ ما رأيت مثلى ﴾ اغير ﴿ ما شاء ﴾ جواب سؤال
تضمنه الاولى ولذا فصل عنها ﴿ ان القى رجلا اعلم منى الا لقيته لم يذكر الشعبى هذا القول
تفضيلا لنفسه فيستقبح منه وانما ذكره تعظيما للعلم عن ان يحاط به فينبغى لمن علم ان ينظر
الى نفســه بتقصير ما قصره فيه ﴾ من فنون العلم ﴿ ليسلم من عجب ما ادرك منه ﴾ شيئا
يســيرا اوبرع فيه ﴿ وقد قيل فى منثور الحكم اذا علمت فلا تفكر فى كثرة من دونك
من الجهال ولكن انظر الى من فوقك من العلماء وانشـدت لابن العميد ﴾ من البسـيط
﴿ من شاء عيشا هنيا ﴾ اى مسعودا ومباركا موافقا للمزاج ﴿ يستفيد به . فى دينه ثم فى دنياه
اقبالا * فلينظرن الى من فوقه ادبا . ولينظرن الى من دونه مالا ﴾ قال القسطلانى فى نسخة
عمرو بن شعيب عن ابيه عن جده رفعه (خصلتان من كانتا فيه كتبه الله شاكرا صابرا من نظر
فى دنياه الى من هو دونه فحمد الله على ما فضله به ومن نظر فى دينه الى من هو فوقه فاقتدى به)
انتهى ﴿ وقلما تجد بالعلم معجبـا وبما ادرك مفتخرا الا من كان فيه مقلا ومقصرا لانه قد
يجهل قدره ﴾ لبساطة العلم فيه ولذا يجتمع مع الجهل ﴿ ويحسب انه قد نال بالدخول فيه
اكثره فاما من كان فيه متوجها ومنه مستكثرا فهو يعلم من بعد غايته والعجز عن ادراك
نهايته ما يصـده عن العجب به ﴾ لان الانهار اذا قربت من البحر تركت خريرها وتصـوتها
وكلما بعدت اكثرت كذلك العالم كلما بعد عن الحقيقة كثر عجبه وغروره ﴿ وقد قال الشعبى
العلم ثلاثة اشبار فمن نال منه شبرا شمخ بانفه ﴾ اى تكبر من شمخ الجبل اذا علا وطال الى
السماء ﴿ وظن انه ناله ومن نال الشبر الثانى صغرت اليه نفســه وعلم انه لم ينله واما الشبر
الثالث فهيهات لا يناله احد ابدا ﴾ كما قال الله تعالى وما اوتيتم من العلم الا قليلا ﴿ ومما انذرك به
من حالى انى صنفت فى البيوع كتابا ﴾ وهو الحاوى او الاقناع من الفقه ﴿ جمعت فيه ما استطعت

من كتب الناس واجهدت فيه نفسي وكددت فيه ﴾ اي اتعبت في تصنيفه ﴿ خاطري حتى اذا تهذب واستكمل ﴾ بتصحيحه وتبييضه ﴿ وكدت اعجب به وتصورت اني اشد الناس اضطلاعا بعلمه ﴾ بقلب تاء افتعل طاء اي قوة واطلاعا بعلم البيع ﴿ حضرني وانا في مجلسي ﴾ للتعليم وهو جواب اذا ﴿ اعرابيان فسألاني عن بيع عقداه في البادية على شروط تضمنت اربع مسائل ﴾ باعتبار تلك الشروط ﴿ لم اعرف لواحدة منهن جوابا فاطرقت مفكرا وبحالي ﴾ من حدوث امارات الاعجاب ﴿ وحالهما ﴾ من حضورهما في تلك الساعة ﴿ معتبرا فقالا ﴾ لما طال فكرتي ﴿ اما عندك فيما سألناك جواب وانت زعيم هذه الجماعة ﴾ الكثيرة ﴿ فقلت لا فقالا واهالك ﴾ بالنصب والتنوين كلمة تعجب تستعمل في مقام التعجب من حسن الشئ وطيبه يقال واهاله اى ما اطيبه وفي التلهف والتأسف كما ههنا ومثل هذه الكلمات اسماء اصوات في الاصل اقيمت مقام المصدر فيقدر فعل على معناها وقد يستعمل اصواتا بدون نقلها الى المصدر كاف وغاق وواه يعني نتلهف ونتحسر على ارتفاع مقامك مع عدم وقوفك بشئ تأسفا ﴿ وانصرفا ﴾ من عندي ﴿ ثم اتيا من يتقدمه في العلم كثير من اصحابي ﴾ وتلاميذي ﴿ فسألاه فاجابهما مسرعا بما اقنعهما وانصرفا عنه راضيين بجوابه حامدين لعلمه فبقيت مرتبكا ﴾ اى مضطربا من ارتبك الصيد في الحبالة اذا اضطرب اومن ارتبك في الوحل اذا وقع فيه ﴿ وبحالهما وحالي معتبرا واني لعلى ما كنت عليه من المسائل ﴾ من عدم الاطلاع ﴿ الى وقتي ﴾ هذا وقد كنت زعمت اني اشد الناس اطلاعا بالبيوع ﴿ فكان ذلك ﴾ الحضور والسؤال ﴿ زاجر نصيحة ونذير عظة تذلل بها ﴾ اى بتلك النصيحة ﴿ قياد النفس وانخفض لها جناح العجب ﴾ اى انكسر جناحي فاضافه الى العجب كما اضيف حاتم الى الجود على معنى وانخفض جناحي الذي هو العجب اوجعل لعجبه جناحا خفيضا مبالغة في التذلل والتواضع ذكره الزمخشري ﴿ توفيقا منحته ورشدا اوتيته ﴾ من العليم المنان ﴿ وحق على من ترك العجب بما يحسن ان يدع التكلف لما لا يحسن فقديما ﴾ الفاء سببية ﴿ نهى الناس عنهما ﴾ اى عن العجب والتكلف ﴿ واستعاذوا بالله منهما ومن اوضح ذلك بيانا استعاذة الجاحظ ﴾ هو عمرو بن بحر بن محبوب ويكنى بابي عثمان ويعرف بالجاحظ وبالحدقي والاول اشهر امام الفصحاء والمتكلمين الذي ملأت الآفاق اخباره حتى قيل مما فضل الله تعالى به امة محمد صلى الله عليه وسلم على غيرها من الامم عمر بن الخطاب رضي الله عنه بسياسته والحسن البصري بعلمه والجاحظ ببيانه ولد بالبصرة ونشأ ببغداد واشتغل على ابي اسحق النظام وتأمل كتب الفلاسفة ومال الى الطبيعيين منهم واما مصنفاته الادبية مثل كتاب البيان والتبيين وكتاب الحيوان وكتاب الامصار وغيرها من الرسائل فكثيرة جدا مشحونة بانواع الفضائل وله اخبار ظريفة كثيرة ونثر طائل ونظم ضعيف ومن نوادره قال اتيت منزل صديق فطرقت الباب فخرجت الي جارية سندية فقلت قولي لسيدك الجاحظ بالباب فقالت اقول الجاحد بالباب على لغتها فقلت لا قولي الحدقي فقالت اقول الحلقي فقلت لا تقولي شيئا ورجعت وكان بشع المنظر الا ان بيانه كان يجلي عنه ﴿ في كتاب البيان حيث يقول اللهم انا نعوذ بك من فتنة القول كما نعوذ بك من فتنة العمل ﴾ كالعجب والغرور بالعلم والرياء والسمعة بالعمل ﴿ ونعوذ بك من التكلف لما لا نحسن كما نعوذ بك من العجب بما نحسن ونعوذ بك من شر السلاطة والهذر ﴾ اكثار

الكلام بغير فائدة والسلاطة حدة اللسان ﴿ كما نعوذ بك من شر العى والحصر ﴾ يقال حصر حصرا اذا اعيا واستحيى او ضاق صدره واستعاذ من السلاطة لان من اقتدر على الكلام اداه الى المطاولة فى الجدل وتصوير الباطل فى صورة الحق وفيه اثم على فاعله ثم استعاذ من ضده وهو العى لان صاحبه لا يتم لفظه فيشين بذلك نفسه ويقصر عن مراده من البيان ثم قرن به الحصر لان من يعتريه يتوالى عليه الوهل والخجل فلا يستطيع الكلام فيفتضح وقد قال النمر بن تولب * اعذنى رب من حصر وعىّ . ومن نفس اعالجها علاجا * واستشهد محمد بن علقمة على نوعين بآيتين بقوله تعالى سلقوكم بالسنة حداد (٢) وفى الضد بقوله تعالى اومن ينشأ فى الحلية وهو فى الخصام غير مبين ﴿ ونحن نستعيذ بالله تعالى مثل مااستعاذ ﴾ الجاحظ ﴿ فليس لمن تكلف مالا يحسن غاية ينتهى اليها ولاحد يقف عنده ومن كان تكلفه غير محدود فاخلق به ﴾ فعل تعجب ﴿ ان يضل ويضل ﴾ من الاضلال لزعمه انه يعلم ويعلم وقد قال احمد بن على بن الحسين المؤدب المعروف بالقالى * تصدر للتدريس كل مهوس . بليد تسمى بالفقيه المدرس * فحق لاهل العلم ان يتمثلوا . ببيت قديم شاع فى كل مجلس * لقد هزلت حتى بدا من هزالها . كلاها وحتى سامها كل مفلس ﴿ وقد روى عن النبى صلى الله عليه وسلم انه قال من سئل فافتى بغير علم فقد ضل واضل ﴾ وفى الجامع الصغير (من افتى بغير علم لعنته ملائكة السماء والارض) لكونه اخبر عن حكم الله بغير علم (والقاصّ) الذى يقص على الناس ويعظهم ويأتى باحاديث باطلة (ينتظر المقت) من الله تعالى ﴿ وقال بعض الحكماء من العلم ان لاتتكلم فيما لاتعلم بكلام من يعلم ﴾ تسمع مخاطبك انك تعلم ﴿ فحسبك جهلا من عقلك ان تنطق بما لاتفهم ﴾ وقال ابو الاسود . اعوذ بالله الاعز الاكرم * من قولى الشئ الذى لم اعلم * تخبط الاعمى الضرير الابهم ﴿ ولقد احسن زيادة بن زيد حيث يقول ﴾ من الطويل ﴿ اذا ماانتهى علمى تناهيت عنده ﴾ وتوقفت فيه ويروى تناسيت بعده ﴿ اطال فاملى اوتناهى فاقصرا ﴾ قال الرضى فى شرح الكافية روى او تناهى فالهمزة فى اطال ليست استفهامية بل اطال ماض من الاطالة وروى ام تناهى فالهمزة استفهامية وطال ماض من الطول ولاتجئ بالهمزة قبل او فلا تقول لاابالى اقمت اوقعدت ولا لاضربنه اقام اوقعد لانك انما جئت بالهمزة مع ام وان لم يكن فيهما معنى الاستفهام لما فيهما من معنى التسوية المطلوبة ههنا وليس فى الهمزة مع او معنى التسوية انتهى فرواية اوتناهى شاذة . واملى من امليت البعير اذا وسعت له فى قيده اومن امله اذا اسئمه بقلب اللام الثانية ياء . واقصر من اقصرت المرأة اذا ولدت قصارا ومنه قولهم الطويلة قد تقصر والقصيرة قد تطيل وهما منصوبان بان المقدرة بعد الاستفهام يعنى اعرف نفسى واتوقف حيث انتهى علمى سواء طال فاوسع اوفامل السامعين اوتناهى فاتيه قصيرا ﴿ ويخبرنى عن غائب المرء فعله ﴾ اى يخبرنى عن المرء الغائب فعله الحاضر ﴿ كفى الفعل عما غيب المرء مخبرا ﴾ اى عند غيبوية المرء اللازم للتغييب فما مصدرية وعن بمعنى عند وكفاية الفعل لانه شاهد صدق بخلاف اللسان فانه شاهد زور ﴿ فاذا لم يكن الى الاحاطة بالعلم سبيل فلا عار ان يجهل بعضه واذا لم يكن فى جهل بعضه عار لم يقبح به ان يقول لااعلم فيما ليس يعلم وروى ان رجلا ﴾ على ماروا. ابن حبان

(٢) سلقه بالكلام آذاه وهو شدة القول باللسان وبابه ضرب ونشأ فى بنى فلان اى شب فيهم وبابه قطع وانشئ وانشى بمعنى منه

عن ابن عمر ﴿ قال يارسول الله اى البقاع خير واى البقاع شر ﴾ جمع بقعة وهى قطعة من الارض ﴿ فقال لاادرى حتى اسأل جبريل ﴾ فاتاه جبريل فسأله فقال لاادرى فقال سل ربك وقال البخارى قال ابن مسعود سئل النبى صلى الله عليه وسلم عن الروح فسكت حتى نزلت الآية ﴿ وقال على بن ابى طالب رضى الله عنه وما ابردها على القلب ﴾ اى افرحها والطفها لان العرب يطلق البرد والبارد على كل لطيف لحرارة بلدانهم فالكلام البارد مدح عندهم وذم عندنا ابرودة بلادنا والضمير راجع الى الكلمة ﴿ اذا سئل احدكم فيما لايعلم ان يقول الله اعلم ﴾ وليس فيه التصريح بسلب العلم عن نفسه وان استلزمه ﴿ وان العالم من عرف ان مايعلم فيما لايعلم قليل ﴾ فاعل يعلم ﴿ وقال عبدالله بن عباس رضى الله عنهما اذا ترك العالم قول لاادرى اصيبت مقاتله ﴾ جمع مقتل اسم زمان اومكان وهى نائب فاعل لاصيبت يعنى كل من يريد افحامه وقتله بالعلم فليفعل لانه يصيبه فى تلك الامكنة اوتبدو تلك الازمان كثيرا ﴿ وقال بعض العلماء هلك من ترك قول لاادرى وقال بعض الحكماء ليس لى من فضيلة العلم الاعلمى بانى لست اعلم ﴾ وقال ابن عمر من قال عندما لايدرى لاادرى فقداحرز نصف العلم ﴿ وقال بعض البلغاء من قال لا ادرى علم ﴾ انه اصاب مقاتله ﴿ فدرى ﴾ اى احتال قبل وقوعه فيها ونجا من درى الصيد اذاختله ﴿ ومن انتحل ﴾ اى ادعى علم ﴿ ما لايدرى جهل ﴾ الاحتيال وقد اصاب مقاتله ﴿ فهوى ﴾ اى سقط فيها والانتحال ادعاء العلم ولذا قال بعض الحكماء لاينبغى لاحدان ينتحل بالعلم قال مقاتل بن سليمان يوما وقد دخله ابهة العلم سلونى عما تحت العرش الى اسفل الثرى فقال له رجل ما اسألك عن شئ من ذلك انما اسألك عما معك فى الارض اخبرنى عن كلب اصحاب الكهف ما كان لونه فافحمه وقال قتادة ماسمعت شيئا قط الاحفظته ولاحفظت شيئا فنسيته ثم قال ياغلام هات نعلى فقال هما فى رجليك ففضحه الله وهذا من عقاب العجب وقد عاتب الله موسى كليمه على الانتحال حين سئل اى الناس اعلم قال انا فابتلى بالسفر حتى اتى الخضر وجلس اليه راغبا فى ان يعلمه والخضر لا ينبسط له فى التعليم لنقر عصفور فى البحر فقال له الخضر ماعلمى وعلمك فى علم الله تعالى الامثل مانقص هذا العصفور من هذا البحر فينبغى لكل عاقل ان يقول ما امر الله تعالى رسوله صلى الله عليه وسلم بقوله رب زدنى علما ولايرى لنفسه حظا ويشكر الله على ماعطاه فهو بالادب اليق وبالشرع اوفق ومن سخيف الشعر فى الانتحال * وماعن لى عن غامض العلم غامض . مدى الدهر الابت منه على عالم * وقال عدى بن الرقاع * وعلمت حتى ماشاور عالما . عن علم واحدة لكى ازدادها * قل ابو موسى المنجم ماحد تمنيت ان اراه فلما رأيته امرت بصفعه الاعديا فقيل له ولم ذلك قال لقوله هذا البيت كنت اعرض عليه اصناف العلوم فكلما مرعليه بشئ لايحسنه امرت بصفعه كما فى الشريشى ﴿ ولاينبغى للرجل وان صار فى طبقة العلماء الافاضل ان يستنكف ﴾ اى يستكبر ﴿ من تعلم ماليس عنده ليسلم من التكلف له ﴾ اذا اضطر الى مسئلة من ذلك العلم ﴿ وقد قال عيسى بن مريم على نبينا وعليه السلام ياصاحب العلم تعلم من العلم ماجهلت وعلم الجهال ماعلمت وقال على ابن ابى طالب رضى الله عنه خمس خذوهن عنى فلو ركبتم الفلك ﴾ وسافرتم الى الاقطار البعيدة لتعلمها ﴿ ماوجدتموهن الاعندى الا لايرجون احد الاربه

ولا يخافن الاذنبه ولايستنكف العالم ان يتعلم بما ليس عنده واذا سئل احدكم عما لا يعلم فليقل لااعلم ومنزلة الصبر من الايمان بمنزلة الرأس من الجسد وقال عبدالله بن عباس رضي الله عنهما لوكان احد يكتفي من العلم لاكتفى منه موسى على نبينا وعليه السلام ولماقال ﴿ للخضر ﴾ ﴿ هل اتبعك على ان تعلمني مما علمت رشدا ﴾ اى علما ذا رشد ارشد به في ديني ﴿ وقيل للخليل بن احمد بم ادركت هذا العلم قال كنت اذا لقيت عالما اخذت منه واعطيته ﴾ والربح في كثرة الاخذ والاعطاء لافي كثرة المتاع ﴿ وقال بزرجمهر من العلم ان لاتحقر شيئا من العلم ﴾ فتزهد فيه ﴿ ومن ﴾ فضل ﴿ العلم ان تفضل ﴾ علم ﴿ جميع العلوم ﴾ على جهل بعضها ﴿ وقال المنصور ﴾ امير المؤمنين ابو جعفر بن محمد بن على بن عبدالله بن عباس استخلف بعد اخيه السفاح ومن كلامه الخليفة لايصلحه الا التقوى والسلطان لايصلحه الاالطاعة والرعية لايصلحه الا العدل واولى الناس بالعفو اقدرهم على العقوبة وانقص الناس عقلا من ظلم من هو دونه ولد سنة خمس وتسعين في اليوم الذى مات فيه الحجاج ومات بمكة ببئر ميمون سنة ثمان وخمسين ومأة ﴿ لشريك ﴾ ابى عبدالله بن عبدالله النخعى كان من الفقهاء والمحدثين نصب قاضيا من طرف المهدى تولد في خمس وتسعين وتوفى في سبع وسبعين ومأة ﴿ انى لك ﴾ اى من اين لك والاستفهام للاستبعاد ﴿ هذا العلم ﴾ الغزير ﴿ قال لم ارغب عن قليل استفيده ولم ابخل بكثير افيده ﴾ مضارع متكلم من الافادة ﴿ على ان العلم يقتضى مابقى منه ويستدعى ماتأخر عنه وليس للراغب فيه قناعة ببعضه ﴾ لارتباط بعضه ببعض ﴿ وروى عون بن عبدالله عن ابن مسعود رضى الله عنه انه قال ﴾ في تأويل قوله عليه الصلاة والسلام كمارواه ابن عدى عن انس والبزار عن ابن عباس مرفوعا ﴿ منهومان ﴾ تثنية منهوم وهو شديد الشهوة المكب على الشئ طلبا لحيازته ﴿ لايشبعان ﴾ ابدا ﴿ طالب علم وطالب دنيا ﴾ فما للعلم غاية ينتهى اليها ولاللمال غاية ينتهى اليها فلهذا لايشبعان قال بعضهم ما استكثر احد من شئ الامله وثقل عليه الاالعلم والمال فانهما كلما زادا اشتهى لهما كما في العزيزى وقال ابن مسعود ﴿ اما طالب العلم فانه يزداد ﴾ بنهمه ﴿ للرحمن رضى ثم قرأ ﴾ آية الفاطر ﴿ انما يخشى الله من عباده العلماء ﴾ قال الزمخشرى المراد بالعلماء الذين علموه بصفاته ومايجوز عليه وما لايجوز فعظموه وقدروه حق قدره وخشوه حق خشيته ومن ازداد به علما ازداد منه خوفا ومن كان علمه به اقل كان آمن وفي الحديث اعلمكم بالله اشدكم خشية له وعن مسروق كفى بالمرء علما ان يخشى وكفى بالمرء جهلا ان يعجب بعلمه وقال رجل للشعبى افتنى ايها العالم فقال العالم من خشى الله انتهى ﴿ واما طالب الدنيا فانه يزداد ﴾ بنهمه ﴿ طغيانا ثم قرأ كلا ﴾ ردع لمن كفر بنعمة الله عليه بطغيانه وان لم يذكر لدلالة الكلام عليه ﴿ ان الانسان ليطغى ان رآه استغنى ﴾ اى رأى نفسه يقال في افعال القلوب رأيتنى وعلمتنى وذلك بعض خصائصها فمعنى الرؤية العلم ولوكانت بمعنى الابصار لامتنع في فعلها الجمع بين الضميرين ﴿ وليكن ﴾ العالم ﴿ مستقلا للفضيلة منه ﴾ اى التى احرزها منه والاستفعال للاعتقاد ﴿ ليزداد منها ومستكثرا للنقيصة فيه لينتهى عنها ولايقنع ﴾ عطف على ليكن ﴿ من العلم بما ادرك لان القناعة فيه زهد والزهد فيه ترك له والترك له جهل ﴾ اى ترك بعضه جهل بالبعض وتركه كله جهل بالكل ﴿ وقد قال بعض الحكماء عليك بالعلم والاكثار منه فان قليله اشبه شئ بقليل

الخير وكثيره اشبه شيء بكثيره وان يعيب الخير ﴾ اى لا يجعله ذا عيب ﴿ الا القلة ﴾ فلو كان للخير عيب يكون قلته ﴿ فاما كثرته فانها امنية ﴾ كل احد ومطلوبه ﴿ وقال بعض البلغاء من فضل علمك استقلالك لعلمك ومن كمال عقلك استظهارك ﴾ من استظهر الرجل اذا اتخذ ظهريا للحاجة والبعير الظهرى هو المعد للحاجة ﴿ على عقلك ﴾ بفكرك وجعلك اياه رقيبا عليه يمنعه من الاستبداد ويأمره بالمشاورة ﴿ ولا ينبغى ﴾ للعالم ﴿ ان يجهل من نفسه مبلغ علمها ولا تجاوز بها قدر حقها ﴾ بان يحمل عليها كثيرا من العلوم دفعة ﴿ ولان يكون بها مقصرا فيذعن بالانقياد اولى من ان يكون بها مجاوزا فيكف عن الازدياد ﴾ او الاتقان ﴿ لان من جهل حال نفسه كان لغيرها اجهل ﴾ فيحمل عليه مالا يطيقه ﴿ وقد قالت عائشة رضى الله عنها يارسول الله متى يعرف الانسان ربه ﴾ بقدمه وقدرته واتصافه بجميع الكمالات وتقدسه عن جميع النقائص ﴿ قال اذا عرف نفسه ﴾ بحدوثه وعجزه عن نيل بعض الفضائل وكون جميع كمالاته منتظرا ﴿ وقد قسم الخليل بن احمد احوال الناس فيما علموه او جهلوه اربعة اقسام متقابلة لا يخلو الانسان منها فقال الرجال اربعة رجل يدرى ويدرى انه يدرى فذلك عالم فاسئلوه ورجل يدرى ولا يدرى انه يدرى فذلك ناس ﴾ من النسيان ﴿ فذكروه ﴾ بسؤاله ﴿ ورجل لا يدرى ويدرى انه لا يدرى فذلك مسترشد فارشدوه ﴾ من الارشاد ﴿ ورجل لا يدرى ولا يدرى انه لا يدرى ﴾ بل يزعم انه يدرى ﴿ فذلك جاهل ﴾ جهلا مركبا ﴿ فارفضوه ﴾ اى اتركوه لانه يكابر الحق ويعانده فلهذا لا يرشد ولا يسأل ﴿ وانشد ابو القاسم الآمدى ﴾ من الطويل ﴿ جهلت ولم تعلم بانك جاهل . فمن لى بان تدرى بانك لا تدرى ﴾ اللام متعلق بمحذوف اى فمن يتعهد ويتكفل لى باعترافك بعدم معرفتك وكونك قابلا للارشاد ﴿ اذا كنت لا تدرى ولم تك بالذى . يسائل من يدرى ﴾ لزعمك انك تعلم وقولك الحق ﴿ فكيف اذاً تدرى ﴾ الاستفهام للانكار والاستبعاد كافى فمن لى ﴿ ومن اعجب الاشياء انك لا تدرى . وانك لا تدرى بانك لا تدرى * اذا جئت من كل الامور بغمة ﴾ يقال امر غمة اى مبهم وملتبس قال الله تعالى ثم لا يكن امركم عليكم غمة قال ابو عبيدة مجازها ظلمة وضيق وهم يعنى اذا جئت من جانب الامور ملتبسة بابهامها كانك لم تطلع عليها اصلا ويروى معميا اى جاهلا ﴿ فكن هكذا ارضا يطاك الذى يدرى ﴾ قوله كن ارضا اى ترابا ويطأ بالجزم جواب الامر وهذا كما قال ابن لنكك * كأنهم من بعد افهامهم لم يخرجوا بعد الى عالم ﴿ وليكن من شيمته العمل بعلمه وحث النفس على ان تأتمر بما يأمر ولا يكن ﴾ العالم ﴿ ممن قال الله تعالى فيهم ﴾ فى الجمعة ﴿ مثل الذين حملوا التوراة ثم لم يحملوها كمثل الحمار يحمل اسفارا ﴾ قال الزمخشرى شبه اليهود فى انهم حملة التوراة وقراؤها وحفاظ مافيها ثم انهم غير عاملين بها ولا منتفعين بآياتها وذلك ان فيها نعت رسول الله صلى الله عليه وسلم والبشارة به ولم يؤمنوا به بالحمار حمل اسفارا اى كتبا كبارا من كتب العلم فهو يمشى بها ولا يدرى منها الا بما يمر بجنبه وظهره من الكد والتعب وكل من علم ولم يعمل فهذا مثله وبئس المثل انتهى (فقد قال قتادة) بن دعامة السدوسى البصرى التابعى سمع انس بن مالك وعبد الله بن سرجس وابا الطفيل عامرا من الصحابة وسمع سعيد بن المسيب والحسن وابا عثمان النهدى ومحمد بن سيرين وغيرهم وروى عنه الاوزاعى وشعبة والاعمش وخلق كثير جمع على

جلالته وحفظه وتوثيقه واتقانه وفضله ولد اعمى قال الزمخشري لم يكن في هذه الامة اكمه غير قتادة صاحب التفسير توفي بواسط سنة سبع عشرة ومأة وهو ابن ست وخمسين ﴿ في قوله تعالى ﴾ في يوسف ﴿ وانه لذو علم لما علمناه ﴾ يعني قوله وما اغنى عنكم وعلمه بان القدر لايغني عنه الحذر ﴿ يعني انه ﴾ اي يعقوب عليه السلام ﴿ عامل بما علم . وروى عن النبي صلى الله عليه وسلم انه قال ويل ﴾ اسم وادفي جهنم يهوى فيه الكافر اربعين خريفا قبل ان يبلغ قعره ﴿ لجماع القول ويل للمصرين يريد ﴾ النبي عليه السلام ﴿ الذين يستمعون القول ولا يعملون به . وروى عبدالله بن وهب ﴾ بن مسلم البصري سمع مالكا والليث والثوري وابن ابي ذئب وابن جريج وغيرهم وذكر بعضهم انه روى عن نحو اربعمأة رجل وان مالكا لم يكتب الى فقيه الا اليه وقال احمد هو صحيح الحديث يفصل السماع من العرض والتحديث من الحديث ما اصح حديثه ومااثبته وروى له الجماعة توفي بمصر سنة سبع وتسعين ومأة ﴿ عن سفيان ان الخضر قال لموسى عليهما السلام يا ابن عمران تعلم العلم لتعمل به ولاتتعلمه لتحدث به فيكون عليك بوره ﴾ بضم الباء يستوي افراده وجمعه وتذكيره وتأنيثه لانه في الاصل مصدر يقال رجل وامرأة بور اي فاسد وهالك لاخير فيه والبور الارض الميتة التي لم تتطس ﴿ ولغيرك نوره ﴾ اي صلاحه ونجاحه او زرعه وحصاده ﴿ وقال علي بن ابي طالب انما زهد الناس في طلب العلم لمايرون من قلة انتفاع من علم بما علم وقال ابو الدرداء اخوف ماخاف اذا وقفت بين يدي الله عز وجل ان يقول قدعلمت فماذا عملت بماعلمت وكان يقال ﴾ قديما ﴿ خير من القول فاعله وخير من الصواب قائله وخير من العلم حامله ﴾ وشر من الشر عامله وذلك مثل لاخ للنعمان بن المنذر يقال له علقمة قاله لعمرو بن هند في مواعظ كثيرة كما في مجمع الامثال ﴿ وقيل في منثور الحكم لم ينتفع بعلمه من ترك العمل به وقال بعض العلماء ثمرة العلم ان يعمل به وثمرة العمل ان يوجر عليه ﴾ فالعلم بلا عمل مردود كالعمل بلا اخلاص ﴿ وقال بعض الصلحاء العلم يهتف بالعمل ﴾ اي يدعوه ليوانس به ويدفع وحشة الوحدة ﴿ فان اجابه اقام والا ارتحل ﴾ العلم ولذا عدوا المعاصي من اسباب النسيان ﴿ وقال بعض العلماء خير العلم مانفع ﴾ حامله ﴿ وخير القول ماردع ﴾ قائله ﴿ وقال بعض الادباء ثمرة العلوم العمل بالمعلوم وقال بعض البلغاء من تمام العلم استعماله ومن تمام العمل استقلاله ﴾ اي عده قليلا لئلا يغتر به ﴿ فمن استعمل علمه لم يخل من رشاد ﴾ اي من استقامة في طريق الحق مع تثبت وتصلب فيه ﴿ ومن استقل عمله لم يقصر عن مراد ﴾ لان العلم والعمل كالجناحين وكالهما مما يوصل الى كل كمال ﴿ وقال حاتم الطائي ﴾ بن عبدالله بن سعد يكنى ابا سفانة وابا عدي فارس شاعر جاهلي احد الاجواد الذين يضرب بهم المثل بل هو اشهرهم وهم كعب بن مامة (٣) وهرم بن سنان وحاتم وكان اذا قاتل غلب واذا غنم نهب واذا سئل وهب واذا قامر سبق واذا اسر اطلق واذا اثرى انفق ادرك مولد النبي صلى الله عليه وسلم ومات قبل مبعثه وابنه عدي ادرك النبي صلى الله عليه وسلم وروى عنه . من الطويل ﴿ ولم يحمدوا من عالم غير عامل . خلاقا ولا من عامل غير عالم ﴾ يعني لم يحمد الناس فضيلة من فضائل عالم لم يعمل ولا من فضائل عامل لم يعلم ﴿ رأوا طرقات المجد عوجا قطيعة ﴾ من قطع الامر فهو

(٣) كعب بن مامه كان في سفر فآثر رفيقه السعدي بماءله فمات عطشا منه

فظيع اى شديد شنيع جاوز المقدار وبابه ظرف . وعوج جمع اعوج كاحمر حمر . واراد بطرقات المجد العلم والعمل وجملة رأوا جواب سؤال ضمنه البيت السابق ولذا فصل ﴿ وافظع عجز عندهم عجز حازم ﴾ اى عجز العالم عن العمل . عبر عنه بالحازم لانه لما اكتسب العلم فكأنه اعده لوقت الحاجة وهيأه لها حتى يعمل بالثقة . وكون ذلك العجز افظع ﴿ لانه لما كان علمه حجة على من اخذه عنه واقتبسه منه حتى يلزمه ﴾ اى الآخذ المقتبس ﴿ العمل به والمصير اليه كان ﴾ ذلك العلم ﴿ عليه احج وله الزم ﴾ اى اقوى حجة عليه واشد الزاما اولزو ماله ﴿ لان مرتبة العلم قبل مرتبة القول كما ان مرتبة العلم قبل مرتبه العمل ﴾ فمرتبة العمل قبل مرتبة القول قال البخارى فى صحيحه العلم قبل القول والعمل لقول الله تعالى فاعلم انه لا آله الا الله فبدأ بالعلم انتهى والعالم قد قال ولم يعمل والعامل عمل ولم يعلم فلذا اعوج طريقهما وفرق ما بينهما ان العالم لا يحتاج للعمل الا الى ركنه الذى هو الاخلاص وهو سهل عليه لعلمه بآفات الرياء وان العامل يحتاج لتحصيل العلم الى الشروط التسعة المتقدمة فاخلاص العالم كالمقطوع وتعلم العامل ليس كذلك فلذا كان عجز الحازم افظع ﴿ وقد قال ابو العتاهية رحمه الله ﴾ من الكامل المرفل ﴿ اسمع الى الاحكام تحملها الرواة اليك عنكا ﴾ يعنى استمع واصغ الى الاحكام الشرعية التى تحملها الرواة عنك هى عائدة اليك لتعمل بها وقوله ﴿ واعلم هديت بانها ﴾ تفصيل لذلك المجمل وهديت بالبناء للمفعول معترضة بين اعلم ومفعوليه ﴿ حجج تكون عليك منكا ﴾ فتكون مؤاخذا باقرارها . والغرض ترغيب العالم الى العمل لا التوبيخ على رواياته الصحيحة فالعلماء ثلاثة اصناف . الذين يعلمون ويعملون وهم الربانيون والذين يعلمون ولا يعملون تكاسلا اوغفلة ويتهمون انفسهم اذا سئلوا عن بدعهم كما قال الله تعالى كونوا قوامين بالقسط شهداء لله ولو على انفسكم وفى حديث النسائى عن انس قال النبى صلى الله عليه وسلم ان الله يؤيد هذا الدين باقوام لا خلاق لهم . قال المناوى لا اوصاف لهم حميدة يتلبسون بها انتهى وهذان الصنفان ممدوحان اما الاول فلذواتهم لكونهم شرعا مجسما . واما الثانى فلكونهم معجزة باقية اذ لم يرهم النبى صلى الله عليه وسلم وقد اخبر عنهم وصدق ذلك الاخبار موقوف بوجود ذلك الصنف وايضا اخبر عنهم بما يشعر مدحهم وهو تأييد الدين والصنف الآخر هم الذين يعلمون ولا يعملون ولا يتهمون انفسهم بل يزكونها واذا سئلوا عن بدعهم يفترون على الله ورسوله ويتحرون مواضع التأويل ولا يتحاشون عن وضع الاحاديث وعن تصحيح الموضوع ترويجا لبدعهم كما قال الله تعالى فاما الذين فى قلوبهم زيغ فيتبعون ما تشابه منه ابتغاء الفتنة وفى حديث عائشة عند الشيخين (من احدث فى امرنا هذا) اى فى دين الاسلام (ما ليس منه) اى مالا يشهد له اصل من اصوله من الكتاب والسنة والاجماع والقياس (فهورد) اى مردود على فاعله فهذا القسم هو المذموم لذاته ولهدمه الشرع وتحريفه وهم سامرى هذه الامة ودجالها وسيأتى منع امثالهم عن التعلم وطردهم عن مجالس العلماء وقال الله تعالى ان الذين يكتمون ما انزلنا من البينات والهدى من بعد ما بيناه للناس فى الكتاب اولئك يلعنهم الله ويلعنهم اللاعنون فنعوذ بالله من اتباع الهوى وكتم الهدى اللهم ارنا الاشياء كما هى وارنا الحق حقا وارزقنا اتباعه وارنا الباطل باطلا وارزقنا اجتنابه . برآر

(اى)

اى بحرى پايان زجودى كران موجى . كه خلقى تشنه لب ميردند بر اطراف ساحلها ﴿ ثم ليجتنب ﴾ العالم ﴿ ان يقول مالا يفعل وان يأمر بمالا يأتمر به وان يسر ﴾ من الاسرار اى يخفى ﴿ غيرمايظهر ولا يجمل ﴾ معطوف على ليجتنب ﴿ قول الشاعر هذا ﴾ من البسيط ﴿ اعمل بقولى وان قصرت فى عملى . ينفعك ﴾ بالجزم جواب الامر ﴿ قولى ولا يضررك تقصيرى ﴾ اخذه من قول ابى الدرداء رضى الله عنه ايها الناس لا يمنعكم سوء ماتعلمون منا ان تقبلوا احسن ماتسمعون منا ﴿ عذراله ﴾ مفعول ولا يجمل ﴿ فى تقصيره يضره وان لم يضر ﴾ تقصيره ﴿ غيره ﴾ اذ لا تزر وازرة وزر اخرى ﴿ فان اصرار النفس يغريها ﴾ على المعاصى ﴿ ويحسن لها مساويها ﴾ لاستيناسها ببعض المساوى فلا يتأمل الرجوع عنها ولا يتفكر التوبة منها ﴿ وان من قال مالا يفعل فقد مكر ومن امر بمالا يأتمر فقد خدع ﴾ اى نفسه اوغيره كأنه اوتى الحكمة ويقضى بها آناء الليل واطراف النهار ﴿ ومن اسر غيرمايظهر فقد نافق ﴾ نفاقا قوليا والمنافق هو الذى يضمر الكفر اعتقادا ويظهر الايمان قولا ﴿ وقدروى عن على بن ابى طالب ﴾ وروى البيهقى عن قيس بن سعد بن عبادة ﴿ عن النبى صلى الله عليه وسلم انه قال المكر والخديعة وصاحباهما فى النار ﴾ اى يستحق دخولها قال البيضاوى المكر فى الاصل حيلة يجلب بها الانسان الى غيره مضرة ﴿ على ان امره بمالا يأتمر مطرح ﴾ ومتروك لا يتبع ﴿ وانكاره مالا ينكره من نفسه مستقبح بل ربما كان ذلك ﴾ الامر والانكار ﴿ سببا لاغراء المأمور بترك ما امره به عنادا ﴾ له لا للحق ﴿ وارتكاب مانهى عنه كيادا ﴾ ويغضاله الكيد ارادة مضرة الغير خفية وهو من الخلق الحيلة السوء ومن الله تعالى التدبير بالحق لمجازاة اعمال الخلق ﴿ وحكى ان اعرابيا اتى ابن ابى ذئب ﴾ هو محمد بن عبدالرحمن بن المغيرة بن الحارث بن ابى ذئب القرشى العامرى المدنى الثقة كبير الشان وقال احمد كان ابن ابى ذئب افضل من مالك الا ان مالكا كان اشد تنقية للرجال منه واقدمه المهدى بغداد حتى حدث بها ثم رجع يريد المدينة فمات بالكوفة سنة تسع وخمسين ومأة ﴿ فسأله عن مسألة طلاق فافتاه بطلاق امرأته فقال انظر حسنا قال نظرت وقد بانت منك فولى الاعرابى وهو يقول ﴾ من الطويل ﴿ اتيت ابن ذئب ابتغى الفقه عنده . فطلق حبى ﴾ بكسر الحاء يعنى حكم بطلاق محبوبتى ﴿ البت ﴾ اى طلقة قاطعة اومقطوعة يعنى البائن ﴿ تبت انامله ﴾ دعاء عليه الظاهر ان ابن ابى ذئب كتبه ذلك ولذا خص الانامل بالذكر يعنى يبست انامله اوانقطعت يده وكان لا يكتب ﴿ اطلق فى فتوى ابن ذئب حليلتى . وعند ابن ذئب اهله وحلائله ﴾ والاستفهام المقدر للانكار يعنى ما اطلق بفتواه اذلم يطلق حلائله ﴿ فظن بجهله انه لا يلزمه الطلاق بقول من لم يلتزم الطلاق ﴾ ولذا انكر فتواه ﴿ فانظرك بقول يجب فيه اشتراك الآمر والمأمور كيف يكون مقبولا منه وهو غير عامل به ولا قابل له كلا ﴾ حرف ردع اى لا يكون مقبولا لا يكون مقبولا منه بالتكرار ﴿ وقال احمد بن يوسف ﴾ ابوجعفر الكاتب كان من افاضل كتاب المأمون وافطنهم واذكاهم . من المنسرح ﴿ وعامل بالفجور يأمر بالبر كهاد يخوض فى الظلم ﴾ قوله عامل مبتدأ وهاد خبره والواو ابتدائية اوواورب والظلم جمع ظلمة وهو عدم النور عما من شانه ان يستنير ﴿ اوكطبيب قد شفه سقم . وهو يداوى من ذلك

السقم ﴾ يقال شفه الهرم اذا هزله وبابه فر ﴿ يا واعظ الناس غير متعظ . ثوبك طهر اولا فلا تلم ﴾ جواب النداء يعني طهر ثوبك فلم من في ثوبه دلس والا فلا تلم احدا ﴿ وقال آخر ﴾ من الكامل وقد صرع ﴿ عود لسانك قلة اللفظ ﴾ امر من عوده اياه اذا جعله يعتاده ﴿ واحفظ كلامك ايما حفظ ﴾ اى حفظا كاملا في صفات الحفظ فاى بمعنى الكمال وما زائدة غير كافة والموصوف مقدر او حال من الكلام لان اى تقع صفة للنكرة وحالا للمعرفة ﴿ اياك ان تعظ الرجال وقد . اصبحت محتاجا الى الوعظ ﴾ اى صرت محتاجا اليه وقد بالغ فيه المصنف لترغيب العالم الى العمل والا فقد قال ابو السعود المفتي في تفسيره والعاصي يجب عليه النهي مما ارتكبه اذ يجب عليه تركه وانكاره فلا يسقط بترك احدهما وجوب شئ منهما والتوبيخ في قوله تعالى اتأمرون الناس بالبر وتنسون انفسكم انما هو على نسيان انفسهم لا على امرهم بالبر كما سيأتي تفصيله في الامر بالمعروف ﴿ واما الانقطاع عن العلم ﴾ متوجها ﴿ الى العمل والانقطاع عن العمل الى العلم ﴾ بترك النوافل والمستحبات غير الرواتب ﴿ اذا عمل بموجب العلم ﴾ ولم يخل بالفرائض والواجبات والسنن الرواتب ﴿ فقد حكى عن الزهرى ﴾ الامام ابي بكر محمد بن مسلم بن عبيدالله بن شهاب الزهرى المدني سكن الشام وهو تابعي صغير سمع انسا وربيعة بن عباد وخلقا من الصحابة وروى عن ابن عمر وعنه جماعات من كبار التابعين منهم عطاء وعمر بن عبدالعزيز ومن صغارهم ومن الاتباع ايضا مات بالشام ﴿ فيه ﴾ اى في حق الانقطاع ﴿ ما يغني عن تكلف غيره وهو ﴾ اى ذلك المحكى ﴿ انه قال العلم افضل من العمل ان جهل ﴾ بكيفية العبادات والمعاملات لان صحة العبادة وفرق المباح من المحظور موقوف على العلم ﴿ والعمل افضل من ﴾ اكثار ﴿ العلم لمن علم ﴾ ذلك وبيانه ان من العلوم ما هو فرض عين وما هو فرض على الكفاية وما هو مستحب وفضيلة وكذلك الاعمال فالعلم الذى هو فرض عين افضل من العمل الذى هو فرض عين وذلك العمل افضل لمن علم مما هو فرض على الكفاية من العلم والا يلزم تفضل الشئ على نفسه وهكذا اعني ما هو كفاية من العلم افضل من كفاية العمل ومستحبه من مستحبه ولذا قال ﴿ واما فضل ما بين العلم والعبادة اذا لم يخل ﴾ العالم . من الاخلال ﴿ بواجب ولم يقصر في فرض فقد روى ﴾ اى فدليل ما قدرواه ابن عدى والبيهقي عن جابر ﴿ عن النبي صلى الله عليه وسلم انه قال يبعث العالم ﴾ بالعلم الشرعي النافع ﴿ والعابد ﴾ اى القائم بوظائف العبادات ﴿ فيقال للعابد ادخل الجنة ويقال للعالم اثبت ﴾ امر من اتئد في الامر اذا تأنى وتززن وفي رواية اثبت ﴿ حتى تشفع للناس ﴾ بما احسنت ادبهم كما في الجامع الكبير . وفي الصغير عن ابن عباس اذا اجتمع العالم والعابد على الصراط قيل للعابد ادخل الجنة وتنعم بعبادتك وقيل للعالم قف هنا فاشفع لمن احببت فانك لا تشفع لاحد الا شفعت اى قبلت شفاعتك فقامه مقام الانبياء ومقام الشفاعة اعظم واخذ منه السعدى فقال * صاحب دلى بمدرسه آمد زخانقاه . بشكست عهد صحبت اهل طريق را * كفتم ميان عالم وعابد چه فرق بود . تا اختيار كردى ازان اين فريق را * كفت آن كليم خويش بيرون مى برد زموج . وين جهد مى كند كه بكيرد غريق را * ﴿ ومن آداب العلماء ان لا يبخلوا بتعليم ما يحسنون ﴾ تعليمه بلا

تكلف ﴾ ﴿ ولا يمتنعوا من افادة مايعلمون فان البخل بلوم وظلم والمنع منه حسد واثم وكيف
يسوغ لهم البخل بما منحوه جودا من غير بخل ﴾ لم يخلهم من علمهم ﴿ واوتوه عفوا ﴾
اى مجانا ﴿ من غير بذل ﴾ مال بدله ﴿ ام كيف يجوز لهم الشح بما ان بذلوه زاد ونما وان
كتموه تناقص ووهى ﴾ اى ضعف ﴿ ولو استن بذلك ﴾ الشح ﴿ من تقدمهم لما وصل
العلم اليهم ولا نقرض عنهم بانقراضهم ولصاروا على مرور الايام جهالا وبتقلب الاحوال
وتناقصها ارذالا وقد قال الله تعالى ﴾ فى آل عمران ﴿ واذ اخذ الله ميثاق الذين اوتوا الكتاب
لتبيننه للناس ولا تكتمونه ﴾ قال ابو السعود وفيه من الدلالة على تحتم بيان الحق على علماء
الدين واظهار ما منحوه من العلم للناس اجمعين وحرمة كتمانه لغرض من الاغراض الفاسدة
اولطمع فى عرض من الاعراض الفانية الكاسدة مالا يخفى ﴿ وروى عن النبى صلى الله عليه
وسلم انه قال لاتمنعوا العلم اهله فان فى ذلك ﴾ المنع ﴿ فساد دينكم والتباس بصائركم ﴾ اى
اشتباه الباطل بالحق ﴿ ثم قرأ ﴾ آية البقرة ﴿ ان الذين يكتمون ﴾ من احبار اليهود ﴿ ما
انزلنا ﴾ فى التوراة ﴿ من البينات ﴾ من الآيات الشاهدة على امر محمد عليه السلام ﴿ والهدى ﴾
والهداية بوصفه الى اتباعه والايمان به ﴿ من بعد بيناه ﴾ ولخصناه ﴿ للناس فى الكتاب ﴾
فى التوراة ولم ندع فيه موضع اشكال ولا اشتباه على احد منهم فعمدوا الى ذلك المبين الملخص
فكتموه ولبسوا على الناس ﴿ اولئك يلعنهم الله ويلعنهم اللاعنون ﴾ الذين يأتى منهم اللعن
عليهم وهم الملائكة والمؤمنون من الثقلين ﴿ وروى ﴾ على ماروى ابن عدى عن ابن مسعود
﴿ عن النبى صلى الله عليه وسلم انه قال من كتم علما ﴾ شرعيا او آلة له لاغير ذلك ويدخل
فى كتمه منع اعارة الكتب ولومملوكة اذا كان التعلم لله لالنحو رياء وسمعة ومماراة اى ينبغى
الاعارة حينئذ ولا تجب الا اذا لم يوجد ذلك عند غيره لئلا يلزم ضياع ذلك العلم المحتاج اليه
وله اخذ الاجرة على ذلك نظير ما قالوه فى اعارة الفحل للضراب فانه يجب ابقاء للنسل ولو
باجرة ﴿ يحسنه ﴾ وفى رواية عن اهله ﴿ الجمه الله يوم القيامة بلجام من نار ﴾ قال القرطبى
واما قول ابى هريرة حفظت عن رسول الله صلى الله عليه وسلم وعاءين من علم اما احدهما
فبثثته وحدثتكم به واما الآخر فلو حدثتكم لقطعتم منى هذا الحلقوم فمحمول على مايتعلق
بالفتن من اسماء المنافقين ونحوهم واما كتمه عن غير اهله فمطلوب انتهى ﴿ وروى عن على
بن ابى طالب كرم الله وجهه انه قال مااخذ الله العهد على اهل الجهل ان يتعلموا حتى اخذ
العهد على اهل العلم ان يعلموا ﴾ لان الموقوف عليه متقدم على الموقوف ﴿ وقال بعض الحكماء
اذا كان من قواعد الحكمة بذل ماينقصه البذل ﴾ ديانة اوجودا وهو المال ﴿ فاحرى ان
يكون من قواعدها بذل مايزيده البذل ﴾ وهو العلم ﴿ وقال بعض العلماء كما ان الاستفادة
نافلة للمتعلم ﴾ اى غنيمة وعطية سنية له والنفل لغة اسم للزيادة سميت الغنيمة نفلا لانه زيادة
على ماهو المقصود من مشروعية الجهاد وهو اعلاء كلمة الله وقهر اعدائه وفى الشرع اسم
لما شرع زيادة على الفرائض والواجبات وهو المسمى بالمندوب والمستحب والتطوع ﴿ كذلك
الافادة فريضة ﴾ اى مقدرة وواجبة عقلا وشرعا ﴿ على المعلم وقد قيل فى منثور الحكم من
كتم علما فكأنه جاهل ﴾ فى عدم بقاء اثرمنه ﴿ وقال خالد بن صفوان ﴾ قال الجاحظ ومن

الخطباء المشهورين فى العوام والمقدمين فى الخواص خالد بن صفوان الاهتمى زعموا جميعا انه كان عند ابى العباس السفاح امير المؤمنين وكان من سماره واهل المنزلة عنده وكان لفصاحته اقدر الناس على مدح الشئ وذمه قال ابو العباس وعنده اخواله الحارثيون كيف علمك باخوالى يا خالد قال يا امير المؤمنين هم هامة الشرف وعرنين الكرم وغرس الجود وفيهم خصال ليست لغيرهم لانهم اصونهم اما واكرمهم شيما واطيبهم طعما واوفاهم ذمما وابعدهم همما الجمرة فى الحرب والوفد عند الجدب وهم الرأس فى كل خطب وغيرهم بمنزلة العجب فقال لقد وصفت فاحسنت فزاد اخواله فى الفخر واكثروا القول فقال ابو العباس لم لا تتكلم يا خالد فقال اخوال امير المؤمنين وعصبته قال فانتم اعمام امير المؤمنين وعصبته قال خالد وما عسى ان اقول لقوم كانوا بين ناسج برد ودابغ جلد وسائس قرد وراكب عرد دل عليهم هد هد وغرقهم فأرة وملكتهم امرأة . فتأمل هذا الكلام فانك ستجده مليحا وعظيم القدر جليلا ولو خطب اليمانى بلسان سحبان وائل حولا كريتا ثم صك بهذه الفقرة ماقامت له قائمة وكان اذكر الناس لاول كلامه واحفظ لكل شئ سلف من منطقه قال مكى بن سوادة فى صفته له * عليم بتنزيل الكلام ملقن . ذكور لما اسداه اول اولا * يبذ قريع القوم فى كل محفل . وان كان سحبان الخطيب ودغفلا * ترى خطباء الناس يوم ارتجاله . كأنهم الكروان عاين اجدلا * وكان يعارض شبيب بن شبة لاجتماعهما على القرابة والمجاورة والصناعة فذكر شبيب عنده مرة فقال ليس له صديق فى السر ولا عدو فى العلانية وهذا كلام لا يعرف قدره الا الراسخون فى هذه الصناعة وكان خالد جميلا ولم يكن بالطويل فقالت له امرأة انك لجميل يا ابا صفوان قال وكيف تقولين هذا وما فى عمود الجمال ولا رداؤه ولا برنسه فقيل له وما هى فقال عموده الطول ولست بطويل ورداؤه البياض ولست بابيض وبرنسه سواد الشعر وانا اشمط ولكن قولى انك لمليح ظريف والكلام خالد كتاب يدور فى ايدى الوراقين انتهى وقالوا بخلاء العرب اربعة الحطية وحميد الارقط وابو الاسود الدؤلى وخالد بن صفوان ﴿ انى لافرح بافادتى المتعلم اكثر من فرحى باستفادتى من المعلم ﴾ وذلك لان الالقاء اخف من الحمل فالدافع افرح من الاخذ ولان العلم من اللذائذ الروحانية وبه الانتساب الى الارواح القدسية ومنهم الى الله عزوجل فمجالس العلم كموائد القرب ولان يكون مضيافها احلى وافخر من ان يكون ضيفها لاسيما لاهل الكرم ﴿ ثم له بالتعليم نفعان ﴾ اى بعدما علمت عدم جواز كتم العلم ﴿ احدهما مايرجوه ﴾ من ثواب الله تعالى فقد جعل النبى صلى الله عليه وسلم التعليم صدقة ﴾ باقية على مرور الايام ﴾ فقال تصدقوا على اخيكم بعلم يرشده ﴾ الى هدى ﴾ ورأى يسدده ﴾ فى اموره الدينية والدنيوية وفى حديث ابى سعيد الخدرى من علم آية من كتاب الله تعالى اوبابا من علم انمى الله اجره الى يوم القيامة فلا ينقطع بموته ﴾ وروى ابن مسعود رضى الله عنه عن النبى صلى الله عليه وسلم انه قال تعلموا وعلموا فان اجر العالم والمتعلم سواء قيل وما اجرها قال مأة مغفرة ومأة درجة فى الجنة ﴾ والمقصود الكثرة ولا مفهوم للعدد ﴾ والنفع الثانى زيادة العلم واتقان الحفظ فقد قال الخليل بن احمد اجعل تعليمك دراسة لعلمك ﴾ اى حفظا له عن النسيان ﴾ واجعل مناظرة المتعلم

العرد . الحمار كريتا اى تاما القريع السيد الكروان جمع كروان وهو ذكر الحبارى والاجدل الصقر منه

تنبيها على ما ليس عندك ﴾ الجهل بمعنى الاعتقاد والعلم ﴿ وقال ابن المعتز فى منثور الحكم النار لاينقصها ما اخذ منها ولكن يخمدها ان لاتجد ﴾ النار ﴿ حطبا كذلك العلم لايفنيه الاقتباس ولكن فقدالحاملين له سبب عدمه ﴾ بضم العين او بضمتين او بفتحتين يقال عدمه من الباب الرابع اذا فقده والمراد الحاصل بالمصدر اى سبب انعدامه ﴿ فاياك والبخل بما تعلم ﴾ واياهم الرغبة عن التعلم ﴿ وقال بعض العلماء علم علمك وتعلم علم غيرك فاذا علمت ماجهلت ﴾ بالتعلم ﴿ وحفظت ماعلمت ﴾ بالتعليم وفيه نشر على غير ترتيب الالف ﴿ فاعلم ﴾ اى اذا علمت النفعين فاعلم ﴿ ان المتعلمين ضربان مستدعى وطالب فاما المستدعى الى العلم ﴾ اسم مفعول من استدعاه اذا دعاه ﴿ فهو من استدعاء العالم الى التعليم لماظهر له ﴾ اى للعالم ﴿ من جودة ذكائه ﴾ اى المتعلم ﴿ وبان له من قوة خاطره فاذا وافق استدعاء العالم شهوة المتعلم كانت نتيجتهما درك النجباء وظفر السعداء لان العالم باستدعائه متوفر والمتعلم بشهوته مستكثر * واما طالب العلم لداع يدعوه ﴾ الى نوع من العلم ﴿ وباعث يحدوه ﴾ اى يشوقه الى العلم يقال حدا الابل اذا رجزها وساقها يعنى بالنغمات والالحان الطيبة ﴿ فان كان الداعى دينيا ﴾ كتصحيح العقائد والاخلاق والعبادات والمعاملات والامر بالمعروف والنهى عن المنكر ونحوها ﴿ وكان المتعلم فطنا ذكيا وجب على العالم ان يكون عليه مقبلا وعلى تعليمه متوفرا لايخفى ﴾ من الاخفاء ﴿ عليه مكنونا ولايطوى عنه مخزونا ﴾ لان صاحب الدين اهل للودائع ولكونه فطنا ذكيا عالم بالاشارات وعارف بالكنايات فلا يمل ﴿ وان كان بليدا بعيد الفطنة فينبغى ان لايمنع من اليسير ﴾ الاهم ﴿ فيحرم ولا يحمل عليه بالكثير فيظلم ولايجعل بلادته ذريعة لحرمانه فان الشهوة باعثة ﴾ الى اقتحام ما استصعب ﴿ والصبر مؤثر ﴾ فى تسهيل ما اشكل ﴿ وقدروى عن النبى صلى الله عليه وسلم انه قال لاتمنعوا العلم اهله فتظلموا ﴾ اى لان تظلموا اهله ﴿ ولاتضعوه فى غير اهله فتأثموا ﴾ وقال الله تعالى ان الله يامركم ان تؤدوا الامانات الى اهلها ﴿ وقال بعض الحكماء لاتمنعوا العلم احدا ﴾ اهلا كان اولا ﴿ فان العلم امنع لجانبه ﴾ فى ثانى حاله ﴿ فاما ان لم يكن الداعى دينيا نظر فيه فان كان مباحا كرجل دعاه الى طلب العلم حب النباهة وطلب الرئاسة فالقول فيه يقارب القول الاول فى ﴾ وجوب ﴿ تعليم من قبل ﴾ لكونه فطنا ﴿ لان العلم يعطفه الى الدين فى ثانى حال وان لم يكن مبتدأ به فى اول حال. وقدحكى عن سفيان الثورى انه قال تعلمنا العلم لغير الله تعالى فابى ان يكون الا الله * وقال عبدالله بن المبارك طلبنا العلم للدنيا فدلنا على ترك الدنيا ﴾ وقال المفتى ابو السعود * ابعد سليمى مطلب ومرام . وغير هواها لوعة وغرام * وفوق حماها ملجأ ومثابة . ودون ذراها موقف ومرام * وهيهات ان يثنى الى غيرها بها . عنان المطايا او يشد حزام * هى الغاية القصوى فان فات نيلها . فكل منى الدنيا على حرام * محوت نقوش الجاه عن لوح خاطرى . فاضحى كان لم يجر فيها قلام * انست بلأواء الزمان وذله . فياعزة الدنيا عليك سلام * والقصيدة طويلة وهذا السلام سلام وداع لاسلام دخول وتحية وعبر عن الرضا بسليمى كانه يتشبب بها ﴿ وان كان الداعى محظورا ﴾ معطوف على قوله فان كان دينيا ﴿ كرجل دعاه الى طلب العلم شرك امن ﴾ اى خفى ﴿ ومكر باطن يريد

يقال شبب الشاعر قصيدته بفلانة اذا اتى بتشبيب النساء اى قال فيها الغزل وعرض بحبها منه

ان يستعملهما ﴾ اى شره ومكره ﴿ فى شبه دينية وحيل فقهية لاتجد ﴾ صفة شبه وحيل
﴿ اهل السلامة منهما مخلصا ولاعنهما مدفعا كما قال النبى صلى الله عليه وسلم اهلاك امتى رجلان
عالم فاجر وجاهل متعبد ﴾ ونظمه بعضهم فقال * فساد كبير عالم متهتك . واعظم منه جاهل
متنسك * هما فتنة فى العالمين عظيمة . لمن بهما فى دينه يتمسك * والمتنسك هو المتعبد المقلد
فى معتقداته الجاهل طرق العبادات وصحتها وفسادها ﴿ وقيل يارسول الله اى الناس ﴾ اى
اى صنف من اصناف الناس ﴿ اشر قال العلماء اذا فسدوا فينبغى للعالم اذا رأى من هذه
حاله ان يمنعه عن طلبته ﴾ بكسر اللام اى عن مطلوبه قبل تشيطنه كاطفاء الحريق قبل اشتعاله
وقتل الحية قبل صيرورتها ثعبانا ﴿ ويصرفه عن بغيته ﴾ بكسر الباء وضمها الحاجة والمطلوب
﴿ فلا يعينه على امضاء مكره واعمال شره ﴾ لماقيل * بدگهررا علم وفن آموختن دادن تيغ
بدست راهزن ﴿ فقد روى انس بن مالك عن النبى صلى الله عليه وسلم انه قال واضع العلم
فى غير اهله كمقلد الخنازير اللؤلؤ والجوهر والذهب وقال عيسى بن مريم على نبينا وعليه السلام
لاتلقوا الجوهر للخنزير ﴾ لانه ضائع عليه لان قبحه الذاتى يمحو محاسنه العارضة ﴿ فالعلم
افضل من اللؤلؤ ﴾ لانه يشترى ويباع دون العلم وان اشتركا فى كونهما مستخرجا من اعماق
الابحار ومتمما للمحاسن ﴿ ومن لا يستحقه) اى العلم ﴿ شر من الخنزير ﴾ لان الخنزير
يلتقط النجاسات الساقطة كالبالوعة ومن لا يستحق العلم يفسد الشرائع كالجيف الواقعة
فى الآبار وان اشتركا فى خباثة النفس ودناءة الاصل ﴿ وحكى ان تلميذا سأل عالما عن بعض
العلوم فلم يفده فقيل له لم منعت فقال لكل تربة غرس ﴾ اى ما يغرس فيها ويفسد فيها غيره
﴿ ولكل بناء اس ﴾ اى اساس يبنى عليه ولايتحمل مافوقه ﴿ وقال بعض البلغاء لكل ثوب
لابس ولكل علم قابس وقال بعض الادباء ارث ﴾ امر من رثى الميت يرثيه اذا بكى عليه وعد
محاسنه اونظم فيه شعرا ﴿ لروضة توسطها ﴾ ودخل فيها ﴿ خنزير وابك لعالم حواه شرير
وينبغى ان يكون للعالم فراسة ﴾ بكسر الفاء اسم من التفرس وهى ان تنظر الشئ فتستدل
بظاهره على باطنه وبما حضر على ماغاب ومنه الحديث اتقوا فراسة المؤمن فانه ينظر بنور الله
يقال بمعنيين احدهما مادل ظاهر هذا الحديث عليه وهو مايوقعه الله تعالى فى قلوب اوليائه
فيعلمون احوال بعض الناس بنوع من الكرامات واصابة الظن والحدس والثانى نوع يعلم
بالدلائل الخفية والتجارب والخلق والاخلاق فيعرف به احوال الناس . وفى الشريشى
الالمعية ان ترى الشئ على بعد فتعرفه وتحققه والفراسة ان ترى الرجل بين يديك فتحكم
عليه بما اضمر اوبما يريد ان يفعله فالالمعية فى البعد والفراسة فى القرب والظن الصادق يجمع
بينهما ﴿ يتوسم بها المتعلم ﴾ اى يتفرسه ويتخيله بعلاماته واماراته ويظن به الظن الصحيح
من توسم الشئ اذا تفرسه والميسم اثر الكى وما يكوى به ﴿ ليعرف مبلغ طاقته وقدر استحقاقه
ليعطيه ما يحمله بذكائه اويضعف عنه ببلادته فانه ﴾ اى ذلك المعرفة ﴿ اروح للعالم ﴾
لان مقام خطاب الذكى غير مقام خطاب الغبى فاذا تعين المقام حصل الراحة والمشكل اختلاط
الاذكياء مع الاغبياء ﴿ وانجح للمتعلم ﴾ اى انفع له حيث لايبخس ان ذكيا ولايقنط ان غبيا
﴿ وقد روى ثابت ﴾ بن اسلم ابو احمد البنانى البصرى العابد سمع ابن الزبير وابن عمر وانسا

(وغيرهم)

وغيرهم من الصحابة والتابعين وروى عنه خلق كثير ﴿ عن انس بن مالك رضى الله عنه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ان لله عبادا ﴾ فطنا ﴿ يعرفون الناس بالتوسم ﴾ حكى انه نظر اياس القاضى يوما الى رجل لم يره قط فقال هذا غريب واسطى معلم صبيان هرب له غلام اسود فسألوه فوجدوا الامر كذلك فسئل عن ذلك فقال رأيته يمشى ويلتفت فعلمت انه غريب وايضا رأيت على ثوبه حمرة تراب واسط فعلمت انه من اهلها ورأيته يمر بالصبيان ويسلم عليهم ولا يسلم على الرجال فعلمت انه معلم ورأيته اذا مر بذى هيئة لم يلتفت اليه واذا مر باسود ذى اسمال تأمله فعلمت انه يطلب آبقا ﴿ وقال عمر بن الخطاب رضى الله عنه اذا انا لم اعلم ما لم ار ﴾ بدلائله وامارته الخفية ﴿ فلا علمت ما رأيت ﴾ لعدم وقوفى على علم الاستدلال ﴿ وقال عبد الله بن الزبير لا عاش بخير ﴾ خبر اودعاء عليه ﴿ من لم ير برأيه ما لم ير بعينه وقال ابن الرومى ﴾ هو ابو الحسن على بن العباس كان من اطبع الشعراء الاسلامية ومن غرائب الوجود فى تقبيح الحسن وتحسين القبيح والقدرة على الاتيان بالمعانى الغريبة قال الخالديان ما رأينا امرأ اعجب من امر ابن الرومى فانه يخترع المعنى فيجيده ولا يترك فيه زيادة لغيره فاذا تناول معنى من غيره قصر فيه ولم يأت به كالذى اخذه منه قال الصفدى والعلة فى هذا انه شاعر جيد دقيق النظر صحيح الذوق حسن التخيل فاذا طرق المعنى بكرا اتى به فى غاية الحسن فالذى يأتى بعده لم يجد فيه فضلة واما هو فلا يرى ان يأخذ الا المعانى الجيدة من الفحول واولئك قد سبقوه اليها فلا يكون له فيها فضيلة تولد فى بغداد وتوفى سنة ثلاث وثمانين ومائتين سممه وزير المعتضد قاسم بن عبد الله لخوفه هجائه . من الخفيف ﴿ المعى يرى باول رأى ﴾ يعنى من غير تفكر ولا تدبر ﴿ آخر الامر ﴾ مفعول يرى اى غايته ﴿ من وراء المغيب ﴾ مصدر بمعنى الفاعل اى من وراء الساتر يعنى يرى المجمل والدقيق والالمعى هو الذى يظن بك الظن ولا يخطئ وهو اليلمعى من اللمعان كأنه يلمع لذكائه وجودة فطنته وقال اوس بن حجر * الالمعى الذى يظن بك الظن كان قد رأى وقد سمعا * قال بن احمد الالمعى احسن مما بينه اوس فاذا سئلت ما الالمعى فانشد بيته تأت بالجواب الشافى ﴿ لوذعى له فؤاد ذكى ماله فى ذكائه من ضريب ﴾ اى شبيه حتى يضرب به المثل ويشبه به اللوذع على وزن جوهر يقال رجل لوذع ولوذعى اى خفيف ذكى ظريف ذهن حديد الفؤاد لسن فصيح ﴿ لا يروى ﴾ من رويت فى الامر اذا نظرت وتفكرت فيه يعنى لا يتفكر لاعتماده على بداهته ورأيه السديد ﴿ ولا يقلب طرفا ﴾ لمتانته فى عزمه وشجاعته ﴿ واكف الرجال فى تقليب ﴾ الجملة حالية يعنى يقلبون اكفهم لتحيرهم وفزعهم ﴿ واذا كان العالم فى توسيم المتعلمين بهذه الصفة وكان بقدر استحقاقهم خبيرا ﴾ حيث علمهم مقدمات العلوم ومداخلها ﴿ لم يضع له ﴾ اى لذاته ونفسه ﴿ عناء ولم يخب ﴾ من الخيبة اى لم يخسر ﴿ على يديه صاحب ﴾ اذ لم يحمل عليهم فوق وسعهم ولم يخلهم من الاستفادة ﴿ وان لم يتوسمهم وخفيت عليه احوالهم ومبلغ استحقاقهم كانوا واياه ﴾ اى معه ﴿ فى عناء مكد وتعب غير مجد ﴾ اسم فاعل من اكدى الرجل اى قل خيره واجدى اى اغنى يعنى فى مشقة وتعب لا يفيد فائدة ﴿ لانه لا يعدم ان يكون فيهم ذكى محتاج الى الزيادة وبليد يكتفى بالقليل فيضجر الذكى منه ويعجز البليد عنه ومن يردد اصحابه بين عجز وضجر ملوه ﴾ لعدم حسن استماعهم وتثاوب بعضهم ﴿ وملهم ﴾ لان رعايته احوال الاذكياء

يمل البداء وبالعكس والملل السآمة ولذا قال عمر وبن العاص ثلاثة لااملهم جليسى مافهم عنى ودابتى ماحملت رجلى وثوبى ماسترعورتى وقالت امرأة لزوجها مالك اذا خرجت الى اصحابك تطلقت وتحدثت واذا كنت عندى تعقدت واطرقت قال لانى اجل عن دقيقك وتدقين عن جليلى ونشاط القائل على قدر فهم المستمع وقال بعض العلماء اذا انكر القائل عينى المستمع فليستفهم عن منتهى حديثه وعن السبب الذى اجرى ذلك القول له فان وجده قد اخلص له الاستماع اتم له الحديث وان كان لاهيا عنه حرمه حسن الحديث ونفع المؤانسة وعرفه بسوء الاستماع والتقصير فى حق المحدث وذم بعض الحكماء رجلا فقال يجزم قبل ان يعلم ويغضب قبل ان يفهم كما فى البيان ﴿ وقد حكى عبدالله بن وهب ان سفيان بن عبدالله قال قال الخضر لموسى عليهما السلام ﴾ وموسى هو ابن عمران بن يصهر بن قاهث بن لاوى بن يعقوب بن اسحق بن ابراهيم عليه السلام وعمر موسى مأة وعشرين سنة وقال الفربرى مأة وستين سنة وكانت وفاته فى التيه فى سابع اذار لمضى الف سنة وستمأة وعشرين سنة من الطوفان والخضر بفتح فكسر لقبه ويجوز اسكان الضاد مع كسر الخاء وفتحها قال ابن قتيبة هو بليا بن ملكان بن فالغ بن عابر بن شالخ بن ارفخشد بن سام بن نوح عليه السلام وقيل خضرون بن عماييل بن الفتر بن عيص بن اسحق بن ابراهيم عليه السلام وفيه اقوال اخر واختلف فى انه نبى اوولى والصحيح انه نبى وجزم به جماعة وقال الثعلبى هو نبى على جميع الاقوال معمر محجوب عن الابصار لقوله تعالى حكاية عنه ومافعلته عن امرى فدل على انه نبى اوحى اليه ولانه كان اعلم من موسى فى علم مخصوص ويبعد ان يكون ولى اعلم من نبى وان كان يحتمل ان يكون اوحى الى نبى فى ذلك العصر يأمر الخضر بذلك ولانه اقدم على قتل الغلام وماذلك الا للوحى فى ذلك الشخص بخصوصه ولايجوز للولى الاقدام على قتل النفس بمجرد مايلقى فى خلده لان خاطره ليس بواجب العصمة واختلف فى حياته ايضا فالجمهور على انه باق الى يوم القيامة قيل لانه دفن آدم بعد خروجهم من الطوفان فنالته دعوة ابيه بطول الحياة وقيل لانه شرب من عين الحياة قال ابن الصلاح وهو حى عند جماهير العلماء والصالحين والعامة معهم فى ذلك وانكر حياته جماعة منهم البخارى وابراهيم الحربى وابن المناوى وابن الجوزى كما فى العينى ﴿ ياطالب العلم ان القائل اقل ملالة من المستمع ﴾ لان القائل يتخفف بالقاء ماعنده واحدا واحدا فيتفرج والمستمع يتثقل باخذه وتلقنه فيسأم ﴿ فلاتمل جلساءك اذا حدثتهم ياموسى واعلم ان قلبك وعاء فانظر ماتحشو فى وعائك ﴾ من حشا الوسادة اذا ملأها ﴿ وقال بعض الحكماء خير العلماء من لا يقل ﴾ من الاقلال اى ضجرا اوعجزا اوعيا ﴿ ولايمل ﴾ اى بتطويله الكلام اوالدرس اوبكثرة تكراره وقد وقع تكرار النبى صلى الله عليه وسلم الى الثلاثة حيث اهتم به ﴿ وقال بعض العلماء كل علم كثر على المستمع ولم يطاوعه الفهم ازداد القلب به عمى وانماينفع سمع الآذان اذا قوى فهم القلوب فى الابدان ﴾ ولايمكن تمام الفهم الامع تمام فراغ البال ﴿ وربماكان لبعض السلاطين رغبة فى العلم لفضيلة نفسه وكرم طبعه فلايجعل ﴾ العالم ﴿ ذلك ذريعة فى الانبساط عنده والادلال عليه بل يعطى مايستحقه بسلطانه وعلويده فان للسلطان حق الطاعة والاعظام وللعالم حق القبول والاكرام ثم لاينبغى ان يبتدأه ﴾ بالتذكير ﴿ الا بعد الاستدعاء ولايزيده على قدر الاكتفاء فربما احب بعض

وادخال اللام على الخضر مع كونه علما لان العلم قد يتأول بواحد من الامة المساوية فيجرى مجرى رجل وفرس ثم بعض الاعلام دخول اللام عليه لازم نحو النجم للثريا وبعضها غير لازم نحو الحارث والخضر من هذا القسم وايضا العلم اذا لوحظ فيه معنى الوصف يجوز ادخال اللام عليه كالعباس والحسن وغيرهما منه

العلماء اظهار علمه للسلطان ﴾ لنيل الدرجات والمناصب ﴿ فا كثرهم فصار ذلك ذريعة الى ماله ومفضيا الى بعده ﴾ منه او من العلم ان ظن ان جميع العلماء كذلك ﴿ فان السلطان متقسم الافكار مستوعب الزمان ﴾ بعظائم الامور ﴿ فليس له في العلم فراغ المنقطعين اليه ولا صبر المنفردين به وقد حكى الاصمعي قال قال لي الرشيد يا عبد الملك انت اعلم منا ونحن اعقل منك لا تعلمنا في ملاء ﴾ لما فيه من خجل التفريط في اوانه ﴿ ولا تسرع الى تذكيرنا في خلاء واتركنا حتى نبتدأك بالسؤال فاذا بلغت من الجواب حد الاستحقاق ﴾ اي حد ما يستحقه ذلك السؤال ﴿ فلا تزد ﴾ في الجواب ﴿ الا ان نستدعي ذلك ﴾ الزيادة ﴿ منك وانظر الى ما هو الطف في التأديب وانصف في التعليم ﴾ معطوف على الطف اوعلى وانظر ﴿ وبلغ باوجز لفظ ﴾ مقوم ﴿ غاية التقويم وليخرج تعليمه ﴾ اياه ﴿ مخرج المذاكرة والمحاضرة لا مخرج التعليم والافادة لان لتأخير التعلم خجلة تقصير يجل السلطان عنها ﴾ ان كان ما تعلمه من مقدمات العلوم واما ان كان من المقاصد فالولع بالعلم كمال وفضيلة ولذا قال ﴿ فان ظهر منه خطأ اوزلل في قول او عمل لم يجاهره بالرد وعرض باستدراك زلله واصلاح خلله ﴾ والتعريض في الكلام هو ما يفهم به السامع مراده من غير تصريح ﴿ وحكى ان عبد الملك بن مروان قال للشعبي كم عطاءك ﴾ بدل عطاؤك ﴿ قال الفين قال ﴾ عبد الملك ﴿ لحنت قل ﴾ الشعبي ﴿ لما ترك امير المؤمنين الاعراب كرهت ان اعرب كلامي عليه ﴾ واوصى الرشيد مؤدب ولده الامين فقال ان امير المؤمنين قد دفع اليك مهجة نفسه وثمرة قلبه فصير يدك عليه مبسوطة وطاعتك عليه واجبة فكن له بحيث وضعك امير المؤمنين اقرأه القرآن وعرفه الآثار وروه الاشعار وعلمه السنن وبصره مواقع الكلام وامنعه الضحك الا في اوقاته ولا تمر بك ساعة الا وانت مغتنم فيها فائدة تفيد هاله من غير ان تخرق به فتميت ذهنه ولا تمعن في مسامحته فيستحلي الفراغ ويألفه وقومه ما استطعت بالقرب والملاينة فان اباها فعليك بالشدة والغلظة وبالله توفيقكما ﴿ ثم ليحذر اتباعه ﴾ اي هوى السلطان ﴿ فيما يجانب الدين ويضاد الحق موافقة لرأيه ومتابعة لهواه فربما ذلت اقدام العلماء في ذلك ﴾ المتابعة ﴿ رغبة اورهبة فضلوا واضلوا مع سوء العاقبة وقبح الآثار وقد روى الحسن البصري رحمه الله قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم لا تزال هذه الامة تحت يد الله وفي كنفه ﴾ اي حفظه ووقايته ﴿ مالم يمار ﴾ من الممارة يقال مار فلانا اذا مر معه والمراد المشاة في الهوى ﴿ قراؤها امراءها ولم يزك ﴾ من التزكية ﴿ صلحاؤها فجارها ﴾ رغبة لدنياهم ﴿ ولم يمار اخيارها اشرارها فاذا فعلوا ذلك رفع ﴾ الله ﴿ عنهم يده ثم سلط عليهم جبابرتهم فساموهم سوء العذاب ﴾ اي عذبوهم به يقال سامه خسفا اي اولاه واراده عليه ﴿ وضربهم بالفاقة والفقر ﴾ اي عاقبهم وابتلاهم بهما فلا يشكر اغنياؤهم ولا يصبر فقراؤهم ولا يقنع اوساطهم ﴿ وملاء قلوبهم رعبا ﴾ وفزعا من اعدائهم فلا يستريحون نهارا ولا يأمنون ليلا ﴿ ومن آدابهم نزاهة النفس عن شبه المكاسب ﴾ اي بعد نفوسهم عن المكاسب المشتبهة ﴿ والقناعة بالميسور عن كد المطالب فان شبهة المكسب اثم وكد الطلب ذل والاجرا جدر به من الاثم والعز اليق به من الذل والشدني بعض اهل الادب لعلي بن عبد العزيز ﴾ الجرجاني ﴿ القاضي رحمه الله ﴾ يحكى انه كان يمر على الناس ولا يسلم عليهم فلامه بعض اصحابه في ذلك

فقال . من الطويل ﴿ يقولون لى فيك انقباض وانما . رأوا رجلا عن موقف الذل احجما ﴾ اى تأخر وتباعد عن الذل واراد بالرجل نفسه . وبين سبب بعده عنهم بقوله ﴿ ارى الناس من داناهم هان عندهم . ومن اكرمته عزة النفس اكرما ﴾ اى ومن صيرته عزة نفسه كريما صار كريما عندهم يعنى ان من لم يصن عزة نفسه وتملق بالناس هان وحقر عندهم ومن صانها وتنزه عنهم صار مكرما عندهم وان كان فيه ضياع بعض الحقوق وسبب الترجيح قوله ﴿ ولم اقض ﴾ اى كنت لم اقض ﴿ حق العلم ان كان كلما . بدا طمع صيرته لى سلما ﴾ لوصول ذلك الطمع والسلم بضم وتشديد المرقاة والدرجة ﴿ وما كل برق لاح لى يستفزنى ﴾ اى يستخفنى بازالة طمانيتى ورزانتى واراد بالبرق متاع الدنيا من المال والجاه بجامع سرعة الزوال ﴿ ولا كل من لاقيت ارضاه منعما ﴾ اياى ويكون له على يد لدناءة نفسه اوللآمة اصله ﴿ اذا قيل هذا منهل قلت قد ارى ﴾ ذلك المنهل وهو عين ماء ترده الابل فى المراعى والناهل العطشان والريان ايضا وهو من الاضداد وبابه طرب ﴿ ولكن نفس الحر تحتمل الظما ﴾ اى الفقر والضرورة قال السيد الشريف الحرية فى اصطلاح اهل الحقيقة الخروج عن رق الكائنات وقطع جميع العلائق عن الاغيار وهى على مراتب حرية العامة عن رق الشهوات وحرية الخاصة عن عن رق المرادات لفناء اراداتهم فى ارادة الحق (١) وحرية خاصة الخاصة عن رق الرسوم والآثار لا نمحاقهم فى تجلى نور الانوار * وانى اذا مافاتنى الامر لم ابت . اقلب كفى اثره متندما * يعنى وانا صبور لا اجزع لاضاعتى شيئا من امر الدنيا ﴿ انهنهها ﴾ مضارع متكلم من نهنه فلانا عن الامر اذا كفه وزجره عنه والضمير للنفس ﴿ عن بعض مالا يشينها . مخافة اقوال العدا ﴾ بضم العين وكسرها اسم جمع من العدو ﴿ فيم اولما ﴾ الفه للاشباع وفى بمعنى اللام يعنى اترك بعض مالا اعاب بطلبه وفعله مخافة اقوال المنافسين لم نال هو ونحرم نحن وذلك هو تمام النزاهة وكمال المروءة لان التباعد عما يشين لايكون الا بترك بعض مالا يشين وهذا محل الاستشهاد ﴿ ولم ابتذل فى طلب العلم مهجتى ﴾ بضم فسكون الروح ودم القلب اراد به العمر والحياة ﴿ لاخدم من لاقيت لكن لاخدما ﴾ الاول معلوم والثانى مجهول يقال خدمه من الباب الثانى والاول اذا عمل له واراد به ما كانت على طريق التملق وتذليل النفس لا ماهو لله اولحمية ورقة بقرينة قوله ﴿ أاشقى به غرسا واجنيه ذلة ﴾ الشقاوة ضد السعادة من باب علم والاستفهام للانكار واراد بغرس العلم تحصيله وبا جتنائه بلوغه الى حد الكمال فيه وبين به حال المتملق الذى لايقتطف من علمه الا الحقارة ففيه تشبيه علم من يتملق بشجرة ذات شوك يتملق بكل ماقرب اليه ولا ثمرة لها ولذا قال ﴿ اذا فاتباع الجهل قد كان احزما ﴾ اذ يخدم اهله كثير من اهل العلم ويروى اسلما اى من اتباع العلم * فان قلت زند العلم كاب فانما . كباحين لم تحرس حماه واظلما * الزند المورى (٢) ومنه مايتخذه اهل البادية من المرخ والعفار كما قال الله تعالى الذى جعل لكم من الشجر الاخضر نارا فاذا انتم منه توقدون . واضافته الى العلم من اضافة المشبه به الى المشبه وكاب اسم فاعل من كبا الزند اذا لم يور وقوله فانما اى فاقول انما كبا حين لم تحرس حماه واظلم اى صار ذا ظلمة ﴿ ولو ان اهل العلم صانوه صانهم ﴾ اى لو حفظوا حق العلم حفظهم العلم عن الابتذال ﴿ ولو عظموه فى النفوس ﴾ اى فى

(١) قال الحافظ . ميل من سوى وصال او قصد او سوى فراق . ترك كام خود كرفتم تا بر آيد كام دوست . منه

(٢) اسم آلة من ورى الزند اذا اخرجت ناره منه

(نفوسهم)

نفوسهم بافعالهم واخلاقهم وتنزهوا عن تقبيل الاذيال ﴿ لعظما ﴾ علمهم فى نظر الناس وعظموا وفى ثمرات الاوراق قال شيخ الاسلام تاج الدين السبكي لقد صدق هذا القائل ولو عظموا العلم عظمهم قال وانا اقرأ قوله لعظما بفتح العين فان العلم اذا عظم تعظم وهو فى نفسه عظيم ولكن اهانوه فهانوا ولكن الرواية فهان وعظم بضم العين والاحسن ما اشرت اليه انتهى ﴿ ولكن اهانوه فهان ﴾ العلم ويروى اذلوه ﴿ ودنسوا محياه بالاطماع حتى تجهما ﴾ اى ودنسوا وجهه الحسن باطماعهم واغراضهم الفاسدة وما زالوا يفعلون كذلك حتى تجهم واستقبل العالم لمن يواجهه بوجه كريه لا يرغب اليه راغب ولا يطلبه طالب حذرا عن ان يكونوا مثلهم لزعمهم ان غاية العلم التملق . والابيات باعتبار مجموعها كما قال البحترى * ويا عاذلى فى عبرة قد سفحتها . لبين واخرى قبلها للتحبب * تحاول منى شيمة غير شيمتى . وتطلب منى مذهبا غير مذهبى * وكما ان شيمة العاشق البكاء شيمة العالم النزاهة ولا يلام لها بل يهان على طرحها ﴿ على ان العلم ﴾ استدراك واضراب من قوله والعز اليق به ﴿ عوض من كل لذة ومغن عن كل شهوة ﴾ غير ضرورية ﴿ ومن كان صادق النية فيه لم يكن له همة فيما يجد بدا منه ﴾ كالاكثار من الاطعمة والاشربة والانكحة والتوسعة فى المساكن ونحوها وقد احسن التاج السبكي حيث يقول * سهرى لتنقيح العلوم الذلى . من وصل غانية وطيب عناق * وتمايلى طربا لحل عويصة . عندى لاشهى من مدامة ساق * وصرير اقلامى على اوراقها (٣) احلى من الدوكاه والعشاق * والذ من نقر الفتاة لدفها . نقرى لالقى الرمل عن اوراقى ﴿ وقال بعض البلغاء من تفرد بالعلم لم توحشه خلوة ومن تسلى بالكتب ﴾ اى بما فيها ﴿ لم تفته سلوة ﴾ اى الفرح والنشاط ﴿ ومن آنسه قراءة القرآن لم توحشه مفارقة الاخوان ﴾ لما فيه من الاحكام والحكم والخواص العجيبة واللطائف الغريبة ما يغنى عن كل ما سواه ﴿ وقال بعض العلماء لا سمير كالعلم ﴾ السمر صحبة الليل والسمير مصاحب الليل يعنى العلم افضل كل مسامر ﴿ ولا ظهير كالحلم ﴾ لما فيه من سلامة العرض وراحة الجسد واجتلاب الحمد كما سيأتى فى فصله ﴿ ومن آدابهم ان يقصدوا وجه الله بتعليم من علموا ويطلبوا ثوابه بارشاد من ارشدوا من غير ان يعتاضوا عليه عوضا ولا يلتمسوا عليه رزقا قال الله تعالى ﴾ فى البقرة وغيرها ﴿ ولا تشتروا بآياتى ثمنا قليلا ﴾ قال الزمخشرى والاشتراء استعارة للاستبدال كقوله تعالى اشتروا الضلالة بالهدى يعنى ولا تستبدلوا بآياتى ثمنا والا فالثمن هو المشترى به والثمن القليل الرياسة التى كانت لهم فى قومهم خافوا عليها الفوات لو اصبحوا اتباعا لرسول الله عليه السلام فاستبدلوها وهى بدل قليل ومتاع يسير بآيات الله وبالحق الذى كل كثير اليه قليل وكل كبير اليه حقير فما بال القليل الحقير ﴿ قال ابو العالية ﴾ اسمه زياد بن فيروز وهو غير ابى العالية الرياحى واسمه رفيع بضم الراء وكلاهما بصريان تابعيان يرويان عن ابن عباس ﴿ لا تأخذوا عليه اجرا وهو ﴾ اى عدم الاخذ ﴿ مكتوب عندهم ﴾ اى عند بنى اسرائيل ﴿ فى الكتاب الاول ﴾ اى السابق على التوراة ﴿ يا ابن آدم علم مجانا كما علمت مجانا ﴾ وعن وهب قال الله عز وجل فيما يعيب به بنى اسرائيل تفقهون لغير الدين وتعلمون لغير العمل وتبتاعون الدنيا بعمل الآخرة ﴿ وروى عن النبى صلى الله عليه

(٣) ويروى على صفحاتها . الدوكاه والعشاق اسما نغمتين من نغمات الموسيقى منه

وسلم انه قال اجر المعلم كاجر الصائم القائم ﴾ وفى حديث آخر الصوم لى وانا اجزى به ﴿ وحسب من هذا اجره ان يلتمس عليه اجرا ﴾ غيره ﴿ ومن آدابهم نصح من علموه والرفق بهم وتسهيل السبيل عليهم ﴾ بابتدائهم بمقدمات العلوم وايضاح ماخفى عليهم ونحوه ﴿ وبذل المجهود فى رفدهم ﴾ بكسر الراء اسم يقال هو عظيم الرفد اى العطاء والصلة وبفتحها مصدر ﴿ ومعونتهم فان ذلك ﴾ البذل ﴿ اعظم لاجرهم واسنى لذكرهم ﴾ اى ارفع له ﴿ وانشر لعلومهم وارسخ لمعلومهم ﴾ من عطف المسبب على السبب ﴿ وقد روى عن النبى صلى الله عليه وسلم ﴾ كما رواه الطبرانى عن ابى رافع ﴿ انه قال لعلى كرم الله وجهه يا على لان ﴾ بفتح الهمزة واللام للقسم ﴿ يهدى الله بك ﴾ وفى رواية على يديك ﴿ رجلا خير ﴾ لك ﴿ مما طلعت عليه الشمس ﴾ وغربت لوفرض انك ملكته وتصدقته قال المناوى لان الهدى على يديه شعبة من الرسالة فله حظ من ثواب الرسل ﴿ ومن آدابهم ان لا يعنفوا متعلما ﴾ التعنيف اللوم بعنف وشدة ﴿ ولا يحقروا ناشئا ولا يستصغروا مبتدأ فان ذلك ادعى اليهم واعطف عليهم واحث على الرغبة فيما لديهم ﴾ وقال عتبة بن ابى سفيان لمعلم ولده ليكن اول اصلاحك لولدى اصلاحك لنفسك فان عيونهم معقودة بعينك فالحسن عندهم ماصنعت والقبيح عندهم ماتركت ﴿ وروى ﴾ كما روى البيهقى عن ابى هريرة ﴿ عن النبى صلى الله عليه وسلم انه قال علموا ﴾ بالرفق ﴿ ولا تعنفوا فان المعلم ﴾ بالرفق ﴿ خير من ﴾ المعلم ﴿ المعنف ﴾ فان الخير كله فى الرفق والشر كله فى ضده فلا يعنف سائلا عمالا يعرفه فان ظهر له خلاف ذلك فلا بأس بتأديبه ﴿ وروى ﴾ كما روى ابن النجار عن ابن عمر ﴿ عن النبى صلى الله عليه وسلم انه قال وقروا من تتعلمون منه ﴾ العلم ﴿ ووقروا من تعلمونه ﴾ قال المناوى فحق المعلم ان يجرى طلبته مجرى بنيه فانه لهم فى الحقيقة اب ومن توقيرهم ان لا يستعملهم فى قضاء حوائجه ﴿ ومن آدابهم ان لا يمنعوا طالبا ولا يؤيسوا متعلما ﴾ من التأييس او الايئاس وهو الاقناط ﴿ لما فى ذلك ﴾ المنع والاقناط ﴿ من قطع الرغبة فيهم والزهد فيما لديهم واستمرار ذلك مفض الى انقراض العلم بانقراضهم فقد روى ﴾ كما روى على بن ابى طالب ﴿ عن النبى صلى الله عليه وسلم انه قال الا انبئكم بالفقيه كل الفقيه ﴾ اى الكامل فى صفات الفقاهة لان كل اذا كانت نعتا لنكرة اومعرفة تدل على كماله فى جنسه وتجب اضافتها الى اسم ظاهر يماثله لفظا ومعنى نحو اطعمناشاة كل شاة وهم القوم كل القوم ﴿ قالوا بلى يارسول الله قال من لم يقنط الناس من رحمة الله تعالى ولا يؤيسهم من روح الله ﴾ وفى العينى ولا يؤمنهم من مكر الله ﴿ ولا يدع القرآن رغبة ﴾ عنه ﴿ الى ﴾ علم ﴿ ماسواه الا لاخير فى عبادة ليس فيها تفقه ولا ﴾ خير فى ﴿ علم ليس فيه تفهم ولا ﴾ فى ﴿ قراءة ليس فيها تدبر ﴾ قال ابو عمرو اكثرهم يوقفون الحديث على على وهو مرفوع من هذا الوجه ﴿ فهذه ﴾ المذكورات ﴿ جملة كافية ﴾ وجامعة لآداب العلم ﴿ والله ولى التوفيق ﴾ فنشكره على توفيقه للاتمام ونحمده على هدايته للاختتام ونصلى على رسوله محمد وعلى جميع الانبياء والمرسلين وعلى آله واصحابه اجمعين .

﴿ باب ادب الدين ﴾

الدين لغة الطاعة والجزاء ومنه مالك يوم الدين اى يوم الجزاء وفى الشرع وضع آلهى سائق

لذوى العقول باختيارهم المحمود الى ماهو خير بالذات من قبول ماهو عند الرسول صلى الله عليه وسلم . والدين والملة متحدان بالذات ومختلفان بالاعتبار فان الشريعة من حيث انها تطاع تسمى دينا ومن حيث انها تجمع عليها تسمى ملة ومن حيث انها يرجع اليها تسمى مذهبا وقيل الفرق بين الدين والملة والمذهب ان الدين منسوب الى الله تعالى والملة الى الرسول والمذهب الى المجتهد ﴿ اعلم ان الله تعالى انما كلف الخلق متعبداته ﴾ اى امرهم بما امر بعبادته فتفعل بمعنى استفعل نحو تنجزته اى طلبت نجازه اى حضوره والوفاء به والخلق بمعنى المخلوق وهو ماسوى الله تعالى وصفاته الا انه خص منه البعض وهو العقلاء منهم . قال الرازى العبادة هى التذلل ومنه طريق معبد اى مذلل وفى الشرع صارت اسما لكل طاعة اديت على وجه التذلل والنهاية فى التعظيم ثم نقول لابد فى كون الفعل عبادة من امرين احدهما غاية التعظيم ولذلك قلنا ان صلاة الصبى ليست بعبادة لانه لايعرف عظمة الله فلا يكون فعله فى غاية التعظيم والثانى ان يكون مأمورا به ففعل اليهودى ليست بعبادة وان تضمن نهاية التعظيم لانه غير مأمور به انتهى ﴿ والزمهم مفترضاته ﴾ اى جعل مافرضه وقدره لازما عليهم وادامه معهم فلذا يستحق تاركه اللوم والعتاب فى الدنيا والعقاب فى الآخرة ﴿ وبعث اليهم رسله ﴾ لايعرف عددهم الا الله لقوله تعالى منهم من قصصنا عليك ومنهم من لم نقصص عليك والرسول فى اللغة هو الذى امره المرسل باداء الرسالة بالتسليم اوالقبض وفى الشرع انسان بعثه الله الى الخلق لتبليغ الاحكام ﴿ وشرع لهم دينه ﴾ يقال شرع الله كذا من الباب الثالث اى جعله طريقا ومذهبا يعنى جعل الاسلام مذهبا لهم من قولهم دنت دينا اى اسلمت واضافته الى ضمير الجلالة للتعظيم بشأن المضاف فلذا يكفر جاحده ومستخفه ﴿ لغير حاجة ﴾ وهى مايرجع اليه عند العجز والنكتة فى تعويض التنوين عن المضاف اليه كمال تقديسه تعالى عن الحاجة حيث لم تنسب اليه اصلا واللام متعلق بكلف وشرع ﴿ دعته ﴾ اى ساقته ﴿ الى تكليفهم ﴾ والنفى راجع الى المقيد والقيد معا كما فى قوله . ولاترى الضب بها ينجحر ﴿ ولا من ضرورة قادته الى تعبدهم ﴾ لازائدة عند الحصر بين قال السيد فى حاشية الكشاف انها انما تقع بعد الواو العاطفة فى سياق النفى للتأكيد والتصريح بتعلق النفى بكل من المعطوف والمعطوف عليه كيلا يتوهم ان المنفى هو المجموع من حيث هو مجموع فيجوز حينئذ ثبوت احدهما (فان قلت) ليس هنا نفى حتى تكون لا زائدة فى سياقه (قلت) تضمن غير معنى النفى فجاز وقوع لا فى سياقه حيث صرح النحاة بجواز انا زيدا غير ضارب لكونه بمعنى لاضارب مع امتناع انا زيدا مثل ضارب والضرورة الحاجة وهى على ثلاثة اوجه احدها مايكون بطريق القهر والقسر كالشجر المتحرك بالريح الشديدة وثانيها مايكون مادة المعلول او مدارها منه كالخشب للسرير اوحفظ النار وثالثها مايمتنع وقوع خلافه ككون الجسم فى آن واحد فى مكانين والقود ضد السوق يقال قاد الدابة اذا جذبها من امامها فبينهما من صنعة الطباق مايسمى بالمقابلة والمراد بهما لازمهما من جلب منفعة اودفع مضرة . قال المتكلمون افعال الله تعالى ليست معللة بالاغراض سواء كانت راجعة اليه او الى غيره اذ يلزم الاستكمال بالغير وهو من سمات النقص وعلامة الحدوث تعالى الله عن ذلك علوا كبيرا ﴿ وانما قصد ﴾ اى اراد ﴿ نفعهم تفضلا منه عليهم كما تفضل بما لايحصى عدا ﴾ يقال احصى الشئ اذا عده او حفظه او عقله وادركه اى لايعد

عدا او لايحفظ ولايدرك عده فهو مفعول مطلق على المعنى الاول وتمييز على الاخيرين ﴿ من نعمه ﴾ بيان لما ومن النعم ماهى جلية ومنها ماهى خفية ومنها ماهى مغيب حكمتها عن عقول البشر فالنعمة كلى مشكك فكأنه زعم زاعم ان المباحات اعظمها لظهور نفعها وملائمتها للطبائع فرد ذلك بقوله ﴿ بل النعمة فيما تعبدهم به اعظم ﴾ مما اباحه عليهم ﴿ لان نفع ماسوى المتعبدات ﴾ كالمطاعم الشهية والمشارب الهنية والملابس العبقرية والمساكن المرضية والفرش الوطية والجوارى الوضية ونحوها ﴿ مختص بالدنيا العاجلة ﴾ يبقى فيها وتفنى لذاتها وحسرتها فيك وحسابها عليك ﴿ ونفع المتعبدات يشتمل على نفع الدنيا ﴾ كثناء العامة والمنزلة عندهم ﴿ والآخرة ﴾ كنيل الدرجات العلى والشفاعة الكبرى والفوز بالرؤية العظمى ﴿ وما ﴾ اى وكل نعمة ﴿ جمع نفع الدنيا والاخرة كان اعظم نعمة واكثر تفضلا ﴾ فالمتعبدات اعظم قال الجامى * بنزد مردد انا نعمت آنست. كنزوجانت بود جاويد مسرور * نه سيم وزركه چون كورت شود جاى. بماند همچو سنكت برسر كور ﴿ وجعل ماتعبدهم به مأخوذا من عقل متبوع ﴾ يحكم به عقولهم ان لم يمنعهم اهواؤهم ليكونوا على يقين فيما امروا به ولايضطروا الى اكراه عقولهم على تقليد لايرضاه نفوسهم ولا الى اجبار نفوسهم على مايأباه عقولهم وذلك فيما يدرك بالعقل ابتداء كمعرفة الصانع وعلمه وقدرته وسائر صفاته وكمعرفة وجوب تصديق الانبياء عليهم السلام عند مشاهدة معجزاتهم او عند وصول خبر صادق ونحوها مما يتوقف ثبوت الشرع عليها ﴿ وشرع مسموع ﴾ يحكم به الشرع فيما لايدرك بالعقل ابتداء ليكونوا على طمانية فيما عبدوا به لثبوته بالشرع ﴿ والعقل متبوع فيما لايمنع منه الشرع والشرع مسموع فيما لايمنع منه العقل ﴾ اذ يرد مؤولا ومصروفا عن ظاهره فيما منع منه العقل لان الدليل العقلى اصل للشريعة فلو ابطل بالشرع لزم ابطال الاصل بالفرع واذا بطل الاصل يلزم بطلان الفرع لانه ثبت به ولهذا وجب تأويل استوى فى قوله تعالى الرحمن على العرش استوى اى قدر عليه كما تقرر فى علم الكلام . ولما احتمل كون الظارف مخصصا اراد ان يبين انه قيد وقوعى لا احترازى فقال ﴿ لان الشرع لايرد بما يمنع منه العقل ﴾ حتى لايسمع فالشرع مسموع على كل حال منه آيات محكمات هن ام الكتاب واخر متشابهات ﴿ والعقل لايتبع فيما منع منه الشرع ﴾ كاخذ الربا وشرب قطرة من خمر ﴿ فلذلك ﴾ اى لكون العقل والشرع اصلى المتعبدات ﴿ توجه التكليف ﴾ وهو الزام الكلفة ﴿ الى من كمل عقله ﴾ ووصل الى مرتبة العقل بالملكة وقد سبق فى صدر الكتاب ان البلوغ اقيم مقامه . وقال الفقهاء يحكم ببلوغ الغلام بالاحتلام والانزال او الاحبال اى بجعل المرأة حبلى وببلوغ الجارية بالحيض والاحتلام او الحبل فان لم يوجد شئ من ذلك فاذا تم له ثماني عشر سنة ولها سبع عشر سنة يحكم بالبلوغ عند ابى حنيفة رحمه الله وعندهما والائمة الثلاثة اذا تم خمس عشر سنة فيهما وهو رواية عن الامام وبه يفتى لان علامة البلوغ لاتتأخر عن هذه المدة غالبا وادنى مدته له ثنتا عشر سنة ولها تسع سنين انتهى ﴿ فارسل رسوله ﴾ محمدا صلى الله عليه وسلم ﴿ بالهدى ﴾ بالقرآن او بالمعجزة ﴿ ودين الحق ﴾ والملة الحنيفية ﴿ ليظهره على الدين كله ﴾ ليغلبه على جميع الاديان المخالفة له ولعمرى لقد فعل فما بقى دين من الاديان الا وهو مغلوب مقهور بدين الاسلام وعن مجاهد اذا نزل عيسى عليه السلام لم يكن فى الارض الا دين الاسلام

﴿ ولو كره المشركون ﴾ لما فيه من محض التوحيد وابطال الشرك ﴿ فبلغهم رسالته ﴾ التى ارسل بها اليهم وهى الرسالة العامة لقوله تعالى وما ارسلناك الا كافة للناس ولم يكتم شيئا منها لقول عائشة رضى الله عنها من زعم ان محمدا صلى الله عليه وسلم كتم شيئا من الوحى فقد كذب لقوله تعالى يا ايها الرسـول بلغ ما انزل اليك كما ذكره البخارى ﴿ والزمهم حجته ﴾ اى اسكتهم بل ابكمهم بحجته الدالة على رسـالته حيث تحداهم باقصر سـورة من القرآن فعجز فصحاء اللسان العربى وبلغاءه باجمعهم عن الاتيان بما يساوى اقصر سورة منه فى فصاحتها وبلاغتها وفيهم من بلغ فيهما اعلى المراتب التى يعجز عن بلوغها كل من سـواهم من البشر ولا توجـد فوقها مرتبة يمكن استيلاء القوة البشرية عليها ووصول العقل الانسانى اليها وذلك انهم وجدوا القرآن يخبر عن غيوب مستقبلة تأتى طبق اخباره كوعده اتباع محمد عليه السلام بدخول مكة آمنين فجاء الامر كذلك ويخبر عن قصص الاولين وسير المتقدمين كما هى حكاية من شـاهدها وحضرها ويخبر عن الضمائر المكتومة وهو مع اتساع مجاله فى كل فن من اخبار واحكام ومواعظ وامثال واخلاق وآداب وترغيب وترهيب ومدح الاخيار وذم الفجار وتحذير من قبائح السجايا ومواقع الدنايا وتدبير السياسات ومراعاة الاوداء ومدافعة الاعداء ومجادلة الاخصام وتبكيت الطغام واقامة الدلائل على وجود البارى تعالى وتوحيده وعلى الحشر والنشر ودفع الشبه وازالة الريب ووصف دار النعيم واحوال سكانها ودار الجحيم واهوالها ووصف عالم السموات وما فى العالم العلوى من الآيات من كواكب وامطار وسـحائب وبروق ورعود وعجائب ووصف الارض وجبالها وسهولها وبحارها وينابيعها وانهارها وما اشتملت عليه من نباتات وحيوانات ومعادن وازهار واثمار واشجار واطيار وظلمات وانوار حتى يصح ان يقال انه لم يبق علما من علوم الاوائل والاواخر الا صرح به او اشار اليه على اساليب متنوعة وطرائق مبتدعة لم يقع فيه تناقض ولم يتخلله تضارب خاليا عن جميع العيوب خارجا بحسن نظمه عن مشـابهة كل اسلوب ليس له مثال يحتذى عليه ولا امام يقتدى به فلا هو من نوع القصائد العربية ولا من الاراجيز البدوية ولا من الخطب القسية ومع ذلك فهو فى العقول مسـتحسن وفى النفوس مستملح وفى الاذواق مستعذب وفى القلوب محبوب وللاسماع مألوف كلما تكرر حلا ومن اى الافواه سمعته علا وغلا فاتيان محمد عليه السلام به وهو امى ومن المحال عادة ان يأتى به اكبر العلماء واحذق الفلاسفة واعظم المؤرخين وادهى السياسيين دليل واضح على انه من عند الله تعالى ارسل محمدا به ليكون معجزة له تدل على تصديقه اياه كما فى الرسـالة الحميدية وقال الجاحظ فاذا رأت مكانه الشـعراء وفهمته الخطباء ومن تعبد للمعانى وتعود نظمها وتنضيدها وتأليفها وتنسـيقها واستخراجها من مدافنها واثارتها من اماكنها علموا انهم لا يبلغون بجميع ما معهم مما قد استفرغهم واستفرغ مجهودهم وبكثير ما قد خولوه قليلا مما يكون معه على البداهة والفجاءة من غير تقدم فى طلبه واختلاف الى اهله وكانوا مع تلك المقامات والسياسات ومع تلك الكلف والرياضات لا ينفكون فى تلك المقامات من بعض الاستكراه والزلل ومن بعض التعقيد والخطل ومن التفنن والانتشار ومن التشديق والاكثار ورأوه عليه السلام مع ذلك يقول اياى والتشادق وابغضكم الى الثرثارون المتفيهقون ثم لما رأوه فى جميع دهره فى غاية التسديد والصواب التام والعصمة الفاضلة والتأييد الكريم علموا

ان ذلك من ثمرة الحكمة ونتاج التوفيق وان تلك الحكمة من ثمرة التقوى والاخلاص ونتاج النبوة انتهى وقال بعض شعراء النبي صلى الله عليه وسلم * لولم تكن فيه آيات مبينة . كانت بداهته تنبيك بالخبر ﴿ وبين لهم شريعته ﴾ اى اظهر وافهم لهم الائتمار بالتزام العبودية وقيل الشريعة هى الطريق فى الدين ﴿ وتلا عليهم كتابه ﴾ الذى انزل عليه ﴿ فيما احله ﴾ والحلال ما اطلق الشرع فعله مأخوذ من الحل وهو الفتح وحكمه انه لايعاقب عليه باستعماله ﴿ وحرمه ﴾ يقال حرمه الله اى جعله حراما والحرام مامنع الشرع فعله ويعاقب على استعماله يقال حرم الشئ حراما من الباب الخامس اذا كان ممنوعا فهو مقابل للحلال تقابل التضاد ﴿ واباحه ﴾ والاباحة هى الاذن باتيان الفعل كيف شاء الفاعل يقال ابحتك الشئ اى احللته لك وجعلتك مخيرا ﴿ وحظره ﴾ يقال حظر الشئ وحظر عليه من الباب الاول اذا منعه وحجره والحظر مايثاب بتركه ويعاقب على فعله ﴿ واستحبه ﴾ اى جعله مستحبا وهو اسم لما شرع زيادة على الفرض والواجب وقيل المستحب مارغب فيه الشارع ولم يوجبه مأخوذ من استحبه عليه اى آثره ﴿ وكرهه ﴾ يقال كرّه اليه اذا صيره كريها من حيث الطبع او العقل او الشرع والمكروه ماراجح الترك فيه فان كان الى الحلال اقرب تكون تنزيهية ولا يعاقب على فعله وان كان الى الحرام اقرب تكون تحريمية ﴿ وامر به ﴾ والامر عند الاصوليين لفظ طلب به الفعل جزما بوضعه له استعلاء وموجب صيغته الوجوب فقط على المختار اى لا الندب ولا الاباحة ولا غيرها عندنا اذا لم توجد قرينة على خلافه صرفا للمطلق على الكامل وقيل الندب وقيل الاباحة وقيل التوقف ويستعمل فى كل منهما اى الندب والاباحة وفى معان اخر على مابين فى الاصول ﴿ ونهى عنه ﴾ والنهى لفظ طلب به الكف بوضعه له استعلاء وهو يوجب دوام الترك الا لدليل يدل على انتفاء الدوام كقوله تعالى ولا تقربوا الصلاة وانتم سكارى ويقتضى القبح بمعنى كون المنهى عنه متعلق الذم عاجلا اى فى الدنيا ومتعلق العقاب آجلا اى فى العقبى والقبح اما لعين المنهى عنه كالكفر واما لغيره كصوم الايام المنهية والبيع وقت النداء ويستعمل فى الحرمة والكراهة * اعلم ان المصنف رحمه الله بين ههنا صفة فعل المكلف المعتبر فيه المقاصد الاخروية كالاحكام الخمسة من الوجوب والحرمة والندب والاباحة والكراهة ووجه الضبط فيما ذكره انه ان كان الفعل اولى من الترك عند الشارع مع المنع من الترك بدليل قطعى ففرض ومع المنع من الترك بدليل ظنى فواجب (١) وان كان الفعل راجحا بلا منع من الترك فسنة ان كان ذلك الفعل طريقة مسلوكة فى الدين مما واظب عليه النبى صلى الله عليه وسلم اوخلفاؤه الراشدون من بعده وان لم يكن طريقة مسلوكة فى الدين فمندوب اومستحب ويسمى نفلا ايضا والفرق بينهما ان المستحب يجتمع مع الكراهة دون المندوب وان كان ترك الفعل راجحا على فعله مع المنع من اتيانه فحرام وبلا منع فمكروه وان استوى طرفا الاتيان والترك فى نظر الشارع فمباح وهو اخص من الحلال لان الحل يجامع الكراهة دون الاباحة واعم من مقابله وهو الحرام لصدق المباح على الكراهة التنزيهية دون الحرام ومن اسمائه الجائز ﴿ وما وعد به من الثواب لمن اطاعه ﴾ معطوف على قوله فيما احله واعادما لان الوعد والوعيد ليسا من فعل المكلف فتغاير المعطوف والمعطوف عليه ﴿ واوعد به من العقاب لمن عصاه ﴾ يقال وعده

(١) اى بدليل قطعى دلالته ظنية كما ان معنى قطعى قطعى الدلالة

الامر وبالامر عدة وموعدة اذا بشّره بالخير ويقال وعده وعيدا واوعده اذا هدده بالشر ﴿ فكان وعده ترغيبا و وعيده ترهيبا لان الرغبة تبعث على الطاعة والرهبة تكف عن المعصية والتكليف يجمع امرا بطاعة ونهيا عن معصية ولذلك ﴾ اى ولكون الرغبة باعثة والرهبة مانعة ﴿ كان التكليف ﴾ بالطاعة ﴿ مقرونا بالرغبة و ﴾ النهى عن المعصية مقرونا بـ ﴿ الرهبة وكان ما تخلل كتابه ﴾ يقال تخللهم اذا دخل بينهم ﴿ من قصص الانبياء السالفة واخبار القرون الخالية ﴾ اى الماضية ﴿ عظة واعتبارا تقوى معهما الرغبة وتزداد بهما الرهبة ﴾ الاعتبار هو النظر فى الحكم الثابت انه لاى معنى ثبت والحاق نظيره به وهذا عين القياس ويعرف تارة ان يرى الدنيا للفناء والعاملين فيها للموت وعمرانها للخراب ﴿ وكان ذلك ﴾ المذكور من الوعد والوعيد والموعظة ﴿ من لطفه بنا ﴾ معاشر الاسلام ﴿ وتفضله علينا فالحمد لله الذى نعمه لا تحصى وشكره لا يؤدى ﴾ لتوفرها وتتابعها ﴿ ثم جعل الى رسوله ﴾ اى الهم والقى الى قلبه ﴿ صلى الله عليه وسلم بيان ما كان مجملا ﴾ والمجمل هو ما خفى المراد منه بحيث لا يدرك بنفس اللفظ الا ببيان من المجمل سواء كان ذلك لتزاحم المعانى المتساوية الاقدام كالمشترك او لغرابة اللفظ كالهلوع او لانتقاله من معناه الظاهر الى ما هو غير معلوم فترجع الى الاستفسار ثم الطلب ثم التأمل كالصلاة والزكاة والربا فان الصلاة فى اللغة الدعاء وذلك غير مراد وقد بينها النبى صلى الله عليه وسلم بالفعل ويسمى هذا البيان عند الاصوليين بيان تفسير وهو ايضاح ما فيه خفاً من المشترك او المشكل او المجمل او الخفى ﴿ وتفسير ما كان مشكلا ﴾ والمشكل هو ما لا ينال المراد منه الا بتأمل بعد الطلب ﴿ وتحقيق ما كان محتملا ﴾ اى بيان حقيقة ما كان محتملا لمعنيين او اكثر ﴿ ليكون له صلى الله عليه وسلم مع تبليغ الرسالة ظهور الاختصاص به ﴾ اى بذلك الكتاب حتى يظهر جلالته وتصرفه فى وجوه الكلام ﴿ ومنزلة التفويض اليه ﴾ التى هى اعظم المنازل وذلك لانه لا ينطق عن الهوى ﴿ قال الله تعالى ﴾ فى سورة النحل وما ارسلنا من قبلك الا رجالا نوحى اليهم فاسئلوا اهل الذكر ان كنتم لا تعلمون بالبينات والزبر ﴿ وانزلنا اليك الذكر ﴾ اى الكتاب وقيل للكتاب الذكر لانه موعظة وتنبيه للغافلين ﴿ لتبين للناس ما نزل اليهم ﴾ يعنى ما نزل الله اليهم فى الذكر مما امروا به ونهوا عنه ووعدوا واوعدوا ﴿ ولعلهم يتفكرون ﴾ وارادة ان يصغوا الى تنبيهاته فيتنبهوا او يتأملوا ﴿ ثم جعل الى العلماء ﴾ والهم اليهم ﴿ استنباط ما نبه على معانيه واشار الى اصوله ﴾ بكتابه وسنة رسوله اللذين هما اصول الدين وينابيع الشريعة يقال استنبط الفقيه اذا استخرج الفقه الباطن والحكم الخفى بفهمه واجتهاده ﴿ بالاجتهاد فيه ﴾ الباء متعلق بالاستنباط يقال اجتهد فى الامر اذا جهد اى تحمل الجهد اى المشقة وفى الاصطلاح استفراغ المجهود اى بذل تمام الطاقة بحيث يحس من نفسه العجز عن المزيد عليه فى استنباط الحكم الشرعى الفرعى عن دليله ﴿ الى علم المراد ﴾ اى بذل تمام الطاقة الى وصول علم مراده تعالى ﴿ فيمتازوا بذلك ﴾ الاجتهاد ﴿ عن غيرهم ﴾ من الناس ﴿ ويختصوا بثواب اجتهادهم ﴾ روى البخارى عن عمرو بن العاص رضى الله عنه انه سمع رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول اذا حكم الحاكم فاجتهد) اى اذا اراد الحاكم ان يحكم فعند ذلك يجتهد لان الحكم متأخر عن الاجتهاد فلا يجوز الحكم

قبل الاجتهاد اتفاقا ويحتمل ان تكون الفاء فى قوله فاجتهد تفسيرية لاتعقيبية (ثم اصاب) بان وافق بما فى نفس الامر من حكم الله (فله اجران) اجر الاجتهاد واجر الاصابة (واذا حكم فاجتهد) اراد ان يحكم فاجتهد (ثم اخطأ) بان وقع ذلك بغير حكم الله (فله اجر) واحد وهو اجر الاجتهاد فقط وذلك الحكم مردود ولا يعمل به ﴿ قال الله تعالى ﴾ فى سورة المجادلة (واذا قيل انشزوا فانشزوا) انهضوا للتوسعة على المقبلين او انهضوا عن مجلس رسول الله اذا امرتم بالنهوض عنه ولا تملوا رسول الله بالارتكاز فيه او انهضوا الى الصلاة والجهاد واعمال الخير اذا استنهضتم ولا تفرطوا ﴿ يرفع الذين آمنوا منكم والذين اوتوا العلم ﴾ المؤمنين بامتثال او امره واو امر رسوله والعالمين منهم خاصة ﴿ درجات ﴾ عن عبد الله بن مسعود رضى الله عنه انه كان اذا قرأها قال يا ايها الناس افهموا هذه الآية ولترغبكم فى العلم ﴿ وقال الله تعالى ﴾ فى آل عمران ﴿ وما يعلم تأويله ﴾ اى تأويل ما تشابه ﴿ الا الله والراسخون فى العلم ﴾ اى لايهدى الى تأويله الحق الذى يجب ان يحمل عليه الا الله وعباده الذين رسخوا فى العلم اى ثبتوا فيه وتمكنوا وعضوا فيه بضرس قاطع ومنهم من يقف على قوله الا الله ويبتدئ والراسخون فى العلم يقولون ويفسرون المتشابه بما استأثر الله بعلمه وبمعرفة الحكمة فيه من آياته كعدد الزبانية ونحوه كما فى الكشاف والاستشهاد على الاول ﴿ فصار الكتاب اصلا ﴾ اى فاذا عرفت ذلك من ارسال الرسول بالحق وبيان الرسول ما كان مجملا واستنباط العلماء صار الكتاب اصلا والاصل ما يبتنى عليه غيره ولا يبنى هو على غيره وما ثبت حكمه بنفسه ويبنى عليه غيره ﴿ والسنة فرعا ﴾ والفرع خلاف الاصل وهو اسم لشئ يبنى على غيره وكون السنة فرعا مبنى على ما مر من قوله ثم جعل الى رسوله بيان ما كان مجملا فاللام للعهد فلا ينافى كون بعض السنة اصلا اى مثبتا لحكم شرعى بنفسها اوالفرعية فى جميعها اذ ثبت كونها مثبتا للحكم بالكتاب بقوله تعالى وما آتيكم الرسول فخذوه وما نهيكم عنه فانتهوا فهى فرع بالنسبة الى الكتاب واصل بالنسبة الى القياس والاجماع وباقسامها الثلاثة حجة على الكل من امته يجب عليهم اتباعه ﴿ واستنباط العلماء ايضاحا وكشفا ﴾ بالنسبة الى الكتاب والسنة وحجة وبرهانا بالنسبة الى مقلديهم قال عبد الحق محمد اللكنوى فى النافع الكبير اعلم ان النبى صلى الله عليه وسلم قد شرع الشرايع وبين الاحكام واظهر لنا الحلال والحرام ثم الصحابة المهديون لاسيما الخلفاء الراشدون صرفوا سعيهم فى اقامة المشروعات وايضاح الاحكام بالحجج الواضحات ثم انتقل ارث العلم الى طبقة التابعين ومنهم امامنا الاقوم ابو حنيفة الاعظم ثم الى من بعدهم الى زماننا هذا وممن اشتهر مذهبهم ودونت الكتب على مسلكهم الائمة الاربعة ومذاهب باقى المجتهدين قد اندرست لايوجد لها اثر ولا يروى بها خبر يستفسر الا ان الناس تفرقوا فى السلوك على هذه المذاهب وتفرقت البلاد فى شيوع المشارب فشاع مذهب مالك فى بلاد المغرب ومذهب الشافعى فى بلاد الحجاز ومذهب ابى حنيفه فى بلاد الهند والسند ثم ان علم امامنا قد انتقل بواسطة تلامذته ومن بعدهم الى بلاد شاسعة وتفرقت فقهاء مذهبنا فى مدن واسعة فنهم اصحابنا المتقدمون فى العراق ومنهم مشايخ بلخ ومشايخ خراسان ومشايخ سمرقند ومشايخ بخارا ومشايخ بلاد اخر كاصبهان وشيراز وطوس وزنجان وهمذان واستراباد وبسطام ومرغينان وفرغانه ودامغان وغير ذلك

من المدن الداخلة في اقاليم ماوراء النهر وخراسان وآذربايجان وخوارزم وغزنه وكرمان الى جميع بلاد الهند وغير ذلك من بلاد العرب والعجم وكلهم نشروا علم ابى حنيفة املاء وتذكيرا وتصنيفا وكانوا يتفقهون ويجتهدون ويفيدون ويصنفون فبقى نظام العلم على احسن النظام على ممر الدهور والاعوام الى حين قدر الله تعالى خروج جنكيز خان فوضع السيف وقتل العباد وخرب العلم واهلك البلاد ثم تلاه بنوه واحفاده فسارت الفقهاء الحنفية الذين نجوا من ظلمهم باهاليهم الى دمشق وحلب وديار مصر والروم فانتشر العلم هناك انتهى وقال عبد الوهاب الشعرانى في الميزان سمعت سيدى عليا الخواص يقول لولا ان السنة بينت لنا ما اجمل في القرآن ماقدر احد من العلماء على استخراج احكام المياه والطهارة ولاعرف كون الصبح ركعتين والظهر والعصر والعشاء اربعا ولا كون المغرب ثلاثا ولا كان يعرف كيفية صلاة العيدين والكسوفين ولاغيرها من الصلوات كصلاة الجنازة والاستسقاء ولا كان يعرف انصبة الزكاة ولا اركان الصيام والحج والبيع والنكاح والجراح والاقضية ولاسائر ابواب الفقه وقد روى البيهقى في باب صلاة المسافر من سننه عن عمر رضى الله عنه انه سئل عن قصر الصلاة في السفر وقيل له انا نجد في الكتاب العزيز صلاة الخوف ولا نجد صلاة السفر فقال للسائل يا ابن اخى ان الله تعالى ارسل بنا محمدا صلى الله عليه وسلم ولا نعلم شيئا وانما نفعل ما رأينا رسول الله صلى الله عليه وسلم يفعله قصر الصلاة في السفر سنة سنها رسول الله عليه السلام وقال في موضع آخر فكما ان الشارع بين لنا بسنته ما اجمل في القرآن فكذلك الائمة المجتهدون بينوا لنا ما اجمل في احاديث الشريعة ولولا بيانهم لنا ذلك لبقيت الشريعة على اجمالها وهكذا القول في اهل كل دور بالنسبة للدور الذين قبلهم الى يوم القيامة فان الاجمال لم يزل ساريا في كلام علماء الامة الى يوم القيامة ولولا ذلك ما شرحت الكتب ولا عمل على الشروح حواشى انتهى ﴿ وروى عن النبى صلى الله عليه وسلم انه قال القرآن اصل علم الشريعة نصه ودليله ﴾ بدلان من الاصل وتفسيرله ﴿ والحكمة ﴾ اى العلم النافع ﴿ بيان رسول الله صلى الله عليه وسلم ﴾ ذلك الاصل بقول او فعل او تقرير ﴿ والامة المجتمعة حجة على من شذ عنها ﴾ يقال شذ عنه اى استبد وانفرد عن الجمهور والاجماع في اللغة العزم والاتفاق وفي الاصطلاح اتفاق المجتهدين من امة محمد عليه الصلاة والسلام في عصر على امر دينى وايضا العزم التام على امر من جماعة اهل الحل والعقد وفي حديث ابن عمرو عند ابى داود وابن ماجة مرفوعا (العلم) النافع في الدين (ثلاثة آية محكمة) احكمت عبارتها بان حفظت من الاحتمال والاشتباه فكانت ام الكتاب فتحمل المتشابهات عليها وترد اليها ولايتم ذلك الا للماهر الحاذق في علم التأويل والتفسير الحاوى لمقدمات يفتقر اليها من الاصلين واقسام العربية (او سنة قائمة) اى ثابتة ودائمة بحفظ اسانيدها ومتونها من التغيير والتبديل باتقانها وتفهم معانيها واستنباط العلوم منها من قامت السوق اذا نفقت (او فريضة عادلة) اى مستقيمة مستنبطة من الكتاب والسنة والاجماع (وماسوى ذلك فهو فضل) لامدخل له في اصل علوم الدين بل ربما يستعاذ منه كقوله اعوذ بك من علم لاينفع كما في مقدمة القسطلانى وقال ابو بكر حميد القرطبى * ما العلم الا كتاب الله او اثر . يجلو بنور هداه كل ملتبس * فاعكف ببابهما على طلابهما . تمحو العمى بهما عن كل ملتمس * ورد بقلبك عذبا من حياضهما .

تغسل بماء الهدى مافيه من دنس * واقف النبي واتباع النبي وكن . من هديهم ابدا تدنو الى قبس * واسلك طريقهم واتبع فريقهم . تكن رفيقهم فى حضرة القدس * تلك السعادة ان تلمم بساحتها. فحط رحلك قدعوفيت من تعس ﴿ وكان من رأفته بخلقه ﴾ يقال رأف الله بك رأفة من الباب الثالث والرابع والخامس اى رحم رحمة اوالرأفة اشد الرحمة وارقها والمراد فى حقه تعالى غايتها اوهى صفة حقيقية له تعالى غير رقة القلب كما ان علمه غير علمنا على ماسبق تحقيقه فى البسملة ﴿ وتفضله على عباده ان اقدرهم على ماكلفهم ﴾ حيث لم يكلفهم بما ليس فى وسعهم ﴿ ورفع الحرج عنهم فيما تعبدهم ﴾ كرفع حكم الخطأ والنسيان وتيمم الجنب اذا خاف التلف من البرد ونحوها ﴿ ليكونوا مع ماقدا عده لهم ﴾ من نيل الدرجات ﴿ ناهضين بفعل الطاعات ﴾ اى قائمين عليها ﴿ ومجانبة المعاصى ﴾ اى كف النفس وجعلها فى جانب من المعاصى بعد تكمل اسبابها فالمجانبة من قبيل الفعل لامن قبيل الترك بمعنى عدم الاتيان به ابتداء اذلا حاجة فيه الى الاقدار ﴿ قال الله تعالى لايكلف الله نفسا الا وسعها ﴾ اى لايكلفها الا مايتسع فيه طوقه ويتيسر عليه دون مدى الطاقة والمجهود وهذا اخبار عن عدله ورحمته كقوله تعالى يريد الله بكم اليسر لانه كان فى امكان الانسان ان يصلى اكثر من الخمس ويصوم اكثر من الشهر ويحج اكثر من حجة وما ليس فى الوسع سواء كان ممتنعا فى نفسه كجمع الضدين اوممكنا فى نفسه لكن لايمكن للعبد كخلق الجسم لايكلف به اذ يلزم السفه واما ماي‍متنع بناء على ان الله تعالى علم خلافه اواراد خلافه كايمان الكافر وطاعة العاصى فلانزاع فى وقوع التكليف به لكونه مقدورا للمكلف بالنظر الى نفسه والامر فى قوله تعالى انبئونى باسماء هؤلاء للتعجيز لاللتكليف وقوله تعالى حكاية ربنا ولاتحملنا مالاطاقة لنا به ليس المراد بالتحميل هو التكليف بل ايصال مالايطاق من العوارض ﴿ وقال ﴾ فى الحج (وجاهدوا) امر بالغزو وبمجاهدة النفس والهوى وهو الجهاد الاكبر (فى الله) اى فى ذات الله اومن اجله (حق جهاده) يقال هو حق عالم وجد عالم اى عالم حقا وجدا (هو اجتباكم) اختاركم لدينه ونصرته ﴿ وما جعل عليكم فى الدين من حرج ﴾ اى ضيق بتكليف مايشتد القيام به عليكم وهذه الآية كالاستثناء عما قبلها وردع عما يفعله الرهابين من الرياضات الشاقة من عدم التكلم وترك الحيوانات والنساء او ماوضع عليكم فى الدين من حرج كالذى كان على بنى اسرائيل من الاصر وقتل انفسهم لقبول توبتهم ﴿ وجعل ماكلفهم ﴾ اى به او ما مصدرية ﴿ ثلاثة اقسام قسماً امرهم باعتقاده ﴾ والاعتقاد عبارة عن الحكم القطعى الجازم المطابق للواقع اوالواقع مطابق اياه كما قال المحققون مارأينا شيئا الا وقبله الحق فالاول مقام الطالبين وبرهان لم والثانى مقام الواصلين وبرهان ان ووصف الاعتقاد بالحق دون الصدق يؤيد الثانى حيث يقال اعتقاد حق وعقائد حقة والحق مايطابقه الواقع والصدق مايطابق الواقع ﴿ وقسماً امرهم بفعله وقسماً امرهم بالكف عنه ليكون اختلاف جهات التكليف ﴾ بالاعتقاد والفعل والكف ﴿ ابعث على قبوله واعون على فعله حكمة ﴾ بالغة ﴿ منه تعالى ولطفا ﴾ عظيما ﴿ بخلقه ﴾ اى حال كون الاقسام الثلثة عين حكمة ولطف على مايفيده هيئة غير المشتق اما كونه حكمة فلان الحكمة التى هى من صفات الله تعالى عبارة عن معرفة الاشياء وايجادها على غاية الاحكام والاتقان ولا شك ان التكليف بالاقسام الثلاثة احكم

(وامتن)

وامتن من التكليف باحدها او بقسميها لان للمكلف سرا وعلانية ولكل منهما فعلا وتركا فالاقسام اربعة الا ان الترك القلبي لما كان عبارة عن اعتقاد العدم ازلا وابدا دخل في قسم الاعتقاد فبقي ثلاثة اقسام واما كونه لطفا فلان الله تعالى ميزنا به عن البهائم واعلى به مقاديرنا بكونه سببا لمحبته تعالى وتزكيته وتحليته ايانا حتى يوصلنا الى جناته جنات النعيم والى رؤية جماله الجمال الكريم فشكرا على تكليفه وحمدا على امره ونهيه ﴿ وجعل ما امرهم باعتقاده قسمين قسما اثباتا وقسما نفيا فاما الاثبات ﴾ وهو الحكم بثبوت شئ ﴿ فاثبات توحيده ﴾ اى فمعرفة كون ذاته واحدا حق المعرفة والحكم به ﴿ و ﴾ اثبات ﴿ صفاته ﴾ الثبوتية من كون الذات الواجب الوجود القديم الحى القادر السميع العليم البصير المتكلم الشائى المريد قال الاصفهانى اجمع المسلمون على ان معرفة الله تعالى واجبة ثم افترقوا فرقتين فرقة قالوا طريق معرفة الله تعالى انما هو الرياضة وتصفية الباطن وهذا مذهب الصوفية واصحاب الطريقة وفرقة قالوا طريق معرفة الله تعالى انما هو النظر وهو الفكر وهو قول الاشاعرة والمعتزلة فالنظر واجب عندنا بالشرع وعند المعتزلة بالعقل لان شكر الله واجب عقلا وقال القسطلانى قال الزركشى اختلف فى التقليد فى ذلك على مذاهب احدها وهو قول الجمهور المنع للاجماع على وجوب المعرفة وبقوله تعالى فاعلم انه لا اله الا الله فامر بالعلم بالوحدانية والتقليد لا يفيد العلم وقد ذم الله تعالى التقليد فى الاصول فقال انا وجدنا آباءنا على امة وانا على آثارهم مقتدون وحث على السؤال فى الفروع بقوله فاسئلوا اهل الذكر ان كنتم لا تعلمون والثانى الجواز لاجماع السلف على قبول كلمتى الشهادة من الناطق بهما ولم يقل احدله هل نظرت او تبصرت بدليل والثالث يجب التقليد وان النظر والبحث فيه حرام والقائل بهذا المذهب طائفتان طائفة ينفون النظر ويقولون النظر لا يفضى الى العلم فالاشتغال به حرام وطائفة يعترفون النظر لكن يقولون ربما اوقع النظر فى هذا فى الشبه فيكون ذلك سبب الضلال لنهيهم عن علم الكلام والاشتغال به ولا شك ان منعهم منه ليس هو لانه ممنوع مطلقا كيف وقد قطع بانه من فروض الكفايات وذكر البيهقى فى شعب الايمان هذا وقال وكيف يكون العلم الذى يتوصل به الى معرفة الله وصفاته ومعرفة رسله والفرق بين النبى الصادق والمتنبى مذموما او مرغوبا عنه ولكن لاشفاقهم على الضعفة ان لا يبلغوا ما يريدون منه فيضلوا نهوا عن الاشتغال به ونقل عن الاشعرى ان ايمان المقلد لا يصح وانه يقول بتكفير العوام وانكره الاستاذ ابو القاسم القشيرى وقال هذا كذب وزور من تلبيسات الكرامية وسوء ظنهم على العوام وقال ابو منصور فى المقنع اجمع اصحابنا على ان العوام مؤمنون عارفون بالله تعالى وقد حصل لهم من النظر القدر الكافى فان فطرهم جبلت على توحيد الصانع وقدمه وحدوث الموجودات وان عجزوا عن التعبير عنه على اصطلاح المتكلمين وقد كان النبى صلى الله عليه وسلم يكتفى من الاعراب بالتصديق مع العلم بقصورهم عن معرفة النظر بالادلة انتهى وقال الجلال الدوانى قلت انهم لم يكلفوهم بالنظر من اول الامر بل كلفوهم اولا بالاقرار والانقياد ثم علموهم ما يجب اعتقاده فى الله وصفاته وكانوا يفيدون لهم المعارف الالهية فى المحاورات والمواعظ والخطب على ما يشهد به الاخبار والآثار غاية الامر انهم ببركة صحبة النبى صلى الله عليه وسلم واصحابه والتابعين وقرب الزمان بزمانه عليه

السلام كانوا مستغنين عن ترتيب المقدمات بحيث ينطبق على القواعد المدونة ولكنهم كانوا عالمين بالدلائل الاجمالية بحيث لم يكن الشبه والشكوك متطرقة الى عقائدهم والحاصل انهم كانوا متيقنين بالمعارف الالهية ويرشدون غيرهم الى طريق تحصيل اليقين حسبما يقتضيه استعداداتهم قال الاعرابي البعرة تدل على البعير واثر الاقدام على المسير افسماء ذات ابراج وارض ذات فجاج تدلان على اللطيف الخبير جل جلاله وقال بعض العارفين حين سئل بم عرفت ربك فقال عرفت بواردات تعجز النفس عن عدم قبولها وقال جعفر الصادق عرفت الله بنقض العزائم وفسخ الهمم وانت اذا تأملت واحطت بجوانب الكلام علمت ان الاشتغال بعلم الكلام من قبيل الفروض الكفاية وماهو فرض عين هو تحصيل اليقين بما يبلج به صدره ويطمئن به نفسه وان لم يكن دليلا تفصيليا انتهى ﴿ واثبات بعثته رسله ﴾ العظام وانبيائه الكرام مبشرين ومنذرين ومبينين للناس مايحتاجون اليه من امور الدنيا والدين روى ان النبي صلى الله عليه وسلم سئل عن عدد الانبياء عليهم السلام فقال مأة الف واربع وعشرون الفا و في رواية مئتا الف واربع عشرون الفا والاولى ان لايقتصر على عدد في التسمية فقد قال الله تعالى منهم من قصصنا عليك ومنهم من لم نقصص عليك ولايؤ من في ذكر العدد ان يدخل فيهم من ليس منهم او يخرج منهم من هو منهم وكلهم كانوا مخبرين مبلغين عن الله تعالى صادقين ناصحين لئلا يبطل فائدة البعثة والرسالة ﴿ وتصديق محمد صلى الله عليه وسلم فيما جاء به ﴾ اى في جميع ما اتى به صلى الله عليه وسلم من عند الله على ان الموصول للاستغراق لان الايمان بالبعض مع الكفر ببعض آخر ليس بايمان والتفعيل ههنا لنسبة المفعول الى اصل الفعل وتسميته به يقال صدقته اى نسبته الى الصدق وقلت هو صادق في جميع ما اتى به وهو سيد العالمين وسند العالمين محمد بن عبدالله بن عبدالمطلب بن هاشم بن عبدمناف بن قصى بن كلاب (١) بن مرة بن كعب بن لؤى بن غالب بن فهر بن مالك بن النضر بن كنانة بن خزيمة بن مدركة بن الياس بن مضر بن نزار بن معد بن عدنان (٢) بن أد بن ادد بن الياس بن مضر بن اليسع بن الهميسع بن سحب بن جبل بن نبت بن سلمان بن حمد بن قيدار بن اسماعيل بن ابراهيم بن آزر بن ناخور بن اسروع بن ارغو بن فالورس بن فالق بن عاسر بن سبغ بن ارفخشد بن سام بن نوح بن لامك بن متوشح بن اخنوخ بن يادر بن مهلاييل بن قاين بن فانوش بن شيث بن آدم المخلوق من التراب صلى الله عليه وسلم ولد بمكة عام الفيل اوقبله بنحو ثلاثين يوما ومات ابوه لما اتى عليه شهران او سبعة اشهر ولما بلغ ستا ماتت امه وكان في حجر جده عبدالمطلب ثماني سنين فتوفى ووليه ابو طالب وذهب به الى الشام بعد ماتم له اثنتى عشرة سنة وعاد من بصرى وخرج اليها مرة اخرى مع ميسرة غلام خديجة رضى الله عنها لتجارة لها وتزوجها بعدما بلغ خمسا وعشرين سنة وبقيت عنده ثمانية عشر سنة ولما بلغ خمسا وثلاثين شهد بنيان الكعبة ولماتم له اربعون بعثه الله رحمة للعالمين بشيرا ونذيرا فما من شجر ولا حجر الا سلم عليه السلام عليك يارسول الله وفرض عليه التوحيد والتبليغ وقراءة القرآن ولما اتت عليه احدى وخمسون سنة وتسعة اشهر اسرى به وخص بالرؤية وفرض عليه خمس صلوات ولما بلغ ثلاثا وخمسين هاجر الى المدينة يوم الاثنين لثمان خلون من ربيع

(١) لقب به لانه كان يصيد بها كثيرا واسمه حكيم وكنيته ابوزهرة منه

(٢) وهذا هو النسب الصحيح المتفق عليه وقد رواه البيهقي عن انس عنه عليه الصلاة والسلام انه قال انا محمد بن عبدالله الى هنا كما في الجامع الصغير وما فوق عدنان فمختلف فيه كما في مفيد العلوم منه

الاول ودخلها يوم الاثنين واذن له بالجهاد فى السنة الثانية لمن ابتدأ به فى غير الاشهر الحرم والحرم ثم ابيح له فيهما ايضا واما الزكاة فقيل فرض قبله وقيل بعده وفرض الحج فى السنة السادسة او الخامسة وفيها بيعة الرضوان وفى الثامنة فتح مكة وفى العاشرة حجة الوداع وكانت وقفة عرفة فيها يوم الجمعة بالاجماع ولم يحج بعد الهجرة الا اياها وقبلها لم تضبط حجاته واعتمر اربعا وكانت غزواته سبعا وعشرين وسراياه ستا وخمسين وتزوج احدى وعشرين امرأة طلق ستا ومات عنده خمس فتوفى عن عشرة لم يدخل بواحدة منهن ولما بلغ ثلاثا وستين اختار الرفيق الاعلى يوم الاثنين وسط النهار لثنتى عشرة خلت من اول ربيعى سنة احدى عشرة ودفن ليلة الثلاثا او الاربعاء صلى الله عليه وسلم ﴿ واما النفى ﴾ وهو الحكم بعدم ثبوت شئ لشئ اى النفى الذى امر الله باعتقاده ﴿ فنفى الصاحبة والولد ﴾ اى جحدهما وانكار ثبوتهما له تعالى كما قال الله تعالى انى يكون له ولد ولم تكن له صاحبة ﴿ و ﴾ نفى ﴿ الحاجة ﴾ فى ذاته او صفاته الى غيره من المخلوقات ﴿ و ﴾ نفى ﴿ القبائح اجمع ﴾ جمع قبيحة وهى ضد الحسنة واللام للاستغراق فيضمحل الجمعية ولذا اكد بالمفرد فاذا لم يتصف بقبيحة واحدة اصلا لم يتصف بمجموعها لان الله تعالى منبع كل كمال وذلك الكمال مقتضى ذاته وما بالذات لا يتخلف عن الذات فلو كان اتخاذ الصاحبة مثلا كمالا يلزم نقصه قبل ان يتخذها فيلزم استكماله تعالى بغيره وهو محال فى شانه تعالى عن ذلك علوا كبيرا فالنفى ههنا عبارة عن الامتناع بالذات الا ان الامتناع لما كان صفة الممتنع لا المكلف عبر عنه بالنفى الذى هو فعل المكلف ﴿ وهذان القسمان ﴾ الاثبات والنفى ﴿ اول ما كلفه العاقل ﴾ لانه لا يتأتى الاتيان بشئ على قصد الامتثال ولا الانكفاف عن شئ على قصد الانزجار الا بعد معرفة الآمر الناهى ﴿ وجعل ما امرهم بفعله ﴾ وهذا هو القسم الثانى من التكليف ﴿ ثلاثة اقسام قسما ﴾ فعله ﴿ على ﴾ جميع ﴿ ابدانهم ك ﴾ اقامة ﴿ الصلاة والصيام ﴾ اى وكالكون صائما فهما بدنى محض ولذا قال الاصوليون الفدية قضاء بمثل غير معقول ﴿ وقسما ﴾ فعله ﴿ فى اموالهم ﴾ وعبر بفى لان اعباء الامر على صاحب المال دون المال او فى بمعنى على كما فى ولاصلبنكم فى جذوع النخل بتأويل ان الاعباء على صاحب المال لاجل المال كأن المال جزء من بدنه بل من روحه ﴿ ك ﴾ ايتاء ﴿ الزكاة والكفارات ﴾ ككفارة القتل خطأ وكفارة الظهار والصوم واليمين والجناية فى الحج ﴿ وقسما ﴾ فعله ﴿ على اموالهم وابدانهم كالحج والجهاد ﴾ لاعلاء كلمة الله تعالى وقمع عرق الكفر والضلال ﴿ ليسهل عليهم فعله ﴾ اى فعل المأمور به واللام متعلق بجعل ﴿ ويخف عنهم اداؤه ﴾ اى تسليم المأمور به الثابت فى الذمة بالسبب الموجب فيعم الاداء الذى هو عبارة عن اتيان عين الواجب فى الوقت والقضاء الذى هو تسليم مثل الواجب بالسبب وعن الاستعلاء كما فى قوله تعالى فانما يبخل عن نفسه ﴿ نظرا منه تعالى لهم ﴾ اى مرحمة واعانة يقال نظر لهم اذا رثى لهم واعانهم ﴿ وتفضلا منه عليهم * وجعل ما امرهم بالكف عنه ﴾ اى بالامتناع عنه يقال كففته عنه اى دفعته وصرفته ويقال كففته فكف اى امتنع فهو لازم ومتعد وهذا هو القسم الثالث من التكليف ﴿ ثلاثة اقسام قسما ﴾ كف عنه ﴿ لاحياء نفوسهم ﴾ اى لابقاء حياتها وادامته اذ الاحياء لا تتعلق بالنفوس الاحياء فافعل بمعنى استفعل ﴿ وصلاح ابدانهم كنهيه عن القتل ﴾ المؤدى

الى القصاص قال الله تعالى ولا تقتلوا النفس التى حرم الله الا بالحق او قتل نفسه كما قال تعالى ولاتقتلوا انفسكم انه كان بكم رحيما ﴿ و ﴾ نهيه عن ﴿ اكل الخبائث ﴾ مايستخبث من نحو الدم والميتة ولحم الخنزير قال حرمت عليكم الميتة والدم ولحم الخنزير وما اهل لغير الله به الآية او ماخبث فى الحكم كالربا والرشوة وغيرهما من المكاسب الخبيثة والاول مثال للاحياء والثانى للصلاح وكذا قوله ﴿ و ﴾ عن اكل ﴿ السموم ﴾ جمع سم وهو مايزيل الحياة اويفسدها سواء كان مرا اوحلوا قال ولاتلقوا بايديكم الى التهلكة ﴿ وشرب الخمور ﴾ جمع خمر وهى مايخامر العقل واتى بصيغة الجمع باعتبار انواعها ﴿ المؤدية الى فساد العقل ﴾ ابتداء ﴿ وزواله ﴾ انتهاء وانهما كما هو المشاهد قال الله تعالى انما الخمر والميسر والانصاب والازلام رجس من عمل الشيطان فاجتنبوه وقال ابن الوردى * واهجر الخمرة ان كنت فتى . كيف يسعى فى جنون من عقل * فالوصف لزيادة التعميم والاحاطة حيث وصف الخمر بما هو من خواص الجنس دون الفرد كما فى قوله تعالى ومامن دابة فى الارض الاعلى الله رزقها ﴿ وقسما ﴾ امر بالكف عنه ﴿ لائتلافهم ﴾ اى لاجتماعهم على محبة ﴿ واصلاح ذات بينهم ﴾ وذات البين حقيقة الوصلة اوالحال التى بها يجتمع المسلمون عبر عن الحال التى فى البين بذات البين لملابسة تلك الحال وملازمته له كما يعبر عن مضمرات القلب بذات الصدور وتقول العرب اسقنى ذا انائك اى مافى انائك من الشراب ﴿ كنهيه عن الغضب ﴾ لالامر دينى وهو تغير يحصل عند غليان دم القلب ليحصل عنه التشفى للصدر ﴿ والغلبة ﴾ اى القهر قال الله تعالى فى اصحاب النبى صلى الله عليه وسلم والذين معه اشداء على الكفار رحماء بينهم حيث مدحهم بتعاطفاتهم فيما بينهم لايثيرون الشر والغوغاء ﴿ والظلم ﴾ وهو وضع الشئ فى غير موضعه وفى الشريعة عبارة عن التعدى عن الحق الى الباطل وهو الجور وقيل هو التصرف فى ملك الغير ومجاوزة الحد قال الله تعالى والظالمين اعدلهم عذابا اليما ﴿ والسرف ﴾ هو والاسراف بمعنى واحد وهو انفاق المال الكثير فى الغرض الخسيس وقيل ان يأكل الرجل مالا يحل له اويأكل مما يحل له فوق الاعتدال ومقدار الحاجة قال الله تعالى ان الله لايحب المسرفين ﴿ المفضى ﴾ كل واحد من الغضب والظلم آه ﴿ الى القطيعة ﴾ اى العقوق والهجران ﴿ والبغضاء ﴾ وهو شدة البغض وضد الحب لانه عبارة عن انجذاب القلوب والبغض عن تكرها وتنفرها لان النفوس جبلت على اخذ الثار ممن ظلمه فاذا لم يجد اليه سبيلا يحرمه عن صلته ومحبته كما انها مجبولة على مقابلة الاحسان بمثله فاذا لم يكافئها به يقابله بمحبته وقال البستى * احسن الى الناس تستعبد قلوبهم . فطالما استعبد الانسان احسان ﴿ وقدما ﴾ امر بالكف عنه ﴿ لحفظ انسابهم ﴾ عن الضياع او الانقطاع الكلى ﴿ وتعظيم محارمهم ﴾ وهن ماحرم الله نكاحهن المبينة فى قوله تعالى حرمت عليكم امهاتكم وبناتكم واخواتكم وعماتكم وخالاتكم وبنات الاخ وبنات الاخت وامهاتكم اللاتى ارضعنكم واخواتكم من الرضاعة وامهات نسائكم وربائبكم اللاتى فى حجوركم من نسائكم اللاتى دخلتم بهن الآية وسيأتى فضل نكاح الاباعد ﴿ كنهيه عن الزنا ﴾ وهو الوطئ فى قبل خال عن ملك وشبهة قال الله تعالى (ولاتقربوا الزنا انه كان فاحشه) قبيحة زائدة على حد القبح (وساء سبيلا) وبئس طريقا طريقه وهو ان تغصب على غيرك امرأته او اخته اوبنته من غير سبب

(ووالسبب)

والسبب ممكن وهوالصهر الذى شرعهالله واللواطة مشترك فى العلة التى هى اضاعة النسب فيشمله الحكم ﴿ ونكاح ذوات المحارم ﴾ اى وكنهيه عن وطئهن اوعقد هن السبب الى تحليل الوطئ وذلك النهى بصريح صيغة التحريم فى اكثر المحرمات مبالغة فى التحريم وفى بعضها قال الله تعالى ولا تنكحوا مانكح اباؤكم من النساء لكون النهى متضمنا للتعظيم لان فى الوطئ استحقارا للموطوئة قال الله تعالى حملته امه كرها اى ذات كره اى مشقة وكونها مجبورة شرعا الى تحمل تلك المشقة تذليل لها سيما اذا كانت فروكا ﴿ فكانت نعمته تعالى فيما حظره علينا كنعمته فيما اباحه لنا و ﴾ كان ﴿ تفضله فيما كفنا عنه كتفضله فيما امرنا به فهل يجد العاقل ﴾ مادام يتبع عقله لاهواه فالقضية مشروطة عامة ﴿ فى رويته ﴾ اى فى فكره ﴿ مساغا ان يقصر ﴾ ولو قليلا فالتفعيل للتعدية بدون التكثير ﴿ فيما امربه وهو نعمة عليه ﴾ الاستفهام للانكار اى لا يجد ذلك لان الوجدان فرع الوجود والثبوت والوجود فرع الامكان ولم يمكن التقصير حتى يوجد لان طلب كمال النعمة كمال والقناعة بالدون دناءة عند العاقل ﴿ او ﴾ هل ﴿ يرى فسحة ﴾ مثل وسعة لفظا ومعنى يعنى رخصة واذنا ﴿ فى ارتكاب مانهى عنه وهو تفضل منه عليه ﴾ عبر بالفسحة اشارة الى ان المحارم مضيق على العاقل لامجال للدخول فيها بحال لكونهما من قبيل الترك وقد يعذر المكلف فى اتيان المأمور به لعدم طاقته ﴿ وهل يكون من انعم عليه بنعمة فاهملها ﴾ لكسل او فتور ﴿ مع شدة فاقته اليها الا مذموما فى العقل ﴾ اى فى حكمه ﴿ مع ماجاء من وعيد الشرع ﴾ وهذا معنى قولهم يكون متعلق الذم عاجلا والعقاب آجلا ﴿ ثم ﴾ كان ﴿ من لطفه تعالى بخلقه وتفضله على عباده ان جعل لهم من جنس كل فريضة نفلا وجعل لها من الثواب قسطا ﴾ اى حصة عظيمة لما روى البخارى عن ابى هريرة انه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم قال الله تعالى (من عادى لى وليا) فعيل بمعنى مفعول وهو من يتولى الله سبحانه وتعالى امره قال الله تعالى وهو يتولى الصالحين ولايكله الى نفسه لحظة بل يتولى الحق رعايته او هو فعيل مبالغة من الفاعل وهوالذى يتولى عبادةالله وطاعته فعبادته تجرى على التوالى من غير ان تخللها عصيان وكلا الوصفين واجب حتى يكون الولى وليا بحسب قيامه بحقوق الله على الاستقصاء والاستيفاء ودوام حفظ الله اياه فى السراء والضراء ومن شرط الولى ان يكون محفوظا (ط) كما ان من شرط النبى ان يكون معصوما فكل من كان للشرع عليه اعتراض فهو مغرور مخادع (فقد آذنته بالحرب) اى اعلمته به والمراد لازمه اى اعمل به مايعمل العدو المحارب قال الفاكهانى هو من المجاز البليغ لان من كره من احب الله خالف الله ومن خالف الله عانده ومن عانده اهلكه واذا ثبت هذا فى جانب المعاداة ثبت ضده فى جانب الموالاة فمن والى اولياء الله اكرمه الله وليس المراد بالمعاداة المخاصمة فى المعاملة الدنيوية او المحاكمة التى ترجع الى استخراج حق او كشف غامض فانه جرى بين الصحابة رضى الله عنهم بل المعاداة الواقعة عن بغض ينشأ من التعصب والفسق والبدعة كما يشاهد من اصحابها بغض من ينكرهم (وما تقرب الىّ عبدى بشئ) من الطاعة (احب الى مما افترضته عليه) اى من ادائه اى وسائل القرب كثيرة واحبها الى اداء الفرائض والتكاليف اذ هى الامانة المعروضة على السموات والارض والجبال وقال العزيزى يدخل فيه الفرائض الظاهرة فعلا كالصلاة وغيرها وتركا كالزنا

قال القشيرى فى رسالته والمراد به ان يحفظه الله تعالى من تماديه فى الذلل والخطأ ان وقع فيهما بان يلهمه التوبة فيتوب منهما

والقتل وغيرهما والفرائض الباطنة كالعلم بالله والحب له والتوكل عليه والخوف منه قال الطوفى الامر بالفرائض جازم ويقع بتركها المعاقبة بخلاف النفل فى الامرين فلذا كانت احب الى الله تعالى وفى الاتيان بالفرائض على الوجه المأمور به احترام الآمر به وتعظيمه بالانقياد اليه واظهار عظمة الربوبية وذل العبودية فكان التقرب بذلك افضل (ومايزال عبدى يتقرب) اى يتحبب (الى بالنوافل) اى التطوع من جميع صنوف العبادات مع الفرائض (حتى احبه) لان الذى يؤدى الفرض قد يفعله خوفا من العقوبة ومؤدى النوافل لايفعله الا ايثارا للخدمة فلذلك جوزى بالمحبة التى هى غاية مطلوب من يتقرب من الله بخدمته وفى القشيرية قرب العبد من ربه يقع اولا بايمانه ثم باحسانه بما يخصه فى الدنيا من عرفانه وفى الاخرة من رضوانه ولايتم ذلك القرب الا ببعده من الخلق وقرب الرب بالعلم والقدرة عام للناس وباللطف والنصرة خاص بالخواص وبالتأنيس خاص بالاولياء وقد استشكل بما تقدم اولا ان الفرائض احب العبادات المتقرب بها الى الله تعالى فكيف لاتنتج المحبة والجواب ان المراد بالنوافل النوافل الواقعة ممن ادى الفرائض لاممن اخل كما قال بعض الاكابر من شغله الفرض عن النفل فهو معذور ومن شغله النفل عن الفرض فهو مغرور (فاذا احببته كنت سمعه الذى يسمع به وبصره الذى يبصر به ويده التى يبطش بها ورجله التى يمشى بها) والمعنى ان كليته مشغولة بى فلايصغى بسمعه الا الى مايرضينى ولايرى ببصره الا ماامرته به ولايبطش بيده الا فيما يحل له ولا يسعى برجله الا فى طاعتى او بتقدير المضاف اى كنت حافظ سمعه آه وقال الفاكهانى يحتمل معنى آخر ادق من الذى قبله وهو ان يكون المصادر بمعنى المفعول اى كنت مسموعه ومبصره آه اى لايسمع الا ذكرى ولايتلذذ الا بتلاوة كتابى ولا يأنس الا بمناجاتى ولاينظر الا فى عجائب ملكوتى ولايمد يده الا بما فيه رضاى ورجله كذلك (وان سألنى لاعطينه ولئن استعاذنى لاعيذنه) اى مما يخاف وهذا حال المحب مع محبوبه ﴿ وندبهم اليه ندبا ﴾ يقال ندب فلانا الى الامر اذا دعاه وحثه من الباب الاول وندبه اليه اذا وجهه ﴿ وجعل لهم بالحسنة عشرا ﴾ فرضا كانت اونفلا اى عشر حسنات امثالها قال الله تعالى من جاء بالحسنة فله عشر امثالها وهذا اقل ماوعد من الاضعاف وقد وعد سبعمأة وبغير حساب ﴿ ليضاعف ثواب فاعله ويضع العقاب عن تاركه و ﴾ كان ﴿ من لطيف حكمته ان جعل لكل عبادة حالتين حالة كمال وحالة جواز ﴾ ويعبر عنهما بالعزيمة والرخصة كصوم المسافر وافطاره قال عبدالوهاب الشعرانى ان جميع اقوال الائمة المجتهدين ومقلديهم الى يوم الدين داخلة فى شعاع نور الشريعة بحيث لاترى قولا واحدا منها خارجا عن الشريعة وذلك لان الشريعة جاءت فى كل مسئلة ذات خلاف على مرتبتين تخفيف وتشديد لاعلى مرتبة واحدة كما يظنه بعض المقلدين ولذلك وقع الخلاف بشهود التناقض ولاخلاف ولاتناقض فى نفس الامر فان مجموع الشريعة يرجع الى امر ونهى وكل منهما ينقسم على مرتبتين تخفيف وتشديد واما الحكم الخامس الذى هو المباح فهو مستوى الطرفين وقد يرجع بالنية الصالحة الى قسم المندوب وبالنية الفاسدة الى قسم المكروه وهذا مجموع احكام الشريعة وايضاح ذلك ان من الائمة من حمل مطلق الامر على الوجوب الجازم ومن حمله على الندب ومن حمل مطلق النهى على التحريم ومن حمله على الكراهة ثم ان لكل من المرتبتين رجالا فى حال مباشرتهم للتكاليف

(فمن)

فمن قوى منهم من حيث ايمانه وجسمه ونشاطه خوطب بالعزيمة والتشديد الوارد فى الشريعة صريحا او المستنبط منها فى مذهب ذلك المكلف او مذهب غيره ومن ضعف منهم من حيث مرتبة ايمانه اوجسمه اورخاوته خوطب بالرخصة والتخفيف الوارد فى الشريعة كذلك كما اشير اليه بقوله تعالى فاتقوا الله ما استطعتم خطابا عاما وقوله عليه السلام اذا امرتكم بامر فأتوا منه ما استطعتم فلا يؤمر القوى بالنزول الى مرتبة الرخصة والتخفيف وهو يقدر على العمل بالعزيمة لان ذلك كالتلاعب بالدين ولا الضعيف بالصعود الى مرتبة العزيمة مع عجزه عنه فالمرتبتان على الترتيب الوجوبى لا على التخيير فاياك والغلط فليس لمن قدر على استعمال الماء حسا او شرعا ان يتيمم وليس لمن قدر على القيام فى الفريضة ان يصلى جالسا وليس لمن قدر على الصلاة جالسا ان يصلى على الجنب وهكذا فى سائر الواجبات والسنن فليس من الادب ان يفعل المفضول مع قدرته على فعل الافضل فمن اراد عدم اللوم فلا ينزل الى المفضول الا ان عجز عن الافضل انتهى قال الشاعر * ولم ار فى عيوب الناس شيئا. كنقص القادرين على الكمال * وقال الشيخ بدر الدين الزركشى ان الاخذ بالرخص والعزائم فى محل كل منهما مطلوب فاذا قصد المكلف بفعل الرخصة قبول فضل الله عليه كان افضل ﴿ ورفقا منه بخلقه لما سبق فى علمه ان فيهم العجل ﴾ بكسر الجيم وضمها صفة مشبهة يقال عجل الرجل اذا اسرع ورجل عجل العجلة طبيعة له وبابه علم ﴿ المبادر ﴾ اى المسارع صفة كاشفة له ﴿ والبطئ المتثاقل و ﴾ ان فيهم ﴿ من لا صبر له على اداء الا كمل ﴾ لضرورة اولعارض حدث كبكاء الصبى ونحوه قال الشعرانى من المعلوم ان من شان الامور التى يتقرب بها الى حضرة الله تعالى ان تكون النفس منشرحة بها ومحبة لها غير كارهة وكل من يأتى بالعبادة كارها لها اى من حيث مشقتها فقد خرج عن موضوع القرب الشرعية فانه صلى الله عليه وسلم نفى البر والتقرب الى الله تعالى بالصوم الذى يضر بالمسافر ونحن تابعون للشارع فلا ينبغى لاحد التقرب الى الله الا بما اذن له الشارع فيه وانشرحت نفسه به من سائر المندوبات وتأمل يا اخى نهى الشارع عن الصلاة حال النعاس تعرف ذلك وذلك لان النعاس اذا غلب على العبد وتكلف الصلاة كانت نفسه كالمكرهة عليها فاعلم ذلك واعمل بالرخص بشرطها فان الله يحب ان تؤتى رخصه كما يحب ان تؤتى عزائمه كما رواه الطبرانى وغيره عن ابن عمر مرفوعا ﴿ ليكون ما اخل به من هيئات عبادته ﴾ بيان لما وتخصيص بعمومه لان الاخلال من حيث كمياتها كزيادة عدد الركعات او نقصانها والاركان والوقت بالنسبة الى الصوم والحج مما يقدح فى فرض والهيئة عبارة عن كيفية الشئ ووضعه ﴿ غير قادح فى فرض ﴾ يقال قدح فى نسبه اى طعن ﴿ ولا مانع من اجر ﴾ اذ لا يكلف الله نفسا الا وسعها ﴿ فكان ذلك ﴾ الجعل ﴿ من نعمه علينا وحسن نظره الينا ﴾ اى اعانته الحسنة الينا اخذ ذلك من قوله تعالى واسبغ عليكم نعمه ظاهرة وباطنة لان كون حالة الجواز غير قادح نعمة ظاهرة وكونها غير مانع من اجر نعمة باطنة فحمدا لك اللهم على الحالتين وشكرا لك على النعمتين * هرچه هست از قامت ناساز بى اندام ماست . ورنه تشريف تو بر بالاى كس كوتاه نيست ﴿ وكان ﴾ معطوف على قوله وكان من رأفته وشروع الى تفصيل القسم الثانى الذى امرهم بفعله ﴿ اول ما فرض ﴾ الله تعالى ﴿ بعد تصديق نبيه صلى الله عليه وسلم عبادات الابدان وقد قدمها على ما يتعلق بالاموال لان

النفوس على الاموال اشح ﴾ اى احرص عليها وابخل بها ﴿ وبما يتعلق بالابدان اسمح ﴾ لانها تعد كثرة المال شرفا والخدمة بالابدان مروءة ﴿ وذلك ﴾ اى ما يتعلق بالابدان ﴿ الصلاة والصيام فقدم الصلاة على الصيام ﴾ لان فرضية الصلاة كانت فى ليلة الاسراء وهو قبل الهجرة بسنة وعليه الاكثرون وفرضية الصيام كانت فى شعبان من السنة الثانية من الهجرة على ما فى القسطلانى وغيره ﴿ لان الصلاة اسهل فعلا وايسر عملا ﴾ من الصيام تؤدى فى برهة من الزمان واشتقاقها من الصلى وهو عرض خشبة معوجة على النار لتقويمها وبالطبع عوج فالمصلى من وهج السطوة يتقوم اعوجاجه ثم يتحقق معراجه ومن اصطلى بنار الصلاة وزال عوجه لايدخل النار وقالوا الحكمة فى وجوب الصلاة ليلة الاسراء للايماء الى انها معراج المؤمن الى اعلى كمالاته ومقاماته ومحل مناجاته من بين عباداته وهى صلة بين العبد وربه تعالى وجامعة لانواع العبادات النفسانية والبدنية والمالية من الطهارة وستر العورة وصرف المال فيهما والتوجه الى الكعبة والعكوف على العبادة واظهار الخشوع بالجوارح واخلاص النية بالقلب ومجاهدة الشيطان ومناجاة الحق وقراءة القران والنطق بالشهادتين وكف النفس عن الاطيبين وشرع المناجاة فيها سرا وجهرا ليجمع للعبد فيها ذكر السر وذكر العلانية قال الله تعالى فى الحديث الثابت عنه اذ ذكرنى عبدى فى نفسه ذكرته فى نفسى وان ذكرنى فى ملأ ذكرته فى ملأ خير منه وقد يريد بذلك الملائكة المقربين والكروبين خاصة الذين اختصهم لحضرته فلهذا الفضل شرع لهم فى الصلاة الجهر بالقراءة والسر وهى لغة الدعاء قال الله تعالى وصل عليهم اى ادع لهم وشرعا اقوال وافعال مفتتحة بالتكبير مختتمة بالتسليم ﴿ وجملتها مشتملة على خضوع له ﴾ تعالى يقال خضع الرجل اذا تطامن ﴿ وابتهال اليه ﴾ يقال ابتهل اليه تعالى اذا دعا وتضرع قال الله تعالى قد افلح المؤمنون الذينهم فى صلاتهم خاشعون قال الرازى واختلفوا فى الخشوع فمنهم من جعله من افعال القلوب كالخوف والرهبة ومنهم من جعله من افعال الجوارح كالسكون وترك الالتفات ومنهم من جمع بين الامرين ﴿ فالخضوع له رهبة منه ﴾ اى من جلاله اومن عذابه والرهبة الخوف المقارن بالتحرز والاضطراب ﴿ والابتهال اليه رغبة فيه ﴾ اى فى ذاته اوفى ثوابه ﴿ ولذلك ﴾ اى ولكون الصلاة مشتملة على خضوع آه ﴿ قال النبى صلى الله عليه وسلم ﴾ على ما رواه الحاكم عن ابى هريرة مرفوعا ﴿ اذا قام احدكم الى صلاته فانما يناجى ربه ﴾ اى يخاطبه ولايخفى ان مناجاة الرب ارفع درجات العبد ﴿ فلينظر بما يناجيه ﴾ وفى رواية كيف يناجيه اى بتدبر القراءة والذكر وتفريغ القلب من الشواغل الدنيوية كما فى العزيزى وقال القسطلانى لاتحقق المناجاة الا اذا كان اللسان معبرا عما فى القلب فالغفلة ضد ولاريب ان المقصود من القراءة والاذكار مناجاته تبارك وتعالى فاذا كان القلب محجوبا بحجاب الغفلة غافلا عن جلال الله وكبريائه وكان اللسان يتحرك بحكم العادة فما ابعد ذلك عن القبول وقال الغزالى والتحقيق فيه ان المصلى مناج ربه عز وجل والكلام مع الغفلة ليس بمناجاة البتة فاى سؤال فى قوله اهدنا الصراط المستقيم اذا كان القلب غافلا وقال قد نقل عن بشر بن الحرث فيما رواه عنه ابوطالب المكى عن سفيان الثورى انه قال من لم يخشع فسدت صلاته (١) وقال الحسن كل صلاة لايحضر فيها القلب فهى الى العقوبة اسرع الا ان مقام الفتوى فى التكليف الظاهر

(١) اخذه الحافظ فقال. چو طهارت نه بخون جگر كند عاشق. بقول مفتئ عشقش درست نيست نماز. منه

(يتقدر)

يتقدر بقدر قصورالخلق فلا يمكن ان يشترط على الناس احضارالقلب فى جميع الصلاة فان ذلك يعجز عنه كل البشر الا الاقلين و اذا لم يمكن اشتراط الاستيعاب للضرورة فلا مردله الاان يشترط منه مايطلق عليه الاسم ولو فى اللحظة الواحدة واولى اللحظات به لحظة التكبير فاقتصرنا على التكليف بذلك ثم قال وحاصل الكلام ان حضور القلب هو روح الصلاة وان اقل مايبقى به رمق الروح الحضور عند التكبير فالنقصان منه هلاك وبقدر الزيادة عليه تنبسط الروح فى اجزاء الصلاة وكم من حى لاحراك به قريب من ميت فصلاة الغافل فى جميعها الا عند التكبير كمثل حى لاحراك به نسأل الله حسن العون انتهى وقال الجامى * بجان شوسا كن كعبه بيابان چند بيمايى. چونبود قرب روحانى چه سوداز قطع منزلها ﴿ و ﴾ لذلك ﴿ روى عن على بن ابى طالب رضى الله عنه انه كان كلما دخل عليه وقت صلاة اصفر لونه مرة ﴾ من خشيته ورهبته ﴿ واحمر اخرى ﴾ من حيائه ﴿ فقيل له فى ذلك فقال أتتنى ﴾ وقت اداء ﴿ الامانة التى عرضت على السموات والارض والجبال فابين ﴾ من ﴿ ان يحملنها واشفقن ﴾ خفن ﴿ منها ﴾ اى من ادائها وسمى الله تعالى الطاعة الاختيارية التى كلف بها عباده امانة لعظمها لها من حيث انها واجبة الاداء والمعنى انها العظمة شانها بحيث لو عرضت على هذه الاجرام العظام وكانت ذات شعور وادراك لابين ان يحملها واشفقن منها لان بتضييعها العقاب ﴿ وحملتها انا ﴾ مع ضعفى وعجزى ﴿ فلا ادرى أؤسيئ فيها ام احسن ﴾ قدم الاساءة للاهتمام بها لان الاعتراف بالعجز هو كمال العبودية ومن تسبيح الملائكة سبحانك ماعبدناك حق عبادتك وقال الحافظ * دركوى عشق شوكت شاهى نمى خرند . اقرار بندكى كن ودعوى جاكرى ﴿ ثم جعل لها شروطا لازمة ﴾ لشروعها ﴿ من رفع ﴾ كل ﴿ حدث) اصغر واكبر ﴿ وازالة نجس ﴾ مانع للصلاة من بدنه وثوبه ومصلاه (ايستديم النظافة للقاءربه) كما هو الادب والمروءة ﴿ والطهارة لاداء فرضه ﴾ كما قال الله تعالى خذوا زينتكم عند كل مسجد والطهارة يستلزم التزين ﴿ ثم ضمنها تلاوة كتابه المنزل ﴾ على نبيه محمد صلى الله عليه وسلم ﴿ ليتدبر ما فيه من اوامره ونواهيه ويعتبر ﴾ المصلى ان كان من اولى الالباب ﴿ اعجاز الفاظه ومعانيه ﴾ اى كون الفاظه ونظمه واصلا الى حد الاعجاز وكذا معانيه وهو ان يرتقى الكلام فى بلاغته الى ان يخرج عن طوق البشر ويعجزهم عن معارضته وقد دعا النبى صلى الله عليه وسلم الى المعارضة باقصر سورة من مثله فلم يقدروا عليها وعدلوا عن المعارضة بالحروف الى المضاربة والمقارعة بالسيوف ولم يأت من زمنه عليه السلام الى هذا الزمان احد بمثله ولا بما يدانيه فسواء كان اعجازه للاسلوب البديع والتأليف العجيب المخالف لما يعهده فصحاء العرب فى كلامهم فى المطالع والمقاطع كما ذهب اليه بعض المتكلمين اولكونه فى الدرجة العلياء من الفصاحة والبلاغة بحيث لايقدر البشر على مثله كما ذهب اليه الجمهور اولمجموع الامرين كما قاله القاضى اولصرف الله تعالى اياهم عن المعارضة مع القدرة كما ذهب اليه النظام وان كان من سخيف الكلام لان قوله تعالى قل لئن اجتمعت الانس والجن على ان يأتوا بمثل هذا القرأن لايأتون بمثله يدل على سلب القدرة ﴿ ثم علقها ﴾ اى علق ادائها والتكليف بها ﴿ باوقات ﴾ خمسة ﴿ راتبة ﴾ بعضها متقدمة على بعض ﴿ وازمان مترادفة ﴾ متعاقبة ﴿ ليكون ترادف ازمانها وتتابع اوقاتها سببا لاستدامة الخضوع له

والابتهال اليه فلا تنقطع الرهبة منه ولا الرغبة فيه ﴾ اى فتدوم الان انقطاع الشئ عبارة عن عدم دوامه ونفي النفي اثبات ﴿ واذا لم تنقطع الرغبة والرهبة استدام صلاح الخلق ﴾ وهو من اقوى القواعد فى صلاح الدنيا والفرد الاوحد فى صلاح الآخرة ﴿ وبحسب قوة الرغبة والرهبة يكون استيفاؤها ﴾ واداؤها ﴿ على ﴾ حال ﴿ الكمال او ﴾ بحسب ﴿ التقصير فيها ﴾ اى فى الرغبة والرهبة يكون استيفاؤها على ﴿ حال الجواز ﴾ وسيجئ تفصيل اسباب التقصير وما كان مقبولا منها ﴿ وقد روى عن النبى صلى الله عليه وسلم انه قال الصلاة مكيال ﴾ على وزن مفتاح مايكال به وهذا من التشبيه البليغ ﴿ فن وفى ﴾ اى حافظها ولم يغدر فى مكياله ﴿ وفى له ﴾ اجره ﴿ ومن طفف ﴾ اى نقص ﴿ فقد علمتم ماقال الله فى ﴾ حق ﴿ المطففين ﴾ وايعادهم وهو قوله تعالى ويل للمطففين الذين اذا اكتالوا على الناس يستوفون الآية والحديث رواه الغزالى عن ابن مسعود وسلمان رضى الله عنهما ﴿ وروى عن النبى صلى الله عليه وسلم انه قال من هانت ﴾ وسهلت ﴿ عليه صلاته كانت ﴾ تلك الصلاة ﴿ على الله عز وجل اهون ﴾ لاتعدل جناح بعوضة عنده اى لايقبلها بل يغضب بها لما مرانها كالتلاعب بالدين وقد سمعت ماحكى عن على رضى الله عنه وقال حاتم الاصم فاتتنى الصلاة بالجماعة فعزانى ابو اسحاق البخارى وحده ولومات لى ولد لعزانى اكثر من عشرة آلاف لان مصيبة الدين اهون عند الناس من مصيبة الدنيا وكان السلف يعزون انفسهم ثلاثة ايام اذا فاتتهم التكبيرة الاولى وسبعا اذا فاتتهم الجماعة ﴿ وانشدت لبعض الفصحاء فى ذلك ﴾ من الكامل ﴿ اقبل على صلواتك الخمس ﴾ امر من اقبل على الشئ اذا شرع فيه ولازمه ثم بيّن سبب الامر بقوله ﴿ كم مصبح وعساه لايمسى ﴾ اى لان كثيرا ممن يدخل الصباح سالما يرجو طول الحياة والحال يحذر ان ذلك المصبح لايدخل المساء بل يموت قبله فكم خبرية مبتدأ ومصبح بالجر مميز كم وتنوينه للتعظيم ويفهم منه بحسب المقام التنويع اى مصبح قوى او سالم والخبر محذوف وعسى اجريت مجرى لعل فى نصب الاسم ورفع الخبر كما اجريت لعل مجراها فى اقتران خبرها بان قاله سيبويه وهذا احد استعمال عسى كما فى مغنى اللبيب ومعناه ههنا الاشفاق كما فى لعلى اموت والضمير اسم عسى منصوب المحل على مذهب سيبويه حملا له بلعل ولايمسى خبره والجملة حالية والمساء هو مابعد الظهر الى المغرب ﴿ واستقبل اليوم الجديد بتوبة ﴾ يعنى كل يوم اذ الايام يتجدد فى كل اسبوع ﴿ تمحو ذنوب صبيحة الامس ﴾ لان الحسنات يذهبن السيئات وفى حديث الترمذى واتبع السيئة الحسنة تمحها وخصت ذنوب الصبيحة بالذكر لانها وقت تهجد ومناجات فالغفلة فيها اثم والذنب فيها اعظم اولان الذنوب فيها فاشية وفى المثل الليل اخفى للويل وقالوا اثم من الصبح لانه يهتك حجاب الظلام وهى اكبرا يضا لانها مسقطة للعدالة فالمعنى ان تستقبل كل يوم بتوبة تمح ذنوبك الكبائر ﴿ فليفعلن بوجهك الغض البلى ﴾ الفاء فصيحة واللام موطئة قسم ويفعلن بالنون التأكيد المشددة جواب الشرط المحذوف والقسم معنى واما لفظا فالشرط ملغى والجواب للقسم اوبالعكس لئلا يلزم كونه مجزوما وغير مجزوم والغض صفة الوجه يقال شاب غض اى طرى والبلى صيغة فعيل اوبكسر الباء والقصر مصدر بمعنى الفاعل والبلى ضد الجديد والطرى وهو مفعول يفعل وفاعله راجع الى اليوم يعنى وان لم تستقبل كل يوم بتوبة فوالله

ليفعلن ذلك اليوم الجديد ويصيرن ذاتك الطرى بالحياة باليا بالموت . او المعنى يجمل ذلك اليوم وجهك المنورة بالطاعة وضيعة القدر بالمعصية فعلى الاول النضاضة والبلى حسيان والوجه مجاز عن الذات وعلى الثانى معنويان ولا مجاز ﴿ فعل الظلام بصورة الشمس ﴾ الظلام الدخان الكثيف واثره بصورة الشمس سترنورها واذا اشتدت الكثافة لم ير للشمس جرم ولا اثر يعنى فاياك من افولها وغروبها على تلك الحالة وقال السعدى * مكن عمر ضايع بافسوس وحيف . كه فرصت عزيزست والوقت سيف * وعنه عليه السلام الوقت سيف قاطع لو لم تقطعه بالطاعات لقطعك بالفوات وقال الالبيرى * من ليس يسعى فى الخلاص لنفسه . كانت سعايته عليها لا لها * ان الذنوب بتوبة تمحى كما . يمحو سجود السهو غفلة من سها * وانشد بعضهم * خسر الذى ترك الصلاة وخابا . وابى معادا صالحا ومآبا * فالشافعى ومالك رأياله . ان لم يتب حد الحسام عقابا * والرأى عندى للامام عذابه . بجميع تأديب يراه صوابا * اللهم اعنا على الصلوات وتقبلها منا بكرمك ولا تجعلنا من الغافلين وصلى الله على سيدنا محمد وآله وصحبه اجمعين ﴿ ثم فرض الله تعالى الصيام ﴾ الصوم فى اللغة الامساك مما تنازع اليه النفس ومنه قوله تعالى انى نذرت للرحمن صوما وقيل هو الامساك مطلقا ومنه صامت الريح اذا امسكت عن الهبوب والفرس اذا امسكت عن العدو وفى الشريعة هو الامساك نهارا مع النية عن المفطرات الثلاثة التى هى معظم ماتشتهيه الانفس وهو ربع الايمان لقوله صلى الله عليه وسلم الصوم نصف الصبر وقوله الصبر نصف الايمان ﴿ وقدمه على زكاة الاموال لتعلق الصيام بالابدان ﴾ كالصلاة وقد تقدم ان كل مايتعلق بالابدان النفوس اسمح به واسهل عليها ﴿ وكان فى ايجابه حث ﴾ اى تحريض شديد ﴿ على رحمة الفقراء واطعامهم وسد جوعاتهم ﴾ بفتحات اى مرة بعد اخرى اى فى جميع الازمان اوبكسر الجيم اى على اعطاء مايحتاجون اليه من المطاعم والملابس ونحوها ﴿ لما قد عاينوه من شدة المجاعة ﴾ اى الجوع ﴿ فى صومهم وقد قيل ليوسف على نبينا وعليه السلام اتجوع ﴾ اى اتتعمد الجوع ﴿ وانت ﴾ امير وحافظ ﴿ على خزائن الارض ﴾ اى ارض مصر لان عزيز مصر وهو الريان بن الوليد قد ولاه خزائنها ﴿ فقال اخاف ان اشبع فانسى الجائع ﴾ فآثر الجوع الاختيارى لئلا يذهل عن المضطرين ﴿ ثم لما فى الصوم من قهر النفس واذلالها وكسر الشهوة المستولية ﴾ اى الغالبة ﴿ عليها ﴾ لما روى البخارى عن عبد الله بن مسعود قال كنا مع النبى صلى الله عليه وسلم فقال من استطاع منكم الباءة) بالمد الجماع وقيل مؤن النكاح والمعنى على الاول من استطاع منكم الجماع لقدرته على مؤن النكاح فيتحد القولان (فليتزوج فانه اغض للبصر واحصن للفرج ومن لم يستطع) اى الباءة لعجزه عن المؤن (فعليه بالصوم) وانما قدروه بذلك لان من لم يستطع الجماع لعدم شهوته لايحتاج الى الصوم لدفعها (فانه) اى الصوم (له) اى للصائم (وجاء) بكسر الواو والمد اى قاطع للشهوة واستشكل بان الصوم يزيد فى تهييج الحرارة وذلك مما يثير الشهوة واجيب بان ذلك انما يكون فى مبدء الامر فاذا تمادى عليه واعتاده سكن ذلك قال فى الروضة فان لم تنكسر به لم يكسرها بكافور ونحوه بل ينكح لانه نوع من الاختصاء المحرم شرعا ﴿ واشعار النفس ماهى عليه من الحاجة ﴾ اى ولما فيه من اعلام النفس امرها الذى غفلت اوتغافلت عنه وهو احتياجها ﴿ الى

(١) اذ يقال للاثم سواد الوجه ولمن اثم سود وجهه منه

يسير الطعام والشراب والمحتاج الى الشئ ذليل به ﴾ فيا ايتها النفس انك ذليلة فلا تقولى اليس لى ملك مصر ﴿ وبهذا ﴾ الاحتياج ﴿ احتج الله تعالى على من اتخذ عيسى على نبينا وعليه السلام وامه آلهين من دونه فقال ﴾ فى المائدة ﴿ ما المسيح بن مريم الا رسول قد خلت ﴾ مضت ﴿ من قبله الرسل وامه صديقة كانا يأكلان الطعام فجعل ﴾ معطوف على احتج ﴿ احتياجهما الى الطعام نقصا فيهما عن ان يكونا آلهين ﴾ وقد قالوا احوج المخلوقات الانسان لانه مدنى بالطبع يحتاج فى مأكله وملبسه ومسكنه وتنظيف بدنه الى اهل حرف وصنايع لاتحصى ومن السباع مايعيش بنفسه ﴿ وقد وصف الحسن البصرى رحمه الله تعالى نقص الانسان بالطعام والشراب فقال مسكين ﴾ خبر مقدم اى ذليل وضعيف يقال رجل مسكين اى لاشئ له اوله مالايكفيه ﴿ ابن آدم ﴾ اى مقصور على الاحتياج والمسكنة لايتجاوزها الى القدرة والغنى ثم بين سبب الحكم مع تفصيل ما اجمله بقوله ﴿ محتوم الاجل ﴾ اى محكومه يموت فيه لامحالة ولا يدافعه يقال حتم بكذا من الباب الثانى اى قضى ﴿ مكتوم الامل ﴾ لايظهره خوفا من سبق غيره اومن لحوق العار كما فى الآمال الخسيسة ﴿ مستور العلل ﴾ يسترها لئلا يتنفر منه اوذوعلة ومرض خفية لايطلع عليها الا جماعة من حذاق الاطباء ﴿ يتكلم بلحم ﴾ اى بلسان هو قطعة لحم ييبس بالحرارة ويجمد بالبرودة ﴿ وينظر بشحم ﴾ يتأذى بالقذى والروائح الكريهة وكثرة المطالعة. والنظر وان كان بالناظر المعبر عنه بانسان العين ولعبة العين وهو ليس بشحم بل مركب من طبقات سبع زجاجية وثلث رطوبات الا ان المقلة المشتملة للناظر لما كان شحما عبر عنه بالشحم والمطلوب اثبات عجز الانسان وكلما كثر الوسائط كثر الاحتياج مع انه يكفى المقدمات المظنونة فى المقام الخطابى ﴿ ويسمع بعظم ﴾ اى بواسطة اذنه التى ظاهرها عظم ﴿ اسير جوعه ﴾ اى اخيذه ومنقاده ﴿ صريع شبعه ﴾ مصروعه ومغلوبه يقال صرعه من الباب الثالث اذا طرحه على الارض ﴿ توذيه البقة ﴾ مع انها اضعف الحشرات وهى البعوضة او اكبرها اوما نقوله بالتركى تخته بتى ﴿ وتنتنه العرقة ﴾ يقال به نتن ضد فوح اى يتعفن برشح جلده ﴿ وتقتله الشرقة ﴾ اى الشمس كما يشاهد فى الايام الحارة ويقال شرق الرجل بريقه من الباب الرابع اذا غص وانسداد الريق يستلزم انقطاع النفس فالمعنى تقتله ريقه ويغرق فيه وان كان يسبح فى البحار ﴿ لايملك ﴾ ابن آدم ﴿ لنفسه ضرا ولا نفعا ولاموتا ولا حياة ولا نشورا ﴾ اى لا يملك ضر نفسه فيدفعه ولانفعه فيجلبه ولاموته حتى يمنعه متى شاء ولاحياته فيطيله اويقصره ولانشوره فيقربه اويبعده يقال نشر الله الموتى فنشروا نشرا ونشورا اى احياهم فحيوا فهو متعد ولازم ﴿ فانظر الى لطفه بنا فيما اوجبه من الصيام علينا كيف ايقظ العقول له ﴾ اى لذلك الاحتياج ﴿ وقد كانت ﴾ العقول ﴿ عنه غافلة ﴾ لاتحتج به اذا خاصمت النفس النافرة ﴿ اومتغافلة ﴾ اذا كانت مقهورة بغالبة دواعى الشهوات ﴿ ونفع النفوس به ﴾ اى بايجاب الصيام ﴿ ولم تكن ﴾ النفوس ﴿ لولاه ﴾ اى لولا ايجابه ﴿ متنفعة ﴾ بقهرها وتعديل شهواتها بوضع صيام من تلقاءها لثقله عليها ﴿ ولا نافعة ﴾ برحم الفقراء وسد جوعاتهم واعلم ان الصوم لجام المتقين وجنة المحاربين ورياضة الابرار والمقربين روى البخارى عن ابى هريرة رضى الله عنه ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال الصيام جنة اى وقاية وستر قيل من المعاصى لانه يكسر الشهوة

ويضعفها وقيل من النار لانه امساك عن الشهوات والنار محفوفة بالشهوات وعند الترمذى جنة من النار ولاحمد جنة مالم يخرقها وزاد الدارمى بالغيبة وفيه تلازم الامرين لانه اذا كف نفسه عن المعاصى فى الدنيا كان له سترا من النار (فلا يرفث) بتثليث الفاء اى لايفحش الصائم فى الكلام (ولايجهل) اى لايفعل فعل الجهال كالصياح والسخرية اويسفه على احد (وان امرؤ قاتله اوشاتمه) اى دافعه ونازعه وشاتم بمعنى لاعن والمراد بالمفاعلة التهيؤلها يعنى ان تهيأ احد لمنازعته اوشتمه (فليقل) له بلسانه او بقلبه اى يتذكر (انى صائم مرتين) فانه اذا قال ذلك امكن ان يكف عنه والادفعه بالاخف فالاخف وظاهر كون الصوم جنة ان يقى صاحبه من ان يوذى كما يقيه ان يوذى (و) الله (الذى نفسى بيده لخلوف فم الصائم) بضمتين اى تغير رائحة فمه لخلاء معدته من الطعام (اطيب عندالله من ريح المسك) يوم القيامة اوفى الدنيا وفيه اشارة الى ان رتبة الصوم علية على غيره لان مقام العندية فى الحضرة القدسية اعلى المقامات السنية وانما كان الخلوف اطيب لان الصوم من اعمال السر التى بين الله تعالى وبين عباده ولايطلع على صحته احد غيره فجعل الله رائحة صومه تنم عليه فى المحشر بين الناس وفى ذلك اثبات الكرامة والثناء الحسن له وهذا كما قال عليه السلام فى المحرم فانه يبعث يوم القيامة ملبيا وفى الشهيد يبعث واوداجه تشخب دما يشهد له بالقتل فى سبيل الله ويبعث الانسان على ماعاش عليه قال السمرقندى يبعث الزامر وتتعلق زمارته فى يده فيلقيها فتعود اليه ولاتفارقه ولما كان الصائم يتغير فمه بسبب العبادة فى الدنيا والنفوس تكره الرائحة الكريهة فى الدنيا جعل الله تعالى رائحة فم الصائم اطيب عندالملائكة من ريح المسك فى الدنيا وكذا فى الدار الآخرة فمن عبدالله تعالى وطلب رضاه فنشأ من عمله آثار مكروهة فى الدنيا فانها محبوبة له تعالى وطيبة عنده لانها نشأت عن طاعته واتباع مرضاته ولذلك كان دم الشهيد ريحه يوم القيامة كريح المسك وغبار المجاهدين فى سبيل الله ذريرة اهل الجنة كما فى حديث مرسل (يترك طعامه وشرابه وشهوته) اى يقول الله تعالى كما فى حديث آخر (من اجلى الصيام لى) من بين سائر الاعمال ليس للصائم فيه حظ اولم يتعبدبه احد غيرى او هوسر بينى وبين عبدى يفعله خالصا لوجهى (وانا اجزى) صاحبه (به) وقد علم ان الكريم اذاتولى الاعطاء بنفسه كان فى ذلك اشارة الى تعظيم ذلك العطاء وتفخيمه ففيه مضاعفة الجزاء من غيرعد ولاحساب (و) سائر الاعمال (الحسنة بعشر امثالها) زاد فى رواية الموطأ الى سبعمأة ضعف واتفقوا على ان المراد بالصائم هنا من سلم صيامه من المعاصى وادنى درجات الصوم الاقتصار على الكف عن المفطرات واوسطها ان يضم اليها كف الجوارح عن الجرائم واعلاها ان يضم اليهما كف القلب عن الوساوس كذا فى القسطلانى وقال وكيع فى قوله تعالى كلوا واشربوا هنيئا بما اسلفتم فى الايام الخالية انها ايام الصوم تركوا فيها الاكل والشرب والله اعلم ﴿ثم فرض﴾ الله ﴿زكاة الاموال﴾ النامية ولوتقديرا البالغة نصابا الفارغة عن حوائجه الاصلية اى عما يدفع عنه الهلاك تحقيقا اوتقديرا كطعامه وطعام اهله وكسوتهما والمسكن والخادم والمركب وآلة المحترف لاهلها وكتب العلم لاهله وغير ذلك مما لابد منه فى معاشه فان هذه الاشياء ليست بنامية فلا يجب فيها شئ والزكاة فى اللغة هى التطهير والاصلاح والنماء والمدح ومنه

النماء اما تحقيقى يكون بالتوالد والتناسل والتجارات اوتقديرى يكون بالتمكن من الاستنماء بان يكون فى يده اويد نائبه منه

فلا تزكوا انفسكم وفى الشرع هى تمليك جزء من المال معين شرعا من فقير مسلم غير هاشمى ولا مولاه مع قطع المنفعة عن المملك من كل وجه (٣) لله تعالى لان الزكاة عبادة فلا بد فيها من الاخلاص سمى بها لانها تطهر المال من الخبث وتقيه من الآفات والنفس من رذيلة البخل وتثمر لها فضيلة الكرم ويستجاب بها البركة فى المال ومدح المخرج ونعم ماقيل * يبكى على الذاهب من ماله . وانما يبقى الذى يذهب* وقال السعدى * زكاة مال بدركن چو فضله رزرا . چو باغبان ببرد بيشتر دهد انكور * وهى احد اركان الاسلام يكفر جاحدها ثبت فرضيتها بالكتاب والسنة واجماع الامة ويقاتل الممتنعون من ادائها وتؤخذ منهم قهرا كما فعل ابو بكر الصديق رضى الله عنه باهل الردة قال النووى قال المازرى رحمه الله تعالى افهم الشرع ان الزكاة وجبت للمواساة وان المواساة لاتكون الافى مال له بال وهو النصاب ثم جعلها فى الاموال النامية وهى العين والزرع والماشية ورتب الشرع مقدار الواجب بحسب المؤنة والتعب فى المال فاعلاها واقلها تعبا الركاز وفيه الخمس لعدم التعب فيه ويليه الزرع والثمر فان سقى بماء السماء ونحوه ففيه العشر والافنصفه لانه يحتاج الى العمل فيه جميع السنة ويليه الذهب والفضة والتجارة وفيها ربع العشر ويليه الماشية فانه يدخلها الاوقاص بخلاف الاموال السابقة والله اعلم ﴿ وقدمها ﴾ اى الزكاة ﴿ على فرض الحج لان فى الحج مع انفاق المال سفرا شاقا فكانت النفس الى الزكاة اسرع اجابة منها ﴾ اى من اجابتها ﴿ الى الحج ﴾ فهى بمنزلة المفرد من المركب والجزء مقدم على الكل طبعا فقدمت الزكاة على الحج شرعا ليتوافقا ﴿ فكان فى ايجابها مواساة للفقراء ومعونة لذوى الحاجات تكفهم ﴾ تلك المعونة ﴿ عن البغضاء ﴾ اى عن عداوة الاغنياء ﴿ وتمنعهم من التقاطع وتبعثهم على التواصل لان ﴾ الفقير ﴿ الآمل وصول ﴾ يقال هو وصولك اووصيلك وهو من يدخل معك ويخرج يعنى لايفارقك كالظل ﴿ والراجى هائب ﴾ اى خائف يقال هابه يهابه اذا خافه فلا تقاطع ولا بغضاء ﴿ واذا زال الامل وانقطع الرجاء واشتدت الحاجة وقعت البغضاء واشتد الحسد فحدث التقاطع بين ارباب الاموال والفقراء ووقعت العداوة بين ذوى الحاجات والاغنياء حتى تفضى ﴾ اى تؤدى تلك العداوة ﴿ الى التغالب على الاموال والتغرير بالنفوس ﴾ يقال غرر فلان بنفسه اذا عرضها للهلكة ﴿ هذا ﴾ اى الامر هكذا ﴿ مع مافى اداء الزكاة من تمرين النفس على السماحة المحمودة ومجانبة الشح المذموم لان السماحة ﴾ متعلق بالمحمود والمذموم على سبيل التوزيع ﴿ تبعث على اداء الحقوق ﴾ المالية كالزكاة والحج و برالوالدين و صلة الارحام و اداء الديون ﴿ والشح يصد عنها ومايبعث على اداء الحقوق فاجدر به حمدا وماصد عنها فاخلق به ذما ﴾ يقال هذا خليق به اى جدير والصيغتان للتعجب فافعل صورته امر و معناه الماضى من افعل بمعنى صار ذا فعل كاحم اى صار ذا حم وبه فاعلهما والباء زائدة لازمة عند سيبويه وحمدا وذما مصدران مبينان للمفعول مفعولان لهما والكلام مبنى على مذهب سيبويه حيث اتى حمدا وذما منصوبين فتعين الضميران للفاعلية لا على مذهب الاخفش وهو كون به مفعولا على ان يكون همزة افعل للتعدية ﴿ وقد روى ابو ﴾ داود عن ابى ﴿ هريرة رضى الله عنه ان النبى صلى الله عليه وسلم قال شر ما ﴾ اى شر خصال ﴿ اعطى العبد شح هالع ﴾ يقال رجل هلوع اذا كان يفزع من الشر و يحرص و يشح على المال اوالضجور الذى لايصبر على المصائب قال الله تعالى ان الانسان خلق هلوعا

فلايجوز تمليكه من الغنى والكافر والهاشمى ومولاه عند العلم بحالهم منه

(٣) احترز به عن الدفع الى فروعه وان سفلوا واصوله وان علوا ومكاتبه ودفع احد الزوجين الى الآخر منه

(تمه)

ويشترط العقل والبلوغ عند الحنيفة دون غيرهم وقد جمع ابن نباتة اقوال المجتهدين فقال اقول لشادن فى الحسن اضحى يصيد بلحظه قلب الكمى ، ملكت الحسن اجمع فى نصاب ، فاد زكاة منظرك البهى ، وذاك بان تجود لستهام ، برشف من مقبلك الشهى ، فقال ابو حنيفة لى امام ، يرى ان لازكاة على الصبى ، فان تك شافعى القول اومن ، يرى قول الامام المالكى ، فلاتك طالبا منى زكاة ، فاخراج الزكاة على الولى اجيب فان اعطيتها طوعا والا اخذناها بقول الحنبلى منه

اذا مسه الشر جزوعا واذا مسه الخير منوعا و فسر الهلوع بهما ﴿ وجبن خالع ﴾ يخلع عقله لفرط الجبانة ﴿ فسبحان من دبرنا بلطيف حكمته و اخفى عن فطنتنا جزيل نعمته ﴾ اى نعمته الكثيرة ﴿ حتى استوجب من الشكر باخفائها اعظم مما استوجبه بابدائها ﴾ لان كون النعمة اخفى انما يكون لدقتها وغموضها لا يوقف عليها الا بعد التأمل وتعميق النظر ماتيان مقدمات غريبة فاذا وقف عليها يستولى البهت والتحير على الواقف فى حكمة صانعه وينعقد لسانه فاذا انس بها فرح بدركها وينطلق لسانه وما ينطق الا سبحانك ما اعظم قدرتك وما اجل حكمتك واما النعم الظاهرة فلا يتعجب منها فلا يعظم شكرها ﴿ ثم فرض الحج ﴾ و هو لغة القصد و شرعا زيارة مكان مخصوص فى زمان مخصوص بفعل مخصوص و اختلف فى انها على الفور او على التراخى فعند ابى حنيفة وابى يوسف ومالك على الفور و عند محمد والشافعية على التراخى بشرط عدم خوف الفوات لان الحج فرض سنة خمس او ست كما صححه فى السير وعليه الجمهور لانه نزل فيها قوله تعالى و اتموا الحج والعمرة لله و قد اخره صلى الله عليه و سلم الى سنة عشر من غير مانع فدل على التراخى وهو فرض فى العمر مرة لقوله تعالى (ولله) فرض واجب (على الناس حج البيت) قصده للزيارة على الوجه المخصوص (من استطاع اليه سبيلا) بدل من الناس مخصص له والاستطاعة الزاد والراحلة فعند الشافعية انها بالمال ولذلك اوجب الاستنابة على الزمن اذا وجد اجرة من ينوب عنه وقال مالك بالبدن فيجب على من قدر على المشى والكسب فى الطريق وقال ابو حنيفة بمجموع الامرين ﴿ فكان آخر فروضه ﴾ تعالى ﴿ لانه يجمع عملا على بدن وحقا فى مال فجعل ﴾ الله تعالى ﴿ فرضه بعد استقرار فروض الابدان وفروض الاموال ليكون استيناسهم بكل واحد من النوعين ذريعة الى تسهيل امر يجمع بين النوعين فكان فى ايجابه تذكير ليوم الحشر بمفارقة المال والاهل وخضوع العزيز والذليل ﴾ المصدر مضاعف الى فاعله ﴿ فى الوقوف بين يديه واجتماع المطيع والعاصى فى الرهبة منه والرغبة اليه و ﴾ كان فى ايجابه ايضا ﴿ اقلاع اهل المعاصى عما اجترحوه ﴾ اى عن معصية اكتسبوها بجوار حهم ﴿ وندم المذنبين عما اسلفوه فقل من حج الا واحدث توبة من ذنب و اقلاعا من معصية ﴾ القلة ههنا كناية عن العدم اى ما من حج ولذا زيد من فى الاثبات وصح الاستثناء المفرغ ﴿ و لذلك قال النبى صلى الله عليه وسلم من علامة الحجة المبرورة ﴾ اى المقبولة ﴿ ان يكون صاحبها بعدها خير امنه ﴾ اى من الصاحب ﴿ قبلها وهذا ﴾ الخبر ﴿ صحيح ﴾ اى ثابت ﴿ لان الندم على الذنوب مانع من الاقدام عليها والتوبة مكفرة لما سلف منها فاذا كف ﴾ اى منع التائب ﴿ عما كان يقدم عليه انبأ عن صحة توبته وصحة التوبة تقتضى قبول حجته ﴾ لقوله تعالى انما يتقبل الله من المتقين نقل عن بعض السلف الصالحين انه حج فلما قضى نسكه قال لصاحب له هل تم حجنا الم تسمع قول ذى الرمة * تمام الحج ان تقف المطايا * على خرقاء و اضعة اللثام * والخرقاء اسم محبوبته و حقيقة ماقال هو انه كما قطع البرارى والقفار حتى و صل الى بيته و حرمه فينبغى ان يقطع هواء النفس و يخرق حجب القلب حتى يوصل الى مقام المشاهدة و يبصر آثار كرمه بعد الرجوع الى حرمه ﴿ ثم نبه ﴾ الله تعالى ﴿ بما يعانى فيه من مشاق السفر المؤدى اليه ﴾ الى الحج ﴿ على موضع النعمة ﴾ متعلق بنبه

﴿ برفاهة الاقامة ﴾ الظرف صفة للنعمة يقال رفه عيشه رفاهة من الباب الخامس اذا رغد ولان واخصب ﴿ وانسة الاوطان ﴾ بفتحتين ضد الوحشة يقال انس وانسه اى سكن به قلبه ولم ينفر ﴿ ليحنوا ﴾ اى ليميلوا بالشفقة ﴿ على من سلب هذه النعمة ﴾ منه او بالبناء للفاعل ﴿ من ابناء السبيل ﴾ وقال الحافظ * تيمار غريبان سبب ذكر جميلست. جانا مكر اين قاعده درشهر شما نيست ﴿ ثم اعلم ﴾ الله تعالى ﴿ بمشاهدة حرمه الذى انشأ منه ﴾ دينه وبعث فيه رسوله ثم بمشاهدة دار الهجرة التى اعز الله بها اهل طاعته واذل بنصرة نبيه محمد عليه الصلاة والسلام اهل معصيته حتى خضع له عظماء المتجبرين وتذلل له زعماء المتكبرين ﴾ من الاكاسرة والقياصرة والفراعنة ﴿ انه ﴾ اى الدين وجملة ان قائم مقام المفعول الثانى والثالث لاعلم وحذف الاول للتعميم ﴿ لم ينتشر عن ذلك المكان المنقطع ﴾ عن العمر انات المحاط بالبرارى والقفار قال الله تعالى حكاية عن ابراهيم عليه السلام ربنا انى اسكنت من ذريتى بواد غير ذى زرع ﴿ ولا قوى بعد الضعف البين ﴾ اى الظاهر لما هاجر اهله مرتين ﴿ حتى طبق الارض ﴾ احاطها وغشاها يقال طبق السحاب السماء اذا غشاه ﴿ شرقا وغربا الا بمعجزة ظاهرة واصر عزيز ﴾ فيه عز ومنعة او وصف بصفة المنصور اسنادا مجازيا ﴿ فاعتبر الهمك الله الشكر ووفقك للتقوى العام ﴾ مفعول اعتبر والجملة الدعائية معترضة ﴿ عليك فيما كلفك واحسانه اليك فيما تعبدك فقد وكلتك الى فطنتك واحلتك على بصيرتك بعد ان كنت لك رائدا صدوقا ﴾ اى بعد كونك طالبا لنفسك نجاتها وفوزها ومتحريا اياه والرائد هو الذى يتقدم ليتحرى مكان الكلأ والمعشب للقوم ﴿ وناصحا شفوقا ﴾ لاعدوا معاندا ﴿ هل تحسن نهوضا بشكره ﴾ اى قياما به ﴿ اذا فعلت ما امرك وتقبلت ما كلفك كلا ﴾ حرف ردع اى لا تحسن القيام بشكره ﴿ انه ﴾ بالكسر ﴿ لا يوليك ﴾ اى لا يبعد ولا ينى عنك ﴿ نعمة توجب الشكر ﴾ الجملة صفة لنعمة ﴿ الا وصلها قبل شكر ما سلف بنعمة ﴾ اخرى ﴿ توجب الشكر فى المؤتنف ﴾ كالنعمة الاولى وهكذا يتتابع النعم فيتضيق الزمان عن اداء الشكر وهو بصيغة المفعول يقال ائتنف الشئ واستأنفه اى ابتدأه واخذ فيه بعد مرة ﴿ وقال الحسن بن على ﴾ الخلال الهذلى من شيوخ البخارى او غيره ﴿ نعم الله اكثر من ان تشكر الا ما اعان ﴾ الله ﴿ عليه وذنوب ابن آدم اكثر من ان تغفر الا ما عفى عنه ﴾ اى اكثر مما يتعلق به الشكر والمغفرة ﴿ وانشدت لمنصور بن اسمعيل الفقيه المصرى رحمه الله تعالى ﴾ هو ابو الحسين الضرير التميمى من الفقهاء الشافعية توفى سنة ست وثلثمائة فى مصر. من الرجز ﴿ شكر الاله نعمة . موجبة لشكره * فكيف شكرى بره . وشكره من بره ﴾ اى والحال ان شكره تعالى من احسانه تعالى وهو موجب للشكر فننقل الكلام الى الشكر الثانى والثالث وهلم جرا فيلزم التسلسل المحال ولذا اتى بالاستفهام الانكارى يعنى حياة البشر متناهية والشكر اللازم غير متناه فانى يؤدى المتناهى مالا يتناهى ولذا قال المصنف ﴿ واذا كنت عن شكر نعمه عاجزا فكيف بك ﴾ اى ارحم بك والانكار للترحم ﴿ اذا قصرت فيما امرك او فرطت فيما كافك ونفعه اعود عليك لو فعلته هل تكون لسوابغ نعمه الا كفورا ﴾ يقال نعمة سابغة اى متسعة اى ما تكون لنعمه المتسعة الا ساترا وهو يأمرك ويقول واما بنعمة ربك فحدث ﴿ و ﴾ ما تكون ﴿ ببداية العقول ﴾ جمع بديهة يقال هذا

معلوم فى بداهة العقول اى غير محتاج الى اعمال فكر ونظر ﴿ الا مدحورا ﴾ اى مطرودا وفى بعض النسخ مزجورا اى مدفوعا ولمحمود الوراق * اذا كان شكرى لعمة الله نعمة. على له فى مثلها يجب الشكر * فكيف بلوغ الشكر الا بفضله . وان طالت الايام واتصل العمر * اذا مس بالسراء عم سرورها . وان مس بالضراء اعقبها الاجر * فما منهما الا له فيه نعمة. تضيق بها الاوهام والسر والجهر (فائدة) قالت الشافعية احسن الثناء على الله تعالى لا احصى ثناء عليك انت كما اثنيت على نفسك فلو حلف ليثنين على الله احسن الثناء فطريق البران يقول ذلك لان احسن الثناء وابلغه ثناء الله على نفسه بقوله فلله الحمد رب السموات ورب الارض رب العالمين وله الكبرياء فى السموات والارض وهو العزيز الحكيم وغير ذلك مما حمد به نفسه واما مجامع الحمد واجله فالحمد لله حمدا يوافى نعمه) اى يلاقيها فتحصل معه (ويكافى مزيده) اى يساويه فيقوم بشكر مازاد من النعم يقال ان جبريل عليه السلام قال لآدم عليه الصلاة والسلام وقال قد علمتك مجامع الحمد كما فى العزيزى وقال حكيم للشكر ثلاثة منازل ضمير القلب ونشر اللسان ومكافاة اليد قال الشاعر * افادتكم النعماء منى ثلاثة. يدى ولسانى والضمير المحجبا * وقال آخر * ولو ان لى فى كل منبت شعرة. لسانا يطيل الشكر كنت مقصرا * اما شكر القلب فان يعلم العبد ان النعمة من الله كما قال الله تعالى وما بكم من نعمة فمن الله اى ايقنوا انها من الله وشكر اللسان التحديث قال الله تعالى واما بنعمة ربك فحدث وشكر الجوارح العمل قال الله تعالى اعملوا آل داود شكرا فجعل العمل شكرا وقد قام النبى صلى الله عليه وسلم حتى تورمت قدماه فقيل له يارسول الله اتفعل هذا بنفسك وقد غفر الله لك ماتقدم من ذنبك وما تأخر قال افلا اكون عبدا شكورا وهذه نبذة من شكر الله واما شكر الناس فيأتى فى باب ادب النفس ﴿ وقد قال الله تعالى ﴾ فى النحل ﴿ يعرفون نعمة الله ثم ينكرونها قال مجاهد ﴾ ابن جبر المخزومى مولى عبدالله بن السائب المخزومى سمع ابن عباس وابن عمر وابا هريرة وجابرا وعبدالله بن عمرو وغيرهم قال مجاهد عرضت القرآن على ابن عباس ثلاثين مرة وهو امام فى الفقه والتفسير والحديث ومات سنة مأة وهو ابن ثلاث وثمانين سنة بمكة وهو ساجد روى له الجماعة ﴿ اى يعرفون ماعدد الله عليهم من نعمه وينكرونها بقولهم انهم ورثوها عن آبائهم واكتسبوها بافعالهم ﴾ وفى الكشاف حيث يعترفون بها وانها من الله ثم ينكرونها بعباداتهم غير المنعم بها وقولهم هى من الله ولكنها بشفاعة آلهتنا ﴿ وروى عن النبى صلى الله عليه وسلم انه قال يقول الله يا ابن آدم ما انصفتنى ﴾ اى ماعدلتنى يقال انصفه اذا عدله ﴿ اتحبب اليك بالنعم ﴾ اى اتودد اليك بانعامى (وتمقت الى بالمعاصى) اى وتظهر عداوتك بعصيانى والمقت البغض لامر قبيح ﴿ خيرى اليك نازل وشرك الى صاعد كم من ملك كريم يصعد الى ﴾ اى الى بيت عزتى ﴿ منك بعمل قبيح ﴾ والحديث لفظه خبر ومعناه شكاية يتشكى الله منا فنقول ربنا انك منبع كل كمال وانا مهاوى كل نقائص وفى المثل كل اناء يترشح بما فيه وقال السعدى * كه اندر نعمتى مغرور وغافل . كه اندر تنكدستى خسته وريش * چو در سراء وضرا حالت اينست. نمى دانم كه كى پردازى ازخويش ﴿ وقال بعض صلحاء السلف قد اصبح بنا من نعم الله تعالى مالا نحصيه مع كثرة ما نعصيه ﴾

اى مع كثرة عصياننا ﴿ فلا ندرى ايهما نشكر ﴾ ايهما منصوب على انه مفعول نشكر قدم عليه لتضمنه معنى الاستفهام ومفعول ندرى معلق عنه لكونه فعلا قلبيا ﴿ اجميل ما نشر ام قبيح ما ستر ﴾ بدلان من ايهما وبين النشر والستر جناس تصحيف ﴿ فحق ﴾ ثابت وواجب خبر مقدم ﴿ على من عرف موضع النعمة ان يقبلها ﴾ اى قبولها مبتدأ مؤخر ﴿ ممتثلا لما كلف منها ﴾ متمسكا بما كلف من النعمة ﴿ وقبولها يكون بأدائها ﴾ ان ﴿ يشكر الله تعالى على ما انعم من اسدائها ﴾ اى احسانها واعطائها يعنى اداؤها بطيب نفس وانشراح لابكراهة وانقباض ﴿ فان بنا من الحاجة الى نعمه اكثر ﴾ اسم ان ﴿ مما كلفنا من شكر نعمه فان نحن ادينا ﴾ مفسر للفعل المحذوف وجوبا ونحن فاعل له فلما حذف الفعل صار الضمير المتصل منفصلا اى فان ادينا ﴿ حق النعمة فى التكليف تفضل ﴾ علينا ﴿ بابتداء النعمة ﴾ اى باحسانها ابتداء ﴿ من غير جهة التكليف فلزمت النعمتان ﴾ ما كانت من جهة التكليف وما ابتدائها من غير جهته ﴿ ومن لزمته النعمتان فقد اوتى حظ الدنيا والآخرة ﴾ وكون التكليف من حظوظ الآخرة ظاهر واما كونه من حظوظ الدنيا فقد قالوا ليس جميع جزاء الحسنة آجلا بل بعضه عاجل وهو المبادرة لمثلها ابتداء ثم تمرين النفس بها بحيث لا يقدر على تركها ثم الاستلذاذ بها بحيث يتهالك عليها فتأمل قوله عليه السلام حبب الى من دنياكم ثلاث الطيب والنساء وقرة عينى فى الصلاة تقف عليه حيث عد السرور الحاصل من الصلاة من الدنيا لانه لذة عاجلة وجزاء السيئة على هذه المراتب كما قال الله تعالى ثم قست قلوبهم فهى كالحجارة وقال كلا بل ران على قلوبهم ما كانوا يكسبون اى غلب ﴿ وهذا ﴾ الذى اوتى الحظين ﴿ هو السعيد بالاطلاق ﴾ لم يقيد سعادته باضافتها الى احد الدارين ﴿ وان قصرنا ﴾ معطوف على ادينا ﴿ فى اداء ما كلفنا من شكره ﴾ بترك الاداء او الشكر كليا او احيانا ﴿ قصر عنا ما لا تكليف فيه من نعمه فنفرت النعمتان ومن نفرت عنه النعمتان فقد سلب ﴾ عنه ﴿ حظ الدنيا والآخرة فلم يكن له فى الحياة حظ ولا فى الموت راحة ﴾ وذلك هو الخسران المبين ﴿ وهذا هو الشقى بالاستحقاق ﴾ حيث ترك باختياره اسباب سعاداته والشرطية بكلا شقيه مأخوذة من قوله تعالى لئن شكرتم لازيدنكم ولئن كفرتم ان عذابى لشديد ﴿ وليس يختار الشقوة على السعادة ذو لب صحيح ولا ﴾ ذو ﴿ عقل سليم ﴾ من الهوى ﴿ وقد قال الله تعالى ﴾ فى النساء ﴿ ليس ﴾ ما وعد الله من الثواب ينال ﴿ بامانيكم ﴾ ايها المؤمنون ﴿ ولا ﴾ بـ﴿ امانى اهل الكتاب ﴾ وانما ينال بالايمان والعمل الصالح ﴿ من يعمل سوأ يجز به ﴾ عاجلا وآجلا روى ان المسلمين واهل الكتاب افتخروا فقال اهل الكتاب نبينا قبل نبيكم وكتابنا قبل كتابكم ونحن اولى بالله منكم وقال المسلمون نحن اولى منكم نبينا خاتم النبيين وكتابنا يقضى على الكتب المتقدمة فنزلت ﴿ وروى الاعمش ﴾ هو سليمان بن مهران ﴿ عن سليم ﴾ بن حيان ﴿ قال قال ابو بكر الصديق رضى الله عنه يا رسول الله ما اشد هذه الآية ﴾ منصوب على التعجب ﴿ من يعمل سوءا يجز به ﴾ بدل من الاية او عطف بيان ﴿ فقال ﴾ النبى صلى الله عليه وسلم ﴿ يا ابا بكر ان المصيبة ﴾ بنحو الحزن والمرض والشدائد ﴿ فى الدنيا جزاء ﴾ اى جزاء ذلك السوء وروى عن ابن عباس رضى الله عنهما انه قال لما نزلت هذه الآية شقت على المؤمنين مشقة عظيمة قالوا يا رسول الله

اينا لم يعمل سوءا غيرك فكيف الجزاء فقال عليه الصلاة والسلام ان الله وعد على الطاعة عشر حسنات وعلى المعصية الواحدة عقوبة واحدة فمن جوزى بالسيئة نقصت واحدة من عشر وبقيت له تسع حسنات فويل لمن غلب آحاده اعشاره كما فى التفاسير وروى البخارى عن ابى هريرة ان النبى صلى الله عليه وسلم قال ما يصيب المسلم من نصب ولا وصب ولا هم ولا حزن ولا اذى ولا غم حتى الشوكة يشاكها الا كفر الله بها من خطاياه ﴿ واختلف المفسرون فى تأويل قوله تعالى ﴾ فى التوبة وممن حولكم من الاعراب منافقون ومن اهل المدينة مردوا على النفاق لاتعلمهم نحن نعلمهم ﴿ سنعذبهم مرتين ﴾ ثم يردون الى عذاب عظيم ﴿ فقال بعضهم احد العذابين الفضيحة فى الدنيا ﴾ وذلك ما روى ان النبى صلى الله عليه وسلم قام خطيبا يوم الجمعة فقال اخرج يا فلان فانك منافق فاخرج من المسجد ناسا وفضحهم ﴿ والثانى عذاب القبر وقال عبد الرحمن بن زيد ﴾ بن الخطاب ﴿ احد العذابين مصائبهم فى الدنيا فى اموالهم ﴾ باخذ الزكاة ﴿ واولادهم ﴾ بقتلهم وسبيهم ﴿ والثانى عذاب الآخرة فى النار ﴾ وتمام الآية يأبى عن الثانى اذ يلزم التكرار ﴿ وليس وان نال اهل المعاصى ﴾ اسم ليس وفاعل نال ﴿ لذة ﴾ مفعوله ﴿ من عيش او ادركوا امنية من دنيا كانت ﴾ اى لذتهم وامنيتهم ﴿ عليهم نعمة ﴾ وجملة كانت خبر ليس فليس ونال متنازعان فى الفاعلية فقطا اى ليس اهل المعاصى وان نالوا الذة من عيش آه ﴿ بل قد يكون ذلك استدراجا ونقمة ﴾ منه تعالى عليهم واستدراج الله تعالى العبد انه كلما جدد خطيئة جدد له نعمة وانساه الاستغفار او ان يأخذه قليلا قليلا ولا يباغته ﴿ وروى ابن لهيعة ﴾ ابو عبد الرحمن عبد الله بن لهيعة الحضرمى من ثقاة المحدثين واصحاب الاخبار المتوفى سنة اربع وسبعين ومأة ﴿ عن عقبة بن مسلم عن عقبة بن عامر ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال اذا رأيت الله تعالى يعطى العباد ما يشاؤن على معاصيهم ﴾ اى مع عصيانهم اياه ﴿ فانما ذلك ﴾ الاعطاء ﴿ استدراج منه لهم ثم تلا ﴾ النبى صلى الله عليه وسلم قوله تعالى فى الانعام ﴿ فلما نسوا ما ذكروا به ﴾ من البأساء والضراء ولم يتعظوا به ﴿ فتحنا عليهم ابواب كل شئ ﴾ من انواع النعم مراوحة عليهم واستدراجا بين نوبتى الضراء والسراء وامتحانا لهم بالشدة والرخاء والزاما للحجة وازاحة للعلة او مكرا بهم ﴿ حتى اذا فرحوا ﴾ اعجبوا اى صاروا معجبين بحالهم ﴿ بما اوتوا ﴾ من النعم ﴿ اخذناهم بغتة فاذاهم مبلسون ﴾ متحسرون آيسون قال الزجاج المبلس الشديد الحسرة الحزين ولما فرغ المصنف من تفصيل القسمين الاولين شرع فى تفصيل القسم الثالث وهو ما امرهم بالكف عنه فقال ﴿ واما المحرمات التى يمنع الشرع منها واستقر التكليف عقلا او شرعا بالنهى عنها فتنقسم قسمين ﴾ روى مسلم عن عبد الله بن مسعود قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ليس احد احب اليه المدح من الله عز وجل من اجل ذلك مدح نفسه وليس احد اغير من الله من اجل ذلك حرم الفواحش ما ظهر منها وما بطن قال النووى الغيرة بفتح الغين وهى فى حقنا الانفة وفى حق الله تعالى ان يأتى المؤمن ما حرم عليه اى غيرته منعه وتحريمه وقال الجلال الدوانى اختلف العلماء فى تعريف الكبيرة فقيل ما قرن به حد وهو قاصر وقيل ما قرن به حد او لعن او وعيد بنص الكتاب او السنة او علم ان مفسدته كمفسدة ما قرن به احد الثلثة او اكثر منه او اشعر بتهاون

المراوحة فى العمل ان يعمل هذا مرة وهذا مرة منه

المرتكب بالدين اشعارا مثل اشعار اصغر الكبائر كما لو قتل رجلا مؤمنا يعتقد انه معصوم الدم فظهر انه يستحق دمه اووطئ زوجته وهو يظن انها اجنبية وقال الروياني من اصحاب الشافعي الكبائر هذه الامور قتل النفس بغير الحق والزنا واللواطة وشرب الخمر والسرقة واخذ المال غصبا والقذف وشرب كل مسكر يلحق بشرب الخمر وشرط في الغصب ان يبلغ دينارا وضم اليها شهادة الزور واكل الربا والافطار في نهار رمضان بلا عذر واليمين الفاجرة وقطع الرحم وعقوق الوالدين والفرار يوم الزحف واكل مال اليتيم والخيانة في الكيل والوزن وتقديم الصلوة على وقتها وتأخيرها عن وقتها بلا عذر وضرب المسلم بغير الحق والكذب على النبي صلى الله عليه وسلم عمدا وسب الصحابة وكتمان الشهادة بلا عذر واخذ الرشوة والقيادة بين الرجال والنساء والسعاية عند السلطان ومنع الزكاة وترك الامر بالمعروف والنهي عن المنكر مع القدرة ونسيان القرآن بعد تعلمه واحراق الحيوان بالنار وامتناع المرأة من زوجها بلا سبب واليأس من رحمة الله والامن من مكره واهانة اهل العلم وحملة القرآن والظهار واكل لحم الخنزير وفي وجه تأخير صلوة واحدة الى ان يخرج من وقتها ليس بكبيرة وانما ترد الشهادة به لو اعتاده ﴿ منها ماتكون النفوس داعية اليها والشهوات باعثة عليها كالسفاح ﴾ اى الزنا ﴿ وشرب الخمر فقد زجر الله ﴾ النفوس ﴿ عنها لقوة الباعث عليها وشدة الميل اليها بنوعين ﴾ الباء متعلق بزجر ﴿ من الزجر احدهما حد عاجل يرتدع به ﴾ اى يمتنع عن الاقدام عليها ﴿ الجرى ﴾ على وزن فعيل الجسور المقدام وههنا بمعنى الفاسق بقرينة المقابلة ﴿ والثاني وعيد آجل يزدجر به التقي ﴾ ومنها ماتكون النفوس نافرة منها والشهوات مصروفة عنها كأكل الخبائث والمستقذرات ﴾ اى مايعد قذرا ونجسا شرعا او عند اصحاب الذوق السليم ﴿ وشرب السموم المتلفات فاقتصر الله في الزجر عنها بالوعيد وحده دون الحد ﴾ اى بوعيد يناسب ذلك المحرم كعدم حضور النبي صلى الله عليه وسلم جنازة من قتل نفسه ﴿ لان النفوس مسعدة ﴾ اى معانة يقال اسعدت النائحة الثكلى اى اعانتها على البكاء والنوح وساعدتها ﴿ في الزجر عنها والشهوات مصروفة عن ركوب المحظور منها ﴾ ثم اكد الله زواجره بانكار المنكرين لها فاوجب الامر بالمعروف ﴾ الواجب ﴿ والنهي عن المنكر ﴾ الحرام والا فالامر بالمندوب والنهي عن المكروه ليس بواجب بل مندوب قال العلامة في شرح المقاصد قد تطابق الكتاب والسنة والاجماع على وجوب الامر بالمعروف والنهي عن المنكر وقوله تعالى عليكم انفسكم لايضركم من ضل اذا اهتديتم معناه اصلحوا انفسكم لاداء الواجبات وترك المعاصي وبالامر بالمعروف والنهي عن المنكر لايضركم بعد النهي عنادهم واصرارهم ولا اكراه في الدين منسوخ بايات القتال على انه ربما يناقش في كون الامر بالمعروف والنهي عن المنكر اكراها ﴿ ليكون الامر بالمعروف تأكيد الاوامره والنهي عن المنكر تأييد الزواجره لان النفوس الاشرة ﴾ على وزن كتف اى البطرة وبابه طرب ﴿ قد الهتها الصبوة عن اتباع الاوامر ﴾ اى من شانها أن يمنعها شدة ميلها الى الشهوات يقال صبا الى المرأة اذا حن اليها ﴿ واذهلتها الشهوة عن تذكار الزواجر ﴾ وتخطرها او يغتر بعفو الله ﴿ وكان انكار المجالسين از جرلها وتوبيخ المخاطبين ابلغ فيها ﴾ اى لتلك النفوس وفي اساس الاقتباس روى عن النبي صلى الله عليه وسلم انه قال من امر بالمعروف ونهى

عن المنكر فهو خليفة الله فى ارضه وخليفة رسوله وخليفة كتابه فاخذه الشاعر و قال * الآمرون بمعروف وراغبه . والزاجرون عن الفحشاء والنكر * مؤيدون الدين الحق ثم هم . خلائف الرسل فى التبليغ والحذر * وفى درالمختار الذكير على المنابر للوعظ و الا تعاظ سنة الانبياء والمرسلين قال الله تعالى حكاية عن نوح ولا ينفعكم نصحى ان اردت ان انصح لكم ان كان الله يريد ان يغويكم وقال شعيب ونصحت لكم فكيف آسى على قوم كافرين وقال صالح ولصحت لكم ولكن لاتحبون الناصحين ولرياسة ومال وقبول عامة من ضلالة اليهود والنصارى ﴿ ولذلك ﴾ اى لكون انكار المجانسين از جر . فى المصابيح عن جرير البجلى قال ﴿ قال النبى صلى الله عليه وسلم ما اقر قوم المنكر ﴾ باهمال النهى عنه ﴿ بين اظهرهم ﴾ اى بينهم يقال بين ظهريهم و بين اظهرهم بمعنى بينهم وفائدة ادخاله فى الكلام ان اقامته بينهم على سبيل الاستظهار بهم والاستناد اليهم كان ظهرا منهم قدامه وظهرا وراءه وذلك الشئ مكنوف من جانبيه ثم كثر استعماله فى الاقامة بينهم وان كان غير مكنوف بينهم كما فى المصباح ﴿ الا عمهم الله بعذاب محتضر ﴾ يحتضره صاحبه فى نوبته وفى الاحياء قال بلال بن سعيد ان المعصية اذا اخفيت لم تضر الا صاحبها فاذا اعلنت ولم تغير اضرت بالعامة وقال الله تعالى واتقوا فتنة لا تصيبن الذين ظلموا منكم خاصة اى لاتختص اصابتها بمن يباشر الظلم منكم بل يعمه وغيره كاقرار المنكر بين اظهرهم والمداهنة فى الامر بالمعروف والنهى عن المنكر وافتراق الكلمة وظهور البدع والتكاسل فى الجهاد وعند احمد من حديث عدى بن عميرة سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول ان الله لا يعذب العامة بعمل الخاصة حتى يروا المنكر بين ظهرانيهم وهم قادرون على ان ينكروه فلا ينكرونه فاذا فعلوا ذلك عذب الله الخاصة والعامة وروى البخارى عن ابن عمر رضى الله عنهما انه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم اذا انزل الله بقوم عذابا اصاب العذاب من كان فيهم) يعنى حتى الصالحين (ثم بعثوا على) حسب (اعمالهم) ان كانت صالحة فعقباهم صالحة والافسيئة فذلك طهرة للصالح ونقمة على الفاسق فلا يلزم من الاشتراك فى الموت الاشتراك فى الثواب او العقاب بل يجازى كل احد بعمله على حسب نيته وهذا من الحكم العدل لان اعمالهم الصالحة انما يجازون بها فى الآخرة واما فى الدنيا فما اصابهم من بلاء كان تكفيرا لما قدموه من عمل سئ كترك الامر بالمعروف وفى الحديث تحذير عظيم لمن سكت عن النهى فكيف بمن يداهن فكيف بمن رضى فكيف بمن اعان نسئل الله العافية والسلامة وعند ابن ابى الدنيا عن ابراهيم بن عمرو الصنعانى قال اوحى الله الى يوشع بن نون عليه السلام انى مهلك من قومك اربعين الفا من خيارهم وستين الفا من شرارهم قال يارب هؤلاء الاشرار فما بال الاخيار قال انهم لم يغضبوا لغضبى وكانوا يواكلوهم ويشاربوهم * واعلم انه قد تقوم كثرة رؤية المنكرات مقام ارتكابها فى سلب القلوب نور التمييز والانكار لان المنكرات اذا كثر على القلب ورودها وتكرر فى العين شهودها ذهبت عظمتها من القلوب شيئا فشيئا الى ان يراها الانسان ولا يخطر بباله انها منكرات ولا يمر بفكره انها معاص لما احدث تكرارها من تألف القلوب بها وفى القوت لابى طالب المكى عن بعضهم انه مر يوما فى السوق فرأى بدعة فبال الدم من شدة انكاره لها بقلبه ولغير مزاجه لرؤيتها فلما كان اليوم الثانى مر فرأها فبال دما صافيا فلما كان اليوم الثالث مر فرأها فبال المعتاد لان حدة الانكار التى اثرت فى بدنه ذلك الاثر ذهبت

فعاد المزاج الى حاله الاول وصارت البدعة كأنها مألوفة عنده معروفة لديه وهذا امر مستقر لايمكن جحوده والله اعلم كذا فى القسطلانى وفى الجامع الصغير (الذنب شوم على غير فاعله) نبه على هذا لخفائه واماشومه على فاعله فمعلوم ثم بين وجه الشآمة (ان عيره ابتلى به) فى نفسه (وان اغتابه اثم) مالم يتجاهر (وان رضى به شاركه) فى الاثم لان الراضى بالمعصية كفاعلها رواه الترمذى عن انس عصمنا الله من كل ذنوب وحفظنا من جميع العيوب ﴿ واذا كان ذلك فلايخلو حال فاعلى المنكر من احد الامرين احدهما ان يكونوا آحادا متفرقين وافرادا متبددين لم تحزبوا ﴾ اى لم يجتمعوا ولم يصيروا حزبا اولئك حزب الشيطان اى جنده واصحابه المخصوص ﴿ فيه ﴾ فى ذلك المنكر ﴿ ولم يتظافروا عليه وهم رعية مقهورون واشذاذ مستضعفون ﴾ اى افراد قليلة يعدون ضعفاء فلا يبالى بمخالفتهم ومعاندتهم فيؤمن من الفتنة ﴿ فلا خلاف بين الناس ان امرهم بالمعروف ونهيهم عن المنكر مع المكنة ﴾ اى القدرة ﴿ وظهور القدرة واجب على من شاهد ذلك ﴾ المنكر ﴿ من فاعليه او سمعه من قائليه ﴾ قال ابوالسعود فى تفسيره والعاصى يجب عليه النهى مما ارتكبه اذ يجب عليه تركه وانكاره فلا يسقط بترك احدها وجوب شئ منهما والتوبيخ فى قوله تعالى اتأمرون الناس بالبر وتنسون انفسكم انما هو على نسيان انفسهم لاعلى امرهم بالبر وعن السلف مروا بالخير وان لم تفعلوا وقال امام الحرمين ان الحكم الشرعى اذا استوى فى ادراكه الخاص والعام ففيه للعالم وغير العالم الامر بالمعروف والنهى عن المنكر واذا اختص مدركه بالاجتهاد فليس للعوام فيه امر ونهى بل موكول الى اهل الاجتهاد واذا نصب وال تعين عليه انتهى فالامر والنهى من فروض الكفاية كما قال به اكثر المفسرين والمتكلمين ﴿ وانما اختلفوا فى وجوب ذلك ﴾ النهى ﴿ على منكريه وهل وجب عليهم بالعقل او بالشرع فذهب بعض المتكلمين الى وجوب ذلك بالعقل ﴾ والشرع مؤيد لذلك الوجوب ﴿ لانه لما وجب بالعقل ان يمتنع من القبيح ﴾ كالكفر وتكذيب رسول اتى بمعجزة ﴿ وجب ايضا بالعقل ان يمنع غيره منه لان ذلك ﴾ المنع ﴿ ادعى الى مجانبته وابلغ فى مفارقته ﴾ من مجانبة ذلك الغير بنفسه ففى منعه مصلحة يعنى لكن المقدم حق وكذا التالى ﴿ وقد روى عبدالله بن المبارك ﴾ بن واضح الحنظلى التميمى مولاهم المروزى الامام المتفق على جلالته وامامته وورعه وسخائه وعبادته الثقة الحجة الثبت وهو من تابعى التابعين وكان ابوه تركيا مملوكا لرجل من همذان مات فى رمضان سنة احدى وثمانين ومأة بهيت فى العراق منصرفا من الغزو ﴿ رحمه الله ﴾ وفى مشكاة المصابيح عن النعمان بن بشير ﴿ قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ان قوما ركبوا سفينة فاقتسموا فاخذ كل واحد منهم موضعا فنقر رجل منهم موضعه بفأس ﴾ اى خرقه به وهو الذى يشق به الحطب ﴿ فقالوا وما تصنع قال هو مكانى اصنع به ماشئت فلم يأخذوا على يديه فهلك وهلكوا ﴾ وذلك اثبات للملازمة ﴿ وذهب آخورن الى وجوب ذلك ﴾ النهى ﴿ بالشرع دون العقل لان العقل لواوجب النهى عن المنكر و ﴾ اوجب ﴿ منع من غيره من القبيح لوجب مثله على الله تعالى ﴾ عقلا لانه تعالى راعى الحكمة فيما خلق وامر تفضلا ورحمة لاوجوبا كما هو المذهب والدليل الزامى ولذا بنى على مذهب المستدل اى المعتزلة ﴿ ولما جاز ورود الشرع باقرار اهل الذمة على الكفر ﴾

وهو انكر المنكرات ﴿ و ﴾ لما جاز ﴿ ترك النكير عليهم ﴾ لكن التالي باطل وكذا المقدم ﴿ لان واجبات العقول لا يجوز ابطالها بالشرع ﴾ بل يجب تأويل الشرع فيما يخالف العقل ﴿ وفي ورود الشرع بذلك ﴾ الاقرار ﴿ دليل على ان العقل غير موجب لانكاره ﴾ وهذا دليل الملازمة ﴿ فاما اذا كان في ترك انكاره مضرة لاحقة بمنكره وجب انكاره بالعقل على القولين معا ﴾ كخرق السفينة واحراق بيته المتصل بجاره ﴿ واما ان لحق المنكر مضرة من انكاره ولم يلحقه مضرة من تركه و اقراره ﴾ على القبيح ﴿ لم يجب عليه الانكار لا بالعقل ولا بالشرع. اما العقل ﴾ اى اما عدم ايجابه ﴿ فلانه يمنع من اجتلاب المضار التي لا يوازيها نفع . و اما الشرع فقد روى ابو سعيد الخدري ﴾ على ماروى مسلم عنه ﴿ رضي الله عنه عن النبي صلى الله عليه وسلم انه قال انكر المنكر بيدك فان لم تستطع فبلسانك فان لم تستطع فبقلبك ﴾ و محل الاستشهاد قوله فان لم تستطع اى لخوفك من لحوق المضرة وسئل حذيفة عن ميت الاحياء فقال الذي لا ينكر المنكر لا بيده ولا بلسانه ولا بقلبه ورواية مسلم اذا رأى احدكم منكرا فليغيره بيده فان لم يستطع الحديث قال النووي قوله فليغيره هو امر ايجاب باجماع الامة وقد تطابق على وجوب الامر بالمعروف والنهي عن المنكر الكتاب والسنة واجماع الامة وهو ايضا من النصيحة التي هي الدين ولم يخالف في ذلك الا بعض الرافضة ولا يعتد بخلافهم كما قال الامام ابو المعالي امام الحرمين لا يكترث بخلافهم في هذا فقد اجمع المسلمون عليه قبل ان ينبغ هؤلاء ووجوبه بالشرع لا بالعقل خلافا للمعتزلة واما قوله عز وجل عليكم انفسكم لا يضركم من ضل اذا اهتديتم فليس مخالفا لما ذكرناه لان معنى الآية عند المحققين انكم اذا فعلتم ما كلفتم به فلا يضركم تقصير غيركم مثل قوله تعالى ولا تزر وازرة وزر اخرى ومما كلف به الامر بالمعروف والنهي عن المنكر فاذا فعله ولم يمتثل المخاطب فلا عتب بعد ذلك على الفاعل لان عليه الامر والنهي لا القبول وقد ادى ما عليه* قال العلماء ولا يشترط في الآمر والناهي ان يكون كامل الحال ممتثلا ما يأمر به مجتنبا عما ينهى عنه بل عليه الامر وان كان مخلا بما يأمر به فانه يجب عليه شيئان ان يأمر نفسه وينهاها ويأمر غيره وينهاه فاذا اخل باحدهما كيف يباح له الاخلال بالآخر قالوا ولا يختص باصحاب الولايات بل ذلك ثابت لآحاد المسلمين ان كان المعروف من الواجبات الظاهرة والمنكر من المحرمات المشهورة وان كان من دقائق الافعال والاقوال ومما يتعلق بالاجتهاد لم يكن للعوام مدخل فيه ولا لهم انكاره بل ذلك للعلماء ثم العلماء انما ينكرون ما اجمع فيه اما المختلف فيه فلا انكار فيه لان على احد المذهبين كل مجتهد مصيب وهذا هو المختار عند كثير من المحققين او اكثرهم وعلى المذهب الآخر المصيب واحد والمخطئ غير متعين لنا والاثم مرفوع عنه لكن ان ندبه على جهة النصيحة الى الخروج من الخلاف فهو حسن محبوب مندوب الى فعله برفق فان العلماء متفقون على الحث على الخروج من الخلاف اذا لم يلزم منه اخلال بسنة او وقوع في خلاف آخر . وذكر اقضى القضاة ابو الحسن الماوردي في كتابه الاحكام السلطانية خلافا بين العلماء في ان من قلده السلطان الحسبة هل له ان يحمل الناس على مذهبه فيما اختلف فيه الفقهاء اذا كان المحتسب من اهل الاجتهاد ام لا يغير ما كان على مذهب غيره والاصح انه لا يغير لما ذكرناه ولم يزل الخلاف بين الصحابة والتابعين ومن بعدهم رضي الله عنهم اجمعين ولا ينكر محتسب ولا غيره على مذهب

غيره وكذلك قالوا ليس للمفتى ولا للقاضى ان يعترض على من خالفه اذا لم يخالف نصا او اجماعا او قياسا جليا والله اعلم * واعلم ان باب الامر بالمعروف والنهى عن المنكر قد ضيع اكثره من ازمان متطاولة ولم يبق الا رسوم قليلة وهو باب عظيم به قوام الامر وملاكه واذا كثر الخبث عم العقاب الصالح والطالح واذا لم يأخذوا على يد الظالم او شك ان يعمهم الله تعالى بعقاب فليحذر الذين يخالفون عن امره ان تصيبهم فتنة او يصيبهم عذاب اليم فينبغى لطالب الآخرة والساعى فى تحصيل رضا الله عز وجل ان يعتنى بهذا الباب فان نفعه عظيم لاسيما وقد ذهب معظمه ويخلص نيته ولا يهاب من ينكر عليه لارتفاع مرتبته فان الله تعالى قال ولينصرن الله من ينصره وقال ومن يعتصم بالله فقد هدى الى صراط مستقيم وقال والذين جاهدوا فينا لنهدينهم سبلنا وقال احسب الناس ان يتركوا ان يقولوا آمنا وهم لا يفتنون ولقد فتنا الذين من قبلهم فليعلمن الله الذين صدقوا وليعلمن الكاذبين * واعلم ان الاجر على قدر النصب ولا يتاركه ايضا لصداقته ومودته ومداهنته وطلب الوجاهة عنده ودوام المنزلة لديه فان صداقته ومودته توجب له حرمة وحقا ومن حقه ان ينصحه ويهديه الى مصالح آخرته وينقذه من مضارها وصديق الانسان ومحبه هو من سعى فى عمارة آخرته وان ادى ذلك الى نقص فى دنياه وعدوه من يسعى فى ذهاب آخرته وان حصل بسبب ذلك صورة نفع فى دنياه فانما كان ابليس عدوا لنا لهذا وكانت الانبياء صلوات الله عليهم وسلامه اجمعين اولياء للمؤمنين لسعيهم فى مصالح آخرتهم وهدايتهم اليها نسئل الله الكريم توفيقنا واحبابنا وسائر المسلمين لمرضاته وان يعمنا بجوده ورحمته . وينبغى للآمر بالمعروف والناهى عن المنكر ان يرفق ليكون اقرب الى تحصيل المطلوب فقد قال الامام الشافعى رحمه الله من وعظ اخاه سرا فقد نصحه وزانه ومن وعظه علانية فقد فضحه وشانه ومما يتساهل اكثر الناس فيه من هذا الباب ما اذا رأى انسانا يبيع متاعا معيبا او نحوه فانهم لا ينكرون ذلك ولا يعرفون المشترى بعيبه وهذا خطأ ظاهر وقد نص العلماء على انه يجب على من علم ذلك ان ينكر على البائع وان يعلم المشترى به والله اعلم * واما صفة النهى ومراتبه فقد قال النبى صلى الله عليه وسلم (فليغيره بيده فان لم يستطع فبلسانه فان لم يستطع فبقلبه) معناه فليكرهه بقلبه وليس ذلك بازالة وتغيير منه للمنكر ولكنه هو الذى وسعه وقوله ﴿ وذلك اضعف الايمان ﴾ معناه اقله ثمرة . قال القاضى عياض رحمه الله هذا الحديث اصل فى صفة التغيير فحق المغير ان يغيره بكل وجه امكنه زواله به قولا او فعلا فيكسر آلات الباطل ويريق المسكر بنفسه اويأمر من يفعله وينزع المغصوب ويردها الى اصحابها بنفسه اويأمره اذا امكنه ويرفق فى التغيير جهده بالجاهل وبذى العزة الظالم المخوف شره اذ ذلك ادعى الى قبول قوله كما يستحب ان يكون متولى ذلك من اهل الصلاح والفضل لهذا المعنى ويغلظ على المتمادى فى غيه والمسرف فى بطالته اذا امن ان يؤثر اغلاظه منكرا اشد مما غيره لكون جانبه محميا عن سطوة الظالم فان غلب على ظنه ان تغييره بيده يسبب منكرات اشد منه من قتله اوقتل غيره بسببه كف يده واقتصر على القول باللسان والوعظ والتخويف فان خاف ان يسبب قوله مثل ذلك غير بقلبه وكان فى سعة وهذا هو المراد بالحديث ان شاء الله تعالى وان وجد من يستعين به على ذلك استعان مالم يؤد الى اظهار سلاح وحرب وليرفع

(ذلك)

ذلك الى من له الامر ان كان المنكر من غيره او يقتصر على تغييره بقلبه هذا هو فقه المسئلة وصواب العمل فيها عند العلماء المحققين خلا فالمن رأى الانكار بالتصريح بكل حال وان قتل ونيل منه كل اذى انتهى كلام القاضي وليس للآمر بالمعروف البحث والتفتيش والتجسس واقتحام الدور بالظنون بل ان عثر على منكر غيره جهده وهذا كلام امام الحرمين وقال الماوردي ليس للمحتسب ان يبحث عما لم يظهر من المحرمات فان غلب على الظن استسرار قوم بها لامارة وآثار ظهرت فذلك ضربان احدهما ان يكون ذلك في انتهاك حرمة يفوت استدراكها مثل ان يخبره من يثق بصدقه ان رجلا خلا برجل ليقتله او بامرأة ليزني بها فيجوز له في مثل هذا الحال ان يتجسس ويقدم على الكشف والبحث حذرا من فوات مالا يستدرك وكذا لو عرف ذلك غير المحتسب من المطوعة جاز لهم الاقدام على الكشف والانكار والضرب الثاني ماقصر عن هذه المرتبة فلايجوز التجسس عليه ولا كشف الاستار عنه فان سمع اصوات الملاهي المنكرة من دار انكرها خارج الدار ولم يهجم عليها بالدخول لان المنكر غير ظاهر فليس عليه ان يكشف عن الباطن والله اعلم انتهى ماقاله النووي ﴿ فان اراد الاقدام على الانكار مع ﴾ ان غالب ظنه على ﴿ لحوق المضرة به نظر فان لم يكن اظهار النكير مما يتعلق باعزاز دين الله ولا اظهار كلمة الحق لم يجب عليه النكير اذا خشي بغالب الظن تلفا او ضررا ولم يحسن منه النكير ايضا ﴾ اي كما لا يجب ﴿ وان كان في اظهار النكير اعزاز دين الله واظهار كلمة الحق حسن منه ﴾ اي ممن يريد الانكار ﴿ النكير مع خشية الاضرار والتلف وان لم يجب عليه ﴾ الانكار حينئذ وقوله ﴿ اذا كان الغرض قد يحصل له بالنكير وان استضرا وقتل ﴾ متعلق بحسن وظرفه ﴿ وعلى هذا الوجه ﴾ وهو كون النكير حسنا مع خوف القتل وحصول الغرض الذي هو اعزاز الدين ﴿ قال النبي صلى الله عليه وسلم ان افضل الاعمال كلمة حق عند سلطان جائر ﴾ اي ظالم وفي حديث ابي امامة عند احمد بن حنبل احب الجهاد الى الله تعالى كلمة حق تقال لامام جائر . حكي انه كان رجل من محارب يسمى بجامع وكان شيخا صالحا خطيبا لسنا قال للحجاج حين بنى مدينة واسط بنيتها في غير بلدك واورثتها غير ولدك وكذلك من قطعه العجب عن الاستشارة والاستبداد عن الاستخارة وشكى الحجاج سوء طاعة اهل العراق فقال له جامع اما انهم لو احبوك لاطاعوك على انهم ماشنؤك لنسبك ولا لبلدك ولا لذات نفسك فدع ما يبعدهم منك الى مايقربهم اليك والتمس العافية ممن دونك تعطها ممن فوقك وليكن ايقاعك بعد وعيدك ووعيدك بعد وعدك قال الحجاج اني والله ما ارى ان اردني الكيمة الى طاعتي الا بالسيف فقال ايها الامير ان السيف اذا لاقى السيف ذهب الخيار فقال الحجاج ان الخيار يومئذ لله قال اجل ولكن لاتدري لمن يجعله الله فغضب الحجاج وقال لقد هممت ان اخلع لسانك فاضرب به وجهك فقال جامع ان صدقناك اغضبناك وان غششناك اغضبنا الله فغضب الامير اهون علينا من غضب الله قال اجل وسكن وشغل الحجاج ببعض الامر وانسل جامع كما في البيان ﴿ فاما اذا كان يقتل قبل حصول الغرض قبح في العقل ان يتعرض لانكاره ﴾ عديل قوله حسن منه ومعطوف عليه ﴿ وكذلك لو كان الانكار يزيد المنهي اغراء بفعل المنكر ولجاجا في الاكثار منه ﴾ لعتوه وتماديه في الضلال ﴿ قبح في العقل انكاره ﴾ اذ الانكار لتقليل

المعصية ما امكن فاذا كان سببا لزيادتها خرج عن القربات الشرعية ويكون من الحظوظات النفسانية فالسكوت اولى ﴿ والحالة الثانية ﴾ من حالى فاعلى المنكر ﴿ ان يكون فعل المنكر من جماعة قد تظافرت عليه وعصبة قد تحزبت ﴾ اى صارت حزبا وفرقة ﴿ ودعت ﴾ تلك العصبة الطاغية ﴿ اليه ﴾ اى الى منكر تظافروا عليه فرفعوا لواء المعاصى واحلوا ماحرم الله ورسوله ﴿ فقد اختلف الناس فى وجوب انكاره على مذاهب شتى فقالت طائفة من اصحاب الحديث واهل الآثار لايجب انكاره ﴾ لان الانكار يفضى الى احد الامرين اما الى القتل قبل حصول الغرض ان لم يكن له اعوان اوالى الفتنة ان كان له اعوان والفتنة اشد من القتل ﴿ والاولى بالانسان ان يكون كافا ﴾ نفسه ﴿ ممسكا ﴾ عن الانكار ﴿ وملازما بيته وادعا ﴾ وتاركا اياهم على ضلالتهم ﴿ غير منكر ﴾ بتقبيح ماهم عليه ﴿ ولامستقر ﴾ بتحسينه قولا وتلك الحالة انكار حالا وفعلا (وقد روى البخارى عن ابى سعيد الخدرى رضى الله عنه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم يوشك ان يكون خير مال المسلم غنم) اسم يكون والتقديم للاهتمام اذ المطلوب حينئذ الاعتزال (يتبع بها شعف الجبال) بفتحتين اى رؤسها للمرعى والماء (ومواقع القطر) اى المطر فى الاودية والصحارى (يفر بدينه من الفتن) وفيه فضيلة العزلة لمن خاف على دينه فان لم يكن فالجمهور على ان الاختلاط اولى لاكتساب الفضائل الدينية والجمعة والجماعات وغيرها كاعانة واغاثة وعيادة وقال قوم العزلة افضل لتحقق السلامة بشرط معرفة مايتعين واختار النووى الخلطة لمن لايغلب على ظنه الوقوع فى المعصية فان اشكل الامر فالعزلة وقيل يختلف باختلاف الاشخاص والاحوال ﴿ وقالت طائفة اخرى ﴾ وهم الروافض ﴿ ممن يقول بظهور المنتظر ﴾ من للتبعيض لان القائل بظهور المنتظر لايختص بهم وقد وردت الاحاديث الصحيحة فى ظهوره عن ابى سعيد الخدرى رضى الله عنه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم المهدى منى اجلى الجبهة اقنى الانف يملأ الارض قسطا وعدلا كما ملئت ظلما وجورا يملك سبع سنين فذهب العلماء الى انه امام عادل يخلقه الله تعالى متى شاء ويبعثه نصرة لدينه وزعمت الامامية من الشيعة انه محمد بن الحسن العسكرى اختفى عن الناس خوفا من الاعداء ولااستحالة فى طول عمره كنوح ولقمان وخضر عليهم السلام وانكر ذلك سائر الفرق لانه ادعاء امر يستبعد جدا اذ لم يعهد فى هذه الامة مثل هذه الاعمار من غير دليل عليه ولاامارة ولااشارة اقامة من النبى صلى الله عليه وسلم ﴿ لايجب انكاره ﴾ لسانا ﴿ ولاالتعرض لازالته ﴾ بيده ﴿ الا ان يظهر المنتظر فيتولى انكاره ﴾ اى يتملك امره بنفسه ويقوم بانكاره ﴿ ويكونوا ﴾ اى الذين كانوا يريدون النهى ولايقدمون عليه ﴿ اعوانه ﴾ اى المنتظر ﴿ وقالت طائفة اخرى منهم ﴾ ابو بكر ﴿ الاصم ﴾ من المعتزلة ﴿ لايجوز للناس انكاره الا ان يجتمعوا على امام عدل فيجب عليهم الانكار معه ﴾ اى مع الامام العدل وفى شرح المقاصد ولايختص بالولاة الا اذا انتهى الامر الى نصب القتال وشهر السلاح ربط بالسلطان حذرا عن الفتنة واذا نصب واحد كالمحتسب تعين عليه فيحتسب فيما يتعلق بحقوق الله تعالى من غير بحث ولاتجسس وفيما يتعلق بحقوق العباد لاعلى وجه العموم كمطل المديون الموسر وتعدى الجار فى جدار الجار يحتسب اذا استعداه صاحب الحق وعلى العموم

(كتعطل)

كتعطل شرب البلد و انهدام سوره و ترك اهله رعاية ابناء السبيل المحتاجين مع عدم المال فى بيت المال يحتسب ويأمر على الاطلاق وينكر على من يغير هيئات العبادات كالجهر فى الصلاة السرية وبالعكس وعلى من يزيد فى الاذان وعلى من يتصدى للافتاء اوالتدريس اوالوعظ وهو ليس من اهله وعلى القضاة اذا حجبوا الخصوم او قصروا فى النظر فى الخصومات وعلى ائمة المساجد المطروقة اذا طولوا فى الصلاة وينبغى ان يحتسب برفق وسكون متدرجا الى الاغلظ فالاغلظ بحسب حال المنكر ذكر فى المحيط للحنفية ان من رأى غيره مكشوف الركبة ينكر عليه برفق ولاينازعه ان لج وفى الفخذ ينكر عليه بعنف ولايضربه ان لج وفى السوءة ادبه وان لج قاتله اى ضربه ضربا شديدا ﴿ وقال جمهور المتكلمين انكار ذلك واجب والدفع عنه لازم على شروطه ﴾ اى معها كما سبق من انه يحتسب برفق الى آخره ﴿ فى ﴾ زمان ﴿ وجود اعوان يصلحون له ﴾ ويؤلون ماقاله تأنيسا لهم و تألفا بهم ويقال لهذا النوع من الكلام استدراج قال ابن الاثير وهو من مخادعات الاقوال التى تقوم مقام مخادعات الافعال فى استدراج الخصم الى الاذعان والتسليم و منه قوله تعالى وقال رجل مؤمن من آل فرعون يكتم ايمانه اتقتلون رجلا ان يقول ربى الله و قد جاءكم بالبينات من ربكم وان يك كاذبا فعليه كذبه وان يك صادقا يصبكم بعض الذى يعدكم ان الله لا يهدى من هو مسرف كذاب حيث صدر الكلام بمايزعمونه من الكذب لئلا ينفروا منه وقال يصبكم بعض الذى يعدكم وغصب بعض حقه ليريهم انه ليس بكلام من اعطاه حقه وافيا فضلا من ان يتعصب له والافيلزم من فرضه صادقا اثبات انه صادق فى جميع مايعدبه وسلك معهم طريق الانصاف والملاطفة فى القول واتيهم من جهة المناصحة ليكون ادعى الى سكونهم اليه وتفصيله فى فصل الكلام ﴿ فاما مع فقد الاعوان فعلى الانسان الكف لان الواحد قد يقتل قبل بلوغ الغرض وذلك ﴾ المقتولية ﴿ قبيح فى العقل ان يتعرض له ﴾ لان قتله يشجعهم على القتل وتشييد ماكانوا عليه ويوهن عزائم سائر المنكرين ﴿ فهذا ﴾ الذى ذكرناه من الحالين ﴿ حكم ما اكد الله تعالى به اوامره وايديه زواجره من الامر بالمعروف والنهى عن المنكر و ﴾ هذا ﴿ مايختلف من احوال الآمرين به والناهين عنه * ثم ليس يخلو حال الناس فيما امروا به ونهوا عنه من فعل الطاعات واجتناب المعاصى من اربعة احوال * فمنهم من يستجيب الى فعل الطاعات ويكف عن ارتكاب المعاصى وهذا اكمل احوال اهل الدين وافضل صفات المتقين فهذا ﴾ الصنف ﴿ يستحق جزاء العاملين وثواب المطيعين روى محمد بن عبد الملك المدائنى عن نافع عن ابن عمر رضى الله عنهما قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم الذنب لاينسى ﴾ بالبناء للمفعول والجملة خبرية لفظا وتهديد معنى قال المناوى اى لابد من الجزاء عليه لايضل ربى ولاينسى ﴿ والبر ﴾ سعة الخير والمعروف ويتناول كل خير ﴿ لايبلى ﴾ يقال بلى الثوب اذا خلق وقيل * الخير ابقى وان طال الزمان به * والشر اخبث مااوعيت من زاد ﴿ والديان ﴾ على وزن منان من صفاته تعالى بمعنى القهار والحاسب والمجازى ﴿ لايموت ﴾ ابدا ﴿ فكن كما شئت ﴾ اى كمشيتك اوعلى حال وصفة تشاؤها والامر للتهديد لاللتخيير كما فى قوله تعالى فمن شاء فليؤمن ومن شاء فليكفر اى لا ابالى بعد التبليغ بعصيان من عصى ولا بطاعة من اطاع ﴿ وكما تدين تدان ﴾ اى كما تفعل تجازى والدين

مشتركة فى عدة معان الجزاء والطاعة والحساب والاسلام ﴿ وقديما قيل كل ﴾ احد ﴿ يحصد مايزرع ﴾ يقال حصد الزرع من الباب الاول والثانى اذا قطعه بالمنجل ﴿ ويجزى بما يصنع بل قالوا زرع يومك ﴾ اى عمل دنياك ﴿ حصاد غدك ﴾ اى ذخر آخرتك وعدتها ﴿ ومنهم من يمتنع من فعل الطاعات ويقدم على ارتكاب المعاصى وهى ﴾ اى هذه الحالة ﴿ اخبث احوال المتكلفين وشر صفات المتعبدين فهذا يستحق عذاب اللاهى ﴾ التارك كما يقال لهى عنه اذا سلا وغفل وترك ذكره من الباب الرابع ﴿ عن فعل ماامر به من طاعته و ﴾ يستحق ﴿ عذاب المجترى على ما اقدم عليه من معاصيه وقد قال ﴾ عبدالله ﴿ بن شبرمة عجبت لمن يحتمى ﴾ يحترز ﴿ من الطيبات مخافة الداء ﴾ اى المرض ﴿ كيف لايحتمى من المعاصى مخافة النار ﴾ والمرض وان كان هائلا اهون واخف واقصر مدة من النار ﴿ فاخذ ذلك بعض الشعراء فقال ﴾ من السريع ﴿ جسمك قد افنيته بالحمى ﴾ اى افنيت جسمك فهو منصوب على الاضمار بشريطة التفسير والخطاب عام يقال حمى المريض مايضره اذا منعه اياه ويتعدى الى مفعولين فى هذا المعنى ويقال حمى الشى اذا دفع عنه ﴿ دهرا ﴾ اى زمانا كثيرا ظرف للحمى ﴿ من البارد والحار * وكان اولى بك ان تحتمى . من المعاصى حذر النار * وقال ابن صباوة انا نظرنا ﴾ اى بحثنا وفتشنا ﴿ فوجدنا ﴾ اى علمنا من الوجدان القلبى ﴿ الصبر على طاعة الله تعالى اهون من الصبر على عذاب الله تعالى وقال آخر اصبروا عبادالله ﴾ اى اقدموا يا عبادالله ﴿ على عمل لاغنى بكم عن ثوابه واصبروا ﴾ اى كفوا انفسكم ﴿ عن عمل لاصبر لكم على عقابه ﴾ بل تجزعون عنه ﴿ وقيل للفضيل بن عياض رضى الله عنه ﴾ يافضيل ﴿ فقال كيف يرضى عنى ولم ارضه ﴾ باتيان ماكتب على ﴿ ومنهم من يستجيب الى فعل الطاعات ويقدم على ارتكاب المعاصى فهذا يستحق عذاب المجترى لانه تورط ﴾ اى وقع فى ورطة اى مهلكة لامخلص لها اوفى امر يتعسر النجاة منه ﴿ بغلبة الشهوة على الاقدام على المعصية وان سلم من التقصير فى فعل الطاعات وقد روى عن النبى صلى الله عليه وسلم انه قال اقلعوا عن المعاصى ﴾ اى اتركوها ﴿ قبل ان يأخذكم الله هتابتا الهت ﴾ من الباب الاول ﴿ الكسر والبت ﴾ من الباب الاول والثانى ﴿ القطع ولذلك قال بعض العلماء افضل الناس من لم تفسد الشهوة دينه ولم تترك الشبهة يقينه ﴾ يعنى لم تعرضه شبهة ﴿ وقال حمادبن زيد ﴾ بن درهم ابو اسماعيل الازرق الازدى البصرى مولى آل جرير بن حازم سمع ثابت البنانى وابن سيرين وعمرو بن دينار ويحيى القطان وايوب وخلقا كثيرا وروى عنه السفيانان وابن المبارك ووكيع وغيرهم قال عبدالرحمن بن مهدى ائمة الناس فى زمانهم اربعة سفيان الثورى بالكوفة ومالك بالحجاز والاوزاعى بالشام وحماد بن زيد بالبصرة وانشد ابن المبارك فيه * ايها الطالب علما . ائت حماد بن زيد * فخذ العلم بحلم . ثم قيده بقيد * ودع البدعة من آثار عمرو بن عبيد * ولد سنة ثمان وتسعين وتوفى سنة تسع وسبعين ومأة ﴿ عجبت لمن يحتمى من الاطعمة لمضراتها كيف لايحتمى من الذنوب لمعراتها ﴾ اى اثمها يقال فيه معرة اى جرب او اثم ﴿ وقال بعض الصلحاء اهل الذنوب مرضى القلوب ﴾ جميع مريض قال بعض الابدال مررت ببلاد المغرب على طبيب والمرضى بين يديه وهو يصف لهم علاجهم فتقدمت اليه وقلت عالج مرضى يرحمك الله فتأمل

فى وجهى ساعة ثم قال خذ عروق الفقر وورق الصبر مع اهليلج التواضع واجمع الكل فى اناء اليقين وصب عليه ماء الخشية وارقد تحته نار الحزن ثم صفه بصفاة المراقبة وافرغ فى جام الرضاء وامزجه بشراب التوكل وتناوله بكف الصدق واشربه بكأس الاستغفار وتمضمض بعده بماء الورع واحتم عن الحرص والطمع فان الله يشفيك ان شاء الله تعالى ﴿وقيل للفضيل بن عياض رحمه الله مااعجب الاشياء فقال قلب عرف الله ﴾ اى عظمته وجلالته ﴿ ثم عصاه وقال بعض الالباء ﴾ جمع لبيب ﴿ يدل ﴾ من الباب الثانى اومن الافعال يقال ادل اودل عليه اذا انبسط وتغنج وادل عليه اذا وثق بمحبته فافرط عليه ﴿ بالطاعة العاصى ﴾ فاعل يدل ﴿ وينسى عظيم المعاصى ﴾ اى معاصيه العظيمة ﴿ وقال رجل لابن عباس رضى الله عنهما ايما احب اليك رجل ﴾ بدل من ايما ﴿ قليل الذنوب قليل العمل او رجل كثير الذنوب كثير العمل ﴾ اى الطاعة ﴿ فقال ابن عباس لا اعدل ﴾ من التعديل يقال عدل الميزان اذا سواه ﴿ بالسلامة ﴾ من الذنوب ﴿ شيئا. وقيل لبعض الزهاد ماتقول فى صلاة الليل فقال خف الله بالنهار ونم بالليل وسمع بعض الزهاد رجلا يقول لقوم اهلككم النوم فقال ﴾ السامع ما اهلكهم النوم ﴿ بل اهلكتكم اليقظة ﴾ حيث اتخذتموها شبكة وسلبتم اموال الاغنياء والايتام بايمان فاجرة والافقد قال الله تعالى كانوا قليلا من الليل مايهجعون واثنى بها المتقين فكيف تكون اليقظة من المهلكات والقرينة على ذلك المعنى ايراده فى الصنف الذين يفعلون الطاعات ويرتكبون المعاصى ﴿ وقيل لابى هريرة رضى الله عنه ماالتقوى فقال اجزت ﴾ من الجواز والعبور ﴿ فى ارض فيها شوك ﴾ حاسر الرجل يعنى بلانعل ﴿ فقال نعم ﴾ جزت ﴿ فقال كيف كنت تصنع ﴾ حال عبورك ﴿ فقال كنت اتوقى قال ﴾ ابو هريرة ﴿ فتوق الخطايا وقال عبدالله بن المبارك ﴾ من الوافر ﴿ ايضمن لى فتى ترك المعاصى ﴾ يقال ضمن الشئ اذا كفله وبابه علم وفتى فاعله ﴿ وارهنه الكفالة بالخلاص ﴾ فى مقدمة الادب ارهنه فى كذا كروبست در فلان چيز يعنى واجعله عوضا كفالتى بخلاصه من النار لمواعدالله تعالى بذلك ﴿ اطاع الله قوم فاستراحوا ﴾ فى الدارين والفاء لعطف المسبب على السبب ﴿ ولم يتجرعوا غصص المعاصى ﴾ جمع غصة وهى ما اعترض فى الحلق فاشرق اى لم يرتكبوا المعاصى التى كالغصص فاضافتها اليها من اضافة المشبه به الى المشبه ولم يتجرعوا ترشيح ﴿ ومنهم من يمتنع من فعل الطاعات ويكف عن ارتكاب المعاصى فهذا يستحق عذاب اللاهى عن دينه ﴾ اى التارك اشياء كثيرة عنه ﴿ المنذر ﴾ بصيغة المفعول ﴿ بقلة يقينه ﴾ وصف اليقين بالقلة لعدم كفايته بفعل الطاعات وكفه عن المعاصى فحسب ﴿ وروى ابو ادريس ﴾ عائذالله بن عبدالله ﴿ الخولانى ﴾ الدمشقى التابعى الجليل القدر الكبير الشان روى عن عبدالله مسعود ومعاذ وسمع اباالدرداء وخلقا كثيرا وكان قاضيا بدمشق لمعاوية وكان من عباد الشام وقرائهم مات سنة ثمانين روى له الجماعة ﴿ عن ابى ذر الغفارى ﴾ اسمه جندب بن جنادة بن سفيان السيد الجليل اسلم قديما بمكة روى عنه انه قال انا رابع اربعة فى الاسلام ويقال كان خامس خمسة ومناقبه جمة وتواضعه وزهده مشبهان فى الحديث بتواضع عيسى عليه السلام وزهده ومن مذهبه انه يحرم على الانسان ادخار مازاد على حاجته من المال روى له عن رسول الله صلى الله

الخولان بفتح فسكون قبيلة باليمن. والغفار بالكسر قبيلة من كنانة منه

عليه و سلم ما تا حديث واحد وثمانون حديثا مات بالربذة سنة اثنين وثلاثين وصلى عليه ابن مسعود ﴿ عن النبي صلى الله عليه وسلم انه قال كانت صحف موسى عليه السلام كلها عبرا ﴾ جمع عبرة وهى ما يتعجب ويتعظ منه والجمل الآتية بدل منها ﴿ عجبت لمن ايقن ﴾ اى صار ذا يقين ﴿ بالنار ﴾ بوجودها وكونها محل العصاة ﴿ ثم يضحك ﴾ من فرحه وسروره والخائف يحزن والمحزون لايضحك ﴿ وعجبت لمن ايقن بالقدر ﴾ انما قدرله يكون البتة ﴿ ثم ينصب ﴾ يجهد ويتهالك لنيل مالم يقدرله ﴿ وعجبت لمن رأى الدنيا وتقلبها باهلها ثم يطمئن اليها ﴾ كأنه ليس من اهلها اوهو مبشر بالخلود فيها ﴿ وعجبت لمن ايقن بالموت ﴾ انه يدركه وانه هادم اللذات ﴿ ثم يفرح وعجبت لمن ايقن بالحساب غدا ثم لايعمل ﴾ الصالحات ويعلم انه لايبيت ليلة فى خان بلا درهم فباى شئ يخلد فى جنة عرضها السموات والارض ﴿ وروى عن النبي صلى الله عليه وسلم انه قال اجتهدوا فى العمل فان قصر بكم ضعف ﴾ اى منعكم الضعف عن الاجتهاد والبلوغ الى اقصى مراتب الاعمال ﴿ فكفوا عن المعاصى ﴾ التى تمحق الحسنات تبق لكم حسناتكم وفى المثنوى * اول اى جان دفع شر موش كن . وآنكهى درجمع كندم كوش كن ﴿ وهذا ﴾ الحديث ﴿ واضح المعنى لان الكف عن المعاصى ترك وهوا سهل ﴾ اى متصف بصفة السهولة كما هو احد استعماله ﴿ وعمل الطاعات فعل وهو اثقل ولذلك ﴾ اى لكون الترك سهلا والفعل ثقيلا ﴿ لم يبح الله تعالى ارتكاب المعصية بعذر ولا بغير عذر ﴾ الباء متعلق بارتكاب لا بلم يبيح فلا يرد ان الله تعالى اباح للمضطر اكل الميتة ونحوها لان ذلك ليس من ارتكاب المعصية بشئ لورود الشرع بذلك ﴿ لانه ﴾ اى الكف عن المعاصى ﴿ ترك والترك لايعجز المعذور عنه ﴾ فينتج الكف لايعجز المعذور عنه ﴿ وانما اباح ترك الاعمال ﴾ كيفية كاباحة القعود والايماء فى الصلاة للعاجز عن القيام والقعود اوراسا واصلا كاباحة الافطار للمريض والشيخ الفانى ﴿ بالاعذار لان العمل ﴾ فعل والفعل ﴿ قد يعجز المعذور عنه وقال بكر بن عبدالله رحم الله امرأ كان قويا فاعمل قوته فى طاعة الله تعالى اوكان ضعيفا فكف عن معصية الله تعالى ﴾ اى صرف جميع قوته فى طاعة الله فلم يعص لا فى حال قدرته على المعصية ولا فى حال عجزه عنها والا فالكف عجزا ليس مما يمدح به ﴿ وقال ﴾ ابو مسهر ﴿ عبدالاعلى بن عبدالله ﴾ الغسانى ﴿ الشامى ﴾ قيل مارؤى احد فى كورة من الكور اعظم قدرا ولا اجل عند اهلها من ابى مسهر بدمشق وكان اذا خرج الى المسجد اصطف الناس يسلمون عليه ويقلبون يده وحمله المأمون الى بغداد فى ايام المحنة فجرد للقتل على ان يقول بخلق القرآن ومدرأسه الى السيف فلما رأوا ذلك منه حمل الى السجن فمات ببغداد سنة ثمان عشر ومأتين ودفن بباب التين ﴿ رحمه الله ﴾ من الكامل ﴿ العمر ينقص والذنوب تزيد ﴾ فى كل آن بالاصرار عليها واتيان مثلها ﴿ وتقال عثرات الفتى فيعود ﴾ يقال اقال الله عثرتك اى صفح عنك والعثرات الصغائر كما قال الله ان تجتنبوا كبائر ماتنهون عنه نكفر عنكم سيئاتكم يعنى تكفر صغائره بالحسنات فيعود اليها ثانيا وثالثا على مايفيده صيغة المستقبل من التجدد والصلوات الخمس وكذا جميع اعمال البر مكفرات لما بينها والبيت خبر لفظا وتحسر معنى يعنى الى متى هذا العود .

(الم يأن)

الم يأن للذين آمنوا ان تخشع قلوبهم لذكر الله .و ﴿ هل يستطيع جحود ذنب واحد . رجل ﴾ فاعل يستطيع ﴿ جوارحه عليه شهود ﴾ جمع شاهد اخذه من قوله تعالى حتى اذا ماجاؤها شهد عليهم سمعهم وابصارهم وجلودهم بماكانوا يعملون ﴿ والمرء يسئل ﴾ بالبناء للمفعول ﴿ عن سنيه فيشتهى ﴾ جمع سنة على غير القياس يعنى التى عاش فيها ﴿ تقليلها وعن الممات يحيد ﴾ اى يميل ويبعد عن الموت بتقليل سنه ولئلا يعاتبوه باصراره على المعاصى لماسبق ان الشبابة تعد عذرا عند بعض الناس والله يقول اولم نعمركم مايتذكر فيه من تذكر وجاءكم النذير اى الشيب على رأى ﴿ واعلم ان لاعمال الطاعات ومجانبة المعاصى آفتين احدها تكسب الوزر ﴾ من الاكتساب ﴿ والاخرى توهن الاجر فاما ﴾ الآفة ﴿ المكسبة للوزر فاعجاب بماسلف من عمله وقدم من طاعته لان الاعجاب به يفضى الى حالتين مذمومتين احدهما ان المعجب بعمله ممتن به والممتن على الله تعالى جاحد لنعمه ﴾ كما قال الله تعالى يمنون عليك ان اسلموا قل لا تمنوا على اسلامكم بل الله يمن عليكم ان هداكم للايمان ﴿ قال ابن عباس رضى الله عنهما اوحى الله الى نبى من انبيائه اما زهدك فى الدنيا فقد استعجلت به الراحة ﴾ لان الزهد فيها يريح القلب والبدن ﴿ واما انقطاعك الى فهو عز لك ﴾ قال القشيرى * سقى الله وقتا كنت اخلو بوجهكم . وثغر الهوى فى روضة الانس ضاحك * اقمنا زمانا والعيون قريرة . فاصبحت يوما والجفون سوافك ﴿ فهذا لك وبقيت انا ﴾ فماذا عملت لى ﴿ والثانية ان المعجب بعمله مدل به والمدل بعمله مجترئ ﴾ على الله ﴿ والمجترئ على الله عاص ﴾ قال الاصمعى كنت اطوف بالقبائل اذ رأيت اعرابيا بالبادية يصلى ويقول * اتتم اولاد المجوس وقد عصوا . وتترك شيخا من سراة تميم * فان تكسنى ربى قميصا وجبة . اصلى صلاتى كلها واصوم * وان دام لى العيش يارب هكذا . تركت صلاة الخمس غير ملوم اما تستحى يارب قد قمت قائما . انا جيلك عريانا وانت كريم * فانظر كيف اجترى على الله بطاعته كأن الله واله عليها نعوذ بالله من ذلك ﴿ وقال مورق العجلى خير من العجب بالطاعة ان لايأتى بطاعة ﴾ نكرة فى سياق النفى فتفيد العموم اى لافرضا ولانفلا وهذا محمول على التحذير من العجب والا فلا خير فى عدم اتيان الطاعات فالمعنى اهون شرا ﴿ وقال بعض السلف ضاحك معترف بذنبه خير من باك مدل على ربه وباك ﴾ مبتدأ وخبره خير ﴿ نادم على ذنبه خير من ضاحك معترف بلهوه ﴾ اى بذنبه ففيه رد العجز على الصدر لان السرور بالذنب ذنب والبكاء على الذنب استغفار والمستغفر خير من المذنب وفى الحكم العطائية معصية اورثت ذلا وافتقارا خير من طاعة اورثت عزا واستكبارا (٣) ﴿ واما ﴾ الآفة ﴿ الموهنة للاجر فالثقة بماسلف والركون الى ماقدم لان الثقة تؤل الى امرين سيئين احدهما يحدث اتكالا على مامضى وتقصيرا فيما يستقبل ومن قصّر واتكل لم يرج اجرا ﴾ مماسيعمل ﴿ ولم يؤد شكرا ﴾ على مامضى ﴿ والثانى ان الواثق آمن والآمن من الله تعالى غير خائف ﴾ حق الخوف والا فالامن كفر فقوله آمن اى كآمن ﴿ ومن لم يخف الله تعالى هانت عليه او امره وسهلت عليه زواجره وقال الفضيل بن عياض ﴾ ابو على الخرسانى من ناحية مرو ولد بسمرقند ومات فى الحرم سنة سبع وثمانين ومأتين وكان شاطرا يقطع الطريق بين ابيورد وسرخس وسبب توبته انه عشق جارية فبينما هو ذات يوم يرتقى الجدار اليها اذسمع تاليا يتلو

(٣) قال الشارح لان الذل والافتقار من صفات العبودية والعزو الاستكبار من صفات الربوبية ولاخير فى طاعة اذا الزم منها شئ مما يناقض اوصاف العبودية لانها تحبطها وتبطلها

الم يأن للذين آمنوا ان تخشع قلوبهم لذكر الله ومانزل من الحق فقال يارب قد آن فرجع فأوى الى خربة فاذا فيها رفقة فقال بعضهم نرتحل وقال بعضهم حتى نصبح فأن فضيلا فى الطريق فيقطع علينا فامنهم وسارمعهم حتى بلغوا وجاور الحرم وقال ابو على سليمان الدارانى صحبت الفضيل ثلاثين سنة مارأيته ضاحكا ولا متبسما الايوم مات ابنه على فقلت له فى ذلك فقال ان الله تعالى احب امرا فاحببته وقال انى لاعصى الله فاعرف ذلك فى خلق حمارى واخباره كثيرة مذكورة فى رسالة القشيرية ﴿ رهبة المرء من الله تعالى على قدر علمه بالله تعالى ﴾اى بجلال الله وعظمته ولذا قال عليه السلام انما اخشاكم لله واتقاكم انا﴿ وقال مورق العجلى لان ابيت نائما واصبح نادما ﴾ على غفلتى واضاعة رأس مالى ﴿ احب الى من ان ابيت قائما ﴾ بالصلاة وتلاوة القرأن ﴿ واصبح ناعما ﴾ فرحا مسرورا ﴿ وقال بعض الحكماء مابينك وبين ان لايكون فيك خير الا ان ترى ان فيك خيرا وقيل لرابعة العدوية رحمها الله هل عملت عملا قط ترين انه يقبل منك قالت ان كان شئ فخوفى ان يرد على عملى وقال ابن السماك رحمة الله عليه انا لله ﴾ استرجاع وتسليم روى انه طفئ سراج النبى صلى الله عليه وسلم فقال انا لله وانا اليه راجعون فقيل امصيبة هى قال نعم كل شئ يوذى المؤمن فهوله مصيبة ﴿ فيما مضى ﴾ اى لاجله ﴿ مااعظم فيه الخطر ﴾ منصوب على التعجب والظرف فاصل بين فعل التعجب ومعموله والفصل بالظرف جائز عند المازنى ﴿ وانا لله فيما بقى مااقل منه الحذر وحكى ان بعض الزهاد وقف على جمع فنادى باعلى صوته يا معشر الاغنياء لكم اقول استكثروا من الحسنات فان ذنوبكم كثيرة ﴾ لقدرتكم على مالا يقدر عليه الفقراء من الذنوب والذنوب الكثيرة لاتكفرها الا الحسنات الوفيرة ﴿ ويا معشر الفقراء لكم اقول اقلوا من الذنوب فان حسناتكم قليلة ﴾ لعدم زكاتكم وحجكم وعماراتكم ﴿ فينبغى احسن الله اليك بالتوفيق ان لا تضيع ايام صحة جسمك وفراغ وقتك بالتقصير ﴾ متعلق بتضييع المنفى لا النفى ﴿ فى طاعة ربك والثقة بسالف عملك فاجعل الاجتهاد غنيمة صحتك والعمل فرصة فراغك فليس ﴾ الفاء سببية ﴿ كل الزمان ﴾ اى جميع اجزائه ﴿ مستسعدا ﴾ اى يعد سعيدا ومباركا ﴿ ولامافات مستدركا ﴾ ومن كلام بعض الصوفيه ان فوت الوقت اشد عند اصحاب الحقيقة من فوت الروح لان فوت الروح انقطاع عن الخلق وفوت الوقت انقطاع عن الحق ﴿ وللفراغ زيغ ﴾ اى ميل اوعدول عن الحق ﴿ اوندم وللخلوة ميل اواسف ﴾ اى حزن كثير وغم وفيروفى الاحياء المجاهدة هو انه اذا حاسب نفسه فرآها قدفارقت معصية فينبغى ان يعاقبها بالعقوبات التى مضت وان رآها تتوانى بحكم الكسل فى شئ من الفضائل يلزمها فنونا من الوظائف جبرا لمافات منه وتداركا لمافرط فقد عاقب عمر بن الخطاب نفسه حين فاتته صلاة العصر فى جماعة بان تصدق بارض كانت له وكان ابن عمر اذا فاتته صلاة فى جماعة احيى تلك الليلة . واخر ليلة صلاة المغرب حتى طلع كوكبان فاعتق رقبتين ﴿ وقال عمر بن الخطاب رضى الله عنه الراحة للرجال غفلة وللنساء غلمة ﴾ بفتح فسكون غلبة الشهوة الجماعية اى تورث لهما ذلكما ﴿ وقال بزرجمهر ان يكن الشغل مجهدة ﴾ اى سبب تعب وكلال ﴿ فالفراغ مفسدة ﴾ اى فلا يلام الشغل عليها اوفلا يترك لان الفراغ سبب فساد فالشغل اخف الضررين وفيه اقامة علة الجزاء مقامه ﴿ وقال بعض

الحكماء اياكم والخلوات ﴿ من باب التحذير ﴿ فانها تفسد العقول وتعقد المحلول ﴿ اى تصمم مايختلج بالخاطر من المعاصى ﴿ وقال بعض البلغاء لاتمض ﴿ من الامضاء ﴿ يومك فى غير منفعة ولاتضع مالك فى غير صنعة ﴿ الفعل الحسن ﴿ فالعمر اقصر من ان ينفد فى غير المنافع ﴿ كما قيل * اذان المرء حين الطفل يأتى . وتأخير الصلاة الى الممات * دليل ان محياه قليل . كما بين الاذان الى الصلاة ﴿ والمال اقل من ان يصرف فى غير الصنايع والعاقل اجل ﴿ اى اعظم ﴿ من ان يفنى ايامه فيما لا يعود اليه نفعه وخيره وينفق امواله فيما لا يحصل له ثوابه واجره وابلغ من ذلك قول عيسى بن مريم على نبينا وعليه السلام ﴿ لقلة الفاظه وكثرة معانيه وحسن سبكه ﴿ البر ثلاثة المنطق والنظر والصمت ﴿ اى السكوت ﴿ فمن كان منطقه فى غير ذكر فقد لغا ومن كان نظره فى غير اعتبار فقد سها ومن كان صمته فى غير فكر فقد لها ﴿ من اللهو وبين السهو واللهو واللغو من الجناس الناقص مايسمى مضارعا ﴿ واعلم ان للانسان فيما كلف من عباداته ثلاث احوال احداها ان يستوفيها من غير تقصير فيها ولا زيادة عليها والثانية ان يقصر فيها والثالثة ان يزيد عليها * فاما الحال الاولى فهى ان يأتى بها على حال الكمال من غير ان يقصر فيها ولا زيادة تطوع على راتبتها فهى اقسط الاحوال واعدلها لانه لم يكن منه تقصير فيذم ولا تكثير فيعجز ﴿ روى البخارى عن طلحة بن عبيدالله ان اعرابيا جاء الى رسول الله صلى الله عليه وسلم ثائر الرأس فقال يارسول الله اخبرنى ماذا فرض الله على من الصلاة فقال الصلوات الخمس الا ان تطوع شيئا فقال اخبرنى مافرض الله على من الصيام فقال شهر رمضان الا ان تطوع شيئا فقال اخبرنى مافرض الله على من الزكاة فقال فاخبره رسول الله صلى الله عليه وسلم بشرائع الاسلام قال والذى اكرمك لا اتطوع شيئا ولا انقص مما فرض الله على شيئا فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم افلح ان صدق او دخل الجنة ان صدق ﴿ وقد روى سعيد بن ابى سعيد ﴿ واسم ابيه كيسان المقبرى المدنى روى عن جماعة من الصحابة قال ابوزرعة ثقة وقال احمد لابأس به وقال ابن سعد كان ثقة كثير الحديث ولكنه كبر وبقى حتى اختلط قبل موته وقدم الشام مرابطا وحدث ببيروت وقال غيره اختلط قبل موته باربع سنين توفى سنة خمس وعشرين ومأة ﴿ عن ابى هريرة رضى الله عنه ان النبى صلى الله عليه وسلم قال ﴿ ان الدين يسر ولن يشاد الدين احد الا غلبه) من المشادة وهى المغالبة من الشدة والمعنى لايتعمق احدكم فى الدين فيترك الرفق الا غلب الدين عليه وعجز ذلك المتعمق عن عمله كله او بعضه ﴿ سددوا ﴿ اقصدوا السداد والزموه اى الصواب فى كل امر من غير افراط ولا تفريط ﴿ وقاربوا ﴿ اقصدوا اقرب الامور فيما تعبدتم به ولا تغلوا فيه ولا تقصروا ﴿ وابشروا ﴿ من الابشار اى ابشروا بالثواب على العمل وان قل هكذا رواية البخارى فما وقع فى المتون ويسروا فمصحف منه ﴿ واستعينوا ﴿ اطلبوا العون ﴿ بالغدوة ﴿ وهو سير اول النهار الى الزوال والباء للاستعانة ﴿ والروحة ﴿ اسم للوقت من زوال الشمس الى الليل ﴿ وشئ من الدلجة ﴿ اى ببعض من الدلجة وهى سير آخر الليل والمعنى استعينوا على الاعمال بهذه الاوقات المنشطة للعمل وهى افضل اوقات المسافر ففيه استعارة ولم يقل والدلجة لمعنيين احدهما التنبيه على الخفة لان الدلجة تكون بالليل وعمل الليل اشق من عمل النهار والآخر ان الدلجة هو

سير الليل كله عند البعض واستغراق الليل كله صعب فاشار بقوله وشئ الى جزء يسير منه قال العينى ومن فوائده الحث على الرفق فى العمل لقوله عليه السلام اكلفوا من العمل ما تطيقون و منها التنبيه على اوقات النشاط لان الغدو والرواح والادلاج افضل اوقات المسافر و اوقات نشاطه بل على الحقيقة الدنيا دار نقلة وطريق الى الآخرة فنبه امته ان يغتنموا اوقات فرصهم وفراغهم ﴿ وقال الشاعر ﴾ من الطويل ﴿ عليك باوساط الامور فانها ﴾ اى الزم باوسط كل امر عملا كان او اعتقادا او خلقا او غير ذلك لانه ﴿ نجاة ولا تركب ذلولا ولا صعبا ﴾ يقال فرس صعب اى ابى لسمنه اى لا تركب دابة مهزولة حتى تغلبها فتتركك ولا سمينة ابية حتى تغلبك فتتركها فكما استعير المسافر للعامل فى الحديث السابق استعير هنا المركوب للعمل اذ لابد لكل مسافر من دابة لا سيما اذا كان السفر بعيدا ﴿ واما الحال الثانية وهو ان يقصر فيها فلا يخلو حال تقصيره من اربعة احوال احدا هن ان يكون ﴾ التقصير ﴿ لعذر اعجزه عنه او مرض اضعفه عن اداء ما كلف به فهذا ﴾ المقصر ﴿ يخرج عن حكم المقصرين ويلحق باحوال العاملين لاستقرار الشرع على سقوط ما دخل تحت العجز وقد جاء الحديث عن النبى صلى الله عليه وسلم انه قال مامن عامل كان يعمل عملا فيقطعه عنه مرض الا وكل الله به من يكتب له ثواب عمله ﴾ الذى كان يعمله حال صحته وفى الجامع الصغير عن ابن عمر و بن العاصى (ما من مسلم يصاب فى جسده) بشيء من الامراض اوالعاهات (الا امر الله تعالى الحفظة فقال اكتبوا لعبدى فى كل يوم و ليلة من الخير ماكان يعمل مادام محبوسا فى وثاقى) اى قيدى ﴿ والحال الثانية ان يكون تقصيره فيه ﴾ فيما كلف من ادائه ﴿ اغترارا بالمسامحة فيه ورجاء العفو عنه ﴾ اى ولرجائه عفوه تعالى يقال سامحه فى الامر اذا ساهله يعنى تهاونا بالدين وتكاسلا ﴿ فهذا مخدوع العقل ﴾ اى قليله يقال خدع المطر اذا قل ﴿ مغرور بالجهل ﴾ بوعيد الله ﴿ فقد جعل الظن ذخرا والرجاء عدة ﴾ لمعاده وقد قال الله تعالى وقال الشيطان لما قضى الامر ان الله وعدكم وعد الحق ووعدتكم فاخلفتكم وما كان لى عليكم من سلطان الا ان دعوتكم فاستجبتم لى فلا تلومونى ولوموا انفسكم ﴿ فهو كمن قطع سفرا ﴾ بعيدا ﴿ بغير زاد ﴾ وعدة اى كمن يريد ذلك ﴿ ظنا بانه سيجده فى المفاوز ﴾ اى فى البرارى المهلكة وتسميتها بالمفازة للتفأل كتسمية اللديغ سليما ﴿ الجدبة ﴾ اى المجدوبة ﴿ فيفضى به الظن الى الهلكة ﴾ اسم بمعنى الهلاك ﴿ وهلا كان ﴾ حرف تحضيض يفيد التنديم لدخوله على الماضى اى لم يكن و الحال لابد من ان يكون ﴿ الحذر اغلب عليه ﴾ من الرجاء ﴿ وقد ندب الله تعالى اليه ﴾ اى دعاه بالحث والاغراء فقال يا ايها الناس اتقوا ربكم واخشوا يوما لايجزى والد عن ولده ولا مولود هو جاز عن والده شيئا ان وعد الله حق فلا تغرنكم الحياة الدنيا ولا يغرنكم بالله الغرور وقال انا لننصر رسلنا والذين آمنوا فى الحيوة الدنيا ويوم يقوم الاشهاد يوم لاينفع الظالمين معذرتهم وغير ذلك ﴿ وحكى ان اسرائيل بن محمد القاضى قال لقينى مجنون كان فى الخرابات فقال يا اسرائيل خف الله خوفا يشغلك عن الرجاء فان الرجاء يشغلك عن الخوف ﴾ اى يلهيك ويمنعك ﴿ وفر الى الله ولا تفر منه ﴾ قال الله تعالى ففروا الى الله انى لكم منه نذير مبين الخوف عبارة عن تألم القلب و احتراقه بسبب توقع مكروه فى الاستقبال والرجاء ارتياح القلب لانتظار ما هو محبوب عنده

ولكن لابدو ان يكون له سبب والا فغرور ﴿ وقيل لمحمد بن واسع رحمه الله الا تتكى ﴾ حرف عرض اى اتكئ ﴿ فقال تلك جلسة الآمنين ﴾ اى نوع من جلوسهم فى تلك الهيئة تشبه بهم ﴿ و حكى ان ابا حازم الاعرج ﴾ وهو سلمة بن دينار الاعرج يروى عن سهل بن سعد وروى عنه مالك والثورى وابن عيينة وسليمان بن بلال قال ابو على الجيانى ابو حازم رجلان تابعيان يكنيان بابى حازم يرويان عن الصحابة وكلاهما ثقتان فالاول الاشجعى الكوفى مولى عزة الاشجعية اسمه سلمان يروى عن ابى هريرة رضى الله عنه روى عنه الاعمش ومنصور وفضيل بن غزوان والثانى سلمة بن دينار الاعرج ﴿ اخبر سليمان بن عبد الملك بوعيد الله للمذنبين فقال سليمان ﴾ كل ما انبأتنا به وعيده ﴿ اين رحمة الله قال قريب من المحسنين ﴾ اقتباس من قوله تعالى ان رحمة الله قريب من المحسنين يقال قرب منه واليه اى دنا ﴿ وقال عبد الله بن عباس رضى الله عنهما ما انتفعت ولا اتعظت بعد رسول الله صلى الله عليه وسلم بمثل كتاب ﴾ اى مكتوب ﴿ كتبه ﴾ وارسله ﴿ الى على بن ابى طالب كرم الله وجهه اما بعد فان الانسان يسره درك ما ﴾ اى يجعله مسرورا وصول شئ ﴿ لم يكن ليفوته ﴾ بل يناله لامحالة لتكمل اسبابه وكونه مقدرا له ﴿ ويسوئه ﴾ اى يغمه ويحزنه ﴿ فوت ما لم يكن ليدركه ﴾ اى لعدم تكمل اسبابه اولعدم تقدير الله له ﴿ فلا تكن بما نلته من دنياك فرحا ﴾ مسرورا ﴿ ولا لما فاتك منها ترحا ﴾ اى مغموما ومنفعلا بل ليكن سرورك بما وصلته من امر آخرتك وحزنك بما فاتك منه ﴿ ولا تكن ممن يرجو الآخرة بغير عمل ويؤخر التوبة بطول الامل ﴾ وفى الجامع الصغير عن شداد بن اوس (الكيس) اى العاقل المتبصر فى الامور الناظر فى العواقب (من دان نفسه) اذلها وحاسبها وقهرها حتى صارت مطيعة منقادة (وعمل لما بعد الموت) قبل نزوله ليصير على نور من ربه (والعاجز) المقصر فى الامور (من اتبع نفسه هواها) فلم يكفها عن الشهوات (وتمنى على الله الامانى) جمع امنية اى هو لايستغفر ولايعتذر بل يقول دعنى عفو الله واسع قال الغزالى وهذا غاية الحمق والجهالة اورده الشيطان فى غاية الدين ﴿ فكان قد ﴾ اتعظت بما وعظت وحذف الفعل بعد قد كثير لدليل يدل عليه وهو ما قبله قال الشافعى رحمه الله تعالى * تمنى رجال ان اموت وان امت . فتلك سبيل لست فيها باوحد * فقل للذى يبغى مماتى عاجلا . تأهب لاخرى بعدها وكأن قد * ولما كتب ابو عبيدة الى عمر فى امر الطاعون فقرأ عمر الكتاب واسترجع فقال له المسلمون مات ابو عبيدة قال لا وكان قد اى وكأن قد تأهب وكأن قد مات ﴿ والسلام ﴾ عليك وهذا من حسن المقطع حيث اختتم كلامه بالدعاء بالسلامة ويستعمل فى التعريض اى والسلام على تابعى الهدى ﴿ قال محمود الوراق رحمه الله ﴾ من المتقارب ﴿ اخاف على المحسن المتقى . وارجو لذى الهفوات المسئ ﴾ ومعنى البيت مرهون لما بعده اى بناء ﴿ على ان ذا الزيغ قد يستفيق ﴾ من مرض الضلالة ﴿ ويستأنف الزيغ قلب التقى ﴾ اى يعود اليه اخذه من قوله عليه السلام (مامن قلب الا وهو معلق بين اصبعين من اصابع الرحمن ان شاء اقامه وان شاء ازاغه) هذه عبارة عن كونه مقهورا مغلوبا (والميزان بيد الرحمن يرفع اقواما ويضع آخرين الى يوم القيامة) والحديث من المتشابهات رواه ابن ماجة عن النواس

بن سمعان ﴿ فذلك ﴾ الاستيناف ﴿ خوف على محسن ﴾ اى على من يحسن ﴿ فكيف ﴾ يخوف ﴿ على الظالم المتعدى ﴾ البالغ فى الظلم وعنه صلى الله تعالى عليه وسلم الا ان الظلم ثلاثة فظلم لايغفر وظلم لايترك وظلم مغفور لايطلب فاما الظلم الذى لايغفر فالشرك بالله واما الظلم الذى لايترك فظلم العباد بعضهم بعضا واما الظلم المغفور الذى لايطلب فظلم العبد نفسه ﴿ والحال الثالثة ﴾ من الاحوال الاربعة للتقصير ﴿ ان يكون تقصيره فيه ﴾ اى فيما كلف به ﴿ ليستوفى فى ما اخل به من بعد ﴾ شبابه مثلا ﴿ فيبدأ بالسيئة فى التقصير قبل الحسنة فى الاستيفاء ﴾ فتقصيره من وجهين شروعه فى المعصية وتأخيره الحسنة ﴿ اغترارا بالامل فى امهاله ﴾ الحسنة ﴿ ورجاء لتلافى ما اسلف من تقصيره واخلاله ﴾ باستغفار وتوبة ﴿ فلا ينتهى به الامل الى غاية ولا يفضى به ﴾ الرجاء ﴿ الى نهاية ﴾ حتى يتوب من تقصيريه ﴿ لان الامل هو فى ثانى حال ﴾ فى اليوم الثانى مثلا ﴿ كهو ﴾ اى كالامل الموجود ﴿ فى اول حال ﴾ واستعير المرفوع المنفصل من المجرور المتصل لتعذر الاتصال اذ لايقال كه كما يقال به ومنه ﴿ وقد روى عن النبى صلى الله عليه وسلم انه قال من يؤمل ان يعيش غدا فانه يؤمل ان يعيش ابدا ولعمرى ﴾ والعمر بالفتح والضم بمعنى البقاء الا ان المقسم به بالفتح قال الله تعالى لعمرك انهم لفى سكرتهم اى بحق بقائى ﴿ ان هذا ﴾ الكلام ﴿ صحيح ﴾ مطلقا فكيف اذا روى عنه عليه السلام ﴿ لان لكل يوم غدا فاذا يفضى به الامل الى الفوت ﴾ اى فوت حسناتها ﴿ من غير درك ﴾ او الى موت المؤمل من غير درك الحسنات ﴿ ويؤديه الرجاء الى الاهمال من غير تلاف ﴾ لما اسلف من تقصيره واهماله وقد كان يرجو التلافى ﴿ فيصير الامل خيبة والرجاء اياسا ﴾ نعوذ بالله من ذلك والامل الرجاء فيما تحبه النفس من طول عمر وزيادة غنى ﴿ وقد روى عمرو بن شعيب عن ابيه عن جده ﴾ عبدالله بن عمرو بن العاص رضى الله عنهما ﴿ عن النبى صلى الله عليه وسلم قال اول صلاح هذه الامة بالزهد ﴾ عن الدنيا وزخرفها ﴿ واليقين ﴾ بالامور الاخروية ﴿ و ﴾ اول ﴿ فسادها بالبخل والامل ﴾ ورواية ابن ابى الدنيا عنه نجا اول هذه الامة باليقين والزهد ويهلك آخرها بالبخل والامل ﴿ وقال الحسن البصرى رحمه الله ما اطال عبد الامل الا اساء العمل وقال رجل لبعض الزهاد بالبصرة الك حاجة ببغداد قال ما احب ان ابسط املى الى ان تذهب الى بغداد وتجئ وقال بعض الحكماء الجاهل يعتمد على امله والعاقل يعتمد على عمله وقال بعض البلغاء الامل كالسراب غر من رآه وخاب من رجاه ﴾ وقد سدد ابن المعتز بابه حيث قال * لاتأسفن من الدنيا على امل . فليس باقيه الامثل ماضيه ﴿ وقال محمد بن يزدان دخلت على المأمون وكنت يومئذ وزيره ﴾ الاعظم ﴿ فرأيته قائما وبيده رقعة فقال يا محمد أقرأت مافيها فقلت هى فى يد امير المؤمنين ﴾ يعنى ليس من الادب ان يقرأ كتاب غيره بلا اذنه فكيف بما فى يد امير المؤمنين ﴿ فرمى بها الى ﴾ واذن بقرائتها فناولتها ﴿ فاذا فيها مكتوب ﴾ من السريع ﴿ انك فى دار لها مدة ﴾ قليلة ﴿ يقبل فيها عمل العامل * اما ترى الموت محيطا بها . يقطع فيها امل الآمل ﴾ روى البخارى عن ابن مسعود رضى الله عنه انه قال خط النبى صلى الله عليه وسلم خطا مربعا) مستوى الزوايا (وخط

خطا فى الوسط خارجا منه) اى من الخط المربع (وخط خططا) بضم الخاء وتكسر (صغارا الى) جانب (هذا) الخط (الذى فى الوسط) هكذا (وقال هذا الانسان) على سبيل التمثيل (وهذا اجله محيط به) اشارة الى المربع (وهذا) الخط المستطيل المنفرد (الذى هو خارج) من وسط المربع (امله وهذه الخطط الصغار) اى الشطيات التى فى الخط الخارج من وسط المربع من اسفله او من اسفله واعلاه (الاعراض) اى الآفات العارضة له كمرض اوفقد مال اوغيرها (فان اخطأه هذا) العرض وسلم منه (نهشه) اى اصابه واخذه (هذا وان اخطأه هذا) العرض (نهشه هذا) العرض الآخر وهو الموت فان لم يمت بالسبب مات بالاجل والحاصل ان الانسان يتعاطى الامل ويختلجه الاجل دون الامل كما فى القسطلانى ﴿ تعجل بالذنب لما تشتهى . وتأمل التوبة من قابل ﴾ اى تؤخرها اليه . مصراع . توبه ات نسيه كناهت نقدبود * معارضة لقول الآخر * اليوم يوم سرور لاشرور به . فزوج ابن سماء بابنة العنب ﴿ والموت يأتى بعد ذا بغتة . ماذاك فعل الحازم العاقل ﴾ اى ليس تأخير التوبة فعل العاقل بل ما انشده الحريرى * فالبس شعار الندم . واسكب شآبيب الدم . قبل زوال القدم . وقبل سوء المصرع ﴿ فلما قرأتها قال المأمون هذا ﴾ الشعر ﴿ من احكم شعر قرأته ﴾ لكونه اسدوا بلغ ﴿ وقال ابو حازم الاعرج نحن لانريد ان نموت حتى نتوب ولانتوب حتى نموت . وقال بعض البلغاء الامهال رائد الاهمال ﴾ اى جاسوسه الذى يتقدمه ويهيئ له مرعى ومنزلا ﴿ والحال الرابعة ﴾ من الاحوال الاربعة للتقصير ﴿ ان يكون تقصيره فيه ﴾ فيما كلف به ﴿ استثقا لا للاستيفاء وزهدا فى التمام واقتصارا على ماسنح ﴾ بباله ﴿ وقلة اكتراث ﴾ اى ولعدم مبالات ﴿ فيما بقى فهذا ﴾ التقصير ﴿ على ثلاثة اضرب احدها ان يكون ما اخل به وقصر فيه غير قادح فى فرض ولامانع من عبادة كمن اقتصر فى العبادة على فعل واجباتها وعمل مفترضاتها واخل بمسنوناتها وهيآتها ﴾ المسنونة ﴿ فهذا ﴾ الفاعل ﴿ مسئ فيما ترك ﴾ من السنن ﴿ اسائة من لايستحق وعيدا ولايستوجب عتابا لان اداء الواجب يسقط عنه العقاب واخلاله بالمسنون يمنع من اكمال الثواب وقد قال بعض الحكماء من تهاون بالدين هان ﴾ لان قيمة كل عبد بخدمته وصداقته لمولاه والمتهاون مهان ومحقر ﴿ ومن غالب الحق لان ﴾ اى من طلب المغالبة على الحق بالافراط والغلو فيه ابتداء يصير لينا بغلبة الحق عليه كما تقدم من الحديث وان يشاد احد هذا الدين الاغلبه ﴿ وقال الشاعر ﴾ من الكامل المرفل ﴿ ويصون توبته ويتـرك ﴾ مفعوله محذوف اى ويتركها ﴿ غير ذلك لايصونه ﴾ منصوب على شريطة الاضمار وجملة لايصونه حال من الضمير الغائب يعنى يضن بتوبته ويحفظه ولايحفظ غيرها بل يسمح به ويسترسل ﴿ واحق ماصان الفتى . ورعا ﴾ اى ومارعاه ﴿ امانته ودينه ﴾ والتوبة من الدين ورعايتها بفعلها لابتركها فسر الصون فى البيت الاول بالترك وفى الثانى بالرعاية والقيام بحق الشئ ﴿ والضرب الثانى ان يكون ما اخل به من مفروض عبادته ﴾ اى يكون اخلاله فى الفرض ﴿ لكن لايقدح ترك مابقى فيما مضى كمن اكمل عبادات ﴾ اى انواعا منها ﴿ واخل بغيرها ﴾ من العبادات ﴿ فهذا اسوء حالا ممن تقدمه لما استحقه من الوعيد واستوجبه من العقاب * والضرب الثالث ان يكون مااخل به من مفروض عبادته وهو ﴾ اى مااخل به ﴿ قادح فيما عمل منها كالعبادة التى يرتبط

بعضها ببعض ﴾ بكونها شروطا او اركانا كالافطار فى اثناء الكفارات لغير الحائض والصلاة بلا وضوء او بلا ركوع ﴿ فيكون المقصر بعضها تاركا لجميعها فلا يحتسب له ماعمل لاخلاله بما بقى فهذا ﴾ التقصير ﴿ اسوء احوال المقصرين وحاله لاحقة باحوال التاركين بل قد تكلف ﴾ بل للتنزيل عن احوال التاركين ﴿ مالا يسقط فرضا ولا يؤدى حقا فقد ساوى التاركين فى استحقاق الوعيد وزاد عليهم ﴾ اى سبقهم وزاد عليهم ﴿ فى تكلف مالا يفيد ﴾ اجرا قال عيسى بن مريم على نبينا وعليه السلام ويلكم ياعبيد الدنيا جعلتم العمل تحت اقدامكم من شاء اخذه وجعلتم الدنيا فوق رؤسكم لايستطيع تناولها لاعبيد اتقياء ولا احرار كرام ويلكم يااجراء السوء الاجر تأخذون والعمل تفسدون سوف تلقون ماتحذرون يوشك رب العمل ان ينظر فى عمله الذى افسدتم وفى اجره الذى اخذتم ويلكم غرماء السوء تبدؤن قبل قضاء الدين بالنوافل تطوعون وما امرتم به لاتؤدون ان رب الدين لايقبل الهدية حتى يقضى دينه ﴿ فصار ﴾ ذلك المقصر ﴿ من الاخسرين اعمالا ﴾ اصب على التميز لانه من اسماء الفاعلين اولتنوع اعمالهم (١) ﴿ الذين ضل سعيهم ﴾ ضاع وبطل لعدم اتمامهم وافسادهم ﴿ فى الحياة الدنيا ﴾ وهم يحسبون انهم يحسنون صنعا اقتباس من قوله تعالى قل هل ننبئكم بالاخسرين اعمالا الآية بتشبيه حال المقصرين بحال الراهبين حيث حرموا على انفسهم النكاح ولم يتمتعوا برجوليتهم ولهم ذلك وعمل المقصرون ولم ينتفعوا باعمالهم ولهم ذلك لولا افسادهم او باد خالهم فى عموم الاخسرين ﴿ وفى الآخرة ﴾ لما تقدم انه لابد لكون الفعل عبادة من امرين الامر به وكمال التعظيم وليس شئ منهما فى فعل المقصر ﴿ ثم لعله لايفطن بشانه ولايشعر بخسرانه ﴾ ولعل للاشفاق ﴿ وقد خسر الدنيا ﴾ من حيث تكلفه مالا يفيد ﴿ والآخرة ﴾ لاستحقاقه الوعيد اى غبن فيهما ﴿ ويفطن لليسير من ماله ان وهى واختل ﴾ يقال وهى الثوب من الباب الثانى اذا تخرق وانشق ﴿ وانشدنى بعض اهل العلم ﴾ وفى كشكول انهما من الديوان المنسوب لعلى بن ابى طالب رضى الله عنه من الكامل ﴿ انى ارى من الرجال بهيمة ﴾ الهمزة حرف نداء وبنى مصغر ابن والتصغير للشفقة وان بالكسر جواب النداء ومن للتبعيض وبهيمة اسم ان المؤخر وتنوينها للتعظيم والحمل ادعائى ﴿ فى صورة الرجل السميع المبصر ﴾ والظرف صفة بهيمة اخذه من قوله تعالى لهم اعين لايبصرون بها ولهم آذان لايسمعون بها اولئك كالانعام بل هم اضل ﴿ فطن ﴾ اى ذلك البعض ﴿ بكل مصيبة فى ماله . واذا اصيب بدينه لم يشعر ﴾ اى لتقيده بماله وعدم مبالاته بدينه ﴿ واما الحال الثالثة ﴾ من الاحوال الثلاثة للانسان فيما كلف من عباداته ﴿ وهو ان يزيد فيما كلف فهذا ﴾ الزيادة ﴿ على ثلاثة اقسام احدها ان تكون الزيادة رياء للناظرين ﴾ هو ترك الاخلاص فى العمل بملاحظة غير الله فيه ﴿ وتصنعا للمخلوقين ﴾ يقال تصنع الرجل اذا تكلف حسن السمت والتزين (٢) ﴿ حتى يستعطف به القلوب النافرة ﴾ عنه ﴿ ويخدع به ﴾ اصحاب ﴿ العقول الواهية ﴾ اى الفاسدة واما اصحاب العقول الكاملة فيستدلون بالسواد فى شفاه اكمام شقائق النعمان (٣) على السواد فى قلبه ومن الامثال غش القلوب يظهر فى فلتات الالسن وصفحات الوجوه ﴿ فيتبهرج بالصلحاء ﴾ اى ينقد احوالهم

(١) يعنى ان اسم الجنس وان كان يتناول آحاد مدلوله الا انه لا يدل على اختلاف فاعله ولا على تنوع مدلوله فجمع العمل ليدل على احد الامرين كما فى حاشية انوار التنزيل لشيخزاده منه

(٢) نورس . چوق ريا كار وار ولى كورينور ابن ملجم ايكن على كورينور شكل يخ پاره‌دن قياس ايله . منحمد قلبى منجلى كورينور منه

(٣) شقائق النعمان لاله چيچكى منه

ويذكر زللهم كأنه سبقهم اويصير بهرجة فيهم يقال درهم بهرج ومبهرج اى ردئ الفضة زيف يرده بيت المال وان تداوله العامة ويقال بهرج بهم الدليل اذا عدل بهم عن الجادة القاصدة الى غيرها وفى المثنوى* ازبرون طعنه زند بربايزيد * وزدرونش ننك مى‌دارد يزيد * ظاهرش چون كوركافر پرحلل * واندرون قهر خداى عزوجل * روبسوز اين جبۀ نا پاك را * وين عصا وشانه ومسواك را ﴿ وليس منهم ﴾ لانه هو الزيف ﴿ ويتدلس ﴾ اى يتكتم ويختفى ﴿ فى الاخيار ﴾ جمع خير كسيد ﴿ وهو ضدهم كالكلب بين الاغنام ﴿ وقد ضرب رسول الله صلى الله عليه وسلم للمرائى بعمله مثلا ﴾ اى بين مثلا ﴿ فقال المتشبع بمالايملك كلابس ثوبى زور يريد ﴾ عليه السلام ﴿ بالمتشبع بمالايملك المتزين ﴾ مفعول يريد ﴿ بما ليس فيه ﴾ وفى الفائق للزمخشرى المتشبع المتشبه بالشبعان وليس به واستعير للمتحلى بفضيلة لم يرزقها ﴿ وقوله ﴾ عليه السلام ﴿ كلابس ثوبى زور وهو الذى يلبس ثياب الصلحاء ﴾ قوله ثوب زور اى ذى زور وهو الذى يزور على الناس بان يتزيا بزى اهل الصلاح رياء واضاف الثوب اليه لانه كان ملبوسا لاجله وهو المسوغ للاضافة (وروى البخارى عن اسماء بنت ابى بكر الصديق رضى الله عنهما ان امرأة) هى اسماء نفسها (قالت يارسول الله ان لى ضرة فهل على جناح ان تشبعت من زوجى غير الذى يعطينى فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم المتشبع بما لم يعط كلابس ثوبى زور) ارتدى باحدهما واتزر بالآخر يتجمل بذلك ويظن الناس انهماله ولبسهمالايدوم فيفتضح بكذبه قالوا كان فى الحى رجل له هيئة حسنة اذا احتاجوا الى شهادة الزورشهدلهم فيقبل لهيئته وحسن ثوبه كذا فى القسطلانى ﴿ فهو بريائه محروم الاجر مذموم الذكر لانه لم يقصد ﴾ بعمله ﴿ وجه الله تعالى فيؤجر عليه ﴾ وفى در المختار من صلى او تصدق يرائى به الناس لايعاقب بتلك الصلوة ولايثاب بها قال ابن العابدين اى لايعاقب عقاب تاركها لانها صحيحة مسقطة للفرض لقولهم الرياء لايدخل الفرائض واما فى النوافل ففى حكم تاركها كأنه لم يصل وقال ايضا اعلم ان اخلاص العبادة لله تعالى واجب والرياء حرام بالاجماع للنص وص القطعية والاخلاص جعل افعاله لله تعالى وذا لايكون الا بالنية والرياء يكون تارة فى اصل العبادة وتارة يكون فى وصفها والاول هو الرياء الكامل المحيط للثواب من اصله كما اذا صلى لاجل الناس ولولاهم ماصلى واما لو عرض له ذلك فى اثنائها فهو لغو والجزء الذى عرض فيه الرياء بعض تلك الصلاة الخالصة نعم ان زاد فى تحسينها بعد ذلك يرجع الى القسم الثانى فيسقط ثواب التحسين (٤) وقال القسطلانى وليعلم ان الرياء يكون بالبدن كاطراقه رأسه ليرى انه متخشع والهيئة كابقاء اثر السجود والثياب كلبسه خشنها وقصيرها جدا والقول كالوعظ وحفظ علوم الجدل وتحريك شفتيه بحضور الناس وكل واحد منها قدراى به باعتبار الدين وباعتبار الدنيا وحكم الرياء بغير العبادة حكم طالب المال والجاه وحكم محض الرياء بالعبادة ابطالها وان اجتمع قصد الرياء وقصد العبادة اعطى الحكم للاقوى فيحتمل الوجهين فى اسقاط الفرض به والمصر على اطلاع عبادته ان كان لغرض دنيوى كافضائه الى الاحترام ويكرموه ويعظموه ويعتقدوا خيره او نحوه فهو

(٤) بدليل ماروى عن الامام فيمن اطال الركوع لادراك الجائى لا للقربة حيث قال اخاف عليه امرا عظيما اى الشرك الخفى منه

مذموم وان كان لغرض اخروى كا لفرح باظهار الله جميله وستره قبيحه اولرجاء الاقتداء به فممدوح وعليه يحمل مايحدث به الاكابر من الطاعات وليس من الرياء ستر المعصية بل ممدوح وان عرض له الرياء فى اثنــاء العبادة ثم زال قبل فراغها لم يضر ومتى علم من نفســه القوة اظهر القربة وقد قيل اعمل ولوخفت عجبا مستغفرا منه انتهى وقال السفيان الثورى لرابعة رحمهما الله تعالى ماحقيقة ايمانك قالت ماعبدته خوف النار ولا رجاء الجنة فاكون كالاجير السوء بل عبدته حباله وشـوقا اليه وقالت فى معنى ذلك * احبك حبين حب الهـوى . وحبالانك اهل لذاك * فاما الذى هوحب الهوى . فشـغلى بذكرك عمن سـواك * واما الذى انت اهل له . فكشـفك لى الحجب حتى اراك * فلاالحمد فى ذا ولاذاليا . ولكن لك الحمد فى ذا وذاك * ولله درها حيث تقـول ماعبدته خوف النار آه لان العبادة لهما كالبيع والشراء وليس من العبودية بشئ لانهما مخلوقتان والعبادة لهمالحظ النفس لالوجه الله وهذا هوالرياء الخفى من دبيب النمل على الصخر ولذا قالوا اسـتغفارنا يحتاج الى استغفار كثير ﴿ ولايخفى رياؤه على الناس فيحمده ﴾ عندهم فقدخسر الدنيا والآخرة ذلك هوالخسران المبين نسئل الله تعالى العافية وان يجعل اعمالنا خالصا لوجه الكريم يوم لاينفع مال ولابنون الامن اتى الله بقلب سليم ﴿ قال الله تعالى فمن كان يرجو لقاء ربه ﴾ فمن كان يؤمل حسن لقاء ربه وان يلقاه لقاء رضى وقبول ﴿ فليعمل عملا صـالحا ولايشرك بعبـادة ربه احدا قال جميع اهل التأويل معنى قوله ولايشرك بعبادة ربه احدا اى لايرائى بعمله احدا فجعل الرياء شركا ﴾ معطوف على قال اى جعله الله شركا ﴿ لانه ﴾ اى المرائى ﴿ جعل مايقصد به وجه الله تعالى مقصودا به غيرالله تعالى ﴾ وروى مسلم عن ابى هريرة قال قال رسول الله صلى الله عليه وسـلم قال الله تبارك وتعالى انا اغنى الشركاء عن الشرك من عمل عملا اشرك فيه معى غيرى تركته وشركه قال النووى ومعناه انه غنى عن المشاركة وغيرها فمن عمل شيئالى ولغيرى لم اقبله بل اتركه لذلك الغير والمراد ان عمل المرائى باطل لاثواب فـيه ويأثم به ﴿ وقال الحسن البصرى رحمه الله تعالى فى قوله تعالى ﴾ فى الاسراء ﴿ ولاتجهر بصلاتك ﴾ بقراءة صلاتك حتى تسمع المشركين فان ذلك يحملهم على السـب واللغو فيها ﴿ ولاتخافت بها ﴾ حتى لاتسمع من خلفك من المؤمنين (وابتغ بين ذلك) بين الجهر والمخافتة (سبيلا) وسطافان الاقتصاد فى جميع الامور محبوب روى ان ابابكر رضى الله عنه كان يخافت ويقول اناجى ربى وقد علم حاجتى وعمر رضى الله عنه كان يجهر ويقـول اطرد الشـيطان واوقظ الوسنان فلما نزلت امر رسول الله صلى الله عليه وسلم ابابكر ان يرفع قليلا وعمران يخفض قليلا وقيل معناه لاتخافت بصـلاتك كلها ولاتخـافت بها باسرها وابتغ بين ذلك سـبيلا بالاخفـات نهارا والجهر ليلا ﴿ قال ﴾ الحسـن ﴿ لاتجهر بها رياء ولاتخافت بها حياء وكان سفيان بن عيينة ﴾ بن ابى عمران ميمون مولى محمد بن مزاحم امام جليل فى الحديث والفقه والفتوى وهو احد مشايخ الشافعى وتوفى سنة ثمان وتسعين ومأة ﴿ رحمه الله يتأول ﴾ يقال تأول الكلام بمعنى اوله ﴿ قوله تعالى ان الله يأمر بالعدل والاحسان وايتاء ذى القربى وينهى عن الفحشـاء والمنكر والبغى ان العدل ﴾ اى بانه ﴿ استواء السريرة والعلانية فى

العمل لله تعالى والاحسان ان تكون سريرته احسن من علانيته و ﴿ ان ﴾ الفحشاء والمنكر ان تكون علانيته احسن من سريرته وكان غيره ﴿ اى غير سفيان ﴾ يقول العدل شهادة ان لا اله الا الله ﴿ والاقتصاد فى الامور عملا واعتقادا وخلقا ﴾ والاحسان الصبر على امره ونهيه وطاعة الله فى سره وجهره ﴿ كما روى عنه عليه السلام الاحسان ان تعبدالله كأنك تراه فان لم تكن تراه فانه يراك ﴾ و ﴿ يقول ﴾ ايتاء ذى القربى صلة الارحام وينهى عن الفحشاء يعنى الزنا والمنكر القبائح والبغى الكبر والظلم وليس يخرج الرياء بالاعمال ﴿ اى فيها ﴾ من هذا التأويل ايضاً ﴿ كما لا يخرج عن تأويل سفيان ﴾ لانه من جملة القبائح وقد روى عن النبى صلى الله عليه وسلم انه قال اخوف ما اخاف على امتى الرياء الظاهر والشهوة الخفية ﴿ للمعاصى يعنى يرائى احدهم الناس بتركه المعاصى وشهوتها فى قلبه مخبأة وقيل الرياء ما يظهر من العمل والشهوة الخفية حب اطلاع الناس عليه ﴿ وروى ﴾ كما روى الديلمى عن ابن عمر ﴾ عن النبى صلى الله عليه وسلم انه قال اشد الناس عذابا يوم القيامة من يرى ﴾ من الافعال او من الثلاثى ﴿ الناس ﴾ مفعول على الاول وفاعل على الثانى ﴿ ان فيه خيرا ولا خير فيه ﴾ باطنا فلما تخلق باخلاق الاخيار وهو من الفجار استوجب ذلك ﴿ وقال على بن ابى طالب كرم الله وجهه لا تعمل شيئا من الخير رياء ولا تتركه حياء وقال بعض العلماء كل حسنة لم يرد ﴾ بالبناء للمفعول ﴿ بها وجه الله تعالى فعلتها اقبح الرياء ﴾ وفى القشيرية مسلسلا بسألت عن الاخلاص ماهو عن حذيفة رضى عنه قال سألت النبى صلى الله عليه وسلم عن الاخلاص ماهو قال سألت جبريل عن الاخلاص ماهو قال سألت عن رب العزة عن الاخلاص ماهو قال سر من اسرارى استودعته قلب من احببته من عبادى قال الله تعالى الا لله الدين الخالص وفيها سمعت الاستاذ ابا على الدقاق يقول الاخلاص التوقى عن ملاحظة الخلق والصدق التنقى من مطالعة النفس فالمخلص لا رياء له والصادق لا اعجاب به وقال ذوالنون المصرى الاخلاص لا يتم الا بالصدق فيه والصبر عليه والصدق لا يتم الا بالاخلاص فيه والمداومة عليه وقال ثلاث من علامات الاخلاص استواء المدح والذم من العامة ونسيان رؤية الاعمال فى الاعمال ونسيان اقتضاء العمل ثواب الآخرة وقال الجنيد الاخلاص سر بين الله وبين العبد لا يعلمه ملك فيكتبه ولا شيطان فيفسده ولا هوى فيميله ﴿ وثمرتها سوء الجزاء ﴾ يوم القيمة لما روى البخارى عن جندب بن عبدالله البجلى رضى الله عنه قال قال النبى صلى الله عليه وسلم من سمع سمع الله به) اى من اظهر عمله للناس رياء اظهر الله نيته الفاسدة فى عمله يوم القيامة وفضحه على رؤس الاشهاد وقال فى المصابيح هو على المجازاة من جنس العمل اى من شهر عمله سمعه الله ثوابه ولم يعطه اياه وقيل من اسمع الناس عمله سمعهم الله اياه وكان ذلك حظه من الثواب وقال غيره اى من قصد بعمله الجاه والمنزلة عند الناس ولم يرد به وجه الله فان الله يجعله حديثا عند الناس الذين اراد نيل المنزلة عندهم ولا ثواب له فى الآخرة (و) كذلك (من يرائى يرائى الله به) فلا يظفر من ريائه الا بفضيحته واظهار ما كان يبطنه من سوء الطوية نعوذ بالله من ذلك ﴿ وقد يفضى الرياء بصاحبه الى استهزاء الناس به كما حكى ان طاهر بن الحسين ﴾ بن مصعب الخزاعى الملقب بذى اليمينين كان امير جيش المأمون سماه

المأمون بذلك لما قتل فى حرب على بن عيسى امير جيش الامين رجلا بالسيف الذى كان فى يساره وهو الذى قتل الامين وجمع الخلافة فى المأمون وتوفى سنة سبع ومأتين فى خراسان والياعليها ﴿ قال لابى عبدالله المروزى منذكم صرت الى العراق يا اباعبدالله ﴾ اى عراق العرب وهو بغداد وعراق العجم اصبهان ﴿ قال دخلت العراق منذ عشرين سنة وانا منذ ثلاثين سنة صائم فقال ﴾ طاهر ﴿ ياابا عبدالله سألتك عن مسئلة ﴾ واحدة ﴿ فاجبت عن مسئلتين ﴾ وكتب رجل عند الحسين رضى الله عنه كتابا فقال اجعلنى فى حل من تراب حائطك فقال يا اخى بل ورعك لايتكسر ﴿ وحكى الاصمعى رحمه الله ان اعرابيا صلى فاطال ﴾ القراءة وسائر الاركان ﴿ والى جانبه قوم ﴾ يرونه اوينتظرونه ﴿ فقالوا ما احسن صلاتك فقال ﴾ الاعرابى ﴿ وانا مع ذلك صائم فقال اعرابى ﴾ آخر ﴿ كان فيهم ﴾ من الكامل ﴿ صلى فاعجبنى ﴾ اوقعنى فى عجب وتحسين ﴿ وصام ﴾ اى اخبر بصومه ﴿ فرابنى ﴾ او قعنى فى ريبة وشك فى انه مخلص بل هو مراء ﴿ نح القلوص عن المصلى الصائم ﴾ امر من التنحية اى بعدها عنه والقلوص الناقة الشابة وهى بمنزلة البكر من الانسان وتكون كناية عنها والمعنى بعدها عنه حتى لاينتقض وضوئه ولايتشوش عقله بها وهذا استهزاء به وفى البيان (عدالقلوص) يعنى انت لاتؤجر بمثل هذا العمل كما ان القلوص التاركة لهما لاتوجر فعدها من امثالك وهذا استهزاء ايضا وامر عمر رضى الله عنه لرجل بكيس فقال آخذ الخيط فقال عمر ضع الكيس وفى الاسرائيليات جائت عصفورة فوقفت على فخ فقالت له مالى اراك منحنيا قال لكثرة صلاتى انحنت قامتى قالت فما بالى اراك بادية عظامك قال لكثرة صيامى بدت عظامى قالت فما هذا الصوف عليك قال لزهادتى لبست الصوف قالت فما هذه الحبة فى يدك قال قربان ان مربى مسكين ناولته اياها قالت فانى مسكينة قال خذيها فقبضت الحبة فاذا الفخ فى عنقها فصاحت قعى قعى تفسيره لاغرنى مراء بعدك ابدا قال الشاعر * نعوذ بالله من اناس . تشيخوا قبل ان يشيخوا . تقوسوا وانحنوا رياء . فاحذرهم انهم فخوخ * وكان صائد يصيد العصافير فى يوم بارد فكان يذبحهما والدموع تسيل فقال عصفور لصاحبه لابأس عليك من الرجل اما تراه يبكى فقال له الآخر لاتنظر دموعه وانظر ما تصنع يده ﴿ فانظر الى هذا الرياء مع قبحه ما ادله ﴾ اى ما اوضح دلالته ﴿ على سخف عقل صاحبه ﴾ اى على سخافته وفساده يقال سخف السقاء اذا وهى وخرق وبابه حسن ﴿ وربما ساعد ﴾ المرائى ﴿ الناس مع ظهور ريائه على الاستهزاء بنفسه ﴾ متعلق بساعد وهذا بيان لآفة الرياء على سبيل الترقى حيث قال اولا قد يفضى الى استهزاء الناس به اى وهو لايساعده ولايرضى به بل يستحى وقال هنا ساعداى يرضى ويسر به وكونه خارجا عن القربات الشرعية لانها يتعلق بها الثواب آجلا والمدح عاجلا لاالسخرية والاستهزاء عاجلا وآجلا ﴿ كالذى حكى ان زاهدا نظر الى رجل فى وجهه سجادة ﴾ هى الاثر والعلامة التى تبقى فى جبهة الساجد ﴿ كبيرة واقفا ﴾ ذلك الرجل ﴿ على باب السلطان فقال ﴾ الزاهد ﴿ مثل هذا الدرهم بين عينيك وانت واقف هنا ﴾ تنتظر دراهم ﴿ فقال ﴾ الرجل ﴿ انه ضرب على غير السكة ﴾ ولايطن فى اليد قال شهاب الدين الخفاجى ومما قلته فى مشايخ زماننا * قدقام فى سوق الريا

تاجرا . وباع للسوقة ارشاده * حرفته الزهد ودكانه . يبيع فيه الكذب سجاده * وقال محمود الوراق لابن اخيه * تصوف كى يقال له امين . وما معنى التصوف والامانة * ولم يرد الا له به ولكن . اراد به الطريق الى الخيانة ﴿ وهذا ﴾ الجواب ﴿ من اجوبة الخلاعة ﴾ يقال رجل خليع وخليع العذار اى قبح قليل الحياء وليس لوجهه ماء ﴿ التى يدفع بها ﴾ بمثل هذه الاجوبة ﴿ تهجين المذمة ﴾ اى قبح التحقير وفى اصل هجين المذمة والهجنة فى الناس والخيل انما تكون من قبل الام فان كان الاب عتيقا والام ليست كذلك كان الولد هجينا والاقراف من قبل الاب فهجين فاعل يدفع والمذمة مفعوله اى يدفع بها التحقيرمن هولئيم الخال لامن هو حسيب ونسيب وقال مستأجر لصاحب منزل اصلح خشب هذا السقف فانه يقرقع قال لاتخف فانه يسبح قال انى اخاف ان تدركه رقة فيسجد ﴿ ولقد استحسن الناس من الاشعث بن قيس قوله وقد خفف صلاته مرة فقال بعض اهل المسجد خففت صلاتك جدا فقال انهلم يخالطها رياء فتخلص من تنقيصهم بنفى الرياء عن نفسه ورفع التصنع فى صلاته وقد كان الانكار لولا ذلك ﴾ الرفع ﴿ متوجها عليه ﴾ لان اثم الكبير كبير اذ يقتدى به الناس ﴿ واللوم لاحقا به ﴾ لان التعديل فرض عند بعض الفقهاء ولاشك ان اللوم يلحق بتاركه ومن القواعد المقررة ان الشرين اذا تعارضا يرتكب اخفهما فهم احقاء فى انكاره وهو معذور فى قصره على ادنى مرتبة يسقط بها الواجب ويلحق هذا بقوله الآتى وربما احس ذوالفضل الى آخر ﴿ ومر ابو امامة ﴾ بضم الهمزة قال العينى وهو كنية ستة من الصحابة ولعله اسعد بن سهل بن حنيف الاوسى وكان جده ابو امامة اوصى بناته الى رسول الله صلى الله عليه وسلم فزوج عليه السلام بنته حبيبة سهل بن حنيف فولد له اسعد هذا فسماه رسول الله صلى الله عليه وسلم وكناه باسم جده لامه وكنيته وبرك عليه ومات سنة مأة وهو ابن نيف وتسعين روى له الجماعة عن الصحابة ومنهم الباهلى وهو صدى بن عجلان الباهلى روى عنه خمسون ومأة حديثا ومات سنة احدى وثمانين فى الشام ﴿ ببعض المساجد فاذا رجل يصلى ﴾ اى غير الفرائض والا فليس له ان يقول لوكان هذا فى بيتك لان اداء الفرائض بالجماعة فرض اوسنة مؤكدة ولالوم على البكاء الغير الاختيارى ﴿ وهو يبكى فقال ﴾ ابو امامة ﴿ له انت ﴾ ايها الرجل فى الثواب والمنزلة عند الله كنت ﴿ انت ﴾ كما نشاهدك ونحسن الظن بك ﴿ لوكان هذا ﴾ البكاء مع الصلاة ﴿ فى بيتك فلم يرذلك منه حسنا لانه اتهمه بالرياء ﴾ لان الظاهر ان لو للشرط كما قيل * اشك ريا كه زاهدان . ريخت بخانة خدا . قحبه بمسجد افكند. طفل حرامزاده را ﴿ ولعله كان بريئا منه ﴾ بقرينة كون البكاء فى الصلاة والسماء لايمطر مالم يغمم ولم يرعد فالباكى فى الصلاة يقظان لامحالة الا ان يتذكر موت حبيبه اولو للتمنى فارشده الى ماهو احسن مما كان فيه ﴿ فكيف ﴾ يحسن الظن ﴿ بمن صار الرياء اغلب صفاته واشهر سماته مع انه آثم فيما عمل انم ﴾ خبر بعد خبر يقال نم الحديث اذا رفعه واشاعه ﴿ من هبوب النسيم بما حمل ﴾ والنسيم الريح الخفيف ويكون اكثر هبوبه فى الفجر وينقل الروائح الطيبة والخبيثة ويقال لها الصبا وفى الحديث نصرت بالصبا ويعبر عنها بالبريد وبالفارسية بيك عشاقان فى اصطلاح العشاق ﴿ ولذلك ﴾ اى ولكون

المرائى آثما فيما عمل ﴿ قال عبدالله بن المبارك افضل الزهد اخفاء الزهد . وربما احس ذوالفضل ﴾ والنباهة ﴿ من نفسه ميلا الى المرائاة فبعثه الفضل على هتك مانا زعته النفس ﴾ يقال هتكه اذا جذبه فقطعه من موضعه ﴿ من المرائاة فكان ذلك ﴾ الهتك ﴿ ابلغ فى فضله كالذى حكى عن عمر بن الخطاب رضى الله عنه انه احسّ على المنبر بريح خرجت منه ﴾ بلا شعور اوصادف تجشى الامعاء اختلاج السرم فلم يمكنه منعه ﴿ فقال ياايها الناس انى قدمثلت ﴾ يقال مثل بين يديه من الباب الاول والخامس اذا قام منتصبا ومثل الرجل اذا لطأ بالارض فهو ضد (١) ﴿ بين ان اخافكم ﴾ حياء منكم ﴿ فى ﴾ حق ﴿ الله تعالى ﴾ واصلى لكم الجمعة بغير وضوء ﴿ وبين ان اخاف الله ﴾ من القيام بين يديه على غير طهارة ﴿ فيكم ﴾ لاجل حيائكم ﴿ فكان ان اخاف الله فيكم احب الىّ ﴾ لان الصلاة بلا طهارة عمدا كفر لايقبل تأويلا ﴿ الا وانى قد فسوت ﴾ يقال فسا الرجل اذا اخرج ريحا بلا صوت ﴿ وها انا نازل اعيد الوضوء فكان ذلك ﴾ الاعلان والاشاعة بيا ايها الناس وثانيا بقوله الا وانى ﴿ منه زجرا لنفسه ﴾ بهتك مانا زعته النفس ﴿ ليكف عن نزاعها الى مثله ﴾ والا كان له اعادة الوضوء بلا اخبار عن شئ اوبنزع خفه ونحو ذلك ﴿ وقال عمر بن عبد العزيز ﴾ بن مروان بن الحكم بن العاص الاموى القرشى الامام العادل احد الخلفاء الراشدين سمع عبدالله بن جعفر وانسا وغيرهما وصلى انس خلفه قبل خلافته ثم قال مارأيت احدا اشبه صلاة برسول الله صلى الله عليه وسلم من هذا الفتى تولى الخلافة سنة تسع وتسعين ومدة خلافته سنتان وخمسة اشهر نحو خلافة الصديق رضى الله عنه فملأ الارض قسطا وعدلا وامه حفصة بنت عاصم بن عمر بن الخطاب رضى الله عنه وقال الامام احمد بن حنبل يروى فى الحديث ان الله يبعث على كل مأة عام من يصحح لهذه الامة دينها فنظرنا فى المأة الاولى فاذا هو عمر بن عبدالعزيز قال النووى فى تهذيب الاسماء حمله العلماء فى المأة الاولى على عمر وفى الثانيه على الشافعى وفى الثالثة على ابن شريح وقال الحافظ ابن عساكر هو الشيخ ابوالحسن الاشعرى وفى الرابعة على ابن ابى سهل الصعلوكى وقيل القاضى الباقلانى وقيل ابو حامد الاسفرائنى وفى الخامسة على الغزالى انتهى وقال الكرمانى لامطمع لليقين فللحنفية ان يقولوا هوالحسن بن زياد فى الثانية والطحاوى فى الثالثة وامثالهما وللمالكية أنه اشهب فى الثانية وهلم جرا وللحنابلة انه الخلال فى الثالثة اوالراغونى فى الخامسة الى غير ذلك وللمحدثين انه يحيى بن معين فى الثانية ونحوهما ولاولى الامر انه المأمون والمقتدر والقادر وللزهاد انه معروف الكرخى فى الثانية والشبلى فى الثالثة ونحوهما وان تصحيح الدين متناول لجميع انواعه لان لفظة من تحتمل التعدد فى المصحح وقدكان قبيل كل مأة من يصحح ويقوم بامر الدين والمراد من انقضت المأة وهو حى عالم مشار اليه كذا فى العينى فاتفقت اصحاب المذاهب والمسالك على ان المصحح الاول هو عمر وكفى به فضلا حتى حمل بعضهم حديث المهدى عليه ﴿ لمحمد بن كعب ﴾ بن سليم ﴿ القرظى ﴾ المدنى حليف الاوس سمع زيد بن ارقم وغيره توفى بالمدينة سنة سبع عشر ومأة وهو ابن ثمان وتسعين سنة ﴿ عظنى فقال ﴾ ابن كعب ﴿ لاارضى نفسى لك واعظا ﴾ يعنى لااعظمها بوعظ مثلك ﴿ لانى اجلس ﴾ فى صفوف الصلاة ﴿ بين الغنى والفقير فاميل على ﴾ جانب ﴿ الفقير ﴾ فاضيق مكانه ﴿ واوسع للغنى ﴾

(١) ويجوز ارادة كلا المعنيين يعنى تحيرت . طوكه قالدم ويره كيردم دعك منه

تعظيما له او اجتلابا لمحبته وميله وقال الله وان المساجد لله فلا تدعوا مع الله احدا ﴿ ولان طاعة الله تعالى في العمل لوجهه لا لغيره ﴾ والوعظ طاعة واطاعة اولى الامر واجب الا ان نفسي فرحت وشمخت بالتماسك الوعظ فلو وعظت الآن يكون لنفسي لا لوجه الله ﴿ وحكى ان قوما ارادوا اسفرا ﴾ بعيدا وخرجوا من العمرانات ووقعوا بالبرية اواصابهم الليل اوالثلج ﴿ فحادوا ﴾ اى مالوا وعدلوا من اليائى اوالواوى ﴿ عن الطريق فانتهوا الى راهب فقالوا قد ضللنا فكيف الطريق فقال ﴾ الراهب ﴿ ههنا واومأ بيده الى السماء ﴾ وهذا يحتمل معنيين احدهما ان الله تعالى جعل النجوم لتهتدوا بها في ظلمات البر والبحر اليبس فيكم من يدلكم وهذا المعنى ظاهر الا ان السوق آب عنه * وثانيهما ان الطريق كما انزل الله من السماء من الكتاب وقد اضلنى الهوى عن سبيل الله فكيف اهديكم اليه والقرينة على هذا المعنى قولهم ضللنا مع قد التى يحقق المعنى الحقيقى دون قولهم خرجنا اوعدلنا او نحو ذلك وسؤالهم بكيف الموضوعة للسؤال عن الحال دون اين فامتنع من ان يعظم نفسه بكونه هاديا ومرشدا وانشدت للحافظ * نقش خودى زلوح دل پاك كنى تودر زمان. كربيرى توجان ودل راه بكوى بخردى * مرغ دل تو حافظا بستهٔ دام آرزوست. اى متعلق خجل دم مثن ازمجردى * ربنا اغفر لنا ولاخواننا الذين سبقونا بالايمان ولا تجعل في قلوبنا غلا للذين آمنوا ربنا انك رؤف رحيم . ﴿ والقسم الثانى ﴾ من الاقسام الثلاثة للزيادة على ما كلف ﴿ ان يفعل الزيادة اقتداء بغيره وهذا قد تثمره مجالسة الاخيار الا فاضل وتحدثه مكاثرة الاتقياء الا ماثل ﴾ جمع امثل كافضل لفظا ومعنى والمكاثرة من باب المغالبة في الكثرة يقال كاثروهم فكثرهم اى غالبوهم في الكثرة فغلبهم ﴿ ولذلك ﴾ الا ثمار والاحداث ﴿ قال النبى صلى الله عليه وسلم ﴾ على ماروى الترمذى عن انس ﴿ المرء على دين خليله ﴾ اى على طريقته او طاعته ﴿ فلينظر احدكم ﴾ اى اذا اراد احدكم ان يعرف نفسه اهى من السعداء ام من الاشقياء فلينظر ﴿ من يخالل ﴾ من يتخذ خليلا ويمر اوقاته به ﴿ فاذا كاثرهم المجالس وطاولهم المؤانس احب ان يقتدى بهم في افعالهم ويتأسى بهم في اعمالهم ﴾ اى يقتدى ﴿ ولا يرضى لنفسه ان يقصر عنهم ولان يكون في الخير دونهم فتبعثه المنافسة ﴾ يقال نافس فيه فلانا اذا رغب على وجه المباراة في الكرم ﴿ على مساواتهم وربما دعته الحمية ﴾ يقال حمى منه اذا اعرض اى عن مساواتهم ﴿ الى الزيادة عليهم والمكاثرة لهم فيصيروا ﴾ اى الخلاؤه الافاضل ﴿ سببا لسعادته وباعثا على استزادته والعرب تقول لولا الوآم ﴾ من وامه وآماذا وافقه اوباهاه ﴿ لهلك الانام اى لولا ان الناس يرى بعضهم بعضا فيقتدى بهم في الخير لهلكوا ولذلك ﴾ التأثير ﴿ قال بعض البلغاء من خير الاختيار ﴾ اى الاصطفاء ﴿ صحبة الاخيار ومن شر الاختيار مودة الاشرار وهذا صحيح لان للمصاحبة تأثيرا ﴾ عظيما ﴿ في اكتساب الاخلاق فتصلح اخلاق المرء بمصاحبة اهل الصلاح وتفسد بمصاحبة اهل الفساد ﴾ وسيجئ بيان المواخاة بالمودة وشروطه ووجوبه وقد روى البخارى عن ابى موسى الاشعرى عن النبى صلى الله عليه وسلم قال مثل الجليس الصالح والجليس السوء كمثل صاحب المسك وكير الحداد) هو الذى ينفخ فيه (لا يعدمك صاحب المسك اما ان تشتريه او تجد ريحه وكير الحداد يحرق بيتك او ثوبك او تجد منه ريحا خبيثة) وفي الحديث

(٢) وهو الساسرى منه

النهى عن مجالسة من يتأذى بمجالسته فى الدين والدنيا والترغيب فيمن ينتفع بمجالسته فيهما فالمجالسة من الاسباب الظاهرة للصلاح والتوفيق من الله تعالى فكم من مجالس للابرار لم ينفعه مجالسه وكم من ملازم الاشرار لم يضره موانسه فلذا اتفق العرب والعجم على قولهم الطبع املك عليك اولك وبالا دب يصير التطبع طباعا والتكلف له هوى مطاعا ولا يذهب الطبيعة بالجملة قال المتنبى * يراد من القلب نسيانكم. وتأبى الطباع على الناقل * وقال ابن طاهر الاندلسى * نقل الطباع من الانسان ممتنع. صعب اذا رامه من ليس من اربه * يريد شيئا وتأباه طبائعه. والطبع املك للانسان من ادبه * وقال آخر * اذا الطفل لم يكتسب نجيبا تخالف اجتهاد مربيه وخاب المؤمل * فموسى الذى رباه جبريل كافر (٣) وموسى الذى رباه فرعون مرسل * وقال الله تعالى ضرب الله مثلا الذين كفروا امرأة نوح وامرأة لوط الآية وضرب الله مثلا الذين آمنوا امرأة فرعون الآية ولذا قال الحافظ * فكر بهبود خوداى دل زدر ديكر جوى. درد عاشق نشود به بمداواى حكيم * دام سختست مكر يار شود لطف خداى . ورنه آدم نبرد صرفه زشيطان رجيم ﴿ ولذلك قال الشاعر ﴾ وفى البيان انه محمود الوراق من الطويل ﴿ رأيت صلاح المرء يصلح اهله. ويعديهم داء الفساد اذا فسد ﴾ المرء اى يسرى ويتجاوز اليهم فساده الذى هو كالداء ﴿ يعظم فى الدنيا بفضل صلاحه ويحفظ بعد الموت فى الاهل والولد ﴾ ذكر جميله وخص الحفظ بهم لانهم المكتنون بكنيته واسمه واما الدعاء والاستغفار فلا يختص بهم لان لكل صالح نصيب من دعاء (السلام علينا وعلى عباد الله الصالحين) فلا يطوى دفاتر حسناتهم ماسجد ساجد وتشهد متشهد ﴿ وانشدنى بعض اهل الادب لابى بكر ﴾ محمد بن العباس ﴿ الخوارزمى ﴾ من الكامل ﴿ لا تصحب الكسلان فى حالاته ﴾ اى فى كسله وتوانيه ﴿ كم صالح بفساد آخر يفسد ﴾ فتفسد انت ولا تصلحه ﴿ عدوى البليد الى الجليد سريعة ﴾ يعنى لان سراية الفساد او الحماقة الى المصاحب الصالح او العاقل سريعة من سراية عكسه ﴿ والجمر يوضع فى الرماد فيخمد ﴾ يقال خمدت النار اى سكن لهبها ولم يطفأ حرها بخلاف همدت وبابهما دخل وقال آخر * عليك بارباب الصدور فمن غدا . مضافا لارباب الصدور تصدرا * واياك ان ترضى بصحبة ناقص . فتنحط قدرا من علاك وتحقرا ﴿ والقسم الثالث ان يفعل الزيادة ابتداء من نفسه التماسا لثوابها ورغبة فى الزلفة بها ﴾ الزلفة والزلفى بمعنى القربة والمرتبة ﴿ فهذا ﴾ الابتداء ﴿ من نتائج النفس الزاكية ﴾ اى الطاهرة عن الهوى ﴿ ودواعى الرغبة الوافية الدالين على خلوص الدين وصحة اليقين وذلك ﴾ الخلوص والصحة ﴿ افضل احوال العاملين واعلى منازل العابدين وقد قيل الناس فى الخير اربعة ﴾ اصنافا ﴿ منهم من يفعله ابتداء ومنهم من يفعله اقتداء ومنهم من يتركه استحسانا ﴾ اى مستحسنا لفعله ﴿ ومنهم من يتركه حرمانا ﴾ اى مستقبحا لفعل الخير كأنه حرام عنده ﴿ فمن فعله ابتداء فهو كريم ومن فعله اقتداء فهو حكيم ومن تركه استحسانا فهو ردئ ومن تركه حرمانا فهو شقى * ثم لما يفعله من الزيادة حالتان . احدهما ان يكون مقتصدا فيها وقادرا على الدوام عليها ﴾ اى على تلك الزيادة ﴿ فهى افضل الحالتين واعلى المنزلتين ﴾ اى اعلاها منهما كما فى يوسف احسن اخوته ﴿ عليها انقرض اخيار السلف وتبعهم فيها فضلاء الخلف وقد روت عائشة رضى الله عنها ان النبى صلى الله عليه وسلم قال ايها الناس اكلفوا

(من الاعمال)

من الاعمال ماتطيقون ﴾ اى قدر طاقتكم اوالذى تطيقونه اى ابلغوا بالعمل غايته التى تطيقونها مع الدوام من غير عجز في المستقبل ورواية البخارى عنها انها قالت سئل النبى صلى الله عليه وسلم اى الاعمال احب الى الله تعالى قال ادومها وان قل وقال اكلفوا الحديث ﴿ فان الله لايمل من الثواب حتى تملوا من العمل ﴾ وقوله من الثواب ومن العمل مدرج فى الحديث وتفسير قال البيضاوى الملال فتور يعرض للانسان من كثرة مزاولة شئ فيورث الكلال فى الفعل والاعراض فالملال وامثاله انما تصدق فى حق من يعتريه التغير والانكسار واذا اسند الى من تنزه عن ذلك اول بماهو غايته ومنتهاه والمعنى والله اعلم اعملوا حسب وسعكم وطاقتكم فان الله تعالى لايعرض عنكم اعراض الملول ولا ينقص ثواب اعمالكم مابقى لكم نشاط فاذا فترتم فاقعدوا فانكم اذا مللتم من العبادة واتيتم بها على كلال وفتور كانت معاملة الله معكم حينئذ معاملة الملول . وقال التور بشتى اسناد الملال الى الله على طريقة الازدواج والمشاكلة والعرب تذكر احدى اللفظتين موافقة للاخرى وان خالفتها معنى قال الله تعالى وجزاء سيئة سيئة مثلها ﴿ وخير الاعمال ماديم عليه ﴾ اذ لاريب ان المديم على العمل ملازم للخدمة فيكثر تردداه الى باب الطاعة فى كل وقت فيجازى بالبر لكثرة تردداه وليس هو كمن لازم الخدمة مثلا ثم انقطع وايضا فان العامل اذا ترك العمل صار كالمعرض بعد الوصل فيتعرض للذم والجفاء ﴿ والعرب تقول القصد والدوام ﴾ منصوبان على الاغراء اى الزمهما ﴿ وانت السابق الجواد ﴾ نوع من الفرس يسابق بها ﴿ ولان ﴾ معطوف على يفهم من فحوى الكلام من كثرة الثواب والخير والسبق ﴿ من كان صحيح الرغبة فى ثواب الله تعالى لم يكن له مسرة الا فى طاعته . وقال عبدالله بن المبارك قلت لراهب متى عيدكم فقال كل يوم لا اعصى الله فيه فهو يوم عيد انظر الى هذا القول منه وان لم يكن من مقاصد الطاعة مابلغه فى حب الطاعة و ﴾ ما ﴿ احثه على بذل الاستطاعة ﴾ عليها لان بغض العصيان يستلزم حب الطاعة ﴿ وخرج بعض الزهاد فى يوم عيد فى هيئة رثة فقيل لم تخرج فى مثل هذا اليوم فى مثل هذه الهيئة والناس متزينون فقال ماتزين لله تعالى بمثل طاعته ﴾ كما قال الله عزوجل ولباس التقوى ذلك خير ولبعضهم * قالوا غدا العيد ماذا انت لابسه . فقلت خلعة ساق حبه جرعا * فقر وصبرهما ثوباى تحتهما . قلب يرى الفه الاعياد والجمعا * احرى الملابس ان تلقى الحبيب به . يوم التزاور فى الثوب الذى خلعا * الدهر لى مأتم ان غبت يا املى . والعيد ماكنت لى مرأى ومستمعا ﴿ والحالة الثانية ان يستكثر منها استكثار من لا ينهض بدوامها ولايقدر على اتصالها ﴾ روى البخارى عن عبدالله بن عمرو قال) عبدالله (بلغ النبى صلى الله عليه وسلم انى اسرد الصوم) بضم الراء اى اصوم متتابعا ولاافطر (واصلى الليل) كله (فقال يا عبدالله الم اخبر) بالبناء للمفعول (انك تصوم النهار وتقوم الليل فقلت بلى يارسول الله قال فلا تفعل صم وافطر وقم ونم فان لجسدك عليك حقا وان لعينك عليك حقا وان لزوجك عليك حقا وان لزورك عليك حقا) اى لزائرك (وان بحسبك ان تصوم كل شهر ثلاثة ايام فان لك بكل حسنة عشر امثالها فان ذلك صيام الدهر كله) قال عبدالله (فشددت على قلت يارسول الله انى اجد قوة قال فصم صيام نبى الله داود عليه السلام ولاتزد عليه قلت وما صيام نبى الله داود عليه السلام قال نصف الدهر) وهو ان

يفطر يوما ويصوم يوما (وكان عبدالله يقول بعد ما كبر) بكسر الباء اى وعجز عن المحافظة على ما التزمه ووظفه على نفسه وشق عليه (ياليتنى قبلت رخصة النبى صلى الله عليه وسلم) واخذت بالاخف انتهى ولذا قال المصنف ﴿ فهذا ﴾ المستكثر ﴿ ربما كان بالمقصر اشبه لان الاستكثار من الزيادة اما ان يمنع من اداء اللازم فلا يكون الا تقصيرا لانه تطوع بزيادة احدثت نقصا وبنفل منع فرضا ﴾ ذكر الغزالى فى الاحياء غرور ارباب العبادة والعمل فقال ومنهم فرقة حرصت على النوافل ولم يعظم اعتيادها بالفرائض ترى احدهم يفرح بصلاة الضحى والليل وامثال هذه النوافل ولا يجد للفريضة لذة ولا يشتد حرصه على المبادرة بها فى اول الوقت. وترك الترتيب بين الخيرات من جملة الشرور بل قد يتعين على الانسان فرضان احدهما يفوت والآخر لا يفوت او فضلان احدهما يضيق وقته والآخر يتسع وقته فان لم يحفظ الترتيب كان مغرورا كمن لا يفى ماله بنفقة الوالدين فربما يحج وكذا وفاؤه بميعاده مع تفويت الجمعة ﴿ واما ان يعجز عن استدامة الزيادة ويمنع من ملازمة الاستكثار من غير اخلال بلازم ولا تقصير فى فرض فهى اذن قصيرة المدى قليلة اللبث ﴾ لان غاية الاسراع الكلال ﴿ والقليل العمل فى طويل الزمان افضل عند الله عز وجل من كثير العمل فى قصير الزمان لان المستكثر من العمل فى الزمان القصير قد يعمل زمانا ويترك زمانا فربما صار فى زمان تركه لاهيا او ساهيا ﴾ مشتغلا بما لا يعنيه ﴿ والمقل فى الزمان الطويل مستيقظ الافكار مستديم التذكار ﴾ عاكف بباب الرضا ومواظب للخدمة وقد سبق ان العامل اذا ترك العمل صار كالمعرض بعد الوصل فيتعرض للذم والجفاء ﴿ وقد روى ابو صالح ﴾ ذكو ان السمان الزيات المدنى كان يجلب السمن والزيت الى الكوفة مولى جويرية بنت الاحمس سمع جمعا من الصحابة وخلقا من التابعين وعنه جمع من التابعين واتفقوا على توثيقه مات بالمدينة سنة احدى ومأة ﴿ عن ابى هريرة رضى الله عنه عن النبى صلى الله عليه وسلم انه قال ان للاسلام شرة ﴾ بكسر الشين وتشديد الراء اى حرصا على الشئ ونشاطا ورغبة فى الخير او الشر ﴿ وللشرة فترة ﴾ اى وهنا وسكونا وضعفا ويروى لكل شئ شرة ولكل شرة فترة ﴿ فمن سدد وقارب ﴾ اى جعل عمله متوسطا وتجنب طرفى افراط الشرة وتفريط الفترة ﴿ فارجوه ﴾ اى ارجو الفلاح منه فانه يمكنه الدوام على الوسط واحب الاعمال الى الله ادو مها وان قل ﴿ ومن اشير اليه بالاصابع ﴾ اى اجتهد وبالغ فى العمل ليصير مشهورا بالعبادة والزهد وصار مشهورا ومشارا اليه بالبنان ﴿ فلا تعدوه ﴾ اى لا تعتدوا به ولا تحسبوه من الصالحين لكونه مرائيا ﴿ فجعل ﴾ النبى صلى الله عليه وسلم ﴿ للاسلام شرة وهى ﴾ لغة ﴿ الايغال فى الاكثار ﴾ يقال اوغل فى البلاد اذا ذهب وبالغ وابعد وكذا اوغل فى العلم وفى العمل ﴿ وجعل للشرة فترة وهى الاهمال بعد الاستكثار فلم يخل بما اثبت ﴾ النبى صلى الله عليه وسلم ﴿ من ان تكون هذه الزيادة تقصيرا او اخلالا ﴾ لانها اما ان تفضى الى الفتور او الى الرياء ﴿ ولا خير فى واحد منهما ﴾ واعلم جعل الله العلم حا كالك ﴿ فيما عملت بعلمك ﴾ وعليك ﴾ فيما امرت ولم تأتمر ﴿ والحق قائدالك ﴾ اليه ﴿ و ﴾ قائدا له ﴿ اليك ان الدنيا اذا وصلت فتبعات ﴾ التبعة مابقى فى الذمة واجبا اداؤه كالمظلمة والمطلوب من الغبن الفاحش والمستعار ﴿ موبقة ﴾ اى مهلكة لانها عدوة لله وعدوة لاولياء الله وعدوة لاعداء الله اما عداوتها لله فانها قطعت الطريق على عباد الله واما عداوتها لاولياء الله

فانها تزينت لهم بزينتها وعمتهم بزهرتها ونضارتها حتى تجرعوا مرارة الصبر فى مقاطعتها واما عداوتها لاعداء الله فانها استدرجهم بمكرها وكيدها فاقتنصهم بشبكتها حتى وثقوا بها وعولوا عليها فخذلتهم احوج ماكانوا اليها فاجتنوا منها حسرة تنقطع دونها الاكباد ثم حرمتهم السعادة ابد الآباد فهم على فراقها يتحسرون ومن مكايدها يستغيثون ولايغاثون بل يقال لهم اخسئوا فيها ولاتكلمون اولئك الذين اشتروا الحياة الدنيا بالآخرة فلايخفف عنهم العذاب ولاهم ينصرون كما فى الاحياء ﴿ واذا فارقت ففجعات محرقة ﴾ الفجعة ان يوجع الانسان بشئ يكرم عليه فيعدمه ﴿ وليس لوصلها دوام ولامن فراقها بد ﴾ اسم لاالمفصول بينهما فهو مرفوع على الابتداء قال الشاعر * ومن يحمدالدنيا لعيش يسره فسوف لعمرى عن قريب يلومها * اذا ادبرت كانت على المرء حسرة . وان اقبلت كانت كثيرا همومها ﴿ فرض ﴾ امر من راض المهر يروضه رياضة اذا ذلله ﴿ نفسك ﴾ ففيه تشبيه النفس بالمهر الذى لم يركب ولم يذل باللجام ﴿ على قطيعتها لتسلم من تبعاتها وعلى فراقها لتأمن فجعاتها ﴾ وفى المثل الشاة المذبوحة لايولمها السلخ ﴿ فقد قيل المرمقترض ﴾ فى كل نفس ﴿ من عمره المنقرض ﴾ و الاقتراض يفنى رأس المال ﴿ مع ان العمر وان طال قصير ﴾ لانقسامه بالحوائج ﴿ والفراغ وان تم ﴾ وكمل ﴿ يسير ﴾ من الزمان ﴿ وانشدت لعلى بن محمد ﴾ بن العباس ابى حيان التوحيدى المعتزلى من الجاحظية وهو شيخ الصوفية وفيلا سوف الادباء واديب الفلاسفة وامام البلغاء من الطويل ﴿ اذا كملت للمرء ستون حجة ﴾ سنة ﴿ فلم يحظ ﴾ يقال ماله حظوة عنده اى مكانة اورزق ونصيب ﴿ من ستين الابسدسها ﴾ وهو عشرة سنين يعنى لم يرزق ولم ينتفع الابعشرة منها ﴿ الم تران النصف بالليل حاصل ﴾ اى حصل ومضى به وهو ثلاثون سنة ﴿ وتذهب اوقات المقيل بخمسها ﴾ وهواثنى عشر سنة والمقيل النوم فى نصف النهار والمراد به ايام الصباوة بعلاقة المجاورة والباء للتعدية ﴿ فتأخذ اوقات الهموم بحصة ﴾ عظيمة ﴿ و ﴾ تأخذ ﴿ اوقات اوجاع ﴾ بحصة ايضا ﴿ تميت بمسها ﴾ اى بمس تلك الاوجاع وهى مرض الموت واراد بتينك الحصتين ثمان سنين فصار خمسون سنة ﴿ فحاصل مايبقى لهسدس عمره . اذا صدقته ﴾ اى ذلك الحاصل ﴿ النفس عن علم حدسها ﴾ فمن عاش ستين سنة لم يعش الاعشرة سنين وعندعلى بن ابى طالب رضى الله عنه من عاش ستين سنة كأن لم يعش ابدا وعند ابى موسى كوش من عاش خمسين سنة لم يعش شيئا وعليه فضل سنتين قال على رضى الله عنه * اذا عاش الفتى ستين عاما . فنصف العمر تمحقه الليالى * ونصف النصف يذهب ليس يدرى . لغفلته يمينا عن شمال * وثلث النصف آمال وحرص . وشغل بالمكاسب والعيال * وباقى العمر اسقام وشيب . وهم بارتحال وانتقال فحب المرء طول العمر جهل . وقسمته على هذا المثال * وقال الجاحظ كان عندنا قاص يقال له ابوموسى كوش فاخذ يوما فى ذكر قصر ايام الدنيا وطول ايام الآخرة وتصغير شان الدنيا وتعظيم شان الآخرة فقال هذا الذى عاش خمسين سنة لم يعش شيئا وعليه فضل سنتين قالوا وكيف ذلك قال خمسا وعشرين سنة ليل هو فيها لايعقل قليلا ولاكثيرا وخمس سنين قائلة وعشرين سنة اما ان يكون صبيا واما ان معه سكر الشباب فهو لايعقل ولابد من

صبحة بالغداة ونعسة بين المغرب والعشاء وكالغشي الذي يصيب الانسان مرارا وغير ذلك من الآفات فاذا حصلنا ذلك فقد صح ان الذي عاش خمسين سنة لم يعش شيئا وعليه فضل سنتين ﴿ ورياضة نفسك لذلك ﴾ الفراق والقطعية ﴿ تترتب على احوال ثلاث وكل حالة منها تتشعب ﴾ بثلاث خلال ﴿وهي لتسهيل مايليها سبب ﴾ يوصلن الى الرياضة كدرجات المعارج ﴿ فالحالة الاولى ان تصرف حب الدنيا عن قلبك فانها ﴾ رأس كل خطيئة وضرة للآخرة ﴿ تلهيك عن ﴾ عمل ﴿ آخرتك ولاتجعل ﴾ جميع ﴿ سعيك لها فتمنعك حظك منها ﴾ وزاد آخرتك ﴿ وتوق الركون ﴾ والميل ﴿ اليها ولا تكن آمنا لها فقد روى ﴾ على ماروى ابو نعيم عن ابن مسعود ﴿ عن النبي صلى الله عليه وسلم انه قال من اشرب قلبه حب الدنيا وركن اليها ﴾ تفسير للاشراب ومدرج ﴿ التاط منها بشغل ﴾ اى التزقه بنفسه واستوجبه ﴿ لايفرغ عناه ﴾ اى لاينتهي مشقته ﴿ وامل لايبلغ منتهاه وحرص لايدرك مداه ﴾ اى غايته . فالدنيا طالبه ومطلوبه فمن طلب الدنيا طلبته الآخرة حتى يأتيه الموت فيأخذ بعنقه ومن طلب الآخرة طلبته الدنيا حتى يستوفى منها رزقه كما في الجامع الكبير وفيه تشبيه حب الدنيا بالخمر واشرب تخييل والتاط ترشيح لان اكل سكران التياطا بقيئه ونحوه ﴿ وقال عيسى بن مريم على نبينا وعليه السلام الدنيا لابليس مزرعة واهلها له حراث ﴾ جمع حارث وهم الفلاحون ﴿ وقال على بن ابى طالب رضي الله عنه مثل الدنيا مثل الحية لين مسها قاتل سمها فاعرض عما اعجبك منها لقلة مايصحبك منها ﴾ لانها اما مأكول او ملبوس او مركوب ونحوها فامّا ان تفنى عما قليل او ينتقل الى غيرك وانت دفين ﴿ وضع عنك ﴾ اى الق ﴿ همومها لما ايقنت من فراقها وكن احذر ماتكون لها ﴾ من زهرتها ﴿ وآنس ماتكون بها ﴾ من وجوه البر لانها مزرعة الآخرة ﴿ فان صاحبها كلما اطمأن عنها الى سرور اشخصه عنها مكروه ﴾ اى ازعجه واهربه ﴿ وان سكن منها الى ايناس ﴾ يؤنس به ﴿ ازاله عنها ايحاش ﴾ اى مايوحشه وينفره وتنكير سرور وايناس للتقليل اومع التحقير وتنوين مكروه وايحاش للتكثير او مع التعظيم ﴿ وقال بعض البلغاء الدنيا لاتصفو لشارب ﴾ اذهي دار الاذى والقذى ﴿ ولاتبقى لصاحب ولاتخلو من فتنة ولا تخلى من محنة فاعرض عنها قبل ان تعرض عنك واستبدل بها قبل ان تستبدل بك ﴾ على عادتها المألوفة ﴿ فان نعمها تتنقل واحوالها تتبدل ولذاتها تفنى وتبعاتها تبقى ﴾ اى يبقى مايتبع تلك اللذة المحرمة من الاثم ﴿ وقال بعض الحكماء انظر الى الدنيا نظر الزاهد المفارق لها ﴾ اى ابصرها بعينه قال بعضهم اليك عنى يادنيا حبلك على غارب والله لوكنت شخصا مرئيا وقالبا حسيا لاقمت عليك حدود الله فى عباد غررتهم بالامانى وانم القيتهم فى المهاوى وقال آخر * دنيا تخادع عنى كأنى لست اعرف حالها * مدت الى يمينها. فقطعتها وشمالها * منع الاله حرامها . وانا اجتنبت حلالها * ورأيتها محتاجة. فوهبت جملتها لها ﴿ ولا تتأملها تأمل العاشق الوامق بها ﴾ اى المحب المفرط فقوله المفارق والوامق صفة مؤكدة وذلك لان النسوة المتأملات جمال يوسف عليه السلام قطعن ايديهن من غير شعور منهن لابالقطع ولابالمه فمن تأمل الدنيا تأملهن فقد قطع حلقومه وعمره بلاشعور ﴿وقال بعض الشعراء ﴾ من الطويل ﴿ الا انما الدنيا كاحلام نائم ﴾ جمع حلم

بالضم وهو الرؤيا ﴿ وما خير عيش لايكون بدائم ﴾ يعنى لاخير فى عيش لادوام له ﴿ تأمل اذا مانلت بالامس لذة . فافنيتها هل انت الا كحالم * فكم غافل عنه ﴾ اى عن كونه كحالم ﴿ وليس بغافل . وكم نائم عنه وليس بنائم ﴾ فى الاساس نمت عنى اى غفلت عنى وعن الاهتمام بى يعنى ليست الدنيا بمكان غفلة ونوم بل لابد من التيقظ والاهتمام ﴿ وروى عن النبى صلى الله عليه وسلم انه قال من هوان الدنيا على الله ﴾ اى حقارتها عنده ﴿ الا يعصى ﴾ مركبة من ان الناصبة ولا ﴿ الا فيها ﴾ اى لاجلها ﴿ ولاينال ماعنده ﴾ من الاجر والثواب ﴿ الا بتركها وروى سفيان ﴾ بن عبدالله ﴿ ان الخضر قال لموسى عليهما السلام يا موسى اعرض عن الدنيا وانبذها وراءك ﴾ اى القها خلفك لئلا يقع نظرك عليها ثانيا ﴿ فانها ليست لك بدار ولا فيها محل قرار وانما جعلت الدنيا للعباد ليتزودوا منها للمعاد ﴾ قال على القارى فى زهد النبى صلى الله عليه وسلم روى ابن ابى حاتم عن عائشة رضى الله عنها قالت ظل رسول الله صلى الله عليه وسلم صائما ثم طواه ثم ظل صائما ثم طواه ثم ظل صائما قال ياعائشة ان الدنيا لاتنبغى لمحمد ولا لآل محمد ياعائشة ان الله تعالى لم يرض من اولى العزم من الرسل الا بالصبر على مكروهها والصبر عن محبوبها ولم يرض منى الا ان يكلفنى ما كلفهم فقال اصبر كما صبر اولوا العزم من الرسل وانى والله لاصبرن كما صبروا جهدى ولا قوة الا بالله ﴿ وقال عيسى بن مريم عليه السلام الدنيا قنطرة ﴾ اى جسر او كبيره ﴿ فاعبروها ولا تعمروها وقال على كرم الله وجهه يصف الدنيا اولها عناء وآخرها فناء حلالها حساب وحرامها عقاب من صح فيها ﴾ اى من صح قلبه وسائر جوارحه من الآفات ﴿ امن ﴾ من العقاب بمقتضى وعدالله ﴿ ومن مرض فيها ﴾ اى نافق او فسق فيها قال الله تعالى فى قلوبهم مرض اى نفاق ﴿ ندم ﴾ حين لاينفعه الندامة ﴿ ومن استغنى فيها فتن ﴾ صار مفتونا ﴿ ومن افتقر فيها حزن ومن ساعاها فاتته ومن قعد عنها اتته ﴾ وقد اوحى الله الى الدنيا من خدمنى فاخدميه ومن خدمك فاستخدميه ﴿ ومن نظر اليها اعمته ﴾ اى اعمت بصيرته او اعمته فى الحشر قال الله تعالى ونحشره يوم القيامة اعمى ﴿ ومن نظر بها ﴾ اى اعتبر بها ﴿ بصرته ﴾ صيرته بصيرا فعرف حقيقتها يقال نظره من الباب الاول والرابع اذا تأمله بعينه ونظر فيه فكر فيه ونظر اليه اذا رأى ونظر له رحمه ونظر بينهم اذا حكم ﴿ وقال بعض البلغاء ان الدنيا تقبل اقبال الطالب وتدبر ادبار الهارب وتصل وصال الملول وتفارق فراق العجول فخيرها يسير وعيشها قصير ﴾ تفارق سريعة ﴿ واقبالها خديعة ﴾ ومكر كما قال الحافظ * برو ازخانهٔ كردون بدرنان مطلب . كين سيه كاسه در آخر بكشد مهمانرا ﴿ وادبارها فجيعة ولذاتها فانية وتبعاتها باقية ﴾ قال ابن الوردى * ان احلى عيشة فضيتها . ذهبت لذاتها والاثم حل ﴿ فاغتنم غفوة الزمان ﴾ اى غفلته عن الاشتغال بك يقال غفا الرجل اذا نام ونعس ﴿ وانتهز فرصة الامكان ﴾ اى اغتنمها ﴿ وخذ من ﴾ اوقات نشاط ﴿ نفسك لنفسك ﴾ اى لنفعها ﴿ وتزود من يومك لغدك ﴾ قال الله تعالى وتزودوا فان خير الزاد التقوى ﴿ وقال وهب بن منبه ﴾ بن كامل بن سيح او بالمد ابن ذى كنار سمع اخاه هام بن منبه وجابرا وعبدالله بن عباس وعبد الله بن عمرو وابا هريرة وغيرهم وهو مشهور بمعرفة الكتب الماضية قال قرأت من كتب الله تعالى اثنين

وتسعين كتابا ﴿ مثل الدنيا والآخرة ﴾ اى نظيرها ﴿ مثل ضرتين ان ارضيت احداها اسخطت الاخرى ﴾ فهما كـكـفتى ميزان فاذا رجحت احدى الكفتين خفت الاخرى فآثروا مايبقى على مايفنى ﴿ وقال عبد الحميد ﴾ بن يحيى بن سعيد كاتب مروان آخرملوك بنى امية وكتب ايضا للمنصور وكان رأسا فى الكتابة ومقدما فى الفصاحة والخطابة بليغا مرسلا وقال فيه ابن عبد ربه عبدالحميد اول من فتق اكمام البلاغة وسهل طرقها وفك رقاب الشعر وهو صاحب الرسائل والبلاغات وهو اول من اطال الرسائل واستعمل التحميدات فى الكتب وهوالقائل البلاغة تقرير المعنى فى الافهام من اقرب وجوه الكلام تضرب ببلاغته الامثال كفضل الصاحب وقرنائه مع طبع سمح ولفظ عذب وصلة نثر بنظم وقيل بدئت الكتابة بعبدالحميد وختمت بابن العميد ﴿ الدنيا منازل ﴾ والمنزل المكان الذى اعد لابناء السبيل من خان اوماء او بئر ﴿ فراحل ونازل ﴾ اى فبعض اهلها راحل عنها الى الآخرة وبعضها نازل اليها من ارحام الامهات ﴿ وقال بعض الحكماء الدنيا اما نقمة نازلة واما نعمة زائلة ﴾ ولا خير فيهما فلا خير فيها ﴿ وقيل فى منثور الحكم من ﴾ لفظ ﴿ الدنيا ﴾ ومادتها ﴿ على ﴾ حقيقة ﴿ الدنيا ﴾ وما هيتها ﴿ دليل ﴾ وهو انها مؤنث ادنى واطلاقها على هذا العالم لانها قريب من الآخرة او من تأنيثها على مكرها دليل قال الله تعالى ان كيدكن عظيم ﴿ وقال الشاعر ﴾ من الطويل ﴿ تمتع من الايام ﴾ وكن منها على حذر ﴿ ان كنت حازما ﴾ عاقلا متبصرا ﴿ فانك منها بين ناه وآمر ﴾ ولم تك سدى ومهملا لاتؤمر ولا تنهى ولا تكلف فى الدنيا ولاتحاسب بعملك فى الآخرة ﴿ اذا ابقت الدنيا على المرء دينه . فما فاته منها فليس بضائر ﴾ حكى ان الاصمعى قد رؤى راكبا حمارا فقيل له ابعد براذين الخلفاء تركب هذا فقال متمثلا * ولما ابت الا اطرافا بودها . وتكديرها الشرب الذى كان صافيا * شربنا بريق من هواها مكدر . وليس يعاف الريق من كان صاديا * يقول هذ اواملك دينى ونفسى احب الى من ذلك مع ذهابهما ﴿ فلن تعدل الدنيا جناح بعوضة . ولا وزن ذر ﴾ جمع ذرة كتمر وتمرة وهى صغار النمل تعدل مأة منها شعيرة ولذا تعد الذرة من الاوزان ﴿ من جناح لطائر ﴾ وفى حديث لو كانت الدنيا تعدل عندالله جناح بعوضة ماسقى كافرا منها شربة ماء . اى فلم تعدل فسقاه وهو قياس من الشرطية ومثل لغاية حقارتها ﴿ فارضى الدنيا ﴾ اى سعتها وسرورها ﴿ ثوابا لمؤمن . ولا رضى الدنيا ﴾ اى ضيقها وغمها ﴿ جزاء لكافر ﴾ حيث لم يفرقا فى حظها كما قال السعدى * اديم زمين سفرهٔ عام اوست . برين خوان يغما كه دشمن كه دوست ﴿ وروى عن النبى صلى الله عليه وسلم انه قال الدنيا يومان يوم فرح ويوم هم وكلاهما زائل عنك فدعوا ﴾ اى اتركوا ﴿ مايزول والعبوا انفسكم لما لايزول وقال عيسى بن مريم عليه السلام لاتنازعوا اهل الدنيا فى دنياهم فينازعوكم فى دينكم فلا دنياهم اصبتم ولا دينكم ابقيتم ﴾ فاخذه ابراهيم بن ادهم وقال * نرقع دنيانا بتمزيق ديننا فلا ديننا يبقى ولاما نرقع * فطوبى لعبد آثرالله ربه . وجاد بدنياه لما يتوقع * وقيل لاعرابى كيف انت فى دينك فقال اخرقه بالمعاصى ولا ارقعه بالاستغفار ﴿ وقال على بن ابى طالب

لاتكن ممن يقول فى ﴾ حق ﴿ الدنيا بقول الزاهدين ويعمل فيها عمل الراغبين فان اعطى منها لم يشبع وان منع منها لم يقنع يعجز عن شكر مااوتى ويبتغى الزيادة فيما بقى وينهى الناس ولاينتهى ويأمر بما لاياتى يحب الصالحين ولايعمل بعملهم ويبغض الطالحين وهو منهم ﴾ وقال سفيان بن عيينة ويلكم ياعلماء السوء لاتكونوا كالمنخل يخرج الدقيق الطيب ويمر ويمسك النخالة فكذلك انتم تخرجون الحكمة من افواهكم ويبقى الغل فى صدوركم ويحكم ان الذى يخوض النهر لابدان يصيب ثوبه الماء وان جهدان لايصيبه كذلك من يحب الدنيا لاينجو من الخطايا وقال ابو العتاهيه * اصبحت الدنيا لنا فتنة . والحمد لله على ذلكا * قد اجمع الناس على ذمه . ومااری منهم لها تاركا ﴿ وقال الحسن البصرى الدنيا كلها غم فما كان منها من سرور فهو ربح ﴾ فاخذه الشافعى رحمه الله وقال * محن الزمان كثيرة لاتنقضى . وسروره يأتيك كالاعياد ﴿ وقال بعض العلماء ان الدنيا كثيرة التغيير ﴾ فلا تدوم على حال تكون بها . كما تلون فى اثوابها الغول ﴿ سريعة التنكير ﴾ من جفائها وعدم وفائها ﴿ شديدة المكر دائمة الغدر ﴾ قال هرون الرشيد لوقيل للدنيا صفى نفسك ماوصفت نفسها باكثر من قول ابى نواس * اذا امتحن الدنيا لبيب تكشفت . له عن عدو فى ثياب صديق ﴿ فاقطع اسباب الهوى عن قلبك واجعل ابعد املك بقية يومك وكن كأنك ترى ثواب عملك ﴾ لتكمل مانقص عنه ومااحسن ماقيل * ان لله عباد افطنا طلقوا الدنيا وخافوا الفتنا * نظروا فيها فلما علموا . انها ليست لحى وطنا * جعلوها لجة واتخذوا . صالح الاعمال فيها سفنا ﴿ وقال بعض الحكماء الدنيا اما مصيبة موجعة واما منية مفجعة ﴾ اى لاتخلو منهما فسرورها مع الحزن توأم ومنحها مع المحن محرم ﴿ وقال الشاعر خلّ دنياك انها ﴾ اى اتركها لانها ﴿ يعقب الخير شرها ﴾ اى يقوم مقام خيرها ويخلفه من اعقبه اذا خلفه ﴿ هى ام تعق من . نسلها من يبرها ﴾ اى تهلك من يحبها يقال عقه اذا شقه وبره اذا اكرمه وبابهما مد وفى المثل اعق من الهرة لانها تأكل اولادها كالضبة قال الشاعر * اما ترى الدهر وهذا الورى . كهرة تأكل اولادها ﴿ كل نفس فانها . تبتغى ما يسرها ﴾ قوله فانها حشو غير مفسد ﴿ والمنايا تسوقها ﴾ الى الآخرة ﴿ والامانى تغرها ﴾ أخذه من قوله تعالى وغرتكم الامانى حتى جاء امر الله ﴿ فاذا استحلت الجنى ﴾ يعنى اذا ذاق حلاوة ماجناه من شجره واكتسبه من مكسبه ﴿ اعقب الحلو مرها ﴾ بانقطاع ذلك الجنى اما بمصيبة او بمنية ﴿ يستوى فى ضريحه ﴾ اى قبره ﴿ عبد ارض وحرها ﴾ وقال الحريرى * لافرق ان يحله . داهيةٌ او ابله . او معسر او من له . ملك كملك تبع ﴿ فاذا رضت نفسك من هذه الحالة ﴾ الاولى وصرفت حب الدنيا عن قلبك ﴿ بما وصفت ﴾ اى بتدبر ماذكرناه والتطبع به ﴿ اعتضت منها بثلاث خلال ﴾ جمع خلة وهى الخصلة ﴿ احداهن ان تكفى اشفاق المحب وحذر الوامق ﴾ اى تستغنى وتستخلص عن الحنو الى الدنيا مثل اشفاق المحب وحذر الوامق لشئ يعنى فلا تبالى بكثرة متاعها وقلتها بل بوجودها وعدمها يقال كفاه مؤنته اذا حصل به الاستغناء عن غيره واشفق على الصبى اذا حنى وعطف عليه والاسم منه الشفقة ﴿ فليس لمشفق ثقة ﴾ وطمانية بل كما صوره بعض الشعراء بقوله * وما فى الخلق اشقى من محب . وان وجد الهوى حلو المذاق * فيبكى

(الداهية) البليغ فى الدهاء المجرب للامور الحاذق بها (تبع) هو ممن ملك جميع الدنيا منه

ان نأوا شوقا اليهم . ويبكي ان دنوا خوف الفراق * ولذا قال ﴿ ولا لحاذر راحة . والثانية ان تأمن الاغترار بملاهيها ﴾ وملاعبها ﴿ فتسلم من عادية دواهيها ﴾ اى هجوم بلاياها ﴿ فان اللاهى بها مغرور والمغرور فيها مدحور ﴾ اى مطرود عن رحمة الله كما قال الله تعالى من كان يريد العاجلة عجلنا له فيها مانشاء لمن نريد ثم جعلنا له جهنم يصلاها مذموما مدحورا ﴿ والثالثة ان تستريح من تعب السعى لها ووصب الكد فيها ﴾ اى مرضه وآفته ﴿ فان من احب شيئا طلبه ومن طلب شيئا كد له ﴾ الكد الشدة فى العمل والطلب وبابه رد ﴿ والمكدود فيها ﴾ اى المتعوب لادراكها ﴿ شقى ان ظفر ومحروم ان خاب وروى عن النبى صلى الله عليه وسلم ﴾ على ماروى النسائى والترمذى عن جابر ﴿ انه قال لكعب ﴾ بن عجرة اعاذك الله من امارة السفهاء قال وما امارة السفهاء قال امراء يكونون بعدى لايهتدون بهديى ولايستنون بسنتى فمن صدقهم بكذبهم واعانهم على ظلمهم فأولئك ليسوا منى ولست منهم ولا يردون على حوضى ومن لم يصدقهم ولم يعنهم على ظلمهم فأولئك منى وانا منهم وسيردون على حوضى ﴿ يا كعب الناس غاديان ﴾ الغادى هو الخارج وقت الغداة للسفر اى ضيفان مسافران فى طريق الآخرة ﴿ فمبتاع نفسه ﴾ اى فغاد مشتر نفسه بالاعمال الصالحة ﴿ فمعتقها ﴾ من عذاب الله (٢) ﴿ وبائع نفسه فموبقها ﴾ اى مهلكها كما فى الطريقة للبركوى ورواية مسلم عن ابى مالك الاشعرى كل الناس يغدو فبائع نفسه فمعتقها اوموبقها قال النووى معناه كل انسان يسعى بنفسه فمنهم من يبيعها لله بطاعته فيعتقها ومنهم من يبيعها للشيطان والهوى باتباعهما فيوبقها انتهى ففى نسخ المتون تشويش وقال العلامة فى شرح الاربعين للنووى قال سهل للنفس سر وماظهر ذلك السر الالفرعون ولها اربع حجب سماوية وسبع حجب ارضية فكلما يدفن العبد نفسه ارضا ارضا سما قلبه سماء سماء فاذا دفنت النفس تحت الثرى وصل القلب الى العرش وقال ابو يزيد من امات نفسه يلف فى كفن الرحمة ويدفن فى ارض الكرامة ومن امات قلبه يلف فى كفن اللعنة ويدفن فى ارض العقوبة والحرمان وقد انشد بعض اهل الاتقان * يامن يروم من الآله نجاته . ان النجاة انى فى مخالفة الهوى * حفظ الحواس من الذنوب فريضة . فدع الفضائل واشتغل بالانتهاء ﴿ وقال عيسى بن مريم عليه السلام تعملون للدنيا وانتم ترزقون فيها ﴾ احيانا ﴿ بغير عمل ﴾ بارث اوهدية ﴿ ولاتعملون للآخرة وانتم لاترزقون فيها ﴾ اصلا ﴿ الا بعمل ﴾ ولا ينا فى الشفاعة لان المظهرية لها اثر عمل ﴿ وقال بعض البلغاء من نكد الدنيا ﴾ اى شومها يقال رجل نكد اى شوم عسر لاخير فيه ﴿ ان لاتبقى على حالة ولاتخلو من استحالة ﴾ وتحول من حال الى حال ﴿ تصلح جانبا بافساد جانب وتسر صاحبا بمساءة صاحب ﴾ يقال ساءه سؤا ومساء اذا فعله مايكرهه قال الشاعر * ومن عادة الايام ان خطوبها . اذا سر منها جانب ساء جانب ﴿ فالركون اليها خطر والثقة بها غرر ﴾ اى تهلكة وخطر ﴿ وقال بعض الحكماء الدنيا مرتجعة الهبة ﴾ ترجع الى ماوهبته ﴿ والدهر حسود لايأتى على شئ الا غيره ﴾ من حسده واصابة عينه ﴿ ولمن عاش حاجة لاتنقضى ﴾ ماعاش وبقى ﴿ ولما بلغ مزدك ﴾ على وزن جعفر وجندب من الثنوية فى مذهب المانى ومؤسس الزندقة الاباحية وصادف خروجه الى زمن كسرى الذى اسمه قباذ بن

(٢) ومن القواعد الفقهية ومن ملك ذارحم محرم منه عتق عليه وولاؤه له منه

فيروز وكان له ميل عظيم الى الاباحة فصدق نبوته فدعا الناس الى الزندقة واباحة الحرم وان لا يمنع احد اخاه ما يريده فدعا قباذ المنذر الملقب بماء السماء ليدخل فى هذا المذهب فانف وابى المنذر هذا الفعل الخسيس فطرد قباذ من مملكته ونفاه عن الحيرة ودعا الحرث بن عمرو بن حجر آ كل المرار فاجابه وكان الحرث شديد الملك فشدد له ملكه وكانت ام انو شروان بين يدى قباذ يوما فدخل عليه مزدك فلما رآها قال لقباذ ادفعها الى لاقضى حاجتى منها قال له قباذ دونكها فوثب اليه انو شروان فلم يزل يسأله ان يهب له امه حتى قبل رجليه فتركها له فلما هلك قباذ وتولى انو شروان وجلس فى مجلسه اقبل المنذر اليه واذن للناس فدخل عليه مزدك ودخل عليه المنذر فقال انو شروان كنت اتمنى امنيتين ارجو ان يكون الله تعالى قد جمعهما لى فقال مزدك وماهما ايها الملك قال تمنيت ان املك فاستعمل هذا الرجل الشريف يعنى المنذر وان اقتل هؤلاء الزنادقة فقال له مزدك اوتستطيع ان تقتل الناس كلهم فقال انك لههنا يا ابن الزانية والله ماذهب نتن ريح جوربك من انفى مذ قبلت رجليك الى يومى هذا وامر به فقتل وصلب وقتل فى ضحوة واحدة من الزنادقة مأة الف وصلبهم وطلب الحرث فخرج هاربا بجميع مامعه واخذ المنذر فى طلبهم فاخذ من بنى آ كل المرار ثمانية واربعين رجلا فضرب رقابهم والح فى طلب امرئ القيس فلحق السموئل ﴿ من الدنيا افضل ماسمت اليه ﴾ اى مالت اليه ﴿ نفسه ﴾ وهو تصديق ما ادعاه من التنبى ورفعه اعلام الكفر والاباحة بحماية قباذ ﴿ نبذها ﴾ اى الدنيا والنبذ لازم كلامه والا فهو قتل كافرا مصرا عليه بل الدنيا سترته كستر الهرة خرءها ﴿ وقال هذا ﴾ الذى نعيش عليه ﴿ سرور لولا انه غرور ونعيم لولا انه عديم وملك لولا انه هلك ﴾ بضم فسكون الموت بالسوء ولقد انطق الله على لسانه الحق فافق بقتله ﴿ وغناء لولا انه فناء وجسيم لولا انه ذميم ﴾ اى مذموم ﴿ ومحمود لولا انه مفقود وغنى لولا انه منى وارتفاع لولا انه اتضاع وعلاء لولا انه بلاء وحسن لولا انه حزن وهو يوم ﴾ كامل ﴿ لو وثق له بغد وقال بعض الحكماء قد ملك الدنيا ﴾ اى جميعها او بعضها منها ﴿ غير واحد ﴾ اى كثير ﴿ من راغب ﴾ فيها ﴿ وزاهد ﴾ عنها ﴿ فلا الراغب فيها استبقت ولا الزاهد فيها كفت ﴾ يعنى ان كلا منهما ملكا اياها ثم فارقاها فلم تطلب الدنيا بقاء الراغب ولم تخلده فيها لمحبته اياها ولم تمنع الزاهد من تملكه لكراهته اياها قال ابن الكلبى لم يملك الارض كلها الا ثلاثة ابرار وهم سليمان عليه السلام وذو القرنين وتبع الاكبر وثلاثة كفار وهم النمرذ وبختنصر والضحاك ﴿ قال ابو العتاهية ﴾ من المتقارب ﴿ هى الدار دار الاذى والقذى ﴾ بدل من الدار الاول والاذى كناية عما يستقذر ويوذى من تقربه نفرة منه وكراهية له كما ورد فى المحيض قل هو اذى وهو ههنا اعم منه والقذى مايقع فى العين وفى الشراب من الوسخ ونحوه وايضا البياض الذى يلقيه الشاة من رحمها حين تريد الفحل يقال الذكر تمذى والانثى تقذى ﴿ ودار الفناء ودار العبر ﴾ جمع عبرة بالكسر اسم من الاعتبار او بالفتح وهو الدمع الذى لم يجر من العين بعد او الحزن الذى يكون بلا بكاء يعنى لا دار بقاء وسرور كما قيل * ولدتك امك يا ابن آدم باكيا والناس حولك يضحكون سرورا * فاجهد لنفسك ان تكون اذا بكوا في يوم موتك ضاحكا

مسرورا ﴿ فلو نلتها بحذا فيرها ﴾ جمع حذفور اوحذ فار يقال اخذ الشئ بحذا فيره اى باسره او بجوانبه ﴿ لمت ولم تقض فيهاالوطر ﴾ وهوالحاجة والغرض اوالمهم منها الذى ان ظفرت بها كنت قضيت الوطر ﴿ ايامن نؤمل طول الخلود ﴾ اى البقاء فيها ﴿ وطول الخلود عليه ضرر ﴾ لانه ﴿ اذا ما كبرت وبان الشباب ﴾ اى ظهر دواهيه ﴿ فلاخير فى العيش بعد الكبر ﴾ لمسارعة الضعف والعلل حينئذ يقال كبر الشئ من الباب الرابع اذا كثر سنه وكبر من الباب الخامس اذا عظم وقال العباس فى النبى عليه السلام انا اسن منه وهو اكبر منى وفى الزبور من بلغ السبعين اشتكى بغير علة وقال الشعبى الشيب علة لايعاد منها ومصيبة لايعزى عليها ولذا قال الجامى * درجوانى سعى كن كربى خلل خواهى عمل . ميوه بى نقصان بو دجون از درخت نوبرست * وقال العتبى * كبرت ودق لعظم منى وعقنى . بنى وزالت عن فراشى العقائد * واصبحت اعشى اخبط الارض بالعصا . يقود ونى بين البيوت الولائد * وقال ابن ابى معن * من عاش اخلقت الايام جدته . وخانه ثقتاه السمع والبصر * وقال آخر * سألتها قبلة يوما وقد نظرت. شيبى وقد كنت ذامال وذانعم * فاعرضت وتولت وهى قائلة . لاوالذى اوجد الاشياء من عدم * ماكان لى فى بياض الشيب من ارب . افى الحياة يكون القطن حشو فمى * وقال آخر * قالت ارى مسكة الشعر البهيم غدت. كافورة قد احالتها يد الزمن * فقلت طيب بطيب والتنقل فى . معادن الطيب امرغير ممتهن * قالت صدقت وما انكرت ذاك بذا . المسك للشم والكافور للكفن * آخر * قالت اراك خضبت الشيب قلت لها . سترته عنك ياسمعى ويا بصرى * فقهقهت ثم قالت من تعجبها . تكاثر الغش حتى سار فى الشعر ﴿ وروى عن النبى صلى الله عليه وسلم ﴾ على مارواه الترمذى عن ابن عمرو ﴿ انه قال اللهم انى اعوذبك من علم لاينفع ﴾ اى لايعمل به اوغير شرعى ﴿ ونفس لاتشبع ﴾ من جمع المال اومن كثرة الاكل الجالبة لكثرة الابخرة الموجبة لكثرة النوم المؤدية الى فقر الدنيا والآخرة ﴿ وقلب لايخشع ﴾ لذكرك ولا لسماع كلامك ﴿ وعين لاتدمع ﴾ رغبة اورهبة (ودعاء لايسمع) اى لايستجاب ولايعتدبه فكأنه غير مسموع وروى الترمذى ايضا عن ابى هريرة عن النبى صلى الله عليه وسلم انه قال بادروا بالاعمال سبعا) اى سابقوا واهتموا بالاعمال الصالحة قبل نزول الفتن السبع ﴿ هل يتوقع احدكم الا غنى مطغيا ﴾ اى موقعا فى الطغيان ﴿ او فقرا منسيا ﴾ من الافعال وهو الاوضح لان الفقر يشغل وينسى او اسم مفعول من النسيان كرمى اى فقرا نسيتموه ثم يأتيكم فجأة ﴿ اومرضا مفسدا ﴾ للمزاج مشغلا للحواس ﴿ اوهرما مفندا ﴾ اى موقعا فى الكلام المحرف عن سنن الصحة من الخرف والهذيان قال الملقمى الفند فى الاصل الكذب وافند تكلم بالفند ثم قالوا الشيخ اذا هرم قد افند لانه يتكلم بالمحرف من الكلام وافنده الكبر اذا اوقعه فى الفند ﴿ او موتا مجهزا ﴾ اى سريعا يعنى فجأة يقال اجهز على الجريح اذا اسرع قتله ﴿ اوالدجال ﴾ اى خروجه ﴿ فانه شر منتظر ﴾ بل هواعظم الشرور المنتظرة ﴿ اوالساعة والساعة ادهى ﴾ اى اشد داهية وهى امر فظيع لايهتدى لدائه ﴿ وامر ﴾ مذاقا من عذاب الدنيا والقصد الحث على البدار بالعمل الصالح قبل حلول

شئ من ذلك واخذ منه ندب تعجيل الحج ﴿ وحكى ان الله تعالى اوحى الى عيسى بن مريم عليه السلام ان ﴾ مفسرة للوحى لكونه فى معنى القول ﴿ هب لى من قلبك الخشوع ومن بدنك الخضوع ومن عينك الدموع فانى قريب ﴾ اجيب دعوتك ﴿ وقال عيسى بن مريم عليه السلام اوحى الله الى الدنيا من خدمنى فاخدميه ﴾ امر من خدمه اذا عمل له من الباب الاول والثانى ﴿ ومن خدمك فاستخدميه وقال بعض البلغاء زد من طول املك فى قصير عملك ﴾ اى زد شيئا منه فيه حتى يصير عملك طويلا ﴿ فان الدنيا ظل الغمام وحلم النيام ﴾ قيل ان اعرابيا نزل بقوم فقدموا اليه طعاما فأكل ثم قام الى ظل خيمة لهم فنام هناك فاقتلعوا الخيمة واصابته الشمس فقام وهو يقول * الا انما الدنيا كظل ثنية . ولابد يوما ان ظلك زائل ﴿ فمن عرفها ثم طلبها فقد اخطأ الطريق وحرم التوفيق ﴾ اى منع منه ﴿ وقال بعض الحكماء لا يؤمننك اقبال الدنيا عليك من ادبارها عنك ولا ﴾ يؤمننك ﴿ دولة لك ﴾ اى انقلابها الموافق لك ﴿ من ادالة منك ﴾ يقال ادال الشئ اذا جعله متداولا وتقول ادالنا الله من عدونا اى جعل الكرة لنا عليهم فغلبنا بالظفر واخذ الثار اى من انقلابها المخالف ﴿ وقال آخر مامضى من الدنيا كما لم يكن وما بقى منها كما قد مضى ﴾ لعدم الوثوق به ﴿ وقيل لزاهد قد خلعت الدنيا ﴾ اى طلقتها بعوض ﴿ فكيف سخت نفسك عنها ﴾ اى فرغت عنها سخية فمن متعلق بسخت بتضمين معنى الفراغ ﴿ فقال ايقنت انى اخرج ﴾ بالبناء للمفعول ﴿ منها كارها فرأيت ان اخرج منها طائعا وقيل لحرقة بنت النعمان ﴾ بن المنذر الملقب بماء السماء من امراء العرب ﴿ مالك تبكين ﴾ اى وانت بنت امير العرب ﴿ فقالت رأيت لاهلى غضارة ﴾ اى نعمة وسعة وخصبا ﴿ ولن تمتلئ دار ﴾ فى الدنيا ﴿ فرحا الا امتلأت ترحا ﴾ ضد الفرح وانشدت * بينا نسوس الناس والامر امرنا . اذا نحن فيهم سوقة نتنصف * فاف لدنيا لا يدوم نعيمها . تقلب تارات بنا وتصرف ﴿ وقال ابن السماك من جرعته الدنيا حلاوتها بميله اليها جرعته الآخرة مرارتها لتجافيه عنها ﴾ وتباعده منها ﴿ وقال صاحب كليلة ودمنة ﴾ وهو بيدبا الفيلسوف الهندى رأس البراهمة عمله لدبشليم ملك الهند وترجمه بالفارسية برزويه لانوشروان وترجمه عبد الله بن المقفع لابى جعفر المنصور بالعربية وترجمته بالتركية يسمى همايونامه ﴿ طالب الدنيا كشارب ماء البحر كلما ازداد شربا ازداد عطشا ﴾ لملوحته وقال النبى عليه السلام لو كان لابن آدم واديان من ذهب لابتغى اليهما ثالثا ورابعا ﴿ وكان عمر بن عبد العزيز يتمثل ﴾ والتمثل انشاد شعر الغير كأنه القائل او المخاطب ﴿ بهذه الابيات ﴾ من الطويل ﴿ نهارك يامغرور سهو وغفلة ﴾ يمضى بهما ﴿ وليلك نوم والاسى لك لازم ﴾ يعنى انت مريض على هذه الحالة فعليك بالتداوى يقال اسا الجرح يأسو اذا داواه ﴿ تسر بمايفنى وتفرح بالمنى . كما سر باللذات فى النوم حالم * وشغلك فيما سوف تكره غبه ﴾ بكسر وتشديد اى عاقبته ﴿ كذلك فى الدنيا تعيش البهائم ﴾ لا الانسان وقال ابو يزيد البسطامى ماغلبنى الاشاب من بلخ ة لى ماحد الزهد عندكم قلت اذا وجدنا اكلنا وان فقد ناصبرنا فقال كذلك كلاب بلخ قلت فاحده عندكم قال ان فقد ناصبرنا وان وجدنا آثرنا ﴿ وسمع رجل رجلا يقول لصاحبه لا اراك الله مكروها فقال ﴾ السامع ﴿ كأنك دعوت على صاحبك بالموت ان صاحبك ماصاحب الدنيا ﴾

اى مدة مصاحبته اياها ﴿ فلابدان يرى مكروها ﴾ وقد قال ابوبكرالخوارزمى * اى خير يرجو بنوالدهر فى الدهر ومازال قاتلا لبنيه * من يعمر يفجع بموت الاخلاء ومن مات فالمصيبة فيه ﴿ وقال ابوالعتاهية ﴾ من الكامل ﴿ ان الزمان ولو يليسن لاهله لمخاشن ﴾ يعنى وان كان موافقا لطبائعهم ودائرا على مراكزهم فليس مودته بدائمة بل مخاشن لهم ومتول عنهم ﴿ خطواته المتحركات كأنهن سواكن ﴾ فهو يتباعد عنهم شيئا فشيئاوهم يظنون انه دائم بهم ﴿ والحال الثانية من احوال رياضتك لها ان تصدق نفسك فيما منحتك ﴾ الدنيا ﴿ من رغائبها وانا لنك من غرائبها ﴾ اى ان تصدق نفسك احوال الرغائب وعاقبتها لئلا تعتمد عليها ولاتركن اليها ﴿ فتعلم ان العطية فيها مرتجعة والمنحة فيها مسترددة بعد ان تبقى عليك ما احتقنت ﴾ الدنيا اى ادخلته وتركته فيك ﴿ من اوزار وصولها اليك وخسران خروجها عنك ﴾ كما ان ابرة العقرب يخرج شوكا ويلقح سما وليس بعاقل من يخدش بهشوكا فى جسده ﴿ فقد روى ﴾ على مارواه الترمذى عن ابى برزة الاسلمى ﴿ عن النبى صلى الله عليه وسلم انه قال لاتزول قدما ابن آدم حتى يسأل عن ثلاث شبابه فيما ابلاه ﴾ واخلقه ﴿ وعمره فيما افناه ﴾ اى فى اى شئ فى خير اوشر والقياس كون الالف محذوفة ولكن الرواية وجدت هكذا ﴿ وماله من اين اكتسبه وفيم انفقه وروى عن عيسى بن مريم عليه السلام انه قال فى المال ثلاث خصال ﴾ ذميمة ﴿ قالوا وماهن ياروح الله قال يكسبه من غير حله قال فان كسبه من حله ﴾ فاى ضرر فيه ﴿ قال يضعه فى غير حقه قالوا فان وضعه فى حقه قال يشغله عن عبادة ربه ﴾ وفى الاحياء قال ابوامامة الباهلى رضى الله عنه لما بعث محمد صلى الله عليه وسلم اتت ابليس جنوده فقالوا قد بعث نبى واخرجت امة قال يحبون الدنيا قالوا نعم قال لئن كانوا يحبون الدنيا ما ابالى ان لايعبدوا الاوثان وانما اغدو عليهم واروح بثلاث اخذالمال من غير حقه وانفاقه فى غير حقه وامساكه عن حقه والشر كله من هذا نبع ﴿ ودخل ابو حازم على بشر بن مروان ﴾ بن الحكم ﴿ فقال يا ابا حازم ماالمخرج ﴾ اى المخلص ﴿ مما نحن فيه قال تنظر ماعندك فلاتضعه الا فى حقه وما ليس عندك فلا تأخذه الا بحقه قال ومن يطيق هذا يا ابا حازم قال فمن اجل ذلك ملئت جهنم من الجنة والناس اجمعين وعيرت ﴾ عابت ﴿ اليهود عيسى بن مريم عليه السلام بالفقر فقال من الغنى دهيتم ﴾ اى اصبتم بالداهية والطغيان فكذبتم الرسل ودواهى الدهر ما يصيب الناس من عظيم نوبه ﴿ ودخل قوم منزل عابد فلم يجدوا شيئا ﴾ من المفروش ﴿ يقعدون عليه فقال الزاهد لو كانت الدنيا دار مقام لاتخذنا لها اثاثا وقيل لبعض الزهاد الا توصى قال بماذا اوصى والله مالناشئ ولا لناعند احد شئ ولا لاحدعندنا شئ انظرالى هذه الراحة كيف تعجلها ﴾ اى تعجل وصولها ﴿ والى ﴾ هذه ﴿ السلامة كيف صار اليها ولذلك ﴾ الراحة ﴿ قيل الفقر ملك ليس فيه محاسبة ﴾ ولابن عمران * عجبا لنا نبغى الغنى والفقر فى . نيل الغنى لو صحت الالباب * فيما يبلغنى المحل كفاية . والفضل فيه تكاثر وحساب ﴿ وقيل لعيسى بن مريم عليه السلام الا تتزوج فقال انما تحب التكاثر فى دارالبقاء وقيل لو دعوت الله تعالى ان يرزقك حمارا ﴾ لاعطاك اولوللتمنى والعرض ﴿ فقال انا اكرم على الله من ان يجعلنى خادم حمار ﴾ ويعلق

قلى بمائه وعلفه وفى الشفاء وكان يلبس الشعر ويأكل الشجر) اى ورقه (ولم يكن له بيت) اى مسكن يأوى اليه (انما ادركه النوم نام وكان احب الاسماء اليه ان يقال له مسكين على نبينا وعليه السلام) ﴿ وقيل لابى حازم ما مالك قال شيئان الرضى عن الله والغنى عن الناس ﴾ وفى البيان الثقة بما عند الله واليأس مما فى ايدى الناس قيل ارفع حوائجك الينا قال هيهات رفعتها الى من لا تختزل الحوائج دونه فان اعطانى منها شيئا قبلت وان زوى عنى شيئا رضيت ﴿ وقيل له انك لمسكين فقال كيف اكون مسكينا ومولاى له ما فى السموات وما فى الارض وما بينهما وما تحت الثرى ﴾ اى وما تحت الارض ويقال ثريت الارض اذا نديت ولانت بعد الجدبة واليبس ﴿ وقال بعض الحكماء رب مغبوط بمسرة هى داؤه ﴾ لونالها ﴿ ومرحوم من سقم هو شفاؤه ﴾ كمريض يتخيل لوصح قتل فلانا وسرق مال فلان ونحو ذلك ولو كان للهرة جناح ما يطيب عيش لطائر ﴿ وقال بعض الادباء الناس اشتات ﴾ اى فرق ﴿ ولكل جمع شتات ﴾ اى تفرق يقال شت الشمل اذا تفرق ﴿ وقال بعض البلغاء الزهد بصحة اليقين وصحة اليقين بنور الدين فمن صح يقينه زهد فى الثراء ﴾ يقال ثرا المال اذا كثر ﴿ ومن قوى دينه ايقن بالجزاء ﴾ وليعضهم * من كان فى قلبه مثقال خردلة . سوى جلالك فاعلم انه مرض ﴿ فلا تغرنك صحة نفسك وسلامة امسك فمدة العمر قليلة وصحة النفس مستحيلة ﴾ لان الله تعالى لم يرد حياة الابد فى هذه الدار ﴿ وقال بعض الشعراء ﴾ هو سليمان بن الوليد من المديد ﴿ رب مغروس يعاش به . عدمته عين مغترسه ﴾ اى لم تر ذلك المغروس عين غارسه وقد كان يؤمل انه يعيش به ولا يرضى ان يطير عليه طائر ﴿ وكذاك الدهر مأتمه ﴾ على وزن مقعد هو كل مجتمع فى حزن اوفرح اوخاص بالنساء اى بالشواب وغلب بمجتمع النساء فى حزن ﴿ اقرب الاشياء من عرسه ﴾ بفتحتين شدة السرور يعنى ان مجمع حزن الدهر اقرب من مجمع سروره وعرسه وقال آخر * فعش ما شئت فى الدنيا وادرك . بها ما شئت من صيت وصوت * فحبل العمر موصول بقطع . وخيط العيش معقود بموت ﴿ فاذا رضت نفسك من هذه الحالة ﴾ الثانية وهى تصديق النفس زوال العطية مع بقاء وزرها ﴿ اعتضت منها ثلاث خلال احداها نصح نفسك وقد استسلمت ﴾ النفس ﴿ اليك والنظر لها وقد اعتمدت عليك ﴾ فتقول لبيك بكل ندائك فعليك نصحها واخراجها من مهاوى الطبيعة الى ذروة الحقيقة ﴿ فان الغاش نفسه ﴾ بعد استسلامها اليه واعتمادها عليه ﴿ مغبون ﴾ كل الغبن حيث طاوعته نفسه فيما فيه سعادته الابدية فلم ينصحها ﴿ والمنحرف عنها ﴾ اى عن النظر الى ما فيه صلاح النفس ﴿ مأفون ﴾ اى احمق لافاتته فرصة الاعتماد ﴿ والثانية الزهد فيما ليس لك ﴾ اى فى طلب ما ليس لك اليه ضرورة ﴿ لتكفى تكلف طلبه وتسلم من تبعات كسبه والثالثة انتهاز الفرصة فى مالك اذ تضعه فى حقه ﴾ بدل اشتمال من مالك ﴿ وان توتيه لمستحقه ليكون ﴾ المال ﴿ لك ذخرا ﴾ اى عدة ويقال ذخره ذخرا اذا خبأه لوقت حاجته ﴿ ولا يكون عليك وزرا ﴾ قال صاحب الكشاف فى قوله تعالى هو انشأكم من الارض واستعمركم فيها وامركم بالعمارة والعمارة متنوعة الى واجب وندب ومباح ومكروه فالواجب كسد الثغور والقناطر المبنية على الانهار المهلكة والمسجد الجامع فى المصر والمندوب كالمساجد والقناطر والمدارس والربط والمباح كالبيوت التى

يسكن فيها والحرام كابنية لظلمة وعن معاوية انه اخذ فى احياء الارض فى آخر عمره فقيل له فقال ماحملنى عليه الا قول القائل * ليس الفتى بفتى لايستضاء به . ولا يكون له فى الارض آثار * وقال الله تعالى ضرب الله مثلا عبدا مملوكا ومن رزقناه منا رزقا حسنا فهو ينفق منه سرا وجهرا هل يستون ومدح الغنى والانفاق فى محله ابلغ مدح ﴿فقد روى ان رجلا قال يارسول الله انى اكره الموت قال الك مال قال﴾ الرجل ﴿نعم قال قدم مالك فان قلب المؤمن عند ماله وقالت عائشة رضى الله عنها ذبحنا شاة فتصدقنا بها﴾ اى بجميعها ﴿فقلت يارسول الله مابقى الا كتفها قال﴾ عليه السلام ﴿كلها بقى الا كتفها﴾ مفرغ من الموجب او منصوب وهذا من الاجوبة المسكتة المستحسنة ﴿وحكى ان عبيدالله بن عبدالله بن عتبة بن مسعود﴾ الهذلى المدنى الامام الجليل التابعى احد الفقهاء السبعة سمع خلقا من الصحابة منهم ابن عباس وابن عمر وابو هريرة وعنه جمع من التابعين وهو معلم عمر بن عبدالعزيز رضى الله عنه وكان قد ذهب بصره توفى سنة تسع اوثمان وتسعين قال شهاب الدين الخفاجى ثم ان الفقهاء وان كانوا كثيرا فانما خص هؤلاء لاجتماع الناس على رأيهم واتباعهم لفتواهم لمعرفتهم بالفضل والصلاح ولا يقضى فى امر حتى يرفع اليهم وكان الناس يتبركون بهم قيل ان اسمائهم اذا علقت على محموم برئ واذا وضعت فى البر لم يدخله سوس ولم يفسد وقد نظمهم القائل فى قوله * الا كل من لايقتدى بائمة . فقسمته ضيزى عن الحق خارجة * فخذهم عبيدالله عروة قاسم . سعيد ابوبكر سليمان خارجة ﴿باع دارا بثمانين الف درهم فقيل له اتخذ لولدك من هذا المال ذخرا﴾ اى عدة ﴿فقال﴾ عبيدالله ﴿انا اجعل هذا المال ذخرا لى عندالله عز وجل واجعل الله ذخرا لولدى﴾ وقد تكفل برزقه ﴿وتصدق بها﴾ اى بالثمانين الالف ﴿وعوتب سهل بن عبدالله المروزى فى كثرة الصدقة فقال لوان رجلا اراد ان ينتقل من دار الى دار أكان يبقى فى﴾ الدار ﴿الاولى شيئا وقال سليمان بن عبدالملك لابى حازم مالنا نكره الموت قال لانكم اخربتم آخرتكم وعمرتم دنياكم فكرهتم ان تنتقلوا من العمران الى الخراب وقيل لعبدالله بن عمر ترك زيد بن خارجة﴾ الانصارى وهو الخزرجى الحارثى المتكلم بعد الموت على الصحيح وقيل هو ابوه وذلك وهم لانه استشهد يوم احد وهذا تكلم فى زمن عثمان بن عفان رضى الله عنه قال ابن مندة شهد بدرا ﴿مأة الف درهم فقال﴾ ابن عمر رضى الله عنهما وان تركها زيد ﴿لكنها﴾ اى لكن تلك المأة الالف ﴿لاتتركه﴾ بل يحاسب بها قال بديع الزمان * ايا جامع المال من حله . يبيت ويصبح فى ظله . سيؤخذ منك غدا كله . وتسئل من بعد عن كله ﴿وقال الحسن البصرى رحمه الله ماانعم الله على عبد نعمة الا وعليه فيها تبعة الا سليمان بن داوود عليهما السلام فان الله تعالى قال له هذا﴾ الذى اعطيناك من الملك والبسطة والتسلط على مالم يتسلط عليه غيرك ﴿عطاؤنا﴾ بغير حساب يعنى جما كثيرا لا يكاد يقدر على حسبه وحصره ﴿فامنن﴾ من المنة وهى العطاء اى اعط منه ماشئت ﴿او امسك﴾ وامنع من شئت مفوضا اليك التصرف فيه ﴿بغير حساب﴾ حال من المستكن فى الامر اى غير محاسب على منه وامساكه او هذا التسخير عطاؤنا فامنن على من شئت من الشياطين بالاطلاق وامسك من شئت منهم فى الوثاق ولاحساب عليك فى ذلك ﴿وقال

ترتيبهم هكذا سعيد بن المسيب عروة بن الزبير قاسم بن محمد عبيدالله بن عبدالله خارجة بن زيد بن ثابت سليمان بن يسار واختلف فى السابع قيل هو سالم بن عبدالله بن عمر وقيل ابوبكر بن عبدالرحمن بن الحارث بن هشام وقيل ابو سلمة بن عبدالرحمن منه

(ابو حازم)

ابو حازم ﴾ الاعرج ﴿ ان عوفينا ﴾ مجهول عافاه يقال عافاك الله معافية اى عفاك وسترك ﴿ من شر مااعطينا لم يضرنا فقد مازوى عنا ﴾ بالبناء للمفعول فيهما اى بعد ومنع عنا يقال زواه اذا نحاه ﴿ وقال بعض السلف قدموا ﴾ اموالكم ﴿ كلا ﴾ اى اجمع ﴿ ليكون لكم ولاتخلفوا كلا ﴾ اى كاليتيم يقال هو كل اى يتيم ﴿ فيكون عليكم ﴾ حساب المال وعقابه ﴿ وقال ابراهيم بن ادهم ﴾ بن منصور بن اسحق البلخى من كورة بلخ من ابناء الملوك وكان من شيوخ الصوفية ومن رجال الرسالة القشيرية وفيها كثير من اخباره وصحبه سفيان الثورى والفضيل بن عياض ودخل الشام ومات بها سنة احدى وستين ومأتين وكان يأكل من عمل يديه مثل الحصاد وحفظ البساتين وكان كبير الشان فى الورع وقال اطب مطعمك ولا عليك ان لاتقوم بالليل ولا تصوم بالنهار وكان عامة دعائه اللهم انقلنى من ذل معصيتك الى عز طاعتك وقال لرجل فى الطواف اعلم انك لاتنال درجة الصالحين حتى تجوز ست عقبات وهى ان تغلق باب النعمة وتفتح باب الشدة وتغلق باب العز وتفتح باب الذل وتغلق باب الراحة وتفتح باب الجهد وتغلق باب النوم وتفتح باب السهر وتغلق باب الغنى وتفتح باب الفقر وتغلق باب الامل وتفتح باب الاستعداد للموت ﴿ نعم القوم السؤال ﴾ جمع سائل ﴿ يدقون ابوابكم يقولون اتوجهون للآخرة شيئا ﴾ ونحن ساعوها ومرسلوها ﴿ وقال سعيد بن المسيب ﴾ بفتح الياء على المشهور وقيل بالكسر وكان يكره فتحها ابن حزن بن وهب بن عمر والقرشى المخزومى المدنى امام التابعين وفقيه الفقهاء ابوه وجده صحابيان اسلما يوم فتح مكة ولد لسنتين مضتا من خلافة عمر رضى الله عنه وقيل لاربع سمع عمر وعثمان وعليا وسعد بن ابى وقاص واباهريرة رضى الله عنهم وهو زوج بنت ابى هريرة واعلم الناس بحديثه وروى عنه خلق من التابعين وغيرهم واتفقوا على جلالته وامامته وتقدمه على اهل عصره فى العلم والتقوى وقال احمد بن عبدالله كان صالحا فقيها من الفقهاء السبعة بالمدينة وكان اعور وقال ابن قتيبة كان جده حزن اتى النبى صلى الله عليه وسلم فقال انت سهل قال لابل انا حزن ثلاثا قال سعيد فما زلنا نعرف تلك الحزونة فينا ففى ولده سوء خلق وكان حج اربعين حجة وكان لايأخذ العطاء وكان له بضاعة اربعمأة دينار يتجر بها فى الزيت مات سنة ثلاث او اربع او خمس وتسعين سنة بالمدينة ﴿ مربى صلة بن اشيم ﴾ العدوى الصحابى رضى الله عنه من زهاد البصرة ونساكها توفى سنة خمس وثلاثين وسنه متجاوز لمأة سنة ﴿ فما تمالكت ان نهضت اليه ﴾ اى لم اقدر على منع نفسى من القيام والحضور بين يديه شوقا اليه ﴿ فقلت ياابا الصهباء ادع لى فقال رغبك الله فيما يبقى وزهدك فيما يفنى ﴾ اى كثر رغبتك فى الباقى وزهدك فى الفانى وادامهما ﴿ ووهب لك ﴾ عين ﴿ اليقين الذى لاتسكن النفس ﴾ اى لاتطمئن نفس المؤمن ﴿ الا اليه ﴾ قال المناوى اليقين هو ان يقذف الله النور فى القلب فيسكن ويستقر ﴿ ولا يعول فى الدين الا عليه ﴾ كما اشار اليه النبى صلى الله عليه وسلم بقوله الآن ياعمر (٣) ﴿ و ﴾ روى سعيد بن بشير عن ابيه انه ﴿ لما ثقل عبدالملك بن مروان رأى غسالا يلوى بيده ثوبا ﴾ ليستنجى به ميتا ﴿ فقال وددت انى كنت غسالا لااعيش الا بما اكتسبه يوما فيوما فبلغ ذلك ﴾ القول ﴿ اباحازم فقال الحمد لله الذى جعلهم يتمنون عند الموت مانحن فيه ولا نتمنى نحن عنده ماهم فيه ﴾ من

(٣) فى الشفاء عن عمر رضى الله عنه انه قال للنبى صلى الله عليه وسلم لانت احب الى من كل شئ الا من نفسى التى بين جنبى) وهذا جرى منه بناءً على صدق مقامه وحسن مرامه حيث ظن ان المراد بالمحبة هو الحب الطبيعى (فقال له النبى صلى الله عليه وسلم لن يؤمن احدكم) ايمانا كاملا (حتى اكون احب اليه من نفسه) اى حبا اختياريا يؤثر رضاه على رضا سائر المخلوقين فلما تفطن هذا المعنى (قال عمر والذى انزل عليك الكتاب لانت احب الى من نفسى التى بين جنبى فقال له النبى عليه السلام الآن ياعمر) قد استقمت ايمانا وتكملت ايقانا او الاستفهام مقدر ابطاء لهذا الامر منه

السلطنة والغنى ﴿ وروى ﴾ كما روى عبدالله بن المبارك والطبرانى عن مطرف بن عبـدالله الشخير عن ابيه ﴿ عن النبى صلى الله عليه وسـلم انه قال يقول ابن آدم مالى مالى وهل لك يا ابن آدم من مالك ﴾ اى ليس لك منه ﴿ الا ما اكلت فافنيت اولبست فابليت او اعطيت فامضيت ﴾ وما سوى ذلك للمواريث فمن لم يتوصل بماله لما ذكر ولم ينتفع به كمن لامال له قال ابوالعتاهية * اذاالمرء لم يعتق من المال نفسه . تملكه المال الذى هو مالكه * الا انما مالى الذى هو منفق . وليس لى المال الذى انا تاركه ﴿ وقال خالد بن صفوان بت ليلتى اتمنى ﴾ اى حال كونى متمنيا يقال تمنى الشئ اذا اراده وقدره وصوره فى المتخيلة ﴿ فكسبت البحر الاخضر ﴾ هوالبحر المحيط الاطلانى ويقال له بحر الظلمات ايضا يعنى كسبت خراجه ووليت امارته ﴿ والذهب ﴾ الخالص المائل صفرته الى ﴿ الاحمر فاذا يكفينى من ذلك ﴾ المكسوب تخيلا ﴿ رغيفان ﴾ للغداة والعشى ﴿ وكوزان ﴾ للطعام والشراب ﴿ وطمران ﴾ بكسر فسكون ثوبان خلقان للارتداء والاتزار قال ابن سكرة * الجوع يطرد بالرغيف اليابس . فعلام تكثر حسرتى ووساوسى * والموت انصف حين عدل قسمة . بين الخليفة والفقير البـائس * وقال ابو تمام * يا قليل البقاء فى هذه الدا . رالى يغرك التسويف * عجبا لامرئ يذل لذى الما . ل ويكفيه كل يوم رغيف ﴿ وقال مورق العجلى يا ابن آدم فى كل يوم تؤتى رزقك وانت تحزن ﴾ من عـدم نيلك الزيادة ﴿ وينقص عمرك ﴾ فى كل يوم ﴿ وانت لاتحزن تطلب مايطغيك ﴾ اى الغنى ﴿ وعنـدك مايكفيك ﴾ وقال الحسن البصرى يا ابن آدم ان كان لايغنيك مايكفيك فليس ههنا شئ يغنيك وان كان يغنيك مايكفيك فالقليل من الدنيا يكفيك ﴿ وقال ابوالحازم انما بيننا وبين الملوك يوم واحد اما امس فقد مضى فلا يجدون لذته وانا وهم ﴾ اى معهم ﴿ من غد على وجل ﴾ هل نموت او نبقى فتساوينا فى الطرفين ﴿ وانما هو ﴾ اى اليوم الواحد ﴿ اليوم ﴾ الحـاضر ﴿ فما عسى ان يكون ﴾ يوم واحد الاستفهام للانكار التقليلى اوالتحقيرى ويكون تامة ﴿ قال بعض السلف تعز ﴾ امر من التعزى اى احمل نفسك على الصـبر ولا تجزع ﴿ عن الشئ اذا منعته لقلة مايصحبك اذا اعطيته وقال بعض الحكمـاء من ترك ﴾ باختياره ﴿ نصيبه من الدنيا ﴾ لبغضه اليها ﴿ استوفى حظه من الآخرة وقال آخر ترك التلبس بالدنيـا قبل التشبث بها اهون من رفضها بعد ملابستها ﴾ لان الدفع اسهل من الرفع ﴿ وقال آخر ليكن طلبك للدنيا اضطرارا ﴾ لابد منها لحوائجك ﴿ وتذكرك فى الامور اعتبارا ﴾ تتعظ بهـا كما قيل * ان السـعيد له فى غيره عظة . وفى التجـارب تحكيم ومعتبر ﴿ وسعيك لمعـادك ابتدارا ﴾ يقـال ابتدره واليـه وبادره اذا عاجله ﴿ وقال آخر الزاهـد لايطلب المفقود حتى يفقد الموجود ﴾ اى لايكون طالب الآخرة مالم يترك الدنيـا ﴿ وقال آخر من آمن بالآخرة ﴾ ايمـانا كاملا ﴿ لم يحرص على الدنيـا ومن ايقن بالمجـازاة ﴾ بعمله ﴿ لم يؤثر ﴾ اى لم يرجح الدنيـا الفانيـة ﴿ على الحسنى ﴾ وزيادة اى على الجنة والجمال قال الله تعالى للذين احسنوا الحسـنى وزيادة ﴿ وقال آخر من حاسب نفسـه ربح ومن غفل عنها خسر ﴾ قال الحسن البصرى فى موعظة طويلة والذى نفس الحسن بيده ما اصبح فى هذه القرية مؤمن الا اصـبح مهموما حزينا وليس لمؤمن

راحة دون لقاء الله . الناس ما داموا فى عافية مستورون فاذا نزل بلاء صاروا الى حقائقهم فصار المؤمن الى ايمانه والمنافق الى نفاقه . اى قوم ان نعمة الله عليكم افضل من اعمالكم فسارعوا الى ربكم فانه ليس لمؤمن راحة دون الجنة ولا يزال العبد بخير ما كان له واعظ من نفسه وكانت المحاسبة من همه ﴿ وقال ابو العتاهية ﴾ من الوافر ﴿ ارى الدنيا لمن هى فى يديه . عذابا كلما كثرت لديه * تهين المكرمين لها بصغر ﴾ ويروى بدل ﴿ وتكرم كل من هانت عليه ﴾ بيان لكونها عذابا للمكثرين لها والحريصين عليها يعنى لانها تهين وتحقر من احبها وعظم امرها باستصغاره واستخدامه فى الصنايع الخسيسة والمكاسب الدنية ﴿ اذا استغنيت عن شئ فدعه . وخذ ما انت محتاج اليه ﴾ وقال محمد بن الحنفية من كرمت عليه نفسه هانت عليه الدنيا وللفقيه الباجى * تبلغ من الدنيا بايسر زاد . فانك عنها راحل لمعاد * وغض عن الدنيا وزخرف اهلها . جفونك وا كحلها بطيب سهاد * وجاهد عن اللذات نفسك جاهدا . فان جهاد النفس خير جهاد * وماهى الادار لهو وفتنة . وان قصارى اهلها لنفاد ﴿ وحكى الاصمعى رحمه الله قال دخلت على الرشيد رحمة الله عليه يوما وهو ينظر فى كتاب ودموعه تسيل على خده فلما ابصرنى قال ارأيت ماكان منى ﴾ من البكى وسيلان الدمع ﴿ قلت نعم يا امير المؤمنين فقال اما انه لو كان لامر الدنيا ما رأيت هذا ﴾ بل امرت ما اردت ﴿ ثم رمى الى بقرطاس فاذا فيه شعر ابى العتاهية رحمه الله تعالى ﴾ من الكامل ﴿ هل انت معتبر بمن خربت . منه غداة قضى ﴾ نحبه اى مات ﴿ دساكره ﴾ جمع دسكرة وهى القرية والبيوت التى يجتمع فيها السفهاء ويكون فيها شرب الخمور وآلات اللهو المعبر عنها بالفارسية خرابات يعنى خربت قراه واملاكه وعقاره بعد موت صاحبه بزمان يسير ﴿ وبمن اذل الدهر مصرعه ﴾ اى فى مصرعه ومقتله فغلب عليه عدوه وطرحه على الارض ﴿ فتبرأت منه عساكره ﴾ والتحقوا بعدوه اوصاروا اسارى ﴿ وبمن ﴾ مات و ﴿ خلت منه اسرته ﴾ جمع سرير ﴿ وتعطلت منه منابره ﴾ مرادف للمصراع الاول ﴿ اين الملوك واين غيرهمو . صاروا مصيرا انت صائره ﴾ اى ستصيره * درست محاسن وجهه ونفا . عنه السرور ترى تباشره * كما فى نسخة قديمة جمع تبشرة بمعنى الخبر والبشارة يعنى عفا ولم يبق محاسن وجهه ونفى ذلك المصير عن الصائر سروره الذى يشاهد عند ارادته البشائر والا فضال ﴿ يامؤثر الدنيا للذتها . والمستعد ﴾ اى المتهئ ﴿ لمن يفاخره ﴾ اى المتهئ للمفاخرة والمغالبة بها ﴿ نل ما بدالك ان تنال من الدنيا فان الموت آخره ﴾ يعنى هب وقدر انك نلت من الدنيا كل ما يمكن نيله لاقدر له ولا خير فيه فان الموت آخره ﴿ فقال الرشيد رحمة الله عليه والله لكأنى المخاطب بهذا الشعر دون الناس فلم يلبث ﴾ الرشيد ولم يعمر ﴿ بعد ذلك ﴾ البكى ﴿ الا يسيرا حتى مات رحمه الله ﴾ وقال وهب بن منبه اصبت على قصر غمدان وهو قصر سيف بن ذى يزن بارض صنعاء اليمن وكان من الملوك الاجلة مكتوبا بالقلم السندى فترجم بالعربى فاذا هى ابيات جليلة وموعظة جميلة وهى هذه الابيات * باتوا على قلل الجبال تحرسهم . غلب الرجال فلم تنفعهم القلل * واستنزلوا بعد عز عن معاقلهم . واودعوا حفرا يابئس ما نزلوا * نادا هم صارخ من بعد

ما دفنوا. اين الاسرة والتيجان والحلل * اين الوجوه التي كانت منعمة . من دونها تضرب الاستار والكلل * فافصح القبر عنهم حين سيل بهم . تلك الوجوه عليها الدود يقتتل * قد طالما اكلوا دهرا وماشربوا . فاصبحوا بعد ذاك الاكل قداكلوا * وقال ابو العتاهية * عش مابدالك سالما . فى ظل شاهقة القصور * يسعى اليك بما اشتهيت لدى الرواح وفى البكور * فاذا النفوس تغرغرت . بزفير حشرجة الصدور * فهناك تعلم موقنا . ماكنت الافى غرور ﴿ ثم الحالة الثالثة من احوال رياضتك لها ان تكشف لنفسك حال اجلك وتصرفها عن غرور املك حتى لايطيل لك الامل اجلا قصيرا وينسيك موتا ولانشورا ﴾ وفى القشيرية عن احمد بن محمد الجريرى من كبار اصحاب الجنيد يقول من استولت عليه النفس صار اسيرا فى حكم الشهوات محصورا فى سجن الهوى وحرم الله على قلبه الفوائد فلا يستلذ بكلام الحق تعالى ولا يستحليه وان كثر ترداده على لسانه لقوله تعالى ساصرف عن آياتى الذين يتكبرون فى الارض بغير الحق وقال ايضا رؤية الاصول باستعمال الفروع وتصحيح الفروع بمعارضة الاصول ولا سبيل الى مقام مشاهدة الاصول الا بتعظيم ماعظم الله من الوسائط والفروع وفيها ايضا قال ابن مسروق من راقب الله تعالى فى خطرات قلبه عصمه الله تعالى فى حركات جوارحه وقال تعظيم حرمات المؤمنين من تعظيم حرمات الله تعالى وبه يصل العبد الى محل حقيقة التقوى وقال شجرة المعرفة تسقى بماء الفكرة وشجرة الغفلة تسقى بماء الجهل وشجرة التوبة تسقى بماء الندامة وشجرة المحبة تسقى بماء الاتفاق والموافقة ومن كلامهم من ساعده الوقت فالوقت له وقت ومن ناكده الوقت فالوقت عليه مقت وكان الاستاذ ابو على الدقاق يقول الوقت مبرد يسحقك ولايمحقك يعنى لومحاك وافناك لتخلصت حين فنيت لكنه يأخذ منك ولايمحوك بالكلية وكان ينشد فى هذا المعنى * كل يوم يمر يأخذ بعضى . يورث القلب حسرة ثم يمضى * وينشد ايضا * كاهل النار ان نضجت جلود . اعيدت للشقاء لهم جلود * وفى معناه * ليس من مات فاستراح بميت . انما الميت ميت الاحياء ﴿ وروى عن النبى صلى الله عليه وسلم انه قال فى بعض خطبه ايها الناس ان الايام تطوى ﴾ اى تمر ﴿ والاعمار تفنى والابدان تبلى وان الليل والنهار يترا كضان كترا كض البريد ﴾ اى كتسارعه وهوالذى يوصل اوامر الخلفاء والمكاتبات ﴿ يقربان كل بعيد ويخلقان كل جديد وفى ذلك ﴾ المروى من الخطبة. يا ﴿ عبادالله ﴾ الزموا ﴿ ما الهى عن الشهوات ﴾ اى اشغل عنها وما منصوب على الاغراء ﴿ ورغب فى الباقيات الصالحات ﴾ يعنى اكثروا ذكر هاذم اللذات ﴿ وقال مسعر كم من مستقبل يوما وليس يستكمله ومنتظر غدا وليس من اجله ولو رأيتم الاجل ومسيره ﴾ لنبهتم وبادرتم بالاعمال الصالحات و ﴿ لا بغضتم الامل وغروره ﴾ لانه يغركم ويسوفكم فتنقضى الآجال قبل صلاح الاعمال وقال ابو العرب الصقلى * ولا يغررك منها حسن برد . له علمان من علم الذهاب * فاوله رجاء من سراب . وآخره رداء من تراب ﴿ وقال رجل من الانصار للنبى صلى الله عليه وسلم من اكيس الناس قال اكثرهم ذكرا للموت واشدهم استعدادا له اولئك الاكياس ذهبوا بشرف الدنيا وكرامة الآخرة ﴾ قال ابن الزبير مدح رجل قوما فقال ادبتهم الحكمة واحكمتهم التجارب ولم تغررهم السلامة المنطوية على الهلكة ورحل عنهم

التسويف الذى قطع الناس به مسافة آجالهم فاحسنوا المقال وشفعوه بالفعال ❀ وقال عيسى بن مريم عليه السلام كما تنامون كذلك تموتون وكما تستيقظون كذلك تبعثون ❀ لا محيص عنها ❀ وقال على بن ابى طالب كرم الله وجهه ايها الناس اتقوا الله الذى ان قلتم سمع وان اضمرتم علم وبادروا الموت الذى ان هربتم ادرككم وان اقمتم اخذكم ❀ فالنجاء النجا فان وراءكم طالبا حثيثا وهو القبر وان القبر روضة من رياض الجنة او حفرة من حفر النار الا وان وراء ذلك اليوم يوما اشد منه يوما يشيب فيه الصغير ويسكر فيه الكبير وتذهل كل مرضعة عما ارضعت وتضع كل ذات حمل حملها وترى الناس سكارى وماهم بسكارى ولكن عذاب الله شديد الا وان وراء ذلك اليوم يوما اشد منه فيه نار تتسعر حرها شديد وقعرها بعيد وحليها حديد وماؤها صديد ليس لله فيها رحمة قال فبكى المسلمون بكاء شديدا ثم قال الا وان وراء ذلك اليوم جنة عرضها كعرض السموات والارض اعدت للمتقين ادخلنا الله واياكم دار النعيم واجارنا واياكم من العذاب الاليم ❀ وقال العلاء بن المسيب ليس قبل الموت شئ الا والموت اشد منه وليس بعد الموت شئ الا والموت ايسر منه ❀ كما فصله على رضى الله عنه ❀ وقال بعض الحكماء ان للباقى بالماضى معتبرا وللآخر بالاول مزدجرا ❀ قال ابن المعتز ❀ لا تأسفن من الدنيا على امل. فليس باقيه الا مثل ماضيه ❀ والسعيد لا يركن الى الخدع ❀ يقال خدعه اذا ختله واراد به المكروه من حيث لا يعلم لان السعيد من اتعظ بغيره ❀ ولا يغتر بالطمع ❀ من عطف السبب على المسبب ❀ وقال بعض الصلحاء ان بقاءك الى فناء وفناءك الى بقاء ❀ اى منتهيان اليهما ❀ فخذ من فناءك الذى لا يبقى لبقاءك الذى لا يفنى وقال بعض العلماء اى عيش يطيب وليس للموت طبيب وقال بعض البلغاء كل امرئ يجرى من عمره الى غاية تنتهى اليها مدة اجله وتنطوى عليها صحيفة عمله ❀ مطاوع طوى الصحيفة فانطوت ❀ فخذ من نفسك لنفسك ❀ اى من معاشها لمعادها ❀ وقس يومك بامسك ❀ فى عدم اضاعته بما لا يرجع اليك نفعه ❀ وكف عن سيئاتك وزد فى حسناتك قبل ان تستوفى مدة الاجل وتقصر عن الزيادة فى السعى والعمل ❀ اذلا سعى بعد الموت ❀ وقيل فى منثور الحكم من لم يتعرض للنوائب ❀ اى لم يتهيأ للحوادث ❀ تعرضت له ❀ بغتة من حيث لا يشعر فينتصب قائما ❀ وقال ابو العتاهية ❀ من الكامل المذال ❀ ما للمقابر لا تجيب اذا دعاهن الكئيب ❀ يقال كئب الرجل اذا صار سيئ الحال مغموما منكسرا من حزن يعنى ان الكئيب اذا لم يجد من يسليه من الاحياء فدعا اصحاب القبور ليتسلى بهن فلم لا تجبن يعنى اهن غريقات فى سرور هن فلا يستمعن ام مغلولات فى عقابهن فحبست السنتهن فى حناجر هن فلا يقدرن الجواب اخذه من خطبة قس بن ساعدة مالى ارى الناس يموتون ولا يرجعون ارضوا فاقاموا ام حبسوا فناموا ❀ حفر مسنمة عليهن الجنادل والكثيب ❀ المجتمع من الرمل والجندل مايقله الرجل ويطيق حمله من الحجر ❀ فيهن ولدان واطفال وشبان وشيب ❀ جمع ولد وطفل وشاب واشيب كسر فاؤه لمناسبة الياء وان كان القياس الضم كاحمر حمر وهذا البيت يصحح تعلق السؤال السابق بالمقابر وقدم الولدان لان من عادة الاطفال التلاعب فى حوالى البيوت وايصال النداء الى آباءهم المشغولين

﴿كم من حبيب لم تكن . نفسى بفرقتـه تطيب﴾ خبر لم تكن وخبر كم قوله ﴿غادرته فى بعضهن . مجندلا وهـوالحبيب﴾ اى تركت حبيبى مدفونا فى بعضهن حال كونه حبيبـا ﴿وسلوت عنه وانما . عهدى برؤيته قريب﴾ يعنى وفرغت عن ذكره لانى سوق القاهو. اسا كنه فى داره اليوم اوغدا . وكان ذلك سبب السلو ﴿ووعظ النبى صلى الله عليه وسلم﴾ كما رواه ابن عمر ﴿فقال اقلل﴾ ويروى اقل ﴿من الدين﴾ اى الاستدانة ﴿تعش حرا﴾ اى تنج من رق رب الدين والتذلل له فان له تحكما وتأمرا ﴿واقلل من الذنوب يهن عليك الموت﴾ اى يسـهل عليك فان كرب الموت قد يكون من كثرة الذنوب ﴿وانظر حيث تضع ولدك فان العرق دساس﴾ يقال دسه اذا اخفاه فينبغى التزوج بالاصيلة النسب كما فى العزيزى ﴿وقال الرشـيد لابن السماك رحمهما الله تعالى عظنى واوجز فقـال اعلم انك اول خليفة يموت﴾ يعنى لاتنس نصـيبك من الدنيا ﴿وعزى اعرابى رجلا عن ابن صـغير له﴾ والتعزية هى التصبير وذكر مايسـلى صاحب الميت ويخفف حزنه ويهون مصـيبته وهى مستحبة ﴿فقال الحمد لله الذى نجاه مما ههنـا من الكدر وخلصه مما بين يديه من الخطر﴾ وقال الله تعـالى حكاية عن خضر فخشـينا ان يرهقهما طغيانا وكفرا وعن معاذ بن جبل انه قال مات لى ابن فكتب الى رسول الله صلى الله عليه وسلم من محمد رسول الله الى معاذ بن جبل سلام عليك فانى احمد الله الملك الذى لا اله الا هو اما بعد فعظم الله لك الاجر والهمك الصبر ورزقنا واياك الشكر ثم اعلم ان انفسنا واموالنا واهلنا واولادنا من مواهب الله تعالى الهنية وعواريه المستودعة يمتعنا بها الى اجل معدود ويقبضـها لوقت معلوم ثم فرض الله تعالى علينا الشكر اذا اعطى والصبر اذا ابتلى وكان ابنك من مواهب الله تعالى الهنية وعواريه المستودعة متعك الله به فى غبطة وسرور وقبضه باجر كبير ان صبرت واحتسبت فاصبر واحتسب واعلم ان الجزع لايرد ميتا ولا يطرد حزنا . ومات ابن لسليمان بن على فجزع عليه جزعا شـديدا وامتنع من الطعام والشراب وجعل الناس يعزونه فلايحفل بذلك فدخل عليه يحيى بن منصور فقال عليكم نزل كتاب الله فانتم اعلم بفرائضـه ومنكم كان رسول الله صلى الله عليه فانتم اعرف بسنته ولست ممن يعلم من جهل ولايقوم من عوج ولكن اعزيك ببيت من شعر قال هاته قال * وهون ما القى من الوجد انى . اسـاكنه فى داره اليوم اوغدا * قال اعد فاعاد فقال ياغلام الغداء وقال الجاحظ حدثنا اسمعيل بن علية قال حدثنا زياد بن ابى حسان انه شهد عمر بن عبد العزيز حين دفن ابنه عبد الملك فلما سوى عليه قبره بالارض جعلوا على قبره خشـبتين من زيتون احدها عند رأسـه والاخرى عند رجليه ثم جعل قبره بينه وبين القبلة واسـتوى قائمـا واحاط به النـاس قال رحمك الله يابنى فقد كنت برابابيـك ومازلت منذ وهبك الله لى بك مسرورا ولا والله ما كنت قط مسرورا بك ولا ارجى لحظى من الله فيك منذ وضـعتك فى الموضع الذى صيرك الله اليه فغفر الله لك ذنبك وجازاك باحسن عملك وتجاوز عن سـيئاتك ورحم الله كل شافع يشفع لك بخير من شاهد وغائب رضينا بقضاء الله وسلمنا لامره والحمد لله رب العالمين ولما مات ابو بكر الصديق رضى الله عنه رثاه عمر بن الخطـاب رضى الله عنه بهذه الابيـات حين رجع من دفنه فقال

(ذهب)

ذهب الذين احبهم . فعليك يادنيا السلام * لاتذكرين العيش لى . فالعيش بعدهم حرام * انى رضيع وصالهم . والطفل يولمه الفطام ﴿ وقال بعض السلف من عمل للآخرة احرزها والدنيا ومن آثر الدنيا حرمها والآخرة ﴾ اى خسر فيهما ومنع منهما وقال بعض الحكماء مسكين ابن آدم لو خاف من النار كما يخاف من الفقر لنجا منهما جميعا ولو رغب فى الجنة كما يرغب فى الدنيا لفاز بهما جميعا ولو خاف الله فى الباطن كما يخاف خلقه فى الظاهر لسعد فى الدارين جميعا ﴿ وقال بعض الصلحاء اغتنم ﴾ اى عد غنيمة ﴿ تنفس الاجل ﴾ وتأخره ﴿ وامكان العمل واقطع ذكر المعاذير والعلل ﴾ جميع معذرة وعلة ﴿ فانك فى اجل محدود ونفس معدود وعمر غير ممدود وقال بعض الحكماء الطبيب معذور اذا لم يقدر على دفع المحذور ﴾ اذ ليس لهم حيلة فى دفع الموت ووجد مكتوبا على قبر * ان الحبيب من الاحباب مختلس . لايمنع الموت بواب ولاحرس * وكيف تفرح بالدنيا ولذتها . يامن يعد عليه اللفظ والنفس * لايرحم الموت ذاجاه لعزته . ولا الذى كان منه العلم يقتبس . قد كان قصرك معمورا له شرف . فقبرك اليوم فى الاجداث مندرس ﴿ وقال بعض البلغاء اعمل عمل المرتحل فان حادى الموت ﴾ من اضافة المشبه به الى المشبه ﴿ يحدوك يوم ليس يعدوك ﴾ اى يسوقك له يقال حدا الابل اذا ساقها مشوقا لها بالاشعار الحسنة والالحان الطيبة ولعله يتغنى بهذه الابيات * مثل وقوفك يوم العرض عريانا . مستوحشا قلق الاحشاء حيرانا * واقرأ كتابك ياعاصى على مهل . فهل ترى فيه حرفا غير ما كانا * لما قرأت ولم تنكر قراءته . اقرار من عرف الاشياء عرفانا * نادى الجليل خذوه يا ملائكتى . وامضوا بعبد عصى للنار عطشانا * المشركون غدوا فى النار والتهبوا . والمؤمنون بدار الخلد سكانا * او نحو ذلك ﴿ وروى عن على ابى طالب رضى الله عنه انه قال بعد وفاة رسول الله صلى الله عليه وسلم ﴾ من الرجز ﴿ غر جهولا امله ﴾ يقال غره غرورا اذا خدعه واطمعه بالباطل والجهول مبالغة جاهل وهو مفعول غر وامله فاعله وانما اخر لكونه مضافا الى ضمير المفعول ﴿ يموت من جاء اجله ﴾ ويحذف همزة جاء فى التلفظ لضرورة الوزن ﴿ ومن دنا من حتفه . لم تغن عنه حيله * ما بقاء آخر . قد غاب عنه اوله * والمرء ﴾ بالرفع على الابتداء او بالنصب على شريطة التفسير ﴿ لا يصحبه . فى القبر الا عمله * وقال ابو العتاهية ﴾ من البسيط ﴿ لا تأمن الموت فى لحظ ولانفس . وان تمنعت ﴾ اى اتخذت منعة ﴿ بالحجاب والحرس ﴾ جمع حاجب وحارس اى وان كنت محفوظا وحماطابهم لاتأمن لحظة لانهم لايمنعون الموت ﴿ واعلم بان سهام الموت قاصدة ﴾ وواصلة ﴿ لكل مدرع ﴾ يقال ادرع الرجل اذا لبس درع الحديد ﴿ منها ﴾ اى لاجل دفع سهامها ﴿ ومترس ﴾ يقال اترس الرجل وتترس اذا استتر بالترس * مابال دينك ترضى ان تدنسه * وثوب دنياك مغسول من الدنس ﴿ ترجو النجاة ولم تسلك مسالكها ﴾ الخطاب اما للنفس او لغير معين للتعميم يعنى انك تخب فى رجائك البتة ﴿ ان السفينة لاتجرى على اليبس ﴾ اى لاتجرى فى البر بل لاتجرى فى الماء القليل وقال على رضى الله عنه خاب من يطلب شيئا لايكون فقارن رجاءك بالعمل وقال السعدى * ترسم نرسى بكعبه اى اعرابى . كين ره كه تومى روى بتركستانست ﴿ فاذا رضت نفسك

من هذه الحالة ﴾ الثالثة التى هى كشفك لنفسك حال اجلك ﴿ بما وصفت اعتضت منها ثلاث خلال احداهن ان تكفى تسويف امل يرديك وتسويل محال يوذيك فان تسويف الامل غرار ﴾ اى نقصان فى العمل ﴿ وتسويل المحال ﴾ يقال سول له الشيطان اذا اغواه وسولت له نفسه كذا اى زينت ﴿ ضرار ﴾ اى ضرر يقال ضاره بمعنى اضره يعنى تحسين المحال واتخاذه عدة ضرر لان المعدوم لايكون سببا لوجود شئ وخطب على بن ابى طالب رضى الله عنه فقال اما بعد فان الدنيا قد ادبرت وآذنت بوداع وان الآخرة قد اقبلت واشرفت باطلاع وان المضمار اليوم والسباق غدا الا وانكم فى ايام امل من ورائه اجل فمن اخلص فى ايام امله قبل حضور اجله فقد نفعه عمله ولم يضره امله ومن قصر فى ايام امله قبل حضور اجله فقد خسر عمله وضره امله الا فاعملوا لله فى الرغبة كما تعملون له فى الرهبة الا وانى لم اركالجنة نام طالبها وكالنار نام هاربها الا وانه من لم ينفعه الحق يضره الباطل ومن لم يستقم بالهدى يجر به الضلال الا وانكم قد امرتم بالظعن ودللتم على الزاد وان اخوف ما اخاف عليكم اتباع الهوى وطول الامل ﴿ والثانية ان تستيقظ لعمل آخرتك وتغتنم بقية اجلك بخير عملك فان من قصر امله واستقل اجله ﴾ اى اعتقده قليلا ﴿ حسن عمله ﴾ قال ابن شبرمة اذا كان البدن سقيما لم ينفعه الطعام واذا كان القلب مغرما لم تنفعه الموعظة ﴿ والثالثة ان يهون عليك نزول ماليس عنه محيص ويسهل عليك حلول ماليس الى دفعه سبيل فان من تحقق امرا توطأ ﴾ اى تهيأ ﴿ لحلوله فهان عليه عند نزوله وروى عن النبى صلى الله عليه وسلم انه قال لابى ذر ﴾ الغفارى رضى الله عنه ﴿ نبه بالتفكر قلبك ﴾ عن سنة الامل ونوم الغفلة ﴿ وجاف عن النوم جنبك ﴾ اى باعده عن مضجع النوم وقال الله تعالى تتجافى جنوبهم عن المضاجع يدعون ربهم خوفا وطمعا ومما رزقناهم ينفقون ﴿ واتق الله ربك وقال عمر بن الخطاب لابى ذر رضى الله عنهما عظنى فقال ارض بالقوت ﴾ وهو الغذاء الذى يقوم به بدن الانسان وفى الحديث اللهم اجعل رزق آل محمد فى الدنيا قوتا) اى بلغة تسد رمقهم وتمسك قوتهم بحيث لاترهقهم الفاقة ولايكون فيهم فضول يصل الى ترفه وتبسط ليسلموا من آفات الفقر والغنى ﴿ وخف من الفوت ﴾ فجأة واعدله عدة ﴿ واجعل صومك الدنيا وفطرك الموت ﴾ والصوم هنا على معناه اللغوى وهو الامساك مطلقا ﴿ وقال عمر بن عبد العزيز رضى الله عنه مارأيت يقينا لاشك فيه اشبه ﴾ مفعول ثان لرأيت ﴿ بشك لايقين فيه ﴾ اصلا ﴿ من يقين نحن فيه ﴾ ومن تفضيلية ﴿ فلئن كنا ﴾ واللام موطئة للقسم المحذوف ﴿ مقرين ﴾ الموت ومابعده من الاهوال ﴿ انا لحمقى ﴾ حيث نعلم ولا نعمل لها ﴿ ولئن كنا جاحدين ﴾ ومنكرين لها ﴿ انا لهلكى ﴾ لانكار نا جميع الكتب السماوية يعنى لاتخلو حالنا من هذين الشقين والثانى باطل بالبداهة لانا اهل قرآن فتعين الاول وجميع افعال الاحمق احمق فيكون يقينه اشبه بشك وقوله حمقى جمع احمق حمل على مرضى كما ان هلكى جمع هالك حمل عليه للمناسبة المعنوية ﴿ وقال الحسن البصرى رحمة الله عليه ﴾ يا ابن آدم ﴿ نهارك ضيفك فاحسن اليه فانك ان احسنت اليه ارتحل بحمدك وان اسأت اليه ارتحل بذمك وكذلك ليلك وقال الجاحظ فى كتاب البيان ﴾ قال ابو الحسن ﴿ وجد مكتوبا فى

حجر يا ابن آدم لورأيت يسير مابقي من اجلك لزهدت في طويل ماترجو من املك ولرغبت في الزيادة من عملك ولقصرت من حرصك وحيلك وانما يلقاك غدا ندمك لو زلت بك قدمك واسلمك ﴾ اى باعك بالسلم وهو عبارة عن تعجيل النقد وتأجيل المبيع ﴿ اهلك وحشمك وتبرأ منك القريب وانصرف عنك الحبيب ﴾ فلا انت الى اهلك بعائد ولا في عملك بزائد ﴿ولما حضر بشر بن منصور الموت فرح فقيل له اتفرح بالموت فقال اتجعلون قدومي على خالق ارجوه كمقامي مع مخلوق اخافه﴾ ومرض اعرابي فقيل له انك تموت قال واذا مت فالى اين اذهب قالوا الى الله قال فما كراهتي ان اذهب الى من لم ار الخير الامنه وقال بعض الشعراء * جزى الله عنا الموت خيرا فانه. ابر بنا من كل بر وارأف * يعجل تخليص النفوس من الاذى. ويدني من الدار التي هي اشرف ﴿ وقيل لابي بكر الصديق رضي الله عنه في مرضه الذي مات فيه لوارسلت الى الطبيب ﴾ داعيا لعلك تفيق فلو شرطية اوللتمني ﴿ فقال ﴾ ابو بكر رضي الله عنه ﴿ قد رآني ﴾ الطبيب ﴿ قالوا فما قال لك قال قال اني فعال لما اريد ﴾ ولم يتداو قال القسطلاني واما ما روى عن جماعة من الصحابة والتابعين من ترك التداوى فيحتمل ان يكون المريض قد كوشف بانه لايبرأ وعليه يحمل ترك الصديق التداوى اويكون مشغولا بخوف العاقبة ويحمل عليه ماروى ان ابا الدرداء قيل له ماتشتكي فقال ذنوبي ولبعضهم * قدمات كل نبيل . ومات كل فقيه * ومات كل شريف . وفاضل ونبيه * لايوحشنك طريق . كل الخلائق فيه * وقيل للجنيد ان ابا سعيد الخراز كان كثير التواجد عند الموت فقال لم يكن بعجيب ان تطير روحه اشتياقا ﴿ وقيل للربيع بن خثيم وقد اعتل ﴾ ويروى وقد افلج ﴿ ندعو لك بالطبيب قال قد اردت ذلك فذكرت ﴾ بقلبي ﴿ عادا وثمود واصحاب الرس ﴾ قوم كانوا يعبدون الاصنام فبعث الله اليهم شعيبا فكذبوه فبينماهم حول الرس وهي البئر الغير المطوية فانهارت فخسفت بهم وبدارهم ﴿ وقرونا بين ذلك كثيرا ﴾ لايعلمها الاالله اقتباس من آية الفرقان وعادا وثمود الآية ﴿ وعلمت انه كان فيهم الداء والمداوى فهلكوا جميعا ﴾ ثم قال هذا المفرد * هلك المداوى والمداوى والذى . جلب الدواء وباعه والمشترى * واذا انقضت المدة لم تنفع العدة . واذا المنية انشبت اظفارها. الفيت كل تميمة لاتنفع وقال آخر * قدمات بقراط الحكيم برعشة . وبفالج قدمات افلاطون * وارسطاليس الحكيم مبرسما . هذا وجالينوسهم مبطون * وقال الخليل بن احمد * فكن مستعد الداعي الفناء . فان الذى هو آت قريب * وقبلك داوى المريض الطبيب . فعاش المريض ومات الطبيب ﴿ وسئل انو شروان متى يكون عيش الدنيا الذ قال اذا كان الذى ينبغي ان يعمله في حياته معمولا وقال بعض الحكماء من ذكر المنية نسي الامنية وقال بعض الادباء عن الموت ﴾ اى عن ذكره ﴿ تسل ﴾ امر من التسلي اى عن لذائذ الدنيا ﴿ وهو ﴾ اى ذلك التسلي ﴿ كريشة تسل ﴾ مضارع مجهول من السلول والريشة هي التي تكون في طرفي الجناحين كالاقلام تكون الطيران بها فاذا نتفت اوقطعت تلك الارياش انتفى الطيران يعني كما ان الطير المسلولة رياشه لايقدر على الطيران في الجو كذلك المذكر للموت لايقدر على المعاصي وهذا مأخوذ من قوله عليه السلام وقد قال رجل يارسول الله اوصني بشئ ينفعني الله به قال اكثر ذكر الموت يسلك عن الدنيا

وعليك بالشكر فان الشكر يزيد فى النعمة واكثر الدعاء فانك لاتدرى متى يستجاب لك ﴾ وقال بعض البلغاء الامل حجاب الاجل ﴾ يحجبه ويخيله بعيدا وليس ببعيد ﴾وانشد بعض اهل الادب ماذكر انه لعلى بن ابى طالب رضى الله عنه ﴾ من الوافر ﴾ ولو انا اذا متنا تركنا ﴾ اى لو ثبت متروكيتنا على تقدير موتنا ﴾ لكان الموت راحة كل حى ﴾ لامنه من مصائب الزمان وتحصنه من سهام الدهر ولذا قال البهاء العاملى * ان هذا الموت يكرهه . كل من يمشى على الغبرا * وبعين العقل لو نظروا . لرأوه الراحة الكبرى ﴾ ولكنا اذا متنا بعثنا ﴾ بالبناء للمفعول ﴾ ونسئل بعدذا عن كل شئ ﴾ بابدال الهمزة ياء وادغامها فى الياء لضرورة القافية ﴾ وقال بعض الشعراء ﴾ من الطويل ﴾ الا انما الدنيا مقيل لراكب ﴾ اى كمحل قيلولة لمسافر والعلاقة المجاورة ﴾ قضى وطرا من منزل ثم هجرا ﴾ اى قضى المسافر حاجته فيها ثم ارتحل فى الهاجرة ﴾ وراح ولا يدرى علام قدومه ﴾ وفى اكثر النسخ على ما باثبات الف ما ﴾ الا كل ما قدمت ﴾ من خير ﴾ تلقى موفرا ﴾ بعشر امثالها الى سبعمأة ضعف او بغير حساب فلا تعلم نفس ما اخفى لهم من قرة اعين وقد روى البخارى والترمذى عن ابى هريرة ان النبى صلى الله عليه وسلم قال ان الله يقبل الصدقة ويأخذها بيمينه) كناية عن حسن قبولها لان الشئ المرضى يتلقى بالقبول باليمين عادة وقيل المراد بيمين الله سبحانه كف الذى يدفع اليه الصدقة واضافته الى الله اضافة ملك واختصاص لوضع الصدقة فيها لله تعالى (فيربيها لصاحبها) بمضاعفة الاجر والمزيد فى الكمية (كما يربى احدكم فلوه) بضم الفاء واللام وتشديد الواو المهر حين يفطم وهو صغير الخيل وهو تمثيل لزيادة التفهيم وخصه لانه يزيد زيادة بينة (حتى ان التمرة) المتصدقة (تكون مثل الجبل) لتثقل فى ميزانه كما فى القسطلانى ﴾ وروى سعيد بن مسعود رضى الله عنه ان ابا الدرداء رضى الله عنه قال يارسول الله اوصنى فقال اكسب طيبا واعمل صالحا ﴾ وهذا من عطف المسبب على السبب لان الجسد المتغذى بالحرام لايعمل الصالحات كما لاينبت الشعير الحنطة ﴾ واسئل الله تعالى رزق يوم بيوم ﴾ كالايطلب عبادته الا كذلك ﴾ واعدد نفسك من الموتى ﴾ التى لاتطلب غير كفنها وتخاف من الاهوال التى ترد اليها ﴾ وكتب الربيع بن خثيم ﴾ بنية التصغير ابو يزيد الثورى يروى عن ابن مسعود وابى ايوب وروى عنه خلق كثير وكان ثقة عابدا توفى سنة سبع وستين ﴾ الى اخ له ﴾ فى الله او فى النسب ﴾ قدم جهازك وافرغ من زادك ﴾ با كاله ﴾وكن وصى نفسك ﴾ ولاتنتظر من يدعو ويستغفر لك بعدك ﴾والسلام . وقال بعض السلف اصاب الدنيا من حذرها ﴾ ونال منها حظه ﴾ واصابت الدنيا من امنها ﴾ فاهلكته كما هو حال كل مخاصم ومقاتل ﴾ ومر محمد بن واسع رحمة الله عليه بقوم فقيل هؤلاء الزهاد فقال ماقدر الدنيا حتى يحمد من زهد فيها ﴾ لعله كان يرى الزهد من الجنة طالبا للرضاء والرؤية ولذا استحقر زهاد الدنيا ﴾ وقال بعض الحكماء السعيد من اعتبر بامسه واستظهر لنفسه ﴾ اى استعان بماله لها ﴾ والشقى من جمع لغيره وبخل على نفسه ﴾ بادخار المال وعدم صرفه فى وجوه القرب ﴾ وقال بعض البلغاء لاتبت ﴾ من البيتوتة ﴾ عن غير وصية ﴾ وهى لغة الايصال من وصى الشئ بكذا اوصله به لان الموصى وصل خير دنياه بخير عقباه وشرعا تبرع بحق مضاف الى ما بعد الموت ليس بتدبير ولا تعليق عتق وان التحقا

بها حكما فى حسابهما من الثلث كالتبرع المنجز فى مرض الموت او الملحق به قال الفقهاء وسببها ان يذكر بالخير فى الدنيا ونيل الدرجات العالية فى العقبى وهى مستحبة بمادون الثلث ان كان الورثة اغنياء او يستغنون بانصبائهم والا فتركها احب ولا تصح بمازاد على الثلث وروى البخارى عن ابى هريرة رضى الله عنه انه قال قال رجل للنبى صلى الله عليه وسلم يارسول الله اى الصدقة افضل قال) افضلها (ان تصدق وانت صحيح) اى سالم من مرض مخوف (حريص تأمل الغنى وتخشى الفقر) اى تقول فى نفسك لاتتلف مالك لئلا تصير فقيرا وقد تعمر طويلا (ولاتمهل حتى اذا بلغت) الروح بقرينة السياق (الحلقوم) مجرى النفس والمراد قاربت بلوغه اذلو بلغته حقيقة لم يصح شئ من تصرفاته (قلت لفلان كذا ولفلان كذا) كناية عن الموصى له وبه (وقد كان لفلان) اى وقد صار ماوصى به للوارث فيبطله ان شاء اذازاد على الثلث اواوصى به لوارث آخر وفى الحديث ان التصدق فى الصحة ثم فى الحياة افضل من صدقته مريضا وبعد الموت وفى الترمذى عن ابى الدرداء مرفوعا مثل الذى يعتق ويتصدق عند موته مثل الذى يهدى اذا شبع وعن بعض السلف انه قال فى بعض اهل الترفه يعصون الله فى اموالهم مرتين يبخلون بها وهى فى ايديهم يعنى فى الحياة ويسرفون اذا خرجت عن ايديهم يعنى عند الموت فان الشيطان ربما زين لهم الحيف فى الوصية ﴿ وان كنت من جسمك فى صحة ومن عمرك فى فسحة فان الدهر خائن ﴾ اى غادر يقال خانه اذا أوتمن فلم ينصح ﴿ وكل ماهو كائن ﴾ ومقدر فى علم الله تعالى ﴿ كائن ﴾ وواقع فى حينه فى هذا العالم فلعلك تموت فجأة وتنتظر اصحابك ان يتصدقوا عنك ويوفوا نذورك وهو مستحب لهم ان فعلوا ﴿ وقال بعض الشعراء ﴾ من البسيط ﴿ من كان يعلم ان الموت مدركه ﴾ ولوكان فى بروج مشيدة ﴿ و ﴾ ان ﴿ القبر مسكنه والبعث مخرجه ﴾ وفى رواية يخرجه ﴿ و ﴾ يعلم ايضا ﴿ انه بين جنات ستبهجه ﴾ اى سوف تسره يقال بهجه اذا اسره وفى رواية مزخرفة اى مزينة ومن شاهدها وعلم انها تزينت له يفرح بها فتتحدان معنى ﴿ يوم القيامة اونار ستنضجه ﴾ يقال نضج التمر واللحم اذا ادرك ﴿ وكل شئ سوى التقوى به سمج ﴾ اى قبيح به فالباء متعلق بسمج المتأخر والضمير عائد الى الموصول وجملة فكل شئ خبر من الموصول والفاء لتضمنه معنى الشرط ﴿ وما اقام عليه منه اسمجه ﴾ اى وكل شئ اقام عليه مما عدا التقوى اشده سماجة وقبحا ﴿ ترى الذى اتخذ الدنيا له وطنا . لم يدر ان المنايا سوف تزعجه ﴾ يعنى تعلم ان متخذ الدنيا وطنا لم يعلم ان الموت يقلعه من ذلك الوطن ويطرده منه يقال زعجه اذا اقلقه وقلعه من مكان اوطرده * قال عبدالله بن المعلم خرجنا من المدينة حاجا فاذا انا برجل من بنى هاشم قد رفض الدنيا واقبل على الآخرة فجمعتنى واياه الطريق فانست به وقلت له هل لك ان تعادلنى فان معى فضلا من راحلتى فجزانى خيرا وقال لواردت هذا لكان سهلا ثم انس الى فجعل يحدثنى فقال انا رجل من ولد العباس كنت اسكن البصرة وكنت ذا كبر شديد ونعمة طائلة ومال كثير وبذخ زائد فامرت يوما خادما لى ان يحشولى فراشا من حرير ومخدة بورد نثير ففعل فانى لنائم اذا بقمع وردة قد نسيه الخادم فقمت اليه فاوجعته ضربا ثم عدت الى مضجعى بعد اخراج القمع من المخدة فاتانى آت فى منامى فى صورة

قطيعة فهزنى وقال افق من غشيتك وانتبه من رقدتك ثم انشأ يقول * ياخل انك ان توسد لينا . وسدت بعداليوم صم الجندل * فامهد لنفسك صالحا تسعد به . فلتندمن غدا اذا لم تفعل * فانتبهت مرعوبا وخرجت من ساعتى هاربا الى ربى كما ترانى ثم انشأ يقول من كان يعلم الى آخر الابيات ﴿ وروى جعفر ﴾ الصادق ﴿ بن محمد ﴾ الباقر بن على زين العابدين بن حسين بن على بن ابى طالب رضى الله عنهم ﴿ عن جابر بن عبدالله ﴾ الانصارى السلمى المدنى احد الستة المكثرين روى له عن النبى صلى الله عليه وسلم الف حديث وخمسأة حديث واربعون حديثا مات بعد ان عمى سنة ثمان اواربع اوتسع وسبعين وصلى عليه ابان بن عثمان والى المدينة وهو آخر الصحابة موتا بالمدينة ﴿ رضى الله عنهما عن النبى صلى الله عليه وسلم انه قال فى بعض خطبه ايها الناس ان لكم نهاية فانتهوا الى نهايتكم ﴾ يقال انتهى الشئ اذا بلغ الى نهايته اى غايته وآخره ﴿ وان لكم معالم فانتهوا الى معالمكم ﴾ جمع معلم يقال هو معلم الخير اى مظنته والعلامة التى يستدل بها على الشئ يعنى ان الله تعالى يحب ان يراكم فى موضع وانتم بمراحل عنه فانتهوا اليه او توجهوا عليه ﴿ و ﴾ ايها الناس ﴿ ان المؤمن بين مخافتين اجل ﴾ بدل بعض من مخافتين ﴿ قد مضى لايدرى ما الله صانع فيه ﴾ اى صنع فيه ﴿ واجل قد بقى لايدرى ما الله قاض فيه ﴾ اى يقضى فيه وفى البيان بين عاجل قد مضى وبين آجل قد بقى ﴿ فليتزود العبد من نفسه لنفسه ومن دنياه لآخرته ﴾ ومن الشبيبة قبل الكبرة ﴿ ومن الحياة قبل الموت فان الدنيا خلقت لكم وانتم خلقتم للآخرة ﴾ قال ابن عمران واعلم ان الانسان لايحب شيئا الا ان يجانسه فى بعض طبائعه وان الدنيا جانست الانسان فى بعض طبائعه فاحبها بكله وقال * نراع بذكر الموت فى حال ذكره . وتعترض الدنيا فنلهو ونلعب * ونحن بنوا الدنيا خلقنا لغيرها . وما كان منها فهو شئ محبب ﴿ فوالذى نفس محمد بيده ما بعد الموت من مستعتب ﴾ قال الله تعالى وان يستعتبوا فماهم من المعتبين اى ان يسئلوا العتبى وهى الرجوع الى الدنيا ليعملوا صالحا فلا يستجاب لهم ويقال استعتبته فاعتبنى اى استرضيته فارضانى ﴿ ولا بعد الدنيا دار الا الجنة اوالنار وقال الحسن البصرى رحمة الله عليه امس اجل واليوم عمل وغدا امل فاخذ ابوالعتاهية هذا المعنى فنظمه شعرا وقال ﴾ من الخفيف ﴿ ليس فيما مضى ولا فى الذى يأ . تيك من لذة لمستحليها ﴾ يقال استحلاه اذا عده حلوا ﴿ انما انت طول عمرك ماعمـ ـرت فى الساعة التى انت فيها ﴾ وهى الحال ﴿ علل النفس بالكفاف والا . طلبت منك فوق مايكفيها ﴾ يقال علله بطعام او غيره اذا شغله به وفى كتاب للهند لاينبغى للمتلمس من عيشه الا الكفاف الذى يدفع به الحاجة عن نفسه وماسوى ذلك فانما هو زيادة على غمه وقال ابوذؤيب * والنفس راغبة اذا رغبتها . واذا ترد الى قليل تقنع ﴿ وقيل لزاهد مالك تمشى على العصا ولست بكبير ولا مريض فقال انى اعلم انى مسافر وانها دار بلغة ﴾ بضم فسكون القوت والكفاف ﴿ وان العصا من آلة السفر فاخذه بعض الشعراء فقال ﴾ من الطويل ﴿ حملت العصا لا الضعف اوجب حملها . على ولا انى تحنيت من كبر ﴾ يقال حنى الشئ اوحناه فانحنى اوفتحنى اى انعطف ﴿ ولكننى الزمت نفسى حملها . لاعلمها انى مقيم على سفر * وقال بعض المتصوفة الدنيا ساعة فاجعلها طاعة ﴾ وقال الفقيه الباجى * اذا كنت

ترجمه ساعت واحده در عمر جهان . ساعتی طاعته صرف ايله عمان . منه

اعلم علما يقينا . بان جميع حياتى كساعة * فلم لا اكون ضنينا بها . واجعلها فى صلاح وطاعة
﴿ وقال ذوالقرنين عليه السلام رتعنا ﴾ يقال رتع اذا اكل وشرب ماشاء فى خصب وسعة
﴿ فى الدنيا جاهلين وعشنا فيها غافلين واخرجنا منها كارهين ﴾ اى ونخرج ﴿ وقال
عبدالحميد المرء اسير عمر يسير ﴾ ولبعضهم * واذا كان منتهى العمر موتا . فسواء طويله والقصير
﴿ وقيل فى بعض المواعظ عجبا لمن يخاف العقاب كيف لايكف عن المعاصى وعجبا لمن
يرجوا الثواب كيف لايعمل وقال بعض الحكماء المسئ ميت وان كان فى دار الحياة والمحسن
حى وان كان فى دار الاموات وكل ﴾ رهين ﴿ بالاثر ﴾ اى يذكر بهفى ﴿ يومه اوغده ﴾
وفى الجامع الصغير عن ابى هريرة اذامات الانسان انقطع عمله) اى فائدة عمله وتجديد ثوابه
(الا من ثلاث) فان ثوابها لاينقطع بل هو دائم متصل النفع (صدقة جارية) وفى رواية
دارة اى متصلة كوقف (اوعلم ينتفع به) كتعليم وتصنيف قال التاج السبكى والتصنيف اقوى
لطول بقائه على ممر الزمان وارتضاه المؤلف (اوولد صالح) اى مسلم (يدعوله) لانه السبب
فى وجوده وفائدة التقييد بالولد مع ان دعاء غيره ينفعه تحريض الولد على الدعاء لاصله وورد
فى احاديث اخر زيادة على الثلاثة وتتبعها المؤلف فبلغت حد عشر ونظمها فى قوله * اذا
مات ابن آدم ليس يجرى . عليه من فعال غير عشر * علوم بثها ودعاء نجل . وغرس النخل
والصدقات تجرى * وراثة مصحف ورباط ثغر . وحفر البئر واجراء نهر * وبيت للغريب
بناه يأوى . اليه او بناء محل ذكر * وتعليم لقرآن كريم . فخذها من احاديث بحصر ﴿ وقال
بعض السلف الله المستعان ﴾ استعينه واعوذبه ﴿ على السنة تصف وقلوب تعرف واعمال
تخالف ﴾ وفى الحديث اللهم انى اعوذ بك من علم لاينفع ومن قلب لايخشع ومن نفس
لاتشبع ومن دعوة لايستجاب لها على مارواه مسلم عن زيدبن ارقم ﴿ وقال آخر الليل
والنهار يعملان فيك ﴾ عملهما من النمو والتوقف والانحطاط والافناء ﴿ فاعمل فيهما ﴾
مايسعدك ويخلد ذكرك ولبعضهم * ياراقد الليل مسرورا باوله . ان الحوادث قد يطرقن
اسحارا * افنى القرون التى كانت منعمة . كر الجديدين اقبالا وادبارا * كم قد ابادت صروف
الدهر من ملك . قد كان فى الدهر نفاعا وضرارا * يامن يعانق دنيا لابقاء لها . يمسى
ويصبح فى دنياه سفارا * هلا تركت من الدنيا معانقة . حتى تعانق فى الفردوس ابكارا
ان كنت تبغى جنان الخلد تسكنها . فينبغى لك ان لاتأمن النارا ﴿ وقال آخر اعملوا
لآخرتكم فى هذه الايام التى تسير كأنها تطير ﴾ كظل الغمام ﴿ وقال آخر الموت
قصاراك ﴾ بالضم اى مبلغ جهدك وغايتك ﴿ فخذ من دنياك لاخراك وقال آخر ﴾ يا﴿ عباد الله
الحذر الحذر ﴾ منصوب على الاغراء اى لازم الحذر ﴿ فوالله لقدستر ﴾ المعاصى ﴿ حتى
كأنه قدغفر ولقد امهل ﴾ جزائها ﴿ حتى كأنه قد اهمل وقال آخر الايام صحائف اعمالكم
فخلدوا فيها اجمل اعمالكم ﴾ وفى كتب الفارسية صفحات ايام صحائف اعمارست دران
منويسيد جز آنكه بهترين اعمالست فنى اعمالكم تصحيف النهى ﴿ وقيل فى منثور الحكم
اقبل نصح المشيب وان عجل ﴾ وظهر قبل او انه لانه نذير الموت قال الحريرى * الام
تهوونى . ومعظم العمرفنى . فيما يضر المقتنى . ولست بالمرتدع * اما ترى الشيب وخط

وخط فى الرأس خطط . ومن يلح وخط الشمط . بفوده فقد انى * اى تحدث بموته
وقال الالبيرى الشيب نبه ذا النهى فتنبها . ونهى الجهول فما استقام ولا انتهى * يا ويحه
ما باله لا ينتهى . عن غيه والعمر منه قد انتهى ﴿ وقيل ماطلعت شمس الاوعظت بامس وقال
محمد بن بشير رحمه الله ﴾ من الطويل ﴿ مضى امسك الادنى ﴾ صفة امس ﴿ شهيدا معدلا ﴾
ومزكا ﴿ ويومك هذا بالفعال شهيد * فان تك بالامس اقترفت اساءة ﴾ اى ارتكبتها وعملتها
﴿ فثن ﴾ تلك الاساءة ﴿ باحسان ﴾ واصحابه ﴿ وانت حميد ﴾ محمود الافعال مرضى الاعمال
﴿ ولا ترج فعل الخير منك الى غد ﴾ اى لا تؤخره اليه يقال ارجى الامر وارجأه اذا اخره
﴿ لعل غدا يأتى وانت فقيد ﴾ من الدنيا ﴿ وروى ابو هريرة رضى الله عنه ﴾ كما روى عنه
الترمذى ﴿ عن النبى صلى الله عليه وسلم انه قال مارأيت مثل الجنة نام طالبها ﴾ الجملة حال ان
لم تكن رأيت من افعال القلوب والا فهى مفعول ثان اى وليس هذا شأن الطالب بل طريقه
ترك النوم والاكثار من الاعمال الصالحة ﴿ ومارأيت مثل النار نام هاربها ﴾ قال المناوى اى
النار شديدة والخائفون منها نائمون غافلون وليس هذا شان الهارب بل طريقه ان يهرب
من المعاصى الى الطاعات ﴿ وقال عيسى بن مريم عليه السلام الا ان اولياء الله الذين لا خوف
عليهم ولاهم يحزنون الذين نظروا الى باطن الدنيا حين نظر الناس الى ظاهرها والى آجل
الدنيا حين نظر الناس الى عاجلها فاماتوا منها ﴾ من الدنيا ﴿ ماخشوا ان يميت ﴾ ذلك الشئ
الذى اماتوه ﴿ قلوبهم ﴾ ويقسيهم لولا اماتتهم ﴿ وتركوا منها ماعلموا انه سيتركهم ﴾ من
متاع الدنيا ﴿ وقال عمر بن الخطاب رضى الله عنه الناس طالبان يطلبان فطالب يطلب الدنيا
فارفضوها ﴾ اى فاتركوها معلقا ﴿ فى نحره ﴾ مطوقا بها ﴿ فانه ﴾ اى ذلك الطالب ﴿ ربما
ادرك الذى يطلبه منها فهلك بما اصاب منها ﴾ من حسابها وعقابها او من حرصه عليها
وبخله بها كما قال الله تعالى ومنهم من عاهد الله لئن آتانا من فضله لنصدقن ولنكونن من الصالحين
فلما آتيهم من فضله بخلوا به وتولوا وهم معرضون ﴿ وطالب يطلب الآخرة فاذا رأيتم طالبا
يطلب الآخرة فنافسوه فيها ﴾ اى شاركوه وسابقوه كما قال الله تعالى وفى ذلك فليتنافس المتنافسون
ولبعض العارفين * تشاغل قوم بدنياهم . وقوم تخلوا لمولاهم * فالزمهم باب رضوانه . وعن
سائر الخلق اغناهم * قال ابن مسعود رضى الله عنه ولم اكن اظن احدا من اصحاب النبى صلى الله
عليه وسلم يحب الدنيا حتى نزل قوله تعالى منكم من يريد الدنيا ومنكم من يريد الآخرة ولما سمع
الشبلى رحمه الله قال آه فاين من يريد الله واجيب عنه بلسان العبارة ان من يريد الاخرة هو
من يريد الله لقوله تعالى والله يريد الآخرة و بيان الاشارة فكأنه سبحانه وتعالى يقول ان
من يريد الله فهو ليس منكم بل منافى دنياه وعقباه ومستغرق فينا فى مقام الاحسان المعبر
عنه بان تعبد الله تعالى كأنك تراه مشتغلا بمولاه معرضا عما سواه فانيا عن غيرنا باقيا بنا لا ينظر
الى دنيا ولا الى اخرى وهذا معنى قول بعضهم الدنيا حرام على اهل الاخرة والآخرة حرام
على اهل الدنيا وهما حرامان على اهل الله وهذا محمل قوله عليه الصلاة والسلام اكثر اهل الجنة
البله وعليون لاولى الالباب والله اعلم بالصواب كذا افاده على القارئ ﴿ ودخل ابو الدرداء
رضى الله عنه الشام فقال يا اهل الشام اسمعوا قول اخ ناصح فاجتمعوا عليه فقال مالى اراكم

(تبنون)

تبنون مالا تسكنون ﴾ بل عن قريب منه راحلون والمراد مازاد على قدر الحاجة ﴿ وتجمعون مالا تأكلون ﴾ اى مايزيد على كفايتكم ﴿ ان الذين كانوا قبلكم بنوا مشيدا واملوا بعيدا وجمعوا كثيرا فاصبح ﴾ اى صار ﴿ املهم غرورا وجمعهم ثبورا ﴾ اى هلاكا وخسرانا ﴿ ومساكنهم قبورا ﴾ وقال قطرى بن الفجاءة فى خطبة طويلة الستم فى مساكن من كان اطول منكم اعمارا واعد عديدا واوضح آثارا وا كثر جنودا واعد عتادا واطول عمادا تعبدوا للدنيا اى تعبد وآثروها اى ايثار وظعنوا عنها بالكره والصغار فهل بلغكم ان الدنيا اسمحت لهم نفسا واغنت عنهم بحيلة بل ارهقتهم بالحوادث وضعضعتهم بالنوائب ودهمتهم بالمصائب ارأيتم مكرها بمن دان لها وآثرها واخلد اليها يقول الله تعالى من كان يريد الحياة الدنيا وزينتها نوف اليهم اعمالهم فيها وهم فيها لا يبخسون اولئك الذين ليس لهم فى الآخرة الا النار وحبط ما صنعوا فيها وباطل ما كانوا يعملون انتهى وقيل * ارى طالب الدنيا وان طال عمره . ونال من الدنيا سرورا والعما * كبان بنى بنيانه فاقامه . فلما استوى ما قد بناه تهدما ﴿ وقال ابو حازم ان الدنيا غرت اقواما فعملوا فيها بغير الحق فعاجلهم الموت فخلفوا اموالهم لمن لايحمدهم وصاروا ﴾ وانتقلوا ﴿ الى من لايعذرهم وقد خلقنا بعدهم فينبغى ان ننظر للذى كرهنا منهم فنجتنبه ﴾ وهو جمعهم المال مع عدم انتفاعهم به ﴿ و ﴾ ننظر ﴿ الذى غبطناهم به فنستعمله ﴾ من الاحدوثة الحسنة وفى الاحياء وقد روى ان عيسى عليه السلام كوشف له بالدنيا فرآها فى صورة عجوزة هتماء عليها من كل زينة فقال لها كم تزوجت قالت لااحصيهم قال فكلهم مات عنك ام كلهم طلقك قالت بل كلهم قتلت فقال عيسى عليه السلام بؤسا لازواجك الباقين كيف لا يعتبرون بازواجك الماضين كيف تهلكينهم واحدا بعد واحد ولا يكونون منك على حذر انتهى وقال ابن الرومى * الى الزهاد فى الدنيا . جنان الخلد تشتاق * عبيد من خطاياهم . الى الرحمن اباق * حدتهم نحوه الرغبة . مع الرهبات فاشتاقوا * عليهم حين تلقاهم . سكينات واطراق * يضجون الى الله . ودمع العين مهراق * مليك الملك هل مما . تطوقناه اطلاق * فنى اعناقنا طرا . من الآثام اطواق ﴿ ومر بعض الزهاد بباب ملك فقال باب جديد وموت عتيد) حاضر (وسفر بعيد ومر بعض الزهاد برجل قد اجتمع عليه الناس فقال ماهذا ﴾ الاجتماع ﴿ قالوا مسكين سرق منه رجل جبة ومر به آخر فاعطاه جبة فقال ﴾ ذلك البعض ﴿ صدق الله ﴾ العظيم ﴿ ان سعيكم لشتى ﴾ يأخذ بعضكم دناءة ويعطى بعضكم كرامة ﴿ وقال بعض الحكماء ما انصف من نفسه من ايقن بالحشر والحساب وزهد فى الاجر والثواب ﴾ قال هارون الرشيد للفضيل بن عياض ما اشد زهدك فقال يا امير المؤمنين انت ازهد منى لانى زهدت فى فان وانت زهدت فى باق لايفنى وقال بعض الحكماء لاشئ انفس من الحياة ولاغبن اعظم من انفادها لغير حياة الابد ﴿ وقال آخر بطول الامل تقسو القلوب وباخلاص النية تقل الذنوب * وقال ﴾ بعض ﴿ آخر اياك والمنى فانها من بضائع النوكى ﴾ جمع انوك مثل احمق لفظا ومعنى ﴿ وتثبط عن الآخرة والا ولى ﴾ يقال ثبطه تثبيطا قعد به عن الامر وشغله عنه ومنعه تخذيلا اى ومع ذلك تشغلك عن امورها ﴿ وقال آخر قصر املك فان العمر قصير واحسن سيرتك فان البر

يسير وقال عبدالله بن المعتز رحمه الله ﴾ من الطويل ﴿ نسير الى الآجال فى كل ساعة . وايامنا تطوى وهن مراحل ﴾ جمع مرحلة اى كمراحل المسافر ومنازله ﴿ ولم ار مثل الموت حقا كأنه . اذا ﴾ اى كأن الحق حين حضور الموت ﴿ ماتخطته الا مانى باطل ﴾ اى بطلان ماتجاوزته الا مانى وتعلقته بغاية الحق عليها كما قال آخر. تموت مع المرء حاجاته ﴿ وما اقبح التفريط فى زمن الصبا فكيف به والشيب فى الرأس نازل ﴾ وفى رواية شاعل وفى الجامع الصغير من اتت عليه ستون سنة فقد اعذرالله اليه فى العمر اى ازال عذره والمعنى انه لم يبق له اعتذار كأن يقول لومدلى فى الاجل لفعلت ما امرت به وفى تذكرة القرطبى ورد فى الحديث ما من يوم تطلع شمسه الا وملك الموت ينادى يا ابناء الاربعين هذا وقت اخذ الزاد اذهانكم حاضرة واعضاءكم قوية شديدة يا ابناء الخمسين قددنا الاخذ والحصاد يا ابناء الستين قد نسيتم العقاب وسوء الحساب اولم نعمركم مايتذكر فيه من تذكر وجاءكم النذير وكان الطبرى يقول النذير فى هذه الآية هو الشيب وروى ان الله تعالى ينظر فى وجه الشيخ كل يوم خمسين مرة فيقول يا ابن آدم كبر سنك ووهن عظمك واقترب اجلك فاستحى منى فانى استحى ان اعذب ذاشيبة وانشدوا * رأيت الشيب فى نذر المنايا . يذكرنى بعمرلى قصير * تقول النفس غير لون هذا . عساك تطيب فى عمر يسير * فقلت لها المشيب نذير عمرى . ولست مسودا وجه النذير ﴿ ترحل عن الدنيا بزاد من التقى . فعمرك ايام تعد قلائل * وكان عبدالملك بن مروان يتمثل بهذين البيتين ﴾ من الكامل ﴿ فاعمل على مهل فانك ميت ﴾ يعنى اعمل للدنيا على تأن ورفق دون حرص وعجلة فانك تموت ﴿ واكدح لنفسك ايها الانسان ﴾ يقال كدح فى العمل اذا سعى وعمل لنفسه خيرا اوشرا ﴿ فكأن ماقد كان لم يك اذ مضى . وكأن ماهو كائن قدكان ﴾ بضم النون لضرورة القافية يعنى ماوجد من الدنيا كأن لم يوجد لمضيه ولذته وما سيوجد منها فكأنما وجدت اذ لايكون الآتى الامثل الماضى ففيم الحرص على ظل قالص ومقيل انت عنه غدا شاخص ﴿ ونظر سليمان بن عبدالملك فى مرآة فقال انا الملك الشاب فقالت جارية له ﴾ من الخفيف ﴿ انت نعم المتاع لوكنت تبقى . غير ان لابقاء للانسان ﴾ يعنى انت فائدة حسنة ومنفعة عظيمة لوكان لك بقاء لكن لابقاء لفرد من الانسان ﴿ ليس فيما بدالنا منك عيب . كان فى الناس غير انك فان ﴾ وانت برئ من عيوب الناس وهى كونهم رعية مقهورين مع مابعضهم من الفاقة والهرم الا انك فان وفى الشريشى ان سليمان بن عبدالملك لبس فى يوم الجمعة لباسا شهرية ودعا بتخت فيه عمائم وبيده مرآة فلم يزل يعتم بواحدة بعد اخرى وارخى سدولها واخذ بيده مخصرة واعتلى منبره ناظرا فى عطفيه وجمع حشمه وقال انا الملك الشاب السيد الحجاب الكريم الوهاب فتمثلت له احدى جواريه فقال كيف ترين اميرالمؤمنين فقالت اراه منى النفس وقرة العين لولا ماقال الشاعر انت نعم المتاع البيتين فدمعت عيناه وخرج على الناس باكيا فلما فرغ من صلاته ودعا بالجارية فقال ما حملك على ماقلت قالت والله مارأيتك ولادخلت عليك فاكبر ذلك وقال نعيت الى نفسى ودعا بقية جواريه فصدقنها على ذلك فراعه ذلك ولم يبق الا مديدة حتى مات وقال الفضل بن الربيع كنت مع المنصور فى السفر الذى مات فيه فنزلنا بعض المنازل فدعانى وهو فى قبة الى حائط

وقال الم انهكم ان تدعوا العامة تدخل هذه المنازل فيكتبون فيها مالا خير فيه قلت وماهو قال الاترى ماعلى الحائط مكتوبا * ابا جعفر حانت وفاتك وانقضت . سنوك وامرالله لابد نازل * ابا جعفر هل كاهن او منجم . يرد قضاءالله أم انت جاهل * فقلت والله ماعلى الحائط شئ وانه لنقى ابيض قال الله قلت الله قال انها والله نفسى نعيت الى الرحيل بادربى الى حرم الله وامنه هـا ربا من ذنوبى واسرافى على نفسى فرحلنا وثقل حتى بلغ بئر ميمون فقلت له قد دخلت الحرم قال الحمدلله وقبض من يومه ولما حضرته الوفاة قال هذا السلطان لاسلطان من يموت ﴿ وروى عبدالعزيز بن عبدالصمد عن ابان ﴾ بتخفيف الباء ابن يزيد العطار البصرى سمع قتادة وغيره وروى عنه الطيالسى وحبان بن هلال ومسلم بن ابراهيم وغيرهم ﴿عن انس ﴾ بن مالك رضى الله عنه ﴿ قال خطبنا رسول الله صلى الله عليه وسلم على ناقته الجدعاء ﴾ كان لقب ناقته عليه السلام ولم تكن جدعاء وكان له ناقة تسمى العضباء و بغلته الشهباء وحماره يعفور وجاريته تسمى خضرة ﴿ فقال ايها الناس كأن الموت فيها على غير نا كتب ﴾ ونحن لانموت ابدا ﴿ وكأن الحق فيها على غيرنا وجب ﴾ ونحن لانسأل عما نفعل ﴿ وكأن الذى نشيع من الاموات ﴾ اى نشيعهم ونوصلهم الى منازلهم ﴿ سفر ﴾ جمع سافر كصحب وصاحب يقال قوم سفر اى ذوو سفر وقوم اسفار وسفار وسافرة باعتبار الجماعة ورجل سفر اى سافر ولايتصرف من هذا المعنى فعل من الثلاثى ﴿ عما قليل الينا راجعون ﴾ فلانعتبر بذهابهم ﴿ نبوئهم اجداثهم ﴾ اى ننزلهم قبورهم يقال بوأه منزلا اى انزله ﴿ ونأكل تراثهم ﴾ اى اموالهم المتروكة ويقال لها ميراث اصله موراث كأنها آلة لوراثة الوارث وأرث وتراث اصله وراث ابدلت التاء من الواو كافى تكلان ﴿ كأنا مخلدون بعدهم قدنسينا كل واعظة ﴾ من غسل الاموات وتشييعهم ودفنهم وغيرذلك ﴿وامنا كل جائحة﴾ اى كل آية مهلكة يقال جاحتهم السنة تجوح اذا اهلكتهم واستأصلتهم يعنى حالنا كذلك ومعلوم ان حال النبى صلى الله عليه وسلم ليس كذلك لكنه التى نفسه الشريفة المقدسة المكرمة فى تلك البحار اللجية لينقذ الغريق من امته عليه صلوات الله وسلامه وليكون امحض فى النصح ثم ارشدهم الى مافيه نجاتهم فقال ﴿طوبى﴾ اسم الجنة وقيل هى شجرة فيها وقيل مؤنث الطيب فلماضمت الطاء انقلبت الياء واوا اى راحة وطيب عيش حاصل ﴿لمن شغله﴾ اصلاح ﴿ عيبه عن ﴾ رؤية ﴿ عيب غيره وانفق من مال كسبه من غير معصية ورحم اهل الذل والمسكنة ﴾ اى عطف عليهم وواساهم بمقدوره ﴿ وخالط اهل الفقه والحكمة ﴾ اذ بمخالطتهم تحيى القلوب ﴿ طوبى لمن ادب نفسه ﴾ واذلها بلجام التقوى ﴿ وحسنت خليقته وصلحت سريرته ﴾ بصفاء التوحيد والثقة بوعده تعالى (وكرمت علانيته) اى ظهرت انوار سريرته على جوارحه فكرمت افعالها بمكارم اخلاقه (وعزل عن الناس شره) اى كفه عنهم ﴿طوبى لمن عمل بعلمه وانفق الفضل من ماله ﴾ اى صرف الزائد عن نفسه وعياله فى وجوه الخير ﴿ وامسك الفضل من قوله ﴾ اى صان لسانه عن النطق بما لايعنيه ﴿ ووسعته السنة ﴾ طريقة المصطفى صلى الله عليه وسلم وهديه ﴿ فلم يعدل عنها الى البدعة ﴾ وهذا الحديث كثير الفوائد فطوبى لمن عمل به كافى الجامع الصغير ﴿ وروى عن النبى صلى الله عليه وسلم

انه قال زوروا القبور تذكر وابها الآخرة ﴾ فزيارتها مندوبة للرجال بهذا القصد والاعتبار للزائر والانتفاع بدعائه للمزور فلا ينبغى ان يغفل الزائر عن الدعاء لنفسه وللميت وكان على رضى الله عنه اذا دخل المقبرة يقول السلام عليكم دار قوم مؤمنين وانا ان شاء الله بكم لاحقون اللهم اغفرلنا ولهم واعف عنا وعنهم ثم يقول الحمد لله الذى جعل الارض كفاتا احياء واموانا منها خلقنا واليها معادنا وعليها محشرنا طوبى لمن ذكر المعاد وقنع بالكفاف ورضى عن الله ﴿ وغسلوا الموتى فانها معالجة الاجساد الخاوية وموعظة بليغة ﴾ اى الخالية من الخوف وموعظة لها يقال خويت الدار اذا خلت من اهلها ﴿ وحفر الربيع بن خثيم فى داره قبرا فكان اذا وجد فى قلبه قسوة جاء فاضطجع فى القبر فمكث ماشاء الله ثم يقول ﴾ مصورا فى نفسه لما بعد الموت من التحسر على ترك الطاعة ومقتبسا من قوله تعالى (حتى اذا جاء احدهم الموت) اى لايزالون على سوء الذكر ويستمرون عليه حتى اذا جاء احدهم اى احدكان الموت الذى لامرد له وظهرت احوال الآخرة (قال) تحسرا على مافرط فيه من الايمان والطاعة ﴿ رب ارجعون ﴾ اى ردنى الى الدنيا والواو لتعظيم المخاطب وقيل لتكرير قوله ارجعنى كما قيل فى قفانبك ونظائره ﴿ لعلى اعمل صالحا فيما تركت ﴾ اى فى الايمان الذى تركته والمعنى لعلى آتى بما تركته من الايمان واعمل فيه صالحا كما تقول لعلى ابنى على اس تريد اسس اسا وابنى عليه وقيل فيما تركته من المال اومن الدنيا كما فى الكشاف ﴿ ثم يرد ﴾ جوابه ﴿ على نفسه فيقول قد ارجعتك فجدى ﴾ ايتها النفس واخلصى ﴿ فمكث كذلك ماشاء الله ﴾ مكثه فى الدنيا وقال الحسن البصرى لرجل حضر جنازة اتراه لورجع الى الدنيا لعمل صالحا قال نعم قال فان لم يكن هو فكن انت ﴿ وقال ابو محرز الطفاوى كفتك القبور مواعظ الامم السالفة ﴾ بدل اشتمال من القبور او حال وفى العزيزى قال العلقمى قال شيخنا اخرج ابن ابى الدنيا فى كتاب القبور بسند فيه متهم عن عمر بن الخطاب رضى الله عنه انه مر بالبقيع فقال السلام عليكم يااهل القبور اخبار ماعندنا ان نساءكم قد تزوجن ودياركم قد سكنت واموالكم قد فرقت فاجابه هاتف ياعمر بن الخطاب اخبار ماعندنا ان ماقدمناه فقد وجدناه وماانفقناه فقد ربحناه وماخلفناه فقد خسرناه ﴿ وقيل لبعض الزهاد ماابلغ العظات ﴾ جمع عظة ﴿ قال النظر الى محلة الاموات ﴾ وقربتهم ﴿ فاخذه ابو العتاهية فقال ﴾ من الكامل ﴿ وعظتك اجداث صمت ﴾ جمع صامت ﴿ ونعتك ﴾ اى اخبر بموتك يقال نعاه له اذا اخبره بموته ﴿ ازمنة خفت ﴾ جمع خافت يقال خفت الرجل اذا سكت وخفت صوته اذا سكن يعنى تعظك القبور الصامتة وتنعيك الازمنة الخافتة بلسان الحال الذى هو اصدق وانطق من لسان المقال كما تقدم النصبة فى باب العلم ﴿ وتكلمت ﴾ تلك الاجداث اى بحثت وحكت ﴿ عن اوجه . تبلى وعن صور سبت ﴾ اى مقطوعة ومتفرقة يقال سبت الشئ اذا قطعه وسبت الرجل اى استراح وسكن ومما وجد على قبر * تناجيك اجداث وهن سكوت . وسكانها تحت التراب خفوت * ايا جامع الدنيا لغير بلاغة . لمن تجمع الدنيا وانت تموت ﴿ وارتك ﴾ اى القبور ﴿ قبرك فى الحيا . ة وانت حى لم تمت ﴾ بعد وقال ابن عبد ربه * ايا من عنده امل طويل . يؤديه الى اجل قصير * اتفرح والمنية كل يوم . تريك مكان قبرك فى القبور * ووجد مكتوبا على قبر * وقفت على

لم ينتظم الايمان فى الرجاء كسائر الاعمال الصالحة بان يقول لعلى أومن فاعمل الخ للاشعار بانه امر مقرر الوقوع غنى عن الاخبار بوقوعه قطعا فضلا عن كونه مرجو الوقوع اى لعلى اعمل فى الايمان الذى آتى به البتة عملا صالحا كما فى ابى السعود منه

الاحبة حين صـفت . قبورهم كافراس الرهان * فلما ان بكيت وفاض دمعى . رأت عيناى بينهمو مكانى ﴿ ياشامتا بمنيتى ﴾ يقال شـمت اذا فرح ببلية العدو ﴿ ان المنية لم تفت ﴾ فتأهب انت لاخرى ﴿ فلربما انقلب الشما . ت فحل بالقوم الشمت ﴾ وعن ابى حيان قال قال لقمان نقلت الصخور وحملت الحديد فلم ارشيئا اثقل من الدين واكلت الطيبات وعانقت الحسان فلم ارشيئا الذ من العافية وانا اقول لونزحوا البحار وكنسوا القفـار لوجدوها اهون من شماتة الاعداء خصوصا اذا كانوا مساهمين فى نسب او مجاورين فى بلد اللهم انا نعوذ بك من تتـابع الاثم وسوء الفهم وشماتة ابن العم وقيل لايوب عليه السـلام اى شئ كان فى بلائك عليك اشد قال شماتة الاعداء وقال الجاحظ مارأيت سـنانا انفذ من شماتة الاعداء وانشـد * تقول العاذلات تسل عنها . وداو عليل قلبك بالسلو * وكيف ونظرة منها اختلاسـا . الذمن الشماتة بالعدو ﴿ ووجد على قبر مكتوبا قهرنا من قهرنا ﴾ ضمير المتكلم مفعول فى الموضعين واتيان المسند اليه باسم موصول للتفخيم كما فى فغشيهم من اليم ماغشيهم ﴿ فصرنا للناظرين عبرة ﴾ فاعتبروا بنا ﴿ و ﴾ وجد ﴿ على آخر من امل البقاء وقد رأى مصارعنا فهو مغرور ﴾ قال عمر بن عبدالعزيز رضى الله عنه * انظر لنفسك يامسكين فى مهل . مادام ينفعك التفكير والنظر * قف بالمقابر وانظر ان وقفت بها . لله درك ماذا تستر الحفر * ففهم لك يامغرور موعظة . وفيهم لك يامغتر معتبر * وقال مالك بن دينار مررت بالمقابر فانشـأت اقول * اتيت القبور فناديتها . فاين المعظم والمحتقر * واين المدل بسـلطانه . واين المزكى اذا ماافتخر * فنوديت من بينهم لاارى . شخوصـالهم ولا من اثر * تفـانوا جميعا فلا مخبر . وماتوا جميعا ومات الخبر * فياسائلى عن اناس مضوا . اما لك فيما ترى معتبر * تروح وتغدو بنات الثرى . وتمحى محاســن تلك الصـور ﴿ وقيل فى منثور الحكم ما اكثر ﴾ فمل تعجب ﴿ من يعرف الحق ولا يطيعه ﴾ وقال ابوالعتاهية * اصبحت الدنيا لنـا فتنة . والحمدلله على ذلكا * واجمع الناس على ذمها . ولا ارى منهم لها تاركا ﴿ وقال بعض الحكماء من لم يمت لم يفت ﴾ عنه تدارك الهفوات بالكلية قال الحافظ * اى دل شباب رفت ونچيدى كلى زعمر . پيرانه سر بكن هنرى ننك ونامرا * وقال السـعدى * توپاك آمدى بهوش باش وپاك . كه ننكست ناپاك رفتن بخاك ﴿ وقال بعض الصلحاء لنا من كل ميت عظة بحاله وعبرة بماله ﴾ فحالنا تكون كحاله ومالنا كماله قيل لبعض الحكماء ماسـبب موت فلان قال كونه فالسـبب الحقيقى هوالوجود وغيره من العلل والامراض اسـباب عادية وقال الحسـن ابن آدم انت اسير الدنيا رضيت من لذاتها بما ينقضى ومن نعيمها بما يمضى تجمع لنفسك الا وزار ولا هلك الاموال فاذا مت حملت اوزارك الى قبرك وتركت اموالك لاهلك فاخذه ابوالعتاهية وقال * ابقيت مالك ميراثا لوارثه . ياليت شـعرى ماابقى لك المـال * القوم بعدك فى حال اسرهم . فكيف بعدهم دارت بك الحال * ملوا البكاء فما يبكيك من احد . واستحكم القيل فى الميراث والقال ﴿ وقال بعض العلماء من لم يتعظ بموت ولد لم يتعظ بقول احد ﴾ اذكان ثمرة قلبه وريحانة انفه فقد غاب عن عينيه من بقيه عن عينيه ولم يستعد للموت استعداد ابويه باستكماله العمر الطبيعى ﴿ وقال بعض البلغاء مانقصت ساعة من امسك الا ببضـعة من نفسك فاخذه

اى اولوم چيقديغى جانك نه ايدرسين عجله، واررقيبك اوينه بوكيجه آنده كيجه‌له منه

ابو العتاهية فقال ﴿ من المنسرح ﴾ ان مع الدهر فاعلمن غدا ﴿ اسم ان المؤخر وقوله فاعلمن لتكميل الوزن يعنى لا ينفد الايام الى يوم القيام ﴾ فانظر بما ينقضى مجئ غده ﴿ الباء للبدل والضمير للدهر ﴾ ماارتد طرف امرئ بلذته ﴿ اى ما انقلب طرفه بلذة ﴾ الا وشئ يموت من جسده ﴿ وهذا حال اللذة فكيف حال الكدر والغصة والبيت جواب سؤال تضمنه سابقه يعنى ان اقصر الزمان المعبر عنه بطرفة العين وسالفة الذباب لايمر مجانا بل ببدل من العمر وقال جحظة * ارى الا عياد تتركنى وتمضى . واوشك انها تبقى وامضى * علامة ذاك شيب قد علانى . وضعفى عند ابرامى ونقضى * وما كذب الذى قد قال قبلى . اذاما مر يوم مر بعضى * ارى الايام قد ختمت كتابى . واحسبها ستتبعه بفض ﴾ ولما مات الاسكندر ﴿ ندبه جماعة من الحكماء فقال ثاون انظروا الى حلم النائم كيف انقضى والى ظل الغمام كيف انجلى وقال آخر ماسافر الاسكندر بلا اعوان ولا عدة غير سفره هذا وقال آخر كان بالامس طلعته علينا حياة واليوم النظر اليه سقم و ﴾ قال بعض الحكماء كان الملك امس انطق منه اليوم وهو اليوم او عظ منه امس فاخذ ابو العتاهية هذا المعنى فقال ﴿ من الوافر * ايا من لى بانسك يا اخيا . ومن لى ان ابثك ماليا ﴾ كفى حزنا بدفنك ثم انى . نفضت تراب قبرك عن يديا ﴿ طوتك خطوب دهرك بعد نشر . كذاك خطوبه نشرا وطيا * فلو نشرت قواك لى المنايا . شكوت اليك ماصنعت اليا * بكيتك يا اخى بدموع عينى . فلم يغن البكاء عنك شيا ﴾ وكانت فى حياتك لى عظات . وانت اليوم اوعظ منك حيا * وقال بعض الحكماء لوكان للخطايا ريح ﴿ خبيثة فى الدنيا كما فى الآخرة ﴾ لافتضح الناس ﴿ اى لانكشف مساويهم ولايتكاتمون ﴾ ولم يتجالسوا فاخذ هذا المعنى ابو العتاهية فقال ﴿ وفى كشكول لما مات المهدى لبست جواريه مسوحا سودا وفى ذلك يقول ابو العتاهيه . من الرمل * رحن بالوشى واصبحن عليهن المسوح * كل نطاح وان عا . ش له يوم نطوح * بين عينى كل حى . علم الموت يلوح ﴾ احسن الله بنا ان الخطايا لاتفوح * فاذا المستور منا . بين ثوبيه فضوح ﴿ نح على نفسك يا مسكين ان كنت تنوح * لتموتن ولو عمرت ما عمر نوح ﴾ وهذا جميعه مأخوذ من قول النبى صلى الله عليه وسلم لوتكاشفتم ماتدافنتم ﴿ اى لو انكشف عيب بعضكم بعضا ماتكاتمتم من مساويكم شيئا . قال بعض الزهاد لصاحبه انى احبك فى الله فقال له لو علمت منى ما اعلم من نفسى لا بغضتنى فى الله وقال الزاهد بن عمران * خليلى لا يغرك منى ظاهرى . ومهما سئلت الله فاسأله لى صفحا * فلو كنت ذا علم كعلمى بباطنى . لاضربت عن ذكرى ايادى النهى صفحا * ولكن ارى الله الجميل بفضله فلم يفش لى سرا ولم يبدلى صفحا * وقال غيره * اراك على البطالة لاتبالى . حلا لا كان كسبك ام حراما * وتقطع طول عمرك بالتمنى . وبالتسويف عاما ثم عاما * ولو علم الخلائق سوء فعلى . لما ردوا على مثلى سلاما ﴾ وكتب رجل الى ابى العتاهية رحمه الله ﴿ من الرمل ﴾ يا ابا اسحق انى . واثق منك بودك ﴿ الصحيح الذى قال الله عز وجل فيه الاخلاء يومئذ بعضهم لبعض عدو الا المتقين ﴾ فاعنى ﴿ امر من الاعانة ﴾ بابى انت على غيى برشدك ﴿ اى افديك بابى ﴾ فاجابه ﴿ ابو العتاهية ﴾ بقوله * اطع الله بجهدك . راغبا اودون جهدك ﴿ لئلا تمل من العبادة وتدوم عليها بنشاط وسرور اخذ الاول من

(قول)

قوله تعالى فاتقوا الله حق تقاته والثانى من قوله فاتقوا الله ما استطعتم ﴿ اعط مولاك الذى تطـلب من طاعة عبدك ﴾ الذى ملكت رقبته من الاخلاص والاستقامة حبا واعظاما يعنى اعط ذلك لمولاك الذى خلقك ورزقك وعمرك ﴿ وقال بعض الحكماء من سره بنوه ﴾ بان ادركوا الشباب والكهولة وكانوا ابرارا وذوى اموال وبنين ﴿ ساءته نفسه ﴾ بحدوث الضعف والهرم ﴿ فاخذ هذا المعنى ابو العتاهية فقال ﴾ من الخفيف ﴿ ابن ذى الابن كلما زاد منه . مشرع ﴾ من نسبه كالاولاد والاحفاد واولادهم ﴿ زاد فى فناء ابيه ﴾ يعنى كلما زاد اعقاب المرء زاد فناؤه وهرمه ﴿ مابقاء الاب الملح عليه ﴾ اى الحريص على البقاء ﴿ بدبيب البلى شباب بنيه ﴾ الباء زائدة فى خبرما يعنى ليس بقاء الاب الحريص على البقاء بسريان الشيب والهرم الى ابنائه بل الباقيات هى الصالحات لاتضاعف الهرم ﴿ وفى معناه ماحكى عن زر بن حبيش انه عاش مأة وعشرين سنة فلما حضرته الوفاة انشد يقول ﴾ من الرجز ﴿ اذا الرجال ولدت اولادها ﴾ اى اذا ولدت اولاد الرجال ﴿ وارتعشت من كبر اعضادها ﴾ جمع عضد يعنى واهتزت من كبر مفاصل عظامها ﴿ وجعلت اسقامها تعتادها ﴾ اى وشرعت اسقامها التى كانت تعرض فى عام اواعوام مرة تعتاد عروضها وتخيم عندها ﴿ تلك ﴾ الرجال ﴿ زروع قددنا حصادها ﴾ اى قطعها عن منابتها وجمعها فى المداس يعنى فى المقابر وعن انس رضى الله عنه قال قال ملك الموت لنوح عليه السلام يا اطول النبيين عمرا كيف وجدت الدنيا قال كرجل دخل فى بيت له بابان فقام وسط البيت ساعة ثم خرج من الباب الثانى وقال التميمى * اذا كانت السبعون سنك لم يكن . لدائك الا ان تموت طبيب * وان امرأ قد سار سبعين حجة . الى منهل من ورده لقريب * اذا مامضى القرن الذى كنت فيهم . وخالفت فى قرن فانت غريب * اذا ماخلوت الدهر يوما فلاتقل . خلوت ولكن قل على رقيب ﴿ وكتب رجل الى صالح بن عبدالقدوس ﴾ قوله من البسيط ﴿ الموت باب وكل الناس داخله . فليت شعرى بعد الباب ما الدار * فاجابه صالح بقوله * الدار جنات عدن ان عملت بما . يرضى الاله وان خالفت فالنار ﴾ قوله يرضى من الارضاء اومن الرضوان فالعائد محذوف اى به وقوله فالنار خبر مبتدأ محذوف اى فالدار هى النار ﴿ هما محلان ماللناس غيرهما ﴾ يعنى للناس الذينهم عقلاء بالغون ووصل اليهم بعثة النبى صلى الله عليه وسلم فلا يرد ان الحصر منقوض بالاعراف ﴿ فانظر لنفسك ماذا انت تختار ﴾ يعنى فاختر ماتشاء وافاد المصنف رحمه الله بختم الباب بهذا البيت انا وان اغريناك على الاعمال الصالحة وحذرناك عن الافعال القبيحة ما اكرهناك على شئ منهما فمنا البيان ومنك الاختيار وماعلى الرسول الا البلاغ المبين ولبعضهم * ليس التصوف بالفوط . من قال ذاك فذا غلط * ان التصوف يافتى . صفو الفؤاد عن الشطط * وقال قيس بن عامر . تمنيت من ليلى على البعد نظرة . ليطفا جوى بين الحشا والاضالع * فقالت نساء الحى تطمع ان ترى . بعينيك ليلى مت بداء المطامع * وكيف ترى ليلى بعين ترى بها . سواها وما طهرتها بالمدامع * وتلتذ منها بالحديث وقد جرى . حديث سواها فى خروق المسامع * اللهم اقسم لنا من خشيتك مايحول بيننا وبين معاصيك ومن طاعتك ماتبلغنا به جنتك ومن اليقين ماتهون علينا مصائب

الدنيا ومتعنا باسماعنا وابصارنا وقوتنا ما احييتنا واجعله الوارث منا واجعل ثارنا على من ظلمنا وانصرنا على من عادانا ولاتجعل مصيبتنا فى ديننا ولاتجعل الدنيا اكبرهمنا ولا مبلغ علمنا ولاتسلط علينا من لايرحمنا برحمتك يا ارحم الراحمين وصلى الله على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه اجمعين والحمدلله رب العالمين

باب ادب الدنيا

﴿ اعلم ان الله تعالى لنافذ قدرته ﴾ اى مؤثرة فى جميع الممكنات والقدرة عند المتكلمين عبارة عن صحة الفعل والترك والجملة معلق عنها قائمة مقام مفعولى اعلم ﴿ وبالغ حكمته ﴾ وعلمه بجميع المعلومات اى الماهيات التى من شانها ان تكون معلومة كلية كانت اوجزئية موجودة اومعدومة لان الافعال المتقنة تدل على علم فاعلها ومن تفكر فى بدائع الآيات السماوية والارضية وفى نفسه وجد دقائق حكم تدل على كمال حكمة صانعها وعلمه الكامل كما قال الله تعالى سنريهم آياتنا فى الآفاق وفى انفسهم حتى يتبين لهم انه الحق اى الله الثابت فى الواقع ﴿ خلق الخلق بتدبيره وفطرهم بتقديره ﴾ جواب سؤال تضمنته الاولى ولذا فصلت عنها والخلق والفطرة بمعنى واحد وهو ايجاد الشئ ابتداء بلا مثال ﴿ فكان من لطيف مادبره ﴾ اى ادقه حكمة ﴿ وبديع ماقدره ﴾ اى غريبه سببا ﴿ انه خلقهم محتاجين ﴾ اليه تعالى فى مأكلهم وملبسهم ومسكنهم من حيث موادها والى جنسهم من حيث صورتها واحضارها ﴿ وفطرهم عاجزين ﴾ عن ايجاد المواد ﴿ ليكون بالغنى منفردا وبالقدرة مختصا ﴾ وممتازا عن الخلق قابل الاحتياج بالغنى والعجز بالقدرة ﴿ حتى يشعرنا بقدرته انه خالق ويعلمنا بغناه انه رازق فنذ عن بطاعته ﴾ اى نسرع اليها ويقال اذ عن له اى انقاد ﴿ رغبة ﴾ لغناه ﴿ ورهبة ﴾ من قدرته ﴿ ونقر بنقائصنا عجزا وحاجة ﴾ اى لثبوتهما فينا ﴿ ثم جعل الانسان اكثر حاجة من جميع الحيوان لان من الحيوان مايستقل بنفسه عن ﴾ استعانة ﴿ جنسه ﴾ بعد استغنائه عن معاونة امه بالارضاع ونحوه كالسباع والطيور ﴿ والانسان مطبوع على الافتقار الى جنسه ﴾ لان الكبير الاعلى محتاج الى خدمة الصغير الادنى والحقير الادنى محتاج الى رحمة الكبير الاعلى ﴿ واستعانته صفة لازمة لطبعه وخلقة قائمة فى جوهره ﴾ لانه مدنى بالطبع لايستغنى عن استعانة اهل الحرف والصنائع ﴿ ولذلك قال الله سبحانه وتعالى ﴾ فى النساء يريد الله ان يخفف عنكم ﴿ وخلق الانسان ضعيفا يعنى عن الصبر عما هو اليه مفتقر وعن احتمال ماهو عنه عاجز ﴾ وعن الحسن ان المراد ضعيف الخلقة عاجز عن مخالفة هواه غير قادر على مقابلة دواعيه وقيل المراد به ضعفه فى امر النساء خاصة حيث لايصبر عنهن ولا يصبرن عنه ﴿ ولما كان الانسان اكثر حاجة ﴾ وفيه ايماء الى ان الحاجة من العيوب ﴿ من جميع الحيوان كان اظهر عجزا لان الحاجة الى الشئ افتقار اليه والمفتقر الى الشئ عاجز به ﴾ ومتهالك عليه اذا اصابه فكيف لو عدمه ﴿ وقال بعض الحكماء المتقدمين استغناؤك عن الشئ ﴾ بعدم احتياجك اليه اصلا ﴿ خير من استغنائك به ﴾ اى من استكفافك بوجوده كما ان الصحة خير من مرض له دواء مجرب ﴿ وانما خص الله الانسان بكثرة الحاجة وظهور

العجز نعمة عليه ولطفا به ليكون ذل الحاجة ومهانة العجز يمنعانه من طغيان الغنى وبغى القدرة لان الطغيان مركوز فى طبعه اذا استغنى والبغى مستول عليه اذا قدر ﴿ كما قال بعض الاكابر للنفس سرلم يظهر الا لفرعون فقال انا ربكم الاعلى ﴿ وقد انبأ الله بذلك ﴾ الطغيان ﴿ عنه فقال كلا ﴾ ردع لمن كفر بنعمة الله بطغيانه وان لم يذكر لدلالة الكلام عليه ﴿ ان الانسان ليطغى ان رآه استغنى ﴾ اى لرؤية نفسه مستغنيا ﴿ ثم ليكون اقوى الامور ﴾ وهو غناه ﴿ شاهدا على نقصه واوضحها ﴾ وهو قدرته ﴿ دليلا على عجزه ﴾ كما قال السعدى * درويش وغنى بندهٔ اين خاك درند . آنانكه غنى ترند محتاج ترند ﴿ وانشدنى بعض اهل الادب لابن الرومى رحمه الله ﴾ من الطويل ﴿ اعيرتنى بالنقص والنقص شامل ﴾ لجميع افراد الانسان والاستفهام للانكار يعنى لايعاب فرد بما هو من لوازم النوع ﴿ ومن ذا الذى يعطى الكمال فيكمل ﴾ يقال كمل الشئ اذا اتم جميع اجزائه فى مواضعه وكنى ﴿ واشهد انى ناقص غير اننى . اذا قيس بى قوم كثير تقللوا ﴾ يعنى قلما يوجد مثلى فيهم او التقليل كناية عن العدم اى لايوجد فيهم من يبارينى ﴿ تفاضل هذا الخلق بالفضل والحجا ﴾ على وزن الى يقال هو من اهل الرأى والحجى اى العقل والفطنة يعنى تغالبه وتسابقه بالفضل اى بالدرجة الرفيعة والفطنة المستقيمة ﴿ ففى ايما هذين انت مفضل ﴾ على كما قال آخر * ماوهب الله لامرئ هبة . افضل من عقله ومن ادبه * هما كمال الفتى فان فقدا . ففقده للحياة احسن به * واما عند الله تعالى فالتفاضل بالتقوى لاغير كما قال ان اكرمكم عند الله اتقاكم ﴿ ولو منح الله الكمال ابن آدم . لخلده والله ماشاء يفعل ﴾ يعنى لو اراد الله كمال ابن آدم لجعله مخلدا فى دار والتالى باطل بالبداهة وكذا المقدم فكمال ابن آدم شئ لم يتعلق به الارادة اما لانه كان ممتنعا فلم يكن متعلق القدرة اوكان ممكنا لكن الله لم يشأ ولايسئل عما يفعل واشار الى الشق الثانى بقوله والله ماشاء يفعل لان الخلود فى الدار الآخرة متحقق ﴿ ولما خلق الله الانسان ماس الحاجة ظاهر العجز ﴾ طول حياته ﴿ جعل لنيل حاجته اسبابا ولدفع عجزه حيلة دله عليها ﴾ اى على تلك الاسباب والحيلة ﴿ بالعقل وارشده اليها بالفطنة قال الله تعالى والذى قدر ﴾ اجناس الاشياء وانواعها وافرادها ومقاديرها وصفاتها وافعالها وآجالها ﴿ فهدى ﴾ اى فوجه كل واحد منها الى مايصدر عنه وينبغى له طبعا اواختيارا ويسره لما خلق له بخلق الميول والالهامات ونصب الدلائل وانزال الآيات ولو تتبعت احوال النباتات والحيوانات لرأيت فى كل منها ماتحار فيه العقول ويروى ان الافعى اذا بلغت الف سنة عميت وقد الهمها الله تعالى ان تمسح عينها بورق الرازيانج الغض يرد اليها بصرها فربما كانت عند عروض العمى لها فى برية بينها وبين الريف مسافة طويلة فتطويها حتى تهجم فى بعض البساتين على شجرة الرازيانج لاتخطئها فتحك عينها بورقها وترجع باصرة باذن الله عز وجل وهدايات الله تعالى للانسان الى مالايحد من مصالحه ومالا يحصر من حوائجه فى اغذيته وادويته وفى ابواب دنياه ودينه والهامات البهائم والطيور وهوام الارض باب واسع لايحيط به وصف واصف فسبحان ربى الاعلى وقال فخر الدين الرازى وتفصيل هذه الجملة مما لايفى بشرحه المجلدات بل العالم كله من اعلى عليين الى اسفل السافلين تفسير هذه الآية وتفصيل هذه الجملة

﴿ قال مجاهد قدر احوال خلقه فهدى الى سبيل الخير والشر وقال ابن مسعود فى قوله تعالى وهديناه النجدين يعنى الطريقين طريق الخير وطريق الشر ﴾ وقيل اوالثديين واصل النجد المكان المرتفع ﴿ ثم لما كان العقل دالا على اسباب ماتدعو اليه الحاجة جعل الله تعالى الا دراك والظفر ﴾ بالمسببات ﴿ موقوفا على ماقسم وقدر كيلا يعتمدوا فى ﴾ نيل ﴿ الارزاق على ﴾ كثرة ﴿ عقولهم ﴾ فيأمن العقلاء من نيلها ﴿ وفى العجز عنها على ﴾ قلة ﴿ فطنهم ﴾ فييأس الحمق من نيلها ﴿ لتدوم له ﴾ اى الانسان مطلقا عاقلا او احمق ﴿ الرغبة والرهبة ويظهر منه الغنى والقدرة ﴾ آنا فآنا وقد كتب المغيرة الى معاوية ان رسول الله صلى الله عليه وسلم كان يقول فى دبر كل صلاة اذا سلم لااله الاالله وحده لاشريك له له الملك وله الحمد وهو على كل شئ قدير اللهم لامانع لما اعطيت ولا معطى لما منعت ولاينفع ذا الجد منك الجد فالحظوظ امور يقدرها الله تعالى ويقضيها وقضاؤه وقدره لايعللان على الصحيح لانه لوكان مايوجده معللا بعلة لكانت تلك العلة اماقديمة فيلزم قدم الفعل اذالمعلول يدور مع العلة وجودا وعدما وهو محال واما محدثة ويفتقر الامر فى ذلك الى علة اخرى فامان تدور العلل او تتسلسل وذلك محال واذا كان الصحيح ان الله تعالى له ان يثيب العاصى و يعاقب الطائع فى الدار الآخرة التى هى دار قرار ونعيمها وجحيمها ابديان سرمديان فما ظنك بالحظ وهو نصيب هذه الدنيا الفانية التى لابقاء لها ولا لحظها ولانسبة للمتناهى فى جنب مالايتناهى البتة أفترى ان الله ليس له ان يهب الحظ لمن يشاء استحقه اولم يستحقه وما احسن قول ابى الفوارس * علمى بسابقة المقدور الزمنى. صبرى وصمتى فلم احرص ولم اسل * لونيل بالقول مطلوب لما حرم الشر ؤيا الكليم وكان الحظ للجبل* وحكمة العقل ان عزت وان شرفت . جهالة عند حكم الرزق والاجل ﴿ وبما عزب هذا المعنى ﴾ اى خفى كون الادراك والظفر موقوفا على ماقسم الله وقدره ﴿ على من ساء ظنه بخالقه حتى صار سببا لضلاله ﴾ وارتداده نعوذ بالله تعالى ﴿ كما قال الشاعر ﴾ وهو ابن الراوندى . من البسيط ﴿ سبحان من انزل الايام منزلها ﴾ يعنى اهبطها فى مهبطها الاسفل الذى لادركة تحته ﴿ وصير الناس مرفوضا ومرموقا ﴾ يقال رفض الا بل اذا تركها تتبدد فى مرعاها والرمق المعيشة التى يسد بها الرمق يعنى صير بعض الناس يرتع فى انواع النعم وبعضهم يسدرمقه بانواع اشكال ﴿ فعاقل فطن اعيت مذاهبه ﴾ اى فرب عاقل كامل العقل متناه فيه اعجزته طرق معاشه او اعيت عليه وصعبت ﴿ وجاهل خرق ﴾ اى ورب جاهل متناه فى الحماقة ﴿ تلقاه مرزوقا ﴾ كأنه من خليج البحر مغترف . ولم يكن بارتزاق القوت محقوقا ﴿ هذا ﴾ اى الحكم السابق وهو كون العاقل محروما والجاهل مرزوقا ﴿ الذى ترك الالباب حائرة ﴾ اى صير اهل الالباب متحيرة ﴿ وصير العاقل النحرير ﴾ اى العالم المتقن من نحر الامور علما اى اتقنها ﴿ زنديقا ﴾ كافرا نافيا للصانع واراد به نفسه فعليه مايستحق . وسبحان من المصادر المحذوفة افعالها سماعا وهو اسم بمعنى التنزيه ويستعمل فى مقام التعجب والاعظام الا انه اورده فى مورد لايفيد شيئامنها بل ماأراده من انشاء ضلال ونفى عدل وحكمة ولذا غيره الرواة على رغم انفه وقالوا * سبحان من وضع الاشياء موضعها . وفرق العز والاذلال تفريقا * ليفيد تنزيها واعظاما وقد رد كثير من الفقهاء قول ابن الراوندى كما هو

مشهور وشكوى الزمان والتطير بالادب مذهب قديم متداول قد اكثر فيه الشعراء وبالغ به الادباء نظما ونثرا الا انهم راعوا الادب مع الله عزوجل ولذلك تراهم يشتكون من الزمان ويذمونه ومعتقدهم ان الخير والشر كله من الله تعالى كما قيل * عيش كلا عيش ونفس حرة موقوفة ابدا على حسراتها * ان كان عندك يازمان بقية . مما تسوء به الكرام فهاتها * بتأويل الزمان باهله ﴿ ولو حسن ظن العاقل ﴾ بخالقه ورازقه ﴿ فى صحة نظره ﴾ وتذكر انه قد رزقه جنينا وطفلا ولم يكن قادرا على كسب ولا عاقلا ﴿ لعلم من علل المصالح ماصار به صديقا ﴾ كثير الصدق ﴿ لا زنديقا ﴾ والجملة الشرطية معطوفة على قوله ورباعزب هذا المعنى على من ساء ظنه بخالقه ﴿ لان من علل المصالح ماهو ظاهر ومنها ماهو غامض ﴾ لايصل اليها الا الراسخون ﴿ ومنها ماهو مغيب حكمة ﴾ تميز من الثلاثة على سبيل البدل ومحرف من الفاعل ونائبه ﴿ استأثر ﴾ الله تعالى ﴿ بها ﴾ اى خصها بذاته وانفرد بها عن غيره وهو عالم الغيب فلا يظهر على غيبه احدا والواجب على العبد ان يرضى بالقضاء الذى امر بالرضاء به اذ ليس كل ماهو بقضائه يجوز للعبد اويجب عليه الرضاء به كالمعاصى وفنون محن المسلمين وان لاينفك عن باب الرضاء والادب لان الله يمحو مايشاء ويثبت * ومن دق باب الكريم انفتح وقد قال الله تعالى ولنجزين الذين صبروا اجرهم باحسن ماكانوا يعملون ولذا قالوا احسن الجزاء الجزاء على الصبر ولا جزاء فوقه وهذه مرتبة الصديقين اللهم احشرنا معهم بفضلك آمين ﴿ ولذلك ﴾ اى لكون حسن الظن بالله من اسباب الصديقية ﴿ قال النبى صلى الله عليه وسلم ﴾ على ماروى ابوداود والحاكم عن ابى هريرة ﴿ حسن الظن ﴾ بالمسلمين او بالله بان يعتقد انه تعالى يغفر له اذاتاب ويقبل دعاءه اذا سأله ﴿ من ﴾ جملة ﴿ حسن العبادة ﴾ التى يتقرب بها الى الله تعالى يعنى ان حسن الظن عبادة من العبادات الحسنة كما ان سوء الظن معصية من معاصى الله تعالى كما قال الله تعالى ان بعض الظن اثم اى وبعضه حسن من العبادة وقيل معناه من حسنت عبادته حسن ظنه وقيل فى قوله تعالى ولاتموتن الا وانتم مسلمون اى محسنون بربكم الظن واطلاق الحديث يقتضى ان حسن الظن بالمسلم المستور حاله من حسن العبادة سواء كان مصيبا فى ظنه ام مخطئا وبهذا قال بعضهم فى وصيته خطاؤك فى حسن الظن افضل من اصابتك فى سوء الظن فكما يجب عليك السكوت بلسانك عن مساوى خلقه يجب عليك السكوت بقلبك عن سوء الظن فان سوء الظن بالمسلم غيبة بالقلب وهى منهى عنها ويجوز ان يكون قوله من حسن العبادة من اضافة الصفة الى موصوفها كمسجد الجامع تقديره حسن الظن من العبادة الحسنة فاخذه بعض الشعراء وقال * اذا ساء فعل المرء ساءت ظنونه ، وصدق مايعتاده من توهم ﴿ ثم ان الله تعالى جعل اسباب حاجاته وحيل عجزه فى الدنيا التى جعلها دار تكليف وعمل كما جعل الآخرة دار قرار وجزاء الزم لذلك ﴾ الجمل ﴿ ان يصرف الانسان الى دنياه حظا من عنايته ﴾ اى نصيبا من اهتمامه وقسما من اشتغاله وقد جاء فى قوله تعالى وعلمناه صنعة لبوس لكم اى دروع من الحديد وذلك ان داود عليه السلام كان يدور فى الصحارى فاذا رأى من لايعرفه تحدث معه فى امر داود فاذا سمعه طابه بشئ يصلحه من نفسه فسمع يوما من يقول انى لااجد فى داود عيبا الا انه يأكل من غير

كسبه فعند ذلك صلى داود عليه الصلاة والسلام فى محرابه وتضرع بين يدى الله تعالى وسأله ان يعلمه ما يستعين به على قوته فعلمه الله تعالى صنعة الحديد وجعله فى يده كالشمع فاحترفها واستعان بها على امره وصار يحكم منها الدروع وقال رسول الله صلى الله عليه وسلم جعل رزقى تحت رمحى فكانت حرفته الجهاد وتفصيله فى المادة الكافية ﴿ لانه لاغنى به عن التزود منها لآخرته ﴾ من العبادات المالية كالزكاة والحج وصلة الارحام وسائر اعمال البر ﴿ ولا بدله من سد الخلة ﴾ الواقعة ﴿ فيها عند حاجته ﴾ وفى الجامع الصغير نعم العون على الدين قوت سنة اى ادخاره لعياله وذلك لاينافى الزهد انتهى واذا لم يصلح المرء حال دنياه لاتطمئن نفسه لعمل الآخرة وتقول العرب الخلة تدعو الى السلة اى الفقر والحاجة تدعو الى السرقة ﴿ وليس فى هذا القول ﴾ يعنى قوله فلزم ان يصرف آه ﴿ نقض لما ذكرنا قبل ﴾ فى باب ادب الدين ﴿ من ترك فضولها وزجر النفس عن الرغبة فيها بل الراغب فيها ملوم وطالب فضولها مذموم ﴾ وكيف يكون نقضا ﴿ والرغبة انما تختص بما جاوز قدر الحاجة والفضول انما يطلق على مازاد على قدر الكفاية ﴾ لا على قدر الحاجة والكفاية فحاصل كلامه طالب مازاد على قدر الحاجة مذموم وطالب قدر الحاجة ليس بمذموم بل ممدوح فلاتناقض بينهما لعدم اتحادها فى الاضافة ﴿ وقد قال الله تعالى لنبيه صلى الله عليه وسلم ﴾ اى كيف يكون طلب قدر الحاجة مذموما وقد امر الله به حبيبه والمأمور به حسن لامحالة ﴿ فاذا فرغت فانصب والى ربك ﴾ وحده ﴿ فارغب ﴾ بالسؤال ولاتسأل غيره ﴿ قال اهل التأويل ﴾ عن ابن عباس فاذا فرغت من صلاتك فاجتهد فى الدعاء وعن الحسن فاذا فرغت من الغزو فاجتهد فى العبادة وعن مجاهد ﴿ فاذا فرغت من امور دنياك فانصب فى عبادة ربك ﴾ وبالجملة فالمعنى ان يواصل بين امر الدين والدنيا وان لايخلى وقتا من اوقاته منهما وقعود الرجل فارغا من غير شغل اواشتغاله بمالايعنيه من سفه الرأى وسخافة العقل واستيلاء الغفلة ولقد قال عمر رضى الله عنه انى لاكره ان ارى احدكم فارغا لا فى عمل دنيا ولا فى عمل آخرة وقال لايقعدن احدكم عن طلب الرزق ويقول اللهم ارزقنى فقد علمتم ان السماء لاتمطر ذهبا ولا فضة ﴿ وليس هذا القول منه تعالى ترغيبا لنبيه صلى الله عليه وسلم فيها ﴾ بايثار الدنيا على عمل الآخرة ﴿ ولكن ندبه ﴾ اى دعاه الله وحثه ﴿ الى اخذ البلغة منها ﴾ على وزن غرفة مايتبلغ من العيش ويتكفف به ﴿ وعلى هذا المعنى قال النبى صلى الله عليه وسلم ﴾ على مارواه ابن عساكر عن انس ﴿ ليس خيركم من ترك الدنيا ﴾ كليا ﴿ للآخرة ﴾ لنيل ثوابها ﴿ ولا ﴾ من ترك ﴿ الآخرة للدنيا ﴾ لتحصيل متاعها ﴿ ولكن خيركم من اخذ من هذه ﴾ الدنيا وسعى فى طلب مايكفيه من الحلال ﴿ و ﴾ اخذ من ﴿ هذه ﴾ الآخرة ماعليه من حق ذى الجلال فاصاب منهما جميعا ولم يكن كلا على الناس فاربح الناس من جعل دنياه مزرعة للآخرة واخسرهم من شغلته دنياه عن آخرته ﴿ وروى عن النبى صلى الله عليه وسلم انه قال نعم المطية الدنيا فارتحلوها ﴾ يقال ارتحل البعير بمعنى رحله اى رحلوها وسرجوها والمراد لازمه اى اركبوا عليها وسوقوها نحو طاعة الله تعالى ﴿ تبلغكم ﴾ وتوصلكم ثواب ﴿ الاخرة ﴾ ودرجاتها واما ان ركبت هى عليكم فانها تسوقكم نحو سخطه وغضبه ﴿ وذم

رجل الدنيا عند علي بن ابي طالب كرم الله وجهه فقال ﴾ علي ﴿ رضي الله عنه ﴾ جوابا ﴿ الدنيا دار صدق لمن صدقها ودار نجاة لمن فهم عنها ودار غنى لمن تزود منها ﴾ ومهبط وحي الله ومصلى ملائكته ومسجد انبيائه ومتجر اوليائه ربحوا فيها الرحمة واكتسبوا فيها الجنة فمن ذا الذي يذمها وقد آذنت ببينها ونادت بفراقها وشبهت بسرورها السرور وببلائها البلاء ترغيبا وترهيبا انتهى وقال ابو جعفر الشيباني اتانا يوما ابو مياس الشاعر ونحن في جماعة فقال ما انتم فيه قلنا نذكر الزمان وفساده قال كلا ان الزمان وعاء وما القى فيه من خير وشر كان على حاله ثم انشأ يقول * ارى حللا تصان على رجال . واخلاقا تذال ولا تصان يقولون الزمان به فساد . وهم فسدوا ومافسد الزمان ﴿ وحكى مقاتل ﴾ بن سليمان الازدي من ائمة التفسير تولد في بلخ وتحصيله في مرو وتوفي بالبصرة سنة مأة وخمسين ﴿ ان ابراهيم الخليل على نبينا وعليه الصلاة والسلام ﴾ ابن آزر وكان آزر من اهل حران وولد ابراهيم بكوثا من ارض العراق وكان ابراهيم يتجر في البز وهاجر من ارض العراق الى الشام وبلغ عمره مأة وخمسا وسبعين سنة ودفن بالارض المقدسة وقبره معروف بقرية حبرون وهي التي تسمى ببلدة الخليل وهو اول من ضيف الضيف واطعم المساكين وقص شاربه وقلم اظفاره واستحد واستاك وفرق شعره ومضمض واستنثر واستنجى بالماء وقال ابو بحر صفو ان بن ادريس في فتى اسمه ابراهيم وابدع ماشاء * اسمي من سن القرى رفقا بمن . يفنى عليك صبابة وغراما * انا ضيف حسنك فاصطنعني انه . ضيف الهوى يستوجب الاكراما * لما نظرت نجوم خيلان بدت . في صحن وجنتك استفدت مقاما * افنيت جسم الصب شوقا مثل ما . افنى سميك قبلك الاصناما * يازهرة سكنت فؤادي غضة . اني تبوأت اللهيب كماما * حتى كأن الحب قال لاضلعي . يانار كن بردا له وسلاما ﴾ قال يارب حتى متى اتردد في طلب الدنيا ﴾ الاستفهام للتضجر ﴿ فقيل له امسك عن هذا ﴾ الكلام اي اسكت عنه ﴿ فليس طلب المعاش من طلب الدنيا ﴾ المذموم بل فرض عين كما سيجئ ﴿ وقال سفيان الثوري رحمة الله عليه مكتوب في التوراة اذا كان في البيت ﴾ اي في يدك ﴿ بر فقعيد واذا لم يكن فاطلب يا ابن آدم حرك يدك يسبب لك رزقك ﴾ ويروى افتح لك باب الرزق ﴿ وقال بعض الحكماء ليس من الرغبة ﴾ الى الدنيا ﴿ اكتساب مايصون العرض فيها ﴾ عن شماتة اعدائه واستهزاء اقرانه واغتمام اقاربه وعياله وقال سفيان الثوري المال سلاح المؤمن في هذا الزمان وقال حكيم لابنه يابني اوصيك بطلب المال فلو لم يكن الا انه عز في قلبك وذل في قلب عدوك وقال آخر يابني اوصيك باثنين لن تزال بخير ماتمسكت بهما درهمك لمعاشك ودينك لمعادك وقالوا المال آلة للمكارم وعون على الزمان ومتألف للاخوان ومن فقده قلت الرغبة اليه والرهبة منه ﴿ وقال بعض الادباء ليس من الحرص اجتلاب مايقوت البدن ﴾ اي مايسد رمقه ﴿ وقال محمود الوراق ﴾ من السريع ﴿ لاتتبع الدنيا وايامها ﴾ اي لاتلحقها ولا ايامها ﴿ ذما وان دارت بك الدائرة ﴾ اي لاتذمها وان احاطت بجميع جوانبك الدواهي والخطب ﴿ من شرف الدنيا ومن فضلها ﴾ خبر مقدم وجوبا كما في حتى انك قائم ﴿ ان بها تستدرك الآخرة ﴾ ومايدرك به الشئ له

حكم ذلك الشئ كما قيل للمبادى حكم المقاصد ﴿ فاذاً قد لزم بما بيناه ﴾ من لزوم صرف حظ الى الدنيا ﴿ النظر ﴾ والبحث ﴿ فى امور الدنيا فوجب سبر احوالها ﴾ اى تعميق احوالها وتدقيق افعالها يقال سبر الجرح والبحر وغيره اذا امتحن غوره ﴿ والكشف عن جهة انتظامها واختلالها لتعلم اسباب صلاحها وفسادها ومواد عمرانها وخرابها لتنتفى عن اهلها شبه الحيرة ﴾ يقال حار الرجل حيرة اذا نظر الى الشئ فغشى عليه والشبه جمع شبهة واضافتها الى الحيرة من قبيل خاتم حديد ﴿ وتجلى لهم اسباب الخيرة ﴾ على وزن الغيبة يقال خار على غيره يخيره خيرة اذا فضله وبين الحيرة والخيرة جناس التصحيف ﴿ فيقصدوا الامور من ابوابها ويعتمدوا صلاح قواعدها واسبابها ﴾ فان بمعرفة اسباب الاشياء وعللها يوصل الى تلافى ماشذ وصلاح مافسد فلايضل لهم سهم ولا يقطع طريقهم الوهم قال الله تعالى وآتيناه من كل شئ سببا فاتبع سببا ﴿ واعلم ان صلاح الدنيا معتبر من وجهين اولهما ماينتظم به امور جملتها ﴾ من حيث هى مجموعة ﴿ والثانى مايصلح به حال كل واحد من اهلها ﴾ على الانفراد ﴿ فهما شيئان ﴾ متلازمان ﴿ لاصلاح لاحدهما الا بصاحبه لان من صلحت حاله مع فساد الدنيا واختلال امورها لن يعدم ﴾ وان يترك ﴿ ان يتعدى اليه فسادها ويقدح فيه اختلالها ﴾ اى يصيبه شرارة منها يقال قدح بالزند اذا رام الايراء به بل المصاب فى مثل هذا الزمان من حسنت حاله كما قال الله تعالى حكاية عن بلقيس ان الملوك اذا دخلوا قرية افسدوها وجعلوا اعزة اهلها اذلة ﴿ لان منها يستمد ﴾ من صلحت حاله فاذا فسدت الدنيا انقطع استمداده ﴿ ولها يستعد ﴾ لان الاموال المدخرة اما للوارث واما للجائحة ﴿ ومن فسدت حاله مع صلاح الدنيا وانتظام امورها لم يجد لصلاحها لذة ولا لاستقامتها اثرا لان الانسان دنياه نفسه فليس يرى الصلاح الا اذا صلحت له ولا يجد الفساد الا اذا فسدت عليه لان نفسه اخص وحاله امس فصار نظره الى مايخصه مصروفا وفكره على مايمسه موقوفا ﴾ فلا يجد لذة الصلاح ﴿ واعلم ان الدنيا لم تكن قط لجميع اهلها مسعدة ولا عن كافة ذويها معرضة لان اعراضها عن جميعهم عطب ﴾ اى اهلاك بهم واعجاز لهم ﴿ واسعادها لكافتهم فساد لائتلافهم بالاختلاف والتباين واتفاقهم بالمساعدة والتعاون ﴾ بالمال او بالبدن ﴿ فاذا تساوى جميعهم ﴾ واستغنوا باموال كثيرة ﴿ لم يجد احدهم الى الاستعانة بغيره سبيلا ﴾ لافى الاعمال الشاقة ولافى الافعال المهانة ﴿ وبهم من الحاجة ﴾ الى معاونة غيره ﴿ والعجز ﴾ عن القيام بجميع مصالحه ﴿ ماوصفنا ﴾ من كون الانسان اكثر حاجة من جميع الحيوان ﴿ فيذهبوا ضيعة ﴾ اى فيصيروا متروكين ومهملين ﴿ ويهلكوا عجزا واذا تباينوا واختلفوا ﴾ بالفقر والغنى ﴿ صاروا مؤتلفين بالمعونة متواصلين بالحاجة لان ذا الحاجة وصول ﴾ فعول بمعنى فاعل ﴿ والمحتاج اليه موصول وقد قال الله تعالى ﴾ فى هود ولوشاء ربك لجعل الناس امة واحدة) مجتمعة على الحق ودين الاسلام بحيث لايكاد يختلف فيه احد ﴿ ولا يزالون مختلفين ﴾ فى الحق اى مخالفين له كقوله تعالى وما اختلف فيه الا الذين اوتوه من بعد ماجاءتهم البينات بغيا بينهم ﴿ الا من رحم ربك ﴾ الا قوما قد هديهم الله تعالى بفضله الى

الحق فاتفقوا عليه ولم يختلفوا فيه اى لم يخالفوه ﴿ ولذلك خلقهم ﴾ اى لما ذكر من الاختلاف خلقهم اى الذين بقوا بعد الثنيا وهم المختلفون هذا ماقاله المفسرون نظرا الى سوق الآية و﴿ قال الحسن ﴾ البصرى نظرا الى عموم لفظها ﴿ مختلفين فى الرزق فهذا غنى وهذا فقير ولذلك خلقهم يعنى للاختلاف بالغنى والفقر ﴾ وفى حديث لايزال الناس بخير ماتباينوا فاذا استووا هلكوا قال بعضهم معناه انما يتساوون فى الشر ولا تجد كلهم فضلاء لان الخير قليل ﴿ وقال الله تعالى ﴾ فى النحل ﴿ والله فضل بعضكم على بعض فى الرزق ﴾ اى جعلكم متفاوتين فى الرزق فرزقكم افضل مما رزق مما لكم وهم بشر مثلكم واخوانكم فكان ينبغى ان تردوا افضل مارزقتموه عليهم حتى تتساووا فى الملبس والمطعم ﴿ غير ان الدنيا اذا صلحت كان اسعادها موفورا ﴾ يقال اسعده الله فهو مسعود ولا يقال مسعد كما يقال احب واحم واجن فهو محبوب ومحموم ومجنون واسعده اذا اعانه ﴿ واعراضها ميسورا لانها اذا منحت هنأت ﴾ يقال هنأ الشئ من الباب الرابع والخامس اذا حصل بلا مشقة اى اذا اعطت اعطت بلا مشقة ﴿ واودعت ﴾ اى صيرت ذادعة وراحة فهو مطاوع اتدع ويقال اودع كتابه كذا اى اثبته وحرره فيه وجعله مشتملا ﴿ واذا استردت ﴾ كما هو عادتها ﴿ رفقت وابقت ﴾ اى تأخذ بالرفق والسهولة وتبقى بما يتكفف به ﴿ واذا فسدت ﴾ امور جملتها واختل نظامها ﴿ كان اسعادها مكرا ﴾ وخديعة كتسمين الحيوان للذبح ونثر الحبوبات فى اطراف الشباك ﴿ واعراضها غدرا ﴾ فتجعل العزيز ذليلا وتنزل اعلى الخلق منزلة ادنى الخلائق ولذا ورد فى الحديث اللهم انى اعوذبك من غلبة الدين وغلبة العدو ومن بوار الايم) هى التى لازوج لها بكرا كانت اوثيبا وبوارها انلا يرغب فيها احد (ومن فتنة المسيح الدجال) لانه يمسح الارض كلها الامكة والمدينة والدجال هو الكذاب على مارواه الطبرانى عن ابن عباس ﴿ لانها اذا منحت كدت ﴾ يقال كد الرجل فى العمل اذا تعب ووقع فى الشدة ومنه يقال حصل بجدك لابكدك اى بحظك لا بسعيك ويقال كد فلانا اذا طلب منه الكد وكده اتعبه فهو لازم ومتعد ﴿ واتعبت واذا استردت استأصلت ﴾ وقلعت من اصله ﴿ واجحفت ﴾ ذهبت بجميعه كأنها كنست ﴿ ومع هذا ﴾ اى مع كون اسعادها موفورا على تقدير صلاحها ﴿ فصلاح الدنيا ﴾ نافع من جهة اخرى ايضا وهى ان صلاحها ﴿ مصلح لسرائر اهلها لوفور اماناتهم وظهور دياناتهم ﴾ من حسن صنيعة وبر المؤديين الى امن عام وايضا فى اظهارها دامتها وصيانتها من التحريف والتغيير ﴿ وفسادها مفسد لسرائر اهلها لقلة اماناتهم وضعف دياناتهم وقد وجد ذلك فى مشاهدة الحال ﴾ اى فى الاحوال المشهودة بالبصر ﴿ تجربة وعرفا كما يقتضيه دليل الحال تعليلا وكشفا فلا شئ انفع من صلاحها ﴾ لان فيه سعادة الدارين وكرامة المنزلين ﴿ كما لاشئ اضر من فسادها لان ما تقوى به ديانات الناس وتتوفر اماناتهم فلاشئ احق به نفعا كما ان مابه تضعف دياناتهم وتذهب اماناتهم فلاشئ اجدر به ضررا وانشدت لابى بكر بن دريد ﴾ من الكامل المرفل ﴿ الناس مثل زمانهم . قد الحذاء ﴾ اى كقطع النعل ﴿ على مثاله ﴾ يعنى يشتبه الناس بزمانهم كمشابهة احد النعلين بالآخر والعرب تقول فى الشيئين يشتبهان هما حذو النعل بالنعل لان كل واحد من النعلين تقطع على قالب اختها وقال عروة

بن الزبير الناس بزمانهم اشبه منهم بآبائهم ﴿ ورجال دهرك مثل دهـ ـرك فى تقلبه وحاله ۞
وكذا اذافسدالزما . ن جرى الفساد على رجاله ﴾ وسأل عبدالملك بن مروان مسلمة بن
يزيد وكان من المعمرين فقال اى الملوك رأيت اكمل واى الزمان رأيت افضل فقال اما الملوك
فلم ارالاحامدا اوذاما واما الزمان فيرفع اقواما ويضع اقواما وكلهم يذم زمانه لانه يبلى جديدهم
ويفرق عديدهم ويهرم صغيرهم ويهلك كبيرهم ﴿ واذقد بلغ بنا القول الى ذلك فسنبدأ
بذكر مايصلح الدنيا ثم نتلوه بوصف مايصلح به حال الانسان فيها اعلم ان ما به تصلح الدنيا حتى تصير ﴾
جميع ﴿ احوالها منتظمة و ﴾ جملة ﴿ امورها ملتئمة ستة اشياء هى قواعدها ﴾ واصولها ﴿ وان
تفرعت وهى دين متبع وسلطان قاهر وعدل شامل وامن عام وخصب دائم وامل فسيح ۞
فاما القاعدة الاولى فهى الدين المتبع لانه يصرف النفوس عن شهواتها ﴾ المنهية ﴿ ويعطف
القلوب عن اراداتها ﴾ القبيحة واللام متعلق بالنسبة اى انما عدالدين من قواعد صلاح الدنيا
لصرفه النفوس آه ﴿ حتى يصير ﴾ بالرفع معطوف على يصرف اى فيصير ﴿ قاهر اللسرائر ﴾
يقال قهره اذا غلبه ﴿ زاجرا للضمائر ﴾ فيهدم اساس المناهى ويقطع عروق القبائح لانه لابد
فى حصول الافعال الاختيارية من مقدمات ومبادى وهى تصورها اولا والتصديق بفائدة
ما ثم صرف الارادة نحوها ثم استعمال الجوارح فى تحصيلها والدين يمنع من تصور المناهى
فكيف تصديق فائدتها وصرف الارادة نحوها ﴿ رقيبا على النفوس فى خلواتها ﴾ يمنعها
من الاقدام على المعصية فيها حتى فى المنام فيرى المحتلم شخصا ثالثا كصلة الذى ﴿ نصوحا لها
فى ملماتها ﴾ اى اذا ارادالمم او اذا باشرها واللمم صغائر الذنوب ﴿ وهذه الامور ﴾
من الصرف والنصح والرقابة ﴿ لا يوصل بغير الدين اليها ﴾ لقوة رغبة النفوس الى
شهواتها فتغتنم فرصها ﴿ ولا يصلح الناس الا عليها ﴾ لماسبق ان وفور الامانات من سعادة الدنيا
﴿ فكان الدين اقوى قاعدة فى صلاح الدنيا واستقامتها واجدى الامور نفعا فى انتظامها
وسلامتها ولذلك لم يخل الله تعالى ﴾ يقال اخلى المكان اذا جعله خاليا ﴿ خلقه مذ فطرهم
عقلاء من تكليف شرعى واعتقاد دينى ينقادون لحكمه فلا تختلف بهم الآراء ﴾ الداعى
الى التغالب ونهب الاموال واراقة الدماء ﴿ ويستسلمون لامره فلا تتصرف بهم الاهواء ﴾
بنصب ابصارهم باللذات وقصر بصائرهم بالشهوات وكانوا يزعمون اقوالهم الحق وآرائهم
الحكمة وفيه من المفاسد مالايخفى كما قال الله تعالى قل لوكان من عند غير الله لوجدوا فيه اختلافا
كثيرا ﴿ وانما اختلف العلماء رضى الله عنهم فى العقل والشرع هل جاءا مجيئا واحدا ام سبق
العقل ثم تبعه الشرع فقالت طائفة جاء العقل والشرع معا مجيئا واحدا لم يسبق احدهما صاحبه
وقالت طائفة اخرى بل سبق العقل ثم تبعه الشرع لان بكمال العقل يستدل على صحة الشرع ﴾
ويفرق بين النبى الصادق والمتنبى ﴿ وقد قال الله تعالى ايحسب الانسان ان يترك سدى ﴾ اى مهملا
لايؤمر بشئ ولا ينهى عن شئ ﴿ وذلك ﴾ الاستدلال ﴿ لايوجد منه الا عند كمال عقله ﴾
فثبت ان الدين ﴾ المؤيد ببراهين العقل ﴿ من اقوى القواعد فى صلاح الدنيا ﴾ لتقريره
اسباب الامن وتأسيسه اصل الاجتماع وامره بالعدل والتعاون ونهيه عن الاسباب الموجبة للافرق
من الغيبة بالقلب الى غصب الاموال وقتل النفوس وقد تقدم فى النهى عن المنكر ان المحتسب

ليس له ان يتجسس البيوت الا بشرائط والدين محتسب يتجسس القلوب ويطلع مالا يطلع عليه محتسب السلطان فلذا كان اقوى ﴿ وهو الفرد الاوحد في صلاح الاخرة ﴾ لامطمع في صلاحها بدونه ﴿ وما كان به صلاح الدنيا والآخرة فحقيق بالعقل ان يكون به متمسكا وعليه محافظا وقال بعض الحكماء الادب ادبان ادب شريعة وادب سياسة فادب الشريعة ما ادى الفرض وادب السياسة ماعمر الارض ﴾ والسياسة هي القانون الموضوع لرعاية الآداب والمصالح وهي نوعان سياسة ظالمة فالشريعة تحرمها وسياسة عادلة تخرج الحق من الظالم وتدفع كثيرا من المظالم وترتدع اهل الفساد ويتوصل بها الى المقاصد الشرعية فالشريعة توجب المصير اليها والاعتماد عليها في اظهار الحق ﴿ وكلاهما يرجع الى العدل الذي به سلامة السلطان وعمارة البلدان ﴾ لما قيل لاملك الا بالرجال ولارجال الا بالمال ولامال الا بالعمارة ولاعمارة الا بالرعية ولا رعية الا بالعدل ﴿ لان من ترك الفرض ﴾ الذي هو ادب شريعة واللام متعلق بيرجع ﴿ فقد ظلم نفسه ﴾ بتعديه حدود الله ﴿ ومن خرب الارض ﴾ بترك ادب السياسة ﴿ فقد ظلم غيره ﴾ بتعديه الى حقوقهم والمحاسب هو الله ﴿ وقال سعيد بن حميد ما صحة ابدا بنافعة حتى يصح الدين والخلق ﴾ اى الاخلاق والظلم يفسدها والصحة مع كونها الذ اللذائذ فكيف تنفع في يوم يفر المرء من اخيه وامه وابيه وصاحبته وبنيه ويغبط من على الارض من فيها لهتك المحارم وفساد الاخلاق ولذا يقال عدل السلطان الذ من خصب الزمان . ﴿ واما القاعدة الثانية فهي سلطان قاهر تتألف من رهبته ﴾ اى لاجلها ﴿ الاهواء المختلفة وتجتمع لهيبته القلوب المتفرقة وتنكف بسطوته الايدي المتغالبة ﴾ اى تمتنع بصولته وقهره الفرق الباغية والجماعات الطاغية ﴿ وتمتنع من خوفه النفوس العادية ﴾ اى الظالمة ﴿ لان في طباع الناس من حب المغالبة ﴾ والمنافسة ﴿ على ما آثروه ﴾ واحبوه لانفسهم ﴿ والقهر لمن عاندوه ﴾ بمعارضتهم ومنافستهم على ذلك الشئ بعينه ﴿ مالا ينكفون عنه الا بمانع قوى ورادع ملى ﴾ اى زاجر قادر على منعهم تقول ملئته ملا اذا قلبته كما تشاء وماسم ان المؤخر وانيسانه موصولا للتفخيم ﴿ وقد افصح المتنبي بذلك ﴾ اى اظهر ذلك وبينه ﴿ في قوله ﴾ من الكامل ﴿ لايسلم الشرف الرفيع من الاذى ﴾ اراد بالشرف الرفيع النبوة والرسالة وماتقوم مقامها من الامامة الكبرى والسلطنة العامة وبالاذى معاندة الكفار وبغيهم وخروج اهل الخوارج وشقهم عصا المسلمين ﴿ حتى يراق على جوانبه الدم ﴾ اى حتى يقتلهم ويدمرهم تدميرا ﴿ والظلم من شيم النفوس فان تجد . ذا عفة ﴾ ونزاهة عن الظلم ﴿ فلعلة لا يظلم ﴾ قال بعض الحكماء الظلم من طبع النفس وانما يصدها عن ذلك احدى علتين اماعلة دينية كخوف معاد واماعلة سياسية كخوف سيف فاخذه ابو الطيب فقال والظلم آه والمصنف امعن فيه النظر فوجد العلل اربعة فقال ﴿ وهذه العلة المانعة من الظلم لاتخلو من احد اربعة اشياء اما عقل زاجر او دين حاجز او سلطان رادع او عجز صاد ﴾ اى صارف ومانع عن الظلم ﴿ فاذا تأملتها لم تجد خامسا يقترن بها ورهبة السلطان ابلغها ﴾ اى ابلغ العلل ﴿ لان العقل والدين ربما كانا مضعوفين ﴾ فلا يقدران مضار الظلم ومآثمه فلا يكترثان بالظلم ﴿ او بدواعي الهوى مغلوبين ﴾ فيدركان معرة الظلم ولكن لايمنعان عنه ﴿ فتكون رهبة

السلطان اشدزجرا واقوى ردعا وقدروى ﴿ على ماروى الحكيم والبيهقى عن ابن عمر ﴾ عن النبى صلى الله عليه وسلم انه قال السلطان ظل الله في الارض ﴾ اى كالظل فى حصول الراحة بكل ودفع المشقة به يقال انا فى ظل فلان اى فى ستره وهذا تشبيه بديع والاضافة الى الله للتشريف كناقة الله وايذانه بان ظل ليس كسائر الظلال بل له شان ومزيد اختصاص بالله تعالى لماجعله فى الارض خليفة ينشر عدله واحسانه فى عباده ﴿ يأوى اليه ﴾ اى يسكن اليه ويستريح به ﴿ كل مظلوم ﴾ من عباده فان عدل كان له الاجر وكان على الرعية الشكر) لله تعالى على عدله (وان جار او حاف اوظلم) هذه الثلاثة متقاربة المعنى فالجمع بينها للاطناب (كان عليه الوزر وكان على الرعية الصبر) اى يلزمهم الصبر على جوره ولايجوز الخروج عليه وهذا لاينافى قوله اولا ظل الله لان المراد شانه ان يكون كالظل وقد يكون جائرا (واذا جارت الولاة قحطت السماء) اى انقطع المطر (واذا منعت الزكاة هلكت المواشى) لان الزكاة تنميها وتحفظها (واذا ظهر الزنا ظهر الفقر والمسكنة) لان الزانى قداختار فرج الشيطان على الفرج الذى خلقه له الرحمن وهو يضع حليلته (واذا اخفرت الذمة) بالبناء للمفعول اى اذا نقض العهد (اديل الكفار اى صارت الدولة لهم والحكم بهم كافى الجامع الصغير ﴿ وروى عن انس عن النبى صلى الله عليه وسلم انه قال ان الله ايزع بالسلطان اكثر مما يزع بالقرآن ﴾ تقول وزعته اذا منعته وكففته ﴿ وروى عن النبى صلى الله عليه وسلم انه قال ان لله حراسا فى السماء ﴾ جمع حارس اى حفاظا ﴿ وحراسا فى الارض فحراسه فى السماء الملائكة وحراسه فى الارض ﴾ الملوك ﴿ الذين يقبضون ارزاقهم ويذبون عن الناس ﴾ الفساد يقال ذب عنه اى دفع عنه ومنع قال فخر الدين الرازى فى قوله تعالى ولولا دفع الله الناس بعضهم ببعض لفسدت الارض . ولولا دفع الله بعض الناس عن الهرج والمرج واثارة الفتن فى الدنيا بسبب البعض لفسدت الارض واعلم ان الدافعين على هذا التقدير هم الانبياء عليهم السلام ثم الائمة والملوك الذابون عن شرائعهم وتقريره ان الانسان لايمكنه ان يعيش وحده لانه مالم يخبز هذا لذاك ولايطحن ذاك لهذا ولايبنى هذا لذاك ولاينسج هذا لذاك لاتتم مصلحة الانسان الواحد ولاتتم الاعند اجتماع جمع فى موضع واحد فلهذا قيل الانسان مدنى بالطبع ثم ان الاجتماع يسبب المنازعة المفضية الى المخاصمة اولا والمقاتلة ثانيا فلابد فى الحكمة الآلهية من وضع شريعة بين الخلق لتكون الشريعة قاطعة للخصومات والمنازعات فالانبياء عليهم السلام الذين اتوا من عندالله بهذه الشرائع هم الذين دفع الله بسببهم وبسبب شريعتهم الآفات عن الخلق فان الخلق مادامو يبقون متمسكين بالشرائع لايقع بينهم نزاع ولاخصام فالملوك والائمة متى كانوا يتمسكون بالشرائع كانت الفتن زائلة والمصالح حاصلة فظهر ان الله تعالى يدفع عن المؤمنين انواع شرور الدنيا بسبب بعثة الانبياء عليهم السلام واعلم انه كما لابد فى قطع الخصومات والمنازعات من الشريعة فكذلك لابد فى تنفيذ الشريعة من الملك ولهذا قال عليه السلام الاسلام والسلطان اخوان توأمان وقال ايضا الاسلام امير والسلطان حارس فالا امير له فهو منهزم ومالاحارس له فهو ضائع وقال ابن عباس رضى الله عنهما لولا السلطان لاكل الناس بعضهم بعضا ﴿ وروى عن النبى صلى الله عليه وسلم انه قال الامام الجائر خير من الفتنة وكل ﴾ واحد ﴿ لاخير فيه ﴾ حقيقة ﴿ وفى بعض الشر خير ﴾ لكونه اخف الضررين والفتنة اشد من القتل وقال

حذيفة رضي الله عنه كن في الفتنة كابن لبون لا ظهر فيركب ولا لبن فيحلب ﴾ وقال ابو هريرة رضي الله عنه سبت العجم ﴾ اي ذكرت بسوء ﴾ بين يدي رسول الله صلى الله عليه وسلم فنهى عن ذلك ﴾ السب ﴾ وقال لا تسبوها فانها عمرت بلاد الله تعالى فعاش فيها عباد الله تعالى ﴾ قال الجامي وفي التواريخ ان سلطنة العالم تعلق بالمجوس ودام معهم قرونا لعدلهم وفي الخبر ان الله اوحى الى داود عليه السلام ان عبادي استراحوا وامنوا في ظلهم فقل لقومك لا يشتغلوا بسب العجم ومذمتهم فقال الجامي * عدل وانصاف دان نه كفرونه دين . آنجه درحفظ ملك دركارست * عدل بى دين نظام عالم را . بهتراز ظلم شاه دين دارست ﴾ وقال بعض البلغاء السلطان في نفسه امام متبوع وفي سيرته دين مشروع ﴾ ولذا يقال الناس على دين ملوكهم وفي الجامع الصغير (السنة سنتان) سنة (من نبي) مرسل (و) سنة (من امام عادل) اي فيقتدى بافعاله واقواله والعادل لا يأمر بالمعصية ولا يفعلها انتهى وفي المستطرف قال اصحاب التواريخ كان الناس اذا اصبحوا في زمان الحجاج يتساءلون اذا تلاقوا من قتل ومن صلب ومن جلد ومن قطع ونحو ذلك وكان الوليد بن هشام صاحب ضياع واتخاذ مصانع فكان الناس يتساءلون في زمانه عن البنيان والضياع وشق الانهار وغرس الاشجار ولما ولى سليمان بن عبد الملك وكان صاحب طعام ونكاح كان الناس يتحادثون في الاطعمة الرفيعة ويتغالون في المناكح والسراري ويعمرون مجالسهم بذكر ذلك ولما ولى عمر بن عبد العزيز رضي الله عنه كان الناس يتساءلون كم تحفظ من القرآن وكم وردك كل ليلة وكم تصوم من الشهر ونحو ذلك وليس فوق السلطان العادل منزلة الا نبي مرسل او ملك مقرب وقد قيل ان مثله كمثل الرياح التي يرسلها الله تعالى بشرى بين يدي رحمته فيسوق بها السحاب ويجعلها لقاحا للثمرات وروحا للعباد واذا كان قصد الملك صالحا كان امره في جميع الازمان ناجحا وسخر الله له من يرشده الى قصده ويعينه على امور شعائره ويحيي ذكره من بعده حتى انه لما عزل ابراهيم بن المدبر عن البصرة شيعه الناس فقال ابو شراعة وهو احسن ماقيل في التهنئة بالعزل * يا ابا اسحق سر في دعة . وامض مكلوا قما منك خلف * ليت شعري اي قوم اجدبوا . فاغيثوا بك من بعد العجف * نزل اللطف من الله بهم . وحرمناك بذنب قد سلف * انما انت ربيع باكر . حيثما صرفه الله انصرف ﴾ فان ظلم لم يعدل احد في حكم ﴾ لسراية جربه الى الحكام ﴾ وان عدل لم يجسر احد على ظلم ﴾ لرهبته قال ابو الحسن كان عبد الملك بن مروان شديد اليقظة كثير التعاهد لولاته فبلغه ان عاملا قبل هدية فامر باشخاصه اليه فلما دخل عليه قال له اقبلت هدية منذ وليتك قال يا امير المؤمنين بلادك عامرة وخراجك موفور ورعيتك على احسن حال قال اجب فيما سئلتك عنه اقبلت هدية منذ وليتك قال نعم قال لئن كنت قبلت ولم تعوض انك للئيم ولئن انلت مهديك لا من مالك او استكفيته مالم يكن يستكفاه انك لجائر خائن ولئن كان مذهبك ان تعوض المهدى اليك من مالك وقبلت ما اتهمك عند من استكفاك وبسط لسان عائبك واطمع فيك اهل عملك انك لجاهل وما فيمن اتى امرا لم يخيل فيه من دناءة اوخيانة او جهل مصطنع . نحياه عن عمله . وهدايا العمال حرام وفي حديث ابي حميد الساعدي عند مسلم قال قدم عامل

وقال هذا لكم وهذا اهدى لى فقام رسول الله صلى الله عليه وسلم على المنبر فحمد الله واثنى عليه وقال ما بال عامل ابعثه فيقول هذا لكم وهذا اهدى لى افلا قعد فى بيت ابيه حتى ينظر ايهدى اليه ام لا ❁ وقال بعض الادباء ان اقرب الدعوات من الاجابة دعوة السلطان الصالح ❁ فى حديث ابى هريرة عند الترمذى ثلاثة لاترد دعوتهم الصائم حين يفطر والامام العادل ودعوة المظلوم يرفعها الله تحت الغمام وتفتح لها ابواب السماء ويقول الرب وعزتى لانصرنك ولو بعد حين كما فى القسطلانى ❁ واولى الحسنات بالاجر والثواب امره ونهيه فى وجوه المصالح ❁ اى فى جهتها فى الجامع الصغير عن ابى بكر الصديق رضى الله تعالى عنه بسند فيه ضعف (السلطان العادل المتواضع ظل الله ورمحه فى الارض يرفع له) اى كل يوم (عمل) اى مثل عمل (سبعين صديقا) قال المناوى وتمام الحديث كلهم عابد ومجتهد ❁ فهذه آثار السلطان فى احوال الدنيا و ❁ فى ❁ ماينتظم به امورها ثم لما فى السلطان من حراسة الدين والدنيا والذب عنهما و ❁ من ❁ دفع الاهواء منه ❁ اى من الدين والهواء ميل النفس الى خلاف مايقتضيه الشرع واراد به البدع والاعتقادات الباطلة التى تؤدى الى التفرق والبغضاء ❁ وحراسة التبديل فيه ❁ بتأويلات فاسدة لايدل عليها كتاب ولا سنة ولا اجماع ❁ وزجر من شذ عنه ❁ يقال شذ الشئ اذا اندر عن الجمهور اى خرج من بينهم واستبد ❁ بارتداد او بغى فيه بعناد او سعى فيه بفساد ❁ كما تقدم ان المنكر اذا كان من جماعة يرتبط المنكر بالسلطان وروى مسلم عن ابى هريرة عن النبى صلى الله عليه وسلم انه قال (انما الامام جنة) بضم الجيم اى كالستر لانه يمنع العدو من اذى المسلمين ويمنع الناس بعضهم من بعض ويحمى بيضة الاسلام ويتقيه الناس ويخافون سطوته (يقاتل من ورائه) من الكفار والبغاة والخوارج و سائر اهل الفساد (ويتقى به) اى شر العدو وشر اهل الفساد والظلم مطلقا افاده النووى ❁ وهذه امور ❁ خطيرة ❁ ان لم تحسم عن الدين ❁ اى لم تنقطع بالكلية ❁ بسلطان قوى ورعاية وافية ❁ و اهتمام تام ❁ اسرع فيه تبديل ذوى الاهواء و تحريف ذوى الآراء ❁ الباطلة والباطل باطل ومردود ابدا لايكون حقا اصلا الا ان فى ظهوره فى صورة الحق اشكالا توجب تفرقة وعداوة بين المسلمين ❁ فليس دين زال سلطانه الا بدلت احكامه و طمست اعلامه ❁ بالبناء للمفعول فيهما اى اندرس و انمحى علاماته ❁ وكان لكل زعيم فيه بدعة و لكل عصر فيه وهاية اثر ❁ بفتحتين مابقى من رسم الشئ والوهاية الشق والضعف يقال وهى السقاء اذا استرخى رباطه ووهى الحائط اذا ضعف و هم بالسقوط ❁ كما ان السلطان ان لم يكن على دين ❁ بان لايبالى به اولا يتقيد بدين من الاديان سماويا ام لا ❁ تجتمع به القلوب ❁ اى قلوب جمهور رعيته والجملة صفة دين ❁ حتى يرى اهله الطاعة فيه فرضا والتناصر عليه حتما ❁ لحفظ اديانهم واعلائها و صيانة بلدانهم واعمارها ❁ لم يكن للسلطان لبث و لا لايامه صفو و كان سلطان قهر ومفسدة دهر ❁ يأمر بالمنكر و ينهى عن المعروف وينصر الظالم ويقهر المظلوم ❁ و من هذين الوجهين ❁ حراسة الدنيا وحراسة الدين ❁ وجب اقامة امام يكون سلطان الوقت وزعيم الامة ❁ والامامة هى الرياسة العامة فى امر الدين والدنيا خلافة عن النبى صلى الله عليه وسلم و بهذا القيد خرجت النبوة وبقيد العموم

مثل القضاء والرياسة فى بعض النواحى وكذا رياسة من جمله الامام نائبا عنه على الاطلاق
فانها لاتعم الامامة كما فى شرح المقاصد ﴿ ليكون الدين محروسا بسلطانه و ﴾ يكون ﴿ السلطان ﴾
اى سلطان كل وقت ﴿ جاريا على سنن الدين واحكامه ﴾ من العبادات والمعاملات والعقوبات
وفى الاحياء اعلم ان الله خلق آدم من التراب واخرج ذريته من سلالة من طين و من ماء
دافق فاخرجهم من الاصلاب الى الارحام و منها الى الدنيا ثم الى القبر ثم الى العرض ثم
الى الجنة اوالنار فهذا مبدؤهم وهذا غايتهم وهذه منازلهم وخلق الدنيا زادا للمعاد ليتناولوا
منها مايصلح للتزود فلو تناولوها بالعدل لانقطعت الخصومات و تعطل الفقهاء ولكن تناولوها
بالشهوات فتولدت منها الخصومات فمست الحاجة الى سلطان يسوسهم واحتاج السلطان الى
قانون يسوسهم به فالفقيه معلم السلطان ومرشده الى طريق سياسة الخلق وضبطهم لينتظم
باستقامتهم امورهم فى الدنيا والدنيا مزرعة الآخرة ولا يتم الدين الا بالدنيا والملك والدين
توأمان فالدين اصل والسلطان حارس وما لا اصل له فمهدوم وما لا حارس له فضائع انتهى
﴿ قال عبدالله بن المعتز الملك بالدين يبقى والدين بالملك يقوى ﴾ وينتشر فى اقاصى البلاد قال الله
تعالى يا ايها الذين آمنوا من يرتد منكم عن دينه فسوف يأتى الله) جواب الشرط والعائد الى
اسم الشرط محذوف اى فسوف يأتى الله مكانهم بعد اهلاكهم ففيه تهديد (بقوم يحبهم)
اى يريد بهم خيرى الدنيا والآخرة (ويحبونه) اى يريدون طاعته ويحترزون معاصيه قيل هم
اهل اليمن لما روى ان النبى صلى الله عليه وسلم اشار الى ابى موسى الاشعرى وقال قوم هذا
وقيل هم الفرس لما روى انه عليه السلام سئل عنهم فضرب بيده الكريمة على عاتق سلمان
رضى الله عنه وقال هذا وذووه ثم قال لو كان الايمان معلقا بالثريا لناله رجال من ابناء
فارس (اذلة على المؤمنين) جمع ذليل اى ارقاء رحماء متذللين متواضعين لهم واستعماله بعلى
اما لتضمين معنى العطف والحنو اوللتنبيه على انهم مع علو طبقتهم وفضلهم على المؤمنين
خافضون لهم اجنحتهم (اعزة على الكافرين) اى اشداء متغلبين عليهم (يجاهدون فى سبيل الله
صفة اخرى لقوم مرتبة على ما قبلها مبينة مع ما بعدها لكيفية عزتهم (ولا يخافون لومة
لائم) عطف على يجاهدون بمعنى انهم جامعون بين المجاهدة فى سبيل الله وبين التصلب فى الدين
(ذلك) اشارة الى ما تقدم من الاوصاف الجليلة (فضل الله) اى لطفه واحسانه لا انهم
مستقلون فى الاتصاف بها (يؤتيه من يشاء) ايتاءه اياه ويوفقه لكسبه وتحصيله حسبما تقتضيه
الحكمة والمصلحة (والله واسع) كثير الفواضل والالطاف (عليم) مبالغ فى العلم بجميع الاشياء
التى من جملتها من هو اهل للفضل والتوفيق كما فى تفسير ابى السعود و قال الرازى فسوف
للاستقبال لا للحال فوجب ان يكون ذلك القوم غير موجودين فى وقت نزول الخطاب والآية
اخبار عن الغيب انتهى وقد وصف الله تعالى هو لاء القوم بما وصف به اصحاب النبى صلى الله
عليه وسلم فقال فيهم والذين معه اشداء على الكفار رحماء بينهم وقال فى القوم اذلة على المؤمنين
اعزة على الكافرين فاضافة الدين الى ضمير الموصول للعهد اى من ضل عن ذلك المعهود كما
اشير اليه بحديث ستفترق امتى ثلاثا و سبعين فرقة كلهم فى النار الا واحدة قيل ومن هم
يارسول الله قال الذين هم على ما انا عليه و اصحابى . والتهديد متجدد ودائم الى يوم القيامة

كما ان حكم القرآن كذلك ولذا استبشر به النبي صلى الله عليه وسلم و قال لا تزال طائفة من امتي ظاهرين على الحق حتى تأتيهم الساعة . والآيات بعدها لا سيما القصر في انما يعين سياسة القوم وهذا ما اراده ابن المعتز فتبين ان اشارة النبي صلى الله عليه وسلم الى ابي موسى الاشعري لم تكن لخصوصية بلده ولا قومه بل اخبارا عن الغيب وتبشيرا بمجيء محيي السنة ابي الحسن الاشعري من نسله وان اشارته الى سلمان كان اشارة الى توسع الدين وانتشاره في بلاد العجم واستحكامه فيها فلا تنافي بين الاشارتين فلعل ذلك الغيب كان ظهور الدولة العثمانية والله اعلم ﴿ واختلف الناس ﴾ بعد اجماعهم على ان اقامة الامام واجب ﴿ هل وجب ذلك ﴾ النصب ﴿ بالعقل ﴾ كما ذهب اليه بعض المعتزلة ﴿ او بالشرع ﴾ كما قال به اهل السنة وعامة المعتزلة لقوله عليه السلام من مات ولم يعرف امام زمانه فقد مات ميتة جاهلية ولان الامة قد جعلوا اهم المهمات بعد وفات النبي صلى الله عليه وسلم نصب الامام حتى قدموه على الدفن وكذا بعد موت كل امام ولان كثيرا من الواجبات الشرعية يتوقف عليه ﴿ فقالت طائفة ﴾ وهم الجاحظ والخياط والكعبي وابو الحسين البصري ﴿ وجب بالعقل ﴾ اي بدليل عقلي ابتداء والشرع ايده واظهره وهو قولهم ﴿ لانه معلوم من حال العقلاء على اختلافهم الفزع الى زعيم مندوب للنظر في مصالحهم ﴾ يقال فزع منه اذا خاف واليه اذا استغاث اي استغاثتهم والتجاؤهم اليه مندوب ليحكم الزعيم بينهم بالحق وعلى بمعنى عند . اقول وعين الحال مشاهد في الصبيان بل في البهائم والوحوش فلم لم يقولوا وجب بالطبع ﴿ وذهب آخرون الى وجوبه بالشرع لان المقصود بالامام القيام بامور شرعية كاقامة الحدود واستيفاء الحقوق ﴾ واقامة الجمع والاعياد ونحو ذلك ﴿ وقد كان يجوز الاستغناء عنها ﴾ اي عن تلك الامور الشرعية في حكم العقل ﴿ بان لا يراد التعبد بها فبان يجوز الاستغناء ﴾ عقلا ﴿ عما لا يراد الا لها اولى ﴾ فالدليل العقلي معارض بمثله فلا تثبت به الوجوب ﴿ وعلى هذا ﴾ الاختلاف ﴿ اختلفوا في وجوب بعثة الانبياء ﴾ عليهم السلام على الله عز وجل ﴿ فمن قال بوجوب ذلك ﴾ الاقامة ﴿ بالعقل قال بوجوب بعثة الانبياء ﴾ على الله لئلا يلزم تخصيص الدليل العقلي ﴿ ومن قال بوجوب ذلك بالشرع منع من وجوب بعثة الانبياء لانه لما كان المقصود ببعثهم تعريف المصالح الشرعية وكان يجوز من المكلفين ان لا تكون تلك الامور مصلحة لهم ﴾ عقلا ﴿ لم يجب بعثة الانبياء ﴾ قال العلامة التفتازاني في شرح المقاصد ثم البعثة لطف من الله تعالى لعباده ورحمة للعالمين من غير وجوب على الله تعالى لما فيها من حكم ومصالح لا تحصى منها معاضدة العقل فيما يستقل بمعرفته مثل وجود الباري وعلمه وقدرته لئلا يكون للناس على الله حجة بعد الرسل . ومنها استفادة الحكم من النبي فيما لا يستقل به العقل مثل الكلام والرؤية والمعاد الجسماني . ومنها ازالة الخوف الحاصل عند الاتيان بالحسنة لكونه تصرفا في ملك الله بغير اذنه وعند تركها لكونه ترك طاعة . ومنها بيان حال الافعال التي تحسن تارة وتقبح اخرى من غير اهتداء العقل الى مواقعها . ومنها بيان منافع الاغذية والادوية ومضارها التي لا تفي بها التجربة الا بعد ادوار واطوار مع ما فيها من الاخطار ومنها تكميل النفوس البشرية بحسب استعداداتهم المختلفة في العلميات والعمليات . ومنها تعليم الصنايع الخفية من الحاجيات والضروريات . ومنها تعليم الاخلاق الفاضلة الراجعة

وقال السيد الشريف
شمس علم از افق
برج عرب طالع شد .
استوا یافت ولی در
وسط ملك عجم .
یافت در روم زوال
ازاثر كثرت عرف .
جرم بی نور ضیاماند
درین دار الم .
منه

الى الاشخاص والسياسات الكاملة العائدة الى الجماعات من تدبير المنازل والمدن . ومنها الاخبار بتفاصيل ثواب المطيع وعقاب العاصى ترغيبا فى الحسنات وتحذيرا عن السيئات الى غير ذلك من الفوائد فلهذا قالت المعتزلة بوجوبها على الله تعالى والفلاسفة بلزومها فى حفظ نظام العالم والحاصل ان النظام المؤدى الى صلاح حال النوع على العموم فى المعاش والمعاد لايتكمل الا ببعثة الانبياء فيجب على الله تعالى عند المعتزلة لكونه لطفا وصلاحا للعباد وعند الفلاسفة لكونه سببا للخير العام المستحيل تركه فى الحكمة والعناية الالهية والى هذا ذهب جمع من المتكلمين بما وراء النهر وقالوا انها من مقتضيات حكمة البارى عز وجل فيستحيل ان لايوجد لاستحالة السفه عليه كما ان ماعلم الله وقوعه يجب ان يقع لاستحالة الجهل عليه انتهى ﴿ فاما اقامة امامين او ثلاثة فى عصر واحد و بلد واحد فلا يجوز اجماعا ﴾ لما فيه من ايثار تفرقة وفساد بين المسلمين لضرورة حب المغالبة بينهما ﴿ فاما ﴾ اقامتهما ﴿ فى بلدان شتى وامصار متباعدة فقد فقد ذهبت طائفة شاذة ﴾ اى قليلة ﴿ الى جواز ذلك لان الامام مندوب للمصالح واذاكان اثنان فى بلدين اوناحيتين كان كل واحد منهما اقوم بما فى يديه ﴾ لتقلل المصالح حينئذ ﴿ واضبط لما يليه ﴾ لامكان مراعاة احوال الولاة والقضاة وسائر العمال ﴿ ولانه لما جاز بعثة نبيين او اكثر فى عصر واحد ولم يؤد ذلك ﴾ البعث ﴿ الى ابطال النبوة كانت الامامة ﴾ التى هى فرع النبوة ﴿ اولى ﴾ بالجواز ﴿ ولا يؤدى ذلك الى ابطال الامامة ﴾ وهذا الدليل كان يتم لوكان امر الامامة مقصورا على تسوية مصالح الرعية فقط بدون حراسة البيضة من عدو فى الدين وليس كذلك بل هى اقدم امورها واعظمها وقياسه بالنبوة قياس مع الفارق اذ الانبياء عليهم السلام معصومون عن عداوة نبى آخر واختلافه واما فى تعدد الامامة فالاختلاف واقع لامحالة مع ماينضم اليه من تحاسد الاكفاء او بغى الكثرة وعلو اليد او ذل القلة والضعف ﴿ وذهب الجمهور الى ان اقامة امامين فى عصر واحد لايجوز شرعا لما روى عن النبى صلى الله عليه وسلم انه قال اذا بويع اميران ﴾ فى بلد او بلدان شتى ﴿ فاقتلوا احدهما ﴾ ورواية مسلم عن ابى سعيد الخدرى رضى الله عنه اذا بويع لخليفتين فاقتلوا الآخر منهما وروى ايضا عن عرفجة قال سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول من اتاكم وامركم جميع على رجل واحد يريد ان يشق عصاكم او يفرق جماعتكم فاقتلوه قال النووى هذا محمول على ما اذا لم يندفع الا بقتله وفيه انه لايجوز عقدها لخليفتين وروى مسلم ايضا عن ابى هريرة رضى الله عنه قال رسول الله صلى الله عليه وسلم وستكون خلفاء فتكثر قالوا فما تأمرنا قال فوا) امر من وفى يفى (ببيعة الاول فالاول واعطوهم حقهم فان الله سائلهم عما استرعاهم) قال النووى معنى الحديث اذا بويع لخليفة بعد خليفة فبيعة الاول صحيحة يجب الوفاء بها وبيعة الثانى باطلة يحرم الوفاء بها ويحرم عليه طلبها وسواء عقدوا للثانى عالمين بعقد الاول ام جاهلين وسواء كانا فى بلدين او بلد واحد او احدهما فى بلد الامام المنفصل والآخر فى غيره هذا هو الصواب الذى عليه اصحابنا وجماهير العلماء وقيل تكون لمن عقدت له فى بلد الامام وقيل يقرع وهذان فاسدان واتفق العلماء على انه لايجوز ان يعقد لخليفتين فى عصر واحد سواء اتسعت دار الاسلام ام لا وقال امام الحرمين فى كتابه الارشاد قال اصحابنا لايجوز عقدها

لشخصين وقال عندى انه لايجوز لاثنين فى صقع واحد وهذا مجمع عليه قال فان بعد مابين الامامين وتخللت بينهماشسوع فللاحتمال فيه مجال وقال وهو خارج من القواطع وحكى المازرى هذاالقول عن بعض المتأخرين من اهل الاصول واراد به امام الحرمين وهو قول فاسد مخالف لما عليه السلف والخلف ولظواهر اطلاق الاحاديث انتهى ماقاله النووى فالاحاديث معينة بقتل الثانى ولا ضمان فيه لانه ظالم متعد فى قتاله وقال عبدالله بن عمرو بن العاص فى معاوية اطعه فى طاعة الله واعصه فى معصية الله قال النووى فيه دليل لوجوب طاعة المتولين للامامة بالقهر من غير اجماع ولا عهد انتهى ﴿ وروى عن النبى صلى الله عليه وسلم انه قال اذا وليتم ابابكر تجدوه قويا فى دين الله عز وجل ضعيفا فى بدنه واذا وليتم عمر تجدوه قويا فى دين الله عز وجل قويا فى بدنه وان وليتم عليا تجدوه هاديا ﴾ لغيره ﴿ مهديا ﴾ فى نفسه ﴿ فبين بظاهر هذاالكلام ان اقامة جميعهم فى عصر واحد لايصح ولوصح لا شار اليه ولنبه عليه ﴾ والسكوت فى معرض البيان يفيد القصر على المذكور. هذا وقد وقع قتال بين على ومعاوية رضى الله عنهما ولوجاز اقامة امامين لما اباح احدهما دم الآخر ولم يقل احد من الصحابة اوالتابعين ممن بايع بطرف اولم يبايع وانتظر آخر امرها بجواز الصلح بينهما واقامتهما معا وقال رجل لعلى كرم الله وجهه انى احبك واحب معاوية فقال اما الآن فانت اعور فاما ان تبرأ واما ان تعمى ﴿ والذى يلزم سلطان الامة من امورها ﴾ اى الامة ﴿ سبعة اشياء احدها حفظ الدين ﴾ على اصوله المستقرة وما اجمع عليه سلف الامة ﴿ من تبديل ﴾ اهل الاهواء ﴿ فيه ﴾ بتأويلاتهم الفاسدة ﴿ والحث على العمل به ﴾ فان نجم مبتدع فيه اوزاغ ذو شبهة عنه اوضح له الحجة وبين له الصواب واخذ بما يلزمه من الحقوق والحدود ﴿ من غير اهمال له ﴾ ليكون الدين محروسا من خلل والامة ممنوعة من زلل ولذا اشترط العدالة لان الفاسق لايصلح لامر الدين ولا يوثق باوامره ونواهيه والظالم يختل به امر الدين والدنيا كما فى الاحكام السلطانية للمصنف والمقاصد ﴿ والثانى حراسة البيضة ﴾ اى حماية حوزة الاسلام وساحة الامة يقال حمى بيضة القوم اى حوزتهم وساحتهم ﴿ والذب عن الامة من عدو فى الدين ﴾ بجهاد من عاند الاسلام حتى يسلم اويدخل فى الذمة ﴿ او باغى نفس اومال ﴾ كاهل الفساد وقطاع الطريق ليتصرف الناس فى المعايش وينتشروا فى الاسفار آمنين من تغرير بنفس اومال ولذا زاد الجمهور اشتراط ان يكون شجاعا لئلا يجبن عن اقامة الحدود ومقاومة الخصوم مجتهدا فى الاصول والفروع ليتمكن من القيام بامر الدين ذا رأى فى تدبير الامور لئلا يخبط فى سياسة الجمهور ولم يشترطها بعضهم لندرة اجتماعها فى شخص وجواز الاكتفاء فيها بالاستعانة من الغير بان يفوض امر الحروب ومباشرة الخطوب الى الشجعان ويستفتى المجتهدين فى امر الدين ويستشير اصحاب الآراء الصائبة فى امور الملك ويأتى شرائط الاستشارة وآدابه فى فصل مستقل ﴿ والثالث عمارة البلدان باعتماد مصالحها ﴾ من تحصين الثغور بالعدة المانعة والقوة الدافعة حتى لايظفر الاعداء بغتة ينتهكون بها محرما او يسفكون فيها لمسلم او معاهد دما كما قال الله تعالى واعدوا لهم ما استطعتم من قوة ومن رباط الخيل ترهبون به عدوالله وعدوكم ﴿ وتهذيب سبلها ومسالكها ﴾ بنباء القناطر على الانهار

المملكة ووقايتهـا عن قطـاع الطريق ونصـب اعلام وحفر آبار وبنـاء خان ونحو ذلك ﴿ والرابع تقـدير مايتولاه من الاموال بسـنن الدين ﴾ متعلق بالتقدير من جباية الفئ والصـدقات على ما اوجبه الشرع نصـا واجتهادا ﴿ من غير تحريف فى اخذها ﴾ لان التحريف بالزيادة يفضى الى خسران اهل السوائم والمزارع وارباب الحرف والتجارات وبالنقصـان الى خذلان محال الصرف من الفقراء والمسـاكين والعـاملين ونحوهم ﴿ واعطائها ﴾ لمن يسـتحق فى بيت المال ويدفعه فى وقته بلاتقديم ولاتأخير اذ ما من سرف وتبذير الاوفى مقابلهما حق مضيع لان الاموال اقل من ان يوضع فى محله وغير محله ﴿ والخامس معاناة المظالم ﴾ جمع مظلمة كمنزلة ومنازل وهى حق المظلوم يقـال عند فلان مظلمتى اى ماتظالمته ﴿ والاحكام بالتسوية بين اهلها واعتماد النصـفة ﴾ اى التزام العدالة ﴿ فى فصلها ﴾ يعنى بتنفيذ الاحكام بين المتشاجرين وقطع الخصام بين المتنازعين حتى تتم النصـفة ولايتعدى ظالم ولايضعف مظلوم . حكى انه قال امير لاعرابى قل الحق والا اوجعتك ضربا فقال وانت فاعمل به فوالله لما اوعدك الله على تركه اعظم مما توعدنى به * وقد اسلم جبلة بن ايهم آخر ملوك بنى غسان وفرح المسلمون بقدومه واسـلامه ثم حضرالموسم مع عمر فبينما هويطوف بالبيت اذوطئ على ازاره رجل من فزارة واستحله فالتفت اليه جبلة مغضبا فلطمه فهشم انفه فاستعدى عليه الفزارى عمر فقال مادعاك الى ان لطمت اخاك فقال انه وطئ ازارى ولولا حرمة هذا البيت لاخذت الذى عليه عيناه فقال له عمر رضى الله اما انت فقد اقررت فاما ان ترضيه واما ان اقيده منك قال اتقيد منى وهو رجل سوقة قال قد شملك واياه الاسلام فما تفضله الا بالعافية قال قد رجوت ان اكون فى الاسلام اعزمنى فى الجاهلية فقـال هو ذاك قال اذا اتنصر قال ان تنصرت ضربت عنقك واجتمع وفد فزارة ووفد جبلة وكادت تكون فتنة فقال جبلة انظرنى الى غد ياامير المؤمنين قال ذلك اليك ففر فى ليلته مع اصحابه الى القسطنطينية فتنصر وكان ذا قدرعظيم عندهرقل وحكى قحطبة بن حميد قال انى لواقف على رأس المامون يوما وقدجلس للمظالم فكان آخر من دخل عليه وتقدم اليه امرأة وقدهم بالقيام عليها اهبة السفر وثياب رثة فوقفت بين يديه وقالت السـلام عليك يا اميرالمؤمنين ورحمة الله وبركاته فنظر المأمون الى يحيى بن اكثم فقال يحيى وعليك السـلام يا امةالله تكلمى فى حاجتك فقالت * يا خير منتصف يرجى له الرشد . ويا اماما به قد اشرق البلد * تشكو اليك عميدالملك ارملة . عدا عليها فلم يترك لها لبد * وابتز منى ضـياعى بعد منعتها . ظلما وفرق منى الاهل والولد * فاطرق المأمون حينا ثم رفع رأسـه فقال * فى دون ماقلت زال الصبر والجلد . عنى واقرح منى القلب والكبد * هذا اوان صلاة العصرفانصرفى . واحضرى الخصم فى الوقت الذى اعد * والمجلس السبت ان يقضى الجلوس لنا . ننصفك منه والا المجلس الاحد * فجلس يوم الاحد فكانت اول من تقدم اليه فقالت السلام عليك يا اميرالمؤمنين فقال وعليك السلام اين الخصم فقالت واقف على رأسك واشارت الى ابنه العباس فقال يا احمد بن ابى خالد خذبيده فاجلسه معها للخصومة ففعل فجلس فجعلت كلامها يعلو كلامه فقال لها احمد يا امةالله انت بين يدى

حكى رسول عمرالى هرقل انه انشده قول حسان متندما على مافعل وهو . فياليت امى لم تلدنى وليتنى . رجعت الى الامر الذى قال لى عمر . وياليتنى ارعى المخاض بقفرة . وكنت اسيرا فى ربيعة اومضر . وياليتنى بالشام ادنى معيشة . اجالس قومى ذاهب السمع والبصر . وتفصيله فى الشريشى مقامه ٢٩ منه

اميرالمؤمنين وتكلمين الامير فاخفضى من صـوتك فقال له المأمون يا احمد فالحق انطقها والباطل اخرسـه ثم قضى لها برد ضـياعها وظلم العباس وامرلها بنفقة وكتب الى عامل بلدها ان يحسن معاونتها كما فى الاحكام السلطانية والشربيشى ﴿ والسادس اقامة الحدود على مستحقها ﴾ خاءلاكان او ذاشاهة لتصان محارم الله تعالى عن الانتهاك ويحفظ حقوق عباده من اتلاف واستهلاك ﴿ من غير تجاوز فيها ولا تقصير عنها ﴾ لان تعيين الحدود محض حق الله تعالى ولا مجال فيه للاجتهاد فالزيادة على ما عينها الله ظلم لانه تصرف فى ملك الله بغير اذنه وفى التقصير ابطال لحكمة مشروعيتها واغراء على اتيان مثل المعاصى وقال الله تعالى ولا تأخذكم بهما رأفة فى دين الله وفى الجامع الصغير ادرأوا الحدود ولاينبغى الامام تعطيل الحدود اى لا تفحصوا عنها اذا لم يثبت وبعد الثبوت اقيموها وجوبا ﴿ والسابع اختيار خلفائه ﴾ من الولاة والقضاة وسائر العمال ﴿ فى الامور ﴾ التى ولاهم عليها يتصفح احوالهم بنفسه ﴿ ان يكونوا من اهل الكفاية فيها والامانة عليها ﴾ ليكون الاعمال بالكفاة مضبوطة والاموال بالامناء محفوظة ولينهض بسياسة الامة وحراسة الملة ولايعول على التفويض والتشاغل بلذة اوعبادة فقد يخون الامين ويغش الناصح وقد قال الله ياداود انا جعلناك خليفة فى الارض فاحكم بين الناس بالحق ولا تتبع الهوى فيضلك عن سبيل الله فلم يقتصر تعالى على التفويض دون المباشرة ولاعذره فى اتباع الهوى حتى وصفه بالضلال وهذا وان كان مستحقا عليه بحكم الدين ومنصب الخلافة فهو من حقوق السياسة لكل مسترعى قال النبى صلى الله عليه وسلم كلكم راع وكلكم مسؤل عن رعيته ولقد اصاب الشاعر فيما وصف به الزعيم المدبر حيث يقول * وقلدوا امركم لله دركم * رحب الذراع بامر الحرب مضطلعا * لامترفا ان رخاء العيش ساعده . ولا اذا عض مكروه به خشعا * مازال يحلب در الدهر اشطره . يكون متبعا طورا ومتبعا * حتى استمر على شزر مريرته . مستحكم الرأى لا قحما ولا ضرعا * وقال محمد بن يزدان للمأمون وكان وزيره * من كان حارس دنيا انه قمن . ان لا ينام وكل الناس نوام * وكيف ترقد عينا من يضيقه . همان من امره حل وابرام * وحكى ان المأمون رحمه الله كتب فى اختيار وزير انى التمست لاموری رجلا جامعا لخصال الخير ذاعفة فى خلائقه واستقامة فى طرائقه قد هذبته الآداب واحكمته التجارب ان اوتمن على الاسرار قام بها . وان قلد مهمات الامور نهض فيها . يسكنه الحلم . وينطقه العلم . تكفيه اللحظة وتغنيه اللمحة . له صولة الامراء . واناة الحكماء . وتواضع العلماء . وفهم الفقهاء . ان احسن اليه شكر . وان ابتلى بالاساءة صبر . لايبيع نصيب يومه . بحرمان غده . يسترق قلوب الرجال بخلابة لسانه . وحسن بيانه . وقد جمع بعض الشعراء هذه الاوصاف فاوجزها ووصف بعض وزراء الدولة العباسية بها فقال * بداهته وفكرته سواء . اذا التبست على الناس الامور * واحزم ما يكون الدهر يوما . اذا اعيا المشاور والمشير * وصدر فيه للهم اتساع . اذا ضاقت من الهم الصدور * وهذه الاوصاف ان كملت فى الوزير المدبر وقلما تكمل فالصلاح بنظره عام وما يناط برأيه وتدبيره تام وان اختلت فالصلاح بحسبها مختل والتدبير على قدرها معتل وان لم يكن هذا من الشروط الدينية المحضة فهو من شروط

السياسة الممارجة بشروط الدين لمايتعلق بها من مصالح الامة واستقامة الملة كما فى الاحكام السلطانية فى العلوم الشرعية وروى البخارى عن ابى هريرة قال بينما رسول الله صلى الله عليه وسلم فى مجلس يحدث القوم جاءه اعرابى فقال متى الساعة فمضى يحدث فقال بعضهم سمع ما قال فكره ماقاله وقال بعضهم بل لم يسمع حتى اذا قضى حديثه قال اين السائل من الساعة قال ها انا يارسول الله قال اذا ضيعت الامانة فانتظر الساعة قال كيف اضاعتها قال اذاوسد) بالبناء للمجهول اى جعل او اسند اوفوض (الامر) والمراد جنس الامور التى تتعلق بالدين كالخلافة والامارة والقضاء والافتاء وغير ذلك (الى غير اهله) من فاسق وجائر ودنئ نسب ونحو ذلك (فانتظر الساعة) فان ذلك يدل على دنوها لافضائه الى اختلال الامور وضعف الاسلام وذلك من اشراطها كما فى القسطلانى ﴿ فاذا فعل من افضى اليه سلطان الامة ما ذكرنا من هذه الاشياء السبعة كان مؤديا لحق الله تعالى فيهم ﴾ اى فيمالهم وعليهم ﴿ مستوجبا لطاعتهم ومناصحتهم مستحقا لصدق ميلهم ومحبتهم ﴾ المستلزم للنصرة ﴿ وان ﴾ لم يفعل تلك الاشياء بل ﴿ قصر عنها ولم يقم بحقها وواجبها ﴾ كلا او بعضا ﴿ كان بها مؤاخذا وعليها معاقبا ﴾ كما روى مسلم عن ابن عمر رضى الله عنهما عن النبى صلى الله عليه وسلم انه قال الا كلكم راع وكلكم مسئول عن رعيته فالامير الذى على الناس راع وهو مسئول عن رعيته والرجل راع على اهل بيته وهو مسئول عنهم والمرأة راعية على بيت بعلها وولده وهى مسئولة عنهم والعبد راع على مال سيده وهو مسئول عنه الاوكلكم راع وكلكم مسئول عن رعيته . قال العلماء الراعى هو الحافظ المؤتمن الملتزم صلاح ماقام عليه وما هو تحت نظره ففيه ان كل من كان تحت نظره شئ فهو مطالب بالعدل فيه والقيام بمصالحه فى دينه ودنياه ومتعلقاته كما فى النووى ﴿ ثم هو ﴾ اى السلطان المقصر باعتبار دنياه ﴿ من الرعية على استبطان معصية ومقت ﴾ بدل الطاعة والمحبة ﴿ يتربصون الفرص ﴾ جمع فرصة اى يترقبون وينتظرون زمانها ﴿ لاظهارها ﴾ اى العصيان والبغض المكتومين ﴿ ويتوقعون الدوائر ﴾ جمع دائرة بمعنى الهزيمة والبلية ﴿ لاعلانهما ﴾ وقد روى مسلم عن على رضى الله عنه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم لاطاعة فى معصية الله انما الطاعة فى المعروف ﴿ وقد قال الله تعالى ﴾ فى الانعام ﴿ قل هو القادر ﴾ هو الذى عرفتموه قادر اوهو الكامل القدرة ﴿ على ان يبعث عليكم عذابا من فوقكم اومن تحت ارجلكم اويلبسكم شيعا وفى قوله تعالى عذابا من فوقكم اومن تحت ارجلكم تأويلان احدهما ان العذاب الذى هو من فوقهم امراء السوء والذى من تحت ارجلهم عبيد السوء وهذا قول ابن عباس رضى الله عنهما والثانى ان العذاب الذى هو من فوقهم الرجم ﴾ كما امطر على قوم لوط وعلى اصحاب الفيل الحجارة وارسل على قوم نوح الطوفان ﴿ والذى من تحت ارجلهم الخسف وهذا قول مجاهد وسعيد بن جبير ﴾ كما اغرق بفرعون وخسف بقارون وقيل هما حبس المطر والنبات ﴿ وفى قوله تعالى اويلبسكم شيعا تأويلان احدهما انه الا هواء المختلفة وهذا قول ابن عباس والثانى انه الفتن والاختلاط وهذا قول مجاهد ﴾ قال الزمخشرى اى يخلطكم فرقا مختلفين على اهواء شتى كل فرقة منكم مشايعة لامام ومعنى خلطهم ان ينشب بينهم القتال فيختلطوا ويشتبكوا فى

ملاحم القتال كقول الحماسي * وكتيبة لبستها بكتيبة . حتى اذا التبست نفضت لها يدى (ويذيق بعضكم بأس بعض) وعن رسول الله صلى الله عليه وسلم سألت الله ان لا يبعث على امتى عذابا من فوقهم او من تحت ارجلهم فاعطانى ذلك وسألته ان لا يجعل باسهم بينهم فمنعنى واخبرنى جبريل ان فناء امتى بالسيف ومعنى الآية الوعيد باحد اصناف العذاب المعدودة انتهى ﴿ وروى ﴾ كما روى البيهقى عن ابى هريرة والطبرانى عن ابن عباس ﴿ عن النبى صلى الله عليه وسلم انه قال مامن امير على عشرة ﴾ ومافوقها ﴿ الا وهو يجئ ﴾ وفى رواية يؤتى ﴿ يوم القيامة مغلولة يداه الى عنقه حتى يكون عمله هو الذى يطلقه او يوبقه ﴾ اى يهلكه ويروى حتى يفكه العدل او يوبقه الجور ﴿ وروى عن النبى صلى الله عليه وسلم ﴾ كما روى مسلم عن عوف بن مالك ﴿ انه قال خير ائمتكم ﴾ اى امرائكم ﴿ الذين تحبونهم ويحبونكم ﴾ لمعاملتهم لكم بالشفقة والاحسان ﴿ وتصلون عليهم ويصلون عليكم ﴾ اى تدعون لهم ويدعون لكم ﴿ وشر ائمتكم الذين تبغضونهم ويبغضونكم وتلعنونهم ويلعنونكم وهذا صحيح ﴾ اى ثابت عادة ﴿ لانه اذا كان ﴾ عادلا محسنا ﴿ ذا خير احبهم واحبوه واذا كان ذا شر ابغضهم ﴾ لعلمه انهم لا يحبونه ﴿ وابغضوه ﴾ لشره ﴿ وقد كتب عمر بن الخطاب رضى الله عنه الى سعد بن ابى وقاص ﴾ القرشى احد العشرة المبشرة بالجنة واحد الستة اصحاب الشورى الذين جعل عمر بن الخطاب امر الخلافة اليهم اسلم وهو ابن اربع عشرة سنة بعد اربعة وشهد بدرا وما بعدها من المشاهد وكان مجاب الدعوة وهو اول من رمى فى سبيل الله واول من اراق دما فى سبيل الله وكان يقال له فارس الاسلام روى له عن رسول الله صلى الله عليه وسلم مائتا حديث وسبعون حديثا وهو الذى فتح مدائن كسرى فى زمن عمر وولاه عمر العراق وهو الذى بنى الكوفة ولما قتل عثمان رضى الله عنه اعتزل سعد الفتن ومات بقصره بالعقيق على عشرة اميال من المدينة سنة سبع وخمسين وهو ابن بضع وسبعين سنة وحمل الى المدينة على ارقاب الرجال وصلى عليه مروان بن الحكم والى المدينة ودفن بالبقيع وهو آخر العشرة موتا ﴿ رضى الله عنه ان الله تعالى اذا احب عبدا حببه الى خلقه ﴾ اى يجعله حبيبا اليهم ﴿ فاعرف منزلتك من الله تعالى بمنزلتك من الناس ﴾ وهذا المعلوم مقياس ذلك المجهول وميزانه ﴿ واعلم ان مالك عند الله ﴾ من القدر والمنزلة والمحبة ﴿ مثل ماله عندك ﴾ فى اتيان اوامره بالاشتياق اليها والمحبة بها واجتناب نواهيه مع التنفر عنها والبغض اليها ﴿ فكان هذا ﴾ المروى عن عمر ﴿ موضحا لمعنى ماذكرنا واصل هذا ﴾ المعنى ﴿ ان خشية الله ﴾ مطلقا سواء كانت فى حقوق الله او فى حقوق خلقه ﴿ تبعث ﴾ الخاشع ﴿ على طاعته ﴾ لله تعالى ﴿ فى خلقه وطاعته فى ﴾ اداء حقوق ﴿ خلقه تبعثهم على محبته ﴾ لان الانسان مجبول بمكافاة الاحسان بمثله فاذا لم يقدر عليها عوضه بمحبته وكافاه بنصرته وخدمته ﴿ فلذا كانت محبتهم دليلا على خيره وخشيته وبغضهم دليلا على شره وقلة مراقبته ﴾ على حقوقهم واحوالهم وقد روى الديلمى عن انس بن مالك رضى الله عنه عن النبى صلى الله عليه وسلم انه قال اذا احب الله عبدا قذف حبه فى قلوب الملائكة ثم يقذفه فى قلوب الآدميين واذا ابغض عبدا قذف بغضه فى قلوب الملائكة ثم فى قلوب الآدميين) فلا يراه ويسمع به احد

من البشر الا احبه او ابغضه فتطابق القلوب على محبة عبد او بغضه علامة على ما عند الله تعالى وقال ابن عبد ربه * وجه عليه من الحياء مهابة . ومحبة تجرى مع الانفاس * واذا احب الله يوما عبده . القى عليه محبة للناس ﴾ وقد قال عمر بن الخطاب رضى الله عنه لبعض خلفائه او صيك ان تخشى الله فى ﴾ اداء حقوق ﴿ الناس ﴾ والعدل فيهم ﴿ و ﴾ ان ﴿ لا تخشى الناس فى ﴾ اجراء احكام ﴿ الله ﴾ تعالى وحدوده وتبليغها ﴾ وقال عمر بن عبد العزيز لبعض جلسائه انى اخاف الله فيما تقلدت ﴾ من اعباء الخلافة وقد قال الله تعالى ياداود انا جعلناك خليفة فى الارض فاحكم بين الناس بالحق ولا تتبع الهوى فيضلك عن سبيل الله ان الذين يضلون عن سبيل الله لهم عذاب شديد بما نسوا يوم الحساب ﴾ فقال له لست اخاف عليك ان تخاف الله ﴾ فتعدل لان ذلك ماتمناه كل احد ﴾ وانما اخاف عليك ان لاتخاف الله ﴾ فتجور باتباع الهوى ﴾ و هذا واضح لان الخائف من الله تعالى مأمون ﴾ سرا وعلانية ﴾ كالذى روى عن عمر بن الخطاب رضى الله عنه انه قال لابى مريم السلولى وكان هو الذى قتل اخاه زيدا ﴾ بن الخطاب ﴾ والله انى لااحبك حتى تحب الارض الدم ﴾ وتمصه وذلك تعليق بالمحال ﴾ قال ﴾ ابو مريم ﴾ افيمنعنى ذلك ﴾ البغض ﴾ حقا ﴾ لى عليك او استحقه بحكمك ﴾ قال ﴾ عمر ﴾ لا ﴾ يمنعك ﴾ قال فلا ضير انما تأسى ﴾ اى تحزن و بابه علم ﴾ على ﴾ عدم ﴾ الحب ﴾ اوزواله ﴾ النساء ﴾ لاالرجال ﴾ وروى عبد الرحمن بن محمد قال اصدق طلحة بن عبد الله ام كلثوم بنت ابى بكر مأة الف درهم وهو اول من اصدق هذا القدر ﴾ الوفير يقال اصدق المرأة اذا سمى لها صداقا والصداق بكسر الصاد وفتحها المهر ﴾ فمر بالمال على عمر بن الخطاب ﴾ اى على موضع كان يراه ﴾ فقال ماهذا ﴾ المال الكثير ﴾ قالوا صداق ام كلثوم ابنة ابى بكر ﴾ الصديق ﴾ فقال ادخلوه بيت المال ﴾ فادخلوه ﴾ فاخبر بذلك طلحة وقيل له كلمه فى ذلك ﴾ فانه يرده ﴾ فقال ﴾ طلحة ﴾ ما انا بفاعل لئن كان عمر يرى له فيه حقا لايرده لكلامى وان كان لايرى فيه حقا ليردنه ﴾ بلا حاجة الى كلام والامان جوابا قسم محذوف ﴾ قال ﴾ الراوى عبد الرحمن ﴾ فلما اصبح عمر امر بالمال فدفع الى ام كلثوم ﴾ وفى التفاسير عن عمر رضى الله عنه انه قام خطيبا فقال ياايها الناس لا تغالوا بصداق النساء فلو كانت مكرمة فى الدنيا او تقوى عند الله لكان اولاكم بها رسول الله صلى الله عليه وسلم وما اصدق امرأة من نسائه اكثر من اثنى عشرة اوقية (٢) فقامت اليه امرأة فقالت يا امير المؤمنين لم تمنعنا حقا جعله الله لنا والله يقول وآتيتم احداهن قنطارا فلا تأخذوا منه شيئا (٣) فقال عمر كل احد اعلم من عمر ثم قال لاصحابه تسمعونى اقول مثل هذا القول فلاتنكرونه على حتى ترد على امرأة ليست من اعلم النساء انتهى فلعل عمر خطب خطبته ذلك فرد المال ﴾ وحكى ان الرشيد حبس ابا العتاهية فكتب على حائط الحبس ﴾ قوله من الوافر ﴾ اما والله ان الظلم شوم ﴾ ضد اليمن ويروى لؤم واما حرف استفتاح بمنزلة الاوتكثر قبل القسم وقد تبدل همزتها هاء اوعينا قبل القسم وكلاهما مع ثبوت الالف وحذفها ﴾ وما زال المسئ هو الظلوم ﴾ فعول من الظلم ﴾ الى الديان يوم الدين نمضى . وعند الله تجتمع الخصوم ﴾ جمع خصم

(٢) قال ابن عيينة والاوقية عند اهل العلم اربعون درهما واثنى عشر اوقية اربعمأة وثمانون درهما انتهى ومن الملح فى صداق خمسمأة ماحدث ابن ابى شيبة قال كان حجاج جارنا فسمعته يقول لابيه تزوجت امى على خمسمأة درهم وبقيت انا لك ربحا فقال له ابوه من سخنة عين هذا الربح اخشى منه

(٣) القنطار المال العظيم منه

والديان من صفاته تعالى بمعنى القهار والقاضى والحاكم والمجازى الذى لايضيع عمل عامل ﴿ ستعلم فى المعاد اذا التقينا . غدا عندالمليك من الظلوم ﴾ من استفهامية وغدا بدل من المعاد ﴿ فاخبر الرشيد بذلك فبكى بكاء شديدا ودعا بابى العتاهية فاستحله ووهب له الف دينار ﴾ لحبسه من غير موجب شرعى ﴿ واطلقه ﴾ وقد كان حبس ومنع هذا الموضع من قوله فاما اقامة امامين الى ههنا ومواضع اخر من سائر الفصول فحبس المطلق واطلق المحبوس فكأن الكتاب يتمثل فى الفخر بقول البهاء العاملى * لايعز الله من ذللنا . كل من ذللنا ذل لنا * والحمدلله على التمام ﴿ واما القاعدة الثالثة فهى عدل شامل ﴾ لجميع الافراد والعدل مصدر بمعنى العدالة وهو الاعتدال والاستقامة والميل الى الحق وفى الشريعة عبارة عن الاستقامة على طريق الحق بالاجتناب عما هو محظور دينه وفى اصطلاح الفقهاء من اجتنب الكبائر ولم يصر على الصغائر وغاب ثوابه واجتنب الافعال الخسيسة كالاكل فى الطريق والبول ﴿ يدعوا الى الالفة ويبعث على الطاعة ﴾ لما سبق ان العدل يبعث على المحبة والمحب مطيع لمن يحب وقد قيل العالم بستان سياجه الشريعة والشريعة سياجة يخدمها الملك والملك راع يعضده الجيش والجيش اعوان يكفلها المال والمال رزق تجمعه الرعية والرعية احرار يستعبدها العدل والعدل سلك به نظام العالم ﴿ وتتعمر به البلاد وتنمى به الاموال ويكثر معه النسل ويأمن به السلطان ﴾ لحصول الامن العام وانبساط الآمال واندفاع المظالم المستلزم كل منها اتفاق الآراء وتسهيل المطالب والمعائش وتكثير الانكحة الذى هو السبب الاوحد لتكثير النسل وعمارة البلدان (٥) ﴿ فقدقال المرزبان ﴾ بفتح الميم وسكون الراء وضم الزاى هو رئيس المجوس وهو لفظ فارسى مركب من مرز وهو السور والحد وبان وهو الحافظ اى حافظ الحدود ورئيس الثغور فاستعمله العرب فى مطلق رئيس المجوس ﴿ لعمر رضى الله عنه حين رآه وقد نام متبذلا ﴾ اى بنفسه لاحارس له يقال هو متبذل ومبتذل اذا كان يعمل عمل نفسه ﴿ عدلت فامنت فنمت ﴾ فهنيئالك راحتك ﴿ وليس شئ اسرع فى خراب الارض ولاافسد لضمائر الخلق من الجور ﴾ اى الظلم وهو وضع الشئ فى غير موضعه وفى الشريعة عبارة عن التعدى عن الحق الى الباطل وقيل هو التصرف فى ملك الغير ومجاوزة الحد ﴿ لانه ليس يقف على حد ﴾ معين ﴿ ولاينتهى الى غاية ﴾ معلومة ينقطع عندها الجور بل كل دركة منه تحتها دركة اخرى ﴿ ولكل جزء منه قسط من الفساد حتى يستكمل ﴾ اجزاءه ويكمل الفساد بكماله والقسط الحصة والنصيب وقد قالوا الظالم يحط اولا عن رتبة النبوة ومرتبة السلطنة لقوله تعالى لاينال عهدى الظالمين وثانيا عن درجة الولاية لقوله تعالى الالعنة الله على الظالمين وثالثا عن حظ نفسه لقوله تعالى وما ظلمونا ولكن كانوا انفسهم يظلمون ورابعا عن نظر الخلائق لان القلوب جبلت على حب من احسن اليها وبغض من اساء اليها وقال الشاعر * لاتظلمن اذا ما كنت مقتدرا . فالظلم آخره يأتيك بالندم * نامت عيونك والمظلوم منتبه . يدعو عليك وعين الله لم تنم * وقال الله تعالى فلاتحسبن الله غافلا عما يعمل الظالمون الى قوله والله عزيز ذوانتقام وهذا عقابه عاجلا وآجلا ﴿ وقدروى عن النبى صلى الله عليه وسلم انه قال بئس الزاد الى

(٤) سياجه . باغچه ديوارى كبى دائرا مادار اولان ديواره ومطلقا هر نسنه نك اطرافنى احاطه قيلان شيئه ديثور .
(٥) حافظ
حسنت باتفاق ملاحت جهان كرفت . آرى باتفاق جهان مى توان كرفت منه

(المعاد)

المعاد العدوان على العباد ﴾ وذلك لماروى البخارى عن ابن عمر عن النبى صلى الله عليه وسلم انه قال الظلم) باخذ مال الغير بغير حق أوالتناول من عرضه اونحو ذلك (ظلمات) على صاحبه (يوم القيامة) فلا يهتدى يوم القيامة بسبب ظلمه فى الدنيا فربما وقع قدمه فى ظلمة ظلمه فهوت فى حفرة من حفر النيران كما فى القسطلانى ﴿ وقال صلى الله عليه وسلم ﴾ على ماروى ابو الشيخ عن انس ﴿ ثلاث منجيات ﴾ فى الدنيا والآخرة ﴿ وثلاث مهلكات ﴾ اى موقعات لفاعلها فى الهلاك فيهما ﴿ فاما المنجيات فالعدل فى ﴾ حال ﴿ الغضب والرضا وخشية الله تعالى ﴾ اى خوفه ﴿ فى السر والعلانية والقصد فى الغناء والفقر ﴾ اى التوسط فيهما فى الانفاق وغيره فلا يقتر جدا لفقره ولا يبذر لغناه ﴿ واما المهلكات فشح مطاع ﴾ اى بخل يطيعه الانسان فلا يؤدى ماعليه من حق الحق وحق الخلق وقيد الشح بالمطاع لانه انما يكون مهلكا اذا كان مطاعا اما لوكان موجودا فى النفس غير مطاع فلا يكون كذلك لانه من لوازم النفس ﴿ وهوى متبع ﴾ اى يتبع بكل مايأمره به هواه من مباح اوحرام ﴿ واعجاب المرء بنفسه ﴾ اى تحسينه فعل نفسه على غيره وان كان قبيحا وملاحظته اياها بعين الكمال مع نسيان نعمة الله قال الغزالى حقيقة العجب استعظام النفس وخصالها التى هى من النعم والركون اليها مع نسيان اضافتها الى المنعم والامن من زوالها كما فى العزيزى ﴿ وحكى ان الاسكندر قال لحكماء الهند وقد رأى قلة الشرائع بها لم صارت سنن بلادكم قليلة ﴾ يعنى قوانينها ولظاماتها الموضوعة ﴿ قالوا لاعطائنا الحق من انفسنا ﴾ واتباعنا اياه وانقيادنا له فلا نحتاج الى قوانين الخصومات والجرائم وقال على رضى الله عنه اشد الاعمال ثلاثة ذكر الله على كل حال ومواساة الاخوان بالمال وانصاف الناس من نفسك ﴿ ولعدل ملوكنا فينا فقال لهم ايما افضل العدل اوالشجاعة قالوا اذا استعمل العدل اغنى عن الشجاعة ﴾ لان العدل حسن عند كل عاقل والعاقل مادام عاقلا يستحسن ماهو حسن فلا كراهة ولا عداوة ولاشجاعة ﴿ وقال بعض الحكماء بالعدل والانصاف ﴾ اى بدوامها ﴿ تكون مدة الائتلاف ﴾ بين الملوك والرعايا ﴿ وقال بعض البلغاء ان العدل ميزان الله الذى وضعه للخلق ونصبه للحق ﴾ قال المفسرون فى قوله تعالى والسماء رفعها ووضع الميزان اى شرع العدل وامر به بان وفر كل مستحق ما استحقه و وفى كل ذى حق حقه حتى انتظم به امر العالم واستقام كما قال عليه الصلاة والسلام بالعدل قامت السموات والارض ﴿ فلا تخالفه فى ميزانه ولا تعارضه فى سلطانه واستعن على العدل بخلتين قلة الطمع ﴾ يقال طمع فى الشىء اذا حرص والحرص يبعث على انكار ماعليه من الديون والحقوق وعلى المطل والخديعة والغبن بل على الغصب والنهب ان قدر وفيها من المفاسد مالا يخفى ﴿ وكثرة الورع ﴾ وهو اجتناب الشبهات خوفا من الوقوع فى المحرمات وقيل هو ملازمة الاعمال الجميلة وقال ابو بكر رضى الله عنه كنا ندع سبعين بابا من الحلال مخافة ان نقع فى باب من الحرام ويأتى فى فصل المروءة النزاهة والصيانة بانواعهما ﴿ فاذا كان العدل من احدى قواعد الدنيا التى لاانتظام لها الابه ولاصلاح لها الامعه وجب ان نبدأ بعدل الانسان فى نفسه ثم بعدله فى غيره ﴾ قدم الاول لان نفسه اخص به واطوع له وايضا نصحها اول الواجبين ولايثير عداوة ولا انقطاعا ﴿ فاما عدله فى نفسه فيكون بحملها على المصالح ﴾ جمع مصلحة نقيض

مفسدة اى بحملها على مافيه صلاحها ﴿ وكفها عن القبائح ﴾ يعنى الاتيان بالمعروف والانتهاء عن المنكر كما هو مصطلح الفقهاء فى العدل ﴿ ثم بالوقوف فى احوالها على اعدل الامرين من تجاوز او تقصير فان التجاوز فيها ﴾ اى فى الاحوال ﴿ جور ﴾ على النفس ﴿ والتقصير فيها ظلم ﴾ لها لمنعها عن كمالها ﴿ ومن ظلم نفسه ﴾ بالتقصير فى احوالها ﴿ فهو لغيره اظلم ومن جار عليها ﴾ بالتجاوز والافراط ﴿ فهو على غيره اجور ﴾ لان من لم يراع حقوق نفسه فعدم مراعاة حقوق غيرها اولى ﴿ وقال بعض الحكماء من توانى ﴾ اى تكاسل وفتر ﴿ فى ﴾ حقوق ﴿ نفسه ضاع ﴾ بين الظلم والجور او المعنى من تكاسل فى استصلاح نفسه واصلاحها ضاع فى مهامه الهوى وضل عن سبيل الرشد والهدى ﴿ واما عدله فى غيره فقد ينقسم حال الانسان مع غيره على ثلاثة اقسام ﴾ لانه اذا نسب الى غيره اما فوق او دون او كفؤ ومثل ﴿ فالقسم الاول عدل الانسان فيمن دونه كالسلطان فى رعيته والرئيس مع صحابته فعدله فيهم يكون باربعة اشياء باتباع الميسور ﴾ لهم ﴿ وحذف المعسور ﴾ عليهم ﴿ وترك التسلط ﴾ والقهر بالقوة ﴿ وابتغاء الحق فى الميسور ﴾ قال الله تعالى فماذا بعد الحق الا الضلال وان كان المطلوب يسيرا ﴿ فان اتباع الميسور ادوم ﴾ له اخذه وعليهم اعطاؤه ﴿ وحذف المعسور اسلم ﴾ من البغى والخروج عليه ﴿ وترك التسلط اعطف على المحبة وابتغاء الحق ابعث على النصرة ﴾ لان الحق احق ان يتبع ﴿ وهذه ﴾ الاربعة ﴿ امور ان لم تسلم للزعيم المدبر كان الفساد بنظره اكثر والاختلاف بتدبيره اظهر روى عن النبى صلى الله عليه وسلم انه قال اشد الناس عذابا يوم القيامة من اشركه الله فى سلطانه ﴾ بان جعله مطاعا نافذ الامر والنهى من السلاطين والامراء والقضاة ورؤساء القبائل والقرى والمعلمين ﴿ فجار فى حكمه ﴾ قال العزيزى لان الله تعالى ائتمنه على عبيده واموالهم ليحفظها ويراقبه فيها فاذا تعدى استحق ذلك ﴿ وقال بعض الحكماء الملك ﴾ والسلطنة ﴿ يبقى على الكفر ﴾ اى معه ﴿ ولا يبقى على الظلم ﴾ لان ضرر الكفر مقصور على الكافر والظلم متعد ﴿ وقال بعض الادباء ليس للجائر جار ولا لعمره دار ﴾ لتفرق جيرانه عن حوله حتى ان عصفورة تركت وكرها الموروث من اجدادها واتخذت وكرا آخر فى مفحص لقلاق فعوتبت على ذلك فقالت كانت هناك جارى حية وكانت تأكل افراخى منذ اعوام فاخترت جوار هذا الشريف ليأخذ ثارى من عدوى ﴿ وقال بعض البلغاء اقرب الاشياء صرعة الظلوم ﴾ اى مصروعيته وتذلله ﴿ وانفذ السهام دعوة المظلوم ﴾ وقد روى كثير من اصحاب السنن عن ابى هريرة عن النبى صلى الله عليه وسلم انه قال ثلاث دعوات مستجابة لا شك فيهن) اى فى استجابتهن (دعوة المظلوم) وان كان فاجرا لان فجوره على نفسه (ودعوة المسافر ودعوة الوالد لولده) وقال بعض الشعراء * اتهزأ بالدعاء وتزدريه . وماتدرى بما صنع الدعاء * سهام الليل نافذة ولكن . لها امد وللامد انقضاء ﴿ وقال بعض حكماء الملوك العجب من ملك استفسد رعيته ﴾ بالظلم والقاء العداوة بينهم ﴿ وهو يعلم ان عزه بطاعتهم ﴾ اى بقاء عزه ببقاء طاعتهم ودوام اتفاقهم ﴿ وقال اردشير بن بابك اذا رغب الملك عن العدل رغبت الرعية عن طاعته ﴾ واختلف الملوك فى خير ما يقتنيه المرء الذهب والفضة او الغنم او الفرس والابل او الرقيق ثم اجمعوا على ان خير القنية

العلم والعدل والعمل الصالح والاخوان الصالحين ﴿ وعوتب انو شروان على ترك عقاب المذنبين ﴾ وعفوه عنهم ﴿ فقال هم المرضى ونحن الاطباء فاذا لم نداوهم بالعفو فمن ﴾ يترحم ﴿ لهم ﴾ ويبالى بهم ﴿ وا قسم الثانى عدل الانسان مع من فوقه كالرعية مع سلطانها والصحابة مع رئيسها فقد يكون بثلاثة اشياء باخلاص الطاعة وبذل النصرة وصدق الولاء ﴾ اى المحبة ﴿ فان اخلاص الطاعة اجمع للشمل ﴾ اى الازدحام يقال دخل فى شمل الجماعة اى غمارها وقال الله عز وجل ان الله يحب الذين يقاتلون فى سبيله صفا) صافين انفسهم او مصفوفين (كأنهم) فى تراصهم من غير فرجة ولاخلل (بنيان مرصوص) رص بعضه الى بعض ورصف وقيل يجوز ان يريد استواء نياتهم فى الثبات حتى يكونوا فى اجتماع الكلمة كالبنيان المرصوص كما فى الكشاف ولا تراص الا باجتماع القلوب والآراء ولا تجمع القلوب الا بالعدل ﴿ وبذل النصرة ادفع للوهن ﴾ اى الضعف فى الرأى والعمل والامل ﴿ وصدق الولاء انفى لسوء الظن ﴾ فى عدم الظفر بعزائمه ببقائه وحيدا ﴿ وهذه ﴾ الثلاثة ﴿ اموران لم تجتمع فى المرء ﴾ فى مقابلة الامور الاربعة فى الرئيس ﴿ تسلط عليه من كان يدفع عنه ﴾ العدو والاذى وهو السلطان والرئيس لما سبق ان ابتغاء الحق ابعث على النصرة ولم ينصروه ﴿ واضطر الى اتقاء من يتقى به ﴾ لنقضه حبل الربط والارتباط والخائن خائف ﴿ كما قال البحترى ﴾ من الوافر ﴿ فما سفه السفيه وان تعدى. بانجع فيك من حلم الحليم ﴿ متى احفظت ذا كرم تخطى ﴾ يقال احفظه فاحتفظ اى اغضبه فتغضب ويقال تخطى الناس واختطاهم اى ركبهم وجاوزهم ﴿ اليك ببعض اخلاق اللئيم ﴾ لان ترك الطاعة والنصرة والولاء مما يثير غضب الكريم ويهيجه الى التشفى والانتقام الذى هو قوت هذه القوة ولا تسكن الا به وربما يشتد الغضب ولا يبقى معه عقل ولا بصيرة للكريم فيتخطى ببعض اخلاق اللئام وهو تجاوز الحد وعدم الرحم والعفو (٢) لان الافعال الصادرة حال الغضب خارجة عن سياسة العقل والدين والافعال الخارجة عنهما افعال اللئام وفى الشريشى وهذان البيتان من احكم اشعار البحترى قال المبرد وله بيتان لو وضعا الى شعر زهير لجازا فيه وهما فما سفه السفيه انتهى ﴿ وفى استمرار هذا ﴾ الحال ﴿ حل نظام جامع وفساد صلاح شامل ﴾ لانه نقض عهد واخلال بامن وقد روى ابو داود عن ابن عمرو بن العاصى ان النبى صلى الله عليه وسلم قال من لم يرحم صغيرنا ويعرف حق كبيرنا فليس منا اى ليس على طريقتنا ﴿ وقال ابرويز ﴾ لعله معرب پرويز بن هرمز بن نوشين روان وكان من حكماء الملوك قيل له ماشهوة ساعة قال الجماع قيل ماشهوة يوم قال دخول الحمام قيل فما شهوة جمعة قال غسل الثياب قيل فما شهوة شهر قال تجديد الثياب قيل فما شهوة سنة قال تزوج الابكار قيل فما شهوة الابد قال اما فى الدنيا فمشاهدة الاخوان واما فى الآخرة فنعيم الجنة ﴿ اطع من فوقك ﴾ من الله تعالى والانبياء عليهم السلام والامراء والحكام ﴿ يطعك من دونك ﴾ من الرعية والصحابة ﴿ وقال بعض الحكماء الظلم مسلبة النعم والبغى مجلبة النقم ﴾ جمع نعمة ونقمة اى سببا سلب وجلب يعنى ظلم الامراء وبغى الرعايا ﴿ وقال بعض الحكماء ان الله تعالى لا يرضى عن خلقه الا بتأدية حقه وحقه شكر النعمة ونصح الامة ﴾ اى الاخلاص لهم باستواء السريرة والعلانية ﴿ وحسن الصنيعة ولزوم الشريعة ﴾ وقال الله تعالى وآتوا كل ذى حق حقه ﴿ والقسم الثالث

يقال نجع الوعظ والخطاب فيه اذا دخل واثر منه كما قيل . اللهه صغين شخص حليمك غضبندن . زيرا يوموشق خويلى آنك چفته سى يكدر منه

عدل الانسان مع اكفائه ﴾ وامثاله ﴿ ويكون بثلاثة اشياء بترك الاستطالة ﴾ يقال استطال عليه اذا تفضل عليه او ترفع وتكبر ﴿ ومجانبة الادلال ﴾ يقال ادل عليه اذا انبسط وايضا اذا وثق بمحبته فافرط عليه ومنه المثل ادل فامل ﴿ وكف الاذى ﴾ الصادرة من جانبه او من جانب آخر ﴿ لان ترك الاستطالة آلف ومجانبة الادلال اعطف وكف الاذى انصف وهذه امور ان لم تخص فى الاكفاء اسرع فيهم تقاطع الاعداء نفسدوا وافسدوا ﴾ اعقابهم واخلافهم بل اصولهم ايضا ﴿ وقد روى عمر بن عبد العزيز عن ابن عباس رضى الله عنهما قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم الا انبئكم بشرار الناس ﴾ وورواية ابن عساكر عن معاذ بن جبل بصيغة المفرد فيهما ﴿ قالوا بلى يارسول الله قال من اكل وحده ﴾ بخلا وشحا وتكبرا ﴿ ومنع رفده ﴾ بالكسر عطائه وصلته (وسافر وحده) اى منفردا عن الرفيق ﴿ وجلد عبده ﴾ او امته اى ضرب ﴿ الا انبئكم بشر من هذا ﴾ الانسان المتصف بهذه القبائح ﴿ من يبغض الناس ويبغضونه ﴾ لدلالته على ان الملاء الاعلى يبغضونه وان الله يبغضه ﴿ الا انبئك بشر من هذا ﴾ الانسان المتصف بذلك ﴿ من يخشى ﴾ بالبناء للمفعول اى من يخاف ﴿ شره ولا يرجى خيره ﴾ اى لا يرجى خير من جهته (الا انبئك بشر من هذا من باع آخرته بدنيا غيره) فهو اخس الاخساء واخسر الناس صفقة واطولهم ندامة يوم القيامة (الا انبئك بشر من هذا من اكل الدنيا بالدين) كالعالم الذى جعل علمه مصيدة يصيد بها الحطام ومرقاة لمصاحبة الحكام كذا فى الجامع الصغير ﴿ وروى ان عيسى بن مريم عليه السلام قام خطيبا فى بنى اسرائيل فقال يابنى اسرائيل لاتتكلموا بالحكمة عند الجهال فتظلموها ﴾ اى الحكمة بوضعها فى غير موضعها ﴿ ولا تمنعوها اهلها فتظلموهم ﴾ باضاعتها ﴿ ولا تكافئوا ظالما ﴾ اى لا تتساووه بتشبه وفعل مايفعله ﴿ فيبطل فضلكم ﴾ او بمدحه وتحسين مافعله فكيف بمعاونته او بتذكيره مالم يكن يتذكر وفى حديث انس الفتنة نائمة لعن الله من ايقظها اى ابعده عن رحمته ﴿ يابنى اسرائيل الامور ثلاثة امر تبين رشده فاتبعوه وامر تبين غيه فاجتنبوه وامر اختلفتم فيه فردوه الى الله تعالى ﴾ بعرضه كتابه واستفتاء الفقهاء ﴿ وهذا الحديث جامع لآداب العدل فى الاحوال كلها وقال بعض الحكماء كل عقل لايدارى به الكل فليس بعقل تام ﴾ والمداراة مع الناس مستحبة وهى لين الكلام وترك الاغلاظ فى القول وهى من اخلاق المؤمنين والفرق بينها وبين المداهنة المحرمة ان المداراة الرفق بالجاهل فى التعليم والفاسق فى النهى عن فعله وترك الاغلاظ عليه حيث لايظهر ماهو فيه والانكار عليه باللطف حتى يرد عما هو مرتكبه والمداهنة معاشرة المعلن بالفسق واظهار الرضا بما هو فيه من غير انكار عليه باللسان ولا بالقلب واصلها الخداع تقول العرب دريت الصيد ادريه دريا وداريته اداريه مداراة والدرية بعير يقعد عنده الصائد يستتر به فيجئ الصيد فيأنس بالبعير فيرميه من قريب وكان الحسن يقول المداراة تستجلب مودة القلوب فتخدعهم فى عقولهم وقال بعضهم اتيت الخليل فوجدته على طنفسة صغيرة فوسع لى فكرهت ان اضيق عليه فتأخرت فاخذ بعضدى وقدمنى الى نفسه وقال لايضيق سم الخياط بمتحابين ولا تسع الارض متباغضين اخذه ابن عبد ربه فقال * صل من هويت وان ابدى مباغضة . فاطيب العيش وصل بين الفين * واقطع حبائل خدن لاتلائمه . فاقلما تسع الدنيا بغيضين

(وقال)

﴿ وقال بعض الشعراء ﴾ من البسيط ﴿ مادمت حيافدار الناس كلهم . فانما انت فى دار المداراة * من يدر دارى ومن لم يدر سوف يرى . عما قليل نديما للندامات ﴾ روى البخارى عن عائشة رضى الله عنها انه استأذن) فى الدخول (على النبى صلى الله عليه وسلم رجل) هو عيينة بن حصن الفزارى وكان يقال له الاحمق المطاع (فقال ائذنوا له بئس ابن العشيرة فلما دخل الان) النبى صلى الله عليه وسلم (له الكلام فقلت يارسول الله قلت ماقلت ثم النت له فى القول فقال اى عائشة ان شر الناس منزلة عند الله) يوم القيمة (من تركه الناس اتقاء فحشه) وقدكان الرجل من جفاة الاعراب وفى حديث ابى هريره رأس العقل بعد الايمان بالله مداراة الناس لكن الرواية الصحيحة التودد الى الناس انتهى وقال ابن شرف * ان ترمك الغربة فى معشر . قدجبل الناس على بغضهم * فدارهم مادمت فى دارهم . وارضهم مادمت فى ارضهم ﴿ وقد يتعلق بهذه الطبقات ﴾ الثلاث ﴿ امور خاصة ﴾ للنفس ﴿ يكون عدلهم ﴾ بالتوسط بين حالتى التقصير والافراط والعدل مأخوذ من الاعتدال فما جاوز الاعتدال فهو خروج عن العدل ﴾ سواء كان التجاوز بالافراط او التفريط ﴿ وقد قالت الحكماء الفضائل الهيئات ﴾ المتوسطة ﴿ بين خلتين ناقصتين وافعال الخير تتوسط بين رذيلتين فالحكمة ﴾ هى هيئة القوة العقلية العلمية المتوسطة بين الجربزة التى هى افراط هذه القوة والبلادة التى هى تفريطها ﴿ واسطة بين الشر ﴾ عبر به لما سبق فى باب العقل ان زيادة العقل فضيلة وانما المذموم استعماله فى المكر والشر ﴿ والجهالة ﴾ اى البلادة ﴿ والشجاعة ﴾ هى هيئة حاصلة للقوة الغضبية بين التهور والجبن بها يقدم على امور ينبغى ان يقدم عليها كالقتال مع الكفار مالم يزيدوا على ضعف المسلمين والتهور هيئة حاصلة للقوة الغضبية بها يقدم على امور لاينبغى ان يقدم عليها ﴿ واسطة بين التقحم ﴾ يقال قحم فى الامر من الباب الاول اذا رمى بنفسه فيه فجأة من غير روية ﴿ والجبن ﴾ هى هيئة حاصلة للقوة الغضبية بها يحجم عن مباشرة ماينبغى وما لاينبغى ﴿ والعفة ﴾ هى هيئة للقوة الشهوية متوسطة بين الفجور الذى هو افراط هذه القوة (١) والخمود الذى هو تفريطها فالعفيف من باشر الامور على وفق الشرع والمروءة ﴿ واسطة بين الشره ﴾ بفتحتين مصدر شره على الطعام وغيره فهو شره اى حريص اشد الحرص ﴿ وضعف الشهوة ﴾ كالعنة ﴿ والسكينة ﴾ هى الوقار والطمأنينة ﴿ واسطة بين السخط ﴾ بضمتين او بفتحتين او بضم فسكون مقابل الرضاء واخص من الغضب يقال سخط اذا لم يرض وغضب (٢) ﴿ وضعف الغضب ﴾ بحيث لايغضب ولو فيما يجب ديانة ﴿ والغيرة واسطة بين الحسد ﴾ وهو تمنى زوال نعمة المحسود الى الحاسد (٣) يحكى ان اشعب الطماع اذا سمع سورولمة كان يبادر الى المكنسة وتنظيف حوالى بابه فسئل عن ذلك فقال لعلهم يزفون العروس فى دارى ظنا منهم انها بيت العروس ﴿ وسوء العادة ﴾ وهو عدم المبالات فى حق زوجته او الدياثة والقيادة لها ﴿ والظرف ﴾ والظرافة يقال ظرف الغلام اذا كيس وبابه حسن وعند البعض الظرافة مخصوصة باللسان وهو عبارة عن افادة مراده بالبلاغة واللطافة وفى حديث عمر اذا كان اللص ظريفا لم يقطع يعنى لقدرته على حسن الاحتجاج يسقط عنه الحد بتأويله ﴿ واسطة بين الخلاعة ﴾ اراد بها افادة المرام بحيث يدعو الى شبهة كتكلم

(١) وقد كتبت امرأة على قصر كسرى فلا تأسفن على ناسك . وان مات ذوطرب فابكه . وتلك من لقيت من العالمين . فان الندامة فى تركه منه

(٢) تزترنق حديد مزاج تعبير اولنور

(٣) كوزى طيشاروده دينور منه

الخشين ﴿ والعرابة ﴾ الافادة بالخشونة والغلظة ﴿ والتواضع ﴾ يقال تواضع اذا تذلل وتخاشع ﴿ واسطة بين الكبر ﴾ التعظم والتجبر ﴿ ودناءة النفس ﴾ وهو الملق والتطفل ﴿ والسخاء واسطة بين التبذير والتقتير ﴾ يقال بذر ماله اذا فرقه اسرافا وقتر على عياله اذا ضيق عليهم فى النفقة ﴿ والحلم ﴾ هو الطمانية عند سورة الغضب وقيل تأخير مكافاة الظالم ﴿ واسطة بين افراط الغضب وعدمه ﴾ وهو تغير يحصل عند غليان دم القلب ليحصل عنه التشفى للصدر ﴿ والمودة واسطة بين الخلابة ﴾ يقال خلبه اذا خدعه ﴿ وحسن الخلق ﴾ وهو الانخداع والاغترار بمحبة كل فرد ﴿ والحياء ﴾ وهو انقباض النفس من شئ وتركه حذرا عن اللوم فيه ﴿ واسطة بين القحة ﴾ يقال وقح الرجل اذا قل حياؤه ﴿ والحصر ﴾ لان كثرة الحياء توجب الانحصار وتمنع عن مدافعة حقوقه وطلبها ﴿ والوقار ﴾ هو التأنى فى التوجه نحو المطالب ﴿ واسطة بين الهزء ﴾ يقال هزء منه وبه اذا سخر منه ﴿ والسخافة ﴾ وهى قلة العقل وان لا يهتدى بمطلبه ﴿ واذا كان ماخرج عن الاعتدال الى ماليس باعتدال خروجا عن العدل الى ماليس بعدل فالاولى اجتنابه والوقوف مع الاوسط اقتداء بالحديث ﴾ المتعارف المروى عن على عن النبى صلى الله عليه وسلم انه قال خير الامور اوساطها وقال الحريرى * خير الامور عندنا الاوساط . ويكره التفريط والافراط ﴿ وقال بعض البلغاء السلطان السوء يخيف البرى ﴾ اى يظلم من لا جرم له ﴿ ويصطنع الدنى ﴾ اى يحسن اليه ﴿ والبلد السوء يجمع السفل ﴾ جمع سفلة بالكسر يقال هو من سفلة الناس اى اسافلهم وغوغائهم اى اراذلهم ﴿ ويورث العلل ﴾ لعدم انفاقهم على مصالح البلد ﴿ والولد السوء يشين السلف ﴾ يقال شانه ضد زانه ﴿ ويهدم الشرف ﴾ الذى بنوه كما قال الحضين بن المنذر * ان المروءة ليس يدركها امرؤ . ورث المكارم عن اب فاضاعها * امرته نفس بالدناءة والخنا . ونهته عن سبل العلا فاطاعها * وقال الحريرى فى الخمر * ذكى العرق والده . ولكن بئسما ولدا ﴿ والجار السوء يفشى السر ويهتك الستر فجعل هذه الاشياء بخروجها عن الاولى الى ما ليس باولى ﴾ حيث وصفها بالسوء ﴿ خروجا عن العدل الى ماليس بعدل ولست تجد فسادا الاوسبب نتيجته الخروج فيه من حال العدل الى ماليس بعدل من حالتى الزيادة والنقصان فاذا لاشى انفع من العدل ﴾ فى صلاح الدنيا واستقامتها ﴿ كما لاشئ اضر مما ليس بعدل ﴾ وروى البخارى عن ابى هريرة رضى الله عنه عن النبى صلى الله عليه وسلم قال سبعة) اى من الاشخاص ليدخل النساء فيما يمكن ان يدخلن فيه شرعا فلا يدخلن فى الامامة العظمى ولا فى ملازمة المسجد لان صلاتهن فى بيتهن افضل نعم يمكن ان يكن ذوات عيال فيعدلن فيدخلن فى الامامة كغيرها وحينئذ فالتعبير بالرجال لامفهوم له كمفهوم العدد بالسبعة (يظلهم الله تعالى فى ظله) اضافة الظل اليه سبحانه وتعالى اضافة تشريف كناقة الله والله تعالى منزه عن الظل لانه من خواص الاجسام فالمراد ظل عرشه (يوم لاظل الاظله) حين تدنو الشمس من الخلق ويأخذهم العرق وهذه السبعة اولهم (امام عدل) وفى رواية عادل وهو الذى يضع الشئ فى محله اوالجامع للكمالات الثلاث الحكمة والشجاعة والعفة التى هى اوساط القوى الثلاثة العقلية والغضبية والشهوانية او هو المطيع لاحكام الله والمراد به كل من له نظر فى شئ

(من)

من امور المسلمين من الولاة والحكام (و) الثانى (شاب نشأ فى عبادة الله) لان عبادته اشق لغلبة شهوته وكثرة الدواعى له على طاعة الهوى (و) الثالث (رجل قلبه معلق فى المساجد) اى بها من شدة حبه لها وان كان خارجا عنها وهو كناية عن انتظاره اوقات الصلاة (و) الرابع (رجلان تحابا فى الله) لا لغرض دنيوى (اجتمعا عليه) اى على الحب فى الله (وتفرقا عليه) فلم يقطعهما عارض دنيوى سواء اجتمعا حقيقة اولا حتى فرقهما الموت (و) الخامس (رجل دعته) اى طلبته (امرأة ذات منصب) اى صاحبة نسب شريف (وجمال) الى نفسها للزنا (فقال) بلسانه او بقلبه ليزجر نفسه (انى اخاف الله و) السادس (رجل تصدق بصدقة) تطوعا (فاخفاها حتى لا تعلم شماله ماتنفق يمينه) اى لو قدرت الشمال رجلا متيقظا لما علم صدقة اليمين للمبالغة فى الاخفاء وصور بعضهم اخفاء الصدقة بان يتصدق على الضعيف فى صورة المشترى منه فيدفع له مثلا درهما فيما يساوى نصف درهم فالصورة مبايعة والحقيقة صدقة (و) السابع (رجل ذكر الله خاليا) من الناس اومن الالتفات الى غير المذكور تعالى وان كان فى ملاء (ففاضت) اى سالت (عيناه) اسند الفيض الى العين مبالغة لانه يدل على ان العين صارت دمعا فياضا ثم ان فيضها يكون بحسب حال الذاكر وما ينكشف له فنى او صاف الجلال يكون البكاء من خشية الله وفى او صاف الجمال يكون شوقا اليه كما فى القسطلانى

﴿ واما القاعدة الرابعة فهى امن عام ﴾ اى شامل لجميع مايتقيد بحفظه من النفوس والاموال والاولاد والعيال والا من ضد الخوف يقال هو فى امن اى لاخوف له من غدر اوظلم اوخيانة ﴿ تطمئن اليه النفوس وتنتشر فيه الهمم ﴾ فيكثر المواد والتجارات ويؤدى الى الخصب والمواساة والتواصل بالمال ﴿ ويسكن اليه البرئ ﴾ من المرض والفقر ﴿ ويأنس به الضعيف ﴾ بفقر اومرض ﴿ فليس لخائف راحة ﴾ سالما كان اومعلولا غنيا او فقيرا ﴿ ولا لحاذر طمانية ﴾ حتى يستعمل فكره فى المهمات ودراهمه فى المعاملات ﴿ وقد قال بعض الحكماء الا من اهنأ عيش ﴾ اى اسعده واصلحه ويقال فى الدعاء هنيئا ومريئا اى ليكن سائغا ما اكلت اوماشربت ﴿ والعدل اقوى جيش ﴾ يظفر اينما توجه ولاينهزم اصلا وقال بطلميوس الا من يذهب وحشة الوحدة كما ان الخوف يذهب انس الجماعة وقال بقراط الا من مع الفقر خير من الخوف مع الغنى والعقلاء قالوا * ثلاثة ليس لها نهاية . الامن والصحة والكفاية ﴿ لان الخوف يقبض الناس عن مصالحهم ويحجزهم عن تصرفهم ويكفهم عن اسباب المواد التى بها قوام اودهم ﴾ بفتحتين اى بها استقامة اعوجاجهم ﴿ وانتظام جملتهم لان الامن من نتائج العدل والجور ﴾ المستلزم للخوف فى شئ من المال او النفس ﴿ من نتائج ماليس بعدل * وقد يكون الجور تارة بمقاصد الآدميين الخارجة ﴾ تلك المقاصد ﴿ عن العدل ﴾ بان يكون جور جماعة او شخص مقصودا بالذات سواء كان للجائرين نفع فى جورهم اولا كاحراق قرية او مزارعهم وقطع الاشجار المنتفعة بهما وشهادتهم زورا على انه قتل اوسرق ابنه اوزنت امرأته ونكولهم عن اداء الشهادة على غريمه ونحو ذلك ﴿ وتارة يكون ﴾ الجور ﴿ باسباب حادثة من غير مقاصد الآدميين ﴾ المتولين على انفاذ تلك الاسباب اودفعها

(٤) قيدهما به لان صاحبة النسب مأمونة لاتفشى سرها ولايلحق عار للرجل فيقع قوله انى اخاف الله فى ابلغ موقع وكذا التقييد بالجمال منه

بان تكون تلك الاسباب مقصودة بالذات وفيها اظهار حق او دفع ضرر كلى وان كانت مستلزمة لجور على اهل قرية او اشخاص وآحاد ﴿ فلا تكون ﴾ تلك المقاصد المستلزمة للجور ﴿ خارجة عن حال العدل ﴾ كهدم دار لمنع سراية الحريق والقاء اموال فى البحر لانقاذ السفينة واهلها وقتل مكاتبه وغريمه قصاصا وله عليهما دين ولزوم القسامة على قرية ونحو ذلك ﴿ فمن اجل ذلك ﴾ التنوع ﴿ لم يكن ماسبق من حال العدل مقنعا ﴾ ومغنيا عن ان يكون الا من فى انتظام الدنيا قاعدة ﴾ مستقلة ﴿ كالعدل ﴾ وان كان بعض الامن نتيجة العدل وثمرته الداخلة فيه ﴿ فاذا كان ذلك كذلك فالا من المطلق ما عم ﴾ الاحوال كلها ﴿ والخوف قد يتنوع تارة ويعم اخرى فتنوعه بان يكون تارة على النفس ﴾ فقط ﴿ وتارة على الاهل ﴾ فقط يقال هو من اهله اى من عشيرته وذوى قرباه ﴿ وتارة على المال وعمومه ان يستوجب جميع الاحوال ولكل واحد من انواعه حظ من الوهن ﴾ بفتحتين يقال فيه وهن اى ضعف فى العمل ﴿ ونصيب من الحزن ﴾ والهم ﴿ وقد يختلف ﴾ الخوف شدة وضعفا ﴿ باختلاف اسبابه ويتفاضل بتباين جهاته ويكون ﴾ التفاضل ﴿ بحسب اختلاف الرغبة فيما خيف عليه ﴾ كرغبة البخيل فى ماله والجواد فى اهله والجبان فى نفسه ﴿ فمن اجل ذلك لم يجز ان يصف حال كل واحد من انواعه بمقدار ﴾ معين ﴿ من الوهن ونصيب من الحزن ﴾ لان الحاكم فى الرغبة هو الاخلاق والطبائع فالحزن الذى يحسه الجواد فى ماله كعض البرغوث اشد لبخيل من لسع الزنبور ولآخر من لدغ الحية ولآخر من وقع السيوف والاسنة وهكذا حال الزاهد والحريص فى آمالها والشجاع والجبان فى نفسهما فلما لم يكن جهة وحدة تجمع الطبائع لم يجز وصف انواع الخوف بمقدار معين ﴿ لاسيما والخائف على الشئ مختص الهم به منصرف الفكر عن غيره وهو يظن ان لاخوف له الا اياه فيغفل عن قدر النعمة ﴾ التى كان ﴿ بالامن فيما سواه فصار كالمريض الذى هو بمرضه متشاغل وعما سواه غافل ولعل ماصرف عنه اعظم ما ابتلى به ﴾ ويأتى فى فصل الصبر حكاية عروة بن الزبير ﴿ كما قال الشاعر ﴾ وهو ابو خراش خويلد بن مرة الهذلى شاعر فارس مشهور ادرك الاسلام شيخا كبيرا ووفد على عمرو مات فى ايامه وهو احد الفصحاء وقتل اخوه عروة ونجا ابنه خراش فانشد * حمدت الهى بعد عروة اذ نجا . خراش وبعض الشر اهون من بعض * فوالله لاانسى قتيلا رزئته (١) بجانب قوسى مابقيت على الارض ﴿ على انها تعفو الكلوم وانما . يوكل بالادنى وان جل مامضى ﴾ على للاستدراك والاضراب كقولك فلان لايدخل الجنة على انه لاييأس من رحمة الله والضمير للقصة . والكلوم جمع كلم الجرح اى يذهب اثرها بالبرء يعنى ان العادة نسيان المصائب البعيدة العهد وان كانت عظيمة والتحزن بالمصيبة القريبة الحالة ولو حقيرة ﴿ وحكى ان رجلا قال واعرابى حاضر ما اشد وجع الضرس ﴾ بكسر فسكون السن ﴿ فقال الاعرابى كل داء اشد داء ﴾ وقال بعض الشعراء * سمعت اعمى مرة قائلا . ياقوم ما اصعب فقد البصر * اجابه اعور من خلفه . عندى من ذلك نصف الخبر ﴿ وكذلك من عمه الامن كمن استولت عليه العافية ﴾ اى حاله كحاله ﴿ فهو لا يعرف قدر النعمة بامنه حتى يخاف كما لا يعرف المعافى قدر النعمة حتى يصاب ﴾ وفى حديث

(١) بالبناء للمفعول اى اصبت به وقوسى على وزن سكرى اسم موضع كان فيه معركة ويوم قوسى معروف كما فى شواهد المغنى اللبيب منه

ابن عباس عند الطبرانى مرفوعا الا من والعافية نعمتان مغبون فيهما كثير من الناس اى لا يقوم بشكرها كثير منهم لان بهما يتكامل التنعم بالنعم ومن لا يعرف قدر النعمة بوجدانها عرفه عند فقدانها ﴿ وقال بعض الحكماء انما يعرف قدر النعمة بمقاساة ضدها ﴾ اى بمكابدة الضد وتجرع شدته ﴿ فاخذ ذلك ﴾ المعنى ﴿ ابو تمام فقال ﴾ من الكامل ﴿ والحادثات ﴾ اى نوائب الدهر ومصائبه ﴿ وان اصابك بؤسها ﴾ اى آفتها وعذابها ﴿ فهو الذى انباك كيف نعيمها ﴾ يعنى فلا تجزع لها واصبر لان ذلك البؤس هو المبلغ بكيفية النعم والمبشر حقه الاكرام والطلاقة وان كان من لا تحبه وقال ابن المعتز الحوادث المحضة مكسبة لحظوظ جزيلة وثواب مدخر وتطهير من ذنب وتنبيه من غفلة وتعريف بقدر النعمة ومرور على مقارعة الدهر واذا استرجع الله مواهب الدنيا كانت مواهب الآخرة وقد قيل * لله در النائبات فانها . صدأ اللئام وصيقل الاحرار ﴿ فالاولى بالعاقل ان يتذكر عند مرضه وخوفه ﴾ المخصوصين ﴿ قدر النعمة فيما سوى ذلك من عافيته وامنه و ﴾ يتذكران ﴿ ما انصرف عنه مما هو اشد من مرضه وخوفه فيستبدل بالشكوى شكرا وبالجزع صبرا فيكون فرحا مسرورا ﴾ وهو مصاب او خائف من وجه كما قيل * على كل حال ينبغى الشكر للفتى . فكم من سرور عن شرور تجلت * وكم نقمة عند القياس بغيرها . ترى نعمة فاشكر لدى كل نقمة * وما احسن ما قيل * مخنى كندوكه ذوق ايمه درعالمده هنر . غم وشادئ فلك بويله كلير بويله كيدر ﴿ حكى ان يعقوب قال ليوسف عليهما السلام حين لقيه اى شئ كان خبرك بعدى ﴾ اى بعد مفارقتى ﴿ قال لا تسأل عما فعله بى اخوتى ﴾ من الغدر ﴿ سلنى عما صنعه بى ربى ﴾ من الاعزاز والاكرام بالنبوة والتعبير والحكم والتعليم ﴿ وقال الشاعر ﴾ من الرجز المشطور ﴿ لا تنس فى الصحة ايام القسم ﴾ يعنى لا تنس العمل الصالح حال صحتك قبل حصول مانع من مرض وعروض جائحة تتلف مالك ﴿ فان عقبى تارك الحزم ندم ﴾ اى جزاؤه الندامة حين لا تنفعه والحزم اخذ اموره دائما على الرشد والروية وضبطها بالاتقان والاستحكام وقال المأمون لنضر بن شميل انشدنى احسن ما قالت العرب فى الحزم قال فانشدته * على كل حال فاجعل الحزم عدة . لما انت باغيه وعونا على الدهر * فان نلت امرا نلته عن عزيمة . وان تصرت عنه الحقوق فمن عذر ﴿ واما القاعدة الخامسة فهى خصب دار ﴾ اى رفاغة عيش وكثرة عشب ﴿ تتسع النفوس به فى الاحوال وتشترك فيه ذووالاكثار والاقلال ﴾ لكون الاسعار رخيصة ﴿ فيقل فى الناس الحسد وينتفى عنهم تباغض العدم وتتسع النفوس فى التوسع وتكثر المواساة والتواصل ﴾ يقال آساه بماله مواساة اذا اناله منه وجعله فيه اسوة واما آساه مواساة فلغة رديئة والتواصل التهادى وفى حديث ابى هريرة مرفوعا (تهادوا تحابوا) لان الهدية تؤلف القلوب وتنفى البغضاء من الصدور وقبولها سنة وقال المهلب بن ابى صفرة يا بنى تباذلوا تحابوا فان بنى الام يختلفون كيف بنو العلات لان البر ينسأ فى اجل ويزيد فى العدد وان القطيعة تورث القلة وتعقب النار بعد الذلة ﴿ وذلك ﴾ المذكور من قلة الحسد وتكثر المواساة ﴿ من اقوى الدواعى لصلاح الدنيا وانتظام احوالها ولان الخصب يؤل الى الغنى والغنى يورث الامانة والسخاء ﴾ واراد المصنف بالخصب والا من ما يكون بسعى البشر ومقدورا له لان السماويين

(٣) ويدخل في عموم العريان اليتيم الذى تولد بعد وهم مأمورون بقسمة مال اب ذلك اليتيم منه

لاينفعان اذا لم يأمن التاجر من قطاع الطريق واهل الزراعة من استيلاء الانهار او السيول على مزارعهم ﴿ وكتب عمر بن الخطاب الى ابى موسى الاشعرى رضى الله عنهما ﴾ وكان واليا على البصرة او الكوفة ﴿ لاتستقضين الاذا حسب ومال ﴾ اى لا تجعلن قاضيا ولاتولين الا اياه ﴿ فانذا الحسب يخاف العواقب ﴾ اى عواقب مجده وشرفه ولايرضى بهدم بيت بناه آباؤه واثله اجداده ﴿ وذا المال لايرغب فى مال غيره ﴾ وفى قوله ذا المال نكتة لابد من التنبيه عليها وهى ان الاضافة للعهد يعنى الحافظ لماله والمراعى له لكونه آلة لمجده ومكارمه لالحرصه على ادخاره وجمعه والافكم من ذوى اموال وحسب سلبوا من يد اليتيم الضرير عصاه كما قيل ＊ قضاة زماننا صاروا لصوصا . عموما فى البرية لاخصوصا ＊ اباحوا اكل اموال اليتامى . كأنهم وروا فى ذا نصوصا ＊ ولوامروا بقسمة الف ثوب . لما اعطوا لعريان قميصا ＊ ولو عند التحية صافحونا . لسلوا من خوا تمنا الفصوصا ＊ فدعنى يا اخى من اناس . اباعوا دينهم بيعا رخيصا ﴿ وقال بعض السلف انى وجدت خير الدنيا والآخرة فى التقى والغنى ﴾ فيه لشر على غير ترتيب اللف وفى الجامع الصغير اذا كان آخر لزمان فلا بد للناس فيها من الدراهم والدنانير يقيم الرجل بها دينه ودنياه قال المناوى اى فيكون قوامهما بالمال فمن احب المال لحب الدين فهو من المصيبين ﴿ و ﴾ وجدت ﴿ شر الدنيا والآخرة فى الفجور والفقر ﴾ والفجور الانبعاث فى المعاصى قال ابو دلامة ＊ ما احسن الدين والدنيا اذا اجتمعا واقبح الكفر والافلاس بالرجل ﴿ وقال بعض الشعراء ﴾ من الطويل ﴿ ولم ار بعد الدين خيرا من الغنى . ولم ار بعد الكفر شرا من الفقر) وقد ثبت استعاذة النبى صلى الله عليه وسلم من الكفر والفقر وعذاب القبر وكان العباس رضى الله عنه يقول الناس لصاحب المال الزم من الشعاع للشمس وهو عندهم اعذب من الماء وارفع من السماء واحلى من الشهد وازكى من الورد خطاؤه صواب وسيئاته حسنات يرفع مجلسه ولا يمل حديثه والمفلس عند الناس اكذب من لمعان السراب واثقل من الرصاص لايسلم عليه ان قدم ولايسئل عنه ان غاب ان حضر ازدروه وان غاب شتموه وان غضب صفعوه مصافحته تنقض الوضوء وقراءته تقطع الصلاة وقال بعض الحكماء طلبت الراحة لنفسى فلم اجدلها اروح من ترك مالا يعنيها وتوحشت فى البرية فلم ار وحشة اضر من القرين السوء وشهدت الزحوف وغالبت الاقران فلم قرينا اغلب للرجل من المرأة السوء ونظرت الى كل مايذل القوى ويكسره فلم ارشيئا اذل ولا اكسر من الفاقة وقيل الفقر رأس كل بلاء وداعية الى مقت الناس وهو مع ذلك مسلبة للمروءة مذهبة للحياء فمتى نزل الفقر بالرجل لم يجد بدا من ترك الحياء ومن فقد حياؤه فقد مروءته ومن فقد مروءته ازدرى به ومن صار كذلك كان كلامه عليه لاله ﴿ ويحسب الغنى يكون اقلال البخيل واعطاؤه واكثار الجواد وسخاؤه كما قال دعبل ﴾ على وزن زبرج ابن على رزين بن سليمان الخزاعى كان كوفيا اقام ببغداد وشاعرا مجيدا الا انه كان خبيث اللسان مائلا الى الهجو وشيعيا متعصبا ومهيجا للفتن والشرور توفى سنة ست واربعين ومأتين وقد ناهز المأة . من الطويل ﴿ لئن كنت لاتولى ﴾ بالبناء للفاعل ﴿ ندى دون امرة ﴾ اللام موطئة للقسم اى دون ان تولى على ولاية وتنصب ﴿ فلست بمول نائلا آخر الدهر ﴾ اى آخر عمرك والنائل هو ماتصيبه

من الخير يعنى والله لئن كنت لاتعطى عطاء مالم تول على ولاية فاعلم انك لاتعطى الى آخر عمرك لانك لاتنصب ابدا فلا تعلق عطاءك العاجل بما لاتناله ﴿ واى اناء لم يفض عند ملئه . واى بخيل لم ينل ساعة الوفر ﴾ يعنى ان عطاءك الوعود مع كونه معلقا بالمحال لاقدر له عندنا لان كل بخيل ينيل عند وفرة ماله كما ان كل اناء يفيض عند ملائه بلا تحريك وقد حركناك (٣) وهذا من هجائه وشحاذته ﴿ واذا كان الخصب يحدث من اسباب الصلاح ما وصفت كان الجدب يحدث من اسباب الفساد ماضادها ﴾ من كثرة الحسد وتباغض العدم وتضيق النفوس وتقلل المواساة والتواصل ﴿ وكما ان صلاح الخصب عام فكذلك فساد الجدب عام وما عم به الصلاح ان وجد وعم به الفساد ان فقد ﴾ بصيغة المجهول فيهما ﴿ فاحرى ان يكون من قواعد الصلاح ودواعى الاستقامة * والخصب يكون من وجهين خصب فى المكاسب وخصب فى المواد ﴾ جمع مادة وهى عبارة عن اصول نامية بذواتها وهى شيئان نبت نام وحيوان متناسل والمكسوب من وجهين تقلب فى تجارة وتصرف فى صناعة كما سيأتى فى فصله ﴿ فاما خصب المكاسب فقد يتفرع من خصب المواد ﴾ فيتكثر البيع والشراء ولو بربح قليل ﴿ وهو من نتائج الامن المقترن بها ﴾ اى بالمواد لان التاجر المأمون له ما اعطى ثمنه ومالم يعط فيكثر مواده وفى حديث انس الامانة غنى اى من اتصف بها رغب الناس فى معاملته فيحسن حاله ويكثر ماله وعن على مرفوعا ايضا (الامانة تجلب الرزق) اى هى سبب تيسيره وحصول البركة فيه ورغبة الناس فى معاملة من اتصف به (والخيانة تجلب الفقر) كما فى العزيزى ﴿ واما خصب المواد فقد يتفرع عن اسباب الهبة ﴾ كقرابة النسب والمصاهرة المواخاة والمعروف والبر والشركة فى معروف ونحوه ﴿ وهو من نتائج العدل المقترن بها ﴾ اى بتلك الاسباب

﴿ واما القاعدة السادسة فهى امل فسيح ﴾ اى واسع ﴿ يبعث على اقتناء مايقصر العمر عن استيعابه ويبعث على اقتناء ماليس يؤمل فى دركه بحياة اربابه ﴾ فى فاكهة الخلفاء ان انوشروان كان مارا فى سيرانه فرأى شيخا كأنه قوس قطان نثر على رأسه قزع اقطان وهو يغرس نصب زيتون فتعجب من انحناء قامته وبياض هامته مع شدة حرصه على نصب غرسه فقال له ياذا التجارب الام ترتع فى ميادين الامل وقد تطوقت باوهاق الاجل تبنى واركان جسمك واهية وتغرس وقوام بدنك كاعجاز نخل خاوية وربيع شبابك قد استولى عليه خريف الهرم وصيف وجودك قد ادركه شتاء العدم وقد آن ان تغرس للآخرة فانك قد صرت عظاما نخرة فقال ياملك الزمان قد تسلمناها عامرة فلانسلمها غامرة * لقد غرسوا حتى اكلنا وانا . لنغرس حتى يأكل الناس بعدنا * وابعد فلاح عن الرشد والفلاح من يتسلم المعمور ويتركه وهو بور فاعجب انوشروان وفور عقل الشيخ الفان وحسن خطابه وسرعة جوابه فقال زه يعنى احسنت وكانت تلك الكلمة علامة للاحسان فاعطوه اربعة آلاف درهم فقال ايها السلطان ان الغراس يثمر بعد زمان وان غراسى اثمر من ساعته فقال زه فاعطوه اربعة آلاف اخرى فقال واعجب من هاتين القضيتين ان الغراس يثمر مرة وغراسى يثمر مرتين فقال زه وقال ان امهلك الزمان حتى يأتينى بباكورة هذا البستان فانا اقطعك خراجه فامهله الدهر وادرك ماغرسه فحمل الى الملك الباكورة ووفى له الملك نذوره ﴿ ولولا ان الثانى يرتفق ﴾ اى ينتفع ﴿ بما انشأه الاول حتى يصير به

(٢) وجوابه ماقيل هيهات جئت الى دفلى تحركها . مستطعما عنبا حركت فالتقط منه

مستغنيا لافتقر اهل كل عصر الى انشاء مايحتاجون اليه من منازل السكنى واراضى الحرث وفى ذلك ﴾ الافتقار ﴿ من الاعواز ﴾ اى الاشكال ﴿ وتعذر الامكان مالا خفاء به فلذلك مارفق الله خلقه ﴾ اى ما انفعهم ﴿ باتساع الآمال الا حتى عمر به الدنيا فعم صلاحها وصارت تنتقل بعمر انها الى قرن بعد قرن فيتم الثانى ما ابقاه الاول من عمارتها ويرمم الثالث ما احدثه الثانى من شعثها ﴾ اى يصلح ما تفرق وانتشر فى زمان الثانى ﴿ لتكون احوالها على الاعصار ملتئمة وامورها على ممر الدهور منتظمة ولو قصرت الآمال ماتجاوز الواحد حاجة يومه ولاتعدى ضرورة وقته ولكانت تنتقل الى من بعده خرابا لا يجد فيها بلغة ﴾ على وزن غرفة مايتبلغ ويتكفف بها من العيش ﴿ ولايدرك منها حاجة ثم تنتقل الى من بعد ﴾ الثانى ﴿ باسوء من ذلك حالا حتى لاينمى بها نبت ولايمكن فيها لبث وقد روى ﴾ على ماروى الخطيب عن انس ﴿ عن النبى صلى الله عليه وسلم انه قال انما الامل ﴾ اى رجاء ماتحبه النفس من طول عمر وصحة ﴿ رحمة من الله لامتى ﴾ فيتزوجون ويغرسون الاشجار ويفعلون مافيه نفعهم وصلاحهم لوجود الامل ﴿ ولولاه لما غرس غارس شجرا ولا ارضعت ام ولدا ﴾ فالحكمة تقتضى الامل وهذا لاينافى طلب الاكثار من ذكر الموت لان الامل يحصل للانسان من غير اختيار وقال المناوى مدح اصله لاينافى ذم الاسترسال فيه انتهى ومن ههنا قال الحسن لوعقل الناس وتصوروا الموت بصورته خربت الدنيا ﴿ قال الشاعر ﴾ وهو سابق البربرى من البسيط ﴿ وللنفوس وان كانت على وجل . من المنية آمال تقويها ﴾ فى عزائمها ومقاصدها . ومن متعلق بوجل وآمال مبتدأ مؤخر وللنفوس خبره ﴿ فالمرء يبسطها والدهر يقبضها . والنفس تنشرها والموت يطويها ﴾ الضمائر للآمال يعنى ان الدهر مازال يعكس المقاصد ويراقب الخيبة ويراصد فيكمن المنايا فى الامانى كما قال آخر * فقد تدنو المقاصد والامانى فتعترض الحوادث والمنون * وقال ابن المعتز نعم الرفيق الامل ان لم يبلغك فقد آنسك واستمتعت به وكل امرئ امانيه تليق بمعاليه وكذا كلامه واستماعه على قدر طبعه وخلقه قيل للامام مالك ماتتمنى قال سندا عاليا وبيتا خاليا وقيل لوراق ماتتمنى قال قلما مشاقا وحبرا براقا وجلودا واوراقا وقيل لبعض المتصوفة ماتتمنى قال فأسا ودلقا ولا اريد رزقا وقال بعضهم * لوقيل ماتتمنى قلت فى عجل . اخاصدوقا انيسا غير خوان * اذا فعلت جميلا ظل يشكرنى . وان اسأت تلقانى بغفران * وقيل لبعض العشاق ماتتمنى فقال اعين الرقباء والسنة الوشاة واكباد الحساد ونظمه بعضهم فقال * عندى لكم يوم التواصل دعوة . يامعشر الجلساء والندماء * اشوى قلوب الحاسدين بها والسنة الوشاة واعين الرقباء (٤) وقيل لطفيلى كم اثنين فى اثنين قال اربعة ارغفة . والسرور عبارة عن نيل الامل قيل لعبد الله بن الاهتم ما السرور قال رفع الاولياء وحط الاعداء وطول البقاء مع القدرة على النماء وقيل للحضين بن المنذر ما السرور قال امرأة حسناء ودار قوراء وفرس فاره مرتبط بالفناء . هذه حال الامل فى امر الدنيا حتى تم به صلاحها ﴿ واما حال الامل فى امر الآخرة فهو من اقوى الاسباب فى الغفلة عنها وقلة الاستعداد لها ﴾ قال القسطلانى

(٤) ترجمه جكر كبابى مهيا وجاشنيسى حلال . بكم ضيافت عشاق دافكاره بيور . منه
وقال الصفدى خرج الوزير نظام الملك الى الصلاة فجلس قليلا ثم التفت الى الحاضرين وقال هنا بيت شعر اريد له اولا وهو فكأننى وكأنه وكأنها . امل ونيل حال بينهما القضا . وكان فى الجماعة ابو القاسم مسعود بن محمد الخجندى فقال افدى حبيبا زارنى متنكرا . فبدا الوشاة له فولى معرضا منه

وفى الامل سر لطيف لانه لولا الامل ماتهنى احد بعيش ولا طابت نفسه ان يشرع فى عمل من اعمال الدنيا وانما المذموم منه الاسترسال فيه وعدم الاستعداد لامر الآخرة ﴿ وقد افصح ﴾ اى اظهر وبين ﴿ لبيد ﴾ بن ربيعة الصحابى وكان شريفا فى الجاهلية والاسلام حكى ابن سعد عن الشعبى قال كتب عمر بن الخطاب الى مغيرة بن شعبة رضى الله عنهما وهو عامله على الكوفة ان ادع من قبلك الشعراء فاستنشدهم ماقالوا فى الجاهلية والاسلام من الشعر ثم اكتب الى بذلك فدعاهم المغيرة فقال للبيد انشدنى ماقلت قال ابدلنى الله بذلك سورة البقرة وآل عمران وقال للاغلب انشدنى فقال * ارجزا تريد ام قصيدا. لقد سألت هينا موجودا . فكتب بذلك الى عمر فكتب اليه عمر ان انقص الاغلب خمسمأة من عطائه فردها فى عطاء لبيد فرحل اليه الاغلب فقال اتنقصنى ان اطعتك فكتب عمر الى المغيرة ان رد الى الاغلب خمسمأة واقرها زيادة فى عطاء لبيد قيل ان لبيدا لم يقل فى الاسلام سوى قوله * الحمد لله اذلم يأتنى اجلى . حتى اكتسبت من الاسلام سربالا * وقوله * ماعاتب الحر الكريم كنفسه . والمرء ينفعه القرين الصالح * قال السيوطى الصواب ان البيت الاول لقردة بن نفاثة من الصحابة ﴿ مع اعرابيته ﴾ وكونه من اهل بادية ﴿ عما تبين به حال الامل فى الامرين فقال ﴾ من الرمل ﴿ واكذب النفس اذا حدثتها . ان صدق النفس يزرى بالامل ﴾ قال صاحب الكشاف فى قوله تعالى ولقد خلقنا الانسان ونعلم ما توسوس به نفسه الوسوسة الصوت الخفى ومنها وسواس الحلى ووسوسة النفس مايخطر ببال الانسان ويهجس فى ضميره من حديث النفس يقولون حدث نفسه بكذا كما يقولون حدثته به نفسه انتهى وقال فى مقدمة الادب يقال كذبه دروغ كفت اورا وبابه ضرب وصدقه الخبر راست كفت باو خبررا يعنى اذا حادثت نفسك فحدثتك فى معالى الامور اوفى آمالك البعيدة الحصول بانك لاتظفر فيها فاكذبها فيه فان صدقها يثبطك عن العز ونيل الآمال ويورث الفتور والكلال وهيجها ونشطها على الامل ليصرف عنان همتها نحو السعى والاقدام ﴿ غيران لا تكذبنها بالتقى . واجزها بالبر لله الاجل ﴾ يعنى واذا حدثتك بالتقى وملازمة الاعمال الصالحة وذكر الموت فلا تكذبها فيه (٣) واجزها بالبر اليها والطاعة لها عند تحديثك بالتقى وقوله لله الاجل تأكيد لكلا الامرين يعنى لايعجله ملازمتك لذكر الموت واستعدادك لامر آخرتك ولا يؤجله طول املك فان ابطأ اجلك ينفعك املك واذا جاء اجلك ينفعك برك وعملك وسئل بشار اى بيت قالته العرب اشعر واكثر معنى قال ان يفضل بيت واحد على الشعر كله ليس بسديد ولكنه احسن لبيد فى قوله واكذب النفس البيتين ﴿ وفرق مابين الآمال والامانى ان الامال ماتقيدت باسباب والامانى ماتجردت عنها ﴾ وقيل الامل ارادة الشخص تحصيل شئ يمكن حصوله فاذا فاته تمناه والرجاء تعليق القلب بمحبوب ليحصل فى المستقبل والفرق بين الرجاء والتمنى ان التمنى يورث صاحبه الكسل ولايسلك طريق الجهد والجد وبعكسه صاحب الرجاء فالرجاء محمود والتمنى معلول كما قال الخالدى * ولاتكن عبدالمنى فالمنى رؤس اموال المفاليس * الا انه ينفع لدفع الهموم كما قال ابو العتاهية * حرك مناك اذا اغتممت فانهن مراوح * وهذا القدر من المدح يكفيه لانه ليس كالطعام الذى يرغب فيه بل

(٣) بتكرار النهى مرتين على مايفيده نون الخفيفة منه

كالدواء الذي يرغب عنه ويحتاج اليه ﴾ فهذه القواعد الست التي تصلح بها احوال الدنيا وتنتظم امور جملتها فان كملت فيها كمل صلاحها وبعيد ان يكون امر الدنيا تاما كاملا وان يكون صلاحها عاما شاملا لانها موضوعة على التغير والفناء منشأة على التصرم والانقضاء ﴾ يقال تصرم الشئ اذا انقطع ﴾ وسمع بعض الحكماء رجلا يقول قلب الله الدنيا قال فاذا تستوى ﴾ الدنيا ﴾ فانها مقلوبة ﴾ الآن والمقلوب اذا قلب ثانيا يرجع الى وضعه الاصلي فيستقيم واوله بعض الشعراء بقوله * لقد جار صرف الدهر في كل جانب . من الارض واستولت علينا الاراذل * هل المسخ الا ان ترى العرف منكرا . او الخسف الاحين تعلو الاسافل ﴾ وقال بعض الشعراء ﴾ من الطويل ﴾ ومن عادة الايام ان خطوبها ﴾ جمع خطب وهو الامر العظيم الذى يكثر فيه تخاطب الناس ﴾ اذا سر منها جانب ساء جانب ﴾ وقال المتنبي * بذا قضت الايام مابين اهلها . مصائب قوم عند قوم فوائد ﴾ وما اعرف الايام الاذميمة . ولا الدهر الاوهو للثار طالب ﴾ ومن قصيدة ابي السعود * وللدهر ثارات تمر على الفتى . نعيم وبوس صحة وسقام * ومن يك في الدنيا فلا يعتبنها . فليس عليها معتب وملام * اجدك ما الدنيا وماذا متاعها . وماذا الذى تبغيه فهو حطام * تشكل فيها كل شئ بشكل ما . يعانده والناس عنه نيام ﴾ وبحسب ما اختل من قواعدها يكون اختلالها ﴾ ﴿ فصل ﴾ ﴿ واما مايصلح به حال الانسان فيها فثلاثة اشياء ﴾ معطوف على قوله فهذه القواعد الست وبيان لما اجمله سابقا من قوله فنبدأ بذكر ما يصلح به حال الانسان فيها فلبعد مابين الاجمال والتفصيل اتى بالفصل ﴾ هي قواعد امره ونظام حاله وهي نفس مطيعة ﴾ ومعينة له ومجيبة اليه اذا دعاها وساقها ﴾ الى رشدها منتهية عن غيها ﴾ اذا نهاها عنه وقد تقدم رياضة النفس ﴾ والفة جامعة تنعطف القلوب عليها ويندفع المكروه بها ﴾ اى بتلك الالفة والمحبة ﴾ ومادة كافية تسكن نفس الانسان اليها ﴾ اى تطمئن الى تلك المادة ﴾ ويستقيم اوده بها ﴾ عبر عن الحوائج بالاود وهو الاعوجاج لانها لاتخلو من تأويد الصفح والظهر وصرف المقدور وبلوغ المجهود قال البيضاوى في قوله تعالى ولايؤده حفظهما اى ولايثقله ﴾ فاما القاعدة الاولى التى هي نفس مطيعة فلانها اذا اطاعته ملكها واذا عصته ملكته ولم يملكها ومن لم يملك نفسه فهو بان لايملك غيرها ﴾ بالبر او بعقد المواخاة او بالمعروف ونحوها من اسباب الالفة ﴾ احرى ومن عصته نفسه كان بمعصية غيرها اولى ﴾ وقد سبق في فصل الهوى ان حسم ذلك ان يستعين بالعقل على النفس النفور فيشعرها مافي عواقب الهوى من شدة الضرر وقبح الاثر فاذا انقادت النفس للعقل لم يلبث الهوى ان يصير بالعقل مدحورا وبالنفس مقهورا ﴾ وقال بعض الحكماء لاينبغي للعاقل ان يطلب طاعة غيره ونفسه ﴾ التى هي اخص به من جميع ماعداها ﴾ ممتنعة عليه ﴾ وعاصية له ﴾ وقد قال الشاعر من الوافر ﴾ اتطمع ان يطيعك قلب سعدى . وتزعم ان قلبك قد عصاكا ﴾ سعدى مؤنث اسعد علم معشوقة . في المستطرف طلق الوليد بن يزيد زوجته سعدى فلما تزوجت اشتد ذلك عليه وندم على ما كان منه فدخل عليه اشعب فقال هل لك ان تبلغ سعدى عني رسالة ولك عشرة آلاف درهم قال اقبضنيها فامر له بها فلما قبضها قال له هات رسالتك

(الى)

قال انها فانشدها * اسعدى هل اليك لنا سبيل . ولا حتى القيامة من تلاق * بلى ولعل دهرا ان يواتى . بموت من خليلك اوفراق * قال فاتاها اشعب فاستأذن عليها فاذنت له فدخل فقالت له مابدالك فى زيارتنا يا اشعب فقال ياسيدتى ارسلنى اليك الوليد برسالة ثم انشدها الشعر فقالت لجواريها عليكن بهذا الخبيث فقال ياسيدتى انه دفع الى عشرة آلاف درهم فهى لك واعتقينى لوجه الله فقالت والله لا اعتقك او تبلغ اليه ما اقول لك قال ياسيدتى فاجعلى لى جعلا قالت لك بساطى هذا قال قومى عنه فقامت فاخذه والقاه على ظهره وقال هاتى رسالتك فقالت * اتبكى على سعدى وانت تركتها . فقد ذهبت سعدى فما انت تصنع فلما بلغه الرسالة ضاقت عليه الارض بما رحبت فقال للاشعب اخترمنى احدى ثلاث اما ان اقتلك واما ان اطرحك من هذا القصر واما ان القيك الى هذه السباع فتفترسك فتحير اشعب واطرق مليا ثم قال ياسيدى ما كنت لتعذب عينا نظرت الى سعدى فتبسم وخلى سبيله انتهى فالشاعر هو الوليد قال لائما نفسه ومعزيا إنى لااطمع انقياد قلبهالك وترحمها لوجدك وغرامك وقد عصاك قلبك حين طلقها ويعصيك الآن حيث لا ينساها ومحبتها ﴿وطاعة نفسه﴾ المصدر مضاف الى فاعله ﴿ تكون من وجهين احدهما نصح والثانى انقياد فاما النصح فهو ان ينظر الى الامور بحقائقها فيرى الرشد رشدا ويستحسنه ويرى الغى غيا ويستقبحه وهذا ﴾ النظر ﴿ يكون من صدق النفس ﴾ واستقامتها ﴿ اذا سلمت من دواعى الهوى ولذلك قيل من تفكر ابصر ﴾ اى صار ذا بصيرة فيفعل اموره بالروية والطمانية ولا يقع على العمياء ولا يخبط خبط العشواء وقالت الحكماء اذا كانت الحاسة الجليدية مؤفة برمد ونحوه فهى محرومة من الاشعة الفائضة من الشمس كذلك البصيرة اذا كانت مؤفة بالهوى والشهوات والاختلاط بابناء الدنيا فهى محرومة من ادراك الانوار القدسية ومحجوبة عن ذوق اللذات الانسية على ان الاسترسال فى اتباع الشهوات وايثار الفسوق على الطاعات ربما يكون ذريعة الى استحقاق كلمة العذاب كما قال الله تعالى واذا اردنا ان نهلك قرية امرنا مترفيها ففسقوا فيها فدمرناها تدميرا فهو مضر لدنيا غيره ايضا ﴿ واما الانقياد فهو ان تسرع ﴾ النفس ﴿ الى الرشد اذا امرها وتنتهى عن الغى اذا زجرها وهذا ﴾ الانقياد ﴿ يكون من قبول النفس اذا كفيت ﴾ بتعاطيك لما سوغه الشرع او بمعاونة عقلك ﴿ منازعة الشهوات ﴾ ولم تكن مغلوبا لها ﴿ قال الله تعالى ﴾ فى سورة النساء (والله يريد ان يتوب عليكم) جملة مبتدأة مسوقة لبيان كمال منفعة ماارادة الله تعالى وكمال مضرة مايريد الفجرة ﴿ ويريد الذين يتبعون الشهوات ﴾ والمراد بمتبعى الشهوات الفجرة فان اتباعها الائتمار بها واما المتعاطى لما سوغه الشرع من المشتهيات دون غيره فهو متبع له لا للشهوات وقيل هم اليهود والنصارى وقيل هم المجوس حيث كانوا يحلون الاخوات من الاب وبنات الاخ وبنات الاخت فلما حرمهن الله تعالى قالوا فانكم تحلون بنت الخالة وبنت العمة مع ان الخالة والعمة عليكم حرام فانكحوا بنات الاخت والاخ فنزلت ﴿ ان تميلوا ﴾ عن الحق بموافقتهم على اتباع الشهوات واستحلال المحرمات وتكونوا زناة مثلهم ﴿ ميلا عظيما ﴾ اى بالنسبة الى ميل من اقترف خطيئة على ندرة بلا استحلال وقرئ ان يميلوا بصيغة الجمع الغائب والضمير للذين يتبعون الشهوات ﴿ وللنفس آداب ﴾ كثيرة جدا مذكورة فى كتب الاخلاق

﴿ هی تمام طاعتها وکمال مصلحتها وقدافردنا لها من هذا الکتاب بابا ﴾ وهوالباب الخامس ﴿ واقتصرنا فی هذا الموضع علی ماقد استدعاه الترتیب واقتضاه التقریب ﴾ وهو سوق الدلیل علی وجه یستلزم المطلوب والمطلوب فی هذا الکتاب بیاب آداب الدین والدنیا علی اعدل الامرین من ایجاز وبسط فلذا اقتصر من ادب الریاضة والاستصلاح علی فصول تحتوی علی مایلزم مراعاته من الاخلاق ویجب معاناته من الآداب التی لها مدخل فی کمال الدین وصلاح الدنیا ﴿ واما القاعدة الثانیة وهی الالفة الجامعة ﴾ یقال بینهما الفة ای انس ﴿ فلان الانسان مقصود بالاذیة محسود بالنعمة ﴾ ای بسبب نعمته ای نعمة کانت ولذا ورد فی الحدیث استعینوا علی قضاء الحوائج بالکتمان ﴿ فاذا لم یکن آلفا ﴾ بغیره ﴿ مألوفا ﴾ ومنعطفا علیه قلوب غیره ﴿ تخطفته ﴾ ای خطفته ای استلبته واسترقته ﴿ ایدی حاسدیه وتحکمت فیه اهواء اعادیه ﴾ یقال تحکم فی الامر اذا جاز ونفذ فیه حکمه ﴿ فلم تسلم له نعمة ﴾ من حساده ﴿ ولم تصف له مدة ﴾ من اعدائه بل تسرق نعمته اولذتها وحضورها وتکدر حیاته . وان یعش فکأنه لم یعش ﴿ فاذا کان آلفا مألوفا انتصر بالالفة علی اعادیه وامتنع من حاسدیه فسلمت نعمته منهم ﴾ من الحاسدین ﴿ وصفت مدته عنهم ﴾ ای عن اعادیه ﴿ وان کان صفو الزمان عسرا ﴾ یقال امر عسر علی وزن کتف وعسیر ضد یسیر ای یقع نادرا کما هو شأن الامور المتعسرة ﴿ وسلمه ﴾ بکسر فسکون الصلح ﴿ خطرا ﴾ علی وزن کتف مرادف للخاطر وهو ما یتحرک فی القلب من رأی اوفکر او تدبیر او وسوسة یعنی وان کان سلامة الزمان من قبل الهواجس والخواطر لاوجود له فی الخارج حقیقة ﴿ وقدروی ابن جریج ﴾ واسمه عبدالملک بن عبدالعزیز بن جریج المکی القرشی المدنی نسب الی جده لشهرته به وهو اول من صنف فی الاسلام فی قول مات سنة خمسین ومأة وقد جاوز السبعین ﴿ عن عطاء ﴾ بن ابی رباح ﴿ رحمهما الله تعالی عن جابر ﴾ بن عبدالله ﴿ رضی الله عنه عن النبی صلی الله علیه وسلم انه قال المؤمن آلف مألوف ﴾ لحسن اخلاقه وسهولة طباعه ولین جانبه ﴿ ولاخیر فیمن لایألف ولایؤلف ﴾ لسوء اخلاقه وغلظة طباعه ﴿ وخیرالناس انفعهم للناس ﴾ قال المناوی لانهم کلهم عیال الله واحبهم الیه انفعهم لعیاله ﴿ وروی عن النبی صلی الله علیه وسلم ﴾ کما رواه مسلم عن ابی هریرة ﴿ انه قال ان الله یرضی لکم ثلاثا ﴾ من الخصال ﴿ ویکره لکم ثلاثا ﴾ ای یأمرکم بثلاث وینهاکم عن ثلاث قال العلقمی قال العلماء الرضاء والسخط والکراهة من الله تعالی المراد بها امره ونهیه او ثوابه وعقابه لان الرضاء والامر متلازمان والکراهة والنهی متلازمان وعبر باللام فی لکم فی الموضعین مع ان الظاهر یرضی عنکم بسبب التلبس بذلک الثلاث ویکرهکم بسبب تلک الثلاث للاشارة الی ان نفع ذلک لکم وشرها علیکم ﴿ یرضی لکم ان تعبدوه ولا تشرکوا به شیئا ﴾ ای فی عبادته ﴿ وان تعتصموا بحبل الله جمیعا ﴾ ای القرآن قال العلقمی هو التمسک بعهده واتباع کتابه ﴿ ولا تفرقوا ﴾ بحذف احدی التائین ای لاتختلفوا فی ذلک الاعتصام کما اختلف اهل الکتاب ﴿ وان تناصحوا من ولاه الله امرکم ﴾ ای من جعله والی امورکم وهو الامام الاعظم ونوابه قال المناوی واراد بمناصحتهم الدعاء لهم وترک مخالفتهم والدعاء علیهم

(وبحر)

ونحو ذلك وفى النهاية النصيحة كلمة يعبر بها عن جملة هى ارادة الخير للمنصوح له وليس يمكن ان يعبر عن هذا المعنى بكلمة واحدة تجمع معناه غيرها والنصيحة لائمة المسلمين معاونتهم على الحق وطاعتهم فيه وامرهم به وتذكيرهم برفق ولطف واعلامهم بما غفلوا عنه من حقوق المسلمين وترك الخروج عليهم وتأليف قلوب الناس لطاعتهم والصلاة خلفهم والجهاد معهم واداء الصدقات لهم وان لايطروا بالثناء الكاذب وان يدعو لهم بالصلاح هذا ان كان المراد بالائمة الولاة وقيل هم العلماء فنصيحتهم قبول مارووه وتقليدهم فى الاحكام واحسان الظن اليهم ﴿ ويكره لكم قيل وقال ﴾ هو مايكون من فضول المجالس مما يتحدث به فيها كقيل كذا وقال كذا مما لايصح ولايعلم حقيقته وربما جرالى غيبة اونميمة اما من قال مايصح وعرف حقيقته واسنده الى ثقة صدوق ولم يجرالى منهى عنه فلاوجه لذمه ﴿ وكثرة السؤال ﴾ له صلى الله عليه وسلم عن المسائل التى لاحاجة اليها وقيل المراد سؤال الناس اموالهم واراقة ماء الوجه وقيل عن اخبار الناس ﴿ واضاعة المال ﴾ هو صرفه فى غير وجوهه الشرعية وتعريضه للتلف لان الله تعالى جعل المال قياما لمصالح العباد وفى تبذيره تفويت لذلك وانه اذا اضاع ماله تعرض لما فى ايدى الناس وهوافساد والله لايحب المفسدين ﴿ وكل ذلك حث منه صلى الله عليه وسلم على الالفة والعرب تقول من قل ذل ﴾ قال الشاعر * ان الذليل الذى ليست له عضد. مثل الوحيد بلا مال ولاعدد ﴿ وقال ﴾ ابو على ﴿ قيس بن عاصم ﴾ التميمى المنقرى المشهور بحلمه وهو ممن حرم الخمر فى الجاهلية على نفسه وذلك انه سكر ذات ليلة فقام لابنته اولاخته فهربت منه فلما اصبح سأل عنها فقيل له اوما علمت ماصنعت البارحة فاخبر بالقصة فقال اكره ان اصبح سيد قومى وامسى سفيههم وحرم الخمر على نفسه وقال النبى صلى الله عليه وسلم فى حقه هذا سيد اهل الوبر ومن وصاياه لاولاده قوله من الكامل *خافوا الضغائن بينكم وتوا صلوا . عندالاباعد والحضورالشهد * بصلاح ذات البين دون لقائكم. ودمائكم بتقاطع وتفرد * فلمثل ريب الدهر الف بينكم . بتواصل وترحم وتودد * حتى تلين جلودكم وقلوبكم. لمسود منكم وغيرمسود ﴿ ان القداح ﴾ جمع قدح بالكسر اى السهام كما روى بها ﴿ اذا اجتمعن فرامها ﴾ اى تلك السهام المجتمعة ﴿ بالكسر ذوحنق ﴾ صاحب غيظ فاعل رام ﴿ وبطش ﴾ اى ذو بأس وقوة اوذ وعنف وسطوة ﴿ ايد ﴾ على وزن كيس اى قوى وشديد يقال آد الشئ يئيد ايدا اذا اشتد وقوى واسند الفعل الى صاحب الغيظ لانه لارادته التشفى لايتأمل الضر والنفع ولايرى الامام والخلف فلا يمنعه من ارادته عقل ولا دين لان الغضب يفسدها ويستر ها الا ان يمنع عجزه وضعفه فدفع هذا الاحتمال بقوله وبطش ايد فلم يبق مانع من طرف الكاسر ومعنى البيت مرهون الى مابعده ﴿ عزت ﴾ اى غلبت تلك السهام المجتمعة على مثل ذلك المغتاظ والجملة جواب اذا والجملة الشرطية خبران ﴿ فلم تكسر وان هى بددت . ﴾ اى وان بددت السهام وفرقت من باب وأن احد من المشركين استجارك ﴿قالوهن والتكسير للمتبدد﴾ وقيل ايضا* كونوا جميعا يابنى اذا اعترى . خطب ولاتتفرقوا احادا * تأبى القداح اذا اجتمعن تكسرا . واذا افترقن تكسرت افرادا * وقال عطارد * ولايلبث الحبل الضعيف اذاالتوى . وجاذبه

تخذم الشئ انقطع وتخذمه قطعه منه

الاعداء ان يتخذما ﴿ واذا كانت الالفة بما اثبت ﴾ اماخاطب مجهول او متكلم معلوم ﴿ تجمع الشمل وتمنع الذل اقتضت الحال ذكر اسبابها واسباب الالفة خمسة وهي الدين و النسب والمصاهرة والمودة والبر ﴿فاما الدين وهو الاول من اسباب الالفة فلانه يبعث على التناصر ﴾ لانه آمر به ﴿ ويمنع من التقاطع والتدابر وبمثل ذلك وصى رسول الله صلى الله عليه وسلم اصحابه فروى سفيان ﴾ ابن عيينة ﴿ عن الزهري عن انس رضى الله عنه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم لاتقاطعوا ﴾ اى لايفعل احدكم باخيه مايحمله على بغضه وقطعه من عتاب او جفاء وما اشبه ذلك وفي الجامع الصغير لاتباغضوا ﴿ ولا تدابروا ﴾ اى لايولي بعضكم ظهره الى وجه اخيه فانه سبب الحقد ﴿ ولاتحاسدوا ﴾ اى لاتتحاسدوا فحذف احدى التائين فيه وفى نظائره والحسد انبعاث القوة الشهوية الى محبة زوال نعمة الغير وان لم تحصل له والغبطة والمنافسة طلب حصول الخير له مع عدم الزوال عن الغير وهى قد تكون واجبة اذا كانت دينية كالايمان والطاعة ومندوبة كتشهى طلب العلم ومباحة والحسد مذموم شرعا وعقلا وسيجئ تفصيله فى فصله ﴿ وكونوا عباد الله اخوانا ﴾ خبر كان وعباد الله منصوب على الاختصاص اوخبر بعد خبر يعنى انتم مستوون فى كونكم عبيد الله وملتكم واحدة فالتحاسد والتباغض والتقاطع منافية لحالكم فالواجب ان تعاملوا معاملة الاخوة والمعاشرة فى المودة و التعاطف والتلطف والمعاونة على البر والنصيحة على كل حال والاخ النسبي يجمع على اخوة والمجازى على الاخوان قال الله تعالى اخوانا على سرر متقابلين واما قوله تعالى انما المؤمنون اخوة فللمبالغة ﴿ لايحل لمسلم ان يهجر اخاه فوق ثلاث ﴾ ليال يلتقيان فيعرض هذا ويعرض هذا وخيرهما الذى يبدأ بالسلام على مارواه مسلم به من طريق ابى ايوب الانصارى رضى الله عنه قال النووى قال العلماء فى هذا الحديث تحريم الهجر اكثر من ثلاث ليال وقال بعض العلماء وفى النهى عن التباغض اشارة الى النهى عن الاهواء المضلة الموجبة للتباغض انتهى ﴿ وهذا ﴾ المذكور من عدم التقاطع والتحاسد وكونهم اخوانا ﴿ وان كان اجتماعهم فى الدين يقتضيه فهو على وجه التحذير من تذكر تراث الجاهلية ﴾ الماضية اى تركتها ﴿ واحن الضلالة ﴾ السالفة اى حقدها ﴿ فقد بعث رسول الله صلى الله عليه وسلم والعرب اشد تقاطعا وتعاديا واكثر اخلافا وتماديا ﴾ اى اختلافا وسبقا فى الغى والضلالة يقال تمادى فى الغى اذا بعد غاية البعد حتى وصل منتهاه تقول فلان يشحذ للبغى المدى ويبلغ فى الغى المدى ﴿ حتى ان بنى الاب الواحد يتفرقون احزابا فتثير بينهم ﴾ اى تظهر يقال ثار الدم اذا ظهر واثار الشئ اذا هيجه ﴿ بالتحزب والافتراق احقاد الاعداء واحن البعداء وكانت الانصار ﴾ فى الاصل جمع ناصر ثم غلبت الاسمية على الوصفية واريد به من اعان ونصر النبى صلى الله عليه وسلم والمهاجرين من اهل المدنية من اوس وخزرج ﴿ اشدهم تقاطعا وتعاديا وكان بين الاوس والخزرج ﴾ مع كونهم ابنى حارثة بن ثعلبة زوج قيلة فاكتنوا بابنى قيلة واشتهروا بها ﴿ من الاختلاف والتباين اكثر من غيرهم الى ان اسلموا فذهبت احنهم وانقطعت عداوتهم وصاروا بالاسلام اخوانا متواصلين وبالفة الدين اعوانا متناصرين قال الله تعالى ﴾ فى آل عمران (واعتصموا بحبل الله) اى بدين الاسلام او بكتابه (جميعا) اى

الاول بكسر الميم جمع مدية وهى الشفرة والثانى بفتحها الغاية منه

(مجتمعين)

مجتمعين فى الاعتصــام (ولا تفرقوا) اى لاتتفرقوا عن الحق بوقوع الاختلاف بينكم كاهل الكتاب اوكما كنتم متفرقين فى الجاهلية يحارب بعضكم بعضــا او لاتحدثوا مايوجب التفرق ويزيل الالفة التى انتم عليهــا ﴿ واذكروا نعمة الله عليكم ﴾ متعلق بالمصــدر او بمحذوف وقع حالامنه ﴿ اذ كنتم ﴾ ظرف له اوللاســتقرار فى عليكم اى اذكروا انعامه مســتقرا عليكم وقت كونكم ﴿ اعداء ﴾ فى الجاهلية بينكم الا حن والعداوات والحروب المتواصلة وقيلهم الاوس والخزرج كانا اخوين لاب وام فوقعت بين اولادهما العـداوة والبغضاء وتطاولت الحروب فيما بينهم مأة وعشرين سنة ﴿ فالف بين قلوبكم ﴾ بتوفيقكم للاسلام ﴿ فاصبحتم ﴾ اى فصرتم ﴿ بنعمته ﴾ التى هى ذلك التأليف ﴿ اخوانا ﴾ خبر اصبحتم اى اخوانا متحابين مجتمعين على الاخوة فى الله متراحمين متناصحين متفقين على كلمة الحق وقيل معنى فاصــبحتم فدخلتم فى الصــباح فالبــاء حينئذ متعلقة بمحذوف وقع حالا من الفاعل وكذا اخوانا اى فاصبحتم ملتبسين بنعمته حال كونكم اخوانا ﴿ يعنى اعداء فى الجاهلية فالف بين قلوبكم بالاســلام وقال تعالى ﴾ فى مريم ﴿ ان الذين آمنـوا وعملوا الصــالحات سيجعل لهم الرحمن ودا ﴾ اى ســيحدث لهم فى القلوب مودة من غير تعرض منهم للاسباب التى يكتسب بها الناس مودات القلوب من قرابة او صداقة او اصطناع معروف او غير ذلك سوى مالهم من الايمان والعمل الصــالح والتعرض لعنوان الرحمانية لما انه الموعود من آثارها وعن النبى عليه الصلاة والسلام اذا احب الله عبــدا يقول لجبريل عليه السلام انى احب فلانا فاحبه فيحبه جبريل ثم ينادى فى اهل السماء ان الله يحب فلانا فاحبوه فيحبه اهل السماء ثم يوضع له القبول فى قلوب اهل الارض والسين لان السورة مكية كانوا اذ ذاك ممقوتين بين الكفرة فوعــدهم ذلك ثم انجزه وفى رواية الطــبرانى عن ثوبان ثم قرأ عليه الســلام ان الذين آمنوا الآية ورواه البخارى عن ابى هريرة ﴿ يعنى حبــا ﴾ والحب من انجذاب النفس الى ماترغب فيه ومبدأه الميل ثم الارادة ثم المودة كما ان البغض من نفار النفس عما ترغب عنه واوله الكراهة واوسطه النفرة وآخره العداوة وهما من غرائز الطبع ﴿ وعلى حســب التألف على الدين تكون العداوة فيه ﴾ اى لاجل الدين ﴿ اذا اختلف اهله ﴾ اى اهل المتألف له ﴿ فان الانسان قد يقطع فى الدين من كان به برّا وعليه مشــفقا هذا ابو عبيدة بن الجراح ﴾ جمله كالحاضر لشهرة ذاته وآثاره واسمه عامر بن عبدالله بن الجراح بن هلال بن اهيب بن ضــبة بن الحارث بن فهر يجتمع مع النبى صلى الله عليه وسـلم فى فهر بن مالك وهو امين هذه الامة وقتل ابوه يوم بدر كافرا ويقال انه هو الذى قتله ومات ابو عبيدة وهو امير على الشــام من قبل عمر بن الخطــاب رضى الله عنه سنة ثمان عشر فى طاعون عمواس وقبره بغور بيســان عند قرية تسمى عمتا وصلى عليه معاذ بن جبل وكان ابن ثمان وخمســين ﴿ وكانت له المنزلة العالية فى الفضل ﴾ بشهادة الله وشهادة رسوله اما شهادة الله له فلما يســتفاد من الآية انه من حزب الله ومن المفلحين واما شهادة رســوله فلما رواه البخارى ومسلم فى المناقب عن انس بن مالك رضى الله عنه ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال ان لكل امة امينا وان اميننا ايتها الامة ابو عبيدة بن الجراح قال العينى الامين الثقة الرضى وقوله ايتها الامة

سورته صورة النداء لكن المراد منه الاختصاص اى اميننا مخصوصين من بين الامم ابو عبيدة فيكون منصوبا على الاختصاص والامانة مشتركة بين ابى عبيدة وغيره من الصحابة لكن المقصود بيان زيادته فى ابى عبيدة والنبى صلى الله عليه وسلم خص كل واحد من كبار الصحابة بفضيلة واحدة وصفه بها فاشعر بقدر زائد فيها على غيره يوضح ذلك مارواه الترمذى من حديث قتادة عن انس بن مالك رضى الله عنه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ارحم امتى بامتى ابوبكر واشدهم فى امر الله عمر واصدقهم حياء عثمان واعلمهم بالحلال والحرام معاذ بن جبل وافرضهم زيد بن ثابت واقرؤهم ابى بن كعب ولكل امة امين وامين هذه الامة ابو عبيدة بن الجراح ﴿ والاثر المشهور فى الاسلام ﴾ حيث حضر مع رسول الله صلى الله عليه وسلم فى جميع غزواته مع ابراز الشجاعة ثم فى غزوات ابى بكر وعمر رضى الله عنهم ﴿ قتل اباه ﴾ عبدالله ﴿ يوم بدر واتى برأسه الى رسول الله صلى الله عليه وسلم طاعة لله عز وجل ولرسوله حين بقى ﴾ ابوه ﴿ على ضلالته وانهمك فى طغيانه ﴾ اى اصر وتمادى فيه حتى تشمر لرفع اعلامه وقاتل تحته ﴿ فلم تعطفه عليه رحمة ولا كفه عنه شفقة وهو من ابر الابناء ﴾ الجملة حالية ﴿ تغليبا ﴾ مفعول له لقتل ﴿ للدين على النسب ﴾ اى اصرته على نصرته ﴿ و ﴾ تغليبا ﴿ طاعة الله على طاعة الاب ﴾ ذكر صاحب الكشاف فى قوله تعالى قال يانوح انه ليس من اهلك انه عمل غير صالح انه تعليل لانتفاء كونه من اهله وفيه ايذان بان قرابة الدين غامرة لقرابة النسب وان نسيبك فى دينك ومعتقدك من الا باعد فى المنصب وان كان حبشيا وكنت قرشيا لصيقك وخصيصك ومن لم يكن على دينك وان كان امس اقاربك رحما فهو ابعد بعيد منك ﴿ وفيه ﴾ اى فى حق ابى عبيدة وامثاله ﴿ انزل الله تعالى ﴾ قوله فى المجادلة ﴿ لاتجد قوما يؤمنون بالله واليوم الآخر ﴾ الخطاب للنبى عليه الصلاة والسلام او لكل احد وتجد اما متعد الى اثنين فقوله تعالى ﴿ يوادون من حاد الله ورسوله ﴾ مفعوله الثانى او الى واحد فهو حال من مفعوله لتخصصه بالصفة وقيل صفة اخرى له اى قوما جامعين بين الايمان بالله واليوم الآخر وبين موادة اعداء الله ورسوله والمراد بنفى الوجدان نفى الموادة على معنى انه لايتحقق ذلك وحقه ان يمتنع ولا يوجد بحال وان جد فى طلبه كل احد وقال الزمخشرى فلا تجد شيئا ادخل فى الاخلاص من موالاة اولياء الله ومعاداة اعدائه بل هو الاخلاص بعينه ﴿ ولوكانوا ﴾ اى من حاد الله ورسوله والجمع باعتبار معنى من ﴿ آباءهم ﴾ آباء الموادين ﴿ او ابناءهم او اخوانهم او عشيرتهم ﴾ فان قضية الايمان بالله تعالى ان يهجر الجميع بالمرة اى ولوكان المحادون اقرب الناس اليهم قال ابن عباس نزلت هذه الآية فى ابى عبيدة بن الجراح قتل اباه عبدالله يوم بدر وعمر بن الخطاب قتل خاله العاص بن هشام بن المغيرة يوم بدر وابوبكر دعا ابنه يوم بدر الى البراز فقال النبى صلى الله عليه وسلم متعنا بنفسك ومصعب بن عمير قتل اخاه عبيد بن عمير وعلى بن ابى طالب وحمزة وعبيدة قتلوا عتبة وشيبة والوليد بن عتبة يوم بدر فهؤلاء لم يوادوا اقاربهم وعشائرهم غضبا لله ودينه (اولئك كتب فى قلوبهم الايمان) اثبته فيها (وايدهم) اى قواهم (بروح منه) اى من عندالله تعالى وهو نور القلب اوالقرآن اوالنصر على العدو (ويدخلهم) بيان لآثار رحمته الاخروية اثر بيان الطافه الدنيوية (جنات تجرى

من تحتها الانهار خالدين فيها ابدا رضى الله عنهم) استئناف جار مجرى التعليل لما افاض الله عليهم من آثار رحمته العاجلة والآجلة (ورضوا عنه) بيان لابتهاجهم بما اتوه عاجلا و آجلا (اولئك حزب الله) تشريف لهم ببيان اختصاصهم بعز وجل (الا ان حزب الله هم المفلحون) بيان لاختصاصهم بالفوز بسعادة الدارين وبكرامة النشأتين كذا فى تفسير ابى السعود ﴿ وقد يختلف اهل الدين على مذاهب شتى و آراء مختلفة ﴾ فى اصول الدين اوفروعه ﴿ فيحدث بين المختلفين فيه ﴾ اى فى ذلك الدين ﴿ من العداوة والتباين مثل مايحدث بين المختلفين فى الاديان ﴾ من الحروب والقتال وقد امتد حروب الا زارقة من الخوارج ثمان عشر سنة او اكثر وقد كان مسئلة خلق القرآن محنة عظيمة ولذا اوجب الشرع النهى عن المنكر ﴿ وعلة ذلك ﴾ الحدوث ﴿ ان الدين والاجتماع على العقد الواحد فيه لما كان من اقوى اسباب الالفة كان الاختلاف فيه اقوى اسباب الفرقة واذا تكافأ ﴾ وتساوى ﴿ اهل الاديان المختلفة والمذاهب المتباينة ولم يكن احد الفريقين اعلى يدا ﴾ اى قوة ﴿ واكثر عددا كانت العداوة بينهم اقوى والاحن فيهم اعظم لانه ينضم الى عداوة الاختلاف ﴾ فى الدين او فى المذهب ﴿ تحاسد الاكفاء وتنافس النظراء ﴾ جمع نظير ﴿ واما النسب وهو الثانى من اسباب الالفة فلان تعاطف الارحام وحمية القرابة يبعثان على التناصر والالفة ويمنعان من التخاذل والفرقة ﴾ عطف تفسير للتخاذل يقال تخاذل القوم اذا تدابروا وتفرقوا ﴿ انفة ﴾ بفتحات اى استنكافا مما يوجب النقيصة وامتناعا من لحوق المعرة ﴿ من استعلاء الاباعد على الاقارب وتوقيا من تسلط الغرباء الاجانب وقد روى عن النبى صلى الله عليه وسلم انه قال ان الرحم ﴾ بيت منبت الولد ووعاؤه و اسباب القرابة ايضا ﴿ اذا تماست تعاطفت ولذلك ﴾ التعاطف ﴿ حفظت العرب انسابها لما امتنعت عن سلطان يقهرها ويكف الاذى عنها لتكون به متظافرة على من ناواها ﴾ اى عاداها ﴿ متناصرة على من شاقها وعاداها حتى بلغت بالفة الانساب تناصرها على القوى الايد ﴾ اى الشديد ﴿ وتحكمت به ﴾ اى بالنسب يعنى بالفته ﴿ تحكم المتسلط المتشطط ﴾ المتباعد عن الحق والخارج عن الاعتدال ﴿ وقد اعذر ﴾ اى ابدى عذرا حقا ﴿ نبى الله لوط عليه السلام ﴾ ابن اخى ابراهيم عليه السلام ﴿ نفسه حين عدم عشيرة تنصره فقال لمن بعث اليه ﴾ وهم اهل سذوم ﴿ لو ان لى بكم قوة ﴾ اى لمنعتكم وبالغت فى دفعكم ﴿ او آوى الى ركن شديد ﴾ عطف على ان لى بكم لما فيه من معنى الفعل اى لو قويت على دفعكم بنفسى او اويت الى ناصر عزيز قوى اتمنع به عنكم شبهه بركن الجبل فى الشدة والمنعة وقال الرازى واعلم انه لابد من حمل كل واحد من هذين الكلامين على فائدة مستقلة وفيه وجوه الاول المراد بقوله لو ان لى بكم قوة كونه قادرا بنفسه على الدفع وكونه متمكنا اما بنفسه واما بمعاونة غيره على قهرهم وتأديبهم والمراد بقوله او آوى الى ركن شديد هو ان لايكون له قدرة على الدفع لكنه يقدر على التحصن بحصن ليأ من من شرهم بواسطته الثالث انه لما شاهد سفاهة القوم واقدامهم على سوء الادب تمنى حصول قوة قوية على الدفع ثم استدرك على نفسه وقال بل الاولى ان آوى الى ركن شديد وهو الاعتصام بعناية الله تعالى وعلى هذا التقدير فقوله او آوى كلام منفصل عما قبله ولا تعلق له به وبهذا الطريق لايلزم عطف الفعل

على الاسم ﴿ يعنى عشيرة مائة وروى ابو سلمة ﴾ اسمه عبدالله او اسمعيل او اسمه كنيته ابن عبدالرحمن بن عوف احدالعشر المبشرة بالجنة القرشى الزهرى المدنى التابعى الامام الجليل المتفق على امامته وجلالته وثقته وهو احدالفقهاء السبعة على احدالاقوال سمع جماعة من الصحابة والتابعين وعنه خلائق من التابعين منهم الشعبى فمن بعدهم توفى بالمدينة سنة اربع وتسعين وهو ابن اثنتين وسبعين سنة فى خلافة الوليد رحمه الله ﴿ عن ابى هريرة رضى الله عنه ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال رحم الله لوطا ﴾ ابن اخى ابراهيم ﴿ لقد كان يأوى ﴾ اى فى الشدائد ﴿ الى ركن شديد ﴾ اى اشداى اعظم وهو الله تعالى ﴿ يعنى الله عزوجل ﴾ تفسير ومدرج فى الحديث فما وقع فى نسخ المتون وقال رسول الله صلى الله عليه لربط آخر الحديث باوله لا لانه حديث آخر كما رواه الحاكم عن ابى هريرة بتمامه وصححه ﴿ وما بعث الله بعده نبيا الا فى ثروة ﴾ اى كثرة ومنعة ﴿ من قومه ﴾ تمنع من يريده بسوء ﴿ وقال وهب ﴾ بن منبه ﴿ لقد وردت الرسل على ﴾ ماورد عليه ﴿ لوط وقالوا ان ركنك لشديد وروى عن رسول الله صلى الله عليه وسلم انه كان لايترك المرء مفرجا حتى يضمه الى قبيلة يكون فيها قال الرياشى المفرج الذى لاينتمى ﴾ اى لاينتسب ﴿ الى قبيلة يكون منها ﴾ وفى القاموس ومنه حديث العقل على عامة المسلمين ولايترك فى الاسلام مفرج اى اذا جنى كان على بيت المال لانه لاعاقلة له والحديث مروى بالجيم والحاء المهملة ﴿ وكل ذلك حث منه صلى الله عليه وسلم على الالفة وكف عن الفرقة ولذلك قال صلى الله عليه وسلم من كثر سواد قوم ﴾ اى عددهم بدخوله فيهم والسواد الكثير من الناس ﴿ فهو منهم ﴾ واذاكان النسب بهذه المنزلة من الالفة فقدتعرض له عوارض تمنع منها وتبعث على الفرقة المنافية لها فاذا قد لزم ان نصف حال الانساب ومايعرض لها من الاسباب ﴾ ليتعين سبب افتراق كل قريب ومناسب ﴿ فجملة الانساب تنقسم ثلاثة اقسام قسم والدون وقسم مولودون وقسم مناسبون ولكل قسم منهم منزلة من البر والصلة وعارض يطرأ فيبعث على العقوق والقطيعة ﴿ فاما الوالدون فهم الآباء والامهات والاجداد ﴾ وان علوا ﴿ والجدات ﴾ وان علون ﴿ وهم موسومون مع سلامة احوالهم ﴾ مما يغير الطبع ويسئ الاخلاق من هم مفرط ومرض مزعج وفقر مكد ونحوها ﴿ بخلقين احدهما لازم بالطبع والثانى حادث باكتساب فاما ماكان لازما بالطبع فهو الحذر والاشفاق وذلك لاينتقل عن الوالد بحال وان كان الولد عاقا ﴿ وقدروى عن النبى صلى الله عليه وسلم ﴾ على مارواه ابويعلى عن ابى سعيد الخدرى ﴿ انه قال الولد ﴾ ثمرة القلب) لان الثمرة تنتجها الشجرة والولد ينتجه الاب (وانه ﴿ مبخلة ﴾ على وزن مرحلة اى مايحمل على البخل ويدعو اليه اى يمتنع ابوه من الانفاق فى الطاعة خوف فقره ﴿ مجهلة ﴾ لتقيده بمصالحه فلا يتفرغ فى تحصيل العلوم ﴿ مجبنة ﴾ يجبن ابوه عن الجهاد خوف ضيعته ﴿ محزنة ﴾ يحزن ابوه لمرضه خوف موته ﴿ فاخبر ﴾ النبى صلى الله عليه وسلم ﴿ ان الحذر عليه يكسب هذه الاوصاف ويحدث هذه الاخلاق ﴾ وقالوا مقاساة الولائد سبب الوقوع فى المصائد قال ابن عيينة قلت لصياد اى طائر اسرع الى مصايدكم قال الذى يزق يعنى الذى يطعم ولده ﴿ وقد كره قوم طلب الولد كراهة لهذه الحالة التى لايقدر على دفعها عن نفسه للزومها طبعا وحدوثها حتما وقيل ليحيى بن زكريا عليهما السلام مابالك

تكره الولد ﴾ اى طلبه بالنكاح لانه كان حصورا قال الله تعالى ان الله يبشرك بيحيى مصدقا بكلمة من الله وسيدا وحصورا ونبيا من الصالحين فى الكشاف مصدقا بعيسى مؤمنا به قيل هو اول من آمن به وسمى عيسى بكلمة لانه لم يوجد الا بكلمة الله وحدها وهى قوله كن . والسيد الذى يسود قومه اى يفوقهم فى الشرف وكان يحيى فائقا لقومه وفائقا للناس كلهم فى انه لم يركب سيئة قط ويالها من سيادة . والحصور الذى لايقرب النساء حصرا لنفسه اى منعا لها من الشهوات وقيل هو الذى لايدخل مع القوم فى الميسر فاستعير لمن لايدخل فى اللعب واللهو ﴿ فقال مالى وللولد ﴾ اى ماصنع لنفسى وله الا ان السوق ان يكون والولد مفعولا معه ولعل الهمزة اتصل بلام التعريف فكان صورته صورة العطف اى ماصنع لنفسى معه يعنى لا اتقيد لخلاص نفسى ولا انفرغ لعبادتى معه لان الولد ﴿ ان عاش كدنى ﴾ اتعبنى يقال كد اذا تعب ووقع فى الشدة وكد فلانا اذا طلب منه الكد فهو متعد ولازم ﴿ وان مات هدنى ﴾ يقال هد البناء اذا هدمه شديدا وكسره يعنى بشدة صوت وقد بالغ القاضى التنوخى فى ذم الاولاد حيث يقول * ارى ولد الفتى كلا عليه . لقد سعد الذى اضحى عقيما * فاما ان يربيه عدوا . واما ان يخلفه يتيما * واما ان يصادفه حمام . فيبقى حزنه ابدا مقيما * وقال ابو الطيب * ومايسع الازمان علمى بامرها . وما تحسن الايام تكتب ماالى * وماالدهر اهل ان يؤمل عنده . حياة وان يشتاق فيه الى النسل * وقال الامير ابو الفتح بن ابى حصينة * وفى الدار خلق صبية قد تركتهم . يطلون اطلال الفراخ من الوكر * جنيت على روحى بروحى جناية . فاثقلت ظهرى بالذى خف من ظهرى ﴿ وقيل لعيسى بن مريم عليهما السلام الاتتزوج فقال انما تحب التكاثر فى دار البقاء * واما ما كان حادثا باكتساب ﴾ معطوف على قوله فاما ما كان لازما بالطبع وعديله ﴿ فهى المحبة التى تنمى مع الاوقات وتتغير مع تغير الحالات وروى عن النبى صلى الله عليه وسلم انه قال الولد انوط ﴾ يقال ناطه به اذا علقه عليه ﴿ يعنى ان حبه يلتصق بنياط القلب ﴾ هو عرق غليظ ميط به القلب الى الوتين ﴿ وروى عن النبى صلى الله عليه وسلم انه قال لكل شئ ثمرة وثمرة القلب الولد فان انصرف الوالد عن حب الولد فليس ذلك لبغض منه ولكن لسلوة ﴾ اى ذهول وفراغ عن ذكره ﴿ حدثت من عقوق اوتقصير مع بقاء الحذر والاشفاق الذى لايزول عنه ولاينتقل منه فقد قال محمد ﴾ الباقر ﴿ بن على ﴾ زين العابدين بن الحسين بن على بن ابى طالب سمى به لتبقره فى العلم اى لتوسعه فيه روى عن ابيه وجابر وابن عمر وطائفة وعنه ابنه جعفر الصادق والزهرى وابن جريج والاوزاعى وآخرون اخرج له الائمة الستة ﴿ ان الله تعالى رضى الآباء للابناء ﴾ اى رضى عن الاباء اداءهم حقوق ابناءهم ﴿ فحذرهم ﴾ اى جعلهم ذا حذر فثبتهم ﴾ على ذلك الحذر اوخوفهم وقال ولا تقتلوا اولادكم خشية املاق نحن نرزقهم واياكم ان قتلهم كان خطأ كبيرا وفى الكشاف قتلهم اولادهم هو وأدهم بناتهم كانوا يئدونهن خشية الفاقة وهى الاملاق فنهاهم الله وضمن لهم ارزاقهم . خطأ اى اثما ﴿ ولم يوصهم بهم ﴾ اى لم يوص الآباء باحسان الابناء لانه جبلهم وفطرهم على الحذر المستلزم للاحسان كما تقدم من الحديث الولد مبخلة ﴿ ولم يرض الابناء للآباء فاوصاهم بهم ﴾ وقال و وصينا الانسان بوالديه احسانا ﴿ و ﴾ قال ﴿ ان شر الابناء من دعاه التقصير ﴾ اى تقصير الآباء

فى بعض حقوقهم ﴿ الى العقوق ﴾ يقال عق والده ضدبره وهو ايذاؤهما باى نوع كان من انواع الاذى قل او كثرنهيا عنه اولم ينهيا عنه اومخالفتهما فيما يأمران اوينهيان بشرط انتفاء المعصية فى الكل ﴿ وشرالآباء من دعاه البر ﴾ اى برالابناء واطاعتهم ﴿ الى الافراط ﴾ فى الامر و النهى وفى حديث رحم الله والدا اعان ولده على بره ﴿ والامهات اكثر اشفاقا واوفرحبا ﴾ من الاباء ﴿ لما باشرن من ﴾ اعباء ﴿ الولادة وعاين من التربية ﴾ من المعاياة اى كلفن التربية وكللن منها والشئ المكدود له اعزوانفس وقالت اعرابية لابنها حين خاصمها اما كان بطنى لك وعاء اماكان حجرى لك فناء اما كان ثديى لك سقاء ﴿ فانهن ارق قلوبا والين نفوسا وبحسب ذلك وجب ﴾ شرعا ﴿ ان يكون التعطف عليهن اوفر ﴾ من الآباء ﴿ جزاء لفعلهن وكفاء لحقهن ﴾ بحسن فعلهن كما يأتى فى حديث المقدام ﴿ وان كان الله تعالى قد اشرك بينهما فى البر وجمع بينهما فى الوصية فقال تعالى ﴾ فى العنكبوت ﴿ ووصينا الانسان بوالديه حسنا ﴾ اى وصيناه بايتاء والديه حسنا اوبايلاء والديه حسنا اى فعلا ذا حسن اوماهو فى ذاته حسن لفرط حسنه ﴿ وقد روى ان رجلا اتى الى النبى صلى الله عليه وسلم فقال ان لى اما انا مطيعها اقعدها على ظهرى ﴾ يعنى احملها اذا خرجت لبعض اصدقائها ﴿ ولا اصرف عنها وجهى ﴾ كراهة منها ﴿ وارد اليها كسبى ﴾ تطييبا لها ﴿ فهل جزيتها ﴾ اى ما كان لها على من الحقوق والبر جميعا ﴿ قال ﴾ عليه الصلاة والسلام ﴿ لا ﴾ جزيتها بجميع حقوقها ﴿ ولا بزفرة واحدة ﴾ يقال رأيته يزفر مزدفر الثكلى وزفرتها اى تنفسها بشدة لوجعك ومرضك اوعند كبوتك ﴿ قال ولم قال لانها كانت تخدمك وهى تحب حياتك وانت تخدمها وتحب موتها ﴾ حكى انه بينما يتحادث صاحبان اذ قال احدهما للآخر هل تحب ان يموت ابوك وترث ماله قال لا وحفظه الله قال ولم قال لانى اتمنى ان يقتل فارث ديته ايضا ﴿ وقال الحسن البصرى حق الوالد اعظم ﴾ لكونهما سبب الوجود ﴿ وبر الوالد الزم ﴾ لورود الشرع به ومكافاة لاحسانهما بمثله وفى الكشاف قال الفقهاء لايذهب الابن المسلم بابيه الذمى الى البيعة واذا بعث اليه منها ليحمله فعل ولا يناوله الخمر ويأخذ الاناء منه اذاشربها وعن ابى يوسف رحمه الله اذا امره ان يوقد تحت قدره وفيها لحم الخنزير اوقد انتهى ﴿ وروى عن النبى صلى الله عليه وسلم انه قال انهاكم عن عقوق الامهات ﴾ اى نهى تحريم ورواية الشيخين عن المغيرة بن شعبة ان الله حرم عليكم عقوق الامهات فرواية انهاكم شاذة لمخالفتها رواية الثقاة الحفاظ والمراد بالعقوق صدور مايتأذى به الاصل من فرعه من قول اوفعل وانما خص الامهات اكتفاء بذكرهن عن الآباء اولان عقوقهن فيه مزية فى القبح اولعجزهن غالبا ﴿ ووأد البنات ﴾ هو دفنهن احياء لما فيه من قطع النسل الذى هو موجب خراب العالم قال الله تعالى واذا الموؤدة سئلت باى ذنب قتلت ﴿ ومنع ﴾ ماعليكم اعطاؤه وروى منعا منونا ﴿ وهات ﴾ فعل امر من الايتاء والاصل آت فقلبت الهمزة هاء اى وحرم عليكم طلب ماليس لكم اخذه وقيل كنى بها عن المسئلة والبخل فكره ان يمنع الانسان ماعنده ويسأل ماعند غيره (وكره لكم قيل وقال) مماتحدث به من فضول الكلام (وكثرة السؤال) اى عن احوال الناس اوعما لا يعنى او عن المسائل العلمية امتحانا وفخرا وتعاظما (واضاعة المال) اى صرفه فيما لا يحل اوتعريضه

(للفساد)

للفساد ﴿ وروى خالد بن معدان عن المقدام ﴾ بن معد يكرب ﴿ قال سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول ان الله يوصيكم بامهاتكم ﴾ من النسب ﴿ ثلاثا ﴾ اى كرره ثلاثا لمزيد التأكيد ﴿ ان الله يوصيكم بآبائكم مرتين ﴾ اى كرره مرتين اشارة الى تأكده وانه دون حق الام وسبب تقديم الام فى البر كثرة تعبها عليه وشفقتها وخدمتها وحصول المشاق من حمله ثم وضعه ثم ارضاعه ثم تربيته وخدمته ومعالجة اوساخه وتمريضه وغير ذلك ﴿ ان الله يوصيكم بالاقرب فالاقرب ﴾ من النسب قال مرة واحدة اشارة الى انه دون ماقبله فيقدم فى البر الام ثم الاب ثم الاولاد ثم الاجداد والجدات ثم الاخوة والاخوات ثم سائر المحارم كالاعمام والعمات والاخوال والخالات وقال بعض العلماء من وقر اباه طال عمره ومن وقر امه رأى مايسره رواه البخارى فى الادب وابن ماجة والطبرانى فى الكبير والحاكم عن المقدام ﴿ واما المولودون فهم الاولاد واولاد الاولاد ﴾ وان سفلوا ﴿ والعرب تسمى ولد الولد الصفوة ﴾ بحركات الصاد وصفوة الشئ ماصفا منه ﴿ وهم مختصون مع سلامة احوالهم بخلقين احدهما لازم والآخر منتقل فاما اللازم فهو الانفة ﴾ والاستنكاف ﴿ للآباء من تهضم اوخمول ﴾ اى لاجل ظلمهم او هجومهم على اولادهم اولسقوطهم وعدم نباهتهم ﴿ والانفة فى الابناء فى مقابلة الاشفاق فى الآباء وقد لحظ ابو تمام الطائى هذا المعنى فى شعره ﴾ اى اشار الى كون الانفة فى مقابلة الاشفاق ﴿ فقال ﴾ فى قصيدته من الطويل التى يمدح بها اباالحسن محمد بن الهيثم * قرانى اللها والود حتى كأنما . افاد الغنى من نائلى وفوائدى ﴿ فاصبحت يلقانى الزمان لاجله . باعظام مولود واشفاق والد ﴾ يقال قراه الطعام اذا اضافه به واللها جمع لهوة بالضم بمعنى العطية و هى مفعول ثان لقرا والضمائر للممدوح وفى ديوانه فاصبح اى صار الزمان يلقانى فايراد يلقى بصيغة الحال لاستحضار تلك الحالة وافادة عدم نسيانها يعنى اضافنى الممدوح بعطاياه الجزيلة ومودته الخالصة حتى كأنه افاد غناه من مدائحى اياه فصار الزمان يلقانى او فصرت يلقانى الزمان كل آن لاجله بانه جدير اعظاما مثل اعظام المولود وانا حقيق اشفاقا عليه مثل اشفاق الوالد على ولده وذلك لانه * يصد عن الدنيا اذا عن سودد . ولو برزت فى زى عذراء ناهد ﴿ واما المنتقل فهو الادلال وهو اول حال الولد والادلال فى الابناء ﴾ اى فى الاولاد مطلقا ﴿ فى مقابلة المحبة فى الآباء لان المحبة بالآباء اخص ﴾ واولى ليسهل عليهم كلف الاولاد ﴿ والادلال بالابناء امس ﴾ واحرى ليتأكد محبة اباءهم لهم فسبحان العليم الذى قدر فهدى ﴿ وقد روى عن عمر رضى الله عنه انه قال قلت يارسول الله مابالنا نرق ﴾ اى نرفق ونشفق ﴿ على اولادنا ولا يرقون علينا قال لانا ولدناهم ﴾ وحملنا مشاقهم ﴿ ولم يلدونا ﴾ وقيل لبعض الحكماء لاى شئ نحب اولادنا ولايحبوننا قال لان آدم لم يكن له اب حتى يحبه وورث منه بنوه ذلك قال الشاعر * وانما اولادنا بيننا . اكبادنا تمشى على الارض * فانظر الى البلاغة فى قوله تعالى يوم ترونها تذهل كل مرضعة عما ارضعت كيف جاءت المبالغة فى المرضع دون الوالدة لان المرضع اشد اشفاقا و اكثر تطلعا على ولدها الرضيع من الوالدة على الولد الذى خرج عن الرضاعة وترعرع ﴿ ثم الادلال فى الابناء قد ينتقل مع الكبر الى احد الامرين اما الى البر والاعظام واما الى الجفاء والعقوق فان كان الولد رشيدا ﴾

يقال فلان على الرشد اى الاستقامة على طريق الحق مع تصلب فيه ﴿ اوكان الاب برا عطوفا صار الادلال برا واعظاما وقد روى الزهرى عن عامر ﴾ بن عبدالله ﴿ بن شراحيل ﴾ الشعبى ﴿ ان النبى صلى الله عليه و سلم قال لجرير بن عبدالله ﴾ البجلى رضى الله عنه وقال فيه النبى صلى الله عليه وسلم اذا اتاكم كريم قوم فاكرموه وقال عمر رضى الله عنه فى وصف حسنه وجماله جرير يوسف هذه الامة وكان وفاته بكوفة سنة احدى وخمسين وروى البخارى شطره الاخير عن عبدالله بن عمرو ﴿ ان حق الوالد على الولد ان يخشع ﴾ الولد ﴿ له عند الغضب ﴾ عند غضب الوالد ولا يقابله بغضب و رفع صوت ﴿ ويؤثره ﴾ اى ويقدمه ﴿ على نفسه عند النصب ﴾ اى عند عجز الولد عن مؤنة نفسه ووالده محتاج اليه ﴿ والسغب ﴾ اى عند جوعه ﴿ فان المكافئ ﴾ اى الذى يعطى لغيره نظير ما اعطاه ذلك الغير ﴿ ليس بالواصل ولكن الواصل ﴾ رحمه ﴿ من اذا قطعت ﴾ روى مبنيا للفاعل والمفعول ﴿ رحمه وصلها ﴾ اى الذى اذا منع اعطى والحاصل ثلاثة مواصل و مكافئ وقاطع فالمواصل من يتفضل ولا يتفضل عليه والمكافى الذى لا يزيد فى الاعطاء على ما يأخذ والقاطع الذى يتفضل عليه ولا يتفضل ﴿ وان كان الولد غاويا ﴾ من الغواية يقال غوى الرجل اذا ضل وقال تعالى والشعراء يتبعهم الغاوون اى الشياطين اومن ضل من الناس ﴿ اوكان الوالد جافيا ﴾ اى غليظ الطبع ﴿ صار الادلال قطيعة وعقوقا ولذلك ﴾ لتأثير طبع الوالد فى البر و العقوق ﴿ قال النبى صلى الله عليه و سلم ﴾ على ماروا ابو الشيخ عن على كرم الله وجهه ﴿ رحم الله امرأ ﴾ اى والدا كما فى رواية ﴿ اعان ولده على بره ﴾ بتوفية ماله عليه من الحقوق ورفقه وسب اعرابى ولده وذكر له حقه فقال يا ابتاه ان عظيم حقك علىّ لايبطل صغير حقى عليك و غضب معاوية على يزيد فهجره فقال الاحنف ياامير المؤمنين اولادنا ثمار قلوبنا وعماد ظهورنا و نحن لهم سماء ظليلة و ارض ذليلة وبهم نصول على كل جليلة فان غضبوا فارضهم وان سألوا فاعطهم وان لم يسألو فابتدئهم ولا تنظر اليهم شزرا فيملوا حياتك ويتمنوا وفاتك فقال معاوية يا غلام اذا رأيت يزيد فاقرأه السلام واحمل اليه مأتى الف درهم ومأتى ثوب فقال يزيد من عند اميرالمؤمنين فقيل له الاحنف فقال على به اذا خرج فقال يا ابا بحر كيف كان القصة فحكاها له فشكر صنيعه وشاطره الصلة و فى الجامع الصغير من طرق متعددة عنه صلى الله عليه وسلم حق الولد على الوالد) اى الاصل وان علا اى من حقه عليه (ان يعلمه الكتابة) لعموم نفعها (والسباحة والرماية وان لا يرزقه الا طيبا) بان يرشده الى ما يحمد من المكاسب ويحذره من غيره ويبغضه اليه اوالمراد لايطعمه الاحلالا وفى بعضها (ان يحسن اسمه) اى يسميه باسم حسن (وان يزوجه اذا ادرك ويعلمه الكتاب) اى القرأن وفى بعضها (وان يحسن ادبه) بان يعلمه الآداب الشرعية الواجبة والمندوبة ويحثه على مكارم الاخلاق وفى البريقة للخادمى ويقال للوالدين على الولد عشرة حقوق (١) اذا احتاجا الى الطعام اطعمهما (٢) اذا احتاجا الى الكسوة كساهما (٣) اذا احتاجا الى الخدمة خدمهما (٤) اذا دعياه اجابهما (٥) اذا امراه بامر اطاعهما مالم يأمرا بالمعصية و اما فى المشتبه فالاكثر على الاطاعة لان ترك الشبهة ورع ورضى الوالدين حتم (٦) التكلم بالاين بدون عنف

((٧) لا يدعو)

(٧) لايدعوباسمهما (٨) يمشى خلفهما (٩) ان يرضى لهما مايرضى لنفسه ويكره لهمامايكره لنفسه (١٠) ان يدعوالله بالمغفرة كما يدعو لنفسه انتهى و قيل ان ابن سيرين كان يكلم امه كما يكلم الامير الذى لاينتصف منه وقيل لعلى بن الحسين رضى الله عنهما انك من ابر الناس ولا تأكل مع امك فى صحفة فقال اخاف ان تسبق يدى يدها الى ماتسبق عيناها اليه فاكون قد عققتها وكان بعض السلف لايستل اولاده شيئا مخافة ان يثقل عليه فيكون سبب عقابه ﴿ و بشر عمر بن الخطاب رضى الله عنه بمولود فقال ريحانة اشمها ثم هو عن قريب ﴾ اما ﴿ ولد بار اوعدو ضار ﴾ قال شبيب بن شيبة ذهب اللذات الامن ثلاث شم الصبيان وملاقاة الاخوان والخلو مع النسوان ودخل عمرو بن العاص على معاوية وعنده ابنته عائشة فقال من هذه ياامير المؤمنين قال هذه تفاحة القلب فقال انبذهـا عنك فانهن يلدن الاعداء ويقربن البعداء ويورثن الضغائن قال لا تقل ذلك يا عمرو فوالله مامرض المرضى ولاندب الموتى ولا اعان على الاخوان الاهن فقال عمرو ياامير المؤمنين انك حببتهن الى وكانت اعرابية ترقص ولدها وتقول * ياحبذا ريح الولد . ريح الخزامى فى البلد . اهكذا كل ولد . ام لم يلد مثلى احد * وكان اعرابى يرقص ولده ويقول * احبه حب الشحيح ماله . قد ذاق طعم الفقر ثم ناله . اذا اراد بذله بداله ﴿ وقد قيل فى منثور الحكم العقوق ثكل من لم يثكل ﴾ اى فقدان ولد لمن لم يفقده يقال ثكل فلان الحبيب او الولد اذ فقده يعنى ان الرجل اذا عقه ولده ولم يبره فكانه قد فقده وقالوا ان العقوق احد الثكلين ولرب عقم اقر للعين قال عمر بن عبدالعزيز رضى الله عنه لابن مهران لاتأتين ابواب الملوك وان امرتهم بمعروف اونهيتهم عن منكر ولاتخلون بامرأة وان علمتها سورة من القرآن ولاتصحبن عاقا فانه لن ينفعك وقد عق والديه ومن حسن التعطف على الابن العاق قول ابراهيم الصابى وكان ابنه يعقه * ارضى عن ابنى اذا ماعقنى حذرا . عليه ان يغضب الرحمن من غضبى * ولست ادرى بم استحققت من ولدى . اسخان عينى وقد اقررت عين ابى * وقال رجل لولده وهو فى المكتب فى اى سورة انت قال لا اقسم بهذا البلد ووالدى بلا ولد فقـال لعمرى من كنت انت ولده فهو بلا ولد . وارسل رجل ولده يشترى له رشاء للبئر طوله عشرون ذراعا فوصـل نصف الطريق ثم رجع فقال ياابت عشرون فى عرض كم قال فى عرض مصيبتى فيك يابنى وكان لمحمد بن بشير الشاعر ابن جسيم فارسله فى حاجة فابطأ عليه ثم عاد ولم يقضها فنظر اليه ثم قال * عقله عقل طائر . وهو فى خلقة الجمل * فاجابه * مشبه بك ياابى . ليس لى عنك منتقل ﴿ وقال بعض الحكماء ابنك ريحانتك سبعا وخادمك سبعا ووزيرك سبعا ثم هو ﴾ اما ﴿ صديق ﴾ مساعد ﴿ اوعدو ﴾ معاند وقال احمد بن سهل الرجال ثلاثة سابق ولاحق وما حق فالسابق الذى سبق بفضله واللاحق الذى لحق بابيه فى شرفه والماحق الذى محـق شرف آبائه ﴿ واماالمناسبون فهم ما عدا الآباء والابناء ممن يرجع ﴾ احـدها بارث الآخر ﴿ بتعصيب ﴾ وهو كل ذكر لايدخل فى نسبة احدهما الى الآخر انثى من اجزاء الاب كالاخوة وابنائهم وان سفلوا واجزاء الجد كالاعمام وابنائهم وان علا الجد ونزل الابنـاء ﴿ اورحم ﴾ اى قرابة مطلقا وفى الشريعة هو كل قريب ليس بذى سهم ولاعصـبة ﴿ والذين ﴾ معطوف على قوله من

يرجع ﴿ يختصون ﴾ اى يمتازون عن الاجانب والاباعد ﴿ بالحمية الباعثة على النصرة ﴾ يعنى الذين يؤمل منهم الحمية وهى الاستنكاف عن الشى خوف لحوق العار به يقال حمى من الشئ اذا انف منه ﴿ وهى ﴾ اى الحمية اوالمناسبة بتلك الجهة ﴿ ادنى مراتب الانفة لان الانفة تمنع من التهضم ﴾ من الظلم والغصب ﴿ والخمول معا ﴾ هو نقيض الشهرة يقال خمل ذكره وصوته اذاخفى ﴿ والحمية تمنع من التهضم وليس لها فى كراهة الخمول نصيب ﴾ بل ربما يتنافس بمناسبه فيما به النباهة ﴿ الا ان يقترن بها ﴾ اى بتلك المناسبة ﴿ مايبعث على الالفة ﴾ من المصاهرة والمواخاة والبر ﴿ وحمية المناسبين انما يدعو الى النصرة على البعداء ﴾ جمع بعيد ﴿ والاجانب وهى ﴾ اى هذه الحمية ﴿ معرضة ﴾ اى معروضة يقال ارض معرضة بصيغة المفعول من الافعال اذا كانت يستعرضها الدواب والمواشى ويعترضها اى هى ارض فيها نبات يرعاه المال اذا مرفيها ﴿ لحسد الادانى والاقارب موكولة ﴾ ومحالة ﴿ الى منافسة الصاحب بالصاحب ﴾ لان القرابة كلما بعدت ازدادت الشركاء المتساوية فيها ولامرجح بينهم فيحدث المنافسة فى الشئ النفيس قبل حصوله والحسد بعد ثبوته لاحد الشركاء ﴿ فان حرست بالتواصل والتلاطف تأكدت اسبابها واقترن بحمية النسب مصافاة المودة ﴾ اى خالصها يقال صافاه اذا صدقه الاخاء ﴿ وذلك ﴾ النسب المقترن بالمودة ﴿ اوكد اسباب الالفة وقد قيل لبعض قريش ايما احب اليك اخوك ﴾ بدل من ايما ﴿ او صديقك قال اخى اذا كان صديقا وقال مسلمة بن عبدالملك ﴾ بن مروان الاموى كان من المجاهدين ورئيس عسكر المسلمين وله فتوحات فى ممالك ارضروم وطربزون سنة ست وثمانين وحاصر القسطنطينية فى تسع وتسعين وفتح جهة غلطة وبنى الجامع الشريف الشهير بعرب جامى وهو فاتح شروان وتوفى سنة اثنتين وعشرين ومأة رحمه الله تعالى ﴿ العيش ﴾ والسرور ﴿ فى ثلاث ﴾ اى مقصور عليها وماعدا ذلك ليس بعيش مرضى فالقصر اضافى اوليس بعيش قط فحقيقى ادعائى ﴿ سعة المنزل وكثرة الخدم وموافقة الاهل ﴾ والاقارب ﴿ وقال بعض الحكماء البعيد قريب بمودته والقريب بعيد بعداوته ﴾ وقالوا القريب من قرب نفعه وقال ابوتمام * ولقد سبرت الناس ثم خبرتهم . وبلوت ما وصفوا من الاسباب * فاذا القرابة لاتقرب قاطعا. واذا المودة اقرب الاسباب ﴿ وان اهملت ﴾ معطوف على قوله فان حرست ﴿ الحال بين المتناسبين ثقة بلحمة النسب ﴾ بضم فسكون اى بقرابته ﴿ واعتمادا على حمية القرابة غلب عليها مقت الحسد ومنازعة التنافس فصارت المناسبة عداوة والقرابة بعدا وقال ﴾ ابو يوسف يعقوب بن اسحاق بن الصباح ﴿ الكندى ﴾ المسمى فى وقته فيلسوف الاسلام من ولد الاشعث بن قيس رضى الله عنه كان ابوه ابن الصباح من ولاة الاعمال بالكوفة وغيرها فى ايام المهدى والرشيد وانتقل يعقوب الى بغداد واشتغل بعلم الادب ثم بعلوم الفلسفة جميعها فاتقنها وحل مشكلات كتب الاوائل وحذا حذو ارسطاطاليس وصنف الكتب الجليلة الجمة وكثرت فوائده وتلا مذته وكانت دولة المعتصم تجمل به وبمصنفاته وهى كثيرة جدا ومن اجودها كتاب اقسام العقل الانسى وكتاب الجوامع الفكرية وكتاب الفلسفة الاولى وله اخبار حسنة ونوادر فى البخل وغيره حكى انه كان حاضرا عند احمد بن المعتصم وقد دخل ابو تمام فانشده قصيدته السينية فلما بلغ الى قوله

الكندة بكسر فسكون قبيلة مشهورة من قبائل العرب منه

(اقدام)

اقدام عمرو فى سماحة حاتم . فى حلم احنف فى ذكاء اياس * قال الكندى ما صنعت شيئا قال كيف قال مازدت على ان شبهت ابن امير المؤمنين بصعا ليك العرب وان شعراء دهرنا تجاوزوا بالممدوح من كان قبله الاترى الى قول العكوك فى ابى دلف حيث قال * رجل ابر على شجاعة عامر . بأساوغبر فى محيا حاتم . فاطرق ابو تمام ثم انشد * لاتنكروا ضربى له من دونه . مثلا شرودا فى الندى والباس * فالله قد ضرب الاقل لنوره . مثلا من المشكاة والنبراس * ولم يكن هذا فى القصيدة فتعجب منه ثم طلب ان تكون الجائزة ولاية عمل فاستصغر عن ذلك فقال الكندى ولوه فانه قصير العمر لان ذهنه ينحت من قلبه فكان كما قال وقد يكون فى ذلك الوقت ظهرت له دلائل من شخصه على قرب اجله وسمع الكندى انسانا ينشد ويقول * وفى اربع منى حلت منك اربع . فما انا ادرى ايها هاج لى كربى * خيالك فى عينى ام الذكر فى فمى * ام النطق فى سمعى ام الحب فى قلبى * فقال والله لقد قسمها تقسيما فلسفيا ومن نوادره وكلامه فى البخل كان يقول من شرف البخل انك تقول للسائل لاورأسك الى فوق ومن ذل العطاء انك تقول نعم ورأسك الى اسفل وكان يقول سماع الغناء برسام حادلان الانسان يسمع فيطرب فينفق فيسرف فيفتقر فيغتم فيعتل فيموت ومن وصيته لولده يابنى كن مع الناس كلاعب الشطرنج تحفظ شيئك وتأخذ من شيئهم فان مالك اذا خرج عن يديك لم يعد اليك واعلم ان الدينار محموم فاذا صرفته مات واعلم انه ليس شئ اسرع فناء من الدينار اذا كسر والقرطاس اذا نشر ومثل الدرهم كمثل الطير الذى هو لك مادام فى يدك فاذا طار عنك صار لغيرك وقال المتلمس * قليل المال تصلحه فيبقى . ولا يبقى الكثير مع الفساد * لحفظ المال خير من فناه . وسير فى البلاد بغير زاد * واعرف هنا بيتا بيت اكثر من مأة الف مكتوبا فى المساجد وقال قائل * فسر فى بلاد الله والتمس الغنى . تعش ذا يسار او تموت فتعذرا * فاحذر يابنى ان تلحق بهم ومن شعره فى وصف قصيدة * تقصر عن مداها الريح جريا . وتعجز عن مواقعها السهام . تناهب حسنها حاد وشاد . فحث به المطايا والمدام * وله . انا فى الذنابى على الارؤس . فغمض جفونك او نكس * وعند مليكك فابغ العلو وبالوحدة اليوم فاستأنس * فان الغنى وفى غدا . وان التعزز بالانفس * وكائن ترى من اخى عسرة . غنى وذى ثروة مفلس * وكم كاتم شخصه ميت . على انه بعد لم يرمس * وسمع رجلا ينشد قول ربيعة الرقى * لوقيل للعباس يا ابن محمد . قل لاوانت مخلد ماقالها * فقال ليس يجب ان يقول الانسان فى كل شئ نعم وكان الوجه ان يستثنى ثم قال * هجرت فى القول لا الالمعارضة . تكون اولى بلا فى اللفظ من نعم ﴿ فى بعض رسائله ﴾ والمذكورة باساميها فى قاموس الاعلام اثنتان وسبعون ومأتان ﴿ الاب رب ﴾ وفى كشكول دب بالدال بدل الراء والسوق فى ذم الاقارب والرب بدون اضافة كما لايطلق على المخلوق ليس فى معانيه مايشعر بالذم فلعله اخذ الدب بمعنى السراية واراد ان الاب كالامراض السارية لايتخلص منها احد ﴿ والولد كمد ﴾ اى مرض قلب ﴿ والاخ فخ ﴾ وهو الشرك الذى يصاد به الطيور ونحوه ﴿ والعم غم والخال وبال ﴾ ثقلة وشدة ﴿ والاقارب عقارب ﴾ وانما المرء بصديقه واخذه بعض الشعراء فقال * اقارب كالعقارب فى اذاها . فلا تفرح بعم او بخال * فكم عم

يكون الغم منه . وكم خال عن الاحسان خال ﴿ وقال عبدالله بن المعتز ﴾ من الطويل ﴿ لحومهم لحمى وهم يأكلونه . وماداهيات المرء ﴾ اى حادثاته العظيمة ونوائبه الجسيمة ﴿ الا اقاربه ﴾ وقال الاشهب بن زميله * قال الاقارب لا تغررك كثرتنا . واغن نفسك عنا ايها الرجل ﴿ ومن اجل ذلك ﴾ اى لاجل ان حمية المناسبين تتأكد بالتواصل وتنقطع بالاهمال ﴿ امر الله تعالى بصلة الارحام واثنى على واصلها فقال تعالى ﴾ فى الرعد (افمن يعلم انما انزل اليك من ربك الحق كمن هو اعمى انما يتذكر اولوا الالباب) اى الذين عملوا على قضيات عقولهم فنظروا واستبصروا (الذين يوفون بعهد الله) مبتدأ واولئك لهم عقبى الدار خبره ويجوز ان يكون صفة لاولى الالباب والاول اوجه وعهد الله ماعقدوه على انفسهم من الشهادة بربوبيته واشهدهم على انفسهم الست بربكم قالوا بلى (ولاينقضون الميثاق) ولاينقضون ما وثقوه على انفسهم وقبلوه من الايمان لله وغيره من المواثيق بينهم وبين الله وبين العباد تعميم بعد تخصيص ﴿ والذين يصلون ما امر الله به ان يوصل ﴾ من الارحام والقرابات ويدخل فيه وصل قرابة المؤمنين الثابتة بسبب الايمان انما المؤمنون اخوة بالاحسان اليهم على حسب الطاقة ونصرتهم والذب عنهم والشفقة عليهم والنصيحة لهم وطرح التفرقة بين انفسهم وبينهم وافشاء السلام عليهم وعيادة مرضاهم وشهود جنائزهم ومنه مراعاة حق الاصحاب والخدم والجيران والرفقاء فى السفر وكل ماتعلق منهم بسبب حتى الهرة والدجاجة وعن الفضيل بن عياض ان جماعة دخلوا عليه بمكة فقال من اين انتم قالوا من اهل خراسان قال اتقوا الله وكونوا من حيث شئتم واعلموا ان العبد لو احسن الاحسان كله وكانت له دجاجة فاساء اليها لم يكن من المحسنين ﴿ ويخشون ربهم ﴾ اى يخشون وعيده كله ﴿ ويخافون ﴾ خصوصا ﴿ سوء الحساب ﴾ فيحاسبون انفسهم قبل ان يحاسبوا (والذين صبروا ابتغاء وجه ربهم واقاموا الصلوة وانفقوا مما رزقناهم سرا وعلانية ويدرؤن بالحسنة السيئة) ويدفعونها عن ابن عباس يدفعون بالحسن من الكلام ما يرد عليهم من سئ غيرهم وعن الحسن اذا حرموا اعطوا واذا ظلموا عفوا واذا قطعوا وصلوا وعن ابن كيسان اذا اذنبوا تابوا وقيل اذا رأوا منكرا امروا بتغييره (اولئك لهم عقبى الدار) عاقبة الدنيا وهى الجنة كذا فى الكشاف ﴿ قال المفسرون هى ﴾ اى ما امر الله بوصله والتأنيث باعتبار الخبر وهو قوله ﴿ الرحم التى امر الله بوصلها ويخشون ربهم فى قطعها ويخافون سوء الحساب فى المعاقبة عليها ﴾ فلا يقطعون ارحامهم ﴿ وروى عبد الرحمن بن عوف ﴾ كما روى البخارى والترمذى عنه والحاكم عنه وعن ابى هريرة ﴿ ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال يقول الله عز وجل انا الرحمن وهى الرحم اشتققت ﴾ وفى القسطلانى خلقت الرحم بيدى وشققت ﴿ لها من اسمى اسما ﴾ والمعنى انها اثر من آثار الرحمة مشتبكة بها فالقاطع لها منقطع من رحمة الله وليس المعنى انها من ذات الله تعالى الله عن ذلك علوا كبيرا ﴿ فمن وصلها وصلته ﴾ قال ابن ابى جمرة الوصل من الله تعالى كناية عن عظيم احسانه (٢) وانما خاطب الناس بما يفهمونه ولما كان اعظم مايعطيه المحبوب لمحبه الوصال وهو القرب منه واسعافه بما يريد وكانت حقيقة ذلك مستحيلة فى حقه تعالى عرف ان ذلك كناية عن عظيم احسانه بعبده قال وكذا

(٢) صلة الرحم واجبة ولو بسلام وتحية وهدية ومعاونة ومجالسة ومكالمة واحسان كاف در المختار منه

القول فى قوله ﴿ ومن قطعها قطعته ﴾ وهو كناية عن حرمانه الاحسان ﴿ وروى عنه صلى الله عليه وسلم ﴾ كما روى الترمذى عن ابى هريرة ﴿ انه قال ﴾ تعلموا من احسابكم ماتصلون به ارحامكم) اى ماتعرفون به اقاربكم لتصلوها (فان ﴿ صلة الرحم منماة للعدد ﴾ على وزن مرماة اى بها تكثر عدد المستغيثين عند الاستغاثة ﴿ مثراة للمال ﴾ اى سبب لكثرته لوقايتهم عن الغصب والسرقة ونحوهما ﴿ محبة فى الاهل ﴾ اى يتسبب عنها محبة الاصل ﴿ منسأة فى الاجل ﴾ مفعلة من النسء فى العمر اى مظنة لتأخيره اى يؤخر الاجل المعلق اوالمراد البركة فيه قال المناوى واما خبر علم النسب علم لاينفع وجهالته لاتضر فاراد به التوغل فيه ويروى فى الاثر بدل الاجل بمعنى ان الله يبقى اثر الواصل فى الدنيا طويلا فلا يضمحل سريعا كما يضمحل اثر القاطع وقال القسطلانى والزيادة فى العمر بالبركة فيه بسبب التوفيق فى الطاعات وعمارة اوقاته بما ينفعه فى الآخرة وصيانتها عن الضياع اوالمراد بقاء ذكره الجميل بعده كالعلم النافع ينتفع به والصدقة الجارية والولد الصالح فكأنه بسبب ذلك لم يمت ومنه قول الخليل عليه السلام واجعل لى لسان صدق فى الآخرين ﴿ وقال بعض الحكماء بلوا ﴾ امر من بل وبابه مد ﴿ ارحامكم بالحقوق ﴾ اى باعطاء ما يستحقها من الصلة ﴿ ولا تجفوها بالعقوق ﴾ اى لاتيبسوها به وفيه تشبيه الرحم بروضة فبلوا تخييل والحقوق ترشيح ﴿ وقال بعض البلغاء صلوا ارحامكم فانها ﴾ اى القصة ﴿ لاتبلى عليها اصولكم ﴾ يقال بلى الثوب اذا خلق يعنى لايخلق مع الصلة سربال شبابهم ولايتغير نضارة آمالهم فلا يتثاقلوا عن معالى الامور وجلائلها فتدوم عمارة معائشهم وتنتقل الى فروعهم معمورة وقال بعض الشعراء * والمرء يبليه بلاء السربال . كر الليالى واختلاف الاحوال ﴿ ولاتهضم عليها ﴾ اى لاجل ترك الصلة ﴿ فروعكم ﴾ وهذا من عطف السبب على المسبب يعنى لايظلمون لتناصرهم بالالفة والنسب ومحافظتهم معائشهم واما على تقدير العقوق فاما ان يتبع الاصول موادالمعيشة اولا يهتموا بامرها فتصير خرابا تحتاج الى سعى مديد وكسب جديد وهذا جزاء العقوق عاجلا فكأن المعنى مأخوذ من قوله تعالى وما ظلمناهم ولكن كانوا انفسهم يظلمون ﴿ وقال بعض الادباء من لم يصلح لاهله ﴾ بعقوقه لهم ﴿ لم يصلح لك ﴾ اى لمواخاتك وموافاة حقوقك ﴿ ومن لم يذب عنهم ﴾ جفاءه ﴿ لم يذب عنك ﴾ اسواءك ﴿ وقال بعض الفصحاء من وصل رحمه وصله الله ورحمه ﴾ عطف تفسير لوصله ﴿ ومن اجار جاره ﴾ اى حفظه وحماه ﴿ اعانه الله واجاره ﴾ اعاذه الله وحماه ﴿ وقال محمد بن عبدالله الازدى ﴾ من الطويل ﴿ وحسبك من ذل وسوء صنيعة . مناواة ذى القربى وان قيل قاطع ﴾ من زائدة وذلا تمييز من النسبة وان مصدرية يعنى يكفيك ذلا وسوء صنيع مباعدة الاقارب وقول الناس هو قاطع عاق فوا هالك ﴿ و ﴾ اما انا فلا ارضى بمناواتهم وان اساؤا الى فلا اكافئهم باساءة ﴿ لكن اواسيه وانسى ذنوبه ﴾ يعنى لكننى او ابى ذا قرابتى بمالى الذى هو فى مقدار كفافى واكره نفسى على نسيان ذنوبه الكثيرة وفيه تمدح بالايثار والصفح ﴿ لترجعه يوما الى الرواجع ﴾ من حوادث الدهر ونوائبه والزمان لايدوم على حال فلهذا اصل ذوى قرابتى واجعلهم عدة ليوم كريهتى . بيان لنفع الصلة عاجلا ﴿ ولا يستوى

فى الحكم عبدان واصل . وعبد لارحام القرابة قاطع ﴾ وهـذا نفعها آجلا لان الاول من السعداء والثانى من الاشقياء وقال على كرم الله وجهه اكرم عشيرتك فانهم جناحك الذى به تطير وانك بهم تصول وبهم تطول وهم العدة عند الشدة اكرم كريمهم وعد سقيمهم واشركهم فى امورك ويسر عن معسرهم وكان يقال اذا كان لك قريب فلم تمش اليه برجلك ولم تعطه من مالك فقد قطعته وقال بعضهم* واذا رزقت من النوافل ثروة . فامنح عشيرتك الادانى فضلها * واعلم بانك لاتسود فيهم . حتى ترى دمث الخلائق سهلها ﴿ واما المصاهرة ﴾ يقال صاهر القوم وصاهر فيهم واصهر بهم واصهر اليهم اذا صار فيهم صهرا وفيه مقالات عديدة والمناسب لسياق الكتاب ما قاله الاصمعى من ان الاحماء القرباء من قبل الزوج والاختان من قبل المرأة والاصهار عبارة عن مجموعهما ﴿ وهى الثالث من اسباب الالفة فلانها استحداث مواصلة وتمازج مناسبة صدرا ﴾ اى الاستحداث والتمازج ﴿ عن رغبة واختيار انعقدا على خير وايثار فاجتمع فيها ﴾ اى فى المصاهرة ﴿ اسباب الالفة ومواد المظاهرة قال الله تعالى ﴾ فى الروم ﴿ ومن آياته ان خلق لكم من انفسكم ازواجا ﴾ لان حواء خلقت من ضلع آدم عليه السلام والنساء بعدها خلقن من اصلاب الرجال او من شكل انفسكم وجنسها لامن جنس آخر وذلك لما بين الاثنين من جنس واحد من الالف والسكون وما بين الجنسين المختلفين من التنافر ﴿ لتسكنوا اليها ﴾ اى لتألفوها وتميلوا اليها وتطمئنوا بها فان المجانسة من دواعى التضام والتعارف كما ان المخالفة من اسباب التفرق والتنافر ﴿ وجعل بينكم ﴾ اى بين الازواج اما على تغليب الرجال على النساء فى الخطاب او على حذف ظرف معطوف على الظرف المذكور اى جعل بينكم وبينهن ﴿ مودة ورحمة يعنى بالمودة المحبة وبالرحمة الحنو والشفقة وهما من اوكد اسباب الالفة وفيها تأويل آخر قاله الحسن البصرى رحمه الله ان المودة النكاح ﴾ يعنى الجماع ﴿ والرحمة الولد وقال تعالى ﴾ فى النحل ﴿ والله جعل لكم من انفسكم ﴾ اى من جنسكم ﴿ ازواجا ﴾ لتأنسوا بها وتقيموا بذلك جميع مصالحكم ﴿ وجعل لكم من ازواجكم ﴾ وضع الظاهر موضع المضمر للايذان بان المراد جعل لكل منكم من زوجه لامن زوج غيره ﴿ بنين ﴾ وبان نتيجة الازواج هو التوالد ﴿ وحفدة ﴾ جمع حافد وهو الذى يسرع فى الخدمة والطاعة ﴿ اختلف المفسرون فى الحفدة فقال عبدالله بن مسعود هم اختان الرجل على بناته وقال عبدالله بن عباس رضى الله عنهما هم ولد الرجل وولد ولده وروى عنه انهم بنوا امرأة الرجل من غيره وسموا ﴾ اى الربائب ﴿ حفدة لحفدهم فى الخدمة وسرعتهم فى العمل ومنه قولهم فى القنوت واليك نسعى ونحفد اى نسرع الى العمل بطاعتك ولم تزل العرب تجتذب البعداء ﴾ الى حجرهم ﴿ وتتألف الاعداء بالمصاهرة حتى يرجع المنافر مؤانسا ويصير العدو مواليا وقد يصير الصهر ﴾ اى المصاهرة ﴿ بين الاثنين الفة بين القبيلتين وموالاة بين العشيرتين حكى عن خالد بن يزيد بن معاوية ﴾ وكان خطيبا شاعرا وفصيحا جامعا وجيد الرأى كثير الادب وكان اول من ترجم كتب النجوم والطب والكيمياء توفى سنة خمس وثمانين ﴿ انه قال كان ابغض خلق الله عزوجل الى آل الزبير ﴾ بن العوام القرشى احد

العشرة المبشرة وخالد كان من الاتقياء فبغضه لهم اثر منافسة لما ان عبدالله بن الزبير ادعى الخلافة وبويع له بعد موت يزيد بن معاوية سنة اربع وستين واجتمع على طاعته اهل الحجاز واليمن والعراق وخراسان ماعدا الشام وجدد عمارة الكعبة وجعل لها بابين وحج بالناس ثمان حجج وبقى فى الخلافة الى ان حاصره الحجاج بمكة اول ليلة من ذى الحجة سنة ثلثين وسبعين ولم يزل يحاصره الى ان اصابته رمية الحجر فمات وصلب جثته وحمل رأسه الى خراسان ﴿ حتى تزوجت منهم رملة ﴾ بنت الزبير ﴿ فصاروا احب خلق الله عزوجل الى وفيها ﴾ اى فى رملة كان ﴿ يقول ﴾ من الطويل * تجول خلاخيل النساء ولا ارى . لرملة خلخالا يجول ولاقلبا ﴿ احب بنى العوام طرا لاجلها ﴾ اى لاجل حبها ﴿ ومن اجلها احببت اخوالها كلبا ﴾ اسم قبيلة ثم التفت اليها وقال ﴿ فان تسلمى نسلم ﴾ اى ان اسلمت فانا مسلمون فرحبا بالوفاق ﴿ وان تتنصرى ﴾ اى ان ادعيت النصرانية ﴿ يحط رجال بين اعينهم صلبا ﴾ جمع صليب والخطاب الى غير معين فالتفاته الى رملة ليست لخصوصية ذاتها بل باعتبار جنس النساء بقرينة رجال ونكتة الالتفات الى الغيبة فى قوله يحط رجال والتوجيه الى غير معين تنزيه نفسه واياها عن التنصر والتصريح بالبراءة عنه وان كان مستتبعات التراكيب غير ملتفت اليها فالمعنى وان تنصرتن ايتها النساء يتبعكن رجال كثيرة يعلنون النصرانية بخط الصليب بين اعينهم فاتقين الله ولا يتسببن لتنصرهم واراد بالخط مايفعله النصارى من تحريك ايديهم من الثدى الايمن الى الايسر ومنها الى السرة والجبهة وذلك من علامات النصرانية ولم يرد بها خصوصية العيسوية بل الارتداد مطلقا كما قال المصنف ﴿ ولذلك قيل المرأ على دين زوجته لما يستنزله الميل اليها من المتابعة ويجتذبه الحب لها من الموافقة فلايجد الى المخالفة سبيلا ولا الى المباينة والمشاقة طريقا ﴾ وللمحبة مراتب تذكر فى محلها ان شاءالله تعالى وهذه المرتبة هى التى بينها ابن الفارض بقوله * فلم تهونى مالم تكن فى فانيا . ولم تفن مالم تجتلى فيك صورتى واهل هذه المرتبة يقول * ولو خطرت لى فى سواك ارادة . على خاطرى سهوا قضيت بردتى وذلك لجلالة العشق وعظمته عند اهله يرون تصور السلو معصية بل تصور خطور غير المحبوب فى الذهن كذلك ولذلك قيل المحبة النافعة ان يقع الانسان على عشق كامل يحمله عشقه على طلب الكمال والبلية كل البلية ان يبتلى بمحبة فارغ بطال صفر من كل خير فيحمله حبه على التشبه به لان الانقياد للمحبوب فى جميع مايختاره من خير وشر حكم الباب فان كان المحبوب مشغوفا بالعلم اجتهد المحب فى طلبه اشد من اجتهاده وان كان مشغوفا بالنوادر والحكايات الحسان والاخبار المليحة المستحسنة بالغ المحب فى طلبها وحفظها وفى اخبار العشاق ان عاشقا عشق السراويلات من اجل سراويل معشوقته فوجد فى تركته اثنى عشر حملا من السراويلات والجنون فنون ﴿ واذا كانت المصاهرة بالنكاح بهذه المنزلة من الالفة فقد ينبغى لعقدها احد خمسة اوجه وهى المال والجمال والدين والالفة والتعفف وقد روى سعيد ابن ابى سعيد ﴾ كيسان عن ابيه كما فى البخارى ﴿ عن ابى هريرة رضى الله عنه عن النبى صلى الله عليه وسلم انه قال تنكح المرأة لاربع ﴾ من الخصال ﴿ لمالها ﴾ بدل من السابق باعادة العامل لانها اذا كانت ذات مال قدلا تكلفه فى الانفاق وغيره فوق طاقته ﴿ ولجمالها ﴾ والجمال مطلوب فى كل شئ لاسيما

القلب بضم فسكون السوار الواحد
منه
خط الصليب استاورز چيقارمق تعبير اولنور
منه
وقال الحافظ
كرمريد راه عشق فكر بدنامى مكن . شيخ صنعان خرقه رهن خانۀ خمار داشت . وقت آن شيرين قلندر خوش كه در اطوار سير . ذكر وتسبيح ملك در حلقۀ زنار داشت . وكان الشيخ مدرك من اكابر علماء المغرب فهام معزهده وورعه بغلام نصرانى اسمه عمرو بن يوحنا فنظم قصيدة تشتمل على جميع عبادات النصارى ومواقيتهم واسماء المعظمين فى دينهم وهى طويلة جدا مذكورة فى ثمرات الاوراق مع غيرها منه

فى المرأة التى تكون قرينة وضجيعة وعند الحاكم حديث خير النساء من تسر اذا نظرت وتطيع اذا امرت ﴿و﴾ تنكح المرأة ايضا ﴿لحسبها﴾ اى لشرفها والحسب فى الاصل الشرف بالآباء وبالاقارب وقد قال اكثم بن صيفى يا بنى تميم لايغلبنكم جمال النساء على صراحة النسب فان المناكح الكريمة مدرجة للشرف وقال بكير الاسدى * واول خبث المرء خبث ترابه . واول لؤم المرء لؤم المناكح * وقال آخر * اذا كنت تبغى ايما بجهالة . من الناس فانظر من ابوها وخالها * فانهما منها كما هى منهما . كقدك نعلا ان اريد مثالها * ولا تطلب البيت الدنى فعاله . ولا تدع ذا عقل لو رهاء مالها * فان الذى ترجو من المال عندها . سيأتى عليه شومها وخبالها ﴿و﴾ تنكح ﴿لدينها فاظفر بذات الدين﴾ اى اخترها وقربها ولمسلم من حديث جابر (فعليك بذات الدين) والمعنى كما قال القاضى ناصر الدين البيضاوى ان اللائق بذوى المروآت وارباب الديانات ان يكون الدين مطمح نظرهم فى كل شئ لاسيما فيما يدوم امره ويعظم خطره فلذا اختاره صلى الله عليه وسلم بآكد وجه وابلغه فامر بالظفر الذى هو غاية البغية ومنتهى الاختيار والطلب الدال على تضمن المطلوب لنعمة عظيمة وفائدة جليلة وقال فى شرح المشكاة قوله فاظفر جزاء شرط محذوف اى اذا تحققت ما فصلت لك تفصيلا بينا فاظفر ايها المسترشد بذات الدين فانها تكسبك منافع الدارين وقال واللامات المكررة موذنة بان كلا منهن مستقلة فى ايجاب الغرض وروى ابن ماجة من حديث ابن عمر مرفوعا لا تزوجوا النساء لحسنهن فعسى حسنهن ان يرديهن اى يهلكهن ولا تزوجوهن لاموالهن فعسى اموالهن ان تطغيهن ولكن تزوجوهن على الدين ولامة سوداء ذات دين افضل ﴿تربت يداك﴾ اى افتقرتا ان خالفت ما امرتك به يقال ترب الرجل اذا افتقر وهو كلمة جارية على السنتهم لا يريدون بها حقيقتها وقيل فيه تقدير الشرط كما مر ورجحه ابن العربى لتعدية ذوات الدين الى ذوات الجمال والمال ورجح عدم ارادة الدعاء عليه وذلك لانهم كانوا اذا رأوا مقداما فى الحرب ابلى فيه بلاء حسنا يقولون قاتله الله ما اشجعه وانما يريدون به ما زيد قوته وشجاعته وكذلك ما نحن فيه فان الرجل انما يوثر تلك الثلاثة على ذات الدين لاعدامها مالا وجمالا وحسبا وينبغى ان يحمل الدعاء على ما يجبر عليه من الفقر اى عليك بذات الدين يغنك الله فيوافق معنى الحديث النص التنزيلى وانكحوا الايامى منكم والصالحين من عبادكم والصالح هو صاحب الدين وفى الحديث الحث على مصاحبة اهل الصلاح فى كل شئ لان من صاحبهم استفاد من اخلاقهم وبركتهم وحسن طرائقهم ويأمن المفسدة من جهتهم وحكى محى السنة ان رجلا قال للحسن ان لى بنتا احبها وقد خطبها غير واحد فمن ترى ان ازوجها قال زوجها رجلا يتقى الله فانه ان احبها اكرمها وان ابغضها لم يظلمها وقال الغزالى فى الاحياء وليس امره صلى الله عليه وسلم بمراعاة الدين نهيا عن مراعاة الجمال ولا امرا بالاضراب عنه وانما هو نهى عن مراعاته مجردا عن الدين فان الجمال فى الغالب يرغب الجاهل فى النكاح دون التفات الى الدين ولا نظر اليه فوقع النهى عن هذا قال وأمر النبى صلى الله عليه وسلم لمن يريد التزوج بالنظر الى المخطوبة يدل على مراعاة الجمال اذ النظر لا يفيد معرفة الدين وانما يعرف به الجمال او القبح انتهى افاده القسطلانى ﴿فان كان عقد النكاح لاجل المال وكان﴾ المال ﴿اقوى الدواعى اليه فالمال اذا هو المنكوح فان اقترن بذلك﴾ العقد ﴿احد الاسباب الباعثة على الائتلاف﴾

كما فى المتون وفيه وهم لما فيه من تخليط بعض الطريق ببعض ويأتى تأويل المصنف منه

من قرابة النسب والمودة والبر والصلة ﴿ جاز ان يلبث العقد ﴾ اى يمكث ﴿ وتدوم الالفة فان تجرد ﴾ ذلك العقد ﴿ عن غيره من الاسباب وعرى عما سواه من المواد فاخلق بالعقد ان يحل ﴾ اى انحلاله وهو مفعول الفعل التعجب وبالعقد ظرف له ﴿ وبالالفة ان تزول ﴾ اى ما اخلق انحلال ذلك العقد وزوال تلك الالفة ﴿ لاسيما اذا غلب الطمع ﴾ اى طمع الزوج على الاستفادة من مالها ﴿ وقل الوفاء ﴾ اى وفاء الزوجة بايثار حب مالها عليه وجعله كالخادم لمالها ثم علل التعجب بقوله ﴿ لان المال ان وصل ﴾ بعد العقد ﴿ اليه فقد ينقضى سبب الالفة به ﴾ اى بالوصول ﴿ فقد قيل من ودك لشئ تولى ﴾ عنك واعرض ﴿ مع انقضائه ﴾ فالخسارة كل الخسارة للزوجة حيث ذهبت يسارها ولا يحبها زوجها ﴿ وان اعوز الوصول اليه ﴾ اى ان اشكل واشتد وصول الزوج الى مال الزوجة ﴿ وتعذرت القدرة عليه ﴾ والتصرف به ﴿ اعقب ذلك ﴾ العقد ﴿ استهانة الآيس ﴾ اى استحقاره المصدر بمعنى المفعول مضاف الى نائبه يعنى يكون نتيجة العقد كون الزوج مستحقرا استحقار الآيس ﴿ بعد شدة الامل ﴾ حتى كان سببا مستقلا للعقد ﴿ فحدثت منه ﴾ اى من ذلك الاشتداد والفاء جزائية ﴿ عداوة الخائب بعد استحكام الطمع فصارت الوصلة فرقة والالفة عداوة وقد قيل من ودك طمعا فيك ابغضك اذا ايس منك ﴾ ومن كلام حكماء الهند كل مودة عقدها الطمع حلها الياس وقالوا ايضا اذا احتاج اليك عدوك احب بقائك و اذا استغنى عنك وليك هان عليه موتك ﴿ وقال عبد الحميد من عظمك لاكثارك استقلك عند اقلالك ﴾ يعنى يحقرك عند فقرك ﴿ وان كان العقد رغبة فى الجمال فذلك ادوم للالفة من المال لان الجمال صفة لازمة ﴾ لاتفارق ﴿ والمال صفة ﴾ عارضة ﴿ زائلة ﴾ يسرقه اللصوص ويغصبه الغاصبون ويحترق ويغرق ﴿ ولذلك قيل حسن الصورة اول السعادة ﴾ اذبها يوصل الى المآرب والعرب تزعم فى شعرها ان افراط الحسن يحيى الموتى قال الاعشى * لوا سندت ميت الى نحرها . قام ولم يحمل الى قابر * حتى يقول الناس مما رأوا . ياعجبا للميت الناشر * وقال توبة بن الحمير * ولو أن ليلى الاخيلية سلمت . علىّ وفوقى تربة وصفائح * لسلمت تسليم البشاشة اوزقاء اليها صدى من جانب القبر صائح * وقصتها معه مشهورة بين اهل الادب وهى انها لما مرت مع زوجها بقبر توبة قال لها هذا قبر الكذاب الذى يقول ولو ان ليلى آه فقالت دعه فقال اقسمت عليك الاماد نوت وسلمت عليه فابت فكرر عليها ذلك فلما تقدمت الى القبر وقالت السلام عليك يا توبة طار من جانب القبر طائر كان هناك فنفر منه جمل ليلى فوقعت من اعلاه فاندق عنقها وماتت من وقتها ودفنت الى جانب توبة وقال يحيى بن على المنجم كنت يوما بين يدى المعتضد وهو مقطب فاقبل بدر مولاه فلما رآه من بعيد ضحك وقال يايحيى من الذى يقول فى وجهه شافع فقلت يقوله حكم بن قنبر المازنى البصرى فقال لله دره فانشد هذا الشعر فانشدته * ويلى على من اطار النوم فامتنعا . وزاد قلبى على اوجاعه وجعا * كأنما الشمس من اعطافه لمعت . حسنا او البدر من ازراره طلعا * مستقبل بالذى يهوى وان كثرت . منه الذنوب و معذور بما صنعا * فى وجهه شافع يمحوا سائته . من القلوب وجيه حيثما شفعا * وقال صلى الله عليه وسلم من آتاه الله وجها حسنا واسما حسنا وجعله فى موضع

غير شائن فهو من صفوة الله من خلقه وقال ابن عمر رضى الله عنهما ثلاثة تجلو البصر النظر الى الخضرة والنظر الى الماء الجارى والنظر الى الوجه الحسن نظمها الشاعر فقال * ثلاثة يذهبن للمرء الحزن . الماء والخضرة والوجه الحسن ﴿ وقد روى عن النبى صلى الله عليه وسلم انه قال اعظم النساء بركة احسنهن وجها و اقلهن مهرا ﴾ وقال عروة و اول شوم المرأة كثرة صداقها جاء فى سنن الترمذى ان عمر بن الخطاب رضى الله عنه قال لا تغالوا صدقات النساء فانها لو كانت مكرمة او تقوى عندالله لكان اولاهم بها نبى الله صلى الله عليه وسلم وما اعلم ان رسول الله صلى الله عليه وسلم انكح شيئا من نسائه على اكثر من اثنى عشرة اوقية قال ابن عيينة والاوقية عند اهل العلم اربعون درهما واثناعشرة اوقية اربعمأة وثمانون درهما ﴿ فان سلمت الحال من الادلال ﴾ الكثير كما هو دأبهن لان الادلال بحسب الرغبة ولذا قال ﴿ المفضى الى الملال ﴾ والا الادلال القليل مرغوب عقلا و عادة و شرعا ﴿ استدامت الالفة واستحكمت الوصلة و قد كانوا ﴾ اى العقلاء ﴿ يكرهون الجمال البارع ﴾ اى الفائق امثاله اى خطبة صاحبة الجمال ﴿ اما لما يحدث عنه من شدة الادلال وقد قيل من بسطه الادلال قبضه الاذلال ﴾ كأن الحافظ يعارضه بقوله * بجان مى كش چو حافظ نازش اى دل . كه ناز نازنينان نازنينست * والمتوكل بقوله * امازحها فتغضب ثم ترضى . فكل فعالها حسن جميل * فان غضبت فاحسن ذى دلال . وان رضيت فليس لها عديل ﴿ واما لما يخاف من محنة الرغبة وبلوى المنازعة ﴾ اى محنتها ﴿ وقد حكى ان رجلا شاور حكيما فى التزوج فقال له افعل و اياك والجمال البارع فانه مرعى انيق ﴾ اى حسن معجب ﴿ فقال الرجل وكيف ذلك ﴾ التحذير ﴿ قال كما قال ﴾ الحكماء ﴿ الاول ﴾ جمع اولى من البسيط ﴿ ولن تصادف مرعى ممرعا ابدا ﴾ يقال مكان ممرع ومرع اى مكلئ وامرع اذا اكلأ وفى المثل امرعت فانزل اى بغيتك عندنا فلا تجز ﴿ الا وجدت به ﴾ اى اصبت فى ذلك المرعى ﴿ آثار منتجع ﴾ والانتجاع طلب الكلأ ويقال انتجعت فلانا اى طلبت معروفه والحكيم قصد هذا المعنى وان كان السوق ظاهرا فى المعنى الاول و لبعضهم * سأترك حبكم من غير بغض . و ذاك لكثرة الشركاء فيه * اذا وقع الذباب على طعام . رفعت يدى ونفسى تشتهيه * ويجتنب الاسود ورود ماء . اذا كان الكلاب يلغن فيه ﴿ واما لما يخافه اللبيب من شدة الصبوة ﴾ يعنى العشق اسند الخوف الى اللبيب لان عشق مثلها بغية كل ذى هواء فلا يخافه بل يتمنى واما اللبيب فلا يرضى بكونه اسيرا قصة عقل و دين و عبد شهوة يتعبدها ويخاف ذلك لا سيما اذا كانت نافرة عنه وكارهة اياه ﴿ و يتوقاه الحازم من سوء عواقب الفتنة ﴾ وهى رغبة الرجال فيها وهذه هى الطامة الكبرى ﴿ وقد قال بعض الحكماء اياك و مخالطة النساء فان لحظ المرأة سهم ﴾ قال التهامى * ابرزن من تلك العيون اسنة . و هززن من تلك القدود رماحا ﴿ و لفظها سم ﴾ يميت العقل و يخرب الدين و قال الله تعالى ان كيدكن عظيم لان النساء الطف كيدا و انفذ حيلة ولهن فى ذلك نيقة ورفق و بذلك يغلبن الرجال ﴿ ورأى بعض الحكماء صيادا يكلم امرأة فقال يا صياد احذر ان تصاد ﴾ لان النساء حبائل الشيطان و مصائده ﴿ وقال سليمان بن داود عليهما السلام لابنه امش وراء الاسد ولا تمش وراء المرأة ﴾ قيل لسقراط اى السباع

احسن قال المرأة ﴿ وسمع عمر بن الخطاب رضى الله عنه امرأة تقول هذا البيت ﴾ من البسيط ﴿ ان النساء رياحين خلقن لكم، وكلكم تشتهى شم الرياحين * فقال ﴾ عمر مجيبا ﴿ ان النساء شياطين خلقن لنا، نعوذ بالله من شر الشياطين ﴾ الظاهر ان تلك المرأة ارادت التعريض بشمها فلذا استعاذ اى نعوذ بالله من شرك الذى هو شمك حراما و قد روى اصحاب الست عن اسامة بن زيد مرفوعا (ماتركت بعدى فتنة اضر على الرجال من النساء) ولذا لما خلق الله تعالى المرأة قال ابليس انت نصف جندى بك اصول وبك اوسوس وبك ارمى السهام وقال بعض الحكماء النساء شر كلهن و اشرما فيهن عدم الاستغناء عنهن ومع انها ناقصات عقل ودين تحملن الرجال على تعاطى ما فيه نقص عقل ودين و لبعضهم * وما حز اعناق الرجال سوى النساء واى بلاء جاء لسن له اهلا * فكم نار شرا حرقت كبد الورى . ولم يك الامكرهن لها اصلا ﴿ وان كان العقد رغبة فى الدين فهو اوثق العقود حالا وادومها الفة واحمدها بدأ وعاقبة لان طالب الدين متبع له ومن اتبع الدين انقاد له فاستقامت له حاله وامن زلله ﴾ و تذكير الضمير باعتبار لفظ من و تغليب الطالب على الطالبة فالمعنى يستقيم لكل منهما حال الآخر ويأمن كل زلل الغير ﴿ ولذلك ﴾ الوثوق والدوام ﴿ قال النبى صلى الله عليه وسلم فاظفر بذات الدين تربت يداك ﴾ كما رواه اصحاب السنن عن ابى هريرة والنساء كذلك فى محله فلا معنى لما فى بعض نسخ المتن (لعل هذه رواية اخرى فان التى تقدمت فعليك بذات الدين) لما سبق ان هذه رواية اخرى والمتفق عليها فاظفر ﴿ وفيه تأويلان احدهما تربت يداك ﴾ اى افتقرتا ﴿ ان لم تظفر بذات الدين ﴾ يعنى ان الشرط مقدر ﴿ والثانى انها كلمة تذكر للمبالغة ولايراد بها سوء كقولهم ما اشجعه قاتله الله ﴾ قال القاضى عياض فى الشفاء ومن دعواته على غير واحد فى غير موطن) اى فى مواضع كثيرة (على غير العقد) اى عقد القلب بالعزم (والقصد) اى قصد المعاقبة بالجزم (بل كانت صادرة منه من غير الغضب بما جرت به عادة العرب) حيث لايريدون وقوع الامر وانما يقصدون به الادب والملاطفة فى مقام الطلب اذ قد يشنعون اللفظ وكله ود وينفونه وما من فعله بد يقولون للشئ اذا مدحوه قاتله الله ولا اب له ولا ام له ولايريدون به الذم (وليس المراد بها الاجابة كقوله عليه السلام) لعائشة اولام سلمة (تربت يمينك) اى خسرت وقيل امتلات ترابا وقيل استغنت والظاهر ان تربت بمعنى اتربت على ان الهمزة للسلب (ولا اشبع الله بطنك وغيرها من دعواته) مما لايريد هو وغيره اجابته كقول بعضهم انعم صباحا تربت يداك فانه دعاء له بقرينة ماقبله ﴿ وان كان العقد رغبة فى الالفة فهذا يكون على احد وجهين اما ان يقصد به المكاثرة باجتماع الفريقين والمظاهرة بتناصر الفئتين واما ان يقصد به تألف اعداء متسلطين استكفاء لعاديتهم ﴾ اى طلبا لكفاية العداوة وانتهائها بالتألف ﴿ وتسكينا لصولتهم ﴾ اى هجومهم وشدتهم ﴿ وهذان الوجهان قد يكونان فى الاماثل واهل المنازل وداعى الوجه الاول هو الرغبة ﴾ فى المكاثرة والمظافرة ﴿ وداعى الوجه الثانى هو الرهبة ﴾ حيث كان سبب العقد تسكين الصولة ﴿ وهما سببان فى غير المتناكحين فان استدام السبب دامت الالفة وان زال السبب بزوال الرغبة والرهبة خيف زوال الالفة ﴾ بين الزوجين ﴿ الا ان ينضم اليها ﴾

اى الى الفتهما ﴿ احدالاسباب الباعثة عليها والمقربة لها ﴾ من المودة والدين والجمال والنسب ﴿ وان كان العقد رغبة فى التعفف فهو الوجه الحقيقى المبتغى ﴾ اى المطلوب ﴿ بعقد النكاح وما سوى ذلك فاسباب معلقة عليه ومضاف اليه وروى انه لما نزل قوله تعالى ﴾ اول سورة النساء ﴿ يا ايها الناس ﴾ يابنى آدم ﴿ اتقوا ربكم ﴾ المأمور به اما مطلق التقوى التى هى التجنب من كل مايؤثم من فعل او ترك واما التقوى فى حقوق ابناء الجنس اى اتقوه فى مخالفة او امره ونواهيه على الاطلاق اوفى مخالفة تكاليفه الواردة فى حقوق الجنس ﴿ الذى خلقكم من نفس واحدة ﴾ فرعكم من اصل واحد وهو نفس آدم ابيكم ﴿ وخلق منها زوجها ﴾ حواء خلقت من ضلع من اضلاع آدم فكانت مخلوقة من شئ حى فلاجرم سميت حواء (وبث منهما) اى نشر من تلك النفس وزوجها المخلوقة منها بطريق التوالد والتناسل (رجالا كثيرا ونساء) اى كثيرة ﴿ قال النبى صلى الله عليه وسلم ﴾ جواب لما ﴿ خلق الرجل من التراب فهمه فى التراب ﴾ بالزراعة فيها والبناء عليها او السير فى مناكبها ﴿ وخلقت المرأة من الرجل فهمها فى الرجل ﴾ بالتزويج له والسكينة معه وفى اخبار العقلاء من النساء لما تزوج الحارث بن عوف الكندى بالخنساء بنت ملحم وكانت ذات جمال فائق فلما زفت اليه اوصتها امها وقالت لها اى بنية ان الوصية لو تركت لفضل ادب اوجودة حسب لتركتها عنك لما اعلم من حسن ادبك وفضل حسبك وجودة عقلك ولو استغنت النساء عن الرجال لكنت انا اغنى النساء ولكنهن خلقن للرجال كما ان الرجال خلقوا لهن وانك قد خرجت من العش الذى فيه درجت ومن البيت الذى فيه نشأت الى رجل لم تعرفيه وقرين لم تألفيه فكونى له امة يكون لك عبدا واحفظى خصالا منى لتبلغى بها امرا وتبتشرى بها ذكرا يابنية عليك بحسن الصحبة بالقناعة والمعاشرة بالسمع والطاعة فان فى القناعة راحة القلب وفى السمع والطاعة رضى الزوج وطاعة الرب والزمى التفقد لموضع عينه وانفه واحذرى ان تقع عينه منك على قبيح وان لايشم منك الا طيب الريح واعلمى يابنية ان الكحل هو الحسن الموجود والماء هو اطيب الطيب المفقود واحرصى على الرعاية لعياله والحفظ لماله فان فى رعاية عياله حسن التدبير وفى حفظ ماله حسن التقدير والزمى التفقد لطعامه والهدو وقت منامه فان حرارة الجوع ملهبة وتنغص النوم مشقة متعبة ولاتفشين له سرا ولا تعصين له امرا فانك ان افشيت سره لاتأمن غدره وان عصيت امره اوغلت عليه صدره ولا تظهرى فرحا ان كان ترحا ولا اكتئابا اذا كان مسرورا ولا اعجابا وكلما زدتيه اعظاما زادك اكراما وآثرى هواه على هواك فى اكثر الاوقات تفوزى منه بالمنح والهبات ثم انها زفت اليه وحظيت عنده ﴿ وروى عطية بن بشر عن عكاف بن رفاعة ﴾ وفى القسطلانى وداعة ﴿ الهلالى ان النبى صلى الله عليه وسلم قال له ياعكاف الك زوجة قال لا ﴾ قال ولا جارية قال لا وانت صحيح موسر قال نعم والحمدلله ﴿ قال فانت اذا من اخوان الشياطين ان كنت من رهبان النصارى فالحق بهم وان كنت منا ﴾ فاصنع كما نصنع ﴿ فمن سنتنا النكاح ﴾ شراركم عزابكم واراذل امواتكم عزابكم ويحك يا عكاف تزوج فقال عكاف يا رسول الله لا اتزوج حتى تزوجنى من شئت قال فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم فقد زوجتك على اسم الله والبركة كريمة كلثوم الحميرى رواه ابو يعلى الموصلى فى مسنده من طريق بقية ﴿ فكان

هذا القول منه ﴿ صلى الله عليه وسلم ﴾ حثا على ترك الفساد وباعثا على التكاثر بالاولاد ولهذا المعنى ﴿ وهو التكاثر بالاولاد ﴾ كان النبى صلى الله عليه وسلم يقول للقفال ﴾ جمع قافل اى الراجع ﴿ من غزوهم اذا افضيتم الى نسائكم ﴾ اى اذا امستموهن اوخلوتم بهن فى الاساس افضى الساجد بيده الى الارض اذا مسها بباطن كفه وافضيت بفلان خرجت به الى الفضاء ﴿ فالكيس الكيس يعنى فى طلب الولد ﴾ ذكر البخارى فى (باب طلب الولد) بالاستكثار من الجماع لقصد ذلك لا الاقتصار على اللذة (عن جابر رضى الله عنه انه قال كنت مع رسول الله صلى الله عليه وسلم فى غزوة) هى تبوك (فلما قفلنا) رجعنا (تعجلت على بعيرلى قطوف) اى بطئ (فلحقنى راكب من خلفى فالتفت فاذا انا برسول الله صلى الله عليه وسلم قال مايعجلك) اى ما سبب اسراعك (قلت انى حديث عهد بعرس قال فبكرا تزوجت ام ثيبا قلت بل ثيبا قال فهلا) تزوجت (جارية) بكرا (تلاعبها وتلاعبك قال فلما قدمنا ذهبنا لندخل) المدينة (فقال امهلوا حتى تدخلوا ليلا اى عشاء) وهذا محمول على بلوغ خبرهم بالوصول فاستعدوا ليجمع بينه وبين النهى عن الطروق ليلا (لكى تمتشط الشعثة) المنتشرة الشعر المغبرة الرأس (وتستحد المغيبة) اى تستعمل الحديدة وهى الموسى فى ازالة الشعر المشروع ازالة من غاب عنها زوجها (قال) اى هشيم (وحدثنى الثقة انه قال فى الحديث الكيس الكيس) بالتكرار والنصب على الاغراء اى فعليك بالجماع او التحذير اى اياك والعجز عن الجماع (ياجابر) قال البخارى (يعنى) صلى الله عليه وسلم بقوله الكيس (الولد) فالمراد الحث على ابتغاء الولد يقال اكيس الرجل اذا ولد له اولاد اكياس وقال ابن الاعرابى الكيس العقل كانه جعل طلب الولد عقلا وعند ابن خزيمة فى صحيحه فاذا قدمت فاعمل عملا كيسا وفيه قال جابر فدخلنا حين امسينا فقلت للمرأة ان رسول الله صلى الله عليه وسلم امرنى ان اعمل عملا كيسا قالت سمعا وطاعة فدونك قال فبت معها حتى اصبحت ﴿ فلزم حينئذ فى عقد التعفف تحكم الاختيار فيه ﴾ اى جعله حكما واتباعه فى العقد اذ المفروض ان العقد للتعفف وهو يحصل بكل فرد من افراد النساء سواء كانت حسنة اوغنية ام لا ﴿ والتماس الادوم من دواعيه وهى ﴾ اى تلك الدواعى ﴿ نوعان نوع يمكن حصر شروطه ونوع لايمكن ﴾ حصر شروطه فى عدد ﴿ لاختلاف اسبابه وتغاير شروطه فاما الشروط المحصورة فيه فثلاثة احدها الدين المفضى الى الستر والعفاف والمؤدى الى القناعة والكفاف ﴾ قيل لرجل من الحكماء فلان يخطب فلانة فقال اموسر من عقل ودين قالوا نعم قال فزوجوه اياها وحكى ان نوح بن مريم قاضى مرو اراد ان يزوج ابنته فاستشار جاراله مجوسيا فقال سبحان الله الناس يستفتونك وانت تستفتينى قال لابدان تشير على قال ان رئيسنا كسرى كان يختار المال ورئيس الروم قيصر كان يختار الحسب والنسب ورئيسكم محمد كان يختار الدين فانظر انت بايهم تقتدى ﴿ قال ابو هريرة رضى الله عنه لا يعذل ﴾ اى لايترك ﴿ مؤمن مؤمنة ان كره منها خلقا رضى منها خلقا ﴾ فيتعارضان ويتساقطان ويبقى بينهما اصل مودة الايمان ﴿ وخطب رجل من عبدالله عباس رضى الله عنهما يتيمة كانت عنده فقال لا ارضاها لك قال ﴾ الرجل ﴿ ولم وفى دارك نشأت قال انها تتشرف ﴾ بك يعنى لاشرافة لها فى ذاتها وانما عدل الى الكناية حذرا عن غيبتها اواراد بها اختبار همة الطالب ﴿ قال ﴾ الرجل

﴿ لاابالى فقال الآن لاارضاك لها ﴾ فتفرس ان نكاحه نكاح غلمة فرده ﴿وفى هذا المعنى قالت الحكماء من رضى بصحبة من لاخير فيه لم يرض بصحبته من فيه خير ﴿والشرط الثانى العقل الباعث على حسن التقدير الآمر بصواب التدبير فقد روى عن النبى صلى الله عليه وسلم انه قال العقل حيث كان الوف ﴾ اى آلف ﴿ ومألوف ﴾ وفى حكمة سليمان بن داود عليهما السلام المرأة العاقلة تعمر بيت زوجها والمرأة السفيهة تهدمه ﴿ وروى عن النبى صلى الله عليه وسلم انه قال عليكم بالودود ﴾ هى المتحببة لزوجها بالتلطف فى الخطاب وكثرة الخدمة والادب والبشاشة فى الوجه ﴿ الولود ﴾ اى من هى مظنة الولادة وهى الشابة وتعرف الولود ان كانت بكرا باقاربها اوثيبا فبزوجها الاول ﴿ ولاتنكحوا الحمقاء فان صحبتها بلاء وولدها ضياع ﴾ لانها المربية له فى صغره وايضا العرق دساس ﴿ والشرط الثالث الاكفاء الذين ينتفى بهم العار ويحصل بهم الاستكثار ﴾ والاكفاء جمع كفوء بمعنى المثل والنظير والمراد هنا المماثلة فى خصوص امور قالت الحنفية تعتبر الكفاءة فى وقت النكاح لانه لوزال بعده كفؤيته لها بان صار فاسقا مثلا لايفسخ النكاح وتعتبر فى العرب نسبا لان به يقع تفاخرهم وفى العجم اسلاما اى من جهة اسلام اب وجد اذ به تفاخرهم لابالنسب لانهم ضيعوا انسابهم وحرية اى من جهة الاصل لان الرق عيب لانه اثر الكفر وتعتبر ديانة اى صلاحا وحسبا وتقوى خلافا لمحمد لان التقوى من امور الآخرة فلا يفوت النكاح بفواتها الا اذا كان مستخفا بها بان يخرج سكران ويلعب به الصبيان وتعتبر مالا بان يملك من المهر ماتعارفوا تعجيله لانه بدل البضع وبان يكسب نفقة كل يوم ومايحتاج اليه من الكسوة لان بذلك يتم الازدواج فالعاجز عنهما غير كفوء للفقيرة وتعتبر حرفة عندهما وعن الامام روايتان وقالت الشافعية خصال الكفاءة خمسة . سلامة من عيب نكاح كجنون وجذام وبرص وحرية ونسب ولوفى العجم لانه من المفاخر . وعفة بدين وصلاح فليس فاسق كفء عفيفة وحرفة فليس ذوحرفة دنية كفء ارفع منه ﴿ فقد روى عن النبى صلى الله عليه وسلم انه قال تخيروا لنطفكم ﴾ قال العلقمى اى اطلبوا لها ماهو خير المناكح وازكاها وابعدها من الخبث والفجور وقال المناوى اى لاتضعوا نطفكم الا فى اصل طاهر ﴿ ولا تضعوها الا فى الاكفاء ﴾ وفى رواية ابن ماجة والحاكم عن عائشة رضى الله عنها (فانكحوا الاكفاء) اى تزوجوا النساء المتكافأت لكم وقال الاحنف ثلاث لااناءة فيهن عندى قيل وما هن ياابا بحر قال المبادرة بالعمل الصالح واخراج ميتك وان تنكح الكفء ايمك وكان يقول لافى تحكك فى ناحية بيتى احب الى من ايم رددت عنها كفؤا وكان يقال مابعد الصواب الا الخطأ وما بعد منعهن من الاكفاء الا بذلهن للسفلة والغوغاء ﴿ وروى ان اكثم بن صيفى قال لولده ﴾ اما بفتحتين استعمل هنا فى مقام الجمع لاستواء مفرده وجمعه او بضم فسكون جمع ولد ﴿ يابنى لايحملنكم جمال النساء عن صراحة النسب ﴾ يقال حمله اى احتمله وحمله على الامر اذا اغراه به وحمل عنه اذا حلم وسامح يعنى لاتسامحوا عن النسب مغرورين بالجمال ﴿فان المناكح الكريمة مدرجة للشرف ﴾ اى مرقاته ﴿ وقال ابو الاسود الديلى لبنيه قد احسنت اليكم صغارا وكبارا وقبل ان تولدوا قالوا وكيف احسنت الينا قبل ان نولد قال اخترت لكم من الامهات من لاتسبون بها وانشد الرياشى ﴾ من الطويل ﴿ فاول احسانى اليكم تخيرى . لماجدة الاعراق بادعفافها ﴾ يقال تخير الشىء اذا انتقاه واصطفاه وماجدة مفعوله واللام

للتقوية والمجد الشرف والجلالة فى النسب وباد نعت ماجدة اوخبر مبتدأ محذوف اى هى وتعلق الحكم على المشتق يشعر بعلية مأخذ الاشتقاق يعنى أصطفائى واختيارى نكاح حسيبة ونسيبة احكمت جلالة نسبها بعفافها وتقواها هو اول احسانى اليكم وما انتقيتها الالذينك وقال عثمان بن ابى العاص الثقفى لبنيه يابنى قدامجدتكم فى امهاتكم واحسنت فى مهنة اموالكم وانى ماجالست فى ظل رجل من ثقيف اشتم عرضه والناكح مغترس فلينظر امرؤ حيث يضع غرسه والعرق السوء قلما يجب ولو بعد حين فقال ابن عباس ياغلام اكتب لناهذا الحديث وقال نجم الدين الوراسى * لاتخطبن سوى كريمة معشر . فالعرق دساس من الطرفين * اولست تنظر فى النتيجة انها . تبع الاخس من المقدمتين * وانشدوا * صفات من يستحب الشرع خطبتها .جلوتها لاولى الالباب مختصرا *صنية ذات دين زانها ادب . بكرواود حكت فى نفسها القمرا * غريبة لم تكن من اهل خاطبها . تلك الصفات التى اجلو لمن نظرا * فيها احاديث جائت وهى ثابتة . احاط علما بها من فى العلوم قرا *وقال آخر * معطيات السرور فويق عشر . الى العشرين ثم قف المطايا * فان جزت المسير فسر قليلا . وبنت الاربعين من الرزايا ﴿ وقد تنضم الى هذه الشروط من صفات الذات واحوال النفس مايلزم التحرز منه ﴾ مع وجود الشرائط المعتبرة فى النكاح ﴿ لبعد الخير عنه وقلة الرشد فيه فان كوامن الاخلاق ﴾ جمع كامنة اى مخافيها ﴿ بادية فى الصور والاشكال كالذى روى عن النبى صلى الله عليه وسلم انه قال لزيدبن حارثة ﴾ من موالى النبى صلى الله عليه وسلم ومن احبهم اليه وهوالذى نزل فيه واذ تقول للذى انعم الله عليه وانعمت عليه الآية ﴿ اتزوجت يازيد قال لاقال تزوج تستعف مع عفتك ولاتتزوج من النساء خمسا قال وماهن يارسول الله قال لاتتزوج شهبرة ولالهبرة ولانهبرة ولاهبذرة ولالفوتا قال يارسول الله انى لااعرف مما قلت شيئا قال اما الشهبرة ﴾ على وزن جعفرة ﴿ فالزرقاء ﴾ مؤنث ازرق اى ازرق العينين ﴿ البذية ﴾ اى فاحشة الكلام ﴿ واما اللهبرة فالطويلة المهزولة ﴾ يقال هزل الرجل على صيغة المجهول اى صار مهزولا ﴿ واما النهبرة فالعجوزالمدبرة ﴾ اى المشرفة على الهلاك من ادبرالمقبل اى مات ﴿ واما الهبذرة فالقصيرة الدميمة ﴾ اى القبيحة يقال دميم الخلق وذميم الخلق ﴿ واما اللفوت ﴾ على وزن صبور ﴿ فذات الولد من غيرك ﴾ سميت بها لان توجهها والتفاتها الى ذلك الولد ﴿ وقال شيخ من بنى سليم ﴾ على وزن زبير قبيلة من قيس غيلان وكذا من جذام ﴿ لابنه يابنى اياك والرقوب الغضوب القطوب ﴾ على وزن صبور فيها ﴿ الرقوب التى تراقب زوجها حتى يموت فتأخذ ماله ﴾ اوتتزوج بزوج آخر والغضوب التى لاتنال ماكانت تؤملها من زوجها وقال رجل لزوجته ما اوسع حرك فانشأت تقول * انت الفداء لمن قدكان يملاه . ويشتكى الضيق منه حين يلقاه * والقطوب العبوسة الوجه ﴿ واوصى بعض الاعراب ابنه فى التزوج فقال اياك والحنانة والمنانة والانانة ﴾ وعشبة الدار وكية القفا ﴿ فالحنانة ﴾ هى ﴿ التى تحن لزوج كان لها ﴾ وتقول اين يافلان اورحم الله فلانا ﴿ والمنانة التى تمن على زوجها بما لها والانانة التى تئن كسلا وتمارضا ﴾ وعشبة الدار خضراء الدمن وكية القفا التى اذا انصرف ابنها اوزوجها من بين القوم قال رجل

كان بيني وبين امهذا اوزوجة هذا شئ وفي حكمة داود عليه السلام المرأة السوء على بعلها كالحمل الثقيل على الشيخ الكبير والمرأة الصالحة كالتاج المرصع بالذهب كلما رآها قرت عينه بها ﴿ وقال اوفى بن دلهم ﴾ على وزن برثن ﴿ النساء اربع فمنهن معمع ﴾ فى الاساس سمعت معمعة الحريق اى صوته وجاؤا فى معمان الصيف وامرأة معمع لاتعطى من مالها شيئا ﴿ لها شيئها اجمع ﴾ ويقال لمن يكثر استعمال مع الى كم تمعمع ﴿ ومنهن تمنع تضر ولاتنفع ومنهن مصدع تفرق ولاتجمع ومنهن غيث وقع فى بلد فامرع ﴾ اى اعشب ﴿ وقال الشاعر ﴾ من الطويل ﴿ ارى صاحب النسوان يحسب انها . سواء وبون بينهن بعيد ﴾ فاعل يحسب راجع الى الصاحب وسواء خبران وجملة ان قائمة مقام مفعولى يحسب وجملة يحسب مفعول ثان لارى وبون بضم الباء وفتحها المسافة وهو متبدأ مخصص بنعت والظرف خبره يعنى اظن ان صاحب النسوان يزعمون ان النسوة سواء لما فى كل واحد منهن مافى الاخرى فيزعمون بمساواة ازواجهن والحال ان بينهن وبينهم فرق عظيم ﴿ فمنهن جنات يفئ ظلالها ﴾ الفاء للسببية يعنى لان منهن من هى كجنات يتحول ظلالها من جانب الى جانب فتارة تميل الى جانب زوجها فتحييه بوصلتها وتارة الى ولدها فتنشطه بصلتها وتارة الى جوائج بيتها فتحسنها بتدبيرها وتارة الى جانب الاضياف فتطهر منزلهم وتعجل نزلهم ﴿ ومنهن نيران لهن وقود ﴾ اى اشتعال تحرق لهبها مااصابها وتسود دخانها ماقاربها فلا يستوى النار والجنة ولا اصحابهما * وسئل اعرابى عن النساء وكان ذا تجربة لهن فقال افضلهن اطولهن اذا اقامت اكظمهن اذا قعدت واصدقهن اذا قالت التى اذا غضبت حلمت واذا ضحكت تبسمت واذا صنعت شيئا جودت التى تلزم بيتها ولا تعصى زوجها العزيزة فى قومها الذليلة فى نفسها الودود الولود وكل امرها محبوب وانشد الاصمعى لابى الرقاع * خزاعية الاطراف كندية الحشى . نزارية العينين طائية الفم * لها حكم لقمان وصورة يوسف . ونغمة داود وعفة مريم * وقيل لاعرابى صف لنا شر النساء فقال شرهن النحيف الجسم الحياض المراض المصفرة الميشومة العسرة المبشومة السليطة البطرة النفرة السريعة الوثبة كأن لسانها حربة تضحك من غير عجب وتبكى من غير سبب وتدعو على زوجها بالحرب الف فى السماء واست فى الماء كلامها وعيد وصوتها شديد تدفن الحسنات وتفشى السيئات ليس فى قلبها على زوجها رأفة ولاعليها منه مخافة ان دخل خرجت وان خرج دخلت وان ضحك بكت وان بكى ضحكت تأكل لما وتوسع ذما ضيقة الباع مهتوكة القناع صبيها مهزول وبيتها مزبول تبكى وهى ظالمة وتشهد وهى غائبة قد دلى لسانها بالزور وسال دمعها بالفجور ابتلاها بالويل والثبور وعظائم الامور وقال بعضهم * لقد كنت محتاجا الى موت زوجتى . ولكن قرين السوء باق معمر * فياليتها صارت الى القبر عاجلا . وعذبها فيه نكير ومنكر ﴿ وانشد ابوالعيناء ﴾ هو ابو عبدالله محمد بن القاسم المشهور بادبه ونوادره ومعرفته باشعار العرب تولد باهواز وارتحل الى البصرة واخذ من الاصمعى وابى زيد الانصارى ونحوهما من اعاظم الادباء وصار اعمى وهو ابن اربعين وتوفى سنة ثلاث وثمانين ومأتين ﴿ عن ابى زيد ﴾ سعيد بن اوس الانصارى ، من البسيط ﴿ ان النساء كاشجار نبتن معا ﴾ صفة اشجار ﴿ منهن مر وبعض المر مأكول ﴾ لتداوى اولتسهيل الهضم ﴿ ان النساء ولو صورن من ذهب ﴾ اى من

نطفة عالم حكيم كالذهب ومن اصل حسيب ونسب شريف ﴿ فيهن من هفوات الجهل تخييل ﴾ جمع هفوة مثل خطوة واضافتها الى الجهل من اضافة المسبب الى السبب اى فيهن زلات ناشئة من الجهل لغلبته فيهن او المضاف مقدر اى من عادة زمان الجهل تخييل ينشأ من بما ابطل به الشرع ﴿ ان النساء متى ينهين عن خلق ﴾ غير مرضى عقلا اوشرعا ﴿ فانه واجب لابد مفعول ﴾ قال بعض الحكماء لم تنه المرأة عن شئ قط الا فعلته ولذا شرع المداراة مع النساء للالفة واستمالة قلوبهن لما جبلن عليه من الاخلاق روى البخارى عن ابى هريرة ان النبى صلى الله عليه وسلم قال من كان يؤمن بالله واليوم الآخر) ايمانا كاملا (فلا يوذى جاره واستوصوا بالنساء خيرا) اى اوصيكم فاقبلوا وصيتى فيهن (فانهن خلقن من ضلع) معوج فلا يتهيأ الانتفاع بهن الا بمداراتهن والصبر على اعوجاجهن (وان أعوج شئ فى الضلع اعلاه) ذكره تأكيد المعنى الكسر (فان ذهبت تقيمه كسرته وان تركته لم يزل اعوج) اخذه بعض الشعراء فقال * هى الضلع العوجاء لست تقيمها . الا ان تقويم الضلوع انكسارها * اتجمع ضعفا واقتدارا على الهوى . اليس عجيبا ضعفها واقتدارها * فكأنه قال الاستمتاع بهن لايتم الا بالصبر (فاستوصوا) اى اوصيكم (بالنساء خيرا) فاقبلوا وصيتى واعملوا بها قال الغزالى وللمرأة على زوجها ان يعاشرها بالمعروف وان يحسن خلقه معه وليس حسن الخلق معها كف الاذى عنها بل احتمال الاذى منها والحلم عن طيشها وغضبها اقتداء برسول الله صلى الله عليه وسلم فقد كان ازواجه يراجعنه الكلام وتهجره احداهن الى الليل واعلى من ذلك ان الرجل يزيد على احتمال الاذى بالمداعبة فهى التى تطيب قلوب النساء فقد كان عليه السلام يمزح معهن وينزل الى درجات عقولهن فى الاعمال والاخلاق حتى روى انه كان يسابق عائشة فى السبق فسبقها يوما فقال لها هذه بتلك كما فى القسطلانى (١) ﴿ وما وعدنك من شروفين به . وما وعدنك من خير فمطول ﴾ اى مسوف يقال مطل المدة والدين اذا جاوزه وسوفه وانشد المسروحى لكامل بن عكرمة * لها كل عام موعد غير منجز . ووقت اذا مارأس حول تجرما * فان وعدت شرا اتى قبل وقتها . وان وعدت خيرا اراث وعتما * وقال آخر * الم تران سير الخير ريث . وان الشر راكبه يطير ﴿ واما النوع الآخر وهو الذى لايمكن حصر شروطه فلانه قد يختلف باختلاف الاحوال وينتقل بتنقل الانسان والا زمان ﴾ من توقان الى شبق ومن سليم الى سقيم وبالعكس ﴿ فانه لايستغنى به ﴾ اى بنكاح واحدة ﴿ عن موافقة النفس ومتابعة الشهوة ليكون) العقد ﴿ ادوم لحال الالفة وامد لاسباب الوصلة فان الرأى المعلول لايبقى على حاله والميل المدخول لايدوم على دخله فلا بد ان ينتقل الى احدى حالتين اما الى الزيادة والكمال واما الى النقصان والزوال حكى ان رجلا قال لعلى بن ابى طالب كرم الله وجهه انى احبك واحب معاوية فقال رضى الله عنه اما الآن فانت اعور ﴾ اى كالاعور فى رؤيتك الامامة التى لاتكون الا واحدة متعددة واراد بالاعور الاحول لان تلك الرؤية من لوازم الحول الجملى كما قيل * واحول ذى حركة . يملئ بيتى بركة * يعنى لرويته الواحد اثنين وقال ابو على بن الرشيق وكان احول فى نفسه وفى الطوسى الاعمى الشاعر وفى محمد بن شرف الاعور * لابد فى العور من تيه ومن صلف . لانهم يبصرون الناس انصافا * وكل احول يلقى ذا مكارمة . لانهم ينظرون الناس اضعافا * والعمى اولى بحال العور لو عرفوا .

(١) عن عائشة رضى الله عنها قالت سابقنى رسول الله صلى الله عليه وسلم فسبقته فلما حملت اللحم سابقنى فسبقنى وقال هذه بتلك منه

على القياس ولكن خاف ماخافا ﴿ فاما ان تبرأ ﴾ من ذلك وتوقن بامامتى الحق ﴿ واما ان تعمى ﴾ وترجح جانب معاوية ﴿ فاذا كان كذلك ﴾ اى لايبقى الميل المدخول على دخله ﴿ فلابد من كشف السبب الباعث على هذا النوع فانه ﴾ اى سبب العقد ﴿ لايخلو من ثلاثة احوال احدها ان يكون العقد لطلب الولد والاحمد فيه التماس الحداثة والبكارة لانها اخص بالولادة وقد روى عن النبي صلى الله عليه وسلم ﴾ كما روى ابن ماجة والبيهقى عن عويم بن ساعدة ﴿ انه قال عليكم بالابكار ﴾ اى بتزوجهن اوالتسرى بهن ﴿ فانهن اعذب افواها ﴾ اى احلى كلاما لعدم تعودهن فحش الكلام بمخالطة الرجال اواطيب ريقا ﴿ وانتق ارحاما وارضى باليسير ﴾ من الجماع او اعم ﴿ ومعنى قوله انتق ارحاما اى اكثر اولادا ﴾ من نتقت المرأة اذا كثر ولدها ﴿ وقال معاذ بن جبل رضى الله عنه عليكم بالابكار فانهن اكثر حبا واقل خبا ﴾ اى خداعا ومكرا على انها لم يدنسها لامس ولااستغشاها لابس ولها الوجه الحيي والطرف الخفى واللسان العيى والقلب النقى ولبعضهم * قالوا انكحت صغيرة فاجبتهم . اشهى المطى الى مالم يركب * كم بين حبة لؤلؤ مثقوبة . نظمت وحبة لؤلؤ لم يثقب * فاجابته امرأة * ان المطية لايلذ ركوبها . حتى تذلل بالزمام وتركبا * والدر ليس بنافع اربابه . حتى يؤلف بالنظام ويثقبا * وقال عمر بن الخطاب رضى الله عنه البكر كالبر تطحنها وتعجنها وتخبزها وتأكلها والثيب عجالة الراكب تمر وسويق ﴿ وهذه الحال ﴾ وهى طلب الولد ﴿ هى اولى الاحوال الثلاث لان النكاح موضوع لها والشرع وارد بها وقد روى عن النبى صلى الله عليه وسلم ﴾ كما روى الطبرانى عن معاوية بن حيدة ﴿ انه قال سوداء ولود ﴾ اى نكاحها ﴿ خير من ﴾ نكاح ﴿ حسناء عاقر ﴾ اى لاتلد (وانى مكاثر بكم الامم حتى بالسقط ﴿ والعرب تقول من لم يلد لاولد ﴾ بالبناء للمفعول امادعاء عليه اى كان لا مولودا او خبر اى كأنه لم يكن مولودا لعدم خلفه وجرى بين اعرابى وامرأته كلام فشتمته فقال لها اسكتى فوالله ما شعرك بوارد ولا فوك ببارد ولا ثديك بناهد ولا بطنك بوالد ولاالخير فيك بزائد ولاالشر فيك بواحد وما انا لك بحامد ولا بعد موتك بواجد ﴿ وقد كانوا يختارون ﴾ اى العرب ﴿ لمثل هذه الحال انكاح البعداء الاجانب ويرون ﴾ اى يزعمون ﴿ ان ذلك ﴾ الانكاح ﴿ انجب للولد ﴾ يقال نجب الولد اذا صار نجيبا وانجب الرجل اذا ولد النجباء ﴿ وابهى للخلقة ﴾ من بهو الغلام وبهى اذا حسن ﴿ ويجتنبون انكاح الاهل والاقارب ويرونه مضرا بخلق الولد بعيدا من نجابته روى عن النبى صلى الله عليه وسلم انه قال اغتربوا ﴾ يقال اغترب الرجل اذا تزوج فى غير الاقارب ﴿ لاتضووا ﴾ من اضوت المرأة اذا جاءت بولد ضاو اى مهزول ويقولون الغرائب انجب والقرائب اضوى يعنى ان الانسان اذا نكح المرأة القريبة اليه حصل بينهما حياء يمنع من قضاء الشهوة كما ينبغى فيجئ الولد ضاويا ولفظ الحديث فى الاحياء لاتنكحوا القرابة القريبة فان الولد يخلق ضاويا وقال القسطلانى وتوقف السبكى فى هذا الحكم لعدم صحة الحديث الدال عليه فقد قال ابن الصلاح لم اجد له اصلا معتمدا قال السبكى فلاينبغى اثباته لعدم الدليل وقال الحافظ زين الدين العراقى والحديث المذكور انما يعرف من قول عمر (٢) وقال الشاعر * تخيرتها للنسل وهى غريبة . فقد انجبت والمنجبات الغرائب * ونص الشافعى

(٢) الآتى يا بنى السائب آه منه

على انه يستحب ان لايتزوج من عشيرته ولا يشكل ما ذكر بتزويج النبى صلى الله عليه وسلم زينب مع انها بنت عمته لانه تزوجها بيانا للجواز ولا بتزويج على فاطمة رضى الله عنهما لانهما بعيدة فى الجملة اذهى بنت ابن عمه لابنت عمه انتهى ﴿ وقد روى عن عمر بن الخطاب رضى الله عنه انه قال يابنى السائب قدا ضويتم فانكحوا فى الغرائب وقال الشاعر ﴾ من الطويل ﴿ تجاوزت بنت العم ﴾ اى عن نكاحها ﴿ وهى حبيبة ﴾ الى ﴿ مخافة ان تضوى على سليلى ﴾ اى ولدى المسلول عنها ﴿ وكانت حكماء المتقدمين يرون ان انجب الاولاد خلقا وخلقا من كانت سن امه بين العشرين والثلاثين وسن ابيه مابين الثلاثين والخمسين ﴾ والمشاهدة شاهدة على ان النجابة الفطرية فى صغار الاخوة اكثر من كبارهم و قالوا ايضا جرت العادة بان الاب اذا كان نجيبا فالابن بالضد قال الشاعر * اذا اظهر الدهر حرا نجيبا . فكن فى ابنه سىء الاعتقاد * فلست ترى من نجيب نجيبا . وهل تترك النار غير الرماد ﴿ والعرب تقول ان ولد الغيرى لاينجب ﴾ مؤنث غير ان كسكران وسكرى يقال غار الرجل على امرأته وغارت المرأة على زوجها اذا انفت من الحمية والمراد الشرهة الراغبة الى الفحولة اشد الرغبة ولا تشبع منها ابدا لغلبتها على زوجها ﴿ وان انجب النساء الفروك ﴾ كصبور هى البغيضة لزوجها اى لكراهتها للفحولة و هذه هى مادة العفة وسببها الطبيعى كما ان الشره مادة الفجور ﴿ لان الرجل يغلبها على الشبه ﴾ اى على مشابهة الولد بابيه خلقا و خلقا ﴿ لزهدها فى الرجال ﴾ ولا نعدام كمال انوثتها تكون معينة لشبه الولد بالرجل قال الرازى قال اهل الطبيعة المنى اذا انصب الى الخصية اليمنى من الرجل ثم انصب منها الى الجانب الايمن من الرحم كان الولد ذكرا تاما فى الذكورة وان انصب الى الخصية اليسرى ثم انصب منها الى الجانب الايسر من الرحم كان الولد انثى تاما فى الانوثة وان انصب الى اليمنى ثم انصب منها الى الجانب الايسر من الرحم كان الولد ذكرا فى طبيعة الاناث و ان انصب الى الخصية اليسرى ثم انصب منها الى الجانب الايمن من الرحم كان الولد انثى فى طبيعة الذكور و حاصل كلامهم ان الذكورة علتها الحرارة واليبوسة والانوثة علتها الرطوبة والبرودة وهذه العلة فى غاية الضعف فقد رأينا فى النساء من كان مزاجه فى غاية السخونة وفى الرجال من كان مزاجه فى غاية البرودة ولو كان الموجب للذكورة والانوثة ذلك لا متنع ذلك فثبت ان خالق الذكر والانثى هو الاله القديم الحكيم يهب لمن يشاء اناثا و يهب لمن يشاء الذكور ﴿ وقالوا ان الرجل اذا اكره المرأة ﴾ واغضبها ﴿ وهى مذعورة ﴾ اى نافرة ومتهورة من لهب الغيظ والاكراه ولم تسكن غيظها بعد ﴿ ثم اذكرت ﴾ على تلك الحالة وهو بالبناء للمفعول وبناء افعل للتصيير يعنى جومعت ﴿ انجبت ﴾ لان شهوتها لاتزيد على شهوته حينئذ و ايضا يسكن غضبها بميل الزوج اليها و تطييب قلبها فتعلق به وهى كاظمة لغيظها وحالة الكظم تحرك القوى العقلية و توقظ القوى الفكرية لتدبير الانتقام او لتأكيد الحب والائتلاف فهى مستيقظة الافكار ايضا حين علقت بالولد والغضب مع الكظم والتيقظ مادة النجابة وايضا الغضب يزيد حسن الجبلة و ذلك يورث شدة حب الزوج و كثرة شهوتها فيغلبها فمن شروط هذه المواقعة كون الزوجة حسناء لان القبيحة اذا انضم اليها قبح الغضب لاينشط لها الزوج الا ان يكون فى بيت مظلم قال ابو

كبيرالهذلى يصف ربيبه تأبط شرا * حملت به فى ليلة مذوودة . كرها و عقد نطاقها لم يحلل*
مذوودة مثل مذعورة لفظا ومعنى وهو شاعر جاهلى والشرع آمر بحسن المعاشرة ولم اقف
على مايؤيد ذلك من الشرع سوى ما يفهم من قوله تعالى حملته امه كرها والحامل كرها
هى الفروك ﴿ والحال الثانية ان يكون المقصود به ﴾ اى بالعقد ﴿ القيام بما يتولاه النساء
من تدبير المنازل فهذا ﴾ القيام ﴿ وان كان مختصا بمعاناة النساء فليس بالزم حالى الزوجات ﴾
ولذا لايجبرن عليها كما تجبر اذا امتنعت عن فراشه ﴿ لانه قد يجوز ان يعانيه غيرهن من النساء
ولذلك قيل المرأة ريحانة وليست بقهرمانة ﴾ فى وصية على رضى الله عنه لابنه محمد الحنفية
لاتمكن المرأة من الامر مايتجاوز نفسها فان المرأة ريحانة وليست بقرمانة وان ذلك ادوم لحالها
وارضى لبالها وفى بعض خطب النبى صلى الله عليه وسلم ايها الناس ان النساء كم عليكم حقا ولكم عليهن
حقا لكم عليهن ان لايوطئن فرشكم غيركم ولايدخلن احدا تكرهونه بيوتكم الاباذنكم ولايأتين
بفاحشة فان فعلن فان الله قد اذن لكم ان تعضلوهن وتهجروهن فى المضاجع وتضربوهن
ضربا غير مبرح فان انتهين و اطعنكم فعليكم رزقهن و كسوتهن بالمعروف وانما النساء عندكم
عوان لايملكن لا نفسهن شيئا اخذتموهن بامانة الله واستحللتم فروجهن بكلمة الله فاتقوا الله
فى النساء واستوصوا بهن خيرا الاهل بلغت اللهم اشهد ﴿ وليس فى هذا القصد تأثير فى دين
ولا قدح فى مروءة والاحمد فى مثل هذا ﴾ العقد ﴿ التماس ذوات الاسنان والحنكة ﴾ على وزن
غرفة من استحكم فكره وعقله بالتجارب ﴿ ممن قد خبرن ﴾ بكسر الباء اى جربن وعلمن
﴿ تدبير المنازل وعرفن عادات الرجال فانهن اقوم بهذه الحال ﴾ وقد روى الشيخان وغيرهما عن
جابر بن عبد الله ان النبى صلى الله عليه وسلم قال اتزوجت بعد ابيك ياجابر قال تزوجت ثيبا قال فهلا بكرا
تلاعبها وتلاعبك وتضاحكها وتضاحكك فقال ان ابى قد قتل يوم احد وترك تسع بنات فكرهت ان اجمع
اليهن جارية خرقاء مثلهن ولكن امرأة تمشطهن وتقوم عليهن فقال اصبت انتهى ﴿ والحال الثالثة
ان يكون المقصود به الاستمتاع ﴾ بها وقضاء الشهوة لا لطلب الولد ولا القيام بتدبير المنزل ﴿ وهى اذم
الاحوال الثلاث واوهنها للمروءة ﴾ اى اشدها اضعافا وكسرا لها ﴿ لانه ينقاد فيه لاخلاقه البهيمة
ويتابع شهوته الذميمة وقد قال الحارث بن النضر الازدى شر النكاح نكاح الغلمة ﴾ بضم فسكون غلبة
الشهوة الجماعية يعنى قضاء تلك الشهوة والاستلذاذ بها وقد قال ابن سيناء *واحفظ منيك مااستطعت فانه .
ماء الحياة يراق فى الارحام ﴿ الا ان يفعل ذلك لكسر الشهوة وقهرها بالاضعاف لها ﴾ اى
باضعافها ﴿ عند الغلبة او تسكين النفس عند المنازعة حتى لاتطمح له عين لريبة ﴾ يقال طمح
بصره اليه اذا ارتفع وطمح ببصره اليه اذا استشرف والريبة عبارة عن قلق النفس واضطرابها
بشئ ثم سمى به الشك والشبهة لانه سبب لذلك القلق ﴿ ولا تنازعه نفس الى فجور ﴾ اى
زنا وعموم عين ونفس باعتبار الا زمان والاوقات اى فى وقت من الاوقات لاستغنائه بالمباح
عن الحرام كما قال السعدى * من كان بين يديه مااشتهى رطب . يغنيه ذلك عن رجم العنا قيد
﴿ ولايلحقه فى ذلك ﴾ العقد حينئذ ﴿ ذم ﴾ فى الدنيا ﴿ ولاينالـه وصم ﴾ اى مرض يعنى
اثم فى الآخرة ﴿ وهو ﴾ اى العاقد لكسر الشهوة ﴿ بالحمد اجدر وبالثناء احق ﴾ لامتثاله
بامر التزوج الوارد فى قوله عليه السلام يامعشر الشباب من استطاع منكم الباءة فليتزوج فانه

اغض للبصر واحصن للفرج كما سبق فى الصوم ﴿ ولو تنزه ﴾ فى مثل هذه الحال عن استبذال الحرائر ﴾ اى لو تباعد عن امتها نهن بتوجهه ﴿ الى الاماء كان اكمل لمروته وابلغ فى صيانته ﴾ عن المكروه لان للحرائر حق الولد ولايباح العزل عنهن الا برضاهن والامة ملكه فله التصرف فى قبلها كيف يشاء ﴿ وهذه الحال تقفو على شهوات النفوس ﴾ اى تتبعها ﴿ ولا يمكن ان يرجح فيها اولى الامور ﴾ لان الحب يعمى ويصم كما قال الشاعر * ظن العذول بان عذلى ينفع . قل ماتشاء فعلى ان لاافعل ﴿ وهى اخطر الاحوال بالمنكوحة لان للشهوات ﴾ وكذا لما به الترجيح من الحسن والشبابة ﴿ غايات متناهية يزول بزوالها ماكان متعلقا بها فيصير الشهوة ﴾ والمحبة المنبعثة عنها اللتين كانتا ﴿ فى الابتداء ﴾ خولا و ﴿ كراهية فى الانتهاء ﴾ او يزول حسنها وشبابتها فاذا المنكوحة كمصباح استغنى عنه باصباح فترجع العزيزة ذليلة وعلى اقاربها كليلة ﴿ ولذلك ﴾ الخطر ﴿ كرهت العرب البنات ووأدتهن ﴾ اى دفنتهن احياء فى الجاهلية ويقال اول من فعل ذلك قيس بن عاصم التميمى المنقرى وذلك لان المستمزج اليشكرى كان اغار عليه فاخذ بنته فاتخذها لنفسه ثم وقع بينهم صلح فرد الاموال وخير ابنته فاختارت زوجها فآلى على نفسه ان لايولد له بنت الا دفنها حية خوفا من الفضيحة فتبعته العرب على ذلك وكان فريق من العرب يأتون قتل اولادهم مطلقا اى سواء كانوا ذكورا او اناثا خشية الفقر او لعدم ماينفقه وكان صعصعة بن ناجية التميمى وهو جد الفرزدق اول من فدى الموؤدة وذلك انه قال اضللت ناقتين فركبت جملا ومضيت فى بغائهما فرفع لى بيت فقصدت فاذا شيخ جالس بفناء الدار فسألته عنهما فقال هما عندى فجلست عنده لتخرجها الى فاذا عجوز قد خرجت من البيت فقال لها ماوضعت فان كان ذكرا شاركناه فى اموالنا وان كان انثى وأدناها فقالت وضعت انثى فقلت اتبيعنيها فقال وهل تبيع العرب اولادها فقلت انما اشترى حياتها لارقها فقال بكم فقلت احتكم قال بالناقتين والجمل قلت ذلك لك فعندى ثمانون ومأة موؤدة بناقتين وجمل قال الفرزدق يفتخر بفعل جده على جرير * الم تر انا بنو دارم . زرارة منا ابو معبد * ومنا الذى منع الوائدات . فاحيى الوئيد فلم يؤيد * وحرم ذلك بكلا قسميه قال الله تعالى واذا الموؤدة سئلت باى ذنب قتلت وقال ولا تقتلوا اولادكم خشية املاق وقال ولا يقتلن اولادهن (٤) وورد احاديث فى اكرامهن وقال بعض الشعراء * احب البنات وحب البنا . ت فرض على كل نفس كريه * فان شعيبا من اجل ابنتيه اخدمه الله موسى كليمه ﴿ اشفاقا عليهن وحمية لهن من ان يتبذلهن اللئام بهذه الحال ﴾ حكى ان ابن كوز خطب جرى بن كاب الفقعسى من شعراء الحماسة بنته فى سنة جدب فرده وقال * فلا تطلبنها يا ابن كوز فانه . غذا الناس مذقام النبى الجواريا * قال ابن الاثير فى المثل السائر البيت يشتمل على المعنيين التام والمقدر اما التام قد غذا الناس البنات مذقام النبى صلى الله عليه وسلم فى الجدب والرخاء وانا ايضا اغذ وهذه ولولا ذلك لوأدتها كما كانت الجاهلية تفعل وفيه وجه آخر وهو انهم كانو ايئدون البنات قبل الاسلام فلما جاء النبى صلى الله عليه وسلم نهى عن ذلك فقوله غذا الناس آه اى فى النساء كثرة فتزوج بعضهن وخل ابنتى وهذان المعنيان هى اللذان دل عليهما ظاهر اللفظ واما المعنى المقدر الذى يعلم من مفهوم الكلام فانه يقول ان النبى صلى الله عليه وسلم

(٤) فى در المختار ويكره ان تسعى لاسقاط حملها وجاز لعذر حيث لا يتصور . التصور هو ان يظهر له شعر اواصبع او رجل اونحو ذلك كالمرضعة [illegible] ظهر بها الحبل وانقطع لبنها وليس [illegible] الصبى ما يستأجر الظئر ويخاف هلاك الولد قالوا يباح لها ان تعالج فى استنزال الدم مادام الحمل مضغة اوعلقة وقدروا تلك [illegible] وعشرين . لانه ليس وفيه صيانة انتهى منه

امر باحياء البنات ونهى عن الوأد ولو انكحتها لك لكنت قدوأدتهـا اذلافرق بين انكاحك اياها وبين وأدها وهذا ذم للخـاطب وهو معنى دقيق ﴿ وكان من تحوب ﴾ اى اجتنب الحوب والاثم فبناء تفعل للسـلب كما فى تأثم ﴿ من قتل البنات لرقة ومحبة كان موتهن احب اليه وآثر عنده وللخاطب ﴾ بالبناء للمفعول ﴿ الى عقيل بن علفة ﴾ بن الحرث اليربوعى يكنى ابا العملس وامه عمرة بنت الحرث بن عوف المرى وامها بنت بدر ابن حصين بن حذيفة شاعر من شعراء الدولة الاموية وكان اهوج جافيا شديد الغيرة والعجرفة والبذخ بنسبه وهو من بيت شرف فى قومه من كلا طرفيه وكان لايرى ان له كفؤا وكانت قريش ترغب فى مصـاهرته وتزوج يزيد ابن عبدالملك بعض بناته ودخل على عثمان بن حيان وهو امير المدينة فقال له عثمان زوجنى بعض بناتك فقال أبكرة من ابلى تعنى فقال له عثمان اجنون انت قال اى شئ قلت لى قال قلت لك زوجنى بنتك فقال ان كنت تريد بكرة من ابلى فنعم وكان له جار جهنى فخطب اليه ابنته فغضب عقيل واخذ الجهنى فكتفه ودهن استه بشحم او بزيت وادناه من قرية النمل فاكل خصيتيه حتى ورم جسده ثم حله وقال ايخطب الى عبدالملك بن مروان وارده وتجترئ انت على ان تخطب الى ﴿ ابنته الجرباء ﴾ عطف بيـان من ابنة فالخاطب اما عبدالملك او عثمان بن حيان ﴿ قال ﴾ راجزا ﴿ انى وان سيق الى المهر . الف وعبدان وذود عشر . احب اصهارى الى القبر ﴾ والذود هنـا هو القطيع من الثلاثة الى العشرة يقـال له ذود من الابل واذاود وقوله الف بدل من المهر يعنى الف دينار ﴿ وقال عبيدالله بن عبدالله بن طاهر ﴾ من الطويل ﴿ لكل ابى بنت يراعى شؤنها ﴾ جمع شأن تقول ماشأنك اى ما امرك وحالك وخطبك والجملة صفة اب ﴿ ثلاثة اصهـار اذا حمد الصهر ﴾ ويروى اذاذكر الصهر ﴿ فبعل يراعيها وخدر يكنها ﴾ ويروى وبيت يصونها والخدر الساتر مطلقـا ويكن من الباب الاول او من الافعال يقال كننه واكنه اذا سـتره ﴿ وقبر يواريها وافضلهـا القبر ﴾ الضمائر الاول للبنت والاخير للاصهـار وقال عبدالعزيز الديرينى رحمه الله * احب بنيتى ووددت انى . دفنت بنيتى فى قاع لحد * وما بى ان تهون على لكن . مخـافة ان تذوق الذل بعدى * فان زوجتها رجلا فقيرا . اراها عنده والهم عندى * وان زوجتها رجلا غنيا . فيلطم خدها ويسب جدى * سألت الله يأخذها قريبا . ولوكانت احب الناس عندى . وقال الباخرزى * القبر اخفى سترة للبنات . ودفنها يروى من المكرمات * اما رأيت الله عزاسمه . قدوضع النعش بجنب البنات

﴿ فصل واما المواخاة بالمودة وهى الرابع من اسباب الالفة فلانها تكسب بصادق الميل اخلاصا ومصافاة وتحدث بخلوص المصافاة وفاء ومحاماة ﴾ يقال حاميت عنه اذا حفظته ومنعت عنه مايوذيه ﴿ وهذا اعلى مراتب الالفة ولذلك آخى رسول الله صلى الله عليه وسلم بين اصحابه ﴾ اى عقد بينهم الاخوة ﴿ لتزيد الفتهم ويقوى تظافرهم وتناصرهم ﴾ الثابتة اصولها بالدين قال القسطلانى وقد كانت المواخاة مرتين الاولى بين المهاجرين بعضهم وبعض بمكة قبل الهجرة على الحق والمواساة فاخى صلى الله عليه وسلم بين ابى بكر وعمر رضى الله عنهما وبين حمزة وزيد بن حارثة وبين عثمان وعبدالرحمن بن عوف وبين الزبير وابن مسـعود وبين عبيدة بن الحـارث وبلال وبين مصـعب بن عمير وسعد بن ابى وقاص وبين ابى عبيدة وسالم مولى ابى حذيفة

وفى الجامع الصغير عن ابن عمر مرفوعا دفن البنات من المكرمات اى من الامور التى يكرم الله بها آباءهن -ونعم الصهر القبر قال بعضهم وهذا اخرج مخرج التعزية للنفس منه

وبين سعيد بن زيد وطلحة بن عبيدالله وبين على ونفسه صلى الله عليه وسلم ورضى الله عنهم ولما نزل المدينة آخى بين المهاجرين والانصار على المواساة والحق فى دار انس بن مالك رضى الله عنه قال ابن سعد انه آخى بين مأة خمسين من المهاجرين وخمسين من الانصار وكان ذلك قبل بدر بخمسة اشهر وكانوا يتوارثون بذلك دون القربات حتى نزلت واولوا الارحام بعضهم اولى ببعض وقت وقعة بدر فنسخ ذلك قل ابن عبدالبر كانت المواخاة بعد قدومه عليه السلام المدينة بخمسة اشهر وقال لهم تآخوا فى الله عز وجل اخوين اخوين وفى مشروعية التواخى فى الله عز وجل بصحبة الصلحاء واخوتهم عون كبير وتأمل تأثير الصحبة فى كل شئ حتى الحطب بصحبة النجار يعتق من النار فعليك بصحبة الاخيار بشروطها التى منها دوام صفائهم ووفائهم (وعقد الاخوة) ان يقول احدهما واخيتك فى الله عز وجل واسقطنا الحقوق والكلفة ويقول الآخر مثله ويدعوه باحب اسمائه ويثنى عليه ويذب عنه ويدعوله ابدا فى غيبته ولا يسمع فيه ولا فى مسلم سوأ ولا يصادق عدوه ويتفرق كل على ودصاحبه ورعايته شرط الحديث ورجلان تحابا فى الله عز وجل اجتمعا على ذلك وتفرقا عليه ﴿ وروى عن النبى صلى الله عليه وسلم انه قال عليكم باخوان الصدق فانهم زينة فى الرخاء وعصمة فى البلاء ﴾ وقال على رضى الله عنه عليكم بالاخوان فانهم عدة فى الدنيا والآخرة الا تسمعون الى قول اهل النار فما لنا من شافعين ولا صديق حميم ﴿ وروى ابوالزبير عن سهل بن سعد ﴾ الساعدى ﴿ ان النبى صلى الله عليه وسلم قال المرء كثير باخيه ﴾ نسبا او دينا ومواخاة اذا ساعده على امره قال شهاب الدين رواه ابن عدى فى الكامل بسند ضعيف ﴿ ولا خير فى صحبة من لا يرى لك من الحق ﴾ وفى رواية من الفضل ﴿ مثل ماترى له ﴾ حكى عن القاضى يحيى بن اكثم قال كنت مع المأمون فى بستان مشينا فيه من اوله الى آخره وكنت انا مما يلى الشمس والمأمون مما يلى الظل فكان يجذبنى ان اتحول انا فى الظل ويكون هو فى الشمس فامتنع من ذلك حتى بلغنا آخر البستان فلما رجعنا قال يا يحيى والله لتكونن فى مكانى ولاكونن فى مكانك حتى آخذ نصيبى من الشمس كما اخذت نصيبك وتأخذ نصيبك من الظل كما اخذت نصيبى فقلت والله لو قدرت يا امير المؤمنين ان اقيك يوم الهول بنفسى لفعلت فلم يزل بى حتى تحولت الى الظل وتحول هو الى الشمس ووضع يده على عاتقى وقال بحياتى عليك الا وضعت يدك على عاتقى مثل مافعلت انا فانه لا خير فى صحبة من لا ينصف ﴿ وقال عمر بن الخطاب رضى الله عنه لقاء الاخوان جلاء الاحزان ﴾ ويروى الاجفان ﴿ وقال خالد بن صفوان ان اعجز الناس من قصر فى طلب الاخوان ﴾ يقال قصر فى الامر اذا انتهى وهو قادر عليه ﴿ واعجز منه من ضيع من ظفر به منهم وقال على كرم الله وجهه لابنه الحسن يا بنى الغريب من ليس له حبيب وقال ابن المعتز من اتخذ اخوانا كانوا له اعوانا ﴾ جمع عون بمعنى الظهير ﴿ وقال بعض الادباء افضل الذخائر اخ وفى ﴾ صيغة فعيل من الوفاء ﴿ وقال بعض البلغاء صديق مساعد عضد وساعد ﴾ به يجتلب المنافع ويدفع المضار ﴿ وقال بعض الشعراء ﴾ من الطويل ﴿ هموم رجال فى امور كثيرة وهمى من الدنيا صديق مساعد * تكون كروح بين جسمين قسمت ﴾ بالبناء للمفعول ﴿ فجسماهما جسمان والروح واحد ﴾ وهذه اقصى مراتب الحب والموافقة ﴿ وقيل انما سمى الصديق صديقا لصدقه و ﴾ سمى ﴿ العدو عدوا لعدوه ﴾ وتجاوزه ﴿ عليك ﴾ او على حقوقك ﴿ وقال ثعلب ﴾ هو ابو العباس

ثعلب احمد بن يحيى بن يزيد بن سيار الشيباني البغدادي كان من ائمة الكوفة في النحو واللغة تولد في مأتين وحفظ كتب الفراء واتقنه بحيث لو احرقت لكتبها من حفظه وهو ابن ست عشر وسمع من ابن الاعرابي ومن محمد بن سلام وعلي بن المغيرة ونفطويه وابي عمر والزاهد ومن جمع كثير حتى فضل على اهل عصره وله مؤلفات في النحو والقراءة توفي سنة احدى وتسعين ومأتين ﴿ انما سمي الخليل خليلا لان محبته تخلل القلب ﴾ اي تنفذ فيه ﴿ فلا تدع فيه خللا الا ملأته ﴾ وتسري منه الى الجوارح فيكون الخليل بكليته مشغولا بمن يخالله ﴿ وانشد الرياشي قول بشار ﴾ من الخفيف ﴿ قد تخللت مسلك الروح مني . وبه ﴾ اي بسبب ذلك التخلل ﴿ سمي الخليل خليلا ﴾ يقال هو خليله اي صديقه او هو المحب الصادق او هو من اصفى المودة وصححها من شائبة الخلل والفرض ﴿ والمواخاة في الناس قد تكون على وجهين احدها اخوة مكتسبة بالاتفاق ﴾ افتعال من الوفق يقال اتفقا اذا تقاربا ﴿ الجاري مجرى الاضطرار ﴾ لخلق الله تعالى في النفوس الميل الى من يجانسه و يشاكله وما جبل عليه الانسان فكالمضطر فيه لما قيل الطبع املك عليك اولك ﴿ والثانية مكتسبة بالقصد والاختيار فاما المكتسبة بالاتفاق فهي اوكد حالا لانها تنعقد ﴾ ناشئة و منبعثة ﴿ عن اسباب ﴾ موجودة فطرة في المتواخيين ﴿ تعود ﴾ المواخاة ﴿ اليها ﴾ اي الى تلك الاسباب وهي موجودة فطرة فالمواخاة ضرورية لايمكن دفعها كما لايمكن دفع الايلام بعد ثبوت الضرب ومنع الاحتراق بعد مماس النار ﴿ والمكتسبة بالقصد تعقد لها اسباب ﴾ اختيارية اوغريزية ﴿ تنقاد اليها ﴾ اي ترجع المواخاة المكتسبة الى تلك الاسباب وتعتمد عليها بحسب قوتها و ضعفها وربما تكون تكلفا و خديعة فتصير المواخاة معاداة ﴿ وما كان جاريا بالطبع فهو الزم مما هو حادث بالقصد ﴾ الموصولان اما عبارتان عن المواخاة فالكبرى مطوية او عام كما هو الظاهر فالنتيجة مقدرة اي فالمكتسبة بالاتفاق الزم ﴿ ونحن نبدأ بالوجه الاول المكتسب بالاتفاق ثم نعقبه بالوجه الثاني المكتسب بالقصد * اما المكتسب بالاتفاق فله اسباب نبتدئ بها ﴾ لان تلك الاسباب مقدمات و معدات للمواخاة ﴿ ثم ننتقل في غاية احواله المحدودة الى سبع مراتب ﴾ التي هي لوازم تلك المعدات و نتائج تلك المقدمات ﴿ ربما استكملتهن ﴾ في بعض من واخيته ﴿ وربما وقفت على بعضهن ﴾ في مواخاة بعض آخر وانما اتى بهذين النعتين لان المحبة ذوقي لايتعين مراتبها بل اصلها بدون ذوق فكأنه يقول انا قد سافرنا في تلك الفيافي كثيرا فحين بذلنا المجهود ووصلنا المقصود و حينا اتعبنا المراكب وما جاوزنا بعض تلك المراتب فاخباري عن الذوق والعيان لا عن الحكاية والبهتان ﴿ ولكل مرتبة من ذلك حكم خاص ﴾ بتلك المرتبة ﴿ وسبب موجب ﴾ لها فبذلك السبب تميز تلك المرتبة عن غيرها و بقوة الحكم الخاص بها يستعد الترقي الى ما فوقها و هكذا الى غير النهاية في محبة الخالق وحتى يفنى فيمن احبه في محبة المخلوق كما سيفصله ﴿ قال الشاعر ﴾ من المديد ﴿ ماهوى الا له سبب . يبتدي منه وينشعب ﴾ اي يتفرق وينقسم الى مراتبه ﴿ فاول اسباب الاخاء التجانس في حال يجتمعان ﴾ اي المتواخيان ﴿ فيها ويأتلفان بها فان قوي التجانس قوي الائتلاف به ﴾ اي بقوة التجانس ﴿ وان ضعف كان ﴾ الائتلاف ﴿ ضعيفا مالم تحدث علة اخرى يقوى بها الائتلاف ﴾ كالمصاهرة والبر

و نحو ذلك ﴿ وانما كان كذلك ﴾ اى كلما قوى التجانس قوى الائتلاف وكلما ضعف ضعف ﴿ لان الائتلاف بالتشاكل ﴾ اى بالتوافق ﴿ والتشاكل بالتجانس ﴾ اى بالتشابه ومع التجانس التآنس ويقال كيف يؤانسك من لا يجانسك ﴿ فاذا عدم التجانس من وجه انتفى التشاكل من وجه ﴾ على قدر انتفاء التجانس قله بقله وكله بكله ﴿ ومع انتفاء التشاكل ﴾ ولو من وجه ﴿ يعدم الائتلاف ﴾ اى يصير معدوما اما اصله او ازدياده ونماؤه ﴿ فثبت ان التجانس وان تنوع اصل الاخاء وقاعدة الائتلاف ﴾ اى اساسه ﴿ وقد روى يحيى بن سعيد ﴾ الانصارى ﴿ عن عمرة ﴾ بنت عبدالرحمن ﴿ عن عائشة رضى الله عنها عن النبى صلى الله عليه وسلم ﴾ رواه البخارى بهذا السند ومسلم عن ابى هريرة ﴿ انه قال الارواح ﴾ التى يقوم بها الجسد وتكون بها الحياة ﴿ جنود مجندة ﴾ اى جموع مجمعة و انواع مختلفة ﴿ فما تعارف منها ﴾ اى توافق فى الصفات و تناسب فى الاخلاق ﴿ ائتلف وما تناكر منها ﴾ اى لم يوافق ولم يناسب ﴿ اختلف ﴾ والمراد الاخبار عن مبدأ كون الارواح وتقدمها على الاجساد اى انها خلقت اول خلقتها على قسمين من ائتلاف واختلاف اذا تقابلت وتواجهت ومعنى تقابلها ما جعله الله عليها من السعادة والشقاوة والاخلاق فى مبدأ الخلق فاذا تلاقت الاجساد التى فيها الارواح فى الدنيا ائتلفت على حسب ما خلقت عليه ولذا ترى الخير يحب الاخيار ويميل اليهم والشرير يحب الاشرار ويميل اليهم وقال الطيبى الفاء فى فما تعارف للتعقيب اتبعت الجمل بالتفصيل فدل قوله ما تعارف على تقدم اختلاط فى الازل ثم تفرق بعد ذلك فى ازمنة متطاولة ثم ائتلاف بعد التعارف كمن فقد انيسه واليفه ثم اتصل به وهذا التعارف الهامات يقذفها الله تعالى فى قلوب العباد من غير اشعار منهم بالسابقة وفى حديث ابن مسعود عند العسكرى مرفوعا الارواح جنود مجندة تلتقى فتشام كما تشام البعير فما تعارف منها ائتلف وما تناكر منها اختلف فلو ان رجلا مؤمنا جاء الى مجلس فيه مأة منافق وليس فيه الا مؤمن واحد لجاء حتى يجلس اليه ولو ان منافقا جاء الى مجلس فيه مأة مؤمن وليس فيه الا منافق واحد لجاء حتى يجلس اليه والديلمى بلا سند عن معاذ بن جبل مرفوعا لو ان رجلا مؤمنا دخل مدينة فيها الف منافق ومؤمن واحد لشم روحه روح ذلك المؤمن وعكسه ولابى نعيم فى الحلية فى ترجمة اويس انه لما اجتمع به هرم بن حيان العبدى ولم يكن لقيه خاطبه اويس باسمه فقال له هرم من اين عرفت اسمى واسم ابى فوالله ما رأيتك ولا رأيتنى قال عرفت روحى روحك حين كلمت نفسى نفسك وان المؤمنين يتعارفون بروح الله وان نأت بهم الدار وقال بعضهم اقرب القرب مودة القلوب وان تباعدت الاجسام وابعد البعد تنافرها وان تدانى الاجسام ولبعضهم * ان القلوب لاجناد مجندة . قول الرسول فمن ذا فيه يختلف * فما تعارف منها فهو مؤتلف . وما تناكر منها فهو مختلف * ولآخر * بينى وبينك فى المحبة نسبة . مستورة فى سر هذا العالم * نحن الذين تحابت ارواحنا . من قبل خلق الله طينة آدم * والبخارى ذكر هذا الحديث لاثبات ان الانسان مركب من الروح والجسد انتهى ﴿ وهذا ﴾ الحديث ﴿ واضح ﴾ الدلالة على ان الائتلاف بالتعارف ﴿ وهى ﴾ اى الارواح ﴿ بالتجانس متعارفة وبفقده متناكرة وقيل فى منثور الحكم الاضداد لا تتفق والاشكال لا تفترق ﴾ وفى الاحياء وكان مالك بن دينار يقول لا يتفق اثنان فى عشرة الا وفى احدهما

وصف من الآخر وان اجناس الناس كاجناس الطير ولا يتفق نوعان من الطير في الطيران الا وبينهما مناسبة قال فرأى يوما غرابا مع حمامة فعجب من ذلك فقال اتفقا وليسا من شكل واحد ثم طارا فاذاهما اعرجان فقال من ههنا اتفقا واذا اصطحب اثنان برهة من زمان ولم يتشا كلا في الحال فلا بد ان يفترقا وهذا معنى خفي تفطن له الشعراء حتى قال قائلهم * وقائل كيف تفارقتما. فقلت قولا فيه انصاف * لم يك من شكلى ففارقته. والناس اشكال وآلاف * فظهر ان الانسان قد يحب لذاته لا لفائدة تنال منه فى حال اومآل بل لمجرد المجانسة والمناسبة والتجربة تشهد للائتلاف عند التناسب واما الاسباب التى اوجبت تلك المناسبة فليس فى قوة البشر الاطلاع عليها وغاية هذيان المنجم ان يقول اذا كان طالعه على تسديس طالع غيره اوتثليثه فهذا نظر الموافقة والمودة فيقتضى التناسب والتواد واذا كان على مقابلته اوتربيعه اقتضى التباغض والعداوة فهذا لوصدق بكونه كذلك فى مجارى سنة الله فى خلق السموات والارض لكان الاشكال فيه اكثر من الاشكال فى اصل التناسب فلا معنى للخوض فيما لم يكشف سره للبشر فما اوتينا من العلم الا قليلا ويكفينا فى التصديق بذلك التجربة والمشاهدة وورود الخبر به انتهى ﴿ وقال بعض الحكماء بحسن تشاكل الاخوان يلبث التواصل ﴾ ويبقى ﴿ ولبعضهم ﴾ من الطويل ﴿ فلا تحتقر نفسى وانت خليلها . فكل امرئ يصبو الى من يشاكل ﴾ يعنى احتقارك اياى يرجع الى تحقير نفسك لانا مشاكلان واراد به المعنى البعيد ونهاه عنه يعنى لا ارضى باحتقار خليلى الذى هو انت وهذا معنى لطيف وان كان بعيدا لان من قواعد المحبة تقديم الحبيب على النفس كما قال بعضهم * قالوا حبيبك محموم فقلت لهم . نفسى الفداء له من كل محذور * فليت علته بى غير ان له . اجر العليل وانى غير مأجور ﴿ وقال آخر * فقلت اخى قالوا اخ من قرابة ﴾ اى قلت لامرئ هو اخى فقالوا فالفاء داخلة على قالوا من جهة المعنى قدم عليه لضرورة الوزن ﴿ فقلت لهم ان الشكول اقارب ﴾ جمع اقرب ﴿ نسيبى فى رأيى وعزمى وهمتى ﴾ اى هو نسيبى فيها ﴿ وان فرقتنا فى الاصول المناسب ﴾ جمع نسب على غير القياس * وليس اخى الا الصحيح وداده . ومن هو فى وصلى وقربى راغب * وقال ابو تمام * ذوالود منى وذوالقربى بمنزلة . واخوتى اسوة عندى وخلانى * عصابة جاورت آدابهم ادبى . فهم وان فرقوا فى الارض جيرانى * ارواحنا فى مكان واحد وغدت . اجسامنا فى عراق او خراسان ﴿ ثم تحدث بالتجانس المواصلة بين المتجانسين وهى المرتبة الثانية من مراتب الاخاء وسبب المواصلة بينهما وجود الاتفاق منهما فصارت المواصلة نتيجة التجانس و﴾ صار ﴿ السبب فيها ﴾ اى فى المواصلة ﴿ وجود الاتفاق لان عدم الاتفاق منهما منفر وقد قال الشاعر ﴾ من الكامل ﴿ الناس ان وافقتهم عذبوا ﴾ بضم الذال اى صاروا عذبا اى طيبا ومستساغا ﴿ اولا ﴾ اى وان لا توافقهم ﴿ فان جناهم مر ﴾ الجنى الثمرة المجنية والجملة جزاء الشرط اوعلته قائمة مقامه اى فاحذر عداوتهم فان ماتجتنيه منهم مر على ذلك التقدير ﴿ كم من رياض لا انيس بها. تركت لان طريقها وعر ﴾ هو ضد السهل ﴿ ثم تحدث عن المواصلة رتبة ثالثة وهى المؤانسة وسببها الانبساط ﴾ والسرور فى الاساس انه ليبسطنى ماابسطك ويقبضنى ماقبضك اى يسرنى ويطيب نفسى ماسرك ويسوئنى ماساءك على التشبيه ببسط الفراش ونشره ﴿ ثم تحدث عن المؤانسة رتبة رابعة وهى المصافاة ﴾ وهى عبارة عن

(خلوص)

خلوص الخلة يقال صافاه اذا صدقه الاخاء ﴿ وسببها خلوص النية ثم تحدث عن المصافاة رتبة خامسة وهى المودة وسببها الثقة وهذه المرتبة هى ادنى الكمال فى احوال الاخاء وماقبلها من المراتب اسباب تعود اليها ﴾ قال عبدالله بن المعتز لايزال الاخوان يسافرون فى المودة حتى يبلغوا الثقة فاذا بلغوها القوا عصى التسيار واطمأنت بهم الدار واقبلت وفود النصائح وامنت خبايا الضمائر وحلوا عقدة التحفظ ونزعوا ملابس التجلق ﴿ فان اقترن بها المعاضدة ﴾ اى المعاونة ﴿ فهى ﴾ اى المودة التى اقترن بها المعاونة ﴿ الصداقة ثم يحدث عن ﴾ تلك ﴿ المودة رتبة سادسة وهى المحبة وسببها الاستحسان فان كان الاستحسان لفضائل النفس ﴾ من الحكمة والعدل والحلم والجود والعفة ونحو ذلك ﴿ حدثت رتبة سابعة وهى الاعظام ﴾ يقال اعظمه اذا رآه عظيما او اذا فخمه ﴿ وان كان الاستحسان للصورة والحركات حدثت رتبة ثامنة وهى العشق ﴾ قال الجاحظ العشق اسم لمافضل عن المحبة كما ان السرف اسم لما جاوز الجود ﴿ وسببه الطمع وقد قال المأمون ﴾ من الرمل ﴿ اول العشق مزاح وولع ﴾ يقال مازحه اذا داعبه وولع بالشئ اذا علق به شديدا وكان احرص عليه ﴿ ثم يزداد ﴾ اى الولع ﴿ اذا زاد الطمع . كل من يهوى وان عالت به ﴾ اى افتخرت وتزينت به الفضائل فى نفسه ﴿ رتبة الملك ﴾ ومقام الرياسة العامة ﴿ ان يهوى تبع ﴾ يعنى العاشق وان كان له رياسة عامة وفضائل نفسانية تابع لمن عشق قال الرشيد * ملك الثلاث الآنسات عنانى . وحللن من قلبى بكل مكان * مالى تطاوعنى البرية كلها . واطيعهن وهن فى عصانى * ماذاك الا ان سلطان الهوى . وبه قوين اعز من سلطانى * وقال ابن الاحمر سلطان الاندلس * ايا ربة الخدر التى اذهبت نسكى . على كل حال انت لابدلى منك * فامابذل وهو اليق بالهوى . واما بعز وهو اليق بالملك * وقال الحكم بن هشام * ظل من فرط حبه مملوكا . ولقد كان قبل ذاك مليكا * تركته جآذر القصر صبا . مستهاما على الصعيد تريكا * يجعل الخد واضعا تحت ترب . للذى يجعل الحرير اريكا * هكذا يحسن التذلل بالحر اذا كان فى الهوى مملوكا * وابلغ من جميعها واحسن ماقاله السلطان سليم الاول * شيرلر پنجهٔ قهرمده اولورکن لرزان . بنى بر كوزلرى آهويه زبون ايتدى فلك * وفى تزيين الاسواق سأل المأمون يوما ما العشق فقال ابن اكثم سوانح للمرء توثر بها النفس ويهيم بها القلب فقال له ثمامة انما شانك ان تفتى فى مسئلة طلاق او محرم صاد صيدا (٢) فقال المأمون قل ياثمامة فقال العشق جليس ممتع واليف مونس وصاحب مالك وملك قاهر مسالكه لطيفة ومذاهبه غامضة واحكامه جائرة ملك الابدان وارواحها والقلوب وخواطرها والعيون ونواظرها والعقول وآراءها واعطى عنان طاعتها وقياد ملكها وقوى تصرفها توارى على الابصار مدخله وغمض فى القلوب مسلكه فقال له المأمون احسنت وامر له بالف دينار وقال ابن صاعد فى طبقات الامم عن فيثاغورس صاحب سليمان عليه السلام العشق طمع يتولد فى القلب يعنى عن النظر ثم ينمو ويحدث اللجاج والاحتراق حتى ان الدم يهرب عند ذكر المحبوب وقد يموت من شهقة اوبرؤية المحبوب بغتة وربما اختنقت الروح من نحو ذلك فيدفن ولم يمت وقال افلاطون العشق غريزة تتولد عن الطمع ولبعضهم * الحب اوله ميل يهيم به . قلب المحب فيلقى الموت كاللعب * يكون مبدؤه من نظرة عرضت . اومزحة اشعلت فى

في ديوان ابى الفضل عباس بن الاحنف انه قال ذلك على لسان الرشيد منه

(٢) اخذ الحافظ هذا المعنى فقال حلاج برسر دار اين نكته خوش سرايد . از شافعى مپرسيد امثال اين مسائل منه

القلب كاللهب * كالنار مبدؤها من قدحة فاذا . تضرمت احرقت مستجمع الحطب ﴿ وهذه الرتبة ﴾ الثامنة ﴿ آخر الرتب المحدودة وليس لما جاوزها رتبة مقدرة ولا حالة محدودة لانها قد ﴾ تزيد حتى ﴿ تؤدى الى ممازجة النفوس وان تميزت ذواتها وتفضى الى مخالطة الارواح وان تفارقت اجسادها ﴾ قال صاحب الكشكول رأيت فى كتاب بخط قديم ان الحب سر روحانى يهوى من عالم الغيب الى القلب ولذا سمى هوى من هوى يهوى اذا سقط ويسمى الحب بالحب لوصوله الى حبة القلب التى هى منبع الحياة واذا اتصل بها سرى مع الحياة فى جميع اجزاء البدن واثبت فى كل جزء صورة المحبوب كما حكى عن زليخا انها افتصدت يوما فارتسم من دمها على الارض يوسف يوسف قال صاحب الكتاب ولا تعجب من هذا لان عجائب بحر المحبة كثيرا نتهى وقد بين صاحب تزيين الاسواق مراتب العشق الى سبع اولها ما بين من افساد البدن وتعطيل الفكر والحاق العقلاء باهل الجنون والثانية تتولد عن تكرار نظر او سماع خطاب يتعقل له فى الذهن معنى يكون لحديد القلوب مغناطيسا جاذبا ولانظارها الفلسفية برهانا غالبا ويسمى العشق الحسى والثالثة الخيالية وهى عبارة عن استيعابه التخيل حتى لم يبق للعاشق تخيل الا صورة المعشوق وان شارك الناس فى الامور الظاهرة كانت تلك المشاركة غير تامة وعلامتها غلبة السهو ونقص الافعال والاحتياج الى محرك باعث . والرابعة مرتبة الحفظ وهى الاستيلاء على الحفظ فتصرف القوة عن تحصيل كل كمال والنظر الى كل جمال وهذا هو العشق الذى يرى صاحبه الميل الى سوى المحبوب اشراكا والفكر فى غيره ضياعا واشتغال الزمان بما سواه فسادا وخروجا واليه اشار ابن الفارض بقوله * ولو خطرت لى فى سواك ارادة . على خاطرى سهوا قضيت بردتى * والخامسة مرتبة الاستغراق وهى استيلاء الاشتغال بالمحبوب على النفس الناطقة بأسرها وارتسام صورة المحبوب فى مرآة العاقلة وحدها مع محو ما سواها . والسادسة مرتبة الانقلاب وهى مرتبة ينقلب فيها ادراك العاشق فى سائر آلاته فيصير اذا لمس الحجر او ذاق البصل او سمع الايذاء اورأى شيئا كالجيفة اوشم رائحتها فضلا عن اضداد ذلك يعتقده المحبوب وربما تجرد عن صورته فشاهدها المحبوب واليه اشار بقوله * فلم تهونى مالم تكن فى فانيا . ولم تفن مالم تجتلى فيك صورتى * وهذه المرتبة مع العناية والاخلاص تنقلب قدسية اذا كانت النفس الناطقة قبل ذلك قد تخلصت بالكمالات عن البهيمية والا الحقت صاحبها بالحيوانات وعنها عبرت الاطباء بالماليخوليا . والسابعة مرتبة العدم الكلى والمفارقة الابدية وهى التى اذا بلغتها النفس لم تستقر فى البدن وربما كانت مفارقتها بتذكر اوسماع ذكر او تنفس صعداء اوامر من المحبوب وحاصلها ان يصير الموت اعظم امنية للنفس كما اشار اليه بقوله * فموتى بها وجدا حياة هنيئة . وان لم امت فى الحب عشت بغصتى * وفى الاحياء الحب اما محمود واما مذموم واما مباح لا يحمد ولا يذم وقال يدخل فى المباح الحب للجمال اذا لم يكن المقصود قضاء الشهوة فان الصور الجميلة مستلذة فى العين وان قدر فقد اصل الشهوة حتى يستلذ النظر الى الفواكه والانوار والازهار والتفاح المشرب بالحمرة والى الماء الجارى والخضرة من غير غرض سوى لعينها وهذا الحب لا يدخل فيه الحب لله بل هو حب بالطبع

وشهوة للنفس ويتصور ذلك ممن لايؤمن بالله الا انهان اتصل به غرض مذموم صارمذموما كحب الصورة الجميلة لقضاء الشهوة حيث لايحل قضاؤها وان لم يتصل به غرض مذموم فهو مباح لايوصف بحمد ولاذم ﴿ وهذه ﴾ الممازجة والمخالطة ﴿ حالة لايمكن حصر غايتها ولا الوقوف عند نهايتها وقد قال الكندى الصديق انسان هوانت ﴾ فى جميع حالاتك ﴿ الا انه غيرك ﴾ فى المرأى فالمغايرة فى الباصرة فقط وهو يغلط كثيرا فلا اعتداد بحكمه لان البصيرة يحكم بان الصديق هوانت ﴿ ومثل هذا ﴾ خبر مقدم ﴿ القول ﴾ مبتدأ ﴿ المروى عن ابى بكر الصديق رضى الله عنه حين اقطع طلحة بن عبيدالله ارضا ﴾ اى قطعة من الارض ﴿ وكتب له بها كتابا واشهد فيه ناسا منهم عمر بن الخطاب رضى الله عنه فاتى طلحة بكتابه الى عمر ليختمه فامتنع عليه فرجع طلحة مغضبا الى ابى بكر رضى الله عنه وقال والله ما ادرى انت الخليفة ام عمر فقال بل عمر لكنه انا ﴾ اسم لكن راجع الى عمر وقدسبق انه كان بينهما عقدمواخاة وانشد فى المعنى * ايها السائل عن قصتنا . انا من اهوى ومن اهوى انا * نحن روحان حللنا بدنا . من رآنا لم يفرق بيننا * نحن مذ كنا على عهد الهوى . تضرب الامثال للناس بنا * فاذا ابصرته ابصرتنى . واذا ابصرتنى ابصرتنا * واحسن منه ماقيل * انا والمحبوب كنا فى القدم . نقطة واحدة من غيرمين * فبرانا الله اذ اظهرنا . مهجة واحدة فى بدنين * فاذا ما الجسم امسى فانيا . نلتقينا واحدا من غير بين * وهذه المرتبة يعبر عنها الصوفية بمقام الفناء والبقاء وفى القشيرية وقد ترى الرجل يدخل على ذى سلطان او محتشم فيذهل عن نفسه وعن اهل مجلسه هيبة وربما يذهل عن ذلك المحتشم حتى اذا سئل بعد خروجه من عنده عن اهل مجلسه وهيآت ذلك الصدور وهيآت نفسه لم يمكنه الاخبار عن شئ قال الله تعالى فلما رأينه اكبرنه وقطعن ايديهن لم يجدن عند لقاء يوسف عليه السلام على الوهلة الم قطع الايدى وهن اضعف الناس وقلن ماهذا بشرا ولقد كان بشرا وقلن ان هذا الاملك كريم ولم يكن ملكا فهذا تغافل مخلوق عن احواله عند لقاء مخلوق فما ظنك بمن تكاشف بشهود الحق سبحانه فلو تغافل عن احساسه بنفسه وعن ابناء جنسه فاى الحجوبة فيه فمن فنى عن جهله بقى بعلمه ومن فنى عن شهوته بقى بانابته ومن فنى عن رغبته بقى بزهادته ومن فنى عن منيته بقى بارادته وكذلك القول فى جميع صفاته فاذا فنى العبد عن صفاته بماجرى ذكره يرتقى عن ذلك بفنائه عن رؤية فنائه والى هذا اشار قائلهم * فقوم تاه فى ارض بقفر . وقوم تاه فى ميدان حبه * فافنوا ثم افنوا ثم افنوا . وابقوا بالبقا من قرب ربه * فالاول فناء عن نفسه وصفاته ببقاءه بصفات الحق ثم فناؤه عن صفات الحق بشهوده الحق ثم فناؤه عن شهود فنائه باستهلاكه فى وجود الحق وتفصيله فيها ﴿ واما ﴾ الاخوة ﴿ المكتسبة بالقصد فلا بدلها من داع يدعو اليها وباعث يبعث عليها وذلك الداعى من وجهين رغبة وفاقه فاما الرغبة فهى ان يظهر من الانسان فضائل ﴾ نفسانية كالورع والزهد والمواظبة على سنن الصالحين خصوصا مع العلم والعدل والشجاعة ﴿ تبعث ﴾ تلك الفضائل ﴿ على اخائه و ﴾ ان ﴿ يتوسم بجميل ﴾ ذكر وصيت حسن ﴿ يدعوالى اصطفائه ﴾ وايثاره على مشاركيه فى بعض تلك الاوصاف ﴿ وهذه الحالة اقوى ﴾ اخوة ﴿ من التى بعدها لظهور الصفات

المطلوبة ﴿ لاصطفاء الاخوان ﴾ من غير تكلف لطلبها ﴿ من سبر احوالهم وكشف اخلاقهم ﴾ وانما يخاف عليها ﴿ على هذه الحالة ﴾ من الاغترار بالتصنع لها فليس كل من اظهر الخير كان من اهله ولا كل من تخلق بالحسنى كانت من طبعه ﴿ بل يجوز ان يكون متكلفا ﴾ والمتكلف للشئ منافله ﴿ طبعا فهو لئيم الطبع اتخذ الفضائل مصائد ﴾ الا ان يدوم عليه اى على ذلك الشئ ﴿ مستحسنا له فى العقل اومتدينا به فى الشرع فيصير متطبعا به ﴾ باكراه نفسه عليه ﴿ لامطبوعا عليه ﴾ يصدر منه بسهولة وطيب نفس ﴿ لانه قد تقدم من كلام الحكماء ليس فى الطبع ان يكون ﴾ ويوجد ﴿ ماليس فى المتطبع ﴾ بل كل شئ يكون بالطبع يكون بالتطبع وقد اتفق العرب والعجم على قولهم الطبع املك وبالادب يصير التطبع طباعا والتكلف له هوى مطاعا ولايذهب الطبيعة بالجملة ﴿ ثم نقول من المتعذر ان تكون جميع اخلاق الفاضل كاملة بالطبع ﴾ لان الله تعالى لم يجعل الفضائل فى شخص والرزائل فى آخر بل قسمها وتفردهو بالصفات الكمالية والنعوت الجلالية وقال الحسان رضى الله عنه فى النبى صلى الله عليه وسلم * واحسن منك لم ترقط عينى . واجمل منك لم تلد النساء * خلقت مبرأ من كل عيب . كأنك قد خلقت كما تشاء ﴿ وانما الاغلب ان يكون بعض فضائله بالطبع وبعضها بالتطبع الجارى بالعادة مجرى الطبع ﴾ والعادة ما استمر الناس عليه على حكم المعقول وعاد اليه مرة بعد اخرى ﴿ حتى يصير ماتطبع به فى العادة اغلب عليه مما كان مطبوعا عليه اذا خالف ﴾ ماكان مطبوعا عليه ﴿ العادة ﴾ ويسابق البخيل الجواد والجبان الشجاع والكسلان المقدم ونحو ذلك ﴿ ولذلك قيل العادة طبع ثان وقال ابن الرومى رحمه الله ﴾ من السريع ﴿ واعلم بان الناس من طينة ﴾ اى مخلوق منها ﴿ يصدق فى الثلب لها الثالب ﴾ اى العائب والمعير وان لامه بكل مايشين وفيه ميل الى جانب ابليس الا ان كفره لزم من انكاره الامر بالسجود لامن تحقير الطين ﴿ لولا علاج الناس اخلاقهم ﴾ فى تهذيبها وتزكيتها عن مساويها ﴿ اذا لفاح الحمأ اللازب ﴾ اى انتشر الطين الاسود المنتن الذى يلتزق بما اصابه يعنى ان القبائح موجودة فى المادة الاصلية تخمر تلك القبيحة بمرور الزمان وتفسد سائر المواد بغلبتها عليها بحيث تنتشر منهم القبيحة فقط لولا علاجهم طبائعهم واخلاقهم ﴿ واما الفاقة ﴾ معطوف على قوله فاما الرغبة وعديله ﴿ فهى ان يفتقر الانسان لوحشة انفراده ومهانة وحدته ﴾ اى لدفعهما ﴿ الى اصطفاء من يأنس به او اخاه ويثق بنصرته وموالاته ﴾ قال سليمان بن عبد الملك قد ركبنا الفاره وتبطنا الحسناء ولبسنا اللين حتى استخشناه واكلنا الطيب حتى مللناه فما انا اليوم الى شئ احوج منى الى جليس يضع عنى مؤنة التحفظ ﴿ وقد قالت الحكماء من لم يرغب فى ثلاث بلى بست من لم يرغب فى الاخوان بلى بالعداوة والخذلان ﴾ هو تركه حقيرا يقال خذله اذا ترك نصرته ﴿ ومن لم يرغب فى السلامة ﴾ بان يوقظ الشرور ويقع فيها ﴿ بلى بالشدائد والامتهان ﴾ اى الاحتقار ﴿ ومن لم يرغب فى المعروف ﴾ عند وسعه وقدرته عليه ﴿ بلى بالندامة والخسران ﴾ حين لم يقدر عليه ﴿ ولعمرى ﴾ اى اقسم بحياتى ﴿ ان اخوان الصدق من انفس الذخائر وافضل العدد ﴾ جمع عدة بالضم ﴿ لانهم سهماء النفوس اى انصباءها من هذه الدنيا الفانية ولذا جمع على سهماء كرحماء حملا له على مرادفه الذى

هو النصيب ﴿ واولياء النوائب ﴾ اى المصائب والبلايا يتفقدون فيها ﴿ وقد قالت الحكماء رب صديق اود من شقيق ﴾ هو الاخ لابوين ﴿ وقيل لمعاوية ايما احب اليك ﴾ اخوك ام صديقك ﴿ قال صديق يحببنى الى الناس ﴾ لان الاخ يتهم بسبب القرابة فلا يحصل به الغرض ﴿ وقال ابن المعتز القريب بعداوته بعيد والبعيد بمودته قريب وقال الشاعر ﴾ من الكامل ﴿ المودة ممن يحبك مخلصا . خير من الرحم القريب الكاشح ﴾ اى المضمر للعداوة ﴿ وقال آخر ﴾ من الطويل ﴿ يخوننى ذوالقربى مرارا وربما . وفى لك عندالعهد من لاتناسبه ﴾ قرابة وقال آخر * لا خير فى قربى بغير مودة . ولرب منتفع بود اباعد * واذا وجدت من البعيد مودة . فامدد له كف القبول بساعد ﴿ فاذا عزم ﴾ الانسان المفتقر لدفع وحشته ﴿ على اصطفاء الاخوان سبر احوالهم ﴾ والسبر الاختبار يقال سبر الجرح والبئر وغيره اذا امتحن غوره ﴿ قبل اخائهم وكشف عن اخلاقهم قبل اصطفائهم لما تقدم من قول الحكماء اسبر تخبر ﴾ مجزوم بان المقدرة بعد الامر اى تعلم بالكنه وقال ابوالدرداء رضى الله عنه وجدت الناس اخبر تقله اى وجدتهم مقولا فيهم هذا اى مامن احد الاوهو مسخوط الفعل عند الخبرة وتقله من القلى بمعنى البغض ﴿ ولا تبعثه الوحدة على الاقدام ﴾ على الاخاء ﴿ قبل الخبرة ولاحسن الظن على الاغترار بالتصنع فان الملق ﴾ اى القول الحسن مع خبث القلب يقال ملق له وملقه اذا اعطاه بلسانه ماليس فى قلبه ﴿ مصائد العقول والنفاق ﴾ القولى والفعلى ﴿ تدليس الفطن ﴾ اى حيلتها التى يحتال ويمكر بهما اهل العقول والفطن فكيف اغترار الجهال والحمق ﴿ وهما ﴾ اى الملق والنفاق ﴿ سجيتا المتصنع ﴾ اى خلقه يقال سجا البحر اذا سكن سمى به الملكات لسكونها فى النفس فهى تثنية فعيل بمعنى فاعل والتاء للنقل ﴿ وليس فيمن يكون النفاق والملق بعض سجاياه ﴾ خبر يكون ﴿ خير ﴾ اسم ليس ﴿ يرجى ولاصلاح يؤمل ﴾ وقد ورد استعاذة النبى صلى الله عليه وسلم من مثله فقال (اللهم انى اعوذبك من خليل ماكر) اى مظهر للمودة والوداد وهو فى باطن الامر محتال مخادع (عيناه تريانى) اى ينظر بهما نظر الخليل خداعا ومداهنة (وقلبه يرعانى) اى يراعى ايذائى (ان رأى حسنة دفنها) اى سترها وغطاها كما يدفن الميت (وان رأى سيئة اذاعها) اى ان علم منى بفعل خطيئة زلت بها نشرها واظهر خبرها بين الناس قال المناوى قيل اراد الاخنس بن شريق وقيل عام فى المنافقين ﴿ ولاجل ذلك قالت الحكماء اعرف الرجل من فعله لامن كلامه ﴾ لانه كثيرا مايقول مالا يفعله وينكر مافعله بخلاف الافعال فانها تشهد على فاعله ﴿ واعرف محبته من عينه لامن لسانه ﴾ لانها رائد القلب واللسان وان كان ترجمانه فهو ليس بمنزلته ولذا جعل الله لها حجابا وللسان حجابين وفى المثل رب عين انم من لسان ﴿ وقال خالد بن صفوان انما انفقت على اخوانى لانى لم استعمل معهم النفاق ولا قصرت بهم عن الاستحقاق ﴾ فيه ان التقصير فى استحقاقهم ومن جملته انفاقهم نفاق فمن انفق عليهم فقد انفق اى سلب النفاق وقطع عرقه ﴿ وقال حماد عجرد ﴾ على وزن جعفر كان ماجنا خليعا ظريفا متهما فى دينه بالزندقة ﴿ كم من اخ لك لست تنكره . مادمت فى دنياك فى يسر ﴾ من قبيل اكلت من ثمره من تفاحه ﴿ متصنع لك فى مودته . يلقاك بالترحيب والبشر ﴾ اى بطلاقة الوجه والبيت مفسر لقوله لست تنكره ﴿ فاذا عدا والدهر ذو غير ﴾ اسم من التغير اى

صاحب تغير وملازم له ﴿ دهر ﴾ فاعل عدا ﴿ عليك عدا ﴾ اى ذلك الاخ المتصنع ﴿ مع الدهر ﴾ يعنى يقبل باقباله ويدبر بادباره ﴿ فارفض باجمال مودة من يقلى ﴾ اى يبغض ﴿ المقل ويعشق المثرى ﴾ اى اترك بالجملة مودة محب يبغض الفقر ويحب الغنى لانه لايحب ذاتك بل مالك ﴿ وعليك من حالاه واحدة . فى العسر اما كنت واليسر ﴾ هما بدلان من حاليه اى حاله التى كونك فى العسر وحاله التى كونك فى اليسر وقدم العسر للاهتمام به فاما مركبة من ان الناصبة وما المزيدة يعنى الزم مودة اخ سيان عنده عسرك ويسرك يحبك كل حين لذاتك وقال الشافعى * ولاخير فى ود امرئ متلوم . اذا الريح مالت مال حيث تميل * وما اكثر الاخوان حين تعدهم . ولكنهم فى النائبات قليل ﴿ على ان الانسان موسوم بسيماء من قارب ومنسوب اليه افاعيل من صاحب ﴾ جمع افعال جمع فعل وعلى للاستدراك والاضراب من قوله فان الملق الى آخره ابطل بعلى الاغترار بالمتصنع لان غاية اغتراره اختلاسه شيئا من مالك واثبت على وجه الاضراب ماهو اعظم منه وهو اشتراكك فى اللوم والتعيير مع براءتك مما فعل صاحبك كما يقول الناس فعل اخوك كذا يريدون التعريض واللوم بل تعذب فى الآخرة كما ﴿ قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ﴾ اتفق الشيخان فى روايته عن انس وابن مسعود رضى الله عنهما ﴿ المرء ﴾ كائن ﴿ مع من احب ﴾ وسببه كما فى البخارى جاء رجل الى النبى صلى الله عليه وسلم فقال يارسول الله كيف تقول فى رجل احب قوما ولم يلحق بهم فقال المرء مع من احب وفى طريق آخر جاء اعرابى فقال يارسول الله والذى بعثك بالحق انى لاحبك فذكر الحديث فمن احب الابرار فهو مع الابرار ومن احب الفجار فهو مع الفجار وقال الله تعالى ومن يطع الله والرسول فاؤلئك مع الذين انعم الله عليهم من النبيين والصديقين والشهداء والصالحين وحسن اولئك رفيقا والمراد المعية فى الحشر ومنازل الآخرة فيرتقى من منزلته لمنزلتهم بسبب خلوص المحبة فانشدت لابن حجر رحمه الله * وقائل هل عمل صالح . اعددته ينفع عند الكرب * فقلت حسبى خدمة المصطفى . وحبه فالمرء مع من احب * وللخفاجى * وحق المصطفى لى فيه حب . اذا مرض الرجاء يكون طبا * ولا ارضى سوى الفردوس مأوى . اذا كان الفتى مع من احبا ﴿ وقال على بن ابى طالب رضى الله عنه الصاحب مناسب وقال عبدالله بن مسعود رضى الله عنه ما من شئ ادل على شئ ولا ﴾ دلالة ﴿ الدخان على النار من ﴾ دلالة ﴿ الصاحب على الصاحب و قال بعض الحكماء اعرف اخاك باخيه ﴾ الذى كان يواخيه ﴿ قبلك وقال بعض الادباء يظن بالمرء مايظن لقرينه ﴾ من المناقب والمثالب ﴿ وقال عدى بن زيد ﴾ كان من خواص الوليد بن عبدالملك . من الطويل ﴿ عن المرء لاتسئل وسل عن قرينه . فكل قرين بالمقارن يقتدى ﴾ فى افعال الخير والشر ﴿ اذا كنت فى قوم فصاحب خيارهم . ولا تصحب الاردى فتردى مع الردى ﴾ صيغة فعيل يقال ردى اذا هلك وبابه علم وايراده مفردا مع مقابلته بالخيار للايماء الى ان ذلك الواحد كثير يكفى للاهلاك كما ان العدو الواحد كثير والف صديق قليل ﴿ فلزم من هذا الوجه ﴾ وهو الهلاك مع الهالكين ﴿ ايضا ﴾ اى كما يحرز لدفع سوء الظن عن نفسه ﴿ ان يتحرز من دخلاء السوء ويجانب اهل الريب ليكون موفور العرض سليم الغيب فلا يلام بملامة غيره وهذا ﴾ التحرز ﴿ قبل التثبت ﴾ اى قبل

ثبوت اخلاق من تواخيه ﴿ والارتياء ﴾ اى قبل اعمال الفكر فيها بالتدبر والتأمل ﴿ و ﴾ قبل ﴿ مداومة الاختبار والابتلاء ﴾ مرة بعد اخرى ﴿ متعذر ﴾ خبر هذا ﴿ بل مفقود وقد ضرب ذوالرمة مثلا بالماء فيمن حسن ظاهره وخبث باطنه ﴾ الرمة بضم الراء وقد تكسر قطعة حبل بالية قيل علقت له تميمة به فى صغره وقيل لقبته به محبوبته مية وقد استسقاها وعلى كتفه قطعة حبل بالية فقالت اشرب ياذا الرمة فكان احب اسمائه اليه واسمه غيلان بن عقبة فوقع فى قلبه ماوقع وكان يذكرها فى شعره حتى غلبت عليه وعرف بها فقيل غيلان مى كما قيل كثير عزة قال ابن قتيبة مكثت مى تسمع شعر ذى الرمة ولاتراه فجعلت لله ان تنحر بدنة يوم تراه وكانت من اجمل النساء فلما رأته دميما اسود صاحت واسوأتاه واضيعة بدنتاه فقال * على وجه مى مسحة من ملاحة . وتحت الثياب الشين لوكان باديا * فكشفت عن جسدها وقالت اشينا ترى لا ام لك ﴿ فقال * الم تر ان الماء يخبث طعمه . وان كان لون الماء ابيض صافيا ﴾ فقالت له قدرأيت ماتحت الثياب فلم يبق الا ان اقول لك هلم فذق ماوراءه فوالله لاذقت ذلك ابدا فقال * فياضيعة الشعر الذى لج وانقضى . بمى ولم املك ضلالا فؤاديا * ثم صلح الامر بينهما فعادا لما كانا من حبهما وهو شاعر مجيد مكثر وصاف للاطلال والديار والصبر على قطع القفر ولم يكن احد فى زمانه ابلغ منه ولا احسن جوابا وكان كلامه احسن من شعره وقد عارضه رجل بسوق فقال يا اعرابى يهزأ به اتشهد بما لم تر قال نعم قال بما ذا قال اشهد ان اباك ناك امك وقال الاصمعى ما اعلم احدا من العشاق شكا احسن من شكوى ذى الرمة مع عفة وعقل وقال ابو عمرو بن العلاء بدئ الشعر بامرئ القيس وختم بذى الرمة مات فى اصبهان سنة سبع عشرة ومأة عن اربعين وآخر كلامه * يا مخرج الروح من نفسى اذا احتضرت . وفارج الكرب زحزحنى عن النار * وذوالرمة اتى البيت فى صورة الامثال لئلا يواجه معشوقته بخبث الطعم والا فالخطاب لمية فحق العبارة ان يقول الم ترى بصيغة المخاطبة فضرب مثلا والامثال لاتتغير ﴿ ونظر بعض الحكماء الى رجل سوء حسن الوجه فقال اما البيت فحسن واما الساكن فردى فاخذ حجظة ﴾ ابو الحسن احمد بن موسى بن يحيى بن خالد بن برمك كان شاعرا اديبا وعالما متفننا ولطائفه واخباره كثيرة وقد جمع ابو نصر بن مرزبان اشعاره واخباره وكان طيب الغناء قبيح الوجه ناتى العينين جدا فقال ابن الرومى فيه * نبيت جحظة يستعير جحوظه . من فيل شطرنج ومن سرطان * يارحمة لمنادميه تحملوا . الم العيون للذة الاذان ﴿ هذا المعنى فقال ﴾ من الخفيف يا ﴿ رب ما بين التباين فيه ﴾ جملة تعجبية اى ما ابعد المباعدة ﴿ منزل عامر وعقل خراب ﴾ بدل من الضمير المبهم اى فيهما وقال آخر * وهل ينفع الفتيان حسن وجوههم . اذا كانت الاعراض غير حسان * فلا تجعل الحسن دليلا على الفتى . فما كل مصقول الحديد يمانى ﴿ وانشدنى بعض اهل العلم ﴾ من البسيط ﴿ لاتركنن الى ذى منظر حسن . فرب رائقة قدساء مخبرها ﴾ من راقنى الشئ اى اعجبنى وعلا فى عينى يعنى لاتميلن الى كل ذى منظر حسن لان بعض روضة عالية فى العين بطراوة اشجارها واتصال ظلالها ونضارة اطلالها اذا سئلت عنها يقولون انها مسكن الافاعى ومأوى السباع ومبيت الغيلان ﴿ ما كل اصفر دينار لصفرته . صفر العقارب ارداها وانكرها ﴾ اى اسرعها اهلاكا

واخبثها سيما قوله صفر جمع اصفر ودينار بالرفع خبرما على لغة تميم (١) ﴿ ثم تقدم من قول الحكماء من لم يقدم الامتحان قبل الثقة والثقة قبل الانس اثمرت مودته ندما وقال بعض البلغاء مصارمة ﴾ اى مقاطعة ﴿ قبل اختيار افضل من مواخاة على اغترار ﴾ لان للمغرور ان يتنبه فالمصارمة متحققه مع العداوة على ماظهر من المساوى ﴿ وقال بعض الادباء لاتثق ﴾ من الوثوق ﴿ بالصديق قبل الخبرة ولاتقع بالعدو ﴾ بالهجوم عليه ﴿ قبل القدرة ﴾ على استيصاله وتدميره قال الجاحظ * اذا المرء اولاك الهوان فاوله . هوانا وان كانت قريبا اواصره * فان انت لم تقدر على ان تهينه . فذره الى اليوم الذى انت قادره * وقارب اذا مالم تكن لك قدرة . وصمم اذا ايقنت انك عاقره ﴿ وقال بعض الشعراء * لاتحمدن امرأ حتى تجربه . ولاتذمنه من غير تجريب ﴾ ويروى لاتمدحن وهو ظاهر واستعمال الحمد فى مقابلة الذم كثير * ان الرجال صناديق مقفلة . ومامفاتيحها غير التجاريب ﴿ فحمدك المرء مالم تبله خطأ . وذمه بعد حمد شر تكذيب ﴾ الا بلاء الاختبار وضمنه الحسن بن هانئ فقال * انى عجبت وفى الايام معتبر . والدهر يأتى بالوان الا عاجيب * من صاحب كان دنياى وآخرتى . عدا على جهارا عدوة الذيب * قدكان لى مثل لو كنت اعقله . من رأى غالب امر غير مغلوب * لاتمدحن البيت ﴿ فاذا قد لزم من هذين الوجهين ﴾ المدح والذم ﴿ سبر الاخوان قبل اخائهم وخبرة اخلاقهم قبل اصطفائهم فالخصال المعتبرة فى اخائهم بعد المجانسة التى هى اصل الاتفاق اربع خصال * فالخصلة الاولى عقل موفور يهدى الى مراشد الامور فان الحمق لاتثبت معه مودة ولاتدوم لصاحبه استقامة ﴾ فى مراعاة حقوق الاخاء ﴿ وقد روى عن النبى صلى الله عليه وسلم انه قال البذاء لؤم ﴾ اى الفحش فى القول دناءة وشح نفس ﴿ وصحبة الاحمق شوم ﴾ ضد اليمن يورث الخذلان ودخول النار ويروى سوء الملكة شوم ﴿ وقال بعض الحكماء عداوة العاقل اقل ضررا من مودة الاحمق لان الاحمق ربما ضر وهو يقدر انه ينفع ﴾ لعدم تميزه بين النفع والضرر فيتجاوز الحد فى ذلك ﴿ والعاقل لايتجاوز الحد فى مضرته فمضرته لها حد يقف عليه العقل ﴾ اذا انتهى الى ذلك الحد ﴿ ومضرة الجاهل ليست بذات حد والمحدود اقل ضررا مما هو غير محدود وقال المنصور للمسيب بن زهير ما مادة العقل فقال مجالسة العقلاء وقال بعض البلغاء من الجهل صحبة ذوى الجهل ومن المحال ﴾ على وزن كتاب يجئ لمعان الكيد وتسخير امر بالحيلة والتدبير والقدرة والجدال والعذاب والعقاب والعداوة والقوة والشدة والمحنة والهلاك ﴿ مجادلة ذوى المحال ﴾ هواما بكسر الميم ايضا فالمعنى من الهلاك اومن العذاب والعقاب مجادلة اصحاب التدبير والعقل او اصحاب القدرة واما بفتحها جمع محل اى مجادلة ارباب المنازل واصحاب المناصب ﴿ وقال بعض الادباء من اشار عليك ﴾ اى دل عليك اواومأ اليك ﴿ باصطناع جاهل ﴾ باختيارك اياه لنفسك ﴿ او عاجز لم يخل ﴾ ذلك الدال ﴿ ان يكون صديقا جاهلا ﴾ لم يعرف غاية اختيارها ﴿ اوعدوا عاقلا لانه يشير بما يضرك ويحتال ﴾ يقال احتال فلان اذا اتى بالحيلة ﴿ فيما يصنع منك ﴾ فى المستقبل ﴿ وقال بعض الشعراء ﴾ من الوافر ﴿ اذاما كنت متخذا خليلا . فلا تثقن بكل اخى اخاء ﴾ بمعنى المواخاة يعنى بكل اخ آخيته ﴿ فان خيرت بينهم فالصق ﴾ اى صر ذا الصوق والتصاق ﴿ باهل العقل منهم والحياء * فان العقل ليس له

(١) كما قال آخر . ومهفهف الاطراف قلت له انتسب . فاجاب ماقتل المحب حرام . يعنى انه من بنى تميم منه

اذاما . تفاضلت ﴾ اى تسابقت وتفاخرت ﴿ الفضائل من كفاء ﴾ اسم ليس ومن زائدة لتأكيد الاستغراق يعنى ان العقل يسبق جميع الفضائل وليس له كفؤ ونظير لانه ام الفضائل وهى رضائعها اللاتى لم تفطم * وان النوك للاحساب غول . واهون دائه داء العياء * ومن ترك المواقب مهملات . فايسر سعيه سعى العناء * فلا تثقن بالنوكى لشئ . ولو كانوا بنى ماء السماء * فليسوا قابلى ادب فدعهم . وكن من ذاك منقطع الرجاء ﴿ والخصلة الثانية الدين الواقف بصاحبه على الخيرات ﴾ تقول وقفته وقفا اذ افعلت به ما وقف يعنى اوقفته والدين لترغيبه على الخير وتنفيره عن الشر فكأنه وقف صاحبه وحبسه على الخير ﴿ فان تارك الدين عدو لنفسه ﴾ يلقيها فى المهالك ﴿ فكيف يرجى منه مودة لغيره ﴾ ونفسه اخص له واحب اليه ﴿ وقال بعض الحكماء اصطف من الاخوان ذا الدين والحسب والرأى والادب فانه رده ﴾ بكسر فسكون اى عون يعنى معين وناصر ﴿ لك عند حاجتك ﴾ لانه من مقتضيات دينه ﴿ ويد عند نائبتك ﴾ وذلك من موجبات رأيه وحسبه ﴿ وانس عند وحشتك ﴾ لادبه ﴿ وزين عند عافيتك ﴾ لجمعه الكمالات البشرية ومن كلام بعض العارفين الاخ الصالح خير من نفسك لان النفس امارة بالسوء والاخ الصالح لا يأمر الا بالخير وقال الشاعر * ولم نرمن بنى الدنيا سلاما . فان تره فابلغه سلامى ﴿ وقال حسان بن ثابت ﴾ بن المنذر بن الحرام الانصارى المدنى شاعر رسول الله صلى الله عليه وسلم من فحول شعراء الاسلام والجاهلية وعاش فيهما مائة وعشرين سنة وقال ابو نعيم لا يعرف فى العرب اربعة تناسلوا من صلب واحد اتفقت مدد اعمارهم هذا القدر غيرهم وعاش حسان فى الجاهلية ستين سنة وفى الاسلام كذلك مات سنة خمسين بالمدينة من الوافر ﴿ اخلاء الرخاء هم كثير . ولكن فى البلاء هم قليل * فلا يغررك كثرة من تواخى . فمالك عند نائبة خليل * وكل اخ يقول انا وفى ﴾ باشباع فتحة النون فى انا ﴿ ولكن ليس يفعل مايقول * سوى خل له حسب ودين. فذاك لما يقول هو الفعول * وقال آخر ﴾ من الكامل ﴿ من لم يكن فى الله خلته . فخليله منه على خطر ﴾ لان المحبة النافعة فى الدارين هو الحب فى الله كما قال آخر وكل محبة فى الله يبقى . على الحالين من فرج وضيق * وكل محبة فيما سواه . فكالحلفاء فى لهب الحريق * وقال آخر * وكل خليل ليس فى الله وده . فانى به فى وده غير واثق ﴿ والخصلة الثالثة ان يكون ﴾ من يصطفى للاخاء ﴿ محمود الاخلاق مرضى الافعال موثرا للخير ﴾ فى نفسه ﴿ آمرا به ﴾ لخليله ﴿ كارها للشر ﴾ ديانة وخلقا ﴿ ناهيا عنه ﴾ مروءة وحبا ﴿ فان مودة الشرير تكسب الاعداء ﴾ لان اعداء الشرير اعداء لخليله ﴿ وتفسد الاخلاق ﴾ اذ لابد لخليله من مماشاته واتباعه ولو فى بعض افعاله ﴿ ولاخير فى مودة تجلب عداوة وتورث مذمة وملامة ﴾ لان المودة للالفة فاذا ادت الى جلب العداوة خرجت عن موضوعها فلا خير فيها . وفى بعض النسخ (فان المتبوع تابع لصاحبه) بماله من اكتساب الاصدقاء والمحمدة وعليه من اجتلاب العداوة والمذمة ﴿ وقال عبدالله بن المعتز اخوان الشر كشجر النارنج ﴾ معرب نارنك ﴿ يحرق بعضها بعضا ﴾ وذلك لان عروقه قريبة من وجه الارض وان قشره ولبه مر غاية المرارة فيسمم ثمرته عروقه لو تركت على الارض حتى تفسد وكذا الحال مع اصول شجرة الخوخ واوراقه يعنى ان الاشرار يفسدون من

غول . اى داهية وبلاء اوسبب ضياع وهلاك يقال غالته غول اى اهلكته هلكة منه

ماء السماء وهو المنذر من امراء العرب وهو الذى قتل منذرك واعوانه منه

يصاحبهم ولو نشأوا منه وتموا بمعروفه ﴿وقال بعض الحكماء مخالطة الاشرار على خطر والصبر على صحبتهم كركوب البحر ﴾ وسفره ﴿ الذى من سلم منه ببدنه من التلف فيه لم يسلم بقلبه من الحذر منه ﴾ مادام فى البحر ﴿ وقال بعض البلغاء صحبة الاشرار تورث سوء الظن بالاخيار ﴾ لان الاشرار يذمون الاخيار ويبغضونهم فيظنهم المستمع صادقين وذلك سوء ظن بهم ﴿وقال بعض البلغاء من خير الاختيار ﴾ اصطفاء ﴿ صحبة الاخيار ومن شر الاختيار ﴾ اختيار ﴿ صحبة الاشرار وقال بعض الشعراء ﴾ من الوافر ﴿ مجالسة السفيه سفاه رأى ﴾ اى باعثة الى قلة العقل او ناشئة منها ﴿ ومن عقل مجالسة الحكيم * فانك والقرين معا سواء . كما قد الاديم من الاديم ﴾ اى كما قطع احد النعلين على مثال الآخر فاختيارك مجالسة السفيه ابتداء باعث الى سفاهتك انتهاء واجتباؤك مجالسة الحكيم ناشئ من علمك وحكمتك وباعث الى العقل ﴿ والخصلة الرابعة ان يكون من كل واحد منهما ميل الى صاحبه ورغبة فى مواخاته فان ذلك اوكد لحال المواخاة وامد لاسباب المصافاة اذ ليس كل مطلوب اليه طالبا ولا كل مرغوب اليه راغبا ومن طلب مودة ممتنع عليه ورغب الى زاهد فيه ﴾ ومجتنب عنه ﴿كان معنى ﴾ اسم مفعول من التعنية اى متعبا ومنصبا ﴾ خائبا كما قال البحترى ﴾ من الكامل ﴿ وطلبت منك مودة لم اعطها ﴾ بالمجهول ﴿ان المعنى طالب لا يظفر ﴾ بما يطلبه ويريده ﴿ وقال العباس بن الاحنف ابو الفضل الحنفى كان لطيف الطبع وخفيف الروح رقيق الحاشية حسن الشمائل جميل المنظر عذب الالفاظ كثير النوادر وكان اذا سمع الشعر الجيد ترنح له واستخفه الطرب وجميع اشعاره فى الغزل وكانت وفاته سنة ثلاث وتسعين ومأة قال الصفدى حكى صاحب الجليس والانيس انه كان الاصمعى يعادى عباس بن الاحنف فقال يوما بين يدى الرشيد والاصمعى حاضر * اذا احببت ان تعمل شيئا يعجب الناسا * فصورههنا فوزا . وصور ثم عباسا * فان لم يدنوا حتى . ترى رأسيهما رأسا * فكذبها بما قاست . وكذبه بما قاسا * فقال الرشيد ماسمعت معنى احسن من هذا فقال الاصمعى قد سبقه الى هذا المعنى رجل من العرب ورجل من النبط فقال ماقال العربى قال كان رجل يقال له عمر يحب جارية يقال لها قمر فقال * اذا احببت ان تعمل شيئا يعجب البشرا * فصورههنا قمرا . وصورههنا عمرا * فان لم يدنوا حتى . ترى بشريهما بشرا * فكذبها بما ذكرت . وكذبه بما ذكرا * قال الرشيد فما قال النبطى قال كان رجل يقال له روز يحب جارية يقال لها فلق فقال * اذا احببت ان تعمل شيئا يعجب الخلقا * وتسمع صوت معشوقين لاقى فى الهوى رتقا * فصور ههنا روزا . وصورههنا فلقا * فان لم يدنوا حتى . ترى خلقيهما خلقا * فكذبها بالاقت . وكذبه بالاقى(٣) انتهى من الطويل * سكوتى بلاء لا اطيق احتماله وقلبى الوف الهوى غير نازع ﴿ فاقسم ما تركى عتابك عن قلى ﴾ بكسر ففتح البغض ﴿ ولكن لعلمى انه غير نافع ﴾ وسيأتى ان كثرة العتاب سبب للقطيعة وتركه كليا دليل على قلة اكتراث بامر الصديق وقال الاحنف العتاب خير من الحقد ولذا اكد النفى بالقسم ﴿ وانى اذا لم الزم الصبر طائعا ﴾ على جفوتك ﴿ فلا بد منه مكرها غير طائع ﴾ اذلا تتركين جفائى ولن اترك حبك * ولو كان مايرضيك عندى ممثل . لكنت لما يرضيك اول تابع ﴿ فان كان لا يدنيك ﴾ وفى ديوانه

(٣) فانظر الى حذاقته فى الشعر كيف هدم القافية واتهم العباس بالسرقة منه

(اذا انت)

اذا انت لم يعطفك ﴿ الاشفاعة . فلا خير فى وديكون بشافع ﴾ من الدارهم والدنانير وغيرها وقال آخر * من لم يكن للوصال اهلا . فكل احسانه ذنوب * وهذا هو العناء العظيم بل العذاب الاليم فصبر جميل كما قال الحافظ * ميل من سوى وصال او قصد او سوى فراق . ترك كام خود كرفتم تا برآيد كام دوست ﴿ فاذا استكملت هذه الخصال ﴾ الاربعة ﴿ فى انسان وجب اخاؤه و تعين اصطفاؤه وبحسب وفورها ﴾ اجمع او وفور بعض تلك الخصال ﴿ فيه يجب ان يكون الميل اليه والثقة به وبحسب ما يرى من غلبة احدا هاعليه يجعل مستعملا فى الخلق الغالب عليه فان الاخوان على طبقات مختلفة وانحاء منشعبة ولكل واحد منهم حال يختص بها فى المشاركة وثلمة ﴾ بضم فسكون فرجة المكسور والمهدوم يقال موت فلان ثلمة فى الاسلام لا تسد ﴿ يسدها فى الموازرة والمظافرة ﴾ مأخوذ من الوزر تقول انت وزرى اى حصنى و ملجئى يعنى يشارك فى امر الدين بمن توفر دينه وصلاحه وفى امر الدنيا بمن توفر عقله وكثر تجاربه وفى نحو اصلاح ذات البين و تحقيق الاحوال بمن اتم مكارم الاخلاق ﴿ وليس تتفق احوال جميعهم على حد واحد لان التباين فى الناس غالب واختلافهم فى الشيم ظاهر وقال بعض الحكماء الرجال كالشجر شرابه واحد ﴾ اى يسقى من ماء واحد ﴿ وثمره مختلف فاخذ هذا المعنى منصور بن اسماعيل ﴾ الفقيه المصرى ﴿ فقال ﴾ من الهزج ﴿ بنو آدم كالنبت . ونبت الارض الوان * فمنهم شجر الصندل والكافور والبان ﴾ يعنى منهم رجال ينتفع بهم الاحياء كالصندل ومنهم من ينتفع بهم الاموات كالكافور ومنهم من ينتفع بهم المرضى كالبان لان حب البان ويقال له فستق الهاوية نافع لبعض الامراض ﴿ ومنهم شجر افضل ما يحمل قطران ﴾ خبر افضل اى افضل ما يحمله ذلك الشجر هو القطران له رائحة كريهة ونفع قليل ﴿ ومن رام اخوانا تتفق احوال جميعهم رام متعذرا بل لو اتفقوا لكان ربما وقع به خلل فى نظامه اذ ليس الواحد من الاخوان يمكن الاستعانة به فى كل حال ولا المجبولون على الخلق الواحد يمكن ان يتصرفوا فى جميع الاعمال وانما بالاختلاف يكون الائتلاف وقد قال بعض الحكماء ليس بلبيب من لم يعاشر بالمعروف من ﴾ مفعول لم يعاشر ﴿ لم يجد من معاشرته بدا وقال المأمون الاخوان ثلاث طبقات طبقة كالغذاء لا يستغنى عنه وطبقة كالدواء يحتاج اليه احيانا وطبقة كالداء لا يحتاج اليه ابدا ولعمرى ان الناس على ما وصفهم ﴾ المأمون ﴿ لا الاخوان منهم وليس من كان منهم كالداء من الاخوان المعدودين بل هم من الاعداء المحذورين وانما يداجون ﴾ اى يساترون عداوتهم يقال داجاه اذا ساتره بالعداوة ﴿ بالمودة استكفافا لشرهم وتحرزا من مكاشفتهم فدخلوا فى عداد الاخوان بالمظاهرة والمساترة و ﴾ يدخلون ﴿ فى ﴾ عداد ﴿ الاعداء عند المكاشفة والمجاهرة قال بعض الحكماء مثل العدو الضاحك اليك ﴾ اى فى مواجهتك ﴿ كالحنظلة الخضراء اوراقها القاتل مذاقها وقد قيل فى منثور الحكم لا تغترن بمقاربة العدو فانه كالماء وان اطيل اسخانه بالنار لم يمنع من اطفائها وقال يزيد بن الحكم ﴾ بن ابى العاص ﴿ الثقفى ﴾ من الطويل ﴿ تكاشرنى ضحكا كأنك ناصح ﴾ الكشر التبسم يعنى تتبسم فى وجهى كأنك خالص الود ﴿ وعينك تبدى ان صدرك لى دوى ﴾ اى مريض

البان سورقون اغاجى
الحنظلة ابو جهل قارپوزى

وعدو ﴿ لسانك معسول ونفسك علقم ﴾ الحنظل اوالشى المر مطلقا ويقال عسل فلانا اذا طيب الثناء عليه ويروى ماذى وهو العسل الا بيض يعنى سليم اللسان وسقيم القلب ﴿ وشرك مبسوط وخيرك ملتوى ﴾ هو نقيض البسط ويروى منطوى ﴿ فليت كفافا كان خيرك كله . وشرك عنى ما ارتوى الماء مرتوى ﴾ وعد ابن هشام هذا البيت من مشكل باب ليت وقال واشكاله من اوجه احدها عدم ارتباط خبر ليت باسمها اذا الظاهر ان كفافا اسم ليت وان كان تامة وانها وفاعلها الخبر ولاضمير فى هذه الجملة والثانى تعليقه عن بمرتو وانما يتعدى بمن والثالث ايقاعه الماء فاعلا بارتوى وانما يقال ارتوى الشارب والجواب عن الاول ان كفافا انما هو خبر لكان مقدما عليها وهو بمعنى كاف واسم ليت محذوف للضرورة اى فليتك او فليته اى فليت الشان ومثله قوله . فليت دفعت الهم عنى ساعة وخيرك اسم كان وكله توكيد له والجملة خبر ليت واما وشرك فيروى بالرفع عطفا على خيرك فخبره اما محذوف تقديره كفافا فمرتو فاعل بارتوى واما مرتو على انه سكن للضرورة كقوله * ولوان واش باليمامة داره . ودارى باعلى حضرموت اهتدى ليا * ويروى بالنصب اما على انه اسم لليت محذوفة وسهل حذفها تقدم ذكرها كما سهل ذلك حذف كل وابقاء الخفض فى قوله * اكل امرئ تحسبين امرأ . ونارتو قد بالليل نارا * واما على العطف على اسم ليت المذكورة ان قدر ضمير المخاطب فاماضمير الشان فلا يعطف عليه لو ذكر فكيف وهو محذوف ومرتوى على الوجهين مرفوع لانه اما خبر ليت المحذوفة او عطف على خبر ليت المذكورة وعن الثانى بانه ضمن مرتوى معنى كاف لان المرتوى يكف عن الشرب كما جاء فليحذر الذين يخالفون عن امره لان يخالفون فى معنى يعدلون ويخرجون وان علقته بكفافا محذوفا على وجه من ذكره فلا اشكال وعن الثالث انه اما على حذف مضاف اى شارب الماء واما على جعل الماء مرتويا مجازا كما جعل صاديا فى قوله * وجبت هجيرا يترك الماء صاديا . ويروى الماء على تقدير من كافى واختار موسى قومه ففاعل ارتوى على هذا مرتوى كما تقول ماشرب الماء شارب انتهى ﴿ فاذا خرج من كان كالداء من عداد الاخوان فالاخوان هم الصنفان الآخران اللذان من كان منهم كالغذاء وكالدواء لان الغذاء قوام للنفس وحياتها والدواء علاجها وصلاحها وافضلهما من كان كالغذاء لان الحاجة اليه اعم واذا تميز الاخوان ﴾ بما ذكرنا ﴿ وجب ان ينزل كل منهم حيث نزلت به ﴾ اى بذلك الواحد ﴿ احواله اليه ﴾ اى الى ذلك المكان ﴿ واستقرت خصاله وخلاله عليه ﴾ فلا يشارك من كان كالغذاء اذا احتاج الى الدواء وبالعكس ﴿ فمن قويت اسبابه قويت الثقة به وبحسب الثقة به يكون الركون اليه والتعويل عليه وقال الشاعر ﴾ من الكامل ﴿ ما انت بالسبب الضعيف وانما نجح الامور بقوة الاسباب ﴾ النجح بفتح فسكون الظفر بالحاجة يعنى ما انت بسبب ضعيف باعتمادنا عليك ووثوقنا بك وكيف نحسبك ضعيفا والظفر بالامور العظام بالاسباب القوية ﴿ فاليوم حاجتنا اليك وانما . يدعى الطبيب لشدة الاوصاب ﴾ اى وقت شدة الامراض وانت طبيب تلك الحاجات وسبب انكشاف تلك الامور المتعسرة المغلقة ﴿ وقد اختلفت مذاهب الناس فى اتخاذ الاخوان

فمنهم من يرى ان الاكثار منهم اولى ليكونوا اقوى منعةويدا واوفر تحببا وتوددا واكثر تعاونا وتفقدا ﴿ يقال تفقد الشئ وافتقده اذا طلبه بعد غيبته ﴿ وقيل لبعض الحكماء ما العيش ﴿ الكامل والسرور الشامل ﴿ قال اقبال الزمان ﴿ وتوجهه المعبر عنه بالجد والحظ ﴿ وعز السلطان ﴿ اى غلبته على الاعداء ﴿ وكثرة الاخوان ﴿ بتمام مكارم الاخلاق ﴿ وقيل حلية المرء كثرة اخوانه ومنهم من يرى ان الاقلال منهم اولى لانه اخف اثقالا وكلفا واقل تنازعا وخلفا . وقال الاسكندر المستكثر من الاخوان من غير اختيار كالمستوقر من الحجارة ﴿ استفعل للاتخاذ اى كالمتخذ وقرا منها وهو الحمل الثقيل او الحمل مطلقا ﴿ والمقل من الاخوان المتخير لهم كالذى يتخير الجوهر ﴿ من بين الحجارة ﴿ وقال عمرو بن العاصى ﴿ القريشى السهمى ابو عبد الله قدم على النبى صلى الله عليه وسلم فى سنة ثمان قبل الفتح مسلما وهو من زهاد قريش ولاه النبى صلى الله عليه وسلم على عمان ولم يزل عليها حتى قبض النبى صلى الله عليه وسلم ومات بمصر عاملا عليها سنة ثلاث واربعين على المشهور يوم الفطر وصلى عليه ابنه عبد الله ثم صلى العيد بالناس وهو من دهاة العرب كما سبق وفى تاريخ الاسحاقى لما ارسل معاوية يطلب خراج مصر سنة واحدة من عمرو وكان تركه له كتب له القصيدة التى اولها * معاوية الفضل لا تنس لى. وعن منهج الحق لا تمدل * نسيت احتيالى فى حلق . على اهلها يوم يبس الحلى * وقد اقبلوا زمرا يهرعون . ويأتون كالبقر الهمعل * ولولاى كنت كمثل النساء . تعاف الخروج من المنزل * نسيت محاورة الاشعرى . ونحن على دومة الجندل * والعقته عسلا باردا . واخرجت ذلك بالحنظل * الين فاطمع فى جانبى . وسهمى قد غاب فى المفصل * واخلعتها منهم بالخضوع . كخلع النعال من الارجل * والبستها فيك لما عجزت . كلبس الخواتم فى الانمل * ولم تك والله من اهلها . ورب المقام ولم تكمل * وسيرت ذكرك فى الخافقين . كسير الجنوب مع الشمأل * نصرناك من جهلنا يا ابن هند . على البطل الاعظم الافضل * وكنت ولن ترها فى المنام . فزفت اليك ولا مهر لى * وكم قد سمعنا من المصطفى وصايا مخصصة فى على * وان كان بينكما نسبة . فاين الحسام من المنجل * واين الثريا واين الثرى . واين معاوية من على * فان صح هذا فهو اقرار من عمرو بانه ظهر له بعد خطأ اجتهاده رضى الله عن الجميع وعنا بهم انتهى ﴿ من كثر اخوانه كثر غرماؤه وقال ابراهيم بن العباس ﴿ الصولى الاديب الكاتب الشاعر ﴿ مثل الاخوان كالنار قليلها متاع وكثيرها بوار و ﴿ الله ﴿ لقد احسن ابن الرومى فى هذا المعنى ﴿ وهو كون كثير الاحباب بوارا وهلاكا ﴿ ونبه على العلة ﴿ اى علة الهلاك ﴿ حيث يقول ﴿ من الوافر (عدوك من صديقك مستفاد ﴿ اى مكتسب من بعض اصدقائك ﴿ فلا تستكثرن من الصحاب ﴿ جمع صاحب كجايع و جياع ﴿ فان الداء اكثر ما تراه ﴿ بالنصب بدل بعض يعنى الداء الذى تصاب به كثيرا ﴿ يكون من الطعام او الشراب ﴿ اى من كثرتهما فكما ان الداء يتولد من كثرتهما يتولد العداوة من كثرة الاصدقاء الذين هم كالطعام والغذاء وعد ابن الاثير هذين البيتين من المعانى المخترعة لابن الرومى وبالغ المصنف فى تحسينه حتى صدر بالقسم ﴿ ودع عنك الكثير ﴿ من كل شئ او من الاحباب ﴿ فكم كثير . يعاف وكم قليل مستطاب ﴿ يقال عاف الطعام او الشراب ويعيفه ويعافه اذا كرهه وقوله مستطاب بالجر صفة قليل فلا اقواء فى القافية (٤) لانه

باثبات الياء فى العاصى وحذفها لان اباه كان وضع سيفه على عاتقه كالعصا منه

(٤) الاقواء اختلاف حركة الروى بحركة تقاربها فى الثقل وهى الكسر مع الضم وهو من عيوب القافية منه

قابل كثير بقليل ولوقال يستطاب فى مقابلة يعاف لكانت احسن فعدوله اليه ليمكن الجر لاغير فخبركم محذوف اى يوجد ﴿ فما اللجج الملاح بمرويات . وتلقى الرى فى النطف العذاب ﴾ اللجج جمع لجة وهو معظم الماء والملاح جمع مليح ككريم وكرام والنطف جمع نطفة وهى قليل مايبقى فى دلوا وقربة وماء عذب اى طيب مستساغ يعنى لايروى الكثير من الماء الملح الاجاج ويروى القليل من الماء العذب السائغ وقال آخر * جزى الله خيرا كل من ليس بيننا . ولا بينه ودولا متعرف * فما نالنى ضيم ولا مسنى اذى . من الناس الا من فتى كنت اعرف ﴿ وقال بعض البلغاء ليكن غرضك فى اتخاذ الاخوان واصطناع النصحاء تكثير العدة ﴾ بضم العين الا هبة ﴿ لا تكثير العدة ﴾ اى المعدود ﴿ وتحصيل النفع لا تحصيل الجمع فواحد يحصل به المراد خير من الف يكثر به الاعداد ﴾ وفى حديث سلمان ليس شئ خيرا من الف مثله الا الانسان واخذه بعض الشعراء فقال * ولم ار امثال الرجال تفاوتا . لدى المجد حتى عد الف بواحد ﴿ واذا كان التجانس والتشاكل من قواعد الاخوة واسباب المودة كان وفور العقل وظهور الفضل يقتضى من حال صاحبه قلة اخوانه لانه يروم مثله ويطلب شكله وامثاله من ذوى العقل والفضل اقل من اضداده من ذوى الحمق والنقص ﴾ من بيان للاضداده ﴿ لان الخيار فى كل شئ هو الاقل فلذلك قل وفور العقل والفضل وقد قال الله تعالى ﴾ فى الحجرات ﴿ ان الذين ينادونك من وراء الحجرات ﴾ اى من خارجها من خلفها او قدامها ومن ابتدائية دالة على ان المناداة نشأت من جهة الوراء وان المنادى داخل الحجرة لوجوب اختلاف المبدء والمنتهى بحسب الجهة بخلاف مالو قيل ينادونك وراء الحجرات والمراد بها حجرات امهات المؤمنين ومناداتهم من ورائها اما بانهم اتوا حجرة حجرة فنادوه عليه السلام من ورائها او بانهم تفرقوا على الحجرات متطلبين له عليه الصلاة والسلام فناداه بعض من وراء هذه وبعض من وراء تلك فاسند فعل الابعاض الى الكل لانهم رضوا بذلك او امروا به ﴿ اكثرهم لا يعقلون ﴾ اذلو كان لهم عقل لما تجاسروا على هذه المرتبة من سوء الادب افاده ابو السعود ﴿ فقل بهذا التعليل اخوان اهل الفضل لقلتهم وكثر اخوان ذوى النقص والجهل لكثرتهم وقد قال فى ذلك الشاعر ﴾ من الطويل ﴿ لكل امرئ شكل من الناس مثله . فاكثرهم شكلا اقلهم عقلا * وكل اناس آلفون لشكلهم . فاكثرهم عقلا اقلهم شكلا ﴾ الشكل المثل والنظير ﴿ لان كثير العقل لست بواجد . له فى طريق حين يسلكه مثلا ﴾ ويروى . له بشرا كما يشاكله مثلا ﴿ وكل سفيه طائش ان نقدته . وجدت له فى كل ناحية عدلا ﴾ يقال رجل طائش اى نزق وخفيف ومن لا يقصد وجها واحدا والعدل بكسر فسكون المثل والنظير ويقال هذا عدل ذاك الحمل اى نصفه وتنكيره للتكثير يعنى ان فقدت السفيه فلا تحزن عليه لانك تجد منه امثالا فى كل جانب ﴿ واذا كان الامر على ما وصفنا ﴾ من احوال الاخوان ﴿ فقد تنقسم احوال من دخل فى عداد الاخوان اربعة اقسام منهم من يعين ويستعين ومنهم من لا يعين ولا يستعين ومنهم من يستعين ولا يعين ومنهم من يعين ولا يستعين * فاما المعين والمستعين فهو معاوض منصف يؤدى ما ﴾ وجب ﴿ عليه ﴾ من حقوق الاخوة كرما ومروءة ﴿ ويستوفى ﴾ اى يطلب وفاء ﴿ ماله ﴾ على اخوانه اضطرارا وحاجة ﴿ فهو كالمقرض ﴾ وهو المعطى والمستقرض

الآخذ والاقتراض القبول ﴿ يسعف عند الحاجة ﴾ اى يقضى حوائج اخوانه عند حاجتهم ﴿ ويسترد عند الاستغناء وهو مشكور فى معونته ومعذور فى استعانته فهذا اعدل الاخوان واما من لا يعين ولا يستعين فهو متروك قد منع خيره وقمع شره ﴾ اى قطعه ولم يوصله ابتداء ﴿ فهو لا صديق يرجى ولا عدو يخشى وقد قال المغيرة بن شعبة التارك للاخوان متروك ﴾ اعانته واستعانته كما ترك ﴿ واذا كان كذلك فهو كالصورة الممثلة ﴾ على الحيطان والاوراق ﴿ يروقك ﴾ اى يعجبك ﴿ حسنها ويخونك نفعها فلا هو مذموم لقمع شره ولا هو مشكور لمنع خيره وان كان باللوم اجدر ﴾ قال الصفدى فى شرح لامية العجم واقل الاصدقاء حالة من تشكو اليه ولم يكن عنده غير سماع الشكوى والاصغاء اليها لان سماع الشكوى وبثها فيه تخفيف عن المكروب والنفس تستروح اليه ولهذا قال الشاعر * ولابد من شكوى الى ذى مروءة . يواسيك او يسليك او يتوجع * لان المشكو اليه اما ان يواسيك فى همك وهذه الرتبة العليا وهو الصديق الكريم ذو المروءة واما ان يسليك وهى الرتبة الوسطى وهو الصديق الحكيم المهذب ذو التجارب واما ان يتوجع وهذه الرتبة السفلى وهو الصديق العاجز فان خلا الصديق من احدى هذه الرتب كان وجوده وعدمه سواء بل عدمه خير من وجوده قال الشاعر * اذا كنت لا علم لديك تفيدنا . ولا انت ذو دين فنرجوك للدين * ولا انت ممن يرتجى لكريهة . عملنا مثالا مثل شخصك من طين * وقال قلت لو كان لى فى هذين البيتين حكم لهدمت القافية وقلت * اذا كنت لا علم لديك تفيدنا . ولا انت ذو جود فنرجوك للقرى * ولا انت ممن يرتجى لكريهة . عملنا مثالا مثل شخصك من خرا * فانى لا ارى ان اضيع الطين فى تمثاله وقد قال الشاعر * اذا انت لم تنفع فضر فانما . يرجى الفتى كيما يضر وينفع * ومن هنا اختلس المعنى محمد بن شرف القيروانى فقال * اعنى باطماع كذوب على النوى . اذا لم تقاتل ياجبان فشجع انتهى ﴿ وقد قال الشاعر ﴾ من الطويل ﴿ واسوأ ايام الفتى يوم لا يرى ﴾ بالمجهول ويوم بالرفع خبر اسوأ ﴿ له احد ﴾ نائبه ﴿ يزرى عليه وينكر ﴾ يقال ازرى عليه اذا عابه وعاتبه وذلك قد يكون لمجرد الاستخفاف والاستهزاء وقد يكون للترحم وهو المراد بقرينة وينكر ولا اسوء حالا ممن كان مسلوب الترحم ومنسى الالتفات اليه بالكلية وهذه عقبى من لا يعين ولا يستعين ومن لا يرحم لا يرحم ﴿ غير ان فساد الوقت وتغير اهله ﴾ استثناء من قوله ولا هو مشكور ﴿ يوجب شكر من كان شره مقطوعا وان كان خيره ممنوعا كما قال المتنبى ﴾ من البسيط ﴿ انا لفى زمن ترك القبيح به ﴾ اى فى ذلك الزمان ﴿ من اكثر الناس احسان واجمال ﴾ يقال اجمل الصنيعة اذا حسنها وكثرها يعنى ان الاخوان من الناس وترك القبيح من اكثرهم احسان فترك الاخوان اياه احسان وكل احسان يوجب الشكر فترك القبيح يوجبه وهو المطلوب ﴿ واما من يستعين ولا يعين فهو لئيم كل ﴾ اى ثقيل لا خير فيه ﴿ ومهين ﴾ اى حقير ﴿ مستذل قد قطع عنه الرغبة وبسط فيه الرهبة فلا خيره يرجى ولا شره يؤمن وحسبك مهانة من رجل مستثقل عند اقلاله ﴾ طالب لتخفيف ثقله بحمله على غيره عند فقره ﴿ ويستقل ﴾ اى يستبد وينفرد ﴿ عند استقلاله ﴾ وعدم احتياجه ﴿ فليس لمثله فى الاخاء حظ ولا فى الوداد نصيب وهو ممن جعله المأمون من داء الاخوان لا من دوائهم ومن سمهم لا من غذائهم وقال بعض الحكماء شر ما فى الكريم ان يمنعك خيره ﴾ لان

كرمه يمنع من الا سائة ﴿ وخير مافى اللئيم ان يكف عنك شره ﴾ اذ لايأتى منه خير فما يوجد فيه من خصال الخير ترك شره ﴿ وقال ابن الرومى ﴾ من الوافر ﴿ عذرنا النخل فى ابداء شوك . يرد به الانامل عن جناه ﴾ اى قبلنا عذر شجرة النخل فى اظهاره الشوك لانه سلاحه يدافع به عن اجتناء ثمرته واراد بالنخل الصديق الكريم وبشوكه استعانته وبمجنيه اعانته لانه لولم يستعن لظن انه غنى فيستعان منه ﴿ فما للعوسج الملعون ابدى . لنا شوكا بلا ثمر نراه ﴾ والعوسج على وزن جوهر شجر ذات شوك يعبر عنه بشجرة موسى واراد به الصاحب اللئيم والمتصادق الذميم ﴿ واما من يمين ولا يستعين فهو كريم الطبع مشكور الصنع وقد حاز فضيلتى الابتداء والاكتفاء فلايرى ثقيلا فى نائبة ﴾ له لتحرزه عن الاستعانة ﴿ ولا يقعد عن نهضة ﴾ اى قيامه ﴿ فى معونة فهذا اشرف الاخوان نفسا واكرمهم طبعا فينبغى لمن اوجده الزمان مثله وقل ان يكون له مثل ﴾ قيل لبعضهم ما الصديق قال اسم وضع على غير المسمى وحيوان غير موجود كما قال بعضهم * سمعنا بالصديق ولا نراه . على التحقيق يوجد فى الانام * واحسبه محالا نمقوه . على وجه المجاز من الكلام * وقال آخر * لما رأيت بنى الزمان وما بهم . خل وفى للشدائد اصطفى * فعلمت ان المستحيل ثلاثة . الغول والعنقاء والخل الوفى ﴿ لانه البر الكريم والدر اليتيم ﴾ اى الثمين الغالى القيمة ﴿ ان يثنى عليه خنصره ﴾ اى ينبغى ان يقبضه عليه وقبضه عبارة عن عده واحد الاتخاذ صديق كما سبق فى بحث الدلالة والمناسب للدر ان الخنصر موضع الزينة والخاتم فينبغى لمن تزين بصداقته ان يقبض عليه خنصره لئلا يضيعه كما قيل * ديدم بارمغنه بند ايت اوتمه رشته جانى . او شوخ دلستانم طولامش بارمغنه آنى ﴿ ويعض عليه بناجذه ﴾ وهو احد الاسنان الاربعة التى فى منتهى الفم وهذا ايضاً كناية عن الاهتمام بحفظه ﴿ ويكون به اشد ضنا منه ﴾ اى بخلا من ذلك الصديق ﴿ بنفائس امواله وسنى ذخائره ﴾ الباء متعلق بضنا ومن تفضيلية اى من ضنته برفيع امواله قدرا وقيمة كما هو حال الشئ النفيس العزيز الوجود ﴿ لان نفع الاخوان عام ﴾ بالاحوال ﴿ ونفع المال خاص ﴾ ببعضها وهو الامن واما عند الخوف فلا شئ اضر من المال ولا انفع من الاخوان ﴿ ومن كان ﴾ اى وما كان ﴿ اعم نفعا ﴾ ليندرج الاصغر بكلا شقيه فى الاكبر ﴿ فهو بالادخار احق ﴾ فالصديق احق بالادخار من اسنى المال وهو المطلوب ﴿ وقال الفرزدق ﴾ من البسيط ﴿ يمضى اخوك فلا تلقى له خلفا ﴾ من الالفاء اى لاتجد ﴿ والمال بعد ذهاب المال مكتسب * وقال آخر ﴾ من المنسرح ﴿ لكل شئ عدمته عوض ﴾ مبتدأ مؤخر والظرف خبر مقدم وجملة عدمته صفة شئ ﴿ وما لفقد الصديق من عوض * ثم لاينبغى ان يزهد فيه ﴾ اى ان يجتنب من مواخاة من سبره ﴿ لخلق او خلقين ينكرهما منه ﴾ ولا يرضاهما ﴿ اذا رضى سائر اخلاقه وحمد اكثر شيمه لان اليسير مغفور والكمال معوز ﴾ اى مشكل من اعوز الشئ اذا اشكل ﴿ وقد قال الكندى كيف تريد من صديقك خلقا واحدا وهو ذو طبائع اربع ﴾ لاتطفى ناره ولايحبس هواه ولايقيدان فاخذه البسق وقال * تحمل اخاك على مابه . فما فى استقامته مطمع * وانى له خلق واحد . وفيه طبائعه الاربع ﴿ مع ان نفس الانسان التى هى اخص النفوس به ومدبرة باختياره وارادته لاتعطيه قيادها

فى كل ما يريد ولا تجيبه الى طاعته فى كل ما يحب فكيف بنفس غيره وحسبك ان يكون لك من اخيك اكثره ﴾ اى اكثر احواله موافقا ﴿ وقد قال ابوالدرداء رضى الله عنه معاتبة الاخ ﴾ على بعض اخلاقه ﴿ خير من فقده ومن ﴾ يضمن ويتعهد ﴿ لك باخيك كله ﴾ لان الغرامة بينة فلا ضمين ولا كفيل فمن للاستفهام الانكارى واللام متعلق بمحذوف هو المستفهم عنه والمنكر ﴿ فاخذ الشعراء هذا المعنى فقال ابو العتاهية ﴾ من الكامل المرفل ﴿ أاخى من لك من بنى الدنيا بكل اخيك من لك ﴾ الهمزة للنداء ومن بيان لمن لك والثانى منهما تأكيد لفظى للاول ﴿ فاستبق بعضك ﴾ وذلك بانك ﴿ لاتملك كل من ﴾ مفعول اول لتملك وكلك ثانيهما يقال ملكه اياه اذا جعله ملكا له يملكه ﴿ اعطيت كلك ﴾ بالمجهول اقيم مفعوله الاول مقام الفاعل والثانى وهو عائد الموصول محذوف يعنى يا اخى لاتملك احدا كله فلا تعط احدا كلك بل استبق بعضك لنفسك ﴿ وقال ابو تمام الطائى ﴾ من الرجز المشطور ﴿ ما غبن المغبون مثل عقله ﴾ المغبون الاحمق اى ماخدعه احد كخدعة عقله لانه اول مايجنى عليه وقوله ﴿ من لك يوما باخيك كله ﴾ لوم وتنكير يوما للتقليل يعنى من يهتم بشانك يوما كاملا او زمانا منه حتى تجتهد فى اموره اياما ﴿ وقال بعض الحكماء طلب الانصاف ﴾ جمع نصف والمراد به ما فوق الواحد اذ لايكون لشئ الا نصفان يعنى طلب الكل من الصديق ﴿ من قلة الانصاف ﴾ اى من عدم العدل ﴿ وقال بعض البلغاء لايزهدنك ﴾ من ازهده اى حمله على الزهد ﴿ فى رجل حمدت سيرته وارتضيت وتيرته وعرفت فضله وبطنت عقله ﴾ يقال بطن خبره اذا علمه واطلع بسرائره وخفاياه ﴿ عيب خفى ﴾ فاعل لايزهدنك ﴿ يحيط به كثرة فضائله ﴾ ويستره ﴿ او ذنب صغير تستغفر له قوة وسائله ﴾ اى وسائله القوية ﴿ فانك لن تجد مابقيت ﴾ فى الدنيا ﴿ مهذبا لايكون فيه عيب ولايقع منه ذنب فاعتبر بنفسك بعد ان لاتراها بعين الرضى ﴾ لانها لاتبصر المساوى ﴿ ولا تجرى فيها على حكم الهوى ﴾ وهو الاعجاب بها وتحسين افعالها ﴿ فان فى اعتبارك بها واختبارك لها مايؤنسك مما تطلب و ﴾ ما ﴿ يعطفك على من يذنب وقد قال الشاعر ﴾ وهو يزيد بن محمد الباهلى وقال السيوطى انه المهلبى * اذا نحن غبنا عنه لم يجز ذكرنا . وان نحن جئنا صدنا عنه حاجبه ﴿ ومن ذا الذى ترضى سجاياه كلها . كفى المرء نبلا ﴾ بضم فسكون اى شرفا ﴿ ان تعد معايبه ﴾ لان كونها معدودا يدل على قلتها ﴿ وقال النابغة الذبيانى ﴾ بضم المعجمة وكسرها واسمه زياد بن معاوية مات قبل البعثة من فحول الشعراء جدا فى قصيدته التى يخاطب بها النعمان * الم تر ان الله اعطاك صورة . يرى كل ملك دونها يتذبذب * كأنك شمس والملوك كواكب . اذا طلعت لم يبد منهن كوكب ﴿ ولست بمستبق اخا لاتلمه ﴾ من لم الشئ اى جمع بعضه الى بعض اى لاتضمه اليك لعدم رضاك بعيوبه وصفاته الذميمة الموجبة للتفرقة والجملة حال من اخا لعمومه لاصفة له لانه ليس مقصود الشاعر اخا معينا بل مطلق اخ والوصفية تفيدان المعنى انك لاتقدر على بقاء مودة اخ موصوف بكونه غير مضموم اليك مع اتصافه بالخصال الذميمة وعمومه سوغ مجئ الحال منه وان كان نكرة لوقوعه فى حيز النفى والمعنى حينئذ لست بمبق مودة اخ فى حال كونه غير مضموم

اليك مع شعثه وخصال الذميمة ﴿ على شعث ﴾ هو انتشار الشعر وتغيره لقلة تعهده بالتسريح والدهن فتكثر اوساخه ثم استعمل فى لازمه وهو الاوساخ الحسية فهو مجاز مرسل علاقته اللزوم ثم استعمل اللفظ المجازى للاوساخ المعنوية وهى الخصال الذميمة بجامع القبح فهو استعارة مبنية على مجاز فهذا الكلام دل بمفهومه على نفى الكامل من الرجال لان معنى البيت انك اذا لم تضم اخا اليك فى حال عيبه وتتعامى عن زاته لم يبق لك اخ فى الدنيا ولا يعاشرك احد من الناس لانه ليس فى الرجال احد مهذب منقح الفعال مرضى الخصال وقد اكده بقوله ﴿ اى الرجال المهذب ﴾ استفهام بمعنى الانكار اى ليس فى الرجال منقح الفعال مرضى الخصال والبيت من شواهد الاطناب بالتذييل ﴿ وليس ينقض هذا القول ﴾ وهو قوله ثم لا ينبغى ان يزهد فيه لخلق او خلقين ينكرهما ﴿ ماوصفنا من اختياره واختيار الخصال الاربع فيه ﴾ على ان الثالثة منها ان يكون محمود الاخلاق مرضى الافعال ﴿ لان ما اعوز فيه معفو عنه ﴾ وقد قال الفضيل بن عياض من طلب اخا بلا عيب بقى بلا اخ ﴿ هذا ﴾ اى الامر هذا او خذ هذا ﴿ ولا ينبغى ﴾ معطوف على قوله ثم لا ينبغى ان يزهد ﴿ ان توحشك فترة تجدها منه ولان تسئ الظن فى كبوة تكون منه مالم تحقق تغيره ولم تتيقن تنكره وليصرف ذلك الى فترات النفوس واستراحات الخواطر فان الانسان قد يتغير عن مراعاة نفسه التى هى اخص النفوس به ولا يكون ذلك ﴾ التغير ﴿ عن عداوة لها ولا ملل منها وقد قيل فى منثور الحكم لا يفسد لك الظن على صديق قد اصلحك اليقين له ﴾ ومن القواعد الفقهية ان اليقين لا يزول بالشك ﴿ وقال جعفر ﴾ الصادق ﴿ بن محمد ﴾ الباقر ﴿ لابنه ﴾ كان له سبعة ابناء اكبرهم اسماعيل ثم موسى الكاظم ﴿ يا بنى من غضب من اخوانك ثلاث مرات فلم يقل فيك سوءا فاتخذه لنفسك خلا وقال الحسن بن وهب من حقوق المودة اخذ عفو الاخوان والاغضاء عن تقصير ان كان ﴾ اى ان وجد ﴿ وقد روى عن على رضى الله عنه فى قوله تعالى ﴾ فى الحجر (وان الساعة لآتية) وان الله ينتقم لك فيها من اعدائك ويجازيك واياهم على حسناتك وسيئاتهم ثم انه تعالى لما صبره على اذى قومه رغبه بعد ذلك فى الصفح عن سيئاتهم فقال ﴿ فاصفح الصفح الجميل ﴾ فاعرض عنهم واحتمل ماتلقى منهم اعراضا جميلا بحلم واغضاء ﴿ قال ﴾ كرم الله وجهه الصفح الجميل هو ﴿ الرضى بغير عتاب وقال ابن الرومى ﴾ من الطويل

﴿ هم الناس والدنيا ولابد من قذى . يلم بعين او يكدر مشربا ﴾ قوله هم مبتدأ والناس خبره والدنيا معطوفة عليها عطف جملة اى وهى الدنيا والضميران راجعان الى حاضرين فى الذهن ولابد ابتداء كلام قال التفتازانى وهذا نوع من الاعراب لطيف لا يكاد يتنبه له الا الاذهان الرائضة من ائمة الاعراب انتهى ولا يجوز ان يقال ان هم ضمير الشان والقصة لانه لا يثنى ولا يجمع وهذا فرق ما بينهما ويقال لم الشئ اذا جمعه ولم به اذا نزل يعنى هؤلاء الناس وتلك الدنيا ولابد من قذى ينزل بعين فيدمعها ويبكيها او يقع فى الماء فيكدره لان الغبار من لوازم الازدحام كما قيل * آسوده اولم ديرسه‌ك اكر كلمه جهانه. ميدانه دوشن قورتيله‌مز سنلك قضادن ﴿ ومن قلة الانصاف انك تبتغى المهذب فى الدنيا ولست

التذييل وهو تعقيب الجملة بجملة اخرى تشتمل على معناها للتأكيد منه

المهذبا ﴿ والتهذيب ازالة زوائد الشئ واصلاحه وافراغه الى شكل حسن ﴿ وقال بعض الشعراء ﴿ من الوافر ﴿ تواصلنا على الايام باق ﴿ يعنى باق على ممر الايام ومستمر على تجدد الاعوام ﴿ ولكن هجرنا مطر الربيع ﴿ قابل التواصل بالهجر وهو قطع الالفة والصداقة والربيع ثلاثة اشهر تكون الشمس فيها فى برج الحمل والثور والجوزاء ومطره يضرب به المثل فى الانقضاء سريعا كما قال ﴿ يروعك صوبه لكن تراه ﴿ يقال راعه اذا افزعه والصوب له معان يقال صاب المطر صوبا اذا انصب وبمعنى الصيب يقال سقاهم صوب السماء وصيبها والصيب السحاب الذى فيه مطر هطال وظلمات شديدة ورعد قاصف وبرق خاطف وصواعق مهلكة ﴿ على علاته دانى النزوع ﴿ جمع علة بصيغة النوع اوالمرة من عله اذا سقاه ثانية اوتباعا والنزوع بمعنى الانتزاع يعنى ان مطر الربيع وان افزعك رعده وبرقه وظلماته وريحه مع انصباب مطره خفيفا اوشديدا لكن تراه قريب الانتزاع ﴿ معاذ الله ﴿ مفعول مطلق حذف فعله سماعا اى نعوذ بالله معاذا ﴿ ان نلق غضابا ﴿ جمع غضبان ﴿ سوى دل المطاع على المطيع ﴿ الدل عبارة عن المخالفة ظاهرا وصورة والموافقة معنى وحقيقة واستثناء لان ذلك الهجر ممدوح وصفا ومقصود ذاتا لان سببه عندهم علم المحبوب بمكانته عند المحب وبانه يتلذذ بالاساءة كما يتلذذ بالحسنة حتى قال بعضهم هجر الدلال اعذب من الوصال كما قال آخر * لئن ساءنى ان نلتنى بمساءة . لقد سرنى انى خطرت ببالك * والشاعر لما شبه هجر حبيبه بمطر الربيع وفيه معنى لم يقصد بالتشبيه وهو صواعقه المهلكة دفعه بقوله معاذ الله ﴿ والشدنى ﴿ محمد عبد الله ﴿ الازدى ﴿ من الكامل ﴿ لا يوئسنك من صديق نبوة . ينبو الفتى وهو الجواد الخضرم ﴿ على وزن زبرج يقال رجل خضرم اى جواد معطاء وسيد حمول لحوائج الناس ومتكفل بمهماتهم ﴿ فاذا نبا فاستبقه وتأنه . حتى تفئ به وطبعك اكرم ﴿ يعنى لا يوقعنك فى يأس من صداقة صديق نبوته وجفوته لانه ربما يظهر جفوة وهو كريم الطبع لا يقصدك بسوء ولا يمنعك معروفه فاذا نبا بمثل هذه النبوة فاطلب بقاء صداقته بطبع كريم منك وتأن فى مقابلة جفوته بالجفاء حتى تفئ بحقه عليك ﴿ واما الملول ﴿ اى حاله ﴿ وهو السريع التغير الوشيك التنكر ﴿ يقال وشك الامر اذا اسرع ورجل وشيك اى سريع وبابه حسن ﴿ فوداده خطر واخاءه غرر ﴿ لا يوثق به ﴿ لانه لا يبقى على حالة ولا يخلو من استحالة ﴿ من تحول وانقلاب ولا ينفعه عتاب ﴿ وقد قال ابن الرومى ﴿ من الطويل ﴿ اذا انت عاتبت الملول فانما . تخط ﴿ اى تكتب ﴿ على صحف ﴿ جمع صحيفة ويسكن الحاء للوزن ﴿ من الماء ﴿ المنجمد بيان للصحف ﴿ احرفا ﴿ مفعول تخط اى فكانما تكتب حروفا على الجليد وترك التشبيه لادعائه المبالغة فى وجه الشبه وهو عدم الثبات ﴿ وهبه ﴿ اى احسبه واعدده هو من الافعال الملحقة بافعال القلوب ﴿ ارعوى ﴿ اى رجع عن جهله وملاله وكف عنه اصله ارعوو من باب احمر فلكون الاعلال مقدما على الادغام قلبت الواو الخامسة ياء فلم تبق المجانسة حتى يدغم ﴿ بعد العتاب الم تكن . مودته طبعا فصارت تكلفا ﴿ وقد سبق ان الخصلة الرابعة ان يكون من كل واحد منهما ميل الى صاحبه ورغبة فى مواخاته فالمودة المتكلفة خارجة عن الاخوة ﴿ وهم نوعان منهم ﴿ اى من الملولين ﴿ من يكون ماله استراحة ثم يعود الى المعهود من اخائه فهذا اسلم المللين واقرب الرجلين يسامح فى

وقت استراحته ﴾ اى فى وقت احتياجه اليها ﴿ وحين فترته ﴾ لئلا يواجه اخاه بفتور وعبوس ﴿ ليرجع ﴾ متعلق بيسامح ﴿ الى الحسنى ويؤب الى الاخاء ﴾ باحسن حال و افرح بال ﴿ وان تقدم المثل بما نظمه الشاعر حيث قال ﴾ من الطويل ﴿ وقالوا يعود الماء فى النهر بعدما . عفت منه آثار وجفت مشارعه ﴾ يقال عفا الاثر اذا امحى واضمحل والمشارع جمع مشرعة وهى الحفرة التى يستقى فيها الدواب والمواشى ﴿ فقلت الى ان يرجع الماء عائدا . ويعشب شطاه تموت ضفادعه ﴾ يرجع بمعنى يصير ويعشب من الباب الخامس او من الافعلال اى الى ان ينبت عشب اطرافه والمراد بالضفادع مايلازمها من السرور والانبساط وترك النوم فى اقصر الليالى بالضحك والقهقهة يعنى لايبقى النشوة الاولى بعد الرجوع ﴿ لكن لايطرح حقه بالتوهم ولا يسقط حرمته بالظنون ﴾ بل يحقق معاذيره هل هى عذر اوتعاذر ﴿ وقال الشاعر ﴾ من الوافر ﴿ اذا ما حال ﴾ اى انقلب ﴿ عهد اخيك يوما . وحاد ﴾ اى مال وخرج ﴿ عن الطريق المستقيم ﴾ وهو التواصل ﴿ فلا تعجل بلومك واستدمه ﴾ اى تأن فى لومه حتى يتبين عذره او اطلب دوام اخوته ﴿ فان اخا الحفاظ المستديم ﴾ يقال حافظ حريمه اذا ذب عنه والمصدر بمعنى الفاعل و اضافته من اضافة الصفة الى مفعوله يعنى لاتعجل فى لومه وتأن فيه فان اخا المحافظ للاستدامة مستديم كاخيه على ماهو حكم المقارنة وقاعدة الاضافة فالخبر محذوف ولااقواء فى القافية ﴿ فان تك زلة منه والا . فلا تبعد عن الخلق الكريم ﴾ يعنى وبعد التأنى فى اللوم فان تبين منه خطيئة ظاهرة فلم عليها مع قبول عذره وان لم تحق زلة فلا تبعد عن خلقك الكريم بجفائه وجعله مأيوسا وقد كان مأنوسا فالجملة الجزائية الاولى محذوفة لدلالة لاتعجل عليها وتنكير زلة للتعظيم وتفصيل ذلك فى فصل المروءة ﴿ ومنهم من يكون مله تركا واطراحا ولايرجع اخاء ولاودا ولا يتذكر حفاظا ولاعهدا ﴾ يقال عهد الحرمة اذا رعاه وحفظه والعهد اسم من ذلك المعنى يعبر عنه بيان وفسره المصنف باستواء المغيب والمشهد كما سيأتى ﴿ كما قال ﴾ ابو الوليد ﴿ اشجع بن عمرو السلمى ﴾ له نوادر منقولة وكان من مداح الجعفر البرمكى . من الكامل ﴿ انى رأيت لها مواصلة ﴾ اى وصلة ووصالا ﴿ كالسم تفرغه على الشهد ﴾ العسل اوالسكر يعنى وصالها الاحلى من الشهد ممزوج بمرارة الهجران ﴿ فاذا ﴾ انست بمواصلتها و ﴿ اخذت بعهد ذمتها ﴾ اى وشرعت فى توثيق الوصال بالعهود ﴿ لعب الصدود بذلك العهد ﴾ يعنى كأن ذلك العهد الذى شرع فيه كان ملعبة هجران فلعب به وتقضه كما قال آخر * وان حلفت ان ليس تنقض عهدها . فليس لمخضوب البنان يمين * وان سبكت يوم الفراق دموعها . فليس لعمرالله ذابيقين ﴿ وهذا اذم الرجلين حالا لان مودته من وساوس الخطرات وعوارض الشهوات وليس ﴾ ينفعه شئ من عتاب ونحوه ﴿ الا استدراك الحال ﴾ التى كانت معه ﴿ بالاقلاع قبل المخالطة ﴾ فى المرة الثانية ﴿ وحسن المتاركة ﴾ وهو عبارة عن ابقاء الشئ على حاله ﴿ بعد الورطة ﴾ وهى المهلكة اى بعد وقوعها فيها لان مثله لايؤمن من عداوته ﴿ كما قال العباس بن الاحنف ﴾ من المتقارب ﴿ تداركت نفسى فعزيتها . وبغضتها فيك آمالها ﴾ يعنى كانت نفسى متسارعة فى حبك ومتباعدة منى بحيث لاتسمع صوتى فلحقتها وعزيتها اى حملتها على الصبر والتأسى على محبتك

التي ماتت وصيرت آمالها فيك مبغوضة لها بعدم امكان الوصول اليها بمحبتك اذ لا حياة لها والجماد لا ينفع ولا يضر فلما علمت النفس ذلك سلت حال كونها ﴿ وما طابت النفس عن سلوة ﴾ يقال سلاه وسلاعنه اذا نسيه وذهل عن ذكره والسلوة اسم بمعنى فراغة البال فكأنه قيل لم حملت نفسك على ماتكرهه فقال ﴿ ولكن حملت عليها لها ﴾ اى حملتها على السلوة لنفعها لما عرفت انك لا ترحمها فرحمتها لكونها نفسي كما هو مقتضى سياق الكتاب او لكونها حبيبك وعاشقك على ما هو غرض الشاعر وهذا من باب معاتبة العاشق وادلاله لمعشوقه ﴿ وما مثل من هذه حاله الا كما قد قال ابراهيم بن هرمة ﴾ على وزن حمزة و اسمه على له قصائد في مدح جعفر المنصور وغرائب منقولة عنه . من الوافر ﴿ فانك واطراحك وصل سلمى . لاخرى في مودتها نكوب ﴾ يقال نكب عن الطريق اذا عدل عنه ونكب به اذا طرحه ﴿ كثاقبة لحلي مستعار . لاذنيها فشانهما الثقوب ﴾ يعني اصبت ايتها النفس في ذلك الاطراح لان حال المتمني وصل سلمى كحال ثاقبة اذنيها لحلي مستعار . ولابد يوما ان ترد الودائع ﴿ فادت حلي جارتها اليها . وقد بقيت باذنيها ندوب ﴾ الحلي مايتزين به مطلقا اراد به القرط والندوب جمع ندبة وهو اثر الجرح في البدن من الغلظة والثلمة وقال بعض الحكماء زهدك في راغب فيك نقصان حظ ورغبتك في زاهد فيك ذل نفس وقال ابو فراس * اذا الخل لم يهجرك الاملالة . فليس له الا الفراق عتاب * اذا لم اجد من خلة ما اريده . فعندي لاخرى عزمة وركاب * بمن يثق الانسان فيما ينوبه . ومن اين للحر الكريم صحاب * وقد صار هذا الناس الاقلهم . ذئابا على اجساد هن ثياب * ولما فرغ من بيان شروط المواخاة ومقدماته شرع في بيان حقوقها ونتائجها فقال ﴿ واذا صفت له اخلاق من سبره وتمهدت لديه احوال من خبره واقدم على اصطفائه اخا واتخاذه خدنا ﴾ بكسر فسكون اى صاحبا بالفعل يخادنه في كل امره ظاهر وباطن ﴿ لزمته حينئذ حقوقه ووجبت عليه حرماته وقال عمرو بن مسعدة العبودية ﴾ الكاملة ﴿ عبودية الاخاء لاعبودية الرق ﴾ لان العزة والحرية في ازالة الثانية وتحكيم الاولى وتوثيقها ﴿ وقال بعض الحكماء من جاء لك بمودته فقد جعلك عديل نفسه فاول حقوقه اعتقاد مودته ثم ايناسه بالانبساط اليه في غير محرم ﴾ من الاقوال اوالافعال ﴿ ثم نصحه في السر والعلانية ثم تخفيف الاثقال عنه ثم معاونته فيما ينوبه من حادثة او يناله من نكبة فان مراقبته في الظاهر نفاق وتركه في الشدة لؤم وقد روى عن النبي صلى الله عليه وسلم انه قال خير اصحابك هو المعين لك على دهرك وشرهم من سعى لك بسوء يوم ﴾ اى يومه والاول هو من يعين ولا يستعين والثاني من يستعين ولا يعين اوالمعنى من سعى اى نم عليك بسوء يومك وقال بعض الادباء لا تصحب من الناس الا من يكتم سرك ويستر عيبك فيكون معك في النوائب ويؤثرك بالرغائب وينشر حسنتك ويطوى سيئتك فان لم تجده فلا تصحب الانفسك ﴿ وقيل يارسول الله اى الاصحاب خير قال الذى اذا ذكرت اعانك ﴾ على ذكرالله يعني ذكره معك فحرك همك ﴿ وواساك ﴾ عند اقلالك بماله او وحشتك بانسه ﴿ وخير منه من اذا نسيت ذكرك ﴾ من التذكير اى نبهك على ان تذكره على مارواه ابن ابي الدنيا مرسلا ﴿ وقال على بن ابي طالب رضي الله عنه خير اخوانك من واساك ﴾ اى انا لك من

ماله ﴿ وخير منه من كافاك ﴾ اى جعلك مساويا فى جميع ماله وقال ايضا. ان اخاك الحق من كان معك ومن يضر نفسه لينفعك. ومن اذا ريب صدعك. شتت فيه شمله ليجمعك ﴿ وكان ابو هريرة رضى الله عنه يقول اللهم انى اعوذبك ممن لا يلتمس خالص مودتى الا بموافقة شهواتى ﴾ وشهواتى شهواته ايضا يعنى القرين السوء ﴿ وممن ساعدنى على سرور ساعتى ولا يفكر فى حوادث غدى ﴾ يعنى لايمنعنى عن عمل يضر بآخرتى ولا يعاتب عليه سواء اعان او حث عليه اولم يعن ولم يعاتب بل تابع كالظل ﴿ وقال بعض البلغاء عقود الغادر محلولة وعهوده مدخولة ﴾ ومعيوبة ﴿ وقال بعض البلغاء ماودك من اهمل ودك ﴾ ولم يطلبه ﴿ ولا احبك من ابغض حبك ﴾ اياه بتضجر من ذلك ﴿ وقال بعض الشعراء ﴾ من الطويل ﴿ وكل اخ عند الهوينا ملاطف . ولكنما الاخوان عند الشدائد ﴾ يقال هان الامر اذا سهل وهو مصغر هون والفه للجمع وحذف تاؤه للضرورة يعنى انما الاخوان الحق من يلاطف اخاه عند خوفه فيؤمنه او وحشته فيونسه اوقلاله فيواسيه ونحو ذلك وترجمه السعدى فقال . دوست مشمار آنكه درنعمت زند . لاف يارى وبرادر خواندكى * دوست آنباشدكه كيرد دست دوست. در پريشان حالى ودرماندكى ﴿ وقال صالح بن عبد القدوس شر الاخوان من كانت مودته مع الزمان اذا اقبل اقبل واذا ادبر ﴾ الزمان ﴿ ادبر عنك ﴾ ذلك الاخ ﴿ فاخذ هذا المعنى الشاعر) وهو صالح نفسه كما فى فصل المروءة ﴿ فقال ﴾ من البسيط ﴿ شر الاخلاء من كانت مودته . مع الزمان اذا ماخاف اورغبا ﴾ يعنى شرهم من اذا كان له خوف من عدو اورغبة فى مال صاحبه اقبل عليه واخلص المواخاة والافادبر والادبار فى خوف الصديق اورغبته يوتره عليك و ﴿ اذا وترت امرأ فاحذر عداوته ﴾ يقال هو موتوراى قتل له قتيل فلم يدرك بدمه والمراد لازمه وهو الغضب الداعى الى الانتقام ﴿ من يزرع الشوك لايحصد به عنبا ﴾ يقال حصد الزرع من الباب الاول والثانى اذا قطعه بالمنجل يعنى لاتكتسب صداقة من عداوة كما لاتجتنى عنبا من شوك ﴿ ان العدو وان ابدى مسالمة . اذا رأى منك يوما فرصة وثبا ﴾ عليك فلا تأمن من هجوم من ادبرت عنه وقال آخر * تفقد الاخوان مستحسن . فمن بداه نعم ما قد بدا * سن سليمان به سنة . وكان فيما سنه مقتدى * تفقد الطير على ملكه . فقال مالى لاارى الهدهدا ﴿ وينبغى ان يتوقى الافراط فى محبته فان الافراط داع الى التقصير ولان تكون الحال بينهما نامية اولى من ان تكون متناهية ﴾ اذ ليس بعد الكمال الا الزوال ﴿ وقد روى ﴾ محمد ﴿ ابن سيرين ﴾ ابو بكر الانصارى التابعى الجليل سمع جمعا من الصحابة وخلقا من التابعين ولد لسنتين بقيتا من خلافة عثمان رضى الله عنه ومات سنة عشر ومأة بعد الحسن بمأة يوم وروى عنه جماعة كالشعبى وقتادة وله مهارة كاملة فى التعبير ﴿ عن ابى هريرة رضى الله عنه ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال احبب حبيبك هونا ماعسى ان يكون بغيضك يوما ما ﴾ اى يوما من الايام ﴿ وابغض بغيضك هونا ما عسى ان يكون حبيبك يوما ما ﴾ الهون مصدر كالقول من هان عليه الشئ اذا خف وسهل ومنه الهون فى المشى وهو الرفق واللين فارشد عليه السلام المتحابين الى الاقتصاد فى المحبة وكذا المتباغضين اللذين بينهما عداوة وقال ارسطاطاليس للاسكندر لاتملك قلبك بمحبة شئ ولا يستولين بغضه عليك واجعلهما قصدا فان القلب كاسمه يتقلب فيندم اويستحى كما فى

الشهاب ﴿ وقال عمر بن الخطاب رضى الله عنه لايكن حبك كلفا ﴾ اى عشقا ﴿ ولا بغضك تلفا ﴾ اى اهلاكا ﴿ وقال ابو الاسود الديلى ❊ وكن معدنا للخير واصفح عن الاذى . فانك راء ماعملت وسامع ﴾ اى سترى انه يرضى ويعمل لك مارضيت وعملت لغيرك وستسمع انه يقال فيك ما كنت تقوله له ﴿ واحبب اذا احببت حبا مقاربا . فانك لاتدرى متى انت نازع ﴾ عنه ومفارق اياه ﴿ وابغض اذا ابغضت غير مباين . فانك لاتدرى متى انت راجع ﴾ الى بغيضك وبين ابن الرومى العلة حيث يقول ❊ احذر عدوك مرة . واحذر صديقك الف مرة ❊ فلربما انقلب الصديق فكان اعرف بالمضرة ﴿ وقال عدى بن زيد ﴾ من الطويل ايضا الا ان صدره اثلم ﴿ لاتأمنن ﴾ بالنون الخفيفة ﴿ من مبغض قرب داره ﴾ بدل اشتمال من مبغض وقرب الدار يستلزم الملاقاة كثيرا وهو يستلزم المودة والمحبة ﴿ ولا من محب ان يمل فيبعدا ﴾ يعنى لاتيأسن من محبة المبغض ولاتأمنن من عداوة الصديق فقوله لاتأمن حقيقة فى المعطوف ومجاز فى المعطوف عليه عن اليأس بعلاقة الضد ﴿ وانما يلزم من حق الا خاء بذل المجهود فى النصح والتناهى فى رعاية مابينهما من الحق فليس فى ذلك ﴾ البذل والرعاية ﴿ افراط وان تناهى ولا مجاوزة حد وان اكثر واوفى ﴾ يعنى لايعد ذلك البذل من الاسراف المذموم لان حق الاخوة بذل المجهود فاذا اوفى فقد بلغ حده فلا مجاوزة ولا اسرف ﴿ فتستوى حالتا هما فى المغيب والمشهد ولان يكون مغيبهما افضل من مشهدهما اولى فان فضل المشهد على المغيب لؤم وفضل المغيب على المشهد كرم واستواؤهما حفاظ ﴾ وقع عليه المعاهدة والميثاق فالتقصير عنه لؤم والزيادة عليه كرم ﴿ وقال بعض الشعراء ❊ على لاخوانى رقيب من الصفا . تبيد الليالى وهو ليس يبيد ﴾ يعنى صفوتى واخلاصى لاخوانى رقيب على وحفظ لحقوقهم عندى اى رقيب هو تبيد الليالى وتفنى كأنها لم تكن ولايفنى ذلك الرقيب يعنى اهرم وانسى ولايهرم هو ولاينسى بل يحفظ شبابه ونشاطه بل ينمو ويزداد (٢) فلو نسيتهم ﴿ يذكرنيهم فى مغيبى ومشهدى . فسيان منهم غائب وشهيد ❊ وانى لاستحيى اخى ان ابره . قريبا وان اجفوه وهو بعيد ﴾ عن الحضور وقال المغيرة بن شعبة ❊ اخوك الذى لاينقض النأى عهده . ولا عند صرف الدهر يزور جانبه ❊ وليس الذى يلقاك بالبشر والرضا . وان غبت عنه لسعتك عقاربه ❊ وقال بشار وزاد معنى ❊ تود عدوى ثم تزعم اننى . صديقك ان الرأى منك لعازب ❊ وليس اخى من ودنى رأى عينه . ولكن اخى من ودنى وهو غائب ❊ ومن ماله مالى اذا كنت معدما . ومالى له ان اعوزته النوائب ﴿ وهكذا يقصد التوسط فى زيارته وغشيانه غير مقل ولا مكثر ﴾ اى كما يقصد فى محبته ﴿ فان تقليل الزيارة داعية الهجران وتكثيرها سبب الملال وقد قال النبى صلى الله عليه وسلم لابى هريرة رضى الله عنه يا ابا هريرة زرغبا ﴾ اى زر اخاك وقتا بعد وقت ولا تلازم زيارته كل يوم ﴿ تزدد حبا ﴾ عنده والحديث روى من طرق كثيرة عن ابى هريرة وابن عمر وابن عمرو وحبيب بن مسلمة وعايشة رضى الله عنهم قال المنذرى ولم اقف له على طريق صحيح بل له اسانيد حسان ﴿ وقال لبيد ﴾ من الوافر ﴿ توقف عن زيارة كل يوم . اذا اكثرت ملك من تزور ﴾ اى اكثرت محبته ورقيته ﴿ وقال آخر ﴾ من الكامل ﴿ اقلل زيارتك الصديق

مجهود الذى كلان منه

(٢) وفيه اشارة الى ان ذلك الصفا ليس من هذا العالم حيث لايتغير بحوادث الدهر ولا يتأثر بنوائب الزمان ولايهرم بهرم الابدان وهذا سر قوله عليه السلام الارواح جنود مجندة الحديث ومن لم يتصور طول البقاء مع عدم الفناء فى دار البقاء فليتحر ذلك الصفاء حتى يشاهد البقاء فى الفناء منه

ولا تطل . هجرانه فيلج فى هجرانه ﴾ اى يتمادى فيه لان شجرة المحبة تسقى بماء الزيارة ﴿ ان الصديق يلج فى غشيانه . لصديقه فيمل من غشيانه ﴿ حتى تراه بعد طول سروره . بمكانه متثاقلا بمكانه ﴾ ولقد تسرر فيه طويلا فتثاقله ليس الامن طول الغشيان والمكث عنده ﴿ واذا توانى ﴾ اى تقاصر الزائر وتكاسل ﴿ عن صيانة نفسه ﴾ كما هو شان الثقلاء ﴿ رجل تنقص واستخف بشانه ﴾ اى طلب النقيصة لنفسه والاستخفاف بشانه فلا يلام لائمه على ذلك قالت عائشة رضى الله عنها آية فاذا طعمتم فانتشروا ولا مستأنسين لحديث نزلت فى الثقلاء ومنه قول ابى الشيص * ياحبذا الزور الذى زارا . كأنه مقتبس نارا * نفسى فداء لك من زائر . ماحل حتى قيل قد سارا * مر بباب الدار فاجتازها * ياليته قد دخل الدارا * وفى غير الثقلاء فسنة الوصل سنة وسنة الهجر سنة واقلال الزيارة مرغوب ومذاهب الناس فيه مختلفة وقد قيل * لاتزر من تحب فى كل شهر . غير يوم ولاتزده عليه * فاجتلاء الهلال فى الشهر يوم . ثم لاتنظر العيون اليه * وقال آخر * عليك باقلال الزيارة انها . اذا كثرت كانت الى الهجر مسلكا * الم تر ان الغيث يسأم دائما . ويطلب بالايدى اذا هو امسكا * وقال بعضهم فى العيادة * اذا ماعدت محموما فخفف . فتخفيف العيادة خير عادة * وقال آخر * عيادة المرء يوم بعد يومين . وجلسة لك مثل اللحظ بالعين * لاتبرمن مريضا فى مسائلة . يكفيك من ذاك تسآل بحرفين * وقالوا افراط البر بالصاحب داع الى كثرة اخجال ومانع من العودة بعد الانفصال وكتب ابن عمار الى ابن زريق وقد عتب عليه ان اجتاز ببلده ولم يلقه هذه الابيات * لم يلو عنك عنانى سلوة خطرت . ولا فؤادى ولا سمعى ولا بصرى * لكن عدتنى عنكم خجلة عرضت . كفانى العذر منها بيت معتذر * لو اختصرتم من الاحسان زرتكم . والعذب يهجر للافراط فى الخصر * ضمن ابن عمار هذا البيت احسن تضمين وهو للمعرى وماقيل فى العجز عن الشكر احسن منه . وقالوا الاقلال يمنع من تلاقى الاحباب كما قال ابن الجد * وانى لصب بالتلاقى وانما . يصد خدودى عن معاذيرك العسر * اذوب حياء من زيارة صاحب . اذا لم يساعدنى على بره الوفر ﴿ وبحسب ذلك ﴾ التوسط فى زيارته ﴿ فليكن فى عتابه فان كثرة العتاب سبب للقطيعة واطراح جميعه دليل على قلة الاكتراث بامر الصديق ﴾ تقول ما اكترثت له اى ماباليت به ولايستعمل الافى النفى الاعلى الشذوذ ﴿ وقد قيل علة المعاداة قلة المبالاة بل تتوسط حالتا تركه وعتابه فيسامح بالمتاركة ويستصلح بالمعاتبة فان المسامحة ﴾ هى المعاملة بالسهولة والمساعدة بدون الصعوبة والمضايقة ﴿ والاستصلاح ﴾ اى طلب الصلاح ﴿ اذا اجتمعا ﴾ بان يكون طلب الصلاح بحسن الخلق والسهولة ﴿ لم يلبث معهما نفور ولم يبق معهما وجد ﴾ وغضب قال عباس بن الاحنف * ظهر الجفاء فقلت ان عاتبتها . كان العتاب لودنا استهلاكا * وطمعت ان تبقى المودة بيننا . موصولة فتركت ذاك لذاكا * وقال آخر * اذا ذهب العتاب فليس ود . ويبقى الود مابقى العتاب ﴿ وقد قال بعض الحكماء لا تكثرن معاتبة اخوانك فيهون عليهم سخطك ﴾ لان فى كثرة الشئ استئناسا به والشئ المأنوس سهل من وجه ﴿ وقال منصور النمرى ﴾ من الكامل ﴿ اقلل عتاب من استربت بوده . ليست تنال مودة بعتاب ﴾ كثير يقال استراب به اذا رأى منه مايريبه ﴿ وقال بشار بن برد ﴾ من الطويل ﴿ اذا كنت فى كل الامور معاتبا . صديقك لم تلق الذى لاتعاتبه ﴾ لان لكل فرد ذنبا قل او كثر ﴿ وان انت لم تشرب مرارا على القذى . ظمئت واى الناس تصفو مشاربه ﴾

يعنى ان تركت شرب الماء مرة بعد اخرى لما فيه من القذى ظمئت اى بقيت عطشانا وانت محتاج الى الصديق احتياج العطشان الى الماء فان عاتبته على كل خطأه بقيت بلا صديق ﴿ فعش واحدا اوصل اخاك فانه . مقارف ذنب مرة ومجانبه ﴾ مرة اخرى يقال قارفه اذا قاربه واراد بالذنب ما يعده صديقه ذنبا ويعاتبه عليه سواء كان ذنبا حقيقة اولا يعنى انت مخير بين الوحدة والرضاء بفلتاتهم ومساويهم والابيات من قصيدة له يخاطب بها الوزير ابن الهبيرة وقال سابق البربرى * اذا ما كنت طالب كل ذنب . ولم تحل اخاك عن العتاب * تباعد من تباعد بعد قرب . وصار بك الزمان الى اجتناب * ومن امثال العرب اسوأ الآداب كثرة العتاب وقال الاحنف العتاب مفتاح التقالى والعتاب خير من الحقد وقال سعيد بن حميد الكاتب * اقلل عتابك فالبقاء قليل . والدهر يعدل مرة ويميل * ولعل ايام الحياة قصيرة . فعلام يكثر عتبنا ويطول ﴿ ثم من حق الاخوان ان تغفر هفوتهم وتستر زلتهم لان من رام بريئا من الهفوات سليما من الزلات رام امرا معوزا واقترح وصفا معجزا ﴾ اى سأل ذلك وطلبه ﴿ وقد قالت الحكماء اى عالم لايهفو ﴾ اى لايزل ولايخطئ ﴿ واى صارم لاينبو ﴾ اى لايكل اولا يرتد عن ضريبة ﴿ واى جواد لايكبو ﴾ اى لاينكب على وجهه ﴿ وقالوا من حاول صديقا يأمن زلته ويدوم اغتباطه ﴾ اى مسرته بجميع حالاته ﴿ كان كضال الطريق الذى لايزداد لنفسه اتعابا الا ازداد من غايته بعدا وقيل لخالد بن صفوان اى اخوانك احب اليك قال من غفر زللى وقطع عللى ﴾ اى اعذارى لعدم اتهامه بما يسوء ظنه ﴿ وبلغنى املى وقال بعض الشعراء ﴾ من الكامل ﴿ ما كدت افحص عن اخى ثقة . الا ندمت عواقب الفحص ﴾ هو البحث عن سر الشئ وباطنه يعنى كلما شرعت فى بحث عن سرائر صاحب ثقة ندمت على ذلك الشروع اذ لم اجده كما ظننته وهذه حال صاحب ثقة تظهر بادنى فحص على ما يفيده قوله كدت فكيف حاله لو بولغ فيه ام كيف حال غير الثقة ﴿ وانشدت عن الربيع ﴾ بن سليمان ﴿ للشافعى رضى الله عنه ﴾ من الطويل ﴿ احب من الاخوان كل مؤاتى ﴾ اسم فاعل يقال آتاه اى اعطاه وآتاه اى وافقه وآتاه جاء به كما يقال هاتاه وآتاه اطاع بامره يعنى احب منهم من وافقنى واطاع امرى ﴿ وكل غضيض الطرف عن عثراتى ﴾ اى واحب منهم من يعفو عن عثراتى ويسترها على كأنى لم افعلها اصلا لان غض الطرف يستلزم عدم الابصار وعدم ابصارها يستلزم انكارها وهو المطلوب ﴿ يوافقنى فى كل امر اريده . ويحفظنى حيا وبعد وفاتى * فمن ﴾ يتكفل ﴿ لى بهذا ﴾ الصديق واين اجده والاستفهام للانكار فلما ايس وقنط من وجوده وكان مطلوبا له شرع فى تمنيه وقال ﴿ ليت انى اصبته . فقاسمته مالى من الحسنات ﴾ يعنى جعلته شريكا فى حسناتى ﴿ تفحصت اخوانى وكان اقلهم . على كثرة الاخوان اهل ثقاتى ﴾ يعنى انتقدتهم ووجدت اقلهم اهل ثقة مع كثرتهم وفى بعض المجاميع الادبية ذكر صاحب الاغانى فى اخبار علوية المجنون انه دخل يوما على المأمون وهو يرقص ويصفق بيديه ويغنى بهذين البيتين * عذيرى من الانسان لاان جفوته . صفالى ولا ان صرت طوع يديه * وانى لمشتاق الى ظل صاحب . يروق ويصفو ان كدرت عليه * فسمع المأمون وجميع من حضر المجلس من المغنين وغيرهم مالم يعرفوا واستظرفه المأمون وقال ادن ياعلوية ورددها فرددها عليه سبع مرات فقال المأمون ياعلوية خذ الخلافة واعطنى هذا الصاحب انتهى فظهر ان السعدى لم يبالغ ولم يسرف فى قوله . بختن ديك نيك خواهانرا . هرچه رخت سرست سوخته به . لان هذه مسئلة افتى بها الشافعى ووقع عليها المأمون رحمهم

الله تعالى ﴿ وانشد ثعلب ﴾ من الطويل ﴿ اذا انت لم تستقبل الامر لم تجد . بكفيك فى ادباره متعلقا ﴾ معناه عبارة عن الحزم والاحتياط والادخار فى حال السعة والغرض المسوق له اتخاذ الاخوان قبل الاحتياج اليهم وجعلهم عدة ليوم كريهة وذلك بعفو الزلل ﴿ اذا انت لم تترك اخاك وزلة ﴾ اى مع زلته ﴿ اذا زلها اوشكتما ان تفرقا ﴾ خبر او شك وترك بمعنى جعل اريد به لازم معناه كما فى قوله تعالى وتركنا عليه فى الآخرين اى ابقيناله ذكرا حسنا فالمعنى اذا لم تبق اخاك مع زلته قرب مواصلتكما الى التفرق ومواخاتكما الى التباين ﴿ وحكى الاصمعى عن بعض الاعراب انه قال تناس مساوى الاخوان يدم لك ودهم ﴾ قال الزمخشرى تقول تشجعت وتحلمت وانت طالب للشجاعة والحلم وتقول تمارضت وتجاهلت اى اظهرتهما كارها اياهما وتناس امر من ذلك المعنى ويدم مجزوم بان المقدرة بعد الامر ﴿ ووصى بعض الادباء اخاله فقال كن للود حافظا وان لم تجد محافظا وللخل واصلا وان لم تجد مواصلا ﴾ لانك كما قال الشاعر * نزوركم لانكافيكم بجفوتكم . ان الكريم اذا مالم يزر زارا (٢) وفيه مذهبان ذكرهما الحريرى فى المقامة الرابعة مبنيان على آيتين الاولى قوله تعالى وان عاقبتم فعاقبوا بمثل ما عوقبتم به ولئن صبرتم لهو خير للصابرين والثانية قوله تعالى ولمن انتصر بعد ظلمه فاولئك ماعليهم من سبيل وقال النبى صلى الله عليه وسلم لاخير فى صحبة من لايرى لك من الحق مثل الذى ترى له فقال من الاول ارعى الجار ولو جار وابذل الوصال لمن صال واحتمل الخليط ولو ابدى التخليط واود الحميم ولو جرعنى الحميم الى ان قال ولا الظلم حين الظلم ولا انقم ولو لدغنى الارقم وقال من الثانى انا لا آتى غير المواتى ولا اصافى من يأبى انصافى ولا اواخى من يلغى الاواخى الى ان قال * وكلت للخل كما كال لى . على وفاء الكيل او بخسه * وكل من يطلب عندى جنى . فماله الاجنى غرسه * ولست بالموجب حقا لمن . لايوجب الحق على نفسه * فاهجر من استغباك هجر القلى . وهبه كالملحود فى رمسه * ولا ترج الود ممن يرى . انك محتاج الى فلسه * وقال الشريشى وللشعراء فى المذهبين شعر كثير قال المقنع الكندى فى الاول * وان الذى بينى وبين بنى ابى . وبين بنى عمى لمختلف جدا * اراهم الى نصرى بطاء وان هم . دعونى الى نصر اتيتهم شدا * وان اكلوا لحمى وفرت لحومهم . وان هدموا مجدى بنيت لهم مجدا * وان ضيعوا غيبى حفظت غيوبهم . وان هم هووا غيى هويت لهم رشدا * وان زجروا طيرا بنحس يمربى . زجرت لهم طيرا يمربهم سعدا * لهم جل مالى ان تتابع لى غنى . وان قل مالى لم اكلفهم رفدا * ولا احمل الحقد القديم عليهم . وليس يسود القوم من يحمل الحقدا * وقال ابو الفتح البستى فى الثانى * فان تزرنى ازرك اوان . تقف ببابى اقف ببابك * والله لاكنت فى حسابى . الا اذا كنت فى حسابك * انتهى والحاصل ان العفو فضل وكرم والمقابلة بالمثل عدل وذم ولاشك ان الكرم افضل واجمع للشمل ﴿ وقال رجل من اياد ليزيد بن المهلب ﴾ من الطويل ﴿ اذا لم تجاوز عن اخ عند زلة . فلست غدا عن عثرتى متجاوزا * وكيف يرجيك البعيد لنفسه . اذا كان عن مولاك خيرك عاجزا ﴾ اى اذا كان خيرك وعفوك قاصرا عن مولاك وعبدك اوعن اخيك وصديقك ﴿ ظلمت اخا كلفته فوق وسعه . وهل كانت الاخلاق الاغرائزا ﴾ لاتترك الابمجاهدة كثيرة

(٢) لطيفة . حكى ان طفليا سئل ماحفظت من القرآن قال واذقال موسى لفتاه آتنا غداءنا ثم قيل مائروى من الحديث قال اجبت ولو دعيت الى كراع ثم قيل انشد شعرا قال بيتا واحدا قيل وماهو قال نزوركم آه منه

(جار اى ظلم (صال اى اظهر صولته وشدته (التخليط التلبيس والافساد (الحميم الاول القريب الذى تهتم لامره والثانى الماء الحار (المواتى الموافق والمساعد (لا اواخى اى لا ادعوا اخا (الاواخى جمع اخية وهى الذمة والحرمة. يعنى من يهمل بالعهود (الخل الصاحب (او بخسه اى نقصه (استغباك اى استجهلك وعدك غبيا (الملحود المقبور (رمسه قبره (القلى البغض الشديد منه

(وفيه)

وفيه ارشاد اليها ﴿ وقال ابو مسعود كاتب الرضى كنا فى مجلس الرضى فشكا اليه رجل من اخيه فانشد الرضى ﴾ وكان من مشاهير شعراء السادات صاحب كتاب معانى القرآن ومجازات القرآن واتفق على انه اشعر قريش توفى ببغداد سنة ست واربعمأة ، من الكامل المرفل وهذا ما كان التصريع بزيادة ﴿ اعذر اخاك على ذنوبه . واستر وغط على عيوبه ﴾ يقال عذره واعذره اذا قبل عذره ورفع عنه اللوم فيما صنع وغطى الليل اذا البسه ظلمته وستره ﴿ واصبر على بهت السفيه ﴾ اى على افكه وافترائه ﴿ وللزمان على خطوبه ﴾ بدل من الزمان ﴿ ودع الجواب تفضلا ﴾ اى جواب السفيه ﴿ وكل الظلوم الى حسيبه ﴾ اى سلمه واتركه الى الله وكفى بالله حسيبا ﴿ واعلم بان الحلم عند الغيظ احسن من ركوبه ﴾ يقال ركب الذنب اذا فعله كأنه ركب عليه ﴿ وحكى عن بنت عبدالله بن مطيع انه قالت لزوجها طلحة بن عبدالرحمن بن عوف الزهرى وكان اجود قريش فى زمانه ما رأيت قوما الأم من اخوانك قال مه ﴾ اى اسكتى ﴿ ولم ذلك ﴾ اللؤم ﴿ قالت اراهم اذا ايسرت لزموك ﴾ اى اذا صرت ذا يسر ﴿ واذا اعسرت تركوك قال هذا والله من كرمهم يأتوننا فى حال القوة بنا عليهم ﴾ اى على اكرامهم ﴿ ويتروكوننا فى حال الضعف بنا عنهم ﴾ ولايخجلوننا ﴿ فانظر كيف تأول بكرمه هذا التأويل حتى جعل قبيح فعلهم حسنا وظاهر غدرهم وفاء وهذا ﴾ التأويل ﴿ محض الكرم ولباب الفضل ﴾ اى خالصه ﴿ وبمثل هذا يلزم ذوى الفضل ان يتأولوا الهفوات ﴾ الصادرة ﴿ من اخوانهم وقد قال بعض الشعراء ﴾ من الطويل * اذا شئت ان تدعى كريما مهذبا . سخيا سريا ماجدا فطنا حرا ﴿ اذا مابدت من صاحب لك زلة ﴾ فاعل بدت ﴿ فكن انت محتالا لزلته عذرا ﴾ قبل ان يعتذر هو يعنى لاتحوجه الى الاعتذار حتى لاينحط عن قدره عندك ﴿ احب الفتى ينفى الفواحش سمعه ﴾ اى احب الفتيان فتى ينفى آه فاللام للجنس والخبر محذوف او صيغة متكلم ﴿ كأن به عن كل فاحشة وقرا ﴾ اى عن استماعها صمما لايحس بها اصلا وذلك لان ادراك الحواس تابع للارادة والارادة منبعثة عن تحسين شئ واشتياق اليه فعدم استماع الفواحش بتقبيحها من كرم الطبع وشرف النفس كما قال آخر * اصم عن الشئ الذى لا اريده . واسمع خلق الله حين اريد وقد قيل ينبغى ان يجعل الانسان عند ذكر محبوبه نفسه قلبا ويجعل قلبه اذنا ثم يسمع ذكره قال ابن الفارض * فان هى نادتنى فكلى اعين . وان هى نادتنى فكلى مسامع ﴿ سليم دواعى الصدر ﴾ جمع داعية وهى اللبن الذى يترك فى الضرع ليدعو اللبن ويجذبه والمراد بها الاخلاق الحسنة بجامع اللين والحلاوة او مأخوذ من قولهم ماتدعون هذا الشئ عندكم اى ماتسمونه فالمعنى مايسميه به صدره هو سليم فالصدر مجاز عن الاخلاق الحالة فى القلب الحال فى الصدر ﴿ لاباسط اذى . ولا مانع خيرا ولاقائل هجرا ﴾ بضم فسكون اى كلاما قبيحا ومعنى البيت استيناف عما قبله اى ذلك الفتى احب لانه سليم الصدر ومأمون الباطن لاباسط اذاه حتى يمل منه ولا مانع خيره حتى يعتزل عنه ولا قائل قبيحا حتى يتحاشى عنه فهو من الاخوان الذينهم كالغذاء ولذا استعاره اللبن الذى هو غذاء وشراب للصغير والكبير والصحيح والسقيم وقد قال عبدالله بن جعفر عليك بصحبة من ان صحبته زانك وان غبت عنه

صانك وان احتجت اليه مانك وان رأى منك خله سدها او حسنة عدها ﴿ والداعى الى هذا التأويل ﴾ اى تأويل السيئة بالحسنة ﴿ شيئان التغافل ﴾ اى اظهار الغفلة ﴿ الحادث عن الفطنة والتألف الصادر عن الوفاء وقال بعض الحكماء وجدت اكثر امور الدنيا لا تجوز الا بالتغافل وقال اكثم بن صيفى ﴾ بن رباح التميمى اشهر حكام العرب فى الجاهلية ادرك مبعث النبى صلى الله عليه وسلم وقال لقومه احملونى اليه فقالوا لا والله وانت سن من اسنان العرب قال فليأته احدكم فليسأ عن ربه وعما امره به فأتى حبيش بن اكثم فقال يا محمد بم بعثك ربك قال بعثنى بان اكسر الاصنام قال بم امرك قال ان الله يأمر بالعدل والاحسان الى آخر الآية فانصرف حبيش الى ابيه فاخبره بكلام النبى صلى الله عليه وسلم وتلا عليه الآية الشريفة فجعل يرددها ويقول ان هذا الرب كريم يأمر بمحاسن الاخلاق وينهى عن مساويها ثم جمع اليه بنى تميم وقام فيهم خطيبا وعمره اذ ذاك مأة وتسعون سنة وفى ذلك يقول * وان امرأ قد عاش تسعين حجة . الى مأة لم يسأم العيش جاهل * ويروى لخمس لم يسأم على ان عمره خمس وتسعون سنة وهو الاقرب ثم قال يا بنى تميم لا تحضروا الى سفيها فان السفيه يوهن من فوقه ويثبت من دونه اى يهلكه ولا خير فى من لا عقل له انى شاهد هذا الرجل الذى ظهر بمكة وشافهه وهو يأمر بمحاسن الاخلاق ويدعو الى توحيد الله عز وجل وقلع الاوثان وقد عرف ذو الرأى منكم ان الفضل فيما يدعو اليه وان احق الناس بمعاونته لانتم فان كان الذى يدعو اليه حقا فهو لكم وان كان باطلا كنتم احق من كتم و ستر وقد سمعت اسقف نجران يذكره ويترجى ان يكون له فسما ابنه محمدا فكونوا فى امره اولا ولا تكونوا آخرا وائتوه طائعين قبل ان تأتوه كارهين والله ان هذا الذى يدعو اليه لو لم يكن دينا لكان فى اخلاق العرب حسنا فاطيعوا امرى فمن سبق فاز ومن تأخر ندم فقام مالك بن نويرة وقال لقد خرف شيخكم فلا تتعرضوا للبلاء فقال اكثم ويل للشجى من الخلى لهفى على امر لم ادركه ولم يسبقنى ثم رحل الى النبى صلى الله عليه وسلم فمات فى الطريق وبعث باسلامه مع من اسلم ممن كان معه وذكر ابن عباس رضى الله عنهما ان هذه الآية وهى ومن يخرج من بيته مهاجرا الى الله ورسوله ثم يدركه الموت فقد وقع اجره على الله نزلت فى اكثم ومن تبعه من اصحابه وقال قوم آخرون خرج مهاجرا ولم يسلم وكان من افصح خطباء العرب وجمع من كلامه شئ كثير ﴿ من شدد نفر ﴾ اصحابه من التنفير كما قال الله تعالى ولو كنت فظا غليظ القلب لانفضوا من حولك فاعف عنهم ﴿ ومن تراخى ﴾ رعاية للضعفاء لا لتلونه فى عزماته ولا لعدم متانته فيها ﴿ تألف ﴾ لان اظهار الرخوة للرعاية من جملة التألف والتواضع بها يأمن الاقوياء ويلتحق الضعفاء ﴿ والشرف فى التغافل وقال شبيب بن شيبة الاريب العاقل هو الفطن المتغافل وقال ﴾ ابو تمام ﴿ الطائى ﴾ من الكامل ﴿ ليس الغبى بسيد فى قومه . لكن سيد قومه المتغابى ﴾ هو المتجاهل عن الشئ وهو عارف به وذلك مما يحمد به الرجل قيل لقيس بن عاصم بم سدت قومك قال لم اخاصم احدا الا تركت للصلح موضعا وقال سعيد بن العاص ماشاتمت رجلا مذ كنت رجلا لانى لم اشاتم الا احد رجلين اما كريم فانا احق ان اجله واما لئيم فانا اولى ان ارفع نفسى عنه وقالوا من نعت السيد ان يكون يملأ العين جمالا والسمع مقالا وعنه صلى الله عليه

(وسلم)

وسلم من رزقه الله مالا فبذل معروفه وكف اذاه فذلك السيد ﴾ وقال ابو العتاهية ﴿ من الخفيف
﴿ ان فى صحة الاخاء من الناس وفى خلة الوفاء لقلة ﴾ اسم ان واللام للتأكيد يعنى ان القلة
فى الاخوة الصحيحة وفى خلة الوفاء ﴿ فالبس الناس ما استطعت على النقص والا لم تستقم لك
خلة ﴾ فى الاساس البس الناس على قدر اخلاقهم اى عاشرهم ولكل زمان لبسة اى حالة
يلبس عليها من شدة ورخاء ولبست فلانا على ما فيه اى احتملته وقبلته والفاء داخلة
على جواب شرط محذوف اى اذا كانت الاخوة الصحيحة قليلة فعاشر الناس مع نقصهم
اوفاحتمل نقائصهم ما استطعت والا لم تستقم لك خلة اصلا لان فى اصل المادة قلة وندرة
﴿ عش وحيدا ﴾ ومنفردا عن الاخوان ﴿ ان كنت لا تقبل العذر وان كنت لا تجاوز
زلة ﴾ وهذا كما سبق من قول بشار فعش واحدا اوصل اخاك البيت ﴿ من اب واحد وام
واحدة ﴿ خلقنا ﴾ وهما آدم وحواء عليهما السلام ﴿ غير انا فى المال اولاد علة ﴾ يقال
هى علتها اى ضرتها وهؤلاء بنو علات اى بنو امهات شتى من رجل واحد والمراد بالمال لازمه
وهو الميراث يعنى ان تجسس الزلات ميراث لامن امها تنا الضرائر واللوم على القبيح اليسير
مركوز فى طبائعنا كما ان ضرائر الحسناء يجسسن بموضع قبحها ﴿ ومما يتبع هذا الفصل ﴾ وهو
المواخاة بالمودة ﴿ تألف الاعداء ﴾ دينيا او دنيويا ﴿ بما يثنيهم عن البغضاء ﴾ اى يصرفهم ويكفهم عنه
﴿ ويعطفهم على المحبة وذلك ﴾ التألف ﴿ قد يكون بصنوف من البر ويختلف بسبب
اختلاف الاحوال ﴾ من قوة اسباب المدافعة وضعفها وعزة الملك والسلطنة كما قطع عمر
بن الخطاب انصباء مؤلفة القلوب لعزة الاسلام وقد كان يعطيها النبى عليه السلام وابو بكر رضى
الله عنه لتأليف قلوبهم ودفع اذاهم عن المسلمين ﴿ فان ذلك من سمات الفضل وشروط
السودد ﴾ فيجب التألف للسيد ويندب للفاضل ﴿ فانه ما احد يعدم عدوا ولا يفقد حاسدا
و بحسب قدر النعمة تكثر الاعداء والحسدة كما قال البحترى * ولن تستبين الدهر موقع نعمة ﴾
اى لن تعلم وقوعها علما يقينا واضحا مدة عمرك ﴿ اذا انت لم تدلل عليها بحاسد ﴾ يحسدها
كما ان قدر العافية والا من لا يعرف الا بمقاساة ضدها ﴿ فان اغفل تألف الاعداء ﴾ يقال
اغفله بمعنى غفل عنه ﴿ مع وفور النعمة وظهور الحسدة توالى عليه ﴾ اى على ذلك الغافل
﴿ من مكر حليمهم وبادرة سفيههم ﴾ وهى ما يبدو من حدة فى الغضب قولا كان او فعلا
﴿ ما تصير به النعمة غراما ﴾ بالفتح هو الشر الدائم والعذاب ﴿ والزعامة ملاما ﴾ اى ما يصير
به السيادة شيئا يعذل ويلام عليه وقال الله تعالى حكاية عن بلقيس ان الملوك اذا دخلوا قرية
افسدوها وجعلوا اعزة اهلها اذلة ﴿ وروى ابن المسيب عن ابى هريرة رضى الله عنه قال قال
رسول الله صلى الله عليه وسلم رأس العقل بعد الايمان بالله التودد الى الناس ﴾ مع حفظ الدين
(وما يستغنى رجل عن مشورة وان اهل المعروف فى الدنيا هم اهل المعروف فى الآخرة وان
اهل المنكر فى الدنيا هم اهل المنكر فى الآخرة) والقصد بهذا الحديث الحث على مداراة الناس
بكل ما امكن من الاحسان وتحمل اذاهم وكف الاذى عنهم وملاطفتهم وهذا الحديث من
جوامع كلمه عليه السلام ولفظ الناس عام يشمل الاعداء فكما ان الايمان من اسباب الالفة بين
المؤمنين التودد من اسبابها بين جميع الناس وبه يصلح طرف من دنياه وقالت الحكماء المحبة
امر لا يحصل الا عند حصول خير او دفع ضرر فمتى حصل هذا الاعتقاد حصلت المحبة ومتى

حصل اعتقاد انه يوجب ضررا حصل البغض والنفرة وقال الرازى والخيرات التى كان اعتقاد حصولها يوجب حصول المحبة اما ان تكون قابلة للتغير والتبدل اولا تكون كذلك فان كان الواقع هو القسم الاول وجب ان تبدل تلك المحبة بالنفرة والا لم تتبدل لان تبدل العلة يوجب تبدل المعلول انتهى ولذا لايعتمد بهذا التألف بل يلزم منهم الحذر معه كما سيأتى ﴿ وقال سليمان بن داود عليهما السلام لابنه لاتستكثر ان يكون لك الف صديق فالالف قليل ولا تستقل ان يكون لك عدو واحد فالوا حد كثير ﴾ واستعمل للاعتقاد فيهما ﴿ فنظم ابن الرومى هذا المعنى فقال * فكثر من الاخوان ما سطعت انهم ﴾ اى مااستطعت ﴿ بطون اذا استنجدتهم وظهور ﴾ يعنى كثر اخوانك ما قدرت لانهم محارم اسرار ومشاركوا افعال لايرغبون عن مشاورتك ولا عن معاونتك فيخففون عنك ما اثقل ظهرك واتعب قلبك اذا احتجت الى استعانتهم ﴿ وليس كثيرا الف خل وصاحب . وان عدوا واحدا لكثير ﴾ يتعب قلبك ﴿ وقيل لعبدالملك بن مروان ماافدت فى ملكك هذا قال ﴾ افدت ﴿ مودة الرجال . وقال بعض الحكماء من علامة الاقبال اصطناع الرجال ﴾ اى اتخاذهم باحسانهم ﴿ وقال بعض البلغاء من استصلح عدوه زاد فى عدده ومن استفسد صديقه نقص من عدده ﴾ جمع عدة ﴿ وقال بعض الادباء العجب ممن يطرح عاقلا كافيا لما يضمره من عداوته ويصطنع جاهلا ﴾ باحسانه وابلاغه مبلغ الرجال ﴿ لما يظهره من محبته وهو قادر على استصلاح من يعاديه بحسن صنائعه واياديه ﴾ اى بنعمه لان عداوة العاقل اما لافعاله القبيحة اولا يشاره الجاهل عليه فبتدارك الهفوات تستحيل العداوة صداقة ﴿ وانشد عبدالله بن الزبير ثلاثة ابيات جامعة لكل ماقالته العرب ﴾ وقد قال معاوية انشدنى ثلاثة ابيات غريبة فقال انشدكها بثلاثين الفا تدفعها الى فقال حتى تنشد فاسمع فانشد ثم قال له قد اسمعتك وانت الحكم فحكم له وامر له بثلاثين الفا ﴿ وهى للافوه ﴾ على وزن احمر من فى فمه سعة اومن تخرج اسنانه من الشفتين مع طولها ولقب شاعر من ازد ﴿ واسمه صلة بن عمرو ﴾ من قدماء الشعراء الجاهلية وحكمائهم ﴿ حيث يقول ﴾ من الوافر ﴿ بلوت الناس قرنا بعد قرن ﴾ اى جربتهم فى جميع اوقاتهم وحالاتهم ﴿ فلم ارغير ختال وقال ﴾ يقال ختله اذا خدعه ويروى غير ذى قيل وقال وهما اسمان من القول يعنى لم ار غير التودد بالقول ﴿ وذقت مرارة الاشياء جمعا ﴾ ويروى طرا ﴿ فما طعم امر من السؤال ﴾ الطعم بالفتح مايؤديه الذوق يقال طعمه مر وبالضم الطعام يقال طعم طعما اذا اكل اوذاق ﴿ ولم ارفى الخطوب اشد هولا ﴾ يقال هاله الشئ اى افزعه ومكان مهول اى مخوف ﴿ واصعب من معاداة الرجال ﴾ يقال عاداه اى خاصمه ﴿ وقال القاضى ﴾ ابو على المحسن بن ابى القاسم على بن محمد ﴿ التنوخى ﴾ على وزن صبور اسم قبيلة وكان صحيح السماع فى الحديث واديبا وشاعرا وفصيحا تقلد القضاء من جانب الامام مطيع الله وتوفى فى بغداد سنة اربع وثمانين وثلاثمائة ﴿ الق العدو بوجه لاقطوب به ﴾ الالقاء مقابلة الشئ ومصادفته وبابه طرب يقال قطب الرجل قطوبا من الباب الثانى اذازوى مابين عينيه وكلح ﴿ يكاد يقطر من ماء البشاشات ﴾ فاعل يكاد ويقطر راجع الى الوجه واخرج يكاد المبالغة من الغلو المحال الى درجة الامكان كما فى قوله تعالى يكاد زيتها يضئ ولو لم تمسسه

نار ﴾ فاحزم الناس من يلقى اعاديه . فى جسم حقد وثوب من مودات ﴾ وقال آخر *
وانى لالق المرء اعلم انه . عدو وفى احشائه الضغن كامن * فامنحه بشرا فيرجع قلبه . سليما
وقدماتت لديه الضغائن ﴾ الرفق يمن وخير القول اصدقه . وكثرة المزح مفتاح العداوات ﴾
اليمن مقابل النحس والشوم واصدق اسم تفضيل والبيت الاخير من قبيل التكميل
والاحتراس لانه لما عد كتم الحقد واظهار البشر حزما توهم ان الكذب فى وجه العدو
وكثرة المزاح حزم ايضا فدفعهما وافاد ايضا ان الغرض من اظهار البشر قصد الرفق بالعدو
وان كان جسمه محشوا بحقد غريزى لا اظهار البشر مع قصد ابطان الحقد الذى هو النفاق
الجملى والله اعلم ﴾ وانشدت عن الربيع ﴾ بن سليمان ﴾ للشافعى رضى الله عنه * لما عفوت ولم
احقد على احد . ارحت نفسى من هم العداوات * انى احيى عدوى عند رؤيته . لادفع
الشر ﴾ اى شره ﴾ عنى بالتحيات ﴾ اى بتحياتى ﴾ واظهر البشر للانسان ابغضه ﴾ مضارع
متكلم من الافعال يقال ابغضوه اذا مقتوه وفى القاموس ابغضه ويبغضى من الباب الاول
متعديا فلغة ردية يقال بغض الرجل من الباب الخامس والرابع والاول اذا صار بغيضا
﴾ كأنما قد حشى قلبى محبات ﴾ يعنى كأن محبته لكثرته املاً قلبى ﴾ الناس داء دواء الناس
قربهم . وفى اعتزالهم قطع المودات ﴾ يعنى الناس لاسيما الاعداء والحساد مرضى وعلاجهم قربهم
وصلتهم بالبشر والطلاقة ﴾ وليس ﴾ من له عدو مطلقا اومع وفور النعمة وخبره جملة ينبغى
﴾ وان كان بتألف الاعداء مأمورا والى مقاربتهم مندوبا ﴾ اى مدعوا ﴾ ينبغى ان يكون لهم
راكنا وبهم واثقا ﴾ بان يطلعهم على اسراره واهبته ﴾ بل يكون منهم على حذر ومن مكرهم
على تحرز ﴾ لجوازانهم يريدون الاطلاع باسراره وحيله وقد تألفوا لذلك ﴾ فان العداوة
اذا استحكمت فى الطباع صارت طبعا لايستحيل وجبلة لا تزول ﴾ بحسن الصنائع والايادى
﴾ وانما يستكفى ﴾ المتألف ﴾ بالتألف اظهارها ﴾ وفى نسخة يستكف اى يطلب منع اظهارها
﴾ ويستدفع به اضرارها كالنار يستدفع بالماء احراقها ﴾ نائب فاعل ليستدفع ﴾ ويستفاد به ﴾
اى بالماء ﴾ انضاجها وان كانت النار محرقة بطبع لايزول وجوهر لايتغير وقال الشاعر ﴾
من الكامل ﴾ واذا عجزت عن العدو ﴾ اى عن استيصاله وتدميره ﴾ فداره . وامزح له ان المزاح
وفاق * فالنار بالماء الذى هو ضدها . تعطى النضاج وطبعها الاحراق ﴾ يقال انضج التمر واللحم
اى ادرك يعنى بالتألف ينقلب الضرر المحض بالنفع الخالص ﴾ فصل ﴾ واما البر

وهو الخامس من اسباب الالفة فلانه يوصل الى القلوب الطافا ﴾ اى الصاقا يقال الطف
الشى بجنبه اذا الصقه ﴾ ويثنيها محبة وانعطافا ﴾ يقال ثنى الشئ اى عطفه وبابه رمى
﴾ ولذلك ندب الله تعالى ﴾ اى دعا ﴾ الى التعاون به وقرنه بالتقوى له فقال ﴾ فى المائدة
﴾ وتعاونوا على البر والتقوى ﴾ على العفو والاغضاء (ولاتعاونوا على الاثم والعدوان)
اى على الانتقام والتشفى ويجوز ان يراد العموم لكل بر وتقوى وكل اثم وعدوان ﴾ لان
فى التقوى رضى الله تعالى وفى البر رضى الناس ومن جمع بين رضى الله تعالى ورضى الناس
فقد تمت سعادته وعمت نعمته ﴾ الدنيا والآخرة ﴾ وروى الاعمش ﴾ هو سليمان بن مهران
ابو محمد الاسدى الكاهلى مولاهم الكوفى وظهر للاعمش اربعة آلاف حديث ولم يكن له

كتاب وكان فصيحا لم يلحن قط وكان ابوه من سبي الديلم ومات سنة ثمان واربعين ومأة رأى انسا قيل وابا بكرة ولم يثبت له سماع من الصحابة وسمع ابا وائل ومعرورا ومجاهدا وابراهيم النخعي والشعبي وخلقا وروى عنه خلق كثير وقال يحيى بن القطان الاعمش من النساك المحافظين على الصف الاول وبقي قريبا من سبعين سنة لم تفته التكبيرة الاولى وكان يسمى سيد المحدثين وكان فيه تشيع ونسب الى التدليس كالسفيانين وقتادة ﴿ عن خيثمة ﴾ بن عبدالرحمن الجعفي ﴿ عن ابن مسعود رضي الله عنه قال سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول جبلت القلوب ﴾ اى خلقت وطبعت ﴿ على حب من احسن اليها ﴾ بقول او فعل ولذلك حرم على القاضي قبول الهدية لانه اذا قبلها لم يمكنه العدل ولو حرص وكره قبولها من الكافر الا ان يرجى اسلامه ﴿ وبغض من اساء اليها ﴾ اى عليها كما في نسخة بذلك وصحح البيهقي وقفه ﴿ وحكي ان الله تعالى اوحى الى داود على نبينا وعليه السلام ذكر عبادي احساني اليهم ليحبوني فانهم لايحبون الا من احسن اليهم ﴾ وقال البستي * احسن الى الناس تستعبد قلوبهم . فطالما استعبد الانسان احسان ﴿ وانشدني ابو الحسن الهاشمي ﴾ من الكامل ﴿ الناس كلهم عيا . ل الله تحت ظلاله ﴾ جمع عيل كجيد وجياد تقول هذا يتيم عائل ليس له عائل اى فقير ليس له من يمونه يعني فقراء الله الذين كانوا تحت ظلاله من حيث التجائهم الى ستره وتربيته ﴿ فاحبهم طرا اليـه ابرهم لعياله ﴾ يعني احب الناس الى الله ابر الناس الى عيال الله قيل لبعض الحكماء اي شئ من افعال الناس يشبه افعال الاله قال الاحسان الى الناس ﴿ والبر نوعان صلة ومعروف * فاما الصلة فهي التبرع ببذل المال في الجهات المحمودة لغير عوض مطلوب ﴾ لاعاجلا ولا آجلا ﴿ وهذا ﴾ البذل ﴿ يبعث عليه سماحة النفس وسخاؤها ويمنع منه شحها واباؤها ﴾ السماحة هي بذل مالا يجب تفضلا والبخل هو المنع من مال نفسه والشح هو بخل الرجل من مال غيره وقيل البخل ترك الايثار عند الحاجة قال حكيم البخل محو صفات الانسانية واثبات عادات الحيوانية (قال الله تعالى) في التغابن (ومن يوق شح نفسه فاؤلئك هم المفلحون) الفائزون بكل مرام ﴿ وروى محمد بن ابراهيم ﴾ بن الحارث بن خالد ﴿ التيمي ﴾ كان كثير الحديث توفي سنة عشرين ومأة وروى له الجماعة ﴿ عن عروة بن الزبير عن النبي صلى الله عليه وسلم انه قال السخي قريب من الله ﴾ قرب رحمة ومكانة ﴿ قريب من الناس ﴾ اى من محبتهم له لان النفوس جبلت على حب من احسن اليها ﴿ قريب من الجنة ﴾ فالسخاء سبب موصل الى الجنة ﴿ بعيد من النار ﴾ هو لازم لما قبله ﴿ والبخيل بعيد من الله بعيد من الناس بعيد من الجنة قريب من النار ﴾ والبخل ثمرة الرغبة في الدنيا والسخاء ثمرة الزهد (والجاهل السخي احب الى الله تعالى من عابد بخيل) لان الاول سريع الانقياد الى مايؤمر به والى ماينهى عنه بخلاف الثاني قال العلقمي وذلك ان من ادى زكاة ماله فقد امتثل امر الله وعظمه واظهر الشفقة على خلق الله تعالى وواساهم بماله فهو قريب من الله وقريب من الناس فلاتكون منزلته الا الجنة ومن لم يؤدها فامره الى عكس ذلك ولذلك كان جاهل سخي احب الى الله تعالى من عابد بخيل ورواه الترمذي عن ابي هريرة والبيهقي عن جابر ﴿ وقال صلى الله عليه وسلم لعدي بن حاتم ﴾

الطائى السخى المشهور الذى يضرب به الامثال وعدى هو الجواد ابن الجواد قدم على النبى صلى الله عليه وسلم فى سنة سبع وروى له عن رسول الله صلى الله عليه وسلم ستة وستون حديثا نزل الكوفة ومات بها وهو ابن عشرين ومأة سنة وكان اعور ﴿ رفع الله عن ابيك العذاب الشديد لسخائه ﴾ وبلغه صلى الله عليه وسلم عن الزبير ﴿ بن العوام القرشى احد العشرة المبشرة بالجنة واحد ستة اصحاب الشورى واحد المهاجرين بالهجرتين واحد حوارى النبى صلى الله عليه وسلم اسلم قديما وشهد المشاهد كلها مع رسول الله صلى الله عليه وسلم روى له عنه عليه السلام ثمانية وثلاثون حديثا وهو اول من سل السيف فى سبيل الله وكان يوم الجمل قد ترك القتال وانصرف عنه فلحقه جماعة من الغزاة فقتلوه بوادى السباع بناحية البصرة دفن ثمة ثم حول الى البصرة وقبره مشهور بها روى له الجماعة وكان له اربع نسوة ودفع الثلث فاصاب كل امرأة منهن الف الف ومائتا الف فجميع ماله خمسون الف الف ومأة الف ﴿ امساك فجذب ﴾ النبى عليه الصلاة والسلام ﴿ عمامته اليه وقال يازبير انا رسول الله اليك والى غيرك يقول ﴾ الله عز وجل يا ابن آدم ﴿ انفق ﴾ على من يلزم عليك نفقته وعلى من لايلزم عليك انفاقه تفضلا والامر للوجوب فى الاول والاباحة فى الثانى ﴿ انفق عليك ولا توك فاوك عليك ﴾ يقال اوكى السقاء اذا شده بالوكاء وهو الخيط الذى يشد به رأس القربة اى لاتمنع مالك عن الصدقة خشية نفاده فينقطع عنك مادة الرزق قال على القارى وروى عن انس انه عليه السلام قال للزبير ان مفاتيح الرزق مقرونة بباب العرش ينزل الله ارزاق العباد على قدر نفقاتهم فمن كثر كثر عليه ومن قلل قلل له ﴿ وروى ابو الدرداء ﴾ كما روى عنه احمد بن حنبل والحاكم وصححه ويأتى تمام الحديث فى فصل المادة الكافية ﴿ قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم مامن يوم غربت فيه شمسه الا وملكان يناديان ﴾ يسمعهما خلق الله كله الا الثقلين ﴿ اللهم اعط منفقا خلفا ﴾ وهو مايستخلف من شئ وقال تعالى وما انفقتم من شئ فهو يخلفه ﴿ وممسكا تلفا ﴾ يقال تلف الشئ من باب طرب اذا هلك وهدر ﴿ وانزل فى ذلك ﴾ العوض ﴿ القرآن فاما من اعطى ﴾ من ماله لوجه الله ﴿ واتقى ﴾ محارمه ﴿ وصدق بالحسنى ﴾ اى بالمجازاة وايقن ان الله يخلفه او بالخصلة الحسنى وهى الايمان او بالكلمة الحسنى وهى كلمة التوحيد او بالملة الحسنى وهى ملة الاسلام او بالمثوبة الحسنى وهى الجنة ﴿ فسنيسره لليسرى ﴾ اى فسنهيئه للخصلة التى توصله الى اليسر فى الدنيا والراحة فى الآخرة يعنى الاعمال الصالحة المسببة لدخول الجنة من يسر الفرس للركوب اذا الجمها واسرجها ﴿ واما من بخل ﴾ بماله فلم يبذله فى سبيل الخير ﴿ واستغنى ﴾ اى زهد فيما عنده تعالى كأنه مستغن عنه فلم يتقه او استغنى بشهوات الدنيا عن نعيم الآخرة ﴿ وكذب بالحسنى ﴾ اى ماذكر من المعانى المتلازمة ﴿ فسنيسره للعسرى ﴾ اى للخصلة المودية الى العسر والشدة كدخول النار ومقدماته لاختياره لها ﴿ قال ابن عباس رضى الله عنهما يعنى من اعطى فيما امر ﴾ من اعطاء حقوق المال واعطاء حقوق النفس من الاخلاق وحقوق البدن من العبادات ﴿ واتقى فيما حظر ﴾ اى حرم والحظر ضد الاباحة فيشمل جميع المناهى ﴿ وصدق بالحسنى يعنى بالخلف من عطائه ﴾ قال الرازى لما كان الخلف زائدا صح اطلاق لفظ الحسنى عليه كما قال الله مثل الذين ينفقون اموالهم فى سبيل الله كمثل حبة انبتت

سبع سنابل فى كل سنبلة مأة حبة والله يضاعف لمن يشاء ﴿ و ﴾ كذب بالحسنى اى لم يصدق بالخلف فبخل بماله لسوء ظنه بالمعبود كما قال بعضهم منع الموجود سوء ظن بالمعبود ﴿ فعندهذا ﴾ التفسير ﴿ قال ابن عباس لسادات الناس فى الدنيا الاسخياء وفى الآخرة الاتقياء وقيل فى منثور الحكم الجود عن موجود ﴾ وان قل وفى اخبار اجواد الجاهلية ان كعب بن مامة الايادى آثر رفيقه السعدى بمائه حتى مات عطشا ونجا السعدى وناهيك بهذا الكرم الذى ماسبق اليه ﴿ وقيل فى المثل سودد بلاجود كملك بلاجنود وقال بعض الحكماء الجود حارس الاعراض ﴾ عن اللوم والطعن فيها ﴿ وقال بعض الادباء من جاد ساد ومن اضعف ﴾ الجود ﴿ ازداد ﴾ سيادته ﴿ وقال بعض الفصحاء جود الرجل يحببه الى اضداده وبخله يبغضه الى اولاده وقال بعض الفصحاء خير الاموال مااسترق حرا ﴾ اخذه من قول على رضى الله عنه من برك فقد اسرك ومنه يقال غل يدا مطاقها وارق رقبة معتقها ﴿ وخير الاعمال مااستحق شكرا ﴾ ولا شكر بلا انعام وفى حديث ابن مسعود تجاوزوا عن ذنب السخى فان الله آخذ بيده كلما عثر اى سقط فى هفوة او مهلكة لانه لما سخا بالاشياء اعتمادا على ربه شمله بعنايته فكلما عثر فى مهلكة انقذه منها ﴿ وقال صالح بن عبدالقدوس ﴾ من الطويل ﴿ ويظهر عيب المرء فى الناس بخله. ويستره عنهم جميعا سخاؤه ﴾ يعنى ان البخل مع كونه عيبا فى نفسه مظهر للناس سائر العيوب حتى لاحبابه والسخاء مع كونه شرفا وفضيلة فى ذاته ماح للذلات وساتر للمعايب حتى من اعدائه فياله من شرف ﴿ تغط باثواب السخاء فاننى . ارى كل عيب فالسخاء غطاؤه ﴾ وهو مايتغطى به واضافة الاثواب الى السخاء كلجين الماء ﴿ وحد السخاء بذل ما يحتاج اليه عند الحاجة ﴾ سواء كانت حاجة نفسه اوغيره ﴿ وان يوصل الى مستحقه بقدر الطاقة ﴾ متعلق بالبذل والايصال على سبيل التنازع ﴿ وتدبير ذلك ﴾ الحد ﴿ مستصعب ﴾ جدا لان عيون الحريصين لاتشبع ومخلاة المكدين لاتمتلئ حتى يوصل الى مستحقه شئ ﴿ ولعل بعض من يحب ان ينسب الى الكرم ينكر حد السخاء ويجعل تقدير العطية فيه نوعا من البخل وان الجود بذل الموجود ﴾ اجمع وتمثل متمثل عند عبدالله ابن جعفر فقال * ان الصنيعة لاتكون صنيعة . حتى يصاب بها طريق المصنع * فاذا اصطنعت صنيعة فاعمد بها . لله او لذوى القرابة اودع فقال ابن جعفر ان هذين البيتين ليبخلان الناس ولكن امطر المعروف مطرا فان اصاب الكرام كانوا له اهلا وان اصاب اللئام كنت له اهلا كما فى الاحياء وابلغ ماقيل فى الجود قول ابى تمام فى معن * تعود بسط الكف حتى لوانه اراد انقباضا لم تطعه انامله * هو البحر من اى النواحى اتيته . فلجته المعروف والجود ساحله . ولو لم يكن فى كفه غير روحه . لجاد بها فليتق الله سائله * وضمنه بعضهم فقال * يجود بماضن الجواد بمثله . من الوفر بل لوامكنته شمائله * لعاد على المرضى بصحة جسمه . وجاد على الموتى بعمر يطاوله * ومن على النوكى بوافر عقله . وقسم فى الحمقى من الرأى كامله * وثقل ميزان المخف باجره . لدى الوزن لما آد بالوزر كاهله * ولو لم يكن آه ﴿ وهذا تكلف يفضى الى الجهل بحدود الفضائل ولوكان الجود بذل الموجود لما كان للسرف موضعا ولا للتبذير موقعا ﴾ قال السيد الشريف الاسراف صرف الشئ فيما ينبغى زائدا على ماينبغى والتبذير صرف الشى فيما لاينبغى ﴿ وقد ورد الكتاب بذمهما ﴾ فقال الله تعالى كلوا واشربوا ولا تسرفوا انه لايحب المسرفين اى لايرتضى

فعلهم وقال (وآت ذالقربى حقه) توصية بالاقارب ولعل المراد بهم المحارم ويحقهم النفقة كما ينبئ عنه قوله (والمسكين وابن السبيل) فان المأموربه فى حقهما المواساة المالية لامحالة (ولا تبذر تبذيرا) نهى عن صرف المال الى من سواهم ممن لايستحقه فان التبذير تفريق فى غير موضعه مأخوذ من تفريق حبات والقاء ها كيف ما كان من غير تعهد لمواقعه لاعن الاكثار فى صرفه اليهم والا لناسبه الاسراف الذى هو تجاوز الحد فى صرفه وقد نهى عنه بقوله تعالى ولا تبسطها كل البسط وكلا هما مذموم كما فى تفسير ابى السعود ﴿ وجاءت السنة بالنهى عنهما ﴾ لانهما من قبيل اضاعة المال وفى حديث الشيخين ان الله حرم عليكم اضاعة المال كما تقدم فى العقوق وروى البخارى عن سعد ابن ابى وقاص رضى الله عنه انه قال قلت يارسول الله اوصى بمالى كله قال لا قلت فالشطر قال لاقلت الثلث قال فالثلث والثلث كثير انك ان تدع ورثتك اغنياء خير من ان تدعهم عالة (اى فقراء) يتكففون الناس فى ايديهم ولم يكن له يومئذ الا ابنة انتهى ﴿ واذا كان السخاء محدودا فمن وقف على حده ﴾ بدون افراط ولا تفريط ﴿ سمى كريما وكان للحمد مستحقا ﴾ قال القاضى عياض فى الشفاء واما الجود والكرم والسخاء والسماحة فمعانيها متقاربة فى اطلاق المحاورة (وقد فرق بعضهم بينها بفروق) دقيقة (فجعلوا الكرم الانفاق بطيب النفس) اى بنشاطها وانبساطها (فيما يعظم خطره) اى يجل قدره (ونفعه) اى يكثر الانتفاع به (وسموه ايضا حرية) اى من رق العبودية للامور العارضة (وهو ضد النذالة) اى الرذالة والسفالة (والسماحة التجافى) اى التباعد والتنحى (عما يستحقه المرء عند غيره) من اداء عين اوقضاء دين (بطيب نفس وهو ضد الشكاسة اى صعوبة الخلق والمضايقة فالسماحة هى المساهلة فى المعاملة (والسخاء سهولة الانفاق وتجنب اكتساب مالا يحمد وهو الجود) اى مرادفه (وهو ضد التقتير) اى التضييق فى الانفاق والامساك والسخاء حال اعتدال بين البخل والاسراف ﴿ ومن قصر عنه ﴾ اى عن ذلك الحد ﴿ كان بخيلا وكان الذم مستوجبا وقد قال الله تعالى ﴾ فى آل عمران ﴿ ولا تحسبن الذين يبخلون بما آتاهم الله من فضله ﴾ من قرأ بالتاء قدر مضافا محذوفا اى لاتحسبن بخل الذين يبخلون وكذلك من قرأ بالياء وجعل فاعل يحسبن ضمير رسول الله اوضمير احد ومن جعل فاعله الذين يبخلون كان المفعول الاول عنده محذوفا تقديره ولايحسبن الذين يبخلون بخلهم والذى سوغ حذفه دلالة يبخلون عليه ﴿ هو ﴾ ضمير فصل ﴿ خيرا لهم بل هو شر لهم ﴾ التنصيص على شريته لهم مع انفهامها من نفى خيريته للمبالغة فى ذلك والتنوين للتفخيم ﴿ سيطوقون ما بخلوا به يوم القيامة ﴾ تفسير لقوله هو شر لهم اى سيلزمون وبال ما بخلوا به الزام الطوق وفى امثالهم تقلدها طوق الحمامة اذا جاء بهنة يسب بها ويذم وقيل يجعل مابخل به من الزكاة حية يطوقها فى عنقه يوم القيامه تنهشه من قرنه الى قدمه وتنقر راسها وتقول انا مالك وعن النبى صلى الله عليه وسلم فى مانع الزكاة يطوق بشجاع اقرع وروى بشجاع اسود وعن النخعى سيطوقون بطوق من نار ﴿ وروى عن النبى صلى الله تعالى عليه وسلم انه قال اقسم الله بعزته لايجاوره ﴾ اى رحمته اوداره دار النعيم ﴿ بخيل ﴾ لمنعه حقوقه وعدم وثوقه بما وعده ﴿ وروى عن النبى صلى الله عليه وسلم ﴾ على مارواه الخطيب احمد بن على بن ثابت البغدادى

الفقيه الشافعي والدار قطني عن ابن عمر ﴿ انه قال طعـام الجواد دواء ﴾ لكونه يطعم عن طيب نفس وفي رواية طعام السخي شفاء ﴿ وطعام البخيل داء ﴾ لكونه يطعم مع غير طيب نفس فتنبغي الاجابة لطعام السخي دون البخيل ﴿ وسمع رسول الله صلى الله عليه وسلم رجلا يقول الشحيح اعذر من الظالم ﴾ اذلم يتسلط بما في يدغيره ﴿ فقال ﴾ عليه السلام ﴿ لعن الله الشحيح ﴾ اى البخيل لان منع حقوق الناس كالتسلط بما في ايديهم ﴿ ولعن الظالم ﴾ واصل اللعن الطرد والابعاد من الله ومن الخلق السب والدعاء عليه والنبي صلى الله عليه وسلم لم يبعث لعانا وانما اوحى الله اليه ان الله لعن فاخبر عن الله انه لعن لا انه انشاء ولا دعاء منه عليه الصلاة والسلام وكذا كل ماورد عنه من اللعن فانه مؤل بذلك كما قال به جلال الدين السيوطي والبخل ملكة امساك المال حيث يجب بذله بحكم الشرع واشـده الامساك عن نفسه بان لايسمح ان يأكل ويلبس او يتداوى قيل هذا يسمى شحا ﴿ وقال بعض الحكماء البخل جلباب المسكنة ﴾ التي ضربت على يهود ﴿ وقال بعض الادباء البخيل ليس له خليل ﴾ ولاماله ﴿ وقال بعض البلغـاء البخيل حارس نعمته وخازن ورثته وقال بعض الشعراء ﴾ من الطويل ﴿ اذا كنت جماعا لمالك ممسكا. فانت عليه خازن وامين ﴾ اى كخازن في حراسة مال الغير وعدم قدرته على الانفـاق منـه فالممسك فقير ﴿ تؤديه مذموما الى غير حامد . فيأكله عفوا وانت دفين ﴾ اى يأكله حلالا طيبا يقـال هذا من عفو مالى اى احله واطيبه كأنه ترك الاشتباه ومحاه وقال رجال لعمر بن الخطاب رضي الله عنه ان فلانا جمع مالا قال فهل جمع له اياما اخذه الشاعر فقال * ارفه بعيش فتى يغدو على ثقة . ان الذى قسم الارزاق يرزقه * فالعرض منه مصون لا يدنسه . والوجه منه جديد ليس يخلقه * جمعت مالا ففكر هل جمعت له . ياجامع المال اياما تفرقه * المال عندك مخزون لوارثه . ما المـال مالك الاحين تنفقه ﴿ ولظـاهر بعض ذوى النباهة ﴾ اى الشرف والشـان والشهرة يقال نبه الرجل بتثليث العين اذا شرف ﴿ بحب الثناء مع امساك فيه فقال بعض الشعراء ﴾ من المتقارب ﴿ اراك تؤمل حسن الثناء . ولم يرزق الله ذاك البخيلا ﴾ اى لم يرزق الله الثناء الحسن البخيل ﴿ وكيف يسود اخو بطنة ﴾ اسم من البطانة يقال بطن الرجل بطانة اذا كان عظيم البطن ﴿ يمن كثيرا ويعطى قليلا ﴾ يعنى وماهذه حال السيادة وقال الحريرى * والحمد والبخل لم يقض اجتماعهما . حتى لقد خيل ذا ضبا وذا حوتا ﴿ وقد بينا ﴾ تثنية بين مجهول بان اى تفارقا وتباعدا ﴿ حب الثناء وحب المال ﴾ بدلان من ضمير التثنية المبهم ﴿ لان ﴾ حب ﴿ الثناء يبعث على البذل وحب المال يمنع منه فان ظهرا ﴾ اى الحبان ﴿ كان حب الثناء كاذبا ﴾ لان ذلك الحب مضمر يغلب عليه البخل الظاهر ﴿ وقد قال بعض الشعراء ﴾ من البسيط ﴿ جمعت امرين ضـاع الحزم بينهما ﴾ اى ضـاع رشدك و رويتك بين ذينك الامرين ﴿ تيه الملوك واخلاق المماليك ﴾ بالنصب بدلان من امرين او بالرفع يقـال تاه يتيه اذا تكبر والمماليك جمع مملوك واخلاقهم رد من يؤمل منهم واعظام الحقير واكثار القليل والمن على ذلك يعنى جمعت ذينك الضدين ﴿ اردت شكرا بلا بر ولا صلة ﴾ اى بلا احسـان ولا جائزة ﴿ لقد سلكت طريقا غير مسلوك ﴾ لاطريق شريعة ولا طريق عقل لانهما مسلوكان

فلم يبق الا طريق الحمق والبلاهة والجنون فنون فلكل احمق طريق خاص به ومسلك مستبد فيه ﴿ ظننت عرضك لم يقرع بقارعة ﴾ اى لم يسب بسبة ولم يذم بمذمة وتقول العرب نعوذ بالله من قوارع فلان اى من قوارص لسانه اى من كلماته اللادغة والجارحة ﴿ وما اراك على حال بمتروك ﴾ اى السب واقع عليك حال تيهك وحال منعك ومنّك ﴿ لئن سبقت الى مال حظيت به ﴾ اى والله لئن تقدمت واصلا الى مال صرت به ذا مكانة يعنى ان صيرك المال ذا مكانة ﴿ فما سبقت ﴾ وما وصلت ﴿ الى شئ سوى النوك ﴾ بالضم اسم من النواكة بمعنى الحمق والبلاهة والسبق يستلزم الوصول يعنى بارك الله لك ما وصلت اليه وقال الحريرى * والسمح فى الناس محمود خلائقه. والجامد الكف ما ينفك ممقوتا * وللشحيح على امواله علل. يوسعنه ابدا ذما وتبكيتا * وقال آخر * عثمان يعلم ان المدح ذوثمن. لكنه يشتهى مدحا بمجان . والناس اكيس من ان يمدحوا رجلا . حتى يروا عنده آثار احسان ﴿ وقد يحدث عن البخل من الاخلاق المذمومة وان كان ﴾ البخل ﴿ ذريعة الى كل مذمة اربعة اخلاق ﴾ فاعل يحدث ﴿ ناهيك بها ذما ﴾ اى يكفيك تلك الاخلاق ذما كأنها تمنع صاحبها عن طلب غيرها ﴿ وهى الحرص والشره وسوء الظن ﴾ بالخالق او بالمخلوق ﴿ ومنع الحقوق فاما الحرص فهو شدة الكدح ﴾ اى السعى الشديد ﴿ والاسراف فى الطلب ﴾ يعنى على وجه الرغبة المذمومة ﴿ واما الشره فهو استقلال الكفاية ﴾ اى عدها او اعتقادها قليلا ﴿ والاستكثار لغير حاجة ﴾ الى الكثير ﴿ وهذا ﴾ الاستكثار ﴿ فرق ما بين الحرص والشره وقد روى العلاء بن جرير عن ابيه عن سالم بن مسروق قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم من لا يجزيه من العيش ما ﴾ فاعل لا يجزيه ﴿ يكفيه لم يجد ما عاش ﴾ اى مدة عيشه ﴿ ما يغنيه وقال بعض الحكماء الشره ﴾ يقال شره الرجل اذا غلب حرصه ﴿ من غرائز اللوم ﴾ من خصائصه وطبائعه ﴿ واما سوء الظن فهو عدم الثقة بمن هو لها ﴾ اى للثقة ﴿ اهل فان كان بالخالق كان شكا يؤول الى ضلال ﴾ وكفر لان الشك فى قدرة الله تعالى اما بالتردد فى اصلها او فى كفايتها بما يمده او يوعد به ليس بايمان لانه عبارة عن الاعتقاد الجازم وما ليس بايمان فهو كفر فالشك فيما هو من ضروريات الدين كفر وفيما هو من لوازم الدين ومقتضياته ابينة ضلالة وقال كسرى عليكم باهل السخاء والشجاعة فانهم اهل حسن الظن بالله ولو ان اهل البخل لم يدخل عليهم من ضرر بخلهم ومذمة الناس لهم واطباق القلوب على بغضهم الا سوء ظنهم بربهم فى الخلف لكان عظيما واخذه محمود الوراق فقال * من ظن بالله خيرا جاد مبتدأ. والبخل من سوء ظن المرء بالله ﴿ وان كان ﴾ سوء الظن ﴿ بالمخلوق كان استخانة ﴾ اى اعتقادا بخيانتهم واتهاما بها ﴿ يصير بها ﴾ اى باستخانتها ﴿ مختانا ﴾ اى غادرا بالعهد ﴿ وخوانا ﴾ اسم فاعل من الخيانة ﴿ لان ظن الانسان بغيره بحسب ما يراه من نفسه فان وجد فيها خيرا ظنه فى ﴾ حق ﴿ غيره وان رأى فيها سوءا اعتقده فى الناس وقد قيل فى المثل كل اناء ينضح بما فيه ﴾ اى يرشحه ومنه * اذا ساء فعل المرء ساءت ظنونه . وصدق ما يعتاده من توهم ﴿ فان قيل قد تقدم من قول الحكماء ان الحزم سوء الظن ﴾ بالناس ومنه قول عباس الاحنف * اسأت اذا حسنت ظنى بكم . والحزم سوء الظن بالناس * يقلقنى الشوق فآتيكم . والقلب مملو من اليأس ﴿ قيل

تأويله قلة الاسترسال اليهم ﴾ وعدم الاغترار بظاهرا قوالهم وافعالهم وقد وردالشرع باقامة الشهود وتزكيتهم ﴿ لا اعتقادالسوء فيهم واما منع الحقوق ﴾ سواء كانت حقوقه تعالى او حق العبد ﴿ فان نفس البخيل لا تسمح بفراق محبوبها ولا تنقاد الى ترك مطلوبها فلا تذعن لحق ﴾ من الحقوق اى لاتنقاد له ويقال اذعن بحقه اذا اقر ﴿ ولا تجيب الى انصاف ﴾ اذ ليس له انصاف حتى يدعوه الى نفسه وكان بعض البخلاء اذا وقع الدرهم فى يده يخاطبه ويقول له انت عقلى ودينى وصلاتى وصيامى وجامع شملى وقرة عينى والسى وقوتى وعدتى وعمادى ثم يقول له * اهلا وسهلا لك من زائر . كنت الى وجهك مشتاقا * ثم يقول له يانور عينى وحبيب قلبى قد صرت الى من يصونك ويعرف قدرك ويعظم حقك و يرعى قيمتك ويشفق عليك وكيف لاتكون كذلك وانت تعظم الاقدار وتعمر الديار وتفتض بك الابكار وترفع الذكر وتغلى القدر وتونس من الوحشة ثم يطرحه فى الكيس ويقول * بنفسى محجوب عن العين شخصه . ومن ليس يخلو من لسانى ولا قلبى * ومن ذكره حظى من الناس كلهم . واول حظى منه فى البعد والقرب * قال محمد بن الجهم وددت ان عشرة من الفقهاء وعشرة من الشعراء وعشرة من الخطباء وعشرة من الادباء تواطئوا على ذمى حتى ينتشر عنهم ذلك فى الآفاق فلا يمتد الى امل آمل ولا يبسط نحوى رجاء راج ﴿ واذا آل ﴾ اى صار ﴿ البخيل الى ما وصفنا من هذه الاخلاق المذمومة والشيم اللئيمة لم يبق معه خير مرجو ولا صلاح مأمول وقد روى ﴾ على مارواه الشيخان عن جابر ﴿ عن النبى صلى الله عليه وسلم انه قال للانصار ﴾ اى لبعضهم ﴿ من سيدكم ﴾ يابنى سلمة ﴿ قالوا الحر بن قيس ﴾ الفزارى وهو ابن عيينة بن حصن كان احد الوفد الذين قدموا على النبى صلى الله عليه مرجعه من تبوك وكان من جلساء عمر رضى الله عنه ﴿ على بخل فيه فقال صلى الله عليه وسلم واى داء ادوأ من البخل ﴾ قال المناوى اى اى عيب اقبح منه لان من ترك الانفاق خوف الاملاق لم يصدق الشارع فهو داء مولم لصاحبه فى الآخرة وفى الدنيا بذمه ﴿ قالوا وكيف ذلك يارسول الله فقال ان قوما ﴾ بخلاء ﴿ نزلوا بساحل البحر فكرهوا لبخلهم نزول الاضياف بهم فقالوا ليبعد الرجال مناعن النساء حتى يعتذر الرجال الى الاضياف ببعد النساء وتعتذر النساء ببعد الرجال ففعلوا وطال ذلك ﴾ المباعدة ﴿ بهم فاشتغل الرجال بالرجال والنساء بالنساء ﴾ اى فلاطوا و سحقن وقال بعض الشعراء * رأى الصيف مكتوبا على باب داره . فصحفه ضيفا فقام الى السيف * فقلنا له خيرا فظن باننا . نقول له خبزا فمات من الخوف * وقيل لبخيل من اشجع الناس قال من سمع وقع اضراس الناس على طعامه ولم تنشق مرارته وقيل لبعضهم اما يكسوك محمد بن يحيى فقال والله لو كان له بيت مملو ابرا وجاء يعقوب ومعه الانبياء شفعاء والملائكة ضمناء فيستعير منه ابرة ليخيط بها قميص يوسف الذى قده زليخاء ما اعاره اياه فكيف يكسونى وقد نظم ذلك بعضهم فقال * لو ان دارك انبتت لك واحتشت . ابرا يضيق بها رحيب المنزل * واتاك يوسف يستعيرك ابرة . ليخيط قد قميصه لم تفعل * وهذا ابلغ ما قيل فى البخل وقال آخر * يبخل بالماء ولو انه . منغمس فى وسط النيل * شحا فلا تطمع فى خيره . ولو توسلت بجبريل ﴿ واما السرف والتبذير فان من زاد على حد السخاء

(فهو)

فهو مسرف ومبذر وهو بالذم جدير وقد قال الله تعالى ﴿ في الانعام (وآتوا حقه يوم حصاده)
الآية مكية والزكاة انما فرضت بالمدينة فاريد بالحق ما كان يتصدق به على المساكين
يوم الحصاد وكان ذلك واجبا حتى نسخه افتراض العشر ونصف العشر وقيل مدنية والحق
هو الزكاة المفروضة ومعناه واعزموا على ايتاء الحق واقصدوه واهتموا به يوم الحصاد حتى لا
تؤخروه عن اول وقت يمكن فيه الايتاء ﴿ ولا تسرفوا ﴾ في الصدقة كما روى عن ثابت بن
قيس بن شماس انه صرم خمسمأة نخلة ففرق ثمرها كله ولم يدخل منه شيئا الى منزله كذا
في الكشاف (انه لا يحب المسرفين) في الصدقة (وروى عن النبي صلى الله عليه وسلم)
على ما رواه احمد بن حنبل عن ابن مسعود (انه قال ما عال من اقتصد) في المعيشة
اى ما افتقر من انفق فيها قصدا من غير اسراف ولا تقتير ﴿ وقد قال المأمون رحمه الله لا خير
في السرف ولا سرف في الخير ﴾ وهذا من رد العجز على الصدر كما يقال عادات السادات
سادات العادات ﴿ وقال بعض الحكماء صديق الرجل قصده ﴾ من حيث وقايته عن نوائب الفقر
ومصائب العجز ﴿ وعدوه سرفه ﴾ لايقاعه فيها ﴿ وقال بعض البلغاء لا كثير مع اسراف ﴾
لنفاده معه في يسير من الزمان ﴿ ولا قليل مع احتراف ﴾ الحرفة الصنعة والمحترف الصانع
ويقال احترف الثمار اذا اجتناها ﴿ واعلم ان السرف والتبذير ﴾ يستعمل احدهما في موضع
الآخر و ﴿ قد يفترق معناهما فالسرف هو الجهل بمقادير الحقوق ﴾ كما وكيفا ﴿ والتبذير
هو الجهل بمواقع الحقوق ﴾ وضعا واينا ﴿ وكلاهما مذموم ﴾ بالكتاب والسنة كما سبق
﴿ وذم التبذير اعظم لان المسرف يخطئ في الزيادة ﴾ فالاصل صحيح والوصف باطل
﴿ والمبذر يخطئ في الجهل ﴾ بمواقع الحقوق فالاصل باطل ولا يكون وصفه الا باطلا وأما
في القسم الاول فقد يكون الوصف ايضا صحيحا في بعض الاشخاص وهم الكمل وقد مدح
الله الانصار بقوله ويؤثرون على انفسهم ولو كان بهم خصاصة ﴿ ومن جهل مواقع الحقوق
ومقاديرها بماله واخطأها فهو كمن جهلها بفعاله فتعداها ﴾ وتعدى الافعال ظلم فالسرف
والتبذير ظلم ﴿ وكما انه بتبذيره قد يضع الشئ في غير موضعه فهكذا قد يعدل به عن
موضعه ﴾ وقد في الموضعين للتكثير كما في قوله * قد اترك القرن مصفرا انامله . كأن
اثوابه مجت بفرصاد ﴿ لان المال اقل من ان يوضع في كل موضع من حق وغير حق وقد
قال معاوية رضي الله عنه كل سرف فبازائه حق مضيع وقال بعض الحكماء الخطأ في اعطاء
ما لا ينبغي ﴾ اعطائه ﴿ و ﴾ في ﴿ منع ما ينبغي ﴾ اعطائه ﴿ واحد ﴾ لان الاول يستلزم
الثاني فالخطأ واحد حقيقة وان تعدد صورة ﴿ وقال سفيان الثوري رحمه الله الحلال
لا يحتمل السرف ﴾ لقلته ﴿ وليس يتم السخاء ببذل ما في يده ﴾ معطوف على قوله وتدبير
ذلك مستصعب جدا فهو من تتمة التعريف ﴿ حتى تسخو نفسه ﴾ اى الى ان تسخو نفس
الباذل والسخي ﴿ عما بيد غيره فلا يميل الى طلب ﴾ ما في يد الغير ﴿ ولا يكف ﴾ نفسه
او غيره ﴿ عن بذل ﴾ ويعبر عن هذا المعنى بغنى القلب والسخاء الجبلي ﴿ وقد حكى ان
الله تعالى اوحى الى ابراهيم الخليل على نبينا وعليه السلام أتدرى لما اتخذتك خليلا قال
لا يارب قال لانى رأيتك تحب ان تعطي ولا تحب ان تأخذ ﴾ وهذا من صفات الربوبية وقد

سبق ان الاتفاق فى صفة من اسباب الخلة ﴿ وروى سهل بن سعد الساعدى ﴾ الانصارى كان اسمه حزنا فسماه النبى صلى الله عليه وسلم سهلا وهو آخر صحابى مات بالمدينة سنة احدى وتسعين وهو ابن مأة سنة ﴿ رضى الله عنه قال اتى رجل الى النبى صلى الله عليه وسلم فقال يارسول الله مرنى ﴾ صيغة دعاء من امر ﴿ بعمل يحبنى الله ﴾ بارادة الرحمة والثواب ﴿ عليه ويحبنى الناس ﴾ بارادة النفع ورواية النووى فى الاربعين دلنى على عمل اذا عملته احبنى الله واحبنى الناس ﴿ فقال ﴾ صلى الله عليه وسلم ﴿ ازهد فى الدنيا ﴾ اعرض عنها ولاتبال باقبالها وادبارها ولاتتصرف فيها الا بما يعينك على التعظيم لامر الله والشفقة على خلق الله والزهد عبارة عن غروب النفس عن الدنيا مع القدرة عليها لاجل الآخرة خوفا من النار اوطمعا فى الجنة او ترفعا عن الالتفات الى ماسوى الحق ولايكون ذلك الابعد انشراح الصدر بنور اليقين ولا يتصور ذلك ممن ليس له مال ولاجاه وثمرته القناعة من الدنيا بقدر الضرورة من زاد الطريق وهو مطعم يدفع الجوع وملبس يستر العورة ومسكن يصونه عن الحر والبرد واثاث يحتاج اليه ذكره حجة الاسلام ﴿ يحبك الله ﴾ مجزوم على انه جواب الامر او مرفوع على الاستئناف وفيه اشارة الى انه من المقامات العلية لانه جعل سببا لمحبته تعالى وان محبة الدنيا سبب لبغضه ﴿ وازهد فيما فى ايدى الناس ﴾ من الجاه والمال ﴿ يحبك الناس ﴾ لارتفاع مواد الشحناء وفى هذا المعنى انشد بعض الاتقياء * وما الزهد الا فى انقطاع العلائق . وما الحق الا فى وجود الحقائق * وما الحب الاحب من كان قلبه . عن الخلق مشغولا برب الخلائق ﴿ وقال ايوب ﴾ بن ابى تميمة واسمه كيسان ﴿ السختيانى ﴾ البصرى مولى عنزة رأى انس بن مالك وسمع عمرو بن سلمة الجرمى واباعثمان النهدى والحسن ومحمد بن سيرين واباقلابة عبدالله بن زيد الجرمى ومجاهدا وخلقا كثيرا وروى عنه محمد بن سيرين وعمرو بن دينار وقتادة والاعمش ومالك والسفيانان والحمادان وروى عنه الامام ابوحنيفة رضى الله عنه ايضا مات بالبصرة سنة احدى وثلاثين ومأة وسمى بذلك لانه كان يبيع الجلود وهو لفظ اعجمى ﴿ لاينبل الرجل ﴾ والنبل هو الفضل وعلو القدر من جهة الفطانة والكرم والشرف وبابه حسن ﴿ حتى يكون فيه خصلتان العفة عن اموال الناس والتجاوز عنهم ﴾ اى عن هفواتهم ﴿ وقيل لسفيان ﴾ الثورى ﴿ ما الزهد فى الدنيا قال الزهد فى الناس ﴾ اى بما فى ايديهم (وكتب كسرى الى ابنه هرمز يا بنى استقل الكثير مما تعطى واستكثر القليل مما تأخذ) استفعل للاعتقاد فى الموضعين (فان قرة عيون الكرام فى الاعطاء) يقال هو قرة عينى اى ماتقربه عينى وهو كناية عن السرور لان دمع السرور بارد ودمع الحزن حار ويقال فى الدعاء له ابرد الله عينه وفى الدعاء عليه اسخن الله عينه (وسرور اللئام فى الاخذ ولاتعد الشحيح امينا) على النفوس والاموال لانه لسوء ظنه بربه لايطيعه فكيف يحسن ظنه اياك ويطيعك فيما ائتمنته عليه (ولا الكذاب حرا) وهو من لم يستعبده هواه ولم تسترقه دنياه (فانه لاعفة مع الشح ولامروءة مع الكذب وقال بعض الحكماء السخاء سخاآن اشرفهما سخاؤك عما بيد غيرك وقال بعض البلغاء السخاء ان تكون بمالك متبرعا وعن مال

(غيرك)

غيرك متورعا ﴿ اى متوقيا يقال تورع من كذا اذا تحرج ﴿ وقال بعض الصلحاء الجود غاية الزهد ﴿ وثمرته ﴿ والزهد غاية الجود ﴿ يعنى انهما متلازمان ﴿ وقال بعض الشعراء ﴿ من الطويل ﴿ اذا لم تكن نفس الشريف شريفة . وان كان ذاقدر ﴿ عظيم عند الناس ﴿ فليس له شرف ﴿ اصلا لا عند الله ولا عند اولى الا لبـاب كمعلقة امرئ القيس الفاظها مشحونة بالفصاحة ومعانيها مملوة بالفصاحة كما قال السعدى * خطى زشتست با آب زرنوشتست ﴿ والبذل على وجهين ﴿ معطوف على قوله وليس يتم السخاء وهذا ايضـا من تمة تعريفه ﴿ احدهما ما ابتدأ به الانسان من غير سؤال والثانى ما كان عن طلب وسؤال فاما المبتدئ به فهو اطبعهما سخاء واشرفهما عطاء ﴿ كما قال بعضهم * سود اكرست آنكه دهد زر با آب روى . آنكس كه بى سؤال دهد اهل همتست ﴿ وسئل على كرم الله وجهه عن السخاء فقال ما كان منه ابتداء فاما ما كان عن مسألة فحياء وتكرم ﴿ لا سخاء وكان يقول من كانت له الىّ حاجة فليرفعها الىّ فى كتاب لاصون وجهه عن المسئلة ﴿ وقيل بعض الحكماء اجل النوال ﴿ اى اعظم العطاء ﴿ ما وصل قبل السؤال وقال بعض الشعراء ﴿ وهو سلم الخاسر فى يحيى ويحيى يومئذ شاب . من الكامل المذال او المرفل ﴿ وفتى خلا من ماله ، ومن المروءة غير خال ﴿ واذا رأى لك موعدا . كان الفعال مع المقال * لله درك من فتى . مافيك من كرم الخلال ﴿ اعطاك قبل سؤاله . وكفاك مكروه السؤال ﴿ ولبعض الاعراب * تسمح قبل السؤال انفسنا . بخلا على ماء وجه من يسل ﴿ وهذا النوع من البذل قد يكون لتسعة اسباب ﴿ اى لاحدها ولا مانع من اجتماع بعضها مع بعض ﴿ فالسبب الاول ان يرى ﴿ الباذل السخى ﴿ خلة يقدر على سدها وفاقة يتمكن ﴿ من المكنة اى يقتدر ﴿ من ازالتها فلا يدعه الكرم والتدين ﴿ اى لا يرضى كرمه وديانته ﴿ الا ان يكون زعيم صلاحها وكفيل نجاحها ﴿ اى قضائها يقال نجحت الحاجة اى قضيتها وزعم به اى كفل ﴿ رغبة فى الاجر ان تدين وفى الشكر ان تكرم ﴿ اى ان اتخذ تلك الحاجة دينا لنفسه وقال الجامى فى الامير حسين * دين دان درذمت جودش همه حاجات خلق . كى پسند دجود اودر كردن خود عاردين ﴿ وقال ابو العتاهية ﴿ من الرجز ﴿ ما الناس الا آلة معتملة ﴿ يقال اعتمل الرجل اذا عمل لنفسه وفى الاساس الرجل يعتمل لنفسه ويستعمل غيره ويعمل رأيه ويتعمل فى حاجات الناس اى يتعنى ويجتهد ﴿ للخير والشر جميعا فعله ﴿ لنفسه او عليها ﴿ والسبب الثانى ان يرى فى ماله فضلا عن حاجته وفى يده زيادة عن كفايته فيرى انتهاز الفرصة بها ﴿ اى اغتنامها بتلك الزيادة ﴿ فيضعها حيث تكون له ذخرا معدا ﴿ على صيغة المفعول ﴿ وغنما مستجدا ﴿ اى فوزا جديدا ﴿ وقد قال الحسن البصرى رحمه الله ما انصفك من كلفك اجلاله ﴿ اى اعظامه ﴿ ومنعك ماله وقيل لهند بنت الخس ﴿ بن حابس الايادى قال الجاحظ ومن اهل الدهاء والنكراء ومن اهل اللسن واللقن والجواب العجيب والكلام الصحيح والامثال السائرة والمخارج العجيبة هند بنت الخس وهى الزرقاء وجمعة بنت حابس وكانت تحاجى الرجال الى ان مربها رجل فسألته المحاجاة فقال لها كاد فقالت كاد العروس يكون اميرا فقال كاد فقالت كاد المتنعل يكون راكبا فقال كاد فقالت كاد البخيل يكون كلبا وانصرف فقالت له احاجيك فقال قولى فقالت عجبت للسبخة لايجف ثراها ولا ينبت مرعاها فقالت

عجبت فقـال عجبت للحجارة لايكبر صغيرها ولايهرم كبيرها فقـالت عجبت فقال عجبت لحفيرة بين فخذيك لايملاء حفرها ولايدرك قعرها فخجلت وترك المحاجاة ﴿ من اعظم الناس فى عينك قالت من كان لى اليه حاجة وقال الشاعر ﴾ من الطويل ﴿ وماضاع مال ورث الحمد اهله ﴾ ويروى اورث المجد اهله اى بانفـاقه الى ذوى الكرم والمروءة وقت احتيـاجهم ﴿ ولكن اموال البخيل تضيع ﴾ على رغم كثرتهـا لمنعها عن مسـتحقها روى انه جاء اعرابى الى على رضى الله فقـال ياامير المؤمنين ان لى اليك حاجة الحيـاء يمنعنى ان اذكرها فقـال خطها فى الارض فكتب انى فقير فقال ياقنبر اكسه حلتى فقال الاعرابى * كسوتنى حلة تبلى محاسنها . فسوف اكسوك من حسن الثنا حللا * ان نلت حسن الثناقد نلت مكرمة . ولست تبغى بما قدمته بدلا * ان الثناء ليحيى ذكر صاحبه . كالغيث يحيى نداه السهل والجبـلا * لاتزهد الدهر فى عرف بدأت به . كل امرئ سوف يجزى بالذى فعلا * فقال ياقنبر زده مأة دينار فقال ياامير المؤمنين لو فرقتها فى المسلمين لا صلحت بها من شـأنهم فقال صه يا قنبر فانى سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول اشكروا لمن اثنى عليكم واذا اتاكم كريم قوم فاكرموه ﴿ والسبب الثالث ان يكون ﴾ اى البذل والعطاء ﴿ لتعريض يتنبه عليه لفطنته واشارة يستدل عليها بكرمه ﴾ قال السيد الشريف التعريض فى الكلام مايفهم به السامع مراده من غير تصريح والاشارة هو الثابت بنفس الصيغة من غير ان سبق له الكلام وقال قدامة الاشـارة هى اشتمال اللفظ القليل على المعانى الكثيرة باللمحة الدالة عليها ويأتى تفصيلها فى فصل الكلام ﴿ فلا يدعه الكرم ان يغفل ﴾ ويتجاهل عن ذلك التعريض والاشارة ﴿ ولاالحياء ان يكف ﴾ ذلك المعرض عن عطائه ويمنعه من نواله ﴿ وقد حكى ان رجلا ساير بعض الولاة ﴾ اى جاراه فتسايرا ﴿ فقال ماهزل برذونك ﴾ على وزن درهم شامل لجميع انواع الدابة وما تعجبية ﴿ فقال يده مع ايدينا ﴾ عسارا ويسارا يعنى ان سـمنه ورفاهه مع سـعتنا واكثارنا فليس وليس ﴿ فوصله ﴾ بصلة ﴿ اكتفاء بهذا التعريض الذى بلغ ما لا يبلغه صريح السؤال ولذلك ﴾ البلوغ ﴿ قال اكثم بن صيفى السخاء حسن الفطنة واللوم سوء التغافل ﴾ عرفهما بما هو اخص من المعرف يعنى ان السخاء الممدوح كل المدح مايقترن بالفطنة الحسـنة واللؤم المقدوح كل القدح ما يلازم التغافل السئ ومن تجـاهل عن التعريض يتمكن من الرد اذا صرح المعرض السؤال كما قال جرير * والتغلبى اذا تنحنح للقرى . حك استه وتمثل الامثالا ﴿ و حكى ان عبيدالله بن سليمان لما تقلد وزارة المعتضد ﴾ بالله من الخلفاء العباسية يقال تقلدت المرأة اذا لبست القلادة وهى ما جعل فى العنق ومنه التقليد فى الدين وتقليد الولاة الاعمال ﴿ كتب اليه عبيدالله بن عبدالله بن طاهر ﴾ وكان اديبا وشاعرا ويأتى مساجلته مع ابيه فى كتمان السر صاحب كتاب الاشارة فى اخبار الشعراء والرسالة فى السياسات الملوكية وكتاب المراسلات لعبدالله بن المعتز وكتاب البراعة والفصـاحة ﴿ ابى دهرنا اسـعافنا فى نفوسنا . واسعفنا فيمن نحب ونكرم ﴾ اى نحبه ونكرمه يعنى كان لنا حاجتان فى نفوسنا وفى احبابنا فابى الدهر عن اسعاف الاولى وقضى الثانية ﴿ فقلت له ﴾ اى للدهر ﴿ نعماك فيهم اتمها ﴾ امر من الاتمام والجملة مقول قلت ونعمى على وزن بشرى المال و سعة العيش

﴿ ودع امرنا ان المهم مقدم ﴾ على غير المهم وهو اسعافك بحاجتنا يعني اتم ما ابتدأته من الانعام عليهم و اترك امرنا الى وقت آخر فان امرهم مهم والمهم مقدم (فقال عبيدالله ما احسن ماشكى امره بين اضعاف مدحه) اى في اثنائه (وقضى حاجته) واشتكت امرأة لبعض الولاة من قلة جرذان بيتها فقال لاملأن بيتك فيرانا وامر بحمل اللحم والشحم الى بيتها (وقال بعض الشعراء * ومن لا يرى من نفسه مذكرا لها ﴾ يقال اذكره و ذكره اياه اذا اخطره به وذكرى اسم منهما ﴿ رأى طلب المستنجدين ثقيلا ﴾ يقال استنجده فانجده اى استعانه فاعانه وقال آخر * اذا لم تكن حاجاتنا في نفوسكم . فليس بمغن عنك عقد الرتائم * الرتيمه خيط يشد في الاصبع لتستذكر به الحاجة ﴿ والسبب الرابع ان يكون ذلك ﴾ البذل والاعطاء ﴿ رعاية ليد اوجزاء على صنيعة ﴾ كان اصطنعها اليه ﴿ فيرى تأدية الحق عليه طوعا اما انفة واما شكرا ليكون من اسر الامتنان طليقا ومن رق الاحسان وعبودية عتيقا ﴾ وسيأتي في المعروف ان من اسدى اليه المعروف واصطنع اليه الاحسان فقد صار باسر المعروف موثوقا وفي ملك الاحسان مرقوقا ولزمه ان كان من اهل المكافاة ان يكافئ عليها وان لم يكن من اهلها ان يقابل المعروف بنشره والفاعل بشكره ﴿ قال بعض الحكماء الاحسان رق والمكافاة عتق وقال ابو العتاهية رحمه الله تعالى ﴾ من الطويل ايضا ﴿ وليست ايادى الناس عندى غنيمة ﴾ اى ليست نوائلهم وعطاياهم فيئا عندى ﴿ ورب يد عندى اشد من الاسر ﴾ من حيث ان الاسارة قابل للفداء والاعتاق دون اليد البيضاء وقال آخر * لئن طبت نفسا عن ثنائى فانني . لاطيب نفسا عن نداك على عسرى * فلست الى جدواك اعظم حاجة . على شدة الاعسار منك الى شكرى ﴿ والسبب الخامس ان يوثر ﴾ الباذل ﴿ الاذعان بتقديمه والاقرار بتعظيمه ﴾ اى اذعان المعطى له واقراره بتعظيم المعطى وتقديمه ﴿ توطيدا لرئاسة هو لها محب ﴾ يقال وطد الشئ اذا اثبته ﴿ وعلى طلبها مكب ﴾ لا ينفك عنه اصلا من اكب عليه اى اقبل ولزم والبذل شهود تلك الرياسة (٢) ﴿ وقد قال الشاعر ﴾ من البسيط ﴿ حب الرياسة داء لا دواء له ﴾ فلذا يفدى لنيلها مالا يفدى لغيرها يقال رأس القوم رياسة اذا صار فيهم رئيسا ﴿ وقلما تجد الراضين بالقسم ﴾ الا لهى بمناصب الدنيا والدين ﴿ فتستصعب عليه اجابة النفوس له طوعا الا بالاستعطاف ﴾ اى بطلب محبتهم واشفاقهم ﴿ واذعانها الا بالرغبة والاسعاف ﴾ اى بارضائهم وقضاء حوائجهم ﴿ وقد قال بعض الادباء بالاحسان يرتبط الانسان ﴾ لا بالاساءة والاكراه حتى انه ارسل عثمان بن عفان رضى الله عنه مع عبد له الى ابى ذر الغفارى كيسا من الدراهم وقال ان قبل هذا فانت حر فاتى الغلام بالكيس الى ابى ذر رضى الله عنه والح عليه فى قبوله فلم يقبل فقال اقبله فان فيه عتقى فقال نعم ولكن فيه رقى وقال بعض الشعراء * وقيدت نفسى فى ذراك محبة . ومن وجد الاحسان قيدا تقيدا ﴿ وقال بعض البلغاء من بذل ماله ادرك آماله ﴾ التى يمكن ادراكها ﴿ وقال بعض الشعراء ﴾ من الوافر ﴿ اترجوان تسود بلا عناء ﴾ ويروى وان تمنى ﴿ وكيف يسود ذو الدعة البخيل ﴾ يقال هو فى دعة اى خفض وسعة عيش وقال جرير * تريدين ان ارضى وانت بخيلة . ومن ذا الذى يرضى الاخلاء بالبخل * وقال الجاحظ كان المقنع الذى خرج

(٢) رياست سيغورطه سى

بخراسان يدعى الربوبية لايدع القناع بحال من الحالات وكان قصارا من اهل مرو وكان اعور الكن فما ادرى ايهما اعجب ادعواه بانه رب او ايمان من آمن به وقاتل دونه وكان اسمه عطاء قال الشاعر * اذا المرء اثرى ثم قال لقومه . انا السيد المفضى اليه المعمم * ولم يعطهم شيئا ابوا ان يسودهم . وهان عليهم زعمه وهو الوم ﴿ والسبب السادس ان يدفع به سطوة اعدائه ويستكف به نفار خصمائه ليصيروا له بعد الخصومة اعوانا وبعد العداوة اخوانا اما لصيانة عرض واما لحراسة مجد ﴾ وقال ابو العتاهية فى عبدالله بن معن فى ابيات * فضع ما كنت حليت . به سيفك خلخالا * فما تصنع بالسيف . اذا لم تك قتالا ﴿ وقد قال ابو تمام الطائى * ولم يجتمع شرق وغرب لقاصد ﴾ اى لمتوجه وعازم لانه متى اقبل باحدهما ادبر بالآخر ﴿ ولا المجد فى كف امرئ والدراهم ﴾ لان نيل المجد اى الشرف والكرم بالسماحة وسعة البذل والدراهم لايجتمع الا بالبخل والامساك فتنافيا ﴿ ولم اركا لمعروف تدعى حقوقه ﴾ اى تسمى من دعوته زيدا وبزيد اى سميته به ومفعول لم ار محذوف للتعميم اى لم ار شيئا مظلوما ضيعت حقوقه حتى سميت ﴿ مغارم ﴾ جمع مغرم اى غرامة وخسرانا والغرامة ماينفقه الرجل وليس يلزمه ﴿ فى الاقوام ﴾ اى فى افواههم والسنتهم ﴿ وهى مغانم ﴾ لامغارم والمغنم المال المأخوذ حال الحرب عنوة وذلك المال نافلة لاغرامة فيه ولاغبن اصلا وقال الحريرى * وما على المشترى حمدا بموهبة . غبن ولو كان ما اعطاه ياقوتا ﴾ وقال بعض الادباء من عظمت مرافقه ﴾ جمع مرفق من رفق فلانا اذا نفعه اى من كثرت فوائده ومنافعه ﴿ اعظمه مرافقه ﴾ اسم فاعل من المرافقة اى عظمه من صار رفيقه ولو كان عدوه ﴿ والسبب السابع ان يرب به ﴾ اى بالبذل ﴿ سالف صنيعة اولاها ﴾ اى احسنها ﴿ ويراعى به قديم نعمة اسداها ﴾ اى اعطاها ﴿ كيلا ينسى ما اولاه او يضاع ما اسداه فان مقطوع البر ضائع ومهمل الاحسان ضال ﴾ اى الاحسان المهمل منسى ﴿ وقد قال الشاعر * وسمت امرأ بالبر ثم اطرحته ﴾ الوسم اثر الكى يقال ماسمة دابتك ووسمها وهو ما وسم به الحيوان من ضروب الصور واراد بالمرء نفسه يعنى اشتريتنى باحسانك وادخلتنى فى عداد عبيدك بتوسيمى بسمتك ثم اطرحتنى واخرجتنى من بينهم بقطع صلتك عنى ﴿ ومن افضل الاشياء رب الصنائع ﴾ اى تربيتها باعادتها لان شجرة المودة تسقى بماء البر ﴿ وقال محمد بن داود الاصبهانى * بدأت بنعمى اوجبت لى حرمة . عليك فعد بالفضل فالعود احمد ﴾ وهو مثل اى الرجوع احسن يعنى انا اهل للانعام حيث اوجب انعامك احترامى لك فان عدت ازددت اعظامى وانشد ابو العباس لعمارة * بنى دارم ان يفن عمرى فقد مضى . حياتى لكم منى ثناء مخلد * بدأتم فاحسنتم واثنيت جاهدا . وان عدتمو احسنت والعود احمد ﴿ والسبب الثامن المحبة يوثر بها المحبوب على ماله فلا يضن عليه بمرغوب ولا ينفس عليه بمطلوب ﴾ يقال نفس به اذا ضن ويستعمل بالباء وبابه علم ﴿ للذة التى هى عنده احظى والى نفسه اشهى ﴾ من كل مرغوب ﴿ لان النفس الى محبوبها اشوق والى مايليه اسبق ﴾ ولو بلاقصد ﴿ وقد قال الشاعر ﴾ اعتذارا لرجوعه اليهم وقد عاهدهم على ان لايرجع ﴿ فما زرتكم عمدا ولكن ذا الهوى ﴾ اى صاحب العشق ﴿ الى حيث يهوى القلب تهوى به الرجل ﴾ اى قلبه

(ورجله)

ورجله يعنى ولا معاتبة على الافعال الغير الاختيارية ﴿ وهذا ﴾ القسم الثامن ﴿ وان دخل فى اقسام العطاء فخارج عن حد السخاء وهكذا ﴾ القسم ﴿ الخامس والسادس من هذه الاسباب ﴾ لان الايصال الى مستحقه معتبر فى تعريفه وهو غير ملتفت اليه فى تلك الاقسام ﴿ وانما ذكرناها لدخولها تحت اقسام العطاء * والسبب التاسع وليس بسبب ﴾ بل اعتبر عدم السبب سببا ﴿ ان يفعل ذلك ﴾ البذل ﴿ لغير ماسبب ﴾ ما زائدة لتأكيد النفى ﴿ وانما هى سجية قد فطر عليها وشيمة قد طبع بها فلا يميز بين مستحق ومحروم ولا يفرق بين محمود ومذموم كما قال بشار ﴾ من الخفيف ﴿ ليس يعطيك للرجاء ولا لـ ـخوف لكن يلذ طعم العطاء ﴾ اى لا لرجاء الثواب ولا لخوف العقاب بل لاستلذاذه بالعطاء كالمرأة الشبقة ﴿ وقد اختلف الناس فى مثل هذا هل يكون منسوبا الى السخاء فيحمد اوخارجا عنه فيذم وقال قوم هذا هو السخى طبعا والجواد كرما وهو احق من كان به ممدوحا واليه منسوبا ﴾ ولعل هؤلاء القوم هم السئلة والمداحون والا فاين مصرف قوله تعالى ولاتؤتوا السفهاء اموالكم ﴿ وقال ابو تمام ﴾ من البسيط ﴿ من غير ماسبب يدنى كفى سببا . للحران يجتدى حرا بلا سبب ﴾ وفى ديوانه ماض بدل يدنى وان يعتفى يقال عفاه واعتفاه اذا طلب معروفه واجتداه اذا سأله حاجة يعنى يجود من غير سبب ماض او يقرب ذلك السبب الى احسانه اذ يكفى سببا اعتفاء حر بلا سبب من حر يعنى كما يكون الطلب بلا سبب فليكن العطاء بلا سـبب لكن القيـاس مع الفارق لان الضرورة مسوغة للسائل السؤال فله ان يسأل ممن يرجو العطاء ولا مسوغ للمعطى اعطاء غير المستحق ﴿ وقال الحسن بن سهل ﴾ وزير المأمون وقد تزوج بابنته بوران وكان من الاجواد ﴿ اذا لم اعط الا مستحقا فكأنى اعطيت غريما ﴾ واى فضل فى اداء دين ﴿ وقال الشرف فى السرف فقيل له لاخير فى السرف فقال ولا سرف فى الخير ﴾ وقال يحيى البرمكى اعط من الدنيا وهى مقبلة فان ذلك لاينقصه منها شئ واعط منها وهى مدبرة فان منعك لايبقى عليك منها شيئا فكان الحسـن بن سهل يتعجب من ذلك ويقول لله دره ما اطبعه على الكرم واعلمه بالدنيـا ﴿ وقال الفضـل بن سهل العجب لمن يرجو من فوقه كيف يحرم من دونه ﴾ وهو يرجو ممن فوقه وقد قال على رضى الله عنه لاتستح من اعطاء القليل فالحرمان اقل منه ﴿ وقال بشار * وما الناس الا صاحباك فمنهما ﴾ والقصر باعتبار الوصفين ﴿ سخى ومغلول اليدين من البخل * فسـامح يدا ﴾ اى ابسطها ﴿ ما امكنتك ﴾ بسطها ﴿ فانها ﴾ اى الاموال والعروض لان السماحة تتعلق بها فمرجع الضمير متقدم حكما ﴿ تقل وتثرى ﴾ اى من شانها ان تقل وتكثر فلا يفنيها الجود ولا يبقيها البخل ﴿ والعواذل فى شغل ﴾ اى اللوام مشغولون عنك فلاتخف لومهم وهو جمع عاذلة لان العذل من الاوصاف الغالبة فى النساء كما فى قوله تعالى ومن شر النفاثات فى العقد او جمع عاذل والفاعل الوصفى لايجمع على فواعل ففيه ايماء الى تحقير هم كأن ذلك الوصـف غلب على اسمائهم وصـار كالعلم لهم فعوى بشـار ولم يعض اذ لالوم على باذل سمح على مستحقه وانما العذل على باذل على من لايستحق وهو منصوص عليه ﴿ وقال آخرون هذا خارج من السخاء المحمود الى السرف والتبذير المذموم لان العطاء اذا كان لغير سبب كان المنع ﴾ اى منع المستحق ﴿ لغير سبب لان المـال يقل عن الحقوق ويقصر عن ﴾

احاطة جميع ﴿ الواجبات ﴾ المالية وكفاياتها ﴿ فاذا اعطى ﴾ الباذر ﴿ غير المستحق فقد يمنع مستحقا ﴾ فينال مدح غير المستحق وذم المستحق ﴿ وماينال من الذم بمنع المستحق اكثر مما يناله من الحمد لاعطاء غير المستحق وحسبك ذما بمن كانت افعاله تصدر عن غير تمييز وتوجد لغير علة ﴾ موجبة لها كالبهائم ﴿ وقد قال الله تعالى ﴾ فى الاسراء ﴿ ولا تجعل يدك مغلولة الى عنقك ولا تبسطها كل البسط ﴾ هذا تمثيل لمنع الشحيح واعطاء المسرف وامر بالاقتصاد الذى هو بينهما ﴿ فتقعد ملوما ﴾ فتصير ملوما عند الله لان المسرف غير مرضى عنده وعند الناس يقول المحتاج اعطى فلانا وحرمنى ويقول المستغنى مايحسن تدبير امر المعيشة وعند نفسك اذا احتجت فندمت على مافعلت ﴿ محسورا ﴾ منقطعا بك لاشئ عندك ﴿ فنهى عن بسطها سرفا كما نهى عن قبضها بخلا فدل على استواء الامرين ذما وعلى اتفاقهما لوما ﴿ وقال الشاعر ﴾ من الوافر ﴿ وكان المال يأتينا فكنا ﴾ نزعم ان اتيانه يدوم و ﴿ نبذره وليس لنا عقول ﴾ تمنعنا عن التبذير ﴿ فلما ان تولى المال عنا ﴾ وانقطع اتيانه ﴿ عقلنا حين ليس لنا فضول ﴾ حتى نضعها فى محلها ونجعلها ذخرا يقال عقل اذا ادرك وفهم والبيتان خبر لفظا وتحسر وندامة معنى كالخبر بذلك عالم السر والخفيات وعواقب الامور وكل شئ نتيجته ندامة فمقدمته اما سفاهة او جهالة وهما مذمومان فالبذل بلا سبب مذموم . وقد قال المفسرون فى قوله تعالى ومما رزقناهم ينفقون ادخال من التبعيضية عليه للكف عن الاسراف المنهى عنه بعد اتفاقهم ان المراد من هذا الانفاق صرف المال فى سبيل الخير وقال الطبرى قال الجمهور من تصدق بماله كله فى صحة بدنه وعقله حيث لادين عليه وكان صبورا على الفاقة ولا عيال له اوله عيال يصبرون ايضا فهو جائز فان فقد شيئا من ذلك كره وقال بعضهم هو مردود وعليه عمر رضى الله عنه ﴿ قالوا ولان العطاء والمنع اذا كانا لغير علة افضيا الى ذم الممنوع وقلة شكر المعطى ﴾ بصيغة المفعول ﴿ اما الممنوع فلانه قد فضل عليه من سواه واما المعطى فانه وجد ذلك اتفاقا وربما امل بالاتفاق اضعافا) مما نال (فصار ذلك مفضيا الى اجتلاب الذم) من الممنوع (واحباط الشكر) من المعطى له (وليس فيما افضى الى واحد منهما خير يرجى وهو جدير ان يكون شرا يتقى ولمثل هذا) الافضاء (كان منع الجميع ارضاء للجميع) ولايلزم الترجيح بلا مرجح (و) كل ﴿ عطاء يكون المنع ارضى منه خسران مبين ﴾ لايحتاج الى البيان (فاما اذا كان البذل والعطاء عن سؤال وطلب فشروطه معتبرة من وجهين) معطوف على قوله فاما المبتدئ به فهو اطبعهما سخاء وتفصيل للقسم الثانى من البذل (احدهما فى السائل والثانى فى المسئول) عنه فهو من الحذف والايصال (فاما ما كان معتبرا فى السائل فثلاثة شروط * الشرط الاول ان يكون السؤال لسبب والطلب لموجب فان كان لضرورة) اى لحاجة عاجلة لاتقضى بدونه (ارتفع عنه الحرج) اى عن السائل اثم الآخرة (وسقط عنه اللوم) بحسب الدنيا (وقد قال بعض الحكماء الضرورة توقح الصورة) اى تذهب حياءها (وقال بعض الشعراء * الا قبح الله الضرورة انها . تكلف اعلى الخلق) فضلا وادبا اوخلقا ونسبا (ادنى الخلائق) جمع خليقة وهى الطبيعة وادناها اراقة وجه الماء والسؤال اوجمع خليق بمعنى المخلوق وادناه الكلب له حرب قديم مع المساكين وصلح دائم مع الاغنياء فاعلى الخلق الانسان الذى هو اكرم الحيوان

جنسا واشرفه نفسا والتكليف الامر بما يشق عليه اى تلجئه الى السؤال او بما تنزل الى منزلة
الكلب وتحريك الذنب لمن يطعم فالسؤال لازم معنيه (ولله درالاتساع فانه . يبين فضل
السبق من غير سابق) كما قال آخر * الفقر يزرى باقوام ذوى حسب . وقد يسود غير
السيد المال * وقال عروة بن الوردى * ذرينى للغنى اسعى فانى . رأيت الناس شرهم الفقير *
وادناهم واهونهم عليهم . وان امسى له حسب وخير * يباعده القريب وتزدريه . حليلته ويقهره
الصغير * ويلقى ذو الغنى وله جلال . يكاد فؤاد لاقيه يطير * قليل ذنبه والذنب جم . ولكن
للغنى رب غفور (وقال الكميت) على وزن التصغير ابن زيد الاسدى الكوفى كان خطيبا
فقيها حافظ القرآن حسن الخط نسابة جدلا شاعرا راميا فارسا شجاعا سخيا دينا ولو لم يكن
لبنى اسد منقبة الا الكميت لكفاهم وكان ينشد فى صغره فوقف عليه الفرزدق وقال ياغلام
ايسرك ان اكون اباك فقال اما ابى فلا ابغى به بدلا ولكن يسرنى ان تكون امى فحصر
الفرزدق وقال مامربى مثلها مات سنة ست وعشرين ومأة (اذا لم تكن الا الا سنة مركبا)
جمع سنان وهو الحربة التى فى رأس الرمح (فلا رأى للمضطر الا ركوبها) مع علمه ان فيه
هلاكه (فان ارتفعت الضرورة) الملجئة الى السؤال ﴿ ودعت الحاجة ﴾ اقتضاء غير ملجئ
﴿ فيما هو اولى الامرين ان يكون ﴾ اى حصول ذلك الامر ﴿ وان جاز ان لايكون ﴾ مع
ترك الاولى ﴿ فالنفس المسامحة تغلب الحاجة وتسمح فى الطلب ﴾ والسؤال ﴿ وتراعى مااستقام
به الامر وان ناله ذل ولحقه وهن ﴾ فى مروته ﴿ فيتأول صاحبها ﴾ اى صاحب تلك الحاجة
او النفس ﴿ قول البحترى ﴾ من البسيط ﴿ وربما كان مكروه الامور الى . محبوبها سببا
مامثله سبب ﴾ للظفر بالمطلوب وقال آخر * ما ابيض وجه المرء فى طلب العلاء . حتى يسود
وجهه فى المبدء * الا ان السعدى خص ذلك بسؤال العلم فقال * بپرس هرچه ندانى كه ذل پرسيدن .
دليل راه تو با شد بعز دانايى * وقال آخر * مااعتاض باذل وجهه بسؤاله . بدلا وان نال
الغنى بسؤال(٢) واذا السؤال مع النوال وزنته . رجح السؤال وخف كل نوال ﴿ والنفس
الشريفة تطلب الصيانة وتراعى النزاهة ﴾ عن موقع الذل ﴿ وتحتمل من الضر مااحتملت
ومن الشدة ماطاقت ﴾ بالغة مابلغت ﴿ فيبقى تحملها ويدوم تصونها ﴾ لانها تأنس بخفيفها
ثم بشديدها ثم باشدها ﴿ فتكون كما قال الشاعر ﴾ من المتقارب ﴿ وقد يكتسى المرء خز الثياب ﴾
فى حديث على رضى الله عنه انه نهى عن ركوب الخز والجلوس عليه والخز كان يعرف اولا
بثياب تنسج من صوف وابريسم وهى مباحة ونوع آخر وهو المعمول من الا بريسم فقط
وهو حرام ﴿ ومن دونها حالة مضنية ﴾ يقال اضناه المرض اذا اثقله وضنى الرجل اذا مرض
مرضا مخامرا كلما ظن برؤه نكس اى من وراء حالته حالة ثقيلة يسترها باكتساء زى المترفين
يعنى فقير دائما يرى غنيا ابدا . كرسنه باشد دم ازسيرى زند ﴿ كما يكتسى خده حمرة . وعلته
ورم فى الرية ﴾ بقلب الهمزة ياء والرئة موضع النفس والريح والهواء من الحيوان ويعبر عنه
بالكبد الابيض واراد بالورم الجوع لان الجائع يجذب دم وجهه فيتصفى لونه فيظهر فى خده
حمرة كما يشاهد فى رمضان يعنى ان علة تلك الحمرة الجوع لا كثرة الدم اللازم للشبع الدائم كما
قال آخر * وارى العدو على الخصاصة حالة . تصف الغنى فيخالنى متمولا ﴿ فلا يرى ان

(٢) تنكيره للتقليل اى بسؤال واحد منه

يتدنس بمطالب الشوم ومطامع اللؤم ﴾ الشوم ضد اليمن واللؤم ضد الكرم والاضافة بيانية ﴿ فان البهائم الوحشية تأبى ذلك وتأنف منه ﴾ اى يتعزز ويتكبر من التدنس بتلك المطالب ﴿ قال الشاعر ﴾ من الوافر ﴿ وليس الليث من جوع ﴾ اى لاجله ﴿ بغاد ﴾ يقال غدا عليه اذا بكر عليه ثم توسع فيه وجرد عن الوقت والحق بالافعال الناقصة كراح ﴿ على جيف ﴾ جمع جيفة ﴿ تطيف بها الكلاب ﴾ من الاطافة اى تدور حولها وتأكل منها الكلاب وترجمه السعدى بقوله * نخورد شير نيم خوردة سك . وربسختى بميرد اندر غار * وقال آخر * وتجتنب الاسود ورود ماء . اذا كان الكلاب يلغن فيه . ويرتجع الكريم خميص بطن . ولا يرضى مساهمة السفيه ﴿ فكيف بالانسان الفاضل الذى هو اكرم الحيوان جنسا واشرفه نفسا هل يحسن به ان يرى لوحوش البهائم عليه فضلا وقد قال الشاعر * على كل حال يأكل المرء زاده . على البؤس والضراء والحدثان ﴾ بدل من قوله على كل حال اى يأكل على حال البؤس وشدة الحاجة والضراء النقيصة فى الاموال والانفس والحدثان بفتح فكسر نوائب الدهر ونوازله ﴿ والفضل فى مثل هذا ماقيل لبعض الزهاد لو سألت جارك اعطاك فقال والله مااسئل الدنيا ممن يملكها فكيف ممن لا يملكها . ووصف بعض الشعراء قوما فقال * اذا افتقروا اغضوا على الضر حسبة ﴾ ولم يسألوا لنيل ثواب الصبر من اغضى على الشئ اذا سكت ﴿ وان ايسروا عادوا سراعا الى الفقر ﴾ لانفاقهم بمالديهم وايثارهم الفقر وقال آخر * لا يألف الدرهم المضروب صرتنا . لكن يمر عليها وهو منطلق ﴿ فاما من يسأل من غير ضرورة مست ولا حاجة دعت فذلك ﴾ السؤال ﴿ صريح اللؤم ومحض الدناءة وقلما تجد مثله ملحوظا او متمولا محظوظا ﴾ اى تجده ذامال كثير وذا حظ عظيم من تمول اذا كثر ماله ﴿ لان الحرمان قاده الى اضيق الارزاق واللوم ساقه الى اخبث المطاعم فلم يبق لوجه ماء الا اراقه ولا اذل الا اذاقه ﴾ وفى الجامع الصغير (من سأل الناس اموالهم تكثرا) لا لحاجة (فانما يسأل جمر جهنم) يكوى بها كمانع الزكاة (فليستقل منه او يستكثر) ان لم يكفه القليل من الجمر وقال الحسن بن على حسبك من السؤال انه يضعف لسان المتكلم ويكسر قلب الشجاع البطل ويوقف الحر الكريم موقف العبد الذليل ويذهب بنضرة اللون ويمحو الحسب ويحبب الموت ويمقت الحياة ﴿ كما قال عبد الصمد بن المعذل لابى تمام ﴾ من الخفيف ﴿ انت بين اثنين تبرز للنا . س وكلتا هما بوجه مذال ﴾ من اذال بمعنى اهان اى تظهر لهم بوجه مهان ومحقر بكثرة الاستعمال ﴿ لست تنفك طالبا لوصال . من حبيب او طالبا لنوال * اى ماء لحر وجهك يبقى . بين ذل الهوى وذل السؤال ﴾ يقال ضرب بحر وجهه وهو مابدا منه . قال الصولى كان ابو تمام لا يجيب هاجيا ترفعا عنه فانحدر الى البصرة والاهواز يمدح من بهما فكتب اليه عبد الصمد الابيات فلما قرأها قال قد شغل هذا سابليه ولا ارب لنا فيه ﴿ ولو استقبح العار وانف من الذل لوجد غير السؤال مكسبا يمونه ﴾ اى يقوم بكفايته ﴿ ولقدر على مايصونه ﴾ من ذل السؤال ﴿ وقد قال الشاعر ﴾ من الكامل ﴿ لا تطلبن معيشة بتذلل ﴾ اى بمكاسب محرمة شرعا كالسؤال والسعاية والقيادة والكهانة ونحوها او خسيسة كالكناسة والحجامة والدباغة ﴿ فليأتينك رزقك المقدور * واعلم بانك آخذ كل الذى . لك فى الكتاب

مقدر مسطور ﴾ والمراد بالكتاب مافى حديث الحلقة الذى رواه الشيخان عن ابن مسعود مرفوعا ان احدكم يجمع خلقه فى بطن امه اربعين يوما ثم يكون علقة مثل ذلك ثم يكون مضغة مثل ذلك ثم يرسل الملك فينفخ فيه الروح ويؤمر باربع كلمات يكتب رزقه واجله وعمله وشقى اوسعيد ﴿ والشرط الثانى من شروط السؤال ان يضيق الزمان عن ارجائه ﴾ اى تأخيره ﴿ ويقصر الوقت عن ابطائه ﴾ وهو ضد الاسراع ﴿ فلا يجد لنفسه فى التأخير فسحة ولا فى التمادى ﴾ على ذلك الضيق ﴿ مهملة فيصير من المعذورين ودا خلافى عداد المضطرين فاما اذا كان الوقت متسعا والزمان ممتدا فتعجيل السؤال لؤم وقنوط وقال الشاعر * ابى لى اغضاء الجفون على القذى . يقينى ان لاعسر الا مفرج ﴾ قال الحريرى * واصبر على ماناب من فاقة . صبر اولى العزم واغمض عليه * ولاترق ماء المحيا ولو . خولك المسؤل مافى يديه * فالحر من ان قذيت عينه . اخفى قذى عينيه عن ناظريه * الناظر سواد العين فيريد انه اذا وقع فى عينيه قذى وهو السقط على شدة اذ اية احتمله الحر الكريم وصبر عليه واخفاه من ناظريه تجلدا وهذا غاية فى المبالغة اذا عرفت هذا فمعنى البيت يابى لى اغضاء الجفون على القذى اى اخفاؤه والصبر على اذاه فكأنه قيل ماحملك عليه فقال يقينى وعلمى بلاشك انه لاعسر الاسيفرج وفى تخصيص الاب بالنداء ايماء الى الامتناع عن السؤال وان كان الآمر الاب المطاع ﴿ الا ربما ضاق الفضاء باهله ﴾ فلم يجد ملجأ ومفرا ﴿ وامكن من بين الا سنة مخرج ﴾ وقال آخر * اذا تضايق امر فانتظر فرجا . فاضيق الامر ادناه الى الفرج ﴿ والشرط الثالث اختيار المسؤل ان يكون مرجو الاجابة مأمول النجح ﴾ اى الظفر بالحاجة ﴿ اما لحرمة السائل اوكرم المسؤل ﴾ قال الاصمعى وقف اعرابى يسأل فقال * يا ابن الكرام والدا وولدا . لاتحر من سائلا لعمدا . افقره دهر عليه قد عدا . من بعد ما كان قديما سيدا ﴿ فان سأل لئيما لايرعى حرمة ولا يؤلى مكرمة ﴾ اى لايلتفت الى مافيه كرم ﴿ فهو فى اختياره ملوم وفى سؤاله محروم . وقد قال بعض البلغاء المخذول ﴾ اى الذليل الحقير الذى امل النصرة ولم ينصرله ﴿ من كانت له الى اللئام حاجة . وقد قال بعض البلغاء اذل من اللئيم سائله ﴾ لاراقته ماء وجهه مع عدم النيل بحاجته ﴿ واقل من ﴾ قيمة ﴿ البخيل نائله ﴾ اى عطيته وقومه بعضهم بالبيضة الفاسدة وبعضهم بالنفاثة وبعضهم بالقلامة ولذا قيل * وانى لارثى للكريم اذا غدا . على حاجة عند اللئيم يطالبه * وارثى له من مجلس عند بابه . كرثيتى للطرف والعلج راكبه ﴿ وقال بعض الشعراء ﴾ من الكامل المرفل ﴿ من كان يومل ان يرى . من ساقط ﴾ حسبا او خلقا ﴿ نيلا سنيا ﴾ اى رفيعا قدرا وقيمة ﴿ فلقد رجى ان يجتنى . من عوسج رطبا جنيا ﴾ يعنى ان الرطب يجتنى من الشجر الا ان له شجرة كريمة هى النخل ولا يجتنى من العوسج ولا سائر الشباك . وفى الجامع الصغير عن ابى هريرة مرفوعا (وقال داود ادخالك يدك فى فم التنين) بكسر فتشديد ضرب من الحيات (الى ان تبلغ المرفق فيقضمها) بفتح الياء والضاد اى يعضها ويكسرها (خير لك من ان تسأل من لم يكن له شئ ثم كان) اى من كان معدما فصار غنيا ولم يكن من بيت شرف ونظم ذلك المعنى الفارضى وقال * ادخالك اليد فالتنين توصلها . لمرفق منك مستنعل فيقضمها * خير من المرء يرجى فى الغنى وله . خصاصة سبقت قدكان

يسأمها * وقال غيره * سل الفضل اهل الفضل قدما ولا تسل . غلاما ربى فى الفقر ثم تمولا * فلو ملك الدنيا جميعا باسرها . تذكرها الايام ما كان اولا ﴿ واما الشروط المعتبرة فى المسؤل ﴾ عنه ﴿ فثلاثة الشرط الاول ان يكتفى بالتعريض ولا يلجئ الى السؤال الصريح ليصون السائل عن ذل الطلب فان الحال ناطقة والتعريض كاف ﴾ كتب ابو حفص الوراق رقعة الى الصاحب منها وحال عبد مولانا فى الحنطة مختلفة وجرذان داره عنها منصرفة فوقع فيها احسنت يا اباحفص قولا وسنحسن فعلا فبشر جرذان دارك بالخصب وامنها من الجدب فالحنطة تأتيك فى الاسبوع ولست عن غيرها من النفقة بممنوع ﴿ وقد قال الشاعر ﴾ من المتقارب ﴿ اقول وستر الدجى مسبل ﴾ اى مرخى والدجى الظلمة ﴿ كما قل حين شكى الضفدع ﴾ فاعل شكى وقل على سبيل التنازع ﴿ كلامى ان قلته ضائع ﴾ اذ لا يستمعون ولا يؤثر فيهم ﴿ وفى الصمت حتفى فما اصنع ﴾ الحتف الهلاك والبيت مقول قال فهو من كلام البهائم وقوله كما قال الى آخره مقول اقول ففى قوله شكى وفما اصنع تعريض للسؤال وفى قوله حتفى تصريح باشتداد الحاجة وفى قوله كلامى ضائع ايماء الى سؤال وتلميح الى قصة وهى ان ضفدعا استقرض حنطة من نملة فى شتاء قد امتد فردته النملة وقالت لا ارعى جارا ضيع صيفه بالقهقهة فى مواقع الماء ولم يتهيأ ليومه هذا فلعل الشاعر قد استحيى من تلقى هذا الجواب فتستر بالدجى ونادى فى الظلمات لرجاء الاجابة (٢) ﴿ وربما فهم المسؤل الاشارة فالجاء الى التصريح بالعبارة تهجينا للسائل فيخجل ويستحيى فيكف ﴾ عن عطاءه ﴿ كما قال ابو تمام ﴾ من الكامل ﴿ من كان مفقود الحياء فوجهه . من غير بواب له بواب ﴾ لوقاحته لا يحتاج الى بواب يمونه ويروى مفقود الحياء . ومما قيل فى الحجاب قال ابو مسهر اتيت ابا جعفر محمد بن عبد الكافى فحجبنى . فكتبت اليه * انى اتيتك للتسليم امس فلم . تأذن عليك لى الاستار والحجب * وقد علمت بانى لم ارد ولا . والله ماردنى الا الحلم والادب * فاجابنى بهذا القول لو كنت كافأت بالحسنى لقلت كما . قال ابن اوس وفيما قاله ادب * ليس الحجاب بمقص عنك لى املا . ان السماء ترجى حين تحتجب * وقال آخر * اذا جئت الق عند بابك حاجبا . محياه من فرط الجهالة حالك * ومن عجب مغناك جنة قاصد . وحاجبها من دون رضوان مالك ﴿ والشرط الثانى ان يلقى بالبشر اوالترحيب ويقابل بالطلاقة والتقريب ليكون مشكورا ان اعطى ومعذورا ان منع ﴾ وفى الجامع الصغير (التمسوا الخير عند حسان الوجوه اى حال طلب الحاجة فرب حسن الوجه ذميمة عند الطلب وعكسه قال ابن رواحة او حسان * قد سمعنا نبينا قال قولا . هو لمن يطلب الحوائج راحة * اغتدوا واطلبوا الحوائج ممن . زين الله وجهه بالصباحة ﴿ وقد قال بعض الحكماء الق صاحب الحاجة بالبشر فان عدمت شكره ﴾ بعدم قضاء حاجته ﴿ لم تعدم عذره ﴾ وقد قيل * بشاشة وجه المرء خير من القرى فكيف بمن تأتى به وهو ضاحك * وقد ضمن الشيخ شمس الدين البديوى هذا البيت فقال * اذا المرء وافى منزلا منك قاصدا . نداك وارمته لديك المسالك * فكن باسما فى وجهه متهللا . وقل مرحبا اهلا ويوم مبارك * وقدم له ما تستطيع من القرى . عجولا ولا تبخل بما هو هالك * فقد قيل بيت سالف متقدم . تداوله زيد وعمرو ومالك * بشاشة البيت ﴾ وقال

(٢) وقد نادى ذو النون فى الظلمات فقال الله تعالى فاستجبنا له فنجيناه من الغم منه

ابن لنكك ان ابا بكر بن دريد قصد بعض الوزراء فى حاجة فلم يقضها له وظهر له منه ضجرة فقال ﴾ ابن دريد من الكامل ﴿ لاتدخلنك ضجرة من سائل . فلخير دهرك ان ترى مسؤلا ﴾ الضجرة ضيق النفس الحاصل من الغم ﴿ لاتجبهن بالرد وجه مؤمل . فبقاء عزك ان ترى مأمولا ﴾ يقال جبهه من الباب الثالث اذا ضرب جبهته وكذا اذارده اولقيه بمكروه ونونه خفيفة اى لاتلق بالرد اذ لاخير فى الكون سائلا ولاعز بدون تعلق الآمال وكونك ملجأ الحاجات ﴿ تلقى الكريم فتستدل ببشره ﴾ على كرمه ﴿ وترى العبوس على اللئيم دليلا * واعلم بانك عن قليل صائر . خبرا ﴾ امابالعزل اوالموت ﴿ فكن ﴾ فى الحال ﴿ خبرا يروق جميلا ﴾ يعنى كن خبرا يعجب جميلا لكونه افضل الفضائل واكمل المكارم من راقه اذا اعجبه لحسنه وكونه مطبوعا ﴿ والشرط الثالث تصديق الامل فيه وتحقيق الظن به ﴾ اى بالسائل ﴿ ثم اعتبار حاله وحال سائله فانها لاتخلو من اربع احوال * فالحال الاولى ان يكون السائل مستوجبا ﴾ لكونه ابن سبيل اومتفرغا لتعلم اوتعليم اوجهاد اواهل مروءة اصابته آفة اونحو ذلك ﴿ والمسؤل متمكنا ﴾ على قضاء حوائجهم ﴿ فالاجابة ههنا تستحق كرما وتستلزم مروءة وليس للرد سبيل الا لمن استولى عليه البخل وهان عليه الذم للؤم طبعه ﴿ فيكون كما قال فيه عبدالرحمن بن حسان ﴾ بن ثابت الانصارى ابو محمد الشاعر ابن الشاعر واختلف فى صحبته . من الكامل ﴿ انى رأيت من المكارم حسبكم . ان تلبسوا خز الثياب وتشبعوا ﴾ الخز الثوب الحرير اوما اختلط بالصوف يعنى يكفيكم منها طعامكم ولباسكم ﴿ فاذا تذوكرت المكارم مرة . فى مجلس انتم به فتقنعوا ﴾ كالنساء اى غطوا وجوهكم اذلستم من رجال المكارم ولا من اهلها والستر واجب على الاجنبية ولعله قال ذلك فى بعض رجال بنى امية ﴿ فنعوذ بالله ممن حرم ثروة ماله ومنع حسن حاله ان يكون مستودعا فى صنيع مشكور وبر مذخور وقد قيل لبخيل لم حبست مالك قال للنوائب فقيل له قد نزلت بك ﴾ وهى الذم والقدح فى العرض ﴿ وقال بعض الشعراء ﴾ من السريع ﴿ مالك من مالك الا الذى . قدمت فابذل طائعا مالكا ﴾ مفعول فابذل وفى حديث يقول ابن آدم مالى مالى وانما لك من مالك ما اكلت فافنيت او اعطيت فامضيت اولبست فابليت فاخذ منه وقال مالك اى ليس لك منه الا ما قدمت ﴿ تقول اعمالى ولو فتشوا . رأيت اعمالك اعمى لكا ﴾ يعنى تقول اعمالى كثيرة ومقرونة باخلاص فتعتمد عليها وتترك العبادات المالية ولو فتشوا وبحثوا عن اعمالك التى تطمئن اليها وتعجب بها رأيت تلك الاعمال قد اعمتك وصيرتك ضريرا لاتعرف الرشد من الغى وقد جمع الله تعالى بين العبادة البدنية والمالية فقال اقيموا الصلاة وآتوا الزكاة . والشاعر جنس بين لفظ القافية واللفظ الذى قبله كما فى قول الآخر * قدم لنفسك زادا . وانت مالك مالك من قبل ان تتفانى . ولون حالك حالك * ولست تعلم يوما . اى المسالك سالك * اما لجنة عدن . اوفى المهالك هالك ﴿ ثم قداسقط حق نفسه ورفع اسباب شكره فصار ﴾ ذلك المسقط ﴿ بان لاحق له ﴾ اى فى ان لاحق له اصلا فى ماله ﴿ مذموما ﴾ عاجلا لاسقاطه حق نفسه بالبخل ﴿ كمشكور ﴾ اسقط حق نفسه باداء ما عليه من حقوق ماله ﴿ ومأثوما ﴾

آجلا لمنعه السائل المستوجب ﴿ كمأجور ﴾ لكونه متمكنا عليه فيشتد حسرته يوم القيامة كعالم لم يعمل بما علم ﴿ وقال ابو العتاهية ﴾ من الكامل ﴿ جزى البخيل على صالحة . اذلم يثقل بره ظهرى ﴾ ولم يجعلنى اسير احسانه ومديون شكرانه * اعلى واكرم عن نداه يدى . فعلت ونزه قدره قدرى * ورزقت من جدواه عافية . ان لايضيق بشكره صدرى وظفرت منه بخير مكرمة . من بخله من حيث لايدرى * كافى نسخة قديمة ﴿ ما فاتنى خير امرئ وضعت ﴾ اى اسقطت ﴿ عنى يداه مؤنة الشكر ﴾ اى كلفته وقد نلت ذلك الخير وهو لايدرى ﴿ فاذا لم يكن للرد فى مثل هذه الحال سبيل نظر فان كان التأخير مضرا ﴾ للسائل ﴿ عجل بذله وقطع مطله ﴾ اى تسويفه ﴿ وكانت اجابته فعلا وقوله عملا ﴾ بان يجتمعا مع السؤال ﴿ وقد قالت الحكماء من مروءة المطلوب منه ان لايلجئ الى الحاح عليه ﴾ يقال الح السائل فى السؤال اذا الحف وابرم وقال اعرابى وعد الكريم نقد وتعجيل ووعد اللئيم مطل وتعليل ﴿ وقال محمدبن حازم ﴾ من الوافر ﴿ ومنتظر ﴾ سؤالك بالعطايا ﴾ اى رب منتظر سوالك لقيته ﴿ و ﴾ قلت له ﴿ اشرف من عطاياه السؤال ﴾ فاذهب ايها المنتظر وتكفف ﴿ اذا لم يأتك المعروف طوعا . فدعه فالتنزه عنه مال ﴾ اذ لاخير فى مال نلته بالحاح ﴿ وان كان فى الوقت مهلة وفى التأخير فسحة فقد اختلف مذاهب الفضلاء فيه فذهب بعضهم الى ان الاولى فيه تعجيل الوعد قولا ثم يعقبه الانجاز فعلا ليكون السائل مسرورا بتعجيل الوعد ثم بآجل الانجاز ﴾ فيتكرر سروره ﴿ ويكون المسؤل موصوفا بالكرم ﴾ بتعجيله الوعد ﴿ ملحوظا بالوفاء ﴾ بانجازما وعد فيتضاعف حسناته ﴿ وقدروى ﴾ على ماروى ابو نعيم عن ابن مسعود ﴿ عن النبى صلى الله عليه وسلم انه قال العدة عطية ﴾ اى الوعد بمنزلة العطية فلا ينبغى اخلافها كما لا ينبغى الرجوع فى العطية وروى ﴿ العدة دين ﴾ فى تأكد الوفاء بها ﴿ وقال الفضل بن سهل لرجل سأله حاجة اعدك اليوم واحبوك غدا بالانجاز ﴾ يعنى اسررك به من حباه اذا اعطاه ﴿ لتذوق حلاوة الامل واتزين بثوب الوفاء . ووعد يحيى بن خالد رجلا بحاجة سأله اياه فقيل له تعد وانت قادر فقال ان الحاجة اذا لم يتقدمها وعد ينتظر صاحبه نجحه لم يجد سرورها لان الوعد طعم والانجاز طعام وليس من فاجأه الطعام كمن يجد ريحه ويطعمه فدع الحاجة ﴾ حينا ﴿ تختمر بالوعد ﴾ الخميرة مايجعل فى العجين لاصلاحه ويكون مادة الهضم ﴿ ليكون لها طعم عند المصطنع اليه ﴾ وقال ابن الكلبى لهشام بن عبدالملك يا اميرالمؤمنين لاتصنع الى معروفا حتى تعدنى به فانه لم يأتنى منك سيب على غير وعد الاهان على قدره وقل منى شكره فقال له لم قلت ذلك وقد قال سيد قومك ابو مسلم الخولانى ان انجح المعروف فى القلوب وابرده على الاكباد معروف غير منتظر لايكدره مطل فقال وقد قيل * حلاوة الفضل بوعد ينجز . لاخير فى العرف كنهب ينهز * وقال المهدى * الوعد احسن مايكو . ن اذا تكفله الوفا ﴿ وقال بعض البلغاء اذا احسنت القول ﴾ بالوعد ﴿ فاحسن الفعل ﴾ بالانجاز ﴿ ليجتمع لك ثمرة اللسان وثمرة الاحسان ولا تقل مالا تفعل فانك لاتخلو فى ذلك ﴾ القول ﴿ من ذنب تكتسبه ﴾ لان الوعد دين والخلف فيه من علامات النفاق ﴿ اوعجز تلتزمه ﴾

(بلا فائدة)

بلا فائدة ثم تضطر الى اعتذار قال رجل لابى عمرو بن العلاء وعدتنى بامر ولم تنجزه فقال من اولى منا بالتعب انا والا انت قال انا قال ابو عمرو لا والله بل انا قال وكيف قال لانى وعدتك وعدا فانت تفرح بالوعد فبت ليلتك فرحا جذلان مسرورا وبت انا بهم الانجار فبت ليلتى مفكرا مغموما بما عاق الدهر من بلوغ الارادة فيه فلقيتنى مدلا ولقيتك مستحيا وقال ابن رشيق * احسنت فى تاخيرها منة . لولم تؤخر لم تكن كاملة * وكيف لايحسن تأخيرها . بعد يقينى انها حاصلة *وجنة الفردوس يدعى بها . آجلة للمرء لاعاجلة ﴿ ومنهم من ذهب الى ان تعجيل البذل فعلا من غير وعد اولى وتقديمه من غير ترقب ولا انتظار احرى وانما يقدم الوعد احد رجلين اما معوز ينتظر جدة ﴾ اى فقير ينتظر غناه ﴿ واما شحيح يروض نفسه ﴾ للسخاء فيعد ليكون ﴿ توطئة ﴾ ويسهل عليه البذل عند حلول الوعد ﴿ وليس فى غير هاتين الحالتين وجه يصح ولارأى يتضح مع ما يغيره الليل والنهار وتتقلب به الحال من يسار واعسار ﴾ ولذا قيل اذا خيرت بين ذرة منقودة ودرة موعودة قل الى النقد . وبع آجلا منك بالعاجل ﴿ وقال بعض الشعراء ﴾ من الكامل المرفل ﴿ ياايها الملك المقدم امره شرقا وغربا ﴾ اى النافذ حكمه فى اقطار الارض وجميع البلدان اذ قد يذكر الطرفان ويراد احاطة الامكنة اوالازمان كما فى قوله تعالى النار يعرضون عليها غدوا وعشيا ﴿ امنن بختم صحيفتى ﴾ وامضائه ﴿ مادام هذا الطين رطبا ﴾ بالحياة ﴿ واعلم بان جفافه ﴾ بالموت ﴿ مما يعيد السهل صعبا ﴾ اى الممكن ممتنعا والشدعن الكبار * اختم وطينك رطب للختام فكم . قد خمر الطين اقوام وماختموا * ولوا فما عدلوا ايام دولتهم . حتى اذا عزلوا ذلوا فما رحموا وقال آخر * اذا فعلت جميلا وابتدأت به . فاجعل له حاجة المضطر ميقاتا * فالغيث وهو حياة الارض قاطبة . لاخير فيه اذا ما وقته فاتا ﴿ قالوا ولان فى الرجوع عنه ﴾ اى عن الوعد ﴿ من الانكسار وفى توقع الوعد من مرارة الانتظار وفى العود اليه ﴾ ثانيا لنيل الموعود ﴿ من بذلة الاقتضاء ﴾ بكسر فسكون اسم من الابتذال وهو الثوب الذى لايحفظ فى الصندوق بل يستعمل كل يوم والاقتضاء الحاجة وداعى السؤال اى من ابتذال ذلك الداعى وقد صدقه ابتداء كما هو الشرط الثالث ﴿ وذلة الاجتداء ﴾ اى طلب جداوه ثانيا لان الرجوع فى اليوم الموعود سؤال وطلب حالا ﴿ ما ﴾ اسم ان المؤخر وفيه ايماء الى اعظام الانكسار والمرارة والبذلة والذلة ﴿ يكدر بره ويوهن شكره و قال الشاعر ﴾ من الكامل ﴿ ان الحوائج ربما ازرى بها ﴾ يقال ازرى باخيه اذا ادخل عليه عيبا ﴿ عند الذى تقضى له تطويلها ﴾ فاعل ازرى بمعنى ان تطويل قضاء الحوائج يدخل فى قضائها نقيصة وعيبا وهو يكدر البر ﴿ فاذا ضمنت لصاحب لك حاجة . فاعلم بان تمامها تعجيلها ﴾ وقال جرير لعمر بن عبد العزيز * انى لارجو منك نفعا عاجلا . والنفس مولعة بحب العاجل * والله انزل فى الكتاب فريضة . لابن السبيل وللفقير العائل * وقال آخر * ولا شك ان الخير منك سجية . ولكن خير الخير عندى المعجل * وقال آخر * شكاك لسانى ثم امسكت نصفه . فنصف لسانى بامتداحك ينطق * فان لم تنجز ما وعدت تركتنى . وباقى لسانى بالمذمة مطلق ﴿ والحال الثانية ان

يكون السائل غير مستوجب ﴾ لكونه من اهل الريب والاداني اولاتخاذه السؤال مكسبا وله قوت يومه ﴿ والمسئول غير متمكن في الرد فسحة وفي المنع عذر غير انه يلين عند الرد لينا يقيه الذم ﴾ وغير انه ﴿ يظهر عذرا يدفع عنه اللوم ﴾ لان السائل لولم يظنه متمكنا لما سئل ﴿ فليس كل مقل يعرف ولا ﴾ كل ﴿ معذور ينصف ﴾ اذقد يحسب المستوجب غير مستوجب وغير المتمكن متمكنا ﴿ وقد قال ابو العتاهية يصف الناس ﴾ من الطويل وصدره اثلم ﴿ يارب ان الناس لاينصفونني ﴾ يقال انصفه اذا عدله وانصف النهار اذا بلغ نصفه ﴿ فكيف وان انصفتهم ظلموني * فان كان لي شئ تصدوا لاخذه ﴾ وتعرضوا له ﴿ وان جئت ابغي شيئهم منعوني * وان نالهم بذلي فلا شكر عندهم . وان انالم ابذل لهم شتموني ﴾ وقد حونى ومحل الاستشهاد هذا المصراع ﴿ وان طرقتني نكبة فكهوابها ﴾ شماتة واستخفافا والنكبة المصيبة وطروقها نزولها ﴿ وان صحبتني نعمة حسدوني ﴾ وتمنوا زوالها والابيات خبر في معنى الشكاية ولذا قال ﴿ سامنع قلبي ان يحن اليهم ﴾ اي يشتاق ويميل الى مثلهم ﴿ واغمض عنهم ناظري وجفوني * واقطع ايامي بيوم سهولة . اقضي بها عمري ويوم حزون ﴾ اي افني بها عمري وايام احزاني ﴿ الاان اصفي العيش ماطاب غبه ﴾ بالكسر اي عاقبته ونتيجته وفي نسخة كسبه ﴿ ومانلته في لذة وسكون ﴾ وقال آخر ان يسمعوا ريبة طاروا بها فرحا . مني وما سمعوا من صالح دفنوا * صم اذا سمعوا خيرا ذكرت به . وان ذكرت بسوء عندهم اذنوا * جهلا علي وجبنا عن عدوهم . لبئست الخلتان الجهل والجبن * وقد اغفل هذا القائل قسما ثالثا وهو سلوك طريق البهتان وكان ذلك بحسب اهل هذا الزمان وقد احسن كل الاحسان من قال * مستنجد بجميل الصبر مكتئب . على بني زمن افعالهم عجب * ان يسمعوا الخير اخفوه وان سمعوا . شرا اشاعوا وان لم يسمعوا كذبوا ﴿ والحال الثالثة ان يكون السائل مستوجبا والمسئول غير متمكن فيأتي بالحمل على النفس ما امكن من يسير يسد به خلة او يدفع به مذمة او يوضح من اعذار المعوزين وتوجع المتألمين ما ﴾ مفعول يوضح ﴿ يجعله في المنع معذورا وبالتوجع مشكورا ﴾ لما مر ان الصديق العاجز ليس له الاشتراكه في التوجع ﴿ وقد قال ابو النصر العتبي رحمه الله تعالى ﴾ من البسيط ﴿ الله يعلم اني لست ذا بخل . ولست ملتمسا في البخل لي عللا * لكن طاقة مثلي غير خافية . والنمل يعذر في القدر الذي حملا * وربما تحسر بحدوث العجز والفقر بعد تقدم القدرة) والغنى (على فوت الصنيعة) متعلق بتحسر ﴿ وزوال العادة حتى صار اضنى جسدا ﴾ يقال ضني الرجل من الباب الرابع اذا مرض مرضا مخامرا كلما ظن برؤه نكس ويلزمه النحافة واصفرار اللون ﴿ وازيد كمدا ﴾ وهو تغير اللون وذهاب صفائه والحزن الشديد ﴿ كما قال الشاعر ﴾ من الطويل ﴿ وكنت كبازالسوء قص جناحه ﴾ اي قطع رياش جناحه لمنعه عن الطيران لاصطياده دجاج الجيران وعدم صلاحه للصيد الا انه يحفظ للنسل ﴿ يرى حسرات كلما طار طائر ﴾ والحسرة التأسف والتلهف على شئ فات الاشتياق على ذلك الفائت ﴿ يرى طائرات الجو تخفق حوله . فيذكر اذ ريش الجناحين وافر ﴾ يقال اخفق الطائر اذا ضرب بجناحيه ﴿ والحال الرابعة ان يكون السائل غير مستوجب والمسئول متمكنا وعلى البذل قادرا فينظر فان خاف بالرد قدح

الريبة الشك والتهمة ايضا (دفنوا اي ستروا (اذنوا من اذنت لشئ اذا سمعته واصغيت اليه منه

عرض او قبيح هجاء ممض ﴾ لكون السائل شاعرا فصيح اللسان بليغ البيان وله طبع كطبع الظربان ﴿ كان البذل اليه مندوبا صيانة ﴾ لعرضه ﴿ لا جود افقد روى ﴾ على ماروى الحاكم عن جابر ﴿ عن النبي صلى الله عليه وسلم انه قال ﴾ كل معروف صدقة وما انفق المسلم على نفسه واهله كتب له بها صدقة و ﴿ ما وقى به المرء عرضه ﴾ اى يعطيه لمن يخاف شره ﴿ فهو له صدقة ﴾ ولما افضت الخلافة الى عمر بن عبد العزيز وفدت عليه الشعراء كما كانت تفد على الخلفاء من قبله فاقاموا ببابه اياما لا يؤذن لهم حتى قال عدى بن ارطاة يا امير المؤمنين الشعراء ببابك والسنتهم مسمومة وسهامهم صائبة فقال مالى وللشعراء فقال يا امير المؤمنين ان رسول الله صلى الله عليه وسلم مدح فاعطى وفيه اسوة لكل مسلم قال صدقت فاذن لجرير واعطاه دون غيرهم وتمامه فى المستطرف وثمرات الاوراق ﴿ وان امن من ذلك ﴾ القدح والهجاء ﴿ وسلم منه فمن الناس من غلب المسألة وامر بالبذل لئلا يقابل الرجاء بالخيبة والامل بالاياس و لما فيه من اعتياد الرد واستسهال المنع المفضى الى الشح ﴾ المذموم وللمبادى حكم المقاصد ﴿ وانشد الاصمعى عن الكسائى * كأنك فى الكتاب وجدت لاء. محرمة عليك فلا تحل ﴾ من التحليل والتحريم قال الزمخشرى ان حروف الهجاء التى آخرها الف مقصور اذا جعلتها اسما مددت فقلت هذه باء وياء وهاء وكتبت لاء وقال السيد من ذلك قوله فى مدح النبي صلى الله عليه وسلم * ماقال لاقط الا فى تشهده . لولا التشهد لم تسمع له لاء * فالممدود اسم للمقصور وليس من قبيل كون اللفظ علما لنفسه من باب اشتمال الاسم على المسمى كاسماء الحروف ﴿ فما تدرى اذا اعطيت مالا . ايكثر من سماحك ام يقل * اذا حضر الشتاء فانت شمس. وان حضر المصيف فانت ظل ﴾ يعنى انت كهف الانام وملاذهم فى جميع الازمان فلا تمنع احدا منهم كما قال بعضهم * لاتقولى لا فمكتوب على . وجهك المشرق نورا لم * بحروف خلقت من قدرة. ماجرى قط عليها قلم * نونها الحاجب والعين بها . طرفك الفتان والميم الفم * وقال ابن مليك * مدحتكم طمعا فيما أؤمله . فلم انل غير حفظ الاثم والتعب * ان لم تكن صلة منكم لذى ادب . فاجرة الخط او كفارة الكذب * ولا معنى لالجاء السائل الى مثل هذا القول ﴿ ومن الناس من اعتبر الاسباب ﴾ اى اسباب البذل السابقة ﴿ وغلب حال السائل ﴾ على السؤال ﴿ وندب الى المنع اذا كان العطاء فى غير حق ليقوى على الحقوق اذا عرضت ولا يعجز عنها اذا لزمت وتعينت ﴾ الحقوق عليه ﴿ وقد قال بعض الشعراء ﴾ من الخفيف ﴿ لا تجد بالعطاء فى غير حق . ليس فى منع غير ذى الحق بخل * انما الجود ان تجود على من . هو للجود والندى منك اهل ﴾ وقال بعض الحكماء لا تصنعوا الى ثلاثة معروفا اللئيم فانه بمنزلة الارض السبخة والفاحش فانه يرى الذى صنعت اليه انما هو لمخافة فحشه والاحمق فانه لا يعرف قدر ما اسديت اليه وواضع المعروف فى غير اهله كالمسرج فى الشمس والزارع فى السبخ ﴿ فاما من اجاب السؤال ووعد بالبذل والنوال فقد صار بوعده مرهونا وصار وفاؤه بالوعد مقرونا ﴾ لا يفك عنه مالم ينجز وعده ﴿ فلا اعتبار بحق السائل بعد الوعد ولا سبيل الى مراجعة نفسه فى الرد ﴾ قال الله تعالى واوفوا بالعهد ان العهد كان مسؤلا وقال كبر مقتا عند الله ان تقولوا ما لا تفعلون ﴿ فيستوجب مع ذم

المنع لؤم البخل ومقت القادر ﴾ اى بغضه لامر قبيح وهو الخلف ﴿ وهجنة الكذوب ﴾ بضم فسكون العيب ﴿ ثم لا سبيل لمطله بعد الوعد لنا فى المطل من تكدير الصنيع ومحيق الشكر ﴾ اى محوه وابطاله ﴿ والعرب تقول فى امثالها المطل احد المنعين واليأس احد النجحين وقال بشار بن برد * اظلت علينا منك يوما غمامة . اضاءت لنا برقا وابطا رشاشها ﴾ يعنى بينما نحن عطاش محترقوا الاكباد فى فيافى الفقر والاقلال اذ ادركنا كرمك الذى كالغمامة والتى علينا ظله واضاء لنا برقا اى وعدا منجزا وابطأ رشاشها اى تأخر انجازه ﴿ فلا غيمها يجلى فييأس طامع ﴾ يقال اجلى القوم عن الموضع اذا تفرقوا اى لا يتقشع ذلك الغيم ولا يتفرق حتى ييئس طامعه ويستريح ﴿ ولا غيثها يأتى فيروى عطاشها ﴾ يعنى ولا يأتى غيثها حتى نشرب وندفع حرارة اكبادنا حكى انه مدح بشار خالد بن برمك فامر له بعشرين الفا فابطأت عليه فقال اقائده اقنى حيث يمر فاقامه فاخذ بلجام دابته وانشأ يقول اظلت البيتين فقال لا تبرح حتى توتى بها فمعناها شكاية من كرم خالد اليه وفى قوله منك تجريد ﴿ ثم اذا انجز وعده واوفى عهده لم يتبع نفسه ما اعطى ﴾ اى لم يجعله تابعا لهواها من الاعجاب بسخائه والغرور بغناه ونحوه بل ﴿ ويسر ان كانت يده العليا ﴾ اى لان كانت ﴿ فقد قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ﴾ على ما رواه البخارى عن حكيم بن حزام وابن عمر رضى الله عنهم ﴿ اليد العليا ﴾ المنفقة ﴿ خير من اليد السفلى ﴾ السائلة يعنى المنفق خير من الآخذ ما لم تشتد حاجته (وابدأ بمن تعول) اى بمن تلزمك نفقته ﴿ وقال الشاعر * فانك لا تدرى اذا جاء سائل . أأنت بما تعطيه ام هو اسعد ﴾ بما اخذه ﴿ عسى سائل ذو حاجة ان منعته . من اليوم سؤلا ان يكون له غد ﴾ خبر عسى وسائل اسمه والسؤل بمعنى المسئول كالعرف بمعنى المعروف واراد بالغد اما الآخرة او يوما من الايام وقد قالوا الثعلب فى اقبال جده يغلب الاسد فى ادبار سعده ﴿ وليكن من سروره ﴾ معطوف على قوله ويسر لانه انشاء معنى ﴿ اذ كانت الارزاق مقدرة ﴾ قدرت ﴿ ان تكون على يده جارية ومن جهته واصلة لا تنتقل عنه بمنع ﴾ غير المستوجب ﴿ ولا تحول عنه باياس ﴾ بعض آخر وقد ارشد الله الى الحمد على ذلك فقال ضرب الله عبدا مملوكا لا يقدر على شئ ومن رزقناه منا رزقا حسنا فهو ينفق منه سرا وجهرا هل يستوون الحمد لله بل اكثرهم لا يعلمون ﴿ وحكى ان رجلا شكا كثرة عياله الى بعض الزهاد فقال انظر من كان منهم ليس رزقه على الله عز وجل فحوله الى منزلى ﴾ اى ارسله الى ﴿ وقال ابن سيرين لرجل كان يأتيه على دابة ففقد الدابة ﴾ وجاءه راجلا ﴿ ما فعل برذونك ﴾ مثل درهم اى دابتك التى كنت تركبها ﴿ قال اشتدت على مؤنته فبعته قال افتراه خلف رزقه عندك ﴾ وبعته بلا رزق ﴿ وقال ابن الرومى ﴾ من الخفيف ﴿ ان لله غير مرعاك مرعى ﴾ كثيرا ﴿ نرتعيه وغير مائك ماء ﴾ نشرب به فلا تمن بهما علينا ﴿ ان لله بالبرية لطفا . سبق الامهات والآباء ﴾ حيث اعد لكل مخلوق ما يصلح له ويتغذى به اذ لا يصلح للرضيع ما يصلح للجنين وبالعكس على ان حنو الامهات والآباء من ذلك اللطف السابق فسبحانه ما اعظم شانه واجل قدرته وادق حكمته قال محمد بن مخلد الكاتب لزمت على بن محمد

الفرات اغدو واروح الى بابه ولا احظى بطائل ولا اصل الى تصريف ولا نائل حتى كرهت نفسى فرأيت هاتفا فى المنام يقول لى * يا ايها المكثر فى المطالب . اصبر تصاريف المنى الكواذب . اذا اتى وقت القضاء الغالب . بادرت الحاجة كف الطالب . فتركت المسير اليه فلم يمض لى اسبوع حتى تقلد حامد بن العباس الوزارة فقلدنى كتابته فثابت حالى ﴿ ثم ليكن غالب عطائه لله واكثر قصده ابتغاء ما عندالله عز وجل كالذى حكاه ابو بكرة ﴾ نُفيع بن الحارث بن كلدة بفتحتين طبيب رسول الله عليه السلام كان من فضلاء الصحابة ولم يزل مجتهدا فى العبادة حتى توفى بالبصرة سنة اثنتين وخمسين ﴿ عن عمر بن الخطاب رضى الله عنه ان اعرابيا اتاه فقال ﴾ من جزا ﴿ يا عمر الخير جزيت الجنه . اكس بنياتى وامهنه ﴾ قوله عمر بالضم على انه مفرد معرفة فالخير منصوب على الاغراء اى لازمه والجملة جواب النداء وجزيت بالبناء للمفعول معترضة دعائية . واكس سؤال ودعاء من كساه الثوب اذا البسه . وبنيات جمع بنية مصغر بنت وامهن بالنصب معطوفة عليها والهاء للسكت او عمر بالنصب على انه منادى مضاف وقد نكر ليمكن ارادة الوصف اى يا عامر الخير فجملة اكس جواب النداء ﴿ وكن لنا من الزمان جنه ﴾ يقال هو له جنة يقيه ويستره يعنى وقنا من تعدى الزمان ويروى (وقل لهن ان ان انه) اى نعم نعم نعم فان حرف جواب اذ لايجوز حذف الاسم والخبر جميعا ﴿ اقسم بالله لتفعلنه ﴾ ويجوز كون الهاء ضميرا راجعا الى الكينونة ﴿ فقال عمر رضى الله عنه فان لم افعل يكون ماذا فقال * اذا ابا حفص لاذهبنه ﴾ اى يا اباحفص وهو كنية عمر ﴿ فقال فاذا ذهبت يكون ماذا فقال * يكون عن حالى لتسألنه . يوم تكون الاعطيات هنه ﴾ جمع اعطية جمع عطا بالقصر او بالمد والهن البكاء والاشتياق الى شئ بالرقة يقال هن اليه من الباب الثانى اذا حن اليه والمصدر بمعنى المفعول اى تكون شيئا يحن اليه او يبكى على فواته ﴿ وموقف المسئول بينهنه ﴾ اى بين البنيات وامهن ﴿ اما الى نار واما جنه * فبكى عمر حتى اخضلت لحيته ﴾ اى ابتلت وتندت ﴿ ثم قال ياغلام اعطه قميصى هذا لذلك اليوم لالشعره اما والله لااملك غيره ﴾ فيه ايماء الى الايثار واعتذار على قلة العطاء ﴿ واذا كان العطاء على هذا الوجه خلا من طلب جزاء وشكر وعرى عن امتنان ونشر فكان ذلك اشرف للباذل واهنأ للقابل ﴾ اهنى مااتاك بلا مشقة وقال ابوالحسن عرض اعرابى لعتبة بن ابى سفيان وهو على مكة فقال ايها الخليفة قال لست به ولم تبعد قال ياخاه قال اسمعت قال شيخ من بنى عامر يتقرب اليك بالعمومة ويختص بالخؤلة ويشكو اليك كثرة العيال ووطأة الزمان وشدة فقر وترادف ضر وعندك مايسعه ويصرف عنه بؤسه قال استغفرالله منك واستعينه عليك قد امرت لك بغناك وايت اسراعى اليك يقوم با بطائى عنك انتهى يعنى لم نفقد حالك حتى الجأناك الى السؤال ﴿ واما المعطى اذا التمس بعطائه الجزاء وطلب به الشكر والثناء فهو خارج بعطائه عن حكم السخاء ﴾ لان قيد من غير عوض معتبر فى تعريفه ﴿ لانه ان طلب به الشكر والثناء ﴾ العاجل ﴿ كان صاحب سمعة ورياء وفى هذين من الذم ماينا فى السخاء وان طلب به الجزاء ﴾ والثواب الآجل ﴿ كان تاجرا متربحا لايستحق حمدا ولا مدحا ﴾ قال الجامى * كيست كريم آنكه

نه بهر جزاست . هر كرمى كايد ازودر وجود * آنكه بود بهر ثنايا ثواب . بيع وشرا كير
نه احسان وجود ﴿ وقد قال ابن عباس رضى الله عنهما فى تأويل قوله تعالى ﴾ فى المدثر
﴿ ولا تمنن تستكثر انه الذى يعطى عطية يلتمس بها افضل منها ﴾ اى من عطيته ﴿ وكان الحسن
البصرى رحمه الله يقول فى تأويل ذلك لا تمنن بعملك تستكثر على ربك ﴾ وقال الزمخشرى
قرأ الحسن ولا تمن وتستكثر مرفوع منصوب المحل على الحال اى ولا تعط مستكثرا رائيا
لما تعطيه كثيرا اوطالبا للكثير نهى عن الاستغزار وهوان يهب شيئا وهو يطمع ان يتعوض من
الموهوب له اكثر من الموهوب وهذا جائز ومنه الحديث المستغزر يثاب من هبته وفيه وجهان
احدهما ان يكون نهيا خاصا برسول الله صلى الله عليه وسلم لان الله تعالى اختار له اشرف الاداب
واحسن الاخلاق والثانى ان يكون نهى تنزيه له ولامته ﴿ وقال ابو العتاهية ﴾ من الطويل
﴿ وليست يد اوليتها بغنيمة ﴾ خبر ليست اى لم يكن انعامك الذى تعطيه احسانا وغنيمة
﴿ اذا كنت ترجوان تعدلها شكرا ﴾ اى تقابلها شكرا من عدل الميزان تعديلا اذا سواه اوعدل
المتاع اذا جعله عدلين ﴿ غنى المرأ ما يكفيه من سد حاجة . فان زاد شيئا عاد ذاك الغنى فقرا ﴾
يعنى انا غنى عن احسانك المذكور فلا اعطاء ولا شكر ﴿ واعلم ان الكريم يجتدى ﴾ بالمجهول
يقال اجتداه اذا سأله حاجة واجداه اذا اعطاه ﴿ بالكرامة واللطف ﴾ اى بعزة وسهولة
﴿ واللئيم يجتدى بالمهانة والعنف ﴾ اى بالحقارة والقهر ﴿ فلا يجود الا خوفا ولا يجيب الا عنفا ﴾
ولذا قيل سلاح السائل وقاحته ﴿ كما قد قال الشاعر ﴾ من الطويل ﴿ رأيتك مثل الجوز يمنع
لبه . صحيحا ويعطى خيره حين يكسر ﴾ اللب خالص كل شئ ﴿ فاحذر ان تكون المهانة طريقا الى
اجتدائك والخوف سبيلا الى اعطائك فيجرى عليك سفه الطغام ﴾ على وزن سحاب اى
الادانى والارازل يقال هو طغامة من الطغام اى وغد من الاوغاد ﴿ وامتهان اللئام وليكن
جودك كرما ورغبة لا لؤما ورهبة كيلا تكون مع الوصمة ﴾ وهى الكسل والفتور العارض
للبدن ﴿ كما قال العباس بن الاحنف ﴾ من المنسرح * احرم منكم بما اقول وقد . ناله به
العاشقون من عشقوا ﴿ صرت كأنى ذبالة نصبت . تضئ للناس وهى تحترق ﴾ بسكون هاء
وهى والذبالة على وزن رمانة اوثمامة فتيلة المصباح التى اوقدت مثل يضرب لمن يضر نفسه وينفع
غيره ويضرب لحاسد متضاحك كما قال ابن المعتز * كم حاسد حنق على بلا . جرم فلم يضرنى
الحنق * متضاحك نحوى كما ضحكت . نار الذبالة وهى تحترق ﴿ واما النوع الثانى من البر
فهو المعروف ﴾ معطوف على قوله فاما الصلة فهى التبرع ببذل المال ﴿ ويتنوع ايضا ﴾ اى
كالصلة والبذل لانه يكون بسؤال وبلا سؤال او كمطلق البر لانه ينقسم الى الصلة والمعروف
﴿ نوعين قولا وعملا * فاما القول فهو طيب الكلام وحسن البشر والتودد بجميل القول
وهذا يبعث عليه حسن الخلق ورقة الطبع ﴾ ضد الغلظة والفظاظة قال الله تعالى فبما رحمة
من الله لنت لهم ولو كنت فظا غليظ القلب لانفضوا من حولك اى لو كنت جافيا قاسى
القلب لتفرقوا منك حتى لا يبقى حولك احد ﴿ ويجب ان يكون محدودا كالسخاء فانه ان
اسرف فيه كان ملقا ﴾ يقال ملقه وملق له من الباب الرابع اذا اعطاه بلسانه ماليس فى قلبه
﴿ مذموما وان توسط واقتصد فيه كان معروفا وبرا محمودا وقد قال ابن عباس رضى الله عنهما

فى تأويل قوله تعالى ﴾ فى الكهف . المال والبنون زينة الحياة الدنيا ﴿ والباقيات الصالحات ﴾ اعمال الخير التى تبقى ثمرتها للانسان وتفنى عنه كل ماتطمح اليه نفسه من حظوظ الدنيا وقيل هى الصلوات الخمس وقيل سبحان الله والحمد لله ولا اله الا الله والله اكبر وعن قتادة كل ما اريد به وجه الله ﴿ خير عند ربك ثوابا وخير املا ﴾ اى مايتعلق بها من الثواب ومايتعلق بها من الامل لان صاحبها يأمل فى الدنيا ثواب الله ويصيبه فى الآخرة ﴿ انها الكلام الطيب وكان سعيد بن جبير ﴾ بضم الجيم امام مجمع عليه بالجلالة والعلو فى العلم والمعظم فى العبادة قتله الحجاج صبرا فى شعبان سنة خمس وتسعين ولم يعش الحجاج بعده الا اياما ولم يقتل احدا بعده سمع خلقا من الصحابة منهم العبادلة غير ابن عمرو وعنه خلق من التابعين وكان يقال له جهبذ العلماء ﴿ يتأول انها ﴾ اى الباقيات ﴿ الصلوات الخمس . وروى سعيد ﴾ بن المسيب ﴿ عن ابى هريرة ﴾ كما فى حلية ابى نعيم ﴿ عن النبى صلى الله عليه وسلم انه قال انكم لن تسعوا الناس ﴾ بفتح السين اى لا يمكنكم ان تعموا جميع الناس ممن تخالطونه وتجتمعون به ﴿ باموالكم ﴾ اى لا تسع اموالكم لعطائهم ﴿ فليسعهم منكم بسط الوجوه وحسن الخلق ﴾ بكف الاذى عنهم والصبر على اذاهم (وتوكلوا على الله فى كفاية شرهم) وقال الاصمعى سألت عيينة بن وهب الدارمى عن مكارم الاخلاق قال اوما سمعت قول عاصم بن وائل * وانا لنقرى الضيف قبل نزوله. واشبعه بالبشر من وجه ضاحك * فبشاشة الوجه يدل على معروف صاحبه كما قيل الظاهر عنوان الباطن وقد انشد * يدل على معروفه حسن وجهه . ومازال حسن الوجه اهدى الدلائل * والعبوسة على عكسه باعتبار مفهومه كما قيل * يدل على قبح الطوية مايرى . بصاحبها من قبح بعض ملاحه ﴿ وروى ان النبى صلى الله عليه وسلم انشد عنده قول الاعرابى هذا ﴾ بدل اوعطف بيان من القول وهو الذى عرف بابن جبلة ﴿ وحى ذوى الاضغان تسلى قلوبهم . تحيتك الحسنى فقد يدبغ النغل ﴾ قوله الاضغان جمع ضغن وهو الحقد ويقال اسلاه عنه اذا جعله متسليا وقلوبهم مفعوله وتحيتك فاعله يقال حياه تحية اى سلمه سلاما والجملة خبر حى والفاء للسببية وقد للتكثير . والنغل بفتحتين الاديم الفاسد وهو نائب فاعل ليدبغ والدبغ عبارة عن اصلاح الاهاب وازالة رطوباته الفاسدة وفى اكثر النسخ . فقد يرقع النغل . يعنى ان تحيتك الحسنى تنسى قلوب اصحاب الضغائن حقدهم القديم وان افسد ذلك قلوبهم لانه كثيرا مايصلح الاديم الفاسد فقوله فقد يدبغ تذييل اخرج مخرج المثل . وقد بين ذلك الاصلاح بقوله ﴿ فان دحسوا بالمكر فاعف تكرما . وان خنسوا عنك الحديث فلا تسل ﴾ نهى من سأل . ويقال دحس بالشر اذا دسه واخفاه بحيث لايعلمه احد . وخنس بفلان اذا غاب به اراد به الانكار بقرينة تعلقه بالحديث يعنى فان وقفت على سيئاتهم الخفية فاعف تكرما عليهم وتفضلا وان انكروا واسروا حديثهم عنك فلا تسألهم ماحدثوا . فقد اجلك من يعصيك مستترا ﴿ فان الذى يوذيك منه سماعه . وان الذى قالوا وراءك لم يقل ﴾ بالمجهول خبران اى كأنما لم يقل شئ منهما ﴿ فقال النبى صلى الله عليه وسلم ﴾ بعد استماعه على مارواه ابوداود عن ابن عباس ﴿ ان من الشعر لحكمة ﴾ اى كلاما نافعا فى المواعظ والامثال وجنس الشعر وان كان مذموما لكن منه مايحمد لاشتماله على الحكمة

والخناس الشيطان لغيبوبته عند ذكر الله والخنس الكواكب مطلقا لغيبوبتها نهارا منه

﴿ وان من البيان لسحرا ﴾ اى ان منه نوعا يحل من القلوب والعقول فى التمويه محل السحر ويقرب البعيد ويبعد القريب ويزين القبيح ويعظم الحقير فكأنه سحر . وقال على القارئ ان الاعرابى سمع انه انزل كتاب معجز يعجز فصحاء العرب عن معارضته فقال يارسول الله هل فيما انزل اليك مثل ماقلت فقال عليه السلام وما قلت قال اصغ الى وقال وحى الابيات فقرأ عليه رسول الله صلى الله عليه وسلم (ولا تستوى الحسنة ولا السيئة ادفع بالتى هى احسن فاذا الذى بينك وبينه عداوة كأنه ولى حميم ومايلقيها الا الذين صبروا ومايلقيها الا ذو حظ عظيم) فقال الاعرابى ليس هذا من كلام البشر وكان سبب اسلامه انتهى قال الزمخشرى يعنى ان الحسنة والسيئة متفاوتتان فى انفسهما فخذ بالحسنة التى هى احسن من اختها اذا اعترضتك حسنتان فادفع بها السيئة التى ترد عليك من بعض اعدائك ومثال ذلك رجل اساء اليك اساءة فالحسنة ان تعفو عنه والتى هى احسن ان تحسن اليه مكان اسائته اليك مثل ان يذمك فتمدحه ويقتل ولدك فتفدى ولده من عدوه فانك اذا فعلت ذلك انقلب عدوك المشاق مثل الولى الحميم مصافاة لك ثم قال وما يلقى هذه الخليقة اوالسجية التى هى مقابلة الاساءة بالاحسان الا اهل الصبر والارجل خير وفق لحظ عظيم من الخير وقال السعدى . بدير ابدى سهل باشد جزا . اكر مردى احسن الى من اسا ﴿ وقيل للعتابى ﴾ ابى عمرو كلثوم بن عمرو القنسرينى كان من العلم وغزارة الادب وكثرة الحفظ والترسل والنظم على مالم يكن عليه احد فى زمانه ﴿ انك تلقى العامة ببشر وتقريب قال ﴾ ذلك ﴿ دفع ضغينة بايسر مؤنة واكتساب اخوان بايسر مبذول وقيل فى منثور الحكم من قل حياؤه قل احباؤه وقال بعض الشعراء ﴾ من الرجز ﴿ بنى ان البر شئ هين ﴾ يسير ﴿ وجه طليق وكلام لين ﴾ وقال بعضهم ﴾ من السريع ﴿ المرء لا يعرف مقداره . مالم تبن للناس افعاله ﴾ اى مالم تتضح وتظهر افعاله من بان الشئ يبين بيانا اذا اتضح وقيل عند الاوجال تتفاضل الرجال وبتفاضل الهمم تتفاوت القيم ﴿ وكل من يمنعنى بشره ﴾ باظهار العبوسة ﴿ فقلما ينفعنى ماله ﴾ لان من لم يجد باليسير لا يجود بالخطير ﴿ واما العمل ﴾ معطوف على قوله فاما القول ﴿ فهو بذل الجاه والمساعدة بالنفس ﴾ والجاه القدر والمنزلة وهو مقلوب وجه يقال وجه الشئ اى نفسه وذاته ومنه قوله تعالى كل شئ هالك الا وجهه ويقال هم وجوه القوم اى اعيانهم وساداتهم ﴿ والمعونة فى النائبة ﴾ اى عندها وهى الامر المشكل الحادث والنازل من المصيبة والبلاء ﴿ وهذا يبعث عليه حب الخير للناس وايثار الصلاح لهم وليس فى هذه الامور سرف ولا لغايتها احد ﴾ ينتهى فيه ﴿ بخلاف النوع الاول ﴾ لما سبق ان الافراط فيه يكون ملقا ﴿ لانها وان كثرت فهى افعال خير تعود بنفعين نفع على فاعلها فى اكتساب الاجر وجميل الذكر ونفع على المعان بها فى التخفيف عنه والمساعدة له وقد روى محمد بن المنكدر ﴾ بلفظ اسم فاعل ابن عبدالله القرشى المدنى التابعى الجليل الجامع بين العلم والزهد ﴿ عن جابر ﴾ بن عبدالله ﴿ ان النبى صلى الله عليه وسلم قال كل معروف صدقة ﴾ اى كل ما يفعل من اعمال البر والخير فثوابه كثواب من تصدق بالمال وهو حديث متواتر رواه اصحاب السنن عن جابر وحذيفة ﴿ وقال النبى صلى الله عليه وسلم ﴾ على مارواه الحاكم عن انس ﴿ صنائع المعروف ﴾ جمع صنيعة وهى مااصطنعته من خير ﴿ تقى ﴾ اى تحفظ

﴿ مصارع السوء ﴾ جمع مصرع اسم مكان من الصرع وهو الوقوع في الهلكة فاضافته الى السوء بيانية (والآفات والهلكات واهل المعروف في الدنيا هم اهل المعروف في الآخرة) اى يجازيهم الله تعالى على معروفهم ويحتمل انهم يشفعون في الآخرة فيصدر عنهم المعروف في الدنيا والآخرة ﴿ وعنه عليه الصلاة والسلام ﴾ على ما رواه الطبراني عن ام سلمة ﴿ انه قال المعروف كاسمه ﴾ معروف لايجهله احد ومنه توسيع المجلس للجليس ﴿ واول من يدخل الجنة يوم القيامة المعروف واهله وقال على بن ابى طالب كرم الله وجهه لايزهدنك في المعروف كفر من كفره ﴾ اى ستره وانكره ﴿ فقد يشكر الشاكر باضعاف جحود الكافر ﴾ اى انكاره ﴿ وقال الحطيئة ﴾ بضم المهملة لقب جرول بن اويس بن مالك العبسى كان من اكبر شعراء المخضرمين والغالب على شعره الهجاء وكان دنى النفس والهمة. من البسيط فيما يهجو به الزبرقان بن بدر ويناضل عن بغيض بن عامر بن شماس * دع المكارم لاترحل لبغيتها واقعد فانك انت الطاعم الكاسى ﴿ من يفعل الخير لايعدم جوائزه ﴾ جمع جائزة بمعنى العطية وفى نسخة جوازيه جمع جازية ﴿ لايذهب العرف بين الله والناس ﴾ اى لايضل ولايضيع جزاء المعروف او ثمرته ومكافاته يقال ذهب الماء في اللبن اى ضل فيه ﴿ وانشد الرياشى * يد المعرووف غنم حيث كانت . تحملها كفور ام شكور * ففى شكر الشكور لها جزاء . وعند الله ما كفر الكفور ﴾ اى جزاؤه وثوابه قال المناوى في حديث عائشة رضى الله عنها (لاتصلح الصنيعة الا عند ذى حسب و دين) اى لاتنفع ولاتثمر حمدا وثناء وحسن مقابلة وجميل جزاء الا عند ذى اصل ذكى وعنصر كريم وهذا لمن طلب العاجل فان قصد وجه الله تعالى فهى صالحة كيف كانت ﴿ فينبغى لمن يقدر على ابتداء المعروف ان يعجله حذر فواته ويبادر به خيفة عجزه وليعلم انه من فرص زمانه وغنائم امكانه ولايهمله ثقة بقدرته عليه فكم واثق بقدرة فاتت ﴾ قدرته ﴿ فاعقبت ندما و ﴾ كم ﴿ معول على مكنة زالت فاورثت خجلا ﴾ التعويل الاعتماد والمكنة القدرة والمنزلة ﴿ وقد قال الشاعر * مازلت اسمع كم من واثق خجل . حتى ابتليت فكنت الواثق الخجلا ﴾ جملة اسمع خبر مازلت ومفعول اسمع معلق عنه بكم لماله من الصدارة اى اسمع هذا القول ولااصدقه بيقين حتى ابتليت فايقنت ذلك وذلك من الادبار لان السعيد من اتعظ بغيره و . من جرب المجرب حلت به الندامة ﴿ ولو فطن لنوائب دهره و تحفظ عن عواقب مكره لكانت مغانمه مذخورة ﴾ ومدخرة ﴿ ومغارمه مجبورة ﴾ اى معلومة ومجتنبة عنها . الغرامة والمغرم انفاق الرجل فيما لا يلزم عليه ﴿ فقد روى عن النبى صلى الله عليه وسلم انه قال لكل شئ ثمرة وثمرة المعروف تعجيل السراح ﴾ اى الاعطاء وهو اسم من التسريح كالتبليغ والبلاغ يقال سرح المواشى اذا ارسلها للرعى ﴿ وقيل لانوشروان ما اعظم المصائب عندكم فقال ان تقدر على المعروف ولاتصطنعه حتى يفوت . وقال عبد الحميد من اخر الفرصة عن وقتها فليكن عن ثقة من فوتها وقال بعض الشعراء ﴾ من الوافر ﴿ اذا هبت رياحك فاغتنمها . فان لكل خافقة سكون ﴾ اى لكل متحرك سكون في القاموس من قواعد القرآن ان الريح مفردا ورد في الشدائد والعقوبات وان الرياح جمعا ورد في اللطائف والانعامات وتستعمل الريح على سبيل الاستعارة في النصرة

والقوة والرحمة والدولة انتهى فالمراد بهبوب الرياح سعادة البخت واقبال الجد لان بخت الرياح من لوازم سكان السفائن وكون الريح موافقة ومنقادة من لوازم سليمان عليه السلام كما قال الله تعالى فسخرنا له الريح تجرى بامره وقد كان مطاعا وصاحب خاتم وهذا هو المراد يعنى اذا كنت نافذ الكلم ومطاع الحكم فاغتنم ذلك وا كثر المعروف عند امكانه وقدرتك فالمراد بسكون الرياح ادبار البخت وانقلاب الدهر الذى هو شيمة معهودة وخصلة معدودة كما قيل * ومن ذا الذى ماغره صرف دهره . فاضحكه يوما ولم يبك سنة ﴿ ولا تغفل عن الاحسان فيها . فما تدرى السكون متى يكون ﴾ اى لا تغفل عنه فى وقت هبوبها ﴿ وان درت نياقك فاحتلبها . فما تدرى الفصيل لمن يكون ﴾ يقال درت الناقة بلبنها اذا ادرت واحتلبها بمعنى احلبها والفصيل ولد الناقة المفصولة من الرضاع * اذا ظفرت يداك فلا تقصر . فان الدهر عادته يخون * وقال آخر * واذا السعادة لاحظتك عيونها . نم فالمخاوف كلهن امان . واصطد بها العنقاء فهى حبائل . واقتد بها الجوزاء فهى عنان ﴿ وروى ان بعض وزراء بنى العباس مطال راغبا اليه ﴾ اى محباله ﴿ فى عمل يستكفيه اياه ﴾ اى يراه من اهل الكفاية ويوليه اياه ﴿ فكتب اليه بعد طول مطل به * اما يدعوك طول الصبر منى . على استيناف منفعتى وشغلى ﴾ يقال استأنف الشئ اذا ابتدأه وأما حرف عرض مثل الا فالهمزة للاستفهام التقريرى وما نافية فمعنى الابيات الاستعطاف وطلب الترحم اوقوله ما يدعوك نفى حال والهمزة للاستفهام الانكارى والانكار للاستبطاء كما فى قوله تعالى الم يأن للذين آمنوا ان تخشع قلوبهم لذكر الله فمعنى الابيات اللوم والمعاتبة ويؤيد الثانى كثير من تعبيراته ﴿ وعلمك ﴾ معطوف على طول الصبر وعديله ﴿ انك اذا السلطان غاد ﴾ اى مصبح ﴿ على خطرين من موت وعزل * وانك ان تركت قضاء حقى . الى وقت التفرغ والتخلى ﴾ من الازدحام ﴿ ستصبح نادما اسفا معزى . على فوت الصنيعة عند مثلى ﴾ يقال اسف عليه اذا حزن اشد الحزن وبابه طرب واسفا على وزن كتف صفة منه ويقال عزاه اذا صبره اى تحتاج الى التعزية على فوت صنيعك عند من تحبه ويحبك ومن معاتبة صديق لصديق على كتاب ارسله اليه * اقرأ كتابك واعتبره قريبا . فكفى بنفسك لى عليك حسيبا * اكذا يكون خطاب اخوان الصفا . ان ارسلوا جعلوا الخطاب خطوبا * ماكان عذرى ان اجيب بمثله . اوكنت بالعتب العنيف مجيبا * لكننى خفت انتقاص مودتى . فيعد احسانى اليك ذنوبا ﴿ وكتب بعض ذوى الحرمات الى وال قد قصر فى رعاية حرمته يقول ﴾ من الكامل ﴿ أعلى الصراط تريد رعية حرمتى . ام فى الحساب تمن بالانعام ﴾ الرعية مصدر على وزن رحمة وتمن اى تصنع صنيعة او من من اذا انعم ﴿ للنفع فى الدنيا اردتك فانتبه . لحوائجى من رقدة النوام ﴾ جمع نائم وقوله فانتبه تهديد وفى تعلق اللام به ايماء الى تحقير الوالى كأنه خادمه فلا يجاب الا بمثل ماقيل * اراك اذا ماقلت قولا قبلته . وليس لاقوالى لديك قبول * وما ذاك الا ان ظنك سئ . باهل الوفا والظن فيك جميل * فكن قائلا قول الحماسى تائها . بنفسك معجبا وهو منك قليل ونتكران شئنا على الناس قولهم . ولاينكرون القول حين نقول ﴿ وكتب ابو على البصير الى بعض الوزراء وقد اعتذر ﴾ ذلك البعض ﴿ اليه بكثرة الاشغال يقول ﴾ ابو على من

من الطويل ﴿ لنا كل يوم نوبة قد نذوبها . وليس لنارزق ولاعندنا فضل ﴾ يقال ناب اليه نوبة ومنابا اى رجع مرة بعد اخرى يعنى لنا كل يوم مراودة وذهاب واياب وليس لنا رزق نعيش به ولاعندنا فضل حتى نبذله فى الطريق وهذا يشعربان بينهما مسافة اونهراونحوه ﴿ فان تعتذر بالشغل عنا فانما . تناط بك الآمال ما اتصل الشغل ﴾ فلا اخلى الله لك من الشغل يقال ناط به ينوط نوطا اذا علقه عليه ﴿ واعلم ان للمعروف شروطا لايتم الا بها ولا يكمل الا معها * فمن ذلك ستره عن اذاعة يستطيل لها ﴾ اى يتكبر باظهاره ويتفضل بافشائه ﴿ واخفاؤه عن اشاعة يستدل بها ﴾ اى يظهر الدلال والغنج ﴿ قال بعض الحكماء اذا اصطنعت المعروف فاستره واذا صنع اليك فانشره . ولقد قال دعبل الخزاعى ﴾ من المتقارب ﴿ اذا انتقموا اعلنوا امرهم ﴾ اى اذا ارادوا الانتقام من عدوهم اعلنوا الحرب لشجاعتهم وشدة بأسهم وشوكتهم ﴿ وان انعموا انعموا باكتتام ﴾ انعامهم ﴿ يقوم القعود اذا اقبلوا . وتقعد هيبتهم بالقيام ﴾ جمع قاعد وقائم كرقود ونيام وتقعد من الاقعاد يعنى لهم مهابة واحتشام بحيث يقوم القاعد تعظيما لهم ويقعد القائم خوفا من جلالتهم ولا يطاوع ارجل اهل الارتياب بالقيام عندهم ﴿ على ان ستر المعروف من اقوى اسباب ظهوره وابلغ دواعى نشره لما جبلت عليه النفوس من اظهار ماخفى واعلان ماكتم وقال سهل بن هارون ﴾ بن راهبون ويكنى ابا عمر ومن اهل نيسابور نزل البصرة ونسب اليها وانفرد سهل فى زمانه بالبلاغة والحكمة حتى قيل له برز جمهر الاسلام وله اليد الطولى فى النظم والنثر وكان فى اول امره خصيصا بالفضل بن سهل ثم قدمه الى المأمون فاعجب ببلاغته وعقله وجعله كاتبا على خزانة الحكمة وهى كتب الفلاسفة التى نقلت للمأمون من جزيرة قبرس وذلك ان المأمون لما هادن صاحب هذه الجزيرة ارسل اليه يطلب خزانة كتب اليونان وكانت مجموعة عندهم فى بيت لايظهر عليها احد ابدا فجمع صاحب هذه الجزيرة بطارقه وذوى الرأى واستشارهم فى حمل الخزانة الى المأمون فكلهم اشاروا بعدم الموافقة الامطرانا واحدا فانه قال الرأى ان تعجل بانفاذها اليه فما دخلت هذه العلوم العقلية على دولة شرعية الا افسدتها واوقعت بين علمائها فارسلها اليه واغتبط بها المامون وجعل سهل بن هرون خازنا لها فتصفحها ونسج على منوال كتب منها وصنف كتاب عفرا وثعلة فى معارضة كتاب كلية ودمنة وصنف كتابا فى مدح البخل ثم اهداه للحسن بن سهل واستماحه فكتب اليه الحسن قد مدحت ماذمه الله وحسنت ماقبحه الله ومايقوم بفساد معناك صلاح لفظك وقد جعلنا ثواب مدحك فيه قبول قولك فما نعطيك شيئا ﴿ خل اذا جئته يوما لتسأله . اعطاك ماملكت كفاه واعتذرا ﴾ يعنى الممدوح خليل وحذفه لادعاء ان الاوصاف الآتية مغن عن التصريح باسمه لانها لاختصاصها به كالعلم له وقوله واعتذر مما يتم المعنى بدونه ختم به البيت ليفيد زيادة المبالغة اى واعتذر على قلة ما اعطاه فهو من الاطناب مايسمى بالايغال ﴿ يخفى صنائعه والله يظهرها . ان الجميل اذا اخفيته ظهرا ﴾ كما هو شان ذوات الروائح الطيبة ﴿ ومن شروط المعروف تصغيره عن ان يراه مستكبرا وتقليله عن يكون مستكثرا لئلا يصير به مدلا بطرا ومستطيلا اشرا وقال العباس بن عبدالمطلب

لايتم المعروف الا بثلاث خصال تعجيله وتصغيره وستره فاذا عجلته هنأته ﴿ اى صيرته هنيئا وهو كل امر اتى بلا تعب ﴾ واذا صغرته عظمته واذا سترته اتممته وقال بعض الشعراء ﴿ من الرمل ﴾ زاد معروفك عندى عظما ﴿ اى زاد عظمتك لكونه عظيما ﴾ انه عندك ميسور حقير * وتناسيت كأن لم تأته . وهو عند الناس مشهور خطير ﴿ اى عظيم وتناسى بمعنى نسى وهذا من علو الهمة والقدر لان قيمة كل امرئ ما يحسنه ومدح البحترى بعض الولاة فتوانى فى حقه فانشده * ان الامير اطال الله مدته . يعطى من العرف مالم يعطه احد * ينسى الذى كان من معروفه ابدا . من العباد ولا ينسى الذى يعد * فاعطاه خمسين الف درهم وقال البيتان خير من القصيدة ﴾ ومن شروط المعروف مجانبة الامتنان به وترك الاعجاب بفعله لما فيهما من اسقاط الشكر واحباط الاجر فقد روى عن النبى صلى الله وسلم انه قال اياكم والامتنان بالمعروف فانه يبطل الشكر ويمحق الاجر ثم تلا ﴿ صلى الله عليه وسلم آية البقرة . يا ايها الذين آمنوا ﴾ لا تبطلوا صدقاتكم بالمن والاذى ﴿ فى الكشاف المن ان يعتد على من احسن اليه باحسانه ويريه انه اصطنعه واوجب عليه حقا له وكانوا يقولون اذا صنعتم فانسوها ولبعضهم * وان امرا اسدى الى صنيعة . وذكرنيها مرة للئيم ﴾ وسمع ابن سيرين رجلا يقول لرجل فعلت اليك ﴿ كذا ﴾ وفعلت ﴿ يعد عليه صنائعه ﴾ فقال ابن سيرين اسكت فلا خير فى المعروف اذا احصى وقال بعض الحكماء المن مفسدة الصنيعة ﴿ اى سبب فسادها ﴾ وقال بعض الادباء كدر معروفا ﴿ عظيما ﴾ امتنان ﴿ قليل ﴾ وضيع حسبا ﴿ كريما ﴾ امتهان ﴿ اى حقارة واحد من الابناء ﴾ وقال بعض البلغاء من من بمعروفه اسقط شكره ﴿ لان شكره كان عبارة عن تحديثه والمنان لم يتركه لغيره ﴾ ومن اعجب بعمله احبط اجره ﴿ لنيله فى الدنيا ﴾ وقال بعض الفصحاء قوة المن من ضعف المنن ﴿ جمع منة بمعنى الاحسان وضعفه لعدم ارادته وجه الله ﴾ وقال بعض الشعراء ﴿ من البسيط ﴾ افسدت بالمن ما اسديت من حسن . ليس الكريم اذا اسدى بمنان ﴿ يقال اسدى اليه اذا احسن والمصراع الثانى تعريض للآمة المخاطب وهذا البيت ابلغ من الذى انشده الزمخشرى آنفا لاشتماله على زيادة معنى وهو افساد المن الصنيع وافادته ماافاده باحسن وجه وهو التعريض لان اخفاء الذمائم وستر القبائح حسن ﴾ وقال ابو نواس ﴿ هو الحسن بن هانئ ابن الجراح الحكمى البصرى وكنى نفسه بابى نواس لانه ينتسب الى قحطان وكانت تعجبه كنى ملوكها مثل ذى رعين وذى نواس فاكتنى بابى نواس وكان مولده بالاهواز سنة مأة وخمس واربعين ثم نشأ بالبصرة وتأدب بها على ابى زيد وخلف الاحمر ونظر فى كتاب سيبويه وقال الشعر البارع ومدح الخلفاء والامراء وكان يقال هو فى المحدثين مثل امرئ القيس فى المتقدمين وكان ابو نواس قد انفرد فى زمانه باتقان الشعر وافراط المجون والهتك ولم يزل على حاله الى ان توفى ببغداد سنة مأتين هو ومعروف الكرخى فى يوم واحد . من الرمل ﴾ فامض لاتمنن على يدا ﴿ يقال امر ممضو عليه اى نفذ ومضى على بيعه اذا اجازه وانفذه وجملة لاتمنن حال من المخاطب ﴾ منك المعروف من كدره ﴿ وجملة منك مستأنفة وعلة النهى وقال منقذ الهلالى * لاتذكرن صنيعة سلفت . منك وان كنت لست تنكرها * فان احياءها اماتتها . وان منا بها

(يكدرها)

يكدرها ﴿ وانشدت عن الربيع ﴾ بن سليمان ﴿ للشافعى رضى الله عنه ﴾ من الكامل المرفل ﴿ لاتحملن لمن يمن من الانام عليك منه ﴾ مفعول لاتحمل يعنى لاتسأل منه ولا تقبل ان احسن ﴿ واختر لنفسك حظها ﴾ كائنا ماكان ﴿ واصبر فان الصبر جنه ﴾ يسهل بهالشدائد كما يدفع بالقناة ضربة المبارز يعنى ايسر لانه ﴿ منن الرجال على القلوب اشد من وقع الاسنه ﴾ اى من وقوع السنان فيها ولا مجن لها غير الصبر ﴿ ومن شروط المعروف ان لايحتقر منه شيئا ﴾ يمكن له ﴿ وان كان قليلا نزرا ﴾ بفتح فسكون يقال مال نزر اى قليل ﴿ اذا كان الكثير معوزا وكنت عنه عاجزا فان من حقر يسيره قنع ﴾ نفسه ﴿ منه اعجزه كثيره فامتنع عنه وفعل قليل الخير افضل من تركه فقد روى عن النبى صلى الله عليه وسلم انه قال لايمنعكم من المعروف صغيره وقال عبدالله بن جعفر لاتستح من ﴾ اعطاء ﴿ القليل فان المنع اقل منه ولا تجبن عن الكثير فانك اكثر منه ﴾ قدرا يقال جبن الرجل من الباب الخامس اذا كان جبانا اى هيوبا للاشياء لايقدر عليها ﴿ وقال الشاعر ﴾ من الخفيف ﴿ اعمل الخير ما استطعت وان كان قليلا فلن تحيط بكله * ومتى تفعل الكثير من الخير اذا كنت تاركا لاقله * على ان من المعروف مالاكلفة على موليه ولامشقة على مسديه وانما هو ﴾ اى المعروف ﴿ جاه يستظل به الادنى ويرتفق به التابع وقال الشاعر ﴾ من السريع ﴿ ظل الفتى ينفع من دونه ﴾ قامة ﴿ وماله فى ظله حظ ﴾ وهذا هو المعنى القريب وليس بمراد ويقال به ظل اى عز ومنعة فالمراد بمن دونه من لاجاه له اصلا اودونه مرتبة ففيه تورية ﴿ واعلم انك لن تستطيع ان توسع جميع الناس معروفك ولا ان تولهم احسانك فاعتمد بذلك اهل الفضل منهم والحفاظ واقصد به ذوى الرعاية والوداد ﴾ فسر الحفاظ بالوداد وفيما سبق باستواء السر والعلانية وهما متلازمان ﴿ ليكون معروفك فيهم ناميا وصنيعك عندهم زاكيا ﴾ من زكا الزرع يزكو اى نمى ﴿ وقد روى ﴾ على ماوراه البزار عن عائشة رضى الله عنها ﴿ عن النبى صلى الله عليه وسلم انه قال لاتنفع الصنيعة ﴾ اى الاحسان ﴿ الا عند ذى حسب ودين ﴾ اى لاتنفع وتثمر حمدا وثناء وحسن مقابلة وجميل جزاء الاعند ذى اصل زكى وعنصر كريم وهذا لمن طلب العاجل فان قصد وجه الله تعالى فهى صالحة كيف كان ﴿ وقال النبى صلى الله عليه وسلم ﴾ على ماروواه الديلمى عن جابر ﴿ اذا اراد الله بعبد خيرا جعل صنائعه ﴾ الصنيعة هى العطية والكرامة والاحسان (ومعروفه) قال فى النهاية المعروف الصنيعة وحسن الصحبة مع الاهل وغيرهم من الناس ﴿ فى اهل الحفاظ ﴾ بكسر الحاء اى اهل الدين والامانة قال بعضهم اصحاب الانفس الطاهرة والاخلاق الزكية اللطيفة يؤثر فيهم الجميل فينبعثون بالطبع والمودة الى توفية الحقوق ومكافاة الخلق بالاحسان اليهم ومن لم يكن كذلك فهو بالضد كذا فى الجامع الصغير ﴿ وقال حسان بن ثابت رضى الله عنه ﴾ من الكامل ﴿ ان الصنيعة لاتكون صنيعة . حتى يصاب بها طريق المصنع ﴾ اسم مكان من صنعه يعنى ان صنائع المعروف لايعتد بها الى ان تقع موقعها ﴿ فاذا صنعت صنيعة فاعمد بها . لله او لذوى القرابة اودع ﴾ والعمد ضد السهو والخطأ يقال عمده من الباب الثانى اذا قصده وقال الله تعالى قل ما انفقتم من خير فللوالدين والاقربين

واليتامى والمساكين وابن السبيل فاولمنع الخلو ودع امر يدع اى اتركها قال الحجاج لابن الكلبى اخبرنى عن خمسة اشياء اضيعت فى الدنيا قال نعم اصلح الله الامير سراج يوقد فى شمس ومطر جود فى ارض سبخة وامرأة حسناء تزف الى عنين وطعام اجتهد صاحبه فى صنعه فقدمه الى سكران او شبعان ومعروف تصنعه الى رجل لايشكرك عليه . حكى المدائنى انه خرج فتيان فى صيد لهم فاثاروا ضبعة فنفرت ومرت فاتبعوها فلجأت الى بيت رجل فخرج اليهم بالسيف مسلولا فقالوا له يا عبدالله لم تمنعنا من صيدنا فقال انها استجارت بى فخلوا بينها وبينه فنظر اليها فاذا هى مهزولة مضرورة فجعل يسقيها اللبن صبوحا ومقيلا وغبوقا حتى سمنت وحسنت حالها فبينما هو ذات يوم متجرد عدت عليه فشقت بطنه وشربت دمه فقال ابن عم له * ومن يصنع المعروف فى غير اهله . يلاقى الذى لاقى مجير ام عامر * اعد لها لما استجارت بقربه . مع الامن البان اللقاح الدرائر * فاشبعها حتى اذا ما تمكنت . فرته بانياب لها والاظافر * فقل لذوى المعروف هذا جزاء من . يوجه معروفا الى غير شاكر ﴿ وقيل منثور الحكم لاخير فى معروف الى غير عروف وقدضرب الشاعر به مثلافقال ﴾ من الرمل ﴿ كحمار السوء ان اشبعته . رمح الناس وان جاع نهق ﴾ يقال رمحه الفرس اذا رفسه وقال آخر * كالكلب ان جاع لم يمنعك بصبصة . وان ينل شبعا ينبح من الاشر * وقال آخر * اذا انت اكرمت الكريم ملكته . وان انت اكرمت اللئيم تمردا * وقال ابن ابى الهيدام * لى صديق هو عندى عوز . من سداد لاسداد من عوز * يصف الود اذا شاهدنى . واذا غاب وشى بى وهمز * كحمار السوء يبدى مرحا . فاذا سيق الى الحمل غمز * ليتنى اعطيت منه بدلا . بنصيبى شر اولاد المعز * قد رضينا بيضة فاسدة . عوضا منه اذا البيع نجز ﴿ وقال بعض الحكماء على قدر المغارس يكون اجتناء الغارس ﴾ يقال غرس الشجر اذا اثبته فى الارض ﴿ فاخذه بعض الشعراء فقال ﴾ من الطويل ﴿ لعمرك ما المعروف فى غير اهله . وفى اهله الا كبعض الودائع * فمستودع ضاع الذى كان عنده . ومستودع ماعنده غير ضائع ﴾ بصيغة المفعول فى المستودع ﴿ وما الناس فى شكر الصنيعة عندهم . وفى كفرها الا كبعض المزارع * فمزرعة طابت واضعف نبتها . ومزرعة اكدت على كل زارع ﴾ يقال اكدى الرجل اى قل خيره وقال تعالى واعطى قليلا واكدى اى قطع القليل وقال آخر * متى تضع الكرامة فى لئيم . فانك قد اسأت الى الكرامة * وقد ذهب الصنيع به ضياعا . وكان جزاؤها طول الندامة * حكى بعضهم قال دخلت البادية فاذا انا بعجوز بين يديها شاة مقتولة والى جانبها جرو ذئب فقالت اتدرى ما هذا فقلت لا قالت هذا جرو ذئب اخذناه صغيرا وادخلناه بيتنا وربيناه فلما كبر فعل بشاتى ماترى وانشدت * بقرت شويهتى وفجعت قومى . وانت لشاتنا ابن ربيب * غذيت بدرها ونشأت معها . فمن انباك ان اباك ذيب * اذا كان الطباع طباع سوء . فلا ادب يفيد ولا اديب * فاخذه السعدى وقال * كرك زاده عاقبت كرك شود . كرچه با آدمى بزرك شود ﴿ واما من اسدى اليه المعروف واصطنع اليه الاحسان فقد صار باسر المعروف موثوقا وفى ملك الاحسان مرقوقا ﴾ قال الزمخشرى فى قوله تعالى وآخرين مقرّنين فى الاصفاد والصفد القيد وسمى به العطاء لانه ارتباط للمنعم

عليه ومنه قول علي رضي الله عنه من برك فقد اسرك ومن جفاك فقد اطلقك ﴿ ولزمه ان كان من اهل المكافاة ان يكافئ عليها وان لم يكن من اهلها ان يقابل المعروف بنشره ويقابل الفاعل بشكره فقد روى عن النبي صلى الله عليه وسلم انه قال من اودع معروفا فلينشره ﴾ ورواية البيهقي عن ابي هريرة من اوتي معروفا فليكافي به فان لم يستطع فليذكره ﴿ فان نشره فقد شكره وان كتمه فقد كفره وروى الزهري عن عروة عن عائشة رضي الله عنها قالت دخل علي رسول الله صلى الله عليه وسلم وانا اتمثل بهذين البيتين * ارفع ضعيفك لا يحورك ضعفه * يوما فتدركه العواقب قد نما ﴾ الضعيف فيه يقال حانه اذا نظر اليه فترة يعني لا تنظر اليه بالاستخفاف اذ قد تدركه العواقب يوما قد نما فيه واذاني ﴿ يجزيك اويثني عليك وان من * اثني عليك بما فعلت فقد جزى * فقال النبي صلى الله عليه وسلم ردي على قول اليهودي قاتله الله لقد اتاني جبرائيل برسالة من ربي تعالى ايما رجل صنع الى اخيه صنيعة فلم يجد لها جزاء الا الدعاء والثناء فقد كافاه ﴾ قال الصولي * فلو كان للشكر شخص يبين * اذا ما تأمله الناظر * لمثلته لك حتى تراه * فتعلم انى امرؤ شاكر * وقال ابو تمام في ذم ستره * ا اقنع المعروف وهو كأنه * قر الدجى انى اذا اللئيم * مثر من المال الذى ملكتني * اعناقه ومن الوفاء عديم * فاروح في بردين لم يسحبهما * قبلي فتى وهما الغنى واللوم ﴿ وقيل في منثور الحكم الشكر قيد النعم وقال عبد الحميد من لم يشكر الانعام فاعدده من الانعام ﴾ اى من البهائم جمع نعم والاول مصدر انعم بمعنى احسن ﴿ وقيل في منثور الحكم قيمة كل نعمة شكرها وقال بعض الحكماء كفر النعم من امارات البطر ﴾ وهو شدة المرح يقال بطر الرجل من الباب الرابع اذا نشط واشر ﴿ واسباب الغير ﴾ على وزن عنب اسم من قولك غيرت الشئ فتغير اى من اسباب تغير الحال وانتقالها عن الصلاح الى الفساد ﴿ وقال بعض الفصحاء الكريم شكور او مشكور ﴾ لانه اما آخذ او معط فان اخذ فهو شكور وان اعطى يختار الكرماء لما بينهما من المجانسة فهو مشكور ﴿ واللئيم كفور ﴾ ان اخذ ﴿ او مكفور ﴾ ان اعطى لايثاره اللئام ﴿ وقال بعض البلغاء لا زوال للنعمة مع الشكر ولا بقاء لها مع الكفر وقال بعض الادباء ﴾ من المتقارب وصدره اثلم ﴿ شكر الآله بطول الثناء * وشكر الولاة بصدق الولاء ﴾ اى باخلاص المحبة والنصرة لهم ﴿ وشكر النظير بحسن الجزاء ﴾ اى المكافاة ﴿ وشكر الدنى بحسن العطاء ﴾ ولكون كل مصراع منه مستقلا بمعناه وقافيته وجامعا لاقسام الشكر اسنده الى الادباء وليقابل بقوله ﴿ وقال بعض الشعراء * فلو كان يستغنى عن الشكر ماجد * لعزة ملك او علو مكان * لما امر الله العباد بشكره * فقال اشكروا لي ايها الثقلان ﴾ لانه اخذ المعنى من قوله تعالى فاذكروني اذكركم واشكروا لي ولا تكفرون وافسده فقبح الله من لا ادب له * وذلك لان خلاصة شعره هكذا لو كان الله غنيا عن الشكر لما امر عباده بالشكر والامر ثابت بقوله واشكروا لي * ووجه فساده لانا نمنع اولا بطلان التالي بان الله قال و اشكروا لي ما انعمت به عليكم ولا تجحدوا نعمائي التي من جملتها خلق المكلفين وارسال الرسل ونحو ذلك وقد كان غنيا عنه فالامر بالشكر راجع الى نفع العباد كالامر في كلوا واشربوا * وثانيا الملازمة بان الامر بالشئ لا يستلزم احتياج الآمر الى ذلك الشئ وان خصه لذاته لجواز كون التخصيص للاهتمام بالمأمور به كامر الطبيب المريض بشرب دواء وترغيبه اليه

بان فيه رضاه فقياسه شعرى لا برهانى ولا جدلى ﴿ فان من شكر معروف من احسن اليه ونشر افضال من انعم عليه فقدادى حق النعمة وقضى موجب الصنيعة ولم يبق عليه الا استدامة ذلك اتماما لشكره ليكون للمزيد مستحقا ولمتابعة الاحسان مستوجبا ﴾ اى لتتابعه ﴿ حكى ان الحجاج ﴾ بن يوسف ابن ابى عقيل الثقفى السفاك المشهور ولد سنة احدى واربعين ونشأ بالطائف ثم اتصل بروح بن زنباع ثم بعبدالملك بن مروان ولم يزل يترقى الى ان ولى العراق والمشرق وطار ذكره وعظم سلطانه وله مثالب مشهورة ومناقب معدودة ﴿ اتى اليه بقوم ﴾ اسارى ﴿ من الخوارج وكان فيهم صديق له فامر بقتلهم الا ذلك الصديق فانه عفا عنه واطلقه ووصله فرجع الرجل الى قطرى بن الفجاءة ﴾ التميمى الخارجى وكان يكنى فى الحرب ابا نعامة وفى السلم ابا محمد وقطرى منسوب الى قطر موضع قريب من عمير وكان فارسا شجاعا شاعرا مجيدا وكان رئيس الخوارج وسلموا عليه بامير المؤمنين عشرين سنة وكان خطيبا فصيحا ذكر الجاحظ بسنده وقال خرج الحجاج يريد العراق واليا عليها فى اثنى عشر راكبا على النجائب حتى دخل الكوفة فجأة حين انتشر النهار فبدأ الحجاج بالمسجد فدخله ثم صعد المنبر وهو متلثم بعمامة خز حمراء فقال على بالناس فحسبوه واصحابه خوارج فهموا به حتى اذا اجتمع الناس فى المسجد قام فكشف عن وجهه ثم قال * انا ابن جلا وطلاع الثنايا . متى اضع العمامة تعرفونى * اما والله انى لاحتمل الشر بحمله واحذوه بنعله واجزيه بمثله وانى لارى رؤسا قد اينعت وحان قطافها وانى لصاحبها وانى لانظر الى الدماء ترقرق بين العمائم واللحى انى والله يا اهل العراق والشقاق والنفاق ومساوى الاخلاق ماغمز تغماز التين ولا يقعقع لى بالشنان وان امير المؤمنين كب كنانته ثم عجم عيدانها فوجدنى امرها عودا واصلبها عمودا فوجهنى اليكم اما والله لالحونكم لحو العصا ولا عصبنكم عصب السلمة فانكم لكاهل قرية كانت آمنة مطمئنة يأتيها رزقها رغدا من كل مكان فكفرت بانعم الله فاذا قها الله لباس الجوع والخوف بما كانوا يصنعون ياعبيد العصا انا الغلام الثقفى انى والله لا اعد الا وفيت ولا اهم الا امضيت ولا اخلق الا فريت فاياى وهذه الجماعات وقالا وقيلا وما تقول وفيم انتم وذاك اما والله لتستقيمن على طريق الحق او لادعن لكل رجل منكم شغلا فى جسده ثم قال قال ابو الحسن كتب الحجاج الى قطرى بن الفجاءة سلام عليك اما بعد فانك مرقت من الدين مروق السهم من الرمية قد علمت حيث تجرثمت ذلك انك عاص لله ولولاة امره غير انك اعرابى جلف امك تستطعم الكسرة وتشتفى بالتمرة والامور عليك حسرة خرجت لتناول شبعة فلحق بك طغام صلوا بمثل ماصليت به من العيش يهزون الرماح ويستنشؤن الرياح على خوف وجهد من امورهم وما اصبحوا ينتظرون اعظم مماجهلوا معرفته ثم اهلكهم الله بنزحتين والسلام فاجابه قطرى بن الفجاءة من قطرى بن الفجاءة الى الحجاج بن يوسف سلام على الهداة من الولاة الذين يرعون حريم الله ويرهبون نقمه فالحمد لله على ماالظهر من دينه واظلع به اهل السفال وهدى به من الضلالة ونصر به عند استخفافك بحقه كتبت الى تذكرانى اعرابى جلف واستطعم الكسرة واشتفى بالتمرة ولعمرى يا ابن ام الحجاج وانك لميت فى جبلتك مطلخم فى طريقتك واه فى وثيقتك لاتعرف الله ولا تجزع فى خطيئتك يئست واستيأست من ربك

(فالشيطان)

فالشيطان قرينك لاتجاز يه وثاقك ولا تنازعه خناقك فالحمدلله الذى لوشاء ابرزلى صفحتك واوضح لى طلعتك فوالذى نفس قطرى بيده لعرفت انمقارعةالابطال ليس كتصديرالمقال مع انى ارجو ان يدحض الله حجتك وان يمتمنى مهجتك انتهى وتفصيل اخبارالخوارج فى الكامل للمبرد ﴿فقال عدالى قتال الحجاج عدوالله فقال﴾ الرجل ﴿هيهات﴾ الرجوع الى قتاله اذ ﴿غل يدا مطلقها﴾ اى من احل قيدها ﴿واسترق رقبة معتقها﴾ بتحميل مكافاته عليها ﴿وانشأ يقول﴾ من الكامل ﴿ أ اقاتل الحجاج فى سلطانه﴾ الاستفهام للانكاراى مااقاتله ثانيامع سلطانه وغلبته لاسيما ﴿ بيد تقر بانها مولاته ﴾ مؤنث مولى بمعنى العتيق يعنى تقرتلك اليد بانها عتيق الحجاج ﴿ انى اذا لاخوالدناءة والذى . شهدت باقبح فعله غدراته * ماذا اقول اذاوقفت ازاءه . فى الصف واحتجبت له فعلاته ﴾ الحسنة من العفو والاطلاق والصلة والغدر ضد الوفاء وجمعه باعتبار تلك الحسنات والاحتجاب من لوازم التعزز يعنى اذا تعزز بها ﴿ أ اقول جار على لا انى اذا . لاحق من جارت عليه ولاته ﴾ قوله لاجواب الاستفهام يعنى لااقول جار على بل اناجدير ان يقال فى حق جارت عليه صداقةالحجاج وصلته ولم تقع موقعها ﴿ وتحدث الاقوام ان صنائعا . غرست ﴾ بالبناء للمفعول ﴿ لدى فحنظلت نخلاته ﴾ اى اتت بحنظلة نخلته لخبث ترابه كما قال السعدى * باران كه درلطافت طبعش خلاف نيست . درباغ لاله رويد ودرشوره بوم خس ﴿ وقيل فى منثورالحكم المعروف رق والمكافأة عتق ومن اشكرالناس الذى يقول ﴾ وفى المستطرف قال عبد الاعلى بن حماد دخلت على المتوكل فقال ياابا يحيى قد هممنا ان نصلك بخير فتدافعته الامور فقلت يا اميرالمؤمنين بلغنى عن جعفر بن محمدالصادق انه قال من لم يشكر الهمة لم يشكر النعمة وانشدته ﴿ لاشكرنك معروفاهممت به . ان اهتمامك بالمعروف معروف ﴾ وكل معروف موجب للشكر فقصدالمعروف موجب للشكر ﴿ ولاالومك انلم يمضه قدر . فالشئ بالقدر المحتوم مصروف ﴾ الى ماقدرله ﴿ وهذاالنوع من الشكرالذى يتعجل المعروف ويتقدم البر قد يكون على وجوه فيكون تارةمن حسن الثقة بالمشكور فى وصول بره واسداء عرفه ولارأى لمن يحسن به ظن شاكر ان يخلف حسن ظنه فيه فيكون ﴾ المشكور ﴿كما قال العتابى ﴾ من البسيط ﴿ قد اورقت فيك اما لى بوعدك لى . وليس فى ورق الآمال لى ثمر ﴾ فيه تشبيه الوعد بالربيع فى مطلق الاحياء ﴿ وقد يكون تارة من فرط شكرالراجى وحسن مكافأة الآمل فلا يرضى لنفسه الا بتعجيل الحق واسلاف الشكر وليس لمن صادف لمعروفه معدنا زاكيا ومغرسا ناميا ان يفوّت نفسه غنما ولا يحرمها ربحا ﴾ باياس مثل ذلك الراجى ﴿ فهذا وجه ثان ﴾ لتعجيل الشكر وقد قال الله تعالى حكاية عن يوسف عليه السلام قال اجعلنى على خزائن الارض انى حفيظ عليم قال الزمخشرى اى ولنى خزائن ارضك انى امين احفظ ماتستحفظنيه عالم بوجوه التصرف وصفا لنفسه بالامانة والكفاية اللتين هما طلبة الملوك ممن يولونه وانما قال ذلك ليتوصل الى امضاء احكام الله تعالى واقامة الحق وبسط العدل والتمكن مما لاجله تبعث الانبياء الى العباد ولعلمه ان احدا غيره لا يقوم مقامه فى ذلك فطلب التولية ابتغاء وجه الله لا لحب الملك والدنيا انتهى ﴿ وقديكون تارة ارتهانا للمأمول وحبا للمسئول ﴾ فيشكر قبل البر لئلا يمكن للمشكورالتخلف عن وعده ﴿ وبحسب مااسلف من الشكر يكون الذم عندالاياس وقال

بعض الادباء من حكماء المتقدمين من شكرك على معروف لم تسده اليه فعاجله بالبر والا العكس ﴿ الشكر ﴾ فصار ذما ﴿ كصيرورة العصير خمرا ﴾ وقال ابن الرومى ﴿ قال الشريشى الحقد مذموم ولا اعرف من تعرض من الفصحاء لمدح حامله سوى ما يحكى ان عبد الملك بن صالح جئ به الى الرشيد فى قيوده فقال له يحيى بن خالد واراد ان يبكته بلغنى انك حقود فقال عبد الملك ايها الوزير ان كان الحقد هو بقاء الخير والشر انهما لباقيان فى صدرى وفى رواية اخرى انما صدرى خزانة تحفظ ما استودعت من خير او شر فقال الرشيد والله ما رأيت احدا احتج للحقد بمثل ما احتج به عبد الملك ففتح الباب لابن الرومى فقال يخاطب من عابه بالحقد * لئن كنت فى حفظى لما انا مودع . من الخير والشر انتحيت على عرضى * فما عبنى الا بفضل امانة . ورب امرئ يزرى على خلق محض * ولولا الحقود المستكنات لم يكن . لينقض وترا آخر الدهر ذو نقض ﴿ وما الحقد الا توأم الشكر فى الفتى . وبعض السجايا ينتسبن الى بعض ﴾ لتوليدهما اياه ﴿ فحيث ترى حقدا على ذى اساءة . فثم ترى شكرا على حسن القرض * اذا الارض ادت ريع ما انت زارع . من البذر فيها فهى ناهيك من ارض ﴾ والريع الفضل والنماء يقال راع الشئ يريع ريعا وريوعا اذا نما وزاد ويقال ناهيك من رجل اى انه نجدة وعناية ينهاك لسان حاله عن تطلب غيره فناهيك من ارض اى تكيفك لجودتها وانباتها ما تزرع فيها الا ان ابن الرومى بعدما مدح الحقد رجع الى الطريقة المثلى فانتحل المذهب الاعلى وقال يعيبه ضاربا بسهم البلاغة فى الوجهين * يا مادح الحقد محتالا له شبها . لقد سلكت اليه مسلكا وعثا * ياد افن الحقد فى ضعفى جوانحه . ساء الدفين الذى اضحت له جدثا * الحقد داء ردئ لا دواء له . يورى الصدور اذا ما جمره حدثا * فاستشفيه بصفح او محادثة . فانما يبرئ المصدور ما نفثا * ان القبيح اذا اصلحت ظاهره . يعود ما لم منه مرة شعثا * كم زخرف القول ذو زور ولبسه . على القلوب ولكن قلما لبثا ﴿ واما من ستر معروف المنعم ولم يشكره على ما اولاه من نعمه فقد كفر النعمة وجحد الصنيعة ﴾ فاستحق منعا واستوجب ردا ﴿ وان من اذم الخلائق واسوأ الطرائق ما يستوجب به ﴾ بالمجهول ﴿ قبح الرد وسوء المنع فقد روى ابو هريرة ﴾ والترمذى عن ابى سعيد الخدرى ﴿ عن النبى صلى الله عليه وسلم انه قال لا يشكر الله من لا يشكر الناس ﴾ لانه لم يطعه فى امتثال امره بشكر الناس الذينهم وسائط فى ايصال نعم الله عليه اذ الشكر انما يتم بمطاوعته ﴿ وقال بعض الادباء من لم يشكر لمنعمه استحق قطع النعمة ﴾ اخذه من قوله تعالى لئن شكرتم لازيدنكم لان دوام النعمة وبقائها زيادة وفى ترك الشكر انقطاعه ﴿ وقال بعض الفصحاء من كفر نعمة المفيد استوجب حرمان المزيد ﴾ اى الزيادة ﴿ وقال بعض البلغاء من انكر الصنيعة استوجب قبح القطيعة ﴾ لتبين لآمته ﴿ وانشدنى بعض الادباء ما ذكر انه لعلى بن ابى طالب كرم الله وجهه ﴾ ما احسن الدنيا واقبالها . اذا اطاع الله من نالها * من لم يواس الناس من فضله . عرض للادبار اقبالها * فاحذر زوال الفضل ياجابر . واعط من دنياك من سالها * فان ذا العرش جزيل العطاء . يضعف بالحبة امثالها * وكم رأينا من ذوى ثروة . لم يقبلوا بالشكر اقبالها * تاهوا على الدنيا باموالهم . وقيدوا بالبخل اقفالها ﴿ من جاور النعمة بالشكر لم . يخش على النعمة مغتالها ﴾ بدل اشتمال من النعمة اى اغتيالها وهلاكها

﴿ لو شكروا النعمة زادتهم . مقالة الله التى قالها ﴾ ضمير الجمع راجع الى اصحاب النعمة ﴿ لئن شكرتم لازيدنكم ﴾ بدل من المقالة ﴿ لكنها كفرهم غالها ﴾ اى اخذها من حيث لم يدر ﴿ والكفر بالنعمة يدعو الى . زوالها والشكر ابقى لها ﴾ اى اشد ابقاء لها . ومن ملح باب الشكر ان اعرابيا اخذه الحجاج فضربه سبعمأة سوط وهو يقول عند كل سوط شكرا يارب فقيل له والله مايمنع الحجاج من تركك الا كثرة شكرك اما سمعت الله يقول لئن شكرتم لازيدنكم فانشأ الاعرابى يقول * يارب لاشكر فلا تزدنى . اسأت فى شكرك فاعف عنى . باعد ثواب الشاكرين منى * اللهم اجعلنا من الشاكرين واحشرنا مع المتقين ﴿ وهذا ﴾ الذى بيناه من الدين والنسب والمصاهرة والمودة والبر ﴿ آخر مايتعلق بالقاعدة الثانية من اسباب الالفة الجامعة ﴾ وقد كانت اولى القواعد الثلاثة النفس المطيعة ﴿ واما القاعدة الثالثة ﴾ مما يصلح به حال الانسان فى الدنيا ﴿ فهى المادة الكافية لان حاجة الانسان لازمة لايعرى منها بشر ﴾ اى لا يتجرد ﴿ قال الله تعالى ﴾ فى الانبياء ﴿ وماجعلناهم جسدا لا يأكلون الطعام ﴾ صفة لجسد او المعنى وما جعلنا الانبياء عليهم السلام قبله ذوى جسد غير طاعمين فان قلت انهم قد رد انكارهم ان يكون الرسول بشرا يأكل ويشرب بما ذكرت فماذا اراد من قولهم بقوله ﴿ وما كانوا خالدين ﴾ قلت يحتمل ان يقولوا انه بشر مثلنا يعيش كما نعيش ويموت كما نموت او يقولوا هلا كان ملكا لايطعم ويخلد اما معتقدين ان الملائكة لايموتون اومسمين حياتهم المتطاولة وبقاءهم الممتد خلودا كذا فى الكشاف ودلالة الآية على ان جميع البشر لايعرى عن الحاجة بطريق المفهوم لان الانبياء عليهم السلام مع كونهم افضل البشر بل المخلوقات اذا خلقوا محتاجين الى الطعام فاحتياج من دونهم بطريق الاولى ﴿ فاذا عدم المادة التى هى قوام نفسه لم تدم له حياة ولم تستقم له دنيا واذا تعذر شئ منها عليه لحقه من الوهن ﴾ اى الضعف ﴿ فى نفسه والاختلال فى دنياه بقدر ماتعذر من المادة عليه ﴾ قله بقلها وجله بجلها ﴿ لان الشئ القائم بغيره يكمل بكماله ويختل باختلاله ثم لما كانت المواد مطلوبة لحاجة الكافة اليها اعوزت بغير طلب وعدمت لغير سبب ﴾ كانت ﴿ اسباب المواد مختلفة وجهات المكاسب متشعبة ليكون اختلاف اسبابها علة الائتلاف بها وتشعب جهاتها توسعة لطلابها كيلا يجتمعوا على سبب واحد فلا يلتئمون ويشتركوا فى جهة واحدة فلا يكتفون ثم هداهم اليها ﴾ اى الى تلك الجهات ﴿ بعقولهم وارشدهم اليها بطباعهم حتى لايتكلفوا ائتلافهم فى المعايش المختلفة فيعجزوا ولا يعانوا بتقدير موادهم بالمكاسب المتشعبة فيختلوا حكمة منه سبحانه وتعالى اطلع بها على عواقب الامور ﴾ يقال اطلعه على سره اذا اظهره ﴿ وقد انبأ الله تعالى فى كتابه العزيز اخبارا فقال سبحانه وتعالى ﴾ فى طه ﴿ قل ربنا الذى اعطى كل شئ خلقه ﴾ اول مفعولى اعطى اى اعطى خليقته كل شئ مايحتاجون اليه ويرتفقون به او ثانيهما اى اعطى كل شئ صورته وشكله الذى يطابق المنفعة المنوطة به كما اعطى العين الهيئة التى تطابق الابصار والاذن الشكل الذى يوافق الاستماع وكذلك الانف واليد والرجل واللسان كل واحد منها مطابق لما علق به من المنفعة غير ناب عنه او اعطى كل حيوان نظيره فى الخلق والصورة حيث جعل الحصان والحجر زوجين والبعير والناقة والرجل والمرأة

فلم يزاوج شيئا غير جنسه وما هو على خلاف خلقه ﴿ ثم هدى ﴾ اى عرف كيف يرتفق
بما اعطى وكيف يتوصل اليه ﴿ اختلف المفسرون فى تأويل ذلك فقال قتادة اعطى كل شئ
مايصلحه ﴾ اى يحسن فعله من العلوم والصنايع ﴿ ثم هداه ﴾ اليه ﴿ وقال مجاهد اعطى كل
شئ صورته التى ينتفع بها ثم هداه لمعيشته وقال ابن عباس رضى الله عنهما اعطى كل شئ زوجته
ثم هداه لنكاحها وقال تعالى ﴾ فى الروم ﴿ يعلمون ظاهرا من الحياة الدنيا يعنى معايشهم
متى يزرعون ومتى يغرسون ﴾ قال الزمخشرى قوله يعلمون بدل من قوله لايعلمون وفى هذا
الابدال من النكتة انه ابدله منه وجعله بحيث يقوم مقامه ويسد مسده ليعلمك انه لافرق
بين عدم العلم الذى هو الجهل وبين وجود العلم الذى لايتجاوز الدنيا وقوله ظاهرا من الحياة الدنيا
يفيد ان للدنيا ظاهرا وباطنا فظاهرها مايعرفه الجهال من التمتع بزخارفها والتنعم بملاذها وباطنها
وحقيقتها انها مجاز الى الآخرة يتزود منها اليها بالطاعة والاعمال الصالحة وفى تنكير الظاهر
ان كل واحد لايعلم الا ظاهرا واحدا من جملة الظواهر ﴿ وهم عن الآخرة هم غافلون ﴾
وهم الثانية يجوز ان يكون مبتدأ وغافلون خبره والجملة خبرهم الاولى وان يكون تكريرا
للاولى وغافلون خبر الاولى واية كانت فذكرها مناد على انهم معدن الغفلة عن الآخرة
ومقرها ومعلمها وانها منهم تنبع واليهم ترجع ﴿ وقال تعالى ﴾ فى فصلت (قل ائنكم
لتكفرون بالذى خلق الارض فى يومين وتجعلون له اندادا ذلك) الذى قدر على خلق الارض
فى مدة يومين هو (رب العالمين وجعل فيها رواسى) جبالا ثوابت (من فوقها) اى كائنة
من فوقها مرتفعة عليها لتكون المنافع فى الجبال معرضة لطالبيها حاضرة لمحصليها وليبصر ان
الارض والجبال اثقال على اثقال كلها مفتقرة الى ممسك لابدلها منه وهو ممسكها عز وعلا
بقدرته (وبارك فيها) واكثر خيرها وانماه ﴿ وقدر فيها اقواتها ﴾ ارزاق اهلها ومعايشهم
وما يصلحهم ﴿ فى اربعة ايام سواء ﴾ فذلكة لمدة خلق الله الارض ومافيها كأنه قال كل ذلك
فى اربعة ايام كاملة مستوية بلا زيادة ولانقصان قيل خلق الله الارض فى يوم الاحد ويوم الاثنين
ومافيها يوم الثلاثاء ويوم الاربعاء وقال الزجاج فى اربعة ايام فى تتمة اربعة ايام يريد بالتتمة اليومين
وقرئ سواء بالحركات الثلاث الجر على الوصف والنصب على انه مصدر مؤكد لمضمر هو صفة
ايام اى استوت سواء اى استواء والرفع على هى سواء وقوله ﴿ للسائلين ﴾ يتعلق بمحذوف كأنه
قيل هذا الحصر لاجل من سأل فى كم خلقت الارض ومافيها اوبقدر اى قدر فيها الاقوات
لاجل الطالبين لها المحتاجين اليها من المقتاتين وهذا الوجه الاخير لايستقيم الا على تفسير الزجاج
﴿ قال عكرمة قدر فى كل بلدة منها مالم يجعله فى الاخرى ليعيش بعضهم من بعض بالتجارة
من بلد الى بلد وقال الحسن البصرى وعبد الرحمن بن زيد قدر ارزاق اهلها سواء للسائلين
الزيادة فى ارزاقهم ثم ان الله تعالى ﴾ اى بعدما هداهم لمعائشهم المختلفة ﴿ جعل لهم مع ماهداهم اليه
من مكاسبهم وارشدهم اليه من معائشهم دينا ﴾ مفعول جعل ﴿ يكون عليهم حكما ﴾ يقال هو
حكم بينهم اى منفذ الحكم ﴿ وشرعا يكون لهم قيما ﴾ بمصالحهم ومالابدلهم من تزكية اخلاقهم
وسرائرهم وتحلية ظواهرهم وتقوية اجتماعهم ﴿ ليصلوا الى موادهم بتقديره ويطلبوا اسباب
مكاسبهم بتدبيره حتى لاينفردوا بارادتهم فيتغالبوا ﴾ اى يتدافعوا حين الخصومة بالغلبة

﴿ ولا تستولى عليهم اهواءهم فيتقاطعوا ﴾ اى فيقع بينهم التقاطع اويشتغلوا بالتدافع ويتقاطعوا عن ا كتساب المواد ﴿ قال الله تعالى ﴾ فى المؤمنين ﴿ ولوا تبع الحق اهواءهم لفسدت السموات والارض ومن فيهن ﴾ قال الزمخشرى دل بهذا على عظم شان الحق وان السموات والارض ماقامت ولا من فيهن الا به فلو اتبع اهواءهم لانقلب باطلا ولذهب مايقوم به العالم فلا يبقى له بعده قوام اوارادان الحق الذى جاء به محمد صلى الله عليه وسلم وهوالاسلام لو اتبع اهواءهم وانقلب شركا لجاءالله بالقيامة ولا هلك العالم ولم يؤخر وعن قتادة ان الحق هوالله ومعناه ولوكان الله الٓها يتبع اهواءهم ويأمر بالشرك والمعاصى لماكان الٓها ولكان شيطانا ولماقدران يمسك السموات والارض ﴿ قال المفسرون الحق فى هذا الموضع هوالله جل جلاله فلاجل ذلك ﴾ الفساد المنبعث عن اختلاف الاهواء ﴿ لم يجعل المواد مطلوبة بالالهام اى بطريق السنوح فى القلب واراد المصنف هذا المعنى العام الشامل للوسوسة وغيره وقال السيد الشريف هو مايلقى فى الروع بطريق الفيض وقيل الالهام ماوقع فى القلب من علم وهو يدعو الى العمل من غير استدلال بآية ولا نظر فى حجة وهو ليس بحجة عندالعلماء الا عند الصوفيين انتهى ﴿ حتى جعل العقل هاديا اليها ﴾ اى الى المواد الملهمة لماقلنا ان الالهام يشمل الوسوسة وهى من الشيطان لان السانح فى القلب اما خير محض اوشر محض اومشتبه ملائم للهوى اوغير ملائم فالهوى يختار مايلائمه ويحسن مايوافقه وان كان شرا ويقبح مالا يلائمه وان كان خيرا فلوجعل المواد مطلوبة بالالهام كان كأنها جعلت مطلوبة بالهوى وفيه من الفساد ماذكر . على ان سوانح كل احد بقدر امانيه كما ان امانيه بقدر معاليه وكذا مرائيه فى منامه ولاعصمة لغير الانبياء عليهم السلام ولذا قال العلماء الالهام ليس من اسباب المعرفة بشئ لعدم العصمة واما رؤيا الانبياء والهامهم فوحى يفيد العلم القطعى ﴿ والدين قاضيا عليها لتتم السعادة ﴾ اى سعادة الدارين ﴿ وتعم المصلحة ﴾ للمنزلتين بان لا يلاموا ولا يعاقبوا على مكاسبهم لكونها دناءة اومحرمة ﴿ ثم انه جلت قدرته جعل سد حاجاتهم وتوصلهم الى منافعهم من وجهين بمادة وكسب فاما المادة فهى حادثة عن اقتناء اصول نامية بذواتها وهى شيئان نبت نام وحيوان متناسل قال الله تعالى ﴾ فى النجم ﴿ وانه هواغنى واقنى قال ابو صالح اغنى خلقه بالمال واقنى جعل لهم قنية ﴾ قال الزمخشرى واعطى القنية وهى المال الذى تأثلته وعزمت ان لاتخرجه من يدك ويقال عنده قنى من الغنم اى ماتخذمنها لولد اولبن ﴿ وهى اصول الاموال ﴾ واما الكسب فيكون بالافعال الموصلة الى المادة والتصرف المؤدى الى الحاجة وذلك ﴾ الكسب ﴿ من وجهين احدهما تقلب فى تجارة ﴾ يقال تقلب فى الامور اذا تصرف فيها كيف شاء ﴿ والثانى تصرف فى صناعة ﴾ اى تردد وتقلب فيها ﴿ وهذان هما فرع لوجهى المادة فصارت اسباب المواد المألوفة وجهات المكاسب المعروفة من اربعة اوجه نماء زراعة ونتاج حيوان وربح تجارة وكسب صناعة وحكى الحسن بن رجاء مثل ذلك عن المأمون قال سمعته يقول معايش الناس على اربعة اقسام زراعة وصناعة وتجارة وامارة فمن خرج عنها كان كلا عليها ﴾ يقال هو كل اى يتيم ورجل كل اى ثقيل لاخير فيه ﴿ واذقد تقررت اسباب المواد بماذكرناه ﴾ فى الاربعة ﴿ فسنصف حال كل واحد منها بقول موجز ﴾ اى مختصر مفيد للمرام ﴿ اما الاول من اسبابها وهى

الزراعة فهى مادة اهل الحضر وسكان الامصار والمدن والاستمداد بها اعم نفعا واوفى فرعا ﴾ وهى افضل المكاسب قال النووى عن المقدام بن معديكرب عن النبى صلى الله عليه وسلم انه قال ما اكل احد طعاما قط خيرا من ان يأكل من عمل يده والزراعة من عمل اليد ولان فيه توكلا ونفعا عاما للانسان والدواب ﴿ ولذلك ضرب الله بها المثل فقال ﴾ فى البقرة ﴿ مثل الذين ينفقون اموالهم فى سبيل الله كمثل حبة انبتت سبع سنابل فى كل سنبلة مأة حبة ﴾ فى الكشاف لا بد من حذف مضاف اى مثل نفقتهم كمثل حبة اومثلهم كمثل باذر حبة والمنبت هو الله ولكن الحبة لما كانت سببا اسند اليها الانبات كما يسند الى الارض والى الماء ومعنى انباتها سبع سنابل ان تخرج ساقا يتشعب منها سبع شعب لكل واحدة سنبلة وهذا التمثيل تصوير للاضعاف كأنها ماثلة بين عينى الناظر ﴿ والله يضاعف لمن يشاء ﴾ اى يضاعف تلك المضاعفة لمن يشاء لا لكل منفق لتفاوت احوال المنفقين او يضاعف سبع المأة ويزيد عليها اضعافها لمن يستوجب ذلك ﴿ وروى عن النبى صلى الله عليه وسلم انه قال خير المال عين ساهرة ﴾ اى جارية لا تفتر اصلا ﴿ لعين نائمة ﴾ وهى عين صاحبها لانه فارغ البال لا يتهم بها وذلك يشمل الزرع والاشجار ﴿ وقال صلى الله عليه وسلم نعمت لكم النخلة تشرب من عين خرّارة ﴾ يقال خر الماء خريرا من الباب الثانى والاول اذا صات وكذا خرت الريح ﴿ ولغرس فى ارض خوارة ﴾ اى ضعيفة لا تنبت ولا تستقر فيها غيرها ﴿ وقال صلى الله عليه وسلم فى النخل هى الراسخات فى الوحل ﴾ يقال طريق ذو وحل اى طين رقيق يرتطم فيه الدواب ﴿ المطعمات فى المحل ﴾ بفتح فسكون فيهما اى فى الشدة والجدب ﴿ وقال بعض السلف خير المال عين خرارة فى ارض خوارة تسهر اذا نمت وتشهد اذا غبت وتكون عقبا اذا مت ﴾ لانها صدقة جارية ﴿ وروى هشام بن عروة ﴾ بن الزبير بن العوام القرشى الاسدى ابو المنذر وقيل ابو عبد الله احد العلماء الاعلام تابعى مدنى رأى بن عمرو مسح برأسه ودعا له وجابر اوغيرهما ولد مقتل الحسين رضى الله عنه سنة احدى وستين ومات ببغداد سنة خمس واربعين ومأة روى له الجماعة ﴿ عن ابيه عن عائشة رضى الله عنها قالت قال رسول الله صلى الله عليه وسلم التمسوا الرزق فى خبايا الارض يعنى الزرع ﴾ قال ابن الاثير الخبايا جمع خبية وهو كل ما يخبأ كائنا ما كان وهذا يدل على معنيين حقيقيين احدهما الكنوز المخبوأة فى بطون الارض والآخر الحرث والغراس وجانب الحرث والغراس ارجح لان مواضع الكنوز لا تعلم حتى تلتمس كثيرا والنبى صلى الله عليه وسلم لا يأمر بذلك لانه شئ مجهول غير معلوم فبقى المراد بخبايا الارض ما يحرث ويغرس ﴿ وحكى عن المعتضد ﴾ بالله ﴿ انه قال رأيت على بن ابى طالب رضى الله عنه فى المنام يناولنى المسحاة وقال خذها فانها مفاتيح خزائن الارض وقال كسرى للموبذ ﴾ بضم الميم وفتح الباء فقيه الفرس وحاكم المجوس ﴿ ما قيمة تاجى هذا فاطرق ساعة ثم قال ما اعرف له قيمة الا ان تكون مطرة فى نيسان ﴾ ثانى الشهور الرومية ﴿ فانها تصلح من معايش الرعية ما تكون قيمته مثل تاج الملك واتى عبد الله بن عبد الملك ابن شهاب الزهرى ﴾ مفعول اتى ﴿ فقال ﴾ عبد الله ﴿ له ادلنى على مال اعالجه فانشأ ابن شهاب يقول ﴾ من الطويل ﴿ تتبع خبايا الارض وادع مليكها ﴾ اى مالك الارض ﴿ لعلك يوما ان تجاب فترزقا ﴾ اتى بان فى خبر لعل لكونه بمعنى عسى اى

المسحاة مثل مكنسة جبا منه

اسماء الشهور الرومية هكذا اذار، نيسان، حزيران، تموز، آب ايلول، تشرين الاول، تشرين الثانى، كانون الاول، كانون الثانى شباط منه

(عسى)

عسى حال دعوتك ان تجاب ﴿ فيؤتيك مالا واسعا اذامتانة . اذاماياه الارض غارت تدفقا ﴾ يقال غار الماء اذا ذهب فى الأرض اى سفل فيها وتدفق الماء اذا تصبب اى غارت تدفقها وانجذبت وذلك لان النز وتدفق المياه تفسد الزرع كعدم الرطوبات بانقطاع الامطار وفيه مدح التراب على رغم انف ابليس كما قال سليمان الاعمى اخو مسلم بن الوليد الانصارى الشاعر * لابد للارض ان طابت وان خبثت . من ان تحيل اليها كل مغروس * وتربة الارض ان جيدت وان قحطت . فحملها ابدا فى اثر منفوس * وبطنها بفلز الارض ذو خبر . بكل جوهرة فى الارض مرموس * وكل آنية عمت مرافقها . وكل منتقد فيها وملبوس * وكل ماعونها كالملح مرفقة . وكلها مضحك من قول ابليس * وقال صفوان * وفى جوفها للعبد استر منزل . وفى ظهرها يقضى فرائضه العبد * وليس يحصى كنه مافى بطونها . حساب ولا خط وان بلغ الجهد ﴿ وقد اختلف الناس فى تفضيل الزرع والشجر بما ليس يتسع كتابنا هذا لبسط القول فيه غيران من فضل الزرع فلقرب مداه ﴾ بالفتح اى منتهاه ﴿ ووفور جدواه ﴾ اى عطيته ﴿ ومن فضل الشجر فلثبوت اصله وتوالى ثمره ﴾ وروى البخارى عن انس رضى الله عنه قال قال رسول صلى الله عليه وسلم مامن مسلم يغرس غرسا) بمعنى المغروس اى شجرا (او يزرع زرعا) اى مزروعا واوللتنويع لان الزرع غير الغرس (فيأ كل منه طير اوانسان او بهيمة الا كان له به صدقة) بالرفع اسم كان ﴿ واما الثانى من اسبابها ﴾ اى اسباب المواد ﴿ وهو نتاج الحيوان فهومادة اهل الفلوات ﴾ جمع فلاة القفر اوالمفازة لاماء فيها اوالصحراء الواسعة ﴿ وسكان الخيام لانهم لما لم تستقربهم دار ولم تضمهم امصار افتقروا الى الاموال المنتقلة معهم ومالا ينقطع نماؤه بالظعن والرحلة عنهم ﴾ يقال ظعن لرحل من باب الثالث اذاسار وارتحل الى جهة ﴿ فاقتنوا الحيوان لانه ينتقل فى النقلة بنفسه ويستغنى عن الملوفة برعيه ثم هو مركوب ومحلوب ﴾ ومأ كول اى يجتمع هذه الاوصاف فى بعض الحيوان كالناقة او ينفرد كغيرها ﴿ فكان اقتناؤه على اهل الخيام ايسر لقلة مؤنته وتسهيل الكلفة به وكانت جدواه عليهم اكثر لوفور نسله واقتيات رسله ﴾ اى ارتزاق لبنه ﴿ الهاما من الله لخلقه فى تعديل المصالح فيهم وارشادا لعباده فى قسم المنافع بينهم وقد روى عن النبى صلى الله عليه وسلم ﴾ على ما رواه احمد بن حنبل عن سويد ابن هبيرة ﴿ انه قال خير المال ﴾ اى مال المرء كما فى رواية ﴿ مهرة مأبورة ﴾ اى كثيرة النتاج ﴿ وسكة مأبورة ﴾ اى طريقة مصطفة من النخل مؤبرة ﴿ ومعنى قوله صلى الله عليه وسلم مهرة ﴾ هى الانثى من ولد الفرس وههنا مجاز عن الانثى بطريق ذكر المقيد وارادة المطلق ﴿ مأمورة اى كثيرة النسل ﴾ والنتاج من امر الشئ امرا من الباب الرابع اذا اكثر وتم وفى القاموس يقال آمر الله اعارا اى كثر نسله وما شيته وقولهم امره كنصره لغية غير فصيحة وقوله عليه السلام خير المال الحديث الاصل مؤمرة كمكرمة وانما هو للازدواج او على ذلك اللغة ﴿ ومنه تأول الحسن ﴾ البصرى ﴿ وقتاده قوله تعالى ﴾ فى الاسراء . واذا اردنا ان نهلك قرية ﴿ امرنا مترفيها ﴾ ففسقوا فيها فحق عليها القول فدمرناها تدميرا ﴿ اى كثرنا عددهم ﴾ وقال الزمخشرى اى امرناهم بالفسق ففعلوا والامر مجاز لان حقيقة امرهم بالفسق ان يقول لهم افسقوا وهذا لايكون

الفلز جوهر الارض من الذهب والفضة والنحاس والآنك وغير ذلك منه

فبقي ان يكون مجازا ووجه المجاز انه صب عليهم النعمة صبا فجعلوها ذريعة الى المعاصي واتباع الشهوات فكأنهم مأمورون بذلك وانما خولهم اياها ليشكروا ويعملوا فيها الخير ويتمكنوا من الاحسان والبر فآثروا الفسوق على الطاعات فلما فسقوا حق عليهم القول وهو كلمة العذاب فدمرهم انتهى ﴿ واما السكة المأبورة فهي النخل المؤبرة الحمل ﴾ كان الاصمعي يقول السكة هنا الحديدة التي يحرث بها ومأبورة اي مصلحة قال ومعنى هذا الكلام خير المال نتاج اوزرع يقال ابر النخل والزرع اذا اصلحه ﴿ وروي عن النبي صلى الله عليه وسلم انه قال في الغنم سمنها معاش ﴾ يعاش با كله وبيعه ﴿ وصوفها رياش ﴾ اي لباس فاخر ﴿ وروي عن ابي ظبيان انه قال قال لي عمر بن الخطاب رضي الله عنه ما مالك يا ابا ظبيان قال قلت عطائي الفان ﴾ اي جائزتي ومماشي ذلك ﴿ قال ﴾ عمر رضي الله عنه ﴿ اتخذ من هذا الحرث والسائبات قبل ان تليك غلمة ﴾ بكسر فسكون جمع غلام ﴿ من قريش لا تعد العطاء معهم ﴾ اي في زمان امارتهم ﴿ مالا ﴾ لانهم لا يعطون العطايا ﴿ والسائبات النتاج ﴾ جمع نتيجة ﴿ وحكي ان امرأة اتت النبي صلى الله عليه وسلم فقالت يارسول الله اني اتخذت غنما ابتغي نسلها ورسلها وانها لا تنمى ﴾ اي لا تزيد عددها ﴿ فقال لها النبي صلى الله عليه وسلم ما الوانها قالت سود فقال لها عفري ﴾ امر مخاطبة من التعفير يقال عفر فلان اذا خلط سود غنمه بعفر والعفر التراب ولونه ﴿ وهذا ﴾ الحديث ﴿ مثل قوله صلى الله عليه وسلم في مناكح الآدميين اغتربوا لا تضووا ﴾ وقد تقدم في المصاهرة وفي حديث حذيفة عند البزار (الغنم بركة والابل عز لاهلها والخيل معقود بنواصيها الخير الى يوم القيامة وعبدك اخوك) في الدين (فاحسن اليه) بالقول والفعل والقيام بحقه (وان وجدته مغلوبا فاعنه) على ما كلفته من العمل فيحرم تكليفه على الدوام مالا يطيقه على الدوام وقد ورد احاديث اخر في اتخاذ الحيوان حتى الديك والحمامة ﴿ واما الثالث من اسبابها ﴾ اي المواد ﴿ وهي التجارة فهي فرع لمادتي الزرع والنتاج ﴾ والحرف كما في زماننا ﴿ فقد روي عن النبي صلى الله عليه وسلم انه قال تسعة اعشار الرزق في التجارة والحرث والباقي ﴾ وهو العشر ﴿ في السائبات ﴾ والمواشي اي بسبب ما يحصل منها من نتاج وصوف ولبن ونحو ذلك والقصد من الحديث الاعلام بكثرة الرزق من التجارة عن غيرها وليس المراد حصر الرزق في هذين السببين اذ من اسبابه الصناعة والغزو وليس في هذا الحديث تعرض لافضل طرق الكسب وافضلها سهم الغازي ثم الزراعة ثم الصناعة ثم التجارة افاده الحفني ﴿ وهي نوعان تقلب في الحضر من غير نقلة ﴾ من بلد الى بلد ﴿ ولا سفر ﴾ الى البلاد البعيدة ﴿ وهذا تربص واحتكار ﴾ يقال تربص اذا انتظر به خيرا اوشرا يحمل به ﴿ وقد رغب عنه اولوا الاقدار وزهد فيه ذووا الاخطار ﴾ جمع خطير اي اجتنب عنه الاغنياء والاشراف لما روى ابن ماجة عن عمر رضي الله عنه عنه عليه السلام انه قال (الجالب) اي الذي يجلب المتاع من بلد آخر ويبيعه بسعر يومه (مرزوق) اي متيسر له الرزق من غير اثم (والمحتكر) المحتبس لطعام تم الحاجة اليه ليبيعه باغلى (ملعون) اي مطرود عن مواطن الابرار فاحتكار ما ذكر حرام ﴿ والثاني تقلب بالمال بالاسفار ونقله الى الامصار فهذا اليق باهل المروءة واعم جدوى ومنفعة غير انه اكثر خطرا ﴾ اي اشرافا على هلكة ﴿ واعظم غررا ﴾ اسم من التغرير يقال غرر فلان بنفسه اذا عرضها للهلكة

يعنى خطر الطريق ﴿ فقد روى عن النبى صلى الله عليه وسلم انه قال ان المسافر وماله لعلى تلف الا ما وقى الله يعنى على خطر ﴾ من قطاع الطريق والغرق فى البحر والانجماد فى البرد وفساد متاعه وابتلاله ونحوه ﴿ وفى التوراة يا ابن آدم احدث سفرا احدث لك رزقا ﴾ يقال احدث الشئ اذا ابدأه وقال الله تعالى هو الذى جعل لكم الارض ذلولا فامشوا فى مناكبها وكلوا من رزقه وقال النابغة الجعدى * اذا المرء لم يطلب معاشا لنفسه . شكا الفقر اولام الصديق فاكثرا * فسر فى بلاد الله والتمس الغنى . تعش ذا يسار اوتموت فتعذرا * وانشد الثعالبى * الم تر ان الله اوحى لمريم . وهزى اليك الجذع يساقط الرطب * ولوشاء ان تجنيه من غير هزها . جنته ولكن كل شئ له سبب * وقال موسى بن عمران عليه السلام لاتلوموا السفر فانى ادركت فيه مالم يدركه احد يريدان الله كلمه ونظم هذا المعنى حبيب فقال * فان موسى صلى على روحه الله صلاة كثيرة القدس * صار نبيا وعظم بغية . فى جذوة للصلاء والقبس * قال المأمون لاشئ الذ من السفر فى كفاية لانك تحل كل يوم فى محلة لم تحلها وتعاشر قوما لم تعاشرهم وقال الثعالبى من فضائل السفر ان صاحبه يرى من عجائب الامصار وبدائع الاقطار ومحاسن الآثار مايزيده علما بقدرة الله ويدعوه الى شكر نعمته ﴿ واما الرابع من اسبابها وهو الصناعة ﴾ على وزن كتابة يقال هو ماهر فى صناعته اى حرفته ﴿ فقد يتعلق بما مضى من الاسباب الثلاثة وتنقسم اقساما ثلاثة صناعة فكر وصناعة عمل وصناعة مشتركة بين فكر وعمل لان الناس آلات للصناعات واشرفهم نفسا متهيئ لاشرفها جنسا كما ان ارذلهم نفسا متهيئ لارذلها جنسا لان الطبع يبعث على مايلائمه ويدعو الى مايجانسه وحكى ان الاسكندر لما اراد الخروج الى اقاصى الارض ﴾ جمع اقصى اى اباعدها ﴿ قال لارسطاطاليس ﴾ المعروف بالمعلم الاول وانما سمى بذلك لانه اول من وضع التعاليم المنطقية واخرجها من القوة الى الفعل وقد اخذ جميع علوم افلاطون وخالفه فى مسائل استدركها عليه وكان يقول انا نحب افلاطون ونحب الحق فاذا افترقا فالحق اولى بالمحبة ثم وضع علم المنطق ورتب اصوله وكان قد تسلم الاسكندر من ابيه فعلمه وهذ به وولى اسكندر المملكة فكان لايبرم امرا ولا ينقضه الا باشارته وكان بمنزلة الوزير والمشير الى ان توفى الاسكندر وعاش بعده قليلا ﴿ اخرج معى قال قد نحل جسمى ﴾ اى نحف ﴿ وضعفت عن الحركة ﴾ للركوب والنزول لاسيما للسفر الى اقاصى الارض ﴿ فلا تزعجنى ﴾ يقال زعجه من الباب الثالث وازعجه اذا قلعه من مكانه ﴿ قال فما اصنع فى عمالى خاصة قال انظر الى من كان له عبيد فاحسن سياستهم فوله الجنود ﴾ اى اجعله اميرا عليهم ﴿ ومن كانت له ضيعة ﴾ على وزن ثمرة اى عقار وارض مغلة ﴿ فاحسن تدبيرها فوله الخراج فنبه باعتبار الطباع على ما اغناه عن كلفة التجربة ﴾ وفى هذا الكلام حصة للآباء وهى أن يتفقدوا طبائع اولادهم اولا ثم يعلمونهم الصنايع التى تحبها بطبائعهم ليتعلموها بجد ونشاط ﴿ واشرف الصناعات صناعة الفكر وارذلها صناعة العمل لان العمل نتيجة الفكر وهو ﴾ اى الفكر ﴿ مدبره ﴾ اى العمل والمتبوع اشرف من التابع ﴿ فاما صناعة الفكر فقد تنقسم قسمين احدهما ما وقف على التدبيرات الصادرة عن نتائج الآراء الصحيحة كسياسة الناس وتدبير البلاد وقد افردنا

للسياسة كتابا ﴾مسمى بالاحكام السلطانية ﴿ لخصنا فيه من جملها ماليس يحتمل هذا الكتاب زيادة عليها ﴾ اى على تلك الجملة ﴿ والثانى ﴾ من صناعة الفكر ﴿ ما ادت الى المعلومات الحادثة عن الافكار النظرية وقد مضى فى فضل العلم من كتابنا هذا باب اغنى مافيه عن زيادة قول فيه* واما صناعة العمل فقد ينقسم قسمين عمل صناعى وعمل بهيمى فالعمل الصناعى اعلاها رتبة لانه يحتاج الى معاطاة فى تعلمه و معاناة فى تصوره فصار بهذه النسبة من المعلومات الفكرية ﴾ كرؤساء ارباب الحرف والمزارع مع اصحابهم ﴿ والآخر انما هو صناعة كد و آلة مهنة ﴾ من مهنه اذا خدمه كنقل الاحجار واحتطاب الاشجار وحمل الاثقال ونحوها ﴿ وهى الصناعة التى تقتصر عليها النفوس الرذلة ﴾ مؤنث رذل كخشن وخشنة ﴿ وتقف عليها الطباع الخاسئة ﴾ اى اصحاب الطباع الحقيرة ﴿ كما قال اكثم بن صيفى لكل ساقطة لاقطة ﴾ اى من يلتقطه ويأخذه وتاؤها للنقل ﴿ وكما قال المتلمس ﴾ هو جرير بن عبد المسيح من بنى صعصعة شاعر مجيد من شعراء الجاهلية* ان الهوان حمار البيت يألفه . والحر ينكره والفيل وا لاسد ﴿ ولا يقيم على ضيم يسام به ﴾ اى لايتحمل ولايصبر على ظلم وعذاب يعذب به او على عدم رعاية وانتقاص حق يكلف به آنا فآ نا ﴿ الا الاذلان عير الحى والوتد ﴾ بدلان من الاذلان والعير الحمار واضافته الى الحى للتمليك وذلك لعدم مالكه المعين فلا يهتم بامره وعلفه ولايخلو من العمل والوتد الخشب الذى يشد به طنب الخيمة وذلك من جهات كما قيل* دشمنانت همچو ميخ خيمه ميخواهم ترا . سر بكوب وتن بخاك وريسمان دركردن ﴿ هذا على الخسف مربوط برمته ﴾ اى بحبله البالى والخسف النقيصة والذل ﴿ وذا يشج فلا يرثى له احد ﴾ والشج كسر الرأس وشقه اى يشق رأسه فلا يرحمه احد ولا يرق له ﴿ واما الصناعة المشتركة بين الفكر والعمل فقد تنقسم قسمين احدها ان تكون صناعة الفكر اغلب والعمل تبعا كالكتابة ﴾ اى الانشاء الذى هو عبارة عن افادة مافى ضميره بالقلم والخط مطابقا لما فى الضمير مع مراعاة الاحوال من الاستعطاف والترحم او الشكاية او الترغيب او الترهيب الى غيرذلك والشروط المعتبرة فى الكلام معتبرة فيها كما سيأتى وذلك باب واسع الفوائد فيها كتبا ورسائل ومن احسنها المثل السائر فى ادب الكاتب والشاعر ﴿ والثانى ان تكون صناعة العمل اغلب والفكر تبعا كالبناء واعلاها رتبة ماكانت صناعة الفكر اغلب عليها والعمل تبعا لها ﴾ قال العينى فى الحداد لا يضره مهنة صناعته اذا كان عدلا قال ابو العتاهية* الا انما التقوى هو العز والكرم. وحبك للدنيا هو الذل والعدم . وليس على حر تقى نقيصة * اذا اسس التقوى وان حاك او حجم ﴿ فهذه احوال الخلق التى ركبهم الله تعالى عليها فى ارتياد موادهم ووكلهم الى نظرهم فى طلب مكاسبهم وفرق بين هممهم فى التماسهم ليكون ذلك سببا لائتلافهم فسبحان من تفرد فينا بلطف حكمته واظهر فطنتنا بعزائم قدرته* واذ قد وضح القول فى اسباب المواد وجهات الكسب فليس يخلو حال الانسان فيها من ثلاثة امور احدها ان يطلب منها قدر كفايته ويلتمس وفق حاجته من غير ان يتعدى الى زيادة عليها او يقتصر على نقصان منها فهذه احمد احوال الطالبين واعدل مراتب المقتصدين. وقد روى عن النبى صلى الله عليه وسلم انه قال اوحى الله تعالى الى كلمات

فدخلن فى اذنى ووقرن فى قلبى ﴾ اى تمكن فيه ورسخن من وقر فى بيته اذا جلس ﴿ من اعطى فضل ماله فهو خير له ومن امسك فهو شر له ولا يلوم الله على كفاف ﴾ وهو الذى لا يفضل عن الشئ ويكون بقدر الحاجة . رواه ابن جرير عن قتادة مرسلا ﴿ وروى حميد ﴾ الطويل ﴿ عن معاوية بن حيدة ﴾ بفتح الحاء صحابى مشهور من اهل بصرة غزا خراسان ومات بها ﴿ قال قلت يارسول الله ما يكفينى من الدنيا قال مايسد جوعتك ويستر عورتك فان كان ذلك فذاك ﴾ يكفيك ﴿ وان كان حمار فبخ بخ ﴾ فى المختار بخ بوزن بل كلمة تقال عند المدح والرضا بالشى وتكرر للمبالغة فيقال بخ بخ فان وصلت خففت ونونت الاولى مع سكون الثانى وربما شددت كالاسم فقيل بخ متضمن للاستعجاب ﴿ فلق من خبز ﴾ اى قطعة منشقة منه يقال فلق الشى من الباب الثانى اذا شقه ﴿ وجر من ماء ﴾ الجرة جرة كتمر وتمرة ﴿ وانت مسؤل عما فوق الازار ﴾ الواحد ﴿ وقد روى عن ابن عباس ومجاهد فى ﴾ تأويل ﴿ قوله تعالى ﴾ فى المائدة (واذ قال موسى لقومه اذكروا نعمة الله عليكم ﴿ اذ جعل فيكم انبياء ﴾ لانه لم يبعث فى امة مابعث فى بنى اسرائيل من الانبياء ﴿ وجعلكم ملوكا ﴾ لانه ملكهم بعد فرعون ملكه وبعد الجبابرة ملكهم ولان الملوك تكاثروا فيهم تكاثر الانبياء وقيل كانوا مملوكين فى ايدى القبط فانقذهم الله فسمى انقاذهم ملكا وقيل الملك من له مسكن واسع فيه ماء جار وقيل من له مال لايحتاج معه الى تكلف الاعمال وتحمل المشاق وقيل ﴿ ان كل من ملك بيتا وزوجة وخادما فهو ملك. وروى زيد بن اسلم قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم من كان له بيت وخادم فهو ملك وهو ﴾ اى ماروى ﴿ فى المعنى صحيح لانه بالزوجة والخادم مطاع فى امره ﴾ خارجا وداخلا ﴿ وفى الدار محجوب الا عن اذنه ﴾ وهذان الوصفان من خواص الملوكية والاشتراك فى الخواص مشابهة فقوله فهو ملك محمول على التشبيه البليغ ﴿ وليس على من طلب قدر الكفاية ﴾ فقط ﴿ ولم يجاوز تبعات الزيادة ﴾ اى مايتبعها من الاثم والطغيان ﴿ الا توخى الحلال منه ﴾ اى تحريه ﴿ واجمال الطلب فيه ومجانبة الشبهة الممازجة له * وقد روى نافع عن ابن عمر رضى الله عنهما ﴾ وروى الشيخان عن النعمان بن بشير ﴿ قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم الحلال بين ﴾ يعنى ان الاشياء ثلاثة حلال بين لايخفى حله بان ورد نص على حله اومهد اصل يمكن استخراج الجزئيات منه كقوله تعالى خلق لكم مافى الارض جميعا فان اللام للنفع فعلم ان الاصل فى الاشياء الحل الا ان يكون فيه مضرة ﴿ والحرام بين ﴾ واضح لاتخفى حرمته بان ورد نص على الحرمة كالفواحش والمحارم وما فيه حد وعقوبة والميتة والدم ولحم الخنزير او مهد ما يستخرج منه ذلك كقوله كل مسكر حرام ﴿ وبينهما امور مشتبهات ﴾ لو قوعها بين اصلين ومشاركتها لافراد كل منهما فلكونها ذات جهة الى الحلال لم يجز ان تعد من الحرام البين ولكونها ذات جهة الى الحرام لم يجز ان تعد من الحلال البين (لايعلمهن كثير من الناس) لتعارض الامارتين ولم يقل على الناس لان العارفين والمحققين وقليل ماهم لايشتبه ذلك عليهم فاذا تردد الشئ بين الحل والحرمة ولم يكن نص او اجماع اجتهد فيه المجتهد فالحقه باحدهما بالدليل الشرعى فاذا فقد فالورع تركه قال النووى وللعلماء فيه ثلاثة اقوال الحكم بالحل والحرمة والتوقف وقال التفتازانى

والتحقيق ان يقال الحلال البين ماسلم عينه عن الصفات المحرمة ولم يتطرق الى اسبابه والحرام البين مافيه صفة محرمة كالخمر او حصل بسبب حرام كالربا والمشتبه ما التبس امره بان تعارض فيه اعتقادان صدرا عن سببين فما لا سبب له فهو وسوسة ومثال الشبهة اما اختلاف الادلة لتعارضها او لتعارض العلامتين كما تقدمت الاشارة اليها واما اختلاط الحلال بالحرام بان اختلط حرام غير محصور بحلال غير محصور فلا منع منه الا اذا اقترن بعلامة معينة للحرمة لكن الورع تركه او حرام محصور بحلال غير محصور كما لو اشتبه محرم بنسوة بلد فله ان ينكح ماشاء او اختلط محصور بمحصور فلا يخلو اما ان يكون اختلاط امتزاج كالمائعات فلا يخفى حكمه او استبهام مع تميز الاعيان كما لو اشتبه ميتة بمذكاة اور ضيعة بعشرة نسوة فيجب الاجتناب واما الشك فى السبب المحرم او المحلل فلا يخلو اما ان يتعادل الاحتمالان فالحكم للاستصحاب مثال مايكون التحريم معلوما والشك فى المحل اذا جرح صيدا وصادفه فى الماء ميتا ولم يدر امات بالغرق او بالجرح فهو حرام لان الاصل الحرمة ومثال عكسه ما اذا علق رجلان طلاق زوجتيهما بطائر فقال احدهما ان كان هذا فامرأته طالق وقل الآخران لم يكن فكذلك والتبس فالحكم للحل والورع لايخفى فان غاب احدهما فالحكم للغالب كما اذا رمى الى صيد فغاب ثم ادركه ميتا واحتمل موته بسبب آخر ولم يظهر فحلال اوغلب على ظنه نجاسة احد الا نائين بعلامة فنجس ومن جملة الشبهات ان يشترى شيئا فى الذمة ويقضى ثمنه من مال حرام . ثم لما كان سياق الكلام وتفصيل الاحكام للارشاد الى التحرز من الحرام البين وذلك لايحصل الا بالانتهاء عنه وعن المشتبه قال (فمن اتقى الشبهات استبرأ لدينه وعرضه) اى حصل البراءة لدينه من الذم الشرعى وحمى عرضه من وقوع الناس فيه لاتهامهم اياه بموافقة المحظورات اذا لم يتق الشبهات والعرض موضع المدح والذم من الانسان سواء كان فى نفسه او سلفه (ومن وقع فى الشبهات وقع فى الحرام) لان من سهل على نفسه ارتكاب الشبهات افضاه الحال متدرجا الى ارتكاب المحرمات المقطوع بحرمتها او ارتكاب المحرمات فى الجملة لان الذى ارتكبها من المشتبه ربما كان حراما فيقع فيه بخلاف المحتاط والحديث طويل اختصره المصنف وجمعه مع ﴿فدع ماريبك الى مالايريبك﴾ وهومروى عن ابن عمر والحسن بن على رضى الله عنهم قال العلامة اى اترك ماتشك فيه من الاقوال والافعال انه منهى عنه اولا اوسنة او بدعة واعدل اى مالاتشك فيه منهما والمقصود ان يبين المكلف امره على اليقين البحت والتحقيق الصرف ويكون على بصيرة فى دينه والريب الشك اوالشك مع التهمة وحقيقة الريبة قلق النفس واضطرابها ومنه دع ماريبك فان الشك ريبة وان الصدق طمانينة فان كون الامر مشكوكا فيه مماتقلق له النفس ولاتستقر وكونه صحيحا صادقا مماتطمئن له وتسكن ﴿ فانك لن تجد فقد شئ تركته لله ﴾ مما يريب بل توجر على تركه وقال ابو بكر الصديق رضى الله عنه كنا ندع سبعين بابا من الحلال مخافة ان نقع فى باب من الحرام ﴿وسئل رسول الله صلى الله عليه وسلم عن الزهد فقال ﴾ كما رواه الترمذى وابن ماجة عن ابى ذر الغفارى رضى الله عنه ولعله السائل ﴿ اما انه ليس باضاعة المال ﴾ بالاسراف والتبذير ﴿ وتحريم الحلال ﴾ على نفسك كأن لاتأكل لحما ولا تنكح مع القدرة ﴿ ولكن ﴾ الزهادة

(فى الدنيا)

فى الدنيا ﴿ ان تكون بما بيد الله اوثق منك بما فى يديك ﴾ من المال ﴿ وان يكون ثواب المصيبة ﴾ اذا انت اصبت بها ﴿ ارجح عندك من بقاء ها ﴾ اى بقاء النعمة التى اصبت بها فالزهادة استواء الوثوق بما قسمه الله تعالى مما حصل فى يديك ومالم يحصل وكونك فى ثواب المصيبة فى ابتدائها ارغب منك فى ثوابها فى دوامها وقال الحفنى اى اذا نزل بمالك مصيبة كسرقة وغرق كنت على غاية من الرضاء بحيث انك اكثر من سلامته بان تقول لو بقى مالى يحتمل انى لا افعل منه خيرا فلا اثاب عليه بخلاف تلفه فى ذلك فانى اثاب عليه بالصبر اى فتعتقد ان الثواب الذى اعده الله تعالى لك بسبب زوال المال خير لك من بقائه وهذا هو الايمان الكامل انتهى وقد قالوا القلب كالسفينة فكلما كثر تحتها الماء كثر امن اهلها ونجاتهم وان هجم الماء فى باطنها تغرقهم ﴿ وحكى عبدالله بن المبارك قال كتب عمر بن عبدالعزيز الى الجراح بن عبدالله الحكمى ﴾ وقد كان ولاه على خراسان ثم ولاه يزيد بن عبدالملك على ارمينية وفتح كثيرا من بلاد القفقاس من القلاع والمدن ﴿ ان استطعت ان تدع مما احل الله لك مايكون حاجزا بينك وبين الحرام فافعل ﴾ ذلك كما فعله الصديق ﴿ فانه من استوعب الحلال تاقت نفسه الى الحرام ﴾ اى اشتاقت ومالت اليه اشد الميل ﴿ وقد اختلف اهل التأويل فى قوله تعالى ﴾ فى طه ومن اعرض عن ذكرى ﴿ فان له معيشة ضنكا ﴾ قال الزمخشرى الضنك مصدر يستوى فى الوصف به المذكر والمؤنث ومعنى ذلك ان مع الدين التسليم والقناعة والتوكل على الله وعلى قسمته وصاحبه ينفق مارزقه بسماح وسهولة فيعيش عيشا رافغا كما قال عز وجل فلنحيينه حياة طيبة والمعرض عن الدين مستول عليه الحرص الذى لايزال يطمح به الى الازدياد من الدنيا مسلط عليه الشح الذى يقبض يده عن الانفاق فعيشه ضنك وحاله مظلمة كما قال بعض المتصوفة لايعرض احد عن ذكر ربه الا اظلم عليه وقته وتشوش عليه رزقه ومن الكفرة من ضرب الله عليه الذلة والمسكنة بكفره قال الله ضربت عليهم الذلة والمسكنة وباؤا بغضب من الله ذلك بانهم كانوا يكفرون بآيات الله وقال ولو ان اهل القرى آمنوا واتقوا لفتحنا عليهم بركات من السماء والارض وعن الحسن هو الضريع والزقوم فى النار وعن ابى سعيد الخدرى عذاب القبر انتهى ﴿ فقال عكرمة يعنى كسبا حراما وقال ابن عباس رضى الله عنهما هو ﴾ اى الضنك ﴿ انفاق من لا يوقن بالخلف ﴾ بامثاله كما قال تعالى ومن الاعراب من يتخذ ماينفق مغرما اى غرامة وخسرانا ﴿ وقال يحيى بن معاذ ﴾ الرازى الواعظ من رجال الرسالة القشيرية ﴿ الدرهم اقرب فان احسنت رقيتها فخذ والافلا ﴾ تأخذها والرقية بضم فسكون اسم بمعنى العوذة وقالوا رقية المال خمسة اشياء (١) ان يعلم ان المال خلق ليكون آلة المسافرة الى الآخرة وزاد العقبى (٢) ان يحفظ وجوه الدخل حتى لايكون من الحرام والشبهة (٣) ان يكتفى بمقدار الحاجة (٤) ان يضبط وجوه اخراجاته حتى لاينفقه فى معصية (٥) ان يصحح نيته فى الدخل والخرج فيمسك مايمسك بنية فراغ القلب الى العبادات وينفق ماينفق بنية الزهد والاستهانة بالدنيا ويحفظ لنوائب الدين وحوادث الاسلام فمن جمع بهذه النية فلا يضره جمع المال كما فى مفيد العلوم ﴿ وقيل من قل توقيه كثرت مساويه وقال بعض البلغاء خير الاموال ما اخذته من الحلال وصرفته فى النوال ﴾ اذلا يعاقب على اخذه ويثاب على صرفه ﴿ وشر

الاموال ما اخذته من الحرام وصرفته فى الآثام ﴾ اذ يعاقب عليهما كمن سرق وزنى اوشرب خمرا ﴿ وكان الاوزاعى الفقيه ﴾ عبدالرحمن بن عمرو ﴿ كثيرا مايتمثل بهذه الابيات ﴾ من الكامل ﴿ المال ينفد حله وحرامه . يوما ويبقى بعد ذاك اثامه ﴾ اى عقوبته وجزاؤه وهو حساب الحلال وعقاب الحرام ﴿ ليس التقى بمتق لالهه. حتى يطيب شرابه وطعامه ﴾ روى مسلم عن ابى هريرة رضى الله عنه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم (ان الله طيب) اى منزه عن النقائص مقدس عن الآفات والعيوب متصف بجميع صفات الكمال (لايقبل الاطيبا) اى لاينبغى ان يتقرب اليه الا بما يكون طاهرا حلالا من خيار المال (وان الله تعالى امر المؤمنين بما امر به المرسلين) يعنى لافرق بين الرسل والامم فى طلب الحلال واجتناب الحرام (فقال تعالى يا ايها الرسل كلوا من الطيبات) اى من الحلالات اوالمستلذات وقدمه على قوله (واعملوا صالحا) ليكون اشارة الى ان العمل الصالح لابد وان يكون مسبوقا باكل الحلال (ثم ذكر الرجل) يريد ابوهريرة ان رسول الله صلى الله عليه وسلم عقب كلامه بذكر الرجل الموصوف استبعادا لان الله لايقبل دعاء آكل الحرام لبعد مناسبته عن جنابه الاقدس لتكدر وقته وتسود قلبه باكل الحرام (يطيل السفر) صفة للرجل لانه فى المعنى كالنكرة اى يطيل السفر فى العبادات كالحج والجهاد والتعلم (اشعث اغبر) اى متفرق الشعر مغبر الوجه حالان مترادفان من فاعل يطيل (يمديديه الى السماء) حال من ضمير اشعث اى يرفعهما قائلا (يارب يارب) يعنى ان هذه الحالة دالة على غاية استحقاق الداعى للاجابة ومع هذا لايستجاب دعاؤه فما بال غيره (ومطعمه حرام ومشربه حرام وملبسه حرام وغذى بالحرام فانى يستجاب) الدعاء (لذلك) الرجل كما فى الاربعين للنووى ﴿ ويطيب مايجنى ويكسب اهله ﴾ الجنى تناول الثمرة من شجرتها واراد به مطلق الكسب اى يطيب مايكسب اهله ﴿ ويطيب من لفظ الحديث كلامه ﴾ بيان للكلام اى حتى يطيب كلامه بان يتلفظ بالرفق والبشر والصدق كما روى عن على رضى الله عنه فى صفته للنبى صلى الله عليه وسلم لم يكن فاحشا ولا متفحشا ولاصخابا فى الاسواق ﴿ نطق النبى لنا به عن ربه . فعلى النبى صلاته وسلامه ﴾ اى حدثنا عن الله جل ذكره ما ذكر من طيب الطعام ولين الكلام فعليه صلاة الله وسلامه ﴿ وحكى عن ﴾ بشر ﴿ ابن المعتمر السلمى ﴾ من البلغاء والمتكلمين ينسب اليه البشرية من المعتزلة ﴿ قال الناس ثلاثة اصناف اغنياء وفقراء واوساط فالفقراء موتى الا من اغناه الله بعز القناعة والاغنياء سكارى الا من عصمه الله تعالى بتوقع الغير ﴾ بقضاء حوائجهم ﴿ واكثر الخير مع اكثر الاوساط واكثر الشر مع اكثر الفقراء والاغنياء لسخف الفقر وبطر الغنى ﴾ اى سكره من سروره الكثير ﴿ والامر الثانى ان يقتصر عن طلب كفايته ويزهد فى التماس مادته وهذا التقصير قد يكون على ثلاثة اوجه فيكون تارة كسلا وتارة توكلا وتارة زهدا وتقنعا فان كان تقصيره لكسل فقد حرم ثروة النشاط ومرح الاغتباط ﴾ اى نشاطه وسروره ﴿ فلن يعدم ان يكون كلا قصيا ﴾ اى متناهيا فى الكلالة والثقلة ﴿ اوضائعا شقيا ﴾ لانه اما يكون له من يقوم بمؤنته فيكون كلا عليه اولا يكون فاما ان يسرق اويقمر ﴿ وقد روى ﴾ على ما روى ابو نعيم عن انس ﴿ عن النبى صلى الله عليه وسلم انه قال كاد الحسد ان يغلب القدر ﴾

فيمنعه قبل وقوع المقدر ولذا ورد استعينوا على قضاء الحوائج بالكتمان اى لئلا يعطله حسد الحاسد وبعد وقوع المقدر فالتحديث به ﴿ وكاد الفقر ﴾ اى الاحتياج الى مالا بد منه ﴿ ان يكون كفرا ﴾ اى قارب ان يوقع فى الكفر لانه يحمل على عدم الرضاء بالقضاء والتسخط على الرازق ونحوه ﴿ وقال برزجمهر ان كان شئ فوق الحياة فالصحة ﴾ اى فذلك الشئ الصحة اذ لاينال لذائذ الحياة الا بها ﴿ وان كان شئ مثلها فالغنى وان كان شئ فوق الموت فالمرض ﴾ لان بعض المرضى يتمنى الموت ليستريح ﴿ وان كان شئ مثله ﴾ اى مثل الموت ﴿ فالفقر ﴾ لحرمان كل منهما عن العبادة المالية ﴿ وقيل فى منثور الحكم القبر خير من الفقر ﴾ لعدم الاحتياج فيه الى المأكل والملبس ﴿ ووجد فى نيل مصر ﴾ اى نهرها الكبير ﴿ مكتوب على حجر ﴾ من الرمل ﴿ عقب الصبر نجاح وغنى. ورداء الفقر من نسج الكسل ﴾ فقبح الله الناسج والمنسوج واللابس وقال على رضى الله عنه التوانى مفتاح البؤس وبالعجز والكسل تولدت الفاقة ونتجت الهلكة ومن لم يطلب لم يجد ﴿ وقال بعض الشعراء ﴾ من الطويل ﴿ اعوذ بك اللهم من بطر الغنى. ومن نهكة البلوى ومن ذلة الفقر ﴾ يقال نهكته الحمى اذا اضنته وهزلته وجهدته والبلوى اسم بمعنى المحنة والمصيبة وقد كان النبى صلى الله عليه وسلم يقول (اللهم انى اعوذ بك من الكسل والهرم والمأثم والمغرم) وهذا تعليم او اظهار للعبودية والافتقار (ومن فتنة القبر وعذاب القبر) وهى السؤال (ومن فتنة النار) وهى سؤال الخزنة على وجه التوبيخ (وعذاب النار ومن شر فتنة الغنى) وهى البطر والطغيان والتفاخر به وصرف المال الى المعاصى واخذه من الحرام وان لا يؤدى حقه (واعوذ بك من فتنة الفقر) وهى حسد الاغنياء والطمع فى مالهم والتذلل لهم وعدم الرضاء بالمقسوم (واعوذ بك من خيبة الرجاء ودرك الشقاء وشماتة الاعداء) كما فى الجامع الصغير ﴿ ومن امل يمتد فى كل شارق ﴾ اى لامع كالشمس ﴿ يرجعنى منه بحظ يد صفر ﴾ اى يردنى ذلك اللامع خالى اليد واليد بدل من الحظ فالشاعر اخذه من الحديث ﴿ اذا لم تدنس الذنوب بعارها ﴾ فى الدنيا وعقابها فى الآخرة ﴿ فلست ابالى ماتشعث من امرى ﴾ اى تفرق وخرج عن انتظامه وقال الحريرى * لاتقعدن على ضرو مسبغة . لكى يقال عزيز النفس مصطبر * وانظر بعينك هل ارض معطلة. من النبات كارض حفها الشجر * فعد عما تشير الاغبياء به . فاى فضل لعود ماله ثمر * وارحل ركابك عن ارض ظمئت به . الى الجناب التى يهمى به المطر * واستنزل الرى من در السحاب فان . بلت يداك به فليهنك الظفر * وان رددت فما فى الرد منقصة . عليك قد رد موسى قبل والخضر ﴿ وان كان تقصيره لتوكل فذلك عجز ﴾ قبيح ﴿ قد اعذر به نفسه وترك حزم قد غير اسمه ﴾ وتغيير الاسم يشوش المسمى ولا يخرجه عن حقيقته كما روى البخارى عن ابن عباس رضى الله عنهما قال كان اهل اليمن يحجون ولا يتزودون) يقولون نحج بيت الله افلا يطعمنا (ويقولون نحن المتوكلون) على الله تعالى (فاذا قدموا مكة سألوا الناس) الزاد (فانزل الله تعالى وتزودوا فان خير الزاد التقوى) وليس فيه ذم التوكل لان مافعلوه تأكل لاتوكل لان التوكل قطع النظر عن الاسباب مع تهيئتها لاترك الاسباب فدفع الضرر الواقع او المتوقع لاينافى التوكل بل هو واجب كالهرب من الجدار الهاوى واساغة اللقمة بالماء والتداوى انتهى ﴿ لان الله تعالى امرنا

بالتوكل عند انقطاع الحيل ﴾ باستعمال جميع الاسباب الممكنة ﴿ والتسليم الى القضاء بعد الاعذار ﴾ اى بعد تقديم مواد العذر ولا يتمكن كل فرد على تأمل جميع المقدمات واستحضارها ولذا امر بالاستشارة وقدمها على التوكل فقال وشاورهم فى الامر فاذاعزمت فتوكل على الله ﴿ وقدروى معمر ﴾ بن ابى عمر بن راشد الازدى مولاهم عالم اليمن سمع خلقا من التابعين وعنه خلق منهم ﴿ عن ايوب ﴾ السختيانى ﴿ عن ابى قلابة ﴾ بكسر القاف واسمه عبدالله بن زيد بن عمرو سمع انسا وغيره من الصحابة واتفق على توثيقه ﴿ قال ذكر عند النبى صلى الله عليه وسلم رجل فذكر فيه خير ﴾ فالماضى للحكاية فيهما ﴿ فقالوا يارسول الله خرج معنا حاجا فاذا نزلنا منزلا لم يزل يصلى حتى نرحل فاذا ارتحلنا لم يزل يذكرالله عز وجل حتى ننزل فقال صلى الله عليه وسلم فمن كان يكفيه علف ناقته وصنع طعامه قالوا كلنا يارسول الله قال كلكم خير منه ﴾ لعدم كونكم كلا على غيركم اولانه رائى بعمله ليستخدمكم فهو غير مأجور فى عمله وانتم مأجورون فى خدمتكم ﴿ وقال بعض الحكماء ليس من توكل المرء اضاعته للحزم ولا من الحزم اضاعة نصيبه من التوكل ﴾ باعتماد الاسباب قال رجل للحسن انى اشترمصحفى فاقرؤه بالنهار كله قال اقرأه بالغداة والعشى وليكن يومك فى صنعتك ومالابد منه فان الله يحب من يعمل ويأكل ولايحب من يأكل ولايعمل ﴿ وان كان تقصيره لزهد وتقنع فهذه حال من علم بمحاسبة نفسه بتبعات الغنى والثروة وخاف عليها بوائق الهوى والقدرة ﴾ جمع بائقة وهى الآفة والداهية ﴿ فآثر الفقر على الغنى وزجر النفس عن ركوب الهوى ﴾ اى اتباعه بعدم احضار سببه ﴿ فقد روى ابو الدرداء ﴾ على ماروى الحاكم عنه ﴿ رضى الله عنه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم مامن يوم طلعت فيه شمسه الاوعلى جنبتيها ﴾ تثنية جنبة وهى الناحية ﴿ ملكان يناديان ﴾ نداء ﴿ يسمعهما خلق الله كلهم الاالثقلين ﴾ اى غيرالانس والجن ﴿ يا ايها الناس هلموا الى ربكم ﴾ اى تعالوا الى كلامه ﴿ ان ماقل ﴾ من الدنيا ﴿ وكفى ﴾ الانسان لمؤنته ومؤنة من يمونه ﴿ خير مما كثر والهى ﴾ عن ذكرالله والدار الآخرة لان الاستكثار من الدنيا يورث الهم والغم والقسوة ﴿ وروى زيد بن على بن الحسين ﴾ بن على بن ابى طالب وهو ابو الحسين العلوى المدنى اخو محمد الباقر روى عن ابيه وغيره واستشهد سنة اثنتين وعشرين ومأة ﴿ عن ابيه ﴾ على زين العابدين ﴿ عن جده ﴾ الحسين رضى الله عنهم ﴿ انه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم انتظار الفرج من الله بالصبر ﴾ على المكروه وترك الشكاية ﴿ عبادة ﴾ لان اقباله على ربه وتفريج كربه وتفويض اموره اليه سبحانه وعدم شكواه لمخلوق يدل على قوة يقينه وذلك من اعلى مراتب العبادة ﴿ ومن رضى عن الله عز وجل بالقليل من الرزق ﴾ فصبر وشكر ﴿ رضى الله عز وجل منه بالقليل ﴾ قال المناوى لايعاتبه على اخلاله من نوافل العبادات ﴿ وروى عن عمر بن الخطاب رضى الله عنه انه قال من نبل الفقر ﴾ بضم فسكون اى من فضله ﴿ انك لاتجد احدا يعصى الله ﴾ بالظلم والغصب والسرقة والميسر والازلام والغبن وسائر العقود الفاسدة ونحوها ﴿ ليفتقر فاخذه محمود الوارق وقال ﴾ من السريع ﴿ يا عائب الفقر الا تزدجر . عيب الغنى اكثر لو تعتبر ﴾ الاستفهام للاستبطاء بمعنى اماتفزع من تعييرالفقر ﴿ من شرف الفقر ومن فضله . على الغنى ان صح منك النظر ﴾ واكتساب

(مجهول)

مجهول بمعلوم وذلك النظر قوله ﴿ انك تعصى لتنال الغنى . ولست تعصى الله كي تفتقر ﴾
وقال ابن المقفع ﴿ ابو محمد عبدالله بن داذبه كان من مجوس فارس فاسلم وكان كاتب المنصور
وهو اول من هذب المنطق وترجم كتاب كليلة ودمنة الى العربية وكان افصح وقته ومن جملة
قوم زنادقة كانوا يجتمعون لذكر مطاعن القرآن وصياغة هذيان يعارضونه بها الى ان مر بصبي
وهو يقرأ وقيل يا ارض ابلعي ماءك فمحى ما عمله وجمعه للمعارضة وقال اشهد ان هذا لا يعارض
وما هو من كلام البشر . قتله المنصور ﴿ دليلك ﴾ مبتدأ وخبره لقاؤك . على ﴿ ان الفقر خير
من الغنى . و ﴾ على ﴿ ان قليل المال خير من المثرى ﴾ اى من المال الكثير ﴿ لقاؤك مخلوقا
عصى الله بالغنى . ولم تر مخلوقا عصى الله بالفقر ﴾ اى بسبب غناه وبسبب فقره الموجودين
وفى قوله دليلك ايماء الى معارضة مع اعتراف فضل الفقر من ذلك الوجه وبه يتم الاستشهاد
يعنى ولا يلزم من عدم رؤيتك عصيان الفقير عدم عصيانه اصلا لان حب الفقر يعمى عن
مساويه فرؤيتك عصيان الغنى لظهور فسقه او لبغضك الغنى وعدم رؤيتك معصية لفقير لحبك
الفقر اولعدم ظهورها لا لعدم وجودها كما يدل عليه كاد الفقر ان يكون كفرا والحاصل ان
بعض الغنى سبب عصيان وكذا تحصيله وبعض الفقر سبب عصيان لا تحصيله ﴿ وهذه الحال ﴾
وهى التقصير لزهد ﴿ انما تصح لمن اصح نفسه فاطاعته وصدقها فاجابته ﴾ اى حملها ودعاها
الى الصدق فاجابته نفسه ﴿ حتى لان قيادها وهان عنادها وعلمت ﴾ نفسه ﴿ ان من لم يقنع
بالقليل لم يقنع بالكثير كما كتب الحسن البصرى الى عمر بن عبدالعزيز رضى الله عنهما يا اخى ﴾
فى الله ﴿ من استغنى بالله ﴾ بالقناعة بما قسمه ﴿ اكتفى ومن انقطع ﴾ عن الله ﴿ و اتصل
﴾ الى غيره ﴾ طمعا بما عنده ﴿ تعنى ﴾ اى كد كثيرا ﴿ ومن كان من قليل الدنيا لا يشبع
لم يغنه منها كثرة ما يجمع ﴾ لان النفس الجهنمية تنادى هل من مزيد وليس لطالب الزيادة
حد يقف عنده ﴿ فعليك منها بالكفاف والزم نفسك العفاف واياك وجمع الفضول فان حسابه
يطول . وقال بعض الحكماء هيهات منك الغنى ان لم يقنعك ما حويت ﴾ مما يكفيك ومن حسن
اسلام المرء تركه مالا يعنيه وقال بشر لو لم يكن فى القناعة الا التمتع بالعز لكفى وقال آخر
انتقم من الحرص بالقناعة كما تنتقم من عدوك بالقصاص وقال على رضى الله عنه القناعة سيف
لا ينبو ولقد احسن من قال * يا احمد اقنع بالذى اوتيته . ان كنت لا ترضى لنفسك ذلها *
واعلم بان الله جل جلاله . لم يخلق الدنيا لاجلك كلها ﴿ فاما من اعرضت نفسه عن قبول
نصحه وجمحت به عن قناعة زهده ﴾ يقال جمح الفرس اذا اعتز فارسه وغلب عليه ﴿ فليس
الى اكراهها سبيل ولا للحمل عليها وجه الا بالرياضة والمرونة ﴾ من مرن على الشئ اذا
لعوده حتى لان صلابته ﴿ و ﴾ رياضتها ﴿ ان يستنزلها الى اليسير الذى لا تنفر منه ﴾ اشد
النفور ﴿ فاذا استقرت عليه انزلها الى ما هو اقل منه ﴾ اى من ذلك اليسير وهكذا ﴿ لتنتهى
بالتدريج الى الغاية المطلوبة وتستقر بالرياضة والتمرين على الحال المحبوبة وقد تقدم قول الحكماء
ان المكروه يسهل بالتمرين ﴾ ويصير التطبع طباعا والتكلف هوى مطاعا ﴿ فهذا ﴾ المذكور.
وهو كون التقصير لكسل اوتوكل مقدوحا ولزهد بالطبع او لتقنع ممدوحا ﴿ حكم ما فى
الامر الثانى من التقصير عن طلب الكفاية * واما الامر الثالث فهو ان لا يقنع بالكفاية

ويطلب الزيادة والكثرة فقد يدعو الى ذلك اربعة اسباب ﴾ اى لا يخلو عن واحد منها ﴿ احدها منازعة الشهوات التى لاتنال الا بزيادة المال وكثرة المادة فاذا نازعته الشهوة طلب من المال مايوصله اليها ﴾ اى كلما نازعته شهوة طلب المال ﴿ وليس للشهوات ﴾ والسفاهة ﴿ حد متناه ﴾ تقف عنده ﴿ فيصير ذلك ﴾ النزاع ﴿ ذريعة الى ان ما يطلبه من الزيادة غير متناه ومن لم يتناه طلبه استدام كده وتعبه ولم يف التذاذه بنيل شهواته بما يعانيه من استدامة كده واتعابه ﴾ وهذا خسرانه فى حكم العقل واما فى حكم الشرع فما افاد بقوله ﴿ مع ما قد لزمه من ذم الانقياد لمغالبة الشهوات ﴾ اى للتسابق بالشهوات ﴿ والتعرض لاكتساب التبعات حتى يصير كالبهيمة التى قد انصرف طلبها الى ما تدعو اليه شهوتها فلاتنزجر عنه بعقل ولا تنكف عنه بقناعة ﴾ كما قال الله تعالى فخلف من بعدهم خلف اضاعوا الصلاة واتبعوا الشهوات فسوف يلقون غيا ﴿ وقد روى عن على رضى الله عنه عن النبى صلى الله عليه وسلم انه قال من اراد الله به خيرا حال بينه وبين شهوته وحال بينه وبين قلبه ﴾ فيذكره عقابه ويمنعه عن شهوته وقال تعالى واعلموا ان الله يحول بين المرء وقلبه يعنى انه يحييه لطاعته او يميته لمعصيته فتفوته الفرصة التى هو واجدها وعن ام سلمة اذا اراد الله بعبد خيرا جعل له واعظا من نفسه يأمره بامتثال الاوامر وينهاه عن الممنوعات الشرعية ويذكره بالعواقب الردية ﴿ واذا اراد به شرا وكله الى نفسه ﴾ الامارة بالسوء ﴿ وقد قال الشاعر ﴾ وهو حاتم * اكف يدى من ان تنال تماسها . اكف صحابى حين حاجاتنا معا * ابيت هضيم الكشح مضطرم الحشى . من الجوع اخشى الذم ان اتضلعا * وانى لاستحى رفيقى ان يرى . مكان يدى من جانب الزاد اقرعا ﴿ وانك ان اعطيت بطنك سؤله ﴾ اى مسؤله ويرى همه ﴿ وفرجك نالا منتهى الذم اجمعا ﴾ ولقد صدقه الوحى وقال الله تعالى اولئك كالانعام بل هم اضل وذلك منتهى الذم ﴿ والسبب الثانى ان يطلب الزيادة ويلتمس الكثرة ليصرفها فى وجوه الخير ويتقرب بها فى جهات البر ويصطنع بها المعروف ويغيث بها الملهوف ﴾ اى ينصر ويعين بها المضطر المحزون المتحسر ﴿ فهذا اعذر وبالحمد احرى واجدر اذا انصرفت عنه تبعات المطالب وتوقى شبهات المكاسب ﴾ جمع مكسوب اومكسب مصدرا وكذا المطالب ﴿ واحسن التقدير فى حالى فائدته وافادته ﴾ اى اخذه واعطائه ﴿ على قدر الزمان وبقدر الامكان لان المال ﴾ اللام متعلق بقوله احرى واعذر ﴿ آلة للمكارم وعون على الدين ﴾ لان الحج والزكاة والجهاد موقوفة على المال ﴿ ومتألف للاخوان ﴾ اذ به التهادى واكرام الزائر ﴿ ومن فقده من اهل الدنيا ﴾ خصصهم بعد التعميم اذ لا يشمل اهل الآخرة حكم قوله ﴿ قلت الرغبة فيه والرهبة منه ومن لم يكن منهم بموضع رهبة ولا رغبة استهانوا به وقد روى عبدالله بن بريدة عن ابيه ﴾ بريدة بن خصيب الاسلمى ولم يزل عبدالله قاضيا بمرو ﴿ قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ان حساب اهل الدنيا هذا المال ﴾ فمن لا مال له لا يحسبونه منهم ولذا استهانوا به ﴿ وقال مجاهد الخير ﴾ الوارد ﴿ فى القرآن كله المال ﴾ كالعرف الخاص فيه فمنه قوله تعالى ﴿ وانه ﴾ اى الانسان ﴿ لحب الخير لشديد يعنى المال ﴾ من قوله تعالى ان ترك خيرا والشديد البخيل الممسك يعنى وانه لاجل حب المال وان انفاقه يثقل عليه لبخيل ممسك

اواراد بالشديد القوى وانه لحب المال وايثار الدنيا وطلبها قوى مطيق وهو لحب عبادة الله وشكر نعمته ضعيف متقاعس ﴿ و ﴾ فى ص فقال انى ﴿ احببت حب الخير عن ذكر ربى يعنى المال ﴾ فى الكشاف احببت مضمن معنى فعل يتعدى بعن اى انبت حب الخير عن ذكر ربى اوجعلت حب الخير مجزئا ومستغنيا عن ذكر ربى اى الصلاة ﴿ و ﴾ منه فى النور (والذين يبتغون الكتاب) اى المكاتبة كالعتاب والمعاتبة وهو ان يقول الرجل لمملوكه كاتبتك على الف درهم فان اداها عتق ومعناه كتبت لك على نفسى ان تعتق منى اذا وفيت بالمال وكتبت لى على نفسك ان تفى بذلك اوكتبت عليك الوفاء بالمال وكتبت على العتق (مماملكت ايمانكم ﴿ فكاتبوهم ﴾ وهذا الامر للندب عند عامة العلماء وعن الحسن رضى الله عنه ليس ذلك بعزم ان شاء كاتب وان شاء لم يكاتب وعن عمر رضى الله عنه هى عزمة من عزمات الله وعن ابن سيرين مثله وهو مذهب داود ﴿ ان علمتم فيهم خيرا يعنى مالا ﴾ وقدرة على اداء مايفارقون عليه وقيل امانة وتكسبا وعن سلمان رضى الله عنه ان مملوكاله ابتغى ان يكاتبه فقال اعندك مال قال لا قال افتأمرنى ان آكل غسالة ايدى الناس ﴿ وقال شعيب النبى عليه السلام ﴾ فى هود ولا تنقصوا المكيال والميزان ﴿ انى اراكم بخير يعنى المال ﴾ يريد بثروة وسعة تغنيكم عن التطفيف اواراكم بنعمة من الله حقها ان تقابل بغير ماتفعلون ﴿ وانما سمى الله تعالى المال خيرا اذا كان فى الخير مصروفا لان ما ادى الى الخير فهو فى نفسه ﴾ خير وللاسباب حكم المسببات ﴿ وقد اختلف اهل التأويل فى قوله تعالى ﴾ فى البقرة ﴿ ومنهم من يقول ربنا آتنا فى الدنيا حسنة وفى الآخرة حسنة وقنا عذاب النار ﴾ قال الزمخشرى والحسنتان ماهو طلبة الصالحين فى الدنيا من الصحة والكفاف والتوفيق فى الخير وطلبتهم فى الآخرة من الثواب وعن على رضى الله عنه الحسنة فى الدنيا المرأة الصالحة وفى الآخرة الحوراء وعذاب النار المرأة السوء انتهى ﴿ فقال السدى ﴾ بضم فتشديد كان يجلس فى سدة باب الجامع وهما اثنان كبير وصغير فالكبير هو اسماعيل بن عبدالرحمن بن ابى بكرة السدى الكوفى يروى عن ابن عباس وانس وطائفة وعنه زائدة واسرائيل وابو بكر بن عياش وخلق وهو حسن الحديث اخرج له مسلم والاربعة واما الصغير فهو محمد بن مروان الكوفى روى عن هشام بن عروة والاعمش تركوه واتهمه بعضهم وهو صاحب الكلبى ﴿ وعبدالرحمن بن زيد الحسنة فى الدنيا المال وفى الاخرة الجنة وقال الحسن البصرى وسفيان الثورى الحسنة فى الدنيا العلم والعبادة وفى الآخرة الجنة وقال ابن عباس رضى الله عنهما الدراهم والدنانير خواتم الله فى الارض لاتؤكل ولاتشرب حيث قصدت بها قضيت حاجتك ﴾ ورواه الطبرانى عن ابى هريرة مرفوعا قال محمود الشيرازى العلامة * يقولون كافات الشتاء كثيرة . وماهى الاواحد غير مفترى * اذا صح كاف الكيس فالكل حاصل . لديك وكل الصيد يوجد فى الفراء * وفى معناه لابى الحسين الجزار (١) وكافات الشتاء يعد سبعا . ومالى طاقة بلقاء سبع * اذا ظفرت بكاف الكيس كفى . ظفرت بفرد يأتى بجمع ﴿ قال قيس بن سعد ﴾ بن عبادة ابو عبدالله الخزرجى وهو صاحب الشرطة للنبى صلى الله عليه وسلم روى عنه الشعبى وطائفة وكان ضخما مفرط الطول نبيلا جميلا جوادا سيدا من ذوى الرأى والدهاء والتقدم وهو

(١) معارضتان لما ذكره الحريرى عن ابن سكرة . جاء الشتاء وعندى من حوائجه . سبع اذا القطر عن حاجاتنا حبسا . كن وكيس وكانون وكأس طلاء بعد الكباب وكس ناعم وكساء . منه

سيدالخزرج وكان شريف قومه ليس فى وجهه شعر ولا لحية وكانت الانصار تقول لوددنا لو نشترى لقيس لحية باموالنا وكان مع ذلك جميلا وكان اسود اللون توفى بالمدينة فى آخر خلافة معاوية ﴿ اللهم ارزقنى حمدا ومجدا فانه لا حمد الا بفعال ولا مجد الا بمال ﴾ فاخذه المتنبى وقال * لولا المشقة سادالناس كلهم . الجود يفقر والاقدام قتال ﴿ وقد قيل لابى ﴿ الزناد ﴾ بكسر الزاى عبدالله بن ذكوان المدنى القرشى وقد اتفق على امامته وجلالته وروى عنه جماعات من التابعين وهذا من فضائله لانه لم يسمع من الصحابة وولاه عمر بن عبدالعزيز خراج العراق وقال البخارى اصح اسانيد ابى هريرة ابوالزناد عن الاعرج عن ابى هريرة ﴿ لم تحب الدراهم وهى تدنيك من الدنيا فقال هى وان ادنتنى منها فقد صانتنى عنها ﴾ اى عن مصائبها ومتاعبها ومعاتبها ﴿ وقال بعض الحكماء من اصلح ماله فقد صان الاكرمين الدين والعرض ﴾ بدلان من الاكرمين والعرض النفس وفلان نقى العرض اى برئ من ان يشتم ويعاب فهو ما يتعلق به المدح والذم ﴿ وقيل فى منثور الحكم من استغنى كرم على اهله ومر رجل من ارباب الاموال ببعض العلماء فتحرك له واكرمه فقيل له بعد ذلك اكانت لك الى هذا حاجة قال لاولكنى رأيت ذا المال مهيبا ﴾ وقال حكيم لابنه يابنى او صيك بطلب المال فلولم يكن الا انه عز فى قلبك وذل فى قلب عدوك وقال آخر لابنه يابنى اوصيك باثنتين لن تزال بخير ماتمسكت بهما در همك لمعاشك ودينك لمعادك ﴿ وسأل رجل ﴾ وفى البيان ومشى رجال من بنى تميم الى ﴿ محمد بن عمير بن عطارد وعتاب بن ورقاء فى عشر ديات فقال محمد على دية ﴾ واحدة ﴿ وقال عتاب الباقى على ﴾ وهو تسع ديات ﴿ فقال محمد نعم العون اليسار على المجد وقال الاحنف بن قيس ﴾ من المتقارب ﴿ فلو مد سروى بمال كثير . لجدت وكنت له باذلا ﴾ السرو اسم شجر معروف ومصدر سرو الرجل اذا كان ذامروءة فى شرف واصالة يعنى لومد وازديد شرفى ومروءتى الظاهر كالسرو بمال كثير لسمحت وبذلت ذلك الكثير فازددت شرفا ولكن اين الكثير فمعنى البيت تأسف وتلهف على عدمه فكأنه قيل اليس الجود بذل الموجود فاشار الى التفاوت بينهما بقوله ﴿ فان المروءة لاتستطاع . اذا لم يكن مالها فاضلا ﴾ تنوينه للتكثير واضافة المال الى ضمير المروءة باعتباران المال بدلها وعوضها يعنى ان المروءة نفيسة وغالية جدا لايمكن مساومتها الا بمال كثير وتفصيله فى المروءة ﴿ وكان يقال الدراهم مراهم لانها تداوى كل جرح ويطيب بها كل صلح ﴾ قال ابن رشيق صديق المرء كالدينار طبعا . وكيف يفارق المرء الطباعا * تراه اذا اقام يقيم جاها . وان فارقته اجدى انتفاعا ﴿ وقال ابن الجلال * رزقت مالا ولم ترزق مروءته . وما المروءة الا كثرة المال ﴾ وفى البيان رزقت لبا ولم ارزق وهو الملائم لقوله ﴿ اذا اردت رقى العلياء يقعدنى . عما ينوه باسمى رقة الحال ﴾ وفيه اذا اردت مساماة تقاعدنى . والمساماة المفاخرة من جهة علو الشان يقال نوهه وبه اذا رفعه بالمدح والتعظيم وتشهير مناقبه يعنى اذا اردت الصعود الى الدرجة العلياء او المفاخرة يمنعنى عما يرفع باسمى ويشهره رقة حالى وقلة مالى فليعمى الاقلال وليهلك الافلاس وصحح السعدى مافى المتن وقال * كريما ترا بدست اندر درم نيست . درم داران دنيارا كرم نيست ﴿ وقيل فى منثور الحكم الفقر مخذلة ﴾ اى داع الى الخذلان وهو التذليل بعدم النصرة ﴿ والغنى

مجذلة ﴾ داعى جذل وهو الفرح والسرور ﴿ والبؤس مرذلة ﴾ اى شدة الحاجة والفقر سبب رذالة ومساوى افعال كالسؤال ﴿ والسؤال مبذلة ﴾ داع الى بذل الحياء واراقة ماء الوجه ﴿ وقال اوس بن حجر ﴾ من الطويل ﴿ اقيم بدار الحزم مادام حزمها . واحرى اذا حالت بان اتحولا ﴾ اى وجدير تلك الدار اذا حالت وانقلبت بعدم المبالاة ان لاابالى وادور مع الدهر حيث دار فاقدم من قدمه اهل الدار وافضل من فضلوه ﴿ فانى وجدت الناس الا اقلهم . خفاف عهود يكثرون التنقلا ﴾ من تفضيل ذوى العقل والحسب الى ترجيح اولى الاموال ﴿ بنوام ذى المال الكثير يرونه . وان كان عبداسيد الامر جحفلا ﴾ يعنى لانهم كبنوام ذى المال فى التودد والشفقة له واسم كان راجع الى ذى المال وعبداخبره وسيدا مفعول ثان ليرون والجحفل السيد الكريم والجيش العظيم ﴿ وهم لمقل المال اولاد علة . وان كان محضا فى العشيرة مخولا ﴾ اى كاولاد العلات اى الضرائر فى العداوة والمحض اللبن الخالص وكذا شربه اراد به نجابته من جهة آبائه لان اللبن للفحل كما صرح به الفقهاء وبقرينة المقابلة لقوله مخولا اى كريم الاخوال يعنى ان الناس يحبون ذا المال ويعظمونه كامير الجيش العظيم وان كان عبدا امياً لا يعرف له اب وليس ذلك الود غريزة لهم لانهم يبغضون من قل ماله وان كان له شرف من جهة آبائه وامهاته ﴿ وقال بشر الضرير * كفى حزنا انى اروح واغتدى . ومالى من مال اصون به عرضى ﴾ والحزن بفتحتين الهم والغم ﴿ واكثر ما القى الصديق بمرحبا . وذلك لايكفى الصديق ولايرضى ﴾ وقال عبدالرحمن بن عوف رضى الله عنه يا حبذا المال اصون به عرضى وارضى به ربى ﴿ وقال آخر * اجلك قوم حين صرت الى الغنى . وكل غنى فى العيون جليل ﴾ يقال اجله اذا عظمه يعنى عظمك قوم حين صرت غنيا وهم معذورون فى تعظيمك لان كل غنى جليل فى العيون ﴿ وليس الغنى ﴾ الممدوح والمغبوط ﴿ الاغنى زين الفتى . عشية يقرى اوغداة ينيل ﴾ من اقرى الضيف اذا اضافه وانا له اذا اعطاه فقوله وليس البيت اما نصح وارشاد او تعريض الى بخل المخاطب * اذا مالت الدنيا على المرء رغبت . اليه ومال الناس حيث يميل ﴿ وقد اختلف الناس فى تفضيل الغنى والفقر مع اتفاقهم انما احوج من الفقر مكروه ﴾ لان اليد العلياء خير من السفلى ﴿ ومابطر من الغنى مذموم ﴾ عقلا وشرعا ﴿ فذهب قوم الى تفضيل الغنى ﴾ الغير المبطر ﴿ على الفقر ﴾ الغير المحوج ﴿ لان الغنى مقتدر والفقير عاجز والقدرة افضل من العجز وهذا مذهب من غلب عليه حب النباهة ﴾ اى الشرف ﴿ وذهب آخرون الى تفضيل الفقر على الغنى لان الفقير تارك والغنى ملابس وترك الدنيا افضل من ملابستها وهذا مذهب من غلب عليه حب السلامة ﴾ قال اهل الحب جانب كل مالا حسن فيه . طلق الدنيا طلاقا ثالثا قبل النكاح ﴿ وذهب آخرون الى تفضيل التوسط بين الامرين بان يخرج عن حد الفقر الى ادنى مراتب الغنى ﴾ بان يملك ادنى نصاب الزكاة والحج ﴿ ليصل الى فضيلة الامرين وسلم من مذمة الحالين وهذا مذهب من يرى تفضيل الاعتدال وان خيار الامور اوساطها وقد مضى شواهد كل فريق فى موضعه بما اغنى عن اعادته ﴾ اما شواهد الفريق الاول ففى السبب الثانى واما شواهد الفريق الثانى ففى التقصير لزهد وتقنع واما شواهد الفريق الثالث ففى الامر الاول من الامور

الثلاثة ﴿ والسبب الثالث ﴾ من الاسباب الاربعة الداعية الى الزيادة ﴿ ان يطلب الزيادة ويقتنى الاموال ليدخرها لولده ويخلفها على ورثته ﴾ يقال خلفوا اثقالهم اذا خلوها وراء ظهورهم ﴿ مع شدة ضنه على نفسه وكفه عن صرف ذلك فى حقه اشفاقا عليهم من كدح الطلب ﴾ اى من تعبه وكده ﴿ وسوء المنقلب ﴾ اى انقلاب الزمان وادباره ﴿ وهذا ﴾ الطالب ﴿ شقى بجمعها مأخوذ بوزرها ﴾ لكفه عن صرف المال فى حقه ﴿ قد استحق اللوم من من وجوه لاتخفى على ذى لب * منها ﴾ من تلك الوجوه ﴿ سوء ظنه بخالقه انه لايرزقهم الامن جهته وقد قيل قتل القنوط صاحبه ﴾ لكثرة اتحار من يئس ﴿ وفى حسن الظن بالله راحة القلوب وقال عبد الحميد كيف تبقى على حالتك والدهر فى احالتك ﴾ اى فى افنائك يقال احالت الدار اذا اتى عليها احوال اى سنون ﴿ ومنها الثقة ببقاء ذلك على ولده مع نوائب الزمان ومصائبه وقد قيل الدهر حسود لايأتى على شئ ﴾ يحسده ﴿ الا غيره وقيل فى منثور الحكم المال ملول ﴾ يسأم من المكث طويلا فى محل فيخرج لزيارة احبابه الكثيرة ﴿ وقال بعض الحكماء الدنيا ان بقيت لك لاتبقى لها ﴾ بل تموت ولاحيلة لدفعها ﴿ ومنها ماحرم من منافع ماله وسلب من وفور حاله وقد قيل انما مالك لك اوللوارث اوللجائحة ﴾ يقال جاحتهم السنة تجوح اذا اهلكتهم واستأصلتهم ﴿ فلا تكن اشقى الثلاثة ﴾ وهو احد الاخيرين ﴿ وقال عبد الحميد اطرح كواذب آمالك وكن وارث مالك * ومنها مالحقه من شقاء جمعه وناله من عناء كده حتى صار ساعيا محروما وجاهدا مذموما وقد قيل رب مغبوط بمسرة هى داؤه ﴾ يهلك به ﴿ ورب مرحوم من سقم هو شفاؤه ﴾ كسقيم يتحسر على عدم قتل فلان وغصب مال فلان وضرب غيره فهو فتنة نائمة لعن الله من ايقظها وداواه ﴿ وقال الشاعر * ومن كانت له النفس فوق كفافها . فما ينقضى حتى الممات عناؤه ﴾ ولا بالموت بل يتنوع العناء وينقلب من حلوه الى مره ﴿ ومنها مايؤاخذ به من وزره وآثامه ويحاسب عليه من تبعاته واجرامه ﴾ جمع جرم وهو الاثم ﴿ وقد حكى ان هشام بن عبد الملك لما ثقل بكا ولده عليه فقال لهم جاد لكم هشام بالدنيا وجدتم عليه بالبكاء وترك لكم ما كسب ﴾ من المنافع ﴿ وتركتم عليه ما اكتسب ﴾ من المعاصى ﴿ ما اسوء حال هشام ان لم يغفر الله له فاخذ هذا المعنى محمود الوراق فقال ﴾ من المتقارب ﴿ تمتع بمالك قبل الممات . والافلا مال ان انت متا * شقيت به ثم خلفته . لغيرك بعدا وسحقا ومقتا ﴾ اى ابعده الله مثل ذلك المال الذى شقاوته على كاسبه وسعادته لغيره بعدا . وسحقا مثل بعدا تأكيد له والمقت البغض ﴿ فجادوا عليك بزور البكاء . وجدت عليهم بما قد جمعتا * وارهنتهم كل مافى يديك . وخلوك رهنا بما قد كسبتا ﴾ اى تركوك رهنا كما قال الله تعالى كل نفس بما كسبت رهينة) اى كل نفس رهن بكسبها عند الله غير مفكوك (الا اصحاب اليمين) فانهم فكوا عنه رقابهم بما اطابوه من كسبهم كما يخلص الراهن رهنه باداء الحق ﴿ وقد روى ﴾ كما روى الطبرانى عن عوف بن مالك ﴿ ان العباس بن عبد المطلب جاء الى النبى صلى الله عليه وسلم فقال يارسول الله ولنى فقال النبى صلى الله عليه وسلم ياعباس ياعم النبى ﴾ صلى الله عليه وسلم ﴿ قليل يكفيك خير من كثير يرديك ﴾ يقال ارداه اذا اسقطه واهلكه ﴿ يا عباس ياعم النبى ﴾ صلى الله عليه وسلم ﴿ نفس تحييها خير من امارة لاتحصيها ﴾ اى لاتحفظها ولاتقيمها بشروطها

يقال احصى الشئ اذا عده او حفظه اوعقله وادركه ﴿ ياعباس ياعم النبي ان الامارة اولها ملامة ﴾ اى باعث على لوم الناس وتعييرهم ﴿ واوسطها ندامة ﴾ لتيقنه انه لايعدل فيهم ﴿ وآخرها خزى يوم القيامة ﴾ لسؤاله عما ولى عليه ﴿ فقال العباس يارسول الله الا من عدل فقال كيف تعدلون مع الاقارب ﴾ من الاولاد وغيرهم فترك الامارة والقضاء ونحوها عزيمة اذا وجد من يصلح لها والافعليه القبول لانهما فرضا كفاية ﴿ وقال رجل للحسن البصرى انى اخاف الموت واكرهه فقال انك خلفت مالك ولو قدمته لسرك اللحوق به ﴾ فان قلب المؤمن عند ماله ﴿ وقيل فى منثور الحكم كثرة مال الميت تعزى ورثته عنه فاخذ هذا المعنى ابن الرومى فقال وزاد ﴾ عليه معنى آخر ﴿ ابقيت مالك ميراثا لوارثه . فليت شعرى ما ابقى لك المال * القوم بعدك فى حال تسرهم . فكيف بعدهم حالت بك الحال ﴾ يعنى الورثة بعد مفارقتك فى حال سرور واى حال حالت بك بعدها ﴿ ملوا البكاء فما يبكيك من احد . واستحكم القيل فى الميراث والقال * الهتهم عنك دنيا اقبلت لهم . وادبرت عنك والايام احوال ﴾ جمع حول اى ذووا تغير وانفصال ﴿ والسبب الرابع ان يجمع المال ويطلب المكاثرة استحلاء لجمعه و شغفا باحتجانه ﴾ اى لاستلذاذه و تعشقه بجمع المال وجذبه من احتجن الشئ اذا جذبه بالمحجن ﴿ فهذا اسوء الناس حالا فيه واشدهم حزنا له قد توجهت اليه سائر الملاوم حتى صار وبالا عليه ومذام ﴾ جمع مذمة ﴿ وفى مثله قال الله تعالى ﴾ فى التوبة ﴿ والذين يكنزون الذهب والفضة ولاينفقونها فى سبيل الله فبشرهم بعذاب اليم ﴾ ولله در المصنف لقد ساق الآية فى مساق اندفع به شبهات المفسرين حتى ذهب بعضهم الى ان آية الزكاة نسخت آية الكنز وبنى الزمخشرى تفسيرها على ما روى عنه عليه السلام كل مال اديت زكاته فليس بكنز وان كان باطنا ومالم يزك فهو كنز وان كان ظاهرا ﴿ فقال النبي صلى الله عليه وسلم ﴾ لما نزلت كما روى عن سالم بن الجعد ﴿ تبا للذهب تبا للفضة ﴾ مصدر محول على فعله ودعاء عليهما ويقال تباله تبيبا اى الزمه الله خسرانا وهلاكا ﴿ فشق ذلك ﴾ الاصل والتأويل ﴿ على اصحاب النبي صلى الله عليه وسلم فقالوا اى مال نتخذ فقال عمر انا استعلم ﴾ من الاستعلام ﴿ لكم ذلك فقال يا رسول الله ان اصحابك قد شق عليهم فقالوا اى مال نتخذ فقال لسانا ذاكرا وقلبا شاكرا ﴾ ويروى خاشعا ﴿ وزوجة مؤمنة تعين احدكم على دينه . وروى شهر بن حوشب عن ابى امامة قال مات رجل من اهل الصفة ﴾ قال النووى هم زهاد من الصحابة فقراء غرباء كانوا يأوون الى مسجد النبي صلى الله عليه وسلم وكانت لهم فى آخره صفة وهى مكان متقطع من المسجد مظلل عليه يبيتون فيه وكانوا يقلون ويكثرون وفى وقت كانوا سبعين وفى وقت غير ذلك فيزيدون بما يقدم عليهم وينقصون بمن يموت او يسافر او يتزوج وعد منهم ابو نعيم فى الحلية مأة ونيفا كما فى العينى ﴿ فوجد فى مئزره دينار فقال النبي صلى الله عليه وسلم كية ثم مات آخر فوجد فى مئزره ديناران فقال النبي صلى الله عليه وسلم كيتان وانما ذكر النبي صلى الله عليه وسلم ذلك فيهما وان كان قد مات على عهده من ترك اموالا جمة ﴾ اى كثيرة ﴿ واحوالا ضخمة فلم يكن فيه ﴾ اى فى من ترك اموالا ﴿ ما كان فى هذين ﴾ من اهل الصفة من كون دينارها كية ﴿ لانهما تظاهرا ﴾ بالفقر ﴿ لفقروا ﴾ لقناعة واحتجنا ماليس

بهما اليه حاجة فصار ما احتجناه وزرا عليهما وعقابا لهما ﴾ واما من تركوا اموالا جمة فكانت اموالهم ظاهرة ويرجع اليهم لدفع الحوائج فحبس الدراهم احتكار كحبس الاقوات على تفسير النبي عليه السلام ﴿ وقد قال الشاعر * اذا كنت ذا مال ولم تك ذا ندى . فانت اذا والمقترون سواء ﴾ في عدم النيل بثواب المال والندى العطية ﴿ على ان في الاموال يوما تباعة . على اهلها والمقترون براء ﴾ جمع برئ ككرام ﴿ وانشدت عن الربيع للشافعي رضي الله عنه ﴾ من الكامل ﴿ ان الذي رزق اليسار ولم يصب ﴾ ويروى ولم ينل ﴿ حمدا ﴾ في الدنيا ﴿ ولا اجرا ﴾ في الآخرة ﴿ لغير موفق * والجد يدني كل شئ شاسع . والجد يفتح كل باب مغلق ﴾ الاول بالفتح الحظ والبخت والثاني بالكسر السعي والاجتهاد والشاسع البعيد عادة او عقلا وقال بعض الحكماء الهمة راية الجد ﴿ فاذا سمعت بان مجدودا حوى . عودا فاورق في يديه فحقق ﴾ تفريع على قوله والجد يدني وبناء اورق للصيرورة يعني فاذا سمعت بان محظوظا اخذ بيده عودا يابسا فصار ذا ورق فيها فاحمل ذلك على الحقيقة دون الكناية عن ازدياد قيمته ﴿ واذا سمعت بان محدودا اتى . ماء ليشربه فجف فصدق ﴾ وحقيقة اليبس ليس بلازم لان وقوع نجاسة فيه وانقطاع الرشاء وعدم الدلو في حكم اليبس ﴿ واحق خلق الله بالهم امرؤ . ذو همة عليا و عيش ضيق ﴾ لعدم نيله بما يريده من المعالي ﴿ ومن الدليل على القضاء وكونه . بؤس اللبيب وطيب عيش الاحمق ﴾ الكون تامة اي على وجود القضاء وثبوته شدة احتياج العاقل وطيب عيش الاحمق وفي حديث انس (اذا اراد الله انفاذ قضائه وقدره) اي امضاء حكمه المقدر في الازل (سلب ذوي العقول عقولهم حتى ينفذ فيهم قضاءه وقدره فاذا مضى امره رد اليهم عقولهم) فادركوا قبح ما وقع منهم (ووقعت الندامة) اي الاسف والحزن حين لا ينفعهم ذلك ولذا قالوا اذا حلت المقادير ضلت التدابير وقال بعض الشعراء * اذا اراد الله امرا لامرئ . وكان ذا عقل وسمع وبصر * وحيلة يفعلها في دفع ما . يأتي به محتوم اسباب القدر * اصم اذنيه واعمى قلبه . وسل منه عقله سل الشعر * فلا تقل فيما جرى كيف جرى . فكل شئ بقضاء وقدر ﴿ اللب العقل تقول لبيب ﴾ اي ﴿ ذو لب والجد ﴾ بالفتح ﴿ في اللغة الحظ ﴾ والنصيب ﴿ وهو البخت ﴾ تقول جددت به اجد جدا من الباب الرابع اذا حظظت به وقدر ومنه الحديث قمت على باب الجنة فاذا عامة من يدخلها الفقراء واذا اصحاب الجد محبوسون ﴿ والجد ايضا العظمة ﴾ يقال جد في عيون الناس اذا عظم ﴿ ومنه قوله تعالى ﴾ في الجن ﴿ وانه تعالى جد ربنا ﴾ وهو في الاصل مصدر جد الشئ اذا قطع وفي القطع شيئان السعي والجهد من العبد وفيضان الاستطاعة من الله تعالى فاستعماله في البخت لفيضانه منه تعالى وفي الثوب لانه لازم القطع والفيضان يستلزم العظمة ولذا اطلق على الاب الكبير ﴿ والجد بالكسر الانكماش في الامور اي الاجتهاد فيها ﴾ وبذل الوسع ورجل كميش اي عزوم ماض ﴿ وهو ايضا الحق ضد الهزل و ﴾ الحد المنع يقال حده اذا منعه ودفعه ومنه حدود الله لمنعها عن ارتكاب الجرم اوعن معاودته ويقال على بناء المفعول حد ﴿ بالحاء اذا منع الرزق ﴾ فهو محدود محروم عن الخير وممنوع عنه ﴿ ومجدود ومحدود لا يقال فيهما ﴾ في ذينك المعنيين ﴿ الا بما لم يسم فاعله ﴾ انتهى ضبط الالفاظ المتجانسة وفي الشريشي في ترجمة الامام الشافعي رحمه الله

وكان شاعرا مجيدا قال ابو القاسم بن الازرق دخلت عليه فقلت يا ابا عبدالله اما تنصفنا لك هذا الفقه تفوز بفوائده ولنا هذا الشعر وقد جئت تداخلنا فيه فاما افردتنا او اشركتنا فى الفقه وقد اتيت بابيات ان اجزتها بمثلها تبت من الشعر وان عجزت تبت منه فقال لى ايه ياهذا فانشدته * ماهمتى الامقارعة العدا . خلق الزمان وهمتى لم تخلق * والناس اعينهم الى سلب الغنى . لاينظرون الى الحجا والا ولق * لكن من رزق الحجا حرم الغنى . ضدان مفترقان اى تفرق * لوكان بالحيل الغنى لوجدتنى . بنجوم اقطار السماء تعلق * فقال الشافعى الاقلت كما اقول ارتجالا . ان الذى رزق اليسار الابيات فقلت له لاقلت شعرا بعدها انتهى ﴿ وآفة من بلى بالجمع والاستكثار ومنى ﴾ اى ابتلى ﴿ بالامساك والادخار حتى انصرف عن رشده فغوى وانحرف عن سنن قصده فهوى ﴾ اى خرج عن الطريق المستقيم فوقع فى هوة وورطة ﴿ ان يستولى ﴾ خبر آفة ﴿ عليه حب المال وبعد الامل فيبعثه حب المال على الحرص فى طلبه ويدعوه بعد الامل على الشح به والحرص والشح اصل لكل ذم وسبب لكل لوم لان الشح يمنع من اداء الحقوق ويبعث على القطيعة والعقوق ولذلك قال النبى صلى الله عليه وسلم ﴾ على مارواه ابوداود عن ابى هريرة ﴿ شر ما اعطى العبد ﴾ من الخصال الذميمة ﴿ شح هالع ﴾ اى جازع اى شح يحمل على الحرص على المال والجزع على ذهابه قال الخطابى اى ذو هلع وهو الجزع ومعناه البخل الذى يمنعه من اخراج الحق الواجب عليه فاذا استخرج منه هلع وجزع ﴿ وجبن خالع ﴾ اى شديد كأنه يخلع فؤاده من شدته وهو مجاز فى الخلع والمراد به مايعرض من نوازع الافكار وضعف القلب عند الخوف ﴿ وقال بعض الحكماء الغنى البخيل كالقوى الجبان ﴾ فى عدم الانتفاع مع امكانه ﴿ واما الحرص فيسلب فضائل النفس لاستيلائه عليها ﴾ واحاطته بها ﴿ ويمنع من التوفر ﴾ والاقدام ﴿ على العبادة لتشاغله عنها ويبعث على التورط فى الشبهات لقلة تحرزه منها وهذه الثلاث ﴾ من سلب الفضائل ومنع العبادة والبعث فى الشبهات ﴿ خصال ﴾ قبيحة ﴿ هن جامعات الرذائل ﴾ من حب الدنيا والحزن على مافات منها والجزع والشكوى عليها والغش والحيلة ومكابرة الحق وانكاره وكفران النعمة والتسويف فى امر الآخرة ونحوها ﴿ سالبات الفضائل ﴾ من الزهد والقناعة والصبر والعدل والشكر والكرم والايثار والوفاء وعلو الهمة ونحوها ﴿ مع ان الحريص لايستزيد بحرصه زيادة على رزقه سوى اذلال نفسه واسخاط خالقه ﴾ وهذا من تأكيد الذم بما يشبه المدح ﴿ وروى عن النبى صلى الله عليه وسلم انه قال الحريص الجاهد والقنوع الزاهد يستوفيان اكلهما ﴾ بضمتين هو كل مايؤكل من القوا كه وغيره ومنه قوله تعالى اكلها دائم ﴿ غير منتقص منه شئ فعلام ﴾ ما استفهامية حذفت الفها للفرق بين ما الاستفهامية والموصولة وكتب على بالالف ليكون علامة الامتزاج والاتصال كما هو القاعدة فيما آخره الف مقصورة نحو فتى وفتاه ﴿ التهافت ﴾ يقال تهافت على الشئ اذا تساقط وتتابع ﴿ وقال بعض الحكماء الحرص مفسدة للدين والمروءة ﴾ لانهما يأمران بالنزاهة وكبر النفس وعلو الهمة وفى حديث كعب بن مالك ماذئبان جائعان ارسلا فى غنم بافسد لها من حرص المرء والشرف لدينه وفى رواية والشرف اى الجاه ﴿ والله ماعرفت من وجه رجل حرصا فرأيت ان فيه مصطنعا ﴾ وهو الضيافة للاخوان او فى سبيل الله مطلقا ﴿ وقال آخر الحريص اسير مهانة لايفك اسره ﴾ لان الفك من لوازم القناعة ولم يملك

نفسه حتى يمتق عليه ﴿ وقال بعض البلغاء المقادير الغالبة ﴾ والقاهرة للارادات النفوس ﴿ لا تنال بالمغالبة والارزاق المكتوبة ﴾ لك ﴿ لا تنال بالشدة والمكالبة ﴾ اى المشادة ﴿ فذلل للمقادير نفسك ﴾ ولا تغالبها ﴿ واعلم بانك غير نائل بالحرص الا حظك وقال بعض الادباء رب حظ ادركه غير طالبه و ﴾ رب ﴿ در احرزه غير جالبه ﴾ كيميا كر بغصه مرده ورنج . ابله اندر خرابه يافته كنج ﴿ وانشدنى بعض اهل الادب لمحمد بن حازم ﴾ من الرمل ﴿ يا اسير الطمع الكا . ذب فى غل الهوان ﴾ وصفه بالكذب لان الحريص يرى مقدار الكفاية وما زاد عليها غير كاف والغل القيد من الحديد ﴿ ان عز اليأس خير . لك من ذل الامانى * ساع الدهر اذا عـــز وخذ صفو الزمان ﴾ ومن الامثال اذا عز اخوك فهن اى اذا غلبك ولم تقاومه فلن له وصفو الزمان عبارة عن توجهه اليك وتبسمه ﴿ ربما اعدم ذو الحر . ص واثرى ذو التوانى ﴾ وقد روى البخارى ان حكيم بن حزام رضى الله عنه قال سألت رسول الله صلى الله عليه وسلم فاعطانى ثم سألته فاعطانى ثم سألته فاعطانى) بتكرير الاعطاء ثلاثا (ثم قال يا حكيم ان هذا المال) فى الرغبة والميل اليه وحرص النفوس كالفاكهة التى هى (خضرة) فى المنظر (حلوة) فى الذوق وكل منهما يرغب فيه على انفراده فكيف اذا اجتمعا (فمن اخذه بسخاوة نفس) من غير حرص عليه او بسخاوة نفس المعطى (بورك له فيه ومن اخذه باشراف نفس) اى مكتسبا له بحرص النفس وفرحها عليه وتطلعها اليه (لم يبارك له) اى للآخذ (فيه) اى فى المعطى (وكان) الآخذ (كالذى يأكل ولا يشبع) اى كذى الجوع الكاذب بسبب سقم من غلبة خلط سوداوى او آفة ويسمى جوع الكلب كلما ازداد اكلا ازداد جوعا فلا يجد شبعا ولا ينجع فيه الطعام ﴿ وليس للحريص غاية مقصودة يقف عندها ولا نهاية محدودة يقنع بها لانه اذا وصل بالحرص الى ما امل اغراه ذلك ﴾ الوصول ﴿ بزيادة الحرص والامل وان لم يصل رأى اضاعة العناء لؤما ﴾ اى دناءة همة ﴿ والصبر عليه حزما وصار بما سلف من عنائه اقوى رجاء وابسط املا وقد روى ﴾ على ما رواه الشيخان عن انس رضى الله عنه ﴿ عن النبى صلى الله عليه وسلم انه قال يشيب ﴾ اى يهرم كما فى رواية ﴿ ابن آدم ويبقى معه خصلتان ﴾ يعنى تستحكم هاتان الخصلتان فى قلب الشيخ كاستحكام قوة الشباب فى شبابه ﴿ الحرص ﴾ على المال والجاه والعمر ﴿ و ﴾ طول ﴿ الامل ﴾ والمذموم الاسترسال فيه واما اصله فهو رحمة كما سبق فى فصله ﴿ وقيل للمسيح عليه السلام ما بال المشايخ احرص على الدنيا من الشباب قال لانهم ذاقوا من طعم الدنيا ما لم يذقه الشباب ﴾ ولتقربهم الى ارذل العمر يعدون عدة ﴿ ولو صدق الحريص نفسه ﴾ اذا حدثته بالقناعة ﴿ واستنصح عقله لعلم ان من تمام السعادة وحسن التوفيق الرضاء بالقضاء والقناعة بالقسم وروى عن النبى صلى الله عليه وسلم انه قال اقتصدوا ﴾ اى لازموا القصد والتوسط ﴿ فى الطلب فان ما رزقتموه ﴾ بالبناء للمفعول ﴿ اشد طلبا لكم منكم له ﴾ اى من طلبكم اياه ﴿ وما حرمتموه فلن تنالوه ولو حرصتم ﴾ وفى الجامع الصغير (اجملوا فى طلب الدنيا) بان تحسنوا السعى بلا كد وتكالب اى ترافع (فان كلا ميسر) اى مهيأ مصروف سهل (لما كتب له منها) يعنى الرزق المقدر له سيأتيه فلا فائدة لاجهاد النفس ﴿ وروى ان جبريل على نبينا وعليه السلام هبط على النبى صلى الله

عليه وسلم فقال ان الله تبارك وتعالى يقرأ عليك السلام ويقول لك اقرأ بسم الله الرحمن الرحيم ولا تمدن عينيك ﴿ اى نظر عينيك ومد النظر تطويله وان لا يكاد يرده استحسانا للمنظور اليه واعجابا به وتمنيا ان يكون له كما فعل نظار قارون وقالوا ياليت لنا مثل ما اوتى قارون انه لذو حظ عظيم حتى واجههم اولوا العلم بويلكم ثواب الله خير لمن آمن وعمل صالحا وفيه ان النظر غير الممدود معفو عنه وذلك مثل نظر من باده الشئ بالنظر ثم غض الطرف ولما كان النظر الى الزخارف كالمركوز فى الطباع وان من ابصر منها احب ان يمد اليه نظره ويملأ منه عينيه قيل ولا تمدن عينيك اى لا تفعل ما انت معتاده وضار به وقال ابو مسلم الذى نهى عنه ليس هو النظر بل هو الاسف اى لا تأسفن على مافاتك مانالوه من حظ الدنيا ﴿ الى مامتعنا به ازواجا منهم ﴾ اى اصنافا من الكفرة ويجوز ان ينتصب حالا من هاء الضمير والفعل واقع على منهم كأنه قال الى الذى متعنا به وهو اصناف بعضهم وناسا منهم على ان من للتبعيض او على حذف الموصوف ﴿ زهرة الحياة الدنيا ﴾ انتصاب زهرة على احد اربعة اوجه على الذم وعلى تضمين متعنا معنى اعطينا وخولنا وعلى كونه مفعولا ثانيا له وعلى ابداله من محل الجار والمجرور وعلى ابداله من ازواجا على تقدير ذوى زهرة ومعنى الزهرة هو الزينة والبهجة ويجوز ان تكون جمع زاهر فيمن حركها وصفا لهم بانهم زاهر فى هذه الدنيا لصفاء الوانهم مما يلهون ويتنعمون وتهلل وجوههم وبهاء زيهم بخلاف ماعليه المؤمنون والصلحاء من شحوب الالوان والتقشف فى الثياب ﴿ لنفتنهم فيه ﴾ متعلق بمتعنا جئ به للتنفير عنه ببيان سوء عاقبته مآلا اثر اظهار بهجته حالا اى لنعاملهم معاملة من يبتليهم ويختبرهم فيه اولنعذبهم فى الآخرة بسببه ﴿ ورزق ربك ﴾ اى ما ادخر لك فى الآخرة اومارزقك فى الدنيا من النبوة والهدى ﴿ خير ﴾ مما منحهم فى الدنيا لانه مع كونه فى نفسه اجل مما يتنافس فيه المتنافسون مأمون الغائلة بخلاف مامنحوه ﴿ وابقى ﴾ فانه لا يكاد ينقطع نفسه او اثره ابدا كما عليه زهرة الدنيا ﴿ فامر النبى صلى الله عليه وسلم مناديا ينادى من لم يتأدب بادب الله تعالى ﴾ الذى امر به وهو غض البصر ﴿ تقطعت نفسه على الدنيا حسرات ﴾ بفتح فكسر اى تنتهى عمره متلهفا عليها ﴿ وقيل مكتوب فى بعض الكتب ﴾ السماوية ﴿ ردوا ابصاركم عليكم فان لكم فيها شغلا ﴾ يشغلكم عن مد البصر الى زخاف غيركم ﴿ وقال مجاهد فى تأويل قوله تعالى ﴾ فى النحل (من عمل صالحا من ذكر او انثى وهو مؤمن ﴿ فلنحيينه حياة طيبة ﴾ يعنى فى الدنيا ﴿ قال بالقناعة ﴾ (ولنجزينهم اجرهم باحسن ماكانوا يعملون) وعده الله ثواب الدنيا والآخرة وذلك ان المؤمن مع العمل الصالح موسرا كان او معسرا يعيش عيشا طيبا ان كان موسرا فلا مقال فيه وان كان معسرا فمعه مايطيب عيشه وهو القناعة والرضاء بقسمة الله واما الفاجر فامره على العكس ان كان معسرا فلا اشكال فى امره وان كان موسرا فالحرص لا يدعه ان يتهنأ بعيشه وعن ابن عباس رضى الله عنه الحياة الطيبة الرزق الحلال وعن قتادة يعنى فى الجنة وقيل هى حلاوة الطاعة والتوفيق فى قلبه كما فى الكشاف ﴿ وقال اكثم بن صيفى من باع الحرص بالقناعة ﴾ اى بدله بها ﴿ ظفر بالغنى والمروءة وقال بعض السلف قد يخيب الجاهد الساعى ويظفر الوادع الهادى ﴾ من الهدية او من الهداية اومن هداء بمعنى البلادة وضعف العقل يعنى ينال بالمطلوب التارك المهدى اوالهادى

لغيره اوالبليد ﴿ فاخذه البحترى فقال ﴾ من الكامل ﴿ لم الق مقدورا على استحقاقه . في الحظ اما ناقصا او زائدا ﴾ في متعلق للاستحقاق ونفي اللقاء يستلزم نفي الرؤية والعلم يعني لم اعرف صاحب قدرة قدر على استحقاقه في الحظ اما زائدا كان استحقاقه فقدر على زيادة الحظ او ناقصا فقدر على نقصانه بل الحظ من الفيوضات الا لٓهية وربما يمطر السحاب البحار ويحرم الرياض ﴿ وعجبت للمحدود يحرم ناصبا . كلفا وللمجدود يغنم قاعدا ﴾ النصب التعب والكلف العشق يعني عجبت لممنوع الرزق حيث يحرم متعبا نفسه وعاشقا له وعجبت للمحظوظ حيث ينال الغنيمة قاعدا ﴿ ماخطب من حرم الارادة قاعدا . خطب الذى حرم الارادة جاهدا ﴾ والخطب الآفة والداهية يعني ليست داهية القاعد بعينها داهية الجاهد لان داهية الجاهد الذى حرم ما اراده عدم مساعدة المقادير وداهية القاعد الذى حرم ما اراده بطالته وكسله ﴿ وقال بعض الحكماء ان من قنع كان غنيا وان كان مقترا ومن لم يقنع كان فقيرا وان كان مكثرا ﴾ وقال سعد بن وقاص لابنه يا بنى اذا طلبت الغنى فاطلبه بالقناعة فانها مال لا ينفد واياك والطمع فانما هو فقر حاضر وعليك باليأس فانك لم تيأس من شئ قط الا اغناك الله عنه وقال الغنى من استغنى بالله والفقير من افتقر الى الناس ﴿ وقال بعض البلغاء اذا طلبت العز فاطلبه بالطاعة واذا طلبت الغنى فاطلبه بالقناعة فمن اطاع الله عز وجل عز نصره ﴾ اى قوى من عز فلان اذا قوى بعد ذلة ﴿ ومن لزم القناعة زال فقره وقال بعض الادباء القناعة عز المعسر والصدقة حرز الموسر ﴾ اى حصنه وملجأه اوعوذته ﴿ وقال بعض الادباء ﴾ من البسيط المخلع ﴿ انى ارى من له قنوع . يدرك ما نال او تمنى ﴾ مصدر قنع من الباب الرابع اذا رضى بالقسم والمستعمل كثيرا فى هذا المعنى القناعة ويقال قنع من الباب الثالث قنوعا اذا سئل وتذلل فتقول عز من قنع ذل من قنع ﴿ والرزق يأتى بلا اعناء . وربما فات من تعنى ﴾ اى اتعب ﴿ والقناعة يكون على ثلاثة اوجه * فالوجه الاول ان يقنع بالبلغة ﴾ وهى ادنى ما يتعيش به ﴿ من دنياه ويصرف نفسه عن التعرض لما سواه وهذا اعلى منازل القناعة وقال الشاعر ﴾ من الطويل * ومن يطلب الا على من العيش لم يزل . حزينا على الدنيا رهين غبونها ﴿ اذا شئت ان تحيى غنيا فلا تكن . على حالة الارضيت بدونها ﴾ بان تنظر الى من دونك مالا واضيق حالا ﴿ وقال مالك بن دينار ازهد الناس من لا يتجاوز رغبته من الدنيا بلغته وقال بعض الحكماء الرضى بالكفاف يؤدى الى العفاف ﴾ اذ لا يتمكن على كثير من المعاصى ﴿ وقال بعض الادباء يارب ضيق افضل من سعة ويارب عناء خير من دعة ﴾ اى من سكون وراحة قال ابن هشام واذا ولى يا ماليس بمنادى كا فعل فى الا يا سجدوا والحرف فى نحو ياليتنى كنت معهم فافوز ويارب كاسية فى الدنيا عارية يوم القيامة والجملة الاسمية كقوله * يالعنة الله والاقوام كلهم . والصالحين على سمعان من جار * فقيل هى للنداء والمنادى محذوف وقيل هى لمجرد التنبيه لئلا يلزم الاجحاف بحذف الجملة كلهـا وقال ابن مالك ان وليها دعاء كهذا البيت او امر نحو الايا اسجدوا فهى للنداء لكثرة وقوع النداء قبلهما نحو يا آدم اسكن يانوح اهبط ونحو يا مالك ليقض علينا ربك والا فهى للتنبيه انتهى فالمعنى على تقدير التنبيه الارب ضيق وعلى تقدير النداء ياقوم رب ضيق افضل من سعة لانه يؤدى الى العفاف والسعة

تبعث الى الفجور والا رب عناء خير من دعة لان العنـاء يؤدى الى الصحة والسكون الى المرض ﴿ وانشدنى بعض اهل الادب وذكرانه لعلى بن ابى طالب كرم الله وجهه ﴾ من الوافر ﴿ افادتنـا القناعة اى عز. واى غنى اعز من القنـاعه ﴾ ثانى مفعولى افاد محذوف لان اى لهاصدر الكلام فلا يعمل ما قبلها فيها اى عزا اىّ عز هو يعنى عظيما ﴿ فصـيرها لنفسك رأس مال . وصير بعدها التقوى بضاعه ﴾ فنم رأس مال وحبذا ربح ﴿ تحرز حين تغنى عن بخيل . وتنعم فى الجنان بصبر ساعه ﴾ بحذف احد التائين من تحرز وهو مرفوع على الاستيناف يعنى لانك تحرز عن السؤال بالقناعة وذلك هو العز الدنيوى وتنعم فى الجنان وهوالعز الاخروى وعبر عن الدنيا بالساعة لقصرها ﴿ والوجه الثانى ان تنتهى به القناعة الى الكفاية ويحذف الفضول والزيادة وهذه اوسط حال المقتنع وقد روى عن النبى صلى الله عليه وسلم انه قال ما من عبد الا بينه وبين رزقه حجاب ﴾ يطلبه من ورائه ويقف لديه ﴿ فان قنع واقتصـد اتاه رزقه وان ﴾ افرط فى الطلب و ﴿ هتك الحجاب لم يزد فى رزقه ﴾ شـيئا ﴿ وقال بعض الحكماء طلب مافوق الكفاية اسراف وقال بعض البلغاء من رضى بالمقدور قنع بالميسور وقال البحترى ﴾ من الرمل ﴿ تطلب الاكثر فى الدنيا وقد. تبلغ الحاجة منها بالاقل ﴾ فالزائد لاى شئ هو ﴿ وانشدت لابراهيم بن المدبر ﴾ من الكامل ﴿ ان القناعة والعفا . ف ليغنيان عن الغنى ﴾ اى كل واحد يغنى عنه فالحكم قبل الربط ﴿ فاذا صـبرت عن المنى ﴾ الحلال بقنـاعتك او الحرام بعفافك ﴿ فاشـكر فقد نلت المنى ﴾ اى الدرجات العـاليات والمنى جمع منية بضم الميم اوكسرها وهى مايتمنيه الرجل ويريده ويخيله له والثانى وان اعيد معرفة غير الاول والا فيلزم التناقض ﴿ والوجه الثـالث ان تنتهى به القناعة الى الوقوف على ماسنح فلا يكره ما اتاه وان كان كثيرا ولا يطلب ما تعذر وان كان يسـيرا وهذه الحـال ادنى منازل اهل القناعة لانها مشـتركة بين رغبة ﴾ مقدوحة ﴿ ورهبة ﴾ ممدوحة ﴿ اما الرغبة فلانه لايكره الزيادة على الكفاية اذا سنحت واما الرهبة فلانه لايطلب المتعذر عن نقصان المادة اذا تعذرت وفى مثله قال ذوالنون ﴾ المصرى من الرجال المذكورة فى القشيرية واسمه ثوبان بن ابراهيم توفى سنة خمس واربعين ومأتين فائق هذا الشان واوحد وقته علمـا وورعا وحالا وادبا ﴿ من كانت قناعته سـمينة طابت له كل مرقة ﴾ حلالا كانت او مشتبهة وسمنها لكونها مركبة من القسم الاول ونقيضـه ﴿ وقد روى الحسن بن الحسن بن على ﴾ بن ابى طالب وهو ممن وافق اسمه اسم ابيه كان من ثقاة التابعين وله ولد يسمى الحسن ايضا فهم ثلاثة فى نسق واحد ﴿ عن ابيه ﴾ الحسن ﴿ عن جده ﴾ على فى المتون سـقط ظاهر ﴿ رضى الله عنهم قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم الدنيا دول ﴾ جمع دولة وهى عبارة عن انقلاب الزمان والغالبية والمغلوبية بالنوبة اى ذات انقلابات كثيرة ﴿ فما كان منها ﴾ اى من الدنيا او من الدولة ﴿ لك اتاك على ضعفك ﴾ اى رغما على ضعفك او بمعنى مع ﴿ وما كان منها عليك لم تدفعه بقوتك ومن انقطع رجاؤه مما فات استراح بدنه ومن رضى بما رزقه الله تعالى قرت عينه ﴾ وزال حزنه قال ابو يزيد البسطامى جمعت جميع اسباب الدنيا وربطتها بحبل القناعة ووضعتها فى منجنيق الصدق ورميتها فى بحر اليأس فاسترحت

ولبعضهم * عزيز النفس من لزم القناعة . ولم يكشف لمخلوق قناعة * نفضت يدى من طمعى وحرصى . وقلت لفاقتى سمعا وطاعة ﴿ وقال ابو حازم الاعرج وجدت الدنيا شيئين شيئا هو لى لن اعجله قبل ﴾ حلول ﴿ اجله ولو طلبته بقوة السموات والارض وشيئا هو لغيرى وذلك مما لم انله فيما مضى ولا اناله ﴾ ابدا ﴿ فيما بقى ﴾ والله مانع ﴿ يمنع ﴾ الشى ﴿ الذى ﴾ هو ﴿ لى من غيرى كما يمنع ﴾ الشى ﴿ الذى ﴾ هو ﴿ لغيرى منى ففى اى هذين افنى عمرى واهلك نفسى ﴾ وذلك كناية عن الحرص لا منع من الطلب وارشاد الى التوكل بعد مباشرة الاسباب ﴿ وقال ابو تمام الطائى ﴾ من الكامل ﴿ لا تأخذنى بالزمان وليس لى . تبعا ولست على الزمان كفيلا ﴾ فلا مؤاخذة بوجه لا بنفوذ امرى فيه ولا بضمان ما افسده * من زاحف الايام ثم عبى لها . غير القناعة لم يزل مغلولا ﴿ من كان مرعى عزمه وهمومه . روض الامانى لم يزل مهزولا ﴾ الامنية المال الخوليا واضافة الروض اليها من اضافة المشبه به الى المشبه لان كلا منهما يفرح القلب ويطرد الحزن وفى قوله مرعى عزمه وهمومه استعارة بالكناية بتشبيه العزم بالدابة فى الايصال الى المطلوب والمرعى تخييلية يعنى من تقاصر فى اسباب المواد ولم يكن له هم وعزم سوى امانيه الكاذبة لم يزل جائعا وعريانا فالمراد بالهزال لازمه ﴿ لو جاد سلطان القنوع وحكمه . فى الخلق ما كان القليل قليلا ﴾ يقال جاده الهوى اذا غلبه يعنى لو عمت سلطنة القناعة ونفذ حكمه فى الخلق لا هلك القلة واعدمه فلم يوجد قليل اصلا ﴿ الرزق لا تكمد عليه فانه . يأتى ولم تبعث اليه رسولا ﴾ قوله الرزق بالنصب اجود او مبتدأ والكمد الحزن المكتوم وبابه طرب وجملة لم تبعث حال من ضمير يأتى ﴿ وانشدنى بعض اهل الادب لابن الرومى ﴾ من الوافر ﴿ جرى قلم القضاء بما يكون . فسيان التحرك والسكون ﴾ سيان تثنية سى بكسر السين يقال ما هو بسى لك اى بمثل وهما سيان اى مثلان وهم اسواء وما هن لك باسواء اصله سوى ادغمت الواو فى الياء لسكونها وانكسار ما قبلها وسيان خبر مقدم وما بعده مبتدأ يعنى قدر ما كان وما يكون فاستوى التحرك والسكون الا ان التحرك والسكون مما جرى عليهما قلم القضاء فلا يستويان والمقام خطابى يكفى الظن وكذا قوله ﴿ جنون منك ان تسعى لرزق . ويرزق فى غشاوته الجنين ﴾ اى فى الرحم بلا سعى منه لا مطلقا والرزق فى اللغة ما ينتفع به مطلقا واصطلاحا اسم لما يسوقه الله الى الحيوان فيأكله فيكون متناولا للحلال والحرام وعند المعتزلة عبارة عن مملوك يأكله المالك فعلى هذا لا يكون الحرام رزقا فقوله يرزق على معناه اللغوى لان الجنين ينتفع بالمص من السرة لا بالاكل ﴿ ونحن نسئل الله تعالى اكرم مسئول وافضل مأمول ان يحسن ﴾ مفعول نسئل ﴿ الينا التوفيق فيما منح ﴾ من الرزق ﴿ ويصرف عنا الرغبة فيما منع استكفافا لتبعات الثروة وموبقات الشهوة روى شريك بن ابى نمر عن ابى الجذع عن اعمامه واجداده عن النبى صلى الله عليه وسلم انه قال خير امتى الذين لم يعطوا حتى يبطروا ﴾ يقال بطر الرجل من الباب الرابع اذا طغى بالنعمة وقال الراغب البطر دهش يعترى الانسان مع سوء احتمال النعمة وقلة القيام بحقها وصرفها الى غير وجهها ﴿ ولم يقتروا حتى يسألوا ﴾ من اقتر الرجل اذا افتقر ﴿ وقال ابو تمام الطائى ﴾ من الكامل ﴿ عندى من الايام ما لو انه . اضحى بشارب مرقد ما غمضا ﴾ المرقد الدواء المنوم يقال ناوله الطبيب

مرقدا اى دواء يرقد شاربه يعنى ما غمض عينه لشدة الاهوال ﴿ لا تطلبن الرزق بعد شماسه ﴾ اى بعد وفوره وكثرته من شمس الفرس اذا منع ظهره اولايكاد يستقر لقوته وسمنه ﴿ فترومه شبعا ﴾ بكسر فسكون او ففتح اسم ما اشبع البطن ﴿ اذا ما غيضا ﴾ اى اذا قل ونقص يعنى لا تطلب الرزق الاكثر عند كثرته ولا تسرف فى المأكل والمشرب والملبس فيه لئلا تعتاد ذلك ولتطلب قدر ما يشبع منه اذا نقص فتستريح فى السراء والضراء ﴿ ما عوض الصبر امرؤ الا رأى . مافاته دون الذى قد عوضا ﴾ بالبناء للمفعول فيهما اى رأى مافاته من النعم الدنيوية دون الاجر الذى اعطى له عوضا عنها لان اجر الصابر بغير حساب وما من نعمة دنيوية الا وهى معدودة ومحسوبة والمعدود ادنى من غير المعدود . والحمدلله على التمام . والصلاة والسلام على رسوله خير الانام

﴿ باب ادب النفس وهو الخامس من الكتاب ﴾

﴿ اعلم ان النفس مجبولة على شيم مهملة واخلاق مرسلة لا يستغنى محمودها عن التأديب ولا يكتفى بالمرضى منها عن التهذيب لان لمحمودها اضدادا مقابلة يسعدها ﴾ اى يمتقد تلك الاضداد سعادة ﴿ هوى مطاع و شهوة غالبة ﴾ وماهو بالطبع اذا لم يتأيد بالبراهين العقلية والنقلية فلعواصف الهوى قلعه ولمتغلب الشهوة نزعه ﴿ فان اغفل تأديبها تفويضا الى العقل ﴾ الفطرى الذى استحسن محمود الاخلاق ﴿ او توكلا على ان تنقاد الى الاحسن بالطبع ﴾ لعفة وقناعة فيها ﴿ اعدمه التفويض درك المجتهدين ﴾ اى لحوقه بهم ﴿ واعقبه التوكل ندم الخادمين فصار من الادب عاطلا ﴾ من عطلت المرأة من الباب الرابع اذا لم يكن عليها حلى ﴿ وفى صورة الجهل داخلا ﴾ وقال حبيب فاحسن * وما السيف الازبرة ان تركته . على الخلقة الاولى لما كان يقطع ﴿ لان الادب مكتسب بالتجربة او مستحسن بالعادة ولكل قوم مواضعة ﴾ يستحسنونها ﴿ وكل ذلك لا ينال بتوقيف العقل ﴾ اى ببيانه المجرد عن التجربة والاطلاع على العادات ﴿ ولا بالانقياد للطبع حتى يكتسب بالتجربة والمعاناة ويستفاد بالدربة والمعاطاة ﴾ اى بالاعتياد والتخلق بالتداول مرة بعد اخرى ﴿ ثم يكون العقل عليه قيما ﴾ اى حافظا ﴿ وزكى الطبع اليه مسلما ﴾ من سلمته اليه اذا اعطيته اياه اى ثم يكون الطبع الزكى النقى من الآفات آخذا له راضيا به ﴿ ولو كان العقل ﴾ بالذات ﴿ مغنيا عن الادب لكان انبياء الله تعالى ﴾ عليهم الصلاة والسلام ﴿ عن ادبه ﴾ تعالى ﴿ مستغنين وبعقولهم مكتفين ﴾ عن انزال الكتب عليهم ﴿ وقد روى عن النبى صلى الله عليه وسلم انه قال بعثت ﴾ بالقرآن العظيم ﴿ لاتمم مكارم الاخلاق ﴾ ببيانها قولا وتصويرها فعلا قال على القارئ رواه احمد ومالك اى الملكات النفسية والحالات القدسية المتضمنة لاداء حق الحق والخلق ﴿ وقيل لعيسى بن مريم على نبينا وعليه السلام من ادبك قال ما ادبنى احد ولكن رأيت جهل الجاهل فجانبته ﴾ وباعدته فكان ادبا ﴿ وقال على بن ابى طالب رضى الله عنه ان الله تعالى جعل مكارم الاخلاق ومحاسنها وصلا بينه وبينكم ﴾ اى سبب وصول ﴿ فحسب الرجل ﴾ فضلا ﴿ ان يتصل من الله تعالى بخلق منها وقال اردشير بن بابك ﴾ من ولد بهمن الاكبر ومن الشجعان المشهورين

فى الفرس ومن حكماء الملوك واول من لعب بنرد شير وقيل هو واضعه وكتب اليه متنصح ان قوما اجتمعوا على سبك فوقع عليها ان كانوا انطقوا بالسنة شتى فقد جمعت ماقالوه فى ورقتك فجرحك اعجب ولسانك اكذب ﴾ من فضيلة الادب انه ممدوح بكل لسان ومتزين به فى كل مكان وباق ذكره على ايام الزمان . وقال مهبود شبه العالم الشريف العديم الادب بالبنيان الخراب الذى كلما علا سمكه ﴾ اى ارتفاعه ﴾ كان اشد لوحشته وبالنهر اليابس الذى كلما كان اعرض واعمق كان اشد لوعورته ﴾ ضد السهل ﴾ وبالارض الجيدة المعطلة التى كلما طال خرابها ازداد نباتها غير المنتفع به التفافا ﴾ وانضماما بعضها ببعض ﴾ وصار للهوام مسكنا ﴾ من الحية ونحوها ﴾ وقال ابن المقفع ما نحن الى ماتنقوى به على حواسنا من المطعم والمشرب باحوج منا الى الادب الذى هو لقاح عقولنا ﴾ وصلاحه ﴾ فان الحبة المدفونة فى الثرى لا تقدر ان تطلع زهرتها ونضارتها الا بالماء الذى يعود اليها من مستودعها ﴾ اى دافنها وزارعها ﴾ وحكى الاصمعى ان اعرابيا قال لابنه يا بنى الادب دعامة ﴾ بالكسر عماد البيت ﴾ ايدالله بها الالباب وحلية زين الله بها عواطل الاحساب فالعاقل لايستغنى وان صحت غريزته عن الادب المخرج زهرته كالاتستغنى الارض وان عذبت ترابها عن الماء المخرج ثمرتها . وقال بعض الحكماء الادب صورة العقل فصور عقلك كيف شئت . وقال آخر العقل بلا ادب كالشجر العاقر ومع الادب كالشجر المثمر وقيل الادب احد المنصبين ﴾ وقد قيل تعلموا الادب فلان يذم الزمان لكم افضل من ان يذم بكم ﴾ وقال بعض البلغاء الفضل بالعقل والادب لا بالاصل والحسب لان من ساء ادبه ضاع نسبه ومن قل عقله ضل اصله ﴾ لان الولد السوء يهدم الشرف وقال بزرجمهر من كثر ادبه كثر شرفه وان كان قبل وضيعا وبعد صيته وان كان خاملا وساد وان كان غريبا وكثرت الحاجة اليه وان كان فقيرا ﴾ وقال بعض الادباء ذك قلبك بالادب ﴾ امر من التذكية يقال ذكت النار اذا اشتدلهبها اى نوره به ﴾ كما تذكى النار بالحطب واتخذ الادب غنما والحرص عليه حظا يرتجيك راغب ويخاف صولتك راهب ويؤمل نفعك ويرجى عدلك وقال بعض العلماء الادب وسيلة الى كل فضيلة وذريعة الى كل شريعة . وقال بعض الفصحاء الادب يسترقبح النسب ﴾ اوصى بعض الحكماء ابنه فقال الادب اكرم الجواهر طبيعة وانفسها قيمة يرفع الاحساب الوضيعة ويفيد الرغائب الجليلة ويغنى من غير عشيرة ويكثر الانصار من غير رزية فالبسوه حلة وتزينوا به حلية يونسكم فى الوحشة ويجمع القلوب المختلفة ﴾ وقال بعض الشعراء فيه ﴾ اى فى حق الادب من المتقارب ﴾ فما خلق الله مثل العقول . ولا اكتسب الناس مثل الادب ﴾ اى فى الفضل والشرف ﴾ وما كرم المرء الا التقى . ولا حسب المرء الا النسب ﴾ اى ما كرمه الا تقواه لقوله تعالى ان اكرمكم عندالله اتقاكم واراد بالنسب ماينتسب اليه ويستحسنه طبعه من الحرف والصنايع كالفقيه والمنجم والطنبورى ونحوه ﴾ وفى العلم زين لاهل الحجا . وآفة ذى الحلم طيش الغضب ﴾ اى افساد الغضب عقله من طاش الرجل اى ذهب عقله ﴾ والشد الاصمعى رحمه الله * وان يك العقل مولودا فلست ارى . ذا العقل مستغنيا عن حادث الادب ﴾ يعنى وان كان العقل النافع هو الغريزى المطبوع فلست ارى ذلك العاقل مستغنيا عن الادب الحادث ﴾ انى رأيتهما كالماء مختلطا . بالترب تظهر منه زهرة العشب * وكل من اخطأته فى مواده .

(غريزة)

غريزة العقل حاكى البهم فى الحسب ﴾ المحاكاة المشابهة والبهم جمع بهمة كتمر وتمرة وهى ولد المعز والبقر وفى القشيرية سمعت ابانصر الطوسى يقول الناس فى الادب على ثلاث طبقات اما اهل الدنيا فاكثر آدابهم فى الفصاحة والبلاغة وحفظ العلوم واسماء الملوك واشعار العرب . واما اهل الدين فاكثر آدابهم فى رياضة النفوس وتأديب الجوارح وحفظ الحدود وترك الشهوات . واما اهل الخصوصية فاكثر آدابهم فى طهارة القلوب ومراعاة الاسرار والوفاء بالعهود وحفظ الوقت وقلة الالتفات الى الخواطر وحسن الادب فى مقام الطلب واوقات الحضور ومقامات القرب روى عن ابن سيرين انه سئل اى الآداب اقرب الى الله تعالى فقال معرفة بربوبيته وعمل بطاعته والحمد لله على السراء والصبر على الضراء وقال يحيى بن معاذ اذا ترك العارف ادبه مع معروفه هلك مع الهالكين وكان الاستاذ ابو على الدقاق يقول ترك الادب موجب يوجب الطرد فمن اساء الادب على البساط رد الى الباب ومن اساء الادب على الباب رد الى سياسة الدواب وقيل ثلاث ليس معهن غربة مجانبة اهل الريب وحسن الادب وكف الاذى وانشد فى هذا المعنى * يزين الغريب اذا ما اغترب . ثلاث فمنهن حسن الادب * وثانية حسن اخلاقه . وثالثة اجتناب الريب * وقال الجنيد اذا صحت المحبة سقطت شروط الادب وقال ابوعثمان اذا صحت المحبة تأكدت على المحب ملازمة الادب وفيها بحث طويل ﴿ والتأديب يلزم من وجهين احدهما ما لزم الوالد لولده فى صغره والثانى مالزم الانسان فى نفسه عند نشوه وكبره * فاما التأديب اللازم للاب فهو ان يأخذ ولده ﴾ ويعلمه ﴿ بمبادى الآداب ليأنس بها وينشو عليها فيسهل عليه قبولها عند الكبر لاستئناسه بمباديها فى الصغر لان نشو الصغير على الشئ يجعله متطبعا به ومن اغفل فى الصغر كان تأديبه فى الكبر عسيرا ﴾ وفرق بين تأسيس مجرى وارسال ماء فى مجرى قديم ﴿ وقد روى عن النبى صلى الله عليه وسلم ﴾ على مارواه الترمذى عن عمرو بن سعيد بن العاص ﴿ انه قال ما نحل والد ولده نحلة ﴾ اى ما اعطاه عطية ﴿ افضل من ادب حسن يفيده اياه اوجهل قبيح يكفه عنه ويمنعه منه ﴾ قال المناوى اى من تعليمه ذلك ومن تأديبه بنحو توبيخ وتهديد وضرب على فعل الحسن وتجنب القبيح فان حسن الادب مما يرفع العبيد الملوك الى مراتب الملوك ﴿ وقال بعض الحكماء بادروا بتأديب الاطفال قبل تراكم الاشغال وتفرق البال ﴾ بداعية التزوج ونفقة الاهل ونحوها ﴿ وقال بعض الشعراء ﴾ من البسيط ﴿ ان الغصون اذا قومتها اعتدلت . ولا يلين اذا قومته الخشب ﴾ جمع خشب وهو ماغلظ من العيدان اليابسة والغضون جمع غصن وهى الرقيق من فروع الاشجار ﴿ قد ينفع الادب الاحداث فى صغر . وليس ينفع عند الشيبة الادب ﴾ وكان مالك بن دينار يقول فى قصصه ما اشد فطام الكبير وقال صالح بن عبد القدوس * والشيخ لايترك اخلاقه . حتى يوارى فى ثرى رمسه * اذا ارعوى عاد الى جهله . كذى الضنى عاد الى نكسه ﴿ وقال آخر * ينشو الصغير على ماكان والده . ان الاصول عليها ينبت الشجر ﴾ وفى اصل ان العروق وهما بمعنى ﴿ واما الادب اللازم للانسان عند نشوه وكبره فادبان ادب مواضعة واصطلاح وادب رياضة واستصلاح * فاما ادب المواضعة والاصطلاح فيوخذ تقليدا على ما استقر عليه اصطلاح العقلاء واتفق عليه استحسان الادباء وليس لاصطلاحهم على وضعه

تعليل مستنبط ﴾ من الشرع ﴿ ولا لاتفاقهم على استحسانه دليل موجب ﴾ من العقل ﴿ كاصطلاحهم على مواضعات الخطاب ﴾ من الابتدائى والطلبى والتأكيدى باعتبار حال المخاطب من كونه خالى الذهن او مترددا او منكرا والقاء الكلام اليه بلا تأكيد او به استحسانا او وجوبا ثم تأكيد التأكيد بحسب انكاره قوة وضعفا ونحوه مما بين فى علم المعانى ﴿ واتفاقهم على هيئات اللباس ﴾ من طوله او قصره ووسعته اوضيقه ﴿ حتى ان الانسان الآن اذا تجاوز ما اتفقوا عليه منها ﴾ اى من تلك المواضعات او الهيئات ﴿ صار مجانبا للادب مستوجبا للذم لان فراق المألوف فى العادة ومجانبة ماصار متفقا عليه بالمواضعة مفض الى استحقاق الذم بالعقل ﴾ لان المألوف متفق عليه وفيه تشبه باهل زمانه ومجانبتها موجب للذم وقدكان النبى صلى الله عليه وسلم يتشبه اهل الكتاب فيمالم ينزل فيه ولذا قال ﴿ مالم يكن لمخالفته علة ظاهرة ومعنى حادث ﴾ كتبديل مسلكه الاول والاخفاء عن اعدائه ﴿ وقدكان جائزا فى العقل ان يوضع ذلك على غير ما اتفقوا عليه فيرونه حسنا ويرون ماسواه قبيحا فصار هذا ﴾ القسم ﴿ مشاركا لما وجب بالعقل من حيث توجه الذم على تاركه ومخالفاله ﴾ اى لما وجب بالعقل ﴿ من حيث ﴾ ﴿ انه كان جائزا فى العقل ان يوضع على خلافه ﴾ فلذا اختلفت العادات ولكل قوم اصطلاح ﴿ واما ادب الرياضة والاستصلاح فهو ما كان محمولا على حال لايجوز فى العقل ان يكون بخلافها ولا ان تختلف العقلاء فى صلاحها او فسادها ﴾ اذالم يتبعوا اهواءهم ولم ينقادوا لشهواتهم ﴿ وما كان كذلك فتعليله بالعقل مستنبط ووضوح صحته بالدليل مرتبط والنفس على ماياتى من ذلك شاهد الهمها الله تعالى ارشادا لها قال الله تعالى ﴾ فى سورة الشمس ﴿ فالهمها فجورها وتقواها ﴾ اى افهمها اياها وعرفها حالهما من الحسن والقبح ومايؤدى اليه كل منهما ومكنها من اختيار ايهما شاءت ﴿ قال ابن عباس رضى الله تعالى عنهما بين لها ماتأتى من الخير وماتذر من الشر وسنذكر تعليل كل شئ فى موضعه فانه اولى به واحق ﴾ بالذكر فيه ﴿ فاول مقدمات ادب الرياضة والاستصلاح ان لايسبق الى حسن الظن بنفسه فيخفى عنه مذموم شيمه ومساوى اخلاقه ﴾ لان عين الرضا كليلة عن كل عيب ﴿ لان النفس بالشهوات آمرة وعن الرشد زاجرة ﴾ لعدم ملائمته لها ﴿ وقدقال الله تعالى ﴾ حكاية عن يوسف عليه السلام (وما ابرئ نفسى) من الزلل وما اشهد لها بالبراءة الكلية ولا ازكيها ﴿ ان النفس لامارة بالسوء ﴾ اراد الجنس اى ان هذا الجنس يأمر بالسوء ويحمل عليه بما فيه من الشهوات (الامارحم ربى) الا البعض الذى رحمه ربى بالعصمة كالملائكة والانبياء عليهم السلام ﴿ وقال صلى الله عليه وسلم اعدى اعدائك ﴾ اى من اشد اعدائك وليس المراد بالعداوة البغض بل المراد المحنة المفوتة للخير ﴿ نفسك التى بين جنبيك ثم اهلك ثم عيالك ﴾ لانهم يوقعونك فى الاثم والعقوبة ولا عداوة اعظم من ذلك وقال العلقمى اى اذا اطعتها فى التخلف عن الطاعة اوكانت سببا لمعصية كاخذ مال من غير حله ﴿ ودعت اعرابية لرجل ﴾ احسن اليها ﴿ فقالت كبت الله كل عدو لك الا نفسك ﴾ يقال كبته من الباب الثانى اذا صرعه او اخزاه او اذله (وجعل نعمته عليك هبة لك لا عارية عندك واعاذك الله من بطر الغنى وذل الفقر وفرغك الله لما خلقك له ولاشغلك بما تكفل به لك ﴿ فاخذه بعض الشعراء فقال ﴾ من السريع وهو عباس بن الاحنف ﴿ قلبى الى ماضرنى داع . يكثر اسقامى واوجاعى * كيف احتراسى من عدوى اذا. كان عدوى بين اضلاعى ﴾ يعنى ان قلبى لدعوته

الى مايضرنى من العشق بكثرها و كيف اتحفظ واحترس من عدو هو بين اضلاعى * وقلما ابق على ما ارای . يوشك ان ينعانى الناعى * ما اقتل اليأس لاهل الهوى . لاسيما من بعد اطماع ﴿ فاذا كانت النفس كذلك ﴾ عدوة ﴿ فحسن الظن بها ذريعة الى تحكيمها وتحكيمها داع الى سلاطتها وفساد الاخلاق بها فاذا صرف حسن الظن عنها وتوسمها بما هى عليه من التسويف ﴾ بالطاعة ﴿ والمكر ﴾ بتمويه المعاصى وتأويلها ﴿ فاز بطاعتها وانحاز عن معصيتها ﴾ اى عدل وانصرف عنها ﴿ وقد قال عمر بن الخطاب رضى الله عنه العاجز من عجز عن سياسة نفسه وقال بعض الحكماء من ساس نفسه ساد ناسه * فاما سوء الظن بها فقد اختلف الناس فيه فمنهم من كرهه لما فيه من اتهام طاعتها ورد مناصحاتها ﴾ اذا نصحت ﴿ فان النفس وان كان لها مكر يردى فلها نصح يهدى فلما كان حسن الظن بها يعمى عن مساويها كان سوء الظن بها يعمى عن محاسنها ومن عمى عن محاسن نفسه ﴾ بسوء ظنه بها ﴿ كان كمن عمى عن مساويها ﴾ بحسن ظنه بها ﴿ فلم ينف عنها قبيحا ولم يهد اليها حسنا ﴾ ليأسه من صلاحها ﴿ وقد قال الجاحظ فى كتاب البيان يجب ان يكون فى التهمة لنفسه معتدلا وفى حسن الظن بها مقتصدا فانه ان تجاوز مقدار الحق فى التهمة ظلمها فاودعها ذلة المظلومين وان تجاوز بها الحق فى مقدار حسن الظن اودعها تهاون الآمنين ولكل ذلك مقدار من الشغل ولكل شغل مقدار من الوهن ولكل وهن مقدار من الجهل. وقال الاحنف بن قيس من ظلم نفسه كان لغيره اظلم ومن هدم دينه كان لمجده اهدم ﴾ لان الدين اعز وانفس ﴿ وذهب قوم الى ان سوء الظن بها ابلغ فى صلاحها واوفر فى اجتهادها لان للنفس جورا لا ينفك الا بالسخط عليها وغرورا لا ينكشف الا بالتهمة لها لانها محبوبة تجور ادلالا وتغر مكرا فان لم يسئ الظن بها غلب عليه جورها وتموه عليه غرورها ﴾ من موه النحاس اوالحديد اذا طلاه بفضة او ذهب ﴿ فصار بميسورها قانعا وبالشبهة من افعالها راضيا وقد قالت الحكماء من رضى عن نفسه اسخط عليه الناس وقال كشاجم ﴾ على وزن علابط لقب محمود بن الحسين الرملى من نواحى فلسطين كان رأسا فى الكتابة والخطابة وشاعرا مفلقا لقب نفسه به فسئل عن ذلك فقال الكاف من الكتابة والشين من الشعر والالف من الادب والجيم من النجوم والميم من الموسيقى توفى سنة ثلاثين وثلاثمأة . من الكامل ﴿ لم ارض عن نفسى مخافة سخطها . ورضى الفتى عن نفسه اغضابها ﴾ اى فى رضاه عنها واحسانه اليها سخطها وغضبها عليه وكل عدو يصلح بالاحسان الا النفس فانها تزيد عداوته ﴿ ولو انى عنها رضيت لقصرت ﴾ بوصل همزة ان لضرورة الوزن ﴿ عما تزيد بمثله آدابها ﴾ وتهاون عما فيه صلاحها وكمالها ﴿ وتبينت آثار ذاك فاكثرت. عذلى عليه فطال فيه عتابها ﴾ يعنى ظهرت آثار التقصير فعذلتها ولمتها على تقصيرها فاكثرت النفس ذلك واعظمته ولذا طال عتابها لى ﴿ وقد استحسن قول ابى تمام الطائى ﴾ فى ذلك المعنى ﴿ ويسئ بالاحسان ظنا لا كمن . هو بابنه وبشعره مفتون ﴾ اى عاشق يعنى ان النفس تسئ ظنها بها بسبب الاحسان اليها اساءة لا كاساءة من هو مفتون بابنه وبشعره بل اكبر من اسائتها اراد به ابا الطيب واسائته ادعاؤه النبوة والتى اكبر منها هى التأله كما قال بعض الاكابر للنفس

سر لم يظهر الا الفرعون ﴿ فلم يروا اساءة ظنه بالاحسان ذما ولا استقلال عمله لؤما بل رأوا ذلك ابلغ في الفضل وابعث على الازدياد * فاذا عرف من نفسه ماتجن ﴾ من اجنه الليل اذا اظلم عليه وستره ﴿ وتصورمنها ماتكن ﴾ من اكنه اذا ستره واضمره ﴿ ولم يطاوعها فيما تحب اذا كان ﴾ ماتحبه نفسه ﴿ غيا ﴾ اى ضلالة ﴿ ولا صرف عنها ما تكره اذا كان ﴾ ماتلجئ اليه النفس كأنها تكره ﴿ رشدا ﴾ لان بعض النفوس مائلة الى الجود والايثار ونحوه من الفضائل ﴿ فقد ملكها وغلبها بعد ان كان فى غلبها . وقد روى ابو حازم عن ابى هريرة قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم الشديد ﴾ البطل ﴿ من غلب نفسه ﴾ واخذه بعض الشعراء فقال * ليس الشديد الذى يحمى فريسته .عند القتال ونار الحرب تشتعل * لكن من كف طرفا اوثنى قدما . عن الحرام فذاك الفارس البطل ﴿ وقال عون بن عبدالله ﴾ بن عتبة بن مسعود قال الجاحظ كان خطيبا راوية ناسبا شاعرا وكان حين هرب الى محمد بن مروان فى فك ابن الاشعث الزمه ابنه يؤدبه ويقومه فقال له يوما كيف ترى ابن اخيك قال الزمتنى رجلا ان غبت عنه عتب وان اتيته حجب وان عاتبته غضب ثم لزم عمر بن عبدالعزيز وكان ذا منزلة عنده ﴿ اذا عصتك نفسك فيما كرهت فلا تطعها فيما احبت ﴾ نفسك ﴿ ولا يغرنك ثناء من جهل امرك . وقال بعض البلغاء من قوى على نفسه تناهى فى القوة ﴾ لان الظفر على اعدى الاعداء هو كمال القوة وتمامها ﴿ ومن صبر عن شهوته ﴾ المشتهة او المكروهة ﴿ بالغ فى المروءة فحينئذ يأخذ نفسه عند معرفة ما اكنت وعند خبرة ما اجنت بتقويم عوجها ﴾ لقدرته عليها ﴿ واصلاح فاسدها ﴾ لصبره عن شهوتها ﴿ وقد روى عن عائشة رضى الله عنها قالت يارسول الله متى يعرف الانسان ربه ﴾ بعزه وكماله وتقدسه عن النقائص ﴿ قال اذا عرف نفسه ﴾ بالذل والنقيصة وان جميع كمالاتها مكتسبة ﴿ ثم يراعى منها ﴾ معطوف على قوله فحينئذ يأخذ اى ويراعى من شؤنها ويحافظ ﴿ ماصلح واستقام من زيغ يحدث عن اغفال اوميل يكون عن اهمال ﴾ بيان للشؤن والزيغ الميل الى ماليس بحق ﴿ ليتم له الصلاح وتستديم له السعادة فان المغفل ﴾ اى المتروك غفلة ﴿ بعد المعاناة ﴾ فى تحصيله ﴿ ضائع والمهمل بعد المراعاة ذائع ﴾ من ذاع السر اذا شاع وفيه ضياعه وفى القشيرية سمعت الاستاذ ابا على الدقاق يقول من زين ظاهره بالمجاهدة زين الله سرائره بالمشاهدة قال الله تعالى والذين جاهدوا فينا لنهدينهم سبلنا وعنه ايضا قولهم الحركة بركة حركات الظواهر توجب بركات السرائر وعن ابى يزيد كنت ثنتى عشرة سنة حداد نفسى وخمس سنين كنت مرآة قلبى وسنة انظر فيما بينهما فاذا فى وسطى زنار ظاهر فعملت فى قطعه ثنتى عشرة سنة ثم نظرت فاذا فى باطنى زنار فعملت فى قطعه خمس سنين انظر كيف اقطعه فكشف لى فنظرت الى الخلق فرأيتهم موتى فكبرت عليهم اربع تكبيرات * واعلم ان اصل المجاهدة وملاكها فطم النفس عن المألوفات وحملها على خلاف هواها فى عموم الاوقات وللنفس صفتان مانعتان لها من الخير انهماك فى الشهوات وامتناع عن الطاعات فاذا جمحت عند ركوب الهوى وجب كبحها بلجام التقوى واذا حرنت عند القيام بالموافقات يجب سوقها على خلاف الهوى واذا ثارت عند غضبها فمن الواجب مراعاة حالها فما من منازلة احسن عاقبة من غضب يكسر

سلطانه بخلق حسن وتخمد نيرانه برفق فاذا استحلت شراب الرعونة فضاقت الاعن اظهار مناقبها والتزين لمن ينظر اليها ويلاحظها فمن الواجب كسر ذلك عليها واحلالها بمقوبة الذل بما يذكرها من حقارة قدرها وخساسة اصلها وقذارة فعلها وجهد العوام فى توفية الاعمال وقصد الخواص الى تصفية الاحوال فان مقاساة الجوع والسهر سهل يسير ومعالجة الاخلاق والتنق عن سفا سفها صعب شديد ﴿ وسنذكر من احوال ادب الرياضة والاستصلاح فصولا تحتوى على ما يلزم مراعاته من الاخلاق ويجب معاناته من الادب وهى ستة فصول متفرعة ﴾

﴿ الفصل الاول فى مجانبة الكبر والاعجاب ﴾ والثانى فى حسن الخلق والثالث فى الحياء والرابع فى الحلم والغضب والخامس فى الصدق والكذب والسادس فى الحسد والمنافسة وقد جمع اصول الاخلاق حسنها وسيئها والبواقى متفرعة منها ﴿ لانهما يسلبان الفضائل ويكسبان الرذائل وليس لمن استوليا عليه اصغاء لنصح ولا قبول لتأديب لان الكبر يكون بالمنزلة ﴾ الرفيعة ونفوذ الامر ﴿ والعجب يكون بالفضيلة ﴾ وكثرة مديح المتقربين ﴿ فالمتكبر يجل نفسه عن رتبة المتعلمين ﴾ المتنصحين اى يعد او يعتقد نفسه جليلا وعظيما عن رتبتهم فافعل للاعتقاد ﴿ والمعجب يستكثر فضله ﴾ اى يعتقده كثيرا ﴿ عن استزادة المتأدبين ﴾ فهما مع كونهما اصلى الرذائل مانعان من تحصيل الكمال ﴿ فلذلك ﴾ السلب والمنع ﴿ وجب تقديم القول فيهما ﴾ لانهما كقطاع الطريق بينه وبين حسن الخلق فوجب استئصالهما ليأمن الطريق ﴿ بابانة ﴾ واظهار ﴿ مايكسبانه من ذم ويوجبانه من لوم فنقول اما الكبر ﴾ وهو الاستروح والركون الى رؤية النفس فوق المتكبر عليه فلا بدله منه بخلاف العجب واظهار الكبر موجودا او معدودا حقا او باطلا بقول او فعل تكبر والاستكبار يختص بالباطل فلذا لا يوصف الله تعالى به بخلاف المتكبر والتكبر حرام الاعلى المتكبر فانه قد ورد فيه انه صدقة والاعند القتال وعند الصدقة باظهار الغنى وعدم الالتفات الى المال واستصغاره واستقلاله ليقصده الفقراء بنشاط وامن من المن والاذى كما فى الطريقة ﴿ فيكسب المقت ﴾ اى المبغوضية عند الله وعند الناس ﴿ ويلهى عن التألف ﴾ بمن لا يستغنى عن معاشرتهم ﴿ ويوغر صدور الاخوان ﴾ اى يغريها بالحقد عليه ﴿ وحسبك بذلك ﴾ الثلاثة ﴿ سوءا عن استقصاء ذمه ولذلك ﴾ الكسب ﴿ قال النبى صلى الله عليه وسلم لعمه العباس انهاك عن الشرك بالله والكبر فان الله يحتجب منهما ﴾ اى لا يغفر لصاحبهما كما ورد به النصوص وفى حديث ابى هريرة عنه عليه السلام قال قال الله تعالى (الكبرياء ردائى والعظمة ازارى) قال فى النهاية ضرب الازار والرداء مثلا فى انفراده بصفة العظمة والكبرياء اى ليستا كسائر الصفات التى قد يتصف بها الخلق مجازا كالرحمة والكرم وغيرهما وشبههما بالازار والرداء لان المتصف بهما يشملانه كما يشمل الرداء الانسان ولانه لا يشاركه فى ازاره وردائه احد كذلك الله تعالى لا ينبغى ان يشركهما فيه احد وقال المناوى اى هما صفتان مختصتان بى فلا يليقان لغيرى (فمن نازعنى واحدا منهما قذفته فى النار) اى رميته فيها التشوقه الى ما لا يليق الا بالواحد القهار ﴿ وقال اردشير بن بابك ما الكبر الا فضل حمق لم يدر صاحبه اين يذهب به فيصرفه الى الكبر وما اشبه ﴾ بالتعجب ﴿ ما قال بالحق ﴾ ولم يكن اهل كتاب ﴿ وحكى ان مطرف بن عبدالله بن الشخير ﴾ بكسر فتشديد

﴿ نظر الى المهلب بن ابى صفرة ﴾ واسم ابى صفرة ظالم بن سراق بن صبح الازدى العتكى البصرى امير كبير مشهور الذكر شجاع جواد نشأ فى دولة آل ابى سفيان وقتل الخوارج وحفظ البصرة من تجاوزاتهم واستمر على ذلك الى ان مات فى خراسان فى زمن الحجاج سنة ثلاث وثمانين من الهجرة وهو اول من اتخذ الركب الحديد وكانت قبل ذلك من الخشب وكان يقال ساد الاحنف بحلمه ومالك بن مسمع بمحبته للعشيرة وقتيبة بدهائه وساد المهلب بهذه الخلال جميعها ومن كلامه عجبت لمن يشترى العبيد بماله ولا يشترى الاحرار بافضاله وكان كثيرا يأمر بصلة الرحم والمكيدة فى الحرب ﴿ وعليه حلة يسحبها ﴾ اى يجرها على وجه الارض ﴿ ويمشى الخيلاء ﴾ بضم الخاء وكسرها الكبر ﴿ فقال ﴾ المطرف ﴿ ياابا عبدالله ماهذه المشية ﴾ نوع من المشى ﴿ التى يبغضها الله ورسوله فقال ﴾ المهلب ﴿ اما تعرفنى ﴾ وتنهانى مما رأيت ﴿ فقال بل اعرفك اولك نطفة مذرة ﴾ اى قذرة ﴿ وآخرك جيفة قذرة وحشوك فيما بين ذلك ﴾ الاول والآخر ﴿ بول وعذرة فاخذ ابن عوف هذا الكلام فنظمه شعرا فقال ﴾ من المنسرح ﴿ عجبت من معجب بصورته . وكان بالامس نطفة مذرة ﴾ واراد بالامس زمان تولده من ابيه ﴿ وفى غد بعد حسن صورته . يصير فى اللحد جيفة قذره * وهو على تيهه ونخوته . مابين ثوبيه يحمل العذره ﴾ فى امعائه ﴿ وقد كان المهلب افضل من ان يخدع نفسه بهذا الجواب الغير الصواب ولكنها ﴾ اى كلمته تلك ﴿ زلة من زلات الاسترسال وخطيئة من خطايا الادلال ﴾ قلما يخلو عنه انسان ﴿ فاما الحمق الصريح والجهل القبيح فهو ماحكى عن نافع بن جبير بن مطعم انه جلس فى حلقة العلاء بن عبدالرحمن الحرقى وهو يقرئ الناس فلما فرغ ﴾ العلاء ﴿ قال ﴾ نافع ﴿ اتدرون لم جلست اليكم قالوا جلست لتسمع قال لا ولكنى اردت ان اتواضع لله بالجلوس اليكم فهل يرجى من مثل هذا ﴾ القائل ﴿ فضل اوينفع فيه عذل ﴾ ولوم وهو اعظم زهوا من ذباب على خرا ﴿ وقد قال ابن المعتز لما عرف اهل النقص حالهم ﴾ ومنزلتهم ﴿ عند ذوى الكمال ﴾ ولم يمكن لهم مقابلة كمالهم بكمال ﴿ استعانوا بالكبر ليعظم صغيرا ويرفع حقيرا ﴾ الى درجة ذوى الكمال اوفوقها ﴿ وليس بفاعل ﴾ اصلا لما سبق ان الكبر فضل حمق وانما يرفع الوضيع العلم والعقل ﴿ واما الاعجاب ﴾ من اعجب اى صار ذا عجب وهو بضم فسكون استعظام العمل الصالح وذكر حصول شرفه بشئ دون الله تعالى من النفس اوالناس وقد يطلق على مطلق استعظام النعمة والركون اليها مع نسيان اضافتها الى المنعم وضده ذكر المنة وهو ان يذكر انه بتوفيق الله تعالى وانه الذى شرفه وعظم ثوابه وقدره وهذا الذكر فرض عند دواعى العجب ﴿ فيخفى المحاسن ويظهر المساوى ويكسب المذام ويصد عن الفضائل وقد روى عن النبى صلى الله عليه وسلم انه قال ان العجب ليأكل الحسنات كما تأكل النار الحطب ﴾ والمضبوط الحسد يأكل الحسنات فلعله رواية اخرى ﴿ وقال على بن ابى طالب كرم الله وجهه الاعجاب ضد الصواب وآفة الالباب وقال بزرجمهر النعمة التى لايحسد صاحبها عليها التواضع والبلاء الذى لايرحم صاحبه منه ﴾ اى من اجله ﴿ العجب وقال بعض الحكماء عجب المرء بنفسه احد حساد عقله ﴾ يتمنى زوال فضل عقله وكماله من حيث منعه من الزيادة ﴿ وليس الى مايكسبه الكبر من المقت حد ولا الى ماينتهى اليه العجب من الجهل غاية حتى انه ﴾ اى

العجب ﴿ ليطفئ من المحاسن ما انتشر ويسلب من الفضائل ما اشتهر وناهيك بسيئة تحبط كل حسنة وبمذمة تهدم كل فضيلة مع مايثيره من حنق ﴾ اى يهيجه من بغض ﴿ ويكسبه من حقد حكى عمر بن حفص ﴾ بن عاصم بن عمر بن الخطاب ﴿ قال قيل للحجاج كيف وجدت منزلك بالعراق قال خير منزل لوكان الله بلغنى قتل اربعة فتقربت اليه بدمائهم قيل ومن هم قال مقاتل بن مسمع ولى سجستان ﴾ من توابع خراسان ﴿ فاتاه الناس فاعطاهم الاموال فلما عزل دخل مسجد البصرة فبسط الناس له ارديتهم ﴾ تعظيما له ﴿ فمشى عليها وقال لرجل يماشيه ﴾ اعجابا ﴿ لمثل هذا ﴾ التعظيم والتفخيم ﴿ فليعمل العاملون ﴾ اقتباس من آية الصافات وقبلها وما نحن بمعذبين ان هذا لهو الفوز العظيم لمثل هذا الآية ﴿ وعبيد الله بن زياد بن ظبيان التيمى خوف اهل البصرة امر فخطب خطبة اوجز فيها ﴾ مع بلوغ المرام ﴿ فنادى الناس من اعراض المسجد ﴾ من اطرافه ﴿ اكثر الله فينا مثلك ﴾ ازالت خوفنا ﴿ فقال ﴾ عبيد الله ﴿ لقد كلفتم الله شططا ﴾ يقال شط فى السلعة شططا اذا جاوز القدر والحد وتباعد عن الحق وعده الجاحظ من الخطباء وقال كان عبيد الله افتك الناس واخطب الناس وقال له ابوه الا اوصى لك قال لاقال ولم قال اذا لم يكن للحى الا وصية الميت فالحى هو الميت وقال قال اشيم بن شقيق بن ثور لعبيد الله بن زياد بن ظبيان ما انت قائل لربك وقد حملت رأس مصعب بن الزبير الى عبد الملك بن مروان قال اسكت فانت يوم القيمة اخطب من صعصعة بن صوحان اذا تكلمت الخوارج فاظنك ببلاغة رجل مثل عبيد الله بن زياد ﴿ ومعبد بن زرارة كان ذات يوم جالسا فى طريق فمرت به امرأة فقالت له ياعبد الله كيف الطريق الى موضع كذا فقال ياهناة مثلى يكون من عبيد الله ﴾ الهن بالتخفيف الشئ المستهجن اوالغير المناسب تصريحه يقال فى النداء للرجل ياهن وللمرأة ياهناة ﴿ وابوشمال الاسدى اضل راحلة فالتمسها فلم يجدها فقال والله ان لم يرد ﴾ الله ﴿ الى راحلتى لاصليت له صلاة ابدا فالتمسها الناس ﴾ ثانيا ﴿ فوجدوها فقالوا له قد رد الله راحلتك فصل ﴾ اى دم عليها ﴿ فقال ان يمينى يمين مصر ﴾ كأنه يهدد الله به نعوذ بالله تعالى ﴿ فانظر الى هؤلاء كيف افضى بهم العجب الى حمق صاروا به نكالا ﴾ اى عقوبة بسبب كفرهم ﴿ فى الاولين ﴾ حتى تمنى الحجاج التقرب الى الله بدمائهم ﴿ ومثلا فى الآخرين ﴾ نعوذ بالله من الخذلان المؤدى الى النيران ولاحول ولا قوة الا بالله العلى العظيم ﴿ ولو تصور المعجب المتكبر مافطر عليه من جبلة وبلى به من مهنة لخفض جناح نفسه ﴾ اى تذلل ﴿ واستبدل لينا من عتوه وسكونا من نفوره وقال الاحنف بن قيس عجبت لمن جرى فى مجرى البول مرتين كيف يتكبر وقد وصف بعض الشعراء الانسان فقال ﴾ من البسيط ﴿ يامظهر الكبر اعجابا بصورته ﴾ الحسنة ﴿ انظر خلاك فان النتن تثريب ﴾ يقال ثربه اذا لامه وعيره بذنبه اى يثربك تثريبا عدل الى الرفع بعد حذف فعله لقصد الدوام كأن حاله يفيد انه كان من انفس المطعومات والذ المشتهيات وكان يرغب اليه ويبذل دون وصوله الاموال ويكرم به الاخوان وما صاحبك الا زمانا يسيرا فكان ما كان وصار ما صار وماذلك الا لمصاحبتك فبئس صديق انت ﴿ لو فكر الناس فيما فى بطونهم ما استشعر الكبر شبان ولا شيب ﴾ هل فى ابن آدم مثل الرأس مكرمة باربع هو فى الاقذار مضروب ﴾ اى مشهور ﴿ انف يسيل واذن ريحها سهك ﴾ متعفن وخبيث ﴿ والعين

مرفضة والثغر ملعوب ﴾ اى ذولعاب ومرفضة من الارفضاض يقال ارفض الدمع اذا ترشش ﴿ يا ابن التراب ومأكول التراب غدا . اقصر فانك مأكول ومشروب ﴾ اى اقصر من طولك بتطامن رأسك كما قال الله تعالى ولا تمش فى الارض مرحا انك لن تخرق الارض ولن تبلغ الجبال طولا ﴿ واحق من كان للكبر مجانبا وللاعجاب مباينا من جل فى الدنيا قدره وعظم فيها خطره ﴾ كما قال السعدى تواضع ز كردن فرازان نيكوست . كدا كر تواضع كند خوى اوست ﴿ لانه قد يستقل ﴾ اى يعد قليلا ﴿ بعالى همته كل كثير ﴾ فباى شئ يتكبر ﴿ ويستصغر معها كل كبير ﴾ فلا شئ يتعجب ومما جبل عليه الحر الكريم ان لا يقنع من شرف الدنيا والآخرة بشئ مما انبسط له من امر الدنيا بل يكون امله فيما هو اسنى منه درجة وارفع رتبة كما يأتى فى علو الهمة ﴿ وقال محمد ﴾ الباقر ﴿ بن على ﴾ بن الحسين بن على بن ابى طالب رضى الله عنهم ﴿ لا ينبغى للشريف ان يرى شيئا من الدنيا لنفسه خطيرا ﴾ اى رفيعا من نفسه ﴿ فيكون بها نابها ﴾ اى عظيما وجليل الشان لانه خلق للانسان والانسان للمعرفة فهو افضل منه وفى رؤيتها خطيرا تعظيم ما حقر وتحقير ما عظم ﴿ وقال ابن السماك لعيسى بن موسى ﴾ بن ابى العباس السفاح كان والى الكوفة بعد انشاء بغداد ﴿ تواضعك فى شرفك اشرف لك من شرفك وكان يقال اسمان متضادان ﴾ يستعملان ﴿ بمعنى واحد التواضع والشرف ﴾ لان التواضع هو الذل ﴿ وللكبر اسباب فمن اقوى اسبابه علو اليد ونفوذ الامر وقلة مخالطة الاكفاء ﴾ جمع كفوء اى الامثال ﴿ وحكى ان قوما مشوا خلف على بن ابى طالب رضى الله عنه فقال ابعدوا عنى خفق نعالكم ﴾ اى صوتها ﴿ فانها مفسدة لقلوب نوكى الرجال ﴾ جمع انوك ﴿ ومشوا خلف ابن مسعود ﴾ رضى الله عنه ﴿ فقال ارجعوا فانها ﴾ اى المشية ﴿ زلة للتابع وفتنة للمتبوع ﴾ لكونها داعية الى الاعجاب ﴿ وروى قيس بن حازم ان رجلا اتى به للنبى صلى الله عليه وسلم فاصابته رعدة ﴾ من دهشة القدوم عليه ﴿ فقال له صلى الله عليه وسلم هون عليك فانما انا ابن امرأة كانت تأكل القديد ﴾ اى اللحم المشوى بالشمس ﴿ وانما قال ذلك صلى الله عليه وسلم حسما لمواد الكبر وقطعا لذرائع الاعجاب وكسرا لاشر النفس ﴾ اى بطرها وتكبرها بحملها عليه شطارتها من اشر الرجل اشرا من الباب الرابع اذا فرح وفيرا ومرح ﴿ وتذليلا لسطوة الاستعلاء ﴾ لانه اتى ذلك الرجل اسيرا ﴿ ومثل ذلك ماروى عن عمر بن الخطاب رضى الله عنه انه نادى الصلاة جامعة فلما اجتمع الناس صعد المنبر فحمد الله واثنى عليه وصلى على نبيه صلى الله عليه وسلم ثم قال ايها الناس لقد رأيتنى ارعى على خالات لى من بنى مخزوم فيقبضن لى القبضة من التمر والزبيب فاظل اليوم ﴾ من ظل يعمل كذا اذا عمله بالنهار دون الليل وبابه علم ﴿ واى يوم ﴾ حسن هو فكأنه يتحسر على مافات وهو خليفة ﴿ فقال له عبد الرحمن بن عوف والله يا امير المؤمنين مازدت على ان قصرت بنفسك ﴾ لان تحسر العالى الكبير على الدنى الحقير من دناءة النفس و حقارة الطبع ﴿ فقال عمر رضى الله عنه ويحك ﴾ كلمة رحمة كما ان ويل كلمة عذاب ﴿ يا ابن عوف انى خلوت فحدثتنى نفسى فقالت انت امير المؤمنين فمن ذا افضل منك فاردت ان اعرفها نفسها ﴾ وما كان عليا رضى

الله عنه ﴾ وللاعجاب اسباب فمن اقوى اسبابه كثرة مديح المتقربين واطراء المتملقين الذين جعلوا النفاق ﴾ القولى ﴿ عادة ومكسبا و التملق خديعة وملعبا فاذا وجدوه ﴾ اى المتملقون مديحهم واطراءهم ﴿ مقبولا فى العقول الضعيفة ﴾ اى عند اصحابها لان اصحاب العقول الصحيحة يعرفون انفسهم بذواتهم لا باطراء المتملق ﴿ اغروا اربابها باعتقاد كذبهم وجعلوا ذلك ذريعة الى الاستهزاء بهم ﴾ اوسلب اموالهم ﴿ وقدروى عن النبى صلى الله عليه وسلم انه سمع رجلا يزكى رجلا ﴾ فى غيبته ﴿ فقال ﴾ صلى الله عليه وسلم ﴿ لهقطعت مطاه ﴾ اى ظهره ﴿ لوسمعها ما افلح بعدها ﴾ اى بعد كلمة المدح لتوهينها سعيه ﴿ وقال عمر بن الخطاب رضى الله عنه المدح ذبح ﴾ ولايحس به المذبوح لحدة سنان اللسان ﴿ وقال ابن المقفع قابل المدح كمادح نفسه ﴾ حكى ان خالد بن عبدالله القسرى قال لعمر بن عبدالعزيز رحمه الله من كانت الخلافة زانته فقد زينتها ومن شرفته فقد شرفتها فانت كما قال الشاعر ۞ وتزيدين اطيب الطيب طيبا . ان تمسيه اين مثلك اينا ۞ واذا الدر زان حسن وجوه . كان للدر حسن وجهك زينا ۞ قال عمر ان صاحبكم اعطى مقولا ولم يعط معقولا ﴿ وقال بعض الحكماء من رضى ان يمدح ﴾ بالبناء للمفعول ﴿ بماليس فيه فقد امكن الساخر منه ﴾ اى صيره ذا مكنة وقدرة على سخريته به ﴿ وروى عن النبى صلى الله عليه وسلم ﴾ على مارواه ابن ماجة عن معاوية بن ابى سفيان ﴿ انه قال اياكم والتمادح فانه الذبح ﴾ قال المناوى لان المذبوح هو الذى يفتر عن العمل والمدح يوجب الفتور اولان المدح يوجب العجب والكبر وهو مهلك كالذبح فالمدح مذموم سيما ان كان فيه مجازفة وقد اثنى على رجل صالح فقال اللهم ان هؤلاء لايعرفونى وانت تعرفنى وقال على رضى الله عنه لما اثنى عليه اللهم اغفرلى مالا يعلمون ولاتوأخذنى بمايقولون واجعلنى خيراً مما يظنون وذلك توبته كما فى الشعب للبيهقى ﴿ ان كان احدكم مادحا اخاه لامحالة فليقل احسب ولا ازكى على الله احدا ﴾ ومايؤدى مؤداه مثل عسى ولعل ﴿ وقيل فيما انزل الله من الكتب السالفة عجبت لمن قيل فيه الخير وليس فيه كيف يفرح وعجبت لمن قيل فيه الشر وهو فيه كيف يغضب وقال بعض الشعراء ﴾ من البسيط ﴿ ياجاهلا غره افراط مادحه . لايغلبن جهل من اطراك علمك بك ﴾ قوله جاهلا منادى منكر وقوله لايغلبن بالنون الخفيفة جواب النداء وجهل فاعله ومفعوله علمك والاطراء حسن المدح والثناء يقال اطراه اذا احسن الثناء عليه ولما كان اضافة الجهل الى المطرى غير بديهى بينه بقوله ﴿ اثنى وقال بلا علم احاط به . وانت اعلم بالمحصول من ريبك ﴾ يعنى اثناك المطرى وقال فيك ماقال بلا علم احاطه به بل بظن وامارة وانت اعلم من المطرى بالذى حصل منك من الريوب والآثام التى اضطربت نفسك عند حصولها والمطرى لايعرفها اصلا ﴿ وهذا امر ينبغى للعاقل ﴾ اذا اثنى ﴿ ان يضبط نفسه عن ان يستفزها ﴾ الفز الخفيف وقعد مستفزا اى غير مطمئن ﴿ ويمنعها من تصديق المدح لها ﴾ وقد اجاب بعض الصلحاء المطرى بقوله ۞ كفيت اذى يامن تعد محاسنى . علانيتى هذا ولم تدر باطنى ۞ وبعضهم بقوله ۞ ولو علم الخلائق سوء فعلى . لماردوا الى مثلى سلاما ﴿ فان للنفس ميلا لحب الثناء وسماع المدح وقال الشاعر ﴾ من الكامل ﴿ يهوى الثناء مبرز ومقصر . حب الثناء طبيعة الانسان ﴾ يقال برّز الرجل اذا فاق اصحابه فضلا اوشجاعة ضد قصر (فاذا سامح نفسه فى مدح الصبوة ﴾ اى فى جهلة الفتوة

والشبابة ﴿ وتابعها على هذه الشهوة تشاغل بها عن الفضائل الممدوحة ولها بها ﴾ اى بتلك المسامحة ﴿ عن المحاسن الممنوحة ﴾ اى ويترك السعى ويغفل عن المحاسن التى ستمنح لولم يغفل عنها يقال لها بالشئ من باب عدا اى لعب به ﴿ فصار الظاهر من مدحه كذبا ﴾ لان للممدوح محاسن منتظرة وقد ابرز المطرى ماهو بالقوة فى معرض الفعل وذلك الابراز كذب حقيقة وصدق مجازا ان وجدت قرينة مانعة ولا ينصب فى المدائح قرينة اصلا فضلا عن كونها مانعة فظواهرها كذب حقيقة ﴿ والباطن من ذمه صدقا ﴾ عبر بالباطن لان الذم يخفى فى المدائح من حيث ان الممدوح قابل للمحاسن المبسوطة فيها الا انه لم يتصف بجميعها بالفعل بل بعضها بالقوة وذلك صدق لامحالة فيتعارض الصدق الباطن والكذب الظاهر ﴿ وعند تقابلهما يكون الصدق ﴾ وهو الذم ﴿ الزم الامرين ﴾ لان القضايا الملفوظة موضوعها الصدق والكذب احتمال عقلى مرجوح مبنى على جواز تخلف الالفاظ عن موضوعاتها اللغوية بان يراد بها الهزء او المجاز او الكناية ﴿ وهذه ﴾ المسامحة والتبعية ﴿ خدعة ﴾ دقيقة ﴿ لا يرتضيها عاقل ولا ينخدع بها مميز ﴾ بين الظاهر والباطن ﴿ وليعلم ﴾ العاقل ﴿ ان المتقرب بالمدح يسرف ﴾ فيه حتى ينتهى الى مرتبة الغلو والاغراق ﴿ مع القبول ويكف ﴾ عن الاسراف ﴿ مع الاباء ﴾ والاشمئزاز ﴿ فلا يغلبه حسن الظن ﴾ بنفسه اومادحه ﴿ على تصديق مدح هو اعرف بحقيقته ولكن تهمة المادح اغلب عليه ﴾ من تصديق ماقاله ﴿ فقل مدح كان جميعه صدقا وقل ثناء كان كله حقا ولذلك ﴾ اى لكون المدح متضمنا للكذب والباطل ﴿ كره اهل الفضل ان يطلقوا السنتهم بالثناء والمدح تحرزا من التجاوز فيه ﴾ لان احلى المدائح اكذبه ﴿ وتنزيها عن التملق به ﴾ والتملق من اخلاق اللئام وقال منصف من الشعراء * الكلب والشاعر فى منزل . ياليت انى لم اكن شاعرا * هل هو الاباسط كفه . يستطعم النازل والصادرا * والله لولا خرفات الهوى . ما كنت الارجلا تاجرا ﴿ وقدروى مكحول ﴾ كان منزلته فى الشام كمنزلة الحسن البصرى فى البصرة والشعبى فى الكوفة وسعيد بن المسيب فى المدينة يروى عن انس وغيره من الصحابة والتابعين وكان عجميا ﴿ قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم لاتكونوا عيابين ﴾ الناس ﴿ ولاتكونوا لعانين ﴾ فى كل ماهم عليه ﴿ ولامتمادحين ولامتماوتين ﴾ من تماوت اى اظهر صورة الموت بالضعف والنحافة او بالقول والفعل وفى الكامل للمبرد روى ان عمر رضى الله عنه نظر الى رجل مظهر للنسك متماوت فخفقه بالدرة وقال لاتمت علينا ديننا اماتك الله ﴿ وحكى الاصمعى ان ابابكر الصديق رضى الله عنه كان اذا مدح ﴾ بالبناء للمفعول ﴿ قال اللهم انت اعلم بى من نفسى وانا اعلم بنفسى منهم ﴾ اى من المداحين ﴿ اللهم اجعلنى خيرا مما يحسبون واغفر لى مالايعلمون ﴾ من الآثام ﴿ ولا تؤاخذنى بما يقولون ﴾ وقد سبق ان ذلك توبة الممدوح ﴿ وقال بعض الشعراء ﴾ من الطويل ﴿ اذا المرأ لم يمدحه حسن فعاله . فمادحه يهذى وان كان مفصحا ﴾ ومبينا عن حسن فعاله ويهذى من الهذيان يقال هذى الرجل من الباب الثانى اذا تكلم بغير معقول لمرض او غيره فالمادح كالشاهد الزور المشهور به يرده الحاكم كله واما حسن الفعال فشاهد عدل مزكى فشهادته مقبولة فى الدنيا وفى الآخرة ايضا لولم يتهم بالرياء اوالسمعة ﴿ وربما آل حب المدح بصاحبه الى ان يصير مادح نفسه امالتوهمه ان الناس قد

(غفلوا)

غفلوا عن فضله واخلوا بحقه ﴿ من المدح فيسوقه المنافسة الى مدح نفسه وفتح باب الاستهزاء عليه ومن الامثال التركيه بزم شيخك كراماتى اولور منقول كنندندن ﴿ واما ليخدعهم بتدليس نفسه بالمدح والاطراء ﴿ اى بتزيينها ﴿ فيعتقدون ان قوله حق متبع وصدق مستمع ﴿ فلو تضمن مدحه التعريض بذم شريكه فى مسلكه فقد تمت خمر المدح بكباب الغيبة ﴿ واما لتلذذه بسماع الثناء وسرور نفسه بالمدح والاطراء كما يتغنى بنفسه طربا اذا لم يسمع صوتا مطربا ولا غناء ممتعا ﴿ اى مفيد النشاط ﴿ ولاى ذلك ﴿ الثلاثة ﴿ كان ﴿ مدح النفس ﴿ فهو الجهل الصريح والنقص الفضيح ﴿ وما ورد فى الاحاديث ماصورته التمدح فليس للاعجاب بل لتعليم الامة وتحديث النعمة والانبياء عليهم السلام معصومون عن الزلة فكيف بالقبيحة ﴿ وقد قال بعض الشعراء ﴿ من الطويل ﴿ وما شرف ان يمدح المرء نفسه. ولكن اعمالا تذم وتمدح ﴿ وتنوين اعمالا عوض عن المضاف اليه اى اعماله تذمه اوتمدحه والشرف فى مدح الاعمال ﴿ وما كل حين يصدق المرء ظنه ﴿ بدل اشتمال من المرء لان بعض الظن اثم ومن ذلك حسن ظنه بنفسه مع انها اعدى عدوه ﴿ ولا كل اصحاب التجارة يربح ﴿ بل يخسر بعضه حتى يفلس كالمادح نفسه ﴿ ولا كل من ترجو لغيبك حافظا ﴿ خبر لا اى ولا كل من ترجوه لحفظ غيبك حافظا له ﴿ ولا كل من ضم الوديعة يصلح ﴿ لضمها وحفظها فكم اسرار سمعت من واش وكم ابكار صرن امهات اولاد وقال الامير ضياء امید وفايا مه هرشخص دغلده . چوق حاجيلرك چيقدى حاجى زير بغلده ﴿ وينبغى للعاقل ان يسترشد اخوان الصدق ﴿ اى ان يطلب الرشاد منهم ﴿ الذينهم اصفياء القلوب ومرايا المحاسن والعيوب ﴿ من حيث اطلاعهم عليهما كانهما انطبعا فيهم ﴿ على ماينبهونه عليه من مساويه التى صرفه حسن الظن ﴿ اى حسن ظنه بنفسه ﴿ عنها ﴿ عن تلك المساوى ﴿ فانهم امكن نظرا واسلم فكرا ويجعلون ماينبهونه عليه من مساويه عوضا عن تصديق المدح فيه ﴿ والاصفياء لايتهمون بالحسد ولو بلاعوض ﴿ وقد روى انس بن مالك ﴿ على مارواه الطبرانى والضياء المقدسى عنه ﴿ عن النبى صلى الله عليه وسلم انه قال المؤمن مرآة المؤمن ﴿ اى يبصر من نفسه مالا يراه بدونه او المؤمن فى اراءة عيب صاحبه كالمرآة المجلوة التى تحكى كل ما ارتسم فيها من الصور ﴿ اذا رأى فيه عيبا اصلحه ﴿ اى اصلح كل منهما عيب نفسه ﴿ وكان عمر بن الخطاب رضى الله عنه يقول رحم الله امرأ اهدى الينا مساوينا ﴿ لنصلحها ﴿ وقيل لبعض الحكماء اتحب ان تهدى اليك عيوبك قال نعم من ناصح ﴿ يريد برائتى من العيوب لامن عدو يشمت بالذنوب ﴿ ومما يقارب معنى هذا القول ماروى عن عمر بن الخطاب رضى الله عنه انه قال لابن عباس رضى الله عنهما من ترى ان نوليه حمص ﴿ من نواحى الشام ﴿ فقال رجلا صحيحا منك ﴿ لاتسوء به الظن بانه ليس من اهل الكفاية ﴿ صحيحا لك ﴿ مخلصا فى طاعتك ﴿ قال ﴿ عمر ﴿ تكون انت ذلك الرجل قال ﴿ ابن عباس ﴿ لاتنتفع بى مع سوء ظنى بك وسوء ظنك بى ﴿ لما حملت كلامى على التعريض وسؤال الولاية ومقاربة هذا لذلك من جهة عدم الانتفاع مع سوء الظن ﴿ وقيل فى منثور الحكم من اظهر عيب نفسه فقد زكاها ﴿ من حيث ايمائه الى انه برئ من جميع العيوب واخفاء ما اظهره ﴿ فاذا قطع ﴿ العاقل ﴿ اسباب الكبر وحسم مواد العجب ﴿ من نفسه ﴿ اعتاض بالكبر

تواضعا وبالعجب توددا وذلك ﴾ الاعتياض ﴿ من اوكد اسباب الكرامة واقوى موادالنعم وابلغ شافع الى ﴾ جذب ﴿ القلوب يعطفها الى المحبة ويثنيها ﴾ اى يصرفها ﴿ عن البغض وقال بعض الحكماء من برئ من ثلاث نال ثلاثا من برئ من السرف نال العز ﴾ اى عز الغنى ﴿ ومن برئ من البخل نال الشرف ﴾ اى شرف الجود ﴿ ومن برئ من الكبر نال الكرامة ﴾ اى كرامة التواضع ﴿ وقال مصعب بن الزبير التواضع مصائد الشرف ﴾ جمع مصيدة ولعله مصحف مصاعد جمع مصعد كما قال السعدى * بلنديت بايد تواضع كزين . كزين بام رانيست سلم جزاين ﴿ وقيل فى منثور الحكم من دام تواضعه كثر صديقه * وقد تحدث ﴾ اى تظهر ﴿ المنازل والولايات لقوم اخلاقا مذمومة يظهرها سوء طباعهم ﴾ ودناءة احسابهم ﴿ ولآخرين فضائل محمودة يبعث عليها زكاء شيمهم ﴾ وطهارة انسابهم وذلك تميم للبحث وتخصيص لقوله ومن اقوى اسباب الكبر نفوذ اليد ﴿ لان لتقلب الاحوال سكرة ﴾ اشد من سكرة المسكرات لايصحو عنها حتى يعزل او يموت. والسكرة ﴿ تظهر من الاخلاق مكنونها ومن السرائر مخزونها ﴾ كما قيل * بدمايه او لان ا كلا شيلور مجلس ميده . عشرت كهر آدمى تمييزه محكدر ﴿ لاسيما اذا هجمت ﴾ الولايات ﴿ من غير تدرج وطرقت من غير تأهب ﴾ وتهيؤ لها ﴿ وقد قال بعض الحكماء فى تقلب الاحوال تعرف جواهر الرجال ﴾ من كرم الطبع ودناءته او شجاعته وجبانته الى غير ذلك ﴿ وقال الفضل بن سهل من كانت ولايته فوق قدره ﴾ من حيث عقله وعلمه ﴿ تكبر لها ومن كانت ولايته دون قدره تواضع لها ﴾ لعلو القدر او دناءته لا لجلالة الولاية وحقارته ﴿ وقال بعض البلغاء الناس فى الولاية رجلان رجل يجل العمل بفضله ومروءته ورجل يجل بالعمل لنقصه ودناءته فمن جل عن عمله ازداد به تواضعا وبشرا ومن جل عنه عمله ازداد به تجبرا وتكبرا ﴾ قال الحافظ * دركوى عشق شوكت وشاهى نمى خرند. اقرار بندكى كن ودعوى جاكرى

﴿ الفصل الثانى فى حسن الخلق ﴾

قال الراغب الخلق والخلق يعنى بالضم والفتح فى الاصل بمعنى واحد كالشرب والشرب لكن خص الخلق الذى بالفتح بالهيئات والصور المدركة بالبصر وخص الخلق الذى بالضم بالقوى والسجايا المدركة بالبصيرة وعرفه القاضى عياض فى الشفاء بقوله وهو الاعتدال فى قوى النفس واوصافها والتوسط فيها دون الميل الى منحرف اطرافها وقال على القارئ فان لها ثلاث قوى نطقية اعتدالها حكمة وشهوية اعتدالها عفة وغضبية اعتدالها شجاعة فللنطق طرف افراط هو الجربزة كاستعمال الفكرة واشتغال الآلة فيما لاينبغى وتفريط هو الغباوة كتعطيل الفكرة عن اكتساب العلوم وافادتها واستفادتها وللشهوة طرف افراط هو الفجور كالانهماك فى اللذات وتفريط هو الخمود كترك مارخص شرعا وعقلا من اللذات وللغضب طرف افراط هو التهور كالاقدام على مالا ينبغى وتفريط هو الجبن كترك الاقدام على ماينبغى فما بينهما هو الاعتدال والتوسط فى الاخلاق انتهى واتفق جميع العقلاء من الفضلاء والعلماء على تفضيل صاحبه وتعظيم المتصف بالخلق الواحد منه فضلا عما فوقه واثنى الشرع على جميعه وامر به ووعد السعادة الدائمة للمتخلق به وهذا الكتاب جامع لتلك الاصول مع الايماء الى اكثر الفروع ولا بأس ان نذكر جميع الاصول والفروع اجمالا تتميما للفائدة قال البركوى فى الطريقة وللمتقدمين ومن

سلك مسلكهم فى ضبط الفضائل وحدودها طريقة وهى حصر اصولها وتفريع شعب كل منها والاصول اربعة ثلثة مفردة وهى الحكمة والشجاعة والعفة و واحد مركب من مجموع هذه الثلاثة وهى العدالة (فشعب الحكمة سبع) الاول صفاء الذهن استعداد النفس لاستخراج المطلوب بلا تشويش (٢) جودة الفهم صحة الانتقال من الملزوم الى اللازم (٣) الذكاء سرعة اقتداح النتائج (٤) حسن التصور البحث عن الاشياء بقدر ماهى عليه (٥) سهولة التعلم قوة النفس على درك المطلوب بالازيادة سعى (٦) الحفظ ضبط الصور المدركة (٧) الذكر استحضار المحفوظات (وشعب الشجاعة اثنى عشر) (١) كبر النفس استحقار اليسار والفقر والكبر والصغر (ب) العفو ترك المجازاة بسهولة من النفس مع القدرة (ج) عظم الهمة عدم المبالاة بسعادة الدنيا وشقاوتها (د) الصبر قوة مقاومة الآلام والاهوال (ه) النجدة عدم الجزع عند مخلوق (و) الحلم الطمانية عند سورة الغضب (ز) السكون التأنى فى الخصومات والحرب (ح) التواضع استعظام ذوى الفضائل ومن دونه فى المال والجاه (ط) الشهامة الحرص على ما يوجب الذكر الجميل من العظام (ى) الاحتمال اتعاب النفس فى الحسنات (يا) الحمية المحافظة على الحرم والدين من التهمة (يب) الرقة التأذى عن اذى يلحق الغير (وشعب العفة اثنى عشر) الاول الحياء انحصار النفس خوف ارتكاب القبائح . الثانى الصبر حبس النفس عن متابعة الهوى . الثالث الدعة السكون عند هيجان الشهوة . الرابع النزاهة اكتساب المال من غير مهانة ولاظلم وانفاق فى المصارف الحميدة . الخامس القناعة الاقتصار على الكفاف . السادس الوقار التأنى فى التوجه نحو المطالب . السابع الرفق حسن الانقياد لمايؤدى الى الجميل . الثامن حسن السمت محبة مايكمل النفس . التاسع الورع ملازمة الاعمال الجميلة . العاشر المروءة الرغبة الصادقة للنفس فى الافادة بقدر مايمكن . الحادى عشر الانتظام تقدير الامور وترتيبها بحسب المصالح الثانى عشر السخاء اعطاء ما ينبغى لمن ينبغى (وهذا تحته ستة انواع) الاول الكرم الاعطاء بالسهولة وطيب النفس وثانيها الايثار ان يكون مع الكف عن حاجته . وثالثها النبل ان يكون مع السرور . ورابعها المواساة ان يكون مع مشاركة الاصدقاء . وخامسها السماحة بذل مالايجب تفضلا وسادسها المسامحة ترك ما لا يجب تنزها (وشعب العدالة اربعة عشر) الاول الصداقة المحبة الصادقة بحيث لايشو بها غرض ويؤثره على نفسه فى الخيرات . الثانى الالفة اتفاق الآراء فى المعاونة على تدبير المعاش . الثالث الوفاء ملازمة طريق المساواة ومحافظة عهد الخلطاء الرابع التودد طلب مودة الاكفاء بما يوجب ذلك . الخامس المكافاة مقابلة الاحسان بمثله او زيادة السادس حسن الشركة رعاية العدل فى المعاملات . السابع حسن القضاء ترك الندم والمن فى المجازاة . الثامن صلة الرحم مشاركة ذوى القرابة فى الخيرات . التاسع الشفقة صرف الهمة الى ازالة المكروه عن الناس . العاشر الاصلاح التوسط بين الناس فى الخصومات بما يدفعها . الحادى عشر التوكل ترك السعى فيما لايسعه قدرة البشر . الثانى التسليم الانقياد لامرالله تعالى وترك الاعتراض فيما لايلائم الثالث عشر الرضاء طيب النفس فيما يصيبه ويفوته مع عدم التغير . الرابع عشر العبادة تعظيم الله واهله وامتثال اوامره فمجموع الاصول والشعب خمسة وخمسون والتصوف والطريقة عبارة عن تحلية القلب بهذه الامور

وتخليته عن اضدادها انتهى ومالايدرك كله لايترك كله ولان يموت الانسان فى طلب حسن الخلق خيرله من ان يهلك كارها له مبغضا لاهله ﴿ روى عن النبى صلى الله عليه وسلم انه قال ان الله تعالى اختار لكم الاسلام دينا فاكرموه بحسن الخلق والسخاء فانه لايكمل الا بهما ﴾ ورواية الطبرانى عن عمران بن حصين (الافزينوا دينكم بهما)﴿ وقال الاحنف بن قيس الا اخبركم بادوأ الداء قالوا بلى قال الخلق الدنى واللسان البذى ﴾ الفاحش القول وقبيحه ﴿ وقال بعض الحكماء من ساء خلقه ضاق رزقه وعلة هذا القول ظاهرة ﴾ وهى ان الرزق يكتسب بالالفة ولا الفة بسوء الخلق ﴿ وقال بعض البلغاء الحسن الخلق ﴾ باضافة الصفة الى معمولها ﴿ من نفسه فى راحة والناس منه فى سلامة والسيء الخلق الناس منه فى بلاء وهو من نفسه فى عناء ﴾ لتوغره صدورهم واثارته داعية الانتقام فيهم ﴿ وقال بعض الحكماء عاشر اهلك باحسن اخلاقك فان الثواء ﴾ بالفتح اى الاقامة ﴿ فيهم قليل ﴾ والضيف يعاشر مضيفه بحسن خلقه لعلمه انه يرتحل غدا ﴿ وقال بعض الشعراء ﴾ من الوافر ﴿ اذا لم تتسع اخلاق قوم . تضيق بهم فسيحات البلاد ﴾ اى البلاد الفسيحة ﴿ اذاما المرء لم يخلق لبيبا . فليس اللب عن قدم الولاد ﴾ اى التولد واللبث باعوام كثيرة ﴿ فاذا حسنت اخلاق الانسان كثر مصافوه وقل معادوه فتسهلت عليه الامور الصعاب ﴾ لكثرة مصافيه ﴿ ولانت له القلوب الغضاب ﴾ لعدم معاديه وقال اعرابى لبنيه عاشروا الناس معاشرة اذا غبتم حنوا اليكم وان متم بكوا عليكم ﴿ وقد روى عن النبى صلى الله عليه وسلم انه قال حسن الخلق وحسن الجوار يعمران الديار ويزيدان فى الاعمار ﴾ من عطف المسبب على السبب لان العمارة سبب لجيادة الهواء ونفوذ الشمس الى حيث يلزم نفوذها وذلك مما يصلح الاخلاط الردية ويدفع الامراض الوبية وعمارة شهر لايسعها مال واحد ولاعمره فلذا يلزم الاتفاق عليها ولااتفاق لامع سوء الخلق ولامع سوء الجوار ﴿ وقال بعض الحكماء من سعة الاخلاق كنوز الارزاق وسبب ذلك ما ذكرنا من كثرة الاصفياء المسعدين وقلة الاعداء المجحفين ﴾ من اجحف به اذا ذهب به ولم يبق شيئا ﴿ ولذلك ﴾ اى لكون سعة الاخلاق كنوز الارزاق ﴿ قال النبى صلى الله عليه وسلم ﴾ كما رواه الترمذى عن جابر ﴿ ان احبكم الى ﴾ اى فى الدنيا والعقبى (واقربكم منى مجالس) لعل وجه الجمع اعتبار الانواع (يوم القيامة ﴿ احسنكم اخلاقا ﴾ وفى الشفاء احاسنكم جمع احسن والمراد بالاخلاق الشمائل والاحوال واستدل بهذا الحديث على ان افعل التفضيل اذا اضيف الى معرفة جازان يطابق موصوفه وان لايطابق لانه عليه السلام افرد احب واقرب وجمع احاسن ففيه جمع بين اللغتين وتفنن فى العبارتين ﴿ الموطؤن ﴾ بصيغة المفعول من التوطئة اى المذللون ﴿ اكنافا ﴾ جمع كنف بكسر ويفتح وهو الجانب اى الذين جوانبهم وطيئة يتمكن منها من يصاحبهم ولايتأذى منهم مأخوذ من فراش وطئ لايؤذى جنب النائم والمراد منهم المتواضعون اللينون الهينون كما ورد فى اوصاف المؤمنين ﴿ الذين يألفون ﴾ بفتح اللام ﴿ ويؤلفون ﴾ بصيغة المجهول اى يألفون الناس والناس يألفونهم وذلك لحسن اخلاقهم وسهولة طباعهم وضياء قلوبهم وصفاء صدورهم وروى (وان ابغضكم الى وابعدكم منى مجالس يوم القيامة الثرثارون المتشدقون المتفيهقون) وروى ابغضكم الى المشاؤن بالنميمة المفرقون

للاحبة الملتمسون للبراء العيب ذكره على القارى ﴿ وحسن الخلق ان يكون سهل العريكة لين الجانب طلق الوجه قليل النفور طيب الكلمة وقد بين رسـول الله صلى الله عليه وسلم هذه الاوصـاف فقال اهل الجنة كل هين لين ﴾ بالتخفيف فيهما من الهون وهو السكينة والوقار والسهولة ﴿ سهل طلق ﴾ اى بشوش وفى حديث ابى هريرة عند البيهقى (المؤمن هين لين حتى تناله من اللين احمق) اى تظنه غير منتبه بطريق الحق ﴿ ولما ذكرنا من هذه الاوصاف حدود مقدرة ومواضع مستحقة كما قال الشاعر ﴾ من البسيط ﴿ اصفو واكدر احيانا لمختبرى ﴾ اى لمن يجرب اخلاقى وطبائعى ليتخذنى خليلا ﴿ وليس مستحسنا صفو بلا كدر ﴾ وليس يريد بالكدر ﴾ الذى هو ﴿ البذاء ﴾ اى فحش اللسان ﴿ وشراسة الخلق ﴾ اى صعوبته ﴿ فان ذلك ذم لا يستحسن وعيب لا يرتضى ﴾ فى وقت من الاوقات ﴿ وانما يريد ﴾ بالكدر ﴿ الكف والانقباض فى موضع يلام فيه المساعد ويذم فيه الموافق ﴾ قال السعدى درشتى ونرمى بهم باخوشست . چوفصاد نيش زن ومرهم نهست ﴿ فاذا كانت لمحاسن الاخلاق حدود مقدرة ومواضع مستحقة فان تجاوز بها الحد صارت ملقا ﴾ مذموما ﴿ وان عدل بها عن مواضعها صارت نفاقا والملق ذل ﴾ وحقارة للنفس ﴿ والنفاق لؤم وليس لمن وسم بهما ودمبرور ولا اثر مشكور ﴾ كيف ﴿ وقد روى حكيم ﴾ بن معاوية بن حيدة التابعى الثقة ﴿ عن جابر بن عبدالله قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم شر الناس ﴾ عندالله ﴿ ذو الوجهين ﴾ وفى رواية البخارى ومسلم عن ابى هريرة تجدون من شر الناس عندالله يوم القيامة ذا الوجهين وفسره بقوله ﴿ الذى يأتى هؤلاء ﴾ القوم ﴿ بوجه و ﴾ يأتى ﴿ هؤلاء بوجه ﴾ فيكون عند ناس بكلام وعند اعدائهم بضده وذلك من السعى فى الارض بالفساد قال القرطبى انما كان ذو الوجهين شر الناس لان حاله حال المنافق اذ هو متملق بالباطل وبالكذب يدخل بين الناس الفساد وقال النووى هو الذى يأتى كل طائفة بما يرضيها فيظهر لها انه منها ومخالف لضدها وصـنيعه نفاق محض وكذب وخداع وتحيل على الاطلاع على الاسرار وهى مباهتة محرمة قال فاما من يقصد بذلك الاصلاح بين الطائفتين فمحمود وقال غيره الفرق بينهما ان المذموم من يزين لكل طـائفة عملها ويقبحه عند الاخرى ويذم كل طائفة عند الاخرى والمحمود ان يأتى كل طائفة بما فيه صلاح الاخرى ويعتذر لكل طائفة عن الاخرى وينقل اليها ما امكنه من الجميل ويستر القبيح ﴿ و روى مكحول عن ابى هريرة قال قال رسـول الله صلى الله عليه وسلم لا ينبغى لذى الوجهين ان يكون ﴾ وورواية الشيخين ذو الوجهين لا يكون ﴿ وجيها عند الله ﴾ اى ذا قدر ومنزلة لما يتفرع عليه من الفسـاد بين العباد بخلاف المصلح بين الناس فى البلاد ﴿ وقال سعيد بن عروة لان يكون لى نصف وجه ونصف لسان على مافيهما من قبح المنظر وعجز المخبر ﴾ لعدم امكان التكلم والافادة بنصف لسان ﴿ احب الى من ان اكون ذا وجهين وذا لسانين وذا قولين مختلفين ﴾ لورود الوعيد الشديد فيه ﴿ وقال الشاعر ﴾ من الكامل المرفل ﴿ خل النفاق لاهله . وعليك فالتمس الطريقا ﴾ اى اترك النفاق لاهل النفاق ولا تتبعهم فيه والزم نفسك فالتمس لها الطريق المستقيم الذى محمد صلى الله عليه وسلم قائده وعيسى عليه السلام سائقه والعلماء

اعلامه والخلفاء حراسه والمردة والشياطين قطاعه والتقوى زاده والاخلاص مزاده والمؤمنون سالكوه ﴿ وارغب بنفسك لن ترى. الاعدوا اوصديقا ﴾ يعنى ان رأيتها عدوا يكفيك مجاهدتها وان رأيتها صديقا يكفيك معاونتها لتحصيل الفضائل فاياك بالنفاق واهله ﴿ وقال ابراهيم بن محمد ﴾ بن على بن عبدالله بن عباس رضى الله عنهم تولد فى الشام سنة اثنتين وثمانين وكان ابوه من اصدقاء ابى مسلم الخرسانى وقد عزم ابو مسلم نصبه خليفة حتى خطب فى خراسان باسمه فكتب مروان الى والى البلقاء باخذه وارساله الى الشام فحبسه فى سجن حران سنة تسع وعشرين ومأة ولم يعش الاقليلا حتى توفى امامن وباء اوسم ﴿ وكم من صديق وده بلسانه . خؤن بظهر الغيب لايتذمم ﴾ اى لا يستنكف عما يوجب الذم وتفعل للتجنب اوالسلب يقال تذمم الرجل اذا استنكف ومنه يقال اذا لم اترك الكذب تأثما اتركته تذمما وخؤن صيغة فعول من الخيانة ﴿ يضاحكنى عجبا اذا ما لقيته . ويصدفنى منه اذا غبت اسهم ﴾ يقال صدف فلان من الباب الاول والثانى اذا انصرف ومال يعنى ذلك المتصادق يلقانى بالبشر ويعجبنى افعاله الحسنة واذا غبت عنه يرمينى بذمائمه ﴿ كذلك ذو الوجهين يرضيك شاهدا . وفى غيبه ان غاب صاب وعلقم ﴾ مثل حنظل لفظا ومعنى والشئ المر مطلقا والصاب وكذلك الصابة بمعنى الحنظل ايضا ونبت كثير اللبن خبيث الرائحة والطعم وثمرة نبت آخر كالبيض خبيث الرائحة والطعم ﴿ وربما تغير حسن الخلق والوطاء الى الشراسة والبذاء لاسباب عارضة وامور طارئة تجعل اللين خشونة والوطاء غلظة والطلاقة عبوسا ﴾ فمن اسباب ذلك الولاية التى تحدث فى الاخلاق تغيرا وعلى الخلطاء تنكرا امامن لؤم طبع وامامن ضيق صدر ﴾ فلا يرغب الى اصدقائه القديمة لانفراده من بينهم ﴿ وقد قيل من تاه ﴾ وتكبر ﴿ فى ولايته ذل فى عزله ﴾ اذ ينفرد حينئذ حقيقة ﴿ وقيل ذل العزل يضحك من تيه الولاية ﴾ يستهزأ به ﴿ ومنها العزل فقد يسوء به الخلق ويضيق به الصدر اما لشدة اسف ﴾ على مافات من عز الولاية ﴿ او لقلة صبر ﴾ على مايتقاساه من شماتة الاعداء ﴿ حكى حميد الطويل ان عمار بن ياسر عزل عن ولاية ﴾ الكوفة فى خلافة عمر رضى الله عنهما وكان نصبه فيها وقد شهد بدرا و المشاهد كلها وقتل بصفين سنة سبع وثلاثين ﴿ فاشتد ذلك ﴾ العزل ﴿ عليه وقال انى وجدتها حلوة الرضاع مرة الفطام ﴾ بكسر الفاء اسم بمعنى انقطاع الرضيع من اللبن وقال المغيرة بن شعبة احب الامرة لثلاث لرفع الاولياء ووضع الاعداء واسترخاص الاشياء واكرهها لثلاث لروعة البريد وذل العزل وشماتة الاعداء ﴿ ومنها الغنى فقد تتغير به اخلاق اللئيم بطرا وتسوء طرائقه اشرا ﴾ اى مرحا ﴿ وقد قيل من نال استطال ﴾ اى تكبر وقال بعض الحكماء اذا ايسر الرجل ابتلى بثلاثة اشياء صديقه القديم يجفوه وامرأته يتزوج عليها وداره يهدمها ويبنيها ﴿ وانشد الرياشى ﴾ من البسيط ﴿ غضبان يعلم ان المال ساق له . مالم يسقه له دين ولا خلق ﴾ يعنى المعاتب غضبان لزعمه ان ماله ساق له من العز والشرف مالم يسق له دينه ولاخلقه وقد يفدى المال دون الدين فاعتقاد تعظيمه بلاهة فبنى على ذلك العتاب وقال ﴿ فمن يكن عن كرام الناس يسألنى . فاكرم الناس من كانت له ورق ﴾ بفتحتين او فكسر الدراهم المضروبة اى فاقول اكرم الناس اصحاب الدراهم لتأذيهم بسلام وغضبهم بكلام ﴿ وقال بعض الشعراء ﴾

(وفى)

وفى شواهد الكشاف قال ابو الهول فى صديق له ايسر فلم يجده كما يحب ﴿ لئن كانت الدنيا انالتك ثروة . فاصبحت ذا يسر وقد كنت ذا عسر * لقد كشف الاثراء منك خلائقا . من اللؤم كانت تحت ثوب من الفقر ﴾ الاثراء مصدر اثرى اى صار ذا ثروة وللحرث بن كلدة الثقفى قصيدة تتضمن لطف عتاب واحسنه قالها وقد خرج الى الشام فكتب الى بنى عمه فلم يجيبوه وهى قوله * الا ابلغ معاتبى وقولى . بنى عمى فقد حسن العتاب * وسل هل كان لى ذنب اليهم . هموا منه فاعتبهم غضاب * كتبت اليهم كتبا مرارا . فلم يرجع الى لها جواب * فما ادرى اغيرهم تناء . وطول العهد ام مال اصابوا * فمن يك لا يدوم له وصال . وفيه حين يغترب انقلاب * فعهدى دائم لهم وودى . على حال اذا شهدوا وغابوا * ولا يخفى على ذى الذوق السليم لطف هذا العتاب والخطاب المستطاب ولعمرى انه حرى بقول الآخر * واملى عتابا يستطاب فليتنى . اطلت ذنوبى كى يطول عتابه ﴿ وبحسب ما افسده الغنى كذلك يصلحه الفقر وكتب قتيبة بن مسلم ﴾ بن عمرو الباهلى نشأ فى الدولة المروانية وترقى وولى الامارة وفتح الفتوحات العظيمة وعبر الى ماوراء النهر ثم غزا الصين وكاشغر فصالحهم وقد اذعنت له ممالك ماوراء النهر وفتح سبعة حصون لا يرتقى اليها فصنع معبد المغنى سبعة اصوات صعبة المأخذ وسماها مدن معبد معارضة لقتيبة وتفصيله فى سرح العيون ﴿ الى الحجاج ان اهل الشام قد التاثوا عليه ﴾ افتعال من لثيت يده اذا لزجت من دسم اللبن اى التزجوا على قتيبة وفسدوا حين كان كاتب عبد الملك ﴿ فكتب اليه ﴾ الحجاج ﴿ ان اقطع عنهم الارزاق ﴾ وان مفسرة لما فى الكتب من معنى القول واقطع امر ﴿ ففعل ﴾ القطع ﴿ فساءت حالهم فاجتمعوا اليه فقالوا اقلنا ﴾ صيغة دعاء ورجاء من اقاله البيع اذا فسخه فلما ايقن اهل الشام غبنهم فى صفقتهم استقالوا ﴿ فكتب الى الحجاج فيهم فكتب اليه ان كنت آنست ﴾ اى علمت ﴿ منهم رشدا فاجر عليهم ما كنت تجرى ﴾ اذا فسدوا ﴿ واعلم ان الفقر جند الله الاكبر ﴾ صفة المضاف ﴿ يذل به كل جبار عنيد يتكبر ﴾ وهذا صابون عملها الحجاج ﴿ وقد روى عن النبى صلى الله عليه وسلم انه قال لولا ان الله تعالى اذل ابن آدم بثلاث ما طأطأ رأسه لشئ ﴾ من استكباره وعتوه ﴿ الفقر والمرض والموت . ومنها الفقر فقد يتغير به الخلق اما انفة من ذل الاستكانة ﴾ والخضوع هو اما افتعال من سكن او استفعال من كان ﴿ او اسفا على فائت الغنى ولذلك قال النبى صلى الله عليه وسلم ﴾ على ما رواه ابو نعيم عن انس ﴿ كاد الفقر ﴾ اى الاحتياج الى ما لا بد منه ﴿ ان يكون كفرا ﴾ اى قارب ان يوقع فى الكفر لانه يحمل على عدم الرضاء بالقضاء وتسخط الرزق والاعتراض على الله وذلك يجر الى الكفر ﴿ وكاد الحسد ان يغلب القدر ﴾ قال المناوى اى كاد الحسد فى قلب الحاسد ان يغلب على العلم بالقدر فلا يرى ان النعمة التى حسد عليها انما صارت اليه بقضاء الله وقدره ﴿ وقال ابو تمام الطائى ﴾ من الطويل ﴿ واعجب حالات ابن آدم خلقه ﴾ اى اخلاقه ﴿ يضل اذا فكرت فى كنهه الفكر ﴾ فاعل يضل اى تحير الفكر ولا يهتدى الى المطلوب ﴿ فيفرح بالشئ القليل بقاؤه ﴾ وذلك الشئ هو المال ﴿ ويجزع مما صار وهو له ذخر ﴾ لسعادته الابدية ان صبر على ما صار اليه وهو الفقر وقال الله تعالى عسى ان تكرهوا شيئا وهو خير لكم وعسى ان تحبوا شيئا وهو شر لكم

﴿ وربما تسلى ﴾ الفقير المتأسف والمسكين المتلهف ﴿ من هذه الحالة بالامانى وان قل صدقها ﴾ وقد سبق ان الآمال ماتقيدت باسباب والامانى ما تجردت عنها قال رجل لابن سيرين رأيت كأنى اسبح بغير ماء واطير بغير جناح فقال له انت رجل تكثر الامانى ﴿ فقد قيل قلما تصدق الامنية ولكن قد يعتاض ﴾ المتلهف ﴿ بهاسلوة ﴾ بضم اوفتح فسكون اسم من التسلية اى فراغة خاطر واستراحة قلب ﴿ من هم او ﴾ يعتاض ﴿ مسرة برجاء وقد قال ابو العتاهية ﴾ من الكامل ﴿ حرك مناك اذا اغتممت فانهن مراوح ﴾ جمع مروحة والاغتمام يلزمه الحرارة ولذا يكون دمع الحزن حارا ومضرا بالعين فمروحة الاغتمام الامنية وقال ابن المعتز نعم الرفيق الامنية ان لم يبلغك فقد آنسك واستمعت به قال ابن ميادة * امانى من ليلى حسان كأنما . سقتنى بها ليلى على ظمأ بردا * منى ان تكن حقا تكن احسن المنى . والا فقد عشنا بها زمنا رغدا ﴿ وقال آخر ﴾ من البسيط ﴿ اذا تمنيت بت الليل مغتبطا ﴾ اى فرحا مسرورا ﴿ ان المنى رأس اموال المفاليس ﴾ وقال افلاطون التمنى حلم المستيقظ و سلوة المحروم وقيل لاعرابى ما امتع لذات الدنيا قال ممازحة الحبيب ومحادثة الصديق وامانى تقطع بها ايامك ﴿ ومنها الهموم التى تذهل اللب وتشغل القلب فلاتتبع الاحتمال ولاتقوى على صبر ﴾ فى الطب النبى الهم لامر ينتظر وقوعه وذهابه والغم لامر واقع اوالخير فات وهما يحدثان الحيات اليومية وقد كان صلى الله عليه وسلم يستعيذ من الهم والحزن فى دبر كل صلاة وقال ابن عباس مرفوعا من كثرت همومه وغمومه فليكثر من قول لاحول ولا قوة الا بالله العلى العظيم . وينبغى لمن كثر همه ان يتشاغل بما ينسيه ذلك وعنه عليه السلام ما على احدكم اذا لج به همه ان يتقلد سيفه وعن ابن مسعود مرفوعا قال ما اصاب عبدا هم ولاحزن فقال اللهم انى عبدك وابن عبدك وابن امتك ماض فى حكمك عدل فى قضاؤك اسألك بكل اسم هو لك سميت به نفسك وانزلته فى كتابك او علمته احدا من خلقك او استأثرت به فى علم الغيب عندك ان تجعل القرآن العظيم ربيع قلبى ونور صدرى وجلاء حزنى وذهاب همى الا اذهب الله حزنه وهمه وابدله مكانه فرحا (ذكره احمد فى المسند وابن ماجة فى صحيحه ﴿ وقد قيل الهم كالسم ﴾ فى تخريب الحياة فكيف بالاخلاق ﴿ وقال بعض الادباء الحزن كالداء المخزون ﴾ اى المكتوم المختفى ﴿ فى فؤاد المحزون وقال بعض الشعراء ﴾ من المتقارب ﴿ همومك بالعيش مقرونة . فما تقطع العيش الابهم ﴾ اذ ليس امر المرء كله سهلا ﴿ اذا تم امر بدا نقصه . ترقب زوالا اذا قيل تم ﴾ يعنى اذا تم امر المرء من جهة بدا نقصه من جهة أخرى وهكذا فانتظر زواله او زوال امره اذا قيل تم من جميع جهاته اذ ما بعد الكمال الا الزوال ﴿ اذا كنت فى نعمة فارعها ﴾ بشكرها ﴿ فان المعاصى تزيل النعم ﴾ فان الله لايغير ما بقوم حتى يغيروا ما بانفسهم ﴿ وحام عليها بشكر الآله . فان الآله سريع النقم ﴾ جمع نقمة وهى المكافاة بالعقوبة وقوله وحام معطوف على قوله فارعها فهو انشاء معنى من حامت الابل حول الماء اذا طافت ﴿ حلاوة دنياك مسمومة . فما تأكل الشهد الابسم ﴾ اى بسم النحل كما قال آخر * تريدين ادراك المعالى رخيصة . ولابد دون الشهد من ابر النحل * الا انه اراد به العموم واستحضر تلك الصورة البديعة للتنبيه على الغفلة

[margin note:] ...كتب على المروحة . ...فى الكف لطيفة . ...نى تقصر الخليفة . ...لا اصنع الا . ...يف او ظريفة . ...صيف حسن القد ... بالوصيفة ...تب ايضاً ... اجلب الريا . ح ... يدفع الخجل . ...جاب اذا الحبيب ...الرأس للقبل منه

يعنى كل ما تنعمت به من الدنيا ليست نعمة بل هى سم ونقمة متى تدرك اوانه تجد آلامه وفرع عليه قوله ﴿ فكم قدر دب فى مهاة . فلم يعلم الناس حتى هجم ﴾ ووقع القول عليهم بما ظلموا وهم لا ينطقون فالقدر بمعنى المقدر والقضاء ودبيبه عبارة عن ثبوته وتحققه وهجومه عبارة عن انفاذه وقد قال الله تعالى واذا اردنا ان نهلك قرية امرنا مترفيها ففسقوا فيها فحق عليها القول فدمرناها تدميرا اوالمعنى حتى هجم ووقع عليهم سوط عذاب فالقدد بدالين كما فى بعض النسخ جمع قدة بكسر القاف وهو السوط وما آلهما واحد كما قال آخر * وذو الجهل يأمن ايامه . وينسى مصارع من قد خلا ﴿ ومنها الامراض التى يتغير بها الطبع كما يتغير بها الجسم فلا تبقى الاخلاق على اعتدال ولا يقدر معها على احتمال ﴾ وصبر لضعف القوة المدافعة ﴿ وقد قال المتنبى ﴾ من الخفيف ﴿ آلة العيش صحة وشباب . فاذا وليا عن المرء ولى ﴾ العيش ﴿ واذ الشيخ قال اف فما مل حياة وانما الضعف ملا ﴾ واف كلمة تقال عند التضجر والكرب وعده النحاة من اسماء الافعال ﴿ واذا لم تجد من الناس كفؤا . ذات خدر ارادت الموت بعلا ﴾ لها وزوجا اياها وقوله ذات خدر فاعل لم تجد والخدر الشئ الساتر مطلقا اى صاحبة ستر وهى المرأة البالغة ﴿ ابدا تسترد ما تهب الدنيا فياليت جودها كان بخلا ﴾ اى تطلب الدنيا ردما وهبته وترجع بما اعطته دائما فيا قوم اقول لائما عليها اوقولوا ليت جودها كان بخلا ﴿ ومنها علو السن وحدوث الهرم لتأثيره فى آلة الجسد كذلك يكون تأثيره فى اخلاق النفس فكما يضعف الجسد عن احتمال ما كان يطيقه من الاثقال فكذلك تعجز النفس عن احتمال ما كانت تصبر عليه من مخالفة الوفاق ﴾ جمع وفيق كفصيل وفصال تقول هو وفيقى اى رفيقى ﴿ ومضض الشقاق ﴾ اى وجع العداوة والمخانقة ﴿ وكذلك ﴾ لا تصبر على ﴿ ماضاهاه ﴾ اى شابهه ﴿ وقال منصور النمرى ﴾ قال الصفدى قال المفضل حضرت الرشيد وقد دخل عليه منصور النمرى فانشده ، من البسيط * ماتنقضى حسرة منى ولا جزع . اذا ذكرت شبابا ليس يرتجع * بان الشباب وفاتنى بلذته . صروف دهر وايام لها خدع ﴿ ما كنت اوفى شبابى كنه عزته . حتى مضى فاذا الدنيا له تبع ﴾ قال فتحرك الرشيد وقال احسنت والله لا يتهنأ احد بعيش حتى يخطر فى رداء الشباب يعنى ان الشبابة كانت كالضيف العزيز ولم اعرف قدره ما لم يمض فمضى وتبعته لذائذ الدنيا ولم تعد وظننت انها يشيعها فاذا هى من عبيدها وخدامها ثم التفت الى نفسه محادثا لها لدفع حزنه ولائما عليها بعدم مبالاتها بذهابه فقال ﴿ اصبحت لم تطعمى ثكل الشباب ولم . تشجى لغصته فالعذر لا يقع ﴾ الغصة ما اعترض فى الحلق فاشرق يعنى صرت ايتها النفس لم تذوقى مرارة فقد الشباب ولم تحزنى لغصته كأنك مللت منه فلست بمعذورة ثم رثاه وقال ﴿ ما كان اقصر ايام الشباب وما . ابقى حلاوة ذكراه التى تدع ﴾ اى تتركها تذكرة له والذكرى اسم من التذكير والاذكار يعنى خياله الباقى بعدم ذهابه وما اقصر فعل تعجب فصل بينه وبين ما بكان وهو جائز عند اكثر النحاة ﴿ ماواجه الشيب من عين وان رمقت . الا لها نبوة عنه ومرتدع ﴾ يعنى ما رأى الشيب عين وان صارت ذا رمق ونظر خفيف من الضعف والهرم والمعنى وان بقيت لها رمق وبقية من الحياة الا ولها نبوة وتجاف عن الشيب لاستقباحها اياه والا لها حال مرتدع يقال سهم مرتدع اذا اصاب الهدف انفضح عوده لضعفه

ومنصور لم يجاوز الحد وافرط بعض الشعراء حتى قال * لو ان لحية من يشيب صحيفة . لمعاده مااختارها بيضاء * وقال بعض البلغاء الشبابة باكورة الحياة واطيب العيش اوائله كما ان اطيب الثمار بواكرها والشبابة ابلغ الشفعاء عند النساء واكثر الوسائل لقلوبهن ومابكت العرب على شئ مابكت على الشباب ولو لم يكن الشبابة حميدا اوزمانه حبيبا لوسامة صورته وبهجة منظره وجمال خلقته واعتدال قامته لما جاور الله في جنات خلده شاب كما ورد في الخبر اهل الجنة جرد مرد ابناء ثلاثين وقال الشاعر * شيئان لو بكت الدماء عليهما . عيناك حتى يؤذنا بذهاب * لم يبلغا المعشار من حقيهما . فقد الشباب وفرقة الاحباب * فلما هيج اشجان نفسه وبكى وابكى عزاه بقوله ﴿ فقد كدت تقضى على فوت الشباب اسى . لولا يعزيك ان العمر منقطع ﴾ يعنى كدت ايها النمرى تموت حزنا على فوت الشباب لولا يعزيك انقطاع عمرك ووصولك به في الجنة وهذا هو المراد كما في قول الآخر * ولقد هممت بقتل نفسى بعده . اسفا عليه فخفت ان لا نلتقى * يعنى لان قاتل نفسه يعذب به في النار والذى ودعه من اصحاب الجنة ﴿ فهذه سبعة اسباب احدثت ﴾ اى من شانها ان يحدث ﴿ سوء خلق كان عاما ﴾ وههنا سبب خاص يحدث سوء خلق خاص وهو البغض الذى تنفر منه النفس فتحدث نفورا عن المبغض فيؤل الى سوء خلق يخصه دون غيره فاذا كان سوء الخلق حادثا بسبب ﴾ عام اوخاص ﴿ كان زواله مقرونا بزوال ذلك السبب ﴾ المعين ﴿ ثم بالضد ﴾ اى بمقارنة ضد السبب الزائل مثلا النقاهة لايكفى لحسن اخلاق المريض بل لابد من اقترانه بالبرء التام والصحة الكاملة فاعيى الاسباب علاجا الهرم كما قال التميمى * اذا كانت السبعون سنك لم يكن . لدائك الا ان تموت طبيب

﴿ الفصل الثالث فى الحياء ﴾

يقال حيى منه اذا احتشم فهو رقة تعترى وجه الانسان عند فعل مايتوقع كراهته او عند ارادة شئ يكون تركه خيرا من فعله والاغضاء التغافل والتجاوز عما يكره الانسان بطبيعته لا بشريعته وقال السيد الشريف الحياء انقباض النفس من شئ وتركه حذرا عن اللوم فيه وهو نوعان نفسانى وهو الذى خلقه الله تعالى فى النفوس كلها كالحياء من كشف العورة والجماع بين الناس وايمانى وهو ان يمنع المؤمن من فعل المعاصى خوفا من الله تعالى فعلى كل حال الحياء وجدانى تظهر آثاره فى البشرة والاعمال ولذا قال ﴿ اعلم ان الخير والشر معان كامنة ﴾ مختفية فى الطبايع ﴿ تعرف بسمات ﴾ اى علامات ﴿ دالة عليهما كما قالت العرب فى امثالها تخبر عن مجهوله مرآته ﴾ اى افعاله الصادرة منه او عينه لما قيل اعرف محبة الرجل من عينه لا من قوله او وجهه اذ ينطبع فيه ايضا بعض السجايا ﴿ وكما قال سلم بن عمرو الشاعر ﴾ من المنسرح ﴿ لاتسأل المرء عن خلائقه . فى وجهه شاهد من الخبر * فسمة الخير الدعة والحياء وسمة الشر القحة ﴾ بكسر القاف وفتحها مصدر وقح الرجل اى قل حياؤه ﴿ والبذاء ﴾ اى التكلم بالكلام الفاحش ﴿ وكفى بالحياء خيرا ان يكون على الخير دليلا وكفى بالقحة والبذاء شرا ان يكونا الى الشر سبيلا وقد روى حسان بن عطية عن ابى امامة ﴾ كما رواه احمد بن حنبل والترمذى عنه ﴿ قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم الحياء والعى ﴾ بالكسر اى سكوت اللسان تحرزا عن الوقوع فى البهتان مع القدرة على النطق لا عى القلب ولا عى العمل ﴿ شعبتان من الايمان ﴾ اى اثران من آثاره ﴿ والبذاء والبيان شعبتان من النفاق ﴾ قال فى الدر اراد

(انهما)

انهما خصلتان منشاؤهما النفاق اما البذاء وهو الفحش فظاهر واما البيان فانما اراد منه بالذم التعمق بالنطق والتفاصح واظهار التقدم فيه على الناس وكأنه نوع من العجب والكبر ﴿ ويشبه ان يكون العى ﴾ الممدوح ﴿ فى معنى الصمت ﴾ والا العى بمعنى عدم الاهتداء الى تركيب الكلام وترتيب الالفاظ فمن الحمق والجهالة كما سيأتى ذمه فى فصل الكلام ﴿ والبيان فى معنى التشدق كما جاء فى الحديث الآخر ﴾ الذى رواه الترمذى وقد سبق بتمامه والمذكور هنا الطرف الاخير منه ﴿ ان ابغضكم الى الثرثارون ﴾ على وزن سلسال يقال رجل ثرثار اى مهذار اوصياح ﴿ المتفيهقون ﴾ يقال تفيهق فى كلامه اذا تنطع وتوسع كأنه ملأ به فمه ﴿ المتشدقون ﴾ من تشدق الرجل اذا لوى شدقه للتفصح والا فالبلاغة والبيان معجزة باقية للقرأن ومن اعظم المدائح للانسان والعرب تفتخر بالسيف والبلاغة ﴿ وروى ابو سلمة عن ابى هريرة ﴾ كما رواه الترمذى ﴿ ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال الحياء من الايمان ﴾ اى من مكملاته قال ابو العباس القرطبى الحياء المكتسب هو الذى جعله الشارع من الايمان دون الغريزى وقال الحليمى الحياء من الله طريق الى كل طاعة وترك كل معصية فيفوز صاحبه بكمال الايمان ﴿ والايمان فى الجنة ﴾ اى يوصل اليها ﴿ والبذاء ﴾ اى الفحش فى القول ﴿ من الجفاء ﴾ بالمد الطارد والاعراض وترك الصلة ﴿ والجفاء فى النار ﴾ وهل يكب الناس فى النار الا حصائد السنتهم ﴿ وقال بعض الحكماء من كساه الحياء ثوبه لم ير الناس عيبه ﴾ لعدمه والرؤية لا يتعلق بمعدوم ﴿ وقال بعض البلغاء حياة الوجه بحيائه كما ان حياة الغرس ﴾ اى الشجر المغروس ﴿ بمائه وقال بعض البلغاء العلماء يا ﴾ خليلى اعجب ﴿ عجبا ﴾ من حالك وفعلك ﴿ كيف لا تستحيى من كثرة مالا تستحيى ﴾ من فعله والكثرة اما باعتبار انواع المعاصى او افرادها يعنى استح من كثرتها واتركها ﴿ و ﴾ كيف ﴿ تبقى ﴾ ولا تمل ﴿ من طول مالا تبقى ﴾ ولا تذره يعنى لا تتركها كليا فاتركها احيانا قال الزمخشرى فى قوله تعالى وما ادراك ما سقر لا تبقى ولا تذر اى لا تبقى شيئا يلقى فيها الا اهلكته واذا هلك لم تذره هالكا حتى يعاد او لا تبقى على شئ ولا تدعه من الهلاك بل كل مايطرح فيها هالك لا محالة انتهى ﴿ وقال بعض الشعراء وهو صالح بن عبد القدوس ﴾ من الطويل ﴿ اذا قل ماء الوجه قل حياؤه . ولا خير فى وجه اذا قل ماؤه ﴾ لما سبق ان حياة الوجه بحيائه فكما ان الغرس اذا يبس ماؤه لا تثمر ولا تظلل كذلك الوجه لا يؤمل منه طاعة ولا يرجى منه معروف ﴿ حياءك فاحفظه عليك فانما . يدل على فعل الكريم حياؤه ﴾ قوله حياءك بالنصب اجود لان الانشاء لا يقع خبرا الا بتأويل بعيد ﴿ وليس لمن سلب الحياء صاد عن قبيح ولا زاجر عن محظور ﴾ ومحرم ﴿ فهو يقدم ﴾ من الاقدام ﴿ على مايشاء ويأتى مايهوى وبذلك جاء الخبر روى شعبة ﴾ بن الحجاج بن الورد ابو بسطام الازدى مولاهم الواسطى ثم انتقل الى بصرة واجمعوا على امامته وجلالة قدره قال سفيان الثورى شعبة امير المؤمنين فى الحديث وقال احمد كان امة وحده فى هذا الشان مات بالبصرة اول سنة ستين ومأة وكان الثغ ﴿ عن منصور ﴾ بن المعتمر الكوفى ﴿ عن ربعى ﴾ بكسر فسكون ابن حراش الغطفانى الاعور وكان من العباد يقال انه تكلم بعد الموت ﴿ عن ابى مسعود ﴾ عقبة بن عامر

﴿ البدرى ﴾ قال العينى وهذا هو المحفوظ ﴿ قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ان مما ادرك الناس ﴾ اى مما وصل اليهم وظفروا به او لحقوه ولفظة من ابتدائية خبران واسمها قوله اذا لم تستح على تقدير القول والراجع الى ما محذوف وفاعل ادرك الناس او ضمير يعود الى ما والناس مفعوله ﴿ من كلام النبوة الاولى ﴾ اضافه اليهم اعلاما بان الحياء من قضايا النبوة ونتايج الوحى ولم يزل مندوبا اليه فى جميع الشرائع فما من نبى الا وقد بعث عليه وندب الامة اليه ﴿ اذا لم تستح فاصنع ماشئت وليس هذا القول ﴾ منه صلى الله عليه وسلم ﴿ اغراء بفعل المعاصى ﴾ وترغيبا اليها ﴿ عند قلة الحياء ﴾ بل الامر للتهديد ﴿ كما توهمه بعض من جهل معانى الكلام ومواضعات الخطاب ﴾ بحمل الامر على التخيير ﴿ وفى ﴾ معنى ﴿ مثل هذا الخبر قول الشاعر ﴾ من الوافر ﴿ اذا لم تخش عاقبة الليالى . ولم تستحى فاصنع ماتشاء ﴾ اى اذا تخش عاقبة ماتلده الليالى من الفتن والعذاب الخاص او العام او من دعوات المظلومين ﴿ فلا والله مافى العيش خير . ولا الدنيا اذا ذهب الحياء ﴾ يعيش المرء ما استحيى بخير . ويبقى العود مابقى اللحاء ﴾ بفتح اللام قشر الشجر وما مصدرية توقيتية ﴿ واختلف اهل العلم فى معنى هذا الخبر ﴾ قال العينى وفيه اوجه احدها اذا لم تستح من العتب ولم تخش العار فافعل مايحدثك به نفسك حسنا كان او قبيحا ولفظه امر ومعناه توبيخ الثانى ان يحمل الامر على بابه تقول اذا كنت آمنا فى فعلك ان تستحى منه لجريك فيه على الصواب وليس من الافعال التى يستحى منها فاصنع ماشئت الثالث معناه الوعيد اى افعل ماشئت تجازى به كقوله عز وجل اعملوا ماشئتم الرابع لايمنعك الحياء من فعل الخير الخامس هو على طريق المبالغة فى الذم اى تركك الحياء اعظم مما تفعله انتهى ﴿ فقال ابوبكر بن محمد ﴾ بن على القفال ﴿ الشاشى ﴾ من الفقهاء والمحدثين تولد فى شاش وهى خطة فى ماوراء النهر وارتحل الى العراق والشام لتحصيل العلوم ثم عاد الى الشاش واشهر مذهب الشافعى فيها مع ان اكثر بلاد ماوراء النهر على مذهب الحنفى وتوفى سنة ست وستين وثلاثمأة ﴿ فى اصول الفقه معنى هذا الحديث ان من لم يستحى دعاه ترك الحياء الى ان يعمل مايشاء لايردعه عنه رادع ﴾ ولا يمنعه منه مانع فتركه الحياء اعظم مما يفعله ﴿ فليستحى المرء فان الحياء يردعه . وسمعت من يحكى عن ابى بكر الرازى ﴾ احمد بن على الجصاص تولد فى الرى وارتحل الى بغداد وانتهى اليه الرياسة الحنفية كان يتفقه على ابى الحسن الكرخى وتخرج به وروى عن عبد الباقى بن القانع وكان زاهدا وورعا وعلى طريقة حسنة والتمس منه القضاء فلم يقبله وله مؤلفات كثيرة وتوفى سنة سبعين وثلاثمأة ببغداد ﴿ من اصحاب ابى حنيفة ﴾ رحمهم الله تعالى ﴿ ان المعنى فيه اذا عرضت عليك افعالك التى هممت بفعلها ﴾ ولم تفعلها بعد ﴿ فلم تستحى منها لحسنها وجمالها فاصنع ماشئت منها فجعل ﴾ ابوبكر بهذا التفسير ﴿ الحياء حكما ﴾ وقاضيا ﴿ على افعاله ﴾ ومبنى الاول حمل الامر على التهديد ومبنى الثانى حمله على الاباحة ﴿ وكلا القولين حسن ﴾ من حيث المبنى والمعنى ﴿ والاول اشبه ﴾ بالاحق ﴿ لان الكلام خرج من النبى صلى الله عليه وسلم مخرج الذم ﴾ وهو مما يؤيد حمل الامر على التهديد ﴿ لامخرج المدح لكن قد جاء الحديث ﴾ الآخر ﴿ بما يضاهى القول الثانى ﴾ فى افادة مايفيده ﴿ وهو قوله صلى الله عليه وسلم ما احببت ان تسمعه اذناك ﴾ ان فلانا فعل كذا ولا تستحى حينئذ ﴿ فأته

وما كرهت ان تسمعه اذناك فاجتنبه * ويجوز ان يحمل هذا الحديث على المعنى الصريح فيه ويكون التأويل الاول فى الحديث المتقدم اصح اذ ليس يلزم ان تكون احاديث رسول الله صلى الله عليه وسلم كلها متفقة المعانى بل اختلاف معانيها ادخل فى الحكمة وابلغ فى الفصاحة اذا لم يضاد بعضها بعضا ﴾ قال العلامة التفتازانى قال النووى صيغة الامر اما للاباحة اى اذا اردت ان تفعل شيئا فان كان بحيث لا يستحيى من الله ومن الناس فى فعله فافعله والا فلا فان معناه اذا انت لم تستح من صنع امر فذلك دليل على جواز ارتكابه وصنعه ثم قال وعلى هذا مدار الاسلام وتوجيهه ان افعال الانسان اما ان يستحى منها اولا فالاول يشمل الحرام والمكروه وتركهما هو المشروع والثانى يشمل الواجب والمندوب والمباح وفعلهما مشروع فى الاولين جائز فى الثالث فعلى هذا يتضمن الحديث الاحكام الخمسة . او للتهديد اى اذا نزع منك الحياء فافعل ما شئت فان الله يجازيك عليه ويكون هذا تعظيما لامر الحياء وتبيينا لموضعه عند فقده انتهى فلا ترجيح لاحد المعنيين على الآخر بل معناه التهديد لمن لا حياء له والاباحة لغيره لان الخطاب عام لهما وهذا من جوامع كلمه عليه السلام والله اعلم ﴿ واعلم ان الحياء فى الانسان قد يكون من ثلاثة اوجه احدها حياؤه من الله تعالى والثانى حياؤه من الناس والثالث حياؤه من نفسه * فاما حياؤه من الله تعالى فيكون بامتثال اوامره والكف عن زواجره وروى ابن مسعود ﴾ على مارواه عنه الترمذى والحاكم ﴿ ان النبى صلى الله عليه وسلم قال استحيوا من الله عزوجل حق الحياء ﴾ اى حياء ثابتا لازما صادقا ﴿ فقيل يا رسول الله فكيف نستحيى من الله عزوجل حق الحياء قال من حفظ الرأس وما حوى ﴾ اى ما جمعه من الحواس الظاهرة والباطنة فلا ينظر ولا يستمع الى محرم ولا يتكلم بما لا يعنيه اى مالا ثواب له فيه قال المناوى وعطف ماحوى على الرأس اشارة الى ان حفظ الرأس عبارة عن التنزه عن الشرك فلا يسجد لغير الله ولا يرفعه تكبرا ﴿ والبطن وماوعى ﴾ اى وما جمعه قال المناوى وجعل البطن قطبا يدور عليه بقية الاعضاء من القلب والفرج واليدين والرجلين والعطف على البطن اشارة الى حفظه عن الحرام والتحذير من ان يملاه من المباح ﴿ وترك زينة الحياة الدنيا ﴾ لارادته الفوز بنعيم الآخرة ﴿ وذكر الموت والبلى ﴾ اى نزولهما به ﴿ فقد استحيى من الله حق الحياء ﴾ اى اورثه ذلك الفعل الاستحياء منه تعالى فارتقى الى مقام المراقبة الموصل الى درجة المشاهدة قال بعضهم فمن استحى من الله حق الحياء ترك الشهوات وتحمل المكاره والمشاق حتى تصير نفسه مدبوغة فعندها تظهر محاسن الاخلاق وتشرق انوار الاسماء فى قلبه ويقوى علمه بالله فيعيش غنيا به ماعاش ﴿ وهذا الحديث من ابلغ الوصايا * وقال ابو الحسن الماوردى مصنف الكتاب رأيت رسول الله صلى الله عليه وسلم فى المنام ﴾ اللهم يسر لنا مشاهدته ورؤيته ببصيرتنا وروضته ببصرنا وارزقنا جواره فى اولنا وآخرنا برحمتك يا ارحم الراحمين ﴿ ذات ليلة فقلت يا رسول الله اوصنى فقال استحى من الله عزوجل حق الحياء ثم قال ﴾ صلى الله عليه وسلم ﴿ تغير الناس قلت وكيف ذلك يارسول الله قال كنت انظر الى الصبى فارى من وجهه البشر والحياء واناانظر اليه ﴾ اى الى صبى آخر ﴿ اليوم فلا ارى ذلك فى وجهه ثم تكلم بعد ذلك بوصايا وعظات تصورتها واذهلنى السرور

سئل بعض العلماء عن قوله صلى الله عليه وسلم من رأنى فى منامه فقد رآنى حقا فقال السائل فى الليلة الواحدة بل فى الساعة الواحدة يراه جماعة فى اماكن شتى من اطراف الارض فقال نعم هو كالشمس فى كبد السماء وضوءها يغشى البلاد مشارقا ومغاربا . وقد تكلم الفقهاء فيمن رأى النبى صلى الله عليه وسلم فى المنام وامره بامر هل يلزمه العمل به اولا قالوا ان امره بامر يوافق امره يقظة يلزمه العمل به وان امره بما يخالف امره يقظة فان كان الرائى ممن لا يحقق ولا يعرف صفته صلى الله عليه وسلم على الوجه المنقول فرؤياه باطل وعبارة من التسويلات الشيطانية وان كان ممن يحقق ويعرفه على الوجه المنقول فرؤياه حق لان الشيطان لا يتمثل بصورته صلى الله عليه وسلم وامره هذا من قبيل تعارض الدليلين وما ثبت باليقظة ارجح فلا يلزمه العمل بامره فيما يخالف امره يقظة ذكره الصفدى منه

عن حفظها وودت انى لو حفظتها ﴿ لو للتمنى او شرطية اى رويتها بلا واسطة ﴿ فلم يبدأ بشئ صلى الله عليه وسلم قبل الوصية بالحياء من الله عزوجل وجعل ماسلبه ﴿ بالبناء للمفعول ﴿ الصبى من البشر والحياء سببا لتغير الناس ﴿ لان الناس كانوا صبيا ﴿ وخص الصبى لان ما يأتيه بالطبع من غير تكلف فصلى الله وسلم على من هدى امته وتابع انذارها ﴿ بعد ارتحاله عن دار التكليف ﴿ وقطع اعذارها وواصل تأديبها وحفظ تهذيبها وجعل لكل ﴿ اهل ﴿ عصر حظا من زواجره ونصيبا من اوامره اعاننا الله على قبولها بالعمل وعلى استدامتها بالتوفيق ﴿ ويقول شارح الكتاب اويس وفا بن محمد الارزنجانى وكنت رأيت فى المنام اميرالمؤمنين على بن ابى طالب كرم الله وجهه وهو ابن عمه وزوج بنته عليه السلام فوفقنى الله بشرح ذلك الاصل ونسئله ان يكرم من يواظب عليهما بالحسنيين العلم والعمل ﴿وقد روى ان علقمة بن علاثة قال يارسول الله عظنى فقال النبى صلى الله عليه وسلم استحى من الله تعالى استحياءك من ذوى الهيبة من قومك ﴿ وهم صلحاؤهم كما روى من رجلين من صالحى عشيرتك ﴿ وهذا النوع من الحياء يكون من قوة الدين وصحة اليقين ﴿ لان الدين رقيب على الخلوات وترك المعاصى حيث لايراه احد هو عين اليقين وكمال الدين ﴿ ولذلك قال النبى صلى الله عليه وسلم قلة الحياء كفر يعنى من الله لمافيه من مخالفة اوامره ﴿ لاسيما مع حضور القلب بالله ومعاملة العقل لان اقتراف المعصية مع الحضور كانكار المناهى ومخالفة الاوامر فان حقر فرعون النفس موسى العقل فى حكمه فنعوذ بالله وان سأل العفو والامان فذلك ايمان ورجاء وهذا معنى اقتراف المعصية مستحلا اياها ومستحرما وبمثل ذلك التقرير يندفع التناقض والتدافع بين النصوص الواردة على سبيل التشديد مثل ماروى الزانى لايزنى وهو مؤمن والواردة على التخفيف مثل لو لم تذنبوا لجاء الله تعالى بقوم يذنبون ليغفرلهم ﴿ وقال صلى الله عليه وسلم الحياء نظام الايمان ﴿ اى ما به ينتظم ويرتبط ﴿ فاذا انحل نظام الشئ تبدد ما فيه وتفرق * واما حياؤه من الناس فيكون بكف الاذى وترك المجاهرة بالقبيح وقدروى عن النبى صلى الله عليه وسلم انه قال من اتقى الله ﴿ ولم يجاوز حقوقه اعظاماله اوخوف عقابه اوحياء منه ﴿ اتقى الناس ﴿ ولايجاوز حقوقهم ولا يجاهرهم بالقبيح حياء منهم ﴿ وروى ان حذيفة بن اليمان اتى الجمعة فوجدالناس قد انصرفوا ﴿ وقدصلوها ﴿ فتنكب ﴿ وعدل عن ﴿ الطريق عن الناس وقال لاخير فيمن لايستحيي من الناس وقال بشار بن برد ﴿ من الخفيف ﴿ ولقد اصرف الفؤاد عن الشى . . حياء وحبه فى السواد ﴿ اى فى سواد القلب وحبته ﴿ امسك النفس بالعفاف وامسى . ذاكرا فى غد حديث الاعادى ﴿ جمع اعداء جمع عدو يعنى لومهم وتعييرهم ﴿ وهذا النوع من الحياء قديكون من كمال المروءة وحب الثناء ولذلك قال صلى الله عليه وسلم ﴿ على مارواه البيهقى عن انس ﴿ من القى جلباب الحياء فلاغيبة له ﴿ والمراد ان المتجاهر بالفواحش لايحرم ذكره بماتجاهر به كى يحذرالناس ﴿ يعنى والله اعلم لقلة مروءته وظهور شهوته وروى الحسن عن ابى هريرة ﴿ رضى الله عنه ﴿ قال قال صلى الله عليه وسلم ان مروءة الرجل ممشاه ومدخله ومخرجه ومجلسه والفه وجليسه ﴿ اى تظهر مروءته فى كل من ذلك

(وقال)

﴿ وقال بعض الشعراء ﴾ من الوافر ﴿ ورب قبيحة ماحال بيني . و بين ركوبها الا الحياء ﴾ اى بين اقتراف القبيحة ﴿ اذا رزق الفتى وجها وقاحا . تقلب فى الامور كما يشاء ﴾ لا يردعه رادع عن القبائح ﴿ وقال آخر ﴾ من الطويل ﴿ اذا لم تصن عرضا ولم تخش خالقا . وتستح مخلوقا فما شئت فاصنع ﴾ اذ لم يبق شئ مانع لا من الفضائل الاسلامية ولا من المكارم الانسانية وذم رجل قوما فقال وجوهم وايديهم حديد اى وقاح بخلاء وقال ابن سلام العاقل شجاع القلب والاحمق شجاع الوجه ووصف رجل وقاحا فقال لو دق الحجارة بوجهه لرضها ولو خلا باستار الكعبة لسرقها قال الشاعر * لو ان لى من جلد وجهك رقعة . لجعلت منها حافر الاشهب ﴿ واما حياؤه من نفسه فيكون بالعفة وصيانة الخلوات ﴾ وفى حديث اسامة عند الترمذى (ما كرهت ان يراه الناس منك فلا تفعله بنفسك اذا خلوت) عنهم بحيث لا يراك الا الله والحفظة وهذا ضابط وميزان ﴿ وقال بعض الحكماء ليكن استحياؤك من نفسك اكثر من استحيائك من غيرك وقال بعض الادباء من عمل فى السر عملا يستحيى منه فى العلانية فليس لنفسه عنده قدر ﴾ فكيف يرجو ذلك عند غيره ﴿ ودعا قوم رجلا كان يألف عشرتهم ﴾ وصحبتهم ﴿ فلم يجبهم وقال انى دخلت البارحة فى الاربعين وانا استحيى من سنى وقال بعض الشعراء ﴾ من الطويل ﴿ فسرى كاعلانى وتلك خليقتى . وظلمة ليلى مثل ضوء نهارى * وهذا النوع من الحياء قد يكون من فضيلة النفس وحسن السريرة فمتى كمل حياء الانسان من وجوهه الثلاثة فقد كملت فيه اسباب الخير وانتفت عنه اسباب الشر وصار بالفضل مشهورا وبالجميل مذكورا وقال بعض الشعراء ﴾ من الطويل ﴿ وانى ليثنينى عن الجهل والخنا . وعن شتم ذى القربى خلائق اربع ﴾ يقال ثنى الشئ اذا رد بعضه على بعض اى يردنى عن الجهل والفحش ﴿ حياء واسلام وتقوى وانى . كريم ومثلى من يضر وينفع ﴾ من مفعول يضر قدم عليه وينفع معطوف على من يضر اى لا يضر احدا وينفع ﴿ وان اخل باحد وجوه الحياء لحقه ﴾ اى المخل ﴿ من النقص باخلاله بقدر ما كان يلحقه من الفضل بكماله . وقد قال الرياشى يقال ان ابابكر الصديق رضى الله عنه كان يتمثل بهذا الشعر ﴾ والتمثل انشاد شعر الغير فى مقام يناسبه ﴿ وحاجة دون اخرى قد سنحت لها . جعلتها للتى اخفيت عنوانا ﴾ اى ورب حاجة قد سنحت اى كنيت وعرضت لها من سنح فلان بكذا اذا عرض ولم يصرح وجعلت ما عرضت لها عنوانا لما اخفيتها والعنوان ديباجة المكتوب وعلامته وفى العنوان دلالة على ما فيه من التعظيم ونحوه بمواضعات معلومة واصطلاحات مخصوصة قال عباس بن الاحنف * لا جزى الله دمع عينى خيرا * وجزى الله كل خير لسانى * نم دمعى فليس يكتم شيئا . ورأيت اللسان ذا كتمان * كنت مثل الكتاب اخفاه طى . فاستدلوا عليه بالعنوان * الا انه استعمل العنوان فيما يكتب على الظرف وذلك يكون عين الديباجة ﴿ وانى لارى من لا حياء له . ولا امانة وسط القوم عريانا ﴾ مستأنفة وبيان لسبب الكناية والتعريض ولو لم يكن وقاحة البذى لا فل فضل الحياء تحت السحاب والله اعلم

﴿ الفصل الرابع فى الحلم والغضب ﴾

والحلم لغة الاناءة والعقل لكونه سبب الحلم ويكون مصدرا يقال حلم الرجل من الباب الخامس اذا كان حليما واصطلاحا ضبط النفس آه وقال القاضى عياض الحلم حالة توقر وثبات

اى صفة تورث طلب وقار وثبوت فى الامر واستقرار عندالاسباب المحركة للغضب الباعث على العجلة فى العقوبة . والاحتمال حبس النفس عندالآلام والموذيات . والعفو ترك المؤاخذة ﴿ روى محمد بن حارث الهلالى ان جبريل نزل على النبى صلى الله عليه وسلم فقال يا محمد انى اتيتك بمكارم الاخلاق فى الدنيا والآخرة خذالعفو ﴾ قال الزمخشرى العفوضد الجهد اى خذ ما عفالك من افعال الناس واخلاقهم وما اتى منهم وتسهل من غير كلفة ولاتداقهم ولا تطلب منهم الجهد ومايشق عليهم حتى لاينفروا كقوله صلى الله عليه وسلم يسروا ولا تعسروا قال الشاعر * خذالعفو منى تستديمى مودتى . ولا تنطق فى سورتى حين اغضب * وقيل خذالفضل وماتسهل من صدقاتهم وذلك قبل نزول آية الزكاة فلما نزلت امر ان يأخذهم بها طوعا اوكرها ﴿ وأمر بالعرف ﴾ اى بالمعروف والجميل من الافعال ﴿ واعرض عن الجاهلين ﴾ بالمجاملة وحسن المعاملة وترك المقابلة وعن جعفر الصادق امر الله نبيه عليه الصلاة والسلام بمكارم الاخلاق وليس فى القرأن آية اجمع لمكارم الاخلاق منها ﴿ وروى سفيان بن عيينة ﴾ قال على القارئ اى كافى تفسير ابن جرير وابن ابى حاتم مرسلا ووصله ابن مردويه ﴿ ان النبى صلى الله عليه وسلم قال حين نزلت هذه الآية يا جبريل ماهذا ﴾ الذى جئت به وسأل عن تأويلها ﴿ قال لاادرى حتى اسأل العالم ﴾ الذى ارسلنى به ﴿ ثم ﴾ ذهب و ﴿ عاد جبريل وقال يا محمد ان ربك يأمرك ان تصل من قطعك وتعطى من حرمك وتعفو عمن ظلمك وروى هشام ﴾ بن عروة ﴿ عن الحسن ﴾ البصرى ﴿ ان النبى صلى الله عليه وسلم قال ايعجز احدكم ان يكون كابى ضمضم ﴾ مثل برثن ابن الحارث قالوا ومن ابو ضمضم قال رجل ﴿ كان اذا خرج من منزله قال اللهم انى تصدقت بعرضى على عبادك ﴾ ولامؤاخذة على ماتصدق به ﴿ وروى عن النبى صلى الله عليه وسلم ﴾ كما رواه الطبرانى عن فاطمة رضى الله عنها ﴿ انه قال ان الله يحب الحليم الحيى ويبغض الفاحش البذى . وقال عليه الصلاة والسلام من حلم ساد ومن تفهم ازداد ﴾ اى طلب الفهم باجتهاد وسؤال ازداد فهمه ﴿ وقال بعض الادباء من غرس شجرة الحلم اجتنى ثمرة السلم ﴾ اى السلامة من نزاع الناس ﴿ وقال بعض البلغاء ماذب ﴾ اى ما دفع وطرد ﴿ عن الاعراض ﴾ جمع عرض وهو مايلزم حراسته وحمايته ﴿ كالصفح والاعراض ﴾ اى كعفوالذنب والاعراض عن المقابلة بسوء ﴿ وقال بعض الشعراء ﴾ من الوافر ﴿ احب مكارم الاخلاق جهدى . واكره ان اعيب وان اعابا ﴾ قال الفراء الجهد بالضم الطاقة وبالفتح المشقة اى احبها مجتهدا جهدى قال ابو على ان هذه المصادر منصوبة على انها مفعولات مطلقة للحال المقدر وكلها مضافة الى الفاعل فلهذا حذف العامل وجوبا فهذه المصادر وان قامت مقام الاحوال منتصبة على المصدرية كما ينتصب على الظرفية ماقام مقام خبر المبتدأ من الظروف نحو زيد قدامك ولا يعرب اعراب ما قام مقامه انتهى ونزل اعيب منزلة اللازم لعدم تعلق الغرض بتقييده بمفعول مخصوص ﴿ واصفح عن سباب الناس حلما . وشر الناس من يهوى السبابا ﴾ مصدر سابب ﴿ ومن هاب الرجال تهيبوه . ومن حقر الرجال فلن يهابا ﴾ اى من خاف الرجال ولم يقع فى اعراضهم يخافون منه ومن حقر واذل الرجال فلن يهاب منه * ومن قضت الرجال له حقوقا . ولم يقض الرجال فما اصابا ﴿ فالحلم من اشرف الاخلاق واحقها بذوى الالباب لما

فيه من سلامة العرض وراحة الجسد واجتلاب الحمد وقد قال على بن ابى طالب كرم الله وجهه اول عوض الحليم عن حلمه ان الناس انصاره ﴿ يأخذون ثأره من السفيه ﴾ وحد الحلم ضبط النفس عند هيجان الغضب ﴿ والغضب تغير يحصل عند غليان دم القلب ليحصل عنه التشفى للصدر فالحلم ملكة توجب ضبط النفس فى محل العفو والصفح والشجاعة التهور والغلظة فى محله وكلاهما محمودان والمذموم التهور فى محل العفو وهو الغضب وعدم غليان دم القلب فى محل الغلظة وهو الجبانة وكلاهما مذمومان ﴾ وهذا ﴿ الضبط ﴾ يكون عن باعث وسبب واسباب الحلم الباعثة على ضبط النفس عشرة * احدها الرحمة للجهال وذلك ﴿ الرحم ناش ﴾ من خير يوافق رقة وقد قيل فى منثور الحكم من اوكد اسباب الحلم رحمة الجهال ﴾ فيأمن ويأمنون من استحداث البغض والقطيعة المؤديين الى ترك النصرة والغيبة ونحو ذلك ﴾ وقال ابو الدرداء رضى الله عنه ﴿ لرجل اسمعه كلاما ﴾ مستهجنا ﴿ ياهذا لاتغرقن ﴾ اى لا تفرطن ﴿ فى سبنا ودع للصلح موضعا فانا لا نكافى من عصى الله فينا باكثر من ان نطيع الله عز وجل فيه ﴾ وهو العفو والصفح ﴿ وشتم رجل الشعبى فقال ان كنت كما قلت فغفر الله لى وان لم اكن كما قلت فغفر الله لك ﴾ حكى انه تقدمت امرأة جميلة الى الشعبى فادعت عنده فقضى لها فقال هذيل الاشجعى * فتن الشعبى لما . رفع الطرف اليها * فتنته ببنان . كيف لو راى معصميها * ومشت مشيا رويدا . ثم هزت منكبيها * فقضى جورا على الخصم ولم يقض عليها ﴿ واغتاظت عائشة رضى الله عنها على خادم لها ثم رجعت الى نفسها فقالت لله در التقوى ما تركت لذى غيظ شفاء. وقسم معاوية رضى الله عنه قطافا فاعطى شيخا من اهل دمشق قطيفة فلم تعجبه فحلف ﴾ ذلك الشيخ ﴿ ان يضرب بها رأس معاوية فاتاه فاخبره فقال له معاوية اوف بنذرك وليرفق الشيخ بالشيخ * والثانى من اسبابه القدرة على الانتصار ﴾ اى على الانتقام والانتصاف ﴿ وذلك ﴾ الحلم ﴿ من سعة الصدر وحسن الثقة ﴾ بقدرته ﴿ وقد روى عن النبى صلى الله عليه وسلم انه قال اذا قدرت على عدوك فاجعل العفو شكرا للقدرة عليه . وقال بعض الحكماء ليس من الكرم عقوبة من لايجد امتناعا من السطوة وقال بعض البلغاء احسن المكارم عفو المقتدر ﴾ لامنه من لحوق المعرة الزائدة فالعفو كرم محض واما غير المقتدر فقد يعفو عجزا او خوف المعرة الزائدة ﴿ وجود المفتقر ﴾ لان جوده يكون بالايثار وهو اعلى مراتب الجود ﴿ والثالث من اسبابه الترفع عن السباب وذلك من شرف النفس وعلو الهمة كما قالت الحكماء شرف النفس ان تحمل المكاره كما تحمل المكارم وقد قيل ان الله تعالى سمى يحيى عليه السلام سيدا لحلمه ﴾ حيث قال لزكريا عليه السلام ان الله يبشرك بيحيى مصدقا بكلمة من الله وسيدا وحصورا ﴿ وقد قال الشاعر ﴾ من البسيط ﴿ لايبلغ المجد اقوام وان كرموا . حتى يذلوا وان عزوا لاقوام ﴾ الذل الحقارة والسهولة وبابه فر اى يحقروا باحتمال المكاره طوعا او حتى ينقادوا له ﴿ ويشتموا فترى الالوان مسفرة. لاصفح ذل ولكن صفح احلام ﴾ اى وحتى ويشتموا فترى الوانهم ووجوههم مسفرة ضاحكة مستبشرة من اسفر الصبح اذا اضاء واشرق وذلك الاسفار لحلمهم وعفوهم لالحقارة انفسهم ولالدناءة طباعهم قال الرشيد لاعرابى بم بلغ فيكم هشام بن عروة هذه المنزلة قال بحلمه

عن سفهنا وعفوه عن مسيئنا وحمله عن ضعيفنا لامنان اذاوهب ولاحقود اذا غضب رحب الجنان سمح البنان ماضى اللسان قال فاومأ الرشيد الى كلب صيد كان بين يديه وقال والله لوكان هذه فى هذا الكلب لاستحق بها السودد وقيل لمعن بن زائدة المؤاخذة بالذنب من السودد قال لا ولكن احسن مايكون الصفح عمن عظم جرمه وقل شفعاؤه ولم يجد ناصرا وقال الاحنف اياكم ورأى الاوغاد قالوا وما رأى الاوغاد قال الذين يرون الصفح والعفو عارا وقال الشاعر * واذا بغى باغ عليك بجهله . فاقتله بالمعروف لا بالمنكر * وقال آخر * وجهل رددناه بفضل حلومنا . ولواننا شئنا رددناه بالجهل ﴿ والرابع من اسبابه الاستهانة بالمسئ وذلك ﴾ الحلم ﴿ عن ضرب من الكبر والاعجاب كما حكى عن مصعب بن الزبير انه لماولى العراق ﴾ من طرف اخيه عبدالله بن الزبير ﴿ جلس يوما لعطاء الجند وامر مناديه فنادى اين عمرو بن جرموز وهو الذى قتل اباه الزبير ﴾ فى وقعة الجمل وكان من طرف عائشة رضى الله عنها الا ان الزبير رضى الله عنه كان خرج عن المقاتلين لحديث ذكره على ابن ابى طالب رضى الله عنه وكان يصلى فى وادى السباع فقتله ابن جرموز سنة ست وعشرين ﴿ فقيل له ﴾ اى لمصعب ﴿ ايها الامير انه ﴾ اى ابن جرموز ﴿ قد تباعد فى الارض ﴾ خوف اقتصاص ابيك ﴿ فقال اويظن الجاهل ﴾ اى ايعظم نفسه ويظن بتقدير المعطوف عليه كما فى امثاله ﴿ انى اقيده بابى عبدالله ﴾ من اقاد القاتل بالقتيل اذا قتله به ﴿ فليظهر آمنا لياخذ عطاءه موفرا فعد الناس ذلك ﴾ العفو ﴿ من مستحسن الكبر ﴾ وقال الشاعر * قوم اذا ماجنى جانيهم وامنوا . للؤم احسابهم ان يقتلوا قودا ﴿ ومثل ذلك ﴾ المحكى ﴿ قول بعض الزعماء فى شعره * اوكلما طن الذباب طردته . ان الذباب اذا على كريم ﴾ وقال آخر * فدع الوعيد فما وعيدك ضائرى . اطنين اجنحة الذباب يطير * من الطيرة ﴿ واكثر رجل من سب الاحنف ﴾ بن قيس ﴿ وهو لايجيبه فقال ﴾ الرجل ﴿ والله مامنعه من جوابى الاهوانى عليه ﴾ وعدم تنزله لجوابى ﴿ وفى مثله يقول الشاعر ﴾ من المتقارب وهو ابراهيم بن العباس الصولى قاله لمحمد بن الزيات * فلن كيف شئت وقل ماتشا . وابرق يمينا وارعد شمالا ﴿ نجا بك لؤمك منجى الذباب . حمته مقاذيره ان ينالا ﴾ يقال نجا منه اذا خلص والباء للتعدية ومنجى مفعول مطلق يعنى وقاك لؤمك وقاية حقارة الذباب من ان ينال بثأره وذلك لانه يقع على الجسد او الطعام فيتقذر الانسان بعقره فيشرده وهو واجد عليه فينجو الذباب سالما بعد اذايته اخذه ابراهيم من قول الآخر * اسمعنى عبد بنى مسمع . فصنت عنه النفس والعرضا * ولم اجبه لاحتقارى له . ومن يعض الكلب ان عضا ﴿ واسمع رجل ﴾ اباخالد يزيد ﴿ ابن هبيرة فاعرض عنه فقال له الرجل اياك اعنى ﴾ بمذمتى ﴿ فقال له وعنك اعرض وفى مثله يقول الشاعر ﴾ من الكامل ﴿ فاذهب فانت طليق عرضك انه . عرض عززت به وانت ذليل ﴾ يعنى ادفع شرك واذهب فانت مصون العرض عن شتمى فان عرضك عرض اى واجب الصيانة كمطلق الاعراض وهذا الذى عززك ومنعنى عن سبابك الا انك ذليل لنيلك من اعراض غيرك ﴿ وقال عمرو بن على ﴾ من الوافر ﴿ اذا نطق السفيه فلاتجبه . فخير من اجابته السكوت ﴾ لانه خير من المسافهة ﴿ سكت عن السفيه فظن انى . عييت عن الجواب وماعييت ﴾ اى وما عجزت وقال المامون للنضر بن شميل الشدنى احسن ماقالته العرب فى السكوت قال فانشدته * انى ليهجرنى الصديق تجنبا . فاريه ان لهجره

اسبابا * واراه ان عاتبته اغريته . فيكون تركى للعتاب عتابا * واذا بليت بجاهل متحكم . يجد المحال من الامور صوابا . او ليته منى السكوت وربما . كان السكوت عن الجواب جوابا * فقال ما احسن ماقال ﴿ والخامس من اسبابه الاستحياء من جزاء الجواب وهذا يكون من صيانة النفس وكمال المروءة وقد قال بعض الحكماء احتمال السفيه خير من التحلى بصورته والاغضاء عن الجاهل خير من مشاكلته . وقال بعض الادباء ما افحش حليم ولا اوحش كريم ﴾ من اوحش الارض اذا وجدها وحشة ومخوفة ﴿ وقال لقيط بن زرارة ﴾ من الطويل ﴿ وقل لبنى سعد فمالى ومالكم. ترقون منى ما استطعتم واعتق ﴾ من ارق المملوك اذا ملكه يعنى قل لهم ما بالى وبالكم تحفظون ما وقع منى من الزلل جهدكم كالاسير والرق وانا اعفو واغفر ما وقع منكم ﴿ اغركم انى باحسن شيمة . بصير وانى بالفواحش اخرق ﴾ اى احمق لدى الفواحش ﴿ وان تك قد فاحشتنى فقهرتنى . هنيئا مريئا انت بالفحش احذق ﴾ قوله فاحشتنى من باب المغالبة اى ان طلبت المغالبة فى الفحش فغلبتنى وقهرتنى فى تلك المسابقة بورك لك ذلك السبق انت احذق بالفحش واعلم به ﴿ السادس من اسبابه التفضل على الساب فهذا يكون من الكرم وحب التألف كما قيل للاسكندر ان فلانا وفلانا ينقصانك ويثلبانك ﴾ من ثلبه ثلبا من الباب الثانى اذا لامه وعابه ﴿ فلو عاقبتهما ﴾ لقطعت عنك السنة الناس اولولتنمى ﴿ فقال هما بعد العقوبة اعذر فى تنقصى وثلبى ﴾ بعدم العفو والكرم ﴿ فكان هذا ﴾ الحلم ﴿ تفضلا منه وتألفا وقد حكى عن الاحنف بن قيس انه قال ماعادانى احد قط الا اخذت فى امره باحدى ثلاث خصال ان كان اعلى منى عرفت له قدره ﴾ وتواضعت اليه ﴿ وان كان دونى رفعت قدرى عنه ﴾ بالحلم ﴿ وان كان نظيرى تفضلت عليه ﴾ بالعفو ﴿ فاخذه الخليل فنظمه شعرا فقال * سالزم نفسى الصفح عن كل مذنب . وان كثرت منه الى الجرائم * فما الناس الا واحد من ثلاثة . شريف ومشروف ومثل مقاوم ﴾ اى شريف وعال هو علىّ فى دين او دنيا او بالعكس او مثل ﴿ فاما الذى فوقى فاعرف قدره . واتبع فيه الحق والحق لازم ﴾ اى الاطاعة واجبة ﴿ واما الذى دونى فاحلم دائبا . اصون به عرضى وان لام لائم ﴾ يقال دأب فى عمله اذا جد وتعب يعنى اجتهد فى الحلم ﴿ واما الذى مثلى فان زل اوهفا. تفضلت ان الفضل بالفخر حاكم ﴾ وقال المأمون للنضر انشدنى احسن ماقالته العرب فى الحلم قال فانشدته * اذا كان دونى من بليت بجهله * ابيت لنفسى ان اقابل بالجهل * وان كان مثلى فى محل من العلا. هويت اذا حلما وصفحا عن المثل * وان كنت ادنى منه فى الفضل والحجا. رأيت له حق التقدم والفضل * فقال ما احسن ماقال ﴿ والسابع من اسبابه استكفاف الساب وقطع السباب وهذا يكون من الحزم كما حكى ان رجلا قال لضرار بن القعقاع والله لو قلت واحدة لسمعت عشرا فقال له ضرار والله لو قلت عشرا لم تسمع واحدة ﴾ ومما انشد لعلى بن ابى طالب كرم الله وجهه * اصم عن الكلم المحفظات. واحلم والحلم بى اشبه * وانى لاترك جل المقال. لئلا اجاب بما اكره * اذا ما اجتررت سفاه السفيه . على فانى اذن اسفه * ولا تغترر برواء الرجال . وان زخرفوا لك اوموهوا * فكم من فتى يعجب الناظرين . له السن وله اوجه * ينام اذا حضر المكرمات . وعند الدناءة يستنبه ﴿ وحكى ان على بن ابى طالب

كرم الله وجهه قال لعامر بن مرة الزهرى من احمق الناس قال من ظن انه اعقل الناس قال صدقت فمن اعقل الناس قال من لم يتجاوز الصمت فى عقوبة الجهال وقال الشعبى ما ادركت امى فابرها ولكن لا اسب احدا ﴿ اى امه ﴾ فيسبها وقال بعض الحكماء فى اعراضك صون اعراضك وقال بعض الشعراء * وفى الحلم ردع للسفيه عن الاذى . وفى الخرق اغراء فلا تك اخرقا * فتندم اذلا تنفعنك ندامة كما ندم المغبون لما تفرقا ﴿ يعنى من يغبن دائما فى البيع وبالتفرق يرتفع الخيار ولذا شرع الخيار ﴾ وقال آخر * قل ما بدالك من زور ومن كذب . حلمى اصم واذنى غير صماء ﴿ مؤنث اصم اى اعرض عن الخناء بحلمى وان سمعه اذنى ﴾ والثامن من اسبابه الخوف من العقوبة على الجواب وهذا يكون من ضعف النفس وربما اوجبه الرأى ﴿ السديد ﴾ واقتضاه الحزم ﴿ الشديد ﴾ وقد قيل فى منثور الحكم الحلم حجاب الآفات وقال الشاعر ﴿ من البسيط ايضا ﴾ ارفق اذا خفت من ذى هفوة خرقا . ليس الحليم كمن فى امره خرق ﴿ وخرقا تميز من ذى هفوة اى من خرقه والخرق قطع الشئ بدون فكر وروية على طريق الفساد ﴾ والتاسع من اسبابه الرعاية ليد سالفة وحرمة لازمة وهذا يكون من الوفاء وحسن العهد وقد قيل فى منثور الحكم اكرم الشيم ارعاها الذمم وقال الشاعر ﴿ من الكامل ﴾ ان الوفاء على الكريم فريضة . واللؤم مقرون بذى الاخلاف ﴿ جمع خلف بسكون اللام العقب السوء ﴾ وترى الكريم لمن يعاشر منصفا . وترى اللئيم مجانب الانصاف * والعاشر من اسبابه المكر وتوقع الفرص الخفية وهذا يكون من الدهاء وقد قيل فى منثور الحكم من ظهر غضبه قل كيده ﴿ اذ قد تشفى به او يتوقى منه المغضوب عليه ويتحذر من كيده ﴾ وقال بعض الادباء غضب الجاهل فى قوله وغضب العاقل فى فعله وقال بعض الحكماء اذا سكت عن الجاهل فقد اوسعته جوابا واوجعته عقابا وقال اياس بن قتادة * تعاقب ايدينا ويحلم رأينا . ونشتم بالافعال لا بالتكلم * وقال بعض الشعراء ﴿ وكم من لئيم ودانى شتمته . وان كان شتمى فيه صاب وعلقم ﴾ وللكف عن شتم اللئيم تكرما . اضرله من شتمه حين يشتم ﴿ الكف مبتدا واضر خبره ﴾ فهذه ﴿ المذكورات ﴾ عشرة اسباب تدعو الى الحلم وبعض الاسباب افضل من بعض وليس اذا كان بعض اسبابه مفضولا يقتضى ان تكون نتيجته من الحلم مذمومة وانما الاولى بالانسان ان يدعوه للحلم افضل اسبابه وان كان الحلم كله فضلا وان عرى عن احد هذه الاسباب ﴿ بان لم يوجد واحد منها ﴾ كان ذلا ولم يكن حلما لاننا قد ذكرنا فى حد الحلم انه ضبط النفس عند هيجان الغضب فاذا فقد الغضب لسماع ما يغضب ﴿ اى عند سماع موجب الغضب ﴾ كان ذلك من ذل النفس وقلة الحمية وقد قالت الحكماء ثلاثة ﴿ من الاشخاص ﴾ لا يعرفون الا فى ثلاثة مواطن لا يعرف الجواد الا فى العسرة ﴿ العسامة كالقحط والجدب او عسره ﴾ والشجاع الا فى الحرب والحليم الا فى الغضب وقال الشاعر ﴿ من الرمل ﴾ ليست الاحلام فى حال الرضى . انما الاحلام فى حال الغضب ﴿ يروى انه كان الشعبى اولع شئ بهذا البيت وقال آخر * وليس يتم الحلم للمرء راضيا . اذا هو عند السخط لم يتحلم * كما لا يتم الجود للمرء موسرا . اذا هو عند العسر لم يتجشم ﴾ وقال آخر ﴿ من البسيط ﴾ من يدعى الحلم اغضبه لتعرفه . لا يعرف الحلم الا ساعة الغضب ﴿ واغضبه امر من الاغضاب ﴾ وانشد النابغة الجعدى ﴾

ابو ليلى حسان بن قيس بن عبدالله رضى الله عنه ادرك الجاهلية والاسلام وانما سمى النابغة لانه اقام مدة لايقول الشعر ثم نبغ اى قال الشعر واجاده ولم يكن فى ارث الشعر فقاله وهو اسن من نابغة بنى ذبيان عمر مأتين وعشرين سنة ومات باصبهان ﴿ بحضرة رسول الله صلى الله عليه وسلم ﴾ قوله من الطويل ﴿ ولا خير فى حلم اذا لم يكن له . بوادر تحمى صفوه ان يكدرا ﴾ والبادرة مايبدو فى الغضب من الحدة قولا كان اوفعلا وتنوينه المقدر عوض عن المضاف اليه اى بوادر جاهل تحمى تلك البوادر برودة الحليم ويكدر صفوته والاحماء الاسخان يعنى لاخير فى حلم الحليم مالم يكن فى مقابلة بادرة الجاهل ﴿ ولاخير فى جهل اذا لم يكن له . حليم اذا ما اورد الامر اصدرا ﴾ اى حلم حليم او عفوه وصفحه ففيه صنعة احتباك حيث اسقط من البيت الاول المضاف اليه و اقام صفته مقامه بقرينة ذكر الحليم هنها واسقط من البيت الثانى المضاف بقرينة ذكره هناك وقوله اذا ما اورد الامر اى اذاما اورد الجاهل الجهل والمسبة اصدره الحليم وارجعه بحلمه والورود البلوغ الى الماء و الصدر العود والرجوع و الوارد والصادر المراود ﴿ فلم ينكر صلى الله عليه وسلم قوله عليه ﴾ اى على النابغة بانه لايجوز امتحان الحليم واختبار حلمه باغضابه لان البيت الثانى ظاهر فى الامتحان والافاى خير فى الجهل حتى يكون النفى مفيدا وغرض المصنف الاستدلال بتقرير النبى صلى الله عليه وسلم على صحة قول الشاعر اغضبه لتعرفه وانه اخذ المعنى من قول النابغة واختصره مع ايضاحه ثم قال * بلغنا السماء مجدنا وسناءنا . وانا لنرجو فوق ذلك مظهرا * فقال النبى صلى الله عليه وسلم الى اين يا ابا ليلى قال الى الجنة بك يارسول الله فقال لايفضض الله فاك فكان من احسن الناس ثغرا وكان اذا سقط له سن نبتت له . وقال الاحنف بن قيس لابنه يابنى اذا اردت ان تواخى رجلا فاغضبه فان انصفك والافاحذره قال الشاعر * اذا كنت مختصا لنفسك صاحبا . فمن قبل ان تلقاه بالود اغضبه * فان كان فى حال القطيعة منصفا . والافقد جربته فتجنبه ﴿ ومن فقد الغضب فى الاشياء المغضبة حتى استوت حالتاه قبل الاغضاب وبعده فقد عدم من فضائل النفس الشجاعة والانفة والحمية والغيرة والدفاع والاخذ بالثار لانها خصال مركبة من ﴾ ذات ﴿ الغضب ﴾ ووصفه الذى هو الاعتدال كما تقدم فى حسن الخلق ﴿ فاذا عدمها الانسان هان بها ﴾ من الهوان اى ذل بفقد تلك الفضائل ﴿ ولم يكن لباقى فضائله فى النفوس موضع ولالوفور حلمه فى القلوب موقع ﴾ ويعبر عنه العوام بالحلم الحمارى ﴿ وقد قال المنصور اذا كان الحلم مفسدة ﴾ اى فسادا ﴿ كان العفو ﴾ اى مثل ذلك الحلم ﴿ معجزة ﴾ اى عجزا ﴿ وقال بعض الحكماء العفو يفسد من اللئيم بقدر اصلاحه من الكريم ﴾ وقد تقدم فى المواخاة مايتعلق به ﴿ وقال عمرو بن العاص اكرموا سفهاءكم فانهم يقونكم العار والشنار ﴾ بالفتح اقبح العيب والعار وكذا الامر المشهور بالشنعة ﴿ وقال مصعب بن الزبير ماقل سفهاء قوم الا ذلوا ﴾ بين الجهال قيل بينما امير المؤمنين عمر بن الخطاب رضى الله عنه جالس اذجاءه اعرابى فلطمه فقام اليه واقد بن عمر فجلد به الارض فقال عمر ليس بعزيز من ليس فى قومه سفيه وقال الاحنف بن قيس * وذى ضغن ابت القول عنه . بحلم فاستمر على المقال * ومن يحلم وليس له سفيه . يلاق المعضلات من الرجال ﴿ وقال ابو تمام الطائى * والحرب تركب رأسها فى مشهد . عدل السفيه به بالف حليم ﴾ فى الاساس

المجد والسنى مفعولان اى ابلغناهما اليه منه

ركب رأسه اى مضى على وجهه بغير روية لايطيع مرشدا والمشهد محضر القوم يعنى الحرب التى تمضى على وجهها وتجر الاقوام اليها فيشهدونها فرسانا وراجلين عدل فى ذلك المشهد سفيه واحد بحليم كثير وقال آخر * والناس الف منهم كواحد . وواحد كالالف ان امر عنى ﴿ وليس هذا القول ﴾ وهو كون الحلم فسادا والعفو عجزا وامثاله ﴿ اغراء بتحكيم الغضب والانقياد اليه عند حدوث مايغضب فيكسب بالانقياد للغضب من الرذائل اكثر مما يسلبه عدم الغضب من الفضائل ولكن ﴾ المراد به ﴿ اذا ثار به الغضب عند هجوم مايغضبه كف سورته بحزمه واطفأ نائرته بحلمه وو كل من استحق المقابلة الى غيره ولا يعدم مسئ مكافيا ﴾ له على اساءته ﴿ كما لن يعدم محسن مجازيا ﴾ له على احسانه كما قيل * الخير ابقى وان طال الزمان به . والشر اخبث ما او عيت من زاد * وقد حكى ان احنف بن قيس كان جالسا فلطمه رجل فقال مادعاك على هذا قال جعل لى على ان الطم سيد بنى تميم فقال لست بذلك ولكن حارثة بن قدامة فلطمه فقطع يده وتحدث الناس ان الاحنف هو الذى قطعه ﴿ والعرب تقول دخل بيتا ماخرج منه اى ان خرج منه خير دخله خير وان خرج منه شر دخله شر وانشد ابن دريد عن ابى حاتم ﴾ سهل بن عثمان السجستانى من اعاظم الادباء واخذ منه ابن دريد والمبرد ونحوهما من العلماء وكان من اهل التقوى يتصدق كل يوم بدينار ويختم القرآن فى كل اسبوع توفى فى البصرة سنة ثمان واربعين ومأتين ومن اشعاره * ابرزوا وجهه الجميل ولاموا من افتتن * لو ارادوا عفافنا. ستروا وجهه الحسن ﴿ اذا امن الجهال جهلك مرة . فعرضك للجهال غنم من الغنم ﴾ بضم فسكون اى غنيمة وفئ من جنس الغنائم لامنهم عن جهلك ﴿ فعم عليه الحلم والجهل والقه . بمنزلة بين العداوة والسلم ﴾ قوله عم امر من العم المتعدى لامن العموم اللازم يقال عمهم بالعطية اذا شملهم وفى بعض النسخ فعمم من التعميم ﴿ اذا انت جازيت السفيه كما جزى ﴾ اى لجزائه ﴿ فانت سفيه مثله غير ذى حلم * ولاتعضبن عرض السفيه وداره . بحلم فان اعيا عليك فبالصرم ﴾ من عضبه بالرمح اذا طعنه به ودار امر من المداراة والصرم القطع البائن ولام السفيه للاستغراق فيهما اى اذا انت جازيت كل سفيه لجزائه فانت سفيه مثله ولا تطعن عرض سفيه بل داره بحلم فان اعيا واشكل عليك امر ذلك فاطعنه بالصرم ﴿ فيرجوك تارات ﴾ حلمك ﴿ ويخشاك تارة ﴾ صرمك ﴿ ويأخذ فيما بين ذلك ﴾ الخوف والرجاء ﴿ بالحزم ﴾ والحذر منك ﴿ فان لم تجد بدا من الجهل فاستعن . عليه بجهال فذاك من العزم ﴾ فان الجاهل لايدفعه الا الجهل ﴿ وهذه من احكم ابيات وجدتها فى تدبير الحلم والغضب ﴾ قال صالح بن جناح * اذا كنت بين الجهل والحلم قاعدا . وخيرت انى شئت فالحلم افضل * ولكن اذا انصفت من ليس منصفا . ولم يرض منك الحلم فالجهل امثل * وقال آخر * فان كنت محتاجا الى الحلم اننى . الى الجهل فى بعض الاحايين احوج * ولى فرس للخير بالخير ملجم . ولى فرس للشر بالشر مسرج * فمن رام تقويمى فانى مقوم . ومن رام تعويجى فانى معوج * وقال آخر * فان قيل حلم قلت للحلم موضع . وحلم الفتى فى غير موضعه جهل ﴿ وهذا التدبير ﴾ وهو الاستعانة بالسفهاء ﴿ انما يستعمل فيما لايجد الانسان بدا من مقارنته ولاسبيل الى اطراحه

(ومتاركته)

ومتاركته ﴿ كليا ﴾ اما لخوف شره او للزوم امره ﴿ بان يكون بينهما قرابة قريبة او شركة في حصة
مشاع او رفاقة في سفر بعيد او نحو ذلك ﴿ فامامن امكن اطراحه ولم يضر ابعاده فالهوان به
اولى والاعراض عنه اصوب ﴾ وهذا هو الصرم في الابيات ﴿ فاذا كان ﴾ تدبير الحلم والغضب
﴿ على ماوصفت استفاد بتحريك الغضب فضائله وامن بكف نفسه عن الانقياد له رذائله وصار الحلم
مدبرا للامور المغضبة بقدر لايعتريه نقص بعدم الغضب ولا يلحقه زيادة بفقد الحلم ولو عزب ﴾
وغاب ﴿ عنه الحلم حتى انقاد لغضبه ضل عنه وجه الصواب فيه وضعف رأيه عن خبرة اسبابه
ودواعيه حتى يصير بليد الرأى مغمور الروية ﴾ من قولهم فلان غمر اى غير مجرب للامور
﴿ مقطوع الحجة مسلوب العزاء ﴾ لان غاية الغضب الندامة ﴿ قليل الحيلة ﴾ والتدبير لاموره
﴿ مع ماينا له من اثر ذلك ﴾ الضعف والضلال ﴿ في نفسه وجسده ﴾ من الندامة والرخاوة
﴿ حتى يصير اضر عليه مما غضب له ﴾ كمن غضب على فرسه فكسر رجلها او على زوجته فطلقها
او على عبده فقتله ﴿ وقد قال بعض الحكماء من كثر شططه ﴾ اى تباعده عن الحق ﴿ كثر
غلطه. وروى ان سلمان ﴾ بن ثمامة الجعفي كان من مصاحب علي رضى الله عنهما ثم سكن الرقة
وبنى فيها مسجدا ﴿ قال لعلي رضى الله عنه ماالذى يباعدني عن غضب الله عز وجل قال
لا تغضب ﴾ اى لاتفعل مايحملك على الغضب اولا تفعل بمقتضاه لان نفس الغضب لايتأتى النهى
عنه لكونه غير اختياري ﴿ وقال بعض السلف اقرب مايكون العبد من غضب الله عز وجل
اذا غضب ﴾ اى اقرب اكوانه من غضب الله زمان غضبه ﴿ وقال بعض البلغاء من رد غضبه هد
من اغضبه ﴾ اى اهرمه واوهن ركنه ﴿ وقال بعض الادباء ماهيج جاشك ﴾ وقد تثبت همزته
على ماهو الاصل تقول اخذني منه الجأش وهو رواع القلب اذا اضطرب عند الفزع ﴿ كغيظ
اجاشك ﴾ اى افزعك ﴿ وقال رجل لبعض الحكماء عظني قال لاتغضب فينبغي لذى اللب السوى
والحزم القوى ان يتلقى قوة الغضب بحلمه فيصدها ويقابل دواعي شرته بحزمه فيردها ليحظى
باجل الخيرة ﴾ واعظمها ﴿ ويسعد بحميد العاقبة ﴾ من المغفرة والجنة للكاظمين الغيظ
والعافين عن الناس ﴿ وقال بعض الادباء في اغضابك ﴾ افعل للسلب اى في سلب غضبك
﴿ راحة اعصابك ﴾ وهي اطناب المفاصل لان الاعصاب تحرك وتضطرب اضطرابا شديدا
عند الغضب ويحصل منه ظلمة في العين وخفقان في القلب وكدورة في الفكر وتشوش في العقل
ولذا يعقبه الندم ﴿ وسبب الغضب هجوم ماتكرهه النفس ممن دونها وسبب الحزن هجوم ماتكرهه
النفس ممن فوقها والغضب تحرك من داخل الجسد الى خارجه ﴾ فيتوسع به مجارى الدم ﴿ والحزن
يتحرك من خارج الجسد الى داخله ﴾ فيتضيق به المجارى وربما تنسد فيحصل الاختناق او حصر
النفس ﴿ فلذلك قتل الحزن ولم يقتل الغضب لبروز الغضب وكمون الحزن ﴾ وبتعبير آخر
لكون الغاضب كالرامي والمحزون كالمرمى اليه وسهم الغضب مسموم ﴿ وصار الحادث عن الغضب
السطوة والانتقام لبروزه والحادث عن الحزن المرض والاسقام لكمونه ولذلك افضى الحزن
الى الموت ولم يفض اليه الغضب فهذا فرق مابين الحزن والغضب * واعلم ان لتسكين الغضب
اذا هجم اسبابا يستعان بها على الحلم منها ان يذكر الله عز وجل ﴾ قدرته وجلالته وقهره وانه
عزيز ذو انتقام مع ان نفسه حقيرة مدبرة بمقدار من العلام وانه لايملك موتا ولا حياة ولا نشورا

﴿ فيدعوه ذلك ﴾ التذكر ﴿ الى الخوف منه ويبعثه الخوف منه الى الطاعة له فيرجع الى ادبه ويأخذ بتأديبه فعند ذلك يزول الغضب ﴾ لان الحلالة التي خرقها سيف الجلالة لا تنفخ بنفخ الشيطان ﴿ قال الله تعالى ﴾ في الكهف ﴿ واذكر ربك اذا نسيت قال عكرمة يعني اذا غضبت ﴾ وقال الزمخشري واذكر ربك اى مشيئة ربك وقل ان شاء الله اذا فرط منك نسيان لذلك والمعنى اذا نسيت كلمة الاستثناء ثم تنبهت عليها فتداركها بالذكر وعن ابن عباس رضي الله عنه ولو بعد سنة مالم تحنث وعن سعيد بن جبير ولو بعد يوم اواسبوع اوشهر اوسنة وعن طاوس هو على ثنياه مادام في مجلسه وعن الحسن نحوه وعن عطاء يستثنى على مقدار حلب ناقة غزيرة وعند عامة الفقهاء انه لا اثر له في الاحكام مالم يكن موصولا ويحكى انه بلغ المنصور ان اباحنيفة خالف ابن عباس رضي الله عنهم في الاستثناء المنفصل فاستحضره لينكر عليه فقال ابوحنيفة هذا يرجع عليك انك تأخذ البيعة بالايمان افترضى ان يخرجوا من عندك فيستثنوا فيخرجوا عليك فاستحسن كلامه ورضي عنه ﴿ وقال الله تعالى ﴾ في آخر الاعراف ﴿ واما ينزغنك من الشيطان نزغ ﴾ واما ينخسنك منه نخس بان يحملك بوسوسته على خلاف ما امرت به من العفو والاعراض عن الجاهل ﴿ فاستعذ بالله ﴾ ولا تطعه والنزغ والنسغ الغرز والنخس كأنه ينخس الناس حين يغريهم على المعاصي وجعل النزغ نازغا كما قيل جد جده وروى انها لما نزلت خذ العفو الآية قال رسول الله صلى الله عليه وسلم كيف يارب والغضب فنزل واما ينزغنك من الشيطان نزغ ويجوز ان يراد بنزغ الشيطان اعتراء الغضب كقول ابي بكر رضي الله عنه ان لي شيطانا يعتريني ﴿ ومعنى قوله ينزغنك اى يغضبنك فاستعذ بالله انه سميع عليم يعني انه سميع بجهل من جهل عليم بما يذهب عنك الغضب وذكر ان في التوراة مكتوبا يا ابن آدم اذكرني حين تغضب اذكرك حين اغضب ﴾ والغضب فوران دم القلب اوتغير يحصل عند غليانه لدفع الموذيات قبل وقوعها والانتقام بعد وقوعها فاطلاقه على الله مجازي اى حين اردت ان افعل بك ما يفعل الملك اذا غضب على من تحت يده من الانتقام وانزال العقوبة ﴿ فلا امحقك فيمن امحقه ﴾ يقال محق الشيء من الباب الثالث اذا ابطله ومحاه بحيث لم يبق اثرا منه ولا علامة ﴿ وحكي ان بعض ملوك الفرس كتب كتابا ودفعه الى وزيره وقال اذا غضبت فنا ولنيه ﴾ قال المعتمر بن سليمان كان رجل ممن كان قبلكم يغضب فيشتد غضبه فكتب ثلاث صحائف فاعطى كل صحيفة رجلا وقال للاول اذا اشتد غضبي فقم الى بهذه الصحيفة وناولنيها وقال للثاني اذا سكن بعض غضبي فناولنيها وقال للثالث اذا ذهب غضبي فنا ولنيها ﴿ وكان فيه ﴾ اى في اولاها اقصر ﴿ مالك والغضب ﴾ انك لست بآله ﴿ انما انت بشر ﴾ يوشك ان يأكل بعضك بعضا وفي الثانية ﴿ ارحم من في الارض ﴾ اى من جميع اصناف الخلائق ﴿ يرحمك ﴾ بالجزم جواب الامر ﴿ من في السماء ﴾ اى من امره نافذ فيها او من فيها قدرته وسلطانه فانك كما تدين تدان وفي الثالثة احمل عباد الله على كتاب الله فانه لا يصلحهم الا ذلك ﴿ وقال بعض الحكماء من ذكر قدرة الله لم يستعمل قدرته في ظلم عباد الله ، وقال عبد الله بن مسلم بن محارب لهارون الرشيد يا امير المؤمنين اسألك بالذي انت بين يديه اذل مني بين يديك وبالذي هو اقدر على عقابك منك على عقابي لما عفوت عني فعفا عنه لما ذكره قدرة الله تعالى ، وروى ان رجلا شكا الى رسول الله صلى الله عليه

(وسلم)

وسلم ﴾ على مارواه البيهقى عن انس رضى الله عنه ﴿ القسوة ﴾ اى قسوة قلبه وغلظته ﴿ فقال اطلع فى القبور واعتبر بالنشور ﴾ قال العلقمى زيارة القبور من اعظم الدواء للقلب القاسى لانها تذكر الموت والآخرة وذلك يحمل على الزهادة وقصر الامل وترك الرغبة فى الدنيا ولا شئ انفع للقلوب القاسية من زيارة القبور ﴿ وكان بعض ملوك الطوائف اذا غضب القى عنده مفاتيح ترب الملوك ﴾ الماضية اى مفاتيح حصونهم وقلاعهم اوضياعهم وعقاراتهم ﴿ فيزول غضبه ﴾ لتذكيرها موتهم ﴿ ولذلك قال عمر رضى الله عنه من اكثر من ذكر الموت رضى من الدنيا باليسير ﴾ وقنع به ﴿ ومنها ﴾ اى من الاسباب التى يستعان بها على الحلم اذا هجم الغضب ﴿ ان ينتقل عن الحالة التى هو فيها الى حالة غيرها فيزول عنه الغضب بتغير الاحوال والتنقل من حال الى حال وكان هذا مذهب المأمون اذا غضب او شتم ﴾ وفى الجامع الصغير (اذا غضب احدكم وهو قائم فليجلس فان ذهب عنه والا) بان استمر غضبه (فليضطجع) على جنبه لان القائم متأهب للانتقام والقاعد دونه والمضطجع دونهما والقصد الابعاد عن هيئة الوثوب ما امكن ﴿ وكانت الفرس تقول اذا غضب القائم فليجلس واذا غضب الجالس فليقم ﴾ الى غير جهة المغضوب عليه ﴿ ومنها ان يتذكر ما يؤول اليه الغضب من الندم ومذمة الانتقام ﴾ اى انتقام المغضوب عليه عند قدرته وشماتته بمصائب الغاضب واضماره الحقد عند عدم قدرته ﴿ وكتب ابرويز ﴾ معرب پرويز بن هرمز بن نوشيروان ﴿ الى ابنه شيرويه ان كلمة منك تسفك دما واخرى منك تحقن دما ﴾ من الباب الاول والثانى اى تنقذ من القتل نفسا ﴿ وان نفاذ امرك مع كلامك ﴾ بلا تنقيد ولا اعادة ﴿ فاحترس فى غضبك من قولك ان تخطئ ومن لونك ان يتغير ومن جسدك ان يخف ﴾ بدل اشتمال مما قبله والكل من لوازم الغضب ﴿ فان الملوك تعاقب قدرة ﴾ وهى باقية وغير مضيقة عليهم ﴿ وتعفو حلما ﴾ لا عجزا والعفو مضيق ﴿ وقال بعض الحكماء الغضب على من لا تملك ﴾ رقبته بالاسترقاق او الاسترعاء ﴿ عجز وعلى من تملك لؤم ﴾ فالغضب بكلا قسميه مقدوح ﴿ وقال بعض الادباء اياك وعزة الغضب فانها تفضى الى ذل العذر وقال بعض الشعراء ﴾ من الخفيف ﴿ واذا ما اعتراك فى الغضب العزة فاذكر تذلل الاعتذار ﴾ من اعتذر الرجل اذا ابدى عذرا والاعتراء الاعتراض والغشى طالبا ﴿ ومنها ان يذكر ثواب العفو وجزاء الصفح فيقهر نفسه على الغضب رغبة فى الجزاء والثواب وحذرا من استحقاق الذم والعقاب ﴾ على غضب من لا يستحقه او على تجاوز الحد فيمن يستحقه ﴿ روى عن النبى صلى الله عليه وسلم انه قال ينادى مناد يوم القيامة من له اجر على الله عز وجل فليقم فيقوم العافون عن الناس ثم تلا ﴾ آية الشورى وجزاء سيئة سيئة مثلها ﴿ فمن عفا واصلح ﴾ بينه وبين خصمه بالعفو والاغضاء كما قال تعالى فاذا الذى بينك وبينه عداوة كأنه ولى حميم ﴿ فاجره على الله ﴾ عدة مبهمة لا يقاس امرها فى العظم وقوله (انه لا يحب الظالمين) دلالة على ان الانتصار لا يؤمن فيه تجاوز السيئة والاعتداء خصوصا فى حال الحرد والتهاب الحمية فربما كان المجازى من الظالمين وهو لا يشعر وعن النبى صلى الله عليه وسلم اذا كان يوم القيامة نادى مناد من كان له على الله اجر فليقم قال فيقوم خلق فيقال لهم ما اجركم على الله فيقولون نحن الذين عفونا عمن ظلمنا فيقال لهم ادخلوا الجنة باذن الله

﴿ وقال رجاء بن حيوة لعبدالملك بن مروان في اسارى ﴾ عبدالرحمن بن محمد ﴿ ابن الاشعث ﴾ بن قيس الكندي قال ابن قتيبة وقد كان الحجاج زوج ابنه بنت الاشعث رغبة في شرفها وجمالها وفضلها الى ما اراد من استمالة جميع اهلها وقومها الى مصافه وكان ابن الاشعث لا يرغب في مصافاته فولاه بسجستان فخرج على الحجاج فنعه سعيد بن جبير عن ذلك فلم يزالوا به حتى فتنوه وادخلوه معهم فدخل وهو كاره فارسل الحجاج ابن عمه عليهم فقتلوه فقاتلهم الحجاج فقتل واسر ﴿ ان الله قد اعطاك ماتحب من الظفر فاعط الله مايحب من العفو . وقد روى عن النبي صلى الله عليه وسلم انه قال الخير ثلاث خصال فمن كنّ فيه فقد استكمل الايمان من اذا رضى لم يدخله رضاه في باطل ﴾ بل يقول الحق حتى على اصله وفرعه ﴿ واذا غضب لم يخرجه غضبه من حق ﴾ بان يقول او يفعل ماليس يفعله عند عدم غضبه ﴿ واذا قدر ﴾ على عقوبة من استحقها ﴿ عفا ﴾ عنه ﴿ واسمع رجل كلاما لعمر بن عبدالعزيز فقال عمر اردت ان يستفزني الشيطان ﴾ اى يستخفني ويزعجني ﴿ لعزة السلطان ﴾ اى لمدافعتها ﴿ فانال منك ماتناله مني غدا الصرف ﴾ وادفع شرك عني ﴿ رحمك الله ﴾ وعفا سيئتك ﴿ ومنها ﴾ اى من الاسباب التي يستعان بها على الحلم ﴿ ان يذكر انعطاف القلوب عليه وميل النفوس اليه فلا يرى اضاعة ذلك ﴾ الظن ﴿ بتنفير الناس عنه فيرغب في التألف وجميل الثناء . وروى ﴾ عبدالرحمن ﴿ ابن ابي ليلى عن عطية ﴾ بن بشر ﴿ عن ابي سعيد ﴾ الخدري ﴿ قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ما ازداد احد بعفو الاعزا فاعفو يعزكم الله . وقال بعض البلغاء ليس من عادة الكرام سرعة الانتقام ﴾ على رغم الغضب ﴿ ولا من شروط الكرم ازالة النعم ﴾ بالمن اوكفر النعم ﴿ وقال المأمون لابراهيم بن المهدي ﴾ وكان قد خرج عليه وبايعه العباسيون بالخلافة ببغداد وكان المأمون اذ ذاك بخراسان فلما بلغه الخبر قصد العراق فلما بلغ بغداد اختفى ابراهيم وعاد العباسيون وغيرهم الى طاعته ولم يزل المأمون متطلبا لابراهيم حتى اخذه وهو متنقب مع نسوة فحبس ثم احضر بين يديه فقال السلام عليك ياامير المؤمنين ورحمة الله وبركاته فقال المأمون لاسلم الله عليك ولاقرب دارك استعداك الشيطان حتى حدثتك نفسك بما تنقطع دونه الاوهام . فقال ابراهيم مهلا يا امير المؤمنين فان ولى الثار محكم في القصاص والعفو اقرب للتقوى ولك من رسول الله صلى الله عليه وسلم شرف القرابة وعدل السياسة وقد جعلك الله فوق كل ذى ذنب كما جعل كل ذى ذنب دونك فان اخذت فبحقك وان عفوت فبفضلك والفضل اولى بك يا امير المؤمنين ثم قال * ذنبي اليك عظيم . وانت اعظم منه * فخذ بحقك اولا . فاصفح بعفوك عنه * ان لم اكن في فعالى . من الكرام فكنه * فلما سمع المأمون كلامه وشعره ظهرت الدموع في عينيه وقال يا ابراهيم الندم توبة وعفو الله اعظم مما تحاول واكثر مما تأمل و ﴿ انى شاورت في امرك فاشاروا علىّ بقتلك الا انى وجدت قدرك فوق ذنبك فكرهت القتل للازم حرمتك. فقال ياامير المؤمنين ان المشير اشار بما جرت به العادة في السياسة الا انك ابيت ان تطلب النصر ﴾ والتشفى عن الغيظ ﴿ الا من حيث ماعودته من العفو فان عاقبت فلك نظير ﴾ كثير لاتلام عليها ﴿ وان عفوت فلا نظير لك ﴾ اصلا لم يتيسر ذلك الفضل لاحد . فقال المأمون لقد حبب الىّ

العفو حتى خفت ان لااوجر عليه لاتثريب عليك اليوم ثم امر بفك قيوده وادخاله الحمام وازالة شعثه ورد امواله ففرح ابراهيم ﴿ وانشأ يقول ﴾ من البسيط ﴿ البر بى منك وطأ العذر عندك لى . فيما فعلت فلم تعذل ولم تلم ﴾ قوله وطأ مفعول مطلق حذف فعله لقيامه مقام الخبر والعذر مفعوله والعذل اللوم وبابهما قال يعنى برك بى وطئ وطأ عذرى وهيأه فلذا عفوت ﴿ وقام علمك بى فاحتج عندك لى . مقام شاهد عدل غير متهم ﴾ رددت مالى ولم تبخل على به . وقبل ردك مالى قد حقنت دمى ﴿ لئن جحدتك معروفا مننت به . انى لفى اللؤم احظى منك بالكرم ﴾ واللام موطئة للقسم اى والله لئن جحدتك وقوله انى لفى اللؤم جواب القسم لكونه اهم بدليل تقدمه على الشرط واما معنى فهو جواب للقسم لكون اليمين عليه وللشرط ايضا لكونه مشروطا بالشرط وفى متعلق باحظى المتأخر ﴿ تعفو بعدل وتسطوان سطوت به . فلا عدمناك من عاف ومنتقم ﴾ والسطوة الصولة والحملة اومع القهر بالبطش والضمير المجرور راجع الى العدل وقوله فلاعدمناك دعاء له بالبقاء ومن زائدة وعاف تمييز من النسبة هذا وقد عد فى الطريقة التوضوء والاستعاذة والدعاء المخصوص من جملة الاسباب لتسكين الغضب وهو اللهم اغفرلى ذنبى واذهب غيظ قلبى واجرنى من الشيطان ﴿ الفصل الخامس فى الصدق والكذب ﴾ الكذب هوالاخبار عن الشئ على غير ماهو عليه فان لم يكن عن عمد فمعفو بدليل يمين اللغو وان كان عن عمد فحرام قطعى الا فى مواضع كما سيجئ الا ان الاحسن فيها التعريض واشده حرمة الافتراء على الله وعلى رسوله ومنه الوعد بنية الخلف وقصة الرؤيا والادعاء الى غير ابيه ومواليه ﴿ قال الله تعالى ﴾ فى آل عمران ﴿ وهو اصدق القائلين ﴾ (فمن حاجك) من النصارى (فيه) فى عيسى (من بعد ماجاءك من العلم) اى من البينات الموجبة للعلم (فقل تعالوا) هلموا والمراد المجئ بالرأى والعزم كما تقول تعال نفكر فى هذه المسئلة (ندع ابناءنا وابناءكم ونساءنا ونساءكم وانفسنا وانفسكم) اى يدع كل منى ومنكم ابنائه ونساءه ونفسه الى المباهلة ﴿ ثم نبتهل فنجعل لعنة الله على الكاذبين ﴾ ثم نتباهل بان نقول بهلة الله على الكاذب منا ومنكم والبهلة بالفتح والضم اللعنة وبهله الله لعنه وابعده من رحمته من قولك ابهله اذا اهمله واصل الابتهال هذا ثم استعمل فى كل دعاء يجتهد فيه وان لم يكن التعانا وروى انهم لما دعاهم الى المباهلة قالوا حتى نرجع وننظر فلما تخالوا قالوا للعاقب وكان ذا رأيهم ياعبدالمسيح ماترى فقال والله لقد عرفتم يا معشر النصارى ان محمدا نبى مرسل ولقد جاءكم بالفصل من امر صاحبكم والله ما باهل قوم نبيا قط فعاش كبيرهم ولانبت صغيرهم ولئن فعلتم لتهلكن فان ابيتم الاالف دينكم والاقامة على ما انتم عليه فوادعوا الرجل وانصرفوا الى بلادكم فأتوا رسول الله صلى الله عليه وسلم وقد غدا محتضنا الحسين آخذا بيد الحسن وفاطمة تمشى خلفه وعلى خلفها وهو يقول اذا انا دعوت فآمنوا فقال اسقف نجران يامعشر النصارى انى لارى وجوها لوشاء الله ان يزيل جبلا من مكانه لازاله بها فلا تباهلوا فتهلكوا ولايبقى على وجه الارض نصرانى الى يوم القيمة فقالوا يا اباالقاسم رأينا ان لانباهلك وان نقرك على دينك ونثبت على ديننا قال فاذا ابيتم المباهلة فاسلموا يكن لكم ماللمسلمين وعليكم ما عليهم فابوا قال فانى اناجزكم فقالوا مالنا من حرب العرب

طاقة ولكن نصالحك على ان لا تغزونا ولا تخيفنا ولا تردنا عن ديننا على ان نؤدى اليك كل عام الفى حلة الف فى صفر والف فى رجب وثلاثين درعا عادية من حديد فصالحهم على ذلك وقال والذى نفسى بيده ان الهلاك قد تدلى على اهل نجران ولو لاعنوا لمسخوا قردة وخنازير ولاضطرم عليهم الوادى نارا ولاستأصل الله نجران واهله حتى الطير على رؤس الاشجار ولما حال الحول على النصارى كلهم حتى يهلكوا وعن عائشة رضى الله عنها ان رسول الله صلى الله عليه وسلم خرج وعليه مرط مرجل من شعر اسود فجاء الحسن فادخله ثم جاء الحسين فادخله ثم فاطمة ثم على ثم قال انما يريد الله ليذهب عنكم الرجس اهل البيت (فان قلت ما كان دعاؤه الى المباهلة الا ليتبين الكاذب منه ومن خصمه وذلك امر يختص به وبمن يكاذبه فما معنى ضم الابناء والنساء (قلت) ذلك آكد فى الدلالة على ثقته بحاله واستيقانه بصدقه حيث استجرأ على تعريض اعزته وافلاذ كبده واحب الناس اليه لذلك ولم يقتصر على تعريض نفسه له وعلى ثقته بكذب خصمه حتى يهلك خصمه مع احبته واعزته هلاك استئصال ان تمت المباهلة وخص الابناء والنساء لانهم اعز الاهل والصقهم بالقلوب وربما فداهم الرجل بنفسه وحارب من دونهم حتى يقتل ومن ثمه كانوا يسوقون مع انفسهم الظعائن فى الحروب لتمنعهم من الهرب ويسمون الذادة عنها بارواحهم حماة الحقائق وقدمهم فى الذكر على الانفس لينبه على لطف مكانهم وقرب منزلتهم وليوذن بانهم مقدمون على الانفس مفدون بها وفيه دليل لاشئ اقوى منه على فضل اصحاب الكساء عليهم السلام وفيه برهان واضح على صحة نبوة النبى صلى الله عليه وسلم لانه لم يرو احد من موافق ولا مخالف انهم اجابوا الى ذلك كذا فى الكشاف ﴿ وقال تعالى ﴾ فى النحل ﴿ انما يفترى الكذب الذين لا يؤمنون بآيات الله ﴾ رد لقولهم انما انت مفتر يعنى انما يليق افتراء الكذب بمن لا يؤمن لانه لا يترقب عقابا عليه (واولئك) اشارة الى قريش (هم الكاذبون) اى هم الذين لا يؤمنون فهم الكاذبون او اشارة الى الذين لا يؤمنون اى اولئك هم الكاذبون على الحقيقة الكاملون فى الكذب لان تكذيب آيات الله اعظم الكذب او اولئك هم الذين عادتهم الكذب لا يبالون به فى كل شئ لا تحجبهم عنه مروءة ولا دين او اولئك هم الكاذبون فى قولهم انما انت مفتر ﴿ وروى عن النبى صلى الله عليه وسلم ﴾ كما رواه الترمذى عن الحسن بن على رضى الله عنهما ﴿ انه قال للحسن بن على رضى الله عنهما دع ما يريبك ﴾ بفتح الياء وضمها والفتح اشهر وافصح اى اترك ما تشك فيه من الاقوال والافعال انه منهى عنه اولا او سنة او بدعة ﴿ الى ما لا يريبك ﴾ اى واعدل الى ما لا تشك فيه يعنى ما تتيقن حسنه وحله والمقصود ان يبنى المكلف امره على اليقين البحت والتحقيق الصرف ويكون على بصيرة فى دينه وعرضه ﴿ فان الكذب ريبة والصدق طمانية ﴾ اى فان كون الامر مشكوكا فيه مما تقلق له النفس وتضطرب ولا تستقر وكونه صحيحا صادقا مما تطمئن له وتسكن ومنه ريب الزمان لنوائبه المقلقة ﴿ وروى عنه صلى الله عليه وسلم ﴾ على مارواه ابن عدى عن عمر بن الخطاب ﴿ انه قال رحم الله امرأ اصلح من لسانه ﴾ بان يتجنب اللحن والكذب وكل فحش وسبب الحديث ان سيدنا عمر مر على قوم يرمون بالسهام فلم يصيبوا المرمى فقال انكم لا تعرفون الرمى فقالوا انا قوم متعلمين فى محل متعلمون فاعرض عنهم

(وقال)

وقال والله لخطاؤكم فى لسانكم اشد على من خطائكم فى رميكم سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول وذكر الحديث ﴿واقصر من عنانه﴾ الى آخره مدرج فى الحديث وتفسيرله وفيه تشبيه اللسان بالفرس الجموح واضافة العنان الى ضمير اللسان تخييل ﴿والزم طريق الحق مقوله ولم يعود الخطل﴾ بفتحتين الكلام الكثير الفاسد ﴿مفصله﴾ على وزن منبر اسم آلة كالمقول وتسمية اللسان بالمفصل لفصله الحق من الباطل ﴿وروى صفوان بن سليم﴾ بضم السين وفتح اللام التابعى المدنى الامام القدوة يقال انه لم يضع جنبه على الارض اربعين سنة وكان لايقبل جوائز السلاطين وقال احمد يستنزل بذكره القطرمات بالمدينة عام اثنتين وثلاثين ومأة ﴿قال قيل للنبى صلى الله عليه وسلم ايكون المؤمن جبانا قال نعم قيل افيكون بخيلا قال نعم قيل افيكون كذابا قال لا﴾ وفى الجامع الصغير (يطبع المؤمن على كل خلق) قال المناوى غير مرضى اى يجعل الخلق طبيعة لازمة له يعسر تركه عليه (الا الخيانة والكذب) فلا يطبع عليهما بل قد يحصلان تطبعا وتخلقا ويجوز حمل المؤمن على الكامل والخلق على المرضى ويكون الاستثناء منقطعا ﴿وقال ابن عباس رضى الله عنهما فى قوله تعالى﴾ فى البقرة ﴿ولا تلبسوا الحق بالباطل اى لاتخلطوا الصدق بالكذب﴾ قال الزمخشرى الباء التى فى بالباطل ان كانت صلة مثلها فى قولك لبست الشئ بالشئ خلطته به كان المعنى ولا تكتبوا فى التوراة ماليس منها فيختلط الحق المنزل بالباطل الذى كتبتم حتى لايميز بين حقها وباطلكم وان كانت باء الاستعانة كالتى فى قولك كتبت بالقلم كان المعنى ولا تجعلوا الحق ملتبسا مشتبها بباطلكم الذى تكتبونه ﴿وقيل فى منثور الحكم الكذاب لص لان اللص يسرق مالك والكذاب يسرق عقلك . وقال بعض الحكماء الخرس خير من الكذب﴾ لعصمته عن آفات اللسان وقال على رضى الله عنه ماحبس الله جارحة فى حصن اوثق من اللسان الاسنان امامه والشفتان من وراء ذلك واللهاة مطبوقة عليه والقلب من وراء ذلك فاتق الله ولا تطلق هذا المحبوس من حبسه الا اذا امنت شره ﴿وصدق اللسان اول السعادة وقال بعض البلغاء الصادق مصان جليل والكاذب مهان ذليل﴾ لان الصدق عمود الدين وركن الادب واصل المروءة ولا تتم هذه الثلاثة الا به ﴿وقال بعض الادباء لاسيف كالحق ولاعون كالصدق﴾ قال السيد الشريف الحق فى اللغة هو الثابت الذى لايسوغ انكاره وفى اصطلاح اهل المعانى هو الحكم المطابق للواقع يطلق على الاقوال والعقائد والاديان والمذاهب باعتبار اشتمالها على ذلك ويقابله الباطل واما الصدق فقد شاع فى الاقوال خاصة ويقابله الكذب وقد يفرق بينهما بان المطابقة تعتبر فى الحق من جانب الواقع وفى الصدق من جانب الحكم فمعنى صدق الحكم مطابقته للواقع ومعنى حقيته مطابقة الواقع اياه . حكى انه خطب الحجاج فاطال فقام رجل وقال الصلاة فان الوقت لاينتظرك والرب لايعذرك فامر بحبسه فاتاه قومه وزعموا انه مجنون وسألوه ان يخلى سبيله فقال ان اقر بالجنون خليته فقيل له فقال معاذالله لازعم ان الله ابتلانى وقد عافانى فبلغ ذلك الحجاج فعفا عنه لصدقه وقال الحريرى * عليك بالصدق ولو انه . احرقك الصدق بنار الوعيد * وابغ رضا الله فاغبى الورى (١) من اسخط المولى وارضى العبيد * وكان نقش خاتم ذى يزن وضع الخد للحق عز وقال المهلب بن ابى صفرة ما السيف الصارم فى يد الشجاع باعز له من الصدق ﴿وقال بعض الشعراء﴾ من الوافر ﴿وماشئ اذا فكرت فيه . باذهب للمروءة

(١) اى اجهل الناس وقال الامير ضيا . السانه صداقت ياقيشور كورسه ده اكراه . يارد مجيسيد رطوغر . يلرك حضرت الله . منه

والجمال ﴾ اللام للتعدية ومعنى البيت مرهون بقوله ﴿ من الكذب الذى لاخير فيه . وابعد بالبهاء من الرجال ﴾ البهاء الحسن ويكون مصدرا يقال بهو الغلام وبهى اذا حسن وقال الحافظ * بصدق كوش كه خورشيد زايد ازنفست . كه ازدروغ سيه روى كشت صبح نخست ﴿ والكذب جمّاع كل شر واصل كل ذم لسوء عواقبه وخبث نتائجه لانه ينتج النميمة والنميمة تنتج البغضاء والبغضاء تؤل الى العداوة وليس مع العداوة امن ولاراحة ولذلك قيل من قل صدقه قل صديقه . والصدق والكذب يدخلان الاخبار الماضية كان الوفاء والخلف يدخلان المواعيد المستقبلة فالصدق هو الاخبار عن الشئ على ماهو عليه والكذب هو الاخبار عن الشئ بخلاف ماهو عليه ﴾ فبينهما تقابل التضاد ﴿ ولكل واحد منهما دواع فدواعى الصدق لازمة ﴾ لذات الخبر دائما وكليا ﴿ ودواعى الكذب عارضة ﴾ لمفهوم بعضه احيانا ﴿ لان الصدق يدعو اليه عقل موجب وشرع مؤكد فالكذب يمنع منه العقل ويصد عنه الشرع ولذلك ﴾ الاختلاف ﴿ جاز ان تستفيض الاخبار الصادقة ﴾ من استفاض الخبر اى انتشر ﴿ حتى تصير متواترة ولم يجز ﴾ فى العقل ﴿ ان تستفيض الاخبار الكاذبة لان اتفاق الناس فى الصدق والكذب انما هو لاتفاق الدواعى فدواعى الصدق يجوز ان يتفق الجم الكثير عليها حتى اذا نقلوا خبرا وكانوا عددا ﴾ كثيرا ﴿ ينتفى عن مثلهم المواطأة ﴾ والموافقة على الكذب ﴿ وقع فى النفس صدقه لان الدواعى اليه نافعة ﴾ للعامة ﴿ واتفاق الناس فى الدواعى النافعة ممكن . ولايجوز ان يتفق العدد الكثير الذى لايمكن مواطأة مثلهم على نقل خبر يكون كذبا لان الدواعى اليه غير نافعة ﴾ للعموم ﴿ وربما كانت ضارة ﴾ لكثير ﴿ وليس فى جارى العادة ان يتفق الجم الكثير على دواع غير نافعة ولذلك جاز اتفاق الناس على الصدق لجواز اتفاق دواعيهم ولم يجز ان يتفقوا على الكذب لامتناع اتفاق دواعيهم ﴾ مالم يتحزبوا على هواء ولذا عد الخبر المتواتر من اسباب العلم ﴿ واذا كان للصدق والكذب دواع فلابد من ذكر ماسنح به الخاطر من دواعيهما ﴾ والسنوح ظهور رأى وعروضه فى الخاطر ﴿ اما دواعى الصدق فمنها العقل لانه موجب لقبح الكذب ﴾ مالم يعارضه الهوى ﴿ لاسيما اذا لم يجلب نفعا ﴾ يقابل بقبحه ﴿ ولم يدفع ضررا ﴾ عاجلا ﴿ والعقل يدعو الى فعل ماكان مستحسنا ويمنع من اتيان ماكان مستقبحا . وليس مااستحسن من مبالغات الشعراء ﴾ فى المدح او الهجو ونحوهما ﴿ حتى صار كذبا صراحا استحسانا للكذب فى العقل ﴾ بل لغرابته يستحسن العقل تصويرها ﴿ كالذى انشدنيه الازدى لبعض الشعراء ﴾ وهو ابراهيم بن سيار النظام لقى غلاما جميل الوجه مقبول الصورة فاستحسنه وتصور فيه الصورة الباطنة المناسبة لخلقته الظاهرة فاستنطقه لينظر اين فصاحته من صباحته وكيف لهجته من بهجته فزل حمار الشيخ فى الوحل وقال فيه من الطويل ﴿ توهمه فكرى فاصبح خده . وفيه مكان الوهم من فكرتى اثر ﴾ قوله اصبح فعل تام اى دخل الصباح وقوله مكان الوهم بدل بعض من ضمير الخد يعنى تفكرت صفاء خده مساء فدخل الصباح وفى مكان وهمى من خده اثر عظيم وخدشة ظاهرة ﴿ وصافحه كفى فآلم كفه ﴾ اى اوجعه ﴿ فمن لمس كفى فى انامله عقر ﴾ جمع عقر بفتح فسكون الجرح يعنى فى اصابعه باقية الاختناقات الحاصلة من المصافحة ﴿ ومر بقلبى خاطرا فجرحته . ولم ار شيئا قط يجرحه الفكر ﴾ جمع فكر وقوله مر بقلبى اى زارنى طيف خياله فجرحه فكرى وفيه ايماء الى انه سلب نومه

المبالغة مطلقا ان يدعى لوصف بلوغه فى الشدة او الضعف حدا مستحيلا او مستبعدا وانما يدعى ذلك لئلا يظن ان ذلك الوصف غير متناه فى الشدة او الضعف منه

واسهر ليله وتحقيق المبالغة على مذهبه من ان صدق الخبر مطابقته لاعتقاد المخبر وكذبه عدمها ان النظام وان اعتقد ان من اهواه اجلى من المرآة والين من اللبن والمرآة تنكسف بنفس خفيف ويحصل به امواج خفيفة فيه وان حبيبه لانجلائه غاية الانجلاء ونعومته غاية النعومة يتأثر بما هو اخف من النفس الخفيف وهو الوهم فبقاء اثر الوهم الى الصباح مبالغة على مذهبه ايضا وقال فيه ايضا * واذا تأمل فى الزجاجة ظله . جرحته لحظة مقلة الظل ﴿ وكقول العباس بن الاحنف وان كان دون هذه المبالغة ﴾ من الوافر ﴿ تقول وقد كتبت دقيق خطى . اليها لم تخنبت الجليلا ﴾ ضمير تقول واليها راجعتان الى الحبيبة ﴿ فقلت لها نحلت فصار خطى . مساعدة لكاتبه نحيلا ﴾ يقال نحل جسمه من الباب الثالث والرابع والخامس اذا ذهب من مرض اوسفر والعشق ادوى الداء وقد بالغوا فى وصف النحول قال الخبزأرزى * يامن اذا اقبل قال الهوى . هذا اميرالجيش فى موكبه * كل الهوى صعب ولكننى . بليت بالاصعب من اصعبه * عبدك لاتسأل عن حاله . حل باعدائك ماحل به * قدكان لى قبل الهوى خاتم . واليوم لوشئت تنطقت به * فنيت حتى صرت لوزج بى . فى مقلة الوسنان لم ينتبه * وفى الشريشى وللمتقدمين والمتأخرين فى النحول شعر كثير ويستحسن فى ذلك قول المجنون * فاصبحت من ليلى الغداة كناظر . مع الصبح فى اعقاب نجم مغرب * الا انما غادرت يا ام مالك . صدى اينما تذهب به الريح يذهب * اخذه المؤمل فقال * قد صرت من ضعفى الى حالة . تجرى لها آماق حسادى * يكاد جسمى من نحول الضنا . تحمله انفاس عوادى * وزاد خالد الكاتب فجعله لايدرى الا بالوهم فقال * يامن تجاهل عما كان يعلمه . عمدا وباح بسر كان يكتمه * غدا خليلك اضوا لاحراك به . لم يبق من جسمه الا توهمه * فزاد ابن المعتز وجعله يخفى على الموت فقال * مسهد خانه التفريق فى امله . اضناه سيده ظلما بمرتحله * فدق حتى لوان الدهر قادله . حتفا لما ابصرته مقلتا اجله * فاعدمه المتنبى واستريح منه * اراك حسبت السلك جسمى فعقته . عليك بدر من لقاء الترائب * ولوقلم القيت فى شق بريه . من السقم ماغيرت من خط كاتب * وقال الواوا فى دموع العين * اتانى زائرا من كان يبدى . الى الهجر الطويل ولا يزور * فقال الناس لما ابصروه . لهنك زارك القمر المنير * فقلت لهم ودمع العين يجرى . على خدى له درر نثير * ولو نصبت رحى بازاء عينى . لكانت من مدامعها تدور * وقال آخر فى عظيم الف * لك وجه وفيه قطعة انف . كجدار قددعموه ببغلة * وهو كالقبر فى المثال ولكن . جعلوا نصفه على غير قبلة ﴿ لانه خرج مخرج المبالغة فى التشبيه ﴾ ولايجب فيه ان يكون الطرفان امرا ممكنا اذقداد رجوا المتخيلات والموهومات فى الحسيات والعقليات فالمبالغة باقسامها الثلاثة مقبولة اذا كانت مبنية على التشبيه والافكما قالوا فى البديع ان المدعى اما ان يكون ممكنا اولا فان لم يكن ممكنا كان غلوا وان كان ممكنا فاما ان يصح وقوع ذلك عادة اولا فان صح كان تبليغا وان لم يصح كان اغراقا وهما مقبولان والغلو مردود الا ما ادخل عليه مايقربه الى الصحة اوما تضمن نوعا حسنا من التخييل كما بين فى علم البديع ﴿ والاقتدار على صنعة الشعر ﴾ حيث ابرز غير الممكن فى معرض الممكن وذلك مما يدل على الحذاقة فى الصنعة والاتساع فى المخيلات وقد عرف القدماء الشعر بانه قياس مؤلف من

قضايا مخيلة تنبسط منها النفس اوتنقبض ﴾ وان شواهد الحال تخرجه عن تلبيس الكذب فلذلك ﴾ الاخراج ﴿ استحسن فى الصنعة ولم يستقبح فى العقل ﴾ تلك المبالغات ﴿ وان كان الكذب مستقبحا فيه ومنها ﴾ اى من دواعى الصدق ﴿ الدين الوارد باتباع الصدق وحظر الكذب ﴾ اما الكتاب فقوله تعالى فى النساء (يا ايها الذين آمنوا كونوا قوامين بالقسط) مجتهدين فى اقامة العدل حتى لاتجوروا (شهداء لله) تقيمون شهادتكم لوجه الله كما امرتم باقامتها (ولو) كانت الشهادة (على انفسكم اوالوالدين والاقربين) اى على آبائكم او على اقاربكم (فان قلت الشهادة على الوالدين والاقربين ان تقول اشهد ان لفلان على والدى كذا او على اقاربى كذا فما معنى الشهادة على نفسه (قلت هى الاقرار على نفسه لانه فى معنى الشهادة عليها بالزام الحق لها ويجوز ان يكون المعنى وان كانت الشهادة وبالا على انفسكم او على اباءكم واقاربكم وذلك ان يشهد على من يتوقع ضرره من وال جائر او غيره . واما السنة فلما رواه الشيخان عن ابى بكر الصديق رضى الله عنه انه قال كنا عند رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال الا انبئكم باكبر الكبائر ثلاثا الاشراك بالله تعالى وعقوق الوالدين وشهادة الزور الا وشهادة الزور وكان متكئا فجلس فما زال يكررها حتى قلنا ليته سكت ﴿ لان الشرع لايجوز ﴾ عقلا ﴿ ان يرد بارخاص ماحظره العقل ﴾ ومنعه لماسبق تحقيقه فى اوائل باب ادب الدين ان العقل اصل الشريعة ﴿ بل قد جاء الشرع ﴾ من حيث منعه الكذب ﴿ زائدا على ما اقتضاه العقل من حظر الكذب ﴾ لان غاية ما اقتضاه العقل ان الكذب يسلب الامنية والاعتماد عليه وينفر اصحابه عنه ويورث العداوة والبغضاء وكل ذلك مما يتضرر به فى دنياه وهذا الدليل لايجرى فى كذب يجلب نفعا له اولا حزابه او يدفع ضررا ﴿ لان الشرع ورد بحظر الكذب ﴾ مطلقا ﴿ وان جر نفعا اودفع ضررا والعقل انما حظر ﴾ من الكذب ﴿ مالا يجلب نفعا ولا يدفع ضررا ﴾ فانظر الى البلاغة والوعيد على الكذب فى قوله تعالى (ولو على انفسكم او الوالدين والاقربين ان يكن) المشهود عليه (غنيا) فلا تمنع الشهادة عليه لغناه طلبا لرضاه (او فقيرا) فلا تمنعها ترحما عليه (فالله اولى بهما) اى بالغنى والفقير اى بالنظر لهما وارادة مصلحتهما وهو انظر لعباده من كل ناظر (فلا تتبعوا الهوى ان تعدلوا) يحتمل العدل والعدول كأنه قيل فلا تتبعوا الهوى كراهة ان تعدلوا بين الناس اوارادة ان تعدلوا عن الحق (وان تلووا) السنتكم عن شهادة الحق او حكومة العدل (او تعرضوا) عن الشهادة مما عندكم وتمنعوها (فان الله كان بما تعملون خبيرا) وبمجازاتكم عليه ﴿ ومنها المروءة ﴾ وسيجئ بيانها فى فصلها ﴿ فانها مانعة من الكذب باعثة على الصدق لانها قد تمنع من فعل ما كان مستكرها ﴾ شرعا اوعقلا اوعادة ﴿ فاولى ﴾ منعها ﴿ من فعل ما كان مستقبحا ﴾ ومحرما عقلا وشرعا ﴿ ومنها حب الثناء والاشتهار بالصدق حتى لايرد عليه قول ولا يلحقه ندم ﴾ وخجل على كذب سلف وذلك رأس مال للتجارة لاينفد ﴿ وقد قال بعض البلغاء ليكن مرجعك الى الحق ومنزعك الى الصدق ﴾ اى محل اسراعك اليه من نزع الفرس سننا اذا جرى طلقا ﴿ فالحق اقوى معين ﴾ واحق ان يتبع به ﴿ والصدق افضل قرين ﴾ من نفع نفسك وآبائك واصدقائك فاحرى ان يتسارع اليه ﴿ وقال بعض الشعراء ﴾ من البسيط ﴿ عود لسانك قول الصدق تحظ به . ان اللسان لما عودت معتاد ﴾

اسم فاعل من الاعتياد وتحظ بالمجهول اى توجر به فى الدارين قال الله تعالى والصادقين والصادقات ثم قال اعدالله لهم مغفرة واجرا عظيما ﴿ موكل بتقاضى ماسننت له . فى الخير والشر فانظر كيف ترتاد ﴾ التقاضى طلب الدين . والسنة الطريقة والطبيعة والجبلة . والارتياد الطلب يعنى اللسان يطلب ماعودته فاعتاد ذلك من طريق الخير والشر فاسلك به حيث تريد فالامر للتهديد وقد قال يحيى بن خالد رأينا شارب خمر نزع ولصا اقلع وصاحب فواحش رجع ولم نر كذابا صار صادقا ﴿ واما دواعى الكذب فمنها اجتلاب النفع واستدفاع الضر فيرى ان الكذب اسلم واغنم فيرخص لنفسه فيه اغترارا بالخدع واستشفافا للطمع ﴾ اى تعلقا به والشغاف غلاف القلب دخل بينهما الطمع فاغتره ﴿ وربما كان الكذب ابعد لمايؤمل ﴾ من النفع ﴿ واقرب لما يخاف ﴾ من الضرر ﴿ لان القبيح لايكون حسنا والشر لايصير خيرا وليس يجنى من الشوك العنب ولا من الكرم الحنظل ﴾ الكرم شجر العنب ﴿ وقد روى عن النبى صلى الله عليه وسلم ﴾ كما رواه هناد عن مجمع بن يحيى مرسلا ﴿ انه قال تحروا ﴾ بفتح اوله اى اطلبوا باجتهاد ﴿ الصدق ﴾ اى قوله والعمل به ﴿ وان رأيتم ﴾ اى ظننتم ﴿ ان فيه الهلكة فان فيه النجاة ﴾ لا الهلكة. لانه من جملة التقوى ومن يتق الله يجعل له مخرجا ﴿ وتجنبوا الكذب وان رأيتم ان فيه النجاة فان فيه الهلكة . وقال عمر بن الخطاب رضى الله عنه لان يضعنى الصدق وقلما يفعل ﴾ معترضة بين المبتدأ والخبر اى لا يضع الصدق اصلا لانه يرفع دائما ﴿ احب الى من ان يرفعنى الكذب وقلما يفعل ﴾ لانه يضع دائما ﴿ وقال بعض الحكماء الصدق منجيك وان خفته والكذب مرديك ﴾ من ارداه اذا اهلكه ﴿ وان امنته وقال الجاحظ الصدق ﴾ هو الاخبار عن الشئ على ما هو عليه بالنسبة الى الزمان الماضى ﴿ والوفاء ﴾ وهو انجاز الوعد فى المستقبل ﴿ توأمان ﴾ يتولد ان معا لان دواعيهما متحدة وكذا فضائلهما ومعرة نقيضيهما ﴿ والصبر والحلم توأمان فبهن تمام كل دين وصلاح كل دنيا واضداد هن ﴾ وهو الكذب وخلف الوعد والجزع والتهور اى افراط الغضب ﴿ سبب كل فرقة واصل كل فساد ﴾ ومنها ان يوثر ان يكون حديثه مستعذبا وكلامه مستظرفا فلا يجد صدقا يعذب ﴾ لاستيناس الآذان به ﴿ ولا حديثا ﴾ صادقا ﴿ يستظرف ﴾ لوضوح مأخذه وعدم الغرابة فيه ﴿ فيستحلى الكذب الذى ليست غرائبه معوزة ولا ظرائفه معجزة ﴾ ولذا قال الله تعالى فأتوا بعشر سور مثله مفتريات ﴿ وهذا النوع اسوء حالا مما قبل ﴾ اى من الكذب الذى يدعو اليه جلب النفع ﴿ لانه يصدر عن مهانة النفس ودناءة الهمة ﴾ لكونه مسخرة للانام ﴿ وقد قال الجاحظ لم يكذب احد قط الالصغر قدر نفسه عنده ﴾ لانها تعرف انه يكذب فاما لاتلوم على ذلك اولا يبالى بلومها لاحتقارها وكلاهما حقارة ﴿ وقال ابن المقفع لاتتهاون ﴾ اى لا تحتقر ﴿ بارسال الكذبة من الهزل فانها ﴾ اى الكذبة ﴿ تسرع الى ابطال الحق ﴾ القائم وذلك عظيم ﴿ ومنها ان يقصد بالكذب التشفى من عدوه فيسمه بقبائح يخترعها عليه ويصفه بفضائح ينسبها اليه ويرى ان معرة الكذب غنم وان ارسالها فى العدو سهم وسم ﴾ من عره بشر اذا لطخه به ﴿ وهذا اسوء حالا من النوعين الاولين لانه قد جمع بين الكذب

المعر والشر المضر ﴾ انفسه وهو الافتراء ﴿ ولذلك ورد الشرع برد شهادة العدو على عدوه ﴾ لانه يعد الكذب غنيمة لاضراره ﴿ ومنها ان تكون دواعى الكذب قد ترادفت عليه حتى الفها فصار الكذب له عادة ونفسه اليه منقادة حتى لورام مجانبة الكذب عسر عليه لان العادة طبع ثان ﴾ يحتاج فى دفعها وتركها الى مجاهدة كثيرة ﴿ وقد قالت الحكماء من استحلى رضاع الكذب عسر فطامه ﴾ لاستحلائه ذلك اللبن وغزارته ﴿ وقيل فى منثور الحكم لايلزم الكذاب شئ الاغلب عليه ﴾ بانكاره او وعده الكاذب وتسويفه ﴿ واعلم ان للكذاب قبل خبرته امارات دالة عليه ﴾ فمنها انك اذا لقنته الحديث تلقنه ﴾ يقال لقنه الكلام اذا قال له وفهمه ﴿ ولم يكن بين ما لقنته ﴾ من الكلام الصادق ﴿ وبين ما اورده ﴾ من اكاذيبه ﴿ فرق عنده ﴾ لزعمه ان كل احد يكذب كما كذب ﴿ ومنها انك اذا شككته فيه ﴾ فى بعض مقدماته ﴿ تشكك حتى يكاد يرجع فيه ولولاك ﴾ اى لولا تشكيكك ﴿ ما تخالجه الشك فيه ﴾ اصلا ﴿ ومنها انك اذا رددت عليه قوله حصر وارتبك ﴾ فى الوحل كما هو حال الضعفاء من الحيوانات ﴿ ولم يكن عنده نصرة المحتجين ولا برهان الصادقين ﴾ لدركه انك علمت كذبه ﴿ ولذلك قال على بن ابى طالب كرم الله وجهه الكذاب كالسراب ﴾ كلما تقربت اليه تباعد عنك ﴿ ومنها مايظهر عليه من ريبة الكذابين وينم عليه من ذلة المتوهمين ﴾ كما قال الله تعالى فى المنافقين يحسبون كل صيحة عليهم حتى يغضب على التبسم وينكر الكذب ومنها كثرة الحلف ﴿ لان هذه ﴾ الامارات ﴿ امور لايمكن الانسان دفعها عن نفسه ﴾ وان كان كذابا ماهرا ﴿ لما فى الطبع من آثارها ولذلك قالت الحكماء العينان انم من اللسان ﴾ تفشيان ما كتمه من الريب وقال آخر لاشاهد على غائب اعدل من طرف على قلب ﴿ وقال بعض البلغاء الوجوه مرايا تريك اسرار البرايا وقال بعض الشعراء ﴾ من البسيط ﴿ تريك اعينهم مافى صدورهم . ان العيون يؤدى سرها النظر ﴾ اى نظارها وقال الآخر * وعين الفتى تبدى الذى فى ضميره . وتعرف بالنجوى الحديث المغمسا * اى المعظم وقد تقدم اشارة اللحظ فى ادب العلم ﴿ واذا اتسم ﴾ الكاذب ﴿ بالكذب ﴾ اى بميسمه يقال وسم دابته بالميسم اى بالمكواة والوسم اثر الكى اى اذا اشتهر وعرف به ﴿ نسبت اليه شوارد الكذب المجهولة ﴾ قائله والشوارد النوافر ﴿ واضيفت الى اكاذيبه زيادات مفتعلة ﴾ ومصطنعة وان انكرها يقولون نسيتها لكثرتها ﴿ حتى يصير الكاذب مكذوبا عليه فيجمع بين معرة الكذب منه ومضرة الكذب عليه وقد قال الشاعر ﴾ من الكامل المذال ﴿ حسب الكذوب من البلية بعض ما يحكى عليه ﴾ قوله حسب مصدر فى الاصل متضمن بمعنى الماضى يعنى يكفى الكذوب من البلية بعض مايفترى عليه ويحكى عنه ﴿ فاذا سمعت بكذبة ﴾ مضرة لك ﴿ من غيره نسبت ﴾ تلك الكذبة ﴿ اليه ﴾ على طريق العادة فتأخذه بظلامة والانتقام منه وهو برئ منها ﴿ ثم انه ان تحرى الصدق اتهم وان جانب الكذب كذب ﴾ بانه مرآة واحبولة ﴿ حتى لايعتقد له حديث يصدق ولا كذب مستنكر وقد قال الشاعر ﴾ من الطويل ﴿ اذا عرف الكذاب بالكذب لم يكد . يصدق فى شئ وان كان حاذقا ﴾ فى الكذب وصادقا فى ذلك الشئ ﴿ ومن آفة الكذاب نسيان كذبه ﴾ وافتضاحه بتكذيب نفسه بالتناقض بين كلاميه ﴿ وتلقاه ذا حفظ اذا كان صادقا ﴾ فلا يخبط فيه يعنى ينسى اكاذيبه

وهو ذا حفظ قوى فيما صدق ﴿ وقد وردت السنة بارخاص الكذب فى الحرب واصلاح ذات البين ﴾ وفى الطريقة برواية الترمذى عن اسماء بنت يزيد رضى الله عنها انها قالت قال رسول الله صلى الله عليه وسلم لايحل الكذب الا فى ثلاث رجل كذب امرأته ليرضيها ورجل كذب فى الحرب فان الحرب خدعة ورجل كذب بين المسلمين ليصلح بينهما قال النووى قال القاضى لاخلاف فى جواز الكذب فى هذه الصور واختلفوا فى المراد بالكذب المباح فيها ماهو فقالت طائفة هو على اطلاقه واجازوا قول ما لم يكن فى هذه المواضع للمصلحة وقالوا الكذب المذموم مافيه مضرة واحتجوا بقول ابراهيم صلى الله عليه وسلم بل فعله كبيرهم هذا وانى سقيم وقوله انها اختى وقول منادى يوسف صلى الله عليه وسلم ايتها العير انكم لسارقون قالوا ولا خلاف انه لو قصد ظالم قتل رجل هو عنده مختف وجب عليه الكذب فى انه لايعلم اين هو وقال آخرون منهم الطبرى لايجوز الكذب فى شئ اصلا واماما جاء من الاباحة فى هذا المراد به التورية واستعمال المعاريض لاصريح الكذب مثل ان يراد انها اخته فى الاسلام وقوله سقيم اى ان كل مخلوق معرض للسقم او بما قدر من الموت وقوله بل فعله كبيرهم فانه علق خبره بشرط نطقه كأنه قال ان ينطق فهو فعله على طريق التبكيت لقومه وهذا صدق وحاصله ان يأتى بكلمات محتملة يفهم المخاطب منها مايطيب قلبه واذا سعى فى الاصلاح نقل عن هؤلاء الى هؤلاء كلاما جميلا ومن هؤلاء الى هؤلاء كذلك وورّى وكذلك فى الحرب بان يقول لعدوه مات امامكم الاعظم وينوى امامهم فى الازمان الماضية اوغدا يأتينا مدد اى طعام ونحو هذا من المعاريض المباحة فكل هذا جائز . واما كذبه لزوجته وكذبها له فالمراد به فى اظهار الود والوعد بمالا يلزم ونحو ذلك واما المخادعة فى منع ماعليه او عليها او اخذ ماليس له اولها فهو حرام باجماع المسلمين والله اعلم انتهى قال البركوى والحق بهذه الثلاث دفع ظلم الظالم واحياء الحق كما فى خيار البلوغ تقول فى النهار بلغت الان وفسخت النكاح مع انها بلغت بالليل قيل ومنه الوعد والوعيد الكاذبان للصبى اذا لم يرغب فى المكتب والانكار لسر الغير ومعصية نفسه وجنايته على غيره ليطيب قلبه وهذا من الصلح ﴿على وجه التورية ﴾ هى ان يريد المتكلم بكلامه خلاف ظاهره وهى من المحسنات المعنوية وتسمى الايهام وهو ان يطلق لفظ له معنيان قريب وبعيد ويريد به البعيد اعتمادا على قرينة خفية ﴿ والتأويل ﴾ قال السيد الشريف هو فى الاصل الترجيع وفى الشرع صرف اللفظ عن معناه الظاهر الى معنى يحتمله اذا كان المحتمل الذى يراه موافقا بالكتاب والسنة مثل قوله تعالى يخرج الحى من الميت ان اراد به اخراج الطير من البيضة كان تفسيرا وان اراد اخراج المؤمن من الكافر او العالم من الجاهل كان تأويلا ﴿ دون التصريح به ﴾ والصريح اسم الكلام مكشوف المراد منه بسبب كثرة الاستعمال حقيقة كان او مجازا وحكمه ثبوت موجبه من غير حاجة الى النية ﴿ فان السنة لايجوز ان ترد باباحة الكذب لما فيه من التنفير وانما ذلك ﴾ الجواز ﴿ على طريق التورية والتعريض ﴾ وهو ارادة غير الظاهر المتبادر من الكلام ولابد من احتماله لمراده بحسب اللغة ولايكفى مجرد النية ﴿ كما سئل رسول الله صلى الله عليه وسلم وقد تطرّف برداء وانفرد عن اصحابه ﴾ لدفع حاجة ونحوه بلا سلاح ﴿ فقال له رجل ﴾ من طلائع الاعداء ﴿ ممن انت قال ﴾ صلى الله عليه وسلم جوابا ﴿ من ماء فورى عن الاخبار بنسبه

بامر يحتمل ﴿ القريب والبعيد ﴾ فظن السائل انه عنى القبيلة المنسوبة الى ذلك ﴿ كبنى ماء الفرات وبنى ماء السماء ﴾ وانما اراد رسول الله صلى الله عليه وسلم انه من الماء الذى يخلق منه الانسان فبلغ ما احب من اخفاء نفسه ﴿ العزيزة المكرمة وخلصها من هجومهم عليه ﴾ وصدق فى خبره وكالذى حكى عن ابى بكر الصديق رضى الله عنه انه كان يسير خلف رسول الله صلى الله عليه وسلم حين هاجر معه فتلقاه العرب وهم يعرفون ابابكر ولا يعرفون رسول الله صلى الله عليه وسلم ﴿ بشخصه الشريف ﴾ فيقولون يا ابابكر من هذا فيقول هاد يهدينى السبيل فيظنون انه يعنى هداية الطريق وهو انما يريد هداية سبيل الخير فصدق فى قوله وورى عن مراده وقد روى عن النبى صلى الله عليه وسلم ﴿ قال العينى وقد ذكره الطبرى باسناده عن عمر بن الخطاب رضى الله عنه ﴾ انه قال ان فى المعاريض لمندوحة عن الكذب ﴿ جمع معراض من التعريض وهو خلاف التصريح من القول وهو التورية بالشئ عن الشئ ومندوحة اى سعة وفسحة وحاصله المعاريض يستغنى بها الرجل عن الاضطرار الى الكذب ﴾ وقال عمر بن الخطاب رضى الله عنه ان فى المعاريض مايكفى ان يعف الرجل عن الكذب ﴿ من الاعفاف اى ما يجعله عفيفا عنه وعنه عجبت لمن يحسن المعاريض كيف يكذب ولمن لا حن الناس كيف لا يعرف جوامع الكلم ﴾ وقال بعض اهل التأويل فى قوله تعالى ﴿ فى الكهف ﴾ لا تؤاخذنى بما نسيت انه ﴿ اى ان موسى عليه السلام ﴾ لم ينس ﴿ وصية الخضر بقوله فان اتبعتنى فلا تسألنى عن شئ حتى احدث لك منه ذكرا ﴾ ولكنه ﴿ اى قوله لا تؤاخذنى ﴾ معاريض الكلام ﴿ قال الزمخشرى اى بالذى نسيته او بشئ نسيته او بنسيانى اراد انه نسى وصيته ولا مؤاخذة على الناسى اواخرج الكلام فى معرض النهى عن المؤاخذة بالنسيان يوهمه انه قد نسى ليبسط عذره فى الانكار وهو من معاريض الكلام التى يتقى بها الكذب مع التوصل الى الغرض ﴾ وقال ابن سيرين الكلام اوسع من ان يصرح فيه بالكذب ﴿ كان الواثق يقول بخلق القرآن ويعاقب من خالفه فادخل بعض العرب عليه فقال له ماتقول فى القرآن فتصامم عليه فاعاد السؤال فقال من تعنى يا امير المؤمنين فقال اياك اعنى فقال مخلوق يعنى نفسه وتخلص منه واخرج آخر يده وجعل يعد اصابعه ويقول التوراة والانجيل والقرآن هؤلاء الثلاثة مخلوقة فعنى اصابعه وتخلص منه وقال سابق البربرى فى المعاريض *
تعاون على الخيرات تظفر ولا تكن . على الاثم والعدوان ممن يعاون * وداهن اذا ماخفت يوما مسلطا . عليك ولا يجتاب من لا يداهن * ولاتك ذالونين يبدى بشاشة . وفى صدره ضب من الغل كامن ﴾ واعلم ان من الصدق ما يقوم مقام الكذب فى القبح والمعرة ويزيد عليه فى الاذى والمضرة وهى الغيبة والنميمة والسعاية ﴿ نوع مخصوص من النميمة ﴾ فاما الغيبة ﴿ اى فقبيح عقلا وحرام قطعى شرعا ﴾ فانها خيانة وهتك ستر يحدثان عن حسد وغدر قال الله تعالى ﴿ فى الحجرات ﴾ ولا يغتب بعضكم بعضا ﴿ قال الزمخشرى غابه واغتابه كغاله واغتاله والغيبة من الاغتياب كالغيلة من الاغتيال وهى ذكر السوء فى الغيبة ﴾ ايحب احدكم ان يأكل لحم اخيه ميتا ﴿ تمثيل وتصوير لما يناله المغتاب من عرض المغتاب على افظع وجه وافحشه وفيه مبالغات شتى منها الاستفهام الذى معناه التقرير ومنها جعل ماهو فى الغاية من الكراهة موصولا بالمحبة

ومنها اسناد الفعل الى احدكم والاشعار بان احدا من الاحدين لايحب ذلك ومنها ان لم يقتصر على تمثيل الاغتياب باكل لحم الانسان حتى جعل الانسان اخا ومنها ان لم يقتصر على اكل لحم الاخ حتى جعله ميتا وعن قتادة كما تكره ان وجدت جيفة مدودة ان تأكل منها كذلك فاكره لحم اخيك وهو حى وانتصب ميتا على الحال من اللحم ويجوز ان ينتصب عن الاخ ولما قررهم عز وجل بان احدا منهم لايحب اكل جيفة اخيه عقب ذلك بقوله تعالى (فكرهتموه) معناه فقد كرهتموه واستقر ذلك وفيه معنى الشرط اى ان صح هذا فكرهتموه وهى الفاء الفصيحة اى فتحققت بوجوب الاقرار عليكم وبانكم لاتقدرون على دفعه وانكاره لاباءالبشرية عليكم ان تجحدوه كراهتكم له وتقذركم منه فليتحقق ايضا ان تكرهوا ماهو نظيره من الغيبة والطعن فى اعراض المسلمين ﴿ يعنى انه كما لايحل لحمه ميتا لاتحل غيبته حيا وروى ان امرأتين صامتا على عهد رسول الله صلى الله عليه وسلم وجعلتا تغتابان الناس ﴾ اى شرعتا او خاضتا فيها ﴿ فاخبر بذلك النبى صلى الله عليه وسلم فقال صامتا عما احل لهما ﴾ من الطيبات ﴿ وافطرتا على ماحرم عليهما ﴾ مؤبدا واخذه الزمخشرى فقال اتزعم انك صائم وانت فى لحم اخيك سائم. ومذهب الثورى ان الغيبة تفسد الصوم والجمهور على ان الكذب والغيبة والنميمة لاتفسده ولكن تنقصه. وفى حديث ابى هريرة عند البخارى (من لم يدع قول الزور والعمل به فليس لله حاجة فى ان يدع طعامه وشرابه) هو مجاز عن عدم الالتفات والقبول بنفى السبب وارادة المسبب والا فالله لايحتاج الى شئ كما فى العينى ﴿ وروت اسماء بنت يزيد ﴾ كما روى عنها احمد بن حنبل والطبرانى ﴿ قالت قال رسول الله صلى الله عليه وسلم من ذب ﴾ اى دفع ﴿ عن لحم اخيه بظهر الغيب ﴾ كناية عن الغيبة كأنه قيل من ذب عن غيبة اخيه المسلم فى غيبته ﴿ كان حقا على الله عز وجل ﴾ اى حاصلا ولابد فضلا منه وكرما ﴿ ان يحرم لحمه على النار ﴾ قال المناوى زاد فى رواية وكان حقا علينا نصر المؤمنين ﴿ وقال عدى بن حاتم الغيبة رعى اللئام ﴾ وعن ابن عباس رضى الله عنهما الغيبة ادام كلاب الناس ﴿ وكان الحسن البصرى رحمه الله تعالى يقول الغيبة فاكهة النساء . وقال رجل لابن سيرين رحمه الله انى اغتبتك فاجعلنى فى حل فقال ما احب ان احل لك ماحرم الله عليك . وقال ابن السماك لاتعن الناس على عيبك بسوء غيبك ﴾ بان توقى من جميع المعايب اخذه السعدى فقال * تونكوروش بش تابد سكال . بنقص تو كفتن نيايد مجال * چو آهنك بربط بود مستقيم . كى ازدست مطرب خورد كوشمال ﴿ وقال الشاعر * لاتلتمس من مساوى الناس ماستروا . فيهتك الله سترا عن مساويكا ﴾ الالتماس الطلب يعنى لاتطلب مساويهم المستورة فتهتكهم فيهتك الله سترك ﴿ واذكر محاسن مافيهم اذا ذكروا . ولا تعب احدا منهم بما فيكا ﴾ اى بعيب فيك ﴿ وربما عذر المغتاب نفسه بانه يقول حقا ويعلن فسقا ﴾ ليتحذر منه ﴿ ويستشهد بما روى عن النبى صلى الله عليه وسلم انه قال ثلاثة ليست غيبتهم بغيبة ﴾ محرمة ﴿ الامام الجائر وشارب الخمر والمعلن بفسقه فيبعد ﴾ المغتاب المعذر ﴿ من الصواب ويجانب الادب لانه وان كان بالغيبة صادقا فقد هتك سترا كان بصونه اولى وجاهر ﴾ مساوى ﴿ من اسر واخفى وزبماد عى المغتاب ﴾ اسم مفعول ﴿ ذلك ﴾ الهتك والاذاعة ﴿ الى اظهار ماكان يستره والمجاهرة بما كان يضمره فلم يفده ذلك الا فساد اخلاقه من غير ان يكون فيه صلاح لغيره وقد قيل لانوشروان ما الذى لاخير فيه

قال ما ضرني ولم ينفع غيري اوضر غيري ولم ينفعني فلا اعلم فيه سيرا ﴿ بوجه من الوجوه ﴾ وقيل في منثور الحكم لاتبد من العيوب ماستره علام الغيوب ﴿ لان في اظهار ماستره مخاصمته عزوجل والله غالب على امره ولامعقّب لحكمه ﴾ وقد روى العلاء بن عبدالرحمن عن ابيه عن ابي هريرة قال سئل رسول الله صلى الله عليه وسلم عن ﴿ حقيقة ﴾ الغيبة فقال هي ان تقول لاخيك مافيه ﴿ خلقا او خلقا اومعاشرة اوغير ذلك ﴾ فان كنت صادقا ﴿ فيما قلته ﴾ فقد اغتبته وان كنت كاذبا فقد بهتّه ﴿ وقلت عليه مالم يفعل ﴾ وقال عبدالرحمن بن زيد في قوله تعالى ﴿ في الحجرات ﴾ يا ايها الذين آمنو لايسخر قوم من قوم عسى ان يكونوا خيرا منهم انه استهزاء المسلم بمن اعلن بفسقه ﴿ وخيرية المعلن من المستهزئ على ذلك التقدير لان المعلن مقر بذنبه والمستهزئ مغرور ومدل بعمله فالمقران يتوب والمغرور لايتذكر ذنبا حتى يتوب وقال الزمخشري قوله تعالى عسى ان يكونوا خيرا منهم كلام مستأنف قدورد جواب المستخبر عن العلة الموجبة لما جاء النهي عنه والافقد كان حقه ان يوصل بماقبله بالفاء والمعنى وجوب ان يعتقد كل احدان المسخور منه ربما كان عندالله خيرا من الساخر لان الناس لايطلعون الاعلى ظواهر الاحوال ولا علم لهم بالخفيات وانما الذي يزن عندالله خلوص الضمائر وتقوى القلوب وعلمهم من ذلك بمعزل فينبغي ان لا يجترئ احد على الاستهزاء بمن تقتحمه عينه اذا رآه رث الحال اوذا عاهة في بدنه اوغير لبق في محادثته فلعله اخلص ضميرا و اتقى قلبا ممن هو على ضد صفته فيظلم نفسه بتحقير من وقره الله والاستهانة بمن عظمه الله ولقد بلغ بالسلف افراط توقيهم من ذلك ان قال عمرو بن شرحبيل لو رأيت رجلا يرضع عنزا فضحكت منه خشيت ان اصنع مثل الذي صنع وعن عبدالله بن مسعود البلاء موكل بالقول لو سخرت من كلب لخشيت ان احول كلبا انتهى ﴾ ودخلت امرأة على النبي صلى الله عليه وسلم مستفتية فلما خرجت قالت عائشة رضي الله عنها ما اقصرها فقال مهلا ﴿ من المصادر المحذوفة افعالها كسقيا ورعيا ﴾ اياك والغيبة فقالت يارسول الله انما قلت مافيها قال اجل ولولا ذلك لكان بهتانا. وسئل بعض الادباء عن صفة اللئيم فقال اللئيم اذاغاب عاب واذا حضر اغتاب فاما الخبر ﴿ اي الخبر عن المساوي على وجه الاهتمام لاعلى وجه يريد به انشاء السب والتعيير ولاعلى وجه يريد به تشفي الغضب ﴾ فمحمول على الانكار لافعال هؤلاء ﴿ الثلاثة من الامام الجائر ونحوه ﴾ ولا يكون الانكار غيبة لانه نهي عن منكر ﴿ وكذا الاخبار للمحتسب ليزجره والشهادة عليهم بتقرير افعالهم او تصوير حركاتهم وهيئاتهم اوذكر للاستفتاء اوللتعريف ان اشتهر بوصف ذميم لايعرف بغيره ﴾ وفرق ﴿ عظيم اوكثير ﴾ بين انكار المجاهر وغيبة المساتر ﴿ من جهة ان الانكار عبادة والغيبة معصية وان الانكار للاصلاح وارادة الخير والغيبة للحسد والغدر وان الانكار من علو الهمة والغيبة من حقارة النفس ودناءتها الى غير ذلك والحاصل ان الغيبة ذكر الانسان بمايكره ويريد به انشاء السب بمافيه وان الغيبة حرام ذكرها واستماعها فيجب على المستمع ان ينهاه ان لم يخف ضررا وان خاف وجب عليه الانكار بقلبه ومفارقة ذلك المجلس وقيل للربيع بن خثيم ماتراك تعيب احدا فقال لست عن نفسي راضيا فاتفرغ لذم وانشد ٭

لنفسي ابكي لست ابكي لغيرها ٭ لنفسي من نفسي عن الناس شاغل ﴾ واما النميمة فهي ان تجمع

(الى)

الى مذمة الغيبة رداءة وشرا وتضم الى لؤمها دناءة وغدرا ثم تؤول الى تقاطع المتواصلين وتباعد المتقاربين وتباغض المتحابين ﴿ الى ان ينتهى الى تفريق كلمة المسلمين ﴾ وروى شهر بن حوشب عن اسماء بنت يزيد عن النبى صلى الله عليه وسلم انه قال الا اخبركم بشراركم قالوا بلى يارسول الله قال من شراركم المشاؤن ﴿ بين الناس ﴾ بالنميمة المفسدون ﴿ والمفرقون ﴾ بين الاحبة ﴿ كالمصاحبين والزوجين ﴾ الباغون العيوب ﴿ اى طالبوها ﴾ وروى محمد بن عمرو عن ابى سلمة عن ابى هريرة ﴿ رضى الله عنه ﴾ قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ملعون ذوالوجهين ﴿ يأتى هؤلاء بوجه وهؤلاء بوجه ويوقد بينهم الفتنة ﴾ ملعون ذواللسانين ﴿ يمدح اذا حضر ويذم اذا غاب ﴾ ملعون كل شغاز ملعون كل قتات ملعون كل منان الشغاز المحرش بين الناس ﴿ من حرش بين القوم والكلاب اذا اغرى بعضهم ببعض ﴾ يلقى بينهم العداوة والقتات النمام ﴿ من قت الحديث اى نمه ﴾ وقيل النمام الذى يكون مع القوم يتحدثون فينم حديثهم والقتات هوالذى يستمع عليهم ﴿ من وراء باب اوروزنة ﴾ وهم لايعلمون ﴿ انه يستمع ﴾ فينم حديثهم . والمنان هوالذى يصنع الخير ويمن به وقيل فى منثور الحكم النميمة سيف قاتل ﴿ يقطع المودة والتواصل ﴾ وقال بعض الادباء لم يمش ماش شر من واش ﴿ من وشى به الى الوالى اذا نم عليه وسعى به ووشى الثوب نقشه وفى المثل السائر من اطاع الواشى ضيع الصديق وقد تقطع الشجرة فينبت ويقطع اللحم السيف فيندمل واللسان لايندمل جرحه وقال المأمون النميمة لا تقرب مودة الا افسدتها ولا عداوة الا جددتها ثم لا بد لمن عرف بها ونسب اليها ان يجتنب ويخاف من معرفته ولا يوثق بمكانه وانشد بعضهم * من نم فى الناس لم تؤمن عقاربه. على الصديق ولم تؤمن افاعيه * كالسيل بالليل لايدرى به احد . من اين جاء ولا من اين يأتيه* الويل للعهد منه كيف ينقضه. والويل للود منه كيف يفنيه* وقال الحسن سترما عاينت احسن من اشاعة ماظننت وقد علمنا الله الاستعاذة من شر حاسد اذا حسد فنعوذ بالله من شرورهم ﴿ فاما السعاية ﴾ الى السلطان والى كل ذى قدرة ﴿ فهى شر الثلاثة ﴾ اى من بينها وقد وجد فى حكم القدماء ابغض الناس المثلث قال الا صمعى هوالذى يسعى باخيه الى السلطان فيهلك نفسه واخاه وامامه ﴿ لانها تجمع الى مذمة الغيبة ولؤم النميمة التغرير بالنفوس والاموال ﴾ يقال غرر فلان بنفسه اذا عرضها للهلكة ﴿ والقدح فى المنازل والاحوال ﴾ اى الطعن فيها ﴿ وروى ابن قتيبة ﴾ هو ابو محمد عبدالله بن مسلم بن قتيبة المروزى النحوى اللغوى ﴿ ان النبى صلى الله عليه وسلم قال الجنة لايدخلها ديوث ولا قلاع والديوث ﴾ بتشديد الياء ﴿ هوالذى يجمع بين الرجال والنساء سمى بذلك لانه يديث بينهم ﴾ يقال ديثه تديثا اذا ذلله ورجل ديوث اى لاغيرة له ﴿ والقلاع هوالساعى الذى يقع فى الناس عند الامراء سمى بذلك لانه يأتى الرجل المتمكن عند الامير فلا يزال يقع فيه ﴾ اى فى ذمه وافترائه ﴿ حتى يقلعه ﴾ ينتزعه من مكانته وفى القاموس القلاع الكذاب والقواد والنباش والغماز والشرطى ﴿ وقال بعض الحكماء الساعى بين منزلتين قبيحتين اما ان يكون صدق ﴾ فيما سعى به ﴿ فقد خان الامانة واما ان يكون قد كذب فخالف المروءة ﴾ وفى حديث جابر عند ابى داود (المجالس بالامانة) الباء متعلق بمحذوف اى تحسن او حسن المجالس وشرفها

بامانة حاضرها لما يحصل فى المجالس ويقع من الافعال والاقوال فكأنه صلى الله عليه وسلم يقول ليكن صاحب المجالس امينا لما يسمعه او يراه فيحفظه عن ان ينتقل الى من غاب عنه انتقالا يحصل به مفسدة وفائدة الحديث النهى عن النميمة التى ربما تؤدى الى القطيعة (الا ثلاثة مجالس سفك دم حرام) يجوز فيه النصب على البدل والرفع على انه خبر مبتدأ محذوف اى احدها سفك دم اى اراقة دم امرئ بغير حق ويدخل فيه مشاورة ذلك (او فرج حرام) اى وطؤه على وجه الزنا (او اقتطاع مال) اى ومجلس يقتطع فيه مال مسلم او ذمى (بغير حق) فمن قال اريد قتل فلان اوالزنا بفلانة او اخذ مال فلان فلا يجوز للمستمع كتمه بل عليه افشاؤه دفعا للمفسدة ﴿ وقال بعض الحكماء الصدق يزين كل احد الا السعاة فان الساعى اذم وآثم ما يكون اذا صدق ﴾ لان الفتنة اشد من القتل ﴿ وقال بعض البلغاء النميمة دناءة والسعاية رداءة وهما رأس الغدر واساس الشر فتجنب سبلهما واجتنب اهلهما ﴾ بعدم الاصغاء ﴿ ووقع الفضل بن سهل ﴾ وزير المأمون ﴿ على قصة ساع سعى اليه ﴾ وزعم انه يرضى به ﴿ نحن نرى قبول السعاية شرا منها لان السعاية دلالة والقبول اجازة فاتقوا الساعى فانه ان كان فى سعايته صادقا كان فى صدقه آثما اذ لم يحفظ الحرمة ولم يستر العورة ﴾ ووقع صاحب بن عباد على كتاب ساع يحث فيه على اخذ مال يتيم النميمة قبيحة وان كانت صحيحة والميت رحمه الله واليتيم جبره الله والساعى لعنه الله ولا حول ولا قوة الا بالله ﴿ وقال الاسكندر لرجل سعى اليه برجل اتحب ان نقبل منك ماتقول فيه على ان نقبل منه مايقول فيك قال ﴾ الساعى ﴿ لا قال فكف عن الشر يكف عنك الشر ﴾ وقال بعض الشعراء * يسعى عليك كما يسعى اليك فلا. تأمن غوائل ذى وجهين كياد ﴿ وروى ان الله اوحى الى موسى على نبينا وعليه السلام ان فى بلدك ساعيا ولست امطرك وهو فى ارضك فقال يارب دلنى عليه حتى اخرجه فقال ياموسى اكره النميمة وانم ﴾ بتقدير الاستفهام وقال صالح بن عبدالقدوس * من يخبرك بشتم عن اخ . فهو الشاتم لا من شتمك * ذاك شئ لم يواجهك به . انما اللوم على من اعلمك

﴿ الفصل السادس فى الحسد والمنافسة * اعلم ان الحسد خلق ذميم مع اضراره بالبدن ﴾ لانه مشقة بغير فائدة والم بلا نفع يعود عليه ﴿ وافساده للدين ﴾ والطاعات لما فى الجامع الصغير (اياكم والحسد) حب زوال النعمة عن المنعم عليه اما من لا يحب زوالها ولا يكره وجودها ودوامها ولكن يشتهى لنفسه مثلها فهذا يسمى غبطة (فان الحسد) اقام المظهر مقام المضمر حثا على الاجتناب (يأكل الحسنات كما يأكل النار الحطب) اى يذهبها ويحبطها ﴿ حتى لقد امر الله بالاستعاذة من شره فقال تعالى و ﴾ قل اعوذ ﴿ من شر حاسد اذا حسد ﴾ اذا اظهر حسده وعمل بمقتضاه من بغى الغوائل للمحسود لانه اذا لم يظهر اثر ما اضمره فلا ضرر يعود منه على من حسده بل هو الضار لنفسه لاغتمامه بسرور غيره وعن عمر بن عبدالعزيز لم ار ظالما اشبه بالمظلوم من حاسد ويجوز ان يراد بشر الحاسد اثمه وسماجة حاله فى وقت حسده واظهاره اثره ﴿ وناهيك بحال ذلك شرا وروى عن النبى صلى الله عليه وسلم ﴾ على مارواه احمد بن حنبل والترمذى عن زبير بن العوام ﴿ انه قال دب ﴾ اى سار ﴿ اليكم داء الامم قبلكم البغضاء والحسد ﴾ بدل من الداء . والبغضاء ﴿ هى الحالقة ﴾ قالوا

وما الحالقة قال ﴿ حالقة الدين لا حالقة الشعر ﴾ اى الخصلة التى شانها ان تحلق اى تهلك وتستأصل الدين كما يستأصل الموسى الشعر ﴿ والذى نفس محمد بيده ﴾ اى بقدرته وتصريفه ﴿ لا تؤمنوا ﴾ ايمانا كاملا ﴿ حتى تحابّوا الا انبئكم بامر اذا فعلتموه تحاببتم ﴾ اى احب بعضكم بعضا قالوا اخبرنا قال ﴿ افشوا السلام بينكم فاخبر صلى الله عليه وسلم بحال الحسد ﴾ وقبحه ﴿ وان التحابب ينفيه وان السلام يبعث على التحابب فصار السلام اذا ﴾ باسقاط الجد الاوسط ﴿ نافيا للحسد وقد جاء كتاب الله تعالى بما يوافق هذا القول وقال الله تعالى ﴾ فى حم السجدة ولا تستوى الحسنة ولا السيئة ﴿ ادفع بالتى هى احسن فاذا الذى بينك وبينه عداوة كانه ولى حميم ﴾ يعنى ان الحسنة والسيئة متفاوتان فى انفسهما فخذ بالحسنة التى هى احسن من اختها اذا اعترضتك حسنتان فادفع بها السيئة التى ترد عليك من بعض اعدائك ومثال ذلك رجل اساء اليك اساءة فالحسنة ان تعفو عنه والتى هى احسن ان تحسن اليه مكان اساءته اليك مثل ان يذمك فتمدحه ويقتل ولدك فتفدى ولده من يد عدوه فانك اذا فعلت ذلك انقلب عدوك المشاق مثل الولى الحميم مصافاة لك كذا فى الكشاف ﴿ قال مجاهد ادفع بالسلام اساءة المسيء وقال الشاعر ﴾ من البسيط ﴿ قد يلبث الناس حينا ليس بينهم ودفين زرعه التسليم واللطف ﴾ بفتحتين اسم بمعنى الاحسان وبضم اللام مصدر بمعنى التقرب وقال آخر * لم ارى كالرفق فى افعاله . قد يخدع العذراء فى خدرها * من يستعن بالرفق فى امره . يستخرج الحية من وكرها ﴿ وقال بعض السلف الحسد اول ذنب عصى الله به فى السماء ﴾ بالبناء للمفعول ﴿ يعنى حسد ابليس لآدم عليه السلام ﴾ وتركه السجود له ﴿ واول ذنب عصى الله به فى الارض يعنى حسد ابن آدم ﴾ قابيل ﴿ لاخيه ﴾ هابيل ﴿ حتى قتله ﴾ على تزويج اخته له وكانت صاحبة جمال ولم تكن اخت هابيل مثلها ﴿ وقال بعض الحكماء من رضى بقضاء الله تعالى لم يسخطه احد ﴾ من الاسخاط اى لم يغضبه لان ما اسخطه من جملة قضائه تعالى ﴿ ومن قنع بعطائه لم يدخله حسد ﴾ لان القانع لا يرى ما فى يد غيره حتى يحسد ﴿ وقال بعض البلغاء الناس حاسد ومحسود ولكل نعمة حسود . وقال بعض الادباء ما رأيت ظالما اشبه بمظلوم من الحسود نفس ﴾ و زفير ﴿ دائم وهم لازم وقلب هائم ﴾ اى متحير وفى قلوبهم مرض فزادهم الله مرضا ﴿ فاخذه بعض الشعراء فقال ﴾ من المنسرح المقطوع قال ابن صبان فى عروضه ولم يذكره الخليل لكن حكاه غيره واستحسنه المحدثون واكثروا منه ﴿ ان الحسود الظلوم فى كرب . يخاله من يراه مظلوما ﴾ الظلوم فعول بمعنى الفاعل ويخاله اى يظنه ﴿ ذا نفس دائم على نفس . يظهر منها ما كان مكتوما ﴾ من الحزن والغيظ وقال الجامى * اعتراضست براحكام خداوند عليم . عادت مرد حسد پيشه كه خاك ش بدهن * هرچه بيند بكف غير فغانى دارد . كه خدا داد بوى بى سبب آزرانه بمن ﴿ ولو لم يكن من ذم الحسد الا انه خلق دنى يتوجه نحو الاكفاء والاقارب ويختص بالمخالط والمصاحب لكانت النزاهة عنه كرما والسلامة منه مغنما ﴾ اذ لا بد له من معاشرتهم بان يحب لهم ما يحب لنفسه ويكره لهم ما يكره لها ﴿ فكيف ﴾ حال السلامة عنه ﴿ وهو بالنفس مضر وعلى الهم مصر حتى ربما افضى بصاحبه الى التلف ﴾ لما سبق ان الحزن يقتل دون الغضب وقد قيل لارسطاطاليس

مذبال الحسود اشد غما قال لانه اخذ نصيبه من غموم الدنيا واضاف الى ذلك غمه لسرور الناس ﴿ من غير نكاية فى عدو ولا اضرار بمحسود . وقد قال معاوية رضى الله عنه ليس فى خصال الشر اعدل من الحسد يقتل الحاسد قبل ان يصل الى المحسود وقال بعض الحكماء يكفيك من ﴿ انتقام ﴿ الحاسد انه يغتم فى وقت سرورك . وقيل فى منثور الحكم عقوبة الحاسد من نفسه ﴿ لان من زرع الاحن حصد المحن فهو فى سجن دائما يكفيه ذلك ﴿ وقال الاصمعى قلت لاعرابى ﴿ قد بلغ عمره مأة وعشرين سنة ﴿ ماطول عمرك فقال تركت الحسد فبقيت . وقال رجل لشريح القاضى ﴿ هو ابن الحارث الكندى ابو امية الكوفى ادرك النبى صلى الله عليه وسلم ولم يلقه استقضاه عمر على الكوفة واقره من بعده الى ان ترك هو بنفسه زمن الحجاج مات فى ثمانية وتسعين وهو احد الائمة ﴿ انى لاحسدك على مارى من صبرك على ﴿ ازدحام ﴿ الخصوم ﴿ وتقاضاهم ﴿ ووقوفك على غامض الحكم ﴿ اى دقيقه وخفيه ﴿ فقال ماتفعك الله بذلك ولا ضرنى ﴿ اما خبر او دعاء وقد كان عمر رضى الله عنه يقول نعوذ بالله من كل قدر وافق ارادة حاسد ﴿ وقال عبد الله بن المعتز رحمه الله * اصبر على كيد الحسود . دفان صبرك قاتله ﴿ ويروى على حسد الحسود ولله در القائل * اذن الكرام عن الفحشاء صماء . وترجمته خصمك ستمك اكلامق خصمه ستمدر ﴿ فالنار تأكل بعضها . ان لم تجدما تأكله ﴿ وتفنيه وفى نوابغ الحكم الحسد حسك من تعلق به هلك ﴿ وحقيقة الحسد شدة الاسى على الخيرات ﴿ اى الحزن عليها وتمنى زوالها ﴿ تكون للناس الا فاضل وهو غير المنافسة وربما غلط قوم فظنوا ان المنافسة فى الخير ﴿ المعبر عنه بالغبطة ﴿ هى الحسد ﴿ وفى القاموس ان اطلاق الحسد على الغبطة كان عرفا فى الاوائل ويجوز ان يكون مجازا مشهورا بعلاقة الاطلاق والتقييد فالغلط فى عدم التفريق بين المعنى الحقيقى المذموم والمجازى الممدوح لا فى اطلاق الحسد على الغبطة والمذموم تمنى زوال نعمة الغير والممدوح تمنى مثل النعمة لنفسه من غير تمنى الزوال عن المغبوط اليه ويسمى ذلك غبطة ﴿ وليس الامر على ماظنوا لان المنافسة طلب التشبه بالافاضل من غير ادخال ضرر عليهم والحسد مصروف الى الضرر لان غايته ان يعدم الافاضل فضلهم من غير ان يصير الفضل له فهذا ﴿ هو ﴿ الفرق بين المنافسة والحسد فالمنافسة اذا فضيلة لانها داعية الى اكتساب الفضائل والاقتداء بالاخيار الافاضل ﴿ ابتداء وتسابقهم اذالحقهم ﴿ وقد روى عن النبى صلى الله عليه وسلم انه قال المؤمن يغبط والمنافق يحسد ﴿ يعنى ان المؤمن من شانه النفع فلذا لا يحسد ﴿ وقال الشاعر ﴿ من السريع ﴿ نافس على الخيرات اهل العلا . فانما الدنيا احاديث ﴿ وفى البيان سابق آه ﴿ كل امرئ فى شانه كادح . فوارث منهم وموروث ﴿ والكدح السعى والعمل اى فمنهم وارث يرث الصيت الحسن ومنهم موروث يبقى منه الذكر الجميل وقال آخر * ولاشئ يدوم فكن حديثا . جميل الذكر فالدنيا حديث ﴿ واعلم ان دواعى الحسد ثلاثة احدها بغض المحسود فيأسى عليه بفضيلة تظهر او منقبة تشكر فيثير حسدا قد خامر بغضا ﴿ وما احسن فى مثله قول السعدى * بچه بوصيد بردم ضيغرا . چه تفاوت كندكه سك لايد ﴿ وهذا النوع لايكون عاما ﴿ بل لاخص الخواص ﴿ وان كان اضرها لانه ليس يبغض كل الناس ﴿ بل كما قال الشاعر * لكل كريم من الائم قومه . على كل حال حاسدون وكشح ﴿ والثانى ان يظهر من المحسود فضل يعجز عنه فيكره تقدمه

حسك بتراق ومثلث الشكل باداش تعبير اولنان ديكنه كذلك دشمنك اكثرين مجومى منع ايچون دشمنك كله بيلاجكى طرفه مثلث الشكل تيموردن معمول دوكيلان ديكنلره ديرلر منه

فيه واختصاصه به فيثير ذلك ﴿ التقدم ﴾ حسدا لولاه لكف عنه وهذا اوسطها لانه لا يحسد الاكفاء من دنا ﴿ فى الفضائل او الصنايع المشتركة بينهما فمن بدل من الاكفاء ﴾ وانما يختص بحسد من علا وقد يمتزج بهذا النوع ضرب من المنافسة ولكنها مع عجز فلذلك صارت حسدا ﴾ والفضل فى اعتراف فضل الفضلاء ومسابقتهم بفضيلة اخرى وقلما يجد سابقا غير مسبوق ﴿ والثالث ان يكون فى الحاسد شح بالفضائل وبخل بالنعم وليست ﴾ الفضائل مفوضة ﴿ اليه فيمنع منها ولا بيده فيدفع عنها لانها مواهب قد منحها الله من شاء فيسخط على الله عز وجل فى قضائه ويحسد على ما منح من عطائه ﴾ وقال الشاعر * ايا حاسدا لى على نعمتى . اتدرى على من اسأت الادب * اسأت على الله فى حكمه . لانك لم ترض لى ما وهب * فجازاك ربى بان زادنى . وسد عليك وجوه الطلب ﴿ وان كانت نعم الله عز وجل عنده اكثر ومنحه عليه اظهر وهذا النوع من الحسد اعمها واخبثها اذ ليس لصاحبه راحة ولا لرضاه غاية فان اقترن بشر وقدرة كان بورا وانتقاما ﴾ اى اهلاكا للفضائل واهلها قال الله تعالى وكنتم قوما بورا اى هالكين عند الله تعالى لفساد عقيدتكم وسوء نيتكم ﴿ وان صادف عجزا ومهانة كان كمدا وسقاما ﴾ الكمد مرض القلب من الحزن الشديد ﴿ وقال عبد الحميد الحسود من الهم ﴾ المنعقد فى قلبه ﴿ كساقى السم فان سرى سمه زال عنه همه ﴾ يعنى والا اهلكه لما سبق ان الحزن يتلف . وسراية سمه باصابة عينه لما لما قال اهل الحديث فى حديث ابى هريرة مرفوعا (العين حق) اى الاصابة بالعين شئ ثابت (يحضرها الشيطان وحسد ابن آدم) بالاعجاب بالشئ انه ينبعث من عين العائن قوة سمية تتصل بالمعان فيهلك او يفسد بارادة الله تعالى وزاد مسلم فى روايته عن ابن عباس (ولو كان شئ سابق القدر سبقه العين) اى لو فرض ان شيئا له قوة بحيث يسبق القدر لكان ذلك الشئ العين والقدر عبارة عن سابق علم الله تعالى وهو لا راد لامره كما فى الجامع الصغير ﴿ واعلم ان بحسب فضل الانسان وظهور النعمة عليه يكون حسد الناس له فان كثر فضله كثر حساده وان قل قلوا لان ظهور الفضل يثير الحسد وحدوث النعمة يضاعف الكمد ولذلك قال النبى صلى الله عليه وسلم ﴾ على ما رواه كثير من اصحاب السنن والجمهور على انه موضوع كما فى الحفنى ﴿ استعينوا على قضاء الحوائج بسترها ﴾ وكتمها قبل الشروع فيها فالكتمان سبب لقضاءها اكتفاء باعانة الله وصيانة للقلب عما سواه وحذرا من حاسد يطلع عليها قبل التمام فيعطلها ﴿ فان كل ذى نعمة محسود ﴾ اى فاكتموا النعمة على الحاسد اشفاقا عليه وعليكم واستعينوا بالله على الظفر بها ولا ينافيه الامر بالتحديث بالنعمة لانه فيما بعد الحصول ولا اثر للحسد حينئذ ﴿ وقال عمر بن الخطاب رضى الله عنه ما كانت نعمة الله على احد الا وجد لها حاسدا ﴾ وفى زماننا حسادا ﴿ فلو كان الرجل اقوم من القدح ﴾ بالكسر السهم ﴿ لما عدم غامزا ﴾ من غمز بالرجل اذا سعى به شرا (١) ﴿ وقد قال الشاعر ﴾ من البسيط ﴿ ان يحسدونى فانى غير لائمهم . قبلى من الناس اهل الفضل قد حسدوا ﴾ بالبناء للمفعول يعنى ان ذلك الحسد عادة ولا لوم عليها ﴿ فدام لى ولهم مابى ومابهم . ومات اكثرنا غيظا بما يجد ﴾ من الغيظ قوله دام اما دعاء لنفسه على طريق التسلى وعليهم بقلة الاحتفال فقوله مات كالمباهلة الا ان غيظ الحساد على نعم الله على عباده وهى غير متناهية وغيظه على غيظهم والمتناهى اقل من

(١) وترجمه بعضهم بقوله . استقامتده قلم يا ماده شمع اولسه كمى . ينه مقراض قضا دن سرينى قورتارمنا منه

غيرالمتناهى . او خبرا يعنى صبرت على حسدهم فدام مالى من النعم ولهم مابهم من الغيظ والحسد فهلك حسادى بغيظهم وقال آخر * ان يحسدوك على فضل خصصت به . فكل منفرد بالفضل محسود * وقال آخر * فافخر فما من سماء للعلى ارتفعت . الا وافعالك الحسنى لها عمد * واعذر حسودك فيما قد خصصت به . ان العلى حسن فى مثلها الحسد * اى الغبطة ﴿ وربما كان الحسد منبها على فضل المحسود ونقص الحسود قال ابو تمام الطائى ﴾ فى قصيدته من الكامل يمدح بها احمد بن ابى داود ويستشفع بخالد بن يزيد ﴿ واذا اراد الله نشر فضيلة . طويت اتاح لها لسان حسود ﴾ الطى نقيض النشر والا تاحة التقدير والاعداد يقال وقع فى مهلكة فاتيح له من انقذه يعنى يسوق الله السنة الحساد فينشرون تلك الفضيلة المطوية ﴿ لولا اشتعال النار فيما جاورت . ما كان يعرف طيب عرف العود ﴾ العرف بالفتح الرائحة طيبة كانت او خبيثة ولذا اضيف الى الطيب يعنى كما يتضوع رائحة العود بالنار كذلك تنتشر الفضيلة بلسان الحسود وقال البحترى فى سعيد وقد حبس * وماهذه الايام الا مراحل . فمن منزل رحب ومن منزل ضنك * وقد هذبتك النائبات وانما . صفا الذهب الابريز قبلك بالسبك * وقال الصفدى * يضوع عرف اصطبارى اذ يضيعنى . والعود يزداد طيبا كلما حرقا (٢) وشعر البحترى ابلغ لان الذهب يزيد قيمته بالسبك الاول ولا ينقص من قيمته ووزنه شئ بسبكه ثانيا وثالثا والعود يصير رمادا لا قيمة له اصلا وليس كذلك الفاضل المحسود ولذا استأنفه بقوله ﴿ لولا التخوف للعواقب لم يزل . للحاسد النعمى على المحسود ﴾ النعمى على وزن بشرى الرفاه والراحة واليد البيضاء والاحسان الكثير النفيس قال الخطيب التبريزى هذا البيت متعلق بما قبله من ذكر الحسود يقول اراد بى الحساد شرا فصار حسدهم نعمة لهم علىّ لانه اداني الى رضاك وعلمك انهم ظالمون وكذلك كل حاسد يقلب شره فتصير خيرا للمحسود لانه يظهر من فضله ما كان مستورا ومن كرمه ما كان خافيا الا ان الذى يحسد يخوف عواقب ما يجره الحسد من السعاية والهلاك انتهى وقال اليمانى * انى لارحم حاسدى افرط ما . ضمنت صدورهم من الاوغار * نظروا صنيع الله بى فعيونهم . فى جنة وقلوبهم فى نار * لا ذنب لى قد رمت كتم فضائلى . فكانما برقعتها بنهار * لان المحاسن كلما اخفيتها ظهرت ﴿ فاما مايستعمله ﴾ اى يلزم مواظبته ﴿ من كان غالبا عليه الحسد وكان طبعه اليه مائلا ليتقى عنه ويكفاه ويسلم من ضرره وعدواه فامور هى له حسم ﴾ وازالة من اصله ﴿ ان صادفها عزم ﴾ قوى ونية صادقة ﴿ فمنها اتباع الدين فى اجتنابه والرجوع الى الله عز وجل فى آدابه ﴾ التى يجب التأدب بها ﴿ فيقهر نفسه على مذموم خلقها وينقلها عن لئيم طبعها ﴾ التى هى مضرة عليه وعلى غيره ﴿ وان كان نقل الطباع عسرا ﴾ بعد تحكم الخلق الذميم فيها ﴿ لكن بالرياضة والتدريج يسهل منها ما استصعب ويحبب منها ما اتعب وان تقدم قول القائل من ربه خلقه ﴾ على اسوء الاخلاق ﴿ كيف يخلى خلقه ﴾ الذميم وترجمه السعدى بقوله آنراكه كوش ارادت كران آفريده اند چون كند كه بشنود وآنركه بكمند سعادت كشيده اند چون كند كه نرود وقد رده المصنف لانه جبر محض والالكان ارسال الرسل والامر بالمعروف ونحوه عبثا وان

(٢) وتماقيل بلسان العود . ان مست النار جسمى . ابديت طيب نسيمى . كالدهر ان عض . يوما . ابان فضل كريم . (وقال ابن هلال العسكرى) ومهفهف قال الاله لوجهه . كن مجمعا للطيبات فكانه . زعم البنفسج انه كعذاره . حسنا فسلوا من قفاه لسانه منه

للاصم اشارات مخصوصة يفهم بها ويستفهم وللمغلول بحبل السعادة قطعه وخروجه عن قيده والله يمحو مايشاء ويثبت وعنده ام الكتاب ﴿ غير انه اذا عانى ﴾ المطبوع على الحسد ﴿ تهذيب نفسه تظاهر بالتخلق دون الخلق ثم بالعادة يصير كالخلق قال ابو تمام ﴾ فى قصيدة يمدح بها محمد بن عبدالملك الزيات ويعاتبه ﴿ فلم اجد الاخلاق الا تخلقا . ولم اجد الافضال الا تفضلا ﴾ قال الخطيب يقول من لايتكلف الاخلاق الحسنة لم تتم له ومن لم يتكلف الفضيلة لم يصر فاضلا ﴿ ومنها العقل الذى يستقبح به من نتايج الحسد مالا يرضيه ﴾ عاقل من السخط على الله تعالى فى قضائه وعداوة مؤمن بغير جرم منه والحزن على ما يسر به ﴿ ويستنكف من هجنة مساويه ﴾ اى ويستكبر من عيب مساوى الحسد ويأبى عنها ﴿ فيذلل نفسه انفة ﴾ من تلك المساوى ﴿ ويقهرها حمية فتذعن لرشدها وتجيب الى صلاحها وهذا ﴾ الاستقباح ﴿ انما يصح لذى النفس الابية ﴾ عن الرذائل ﴿ والهمة العلية ﴾ نحو الفضائل ﴿ وان كان ذوالهمة يجل عن دناءة الحسد ﴾ ابتداء ولا يتلوث به منشأ ﴿ وقد قال الشاعر ﴾ من الطويل ﴿ ابى له نفسان نفس زكية . ونفس اذا ماخافت الظلم تشمس ﴾ من الباب الاول والثانى اى تبدى عداوتها لمن يخاف ظلمه وقوله ابى صيغة فعيل اى الممدوح ابى لاينقاد لنفسه الامارة بالسوء وله نفسان نفس زكية عن الرذائل ونفس معدة ومهيأة لدفع الغوائل كما قال الله اشداء على الكفار رحماء بينهم فحاصل كلامه ان ذا الهمة وان كان يجل عن دناءة الحسد ابتداء لكنه يجوز ان يكا فى عدوه بعداوته ويقابل حاسده بحسده وان يتعشش فى قلبه ويبيض بسبب دوام حسد الحاسد فيحتاج الى مجاهدة ما لم يحتج الى مجاهدته ابتداء ﴿ ومنها ان يستدفع ضرره ويتوقى اثره ويعلم ان مكانته فى نفسه ابلغ ومن الحسد ابعد فيستعمل الحزم فى دفع ما كده واكمده ليكون اطيب نفسا واهنأ عيشا ﴾ ويقال ثلاثة لايهنأ لصاحبها عيش الحقد والحسد وسوء الخلق وقال المبرد حدثنا الزيادى قال يقال ستة لاتخطئهم الكآبة فقير حديث عهد بغنى ومكثر يخاف على ماله التلف والحسود والحقود وطالب مرتبة فوق قدره وخليط اهل الادب وليس منهم ﴿ وقد قيل العجب لغفلة الحساد عن سلامة الاجساد ﴾ عما يكمدهم ولو لم يغفلوا لم يحسدوا ﴿ وقد قال الشاعر بصير باعقاب الامور كأنما . يرى بصواب الرأى ماهو واقع ﴾ اى سيقع يعنى ان الرجل الحازم بصير بعواقب اموره بفكره السليم ورأيه المستقيم فلا يغفل ان الحسد هم بلا فائدة ﴿ ومنها مايرى من نفور الناس عنه وبعدهم منه فيخافهم اما على نفسه من عداوة او على عرضه من ملامة فيتألفهم بمعالجة نفسه ويراهم ان صلحهم اجدى نفعا واخلص ودا ﴾ وقال بعض الحكماء اتهم اخلاقك السيئة فانها كالماء للسمك والحطب للنار ﴿ وقال ابن العميد رحمه الله تعالى ﴾ من الكامل ﴿ داوى جوى بجوى وليس بحازم . من يستكف النار بالحلفاء ﴾ نوع من الحشيش يوقد به النار وقوله داوى من المداواة والجوى مرض مزمن فى القلب او فى الصدر واحتراق القلب من شدة الوجد والعشق يعنى مداواة احتراق القلب من الحسد بمعاداة الناس ليست معقولة وحزما كمنع سراية النار بحائط من الحلفاء كما قال آخر * اذا كنت تقضى الدين بالدين لم يكن . قضاء ولكن كان غرما على غرم ﴿ وقال المؤمل بن اميل ﴾ من البسيط ﴿ لاتحسبونى غنيا عن مودتكم .

انى اليكم وان ايسرت مفتقر ﴾ والافتقار الى الانيس متحقق لكلا الفريقين واخلاص الود برفع التحاسد والتباغض ونحوهما ﴿ ومنها ان يساعد القضاء ويستسلم للمقدور ولا يرى ان يغالب قضاء الله فيرجع مغلوبا ولا ان يعارضه فى امره فيرد محروما مسلوبا ﴾ عن العقل وفضائله ﴿وقد قال اردشير بن بابك اذا لم يساعدنا القضاء ساعدناه ﴾ باتباعه ورضاه ﴿وقال محمود الوراق ﴾ من الخفيف ﴿ قدر الله كائن . حين يقضى وروده ﴾ اى حين يقضى الله انفاذه فلا راد لفضله ولامعقب لحكمه ﴿ قد مضى فيك علمه . وانتهى مايريده ﴾ اى علمه بانك تحب قضاءه اوتكرهه اوتحسد عليه ﴿ واخوالحزم حزمه . ليس مما يزيده ﴾ فلايصرفه عن ارادته حسدك ولايزيده حزمك ﴿ فارد مايكون ان . لم يكن ماتريده ﴾ وفى اصل وقال آخر * ان لم يكن ما يريد المرء من سبب . فواجب ان يريد المرء ماكانا * والنفس ان آيست مما تؤمله . هانت وما عز عند النفس ماهانا * وقال الحافظ * ميل من سوى وصال او قصد او سوى فراق . ترك كام خود كرفتم تابر آيد كام دوست ﴿ فان اظفرته السعادة باحد هذه الاسباب ﴾ الخمسة ﴿ وهدته المراشد الى استعمال الصواب سلم من سقامه وخلص من غرامه واستبدل بالنقص فضلا واعتاض من الذم حمدا ولمن استنزل نفسه ﴾ اى انزلها عما هدتها ﴿ عن مذمة ﴾ كانت ركبها ﴿ فصرفها عن لائمة هو اظهر حزما واقوى عزما ممن كفته النفس جهادها ﴾ ابتداء ﴿ واعطته قيادها ﴾ ولم تقترف مذمة اصلا ﴿ ولذلك قال على بن ابى طالب رضى الله عنه خياركم كل مفتن تواب ﴾ اسم مفعول يقال افتنه وفتنه اذا اوقعه فى الفتنة اى كل ممتحن يمتحنه الله تعالى بالذنب ثم يتوب عليه ثم يعود ثم يتوب وليس هذا ترغيبا الى المعصية بل اخبار عن تكامل القوى العقلية والغضبية والشهوية والنطقية بحيث تؤدى كل واحد منها الى الافراط احيانا ويدافعها الاخرى فيتوب وفيه اعتراف بالعجز وتبرؤ من العجب كما فى العزيزى ﴿ وان صدته الشهوة عن مراشده واضله الحرمان عن مقاصده فانقاد للطبع اللئيم وغلب عليه الخلق الذميم حتى ظهر حسده واشتد كمده فقد باء باربع مذام ﴾ اى رجع بها اوتحملها ﴿ احداهن حسرات الحسد وسقام الجسد ثم لايجد لحسرته انتهاء ﴾ لتوالى نعم الله على عباده ﴿ ولا يؤمل لسقامه شفاء ﴾ الا ان يموت او تعمى عيناه وتوقر اذناه ﴿ وقال ابن المعتز الحسد داء الجسد * والثانية انخفاض المنزلة وانحطاط المرتبة لانحراف الناس عنه ونفورهم منه وقد قيل فى منثور الحكم الحسود لا يسود ﴾ اى لا يصير سيدا قال الاصمعى اجتمع ثلاثة حساد فقال احدهم لصاحبه مابلغ حسدك قال ماشتهيت ان يفعل بى احد خيرا قط فقال الثانى انت رجل صالح ولكنى ماشتهيت ان يفعل بى خير قط فقال الثالث مافى الارض خير منكما ولكنى ما اشتهيت ان يفعل باحد خير قط ﴿ والثالثة مقت الناس له ﴾ والبغض فى الله من افضل العبادات لاسيما بمن هو مخاصم لله تعالى ﴿ حتى لايجد فيهم محبا وعداوتهم له حتى لايرى فيهم وليا ﴾ لانه عدوهم ﴿ فيصير بالعداوة مأثورا وبالمقت منجورا ولذلك قال النبى صلى الله عليه وسلم شر الناس من يبغض الناس ويبغضونه ﴾ كما رواه ابن عساكر عن معاذ بن جبل وقد تقدم تمامه فى العدل ﴿ والرابعة اسخاط الله تعالى فى معارضته واجتناء الاوزار فى مخالفته اذ ليس يرى قضاء الله تعالى عدلا ولا لنعمه من الناس

اهلا ولذلك قال النبى صلى الله عليه وسلم ﴾ على مارواه ابو داود عن ابى هريرة ﴿ الحسد يأكل الحسنات ﴾ اى يذهبها ويحبطها ﴿ كما تأكل النار الحطب . وقال عبدالله بن المعتز الحاسد مغتاظ على من لاذنب له ﴾ فهوظالم ﴿ بخيل بمالايملكه ﴾ قناع للخير ﴿ طالب مالايجده ﴾ فحريص احمق ﴿ واذا بلى الانسان بمن هذه حاله من حساد النعم واعداء الفضل استعاذبالله من شره وتوقى مصارع كيده ﴾ جمع مصرع اسم مكان اى من المحال التى يصرعه فيها كيده ويغلب عليه فيها اومصدرا اى توقى اصابة عينه لما سبق ان فى نفسه خواص سمية ﴿ وتحرز من غوائل حسده وابعده عن ملابسته ﴾ ومخالطته ﴿ وادنائه ﴾ وتقريبه بحيث يطلعه على بعض سرائره ﴿ لعضل دائه واعواز دوائه ﴾ يعيى الاطباء ويعجز الراقين ﴿ فقد قيل حاسد النعمة لايرضيه الازوالها وقال بعض الحكماء من ضر بطبعه فلا تأنس بقربه فان قلب الاعيان ﴾ من الضر الى النفع ﴿ صعب المرام ﴾ لاتصلحه بقربك بل يفسدك بحسده ﴿ وقال عبدالحميد اسد تقاربه خير من حسود تراقبه ﴾ لان الاسد عدو لجسمك الفانى والحسود لفضائلك الباقى ﴿ وقال محمود الوراق ﴾ من الكامل ﴿ اعطيت كل الناس من نفسى الرضا . الا الحسود فانه اعيانى ﴾ اى اعجزنى ارضاؤه ﴿ ما ان لى ذنبا اليه علمته . الا تظاهر نعمة الرحمن ﴾ اى لدى وهذا من تأكيد المدح بما يشبه الذم ﴿ وابى فما يرضيه الا ذلتى . وذهاب اموالى وقطع لسانى ﴾ وقال السعدى * شور بختان بآرزوخواهند . مقبلا نرازوال نعمت وجاه * كرنبيند بروز شبره چشم . چشمۀ آفتاب را چه كناه * راست خواهى هزار چشم چنان . كوربهتركه آفتاب سياه ﴿ وقد روى عن النبى صلى الله عليه وسلم ﴾ كما رواه الطبرانى عن حارثة بن النعمان موصولا والاصبهانى عن الحسن مرسلا ﴿ انه قال ثلاثة لايسلم احدمنهن ﴾ اى لا ينفك عنها الا معصوم اومحفوظ وهى من العظائم فلذا اعتنى بها صلى الله عليه وسلم وبين علاجها ﴿ الطيرة ﴾ بكسر الطاء وفتح الياء وقد تسكن هى التشاؤم بالشر وهو مصدر تطير يقال تطير طيرة كتحير حيرة ولم يجئ من المصادر هكذا غيرها ﴿ وسوء الظن ﴾ بالناس اى الظن السئ كأن يظن فى شخص السرقة اوالزنا ويخيل له الشيطان انه مؤمن كامل ينظر بنورالله تعالى مع انه لم يرالا بوسوسة الشيطان وتارة يكون ذلك بالتصميم القلبى وعلامته ان يخبر به الناس اما مجرد الخطور فلاحرج فيه ﴿ والحسد فاذا تطيرت فلا ترجع ﴾ عن قصدك كفعل الجاهلية فان ذلك لااثرله فى جلب نفع ولادفع ضر لانهم كانوايعودون عند سماع من يقول لافائدة اوطريق معوج مثلا اوصوت غراب وسيجئ تفصيله ﴿ واذا ظننت فلاتحقق ﴾ الظن بالتجسس اوالعمل بمقتضاه بل توقف عن القطع والعمل به ﴿ واذا حسدت احدا ﴿ فلاتبغ ﴾ اى ان وجدت شيئا فى قلبك فلاتعمل به وفى روايه فاستغفرالله تعالى اى تب من الاعتراض عليه فى تصرفه فانه حكيم عليم

﴿ فصل واما آداب المواضعة والاصطلاح ﴾ معطوف على قوله فيما سبق فاما ادب الرياضة والاستصلاح اللذين هما قسمان من الادب اللازم للانسان عند نشوه وكبره فلما فرغ من بيان ادب الرياضة فى ستة فصول شرع فى تفصيل ادب المواضعة الذى يؤخذ تقليدا على مااستقر عليه اصطلاح العقلاء واتفق عليه استحسان الادباء كما تقدم ﴿ فضربان احدهما ماتكون المواضعة فى فروعه والعقل موجب لاصوله والثانى

ماتكون المواضعة فى فروعه واصوله وذلك ﴿ الفرق ﴾ متضح ﴿ اى سيتضح ﴾ فى الفصول التى نذكرها اذا سبرت ﴾ اى اذا حققتها من سبرالبئر اذا امتحن غوره ليعرف مقدارمائها ﴿ وهى ثمانية * الفصل الاول فى الكلام والصمت * اعلم ان الكلام ﴾ و هو لغة القول مفيد اكان او غير مفيد فائدة تامة يصح السكوت عليه وفى الحقيقة هو المعنى القائم بنفس المتكلم يعبر عنه بالفاظ موضوعة او بخطوط مكتوبة او باشارات مخصوصة او بعقود وارقام معمولة ولا يختلف ذلك باختلاف اللغات والالسن والتعبيرات كما فى قول الاخطل* ان الكلام لفى الفؤاد وانما . جعل اللسان على الفؤاد دليلا * واصطلاحا هو العلم الذى يبحث فيه عن ذات الله تعالى وصفاته واحوال الممكنات من المبدأ والمعاد على قانون الاسلام وفى اصطلاح النحاة هو المعنى المركب الذى فيه الاسناد التام ﴿ ترجمان يعبر عن مستودعات الضمائر ويخبر بمكنونات السرائر لايمكن ﴾ للمترجم ﴿ استرجاع بوادره ﴾ حتى يصلح خطاياه ﴿ ولا يقدر على ردشوارده ﴾ حتى يكتم رزاياه والكلام الشارد هو الشايع بين الناس ﴿ فحق على العاقل ان يحترز من ذلله بالامساك عنه او بالاقلال منه. روى عن النبى صلى الله عليه وسلم ﴾ على ما رواه الديلمى عن انس ﴿ انه قال رحم الله من قال خيرا ﴾ كالذكر والعلم والعظة ﴿ فغنم ﴾ اى الثواب وربما يحصل الغنم فى الدنياه كالذكر الجميل ﴿ اوسكت ﴾ عما لا خير فيه ﴿ فسلم ﴾ اى عن الشر بسكوته وعما يندم عليه ﴿ وقال صلى الله عليه وسلم لمعاذ يا معاذ انت سالم ماسكت فاذا تكلمت فعليك ﴾ اثم كلامك ان كان باطلا ﴿ اولك ﴾ ثوابه ان كان حقا ﴿ وقال على بن ابى طالب كرم الله وجهه اللسان معيار اطاشه الجهل ﴾ اى خففه واطلقه جهل صاحبه ﴿ وارجحه العقل ﴾ اى اثقله وقيده عقله قال غلام لابيه وقد قال لست لى ابنا والله لانا اشبه بك منك بابيك ولانت اشد تحصينا لامى من ابيك لامك ﴿ وقال بعض الحكماء الزم الصمت تعدحكيما جاهلا كنت او عالما . وقال بعض الادباء سعد من لسانه صموت وكلامه قوت وقال بعض العلماء من اعوز مايتكلم به العاقل ﴾ اى اصعبه واشده ﴿ ان لايتكلم الا لحاجته ﴾ الخاصة به ﴿ او محجته ﴾ بفتحتين جادة الطريق واراد بها مذهبه ودينه لان دفع اهواء المبتدعين واجب ﴿ ولا يفكر الا فى عاقبته او فى آخرته . وقال بعض البلغاء الزم الصمت فانه يكسبك صفوالمحبة ﴾ والجدال يكدرها ﴿ ويومنك سوء المغبة ﴾ اى العاقبة بفتحتين بمعنى الغب بالكسر يعنى لايذكرونك بسوء ﴿ ويلبسك ثوب الوقار ﴾ من الالباس ﴿ ويكفيك مؤنة الاعتذار ﴾ من الفلتات ﴿ وقال بعض الفصحاء اعقل لسانك ﴾ اى امسكه من الباب الاول والثانى يقال عقل البعير اذا شد وظيفه الى ذراعه ﴿ الاعن حق توضحه او باطل تدحضه ﴾ اى تبطل حجته ﴿ او حكمة تنشرها او نعمة تذكرها ﴾ لان السكوت فى هذه المواضع من آفات اللسان كالتكلم فى مواضع السكوت كالغيبة ﴿ وقال الشاعر ﴾ من الوافر ﴿ رأيت العز فى ادب وعقل . وفى الجهل المذلة والهوان ﴾ اى الفضيحة والخزى ﴿ وما حسن الرجال لهم بحسن . اذا لم يسعد الحسن البيان ﴾ لان المرء باصغريه اذا قال قال بلسان واذا صال صال بجنان ﴿ كفى بالمرء عيبا ان تراه . له وجه وليس له لسان ﴾ يجلب منافعه ويدفع مضاره ولذا شرع الوكالة فى الدعاوى

لاظهار الحق قال الجاحظ قيل لعبدالله بن الحسن ماتقول فى المراء قال ما عسى ان اقول فى شئ يفسد الصداقة القديمة ويحل العقدة الوثيقة وان اقل ما فيه ان يكون دربة للمغالبة والمغالبة من امتن اسباب الفتنة ثم قيل لزيد بن على الصمت خيرام الكلام قال اخزى الله المساكتة فما افسدها للبيان واجلبها للحصر والله للمماراة اسرع فى هدم العى من النار فى يبس العرفج ومن السيل فى الحدور وقد عرف زيدان المماراة مذمومة ولكنه قال المماراة على ما فيها اقل ضررا من المساكتة التى تورث البلادة وتحل العقدة وتفسد المنة وتورث عللا وتولد ادواء ايسرهـا العى فالى هذا المعنى ذهب زيد ﴿ واعلم ان للكلام شروطا لايسلم المتكلم من الزلل الابها ولايعرى من النقص الابعد ان يستوفيها وهى اربعة ﴾ شروط ﴿ فالشرط الاول ان يكون الكلام لداع يدعو اليه اما فى اجتلاب نفع اودفع ضرر. والشرط الثانى ان يأتى به فى موضعه ويتوخى به اصابة فرصته ﴾ اى يتحريه ويترقبه ﴿ والشرط الثالث ان يقتصر منه على قد حاجته . والشرط الرابع ان يتخير اللفظ الذى يتكلم به فهذه اربعة شروط متى اخل المتكلم بشرط منها فقد اوهن فضيلة باقيها وسنذكر تعليل كل شرط منها بما ينبئ عن لزومه ﴾ قال ابن الاثير اعلم ان صاحب الصناعة اللفظية يحتاج فى تأليفه الى ثلاثة اشياء الاول منها اختيار الالفاظ المفردة وحكم ذلك حكم اللآلئ المبددة فانها تتخير وتنتقى قبل النظم . الثانى نظم كل كلمة مع اختها فى المشاكلة لها لئلايجئ الكلام قلقا نافرا عن مواضعه وحكم ذلك حكم العقد المنظوم فى اقتران كل لؤلؤة منه باختها المشاكلة لها . الثالث الغرض المقصود من ذلك الكلام على اختلاف انواعه وحكم ذلك حكم الموضع الذى يوضع فيه العقد المنظوم فتارة يجعل اكليلا على الرأس وتارة يجعل قلادة فى العنق وتارة يجعل شنفا فى الاذن ولكل موضع من هذه المواضع هيئة من الحسن تخصه فهذه ثلاثة اشياء لابد للخطيب والشاعر من العناية بها وهى الاصل المعتمد عليه فى تأليف الكلام من النظم والنثر فالاول والثانى من هذه الثلاثة المذكورة هما المراد بالفصاحة والثلاثة بجملتها هى المراد بالبلاغة انتهى . وقال ابن دريد سقطت من منزلى فانكسر بعض اعضائى فسهرت ليلتى فلما كان آخر الليل غمضت عينى فرأيت رجلا طويلا اصفر الوجه كوسجا دخل على وقال انشدنى احسن ماقلت فى الخمر فقلت ماترك ابو نواس لاحد شيئا فى هذا الباب فقال انا اشعر منه فقلت ومن انت قال ابو ناجية من اهل الشام وانشدنى * وحمراء قبل المزج صفراء بعده، بدت بين ثوبى نرجس وشقائق * حكت وجنة المعشوق صرفا فسلطوا . عليها مزاجا فاكتست لون عاشق * فقلت له اسأت قال ولم قلت لانك قلت وحمراء فقدمت الحمرة ثم قلت نرجس وشقائق فقدمت الصفرة فقال ما هذا الاستقصاء فى هذا الوقت يا بغيض * وقال ابو عبدالله الزبيرى اجتمع راوية جرير وراوية كثير وراوية جميل وراوية الاحوص وراوية نصيب وافتخر كل منهم وقال صاحبى اشعر فحكموا السيدة سكينة بنت الحسين رضى الله عنهما بينهم لعقلها وتبصرها بالشعر فخرجوا حتى استأذنوا عليها وقد ذكروا لها امرهم فقالت لراوية جرير اليس صاحبك الذى يقول * طرقتك صائدة القلوب وليس ذا . وقت الزيارة فارجعى بسلام * اى ساعة احلى من الزيارة بالطروق قبح الله صاحبك وقبح شعره فهلا قال فادخلى

ابو ناجية من كنى ابليس منه

بسلام . ثم قالت لراوية كثير اليس صاحبك الذى يقول * يقر لعيني مايقر لعينها . واحسن شئ مابه العين قرت * وليس شئ اقر لعينها من النكاح فيحب صاحبك ان ينكح قبح الله صاحبك وقبح شعره ثم قالت لراوية جميل اليس صاحبك الذى يقول * فلو تركت عقلى معى ما طلبتها. ولكن طلا بهــا لما فات من عقلى * فما اراه هوى ولكن طلب عقله قبح الله صاحبك وقبح شعره ثم قالت لراوية نصيب اليس صاحبك الذى يقول *اهيم بدعد ما حييت وان امت . فواحزنى من ذايهيم بها بعدى * فماله همة الا من يتعشقها بعده قبحه الله وقبح شعره هلاقال * اهيم بدعد ماحييت وان امت . فلاصلحت دعد لذى خلة بعدى * ثم قالت لراوية الاحوص اليس صاحبك الذى يقول * من عاشقين تواعدا وتراسلا . ليلا اذ النجم الثريا حلقا * باتا بانعم ليلة والذها . حتى اذا وضح الصباح تفرقا * قبح الله صاحبك وقبح شعره هلا قال تعانقا ﴿ فاما الشرط الاول وهو الداعى الى الكلام فلان مالاداعى له ﴾ من اجتلاب نفع او دفع ضرر ﴿ هذيان وما لاسبب له هجر ﴾ بالضم القبيح من الكلام ﴿ ومن سامح نفسه فى الكلام اذا عن ﴾ اى ظهر وسنح له الكلام ﴿ ولم يراع صحة دواعيه واصابة معانيه كان قوله مرذولا ورأيه معلولا كالذى حكى ابن عائشة ﴾ عبيدالله ابن محمد بن حفص التيمى القرشى من ولد عائشة بنت طلحة كان احد العلماء والاشراف والمحدثين روى عن حماد بن سلمة وغيره وعنه ابو داود والبغوى وخلق وعده الجاحظ من البلغاء والفقهاء والامراء ممن لايكاد يسكت مع قلة الخطاء والزلل ﴿ ان شابا كان يجالس الاحنف ويطيل الصمت فاعجب ذلك الاحنف فخلت الحلقة يوما ﴾ من المتكلمين ﴿ فقال له الاحنف تكلم يا ابن اخى فقال ياعم لوان رجلا سقط من شرف هذا المسجد ﴾ اى من اعلاه ﴿ هل كان يضره شئ فقال يا ابن اخى ليتنا تركناك مستورا ثم تمثل الاحنف بقول الاعور الشنى ﴾ من الطويل ﴿ وكائن ترى من صامت لك معجب زيادته اونقصه فى التكلم ﴾ قال القاضى البيضاوى اصل كأين اى دخلت الكاف عليه وصارت بمعنى كم الخبرية والنون تنوين اثبت فى الخط على غير قياس وقال الزوزنى فيه ثلاث لغات كأين وكائن وكئن يعنى وكم صامت يعجبك صمته فتستحسنه وانما تظهر زيادته على غيره ونقصانه عن غيره عند تكلمه ﴿ لسان الفتى نصف ونصف فؤاده . فلم يبق الاصورة اللحم والدم ﴾ وقال رجل لخالد بن صفوان مالى اذا رأيتكم تتذاكرون الاخبار وتتدارسون الآثار وتتناشدون الاشعار وقع على النوم قال لانك حمار فى مسلاخ انسان ﴿ وكالذى حكى عن ابى يوسف الفقيه ﴾ وهو يعقوب بن ابراهيم ابن الحسين بن سعيد بن حبيب الانصارى الكوفى صاحب ابى حنيفة روى عن ابى حنيفة والمطرف والمغيرة وهشام بن عروة والشيبانى وكان صدوقا من اهل الدين والعلم وكان قاضى القضاة ببغداد لثلاثة خلفاء المهدى والهادى والرشيد وكانت ام جعفر قد استفتته فى مسئلة فافتاها بما اوجبه العلم عنده فوافق بذلك مرادها فاهدت له حقا من فضة فيه طيب و جام فضة فيه دنانير فقال له بعض من حضره قال رسول الله صلى الله عليه وسلم من اهديت له هدية فجلساؤه شركاؤه فيها فقال ابو يوسف تأولت الخبر على ظاهره والاستحسان قد منع من امضائه فان ذلك اذ كان هدايا الناس التمر واللبن لا فى هذا

الوقت والهدايا ذهب وورق وذلك فضل الله يؤتيه من يشاء وتفصيله فى الشريشى ﴿ ان رجلا كان يجلس اليه فيطيل الصمت فقال له ابو يوسف الا تسأل قال بلى متى يفطر الصائم قال اذا غربت الشمس قال فان لم تغرب الى نصف الليل فتبسم ابو يوسف رحمه الله ﴾ وقال اصبت انت فى صمتك واخطأت انا فى استدعاء نطقك ﴿ وتمثل ببيتى الخطفى ﴾ بفتحات وقصر الالف لقب حذيفة ﴿ جد جرير * عجبت لازراء العيى بنفسه . وصمت الذى قد كان بالقول اعلما ﴾ الازراء العيب والعتاب وفى البيان لادلال العيى والادلال الانبساط والتغنج والعى العجز وعدم الاهتداء لوجه مراده والحصر عن التكلم و لعيى صفة منه يعنى عجبت من ادلال العيى بنفسه وانبساطه ومداخلته فى الكلام وليس من اهله اوعجبت من ازرائه بنفسه وادخاله عليها عيبا بكلامه وفى الصمت سترله وعجبت ايضا من صمت من هو عالم بالقول ﴿ وفى الصمت سترللعيى وانما . صحيفة لب المرء ان يتكلما ﴾ قال الجاحظ وموضع الصحيفة من هذا البيت موضع ذكر العنوان فى شعر الخطفى الذى رثا به عثمان بن عفان رضى الله عنه يقول * ضحوا باشمط عنوان السجود به . يقطع الليل تسبيحا وقرآنا * وعنوان الكتاب علامته التى يعرف بها مافى الكتاب يعنى ان فى الصمت ستر الجهل العيى لان عنوان لب المرء وفهرسه تكلمه وكل كتاب لم يبرز فهرسه فهو مستور الحال وقال السعدى * زبان در دهان اى برادركه چيست . كليد در گنج صاحب هنر * چو در بسته باشد چه داند كسى . كه جوهر فروشست يا پلور ﴿ ومما اطرفك به عنى ﴾ اى احدثك مالم يحدثك احد قبلى من اطرف فلان اذا اعطاه مالم يعطه احد قبله ﴿ انى كنت يوما فى مجلسى وانا مقبل على تدريس اصحابى اذ دخل على رجل مسن قد ناهز الثمانين ﴾ اى قاربها ﴿ اوجاوزها فقال لى قد قصدتك بمسألة ﴾ لايعرفها الا النقاد من العلماء ﴿ اخترتك لها ﴾ لحسن ظنى بك ﴿ فقلت اسئل عافاك الله وظننته يسأل عن حادث نزل به ﴾ من امر دينه ودنياه ﴿ فقال اخبرنى عن نجم ابليس ونجم آدم ﴾ عليه السلام ﴿ ماهو ﴾ على تنصيف الآخر اوتربيعه فان كل عداوة انقلب مودة الاعداوة ابليس ﴿ فان هذين ﴾ النجمين ﴿ لعظم شانهما لايسال عنهما الا العلماء الدين فعجبت وعجب من فى مجلسى من سؤاله وبدر اليه قوم منهم بالانكار والاستخفاف فكففتهم وقلت هذا ﴾ الشيخ ﴿ لايقنع مع ماظهر من حاله ﴾ من استعظام مالايعنيه ﴿ الا بجواب مثله فاقبلت عليه وقلت ياهذا ان المنجمين يزعمون ان نجوم الناس لاتعرف الا بمعرفة مواليدهم ﴾ اى ازمنة ولادتهم من السنة والشهر واليوم والساعة ﴿ فان ظفرت بمن يعرف ذلك ﴾ من الشيوخ المعمرين ﴿ فاسأله فحينئذ اقبل على ﴾ بما تلقفت من الجواب ﴿ قال جزاك الله خيرا ثم انصرف مسرورا ﴾ على زعم انه يصادف ذلك ﴿ فلما كان بعد ايام عاد وقال ماوجدت الى وقتى هذا من يعرف مولد هذين فانظر الى هؤلاء ﴾ الثلاثة ﴿ كيف ابانوا بالكلام عن جهلهم واعربوا ﴾ اى اظهروا ﴿ بالسؤال عن نقصهم اذ لم يكن لهم داع اليه ولاروية ﴾ وفهم ﴿ فيما تكلموا به ولو صدر عن روية ودعا اليه داع لسلموا من شينه وبرئوا من عيبه . ولذلك قال النبى صلى الله عليه وسلم ﴾ وفى البيان قال الحسن ولم يرفعه ﴿ لسان العاقل من وراء قلبه فاذا اراد الكلام رجع الى قلبه فان كان له ﴾ دنيا اودينا ﴿ تكلم وان كان عليه امسك وقلب الجاهل

ضحوا من التضحية وهى الذبح والقتل والاشمط من خالط سواد شعر لحيته بياض منه

من وراء لسانه يتكلم بكل ماعرض له ﴾ له اوعليه فالعاقل يتفكر ثم يتكلم والجاهل يتكلم بدون تفكر فيفضح ولبضهم * لسان من يعقل فى قلبه . وقلب من يجهل فى فيه ﴿ وقال عمر بن عبدالعزيز من لم يعد كلامه من عمله كثرت خطاياه ﴾ لانه يكتب كالاعمال لقوله تعالى مايلفظ من قول الالديه رقيب عتيد ﴿ وقال بعض الحكماء عقل المرء مخبوء ﴾ اى مستور ومخفى ﴿ تحت لسانه ﴾ فاذا تكلم يظهر عقله ﴿ وقال بعض البلغاء احبس لسانك قبل ان يطيل حبسك اويتلف نفسك فلاشئ اولى بطول حبس من لسان يقصر عن الصواب ويسرع الى الجواب . وقال ابوتمام الطائى ﴾ من الوافر ﴿ ومما كانت الحكماء قالت . لسان المرء من تبع الفؤاد * وكان بعض الحكماء يحسم الرخصة فى الكلام ﴾ اى يمنعها ويأمر بالسكوت على كل حال ﴿ ويقول اذا جالست الجهال فانصت لهم واذا جالست العلماء فانصت لهم فان فى انصاتك للجهال زيادة فى الحلم ﴾ بتحمل اذاهم ﴿ وفى انصاتك للعلماء زيادة فى العلم ﴾ باستماع كلامهم ﴿ واما الشرط الثانى فهوان يأتى بالكلام فى موضعه لان الكلام فى غير حينه لايقع موقع الانتفاع به ومالا ينفع من الكلام فقد تقدم القول بانه هذيان وهجر فان قدم ﴾ من الكلام ﴿ ما يقتضى التأخير كان عجلة وخرقا ﴾ من خرق بالشئ اذا جهله ولم يحسن عمله وقد حكى الجامى ان ابن معلم قداشرف بالموت فقال هاتوا بغسال فليغسله قالوا لم يمت بعد فقال يموت حتى يفرغ من غسله ﴿ وان اخر ما يقتضى التقديم كان توانيا وعجزا لان لكل مقام قولا وفى كل زمان عملا وقد قال الشاعر ﴾ من الكامل الاحذ وهو ابن احمر ﴿ تضع الحديث على مواضعه . وكلامها من بعدها نزر ﴾ بفتح فسكون اى قليل فمدح معشوقتها بانها فصيحة اللسان مليحة البيان كما قال آخر * لها بشر مثل الحرير ومنطق . رخيم الحواشى لاهراء ولانزر ﴿ واما الشرط الثالث فهوان يقتصر منه على قدر حاجته فان الكلام ان لم يحصر بالحاجة ولم يقدر بالكفاية لم يكن لحده غاية ولا لقدره نهاية ومالم يكن من الكلام محصورا كان حصرا ان قصر وهذرا ان كثر ﴾ قال علماء المعانى المقبول من طرق التعبير عن المراد تأدية اصله بلفظ مساوله اى لاصل المراد بان يؤدى بما وضع لاجزائه مطابقة وهذه التأدية هى المساواة او بلفظ ناقص عنه واف باعتبار اللزوم اوباعتبار الحذف فالنقصان باعتبار التصريح وهذه هى الايجاز او بلفظ زائد عليه لفائدة كالايضاح بعد الابهام ونحوه على مابين فى علم المعانى وهذه هى الاطناب. والتطويل ان يزيد اللفظ على اصل المراد لالفائدة ولايكون اللفظ الزائد متعينا فان تعين فهو الحشو قال ابن الاثير اكثر ما ترد فى الاشعار ليوزن بها الابيات الشعرية مثل قولهم لعمرى ولعمرك ونحواصبح وامسى واشباه ذلك ونحو ياصاحبى وياخليلى ومايجرى هذا المجرى تطويل فمما جاء منه قو ابى تمام * اقروالعمرى لحكم السيوف. وكانت احق بفصل القضاء * فان قوله لعمرى زيادة لاحاجة للمعنى اليها الا اصلاح الوزن لاغير الاترى انها من باب القسم وانما يرد القسم فى موضع يؤكد به المعنى المراد امالانه مما يشك فيه اومما يعز وجوده اوما جرى هذا المجرى وهذا البيت لا يفتقر معناه الى توكيد قسمى اذ لاشك فى ان السيوف حاكمة وان كل احد يقر لحكمها ويذعن لطاعتها وكذلك قوله ايضا * اذا انا لم الم عثرات دهر . بليب به الغداة فمن الوم * فقوله الغداة زيادة لاحاجة للمعنى اليها لان

الهراء كغراب الكثير من الكلام منه

عثرات الدهر لم تنله الغداة ولا العشى وانما نالته و نيلها اياه لابدوان يقع فى زمن من الا زمنة كائناما كان ولاحاجة الى تعيينه بالذكر وعلى هذه ورد قول البحترى * ما احسن الايام الاانها . ياصاحبى اذا مضت لم ترجع * فقوله ياصاحبى زيادة لاحاجة اليها الاانها وردت لتصحيح الوزن لاغير وهذه الالفاظ التى ترد فى الابيات الشعرية لتصحيح الوزن لاعيب فيها لانا لوعبناها على الشعراء لتحجرنا عليهم وضيقنا والوزن يضطر فى بعض الاحوال الى مثل ذلك لكن اذا وردت فى الكلام المنثور فان وردت حشوا ولم تردلفائدة كانت عيبا فالحاصل ان التطويل هوز يادات الالفاظ فى الدلالة على المعانى ومهما امكنك حذف شئ من اللفظ فى الدلالة على معنى من المعانى فان ذلك اللفظ هو التطويل بعينه انتهى و فيه تفصيله ﴿ وروى ان اعرابيا تكلم عندرسول الله صلى الله عليه وسلم وطول فقال النبى صلى الله عليه وسلم كم دون لسانك من حجاب قال شفتاى واسنانى قال ﴾ اماكان فى ذلك مايرد كلامك كافى رواية ابن ابى الدنيا عن عمرو بن دينار ﴿ فان الله عزوجل يكره الانبعاق فى الكلام ﴾ اى الاندفاع اليه و يقال انبعق وتعبق المطر اذا انفتح بشدة ومنه انبعق فلان بالجود والكرم ﴿ فنضر الله وجه امرئ ﴾ اى خصه بالبهجة والسرور ﴿ اوجز فى كلامه فاقتصر على حاجته . وحكى ان بعض الحكماء رأى رجلا يكثر الكلام ويقل السكوت فقال ﴾ ذلك البعض ﴿ ان الله تعالى انما خلق لك اذنين ولسانا واحدا ليكون ماتسمعه ضعف ماتتكلم به . وقال بعض الحكماء من كثر كلامه كثرت آثامه . وقال ابن مسعود انذركم فضول المنطق ﴾ حسب امرئ من الكلام مابلغ به حاجته لان ذلك يدعو الى الخطاء والكذب والرياء والنفاق والفحش والمراء وتزكية النفس و الخوض فى الباطل وهتك العورات وايذاء الخلق ونحوها من الآفات ﴿ وقال بعض البلغاء كلام المرء بيان فضله وترجمان عقله فاقصره على الجميل واقصرمنه على القليل واياك ومايسخط سلطانك ويوحش اخوانك فمن اسخط سلطانه تعرض للمنية ﴾ اى تصدى لها ﴿ و من اوحش اخوانه تبرأ من الحرية ﴾ وصار اسيرا الانفراد ﴿ وقال بعض الشعراء ﴾ من الكامل ﴿ وزن الكلام اذا نطقت فانما . يبدى عيوب ذوى العيوب المنطق ﴾ يعنى اذا اردت التكلم فزن كلامك بمقدار الحاجة ولاتزدعليها لان بالكلام المعيوب يظهر العيوب لاالكمال وفى قوله زن ترفيع شان الكلام بانه من الاشياء النفيسة التى لاتعطى جزافا بل مثقالا بمثقال وان الكلام هو المعنى القائم بالنفس وقدقيل * كوهرى كربدى وراى سخن . زآسمان آمدى بجاى سخن ﴿ ولمخالفة قدر الحاجة من الكلام حالتان تقصير يكون حصرا و تكثير يكون هذرا وكلا هاشين و شين الهذر اشنع و ربما كان فى الغالب اخوف قال النبى صلى الله عليه وسلم ﴾ على ما رواه الترمذى عن معاذ بن جبل وقد قال معاذ قلت يارسول الله وانا لمؤاخذون بما نتكلم به فقال ثكلتك امك ﴿ وهل يكب الناس ﴾ معطوف على مقدر اى هل تظن غير ما قلت وهل يكب الناس اى يلقيهم ﴿ على مناخرهم ﴾ جمع منخر ثقبة الانف والمراد الانف (او قال على وجوههم) ﴿ فى نار جهنم الاحصائد السنتهم ﴾ جمع حصيدة وهى الحزمة من الزرع المحصودة شبه مايتلفظ به الانسان بالزرع المحصود بالمنجل وكما انه يقطع ولا يميز بين الرطب واليابس والجيد والردى فكذلك لسان بعض الناس فيكون استعارة مصرحة اى ما

يكب الناس شئ الا ما تتلفظ به من الكلام القبيح شرعا وتمام الحديث فى الاربعين للنووى ﴿ وقال بعض الحكماء مقتل الرجل بين فكيه ﴾ اى لحييه وهو العظم الذى ينبت عليه اللحية ﴿ وقال بعض البلغاء الحصر خير من الهذر لان الحصر يضعف الحجة والهذر يتلف المهجة ﴾ اى الروح الحيوانى ﴿ وقد قال الشاعر * رأيت اللسان على اهله . اذا ساسه الجهل ليثا مغيرا ﴾ من الاغارة تقول بنو فلان مساكنهم المغارات ومكاسبهم الغارات قيل مثل اللسان مثل السبع ان لم توثقه عدا عليك ولحقك شره ﴿ وقال بعض الادباء ﴾ من المتقارب ايضا ﴿ ايا رب السنة كالسيو . ف تقطع اعناق اصحابها ﴾ اى باقرم ﴿ وما ينقص من هيشات الرجال . يزدفى بهاها والبابها ﴾ كما فى اصل والهيشة الفتنة والاختلاط كالهوشة ومنه الحديث ليس فى الهيشات قود اى فى القتيل فى الفتنة لايدرى قاتله . وما شرطية يعنى اتى لسان ينقص الفتن ويدفعها يزيد ذلك فى عقول اصحابها وجمالها وقال آخر * احفظ لسانك ايها الانسان لا يلدغنك انه ثعبان * كم فى المقابر من قتيل لسانه . كانت تهاب لقاءه الشجعان ﴿ وقد ذهب بعضهم الى ان الكلام ﴾ يعنى الجمهور على الاقتصار على قدر الحاجة فالمعطوف عليه مقدر ﴿ اذا كثر عن قدر الحاجة وزاد على حد الكفاية وكان صوابا لايشوبه خطل ﴾ اى بعد عن الصواب ﴿ وسليما لايعوده زلل فهو البيان والسحر الحلال ﴾ والبيان فصاحة اللسان والسحر صرف الشئ عن وجهه لان جودة العبارة تقبيح الشئ الواحد وتحسنه يعنى ان البيان يستميل النفوس لحسنه لبلاغته وفصاحته وحسن تأليفه فى عباراته واشاراته وتزيين مبانيه وتحسين معانيه بحيث يرتضى به الساخط ويستذل به الصعب كما يفعله السحر من الامر العجب وقد قال ابن الاثير فى وصف الكلام ليس السحر ما اودع فى جف طلعة بل ما اودع فى صوغ معنى او نظم سجعة ولذلك لبيد فى شعره اسحر من لبيد فى سحره وكلا صنعيهما من الغريب العجيب غير ان ما يستنبط من القلب اعجب مما يدفن فى القليب انتهى وقال بشار * وكأن تحت لسانها . هاروت ينفث فيه سحرا * حكى انه كان معبران لبعض الامراء وجعل وظيفة احدهما الفا والآخر نصفه وعجز ندمائه وجلساؤه عن وجه الفرق بينهما لاتحادهما فى مراتب العلم والصلاح والادب فسأله عن ذلك فقال رأيت فى النوم ان اسنانى سقطت فصاحب الالف عبر بانك تعيش بعد اقوامك كلهم وعبر الآخر بانهم يموتون قدامك جميعهم فانظروا الفرق بين العبارتين مع ان مؤداهما واحد ﴿ وقال سليمان بن عبدالملك وقد ذم الكلام فى مجلسه كلا ﴾ حرف ردع اى ما اصبتم اوليس الامر كما ظننتم ﴿ ان من تكلم فاحسن قدر على ان يسكت فيحسن وليس من سكت فاحسن قدر على ان يتكلم فيحسن ﴾ لجواز ان سكوته من عيه ﴿ ووصف بعضهم الكاتب فقال الكاتب من اذا اخذ شبرا كفاه واذا وجد طومارا ﴾ الصحيفة التى تكتب عليها ﴿ املاه ﴾ يعنى يراعى المقام فيأتى بالايجاز الوفى ولا يعجز عن الاطناب فى محله والكاتب مقابل الشاعر اى المنشئ الذى يكتب الكلام المنثور لا الخطاط ﴿ وانشد بعضهم فى خطباء اياد ﴾ وهو ابو داود بن جرير الايادى ﴿ يرمون بالخطب الطوال وتارة . وحى الملاحظ خيفة الرقباء ﴾ يقال رمى بالشئ اذا القاه والخطب جمع خطبة وقوله وحى الملاحظ نصب على المصدر اى وتارة يوحون اى يأتون بكلام سريع

وهذا المعنى مأخوذ من قصة لبيد بن الاعصم فى سحره النبى صلى الله عليه وسلم منه

خفى كحال من يلاحظ حبيبه اى ينظر اليه بمؤخر عينيه خوفا من الرقباء فيجب على البليغ ان يفصل ويشبع فى مواردها كما يجب عليه ان يجمل ويوجز فى مظانهما وقال الحافظ * بيا وحال اهل درد بشنو . بلفظ اندك ومعنى بسيار * والاشارة الخفية تغنى عن تصريح العبارة وهو مذهب للعرب ونبلاء اهل الادب وقد قالوا رب كناية تغنى عن ايضاح ورب لحظ يدل على ضمير وهى ابلغ ابواب الايجاز وفى الشريشى قال قدامة الاشارة هى اشتمال اللفظ القليل على المعانى الكثيرة باللمحة الدالة وتسمى اللمحة الدالة واصلها الاختصار وهى انواع (فمنها الوحى كقول جاهلى فى يزيد بن الصعق * تركت الركاب لاربابها . والزمت نفسى على ابن الصعق * جعلت يدىّ وشاحاله . وبعض الفوارس لا تعتنق * فقوله جعلت آه اشارة بديعية دالة على الاعتناق بغير لفظه (ومنها الايماء كقول كثير * تجافيت عنى حين لالى حيلة . وغادرت ما غادرت بين الجوانح * فقوله ما غادرت ايماء مليح (ومنها التلويح كقول المجنون * لقد كنت اعلو حب ليلى فلم يزل . بى النقص والابرام حتى علانيا * فلوح بالصحة والكتمان ثم بالسقم والاشتهار تلويحا عجيبا (ومنها التعريض كقول عمرو بن معديكرب * فلوان قومى انطقتنى رماحهم . نطقت ولكن الرماح احزت * اى لوان قومى صدقوا فى القتال وطعنوا برماحهم اعداءهم لنطقت بمدحهم ولكنهم صرفوها عنهم منهزمين فكأنها احزت لسانى اى شقته كما يحز لسان الفصيل فكأنها اسكتتنى فهذا التعريض ينوب عن التصريح وقوله * بنى عمنا لاتذكروا الشعر بعدما . دفنتم بصحراء الغمير القوافيا (ومنها التفخيم كقول الغنوى * اخى ما اخى لافاحش عند بيته . ولاروع عند اللقاء هيوب * ومن هذا التفخيم مايجئ على التهويل والتعظيم نحو قوله تعالى الحاقة ما الحاقة والقارعة ما القارعة (ومما جاء فى الاشارة على معنى التشبيه قول الاعرابى يصف لبنا ممذوقا * جاؤا بمذق هل رأيت الذئب قط * فانه اراد انه منرج بماء كثير حتى مال لونه للرماد ثم كنى به عن لؤمهم وبخلهم انتهى واسرت طئ غلاما من العرب فقدم ابوه ليفديه فاشتطوا عليه فقال ابوه والذى جعل الفرقدين يمسيان ويصبحان على جبل طئ ماعندى غيرما بذلته ثم انصرف وقال لقد اعطيته كلاما ان كان فيه خير فهمه فكأنه قال له الزم الفرقدين يعنى فى هروبك على جبل طيئ ففهم الابن ما اراده وفعل ذلك فنجى ﴿ وقال الهيثم بن صالح لابنه يابنى اذا اقللت من الكلام اكثرت من الصواب فقال يا ابت فان انا اكثرت واكثرت يعنى كلاما وصوابا ﴾ تمييزان محرفان عن المفعول ﴿ فقال يابنى مارأيت موعوظا احق بان يكون واعظا منك ﴾ متعلق باحق فهذا رجوع الى قول ابنه وتقرير له لا تعريض لرده ﴿ وانشدت لابى الفتح البستى ﴾ بضم الباء كانت بلدة عظيمة بين سجستان وهرات وغزنين ومشهورة برياضها وكونها مسقط الادباء والعلماء وابو الفتح هو على بن محمد كان كاتب صاحب البست ثم انتسب الى ابى منصور الذى فتح البست وكان من شعرائه ورجاله وله اشعار جيدة وامثال حكمية ووفاته فى اربعمأة ﴿ تكلم وسدد ما استطعت فانما . كلامك حى والسكوت جماد ﴾ يعنى الكلام من صفات الحى ولوازم العلم كما ان السكوت من لوازم الجماد او الجهل والعالم افضل من الجاهل فالكلام السديد افضل من السكوت فتكلم ما استطعت ﴿ فان لم تجد قولا سديدا تقوله . فصمتك عن غير السداد سداد ﴾ ويروى عن غير السديد سداد وهو بالفتح الصواب

والقصد من القول والعمل وبالكسر ماسددت به شيئا كسداد القارورة وسداد الثغر وهو موضع المخافة ومنه قوله ليوم كريهة وسداد ثغر. والصمت السكوت مع القدرة على الكلام وان كان مع العجز فان كان لفساد الآلة فهو الخرس او لتوقفها فهو العى ﴿ وقيل لاياس بن معاوية ﴾ بن قرة المزنى قاضى البصرة وكنيته ابو واثلة صاحب الفراسة والاجوبة البديعة يضرب به المثل فيقال ازكن من اياس والزكن التفرس بالشئ بالظن الصائب وقد الف المدائنى فى ذكائه وفراسته كتابا سماه زكن اياس ومات سنة احدى وعشرين ومائة وهو ابن ست وتسعين سنة ﴿ مافيك عيب الا كثرة الكلام فقال افتسمعون صوابا او خطأ قالوا لابل صوابا قال فالزيادة من الخير خير وقال ابو عثمان الجاحظ للكلام غاية ﴾ بحسب المقام ﴿ ولنشاط السامعين نهاية وما فضل عن مقدار الاحتمال ودعا الى الاستثقال والملال فذلك الفاضل هو الهذر وصدق ابو عثمان لان الاكثار منه وان كان صوابا يمل السامع ويكل الخاطر ﴾ اى يسئم السامع ويذهب حدة ذهنه وخاطره ﴿ وهو صادر عن اعجاب به لولاه قصر عنه ومن اعجب بكلامه استرسل فيه والمسترسل فى الكلام كثيرا لزلل دائم العثار ﴾ والكلام المباح مأمور بتركه مخافة انجراره الى الحرام فالكلام الصادر عن اعجاب واجب الترك ﴿ وقال بعض الحكماء من اعجب بقوله اصيب بعقله ﴾ من حيث افتتانه به ﴿ وليس لكثرة الهذر رجاء يقابل خوفه ولا نفع يوازى ضرره لانه ﴾ اى صاحب الهذر ﴿ يخاف من نفسه الزلل ومن سامعيه الملل وليس فى مقابلة هذين حاجة داعية ولا نفع مرجو وقد روى عن النبى صلى الله عليه وسلم ﴾ على مارواه الترمذى عن جابر ﴿ انه قال ابغضكم الى المتفيهق المكثار ﴾ من تفيهق فى كلامه اذا تنطع وتوسع كأنه ملأ به فمه والتنطع التعمق والتكلف فى الكلام لاظهار الفصاحة ﴿ والمليح المهذار ﴾ اى كثير الهذر ﴿ وسال رجل حكيما فقال متى اتكلم قال اذا اشتهيت الصمت ﴾ لئلا تسترسل فيه ﴿ فقال متى اصمت قال اذا اشتهيت الكلام . قال جعفر بن يحيى اذا كان الايجاز كافيا كان الاكثار عيا ﴾ من حيث العجز عن اختصار على مقتضى المقام ﴿ وان كان الاكثار واجبا كان التقصير عجزا ﴾ عن ايفاء المرام ﴿ وقيل فى منثور الحكم اذا تم العقل نقص الكلام ﴾ لفهمه وافهامه وانقياده وقيده الى الحق ﴿ وقال بعض الادباء من اطال صمته اجتلب من الهيبة ﴾ والوقار ﴿ ماينفعه ﴾ دنيا ودنيا ﴿ ومن الوحشة مالا يضره وقال بعض البلغاء عى تسلم منه ﴾ اى به ﴿ خير من منطق تندم عليه فاقتصر من الكلام على مايقيم حجتك ويبلغ حاجتك واياك وفضوله فانه يزل القدم ﴾ فى ورطة الكذب والمراء او التمدح ونحوه ﴿ ويورث الندم ﴾ كان بهرام جالسا تحت شجرة فسمع منها صوت طائر فرماه فاصابه فقال ما احسن من حفظ اللسان بالطائر والانسان لو حفظ هذا لسانه ما هلك ﴿ وقال بعض الفصحاء فم العاقل ملجم ﴾ بلجام التفكر ﴿ اذا هم بالكلام ﴾ الذى ليس فيه نفع ﴿ احجم ﴾ اى كف عنه وامتنع فهو مطاوع حجمه اى منعه وهذا من النوادر مثل كببته فاكب ﴿ وفم الجاهل مطلق كلما شاء اطلق ﴾ وكان ابو بكر الصديق رضى الله عنه يضع حجرا فى فيه لئلا يتبدر بالكلام ﴿ وقال بعض الشعراء ﴾ من البسيط ﴿ ان الكلام يغر القوم جلوته . حتى يلج به عى واكثار ﴾ يقال غره اذا خدعه واطمعه بالباطل وبابه مد والجلوة بالكسر ما يعطى

للعروس عندالزفاف وهو فاعل يغر يعنى انالكلام يلهى حسنه القوم ويغرهم الى ان يلج ويعترض به عى او اكثاروها غاية امرالكلام ﴿ واماالشرطالرابع ﴾ من شروط الكلام ﴿ وهو اختيار اللفظ الذى يتكلم به فلان اللسان عنوان الانسان ﴾ اى علامته التى ﴿ يترجم عن مجهوله ويبرهن عن محصوله فيلزم ان يكون بتهذيب الفاظه حريا ﴾ اى لائقا ﴿ وبتقويم لسانه مليا ﴾ اى متمتعا ﴿ روى عن النبى صلى الله عليه وسلم انه قال لعمه العباس يعجبنى جمالك قال وما جمال الرجل يارسول الله قال لسانه وقال خالد بن صفوان ماالانسان لولااللسان الا بهيمة مهملة ﴾ اى مرسلة بنفسها ﴿ او صورة ممثلة ﴾ كالدمية واللعبة او كما يرتسم على الحائط ﴿ وقال بعض الحكماء اللسان وزير الانسان ﴾ اى نائبه الذى يظهر آثار كرمه وسطوته به ﴿ وقال بعض الادباء كلام المريد ﴾ اى الطالب ﴿ وافداده ﴾ وهوالذى يرسل من جانب قومه الى الامير والسلطان ليصلح لهم مابهم قال فيلسوف كما ان الآنية تمتحن باطنانها فيفرق صحيحها ومكسورها كذلك الانسان يعرف حاله بنطقه ﴿ وقال بعض البلغاء يستدل على عقل الرجل بقوله وعلى اصله بفعله ﴾ فالعود لولم تفح منه روائحه . مافرق الناس بين العود والحطب * وقال موسى بن يحيى كان يحيى بن خالد يقول ثلاثة اشياء تدل على عقول اربابها الكتاب يدل على مقدار عقل كاتبه والرسول على مقدار عقل مرسله والهدية على مقدار مهديها ووصف بعض البلغاء اللسان وقال اللسان اداة يظهر بها حسن البيان وظاهر يخبر عن الضمير وشاهد ينبئ عن غائب وحاكم يفصل به الخطاب وناطق يرد به الجواب وشافع تدرك به الحاجة وواصف يعرف به الحقائق ومعز ينفى به الحزن ومولس تذهب به الوحشة وواعظ ينهى عن القبيح ومزين يدعو الى الحسن وزارع يحرث المودة وحاصد يستأصل الضغينة وملهم يونق الاسماع ﴿ وقال بعض الشعراء ﴾ من الطويل وهو طرفة ﴿ وان لسان المرء مالم تكن له . حصاة على عوراته لدليل ﴾ خبر ان والحصاة بفتح الحاء العقل والرأى يعنى لسان المرء دليل عوراته وشاهد قبائحه مالم يكن له عقل وروية ﴿ وليس يصح اختيار الكلام الا لمن اخذ نفسه بالبلاغة وكلفها لزوم الفصاحة حتى يصير متدربا بها معتادا لها ﴾ تفسير للتدرب قال الجاحظ وذكر لمحمد بن على بن عبدالله بن عباس بلاغة بعض اهله فقال انى لاكره ان يكون مقدار لسانه فاضلا عن مقدار علمه كما اكره ان يكون مقدار علمه فاضلا على مقدار عقله وهذا الكلام شريف نافع فاحفظوا لفظه وتدبروا معناه ثم اعلموا ان المعنى الحقير الفاسد والدنى الساقط يعشش فى القلب ثم يبيض ثم يفرخ فعند ذلك يقوى داؤه ويمتنع دواؤه لان اللفظ الهجين الردئ والمستكره الغبى اعلق باللسان وآلف للسمع واشد التحاما بالقلب من اللفظ النبيه الشريف والمعنى الرفيع الكريم ولو جالست الجهال والنوكى والسخفاء شهرا فقط لم تنق من اوضار كلامهم وخبال معانيهم بمجالسة اهل البيان والعقل دهرا لان الفساد اسرع الى الناس واشد التحاما بالطبائع والانسان بالتعلم والتكلف وبطول الاختلاف الى العلماء ومدارسة كتب الحكماء يجود لفظه ويحسن ادبه وهو لا يحتاج فى الجهل الى اكثر من ترك التعلم وفى فساد البيان الى اكثر من ترك التخير انتهى ﴿ فلا يأتى بكلام مستكره اللفظ ﴾ وقد عبر عنه اهل المعانى بالتنافر سواء كان من جهة الحروف اوالكلمات ﴿ ولا مختل المعنى ﴾

المعبر عنه عندهم بالتعقيد اللفظي والمعنوى قال معاوية يوما من افصح الناس فقال رجل من السماط قوم تباعدوا عن كشكشة تميم وتنافروا عن كسكسة بكر ليس فيهم غمغمة قضاعة ولا طمطمة حمير فقال معاوية من اولئك قال قومى قال من انت قال رجل من جرهم (قوله كشكشة تميم) فان بنى عمرو بن تميم اذا ذكرت كاف المؤنث فوقفت عليها ابدلت منها شينا قال بعضهم هل لك ان تنفعينى وانفعش وتدخلين اللذ معى والذ معش يعنى وانفعك والذ معك (وكسكسة بكر) انهم يثبتون حركة كاف المؤنث ويزيدون عليها سينا يقولون تنفعكس واعطيتكس والغمغمة ان يسمع الصوت ولا يبين تقطيع الحروف وهى من معايب النطق قال الجاحظ التمتمة التردد فى التاء والفأفأة التردد فى الفاء والعقلة التواء اللسان عند ارادة الكلام والحبسة تعذر الكلام عند ارادته واللفف ادخال حرف فى حرف والرتة تمنع الكلام فاذا جاء منه بشئ اتصل وقيل العجمة فيه واللثغة ان يعدل من حرف الى حرف والغنة ان يشرب الحرف صوت الخيشوم والخنة اشد منها واللكنة ان يعترض الكلام حرف اعجمى والطمطمة ان يكون الكلام شبيها بالعجمى ﴿ لان البلاغة ليست على معان مفردة ﴾ اذ البلاغة لا يوصف بها المفرد فلا يقال كلمة بليغة بل يوصف بها الكلام والمتكلم ﴿ ولا لالفاظها غاية ﴾ حتى يعد ويحصى بل لكل كلمة واداة موضع تخصه وتحسن فيه قال رجل من مجاشع كان الحسن يخطب فى دم فينافاجابه رجل فقال قد تركت ذلك لله ولوجوهكم فقال الحسن لا تقل هكذا بل قل لله ثم لوجوهكم وآجرك الله ومر رجل بابى بكر رضى الله عنه ومعه ثوب فقال اتبيع الثوب فقال لا عفاك الله فقال ابو بكر قل لا وعافاك الله وقال سعيد بن عثمان بن عفان لطويس المغنى اينا اسن انا او انت يا طويس فقال بابى انت وامى لقد شهدت زفاف امك المباركة الى ابيك الطيب فانظر الى حذقه والى معرفته بمخارج الكلام كيف لم يقل بزفاف امك الطيبة الى ابيك المبارك ﴿ وانما البلاغة ان تكون المعانى الصحيحة مستودعة فى الفاظ فصيحة فتكون فصاحة الالفاظ مع صحة المعانى هى البلاغة ﴾ فيستلذ السمع الفاظها ولا ينبو الطبع عن معانيها بخلاف المعانى الفاسدة فى الالفاظ الهجينة ﴿ وقد قيل لليونانى ما البلاغة قال اختيار الكلام وتصحيح الاقسام ﴾ حتى لا يخرج عنها ماهو منها ولا يدخل فيها ما ليس منها ﴿ وقيل ذلك ﴾ السؤال ﴿ للرومى فقال حسن الاختصار عند البديهة ﴾ من بدهه الامر اذا فاجأه ﴿ والغزارة يوم الاطالة ﴾ اى اكثار الكلام فى مقام الاطناب ﴿ وقيل للهندى فقال معرفة الفصل من الوصل ﴾ قال اهل المعانى ومدار البلاغة على معرفة الفصل من الوصل والجوامع لاسيما الخيالى وقال ابو الاشعث قلت لبهلة الهندى ايام اجتلب يحيى بن خالد اطباء الهند مثل منكة وبازيكر وسند باز ما البلاغة عند اهل الهند قال بهلة عندنا فى ذلك صحيفة مكتوبة لا احسن ترجمتها لك قال ابو الاشعث فلقيت بتلك الصحيفة فاذا فيها اول البلاغة اجتماع آلة البلاغة وذلك ان يكون الخطيب رابط الجاش اى شجاعا شديد القلب ساكن الجوارح قليل اللحظ متخيرا للفظ لا يكلم سيد الامة بكلام الامة ولا الملوك بكلام السوقة ويكون فى قواه فضل للتصرف فى كل طبقة ولا يدقق المعانى كل التدقيق ولا ينقح الالفاظ كل التنقيح ولا يصفيها كل التصفية ولا يهذبها غاية التهذيب حتى يصادف حكيما او فيلسوفا عليما ﴿ وقيل للعربى ﴾

ماالبلاغة ﴿فقال ماحسن ايجازه ﴾ بان لايقصر عن افادة المعنى المقصود ﴿ وقل مجـازه ﴾ لان الاكثار منه داع الى التعقيد وعدم الانتقال الى المراد ﴿ وقيل للبدوى فقال مادون السحر ﴾ فى استمالة القلوب المتنفرة وجمع الاهواء المتفرقة ﴿ وفوق الشعر ﴾ فى استبساط النفس واستقباضها ﴿ يفت الخردل ﴾ من فت الشئ من الباب الاول اذا دقه وكسره بالاصابع ﴿ ويحط الجندل ﴾ وهو مايقله الرجل من الحجارة امامن حط الشئ اذا وضعه او من حط الاسكاف الجلد اذاصقله ونقشه بالمحطة يعنى يدقق الدقيق ويلين الغليظ ويسهل المصاعب ويقرب الاباعد ويحسن القبيح ويزين الكريه الى ان يبلغ غرضه وقد عقد ابن الاثير فصلا وسماه الاستدراج وقال وهذا الباب استخرجته انا من كتاب الله تعالى وهو مخادعات الاقوال التى تقوم مقـام مخادعات الافعـال والكلام فيه وان تضمن بلاغة فليس الغرض ههنا ذكر بلاغته فقط بل الغرض ذكرما تضمنه من النكت الدقيقة فى استدراج الخصم الى الاذعان والتسليم واذا حقق النظر فيه علم ان مدار البلاغة كلها عليه لانه لاانتفاع بايراد الالفاظ المليحة الرائقة ولا المعانى اللطيفة الدقيقة دون ان تكون مستجلبة لبلوغ غرض المخـاطب بهـا والكلام فى مثل هذا ينبغى ان يكون قصيرا فى خلابه لاقصيرا فى خطابه فاذا لم يتصرف الكاتب فى استدراج الخصم الى القـاء يده والا فليس بكاتب ولاشبيه له الا صاحب الجدل فكمـا ان ذلك يتصرف فى المغالطات القياسـية فكذلك هذا يتصرف فى المغالطات الخطابية وقد ذكرت فى هذا النوع ما يتعلم منه سـلوك هذا الطريق (فمن ذلك) قوله تعـالى وقال رجل مؤمن من آل فرعون يكتم ايمانه اتقتلون رجلا ان يقول ربى الله وقد جاءكم بالبينات من ربكم وان يك كاذبا فعليه كذبه وان يك صادقا يصبكم بعض الذى يعدكم ان الله لايهدى من هو مسرف كذاب الاترى ما احسن مأخذ هذا الكلام والطفه فانه اخذهم بالاحتجاج على طريقة التقسيم فقال لايخلو هذا الرجل من ان يكون كاذبا فكذبه يعود عليه ولا يتعداه او يكون صـادقا يصبكم بعض الذى يعدكم ان تعرضتم له وفى هذا الكلام من حسن الادب والانصاف ما اذكره لك فاقول انما قال يصبكم بعض الذى يعدكم وقد علم انه نبى صادق وان كل ما يعدهم به لابدوان يصيبهم لا بعضه لانه احتاج فى مقـاولة خصوم موسى عليه السلام ان يسلك معهم طريق الانصاف والملاطفة فى القول ويأتيهم من جهة المناصحة ليكون ادعى الى سكونهم اليه فجاء بما علم انه اقرب الى تسليمهم لقوله وادخل فى تصديقهم اياه فقال وان يك صـادقا يصبكم بعض الذى يعدكم وهو كلام المنصف فى مقابلة غير المشطط وذلك انه حين فرضه صـادقا فقد اثبت انه صـادق فى جمع ما يعد به لكنه اردف بقوله يصبكم بعض الذى يعدكم ليهضمه بعض حقه فى ظاهر الكلام فيريهم انه ليس بكلام من اعطاه حقه وافيا فضلا من ان يتعصب له وتقديم الكاذب على الصادق من هذا القبيل كأنه برطلهم فى صدر الكلام بما يزعمونه لئلا ينفروا منه وكذلك قوله فى آخر الآية ان الله لايهدى من هو مسرف كذاب اى هو على الهدى ولوكان مسرفا كذابا لما هداه الله للنبوة ولا عضده بالبينات وفى هذا الكلام من خداع الخصم واستدراجه مالا خفأ به وقد تضمن من اللطائف الدقيقة ماذا تأملته حق التأمل اعطيته حقه من الوصف انتهى وفيه امثلة اخرى ومما انشده العلامة قطب الدين الشيرازى * خير الورى بعد النبى * من بنته فى بيته *

من فى دجى ليل العمى. ضوء الهدى فى زيته ﴿ وقيل للحضرى ﴾ ما البلاغة ﴿ فقال ما كثر اعجازه ﴾
والاعجاز فى الكلام هو ان يؤدى المعنى بطريق ابلغ من جميع ما عداه وقيل ان يرتقى الكلام فى بلاغته
الى ان يخرج عن طوق البشر ويعجزهم عن معارضته وذلك هو الطرف الا على من البلاغة
﴿ وتناسبت صدوره واعجازه ﴾ جمع عجز بمعنى مؤخر الشئ اى يكون مطلع الكلام من الشعر
اوالرسائل دالا على المعنى المقصود من ذلك الكلام ان كان هناء فهناء اوكان عزاء فعزاء الى
غير ذلك من المعانى وفائدته ان يعرف من مبدء الكلام ما المراد منه ﴿ وقال ابن المقفع البلاغة
قلة الحصر والجراءة على البشر ﴾ وقد تقدم ان الجراءة من تمام آلة البلاغة ومن الوصايا الساسانية
وعليك بالاقدام ولو على الضرغام فان جراءة الجنان تنطق اللسان وتطلق العنان ﴿ وسأل
الحجاج ابن القرية ﴾ بكسر القاف وتشديد الراء المكسورة احد فصحاء العرب واسمه ايوب
والقرية اسم امه وكان من الحفاظ نقل الكتب القديمة الى العربية قتله الحجاج ﴿ عن الايجاز
فقال ان تقول فلا تبطئ ﴾ فى القول ﴿ وان تصيب فلا تخطئ ﴾ فيما بدهته كما قيل *
بداهته مثل تفكيره . متى تلقه فهو مستجمع ﴿ وقال الشاعر ﴾ من المجتث ﴿ خير الكلام
قليل . على كثير دليل ﴾ يعنى ماقل لفظه وكثر معناه مع اتصاف الالفاظ باوصافها الحسنة
وهذا هو الايجاز الوفى الذى لا يتعلق به الا فرسان البلاغة ورب لفظ قليل يدل على معنى
كثير ورب لفظ كثير يدل على معنى قليل ومدار النظر انما يختص بالمعانى ومثاله كالجوهرة
الواحدة بالنسبة الى الدراهم الكثيرة فمن ينظر الى طول الالفاظ يؤثر الدراهم لكثرتها
ومن نظر الى شرف المعانى يؤثر الجوهرة الواحدة لنفاستها ﴿ والعى معنى قصير . يحويه
لفظ طويل ﴾ قال الجاحظ حدثنى صديق لى قال قلت للعتابى ما البلاغة قال كل
من افهمك حاجته من غير اعادة ولا حبسة ولا استعانة فهو بليغ يظهر ما غمض من الحق
ويصور الباطل فى صورة الحق قال فقلت له قد عرفت الاعادة والحبسة فما الاستعانة قال اما تراه
اذا تحدث قال عند مقاطع كلامه ياهناه ويا هذا وياهيه واسمع منى واستمع الى وافهم عنى
اولست تعقل فهذا كله وما اشبهه عى وفساد ﴿ وفى الكلام فضول . وفيه قال وقيل ﴾
فالايجاز حذف فضول الكلام وزيادته من نحو وقال فلان وقيل كذا ويحتمل كذا وكذا
﴿ واما صحة المعانى فتكون من ثلاثة اوجه احدها ايضاح ﴾ مشكلها ﴿ وتفسير ﴾ مجملها ﴿ حتى
لاتكون ﴾ المعانى ﴿ مشكلة ولا مجملة ﴾ والمشكل هو ما ينال المراد منه الا بتأمل بعد الطلب
قال السيد الشريف المشكل هو الداخل فى اشكاله اى فى امثاله واشباهه مأخوذ من قولهم اشكل
اى صار ذا شكل كما يقال احرم اذا دخل فى الحرم و صار ذا حرمة مثل قوله تعالى قوارير
من فضة انه اشكل فى اوانى الجنة لاستحالة اتخاذ القارورة من الفضة والاشكال هى الفضة
و الزجاج فاذا تأملنا علمنا ان تلك الاوانى لا تكون من الزجاج ولا من الفضة بل لها حظ منهما اذ
القارورة تستعار للصفاء والفضة للبياض فكانت الاوانى فى صفاء القارورة و بياض الفضة. والمجمل
هو ما خفى المراد منه بحيث لا يدرك بنفس اللفظ الا ببيان من المجمل سواء كان ذلك لتزاحم
المعانى المتساوية الاقدام كالمشترك اولغرابة اللفظ كالهلوع او لانتقاله من معناه الظاهر الى ماهو
غير معلوم فترجع الى الاستفسار ثم الطلب ثم التأمل كالصلاة و الزكاة و الربا فان الصلاة فى

اللغة الدعاء وذلك غير مراد وقد بينها النبي صلى الله عليه وسلم بالفعل فنطاب المعنى الذى جعلت الصلاة لاجله صلاة أهو التواضع والخشوع او الاركان المعلومة ثم نتأول اى نتعدى الى صلاة الجنازة فيمن خلفه ويصلى املا ﴿ والثانى استيفاء تقسيمها حتى لايدخل فيها ماليس منها ولايخرج عنها ماهو فيها ﴾ اى فى الاقسام وقد انشدوا عمر رضى الله عنه شعرا لزهير وكان لشعره مقدما فلما انتهوا الى قوله * وان الحق مقطعه ثلاث . يمين اونفار اوجلاء * قال عمر كالمتعجب من علمه بالحقوق وتفصيله بينها واقامته اقسامها * وان الحق مقطعه ثلاث . يمين او نفارا وجلاء * يردد البيت من التعجب والشدوه قصيدة عبدة بن الطيب فلما بلغ المنشد الى قوله * والمرء ساع لامر ليس يدركه . والعيش شح واشفاق وتأميل * قال عمر متعجبا والعيش شح واشفاق وتأميل . يعجب من حسن ماقسم وفصل وقال الصفدى ومن هذا النوع المسمى بصحة التقسيم قول ابى الطيب * للسبى مانكحوا. والقتل ماولدوا. والنهب ماجمعوا. والنار مازرعوا. والتقسيم ضم قيود متخالفة الى المقسم بحيث يحصل عن كل واحد منها قسم ﴿ والثالث صحة مقابلاتها والمقابلة تكون من وجهين احدهما مقابلة المعنى بما يوافقه وحقيقة هذه ﴾ المقابلة هى ﴿ المقاربة لان المعانى تصير متشاكلة ﴾ حينئذ لامتقابلة ومتضادة ﴿ والثانى مقابلته بما يضاده وهو حقيقة المقابلة ﴾ وسئل قدامة عن المقابلة فقال هى ان يضع الشاعر الفاظا يعتمد التوافق بين بعضها وبعض فى المخالفة فيأتى فى الموافق بما يوافق وفى المخالف بما يخالف وانشد فى ذلك * فيا عجبا كيف اتفقنا فناصح . وفى ومطوى على الغش غادر * فجعل بازاء ناصح وفى غاشا غادرا ومثله * فتى تم فيه مايسر صديقه . على ان فيه مايسوء الاعاديا * وفى البديع المقابلة هى ان يؤتى بمعنيين متوافقين او اكثر ثم يؤتى بما يقابل ذلك المذكور من المعنيين المتوافقين او المعانى المتوافقة على الترتيب والمراد بالتوافق خلاف التقابل نحو فليضحكوا قليلا وليبكوا كثيرا ومقابلة الثلاثة بالثلاثة كقوله * ما احسن الدين والدنيا اذا اجتمعا. واقبح الكفر والافلاس بالرجل ﴿ وليس للمقابلة الا احد هذين الوجهين الموافقة فى الائتلاف والمضادة مع الاختلاف * واما فصاحة الالفاظ فتكون بثلاثة اوجه احدها مجانبة الغريب الوحشى حتى لايمجه سمع ولاينفر منه طبع ﴾ اى سمع المستمع وطبعه قال ابن الاثير ان الكلام الفصيح هو الظاهر البين واعنى بالظاهر البين ان تكون الفاظه مفهومة لايحتاج فى فهمها الى استخراج من كتاب لغة وانما كانت بهذه الصفة لانها تكون مألوفة الاستعمال بين ارباب النظم والنثر دائرة فى كلامهم وانما كانت مألوفة الاستعمال دائرة فى كلامهم دون غيرها من الالفاظ لمكان حسنها وذلك ان ارباب النظم والنثر غربلوا اللغة باعتبار الفاظها وسبروا وقسموا فاختاروا الحسن من الالفاظ فاستعملوه ونفوا القبيح منها فلم يستعملوه فحسن الاستعمال سبب استعمالها دون غيرها واستعمالها دون غيرها سبب ظهورها وبيانها فالفصيح اذا من الالفاظ هو الحسن انتهى وكتب الصفى الحلى الى بعض الفضلاء وقد بلغه انه اطلع على ديوانه وقال لاعيب فيه سوى انه خال عن الالفاظ الغريبة . انما الحيزبون والدردبيس . والطخا والنقاخ والعلطبيس * والطفاريس والشقحطب والصقعب والحربصيص والعيطموس * الى ان قال * لغة تنفر المسامع منها. حين تروى وتشمئز

النفوس * درست هذه اللغات واضحى . مذهب الناس مايقول الرئيس * انما هذه القلوب حديد . ولذيذ الالفاظ مغناطيس ﴿ والثانى تنكب اللفظ المستبذل ﴾ اى التجاوز عنه والميل الى غيره ﴿ و العدول عن الكلام المسترذل حتى لايستسقطه خاصى ﴾ لابتذاله ﴿ ولا ينبو عن فهم عامى ﴾ لغرابته عندهم ﴿ كما قال الجاحظ فى كتاب البيان ﴾ وكما لا ينبغى ان يكون اللفظ عاميا ساقطا سوقيا فكذلك لاينبغى ان يكون غريبا وحشيا الا ان يكون المتكلم بدويا اعرابيا فان الوحشى من الكلام يفهمه الوحشى من الناس كما يفهم السوقى رطانة السوقى و كلام الناس فى طبقات كما ان الناس انفسهم فى طبقات ﴿ اما انا فلم ارقوما امثل طريقة ﴾ واقوم ﴿ فى البلاغة من الكتاب وذلك انهم قد التمسوا من الالفاظ مالم يكن متوعرا ﴾ من توعر الطريق اذا صلب والالفاظ طرق المعانى ﴿ وحشيا ﴾ بان تكون غير مأنوسة الاستعمال ﴿ ولا ساقطا عاميا ﴾ وقال عبد الحميد لوكان الوحى ينزل على احد بعد الانبياء نزل على كتاب الانشاء وقال خير الكلام ماكان لفظه فحلا اى يعرفه كل احد و معناه بكرا اى لم يمسسه لامس و لم يطمثه طامث يعنى ان تكون الالفاظ المستعملة مسبوكة سبكا غريبا يظن السامع انها غير مافى ايدى الناس و هى مما فى ايديهم ﴿ والثالث ان يكون بين الالفاظ و معانيها مناسبة و مطابقة اما المطابقة فهى ان تكون الالفاظ كالقوالب لمعانيها فلا تزيد عليها ﴾ بالتطويل او بايراد الالفاظ والجمل المترادفة ﴿ ولا تنقص عنها ﴾ بحيث تقصر عن اداء المراد اما بكثرة الحذف او بارادة اللوازم البعيدة ﴿ وقال بشر بن المعتمر فى وصيته فى البلاغة ﴾ وقد مر بابراهيم بن جبلة بن مخرمة السكونى الخطيب وهو يعلم فتيانهم الخطابة فوقف بشر فظن ابراهيم انه انما وقف ليستفيد او ليكون رجلا من النظارة فقال بشر اضربوا عما قال صفحا واطووا عنه كشحا ثم دفع اليهم صحيفة من تحبيره وتنميقه وكان اول ذلك الكلام خذ من نفسك ساعة نشاطك وفراغ بالك واجابتها اياك فان قليل تلك الساعة اكرم جوهرا واشرف حسبا واحسن فى الاسماع واحلى فى الصدور واسلم من فاحش الخطاء واجلب لكل عين وعزة من لفظ شريف ومعنى بديع . واعلم ان ذلك اجدى عليك مما يعطيك يومك الاطول بالكد والمطاولة والمجاهدة وبالتكلف والمعاودة ومهما اخطأك لم يخطئك ان يكون مقبولا قصدا وخفيفا على اللسان سهلا وكما خرج من ينبوعه ونجم من معدنه واياك والتوعر فان التوعر يسلمك الى التعقيد والتعقيد هو الذى يستهلك معانيك ويشين الفاظك ومن اراغ معنى كريما فليلتمس له لفظا كريما فان حق المعنى الشريف اللفظ الشريف ومن حقهما ان تصونهما عما يفسدهما ويهجنهما وعما تعود من اجله الى ان تكون اسوء حالا منك قبل ان تلتمس اظهارهما وترتهن نفسك بملابستهما وقضاء حقهما وكن فى ثلاث فان اولى الثلاث ان يكون لفظك رشيقا عذبا وفخما سهلا ويكون معناك ظاهرا مكشوفا وقريبا معروفا اما عند الخاصة ان كنت للخاصة قصدت واما عند العامة ان كنت للعامة اردت والمعنى ليس يشرف بان يكون من معانى الخاصة وكذلك ليس يتضع بان يكون من معانى العامة وانما مدار الشرف على الصواب واحراز المنفعة مع موافقة الحال وما يجب لكل مقام من المقال وكذلك اللفظ العامى والخاصى فان امكنك ان تبلغ من بيان لسانك وبلاغة قلمك ولطف مداخلك واقتدارك على نفسك على

ان تفهم العامة معانى الخاصة وتكسوها الالفاظ الواسطة التى لاتلطف عن الدهماء ولا تجفو عن الاكفاء فانت البليغ التام قال بشر فلما قرأت على ابراهيم قال لى انا احوج الى هذه من هؤلاء الفتيان قال بشر فان كانت المنزلة الاولى لاتواتيك ولا تعتريك ولا تسنح لك عند اول نظرك وفى اول تكلفك ﴿ اذا لم تجد اللفظة واقعة موقعها ولا صائرة الى مستقرها ولا القافية حالة فى مركزها ولا متصلة بشكلها بل وجدتها قلقة ﴾ اى مضطربة ﴿ فى مكانها نافرة عن موضعها فلا تكرهها ﴾ اى لاتكره الالفاظ ولاتجبرها ﴿ على القرار فى غير موضعها ﴾ والنزول فى غير اوطانها ﴿ فانك ان لم تتعاط قريض الشعر الموزون ﴾ وقرض الشعر هو التكلم بالكلام الموزون والقريض الشعر فاضافته اليه بيانية ﴿ ولم تتكلف اختيار الكلام المنثور لم يعبك بترك ذلك ﴾ الشعر او المنثور ﴿ احد وان انت تكلفتهما ولم تكن حاذقا فيهما عابك من انت اقل عيبا منه وازرأ عليك ﴾ اى حقرك متعاظما عليك ﴿ من انت فوقه ﴾ ثم قال بشر فان ابتليت بان تتكلف القول وتتعاطى الصنعة ولم تسمح لك الطباع فى اول وهلة وتعصى عليك بعد اجالة الفكر فلاتعجل ولا تضجر ودعه بياض يومك او سواد ليلك وعاوده عند نشاطك وفراغ بالك فانك لاتعدم الاجابة والمواتاة ان كانت هناك طبيعة او جريت من الصناعة على عرق فان تمنّع عليك بعد ذلك من غير حادث شغل عرض ومن غير طول اهمال فالمنزلة الثالثة ان تحول من هذه الصناعة الى اشهى الصناعات اليك واخفها عليك فانك لم تشتهه ولم تنازع اليه الا وبينكما نسب والشئ لا يحن الا الى ما يشاكله لان النفوس لاتجود بمكنونها مع الرغبة ولا تسمح بمخزونها مع الرهبة كما تجود به مع المحبة والشهوة فكهذ اهذا وقال ينبغى للمتكلم ان يعرف اقدار المعانى ويوازن بينها وبين اقدار المستمعين وبين اقدار الحالات فيجعل لكل طبقة من ذلك كلاما ولكل حالة من ذلك مقاما حتى يقسم اقدار الكلام على اقدار المعانى ويقسم اقدار المعانى على اقدار المقامات واقدار المستمعين على اقدار تلك الحالات فان كان الخطيب متكلما تجنب الفاظ المتكلمين كما اذا عبر عن شئ من صناعة الكلام واصفا او مجيبا او سائلا كان اولى الالفاظ به الفاظ المتكلمين انتهى * وقد يستحسن الفاظ ارباب الصنائع على جهة التظرف والتملح كما قال ابو نصر الفارابى * اخى خل حيز ذى باطل . وكن والحقائق فى حيز * فما نحن الاخطوط وقعن على نقطة وقع مستوفز * ينافس هذا لهذا على . اقل من الكلم الموجز * محيط السموات اولى بنا . فماذا التزاحم فى المركز * اوللتورية والايهام كقول بعضهم فى قاض اسمه عمر عزل عن القضاء وولى مكانه آخر اسمه احمد لمال بذله لذلك * ايا عمر استعد لغير هذا . فاحمد بالولاية مطمئن * وتصدق فيك معرفة وعدل . ولكن فيه معرفة ووزن * وقد اكثر الشعراء الاقتباس من كل فن وقد يتلمح بان يدخل فى شعره شيئا من الفارسية واظرف ماصادفته من ذلك قوله * سيبة من شهر اصفاهانة . آمدت من دوستى الجانانة * فى دلى رخسار يار كنجة بنهنت فى كوشة الويرانة ﴿ واما المناسبة ﴾ بين الالفاظ ومعانيها ﴿ فهى ان يكون المعنى يليق ببعض الالفاظ اما لعرف مستعمل اولاتفاق مستحسن حتى اذا ذكر تلك المعانى بغير تلك الالفاظ كانت نافرة عنها ﴾ اى عن تلك المعانى ﴿ وان كانت افصح واوضح لاعتياد ماسواها ﴾

النفوس * درست هذه اللغات واضحى . مذهب الناس مايقول الرئيس * انما هذه القلوب حديد . ولذيذ الالفاظ مغناطيس ﴿ و الثانى تنكب اللفظ المستبذل ﴾ اى التجاوز عنه و الميل الى غيره ﴿ و العدول عن الكلام المسترذل حتى لايستسقطه خاصى ﴾ لابتذاله ﴿ ولاينبو عن فهم عامى ﴾ لغرابته عندهم ﴿ كما قال الجاحظ فى كتاب البيان ﴾ وكما لا ينبغى ان يكون اللفظ عاميا ساقطا سوقيا فكذلك لاينبغى ان يكون غريبا وحشيا الاان يكون المتكلم بدويا اعرابيا فان الوحشى من الكلام يفهمه الوحشى من الناس كما يفهم السوقى رطانة السوقى و كلام الناس فى طبقات كما ان الناس انفسهم فى طبقات ﴿ اما انا فلم ارقوما امثل طريقة ﴾ واقوم ﴿ فى البلاغة من الكتاب وذلك انهم قدالتمسوا من الالفاظ مالم يكن متوعرا ﴾ من توعر الطريق اذا صلب والالفاظ طرق المعانى ﴿ وحشيا ﴾ بان تكون غير مأنوسة الاستعمال ﴿ ولاساقطا عاميا ﴾ وقال عبدالحميد لوكان الوحى ينزل على احد بعد الانبياء نزل على كتاب الانشاء وقال خير الكلام ماكان لفظه فحلا اى يعرفه كل احد و معناه بكرا اى لم يمسسه لامس و لم يطمثه طامث يعنى ان تكون الالفاظ المستعملة مسبوكة سبكا غريبا يظن السامع انها غير مافى ايدى النـاس و هى مما فى ايديهم ﴿ والثالث ان يكون بين الالفاظ و معانيها مناسبة و مطابقة اما المطابقة فهى أن تكون الالفـاظ كالقوالب لمعانيهـا فلا تزيد عليها ﴾ بالتطويل اوبايراد الالفاظ والجمل المترادفة ﴿ ولاتنقص عنها ﴾ بحيث تقصر عن اداء المراد اما بكثرة الحذف او بارادة اللوازم البعيدة ﴿ وقال بشر بن المعتمر فى وصيته فى البلاغة ﴾ وقد مر بابراهيم بن جبلة بن مخرمة السـكونى الخطيب وهو يعلم فتيانهم الخطابة فوقف بشر فظن ابراهيم انه انما وقف ليستفيد او ليكون رجلا من النظارة فقال بشر اضربوا عما قال صفحا واطووا عنه كشحا ثم دفع اليهم صحيفة من تحبيره وتنميقه وكان اول ذلك الكلام خذ من نفسك ساعة نشاطك وفراغ بالك واجابتها اياك فان قليل تلك الساعة اكرم جوهرا واشرف حسبا واحسن فى الاسماع واحلى فى الصدور واسـلم من فاحش الخطاء واجلب لكل عين وغرة من لفظ شريف ومعنى بديع . واعلم انذلك اجدى عليك مما يعطيك يومك الاطول بالكد والمطاولة والمجاهدة وبالتكلف والمعـاودة ومهما اخطأك لم يخطئك ان يكون مقبولا قصـدا وخفيفا على اللسـان سهلا وكما خرج من ينبوعه ونجم من معدنه واياك والتوعر فان التوعر يسلمك الى التعقيد والتعقيد هو الذى يستهلك معانيك ويشين الفاظك ومن اراغ معنى كريما فليلتمس له لفظا كريما فان حق المعنى الشريف اللفظ الشريف ومن حقهما ان تصونهما عما يفسدهما ويهجنهما وعما تعود من اجله الى ان تكون اسوء حالا منك قبل ان تلتمس اظهارهما وترتهن نفسك بملا بستهما وقضاء حقهما وكن فى ثلاث فان اولى الثلاث ان يكون لفظك رشيقا عذبا وفخما سهلا ويكون معناك ظاهرا مكشـوفا وقريبا معروفا اما عند الخاصة ان كنت للخاصة قصدت واما عند العامة ان كنت للعامة اردت والمعنى ليس يشرف بان يكون من معانى الخاصة وكذلك ليس يتضـع بان يكون من معـانى العامة وانما مدار الشرف على الصواب واحراز المنفعة مع موافقة الحال وما يجب لكل مقام من المقال وكذلك اللفظ العامى والخاصى فان امكنك ان تبلغ من بيان لسانك وبلاغة قلمك ولطف مداخلك واقتدارك على نفسك على

(ان تفهم)

وكلاهما شين ﴾ وعيب ﴿ وان سلم من الكذب ﴾ كل منهما ﴿ يروى انه لما قدم على رسول الله صلى الله عليه وسلم وفد تميم ﴾ سنة تسع قال العينى ذكر ابن اسحق ان اشراف بنى تميم قدموا على النبى صلى الله عليه وسلم منهم عطارد بن حاجب الدارمى والاقرع بن حابس الدارمى والزبرقان بن بدر السعدى وعمرو بن الاهتم المنقرى وقيس بن عاصم المنقرى فلما دخلوا المسجد نادوا رسول الله صلى الله عليه وسلم من وراء حجرته فنزل فيهم ان الذين ينادونك من وراء الحجرات الى قوله غفور رحيم فاسلموا وجوزهم ﴿ سأل رسول الله صلى الله عليه وسلم عمرو بن ﴾ سنان ﴿ الاهتم ﴾ ولقب سنان بالاهتم لانه هتمت ثنيته يوم الكلاب وعمرو من اكابر سادات بنى تميم وشعرائهم وخطبائهم فى الجاهلية والاسلام وهو بليغ القول طلق العبارة وفد هو والزبرقان بن بدر على رسول الله صلى الله عليه وسلم وكان يكرمهما ﴿ عن الزبرقان بن بدر فمدحه ﴾ روى البخارى فى كتاب النكاح وغيره عن ابن عمر رضى الله عنهما انه قال جاء رجلان من المشرق) اراد به مشرق المدينة وهو طرف نجد وهما زبرقان بن بدر وعمرو بن الاهتم (فخطبا) فقال الزبرقان يارسول الله انا سيد تميم والمطاع فيهم والمجاب امنعهم من الظلم وآخذ لهم بحقوقهم وهذا يعلم ذلك يعنى عمرا فقال عمرو انه لشديد المعارضة مانع لجانبه مطاع فى ادانيه ﴿ فقال الزبرقان والله يارسول الله لقد علم انى خير مما وصف ولكن حسدنى فذمه عمرو وقال ﴾ انا احسدك فوالله يارسول الله انه لئيم الخال حديث المال احمق الوالد مضيع فى العشيرة ﴿ والله يارسول الله لقد صدقت فى الاولى وما كذبت فى الاخرى ﴾ اى فى كلمة الذم ﴿ ولكنى رجل اذا رضيت قلت احسن ماعلمت واذا غضبت قلت اقبح ماوجدت ﴾ كذا فى العينى وسرح العيون فما وقع فى نسخ المتن من قيس بن عاصم فى الموضعين وهم لما سبق ان قيسا هو اول من وأد فى الجاهلية ولم يذمه به ﴿ فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم ﴾ بالاسناد السابق ﴿ ان من البيان لسحرا ﴾ اى كالسحر بسبب اشتماله على عبارات فصيحة مزخرفة فيميل القلوب اليه كالسحر فان كان لنصرة الحق فحلال وان كان لستر الحق ونصرة الباطل فحرام ﴿ على ان السلامة من الكذب فى المدح والذم متعذرة ﴾ لان المقبول فيهما المبالغة ﴿ لاسيما اذا مدح تقربا ﴾ يبرز جميع ماهو للممدوح فى معرض الفعل وان لم يتصف به ازلا وابدا بل يغصب محاسن الغير له ﴿ وذم تحنقا ﴾ اى لاجل تسكين غيظه وغضبه وقد استعاذ النبى عليه السلام من شماتة الاعداء ﴿ وحكى عن الاحنف بن قيس انه قال سهرت ليلتى ﴾ من باب علم اى ما نمت ﴿ افكر فى كلمة ارضى بها سلطانى ولا اسخط بها ربى فما وجدتها. وقال عبد الله بن مسعود ان الرجل ليدخل على السلطان ومعه دينه فيخرج وما معه دينه قيل وكيف ذلك قال يرضيه بما يسخط الله عز وجل ﴾ وروى البخارى عن ابى موسى الاشعرى رضى الله عنه قال سمع النبى صلى الله عليه وسلم رجلا يثنى على رجل ويطريه فى مدحه فقال اهلكتم او قطعتم ظهر الرجل والاطراء هو المبالغة فى المدح وانما قال اهلكتم لئلا يغتر الرجل ويرى انه عند الناس كذلك بتلك المنزلة ليحصل منه العجب فيجد اليه سبيلا قال العينى واشار به الى ان الثناء على الرجل فى وجهه لايكره وانما يكره الاطناب انتهى * والمدح وصف الممدوح باخلاق يمدح عليها صاحبها ويكون نعتا حميدا وهذا ثبت من المولى فى حق عبيده فمدح الانبياء عليهم

السلام والمؤمنين فقال قد افلح المؤمنون الذينهم فى صلاتهم خاشعون الآيات فعلى هذا يجوز مدح الانسان بمافيه من الاخلاق الحميدة واما قوله صلى الله عليه وسلم اذا رأيتم المداحين فاحثوا فى وجوههم التراب فقد قال العتبي هو المدح الباطل والكذب واما مدح الرجل بما فيه فلا بأس به وقد مدح ابو طالب والعباس وحسان وكعب وغيرهم رسول الله صلى الله عليه وسلم ولم يبلغنا انه حثا فى وجه مادح ترابا وقد مدح النبى صلى الله عليه وسلم المهاجرين والانصار رضوان الله عليهم اجمعين ﴿ وسمع ابن الرومى رجلا يصف رجلا ويبالغ فى مدحه فانشأ يقول ﴾ من المتقارب ﴿ اذا ماوصفت امرألامرىء. فلا تغل فى وصفه واقصد ﴾ الغلو تجاوز الحد والقصد الجانبة عن الافراط ﴿ فانك ان تغل تغل الظنو.ن فيه الى الامد الا بعد ﴾ قوله تغل الاول من الغلو والثانى من الغليان يقال غلت القدر اذا جاشت والامد الشيء غايته ومنتهاه ﴿ فيضأل من حيث عظمته. لفضل المغيب على المشهد ﴾ يقال رجل ضئيل اى صغير دقيق وبابه حسن اى فيصير الموصوف الغائب حقيرا عند الشاهد لان ذلك التفضيل يهيج حسد الشاهد وغضبه عليه اذقد ذممته بمدحه. ومدح رجل هشام بن عبد الملك فقال له ياهذا انه قد نهى عن مدح الرجل فى وجهه فقال مامدحتك ولكن ذكرتك نعم الله تعالى عليك لتجدد لها شكرا فقال له هشام هذا احسن من المدح ووصله واكرمه ﴿ ومن آدابه ان لا تبعثه الرغبة والرهبة على الاسترسال فى وعد او وعيد يعجز عنهما ولا يقدر على الوفاء بهما فان من اطلق بهما لسانه وارسل فيهما عنانه ولم يستثقل من القول مايستثقله من العمل صار وعده نكثا ﴾ اى خلفا من نكث الحبل والعهد اذا نقضه ﴿ ووعيده عجزا. وحكى ان سليمان بن داود عليهما السلام مر بعصفور يدور حول عصفورة فقال لاصحابه هل تدرون مايقول لها قالوا لا يانبى الله قال انه يخطبها لنفسه ﴾ اى يدعوها الى التزوج ﴿ ويقول لها زوجنى نفسك اسكنك اى غرف دمشق شئت ﴾ جمع الغرفة العلية ﴿ وقال سليمان عليه السلام كذب العصفور فان غرف دمشق مبنية بالصخور ﴾ جمع صخرة وهى الحجر الصلب والعظيم ﴿ لا يقدران يسكنها هناك ولكن كل خاطب كاذب ﴾ وفيه ايماء الى جواز ذلك الوعد ﴿ ومن آدابه ان قال قولا حققه بفعله واذا تكلم بكلام صدقه بعمله فان ارسال القول اختيار والعمل باضطرار ﴾ لان المرء مؤاخذ باقراره ولئلا يكون هو اول مكذب قوله ﴿ ولان يفعل ﴾ اللام للقسم وان ناصبة ﴿ مالم يقل اجمل من ان يقول مالم يفعل وقال بعض الحكماء احسن الكلام مالا يحتاج فيه الى الكلام اى يكتفى بالفعل من القول ﴾ فالكلام الاول عبارة عن المعنى القائم بالنفس ﴿ وقال محمود الوراق ﴾ من السريع المصرع ﴿ القول ماصدقه الفعل . والفعل ماوكده العقل ﴾ يعنى القول الصحيح ماصدقه الفعل والفعل الحسن ماوكده العقل الراجح ﴿ لا يثبت القول اذا لم يكن . يقله من تحته الاصل ﴾ قوله يقله من قل الشيء اذا حمله ورفعه من الباب الثانى يعنى اذا لم يرفعه القائل بعمله كأن العمل عمود القول وعلته الصورية ﴿ ومن آدابه ان يراعى مخارج كلامه بحسب مقاصده واغراضه فان كان ترغيبا قرنه ﴾ فى التلفظ ﴿ باللين واللطف وان كان ترهيبا خلطه بالخشونة والعنف فان لين اللفظ فى الترهيب وخشونته فى الترغيب خروج عن موضعهما وتعطيل للمقصود بهما فيصير الكلام لغوا والغرض المقصود لهوا ﴾ وفى الشمائل الشريفة (كان اذا خطب) اى وعظ (احمرت عيناه وعلا صوته واشتد

غضبه كأنه منذر جيش عظيم) قصد الاغارة عليهم ﴿ وقد قال ابو الاسود الديلى لابنه يا بنى ان كنت فى قوم فلا تتكلم بكلام من هو فوقك ﴾ وهو الجهر والخشونة ﴿ فيمقتوك ﴾ اى يبغضوك على ذلك الكلام ﴿ ولا بكلام من هو دونك ﴾ وهو اللين والتواضع ﴿ فيزدروك ﴾ اى يحقروك ﴿ ومن آدابه ان لا يرفع بكلامه صوتا مستكرها ﴾ بالافراط فى الخشونة ﴿ ولا ينزعج له ﴾ عن مكانه ﴿ انزعاجا مستهجنا ﴾ يقال ازعجه فانزعج اى قلعه عن مكانه فاقتلع ﴿ وليكف عن حركة تكون طيشا ﴾ وخفة اى حمقا وبلاهة من طاش الرجل اذا ذهب عقله ﴿ وعن حركة تكون عيا ﴾ كتحريك اليدا والرأس لافادة مايقصر عنه لسانه ﴿ فان نقص الطيش اكثر من فضل البلاغة. وقد حكى ان الحجاج قال لاعرابى اخطيب انا قال نعم لولا انك تكثر الرد وتشير باليد وتقول اما بعد ﴾ وجعل ابن السماك يوما يتكلم وجارية له حيث تسمع كلامه فلما انصرف اليها قال لها كيف سمعت كلامى قالت ما احسنه لولا انك تكثر ترداده فقال اردده حتى يفهمه من لم يفهمه قالت الى ان يفهمه من لم يفهمه قد مله من فهمه ﴿ ومن آدابه ان يتجافى هجر القول ﴾ بضم الهاء ﴿ ومستقبح الكلام وليعدل الى الكناية عما يستقبح صريحه ويستهجن فصيحه ليبلغ الغرض ولسانه نزه ﴾ عن تلفظ القبيح ﴿ وادبه مصون . وقد قال محمد بن على فى ﴾ تأويل ﴿ قوله تعالى ﴾ فى الفرقان ﴿ واذا مروا ﴾ على طريق الاتفاق ﴿ باللغو ﴾ اى مايجب ان يلغى ويطرح مما لاخير فيه ﴿ مروا كراما ﴾ معرضين عنه مكرمين انفسهم عن الوقوف عليه والخوض فيه ومن ذلك الاغضاء عن الفواحش والصفح عن الذنوب والكناية عما يستهجن التصريح به ﴿ قال كانوا اذا ذكروا الفروج كنوا عنها ﴾ حكى انه جاءت امرأة الى امير المؤمنين عمر رضى الله عنه فقالت يا امير المؤمنين ان زوجى يصوم النهار ويقوم الليل فقال لها نعم الرجل زوجك وكان فى مجلسه رجل يسمى كعبا فقال يا امير المؤمنين ان هذه المرأة تشكو زوجها فى امر مباعدته اياها عن فراشها فقال له كما فهمت كلامها احكم بينهما فقال كعب على بزوجها فاحضر فقال له ان هذه المرأة تشكوك قال افى امر طعام ام شراب فانشأت المرأة تقول * يا ايها القاضى الحكيم انشده . الهى خليلى عن فراشى مسجده . نهاره وليله لا يرقده . فلست فى امر النساء احمده * فانشأ الزوج يقول * زهدنى فى فرشها وفى الحلل . انى امرؤ اذهلنى ماقد نزل . فى سورة النمل وفى السبع الطول . وفى كتاب الله تخويف يجل * فقال له القاضى * ان لها عليك حقا لم يزل . فى اربع نصيبها لمن عقل . فعاطها ذاك ودع عنك العلل . ثم قال ان الله تعالى احل لك من النساء مثنى وثلاث ورباع فلك ثلاثة ايام بلياليهن ولها يوم وليلة فقال عمر رضى الله عنه لا ادرى من ايكم اعجب امن كلامها ام من حكمك بينهما اذهب فقد وليتك البصرة ﴿ وكما انه يصون لسانه عن ذلك فهكذا يصون عنه سمعه فلا يسمع خنى ﴾ من خنا الرجل يخنو اذا افحش فى منطقه ﴿ ولا يصغى الى فحش فان سماع الفحش داع الى اظهاره ﴾ فى محاوراته لاستئناسه به ﴿ وذريعة الى انكاره ﴾ اى انكار كونه فحشا ﴿ واذا وجد عن الفحش معرضا كف قائله ﴾ اى اذا علم امكان اعراض عنه كفه من اعرض لك الشئ اذا امكنك من عرضه ﴿ وكان اعراضه احد النكيرين كما ان سماعه احد الباعثين ﴾ على مواظبة المتفحش ودوامه على خناه ﴿ وانشدنى ابو الحسن بن الحارث الهاشمى ﴾ من المتقارب ﴿ تحر من الطرق اوساطها .

وفد سعيد بن عبد الرحمن على هشام بن عبد الملك وكان جميل الوجه فاختلف الى عبد الصمد مؤدب الوليد بن يزيد فراوده عن نفسه فوثب من عنده ودخل على هشام مغضبا وهو يقول . انه والله لولا انت لم . ينج منى سالما عبد الصمد . فقال هشام ولم ذلك قال . انه قد رام منى خطة . لم يرمها قبله منى احد . قال ماهى قال . راح جهلا بى وجهلا بابى . يدخل الافعى على حبس الاسد . فضحك هشام وقال لو فعلت به شيئا لم انكره عليك
منه

وعد عن الموضع المشتبه ﴾ لتحرى القصد والطلب وعد امر من التعدية ﴿ وسمعك صن عن قبيح الكلام. كصون اللسان عن النطق به ﴾ ويروى عن سماع الخنى ﴿ فانك عند استماع القبيح. شريك لقائله فانتبه ﴾ وفى مناقب الامام الشافعى رحمه الله تعالى انه سمع رجلا يسفه على رجل من اهل العلم فقال لاصحابه نزهوا اسماعكم عن استماع الخنا كما تنزهون السنتكم عن النطق به فان المستمع شريك القائل فان السفيه ينظر الى اخبث شئ فى وعائه فيحرص على ان يفرغه فى اوعيتكم فنظم ابو الحسن هذا المعنى وكان الحسن البصرى اذا خطب الحجاج وذكر السلف يتكلم تشاغلا عن خطبته فقيل له فى ذلك فقال ان السامع والمتكلم شريكان الم تسمع قول الشاعر * فجاء به ناطق منهم . بليغ ومستمع صامت * فكل له حظه انه . اعان مع الناطق الساكت ﴿ ومما يجرى مجرى فحش القول وهجره فى وجوب اجتنابه ولزوم تنكبه ﴾ من تنكب عن الطريق اذا عدل عنه ﴿ ما كان شنيع البديهة مستنكر الظاهر وان كان عقب التأمل سليما وبعد الكشف والروية مستقيما ﴾ ليس فيه شناعة ﴿ كالذى رواه الازدى عن الصولى لبعض المتكلمين من الشعراء ﴾ من الرمل ﴿ انى شيخ كبير . كافر بالله سيرى * انت ربى والنهى . رازق الطفل الصغير * يريد بقوله كافر اى لابس لان الكفر التغطية ﴾ والكافر الليل والبحر والزارع للبذر قال الله تعالى اعجب الكفار نباته ﴿ ولذلك سمى الكافر بالله كافرا لانه قد غطى نعمة الله بمعصيته ﴾ وفى الشرع انكار ما علم بالضرورة مجئ الرسول صلى الله عليه وسلم به وكون ظاهره شنيعا من هذه الحيثية ﴿ وقوله بالله سيرى يقسم عليها ﴾ اى على ناقته ﴿ ان تسير ﴾ اى اقسم بالله ان تسير ﴿ سيرى ﴾ المخصوص بى ﴿ وقوله انت ربى يعنى ربى ولدك من التربية ﴾ ايماء الى انه يتغذى بلبنها ففيه تضرع اليها ﴿ والنهى ﴾ مبتدأ خبره قوله ﴿ رازق الطفل الصغير كانه رازق الولد الكبير فانظر الى هذا التكلف الشنيع والتعمق البشيع ما اعتاض من خبث البديهة اذا سلم بعد الفكر والروية الا لؤما ﴾ من لؤم ضد كرم اومن لام اذا عذل ﴿ ان حسن فيه الظن ﴾ على انه لا يريد ظاهر كلامه ﴿ او ذما ان قوى فيه الارتياب وقلما يكون ذلك ﴾ التكلف ﴿ الا من خليع بطر ﴾ اى معرض عن الحق تكبرا وتجبرا ﴿ او مرتاب اشر ﴾ اى فرح ومرح ﴿ فاما الحديث المروى عن النبى صلى الله عليه وسلم انه قال لاتصلوا على النبى فخارج من هذا النوع من التلبيس وفى تأويله وجهان احدهما انه اراد النهى عن الصلاة فى المكان المرتفع المحدودب ﴾ اسم فاعل من الاحديداب وهو الغلظ المرتفع من الارض وسبب النهى عدم استقرار الجبهة للسجود والقدمين للقيام والقعود عليهما وذلك يشغل القلب ﴿ مأخوذ من النبوة ﴾ بفتح فسكون يقال نبا به منزله اذا لم يوافقه وقال الشاعر * فاقم بدار ما اصبت كرامة . واذا نبا بك منزل فتحول ﴿ والثانى انه اراد الطريق ﴾ يقال اخذ نبيا سديدا اى طريقا ﴿ ومنه سمى رسل الله تعالى انبياء لانهم الطرق اليه تعالى وانما زال عنه التلبيس اذ قاله رسول الله صلى الله عليه وسلم ﴾ المبعوث للتبليغ ﴿ وان كان من قول غيره تلبيسا شنيعا لان ﴾ متعلق بزال ﴿ موضوع خطابه وشواهد احواله قرائن يصرفان كلامه عن التجوز والاسترسال فى امره ونهيه الى ما يجوز ان يرد به شرع وينهى عنه نبى ﴾ مؤيد بالمعجزة ﴿ وليس يمتنع ذلك ﴾ الاسترسال ﴿ فى غيره ﴾ عليه الصلاة والسلام لعدم العصمة فى الغير ﴿ ولذلك افترق وجوده منه ومن غيره * ومن آدابه ان يجتنب امثال العامة الغوغاء ﴾ على وزن صحراء

السفلة المسرعين الى الشر ﴿ وتخصص بامثال العلماء الادباء فان لكل صنف من الناس امثالا تشاكلهم فلا تجد لساقط الامثلا ساقطا وتشبيها مستقبحا ﴾ لان كل امرئ يعطى ماعنده وفي القشيرية عن رويم قال روى عن علي رضي الله عنه انه سمع صوت ناقوس فقال لاصحابه اتدرون مايقول هذا قالوا الا قال انه يقول سبحان الله حقا حقا ان المولى صمد يبقى ﴿ كما قال الصنوبري ﴾ من الوافر ﴿ وللسقاط اثال فيها. تمثلهم لذي الشئ المريب * اذاما كنت ذابول صحيح. الا فاضرب به وجه الطبيب ﴾ الذي اراك بانه لايكون لك ولد اصلا او من زوجتك هذه يقال له بول كثير اي ولد او عدد كثير وبال الماء اذا انفجر وبال الشحم اذا ذاب ﴿ وللذلك علتان احدهما ان الامثال من هو اجس الهمم وخطرات النفوس ﴾ يقال هجس الشئ في صدره اذا خطر بباله ﴿ ولم يكن لذي الهمة الساقطة الامثل مرذول وتشبيه معلول والثانية ان الامثال مستخرجة من احوال المتمثلين بها فبحسب ماهم عليه ﴾ من المحاسن او المساوي ﴿ تكون امثالهم فلهذا تباين العلتين وقع الفرق بين امثال الخاصة وامثال العامة وربما الف ﴾ بكسر اللام اي يأنس ﴿ المتخصص مثلا عاميا او تشبيها ركيكا لكثرة مايطرق سمعه من مخالطة الاراذل فيسترسل في ضربه مثلا فيصير به مثلا ﴾ في الآخرين ﴿ كالذي حكي عن الاصمعي ان الرشيد سأله يوما عن انساب بعض العرب فقال ﴾ الاصمعي ﴿ على الخبير ﴾ من الانساب ﴿ سقطت يا امير المؤمنين ﴾ يعني اصبت من يعرفه ﴿ فقال له الفضل بن الربيع ﴾ وزير الرشيد ﴿ اسقط الله جنبيك اتخاطب امير المؤمنين بمثل هذا الخطاب فكان الفضل الربيع مع قلة علمه اعلم بما يستعمل من الكلام في محاورة الخلفاء من الاصمعي الذي هو واحد عصره وقريع دهره ﴾ اي سيده بل لم يلحق به احد من بعده ولكن لكل جواد كبوة وتمثل الحريري بقوله لقد استسميت يعبوبا . واستسقيت اسكوبا . واعطيت القوس باريها واسكنت الدار بانيها ومعنى الكل انا اهل لكل ماطلبت وقال الشاعر * ياباري القوس بريا ليس يحسنه . لاتظلم القوس اعط القوس باريها ﴿ وللامثال من الكلام موقع في الاسماع وتأثير في القلوب لايكاد الكلام المرسل يبلغ مبلغها ولا يؤثر تأثيرها ﴾ والمثل في اصل كلامهم بمعنى المثل وهو النظير يقال مثل ومثل ومثيل كشبه وشبه وشبيه ثم قيل للقول السائر الممثل مضربه بمورده مثل ولم يضربوا مثلا ولازأوه اهلا للتسيير ولا جديرا بالتداول والقبول الا قولا فيه غرابة من بعض الوجوه ومن ثم حوفظ عليه وحمي من التغيير وقال السيد الشريف قوله ثم قيل اي ثم نقل من معناه اللغوي الى معنى آخر عرفي يتفرع عليه معنى ثالث مجازي . والسائر هو الفاشي و يعتبر فيه مع الفشو ان يكون تشبيها تمثيليا على سبيل الاستعارة وانما سمي مثلا لانه جعل مضربه وهو ما يضرب فيه ثانيا مثلا لمورده وهو مايرد فيه اولا قوله وحمي من التغيير فانه لوغير لربما انتفى الدلالة على تلك الغرابة والا ظهر كما في المفتاح ان المحافظة على المثل انما هي لسبب كونه استعارة فوجب لذلك ان يكون هو بعينه لفظ المشبه به فان وقع تغيير لم يكن مثلا بل مأخوذا منه واشارة اليه كما في قولك بالصيف ضيعت اللبن بالتذكير انتهى (٢) ﴿ لان المعاني بها لائحة والشواهد بها واضحة والنفوس بها وامقة ﴾ اي عاشقة لتلك الغرابة ﴿ والقلوب بها واثقة والعقول لها موافقة ﴾ وهذه اسباب حفظها وقال الزمخشري واضرب العرب

اليعبوب الفرس السريع اي طلبت سعيه . الا سكوب المطر الكثير اي استمطرت وطلبت سقياه

منه

(٢) واصل المثل ان امرأة شابة تزوجت بشيخ غني فلم ترض منه وفارقت ثم تزوجت بشاب فقير وحمدت على ذلك ثم اشتهت لبنا فسألته من زوجها الاول فقال في الصيف ضيعت اللبن

منه

الامثال واستحضار العلماء المثل والنظائر شأن ليس بالخفى فى ابراز خبيآت المعانى ورفع الاستار عن الحقائق حتى تريك المتخيل فى صورة المتحقق والمتوهم فى معرض المتيقن والغائب كأنه مشاهد وفيه تبكيت للخصم الالد وقمع لسورة الجامح الابى ﴿ فلذلك ضرب الله الامثال فى كتابه العزيز وجعلها من دلائل رسله واوضح بها الحجة على خلقه لانها فى العقول معقولة وفى القلوب مقبولة ولها اربعة شروط. احدها صحة التشبيه ﴾ بين المضرب والمورد ﴿ والثانى ان يكون العلم ﴾ اى علم المخاطب ﴿ بها سابقا والكل عليها موافقا ﴾ بان تكون من القضايا المسلمة اوالضرورية لتؤيد المضرب وتوضحه ﴿ والثالث ان يسرع وصولها للفهم ويعجل تصورها فى الوهم من غير ارتياء ﴾ اى نظر وفكر ﴿ فى استخراجها ولا كد فى استنباطها ﴾ لان التشبيه نظرى بنظرى لطويل بل تعقيد و اغلاق ﴿ والرابع ان تناسب حال السامع لتكون ابلغ تأثيرا واحسن موقعا ﴾ قال السعدى * حكايت برمزاج مستمع كوى . اكر دانى كه دارد باتوميلى * هر آن عاقل كه بامجنون نشيند . نكويد جز حديث روى ليلى ﴿ فاذا اجتمعت فى الامثال المضروبة هذه الشروط الاربعة كانت زينة للكلام وجلاء للمعانى وتدبرا للافهام ﴾ قال ابو فراس * تهون علينا فى المعالى نفوسنا . ومن خطب الحسناء لم يغلها المهر

﴿ الفصل الثانى فى الصبر والجزع ﴾ الصبر هو ترك الشكوى من الم البلوى لغير الله لا الى الله لان الله تعالى اثنى على ايوب عليه السلام بالصبر بقوله انا وجدناه صابرا نعم العبد مع دعائه فى دفع الضر عنه بقوله وايوب اذنادى ربه رب انى مسنى الضر وانت ارحم الراحمين فعلمنا ان العبد اذا دعا الله تعالى فى كشف الضر عنه لايقدح فى صبره ولئلا يكون كالمقاومة مع الله تعالى ودعوى التحمل بمشاقه قال الله تعالى ولقد اخذناهم بالعذاب فما استكانوا لربهم وما يتضرعون فان الرضا بالقضاء لا يقدح فيه الشكوى الى الله ولا الى غيره وانما يقدح بالرضا فى المقضى ونحن ماخوطبنا بالرضا بالمقضى والضر هو المقضى به وانما لزم الرضا بالقضاء لان العبد لابد له ان يرضى بحكم سيده. والصبر تارة يستعمل بكلمة عن كما فى المعاصى يقال صبر عن الزنا وتارة بكلمة على كما فى الطاعات يقال صبر على الصلاة ونحو ذلك ﴿ اعلم ان من حسن التوفيق وامارات السعادة الصبر على الملمات ﴾ اى على الشدائد النازلة ﴿ والرفق عند النوازل وبه نزل الكتاب وجاءت السنة قال الله تعالى ﴾ فى آل عمران ﴿ يا ايها الذين آمنوا اصبروا ﴾ اى على مشاق الطاعات وغير ذلك من المكاره والشدائد ﴿ وصابروا ﴾ اى غالبوا اعداء الله تعالى بالصبر فى مواطن الحروب واعدى عدوكم بالصبر على مخالفة الهوى وتخصيص المصابرة بالامر بعد الامر بمطلق الصبر لكونها اشد منه واشق ﴿ ورابطوا ﴾ اى اقيموا فى الثغور رابطين خيولكم فيها مترصدين للغزو مستعدين له قال تعالى واعدوا لهم مااستطعتم من قوة ومن رباط الخيل ترهبون به عدو الله وعدوكم وعن النبى صلى الله عليه وسلم من رابط يوما وليلة فى سبيل الله كان كعدل صيام شهر رمضان وقيامه ﴿ واتقوا الله ﴾ فى مخالفة امره على الاطلاق فيندرج فيه ماذكر ﴿ لعلكم تفلحون ﴾ كى تنتظموا فى زمرة المفلحين الفائزين بكل مطلوب الناجين من كل المكروب ذكره ابو السعود ﴿ يعنى اصبروا على ما افترض الله عليكم وصابروا عدوكم ورابطوا فيه تأويلان احدها على الجهاد والثانى على انتظار الصلوات ﴾ قال الرازى ويدل عليه وجهان

ماروى عن ابى سلمة عبدالرحمن انه قال لم يكن فى زمن رسول الله صلى الله عليه وسلم غزو يرابط فيه وانما نزلت هذه الآية فى انتظار الصلاة بعد الصلاة. ﴿ و ﴾ ماروى مسلم وغيره ﴿ عن ابى هريرة رضى الله تعالى عنه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم الا ﴾ حرف افتتاح معناه التنبيه ﴿ ادلكم على مايحبط الله ﴾ اى يمحو كما فى رواية ﴿ به الخطايا ﴾ كناية عن غفرانها والعفو عنها ﴿ ويرفع به الدرجات ﴾ اى المنازل فى الجنة ويحتمل ان يريد رفع درجته فى الدنيا بالذكر الجميل وفى الآخرة بالثواب الجزيل ﴿ قالوا بلى يارسول الله قال اسباغ الوضوء ﴾ اى اتمامه واكماله ﴿ عند المكاره ﴾ قال الباجى من شدة برد والم جسم وعجلة الى امر مهم وغير ذلك ﴿ وكثرة الخطا ﴾ جمع خطوة بالضم مابين القدمين واذا فتحت للمرة ﴿ الى المساجد ﴾ للصلاة ونحوها ﴿ وانتظار الصلاة بعد الصلاة ﴾ سواء ادى الصلاة فى جماعة ام منفردا فى مسجد اوبيته وقيل اراد الاعتكاف ﴿ فذلكم الرباط ﴾ يعنى به تفسير قوله تعالى ورابطوا والرباط فى الاصل الاقامة على جهاد العدو فشبه به ماذكر من الافعال الصالحة والعبادة وحقيقته ربط النفس والجسم مع الطاعات (فذلكم الرباط فذلكم الرباط) كرره اهتماما به وتعظيما لشأنه وذكره ثلاثا اما لانه كان عادته تكرار الكلام المهم ثلاثا ليفهم عنه اولان الاعمال المذكورة فى الحديث ثلاث ﴿ فنزل الكتاب بتأكيد الصبر فيما امر به وندب اليه وجعله من عزائم التقوى فيما افترضه وحث عليه. وروى عن النبى صلى الله عليه وسلم انه قال الصبر ستر من الكروب ﴾ من اعظمها شماتة الاعداء ﴿ وعون على الخطوب ﴾ اى على تهوينها وتسهيلها ﴿ وقال على بن ابى طالب كرم الله وجهه الصبر مطية لاتكبو والقناعة سيف لاينبو . وقال عبد الحميد لم اسمع اعجب ﴾ واحسن فى الصبر ﴿ من قول عمر بن الخطاب رضى الله عنه لوان الصبر ﴾ على النقمة ﴿ والشكر ﴾ على النعمة ﴿ بعيران مابليت ايهما ركبت ﴾ لانهما يحملان على باب الرضا ﴿ وقال عبدالله بن عباس رضى الله عنهما افضل العدّة الصبر على الشدة ﴾ لان اجر الصابر بغير حساب والحسنات بعشر امثالها الى سبعمأة ﴿ وقال بعض البلغاء من خير خلالك ﴾ اى خصالك ﴿ الصبر على اختلالك ﴾ من اى جهة كان الاختلال ﴿ وقيل فى منثور الحكم من احب البقاء فليعد للمصائب قلبا صبورا ﴾ لان الدنيا لاتخلو منها ﴿ وقال بعض الحكماء بالصبر ﴾ والمواظبة ﴿ على مواقع الكره تدرك الحظوظ ﴾ وقال الشاعر * ماابيض وجه المرء فى نيل المنى . حتى يسود وجهه فى المبدء ﴿ وقال بعض الشعراء ﴾ من الخفيف ﴿ وهو عبيد بن الابرص ﴾ ياقليل العزاء فى الاهوال . وكثير الهموم والاوجال ﴿ صبّر النفس عند كل ملم . ان فى الصبر حيلة المحتال ﴾ التصبير الحمل على الصبر والامر به يعنى احمل نفسك على الصبر عند كل حادث نزل لان فى الصبر حيلة كل محتال لاحيلة اعظم منها وانفع ﴿ لاتضيقن فى الامور فقد تكشف غماؤها بغير احتيال ﴾ والضيق ضد الاتساع اى ماضاق عنه الصدر من غم وفقر وفكر وشك ﴿ ربما تجزع النفوس من الامر له فرجة كحل العقال ﴾ الجزع عدم الصبر واظهار الحزن ويروى تكره بدله قال ابن هشام اى رب شئ تكرهه النفوس فحذف العائد من الصفة الى الموصوف ويجوز ان تكون ما كافة والمفعول محذوفا اى قد تكره النفوس من الامر شيئا اى وصفا فيه فرجة وهى بالضم فى نحو الحائط وبالفتح المرة من الفرج والعقال حبل يربط ويشد به رجل الابل * قد يصاب الجبار فى آخر الصف ويجو

مقارع الابطال ﴾ وقال ابن المقفع فى كتاب اليتيمة الصبر صبران فاللئام اصبر اجساما والكرام اصبر نفوسا. وليس الصبر الممدوح صاحبه ان يكون الرجل قوى الجسد على الكد والعمل لان هذا من صفات الحمير ولكن ان يكون للنفس غلوبا ﴾ فعول بمعنى فاعل ﴿ والامور متحملا ولجأشه عند الحفاظ مرتبطا ﴾ اى ان يكون مرتبطا لغليان قلبه عند الغضب بكظمه وتحامه وعند فزعه او حزنه بتجمله وتحمله ﴿ واعلم ان الصبر على ستة اقسام وهو فى كل قسم منها محمود * فاول الاقسام واولاها ﴾ اى احراها بالحمد ﴿ الصبر على امتثال ما امر الله تعالى به والانتهاء عما نهى الله عنه لان به تخلص الطاعة ﴾ له تعالى ﴿ وبها ﴾ اى باخلاص الطاعة ﴿ يصح الدين وتؤدى الفروض ويستحق الثواب كما قال الله تعالى فى محكم الكتاب ﴾ والمحكم ما احكم المراد به عن التبديل والتغيير اى التخصيص والتأويل والفسخ مأخوذ من قولهم بناء محكم اى متقن مأمون الانتقاض وذلك مثل النصوص الدالة على ذات الله تعالى وصفاته لان ذلك لا يحتمل النسخ ﴿ انما يوفى الصابرون ﴾ اى انما يوفى الذين صبروا على دينهم وحافظوا على حدوده ولم يفرطوا فى مراعاة حقوقه لما اعتراهم فى ذلك من فنون الآلام والبلايا التى من جملتها مهاجرة الاهل ومفارقة الاوطان ﴿ اجرهم ﴾ بمقابلة ما كابدوه من الصبر ﴿ بغير حساب ﴾ اى بحيث لا يحصى ولا يحصر وقال العينى المبالغة بالنسبة الينا ﴿ ولذلك قال النبى صلى الله عليه وسلم ﴾ على مارواه الديلمى عن انس والبيهقى عن على رضى الله عنهما ﴿ الصبر ﴾ على فعل الطاعات ومجانبة المعاصى منزلته ﴿ من الايمان بمنزلة الرأس من الجسد . وليس لمن قل صبره على طاعة حظ من بر ولا نصيب من صلاح ومن لم ير لنفسه صبرا يكسبها ثوابا ويدفع عنها عقابا كان مع سوء الاختيار بعيدا من الرشاد حقيقا بالضلال . وقد قال الحسن البصرى رحمه الله تعالى يا من يطلب من الدنيا مالا يلحقه اترجوان تلحق من الآخرة مالا تطلبه ﴾ من الحسنى وزيادة ﴿ وقال ابو العتاهية رحمه الله تعالى ﴾ من الطويل ﴿ اراك امرأ ترجو من الله عفوه . وانت على مالا يحب مقيم * تدل على التقوى وانت مقصر . فيا من يداوى الناس وهو سقيم * وهذا النوع من الصبر انما يكون لفرط الجزع وشدة الخوف فان من خاف الله عزوجل صبر على طاعته ومن جزع عن عقابه وقف عند اوامره ﴾ بان يستغنى بالمباحات عن المحارم وفى حديث ابى سعيد عند البخارى (ان ناسا من الانصار سألوا رسول الله صلى الله عليه وسلم فلم يسأله احد منهم الا اعطاه حتى نفد ما عنده فقال لهم حين انفد من يستعفف) وهو طلب العفة وهى الكف عن الحرام والسؤال من الناس (يعفه الله) بضم الياء اى يرزقه العفاف (ومن يتصبر يصبره الله) من التصبير اى ومن يتكلف الصبر يرزقه الله الصبر (ومن يستغن يغنه الله) اى ومن يظهر الغناء ولم يسأل يرزقه الله الغنى من الناس (ولن تعطوا عطاء خيرا واوسع من الصبر) ﴿ والقسم الثانى الصبر على ما تقتضيه اوقاته من رزية ﴾ اى مصيبة ﴿ قد اجهده الحزن عليها او حادثة قد اكده الهم بها ﴾ من الاكداء اى طلب الهم تعبه ﴿ فان الصبر عليها يعقبه الراحة منها ويكسبه المثوبة عنها ﴾ اى بدلا عنها ﴿ فان صبر طائعا ﴾ فبها ونعمت ﴿ والا احتمل هما لازما وصبر كارها آثما وروى عن النبى صلى الله عليه وسلم ﴾ على ما رواه الطبرانى عن ابى هند الدارى ﴿ انه قال يقول الله تعالى من لم يرض بقضائى ولم يصبر على بلائى فليختر ﴾ وفى رواية فليلتمس

﴿ ربا سواى ﴾ فيه الحث على الرضا بالقضاء والصبر على البلاء ﴿ وقال على بن ابى طالب كرم الله وجهه للاشعث بن قيس انك ان صبرت جرى عليك القلم وانت مأجور وان جزعت جرى عليك القلم وانت مأزور ﴾ اصله موزور اى آثم اتى بالهمزة للازدواج بالمأجور ﴿ وقد ذكر ذلك ابو تمام فى شعره فقال ﴾ من الطويل ﴿ وقال على فى التعازى لاشعث. وخاف عليه بعض تلك المآثم ﴾ واشعث كان قد تزوج من بنات الحسن بن على رضى الله عنهم وقوله تلك المآثم اشارة الى ما يفعله الجاهلية من خمش الخدود وخرق الجيوب ونحو ذلك والمأثم من اثم اثما ومأثما اذا اذنب ﴿ اتصبر للبلوى عزاء وخشية . فتوجر اوتسلو سلو البهائم ﴾ اى تفرغ بلا اجر فراغها ﴿ وقال شبيب بن شيبة للمهدى ان احق ما تصبر عليه ما لم تجد الى دفعه سبيلا وانشد ﴾ من الكامل ﴿ ولئن تصبك مصيبة فاصبر لها . عظمت مصيبة مبتلى لايصبر ﴾ لاحباطه الاجر ﴿ وقال آخر ﴾ تصبرت مغلوبا وانى لموجع . كما صبر الظمآن فى البلد القفر ﴾ وهو الارض الخالى من الماء والنبات ﴿ وليس اصطبارى عنك صبر استطاعة . ولكنه صبر امر من الصبر ﴾ بسكون الباء للضرورة والاصل بكسرها عصارة شجرة مرة وهو من الادوية ﴿ والقسم الثالث الصبر على مافات ادراكه من رغبة مرجوة واعوز نيله من مسرة مأمولة فان الصبر عنها يعقب السلو منها والاسف بعد اليأس خرق ﴾ وبلاهة ﴿ وروى عن النبى صلى الله عليه وسلم انه قال من اعطى فشكر ومنع فصبر وظلم فغفر وظلم فاستغفر فاولئك لهم الا من وهم مهتدون ﴾ الى الحق ﴿ وقال بعض الحكماء اجعل ما طلبته من الدنيا فلم تنله مثل مالا يخطر ببالك فلم تقله وقال بعض الشعراء ﴾ من الوافر ﴿ اذا ملك القضاء عليك امرا . فليس يحله غير القضاء ﴾ فى الاساس ملك عليه امره اذا استولى عليه وملكته امره واملكته اى خليته وشانه يعنى اذا سلط القضاء عليك امرا لا يحلك منه الا القضاء الآخر ﴿ فمالك والمقام بدار ذل . ودار العز واسعة الفضاء ﴾ اراد بدار الذل الجزع والاضطراب وبدار العز الصبر والقناعة قال الاصمعى بت ليلة بالبادية وحيدا مغموما فلما انتهى الليل سمعت قائلا يقول ولم ار شخصه * فرج القضاء بكف من . بقضائه نزل البلاء * واصبر فكل شديدة . لابد يتبعها الرخاء ﴿ وقال بعض الحكماء ان كنت تجزع على مافات من يدك فاجزع على ﴾ كل ﴿ مالا يصل اليك فاخذه بعض الشعراء فقال ﴾ من السريع ﴿ لا تطل الحزن على فائت . فقلما يجدى عليك الحزن * سيان محزون على فائت . ومضمر حزنا لما لم يكن ﴾ قوله لا تطل من الاطالة والقلة كناية عن العدم اى لاينفع الحزن عليه ﴿ والقسم الرابع الصبر فيما يخشى حدوثه من رهبة يخافها او يحذر حلوله من نكبة يخشاها فلا يتعجل هم ما لم يأت فان اكثر الهموم كاذبة وان الاغلب من الخوف مدفوع وقد روى عن النبى صلى الله عليه وسلم انه قال بالصبر يتوقع الفرج ومن يدمن ﴾ من ادمن الشئ اذا ادامه ﴿ قرع باب يلج ﴾ ومنه المثل من قرع بابا ولج ولج اى من دق بابا والح واقدم فى قرعه دخل فيه ﴿ وقال الحسن البصرى رحمه الله تعالى لا تحملن على يومك هم غدك فحسب كل يوم همه ﴾ وقال الشاعر * ولا ترهبن الفقر ماعشت فى غد . لكل غد رزق من الله وارد ﴾ وانشد الجاحظ لحارثة بن بدر * اذا الهم امسى وهو داء فامضه . ولست بممضيه وانت تعادله ﴾ يقال هو يعادل هذا الامر اذا

ويجب صرف اشعث لان عروض الطويل مقبوضة وجوبا فلا يدخلها الكف لاينهما من المعاقبة
منه

ارتبك فيه ولم يمضه ﴿ ولا تنزلن امر الشديدة بامرئ . اذاهم امرا عوقته عواذله ﴾ قوله لاتنزلن بالنون الخفيفة من الانزال وقوله امر الشديدة اى امر المصائب الشديدة والتعويق التأخير والعواذل جمع عاذلة وهى اللائمة والتأنيث باعتبار غلبة اللوم فى النساء او جمع عاذل باعتبار غلبة الاسمية على الوصفية يعنى اذا كنت لاتمضى همك بنفسك فاردت الاستغاثة فلا تستغث ولا تنزل امرك بمن امره فى ايادى العذل لايمضى امرا الا بعد مشاورتهم اذيمنعونه عن معاونتك ويشمتون بمصيبتك ﴿ وقل للفؤاد ان تجد بك نزوة . من الروع فافرح اكثر الهم باطله ﴾ قوله ان تجد من او جدان والثروة الكثرة . وافرح مقول قل يعنى اذا عجزت عن الامضاء بنفسك وايست من الاستغاثة فقل لقلبك المملو من الخوف افرح فقد كثر همك واكثر الهم باطله. وفى البيان ان نزابك نزوة اى اضطرب ووثب عليك وافرخ من افرخت الطائرة والبيضة اذا صارلها فرخ والرع بالفتح الخوف يعنى اسكن واطمئن وتخل عن الهم خلو البيضة من الفرخ ﴿ والقسم الخامس الصبر فيما يتوقعه من رغبة يرجوها و ينتظر من نعمة يأملها فانه ان ادهشه ﴾ اى جعله مدهوشا ومتحيرا ﴿ التوقع لها واذهله التطلع اليها انسدت عليه سبل المطالب واستفزه ﴾ اى ازال قراره وتمكينه وجعله مضطربا ﴿ تسويل المطامع ﴾ اى تزيينها ﴿ فكان ابعد لرجائه واعظم لبلائه واذا كان مع الرغبة وقورا وعند الطلب صبورا انجلت عنه عماية الدهش وانجابت ﴾ انكشفت ﴿ عنه حيرة الوله فابصر رشده وعرف قصده . وقد روى عن النبى صلى الله عليه وسلم انه قال الصبر ضياء يعنى والله اعلم انه يكشف ظلم الحيرة ﴾ جمع ظلمة ﴿ ويوضح حقائق الامور وقال اكثم بن صيفى من صبر ظفر وقال ابن المقفع كان مكتوبا فى قصر اردشير الصبر مفتاح الدرك وقال بعض الحكماء بحسن التأنى تسهل المطالب وقال بعض البلغاء من صبر نال المنى ومن شكر حصن النعمى ﴾ اى النعمة ﴿ وقال محمد بن بشير ﴾ من البسيط ﴿ ان الامور اذا انسدت مطالبها . فالصبر يفتح منها كل ما ارتتجا يقال ارتتج على المتكلم واسترتج عليه كلاهما على بناء المفعول اذا استغلق عليه الكلام وههنا عام منه ﴿ لا تيأسن وان طالت مطالبة . اذا استعنت بصبر ان ترى فرجا ﴾ اى لاتيأسن من رؤية الفرج وان طالت مطالبتك ﴿ اخلق بذى الصبر ان يحظى بحاجته . ومدمن القرع للابواب ان يلجا ﴾ قوله اخلق فعل تعجب وبذى الصبر معموله وقال الرافعى * اقيما على باب الرحيم اقيما . ولا تنيا فى ذكره فتهيما * هو الباب من يقرع على الصدق بابه . يجده رؤفا بالعباد رحيما ﴿ والقسم السادس الصبر على ما نزل من مكروه او حل من امر مخوف فبالصبر فى هذا تنفتح وجوه الآراء وتستدفع مكائد الاعداء فان من قل صبره عزب رأيه ﴾ اى غاب وضل ﴿ واشتد جزعه فصار صريع همومه وفريسة غمومه ﴾ يقال فرس الاسد فريسته اذا دق عنقه ويستعمل فى القتل مطلقا اى مقتول غمومه ومغلوبها ﴿ وقد قال الله تعالى ﴾ فى لقمان يا بنى اقم الصلاة وأمر بالمعروف وانه عن المنكر ﴿ واصبر على ما اصابك ﴾ يجوز ان يكون عاما فى كل ما يصيبه من المحن وان يكون خاصا بما يصيبه فيما امر به من الامر بالمعروف والنهى عن المنكر من اذى من يبعث على الخير وينكر عليهم الشر ﴿ ان ذلك من عزم الامور ﴾ اى مما عزمه الله من الامور اى قطعه قطع ايجاب والزام وحقيقته انه من تسمية المفعول بالمصدر واصله

من معزومات الامور اى مقطوعا بها ومفروضاتها ويجوز ان يكون مصدرا فى معنى الفـاعل اصله من عازمات الامور من قوله فاذاعزم الامر كقولك جدالامر وصدق القتال وناهيك بهذه الآية موذنة بقدم هذه الطاعات وانها كانت مأمورابها فى سائرالامم وان الصلاة لم تزل عظيمة الشان سابقة القدم على ماسواها موصى بها فى الاديان كلها كذا فى الكشاف ﴿ وروى عن ابن عباس رضى الله عنهما عن النبى صلى الله عليه وسلم انه قال ان استطعت ان تعمل لله بالرضا فى اليقين فافعل وان لم تستطع فاصبر فان فى الصبر على ماتكره خيرا كثيرا واعلم ان النصر مع الصبر والفرج مع الكرب واليسر مع العسر ﴾ وان المصائب والرزايا اذا توالت اعقبها الفرج والفرح عاجلا ﴿ وقال على بن ابى طالب رضى الله عنه الصبر مستأصل الحدثان ﴾ بكسر الحاء اى نوائب الدهر ومصائبه والاستيصال القلع من اصـله ﴿ والجزع من اعوان الزمان ﴾ اى من ظهيره ومعينه ﴿ وقيل بعض الحكماء بمفتاح عزيمة الصـبر تعالج مغاليق الامور وقال بعض البلغاء عند انسداد الفرج تبدو مطالع الفرج وروى ابن عباس رضى الله عنهما ان سليمان بن داود عليهما السلام لما استكد شياطينه فى البناء ﴾ اى امر بسعيهم الشديد وكدهم فى بناء بيت المقدس ﴿ شكوا ذلك الى ابليس لعنه الله فقال الستم تذهبون فرغا ﴾ جمع فارغ كركع وراكع ﴿ وترجعون مشاغيل قالوا بلى قال ففى ذلك ﴾ الذهاب ﴿ راحة فبلغ ذلك سليمان على نبينا وعليه السلام فشغلهم ذاهبين وراجعين فشكوا ذلك الى ابليس لعنه الله فقال الستم تستريحون بالليل قالوا بلى قال ففى ذلك راحة لكم نصف دهركم فبلغ ذلك سليمان عليه السلام فشغلهم بالليل والنهار فشكوا ذلك الى ابليس لعنه الله فقال الآن جاءكم الفرج فمالبث ان اصيب سليمان عليه السلام ميتا على عصاه ﴾ حكى ان داود اسس بنيان بيت المقدس فى موضع فسطاط موسى فتوفى قبل تمامه فوصى به الى سليمان عليهم السلام فاستعمل فيه الجن والشياطين فباشروه حتى اذا حان اجله وعلم به سأل ربه ان يعمى عليهم موته حتى يفرغوا منه ولتبطل دعويهم علم الغيب فدعاهم فبنوا عليه صرحا من قوارير ليس له باب فقام يصلى متكئا على عصـاه فقبض روحه وهو متكئ عليها فبقى كذلك وهم فيما امروا به من الاعمال حتى اكلت الارضة عصاه فخر ميتا وكانت الشياطين تجتمع حول محرابه اينما صلى عليه الصلاة والسـلام فلم يكن ينظر اليه شيطان فى صلاته الا احترق فمر به يوما شيطان فنظر فاذا سليمان عليه السـلام قد خر ميتا ففتحوا عنه فاذا عصاه قد اكلها الارضة فارادوا ان يعرفوا وقت موته فوضعوا الارضة على العصـا فاكلت منها فى يوم وليلة مقدارا فحسبوا على ذلك فوجدوه قدمات منذ سنة وكان عمره ثلاثا وخمسين سنة ملك وهو ابن ثلاث عشر سنة وبقى فى ملكه اربعين سنة وابتدأ بناء بيت المقدس لاربع مضين من ملكه انتهى ﴿ فاذا كان هذا ﴾ الفرج ﴿ فى نبى من انبياء الله يعمل بامره ويقف على حده فكيف بما جرت به الاقدار من ايد عادية وسـاقه القضاء من حوادث نازلة هل تكون مع التناهى الامنقرضة وعند بلوغ الغاية الامنحسرة وانشد بعض الادباء لعثمان بن عفان رضى الله عنه ﴾ وهو امير المؤمنين عثمان بن عفان بن ابى العاص بن امية بن عبد الشمس بن عبد مناف وامه اروى بنت عمة رسول الله صلى الله عليه وسلم وهو اصغر من النبى صلى الله عليه وسلم ويسمى بذى النورين لانه تزوج بنت رسـول الله صلى الله عليه وسلم رقية فماتت عنده ثم ام كلثوم

روى له عن رسول الله صلى الله عليه وسلم مأة حديث وستة واربعون حديثا استخلف اول يوم من المحرم سنة اربع وعشرين وقتل يوم الجمعة لثمان عشر خلت من ذي الحجة سنة خمس وثلاثين قتله الاسود التجيبي ودفن ليلة السبت بالبقيع وعمره اثنان وثمانون سنة وصلى عليه حكيم بن حزام وكثرت الاموال في خلافته حتى بيعت جارية بوزنها وفرس بمأة الف ونخلة بالف درهم ﴿ خليلي لاوالله مامن ملمة . تدوم على حي وان هي جلت ﴾ اي وان عظمت تلك الملمة والنازلة ﴿ فان نزلت يوما فلا تخضعن لها . ولاتكثر الشكوى اذا النعل زلت ﴾ اي لا ترضين بذلها يقال قوم خضع اي ناكسوا الرؤس وقد خضع من الذل ﴿ فكم من كريم قد بلي بنوائب . فصابرها حتى مضت واضمحلت ﴾ قوله بلي بالبناء للمفعول من البلو وهو الامتحان والاختبار ﴿ وكم غمرة هاجت بامواج غمرة . تلقيتها بالصبر حتى تجلت ﴾ الغمرة الشدة وغمرة الفتنة شدتها ﴿ وكانت على الايام نفسي عزيزة . فلما رأت صبري على الذل ذلت ﴾ نفسي ﴿ فقلت لها يانفس موتي كريمة . فقد كانت الدنيا لنا ثم ولت ﴾ اي موتي كريمة وصابرة حتى تتوفي اجرك بغير حساب فان الدنيا لاتدوم لواحد فلما كانت لنا فولت عنا واعرضت ﴿ ولتسهيل المصائب وتخفيف الشدائد اسباب اذا قارنت حزما وصادفت عزما هان وقعها وقل تأثيرها وضررها * فمنها استشعار النفس ﴾ مطاوع اشعره الشعار اذا البسه غيره ﴿ بما تعلمه من نزول الفناء وتقضي المسار ﴾ من تقضي الشئ اذا فني وانصرم ﴿ وان لها آجالا منصرمة ومددا منقضية ﴾ جمع مدة ﴿ اذ ليس للدنيا حال تدوم ولا لمخلوق فيها بقاء وروى ابن مسعود رضي الله عنه عن النبي صلى الله عليه وسلم انه قال مامثلي ومثل الدنيا الا كمثل راكب مال الى ظل شجرة في يوم صائف ﴾ اي حار ﴿ ثم راح وتركها ﴾ اي ليس حالي معها الا كحاله وقال الشاعر * ولو كانت الدنيا تدوم لواحد . لكان رسول الله فيها مخلدا ﴿ وسئل بن علي ابي طالب رضي الله عنه عن الدنيا فقال تغر ﴾ اي تخدع وتطمع بالباطل ﴿ وتضر وتمر وسأل بعض خلفاء بني العباس جليساله عن الدنيا فقال اذا اقبلت ادبرت وقال عمرو بن عبيد ﴾ الزاهد ﴿ الدنيا امد ﴾ اي ذات امد وغاية ﴿ والآخرة ابد . وقال انوشروان ان احببت ان لاتغتم فلا تقتن مابه تهتم ﴾ اي لاتكتسب ماتغتم بفنائه ﴿ فاخذه بعض الشعراء فقال ﴾ من الطويل وفي المستطرف انه عبدالله بن طاهر ﴿ الم تران الدهر من سوء فعله . يكدر ما اعطى ويسلب ما اسدى ﴾ اي ما اعطاه ﴿ فمن سره ان لايرى مايسوءه . فلا يتخذ شيئا يخاف له فقدا ﴾ وقال مسلم بن الوليد * الدهر آخذ مااعطى مكدر ما . اصفى ومفسد ما اهدى له بيد * فلا يغرنك من دهر عطيته . فليس يترك مااعطى على احد ﴿ وانشد بعض الحكماء ﴾ من الكامل ﴿ لحكيمنا بقراط خير قضية . ووصية تنفي الهموم الركدا ﴾ جمع راكد اي تنفي تلك القضية الهموم المجتمعة . وبقراط عطف بيان من الحكيم وهو من مشاهير حكماء اليونان كان في زمن بهمن بن اسفنديار وذلك قبل مولد عيسى عليه السلام باربعمأة وستين سنة وكتبه جليلة واخباره حسنة ومن كلامه سلوا القلوب عن المودات فانها شهود لاتقبل الرشا وقال خير الغذاء بواكره وخير العشاء بواصره وقال استهينوا بالموت فان مرارته في خوفه وسئل كم ينبغي للانسان ان يجامع فقال في كل سنة مرة قيل فان لم يقدر قال في كل شهر

قيل فان لم يقدر قال فى كل اسبوع قيل فان لم يقدر قال هى روحه متى شاء اخرجها ولما حضرته الوفاة قال خذوا منى العلم بغير حسد من كثر نومه ولانت طبيعته ونديت جلدته فقد طال عمره ﴿ قال الهموم تكون من طبع الورى . فى لبث مافى طبعه ان ينفدا ﴾ اللبث المكث وفى للتعليل يعنى تكون هموم الورى لمكث مايحب مكثه وبقاه وفى طبعه النفاد والفناء فلا يقدر على مايحبه من قلب الحقائق ونقل الطبائع فالهم ضرورى حينئذ ولذا قال ﴿ فاذا اقتنيت من الزجاجة قابلا . للكسر فانكسرت فلا تك مكمدا ﴾ من اكمده الهم اذا غمه وامرض قلبه ويقال مكمود على سبيل الشذوذ كاحبه فهو محبوب . وكما ان كل زجاجة قابل للكسر فكذلك جميع شؤن الدنيا وامورها قابل للفناء قال الله تعالى ماعندكم ينفد وما عند الله باق ﴿ وانشدنى بعض اهل العلم لسعيد بن مسلم ﴾ من الرمل * سوف تبلى كل جدة . وستقضى كل مدة ﴿ انما الدنيا هبات . وعوار مستردة ﴾ العوار جمع عارية وتنوينها للصرف اوللعوض ﴿ شدة بعد رخاء . ورخاء بعد شدة * ولما قتل بزر جمهر وجد فى جيب قيصه رقعة فيها مكتوب اذا لم يكن جد ﴾ بالفتح اى بخت وحظ ونصيب ﴿ ففيم الكد وان يكن للامر ﴾ اى لامر الدنيا من الحياة والجاه ونحوه ﴿ دوام ففيم السرور واذا لم يرد الله دوام ملك ففيم الحيلة واراد بالملك الحياة ﴿ وقال ابن الرومى ﴾ من الطويل ﴿ رأيت حياة المرء رهنا بموته . وصحته رهنا كذلك بالسقم ﴾ بضم فسكون المرض ﴿ اذا طاب لى عيش تنغص طيبه . بصدق يقينى ان سيذهب كالحلم ﴾ بضم الحاء الرؤياء وقوله تنغص اى تكدر ذلك العيش بترقب زواله ﴿ ومن كان فى عيش يراعى زواله . فذلك فى بؤس وان كان فى نعم ﴾ اى فى نعمة ومسرة لانه يراعى وقت زواله فلا يطيب له السرور وقال ابو الطيب * اشد الغم عندى فى سرور . تيقن عنه صاحبه انتقالا ﴿ ومنها ان يتصور انجلاء الشدائد وانكشاف الهموم وانها تتقدر باوقات لاتنصرم قبلها ولا تستديم بعدها فلا تقصر ﴾ تلك الاوقات ﴿ بجزع ولا تطول بصبر ﴾ بل الامر بالعكس ﴿ وان كل يوم يمر بها يذهب منها بشطر ويأخذ منها بنصيب حتى تنجلى ﴾ الهموم بالكلية ﴿ وهو عنها غافل . وحكى ان الرشيد حبس رجلا ثم سأل عنه بعد زمان فقال ﴾ المحبوس ﴿ للموكل به ﴾ اى بالسؤال ﴿ قل له كل يوم يمضى من نعمه يمضى من بؤسى مثله والامر قريب ﴾ اى امر الدنيا ﴿ والحكم ﴾ يومئذ ﴿ لله تعالى فاخذ هذا المعنى بعض الشعراء فقال ﴾ من البسيط ﴿ لو ان ما انتمو فيه يدوم لكم . ظننت ما انا فيه دائما ابدا ﴾ يعنى لو ثبت ان ما انتم فيه من النعمة تدوم لكم ظننت ما انا فيه من البوس والنقمة دائما ابدا ﴿ لكننى عالم انى وانكمو . سنستجد خلاف الحالتين غدا ﴾ السين للتأكيد ونستجد بمعنى نجد اخذه من قوله تعالى انما يؤخرهم ليوم تشخص فيه الابصار ﴿ وانشدت لبعض الشعراء ﴾ من الطويل المصرع ﴿ عواقب مكروه الامور خيار . وايام ضر لاتدوم قصار ﴾ جمع قصير ككبير وكبار ﴿ وليس بباق بؤسها ونعيمها . اذا كر ليل ثم كر نهار ﴾ والكر الهجوم والحملة على العدو ويقال كر الفارس اذا اخر للجولان ثم عاد للقتال يعنى ان هجوم الليل والنهار لايبقى بؤسا ولا نعيما ﴿ وانشد عمر بن الخطاب رضى الله عنه حين حضرته الوفاة ﴾ من الوافر ﴿ الم تران ربك ليس تحصى . اياديه الحديثة والقديمه ﴾ الايادى جمع ايدى جمع يد بمعنى النعمة ﴿ تسل عن الهموم فليس

شى . يقوم ولا همومك بالمقيمه ﴾ قيام الشئ دوامه ﴿ لعل الله ينظر بعد هذا. اليك بنظرة منه رحيمه * ومنها ﴾ اى من تلك الاسباب ﴿ ان يعلم ان فى ماوقى من الرزايا وكفى من الحوادث ماهو اعظم من رزيته واشد من حادثته ليعلم انه ممنوح بحسن الدفاع ولذلك قال النبى صلى الله عليه وسلم ان لله تعالى فى اثناء كل محنة منحة ﴾ بكسر الميم اى عطية ﴿ وقيل للشعبى فى نائبة كيف اصبحت قال بين نعمتين خير منشور وشر مستور وقال بعض الشعراء ﴾ من الكامل ﴿ لاتكره المكروه عند حلوله. ان العواقب لم تزل متباينه * كم نعمة لاتستقل بشكرها. لله فى طى المكاره كامنة ﴾ يعنى كثير من نعمه تعالى التى لاتستقل ولا تطيق بشكرها كامنة ومختفية فى المكاره المطوية لاتصيبها اصلا قال ابو بكر بن الانبارى انشدنى اسمعيل القاضى * لاتعتبن على النوائب . فالدهر يرغم كل عاتب * واصبر على حدثانه. ان الامور لها عواقب * ولكل صافية قذى . ولكل خالصة شوائب * كم فرجة مطوية . لك بين اثناء النوائب * ومسرة قد اقبلت . من حيث تنتظر المصائب * وفى ثمرات الاوراق كان عروة بن الزبير صبورا حين يبتلى حكى انه خرج الى الوليد بن يزيد فوطئ عظما فما بلغ دمشق حتى بلغ به كل مذهب فجمع له الوليد الاطباء فاجمع رأيهم على قطع رجله فقالوا له اشرب مرقدا فقال ما احب ان اغفل عن ذكر الله تعالى فاحمى له المنشار وقطعت رجله فقال ضعوها بين يدى ولم يتوجع ثم قال لئن كنت ابتليت فى عضو فقد عوفيت فى اعضاء فبينما هو كذلك اذ اتاه خبر ولد انه اطلع من سطح على دواب الوليد فسقط بينها فمات فقال الحمد لله على كل حال لئن اخذ واحدا لقد ابقيت جماعة وقدم على الوليد وفد من عبس فيهم شيخ ضرير فسأله عن حاله وسبب ذهاب بصره فقال خرجت مع رفقة مسافرين ومعى مالى وعيالى ولا اعلم عبسيا يزيد ماله على مالى فعرسنا فى بطن واد فطر قنا سيل فذهب ماكان لى من اهل ومال وولد غير صبى صغير وبعير فشرد البعير فوضعت الصغير على الارض ومضيت لآخذ البعير فسمعت صيحة الصغير فرجعت اليه فاذا رأس الذئب فى بطنه وهو يأكل فيه فرجعت الى البعير فحطم وجهى برجليه فذهبت عيناى فاصبحت بلاعين ولاولد ولامال ولا اهل فقال الوليد اذهبوا به الى عروة ليعلم ان فى الدنيا من هو اعظم مصيبة منه وقد قيل * على كل حال ينبغى الشكر للفتى . فكم من شرور عن سرور تجلت * وكم نقمة عند القياس بغيرها. ترى نعمة فاشكر لدى كل نقمة ﴿ ومنها ان يتأسى بذوى الغير ﴾ على وزن عنب اسم من غير الشى فتغير وهو عبارة عن تغير الحال وانتقالها عن الصلاح الى الفساد ﴿ ويتسلى باولى العبر ﴾ جمع عبرة وهى اسم من الاعتبار اى الاتعاظ مع التعجب ﴿ ويعلم انهم الاكثرون عددا والا سرعون مددا ﴾ منه ﴿ فيستجد من سلوة الاسى وحسن العزاء مايخفف شجوه ﴾ اى حزنه ﴿ ويقل هلعه ﴾ اى جزعه وفزعه عند الكريهة ﴿ وقال عمر بن الخطاب رضى الله عنه الصقوا بذوى الغير تتسع قلوبكم ﴾ اذ يتسلى حينئذ مرتع الحف بمخروقه والمخروق بالخاسر والخاسر بالاعرج والا عرج بالاقطع وهو بالمقعد ونحوه ﴿ وعلى مثل ذلك ﴾ اللصوق ﴿ كانت مراثى الشعراء قال البحترى ﴾ من الطويل ﴿ فلا عجب للاسد ان ظفرت بها . كلاب الاعادى من فصيح واعجم ﴾ الاسد بضم فسكون جمع اسد وضميرها راجعة اليها وقوله كلاب

فاعل ظفرت. واضافته الى الاعادى من اضافة المشبه به للمشبه واراد بالفصيح العرب بقرينة المقابلة بالاعجم ﴿ فحربة وحشى سقت حمزة الردى . وموت على من حسام ابن ملجم ﴾ الردى الهلاك والحسام بضم الحاء السيف القاطع وحمزة هو حمزة بن عبدالمطلب عم رسول الله صلى الله عليه وسلم واخوه من الرضاعة يقال له اسد الله وحين اسلم اعتز الاسلام باسلامه استشهد يوم احد وهو سيد الشهداء وفضائله كثيرة جدا. ووحشى هو ابن حرب الحبشى مولى جبير بن مطعم اسلم يوم الفتح وقدم على رسول الله صلى الله عليه وسلم قال فلما رآنى قال انت وحشى قال قلت نعم قال انت قتلت حمزة قلت قدكان من الامر ماقد بلغك قال عليه السلام فهل تستطيع ان تغيب وجهك عنى قال فخرجت من عنده فلما قبض رسول الله صلى الله عليه وسلم فخرج مسيلمة الكذاب قلت لاخرجن الى مسيلمة لعلى اقتله فأكافئ حمزة قال فخرجت مع الناس فرميته بحربتى بين ثدييه حتى خرجت من بين كتفيه ووثب اليه رجل من الانصار فضربه بالسيف على هامته فقالت جارية لما قتل مسيلمة وا اميرالمؤمنين قتله العبد الاسود كما فى صحيح البخارى وابن ملجم هو عبدالرحمن ابن ملجم المرادى الحميرى من الخوارج قتله الحسن بن على رضى الله عنهما قصاصا ﴿ وقال ابو نواس ﴾ من الكامل ﴿ المرء بين مصائب لاتنقضى . حتى يوارى جسمه فى رمسه ﴾ اى الى ان يستر بدنه فى قبره ﴿ فمؤجل يلقى الردى فى اهله . ومعجل يلقى الردى فى نفسه ﴾ وقال الخوارزمى * اى خير يرجو بنوا الدهر فى الدهر ومازال قاتلا لبنيه * من يعمر يفجع بموت الاخلا . ومن مات فالمصيبة فيه ﴿ ومنها ان يعلم ان النعم زائرة وانها لامحالة زائلة وان السرور بها اذا اقبلت مشوب بالحذر من فراقها اذا ادبرت وانها لاتفرح باقبالها فرحا حتى تعقب بفراقها ترحا ﴾ وهو ضد الفرح وقال الله تعالى اذ قال له قومه لاتفرح ان الله لايحب الفرحين وفى الكشاف وذلك انه لايفرح بالدنيا الامن رضى بها واطمأن واما من قلبه الى الآخرة ويعلم انه مفارق مافيها عن قريب لم تحدثه نفسه بالفرح وقال الشاعر * ولست بمفراح اذا الدهر سرنى . ولاجازع من صرفه المتقلب ﴿ فعلى قدر السرور يكون الحزن . وقد قيل فى منثور الحكم المفروح به هو المحزون عليه ﴾ اذا فارق ﴿ وقيل من بلغ غاية مايحب فليتوقع غاية مايكره ﴾ اذ مابعد الكمال الا الزوال كما قيل * اذا تم امر بدا نقصه . ترقب زوالا اذا قيل تم ﴿ وقال بعض الحكماء من علم ان كل نائبة الى انقضاء حسن عزاؤه عند نزول البلاء . وقيل للحسن البصرى رحمه الله كيف ترى الدنيا قال شغلنى توقع بلائها عن الفرح برخائها فاخذه ابو العتاهية فقال ﴾ من السريع ﴿ تزيده الايام ان اقبلت . شدة خوف لتصاريفها * كأنها فى حال اسعافها . تسمعه وقعة تخويفها ﴾ الاسعاف قضاء الحاجة وقال على رضى الله عنه * يمثل ذو اللب فى نفسه . مصائبه قبل ان تنزلا * فان نزلت بغتة لم ترعه . لما كان فى نفسه مثلا * رأى الامر يفضى الى آخر . فصير آخره اولا * وذو الجهل يأمن ايامه . وينسى مصارع من قد خلا * فان بدهته صروف الزمان . ببعض مصائبه اعولا * ولو قدم الحزم فى نفسه . لعلمه الصبر عند البلا ﴿ ومنها ان يعلم ان سروره مقرون بمساءة غيره وكذلك حزنه ﴾ لاجل الدنيا ﴿ مقرون بسرور غيره ﴾ اذ لاتسع المسار جميع اهل الدنيا وانما هى دول ﴿ اذا كانت الدنيا تنتقل من صاحب الى صاحب وتصل صاحبا

بفراق صاحب فتكون سرورا لمن وصلته وحزنا لمن فارقته وقد قال النبي صلى الله عليه وسلم ماقرعت عصا على عصا الا فرح لها قوم وحزن آخرون ﴾ يعني ماقاتل جماعة جماعة كما يقال هو قد شق عصا المسلمين اى خالف جماعتهم ﴿ وقال البحتري * متى ارت الدنيا نباهة خامل . فلا ترتقب الاخمول بنيه ﴾ اذ جرت العادة بان الاب اذا كان نجيبا فالابن بالضد كما قال آخر * اذا اطلع الدهر حرا نجيبا . فكن فى ابنه سيئا اعتقادا * فلست ترى من نجيب نجيبا . وهل تترك النار الارمادا * فتنتقل النجابة وسرورها ﴿ وقال المتنبي * بذا قضت الايام مابين اهلها . مصائب قوم عند قوم فوائد * وانشد بعض اهل الادب ﴾ من الطويل ايضا وهو ابن عبد ربه ﴿ الا انما الدنيا غضارة ايكة . اذا اخضر منها جانب جف جانب ﴾ الغضارة النعمة والسعة والخصب والوفرة فى المعيشة وفى بعض المواضع نضارة من نضر الشجر والوجه واللون اذا نعم وحسن واطف والايكة مفرد الايك يقال نزلوا فى الايك وهو الشجر الملتف الكثير ﴿ فلا تفرحن منها بشئ تفيده . سيذهب يوما مثل ما انت ذاهب ﴾ ويروى . فلا تكتحل عيناك يوما بعبرة . على ذاهب منها فانك ذاهب ﴾ وماهذه الايام الا فجائع . وما العيش واللذات الا مصائب ﴾ ويروى . هي الدار ما الآمال الا فجائع . وهي جمع فجيعة وهي الرزيئة والمصيبة ومنها * وما الناس الا خائضوا غمرة الردى . فطاف على ظهر الفرات وراسب * وقال غيره * ايا ابن آدم لايغررك عافية . عليك شاملة فالعمر ممدود * ما انت الا كزرع عند خضرته . بكل شئ من الآفات مقصود * فان سلمت من الآفات اجمعها . فانت عند كمال الامر محصود ﴿ ومنها ان يعلم ان طوارق الانسان من دلائل فضله ومحنه من شواهد نبله ﴾ وفى حديث سعد بن ابى وقاص عند البخاري والترمذى (اشد الناس بلاء) اى محنة واختبارا (الانبياء) ويلحق بهم الاولياء لقربهم منهم وان كانت درجتهم منحطة عنهم (ثم الامثل فالامثل) اى الاشرف فالاشرف والاعلى فالاعلى فهم معرضون للمحن والبلايا والسر فى ذلك ان البلاء فى مقابلة النعمة فمن كانت نعمة الله عليه اكثر كان بلاؤه اشد الا انه كلما قويت المعرفة بالمبتلى هان عليه البلاء (يبتلى الرجل) بالبناء للمفعول (على حسب دينه) اى بقدر قوة ايمانه وضعفه (فان كان فى دينه صلبا) بضم الصاد اى قويا شديدا (اشتد بلاؤه) اى عظم (وان كان فى دينه رقة ابتلى على قدر دينه) اى ببلاء هين سهل قال الدميرى قد تجهل بعض الناس فيظن ان شدة البلاء وكثرته انما تنزل بالعبد لهوانه وهذا لايقوله الا من اعمى الله قلبه بل العبد يبتلى على حسب دينه كما فى حديث الباب (فمايبرح البلاء بالعبد حتى يتركه يمشى على الارض وماعليه خطيئة) ﴿ وذلك لاحدى علتين اما لان الكمال معوز والنقص لازم ﴾ ليختص الله تعالى بالكمال المطلق ﴿ فاذا تواتر الفضل عليه صار النقص فيما سواه . وقد قيل من زاد فى عقله نقص من رزقه . وروى عن النبي صلى الله عليه وسلم انه قال ما انتقصت جارحة من انسان الا كانت ذكاء فى عقله ﴾ بحيث يغنى ذكاؤه عن تلك الجارحة وقد كان بشار ضريرا وله تشبيهات لايقدر عليها البصراء وسئل بشار عن ذلك فقال ان عدم النظر يقوى ذكاء القلب ويقطع عنه الشغل بما ينظر اليه من الاشياء فيتوفر حسه ﴿ وقال ابو العتاهية ﴾ من البسيط ﴿ ماجاوز المرء من اطرافه طرفا . الا تخونه النقصان من طرف ﴾ والتخون التعهد وبناؤه للتجنب كأنه

جانب الخيانة اى تعهده واعقبه النقصان كما قال آخر * ما استكمل المرء من لذاته طرفا . الا واعقبه النقصان من طرف ﴿ وانشدنى بعض اهل الادب لابراهيم بن هلال الكاتب ﴾ ابى اسحاق الصابئ كان كاتبا للخليفة العباسى ولعز الدولة بن بختيار من آل بويه وله مكاتيب مشهورة واشعار لطيفة مشحونة بالبلاغة قال التفتازانى اختلف فى التفضيل بين الصاحب والصابى والحق ان الصاحب كان يكتب مايريد والصابى يكتب مايؤمر وبين المقامين بون بعيد ورثاه الشريف الرضى بقصيدة طويلة مطلعها * ارأيت من حملوا على الاعواد . ارأيت كيف خبا ضياء النادى * ولم يسمع شريف رثى مشركا غيره ﴿ اذا جمعت بين امرئين صناعة. فاحببت ان تدرى الذى هو احذق ﴾ الحذاقة التعلم والمهارة فى شئ والصناعة فاعل جمعت وبين ظرفه ﴿ فلا تتفقد منهما غير ماجرت . به لهما الارزاق حين تفرق ﴾ يعنى لاتطلب ولاتنتظر من ذينك المرئين غير ماجرت به العادة حين تقسيم الارزاق وتفريقها على المكاسب والصناعات . وفصلها بقوله ﴿ فحيث يكون النقص فالرزق واسع . وحيث يكون الفضل فالرزق ضيق ﴾ يعنى ان العادة الجارية توسع الرزق مع النقيصة وتضيقه مع الفضل والتمهر فى الصنعة وذلك لان صاحب النقيصة يحتال لا علاء قدره واغلاء صنعته ويستنكف الحاذق ان يحتال واليقظان يغلب النائم وقال المعرى * ولابد للحسناء من ذم حسنها . ولاذم نفسى غير سئ بختها ﴿ واما لان ذا الفضل محسود ﴾ عديل قوله اما لان الكمال ومعطوف عليه ﴿ وبالاذى مقصود فلايسلم فى بره من معاد واشتطاط مناو ﴾ اى من جور معاديه يقال ناواه اذا عاداه وهذا حاله فى بره واحسانه فكيف فى عقوقه وعصيانه ﴿ وقال الصنوبرى ﴾ من الكامل ﴿ محن الفتى يخبرن عن فضل الفتى . كالنار مخبرة بفضل العنبر ﴾ ضمير جمع المؤنث راجعة الى المحن والكاف داخلة على الجملة اى كاخبار النار بفضل العنبر ﴿ وقل ماتكون محنة فاضل الامن جهة ناقص وبلوى عالم الاعلى يد جاهل وذلك ﴾ البلوى ﴿ لاستحكام العداوة بينهما بالمباينه ﴾ التامة ﴿ وحدوث الانتقام لاجل التقدم وقد قال الشاعر ﴾ من الطويل ﴿ فلاغرو ان يمنى اديب بجاهل . فمن ذنب التنين تنكسف الشمس ﴾ قوله لاغرو بفتح فسكون اى لا عجب ويمنى من منى كذا على المجهول اى ابتلى به والتنين على وزن السكيت الحية العظيمة والبياض الذى يكون على شكل الحية فى الفلك وقال مترجم القاموس التنين يطلق على المدار والممر بين عقدتى الرأس والذنب ويعتبر بينهما بروج ستة فاذا اجتمع الشمس والقمر فى دقيقة واحدة من تينك العقدتين يقع الكسوف اوالخسوف وقد اكثر الشعراء فى هذا المعنى قال ابوالفتح البستى * لئن كسفونا بلاعلة . وفازت قداحهم بالظفر * فقد يكسف المرء من دونه . كما يكسف الشمس ضوء القمر * وقال الحريرى * ان البنان الخمس اكفاء معا . والحلى دون جميعها للخنصر * وقال شمس المعالى قابوس * اماترى البحر تعلو فوقه الجيف . وتستقر باقصى قعره الدرر * وفى السماء نجوم لا عداد لها . وليس يكسف الا الشمس والقمر * وقال ابن الرومى * قالت علا الناس الا انت قلت لها . كذاك يسفل فى الميزان من رجحا * وقال الآخر زائدا عليها * الدهر كالميزان يرفع ناقصا . ابدا ويخفض راجح المقدار * واذا انتحى الانصاف ساوى كونه . فى الوزن بين حديدة ونضار ﴿ ومنها مايعتاضه من الارتياض بنوائب عصره ويستفيده من الحنكة ﴾ بضم

الحاء وهو استحكام الرأى والعقل بالتجارب ﴿ ببلاء دهره فيصلب عوده ويستقيم عموده ﴾ اى عقله ورأيه استعار العود والعمود لهما بملاحظة ان كلامنها يعتمد عليه وفى المثل زاحم بعود اودع اى استعن على حربك بالمشايخ الكمل الذين جربوا الامور ﴿ ويكمل بادنى شدته ورخائه ويتمظ بحالق عفوه وبلائه . حكى عن ثعلب قال دخلت على عبيدالله بن سليمان بن وهب وعليه خلع الرضى ﴾ بالله من الخلفاء العباسية والخلع جمع خلعة ﴿ بعد النكبة ﴾ وهى الحادثة الشديدة والنائبة المؤثرة ﴿ فلما مثلت بين يديه ﴾ من المثول يقال مثل بين يديه من الباب الاول والخامس اذا قام منتصبا ﴿ قال لى ياابا العباس ﴾ كنية ثعلب ﴿ اسمع مااقول ﴾ من البسيط المخلع ﴿ نوائب الدهر ادبتنى . وانما يوعظ الاديب * قد ذقت حلوا وذقت مرا . كذاك عيش الفتى ضروب ﴾ اى اصناف وانواع ﴿ لم يمض بوس ولا نعيم . الا ولى فيهما نصيب ﴾ من الاتعاظ والتأدب ﴿ كذاك من صاحب الليالى . تغذوه من درها الخطوب ﴾ الغذاء مابه نماء الجسم وقوامه والدر اللبن والخطب الامر الهائل ففى قوله تغذوه استعاره تهكمية قال ثعلب ﴿ فقلت لمن هذه الابيات قال لى ﴾ وقال آخر * الدهر ادبنى والصبر ربانى . والقوت اقنعنى واليأس اغنانى * وحنكتنى من الايام تجربة . حتى نهيت الذى قد كان ينهانى ﴿ ومنها ان يختبر امور زمانه ويتنبه على اصلاح شانه فلا يغتر برخاء ولا يطمع فى استواء ولا يؤمل ان تبقى الدنيا على حالة او تخلو من تقلب واستحالة فان من عرف الدنيا وخبرا حوالها هان عليه بؤسها ونعيمها ﴾ ولولا حوادث الايام لم يعرف صبر الكرام ولا جزع اللئام ﴿ وانشد بعض الادباء ﴾ من الكامل الاحذ الا ان مطالعه مضمر كضربه للتصريع ﴿ انى رأيت عواقب الدنيا . فتركت ماأهوى لما اخشى ﴾ اى تركت ما احبه من متاعها لما اخشى من حسابها وعقابها اوما احبه من اقبالها لما اخاف من ادبارها ﴿ فكرت فى الدنيا وعالمها . فاذا جميع امورها تفنى * وبلوت اكثر اهلها فاذا . كل امرئ فى شانه يسعى ﴾ ولا يبالى بحال غيره ﴿ اسنى منازلها وارفعها . فى العز اقربها من المهوى ﴾ اى الى السقوط من هوى الشئ اذا سقط ﴿ تعفو مساويها محاسنها . لا فرق بين النعى والبشرى ﴾ اى تمحو وتطمس مساوى الدنيا لكثرتها محاسنها فلا فرق بين تبشير النعمة واخبار النقمة والنعى اخبار الموت ﴿ ولقد مررت على القبور فما . ميزت بين العبد والمولى ﴾ اى بين قبريهما وقال عبدالله الزبعرى * والعطيات خساس بيننا . وسواء قبر مثر ومقل ﴿ اتراك تدرى كم رأيت من الا . حياء ثم رأيتهم موتى ﴾ جمع ميت ومن قصيدة ابى السعود المفتى * هب ان مقاليد الامور ملكتها . ودانت لك الدنيا وانت همام * ومتعت باللذات دهرا بغبطة . اليس بحتم بعد ذاك حمام * فبين البرايا والخلود تباين . وبين المنايا والنفوس لزام * قضية انقاد الانام لحكمها . وماحاد عنها سيد وغلام * ضرورية تقضى العقول بصدقها . سل ان كان فيها مرية وخصام * سل الارض عن حال الملوك التى خلت . الهم فوق فرق الفرقدين مقام * بابوابهم للوافدين تراكم . باعتابهم للعاكفين زحام * تجبك عن اسرار السيوف التى جرت . عليهم جوابا ليس فيه كلام * بان المنايا اقصدتهم نبالها . وماطاش عن مرمى لهن سهام * وسيقوا مساق الغابرين الى الردى . واقفر منهم منزل ومقام * وحلوا محلا غير ما يعهدونه . فليس لهم حتى القيام قيام * الم بهم ريب المنون فغالهم . فهم بين اطباق الرغام

(رغام)

رغام ﴿ فاذا ظفر المصاب باحد هذه الاسباب تخففت عنه احزانه وتسهلت عليه اشجانه فصار وشيك السلوة ﴾ اى سريع الذهول والنسيان للمصائب ﴿ قليل الجزع حسن العزاء ﴾ اى الصبر والتحمل ﴿ وقال بعض الحكماء من حاذر لم يهلع ﴾ اى من صار ذا حذر وبصيرة على عواقب اموره لم يجزع على شر مسه ﴿ ومن راقب لم يجزع ومن كان متوقعا ﴾ لنوائب الزمان ﴿ لم يكن متوجعا ﴾ اذا اصابته ﴿ وقال بعض الشعراء ﴾ من الرمل ﴿ مايكون الامر سهلا كله. انما الدنيا سرور وحزون ﴾ ويروى ليس امر المرء سهلا كله ﴿ هون الامر تعش فى راحة فلما هونت الا سيهون * تطلب الراحة فى دار العنا . ضل من يطلب شيئا لايكون ﴾ لاستلزامه السفر الى اقاصى البلاد لرجاء اصابته ويروى خاب بدل ضل كما هو الظاهر ﴿ فان اغفل نفسه من دواعى السلوة ومنعها من اسباب الصبر تضاعف عليه من شدة الاسى وهم الجزع مالا يطيق صبرا ولا يجد عنه سلوا وقال ابن الرومى ﴾ من الكامل ﴿ ان البلاء يطاق غير مضاعف . فاذا تضاعف صار غير مطاق * فاذا ساعده جزعه بالاسباب الباعثة عليه وامده ﴾ من الامداد اى اعانه ﴿ هلعه بالذرائع الداعية اليه ﴾ جمع ذريعة وهى الوسيلة ﴿ فقد سعى فى حتفه واعان على تلفه ﴾ لما مر ان الحزن يتلف ﴿ فمن اسباب ذلك تذكر المصاب ﴾ اى الشئ الذى اصيب به ﴿ حتى لايتناساه ﴾ ليلا ونهارا ﴿ وتصوره حتى لايعزب عنه ﴾ اى لايغيب عنه تخيلا وتذكارا ﴿ ولايجد من التذكار سلوة ولايخالط مع التصور تعزية وقد قال عمر بن الخطاب رضى الله عنه لاتستفزوا الدموع بالتذكر ﴾ نهى من استفزه اذا اخرجه من داره اى لا تخرجوها بتذكر ما اصبتم به بل اجتهدوا فى تناسيه ﴿ وقال الشاعر ﴾ سمعن بهيجا اوجفت فذكرنه ﴿ ولا يبعث الاحزان مثل التذكر ﴾ يعنى سمعن كلمة بشارة ووصلة اطارت فؤادهن واذهبت عقولهن لما ذكرن ما كانت لهن من تلك الوصلة فحزن على انقطاعها وفواتها ولا يبعث الاحزان اى لايثيرها ولا يحركها شئ مثل التذكر ﴿ ومنها الاسف وشدة الحسرة فلا يرى من مصابه خلفا ولايجد لمفقوده بدلا ﴾ اما لندرة وجوده او لعذره له او لشدة حرصه عليه ﴿ فيزداد بالاسف ولها ﴾ يقال وله الرجل اذا ذهب عقله حزنا ﴿ وبالحسرة هلعا ﴾ بفتحتين ايضا افحش الجزع ﴿ ولذلك ﴾ الازدياد ﴿ قال الله تعالى ﴾ فى الحديد ﴿ لكيلا تأسوا ﴾ اى اخبرناكم بذلك لئلا تحزنوا (١) ﴿ على مافاتكم ﴾ من نعم الدنيا ﴿ ولاتفرحوا بما آتاكم ﴾ اى اعطاكم الله تعالى منها فان من علم ان الكل مقدر يفوت ماقدر فواته ويأتى ماقدر اتيانه لامحالة لايعظم جزعه على مافات ولافرحه بما هو آت والمراد به نفى الاسى المانع عن التسليم لامر الله تعالى والفرح الموجب للبطر والاختيال ولذلك عقب بقوله تعالى (والله لايحب كل مختال فخور) فان من فرح بالحظوظ الدنيوية وعظمت فى نفسه اختال وافتخر بها لا محالة وفى تخصيص التذييل بالنهى عن الفرح المذكور ايذان بانه اقبح من الاسى ذكره ابو السعود ﴿ وقال بعض الشعراء ﴾ من البسيط ﴿ اذا بليت فثق بالله وارض به . ان الذى يكشف البلوى هو الله ﴾ قوله ثق امر من وثق به اذا ائتمنه وقوله وارض به اى بقضائه وحكمه ﴿ اذا قضى الله فاستسلم لقدرته . مالامرئ حيلة فيما قضى الله ﴾ اى فى ردما قضاه ﴿ اليأس يقطع احيانا بصاحبه . لاتيأسن فان الصانع الله ﴾ لان اليأس

(١) وقبل الآية ما اصاب من مصيبة فى الارض) كجدب وعاهة فى الزروع والثمار (ولا فى انفسكم) كمرض وآفة (الا فى كتاب) اى مكتوبة مثبتة فى علم الله تعالى او فى اللوح (من قبل ان نبرأها) اى من قبل ان تخلق الانفس او المصائب او الارض (ان ذلك) اى اثباتها فى كتاب (على الله يسير) لاستغنائه فيه عن العدة والمدة منه

كفر او لانه سبب انحـار وفي الحديث القدسي (انا عند ظن عبدي بي فليظن بي مايشـاء) اى فانى اعامله على حسب ظنه وافعل به مايتـوقعه منى والمراد الحث على تغليب الرجاء على الخوف وحسن الظن بالله تعالى ﴿ ومنها كثرة الشكوى وبث الجزع فقد قيل فى قوله تعالى ﴾ فى المعارج ﴿ فاصبر صبراً جميلا انه الصبر الذى لاشكوى فيه ولابث روى انس بن مالك ان النبى صلى الله عليه وسلم قال ماصبر من بث ﴾ اى نشر بلائه ﴿ وحكى كعب الاحبـار انه مكتوب فى التوراة من اصابته مصيبة فشكى الى الناس فانما يشكو ربه . وحكى ان اعرابية دخلت من البادية فسمعت صراخا فى دار فقالت ماهذا فقيل لها مات لهم انسـان فقالت ما اراهم الا من ربهم يستغيثون وبقضائه يتبرمون ﴾ اى يتضجرون ﴿ وعن ثوابه يرغبون وقد قيل فى منثور الحكم من ضـاق قلبه اتسع لسانه ﴾ وكان ابو سـعيد البلخى رحمه الله يقول من اصيب بمصيبة فمزق ثوبا اوضرب صدرا فكأنمـا اخذ رمحا يقـاتل به ملائكة ربه عزوجل وانشـدوا * عجبت لجازع باك مصـاب . باهـل او حميم ذى اكتئاب * شـقيق الجيب داعى الويل جهلا . كأن الموت كالشئ العجاب * وساوى الله فيه الخلق حتى . رسول الله منه لم يحـاب * له ملك ينادى كل يوم . لدوا للموت وابنوا للخراب ﴿ وانشد بعض اهل العلم ﴾ من الرجز المشطور ﴿ لاتكثر الشكوى الى الصديق ﴾ من الاكثار ﴿ وارجع الى الخالق لا المخلوق ﴾ كما قال الله تعالى حكاية يعقوب على نبينا وعليه السلام انما اشكو بثى وحزنى الى الله ﴿ لايخرج الغريق بالغريق ﴾ لان المخلوقات كلهن غرقى بحر المصائب واهداف سهام النوائب وقال بعضهم * ومامسنى عسر ففوضت امره . الى الملك الجبار الاتيسرا ﴿ وقال بعض الشعراء ﴾ من الكامل ﴿ لاتشك دهرك ماصححت به . ان الغنى هو صحة الجسم ﴾ قوله لاتشك نهى مخاطب من شكا يشكو شكاية ومامصدرية توقيتية اى لاتشك مدة صحتك من نوائب الدهر لان الغنى مقصور على الصحة لايتعداها الى كثرة المتاع ولاالى نفوذ الامر و النهى ﴿ هبك الخليفة كنت منتفعا . بغضارة الدنيا مع السقم ﴾ بضم فسـكون اى مع المرض وقوله هب فعل امر بمعنى احسب واعدد غير متصرف فى هذا المعنى والغضارة النعمة والسعة والخصب والوفرة فى المعيشة والاستفهام المقدر للانكار اى ماكنت منتفعا بها قال قبيصة بن ذؤيب كنا نسمع نداء عبدالملك بن مروان من وراء الحجرة فى مرضه يا اهل النعم لاتسـتقلوا شيئا من النعم مع العافية وقال على رضى الله عنه فى قوله تعالى ثم لتسئلن يومئذ عن النعيم هو الامن والصحة والعافية وقال ابن الرومى * اذا ماكساك الدهر سربال صحة . ولم يخل من قوت يحل ويقرب * فلا تغبطن اهل الكثير فانما . على قدر مايعطيهم الدهر يسلب ﴿ ومنها اليأس من خير مصابه ودرك طلابه فيقترن بحزن الحادثة قنوط الاياس فلايبقى معهما صبر ولايتسع لهما صدر وقد قيل المصيبة بالصبر اعظم المصيبتين ﴾ لان الصبر هو عوض المفقود ولاعوض عن الصبر فلذا كان اعظم ﴿ وقال ابن الرومى ﴾ من الرمل ﴿ اصبرى ايتها النفـس فان الصبر احجى ﴾ اى احرى واليق بك ﴿ ربما خاب رجاء . وأتى ماليس يرجى * وانشدنى بعض اهل العلم ﴾ من الطويل ﴿ اتحسب ان البؤس للحر دائم . ولو دام شئ عده الناس فى العجب ﴾ اى فى عجائب الدنيا ﴿ لقد عرفتك الحادثات ببؤسها . وقد ادبت ان كان ينفعك الادب ﴾ يعنى اعرفك الحوادث ذواتها باظهار سطوتها وادبتك

بصرفك عن بعض شهواتك لئلا تطمئن الى الدنيا بكليتك وليست بدائمة لديك لان لها مطائف اخرى ﴿ ولو طلب الانسان من صرف دهره . دوام الذى يخشى لاعياه ما طلب ﴾ صرف الدهر حدثانه و نوائبه و قوله اعياه اى اعجزه وكله كما قيل * خاب من يطلب شيئا لا يكون ﴿ ومنها ان يغرى ﴾ اى يولع و يحرص ﴿ بملاحظة من حيطت سلامته ﴾ اى صينت ﴿ وحرست نعمته حتى التحف بالامن والدعة ﴾ اى تسربل وتغطى بهما ﴿ واستمتع بالثروة والسعة و يرى انه قد خص من بينهم بالرزية بعد ان كان مساويا وافرد بالحادثة بعد ان كان مكافيا فلا يستطيع صبرا على بلوى ولا يلزم ﴾ اى لا يحمل لازما فبناء افعل للاعتقاد ﴿ شكرا على نعمى ﴾ غير التى اصيب بها ﴿ ولو قابل بهذه النظرة ملاحظة من شاركه فى الرزية وساواه فى الحادثة لتكافأ الامران ﴾ امره وامر من لاحظه ﴿ فهان عليه الصبر وحان منه الفرج ﴾ اى قرب ولذا يقال البلية اذا عمت طابت الا ان ابن الرومى امعن النظر ولم يستحسن هذا التعزى حيث قال * و ما راحة المرزوء فى رزء غيره . ايحمل عنه بعض ما يتحمل * كلا حاملى او فى الرزية مثقل . وليس معينا مثقل الدهر مثقل * وضرب من الظالم الخفى مكانه . تعزيك بالمرزى حين تأمل * وعد ذلك التعزى من الشماتة ولابن رشيق * رأيت التعزى مما يهيج . على المرء ساكن اوصابه * ومانال ذو اسوة سلوة . و لكن اتى الحزن من بابه * تفكر فى مثل ارزائه . فذكره ما به ما به ﴿ و انشدت لامرأة من العرب ﴾ من الرمل ﴿ ايها الانسان صبرا . ان بعد العسر يسرا ﴾ اى اصبر صبرا او لازمه ﴿ كم رأينا اليوم حرا . لم يكن بالامس حرا ﴾ بفتح الحاء مقابل البرد ويجوز ارادة لازمه و هو الحزن ﴿ ملك الصبر فاضحى . مالكا خيرا و شرا ﴾ اى فصار الانسان مالكا خيره و شره بصبره ﴿ اشرب الصبر وان كا . ن من الصبر امرا ﴾ الصبر الثانى على وزن كتف عصارة شجرة مرة الا انه اسكن للضرورة ﴿ و انشدت لبعض اهل الادب ﴾ من الطويل ﴿ يراع الفتى للخطب تبدو صدوره . فيأسى وفى عقباه يأتى سروره ﴾ قوله يراع من راع يراع للمشاكلة بقوله يأسى والمشاكلة ذكرا لشئ بلفظ غيره لوقوعه فى صحبته تحقيقا او تقديرا واصله يروع يعنى يخاف و يفزع له فى ابتدائه فيحزن عليه ويسر فى عقباه ثم التفت الى الخطاب للتطمين و ابراز الموعود المظنون فى معرض المشاهد المجزوم فقال ﴿ الم تر ان الليل لما تراكمت . دجاه بدا وجه الصباح ونوره ﴾ يقال تراكم الشئ اذا اجتمع على آخر . والدجى الظلمة ﴿ فلا تصحبن اليأس ان كنت عالما . لبيبا فان الدهر شتى اموره ﴾ قوله شتى فعل ماضى من التشتيت ابدل الياء من التاء كما فى تقضى البازى اى تفرق كثيرا اموره ولذا لا يتعهد امرك ولست ابنك وحده وقال آخر * فلا تجزع اذا اعسرت يوما . فقد ايسرت فى الزمن الطويل * ولا تيأس فان اليأس كفر . لعل الله يغنى عن قليل * وان العسر يتبعه يسار . وقول الله اصدق كل قيل * ولا تظنن بربك ظن سوء . فان الله اولى بالجميل ﴿ واعلم انه قل من صبر على حادثة وتماسك فى نكبة ﴾ اى تماسك نفسه ولم يجزع فى نكبته ﴿ الا كان انكشافها وشيكا ﴾ اى سريعا عليه ﴿ وكان الفرج منه قريبا اخبرنى بعض اهل الادب ان ابا ايوب الكاتب ﴾ وزير ابى جعفر المنصور بعد البرمكى ﴿ حبس فى السجن خمس عشرة سنة حتى ضاقت حيلته و قل صبره فكتب الى بعض اخوانه يشكو له طول حبسه فرد ﴾

ذلك البعض ﴿ عليه جواب رقعته بهذا ﴾ الشعر من الكامل ﴿ صبرا ابا ايوب صبر مبرح • فاذا عجزت عن الخطوب فمن لهـا ﴾ اى يا ابا ايوب و فى النداء بكنيته تلميح الى قصة ايوب على نبينا وعليه السـلام وصبره وقوله مبرح اسم مفعول من التبريح وهو شـدة الاذى وقوله فمن لهـا اى فمن يتعهد بخطوبك ويتكفل بهمومك فاظهر ذلك البعض عجزه عن اغاثته وقال ﴿ ان الذى عقد الذى انعقدت له. عقد المكاره فيك يملك حلها ﴾ تعريف المسند اليه بالموصول للايماء الى وجه بناء الخبر والعقدعام من الحسى والمعنوى يقال عقد الحبل والبيع والعهد اذا شـده والموصول الثانى للتفخيم وصلته قوله فيك . وانعقدت اى حقت وثبتت له لالغيره وعقد المكاره فاعله وتأنيث الفعل كما فى قطعت بعض اصابعه والجملة خبران ويملك خبر ايضا يعنى ان الذى عقد الذى فيك من طول الحبس انعقدت له عقد المكاره وحلها فادعه ﴿ صبرا فان الصبر يعقب راحة . ولعلها ان تنجلى ولعلها ﴾ اى اصبر صبرا اومن باب الاغراء ويعقب من الاعقاب بمعنى المناوبة وضمير لعلها راجعة الى المكاره والثانية تأكيد لها اى من شانها الانجلاء والانكشاف ﴿ فاجابه ابوايوب بقوله * صبرتنى ووعظتنى وانا لها. وستنجلى بل لا اقول لعلها ﴾ قوله صبرتنى فعل ماض من التصبير وبناء فعل للدعاء للمفعول باصل الفعل كما فى سـقيته اى قلت له سقيالك يعنى قلت لى صبرا صبرا . وانالها مضارع متكلم والضمير للراحة اى اصيبها وافوز بها والسـين للتحقيق والتأكيد كما فى قوله تعالى سنريهم آياتنـا فى الآفاق وفى انفسهم ولذا قابله بقوله بل لا اقول لعلها ان تنجلى ﴿ ويحلها من كان صاحب عقدها . كرما به اذكان يملك حلها ﴾ قوله يحلها بضم الحاء ﴿ فلم يلبث بعد ذلك فى السجن الا اياما حتى اطلق مكرما وانشـد ابن دريد عن ابى حاتم ﴾ من الوافر ﴿ اذا اشتملت على اليأس القلوب . وضاق لما به الصدر الرحيب ﴾ اى الواسع واراد بالصدر القلب وسعته لكونه محل العقل الذى يرتسم فيه صور الاشياء من الجبال والتلال والبحار والبرارى والقفار الى غير ذلك وقد قيل * رحب الفلاة مع الاعداء ضـيقة . سم الخياط مع الاحباب ميدان * واخبث الارض ما للنفس فيه اذى . خضر الجنـان مع الاعداء نيران ﴿ واوطنت المكاره واطمأنت . وارست فى مكانها الخطوب ﴾ قوله اوطنت اى اتخذت وطنا .وارست اى ثبتت وفى للمصاحبة والمكانة الوقار والرزانة ضد الخفة ﴿ ولم تر لانكشاف الضر وجها. ولا اغنى بحيلته الاريب ﴾ اى العاقل الحاذق الماهر وقوله لااغنى اى لم يكف ﴿ اتاك على قنوط منك غوث . يمن به اللطيف المستجيب ﴾ القنوط اليأس والغوث النصرة والامداد ﴿ وكل الحادثات اذا تناهت . فمو صـول بها الفرج القريب ﴾ وسـئل بزرجمهر عن حاله فى نكبة فقال عولت على اربعة اشياء او لها انى قلت القضاء والقدر لابد من جريانهما الثانى انى قلت ان لم اصبر فما اصنع الثالث انى قلت قدكان يجوز ان يكون اعظم من هذا الرابع انى قلت لعل الفرج قريب والله اعلم ﴿ الفصل الثالث فى الاسـتشارة * اعلم ان من الحزم لكل ذى لب ان لا يبرم امرا ﴾ اى لا يحكمه بان عزم على فعله ﴿ ولا يمضى عزما الا بمشـاورة ذى الرأى الناصح ومطالعة ذى العقل الراجح فان الله تعالى امر بالمشورة نبيه صلى الله عليه وسلم مع ما تكفل به من ارشاده ووعد به من تأييده فقال تعالى ﴾ فى آل عمران ﴿ وشاورهم فى الامر ﴾ يعنى فى امر الحرب ونحوه مما لم ينزل عليك فيه وحى لتستظهر برأيهم ولما فيه من

(تطييب)

تطييب نفوسهم والرفع من اقدارهم كذا فى الكشاف واختلف فى اشتقاقها فقيل هو من شرت العسل اشوره اذا جنيته فكأن المستشير يجنى الرأى من المشير وقيل من شرت الدابة اذا اجريتها مقبلة ومدبرة لتختبرها والمكان الذى يعرض فيه الدواب يسمى مشوارا كأنه بالعرض يعلم خيره وشره فكذلك يعلم بالمشاورة خيرالامور وشرها (فاذا عزمت) عقيب المشاورة على شئ واطمأنت به نفسك (فتوكل على الله) فى امضاء امرك على ما هو ارشد لك واصلح فان علمه مختص به سبحانه وتعالى (ان الله يحب المتوكلين) عليه تعالى فينصرهم ويرشدهم الى ما فيه خير لهم وصلاح ﴿ قال قتادة امره بمشاورتهم ﴾ اى الصحابة رضى الله عنهم ﴿ تألفالهم ﴾ وذلك لانه اذا اجتهد كل واحد منهم فى استخراج الوجه الاصلح فى تلك الواقعة فتصير الارواح متطابقة متوافقة على تحصيل اصلح الوجوه فيها وتطابق الارواح الطاهرة على الشئ الواحد مما يعين على حصوله وهذا هوالسر عند الاجتماع فى الصلوات وهو السر فى ان صلاة الجماعة افضل من صلاة المنفرد ﴿ وتطييبا لانفسهم ﴾ لان مشاورة الرسول صلى الله عليه وسلم اصحابه توجب علوشانهم ورفعة درجتهم وذلك يقتضى شدة محبتهم وخلوصهم فى طاعته ولولم يفعل ذلك لكان اهانة بهم فيحصل سوء الخلق والفظاظة كما ذكره الرازى ﴿ وقال الضحاك امره بمشاورتهم لما علم فيها من الفضل وقال الحسن البصرى رحمه الله امره بمشاورتهم ليستن به المسلمون ويتبعه فيها المؤمنون وان كان عن مشاورتهم غنيا ﴾ قال ابن رشيق فى ادب الآية * اشاور اقواما لآخذ رأيهم . فيلوون عنى اعينا وخدودا * وليس برأيى حاجة غير اننى . أونسه كى لايكون وحيدا * ولاانا ممن يبعث السهم راميا . الى غرض حتى يكون سديدا * فلا يتهم عقلى الرجال فاننى . اعرفهم انى خلقت ودودا ﴿ وروى عن النبى صلى الله عليه وسلم انه قال المشورة حصن من الندامة وامان من الملامة ﴾ لان المشاور على احدى الحسنيين صواب يفوز بثمرته اوخطأ يشارك فى مكروهه قال البخارى (وكانت الائمة) من الصحابة والتابعين ومن بعدهم (بعد النبى صلى الله عليه وسلم يستشيرون الامناء من اهل العلم فى الامور المباحة ليأخذوا باسهلها) اذا لم يكن فيها نص بحكم معين وكانت على اصل الاباحة والتقييد بالامناء صفة كاشفة لان غير المؤتمن لايستشار ولايلتفت لقوله (فاذا وضح الكتاب اوالسنة لم يتعدوه الى غيره اقتداء بالنبى صلى الله عليه وسلم . ورأى ابو بكر الصديق رضى الله عنه قتال من منع الزكاة فقال عمر رضى الله عنه كيف نقاتل الناس وقد قال رسول الله صلى الله عليه وسلم (امرت ان اقاتل الناس) المشركين عبدة الاوثان دون اهل الكتاب (حتى يقولوا لااله الاالله فاذا قالوا لااله الاالله) مع محمد رسول الله (عصموا منى) اى حفظوا (دماءهم واموالهم) فلا تهدر دماؤهم ولا تستباح اموالهم بعد عصمتهم بالاسلام بسبب من الاسباب (الابحقها) من قتل نفس اوحد او غرامة متلف زاد ابوذر و حسابهم اى بعد ذلك على الله اى فى امر سرائرهم . وانما قيل دون اهل الكتاب لانهم اذا اعطوا الجزية سقط عنهم القتال وثبتت لهم العصمة فيكون ذلك تقييدا للمطلق (فقال ابو بكر والله لاقاتلن من فرق بين ماجمع رسول الله صلى الله عليه وسلم ثم تابعه بعد عمر) على ذلك (فلم يلتفت ابو بكر الى مشورة اذ كان عنده حكم رسول الله صلى الله عليه وسلم فى الذين فرقوا بين الصلاة والزكاة وارادوا تبديل الدين واحكامه

وقال النبي صلى الله عليه وسلم من بدل دينه فاقتلوه وكان القراء اصحاب مشورة عمر كهولا كانوا اوشبانا وكان) اى عمر (وقافا) اى كثير الوقوف (عند كتاب الله عز وجل) انتهى ﴿ وقال على بن ابى طالب رضى الله عنه نعم الموازرة المشاورة ﴾ وازر بمعنى توزر والوزير من يتحمل اثقال الملك ويعينه فى مصالحه ورأيه وتدبير الممالك ﴿ وبئس الاستعداد الاستبداد ﴾ برأيه الفذ ﴿ وقال عمر بن الخطاب رضى الله عنه الرجال ثلاثة ﴾ انواع ﴿ رجل ترد عليه الامور فيسددها برأيه ﴾ لكونه من اهل الرأى ﴿ ورجل يشاور ﴾ فيما اشكل عليه وينزل حيث يأمره اهل الرأى ﴾ بانقياده لهم ﴿ ورجل حائر ﴾ بامره ﴿ بائر ﴾ اى فاسد رأيه وهالك تأكيد لفظى لحائر يقال رجل حائر بائر اذا كان لم يتجه لشئ و ﴿ لا يأتمر رشدا ولا يطيع مرشدا ﴾ ليس من اهل الرأى ولا ينقاد لهم ﴿ وقال عمر بن عبد العزيز ان المشورة والمناظرة ﴾ اى المباحثة من الطرفين لاظهار الحق ﴿ باب رحمة ومفتاح بركة لا يضل معهما رأى ﴾ صواب ﴿ ولا يفقد معهما حزم . وقال سيف بن ذى يزن ﴾ بفتحتين مصروفا ويمنع وهو من ملوك حمير وكان شريفا من اهل اليمن وقد اهدى الى النبى صلى الله عليه وسلم حلة وفى الشفاء انه ممن اخبر ببعثة النبى عليه السلام لجده عبد المطلب بن هاشم حين وفد عليه مع قريش ليهنوه بنصرته على الحبشة وذلك بعد مولده عليه السلام بسنتين ﴿ من اعجب برأيه لم يشاور ومن استبد برأيه كان من الصواب بعيدا . وقال عبد الحميد المشاور فى رأيه ﴾ من حيث اصابته وخطائه ﴿ ناظر من ورائه ﴾ كما انه ناظر من امامه قال الارجانى * شاور سواك اذا نابتك نائبة . يوما وان كنت من اهل المشورات * فالعين تلقى كفاحا مادنى ونأى . ولا ترى نفسها الا بمرآة * وقال ايضا * اقرن برأيك رأى غيرك واستشر . فالحق لا يخفى على اثنين * فالمرء مرآة تريه وجهه . ويرى قفاه بجمع مرآتين ﴿ وقيل فى منثور الحكم المشاورة راحة لك وتعب على غيرك ﴾ قال ابن المعتز * تجاوز عن اساءة كل دهر . وصاحب يوم حادثة بصبر * وان نابتك نائبة فشاور . فكم حمد المشاور غب امر * وقسم هم نفسك فى نفوس . ولا تتفردن بطول فكر * اذا كظ الفرات بماء مد . اغص به حلاقم كل نهر ﴿ وقال بعض الحكماء الاستشارة عين الهداية وقد خاطر من استغنى برأيه . وقال بعض الادباء ما خاب من استخار ولا ندم من استشار ﴾ عن جابر رضى الله عنه انه قال كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يعلمنا الاستخارة فى الامور كلها كما يعلمنا السورة من القرآن يقول اذا هم احدكم بالامر فليركع ركعتين من غير الفريضة ثم ليقل اللهم انى استخيرك بعلمك واستقدرك بقدرتك واسئلك من فضلك العظيم فانك تقدر ولا اقدر وتعلم ولا اعلم وانت علام الغيوب . اللهم ان كنت تعلم ان هذا الامر خير لى فى دينى ومعاشى وعاقبة امرى (اوقال فى عاجل امرى وآجله) فاقدره لى ويسره لى ثم بارك لى فيه وان كنت تعلم ان هذا الامر شر لى فى دينى ومعاشى وعاقبة امرى (اوقال فى عاجل امرى وآجله) فاصرفه عنى واصرفنى عنه واقدر لى الخير حيث كان ثم رضنى به ويسمى حاجته . رواه الجماعة الا مسلما ﴿ وقال بعض البلغاء من حق العاقل ان يضيف الى رأيه آراء العقلاء ويجمع الى عقله عقول الحكماء فالرأى الفذ ﴾ اى الفرد ﴿ ربما زل والعقل الفرد ربما ضل . وقال بشار بن برد * اذا بلغ الرأى المشورة ﴾ بان اشكل الامر والتبس ﴿ فاستعن ﴾ وجوبا ﴿ برأى

(اقدره اى اقضه لى وهيئه . ويسمى حاجته اى بدل قوله هذا الامر . اوقال شك من الراوى فى الموضعين منه)

نصيح او نصيحة حازم ﴾ يعنى فاما ان تعمله برأى النصيح اوتتركه بنصيحة الحازم وتنتظر ازمان امكانه واوان فرصه ﴿ ولا تجعل الشورى عليك غضاضة ﴾ بالفتح اى ذلا ومنقصة عليك كأنه لايهتدى اموره بنفسه ﴿ فان الخوافى ﴾ جمع خافية وتاؤه للنقل اوللمبالغة يقال هو خافية اى ضد العلانية واراد بهم الجواسيس الذين يتقدمون الجيش و يجسسون مكامن الاعداء ﴿ قوة للقوادم ﴾ اى للمعسكر القوادم على الاعداء يعنى كما انهم قوة لهم كذلك الاستشارة قوة للمستشير لامنقصة عليه * وما خير كف امسك الغل اختها . وما خير سيف لم يؤيد بقائم * وخل الهوينى للضعيف ولاتكن. نؤما فان الدهر ليس بنائم * وحارب اذالم تعط الاظلامة . شبا الحرب خير من قبول المظالم * قال الشريشى والقصيدة طويلة قالها فى ابراهيم بن عبدالله (٣) فلماقتل صرفها الى المنصور فى ابى مسلم فقتله المنصور سنة سبع وثلاثين ومأة انتهى وقال الصفدى * لاتسع فى امر ولاتعمل به . مالم يزنه لديك عقل ثان * فالشعر معتدل بوزن عروضه . وكذا اعتدال الشمس بالميزان ﴿ فاذا عزم على المشاورة ارتادلها ﴾ اى طلب ﴿ من اهلها من قد استكملت فيه خمس خصال * ﴿ احداهن عقل كامل مع تجربة سالفة فان بكثرة التجارب تصح الروية ﴾ كما قيل * بصير باعقاب الامور كأنما . يخاطبه من كل امر عواقبه ﴿ وقدروى ابوالزناد ﴾ عبدالله بن ذكوان المدنى القرشى ﴿ عن الاعرج ﴾ ابى داود عبدالرحمن بن هرمز التابعى المدنى القرشى مولى ربيعة بن الحارث بن عبدالمطلب روى عن ابى سلمة وعبدالرحمن بن القارى وابى هريرة وروى عنه الزهرى ويحيى الانصارى ويحيى بن ابى كثير وآخرون واتفقوا على توثيقه مات بالاسكندرية سنة سبع عشرة ومأة ﴿ عن ابى هريرة عن النبى صلى الله عليه وسلم انه قال استرشدوا العاقل ﴾ اى الكامل العقل اى اطلبوا منه الارشاد الى اصابة الصواب ﴿ ترشدوا ﴾ بضم المعجمة اى يحصل لكم الرشد قال المناوى فيشار فى شان الدنيا من جرب الامور ومارس المخبور والمحذور وفى امور الدين من عقل عن الله امره ونهيه ﴿ ولا تعصوه ﴾ بفتح اوله ﴿ فتندموا ﴾ اى ولا تخالفوه فيما يرشدكم اليه من الرأى فتصبحوا على مافعلتم نادمين وخرج بالعاقل بالمعنى المقرر غيره فلا يشاور ولا يعمل برأيه وقال الحفنى ولا يسأل اهل الآخرة عن امور الدنيا اذلا تعلق لهم بذلك ولذا قال صلى الله عليه وسلم فى قصة النخل انتم اعلم بامر دنياكم وهو للتشريع بان يعلم ان امور الدنيا لايسأل عنها اهل الآخرة ولا يطلب مشاورة النساء لنقص عقلهن ﴿ وقال عبدالله بن الحسن لابنه محمد احذر مشاورة الجاهل وان كان ناصحا ﴾ اى محبا ودودا وخليلا وفيا ﴿ كما تحذر عداوة العاقل اذا كان عدوا فانه ﴾ اى الجاهل ﴿ يوشك ان يورطك بمشاورته فيسبق اليك مكر العاقل وتوريط الجاهل ﴾ اى القاءه فى الورطة والمهلكة ﴿ وقيل لرجل من عبس ﴾ بن بغيض وهو ابو قبيلة ﴿ ما اكثر صوابكم ﴾ بالنصب على التعجب او على الاستفهام ﴿ قال نحن الف رجل وفينا حازم ونحن نطيعه فكأنا الف حازم وكان يقال اياك ومشاورة رجلين شاب معجب بنفسه قليل التجارب فى غيره ﴾ على انه لاتنفع التجارب مع الهوى والاعجاب قال ابن هبيرة وهو يؤدب بعض بنيه لاتكونن اول مشير واياك والرأى الفطير وتجنب ارتجال الكلام ولا تشر على مستبد ولا على وغد ولا على متلون ولا على لجوج

(٣) بن عباس بن عبدالمطلب قتله مروان آخر ملوك بنى امية لما بلغه ان ابامسلم يدعو الناس الى طاعته وبيعته منه

وخف الله فى موافقة هوى المستشير فان التماس موافقته لؤم وسوء الاستمتاع منه خيانة ﴿ او كبير قد اخذ الدهر من عقله كما اخذ من جسمه. وقيل فى منثور الحكم كل شئ يحتاج الى العقل والعقل يحتاج الى التجارب ولذلك قيل الايام ﴾ اى مرورها ﴿ تهتك لك عن الاستار الكامنة وقال بعض الحكماء التجارب ليس لها غاية والعاقل منها فى زيادة . وقال بعض الحكماء من استعان بذوى العقول فاز بدرك المأمول وقال ابوالاسود الدؤلى ﴾ من الطويل ﴿ وما كل ذى لب بمؤتيك نصحه. ولا كل مؤت نصحه بلبيب * ولكن اذاما استجمعا عند صاحب. فحق له من طاعة بنصيب ﴾ اى على درجة عقله وضمير التثنية راجع الى اللب واتيان النصح ﴿ والخصلة الثانية ان يكون ذادين وتقى فان ذلك عماد كل صلاح وباب كل نجاح ومن غلب عليه الدين فهو مأمون السريرة موفق العزيمة. روى عكرمة عن ابن عباس رضى الله عنهما قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم من اراد امرا فشاور فيه امرأ مسلما ﴾ اجتمع فيه صلاح دين وكمال عقل وتجربة ﴿ وفقه الله لارشد اموره ﴾ وفيه ندب استشارة من ذكر ﴿ والخصلة الثالثة ان يكون ناصحا ودودا فان النصح والمودة يصدقان الفكرة ويمحضان الرأى. وقد قال بعض الحكماء لاتشاور الا الحازم غير الحسود واللبيب غير الحقود واياك ومشاورة النساء فان رأيهن الى الافن ﴾ اى الفساد يقال افن الجوز من الباب الرابع اذا صار افينا لاخير فيه ﴿ وعزمهن الى الوهن. وقال بعض الادباء مشورة المشفق الحازم ظفر ومشورة غير الحازم خطر وقال بعض الشعراء ﴾ من المنسرح ﴿ اصف ضميرا لمن تعاشره . واسكن الى ناصح تشاوره ﴾ قوله اصف امر من الاصفاء يقال اصفاه اذا صدقه الاخاء وسكن المتحرك اذا قر وسكن داره اذا استوطنه تقول سكنت نفسى الى فلان اى استأنست به فالعلاقة اللزوم يعنى خلص فؤادك من الغش والحيلة لمن تعاشره وتصاحبه واستأنس واطمأن بناصح تشاوره ﴿ وارض من المرء فى مودته . بما يؤدى اليك ظاهره * من يكشف الناس لايجد احدا . تصح منهم له سرائره ﴾ وهذا كما فى الحديث لو تكاشفتم ماتدافنتم اى لو انكشف عيب بعضكم لبعض ما تكاتمتم من مساويكم شيئا لان الخل الوفى كالعنقاء اسم موضوع لحيوان غير موجود ﴿ اوشك ان لايدوم وصل اخ . فى كل زلاته تنافره ﴾ وتعاتبه وقد سبق فى المواخاة الاغضاء عن زلات الاخوان ﴿ والخصلة الرابعة ان يكون سليم الفكر من هم قاطع ﴾ لسلامة الفكر ﴿ وغم شاغل فان من عارضت فكره شوائب الهموم ﴾ جمع شائبة اى اقذارها واد ناسها ﴿ لايسلم له رأى ولا يستقيم له خاطر ﴾ لان الهم يمنع من ترتيب المقدمات بل يذهل عن نتائج المقدمات المرتبة على ترتيب الشكل الاول ﴿ وقد قيل فى منثور الحكم كل شئ يحتاج الى العقل والعقل يحتاج الى التجارب وكان كسرى ﴾ انو شروان ﴿ اذا دهمه ﴾ من الباب الرابع والثالث اى اذا استولاه وغشيه ﴿ امر ﴾ عظيم ﴿ بعث ﴾ ذلك الامر ﴿ الى مرازبته ﴾ جمع مرزبان وهو لفظ فارسى اى حافظ الحدود وعند العرب مرزبان عظيم المجوس من علمائهم وحكمائهم ﴿ فاستشارهم فان قصروا فى الرأى ضرب قهارمته ﴾ جمع قهرمان وهو لفظ فارسى ايضا وهو صاحب الحكم المعبر عنه بالفارسية كارفرماى ﴿ وقال ابطأتم بارزاقهم فاخطؤا فى آرائهم ﴾ لاعتراض هم الارزاق على افكارهم ﴿ وقال صالح بن عبدالقدوس ﴾ من البسيط ﴿ ولامشير كذى نصح ومقدرة . فى مشكل الامر فاختر ذاك

(منتصحا)

منتصحا * والخصلة الخامسة ان لا يكون له فى الامر المستشار غرض يتابعه ولاهوى يساعده فان الاغراض ﴿ والمنافع ﴿ جاذبة ﴾ للرأى اليها ﴿ والهوى صاد ﴾ اى مانع وصارف عن استقامة الرأى ﴿ والرأى اذا عارضه الهوى وجاذبته الاغراض فسد . وقد قال الفضل بن العباس بن عتبة بن ابى لهب ﴾ من الطويل ﴿ وقد يحكم الايام من كان جاهلا . ويردى الهوى ذا الرأى وهو لبيب ﴾ يقال احكم الشئ اذا اتقنه او اذا منعه عن الفساد ويردى اى يفسد الهوى رأى ذى الرأى العاقل يعنى مرور الايام قد يصير الجاهل حكيما لطلبه الحق واتباعه اياه ويفسد رأى العاقل لملازمته هواه لماسبق فى فصله ان حبك الشئ يعمى ويصم فلا يتم تجاربه ﴿ ويحمد فى الامر الفتى وهو مخطئ . ويعذل فى الاحسان وهو مصيب ﴾ اى يحمد الفتى فى بعض الامور لموافقته هوى من حمده وهو مخطئ فى ذلك الامر لعدم مشروعيته ومعقوليته ويلام الفتى لاحسانه وهو مصيب فيه لعدم ملائمته هوى اللائم وان كان مشروعا ﴿ فاذا استكملت هذه الخصال الخمس فى رجل كان اهلا للمشورة ومعدنا للرأى فلا تعدل ﴾ ايها الطالب للمشورة ﴿ عن استشارته اعتمادا على ما تتوهمه من فضل رأيك وثقة بما تستشعره من صحة رويتك فان رأى غير ذى الحاجة اسلم وهو من الصواب اقرب لخلوص الفكر وخلو الخاطر مع عدم الهوى وارتفاع الشهوة وقد روى عن النبى صلى الله عليه وسلم ﴾ كما رواه البيهقى عن سعيد بن المسيب مرسلا ﴿ انه قال رأس العقل بعد الايمان بالله التودد الى الناس ﴾ مع حفظ الدين ﴿ وما استغنى مستبد برأيه ﴾ اى منفرد به ومنه المثل من استبد برأيه فقد هلك ﴿ وما هلك احد عن مشورة ﴾ وفى روايه (وما يستغنى رجل عن مشورة) لان من اكتفى برأيه ضل ومن استغنى بعقله زل ﴿ فاذا اراد الله بعبد هلكة ﴾ بفتحات اى هلاكا ﴿ كان اول ما يهلكه رأيه ﴾ اى اذا اراد الله ان يهلك عبدا حير فكره فلا يهتدى الى الصواب فيقع فى الهلكة ومن الامثال * وكان كعنز السوء قامت بظلفها . الى مدية تحت الثرى تستثيرها ﴿ وقال على بن ابى طالب رضى الله عنه الاستشارة عين الهداية وقد خاطر من استغنى برأيه . وقال لقمان الحكيم لابنه شاور من جرب الامور فانه يعطيك من رأيه ماقام عليه بالغلاء ﴾ ضد الرخص ﴿ وانت تأخذه مجانا . وقال بعض الحكماء نصف رأيك مع اخيك فشاوره ليكمل لك الرأى . وقال بعض الادباء من استغنى برأيه ضل ومن اكتفى بعقله زل . وقال بعض البلغاء الخطأ مع الاسترشاد احمد من الصواب مع الاستبداد ﴾ لما فيه من التألف وتطييب النفوس ﴿ وقال الشاعر ﴾ من الطويل ﴿ خليلى ليس الراى فى صدر واحد . اشيرا على بالذى تريان ﴾ قوله خليلى بصيغة التثنية منادى مضاف الى ياء المتكلم وكثر النداء بصيغة التثنية لان الرفقة ثلاثة غالبا وقوله اشيرا تثنية امر من الاشارة ويروى اشيرا على اليوم ما تريان ﴿ ولاينبغى ان يتصور فى نفسه انه ان شاور فى امره ظهر للناس ضعف رأيه وفساد رويته حتى افتقر الى رأى غيره فان هذه معاذير النوكى ﴾ على وزن سكرى جمع انوك وهو الاحمق وقول العلماء باهلت من شاء ليس باستبداد بل ايذان بكمال معرفة وايقان ﴿ وليس يراد الراى للمباهاة به وانما يراد للانتفاع بنتيجته والتحرز عن الخطأ عند زلله وكيف يكون عارا ما ادى الى صواب وصد عن

خطأ وقد روى عن النبي صلى الله عليه وسلم انه قال لقحوا عقولكم بالمذاكرة ﴾ في الاساس النظر في العواقب تلقيح العقول وفلان ملقح منقح مجرب مهذب فكما ان النفوس تزداد بالنكاح فكذلك العقول تزداد بتلاحق الافكار ﴿ واستعينوا على اموركم بالمشاورة وقال بعض الحكماء من كمال عقلك استظهارك ﴾ اى طلبك ظهيرا و معينا ﴿ على عقلك . وقال بعض البلغاء اذا اشكلت عليك الامور وتغيرلك الجمهور فارجع الى رأى العقلاء وافزع الى استشارة العلماء ولا تأنف من الاسترشاد ولاتستنكف من الاستمداد فلان تسأل وتسلم خير لك من ان تستبد وتندم . وينبغى ان تكثر من استشارة ذوى الالباب لاسيما فى الامر الجليل فقلما يضل عن الجماعة رأى اويذهب عنهم صواب لارسال الخواطر الثاقبة واجالة الافكار الصادقة فلايعزب عنها ممكن ولايخفى عليها جائز وقد قيل فى منثور الحكم من اكثر المشورة لم يعدم عند الصواب مادحا وعند الخطأ عاذرا وان كان الخطأ من الجماعة بعيدا ﴾ فاذا استشار الجماعة فقد اختلف اهل الرأى فى اجتماعهم عليه وانفراد كل واحد منهم به ﴾ اى بذلك الامر المستشار ﴿ فذهب الفرس ان الاولى اجتماعهم على الارتياء ﴾ اى النظر والبحث ﴿ واجالة الفكر ليذكر كل واحد منهم ما قدحه خاطره ﴾ اى تدبره ﴿ واتجه فكره حتى اذا كان فيه قدح ﴾ اى طعن ودخل ﴿ عورض ﴾ والمعارضة لغة هى المقابلة على سبيل الممانعة واصطلاحا هى اقامة الدليل على خلاف ما اقام الدليل عليه الخصم ﴿ اوتوجه عليه رد ونقض ﴾ والنقض لغة هو الكسر وفى الاصطلاح هو بيان تخلف الحكم المدعى ثبوته اونفيه عن دليل المعلل الدال عليه فى بعض من الصور فان وقع بمنع شئ من مقدمات الدليل على الاجمال يسمى نقضا اجماليا لان حاصله يرجع الى منع شئ من مقدمات الدليل على الاجمال وان وقع بالمنع المجرد اومع السند سمى نقضا تفصيليا لانه منع مقدمة معينة ﴿ كالجدل الذى تكون فيه المناظرة وتقع فيه المنازعة والمشاجرة ﴾ المنازعة ﴿ فانه لايبقى فيه مع اجتماع القرائح عليه خلل الاظهر ولازلل الابان ﴾ بسبب المعارضة والنقض ﴿ وذهب غيرهم من اصناف الامم الى ان الاولى استسرار كل واحد بالمشورة ﴾ من غير ان يعلم الآخر به لان فى اجتماعهم للمشورة تعريض للسر للاذاعة فاذا اذيع السر لم يقدر الملك على تأديب من اذاعه للابهام فان عاقب الكل عاقبهم بذنب واحد وان عفا عنهم الحق الجانى بمن لاذنب له وايضا ربما سبق احدهم بالرأى الصواب فحسدوه وعارضوه ﴿ ليجيل كل واحد منهم فكره فى الرأى طمعا فى الحظوة بالصواب فان القرائح اذا انفردت استكدها الفكر واستفرغها الاجتهاد واذا اجتمعت فوضت وكان الاول من بداءتها ﴾ اى بداءة القرائح ﴿ متبوعا ﴾ وان لم تكن تلك البديهة مستقيمة ﴿ ولكل واحد من المذهبين وجه ﴾ يرجحه ﴿ ووجه الثانى اظهر . والذى اراه فى ﴾ تعيين ﴿ الاولى غير هذين المذهبين على الاطلاق ولكن ﴾ الحق الحل والتفصيل فاقول ﴿ ينظر فى الشورى فان كانت فى حالة واحدة ﴾ بان كان للامر المستشار جهة واحدة ﴿ هل هى صواب ﴾ فيطلب من تلك الجهة ﴿ ام خطأ ﴾ فيترك كليا ﴿ كان اجتماعهم عليها اولى لان ما تردد بين امرين فالمراد منه ﴾ اى من الاجتماع حينئذ ﴿ الاعتراض على فساده اوظهور الحجة فى صلاحه وهذا ﴾ اى الاعتراض واقامة الحجة ﴿ مع الاجتماع ابلغ وعند المناظرة اوضح . وان كانت الشورى فى ﴾ دفع ﴿ خطب قد استبهم صوابه واستعجم جوابه ﴾ بالبناء

(للمفعول)

للمفعول فيهما اى لم يتعين له طريق ولم يعرف له جواب اعيي العقلاء تبيينهما و اعجز الحكماء تبيينهما ﴿ من امور خافية و احوال غامضة لم يحصرها ﴾اى تلك الامور ﴿ عدد ولم يجمعها ﴾ اى تلك الاحوال ﴿ تقسيم ﴾ لابهامها ﴿ولاعرف لها جواب يكشف﴾ ويبحث ﴿ عن خطاءه وصوابه ﴾ اى صواب ذلك الجواب ﴿ فالاولى فى مثله ﴾ اى مثل ذلك الخطب ﴿ انفراد كل واحد بفكره وخلوه بخاطره ليجتهد ﴾ كل واحد على الانفراد ﴿ فى الجواب ثم يقع الكشف عنه اخطأ هو ام صواب فيكون الاجتهاد فى الجواب منفردا والكشف عن الصواب مجتمعا ﴾ اى صواب الاجوبة اذا تخالفوا وصواب الجواب الواحد اذا توافقوا ﴿ لان الانفراد فى الاجتهادات اصح ﴾ لعدم التفويض والتبعية ﴿ والاجتماع على المناظرة ابلغ ﴾ فى اظهار الحق ﴿ فهكذا هذا ﴾ اى الاجتماع على الامر المستشار وانفراد كل واحد به على هذا التفصيل لا كما ذهب اليه الفرس و لا كما ذهب اليه غيرهم ﴿ و ينبغى ان يسلم اهل الشورى من حسد او تنافس فيمنعهم من تسليم الصواب لصاحبه ﴾ على انه قد سبق فى القاعدة الثانية ان الاهواء المختلفة المتشيعة عذاب و فتنة ﴿ ثم يعرض المستشير ذلك ﴾ الجواب والكشف ﴿ على نفسه مع مشاركتهم فى الارتياء والاجتهاد فاذا تصفح اقاويل جميعهم كشف عن اصولها ﴾ التى بنى كل واحد رأيه على ذلك الاصل ﴿ واسبابها ﴾ اى عن اسباب الاصول التى صيرت تلك الاصول اصولا ﴿ويبحث عن نتائجها وعواقبها ﴾ بان تلك النتائج بديهى اللزوم لتلك الاصول ام لا وايتها انفع واوفق للمصلحة ﴿ حتى لا يكون ﴾ المستشير ﴿ فى الامر مقلدا ولا فى الرأى مفوضا فانه يستفيد بذلك ﴾ التصفح والبحث ﴿مع ارتياضه بالاجتهاد ثلاث خصال * احداهن معرفة عقله وصحة رويته ﴾ باصابة الحق ﴿ والثانية معرفة عقل صاحبه وصواب رأيه . والثالثة وضوح ما استعجم من الرأى و افتتاح ما اغلق من الصواب ﴾ فظهر ان العمل بالحق والصواب لا بكثرة الآراء وان الاستشارة لاظهار ذلك وان موضوعها ما ابيح اصلا وخفى وصفا لان ما حظر اصلا لا يوصف بالصواب لا اصلا ولا وصفا ﴿ فاذا تقرر له الرأى امضاه ولا يؤاخذهم بعواقب الا كداء فيه فان ما على الناصح الاجتهاد ﴾ فقط ﴿وليس عليه ضمان النجح لاسيما والمقادير غالبة ﴾ على الآراء الصائبة ﴿ ومتى عرف ﴾ الناصح المشير ﴿ منه ﴾ اى من المستشير ﴿ تعقب المشير ﴾ اذا لم ينجح رأيه ﴿ وكل الى رأيه واسلم الى نفسه فصار فردا لا يعان برأى ولا يمد بمشورة وقد قالت الفرس فى حكمها اضعف الحيلة خير من اقوى الشدة ﴾ وفى المستطرف الحيلة من فوائد الآراء المحكمة وهى حسنة ما لم يستبيح بها محظور وقد سئل الفقهاء عن الحيل فى الفقه فقال علمكم الله ذلك فانه قال وخذ بيدك ضغثا فاضرب به ولا تحنث وكان صلى الله عليه وسلم اذا اراد غزوة ورى بغيرها وكان يقول الحرب خدعة وكان يقال ليس العاقل الذى يحتال للامور اذا وقع فيها بل العاقل الذى يحتال للامور ان لا يقع فيها . قال المغيرة بن شعبة لم يخدعنى غير غلام من بنى الحرث بن كعب فانى ذكرت امرأة منهم لاتزوجها فقال ايها الامير لا خير لك فيها فقلت ولم قال رأيت رجلا يقبلها فاعرضت عنها فتزوجها فقلت الم تقل فيها ما قلت قال نعم رأيت اباها يقبلها ﴿ واقل التأنى خير من اكثر العجلة ﴾ قال القطامى * قد يدرك المتأنى بعض حاجته . وقد يكون مع المستعجل الزلل * وربما فات قوما جل امرهم . من التأنى وكان الخير لو عجلوا ﴿ والدولة ﴾

اى الحرب والقتال ﴿ رسول القضاء المبرم ﴾ اى المحكم من ابرم الامر اذا احكم ﴿ واذا استبد الملك برأيه عميت عليه المراشد واذا ظفر ﴾ المستشير ﴿ برأى ﴾ سديد ﴿ من خامل لايراه للرأى اهلا ولا للمشورة مستوجبا اغتنمه عفوا ﴾ اى بغير مسئلة ﴿ فان الرأى كالضالة تؤخذ اين وجدت ولا يهون لمهانة صاحبه فيطرح فان الدرة لايضعها مهانة غائصها والضالة لاتترك لذلة واجدها وليس يراد الرأى لمكان المشيربه فيراعى قدره وانما يراد لانتفاع المستشير وانشد ابو العيناء عن الاصمعى ﴾ من البسيط ﴿ النصح ارخص ماباع الرجال فلا . تردد على ناصح نصحا ولاتلم ﴾ على عدم نجحك وقد اخذته مجانا ﴿ ان النصائح لاتخفى مناهجها . على الرجال ذوى الالباب والفهم ﴾ وان كان خاملا قوله المناهج جمع منهج وهو الطريق الواضح ﴿ ثم لاوجه لمن تقرر له رأى ﴾ اى بعد الاستشارة ووضوح الصواب لاوجه ﴿ ان نى ﴾ اى يفتر و يهمل ﴿ فى امضائه فان الزمان غادر والفرص منتهزة ﴾ اى مختلسة ومغتنمة ﴿ والثقة ﴾ على امضائه فى الاستقبال ﴿ عجز ﴾ وقال الله تعالى فاذا عزمت) فاذا قطعت الرأى على شئ بعد الشورى (فتوكل على الله) فى امضاء امرك على ماهو اصلح لك (وشاور النبى صلى الله عليه وسلم اصحابه يوم احد فى المقام اوالخروج فرأوا له الخروج فلما لبس لامته) اى درعه (وعزم على الخروج) والقتال ندموا و (قالوا) له يارسول الله (اقم) ولاتخرج منها اليهم (فلم يمل اليهم) فيما قالوه (بعد العزم) لانه يناقض التوكل الذى امره الله به كما فى البخارى ﴿ وقيل لملك زال عنه ملكه ماالذى سلبك ملكك قال تأخيرى عمل اليوم لغد وقال الشاعر ﴾ من الطويل ﴿ اذا كنت ذا رأى فكن ذا عزيمة . ولاتك بالترداد للرأى مفسدا ﴾ الترداد بمعنى كثرة الرد كالترديد يقال رده تردادا وهو للمبالغة والتكثير كتجوال وحينئذ وربما ﴿ فانى رأيت الريث فى العزم هجنة . وانفاذ ذى الرأى العزيمة ارشدا ﴾ الريث مصدر من راث الرجل يريث اذا ابطأ والهجنة العيب والعزيمة مفعول انفاذ وهو معطوف على اول مفعولى رأيت وارشد على ثانيهما وفى المستطرف سمع محمد بن داود وزير المأمون قول القائل * اذا كنت ذا رأى فكن ذا عزيمة . فان فساد الرأى ان يترددا * فاضاف اليه قوله * اذا كنت ذا عزم فانفذه عاجلا . فان فساد العزم ان يتقيدا ﴿ وينبغى لمن انزل منزلة المستشار واحل محل الناصح المواد حتى صار مأمول النجح مرجو الصواب ﴾ فاذيع له السر ﴿ ان يؤدى حق هذه النعمة باخلاص السريرة ويكافئ على الاستسلام ببذل النصح فقد روى عن النبى صلى الله عليه وسلم انه قال ان من حق المسلم على المسلم اذا استنصحه ان ينصحه ﴾ ورواية البخارى ومسلم عن ابى هريرة رضى الله عنه حق المسلم على المسلم ست) من الخصال (اذا لقيته فسلم عليه) ندبا (واذا دعاك فاجبه) وجوبا الى وليمة العرس وندبا لغيرها (واذا استنصحك فانصح له) وجوبا وكذا يجب النصح وان لم يستنصحه (واذا عطس وحمد الله فشمته) بان تقول يرحمك الله ندبا (واذا مرض فعده) اى زره فى مرضه (واذامات فاتبعه) اى حتى تصلى ويدفن ومفهوم العدد لايفيد الحصر فللمسلم حقوق اخر ﴿ وربما ابطرته المشاورة ﴾ حيث رجح ذلك المشير من اصحاب الآراء ﴿ فاعجب برأيه فاحذره فى المشاورة فليس للمعجب رأى صحيح ولاروية سليمة ﴾ ولان المعجب مبغوض عند الله وعند الناس فلايحصل التألف وتطابق الارواح الباعث على النجح ﴿ وربما شح ﴾ اى بخل ﴿ فى لرأى لعداوة اوحسد فورى ﴾ فى رأيه والتورية هى ان يريد

المتكلم بكلامه خلاف ظاهره ﴿ اومكر ﴾ والمكر من جانب الحق تعالى هو ارداف النعم مع المخالفة وابقاء الحال مع سوء الادب واظهار الكرامات من غير جهد ومن جانب العبد ايصال المكروه الى الانسان من حيث لا يشعر ﴿ فاحذر العدو ولا تثق بحسود ولا عذر لمن استشاره عدو اوصديق ان يكتم رأيا وقد استرشد ولا ان يخون وقد ائتمن ﴾ وقد قال افلاطون اذا استشارك عدوك فجرد له النصيحة لانه بالاستشارة قد خرج من عداوتك الى موالاتك ﴿ روى محمد بن المنكدر عن عائشة رضى الله عنها ان النبى صلى الله عليه وسلم قال المستشير معان ﴾ اسم مفعول من اعان الواوى اى منصور وممدود له بالنصح وبيان ما عنده من الرأى ﴿ والمستشار مؤتمن ﴾ قال الطيبى معناه انه امين فيما يسأل من الامور ولا ينبغى ان يخون المستشير بكتمان مصلحته وزاد الطبرانى فى روايته عن على رضى الله عنه (فاذا استشير) احدكم فى شئ (فليشر) على من استشاره (بما) اى بمثل الذى (هو صانع لنفسه) مما لا اثم فيه ﴿ وقال سليمان بن دريد ﴾ من الكامل ﴿ واجب اخاك اذا استشارك ناصحا . وعلى اخيك نصيحة لا ترددِ ﴾ اياه لما مر من الحديث فناصح بمعنى مستنصح ولو روى اشار بدون سين لكانت احسن اذ المعنى حينئذ وعلى اخيك اى وعليك عليه حق النصيحة فلا ترده كان لك عليه ذلك يعنى اجبه اذا اشارك ولا ترده اذا استشارك والفائدتان اولى من فائدة ﴿ ولا ينبغى ان يشير قبل ان يستشار الا فيما مس ﴾ الحاجة الى اشارته كما قال بزرجمهر * اكر بينم كه نابينا وچاهست . اكر خاموش بنشينم كناهست ﴿ ولا ان يتبرع بالرأى الا فيما لزم ﴾ لزوما بينـا ﴿ فانه لا ينفك من ان يكون رأيا متهما اومطرحا ﴾ لعدم موافقته للغرض ﴿ وفى اى هذين كان ﴾ التبرع ﴿ وصمة ﴾ اى عيبا وفتورا ﴿ وانما يكون الرأى مقبولا اذا كان عن رغبة وطلب اوكان لباعث وسبب ﴾ وقد قيل من بذل نصحه واجتهاده لمن لا يشكره فهو كمن بذر فى السباخ ﴿ روى ابو بلال العجلى عن حذيفة بن اليمان عن النبى صلى الله عليه وسلم انه قال قال لقمان لابنه يابنى ﴾ التصغير للشفقة ﴿ اذا استشهدت فاشهد ﴾ اى اذا طلب منك اداء ما شهدته فاد ذلك قال الله تعالى ولا تكتموا الشهادة ومن يكتمها فانه آثم قلبه ﴿ واذا استعنت فاعن ﴾ على المعروف ﴿ واذا استشرت فلا تعجل حتى تنظر ﴾ قال عبد الله بن وهب الراسبى للخوارج حين عقدوا له دعوا الرأى حتى يختمر فلا خير فى الرأى الفطير والقول القصير وقال المنصور لكاتبه لا تبرم امرا حتى تتفكر فان فكرة العاقل مرآته تريه حسنه من قبيحه وقال ايضا الحكمة نور الفكرة والصواب فرع الروية والتدبير فرع الهمة . والبداهة اى الارتجال والقول من غير تفكر وان كانت مما يمدح به لكن الاصابة غالبا فى الروية واطالة الفكرة قال ابن الرومى * ان الروية نار الجد منضجة . وللبديهة نار ذات تلويح * وقد يفضلها قوم لعاجلها . لكنه عاجل يمضى مع الريح ﴿ وقال بيهس الكلابى ﴾ على وزن حيدر علم رجل يضرب به المثل فى ادراك الثأر واخذ الانتقام ﴿ من الناس من ان يستشرك فتجتهد . له الرأى يستغششك مالم تتابعه ﴾ قوله من الناس خبر مقدم ومن مبتدأ ويستغششك جزاء الشرط اى يظن بك الغش ويحسبك خائنا وقد اجتهدت واخلصت له رأيا موافقا لحاله مالم تتابعه فى رأيك الذى اشرت اليه بان تعمل به وان لم يكن موافقا لمصلحتك ﴿ فلا تمنحن الرأى من ليس اهله . فلا انت محمود ولا الرأى نافعه ﴾ اى لا تعطين مثل ذلك البعض رأيا اذ لا ينفعه مع سوء ظنه بك وقال طرفة * ولا ترفدن النصح من ليس اهله . وكن حين يستغنى برأيك غانيا * وان امرأ

يوما تولى برأيه . فدع يصيب الرشد او يك غاويا * قيل اشار فيروز بن حصين على يزيد بن المهلب ان لا يضع يده فى يد الحجاج فلم يقبل منه و سار اليه فحبسه وحبس اهله فقال فيروز * امرتك امرا حازما فعصيتني . فاصبحت مسلوب الامارة نادما * امرتك بالحجاج اذ انت قادر . فنفسك اولى اللوم ان كنت لائما * فما انا بالباكى عليك صبابة . وما انا بالداعى لترجع سالما * والله اعلم

﴿ الفصل الرابع فى كتمان السر ﴾ بكسر الكاف يقال كتم الحديث اذا ستره واخفاه ويتعدى الى مفعولين ﴿ اعلم ان كتمان الاسرار من اقوى اسباب النجاح ﴾ وقد قال الله تعالى حكاية عن يعقوب على نبينا وعليه السلام يا بنى لا تقصص رؤياك على اخوتك الآية فلما افشى يوسف عليه السلام رؤياه بشهد امرأة يعقوب اخبرت اخوته فحل به ما حل ومن شواهد الكتاب العزيز فى السر قوله تعالى فاوحى الى عبده ما اوحى وقوله تعالى وما هو على الغيب بضنين اى بمتهم ﴿ و ادوم لاحوال الصلاح ﴾ لان المرء يجتهد فى التوقى من الامور المخلة للمروءة ما علم ان الناس يحسنون له الظن ويرسل فيها اذا ظن خلافه ﴿ روى عن النبى صلى الله عليه وسلم ﴾ على ماروى الطبرانى والبيهقى عن معاذ بن جبل ﴿ انه قال استعينوا على الحاجات ﴾ اى على انجاح حوائجكم كما فى اكثر الروايات ﴿ بالكتمان ﴾ اكتفاء باعانة الله و صيانة للقلب عما سواه وحذرا من حاسد يطلع عليها قبل التمام فيعطلها ﴿ فان كل ذى نعمة محسود ﴾ اى فاكتموا النعمة على الحاسد اشفاقا عليه و عليكم و استعينوا بالله على الظفر بها ولاينا فيه الامر بالتحديث بالنعمة لانه فيما بعد الحصول ولا اثر للحسد حينئذ قال الحنفى و الجمهور على ان هذا الحديث موضوع ﴿ وقال على بن ابى طالب كرم الله وجهه سرك اسيرك فان تكلمت به صرت اسيره ﴾ ونظم بقوله * صن السر عن كل مستخبر . و حاذر فما الحزم الا الحذر * اسيرك سرك ان صنته . وانت اسيره ان ظهر ﴿ وقال بعض الحكماء لابنه يا بنى كن جوادا بالمال فى موضع الحق ضنينا بالاسرار عن جميع الخلق ﴾ الضنة البخل والامساك ﴿ فان احمد جود المرء الانفاق فى وجه البر و البخل بمكتوم السر ﴾ اى بالسر المكتوم ﴿ و قال بعض الادباء من كتم سره كان الخيار اليه ﴾ اى الى نفسه متى شاء اذاعه ﴿ ومن افشاه كان الخيار عليه ﴾ ان شاؤا كتموا و ان شاؤا افشوا ﴿ وقال بعض البلغاء ما اسرك ﴾ من اسر اليه اذا افضى اليه حديثا اى لا يقول احد سرا اقول ما سمعته منك وفيه عتابك او خجالتك ﴿ ما كتمت سرك ﴾ ما مصدرية توقيتية ﴿ وقال بعض الفصحاء مالم تغيبه الاضالع ﴾ جمع اضلع جمع ضلع و هى عظام الصدر يعنى كل سر لا يكتمه القلب كانه غيّبه وكان نسيا منسيا ﴿ فهو مكشوف ضائع ﴾ كما يقال * كل سر جاوز الاثنين شاع . كل علم ليس فى القرطاس ضاع * اى كل سر جاوز الشفتين فهو شائع ﴿ وقال بعض الشعراء وهو انس بن اسيد * ولا تفش سرك الا اليك . فان لكل نصيح نصيحا ﴾ ومن الجائز ان يكون صديق صديقك حاسدك المنافس لك ﴿ فانى رأيت وشاة الرجا . ل لا يتركون اديما صحيحا ﴾ بل يمزقونه و يجعلونه قطعة قطعة والوشاة جمع واش من وشى الكلام اذا كذب فيه او اذا نم وسعى به والاديم الجلد المدبوغ اى السختيان وفيه ايماء الى تقبيح حالهم بتشبيههم بالكلاب ﴿ وكم من اظهار سر اراق دم صاحبه ومنع من نيل مطالبه ولو كتمه كان من سطوته آمنا وفى عواقبه سالما ولنجاح حوائجه راجيا ﴾ كان ابو مسلم صاحب الدولة العباسية كثيرا ينشد * ادركت بالحزم والكتمان ما عجزت . عنه ملوك بنى مروان

اذ جهدوا * مازلت اسعى عليهم فى ديارهم . والقوم فى غفلة بالشام اذ رقدوا * حتى ضربتهم بالسيف فانتبهوا . من نومة لم ينمها قبلهم احد * ومن رعى غنما فى ارض مأسدة . ونام عنها تولى رعيها الاسد ﴿ وقال انوشروان من حصن سره فله بتحصينه خصلتان الظفر بحاجته والسلامة من السطوات ﴾ قبل وقوف الوشاة عليها ﴿ واظهار الرجل سر غيره اقبح من اظهاره سر نفسه لانه يبوء ﴾ اى يرجع ﴿ باحدى وصمتين الخيانة ان كان مؤتمنا او النميمة ان كان مستودعا ﴾ قال العينى السر امانة وحفظ الامانة واجب وذلك من اخلاق المؤمنين وقال المهلب والذى عليه اهل العلم ان السر لا يبيح افشاؤه اذا كان على المسر ضرر فيه واكثرهم يقول اذا مات المسر فليس يلزم من كتمانه مايلزم فى حياته الا ان يكون عليه فيه غضاضة فى دينه ﴿ فاما الضرر فربما استويا فيه ﴾ اذا كانا شريكين متعاضدين ﴿ او تفاضلا ﴾ فى الضرر اذا اغرى احدهما الآخر ﴿ وكلاهما مذموم وهو فيهما ملوم ﴾ قال ابن مماتى * وضاق على السجن حتى كأننى . حللت به للضيق فى صدر محنق * فياليتنى كالدمع فى جفن عاشق . فاخرج او كالسر فى صدر احمق ﴿ وفى الاسترسال بابداء السر دلائل على ثلاثة احوال مذمومة * احداها ضيق الصدر وقلة الصبر حتى انه لم يتسع لسر ولم يقدر على صبر ﴾ قال الاحنف بن قيس يضيق صدر الرجل بسره فاذا حدث به احدا قال اكتمه على فاخذه ﴿ وقال الشاعر اذا المرء افشى سره بلسانه . ولام عليه غيره فهو احمق ﴾ اى لام على الافشاء ﴿ اذا ضاق صدر المرء عن سر نفسه . فصدر الذى يستودع السر اضيق ﴾ وقال آخر * اذا ماضاق صدرك عن حديث . وافشته الرجال فمن تلوم * وان عاتبت من افشى حديثى . وسرى عنده فانا الملوم ﴿ والثانية الغفلة عن تحذر العقلاء والسهو عن يقظة الاذكياء . وقد قال بعض الحكماء انفرد بسرك ولا تودعه حازما فيزل ﴾ اى فى منطقه ولكل جواد كبوة ﴿ ولا جاهلا فيخون ﴾ من حيث لا يشعر او يفشيه مفتخرا بما استصنع ﴿ والثالثة ما ارتكبه من الغرر واستعمله من الخطر وقد قال بعض الحكماء سرك من دمك فاذا تكلمت به فقد ارقته ﴾ كما قيل * ايخل بسرك لا تبح يوما به . فصغيره يأتى بكل عظيم * او ما ترى سر الزناد اذا فشا . يأتى وشيكا سقطه بجحيم ﴿ واعلم ان من الاسرار ما لا يستغنى فيه عن مطالعة صديق مساهم ﴾ اى مقارع وآخذ بما اصابه يعنى معاون له ومدافع عنه ﴿ واستشارة ناصح مسالم فليختر العاقل لسره امينا ان لم يجد الى كتمه سبيلا وليتحر فى اختيار من يأتمنه عليه ويستودعه اياه ﴾ كما قيل صدور الاحرار قبور الاسرار ﴿ فليس كل من كان على الاموال امينا كان على الاسرار مؤتمنا والعفة عن الاموال ايسر من العفة عن اذاعة الاسرار لان الانسان قد يذيع سر نفسه بمبادرة لسانه وسقط كلامه ويشح باليسير من ماله حفظا له وضنا به ولا يرى ما اضاع من سره كبيرا فى جنب ما حفظه من يسير ماله مع عظم الضرر الداخل عليه فمن اجل ذلك كان امناء الاسرار اشد تعذرا واقل وجودا من امناء الاموال وكان حفظ المال ايسر من كتم الاسرار لان احراز الاموال منيعة ﴾ بالابواب والصناديق والاقفال يمنع من وقوف مستوقف ﴿ واحراز الاسرار بارزة يذيعها لسان ناطق ويشيعها كلام سابق . وقال عمر بن عبد العزيز رضى الله عنه القلوب اوعية الاسرار والشفاه ﴾ جمع شفة ﴿ اقفالها والالسن مفاتيحها فليحفظ كل امرئ مفتاح سره * ومن صفات امين السر ان يكون ذا عقل صاد ﴾ ع ايجلب المضار ﴿ ودين حاجز ﴾ عن اضاعة الامانات واذاعة الاسرار ﴿ ونصح مبذول ﴾ لحبه للناس ما يحب لنفسه واكراهه لهم مايكره لها ﴿ وود موفور ﴾ لصاحب السر يرى شينه

شيئا لنفسه لمواخاة اومحبة قديمة بينهما ﴿ وكتوما بالطبع ﴾ لايوحى سر صديق لصديق
آخر ولايرائى بكونه امين الاسرار ولا يبطره المشاورة ولايعجب برأيه ﴿ فان هذه الامور ﴾
اذا اجتمعت ﴿ تمنع من الاذاعة وتوجب حفظ الامانة فمن كملت ﴾ تلك الامور ﴿ فيه فهو
عنقاء مغرب ﴾ معروف وصفه معدوم شخصه. العنقاء المغرب وعنقاء مغرب بالاضافة ومغربة
بالصفة على وزن محسن طير معلوم الاسم ومجهول الجسم روى ابن الكلبي ان العنقاء كانت
طائرا طويل العنق وكان فيها من كل شيءٌ من الالوان عظيم الجسم وكانت فى زمن اصحاب
الرس وكانت تصيد الطيور والوحوش فاختطف يوما صبيالهم فشكوا ذلك الى نبيهم حنظلة
ابن صفوان الحميرى على نبينا وعليه السلام فدعى عليها فاهلكها الله وقطع عقبها ونسلها
وتسميتها بالعنقاء لطول عنقها ولاغرابها فى الطيران اولاغرابها واغابتها الصيد وصفت بالمغرب
﴿ وقيل فى منثور الحكم قلوب العقلاء حصون الاسرار . وليحذر صاحب السران يودع
سره من يتطلع اليه ويؤثر الوقوف عليه فان طالب الوديعه خائن ﴾ اذ لولم يقصد الانتفاع بها
لماطلبها وكذا طالب السر ﴿ وقيل فى منثور الحكم لاتنكح ﴾ من الانكاح ﴿ خاطب سرك وقال
صالح بن عبد القدوس ﴾ من الرمل ﴿ لاتذع سرا الى طالبه. منك فالطالب للسر مذيع * وليحذر
كثرة المستودعين لسره فان كثرتهم سبب الاذاعة وطريق الى الاشاعة لامرين احدهما ان اجتماع
هذه الشروط فى العدد الكثير معوز ولابد اذا كثروا من ان يكون فيهم من اخل ببعضها.
والثانى ان كل واحد منهم يجد سبيلا الى نفى الاذاعة عن نفسه واحالة ذلك على غيره فلايضاف
اليه ذنب ولايتوجه عليه عتب ﴾ بفتح فسكون اى لوم وتوبيخ ﴿ وقد قال بعض الحكماء ﴾
ومن عجائب الامور كلما كثرت خزان الاموال ازدادت وثوقا و ﴿ كلما كثرت خزان الاسرار
ازدادت ضياعا ﴾ قال مؤيد الدين الطغرائى * ولاتستودعن السرالا . فؤادك فهو موضعه
الامين * اذا حفاظ سرك زيد فيهم. فذاك السرا ضيع مايكون ﴿ وقال بعض الشعراء ﴾ وهو
الصلتان من المتقارب * الم تر لقمان اوصى بنيه . واوصيت عمرا ونعم الوصى * بنى بدا خب
نجوى الرجال. فكن عند سرك خب النجى ﴿ وسرك ما كان عند امرئ . وسر الثلاثة غير الخفى ﴾
واقل الجمع ثلاثة وفيه كثرة ﴿ وقال آخر ﴾ من الوافر ﴿ فلاتنطق بسرك كل سر . اذا ماجاوز الاثنين
فاش ﴾ ولابى حفص عمر بن محمد البجلى اللغوى * سرك ان اودعته ثانيا . فاعلم بان قد آن
ان تفشيه * لان ما اضمر فى حالة الافراد تستخرجه التثنية ﴿ ثم لوسلم من اذا عتهم لم يسلم من
ادلالهم واستطالتهم فان لمن ظفر بسر من فرط الادلال وكثرة الاستطالة ما ﴾ اسم ان المؤخر
﴿ ان لم يحجره عنه عقل ولم يكفه عنه فضل كان ﴾ صلة ما اى ماكان ﴿ اشد من ذل الرق
وخضوع العبد وقد قال بعض الحكماء من افشى سره كثر عليه المتأمرون فاذا اختار ﴾ امينا لسره
﴿ وارجوان يوفق للاختيار ﴾ من المهذبين الفعال ﴿ واضطر الى استيداع سره ﴾
بالمشاورة ﴿ وليته كفى الاضطرار ﴾ ولم يستودعه وانشد الجاحظ * ليت هند انجزتنا ماتعد.
وشفت انفسنا مما نجد * واستبدت مرة واحدة . انما العاجز من لايستبد ﴿ وجب على
المستودع له اداء الامانة فيه ﴾ اى فى من اختاره لذلك وحسن اليه ظنه ﴿ بالتحفظ والتناسى له ﴾
اى لذلك السر ﴿ حتى لايخطر له ببال ولايدور له فى خلد ﴾ بفتحتين اى فى خاطره ﴿ ثم يرى
ذلك ﴾ الايداع ﴿ حرمة يرعاها ولايدل ادلال اللئام . وحكى ان رجلا اسر الى صديق له

حديثا ثم قال افهمت قال بل جهلت قال احفظت قال بل نسيت وقيل لرجل كيف كتمانك للسر قال احجد المخبر واحلف) لغوا ﴿للمستخبر﴾ وقال المهلب ادنى اخلاق الشريف كتمان السر واعلى اخلاقه نسيان ما اسر اليه وقال جعفر بن عثمان * ياذا الذى اودعنى سره . لا ترج ان تسمعه منى * لم اجره قط على فكرتى . كأنه لم يجر فى اذنى ﴿وقال بعض الشعراء﴾ من البسيط ﴿ ولو قدرت على نسيان ما اشتملت .من الضلوع على الاسرار والخبر * لكنت اول من ينسى سرائره . اذ كنت من شرها يوما على خطر ﴾ يعنى لو قدرت على نسيان مااشتملت الضلوع مما اشتملت من اشتمال القلب على الاسرار و منع الاسرار اياه عن اجالة الافكار لكنت اول من ينسى سرائره اذ كنت من شر حفظها على خطر اذا عنها يوما من الايام فمعنى البيتين التحسر على عدم قدرته على النسيان وهذا جواب لقول الآخر * ولا اكتم الاسرار لكن اذيعها. ولا ادع الاسرار تغلو على قلبى * وان قليل العقل من بات ليلة . تقلبه الاسرار جنبا الى جنب ﴿وحكى ان عبدالله بن طاهر تذاكر الناس فى مجلسه حفظ السر فقال عبدالله* ومستودعى سرا تضمنت سره . فاودعته من مستقر الحشى قبرا ﴾ الحشى الاعضاء الداخلية مما فى البطن و لم يعين ذلك القبر لان محو اثره وتنسية محله مطلوب كما قال آخر * ومستودعى سرا كتمت مكانه . عن الحس خوفا ان يلم به الحس * وخفت عليه من هوى النفس شهوة. فاودعته من حيث لا يبلغ النفس ﴿فقال ابنه عبيد الله و هو صبى * وماالسر فى قلبى كميت بحفرة . لانى ارى المدفون ينتظر الحشرا ﴾ يقال ثوى المكان و به اذا اطال الاقامة به و ثوى الميت على المجهول اذا قبر فثا و بمعنى مثوى كما فى خلق من ماء دافق اى مدفوق وقال الرضى و الاولى ان يقال ان امثالها على النسب كنابل وناشب اذ لا يلزم ان يكون فاعل بمعنى النسب مما لا فعل له بل يجوز ايضا كونه مما جاء منه الفعل فيشترك النسب واسم الفاعل فى اللفظ انتهى ﴿ ولكننى اخفيه عنى كأننى . من الدهر يوما ما احطت به خبرا ﴾ بالضم العلم بالشئ اى ماعلمته اصلا. كذا حكاه الصفدى و الشريشى عن المصنف ففى عبارة المتون وهم . و تسمى هذا مناضلة و مساجلة ايضا فى اصطلاح الشعراء . و هى ان يستقى ساقيان فيخرج كل واحد منهما من الماء مثل مايخرج الآخر فايهما نكل فقد غلب ثم صارت المساجلة يقصد بها قصد المفاخرة بان يقول هذا بيتا وهذا بيتا حتى يعلم لمن الغلب واكثر ماجرت به العادة بالصاف الابيات و تفصيلها فى شرح المقامة الثالثة والعشرين . وما احسن ما اعتذر به التهامى عن اظهار سره بقوله * قد بحت وجدا فلا متى فقلت لها . لا تعذليه فلم يلؤم ولم يلم * لما صفا قلبه شفت سريرته . والشئ فى كل صاف غير مكتتم * ولذا يقال . انم من الزجاج بما وعاه. وانم من النسيم على الرياض

﴿الفصل الخامس فى المزاح و الضحك﴾ اعلم ان للمزاح ﴾ بكسر الميم مصدر مازحه اذا داعبه وبضمها اسم المداعبة والطيفة و المزح الدعب ﴿ازاحة عن الحقوق﴾ اى بعدا و تنحيا عنها ﴿ ومخرجا الى القطيعة والعقوق ﴾ اى خروجا او بابا وسبيلا الى المنافرة ﴿ يصم المازح ﴾ من وصم الشئ اذا اعابه ﴿ ويؤذى الممازح فوصمة المازح ان يذهب عنه الهيبة والبهاء و يجرى ﴾ من التجرئة اى يشجع ﴿ عليه الغوغاء و السفهاء ﴾ المسرعين الى الشر ﴿واما اذية الممازح فلانه معقوق ﴾ اى مرمى به ﴿ بقول كريه وفعل ممض ﴾ انكان المزاح بالفعل ﴿ ان امسك عنه ﴾ اى عن مقابلته ومدافعته ﴿ احزن قلبه وان قابل عليه ﴾ بمثله ﴿ جانب ادبه

فحق على العاقل ان يتقيه وينزه نفسه عن وصمة مساويه . وقد روى عن النبى صلى الله عليه وسلم انه قال المزاح استدراج من الشيطان ﴾ اى خديعة منه يقال استدرجه اذا ادناه و قربه شيئا فشيئا الى مكروه ﴿ واختداع من الهوى ﴾ يقال اختدعه بمعنى خدعه وختله واراد به المكروه من حيث لا يعلمه ﴿وقال عمر بن عبدالعزيز اتقوا المزاح فانه حمقة ﴾ نوع حماقة ﴿ تورث ضغينة ﴾ اى حقدا وعداوة ﴿ وقال بعض الحكماء انما المزاح سباب ﴾ مصدر ساب اى حقيقة ﴿ الا ان صاحبه يضحك ﴾ احيانا وينفعل كثيرا ﴿ وقيل انما سمى المزاح مزاحا لانه يزيح عن الحق ﴾ بعدم مراعاة حقوق الصحبة والاخوة ﴿ وقال ابراهيم ﴾ بن يزيد بن قيس ﴿ النخعى ﴾ ابو عمران الكوفى فقيه اهل الكوفة دخل على عائشة رضى الله عنها ولم يثبت له منها سماع ادرك جماعة من الصحابة . ولم يحدث من احد منهم وكان ثقة مفتى اهل زمانه هو والشعبى و سمع علقمة و الاسود بن زيد وخالدا و مسروقا و خلقا كثيرا روى عنه الشعبى و منصور والاعمش وغيرهم وكان اعور قال الاعمش كان ابراهيم صيرفى الحديث مات و هو مختف من الحجاج ولم يحضر جنازته الاسبعة انفس سنة ست و تسعين وهو ابن تسع وخمسين ﴿ المزاح من سخف ﴾ بضم السين وفتحها اى من قلة العقل ﴿ اوبطر ﴾ اى كبر يستهزئ بصاحبه ﴿ وقيل فى منثور الحكم المزاح يأكل الهيبة كما تأكل النار الحطب وقال بعض الحكماء من كثر مزاحه زالت هيبته ومن كثر خلافه طابت غيبته ﴾ عن الادبة ﴿ وقال بعض البلغاء من قل عقله كثر هزله و ذكر خالد بن صفوان المزاح فقال يصك احدكم ﴾ بضم الصاد اى يضرب شديدا ﴿ صاحبه باشد من الجندل ﴾ على وزن جعفر وهو ما يقله الرجل من الحجارة ويرفعه ﴿ وينشقه ﴾ من الانشاق اى يشمه ﴿ احرق من الخردل ويفرغ عليه احر من المرجل ﴾ على وزن المنبر بالراء القدر الكبير وبالزاى اسم ما يكوى به ﴿ ثم يقول انما كنت امازحك . وقال بعض الحكماء خير المزاح لا ينال ﴾ لعدم خير فيه اصلا ولا ينال المعدوم ﴿ و شره لا يقال ﴾ لكثرته فلا يحيط به القول والبيان ﴿ فنظمه السابورى ﴾ معرب شابور اسم ناحية كانت فى الفارس كان بعد الكازرون و نوبند جان من تلك الولاية ﴿ فى قصيدته الجامعة للآداب فقال ﴾ من الرجز المشطور المزدوج ﴿ وزاد ﴾ على قول الحكماء ﴿ شر مزاح المرء لا يقال . وخيره يا صاح لا ينال ﴾ اى صاحب فهو منادى مرخم ﴿ وقد يقال كثرة المزاح من الفتى تدعو الى التلاح ﴾ مصدر تلاحى اى تدعو الى النزاع والخصومة وفى المثل اذا تلاحت الخصوم تسافهت الحلوم اى يصير الحليم سفيها عند التشاتم ﴿ ان المزاح بدؤه حلاوة . لكنما آخره عداوة * يحتد منه الرجل الشريف . ويجترئ بسخفه السخيف ﴾ قوله يحتد ان يمتنع و يتوقى او يغضب منه الشريف اى العاقل و السخيف الاحمق و سخيف المزاح ما لم يكن معقولا من خبيث الكلام وقبيح الفعال ﴿ وقال ابو نواس ﴾ من الرمل ﴿ خل جنبيك لرام . وامض عنه بسلام ﴾ قوله خل امر من التخلية اى اعرض كشحك لمن رماك يعنى تصامم عن كلام قبيح ففيه استعارة تمثيلية ﴿ مت بداء الصمت خير . لك من داء الكلام ﴾ جملة مت مبتدأ اى موتك بداء الصمت خير من حيث لا يترتب عليه عقاب اخروى ولا عتاب دنيوى ﴿ انما السالم من الجم فاه بلجام ﴾ فى الاساس الجمه عن حاجته اى كفه وتكلم فلان فالجمته و القمته الحجر ﴿ ربما استفتح بالمزح مغاليق الحمام ﴾ فاعل استفتح راجع الى المزاح المذكور حكما والحمام بالكسر اسم بمعنى قضاء

الموت وقدره يعني ربما استفتح المازح بمزحه ابواب الحمام المغلوقة ومسالكه المسدودة * رب لفظ ساق آجال فئام لفئام * فالزم الصمت فان الصمت ابقى للجمام * الفئام على وزن كتاب الجماعة من الانسان لاواحد له من لفظه والجمام بالفتح الراحة يقال وجد جمامه اى راحته ﴿ والمنايا آكلات. شاربات للانام ﴾ شبت يا هذا وما تتـ ـرك اخلاق الغلام * وله ايضا * ايا نار قدح القادح . واى جد بلغ المازح * لله در الشيب من واعظ . وناصح لو حظي الناصح * يأبى الفتى الا اتباع الهوى، ومنهج الحق له واضح * فاسم بعينيك الى نسوة . مهور هن العمل الصالح * لا يجتلى العذراء من خدرها . الا امرؤ ميزانه راجح * من اتقى الله فذاك الذى. سيق اليه المتجر الرابح ﴿ واعلم انه قلما يعرى ﴾ اى لا يخلص كما يقال لا يعرى من الموت احد ﴿ من المزاح من كان سهلا ﴾ طبعا وحسنا خلقا ﴿ فالعاقل يتوخى ﴾ اى يقصد ﴿ بمزاحه احدى حالتين لا ثالثة لهما ﴾ معقولا ﴿ احدهما ايناس المصاحبين والتودد الى المخالطين وهذا يكون بما انس من جميل القول ﴾ ليس فيه اثم ولا قدح في الاعراض ﴿ وبسط ﴾ اى سرور وتبسم ﴿ من مستحسن الفعل ﴾ مما لا يتضمن استهزاء بامر الدين ﴿ وقد قال سعيد بن العاص لابنه اقتصد في مزاحك فان الافراط فيه يذهب البهاء ويجرئ عليك السفهاء وان التقصير فيه يفض ﴾ من الباب الاول اى يفرق ﴿ عنك المؤانسين ويوحش منك المصاحبين * والحالة الثانية ان ينفي بالمزاح ماطرأ عليه من سأم او حدث به من هم فقد قيل لابد للمصدور ﴾ من صدر الرجل بالبناء للمفعول اذا شكى صدره ﴿ ان ينفث ﴾ اى ينفخ يقال نفث الراقي من الباب الاول والثاني اذا نفخ والنفث اقل من التفل وههنا من النفاثة بضم النون وهو النفس الذى يخرج المصدور من فيه لانه يستريح به وهو مثل يضرب في ان المصاب يبث الشكوى ﴿ والشدت لابي الفتح البستي ﴾ من الطويل ﴿ افد طبعك المكدود بالجد راحة. تجم وعلله بشئ من المزح ﴾ قوله افد امر من الافادة تقول افدت المال اذا استفدته وايضا اذا اعطيته وهو من الاضداد والباء متعلق بالمكدود وقوله تجم من الاجمام يقال اجم فرسه اذا تركه ولم يركب عليه فعفا من تعبه والجملة حال من فاعل افد وقوله علله امر من علله بطعام وغيره اذا شغله به والتعلة ما يتعلل به مثل لعبة الصبيان يعني اعط طبعك المتعوب بالجد راحة واشغله بشئ من المزاح ليستريح ويعود نشاطه واقباله على الجد وقد تقدم ان المأمون كان ينتقل كثيرا في داره من مكان الى مكان وينشد قول ابي العتاهية * لا يصلح النفس اذ كانت مدبرة . الا التنقل من حال الى حال ﴿ ولكن اذا اعطيته المزح فليكن. بمقدار ما يعطى الطعام من الملح ﴾ وهذا التشبيه في غاية البلاغة لان الكثير من كل منهما مفسد والقليل مصلح الاول هو سمكي الطبع ﴿ وقد كان النبي صلى الله عليه وسلم يمزح على هذا الوجه روى عنه صلى الله عليه وسلم ﴾ على مارواه الترمذي والطبراني عن ابن عمر واحمد بن حنبل عن ابي هريرة ﴿ انه قال ﴾ اى حين قالوا يارسول الله انك تداعبنا ﴿ اني لامزح ولا اقول الا حقا ﴾ فقوله صلى الله عليه وسلم على مارواه الترمذي عن ابن عباس لاتمار اخاك ولا تمازحه محمول على الكثرة منه في غير محله وعلى غير سنته صلى الله عليه وسلم قال العلماء المباح من المزاح هو الذى يفعله على الندرة لمصلحة تطييب نفس المخاطب وهذا القدر هو المستحب وهو الذى كان يفعله رسول الله صلى الله عليه وسلم واما الذى فيه افراط مما يورث الضحك وقسوة القلب والشغل عن ذكر الله تعالى وامور الدين ويؤل في كثير من الاوقات الى الايذاء ويورث

الاحقاد فهو منهى عنه ﴿ فمن مزاحه صلى الله عليه وسلم ماروى ان عجوزا من الانصار ﴾ فى الشمائل عن الحسن البصرى انها عمة النبى صلى الله عليه وسلم صفية بنت عبدالمطلب اخت حمزة وام الزبير بن العوام رضى الله عنهم ﴿ اتته فقالت يارسول الله ادع لى بالمغفرة ﴾ وان يدخلنى الله الجنة ﴿ فقال اماعلمت ان الجنة لاتدخلها العجائز ﴾ يعنى حال كونهن عجائز ﴿ فصرخت ﴾ اى صاحت اوشديدة ﴿ فتبسم رسول الله صلى الله عليه وسلم وقال اما قرأت قول الله عز وجل ﴾ فى الواقعة ﴿ انا انشأناهن انشاء ﴾ اضمر لهن لدلالة الفرش التى هى المضاجع عليهن دلالة بينة وقيل الفرش النساء حيث يكنى بالفراش عن المرأة والمعنى ابتدأنا خلقهن ابتداء جديدا و ابدعناهن من غير ولاد ابداعا اواعادة وفى الحديث هن اللواتى قبضن فى دار الدنيا عجائز شمطا رمصا جعلهن الله تعالى بعد الكبر اترابا على ميلاد واحد فى الاستواء كلما اتاهن ازواجهن وجدوهن ابكارا وذلك قوله تعالى ﴿ فجعلنا هن ابكارا عربا ﴾ جمع عروب وهى المتحببة الى ازواجها الحسنة التبعل ﴿ اترابا ﴾ مستويات فى السن بنات ثلاث وثلاثين سنة وكذا ازواجهن واللام فى قوله تعالى (لاصحاب اليمين) متعلقة بانشأنا اوجعلنا او باترابا كقولك هذا ترب لهذا اى مساوله فى السن افاده ابوالسعود ﴿ و ﴾ روى ابن ابى حاتم وغيره من حديث عبدالله بن سهم الفهرى انه ﴿ اتته ﴾ امرأة ﴿ اخرى ﴾ يقال لها ام ايمن ﴿ فى حاجة لزوجها ﴾ فقالت له عليه السلام زوجى يدعوك ﴿ فقال لها ومن زوجك فقالت فلان فقال لها ﴾ اهو ﴿ الذى فى عينه بياض ﴾ يعنى البياض المحيط بالحدقة وهى تتوهمه غشاوة مضرة على الحدقة ﴿ فقالت لافقال بلى فانصرفت عجلى ﴾ مؤنث عجلان ﴿ الى زوجها وجعلت تتأمل عينيه فقال لها ماشانك فقالت اخبرنى رسول الله صلى الله عليه وسلم ان فى عينيك بياضا فقال ﴾ زوجها ﴿ اماترين بياض عينى اكثر من سوادها ﴾ وروى ابوداود والترمذى عن انس ان رجلا استحمل رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال انى حاملك على ولد الناقة فقال يارسول الله ما اصنع بولد الناقة فقال عليه السلام وهل تلد الابل الا النوق كما فى الشمائل والشفاء ﴿ واتى رجل على بن ابى طالب رضى الله عنه ﴾ وقدكان يفعل الدعابة ﴿ فقال انى احتلمت على امى ﴾ يعنى انه كان زنى فيطلب الحد ﴿ فقال اقيموه فى الشمس واضربوا ظله الحد ﴾ وقد حكانا استاذنا محمد عاطف رحمه الله ان رجلا من البخلاء استاجر محتطبا فاستكثر الاجر فطمع فى مشاركته بالعمل لينقص من الاجر فجلس يقول (هيه) بكل ضربة ضربها المحتطب فلما انتهى احتطاب الاشجار اعطاه نصف الاجرة فخاصمها الى حاكم وكان من الظرفاء فقال هات الاجرة اقسم لكما فشرع يلقى درهما درهما على سندوق ويقول الدرهم للاجير وطنينه للمستأجر ﴿ وسئل الشعبى عن اكل لحم الشيطان ﴾ اى عن نفعه وضرره ﴿ فقال نحن نرضى منه بالكفاف ﴾ يعنى ارسلونى شوية منه ﴿ وقيل له ما اسم امرأة ابليس لعنه الله فقال ذلك نكاح ماشهدناه ﴾ وقدتقدم فى فصل الكلام ان المصنف قال للسائل عن نجم آدم عليه السلام وابليس سل عن مولدهما فان ظفرت بيوم ولادتهما اخبرك عن نجومهما ﴿ وقال رجل ﴾ شحيح ﴿ لغلام بكم تعمل معى قال بطعامى فقال له احسن قايلا قال فاصوم الاثنين والخميس . وحكى عن ابى صالح بن حسان وكان محدثا ﴾ اى راوى حديث ﴿ انه قال يوما لاصحابه افقه الناس وضاح اليمن ﴾ عبد الرحمن بن اسماعيل بن عبد كلال الحميرى كان

مشهورا بشعره وجماله فى اليمن ﴿ فى قوله ﴾ من الطويل ﴿ اذا قلت هاتى ناولينى تبرمت. وقالت معاذ الله من فعل ما حرم ﴾ ناولينى صيغة رجاء مخاطبة من المناولة يقال ناولت المرأة بالحديث والحاجة اى سمحت او همت يعنى اذا قلت لروضة اليمانية هاتى واعطينى يدك او مدى يدك الى واقبلى على تبرمت وتضجرت وقالت نعوذ بالله معاذا من فعل ما حرمه الله من مد اليد الى الاجانب ﴿ فما ناولت حتى تضرعت عندها . وانبأتها مارخص الله فى اللمم ﴾ من النظرة والغمزة قال الله تعالى فى النجم (ليجزى الذين اساؤا بما عملوا ويجزى الذين احسنوا بالحسنى الذين يجتنبون كبائر الاثم) بدل من الموصول الثانى وصيغة الاستقبال فى صلته للدلالة على تجدد الاجتناب واستمراره او بيان او نعت او منصوب على المدح وكبائر الاثم ما يكبر عقابه من الذنوب وهو مارتب عليه الوعيد بخصوصه (والفواحش) وما فحش من الكبائر خصوصا (الا اللمم) اى الاماقل وصغر فانه مغفور ممن يجتنب الكبائر قيل هى النظرة والغمزة والقبلة وقيل هى الخطرة من الذنب وقيل كل ذنب لم يذكر الله عليه حدا ولا عذابا والاستثناء منقطع (ان ربك واسع المغفرة) حيث يغفر الصغائر باجتناب الكبائر فالجملة تعليل لاستثناء اللمم وتنبيه على ان اخراجه عن حكم المؤاخذة به ليس لخلوه عن الذنب فى نفسه بل لسعة المغفرة الربانية كما ذكره ابو السعود فقول وضاح من القضايا التى قياساتها معها ولذا قال ابو صالح افقه الناس ولعله انشده فى مقام يناسبه واما انشاده فى مقام يقتضى المعاتبة او للتعريض فمخل بالمروءة ﴿ فاما الخروج الى حد الخلاعة فهجنة ومذمة كالذى حكى عن ابى معاوية الضرير وكان محدثا انه خرج يوما الى اصحابه وهو يقول ﴾ ويحفظ بقول ابى نواس او بعض الاعراب . من الرمل ﴿ واذا المعدة جاشت ﴾ اى اذا اغيثت اودارت للغثيان ﴿ فارمها بالمنجنيق * بثلاث ﴾ بدل من المنجنيق ﴿ من نبيذ ﴾ عصارة التمر ونحوه ﴿ ليس بالحلو الرقيق ﴾ بل الحامض الغليظ المسكر وذلك ما اجتمع فى قعر الراقود يقال له بالفارسية درد ﴿ اما ترى كيف طرق بخلاعته التهمة على نفسه بهذا المزح فيما لعله برئ منه وبعيد عنه ﴾ من شربه الخمر والمسكر ومثله ما حكى ان ابن الجوزى كان يعظ على المنبر اذ قام اليه بعض الحاضرين وقال ايها الشيخ ماتقول فى امرأة بها داء الابنة فانشد * يقولون ليلى بالعراق مريضة . فياليتنى كنت الطبيب المداويا ﴿ وقد كان ابو هريرة رضى الله عنه مسترسلا فى مزاحه روى ابن قتيبة فى المعارف ان مروان ربما كان يستخلفه ﴾ اى اباهريرة ﴿ على المدينة فيركب حمارا قد شد عليه بردعة ﴾ بفتح الباء والدال المهملة اوالمعجمة الجل واللبد الذى يوضع تحت السرج لوقايته من العرق ﴿ فيسير فيلقى الرجل فيقول الطريق ﴾ اى خله ﴿ قد جاء الامير ﴾ اى امير المدينة ﴿ وربما اتى الصبيان وهم يلعبون لعبة الاعراب فلا يشعرون ﴾ بقدومه لتوغلهم فى لهوهم ﴿ حتى يلقى نفسه بينهم ويضرب برجله ﴾ الارض ﴿ فيفزع الصبيان ﴾ من افزعه اذا اخافه ﴿ فينفرون ﴾ يقال نفرت الدابة من الباب الاول والثانى اذا جزعت وتباعدت ﴿ وهذا ﴾ الذى حكى ﴿ خروج عن القدر المستسمح به ﴾ اى على رأينا ﴿ ويوشك ان يكون لهذا الفعل منه تأويل سائغ ﴾ من دفع العجب وخطرات النفس كما مر ان عمر بن الخطاب رضى الله عنه قال انى اعقل انى كنت ارعى لخالاتى بقبضة من تمر واى يوم هو ﴿ وقد كان صهيب بن سنان ﴾ بن مالك ابو يحيى الربعى النمرى من

قدماء الصحابة والسابقين فى الاسلام كان ابوه وعمه فى خدمة الكسرى ولذا اسر فى ايادى الروم ونشأ بينهم فنسى العربية ويرتضخ لكنةرومية ويتلفظ الحاءهاءولذا اقب بالرومى توفى بالمدينة سنة ثمان وثلاثين ﴿ مزاحا ﴾ اى كثير المزح ﴿ فقال له النبى صلى الله عليه وسلم اتأكل تمرا وبك رمد ﴾ بفتحتين وجع العين ﴿ فقال يارسول الله انما امضغ ﴾ التمر ﴿ على الناحية الاخرى ﴾ التى تقابل تلك العين ﴿ وانما استجاز صهيب ان يعرض لرسول الله صلى الله عليه وسلم بالمزح فى جوابه لان استخباره صلى الله عليه وسلم قد كان يتضمن المزح فاجابه عن استخباره بما يوافقه مساعدة لغرضه وتقربا من قلبه ﴾ صلى الله عليه وسلم لجوابه بما يحبه ويترقبه ﴿ والا فليس لاحد ان يجعل جواب رسول الله صلى الله عليه وسلم مزحا لان المزح هزل ومن جعل جواب رسول الله صلى الله عليه وسلم المبين عن الله عزوجل احكامه المؤدى الى خلقه اوامره هزلا ومزحا فقد عصى الله ورسوله وصهيب كان اطوع لله سبحانه وتعالى من ان يكون بهذه المنزلة فقد قال صلى الله عليه وسلم ﴾ على ما رواه الحاكم عن انس بن مالك ﴿ انا سابق العرب ﴾ اى متقدمهم قال الشيخ اى الى الاسلام وكذا يقال فى البواقى وقال المناوى اى الى الجنة ﴿ وصهيب سابق الروم وسلمان ﴾ الفارسى ﴿ سابق الفرس ﴾ بضم الفاء وسكون الراء ﴿ وبلال ﴾ الحبشى المؤذن ﴿ سابق الحبشة ﴾ وفى المستطرف سئل النخعى هل كان اصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم يضحكون قال نعم والايمان فى قلوبهم مثل الجبال الرواسى وكان نعيمان الصحابى من اولع الناس بالمزاح والضحك قيل انه يدخل الجنة وهو يضحك فمن مزحه انه مر يوما بمخرمة بن نوفل الزهرى وهو ضرير فقال له قدنى حتى ابول فاخذ بيده حتى اتى به الى المسجد فاجلسه فى مؤخره فصاح به الناس انك فى المسجد فقال من قادنى قالوا نعيمان قال لله على نذر ان اضربه بعصاى هذه ان وجدته فبلغ ذلك نعيمان فجاء اليه وقال له يا ابا المسور هل لك فى نعيمان قال نعم قال ها هو قائم يصلى واخذ بيده وجاء به الى عثمان بن عفان وقال هذا نعيمان فعلاه بعصاه فصاح الناس امير المؤمنين فقال من قادنى قالوا نعيمان فقال والله لا اتعرض له بسوء بعدها ﴿ ومن مستحسن المزح ومستملح الدعابة ما حكى الزبير بن بكار عن الكندى ان القشيرى ﴾ ابا القاسم عبد الكريم بن هوازن شيخ الصوفية ورئيس الشافعية الامام المفسر صاحب الرسالة القشيرية ﴿ وقف على شيخ من الاعراب فقال يااعرابى ممن انت قال من عقيل فقال من اى عقيل قال من بنى خفاجة فقال القشيرى ﴾ من الرجز المشطور ﴿ رأيت شيخا من بنى خفاجة * فقال الاعرابى ماشانه قال * له اذا جن الظلام حاجة ﴾ من جنه الليل وجن عليه اذا ستره وكل ماستر عنك فقد جن عليك ﴿ فقال الاعرابى ماهى قال * كحاجة الديك الى الدجاجة * فاستعبر الاعرابى ضاحكا وقال قاتلك الله ﴾ دعاء عليه الا انه لم يرد ظاهره بل مدحه بانك شاعر مفلق كما اشار اليه الشاعر بقوله * اسب اذا اجدت القول ظلما . كذلك يقال للرجل المجيد * كما يقال للرجل الفارس المجرب لااب له ﴿ ما اعرفك بسرائر القوم فانظر كيف بلغ بهذا المزح غايته ولسانه نزه ﴾ على وزن كتف اى بعيد عن الآفات ﴿ وعرضه مصون ﴾ عن الطعن ﴿ وهذا ﴾ المقدار ﴿ غاية مايتسامح به الفضلاء من الخلاعة وان كان مستكره الفحوى و ﴾ كان ﴿ النزاهة عن مثله اولى ﴾ اذ يستحى ويستخجل بمثله واما بدون

ارادة التخجيل فلا استكراه وقد صادفت في غير موضع ان النبي صلى الله عليه وسلم كان يعرض بخوات بن جبير ويقول اما تشرد بعيرك ياخوات ويقول الخوات اما منذ عقله الاسلام فلا وقدكان خوات فعل في الجاهلية ما فعل فضرب مثل اشغل من ذات النحيين ﴿ وليحذر ان يسترسل في ممازحة عدو فيجعل له طريقا الى اعلان المساوي هزلا وهو ﴾ اي العدو الممازح ﴿ مجد ﴾ يريك انه يمزح ﴿ ويفسح له في التشفي مزحا وهو محق ﴾ لا بهازل كما قال الشاعر * ان الصديق يريد بسطك مازحا . فاذا راى منك الملالة يقصر * وترى العدو اذا تيقن انه . يوذيك بالمزح العنيف يكثر ﴿ وقد قال بعض الحكماء اذا مازحت عدوك اظهرت له عيوبك ﴾ اي عرضت له اظهارها بمزحه ﴿ واما الضحك فان اعتياده شاغل عن النظر في الامور المهمة مذهل عن الفكر في النوائب الملمة وليس لمن اكثر منه هيبة ولا وقار ولا لمن وصم به ﴾ اي عيب به ﴿ خطر ولا مقدار . روى ابو ادريس الخولاني عن ابي ذر الغفاري قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم اياك وكثرة الضحك فانه ﴾ اي الكثير منه ﴿ يميت القلب ويذهب بنور الوجه . وروى عن ابن عباس في قوله تعالى ﴾ في الكهف (فترى المجرمين مشفقين) خائفين (مما فيه) من الجرائم والذنوب (ويقولون يا ويلتنا) منادين اهلكتهم التي هلكوها من بين الهالكات مستدعين لها ليهلكوا ولا يروا هول مالاقوه اي يا ويلتنا احضري فهذا أوان حضورك ﴿ ما لهذا الكتاب ﴾ اي اي شئ له وهو صحف الاعمال ﴿ لا يغادر صغيرة ولا كبيرة ﴾ اي هنة صغيرة ولا كبيرة وهي عبارة عن الاحاطة اي لا يترك شيئا من المعاصي ﴿ الا احصاها ﴾ اي ضبطها وحصرها والجملة حالية محققة لما في الجملة الاستفهامية من التعجب كأنه قيل ماشانه حتى يتعجب منه فقيل لا يغادر سيئة صغيرة ولا كبيرة الا احصاها ﴿ ان الصغيرة الضحك والكبيرة القهقهة ﴾ كما في الكشاف ﴿ وقال عمر بن الخطاب رضي الله عنه من كثر ضحكه قلت هيبته . وقال علي بن ابي طالب كرم الله وجهه اذا ضحك العالم ضحكة ﴾ بناء مرة ﴿ مج من العلم مجة ﴾ يقال مج الشراب من فيه اذا رماه ﴿ وقيل في منثور الحكم ضحكة المؤمن غفلة من قلبه ﴾ وقد روى اصحاب الستة عن انس رضي الله عنه قال خطب المصطفى خطبة ما سمعت مثلها قط وقال (لو تعلمون ما اعلم) من عظمة الله تعالى وانتقامه ممن يعصيه والاهوال التي تقع عند الفزع والموت وفي القبر ويوم القيامة لما ضحكتم اصلا وهو المعبر عنه بقوله (لضحكتم قليلا) اذ القليل بمعنى العدم كما يدل عليه السياق (ولبكيتم كثيرا) فالمعنى منع البكاء لامتناع علمكم بالذي اعلم عن الحسن البصري من علم ان الموت مورده والقيامة موعده والوقوف بين يدي الله تعالى مشهده فحقه ان يطول في الدنيا حزنه ﴿ والقول في الضحك كالقول في المزاح ان تجافاه الانسان ﴾ اي تباعد عنه واعتاد غلظة الطبع ﴿ نفر عنه واوحش منه وان الفه كانت حاله ماوصفنا ﴾ من انحطاط مقداره وانهتاك حرمته ﴿ فليكن بدل الضحك عند الايناس تبسما . وقال عمر بن الخطاب رضي الله عنه التبسم دعابة وهذا ابلغ في الايناس من الضحك الذي هو قد يكون استهزاء وتعجبا ﴾ من فعل الموانس اوقوله ﴿ وليس ينكر منه ﴾ اي من الضحك ﴿ المرة النادرة لطارئ استغفل النفس ﴾ اي اغفلها ﴿ عن دفعه هذا رسول الله صلى الله عليه وسلم وهو املك الخلق لنفسه قد تبسم حتى بدت نواجذه ﴾ جمع ناجذ لانه فاعل اسمي وهي الاسنان الاربعة التي تحصل بعد

البلوغ وعلى قول هى الاضراس ﴿ وانما كان ذلك منه صلى الله عليه وسلم على الوجه الذى ذكرناه ﴾ من غفلة النفس عن دفع الطارئ على الفور وفى الشفاء وكان اكثر الناس تبسما (واطيبهم نفسا) اى مستبشرا غير عبوس (ما لم ينزل عليه قرآن او يعظ او يخطب) اى فى المنبر عند الجمع الاكبر فانه حينئذ لم يكن متبسما ولا منبسطا بل كان يغلب عليه القبض لما فيه من مقام الاجلال باظهار مظاهر ذى الجلال ففى كل مقام مقال ولكل مقال حال لارباب الكمال

﴿ الفصل السادس فى الطيرة والفال ﴾ بكسر الطاء وفتح الياء التشأوم بالشئ واصل ذلك انهم كانوا فى الجاهلية اذا خرج احدهم لحاجة فان رأى الطير طار عن يمينه تيمن به واستمر وان طار عن يساره وشماله تشأم به ورجع وربما كانوا يهيجون الطير ليطير فيعيدون ذلك ويصح معهم فى الغالب ليزين الشيطان لهم ذلك وبقيت بقايا من ذلك فى كثير من المسلمين فنهى الشرع عن ذلك واستعمال الطيرة فى المكروه والفال فى المحبوب مشهور وربما يكون فى مكروه ايضا ﴿ اعلم انه ليس شئ اضر بالرأى ﴾ اى بانفاذه ﴿ ولا افسد للتدبير من اعتقاد الطيرة ومن ظن ان خوار بقرة ﴾ على وزن غراب اى صوتها ﴿ او نعيب غراب ﴾ يقال نعب الغراب وغيره ونعق من الباب الثالث اذا صوت او مد عنقه وحرك رأسه فى صياحه وكذا المؤذن ﴿ يرد قضاء او يدفع مقدورا ﴾ قدره الله تعالى ﴿ فقد جهل ﴾ بما جاء به النبى صلى الله عليه وسلم ﴿ وقد روى عن النبى صلى الله عليه وسلم ﴾ على مارواه احمد بن حنبل والبخارى ومسلم وابو داود عن ابى هريرة ﴿ انه قال لاعدوى ولاطيرة ولاهامة ولاصفر ﴾ وفى رواية البخارى (وفر من المجذوم كما تفر من الاسد) ويأتى وجه الجمع بين الاحاديث ﴿ فالعدوى ﴾ فى الحديث ﴿ ما يظنه الناس من تعدى العلل والامراض ﴾ اى بعضها بطبعها من غير اضافة الى الله تعالى ﴿ فاخبرانها لا تعدى ﴾ بطبعها وقد ثبت ان رسول الله صلى الله عليه وسلم اخذ بيد مجذوم فادخلها معه فى القصعة ثم قال كل ثقة بالله وتوكلا عليه فابطل عليه السلام اعتقادهم ذلك واكل مع المجذوم ليبين لهم ان الله هو الذى يمرض ويشفى ونهاهم عن الدنو من المجذوم ليبين ان هذا من الاسباب التى اجرى الله العادة بانها تفضى الى مسبباتها ففى نهيه اثبات الاسباب وفى فعله اشارة الى انها لا تستقل بل الله تعالى هو الذى ان شاء سلبها قواها فلا تؤثر شيئا وان شاء ابقاها فاثرت كما ذكره القسطلانى ﴿ فقيل يارسول الله انا نرى النقطة ﴾ اى الخال ﴿ من الجرب فى مشفر البعير ﴾ اى فى شفة الابل ﴿ فتعدى الى جميعه فقال صلى الله عليه وسلم فما اعدى الاول ﴾ ورواية الشيخين عن ابى هريرة فقال اعرابى يارسول الله فما بال الابل تكون فى الرمال امثال الظباء) فى الصحة والحسن والقوة (فيأتيها البعير الاجرب) فيخالطها (فتجرب قال فمن اعدى الاول) معناه ان الاول لم يجرب بالعدوى لعدم المعدى بل بقضاء الله وقدره كما دل عليه قوله تعالى ما اصاب من مصيبة فى الارض ولا فى انفسكم الا فى كتاب الآية فكما ان الاول بخلق الله وقدره فكذلك الثانى والثالث والاطباء تزعم ذلك فى الجذام والبرص والجدرى والجرب والبخر والرمد والامراض الوبائية * وفى الصحيحين قال ابو سلمة سمعت ابا هريرة عن النبى صلى الله عليه وسلم انه قال (لا توردوا الممرض) بكسر الراء اى من الابل (على المصح) منها فربما يصاب بذلك المرض فيقول الذى اورده لو انى ما اوردته عليه لم يصبه من هذا المرض شئ. والواقع انه لو لم يورده

لاصابه لان الله قدره فنهى عن ايراده لهذه العلة التى لا يؤمن غالبا وقوعها فى قلب المرء . وقال النووى قال جمهور العلماء يجب الجمع بين هذين الحديثين وهما صحيحان قالوا و طريق الجمع ان حديث لاعدوى المراد به نفى ما كانت الجاهلية تزعمه وتعتقده ان المرض والعاهة تتعدى بطبعها لا بفعل الله . واما حديث لا يورد ممرض فارشد فيه الى مجانبة ما يحصل الضرر عنده فى العادة بفعل الله وقدره فنفى فى الحديث الاول العدوى بطبعها ولم ينف حصول الضرر عند ذلك بقدرة الله تعالى وفعله وارشد فى الثانى الى الاحتراز مما يحصل عنده الضرر بفعل الله تعالى وارادته وقدره وقال ابن حجر العسقلانى والقسطلانى واما الامر بالفرار من المجذوم والنهى عن ايراد الممرض فمن باب سد الذرائع واجتناب الاسباب التى خلقها الله تعالى وجعلها اسبابا للهلاك او الاذى والعبد مأمور باتقاء اسباب البلاء اذا كان فى عافية منها انتهى ﴿ واما الهامة ﴾ بتخفيف الميم على المشهور قال النووى فيه تأويلان احدهما ان العرب كانت تتشأم بالهامة وهى الطائر المعروف من طير الليل وقيل هى البومة قالوا كانت اذا سقطت على دار احدهم يراها ناعية له نفسه او بعض اهله وهذا تفسير مالك بن انس . واما الثانى ﴿ فهو ما كانت العرب فى الجاهلية تعتقده من ان القتيل اذا طال دمه فلم يدرك بثأره ﴾ بقصاص القاتل ﴿ صاحت هامته فى القبر اسقونى ﴾ اى تنقلب روحه هامة او يصير عظامه هامة ويصيح الى ان يدرك بثأره فاذا ادرك طارت . وهذا تفسير اكثر العلماء وهو المشهور ويجوز ان يكون المراد النوعين فانهما جميعا باطلان ﴿ قال الزبرقان بن بدر يعنيها ﴾ متمثلا ببيت من قصيدة ذى الاصبع احد حكام الشعراء والجاهلى القديم وهدد به عمرو بن الاهتم ﴿ يا عمرو ان لا تدع شتمى ومنقصتى . اضربك حتى تقول الهامة اسقونى ﴾ يعنى اقتلك يا عمرو ولا يقتص منى قبيلتك فتقول هامتك اسقونى وتمام القصيدة فى شرح شواهد مغنى اللبيب ﴿ وقال ابراهيم بن هرمة * وكيف وقد صاروا أعظاما واقبرا . يصيح صداها بالعشى وهامها ﴾ يعنى على اى حال تخاف منهم او تذكرهم بسوء او تدرك منهم الثار وقد صاروا عظاما وقبورا يصيح صداها فى العشى وهامها فاقبر جمع قبر والصدى على زعم الجاهلية الطير الذى يخرج من رأس الميت والمقتول كالهامة كما قال توبة بن الحمير . ولو ان ليلى الاخيلية سلمت . على وفوقى تربة وصفائح * لسلمت تسليم البشاشة اوزقا . اليها صدى من جانب القبر صائح * على ما سبق فى المصاهرة ﴿ تفانوا ولم يبقوا وكل قبيلة . سريع الى ورد الفناء كرامها ﴾ والورد بكسر الواو من اسماء الحمى وعلى قول اسم يومه ونوبته اى الى حمى الفناء او الى يوم الفناء والموت ﴿ واما الصفر ﴾ قال النووى فيه تأويلان احدها المراد به تأخيرهم تحريم المحرم الى صفر وهو النسئ الذى كانوا يفعلونه وبهذا قال مالك وابو عبيدة واما الثانى ﴿ فهو ﴾ دود ﴿ كالحية يكون فى الجوف يصيب الماشية والناس ﴾ تهيج عند الجوع وربما قتلت صاحبها ﴿ وهو اعدى عندهم من الجرب ﴾ وهذا التفسير هو الصحيح وبه قال جابر راوى الحديث وخلائق من العلماء وفى بعض طرق الحديث (ولا نوء) اى لا تقولوا مطرنا بنوء كذا ولا تعتقدوه (ولا غول) قال جمهور العلماء كانت العرب تزعم ان الغيلان فى الفلوات وهى جنس من الشياطين فتتراءى للناس وتتغول تغولا اى تتلون تلونا فتضلهم عن الطريق فتهلكهم فابطل النبى صلى الله عليه وسلم ذاك وقال آخرون ليس المراد بالحديث نفى وجود الغول وانما معناه ابطال ما تزعمه العرب من تلون الغول من

بالصور المختلفه واغتيالها قالوا ومعنى لاغول اى لاتستطيع ان تضل احدا ويشهد له حديث آخر لاغول ولكن السعالى قال العلماء السعالى بفتح السين وهم سحرة الجن اى ولكن فى الجن سحرة لهم تلبيس وتخييل وفى الحديث الآخر اذا تغولت الغيلان فبادروا بالاذان اى ادفعوا شرها بذكر الله تعالى وهذا دليل على انه ليس المراد نفى اصل وجودها وفى حديث ابى ايوب كان لى تمر فى سهوة وكانت الغول تجئ فتأكل منه افاده النووى ﴿ وفيه يقول الشاعر ﴾ من البسيط ﴿ لا يمسك الساق من اين ولا وصب . ولا يعض على شرسوفه الصفر ﴾ الساق مابين الكعب والركبة . واين على وزن زين المشقة وعند الاكثر يقال آن يئين اذا اعيى والوصب المرض ويحصل الاهتزاز وعدم التمكن من القيام من الغصب والتعب والجوع والمرض وكثرة المعاياة والشاعر الطبيب اعترف المعاياة ونفى غيرها وقوله لا يعض من الباب الرابع اى لا يمسكه باسنانه او بلسانه والشرسوف على وزن عصفور غضروف معلق بكل ضلع او مقط الضلع وهو الطرف المشرف على البطن والغضروف العظام الرخو الذى يؤكل والصفر مايعتقده الجاهلية مما كان فى الجوف ﴿ وروى ابو هريرة رضى الله عنه ﴾ وابن ماجة عن جابر ﴿ ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال اذا ظننتم فلا تحققوا ﴾ بحذف احدى التائين اى لاتجعلوا ذلك محققا فى نفوسكم بل اطرحوه وقال المناوى اى اذا ظننتم باحد سوأ فلا تجزموا به مالم تحققوه ان بعض الظن اثم ﴿ واذا حسدتم فلا تبغوا ﴾ اى اذا وسوس اليكم الشيطان بحسد احد فلا تطيعوه ولا تعملوا بمقتضى الحسد من البغى على المحسود وايذائه بل خالفوا النفس والشيطان وداووا القلب من ذلك الداء ﴿ واذا تطيرتم فامضوا ﴾ اى واذا خرجتم لنحو سفر اوعزمتم على فعل شئ فتشأمتم به لرؤية اوسماع مافيه كراهة فلا ترجعوا ﴿ وعلى الله فتوكلوا ﴾ اى فوضوا اموركم اليه لا الى غيره والتجؤا اليه فى دفع شر ما تطيرتم به وقد قال الله تعالى فاذا عزمت فتوكل على الله (واذا وزنتم فارجحوا) اى اوفوا واحذروا ان تكونوا من الذين اذا اكتالوا على الناس يستوفون واذا كالوهم اووزنوهم يخسرون ﴿ وقال الشاعر ﴾ من الخفيف ﴿ طيرة الناس لاترد قضاء . فاعذر الدهر لاتشبه بلوم ﴾ تقول اشابه الحزن اذا بيض شعره وشابت رؤس الاكام ورأيت الجبال شيبا تريد بياض الصقيع والثلج يعنى اذا كنت ذا رأى سديد وعزيمة صحيحة فلا تؤخر امضائه لما تطيرت به لان قضاء الله كائن واعذر الدهر ولا تبرده بصرصر لومك اذلا يخلو الدهر من طيران الغراب وتجاوز الارنب والحية ﴿ اى يوم تخصه بسعود . والمنايا ينزلن فى كل يوم ﴾ جمع غائبة وفاعله راجع الى المنايا ﴿ ليس يوم الا وفيه سعود . ونحوس تجرى لقوم وقوم ﴾ والدنيا دول ﴿ وقد كانت الفرس اكثر الناس طيرة ﴾ روى ان كسرى ابرويز بعث الى النبى صلى الله عليه وسلم حين بعث زاجرا ومصورا فقال للزاجر انظر ماترى فى طريقك وعنده وقال للمصورا ئتنى بصورته فلما عاد اليه اعطاه المصور صورته صلى الله عليه وسلم فوضعها كسرى على وسادته ثم قال للزاجر ماذا رأيت قال مارأيت ماازجر به الا انه سيعلو امره عليك لانك وضعت صورته على وسادتك ﴿ وكانت العرب ﴾ فى الجاهلية ﴿ اذا ارادت سفرا نفرت ﴾ من النفير ﴿ اول طائر تلقاه فان طار يمنة سارت وتيمنت واذا طار يسرة رجعت وتشأمت فنهى النبى صلى الله عليه عن ذلك وقال ﴾ كما روى ابو داود عن ام كرز ﴿ اقروا الطير على وكناتها ﴾ جمع وكنة يقال الطير فى وكنته اى فى عشه ويروى على

(مكناتها)

مكناتها قال الحفني اى اوكارها التى تعشش فيها والمراد هنا الاعم اى كل محل استقرت عليه سواء كان وكره اوغيره ﴿ وحكى عكرمة قال كنا جلوسا ﴾ جمع جالس ﴿ عند ابن عباس رضى الله عنهما فمر طائر يصيح فقال رجل من القوم خير ﴾ ما اخبرت به ياطير ﴿ فقال ابن عباس لاخير ولاشر وقال لبيد ﴾ من الطويل ﴿ لعمرك ماتدرى الضوارب بالحصى . ولازاجرات الطير ما الله صانع ﴾ الضوارب جمع ضاربة من ضربت الطير اذا ذهبت تبتغى الرزق وتلك الطيور ضوارب اى طوالب للرزق ثم استعمل فى طوالب الرزق بالحصى والبقول . وانما اتى بجمع المؤنث لغلبة تلك الصنعة فى النساء قديما وحديثا وقال تعالى ومن شر النفاثات فى العقد . وفى حديث ابى داود عن قبيصة بالتصغير (العيافة) بالكسر والتخفيف هى زجر الطير والتفأل باسمائها واصواتها وممرها (والطيرة والطرق) بفتح فسكون وهو الضرب بالحصى الذى تفعله النساء وقيل هو الخط بالرمل (من الجبت) اى من اعمال السحر فكما ان السحر حرام فكذا المذكورات وانشد المبرد * لايعلم المرء ليلا مايصبحه . الا كواذب مايجرى به الفال * والفال والزجر والكهان كلهم . مضللون ودون الغيب اقفال * وقال آخر * تعلم انه لاطير الا . على متطير وهو الثبور * بلى شئ يوافق بعض شئ . احايينا وباطله كثير وقال آخر * لاترقب النجم فى امر تحاوله . فالله يفعل لاجدى ولازحل ﴿ واعلم انه قلما يخلو من الطيرة احد لاسيما من عارضته المقادير فى ارادته وصده القضاء عن طلبته ﴾ بكسر الطاء وسكون اللام اسم بمعنى المطلوب ﴿ فهو يرجو واليأس عليه اغلب ويأمل والخوف اليه اقرب فاذا عاقه القضاء وخانه الرجاء جعل الطيرة عذر خيبته وغفل عن قضاء الله عزوجل ومشيئته فاذا تطير احجم عن الاقدام ﴾ اى امتنع عنه ﴿ ويئس من الظفر ﴾ لعدم اقدامه ﴿ وظن ان القياس فيه ﴾ اى فيما تطير به ﴿ مطرد وان العبرة فيه مستمرة ثم يصير ذلك له عادة فلاينجح له سعى ﴾ تقول نجحت الحاجة من الباب الثالث اذا ظفرت بها وتمت على ارادتك ﴿ ولايتم له قصد . فاما من ساعدته المقادير ووافقه القضاء فهو قليل الطيرة لاقدامه ثقة باقباله وتعويلا على سعادته ﴾ اى اعتمادا عليها ﴿ فلايصده خوف ولايكفه خور ﴾ اى لايمنعه عما يريده لاخوف ولاضعف ﴿ ولايؤب الاظافرا ولايعود الامنجحا لان الغنم بالاقدام والخيبة مع الاحجام ﴾ كما قال بعضهم * فاقضى حاجة طالب . فؤاده يخفق من رعبه * وغاية المفرط فى سلمه . كغاية المفرط فى حربه ﴿ فصارت الطيرة من سمات الادبار واطراحها من امارات الاقبال فينبغى لمن منى بها وبلى ان يصرف عن نفسه وساوس النوكى ودواعى الخيبة وذرائع الحرمان ولا يجعل للشيطان سلطانا فى نقض عزائمه ومعارضة خالقه ويعلم ان قضاء الله تعالى عليه غالب وان رزقه له طالب الا ان الحركة سبب فلا يثنيه عنها ﴾ اى لايصرفه عن حركته ﴿ مالايضر مخلوقا ولا يدفع مقدورا وليمض فى عزائمه واثقا بالله تعالى ان اعطى وراضيا به ان منع فقد روى ابو هريرة ﴾ كما رواه البيهقى عنه ﴿ قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم فى الانسان ثلاثة ﴾ من الخصال ﴿ الطيرة والظن ﴾ قيل اراد سوء الظن ﴿ والحسد فمخرجه من الطيرة ان لا يرجع ﴾ بل يتوكل على الله ويمضى ﴿ ومخرجه من الظن ان لايحقق ﴾ ماخطر فى قلبه ﴿ ومخرجه من الحسد ان لايبغى ﴾ على المحسود ﴿ وروى عنه صلى الله عليه وسلم انه قال كفارة الطيرة التوكل على الله تعالى . وقيل فى منثور الحكم الخير فى ترك الطيرة وليقل ان عارضه فى الطيرة ريب او خامره فيها وهم ما ﴾ مقول ليقل

﴿ روى عن النبى صلى الله عليه وسلم انه قال من تطير ﴾ وفى حديث عروة بن عامر عند ابى داود قال ذكرت الطيرة عندالنبى صلى الله عليه وسلم فقال خيرها الفأل ولا ترد مسلما فاذا رأى احدكم مايكره ﴿ فليقل اللهم لايأتى بالحسنات الا انت ولايدفع السيأت الا انت ولا حول ولاقوة الابالله وقدروى ﴾ عن انس ﴿ ان رجلا جاء الى النبى صلى الله عليه وسلم فقال يارسول الله انا نزلنا دارا فكثر فيها عددنا وكثرت فيها اموالنا ثم تحولنا عنها الى ﴾ دار ﴿ اخرى فقلت فيها اموالنا وقل فيها عددنا فقال النبى صلى الله عليه وسلم ذروها ﴾ اى اتركوا الدار التى قل فيها عددكم ﴿ فهى ذميمة ﴾ وامرهم بالتحول عنها ﴿ وليس هذا القول منه صلى الله عليه وسلم على وجه الطيرة ولكن على طريق التبرك بما فارق وترك ما استوحش منه ﴾ بالارتحال ﴿ الى ما انس به ﴾ لانهم كانوا فيها على استثقال واستيحاش فامرهم صلى الله عليه وسلم بالانتقال عنها ليزول عنهم مايجدون من الكراهة لانه سبب فى ذلك ذكره القسطلانى نقلا عن شرح السنة وقال اهل الحديث الشوم فى حديث ابن عمر (لاعدوى ولاطيرة والشؤم فى ثلاث فى المرأة) بان لاتلد وان تكون لسناء (والدار) بان تكون ضيقة سيئة الجيران (والدابة) بان لايغزى عليها انماهو محمول على الكراهية التى سببها مافى هذه الاشياء من مخالفة الشرع ويحتمل ان يكون المراد عدم موافقتهاله طبعا ويؤيده مافى شرح السنة كانه يقول ان كان لاحدكم داريكره سكناها اوامرأة يكره صحبتها اوفرس لاتعجبه فليفارقها بان ينتقل عن الدار ويطلق المرأة ويبيع الفرس حتى يزول عنه مايجد فى نفسه من الكراهة ﴿ واما الفال ففيه تقوية للعزم وباعث على الجد ﴾ والاقدام لغلبة الظفر فى ظنه على الخيبة ﴿ ومعونة على الظفر فقد تفأل رسول الله صلى الله عليه وسلم فى غزواته وحروبه ﴾ روى انه لما نزل المدينة على كلثوم دعا غلامين له يا يسار وياسالم فقال صلى الله عليه وسلم لابى بكر رضى الله عنه ابشر يا ابا بكر فقد سلمت لنا الدار وقال الاصمعى سألت ابن عون عن الفال فقال هو ان يكون مريض فيسمع ياسالم اوطالب حاجة فيسمع يا واجد وما اشبه ذلك ﴿ وروى ابوهريرة ﴾ كما رواه عنه ابوداود والديلمى عن ابن عمر رضى الله عنهم ﴿ ان رسول الله صلى الله عليه وسلم سمع كلمة فاعجبته ﴾ قال المناوى لما خرج فى عسكر فسمع من يقول ياحسن اولما خرج لغزوة خيبر فسمع عليا يقول ياخضرة فاسل فيها سيف وخضرة اسم قرية بالحجاز وفى القاموس انها علم لخيبر ﴿ فقال اخذنا فالك ﴾ بالهمز وتركه اى كلامك الحسن ايها الناطق ﴿ من فيك ﴾ وان لم تقصد خطابنا ويستحب لمن يسمع مايعجبه ان يقول يالبيك اخذنا فالك من فيك وقد جعل الله تعالى فى الفطرة محبة الكلمة الحسنة كما جعل فيها الارتياح بالمنظر الانيق والماء الصافى وان لم يشرب منه ولم يستعمله ﴿ فينبغى لمن تفأل ان يتأول الفال باحسن تأويلاته ولا يجعل لسوء الظن على نفسه سبيلا فقد قال النبى صلى الله عليه وسلم ﴾ كما رواه البخارى عن ابن مسعود ﴿ البلاء موكل بالمنطق ﴾ وزاد الخطيب فى روايته عن ابن مسعود فلوان رجلا عير رجلا برضاع كلبة لرضعها) يعنى من عير اخاه بشئ وقع فيه رضمنه الشاعر فقال * احفظ لسانك لاتقول فتبتلى . ان البلاء موكل بالمنطق ﴿ روى ان يوسف عليه السلام شكا الى الله تعالى طول الحبس ﴾ قال المفسرون فى تأويل قوله تعالى فلبث فى السجن بضع سنين البضع مابين الثلاث الى التسع واكثر الاقاويل انه لبث فيه سبع سنين ﴿ فاوحى الله تعالى اليه يا يوسف

حافظ . رخ تو دردلم آمد مراد خواهم يافت . چرا كه حال نكودر قفاى فال نكوست منه

(انت)

انت حبست نفسك حيث قلت رب السجن احب الى ﴾ اى آثر عندى لانه مشقة قليلة نافدة اثرها راحات جليلة ابدية (مما يدعوننى اليه) من مواتاتها التى تؤدى الى الشقاء والعذاب الاليم وهذا الكلام من يوسف عليه السلام مبنى على مامر من انكشاف الحقائق لديه وبروز كل منها بصورتها اللائقة بها فصيغة التفضيل ليس على بابها اذليس له شائبة محبة لما دعت اليه وانما هو والسجن شران اهونهما واقربهما الى الايثار السجن والتعبير عن الايثار بالمحبة لحسم مادة طمعها عن المساعدة خوفا من الحبس واسناد الدعوة اليهن جميعا لان النسوة رغبنه فى مطاوعتها وخوفنه من مخالفتها وقيل دعونه الى انفسهن وقيل انما ابتلى عليه السلام بالسجن لقوله هذا وكان الاولى به ان يسأل الله تعالى العافية ولذلك ردرسول الله صلى الله عليه وسلم على من كان يسأل الصبر افاده ابوالسعود ﴿ ولوقلت العافية احب الى لعوفيت ﴾ ولذاقيل لوسكت يوسف لعصم من النوائب ولوسكت الكليم لعلم العجائب ﴿ وحكى ان المؤمل بن اميل الشاعر لماقال يوم الحرة ﴾ بفتح وتشديد الموضع الذى يتمكن فيه قبيلة فى الشتاء ينزلون فيه باخبيتهم ولكل قبيلة حرة مخصوصة فيوم الحرة اليوم الذى يرتحل اليها ﴿ شف المؤمل يوم الحرة النظر . ليت المؤمل لم يخلق له بصر ﴾ يكفى المحبين فى الدنيا عذابهم . والله لاعذبتهم بعدها سقر * يقال شف الثوب شفوفا من الباب الثانى اذا ق فحكى ما تحته وشف جسمه اذا نحل ويروى شق اى اوقعه فى المشقة وقد بالغ الشعراء فى الوداع قال جرير * لوكنت اعلم ان آخر عهدكم . يوم الرحيل فعلت مالم افعل * قيل لعمارة بن عقيل بن بلال بن جرير ماكان جدك صالعا فى قوله فعلت مالم افعل قال كان يقلع عينيه حتى لايرى مظاعن احبابه وما احسن اعتذار القائل عن ترك الوداع * مااخترت ترك وداعكم يوم الندى . والله من ملل ولا لتجنب * لكن خشيت بان اموت صبابة . ويقال انت قتلته فتقادنى * وفى بعض الكتب السماوية ان مما عاقبت به عبادى ان ابتليهم بفراق الاحبة ﴿ عمى فاتاه آت فى منامه فقال له هذا ماطلبت ﴾ وفى شرح لامية العجم ان المؤمل لما قال شف المومل البيت . رأى فى منامه كأن رجلا ادخل اصبعيه فى عينيه وقال هذا ما تمنيت فاصبح اعمى وقال الله تعالى ويدع الانسان بالشر دعاءه بالخير وكان الانسان عجولا ﴿ وحكى ان الوليد بن يزيد بن عبدالملك ﴾ بن مروان بن الحكم ﴿ تفأل يوما فى المصحف فخرج له قوله تعالى ﴾ فى سورة ابراهيم ﴿ واستفتحوا ﴾ اى استنصروا الله على اعدائهم كقوله تعالى ان تستفتحوا فقد جاءكم الفتح او استحكموا وسألوه القضاء بينهم من الفتاحة وهى الحكومة كقوله تعالى ربنا افتح بيننا وبين قومنا بالحق فالضمير للرسل وقيل للكفرة وقيل للفريقين فانهم سألوا ان ينصر المحق ويهلك المبطل ﴿ وخاب ﴾ اى خسر وهلك ﴿ كل جبار عنيد ﴾ متصف بضد ما اتصف به المتقون اى فنصروا عند استفتاحهم وظفروا بما سألوا وافلحوا وخاب كل جبار عنيد وهم قومهم المعاندون فالخيبة بمعنى مطلق الحرمان دون الحرمان عن المطلوب ﴿ فزق المصحف ﴾ اى خرقه ظلما وعتوا نعوذ بالله تعالى ﴿ وانشأ يقول ﴾ مخاطبا للمصحف الشريف ومعلنا لكفره ﴿ اتوعد كل جبار عنيد . فها انا ذاك جبار عنيد ﴾ قوله اتوعد من الايعاد وهو التهديد بايصال الشر والمكروه والاستفهام للانكار بما تضمنه التهديد يعنى لايخاف ولايبالى كما يدل عليه قوله فها انا وكذا قوله ﴿ اذا ماجئت ربك يوم حشر . فقل يارب مزقنى الوليد ﴾

وفي قوله ربك بالاضافة الى ضمير الخطاب استكبار على الله وانكار للحشر نعوذبالله تعالى ﴿ فلم يلبث الاياما ﴾ قليلة ﴿ حتى قتل ﴾ من طرف عساكره ﴿ شرقتلة وصلب رأسه على قصره ثم على سور بلده ﴾ سنة ست وعشرين ومأة وكان الحادى عشر من ملوك بنى امية وجميع ايامه اربعة عشر شهرا وفي الشفاء وقداخبر النبي صلى الله عليه وسلم عنه وقال (سيكون في هذه الامة رجل يقال له الوليد هوشر لهذه الامة من فرعون لقومه) رواه احمد والبيهقى عن سعيد بن المسيب عن عمر يعنى لفتنة الناس اذخرجوا عليه لامور اقترفها فقتلوه فانفتحت به الفتن على الامة ﴿ فنعوذبالله من البغى ومصارعه ﴾ اى مقاتله اوقتلاته اذترك مثل سوء في الاخرين فكأنه يقتل كل يوم ﴿ ومن الشيطان ومصائده وهو حسبنا ﴾ اى يكفينا ﴿ وعليه توكلنا ﴾ لاعلى غيره ونعم الوكيل وصلى الله على سيدنا محمد وعلى آله واصحابه اجمعين

﴿ الفصل السابع في المروءة ﴾ بالضم على الافصح وقدتبدل همزته واوا وتدغم بمعنى الانسانية لانها مأخوذة من المرء وهى تعاطى المرء مايستحسن وتجنب مايسترذل كالحرف الدنية والملابس الخسيسة والجلوس في الاسواق اوصيانة النفس عن الادناس اوما يشين عند الناس اوآداب نفسانية تحمل مراعاتها الانسان على الوقوف عند محاسن الاخلاق وجميل العادات وهذا كما قاله السيد الشريف المروءة هى قوة للنفس مبدأ لصدور الافعال الجميلة عنها المستتبعة للمدح شرعا وعقلا وعرفا ثم قال الابيارى يقال مرؤ الانسان فهو مرئ كقرب فهو قريب وكلها قريبة المعنى لكنها بعيدة المرمى ولله در من قال * مررت على المرؤة وهى تبكى . فقلت علام تنتحب الفتاة * فقالت كيف لاابكى واهلى . جميعا دون خلق الله ماتوا * وقدكان قيل * ولابد من شكوى الى ذى مروءة . يواسيك اويسليك اويتوجع * فقلت * ولا تشك من خطب الم الى فتى . وكن صابرا فالصبر للحرانفع * فما من فتى تلقى به من مروءة . يواسيك اويسليك اويتوجع انتهى ﴿ اعلم ان من شواهد الفضل ودلائل الكرم المروءة ﴾ اسم ان ﴿ التى هى حلية النفوس وزينة الهمم فالمروءة مراعاة الاحوال ﴾ من الحسن والاحسن والرخص والعزائم ﴿ التى تكون على افضلها حتى لايظهر منها ﴾ اى من النفوس ﴿ قبيح عن قصد ولايتوجه اليها ذم باستحقاق ﴾ باختيار المفضول مع امكان الافضل كما قال الشاعر * ولم ارفى عيوب الناس شيئا . كنقص القادرين على الكمال ﴿ روى عن النبي صلى الله عليه وسلم انه قال من عامل النـاس فلم يظلمهم وحدثهم فلم يكذبهم ووعدهم فلم يخلفهم فهو ممن كملت مروءته وظهرت عدالته ووجبت اخوته. وقال بعض البلغاء من شرائط المروءة ان يتعفف عن الحرام ويتصلف عن الآثام ﴾ اى يعرض وينصرف عنها ﴿ وينصف في الحكم ﴾ ولو على نفسه ﴿ ويكف عن الظلم ولايطمع فيمالايستحق ولايستطيل على من يسترق ﴾ يقال استرق الشئ ضد استغلظ اى لايتكبر على من يتواضع ﴿ ولايعين قويا على ضعيف ولايؤثر دنيا ﴾ اى ساقطا ﴿ على شريف ولايسر ﴾ من الاسرار اى لايضمر ولايخفى في نفسه ﴿ مايعقبه الوزر والاثم ولا يفعل مايقبح الذكر والاسم ﴾ في حياته ومماته ﴿ وسئل بعض الحكماء عن الفرق بين العقل والمروءة فقال العقل يأمرك بالانفع والمروءة تأمرك بالاجمل ﴾ وبينهما عموم من وجه لان بعض الاجمل مضر ﴿ ولن تجد الاخلاق على ماوصفنا من المروءة منطبعة ولاعن المراعاة مستغنية وانما المراعاة هى المروءة لاما انطبعت عليه من فضائل الاخلاق ﴾ تصدر عنها الافعال الحسنة

(بسهولة)

بسهولة ﴿ لان غرور الهوى ونازع الشهوة يصرفان النفس ﴾ مجتمعين او منفردين واللام متعلق بالمنفى ﴿ ان تركب الافضل من خلائقها والاجمل من طرائقها وان سلمت منها ﴾ اى من شهوتها ﴿ وبعيد ان تسلم الا لمن استكمل شرف الاخلاق طبعا واستغنى عن تهذيبها تكلفا وتطبعا ﴾ كالانبياء عليهم السلام ﴿ وقال الشاعر ﴾ من السريع المشطور ﴿ من لك بالمحض وليس محض . يخبث بعض ويطيب بعض ﴾ المحض الخالص من اللبن استعمل فى المطلق اى من يتعهد ويتكفل لك بخلوصك من الاخلاق الردية وليس فى الدنيا من استكمل الفضائل واستجمع الفواضل بل يطيب بعضها ويخبث بعض آخر قال الحارث المحاسبى ثلاثة اشياء عزيزة او معدومة حسن الوجه مع الصيانة وحسن الخلق مع الديانة وحسن الاخاء مع الامانة ﴿ ثم لو استكمل الفضل طبعا وفى المعوزان يكون مستكملا لكان فى المستحسن من عادات دهره والموضوع من اصطلاحات عصره من حقوق المروءة وشروطها ما لا يتوصل اليه الا بالمعاناة ولا يتوقف عليه الا بالتفقد والمراعاة فثبت ان مراعاة النفس على افضل احوالها هى المروءة واذا كانت كذلك ﴾ اى لا يتوصل اليها الا بالمعاناة ﴿ فليس ينقادلها مع ثقل كلفها ﴾ اى مشاقها جمع كلفة ومنه المثل من لم يصبر على الكلف لم يصل الى الزلف ﴿ الا من تسهلت عليه المشاق رغبة فى الحمد وهانت عليه الملاذ ﴾ اى ذلت وحقرت عنده الملاذ كالحصون والجبال من الامكنة المطمئنة ﴿ حذرا من الذم ﴾ قال الامير ابو فراس الحمدانى * تهون علينا فى المعالى نفوسنا ومن خطب الحسناء لم يغلها المهر ﴿ ولذلك ﴾ الانقياد والاحتقار ﴿ قيل سيد القوم اشقاهم ﴾ اى اكثرهم تحملا للمشقة بابدال القاف الثانية ياء وقلبها الفا او اكثرهم شدة ومحنة كما يقال هو فى شقا وشقاء اى فى شدة وعسرة الا انه فى هذا المعنى مقابل السعادة بمعنى الحظ والبخت ﴿ وقال ابو تمام الطائى ﴾ فى قصيدة من الكامل يمدح بها الحسن بن وهب ﴿ والحمد شهد لا يرى مشتاره . يجنيه الا من نقيع الحنظل ﴾ الشهد العسل والمشتار اسم فاعل من الاشتيار يقال شار العسل يشور شورا ومشارا وكذا اشتاره اذا استخرجه من الوقبة وقوله يجنيه اى يتناوله ويجمعه يعنى ان المحمودية احلى كالشهد الا ان اكتسابه امر من الحنظل ﴿ غل لحامله ويحسبه الذى . لم يوه عاتقه خفيف المحمل ﴾ الغل بالضم الطوق الذى يجعل فى عنق المحبوس والمجنون ولم يوه من الايهاء يقال اوهاه اى اخله واضعفه والعاتق موضع الرداء من المنكب او ما بين المنكب والعنق يعنى الحمد اكتسابه صعب وثقيل على حامله ومن لم يجربه يقدره خفيفا قال ابراهيم الشيبانى كنت ارى رجلا من وجوه الكوفة لا يجف لبده ولا يستريح كبده فى طلب حوائج الناس وادخال المرافق على الضعفاء فقلت له اخبرنى عن الحال التى هونت عليك هذا التعب فى القيام بحوائج الناس ماهى قال والله قد سمعت تغريد الاطيار بالاسحار فى فروع الاشجار وسمعت خفوق اوتار العيدان وترجيع اصوات القينان فما طربت من صوت قط طربى من ثناء حسن بلسان حسن على رجل قد احسن وما سمعت احسن من شكر رجل حر لرجل حر ومن شفاعة محتسب لطالب شكر فقلت لله ابوك لقد حشيت كرما ﴿ وقد لحظ المتنبى ذلك فى قوله ﴾ من البسيط ﴿ لولا المشقة ساد الناس كلهم . الجود يفقر والاقدام قتال ﴾ قوله يفقر من الافقار اى يجعل فقيرا يعنى ان السيادة بالجود او بالشجاعة وفيهما من المشقة ما فيهما لان الجود يجعل فقيرا والاقدام والجرائة فى المعارك يكون سببا لقتله فالمشقة موجودة وقيد المصنف باللحظ الذى هو النظر بمؤخر العين لان الناظر به يبصر اشياء قليلة والجود والاقدام عشر من

معاشير المرؤة كما ستقف عليه ان جميع ماتضمنه هذا الكتاب من حقوق المروءة وشروطها ﴿ وله ايضا ﴾ فى قصيدة من الخفيف يمدح بها عضد الدولة * كل يوم لك احتمال جديد . ومسير للمجد فيه مقام ﴿ واذا كانت النفوس كبارا . تعبت فى مرادها الاجسام ﴾ قوله كبارا بكسر الكاف جمع كبير من جهة علو الشان والمنزلة يعنى اذا كانت نفس مرء حريصة على علو منزلة اتعبت جسمها لنيل مرادته لان اقتناء المناقب باحتمال المتاعب وقلوا من عرف مايطلب هان عليه مايبذل ﴿ والداعى الى استسهال ذلك ﴾ المشاق ﴿ شيئان احدهما علو الهمة والثانى شرف النفس ﴾ قال الله تعالى فلما رأينه اكبرنه وقطعن ايديهن فلما رأين يوسف عليه السلام ماشعرن الم القطع شغلا عن جراحهن بما وجدنه من لذة النظر اليه وهذه حال النسوة . وهن اضعف خلق الله اركانا . فما بال الرجال الاقوياء لو عشقوا بيوسف الكمال والمكارم وقطعوا دونه انفسهم واهوائهم وبذلوا مهجهم واموالهم والله يقول ان الله اشترى من المؤمنين انفسهم واموالهم بان لهم الجنة يقاتلون فى سبيل الله فيقتلون ويقتلون وقال السعدى * نه تلخست صبرى كه برياد اوست . كه تلخى شكر باشد از دست دوست * اسيرش نخواهد رهائى زبند . شكارش نجويد خلاص از كمند * ملامت كشانند مستان يار . سبك تر برد اشتر مست بار * دمادم شراب الم در كشند . وكر تلخ بينند دم دركشند * بلاى خمارست درعيش مل . سلحدار خارست با نوش كل * چو پروانه آتش بخود در زنند . نه چون كرم پيله بخود درتنند * نه كويم كه برآب قادر نيند . كه برشاطئ نيل مستسقيند ﴿ اما علو الهمة ﴾ وهى ملكة تكتسب بها الفضائل وتجتنب بها الرذائل ﴿ فلانه باعث على التقدم ﴾ على اهل زمانه ﴿ وداع الى التخصيص ﴾ والتميز من بينهم مع اعطاء كل ذى حق حقه والا فاستكبار وبغى ودناءة طبع لا علو همة كما قال ابن طباطبا * فيالائمى دعنى اغالى بقيمتى . فقيمة كل الناس مايحسنونه ﴿ انفة من خمول الضعة ﴾ مثل عدة انحطاط القدر ﴿ واستنكار المهانة النقص ولذلك ﴾ الانفة ﴿ قال النبى صلى الله عليه وسلم ﴾ كما رواه الطبرانى عن الحسن بن على ﴿ ان الله تعالى يحب معالى الامور واشرافها ﴾ قال المناوى وهى الاخلاق الشرعية والخصال الدينية ﴿ ويكره ﴾ وفى رواية يبغض ﴿ دنيها وسفاسفها ﴾ جمع سفساف على وزن ثرثار اى حقيرها ورديها والانسان يشابه الملك بقوة الفكر والتميز ويضارع البهيمة بالشهوة والدناءة فمن صرف همته الى اكتساب معالى الاخلاق احبه الله فحقيق بان يلتحق بالملائكة بطهارة اخلاقه ومن صرفها الى السفاسف ورذائل الاخلاق التحق بالبهائم فيصير اماضاريا كالكلب اوشرها كخنزير اوحقودا كجمل اومتكبرا كنمر اوروا غا كثعلب او جامعا لذلك كالشيطان كذا فى الجامع الصغير . ﴿ وروى عن عمر بن الخطاب رضى الله عنه انه قال لاتصغرن ﴾ بضم الراء جمع مخاطب من التصغير اومن الاصغار ﴿ هممكم ﴾ اى لاتجعلوها صغيرة بالقناعة باليسير والرضا بالدون مع امكان اكتساب الكثير واقتناء المعالى ﴿ فانى لم ار اقعد عن المكرمات ﴾ اى طلبها واقتنائها ﴿ من صغر الهمم ﴾ جمع مكرمة بفتح الميم وضم الراء اسم بمعنى فعل الكرم وكذا الاكرومة كالمعونة من العون والاعجوبة من العجب ﴿ وقال بعض الحكماء الهمة راية الجد ﴾ اى البخت والسعادة من رطايا الهمة يقبل حيث اقبلت ﴿ وقال بعض البلغاء علو الهمم بذر النعم ﴾ متى مرت عليه سحائب التقدير نبتت واثمرت ﴿ وقال بعض العلماء اذا طلب رجلان امرا ﴾ واحدا ﴿ ظفر به اعظمهما مروءة ﴾ لكثرة وجاهته وشفعائه عند ذى الامر ﴿ وقال بعض الادباء من ترك التماس المعالى بسوء الرجاء لم ينل ﴾ امرا

﴿ جسيما ﴾ قيل قال موسى للخضر عليهما السلام حين فارقه عظنى فقال لا يراك الله حيث نهاك ولا يفقدك حيث أمرك فكما تذهب بامل صادق فتخيب قد تذهب بامل كاذب فتصيب وتذهب للحقير وتدرك الجليل وقد ذهب موسى ليقتبس نارا فكلمه ربه. قال ابن عبد ربه مما جبل عليه الحر الكريم ان لا يقنع من شرف الدنيا والآخرة بشئ مما انبسط له من امر الدنيا بل يكون امله فيما هو اسنى درجة وارفع مرتبة ومن الشاهد ان موسى عليه السلام لما كلمه ربه تكليما سأل النظر اليه اذ كان ذلك لو وصل اليه اشرف من المنزلة التى نالها فالحر الكريم لا يقنع بمنزلة الا رجا اشرف منها قال ومن قولنا فى هذا المعنى * لا يكتفى ابدا من نيل منزلة. حتى ينال التى من دونها عطب * سعى له امل من دونه اجل. ان كفه رهب يدعو به رغب * كذاك ماسال موسى ربه ارنى . انظر اليك وفى تسآله عجب * يبغى التزيد فيما نال من كرم. وهو النجى لديه الوحى والكتب * وقد قيل * بقدر الكد تكتسب المعالى . ومن رام العلا سهر الليالى * تروم العز ثم تنام ليلا . لقد اطمعت نفسك بالمحال * وقال الرياشى * لم يبق لمن طلب العلى . الا التعرض للحتوف * فلا قذفن بمهجتى. بين الاسنة والسيوف * ولاطاين ولو رأيت الموت يلمع فى الصفوف ﴿ واما شرف النفس ﴾ وقد سبق فى فصل حسن الخلق ان من شعب الشجاعة (الشهامة) وهى الحرص على مايوجب الذكر الجميل من العظام (والاحتمال) وهو اتعاب النفس فى الحسنات فشرف النفس هى الملكة المركبة منها ﴿ فانه به يكون قبول التاديب واستقرار التقويم والتهذيب ﴾ وقال ابونواس * لا ترجع النفس عن غيها. مالم يكن منها الها زاجر ﴿ لان النفس ربما جمحت ﴾ يقال جمح الفرس اذا اعتز فارسه وغلبه ﴿ عن الافضل وهى به عارفة ونفرت عن التاديب وهى له مستحسنة لانها عليه غير مطبوعة وله غير ملائمة فتصير منه انفر ولضده الملائم آثر وقد قيل ما اكثر ﴾ كلمة تعجب ﴿ من يعرف الحق ولا يطيعه. واذا اشرفت النفس كانت للآداب طالبة وفى الفضائل راغبة فاذا مازجها ﴾ اى شرف النفس الآداب ﴿ صادف طبعا ملائما فنمى واستقر ﴾ كما قال المجنون * اتانى هواها قبل ان اعرف الهوى . فصادف قلبا خاليا فتمكنا ﴿ فاما من منى ﴾ بالبناء للمفعول اى ابتلى ﴿ بعلو الهمة وسلب شرف النفس فقد صار عرضة ﴾ على وزن غرفة اى معروضا ﴿ لامر اعوزته آلته ﴾ اى اشكلت وصعبت عليه ﴿ وافسدته جهالته فصار كضرير يروم تعلم الكتابة واخرس يريد الخطبة فلا يزيده الاجتهاد ﴾ لنيل المعالى ﴿ الا عجزا والطلب الا عوزا ﴾ اى اشتدادا ﴿ ولذلك قال النبى صلى الله عليه وسلم ما هلك امرؤ عرف قدره ﴾ يعنى ان من عرف مقدار نفسه ونزلها منزلتها نجا فى الدنيا والآخرة من الهلاك ومن تعدى طوره فتكبر ورفع نفسه فوق حده هلك ﴿ وقيل لبعض الحكماء من اسوء الناس حالا قال من بعد همته واتسعت امنيته وقصرت آلته وقلت مقدرته ﴾ اخذه ابو الطيب فقال * واتعب خلق الله من زاد همه . وقصر عما تشتهى النفس وجده ﴿ وقال الفزون ﴾ على وزن اسلوب لقب صريم بن معشر ﴿ التغلبى * ولا خير فيما يكذب المرء نفسه . وتقواله للشئ ياليت ذاليا ﴾ يعنى لا خير فى امر يشتهيه المرء بعلو همته ويكذبه نفسه بعدم استعدادها له وجهالتها اياه ولا خير فى تقواله ياليت ذلك الشئ كان لى والتقوال كثرة القول كالترداد والتجوال .

ابن دقيق العيد من دوبيت . الجسم تذيبه حقوق الخدمه. والنفس هلا كها علو الهمه . والعمر بذاك ينقضى فى تعب . والراحة ماتت فعليها الرحمه منه

معارضة لقول الآخر * النفس ملأى من المعالى . والكيس صفر الجبان خالى * فليت مالى كمثل
فضلى وليت فضلى كمثل مالى ﴿ لعمرك ما يدرى امرؤ كيف يتقى . اذا هو لم يجعل له الله واقيا ﴾
يعنى اقسم بحياتك وبقاءك مايدرى احد كيفية الاتقاء مالم يجعل الله له واقيا ومذكرا من نفسه
فالهمها اسباب المسببات وسهلها متاعبها ﴿ وقال بعض الحكماء تجنبوا المنى فانها تذهب بهجة
ماخولتم ﴾ بالبناء للمفعول من التخويل يقال خوله الله المال اى اعطاه اياه متفضلا
﴿ وتستصغرون بها نعمة الله عليكم ﴾ لتمنيكم الا على من جاهكم والاكثر من اموالكم ﴿ وقيل
فى منثور الحكم المنى من بضائع النوكى ﴾ وقد سبق ان الآمال ما تقيدت باسباب والامانى
ما تجردت عنها فشرف النفس سبب العظائم وآلتها فطالبها بدونه امنية لاامل ﴿ فان صادف ﴾
من سلب شرف النفس ﴿ بهمته حظا ﴾ لماسبق ان الهمة راية الجد ﴿ نال به املا ﴾ الجملة صفة حظ
﴿ كان فيما ناله كالمغتصب وفيما وصل اليه كالمتغلب اذ ليس فى الحظوظ تقدير لحق ولا تمييز لمستحق
وانما هى كالسحاب الذى يمسك ﴾ المطر ﴿ عن منابت الاشجار ﴾ ويسوقه ﴿ الى مغايص
البحار ﴾ جمع مغاص اراد بها الامكنة البعيدة عن الساحل ﴿ وينزل حيث صادف من خبيث
وطيب فان صادف ارضا طيبة نفع وان صادف ارضا خبيثة ضر ﴾ باخلال الهواء وانبات الكلاء
الغير المنتفع بها ﴿ كذلك الحظ ان صادف نفسا شريفة نفع وكان نعمة عامة ﴾ ومما قيل فى
وداع بعض الولاة * انما انت ربيع باكر . حيث ما صرفه الله انصرف * وفى وداع آخر *
وداعك مثل وداع الربيع . وفقدك مثل افتقاد الديم * عليك سلام فكم من ندى . فقدناه
منك وكم من كرم ﴿ وان صادف نفسا دنية ضر وكان نقمة طامة ﴾ اى داهية عظيمة
وفرعون قومه وحجاج ملكه ﴿ وحكى ان موسى بن عمران عليه السلام دعا على قوم بالعذاب
فاوحى اليه قد ملكت اسفلها على اعلاها فقال يارب كنت احب لهم عذابا عاجلا فاوحى الله
تعالى اليه اوليس هذا كل العذاب العاجل الاليم ﴾ اخذه بعض الشعراء فقال * طاس حماست
اين دنياى دون . هر زمان دردست ناپاك دكر ﴿ فاما شرف النفس اذا تجرد عن علو الهمة
فان الفضل به عاطل والقدر به خامل وهو ﴾ اى شرف النفس حينئذ ﴿ كالقوة فى الجلد
الكسل والجبان الفشل ﴾ الكاهل والكسلان والمتراخى ﴿ تضيع قوته بكسله وجلده بفشله
وقد قيل فى منثور الحكم من دام كسله خاب امله . وقال بعض الحكماء نكح العجز التوانى ﴾
التقصير والتكاسل ﴿ فخرج ﴾ اى تولد ﴿ منهما الندامة ونكح الشؤم ﴾ ضد اليمن ﴿ الكسل
فخرج منهما الحرمان ﴾ فاخذه هلال بن العلاء وقال من جملة ابيات * كأن التوانى انكح العجز
بنته . وساق اليها حين زوجها مهرا * فراشا وطيئا ثم قال لها اتكى . فانكما لا بدان تلدا فقرا ﴿ وقال
بعض الشعراء * اذا انت لم تعرف لنفسك حقها . هوانا بها كانت على الناس اهونا ﴾ يعنى اذا انت
لم تعرف حق نفسك ولم ترفق بها بان تجاوزت مقدار الحق فى التهمة تذليلا بها واحتقار الها
كانت نفسك اذل واخزى عند الناس كما سبق من قول الجاحظ من الاعتدال فيها ﴿ فنفسك
اكرمها وان ضاق مسكن . عليك لها فاطلب لنفسك مسكنا ﴾ قوله نفسك من باب الاضمار
على شريطة التفسير واراد بالمسكن ماهو اعم من البيت والمحلة والبلد ﴿ واياك والسكنى بمنزل
ذلة . يعد مسيئا فيه من كان محسنا ﴾ وقال آخر * شخوص الفتى عن منزل الضيم واجب .
وان كان فيه اهله والاقارب * وللحر اهل ان نأى عنه اهله . وجانب عزان نأى عنه جانب *

ومن يرض دار الضيم دار النفسه . فذلك فى دعوى التوكل كاذب ﴿ وشرف النفس مع صغر الهمة اولى من علو الهمة مع دناءة النفس لان من علت همته مع دناءة نفسه كان معتديا الى طلب مالا يستحقه ومتخطيا الى التماس مالا يستوجبه ﴾ ويتجاوز طوره ﴿ ومن شرف نفسه مع صغر همته فهو تارك لما يستحق ومقصر عما يجب له وفضل ما بين الامرين ظاهر وان كان لكل واحد منهما من الذم نصيب وقد قيل لبعض الحكماء ما اصعب شئ على الانسان قال ان يعرف نفسه ﴾ اى دناءتها اوشرفها ﴿ ويكتم الاسرار * فاذا اجتمع الامران واقترن بشرف النفس علو الهمة كان الفضل بهما ظاهرا والادب بهما وافرا ﴾ اذ يبعثه علو الهمة على التقدم ويدعوه شرف النفس الى التأدب ﴿ ومشاق الجد بينهما مسهلة ﴾ اسم مفعول من التسهيل ﴿ وشروط المروءة بينهما متبينة ﴾ اذ يكون مثله مروءة مجسمة ويكون جميع احواله من كلامه وصمته ومزحه وجده ومسكنه وملبسه الى غير ذلك مثالا للمروءة ومرآة للفتوءة ﴿ وقد قال الحضين ﴾ على وزن الزبير ﴿ ابن المنذر الرقاشى ﴾ من الكامل ﴿ ان المروءة ليس يدركها امرء . ورث المكارم عن اب فاضاعها ﴾ اى ورث آلة المكارم وهى المال فاضاع المكارم باضاعة المال فى الشهوات ﴿ امرته نفس بالدناءة والخنا . ونهته عن سبل العلا فاطاعها ﴾ الخنا القول الفاحش فالمراد بالدناءة الفعل الفاحش ﴿ فاذا اصاب من المكارم خلة . يبنى الكريم بها المكارم باعها ﴾ الخلة بفتح الخاء المكان الذى خلا بعد وفات صاحبه والكريم فاعل اصاب ويبنى فهما متنازعان فى الفاعلية يعنى اذا اصاب الولد الكريم مكانا خلا بعد ابيه من المكارم يبنى فى ذلك المكان المكارم التى اكتسبها واشتراها ﴿ واعلم ان حقوق المروءة اكثر من ان تحصى واخفى من ان تظهر ﴾ يعنى لا يتعلق بها الاحصاء لكثرتها ولا الاظهار لدقتها ﴿ لان منها مايقوم فى الوهم حسا ﴾ اى تدرك بالواهمة ﴿ ومنها مايقتضيه شاهد الحال حدسا ومنها مايظهر بالفعل ويخفى بالتغافل فلذلك اعوز استيفاء شروطها الاجلا ﴾ اى اجمالا ﴿ يتنبه الفاضل عليها بيقظته ويستدل العاقل عليها بفطرته وان كان جميع ماتضمنه كتابنا هذا من حقوق المروءة وشروطها وانما نذكر فى هذا الفصل الاشهر ﴾ اى المشهور ﴿ من قواعدها واصولها والاظهر من شروطها وحقوقها محصورا فى تقسيم جامع وهو ﴾ اى ذلك الاظهر والاشهر ﴿ ينقسم قسمين احدهما شروط المروءة فى نفسه ﴾ اى فى حق نفس المرء ﴿ والثانى شروطها فى ﴾ حق ﴿ غيره ﴾ يعنى مروءة المرء بالنسبة الى نفسه وبالنسبة الى غيره ﴿ فاما شروطها فى نفسه بعد التزام ما اوجبه الشرع من احكامه فيكون بثلاثة امور . وهى العفة والنزاهة والصيانة فاما العفة فنوعان احدهما العفة عن المحارم . والثانى العفة عن المآثم ﴾ من نحو عقد القلب والعزم على محرم وان لم يفعله ﴿ فاما العفة عن المحارم فنوعان احدهما ضبط الفرج عن الحرام ﴾ كالزنا واللواطة ﴿ والثانى كف اللسان عن الاعراض ﴾ كالقذف والسعاية ونحوها ﴿ فاما ضبط الفرج عن الحرام ﴾ اى فمن شروط المروءة وحقوقها ﴿ فلان عدمه مع وعيد الشرع وزاجر العقل معرة فاضحة ﴾ اى اثم ظاهر وجناح مكشوف ﴿ وهتكة داحضة ﴾ اى باطلة والهتكة على وزن غرفة الخرق الذى فى الستر وههنا كناية عن العضوين المخصوصين ﴿ ولذلك قال النبى صلى الله عليه وسلم ﴾ كما رواه البيهقى عن انس ﴿ من وقى شر ذبذبه ولقلقه وقبقبه فقد وقى ﴾ اى من النار وفى رواية (فقد وجبت له الجنة) اى دخولها مع السابقين ﴿ يريد ﴾ صلى الله عليه وسلم ﴿ بذبذبه الفرج ﴾

سمى الذكر به لتذبذبه اى تحركه ﴿ و بلقلقه اللسان و بقبقبه البطن ﴾ والقبقبة صوت يسمع من البطن
﴿ وروى عن النبى صلى الله عليه وسلم انه قال احب العفاف الى الله تعالى عفاف الفرج والبطن ﴾
لان المرء يسمى لغاريه بطنه وفرجه ومن كلام سقراط اذا اقبلت الحكمة خدمت الشهوات العقول واذا
ادبرت خدمت العقول الشهوات . وقال قلوب المغترقين فى المعرفة منابر الملائكة وبطون المستلذين
بالشهوات قبور الحيوانات الهالكة ﴿ وحكى ان معاوية سأل عمرو رضى الله عنهما عن المروءة فقال
تقوى الله تعالى وصلة الرحم . وسأل المغيرة ﴾ بن شعبة ﴿ فقال هى العفة عما حرم الله تعالى
والحرفة فيما احل الله تعالى وسأل يزيد فقال هى الصبر على البلوى والشكر على النعمى والعفو
عند القدرة فقال معاوية ﴾ مستحسنا لجوابه ﴿ انت منى حقا ﴾ وقد كان ذلك ضالة المؤمن
فخرجت من قلب فاسق ﴿ وقال انوشروان لابنه هرمز من الكامل المروءة قال من حصن
دينه ووصل رحمه واكرم اخوانه . وقال بعض الحكماء من احب المكارم اجتنب المحارم
وقيل عار الفضيحة يكدر لذتها ﴾ اى لذة المعصية ﴿ وقد انشدنى بعض اهل الادب للحسين
بن على رضى الله عنهما ﴾ من السريع المشطور ﴿ الموت خير من ركوب العار ﴾ اى من اقتراف
الذنب الموجب للعار والفضيحة ﴿ والعار خير من دخول النار ﴾ اى عار الفضيحة بشهادة
الشهود واقامة الحدود خير من دخول النار لان الحدود مكفرة وقد روى البخارى عن عبادة
بن الصامت رضى الله عنه قال كنا عند النبى صلى الله عليه وسلم فى مجلس فقال بايعونى) اى عاقدونى
(على) التوحيد (ان لا تشركوا بالله شيئا و) على ان (لا تسرقوا) حذف المفعول ليعم (ولا تزنوا
وقرأ هذه الآية كلها) وهى فى سورة الممتحنة يا ايها النبى اذا جاءك المؤمنات يبايعنك الآية (فمن
وفى منكم) بتخفيف الفاء (فاجره على الله) فضلا (ومن اصاب من ذلك شيئا) غير الشرك
(فعوقب به) اى بسببه (فهو) اى العقاب (كفارته) فلا يعاقب عليه فى الآخرة وزاد
الترمذى من حديث على وصححه فالله اكرم من ان يثنى العقوبة على عبده فى الآخرة
(ومن اصاب من ذلك شيئا فستره الله عليه ان شاء غفر له) بفضله (وان شاء عذبه) بعدله
﴿ والله من هذا وهذا جارى ﴾ قوله والله مبتدأ خبره محذوف اى برئ واكرم من هذا اى
من ادخال النار والحال ان هذا اى العار بقيام الحدود جار اى قد جرى فالشعر بتمامه مأخوذ
من الحديث ﴿ والداعى الى ذلك ﴾ الوقوع فى الحرام من جهة الفرج ﴿ شيئان احدهما
ارسال الطرف والثانى اتباع الشهوة وقد روى عن النبى صلى الله عليه وسلم ﴾ كما رواه الترمذى
وابو داود عن بريدة رضى الله عنه ﴿ انه قال لعلى بن ابى طالب كرم الله وجهه يا على لا تتبع
النظرة النظرة فان الاولى لك ﴾ اى لا اثم عليك فيها لانها لم تكن باختيارك وصنعك
﴿ والثانية عليك ﴾ يكون فيها اثم لانها باختيارك ﴿ وفى قوله لا تتبع النظرة النظرة
تأويلان احدهما لا تتبع نظر عينيك نظر قلبك ﴾ اى هم المعصية ﴿ والثانى لا تتبع الاولى التى
وقعت سهوا بالنظرة الثانية التى توقعها عمدا . وقال عيسى بن مريم عليه السلام اياكم والنظرة
بعد النظرة فانها تزرع فى القلب الشهوة وكفى بها لصاحبها فتنة ﴾ لانها تدعو الى امور محرمة
ويجد الشيطان فرصة وطريقا الى الاضلال ويملئ الصدر بالوساوس فيفتح ابواب الشرور
والمعاصى والله يعلم خائنة الاعين وما تخفى الصدور ﴿ وقال على بن ابى طالب كرم الله وجهه
العيون مصائد الشيطان ﴾ جمع مصيد على وزن منبر او مصيدة على وزن معيشة الشبكة التى

يصاد بها ﴾ وقال بعض الحكماء من ارسل طرفه استدعى حتفه ﴾ فاخذه ابن عبدالبر وقال * لا تكثرن تأملا . واحبس عليك عنان طرفك * فلربما ارسلته . فرماك فى ميدان حتفك ﴿ وقال بعض الشعراء ﴾ من الطويل ﴿ وكنت متى ارسلت طرفك رائدا . لقلبك يوما اتعبتك المناظر ﴾ جمع منظورة ﴿ رأيت الذى لا كله انت قادر . عليه ولا عن بعضه انت صابر ﴾ فى شرح شواهد الكشاف هو من ابيات الحماسة والرائد هو الذى يتقدم القوم فيطلب الماء والكلأ لهم والمعنى اذا جعلت عينك رائدا لقلبك اتعبك نظرك واوقعك فى اشق المكاره لانك ترى مالا تقدر على كثيره ولا تصبر عن يسيره فاى حال اصعب من هذه الحال وهل الرضابها الا نوع من الاختلال والجناية فى ذلك للعين لكونها قائدة الفؤاد وسائقته الى الردى وهادية له الى اوغى الحب انتهى وقال آخر * يا مقلتى انت التى . او قعتنى فى حبه * غرتك رقة خصره . ونسيت قوة قلبه * وقال بشار معارضا * ياقوم اذنى لبعض الحى عاشقة . والاذن تعشق قبل العين احيانا * قالوا بمن لاترى تهواه قلت لهم . الاذن كالعين تورى القلب ماكانا ﴿ واما الشهوة فهى خادعة العقول وغادرة الالباب ومحسنة القبائح ومسولة الفضائح ﴾ اى مزينة لها باحالة عقابها الى عظيم عفوالله ﴿ وليس عطب الا وهى له سبب وعليه الب ﴾ اى اشد ثباتا واصرارا على مايوجب الهلاك افعل تفضيل من لب بالمكان اذا اقام او من الب على شذوذ ﴿ ولذلك قال النبى صلى الله عليه ﴾ على مارواه الترمذى عن ابى هريرة والديلمى عن عثمان رضى الله عنهما ﴿ اربع من كن فيه وجبت له الجنة وحفظ من الشيطان ﴾ اى عصمه الله بلطفه من كيده ﴿ من ملك نفسه حين يرغب ﴾ اى حين يريد ﴿ وحين يرهب ﴾ اى يخاف من عاقبة مايريده من الفضيحة او العقاب ﴿ وحين يشتهى وحين يغضب ﴾ وهذه الاحوال مظان الاسراف ومزارع الهوى والشهوة فمن ملك نفسه فيها فبان يملك فى غيرها اولى ﴿ وقهرها عن هذه الاحوال يكون بثلاثة امور . احدها غض الطرف عن اثارتها ﴾ اى اثارة الشهوة ﴿ وكفه عن مساعدتها فانه الرائد المحرك والقائد المهلك روى سعيد بن سنان ﴾ والحاكم والبيهقى ﴿ عن انس بن مالك ﴾ رضى الله عنه ﴿ عن النبى صلى الله عليه وسلم انه قال تقبلوا ﴾ اى تكفلوا كما فى رواية ﴿ لى بست ﴾ من الخصال ﴿ اتقبل لكم بالجنة ﴾ القبيل الكفيل والضامن اى تكفلوا الى بهذه الست اتكفل لكم بدخول الجنة والمراد دخولها مع السابقين او بدون عذاب والافاضل دخولها لايتوقف على هذه الست بل على الايمان ولو مع العصيان ﴿ قالوا وماهى يا رسول الله قال اذا حدث احدكم فلا يكذب واذا وعد ﴾ اخاه ﴿ فلا يخلف ﴾ اذا كان الوفاء خيرا ﴿ واذا ائتمن ﴾ اى جعل امينا على شئ ﴿ فلا يخن ﴾ من ائتمنه ﴿ غضوا ابصاركم ﴾ عن النظر الى مالا يجوز ﴿ وكفوا ايديكم ﴾ عن لمس مالا يحل وعن نحو السرقة والضرب ﴿ واحفظوا فروجكم ﴾ عن الزنا واللواط واتيان البهائم ومقدمات ذلك وتقديم الغض لان النظر بريد الزنا ورائد الفساد ﴿ والثانى ترغيبها ﴾ اى النفس ﴿ فى الحلال عوضا ﴾ عن الحرام ﴿ واقناعها بالمباح بدلا ﴾ عن المحظور ﴿ فان الله ماحرم شيئا الا واغنى عنه بمباح من جنسه لما علمه من نوازع الشهوة وتركيب الفطرة ﴾ التى تحتاج الى دفع دغدغة المنى ﴿ ليكون ذلك ﴾ الاغناء ﴿ عونا على طاعته وحاجزا عن مخالفته . وقال عمر بن الخطاب رضى الله عنه ما امر الله تعالى بشئ الا واعان عليه ﴾ اى على فعله واتيانه بعزائمه اورخصه على حسب نشاط المأمور وفتوره من هم

او مرض او غير ذلك ﴿ ولانهى عن شئ الاواغنى عنه ﴾ بمباح من جنسه ﴿ والثالث اشعار النفس تقوى الله تعالى فى اوامره واتقاؤه فى زواجره والزامها ما الزم من طاعته وتحذيرها ماحذر من معصيته واعلامها انه لايخفى عليه ضمير ﴾ يعلم خائنة الاعين وماتخفى الصدور ﴿ ولايعزب عنه قطمير ﴾ بكسر القاف الجلد الرقيق الذى يكون بين التمر ونواته اوالثقب فى ظهر النواة تنبت النخل منه اراد به الشئ الخفى الذى لايظهر الا بالتأمل الدقيق اى لايخفى عليه خافية ﴿ وانه يجازى المحسن ﴾ كما وعد به وانه لايخلف الميعاد ﴿ ويكافى المسئ ﴾ باساءته ان شاء ﴿ وبذلك ﴾ الجازاة والمكافاة ﴿ نزلت كتبه وبلغت رسله ﴾ عليهم السلام ﴿ روى ابن مسعود رضى الله عنه ان آخر ما نزل من القرآن ﴾ اسم التنزيل العزيز والكتاب المبين الذى نزل به الروح الامين على سيد الانام محمد عليه الصلاة والسلام وهو فى الاصل مصدر كالرجحان بمعنى الجمع والضم وصار علما فى الكتاب المبين لجمعه السور اوالقصص اوالامر والنهى و الوعد والوعيد اولكونه جامعا لثمرة جميع العلوم وآثارها ﴿ واتقوا يوما ﴾ هو يوم القيامة وتنكيره للتفخيم والتهويل وتعليق الاتقاء به للمبالغة فى التحذير عما فيه من الشدائد والاهوال ﴿ ترجعون فيه ﴾ على البناء للمفعول من الرجع وقرئ على البناء للفاعل من الرجوع اللازم والاول ادخل فى التهويل ﴿ الى الله ﴾ لمحاسبة اعمالكم ﴿ ثم توفى كل نفس ﴾ من النفوس والتعميم للمبالغة فى تهويل اليوم اى تعطى كملا ﴿ ماكسبت ﴾ اى جزاء ماعملت من خير اوشر ﴿ وهم لايظلمون ﴾ حال من كل نفس تفيد ان المعاقبين وان كانت عقوباتهم مؤبدة غير مظلومين فى ذلك لما انه من قبل انفسهم وجمع الضمير لانه انسب بحال الجزاء كما ان الافراد اوفق بحال الكسب وقال الرازى قال ابن عباس هذه الآية آخر آية نزلت على رسول الله صلى الله عليه وسلم وذلك لانه عليه السلام لما حج نزلت يستفتونك وهى آية الكلالة ثم نزل وهو واقف بعرفة اليوم اكملت لكم دينكم واتممت عليكم نعمتى ثم نزل واتقوا يوما ترجعون فيه الى الله فقال جبريل عليه السلام يامحمد ضعها على رأس ثمانين آية ومأتى آية من البقرة وعاش رسول الله صلى الله عليه وسلم بعدها احدا وثمانين يوما وقيل احدا وعشرين وقيل سبعة ايام ﴿ وآخر ما نزل من التوراة ﴾ اسم الكتاب الذى نزل على موسى عليه السلام مأخوذ من وريت الزند اذا اخرجت ناره سمى به لكونه سبب النور والضياء وعند اكثر العلماء هو معرب من العبرانى بمعنى النور والضياء ﴿ اذا لم تستح فاصنع ماشئت ﴾ وقد تقدم فى فصل الحياء ﴿ وآخر ما نزل من الانجيل ﴾ بكسر الهمزة وفتحها اسم الكتاب الذى نزل على عيسى على نبينا وعليه السلام والانجيل عند بعض اهل اللغة بمعنى الاصل والدستور سمى به ليعمل به ويرجع اليه من نزل عليهم فيما احل وحرم مأخوذ من النجل بمعنى الوالد وعلى قول سمى به لان الله تعالى اظهره فى ايام كان الحق مندرسا فيه بالكلية فهو مأخوذ من النجل بمعنى الاظهار وقيل بمعنى البشارة سمى به لتبشيره عامله بالجنة معرب انكليون اوانكيل ﴿ شر الناس من لايبالى ان يراه الناس مسيئا ﴾ اى من لايهتم ولايتحاشى من رؤيتهم اساءته ﴿ وآخر ما نزل من الزبور ﴾ اسم كتاب نزل على داود على نبينا وعليه السلام وعند البعض سريانى فى هذا المعنى وفرق بعضهم بين الكتاب والزبور السما وبين بان الكتاب ماتضمن الحكمة العقلية والاحكام الشرعية والزبور ماتضمن الحكمة العقلية فقط وليس فيما نزل على داود حكم شرعى وقيل الزبور ماكان صعب الوقوف من الكتب الالهية مطلقا وبمعنى

الكتاب والمكتوب مطلقا وجمعه زبر بضمتين ومنه قوله تعالى وكل شئ فعلوه فى الزبر ﴿ من يزرع خيرا يحصد زرعه غبطة ﴾ اى حال كونه مسرة وحسن حال او محسودا اى متمنيا حاله لغيره ﴿ فاذا اشعرها ﴾ اى صاحب الشهوة نفسها ﴿ ماوصفت ﴾ من الامور الثلاثة ﴿ انقادت الى الكف واذعنت بالانقاد فسلم دينه ﴾ من دنس الريبة ﴿ وظهرت مروءته فهذا ﴾ الاشعار ﴿ شرط ﴾ من شرط المروءة فى نفسه ﴿ واما كف اللسان عن ﴾ هتك ﴿ الاعراض فلانه ﴾ اى الوقوع فى الاعراض ﴿ ملاذ السفهاء وانتقام اهل الغوغاء ﴾ والسفلة ﴿ وهو مستسهل الكلف ﴾ اعتيادا ﴿ اذا لم يقهر نفسه عنه برادع كاف وزاجر صاد تلبط بمعاره ﴾ جمع معرة اى تمرغ فيها اوتوجه اليها ﴿ وتخبط بمضاره ﴾ جمع مضرة يقال تخبطه الشيطان اذا مسه باذى وافسد دماغه وعقله ومنه قوله تعالى كما يقوم الذى يتخبطه الشيطان من المس اى كما يقوم المجنون فى حال جنونه اذا صرع فسقط ﴿ وظن انه لتجافى الناس عنه ﴾ كتباعدهم عن الجيف ﴿ حمى ﴾ خبر ان اى محمى ﴿ يتقى ﴾ به ﴿ ورتبة يرتقى ﴾ اليها ﴿ فهلك ﴾ لظنه ذلك ﴿ واهلك ﴾ لافساده غيره امابا تباعه او الجائه الى مدافعته بمثله ﴿ فلذلك ﴾ الهلاك ﴿ قال النبى صلى الله عليه وسلم الا ان دماءكم واموالكم واعراضكم حرام عليكم حرام عليكم ﴾ روى البخارى عن ابى بكرة وابن عمر وعن ابى موسى رضى الله عنهم ومسلم عن ابى بكرة (قال ابن عمر كنا نتحدث بحجة الوداع والنبى صلى الله عليه وسلم بين اظهرنا ولاندرى ماحجة الوداع) حتى توفى صلى الله عليه وسلم فعلموا انه ودع الناس بالوصايا قرب موته (كان ذلك اليوم قعد على بعير واخذ انسان بخطامه فحمدالله واثنى عليه ثم ذكر المسيح الدجال فاطنب فى ذكره ثم قال اتدرون اى يوم هذا قالوا الله ورسوله اعلم حتى ظننا انه سيسميه سوى اسمه فقال اليس بيوم النحر قلنا بلى يارسول الله قال فاى شهر هذا قلنا الله ورسوله اعلم قال اليس بذى الحجة قلنا بلى يارسول الله قال فاى بلد هذا قلنا الله ورسوله اعلم حتى ظننا انه سيسميه بغير اسمه قال اليس بالبلدة قلنا بلى يارسول الله قال فان دماءكم واموالكم واعراضكم بينكم حرام كحرمة يومكم هذا فى شهركم هذا فى بلدكم هذا ليبلغ الشاهد الغائب فان الشاهد عسى ان يبلغ من هو اوعى له منه) الاهل بلغت ما ارسلت به (قالوا نعم قال اللهم اشهد) قال ذلك القول (ثلاثا ويلكم اوويحكم) بالشك من الراوى والاولى كلمة توجع (انظروا لاترجعوا بعدى كفارا يضرب بعضكم رقاب بعض) اى لاتكن افعالكم تشبه افعال الكفار فى ضرب رقاب المسلمين قال العينى وبيان استنباط الاحكام على وجوه الاول فيه ان العالم يجب عليه تبليغ العلم لمن لم يبلغه وتبيينه لمن لايفهمه. الثانى فيه انه ياتى فى آخر الزمان من يكون له من الفهم فى العلم من ليس لمن تقدمه وان ذلك يكون فى الاقل لان رب موضوع للتقليل وعسى موضعها الاطماع وليس لتحقيق الشئ الثالث فيه ان حامل الحديث يجوز ان يؤخذ عنه وان كان جاهلا بمعناه الرابع فيه ان ما كان حراما يجب على العالم ان يؤكد حرمته ويغلظ عليه بابلغ مايوجد كافعل النبى عليه الصلاة والسلام فى المتشابهات الخامس فيه جواز القعود على ظهر الدواب اذا احتيج الى ذلك لاللاشر والبطر السادس فيه الخطبة على موضع عال ليكون ابلغ فى اسماعها للناس ورؤيتهم اياه السابع فيه مساواة المال والدم والعرض فى الحرمة الثامن فى تشبيه الدماء والاموال والاعراض باليوم والشهر والبلد فى الحرمة دليل على استحباب ضرب الامثال والحاق النظير بالنظير قاله

النووى انتهى ﴿ فجمع ﴾ النبى صلى الله عليه وسلم فى الحرمة ﴿ بين ﴾ سفك ﴿ الدم و ﴾ هتك ﴿ العرض ﴾ بكسر العين وهو موضع المدح والذم من الانسان سواء كان فى نفسه او فى سلفه وقيل العرض الحسب، قيل الخلق وقيل النفس ﴿ لما فيه من ايغار الصدور ﴾ اى الاغراء بالحقد عليه من وغر صدره اذا توقد من الغيظ ﴿ وابداء الشرور ﴾ انشاء او اخبارا ﴿ واظهار البذاء واكتساب الاعداء ولا يبقى مع هذه الامور ﴾ الاربعة ﴿ وزن لموموق ﴾ من ومقه اذا احبه يعنى لمن يحبه الناس لفعاله الحسنة وخصاله الكريمة ﴿ ولا مروءة لملحوظ ﴾ بالعيون ومشار بالبنان يعنى ان هذه الامور مما يجعل الكريم لئيما والحليم سفيها لان اعراض الكرماء اعز عليهم من ارواحهم ﴿ ثم هو ﴾ اى القادح ﴿ بها موتور موزور ﴾ اى مبغوض آثم ﴿ ولاجلها مهجور مزجور ﴾ عن عز الحضور ﴿ وقد روى عن النبى صلى الله عليه وسلم انه قال شر الناس من اكرمه الناس اتقاء لسانه ﴾ والغرض من سوق الحديث ان الاولى لاهل المروءة اتقاء ذلك البذى باكرامه لا بهجره وزجره كما قال السعدى * بابدانديش هم نكويى كن . دهن سك بلقمهٔ دوخته به ﴿ وقال بعض الحكماء انما هلك الناس بفضول الكلام ﴾ حيث ادى الى هتك الاعراض ﴿ وفضول المال ﴾ ولم يذب عن الاعراض وما وقى به العرض فهو صدقة ﴿ وما قدح فى الاعراض من الكلام نوعان احدهما ما قدح فى عرض صاحبه ولم يتجاوزه الى غيره ﴾ اى الى غير صاحب الكلام ﴿ وذلك شيئان الكذب وفحش القول ﴾ اذا المقدوح هو عرض الكاذب والفحاش ﴿ والثانى ما تجاوزه الى غيره وذلك اربعة اشياء الغيبة والنميمة والسعاية والسب بقذف او شتم ﴾ القذف لغة الرمى مطلقا وفى الاصطلاح نسبة من احصن الى الزنا صريحا او دلالة وهو من الكبائر باجماع الامة واستثنى منه الشافعية ما كان فى خلوة لعدم لحوق العار وقواعدنا لا تأباه لان العلة لحوق العار وهو مفقود فى الخلوة ﴿ وربما كان السب انكاها ﴾ اى انكى الاربعة واجرحها من نكى العدو اذا قتل وجرح ﴿ للقلوب وابلغها اثرا فى النفوس ولذلك زجر الله عنه بالحد تغليظا وبالتفسيق تشديدا وتصعيبا ﴾ وقال تعالى والذين يرمون المحصنات) اى والذين يرمون العفائف المنزهات عما رمين به من الزنا (ثم لم يأتوا باربعة شهداء) يشهدون عليهن بما رمون به (فاجلدوهم ثمانين جلدة) لظهور كذبهم وافترائهم بعجزهم عن الاتيان بالشهداء (ولا تقبلوا لهم شهادة) اى لا تقبلوا منهم شهادة من الشهادات حال كونها حاصلة لهم عند الرمى (ابدا) اى مدة حياتهم وان تابوا واصلحوا لما عرفت من انه تتمة للحد كأنه قيل فاجلدوهم وردوا شهادتهم اى فاجمعوا لهم الجلد والرد فيبقى كاصله (واولئك هم الفاسقون) كلام مستأنف مقرر لما قبله ومبين لسوء حالهم عند الله عز وجل اى اولئك هم المحكوم عليهم بالفسق والخروج عن الطاعة والتجاوز عن الحدود الكاملون فيه كأنهم هم المستحقون لاطلاق اسم الفاسق عليهم لا غيرهم من الفسقة ﴿ وقد يكون ذلك ﴾ القدح ﴿ لاحد شيئين اما انتقام يصدر عن سفه ﴾ اى سفاهة المنتقم اذ الانتقام ليس بمقصور على القدح بنحو سب وغيبة ﴿ او بذاء ﴾ اى فحش قول طبعا ﴿ يحدث عن لؤم وقد روى ابو سلمة ﴾ وابو داود والترمذى ﴿ عن ابى هريرة رضى الله عنه ان النبى صلى الله عليه وسلم قال المؤمن غر ﴾ بكسر وتشديد اى يغره كل احد ويغيره كل شئ ولا يعرف الشر وليس بذى مكر فهو ينخدع لسلامة صدره وحسن ظنه ﴿ كريم ﴾ اى شريف الاخلاق ﴿ والفاجر ﴾ اى الفاسق

فى التعبير بالرمى المنبئ عن صلابة الآلة وايلام المرمى وبعده عن الرامى ايذان بشدة تأثيره فيهن وكونه رجما بالغيب ذكره ابو السعود منه

﴿ خب ﴾ بفتح المعجمة وقد تكسر اى يسعى بين الناس بالفساد والتخبب افساد زوجة الغير اوعبده او امته ﴿ لئيم ﴾ لايخدع لشحه ﴿ وقال ابن المقفع الاستطالة ﴾ يعنى المغالبة فى القول الفاحش ﴿ لسان الجهالة وكف النفس عن هذه الحال بمايصدها من الزواجر اسلم وهو ﴾ اى الكف ﴿ بذى المروءة اجمل فهذا ﴾ الكف ﴿ شرط ﴾ من شروط المروءة فى نفسه ﴿ واما العفة عن المآثم فنوعان احدهما الكف عن المجاهرة بالظلم والثانى زجر النفس عن الاسرار بخيانة ﴾ بعمدها وتصويرها حتى يخون عند قدرته ﴿ فاما المجاهرة بالظلم فعتو ﴾ على وزن علو استكبار متجاوز عن الحد ﴿ مهلك وطغيان متلف ﴾ للمجاهر ولغيره ﴿ وهو يؤل ان استمر ﴾ ولم يتب اولم يؤدب ﴿ الى ﴾ ايقاع ﴿ فتنة اوجلاء ﴾ بفتح الطرد والتفرق ﴿ فاما الفتنة ﴾ وهى الاختلاف فى الآراء والشقاق والغوغاء والاثم والضلال ومنه قوله تعالى والفتنة اشد من القتل ﴿ فى الاغلب فتحيط بصاحبها ﴾ فتهلكه ﴿ وتنعكس عن البادى بها ﴾ الى من يحذو حذوه ﴿ فلا تنكشف ﴾ اى سبب ظهور الفتنة وموقظها ﴿ الا وهو ﴾ اى البادى ﴿ بها مصروع ﴾ اى مطروح على الارض يعنى مقتول اومذلل ﴿ كما قال الله تعالى ﴾ فى الفاطر ﴿ ولا يحيق ﴾ اى لايحيط ﴿ المكر السيء الا باهله ﴾ اى بفاعله روى عن النبى صلى الله عليه وسلم انه قال لا تمكروا ولا تعينوا ماكرا فان الله تعالى يقول ولا يحيق المكر السيء الا باهله ولاتبغوا ولاتعينوا باغيا فان الله يقول انما بغيكم على انفسكم وعن كعب انه قال لابن عباس رضى الله عنهما قرأت فى التوراة من حفر مغواة وقع فيها قال انا وجدنا ذلك فى كتاب الله وقرأ الآية وفى امثال العرب من حفر لاخيه جبا وقع فيه منكبا كذا فى الكشاف ﴿ وروى عن النبى صلى الله عليه وسلم انه قال الفتنة نائمة ﴾ اى ساكنة ﴿ فمن ايقظها ﴾ اى اثارها ﴿ صار طعاما لها ﴾ وفى حديث انس عند الرافعى لعن الله من ايقظها اى ابعده من رحمته ﴿ وقال جعفر بن محمد الفتنة حصاد الظالمين وقال بعض الحكماء صاحب فتنة اقرب شيء اجلا واسوء شيء عملا ﴾ وفى حديث ابى هريرة عند البخارى (ستكون فتن القاعد فيها خير من القائم والقائم فيها خير من الماشى والماشى فيها خير من الساعى من تشرف لها تستشرفه) التشرف التطلع واستعير هنا للاصابة بشرها (فمن وجد ملجأ او معاذا فليعذ به) اى ليعتزل فيه ليسلم من الفتنة وفيه التحذير من الفتن وان شرها يكون بحسب الدخول فيها والمراد بالفتن جميعها اوالمراد ماينشأ عن الاختلاف فى طلب الملك حيث لايعلم المحق من المبطل وعلى الاول فقالت طائفة بلزوم البيوت وقال آخرون بالتحول عن بلد الفتنة اصلا ثم اختلفوا فمنهم من قال اذا هجم عليه فى شيء من ذلك يكف يده ولو قتل ومنهم من قال يدافع عن نفسه وماله واهله وهو معذور ان قتل او قتل افاده القسطلانى ﴿ وقال بعض الشعراء ﴾ وفى البيان انه الفرزدق * وكان يجير الناس من سيف مالك . فاصبح يبغى نفسه من يجيرها ﴿ وكان كعنز السوء قامت بظلفها . الى مدية تحت الثرى تستثيرها ﴾ الظلف للبقر والغنم كالحافر للخيل والحمير والمدية بحركات الميم الشفرة والسكين وهذا مثل للعرب وذلك ان ماعزة كانت لقوم فارادوا ذبحها فلم يجدوا شفرة فنبشت بظلفها فى الارض فاستخرجت منها شفرة فذبحوها بها وقالوا بحثت عن حتفها بظلفها فصارت مثلا ﴿ واما الجلاء ﴾ اى تفرق القوم ﴿ فقد يكون من قوة الظالم ﴾ فلا يمكن تأديبه ﴿ وتطاول مدته ﴾ فلا يصبر ﴿ فيصير ظلمه مع المكنة جلاء وفناء كالنار اذا وقعت فى يابس الشجر فلاتبقى معها مع

تمكنها شيئا ﴾ لا من الاشجار الرطبة ولا من الحشرات بل ولا من الاحجار ﴿ حتى اذا افنت ما وجدت اضمحلت وخمدت ﴾ بنفسها ﴿ فكذا حال الظالم مهلك ﴾ لغيره ابتداء ﴿ ثم هالك ﴾ هو والكلب الكلب يهلك من عضه ثم يهلك ﴿ والباعث على ذلك ﴾ المجاهرة بالظلم ﴿ شيئان الجراءة والقسوة ولذلك قال النبي صلى الله عليه وسلم ﴾ كما رواه ابن حبان عن ابي سعيد الخدرى ﴿ اطلبوا الفضل ﴾ اى زيادة الرزق التى تحتاجونها والتوسعة عليكم ﴿ والمعروف ﴾ اى النصفة وحسن الصحبة مع الاهل وغيرهم من الناس وهو اسم جامع لكل ما عرف من طاعة الله تعالى والتقرب اليه والاحسان الى الناس وكل ما ندب اليه الشرع ﴿ عند الرحماء من امتى ﴾ اى امة الاجابة ﴿ تعيشوا فى اكنافهم ﴾ جمع كنف بفتحتين وهو الجانب اى بسبب رحمة قلوبهم تعيشوا فى رحمة ورفق فان الله تعالى يقول (فان فيهم رحمتى ولا تطلبوا من القاسية قلوبهم) اى الفظاة الغليظة (فانهم ينتظرون سخطى) اى حالهم حال من ينتظر عذابى وعقوبتى لانهم لا ينتظرون ذلك وفيه تنفير عنهم بترك مجالستهم وطلب المعروف منهم واتخاذهم اولياء كما قال الله تعالى انما وليكم الله ورسوله والذين آمنوا الذين يقيمون الصلاة ويؤتون الزكاة وهم راكعون ﴿ والصاد عن ذلك ﴾ اى المانع من المجاهرة ﴿ ان يرى آثار ﴾ غضب ﴿ الله تعالى ﴾ وقهره ﴿ فى الظالمين فان له فيهم عبرا ﴾ تردعه عنه ﴿ وان يتصور عواقب ظلمهم ﴾ كيف احاط بهم ﴿ فان له فيها من دجرا ﴾ ولذلك امثلة فى كل عصر ومعتبر فى كل دهر ﴿ وقد روى عن النبي صلى الله عليه وسلم ﴾ على ما رواه ابن عساكر عن انس ﴿ انه قال من اصبح ولم ينو ظلم احد ﴾ من الخلق مع قدرته عليه ﴿ غفر الله له ﴾ بسبب نيته والا لم يحصل الغفران المذكور لانه ترك ذلك لعجزه ﴿ ما اجترم ﴾ زاد فى رواية وان لم يستغفر والمراد الصغائر اى ما اكتسب من الاثم ﴿ وروى جعفر ﴾ الصادق ﴿ بن محمد عن ابيه ﴾ محمد الباقر ﴿ عن جده ﴾ الظاهر عن جد جعفر وهو زين العابدين او عن جد ابيه وهو الحسين بن على بن ابى طالب رضى الله عنهم ورواه الخطيب عن على فلذلك الانقطاع قال الشعرانى حديث ضعيف السند حسن المتن ﴿ قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم يا على اتق دعوة المظلوم ﴾ اى تجنب الظلم فاقام المسبب مقام السبب ﴿ فانه انما يسأل الله حقه وان الله لا يمنع ذا حق حقه ﴾ لانه الحاكم العادل ﴿ وقيل فى منثور الحكم ويل للظالم من يوم المظالم ﴾ جمع مظلمة على وزن منزلة هى حق المظلوم الذى يطلبه ويشتكى منه ﴿ وقال بعض البلغاء من جار حكمه اهلكه ظلمه وقال بعض الشعراء * وما من يد الا يد الله فوقها . ولا ظالم الا سيبلى بظالم ﴾ اى ما من قدرة وقوة الا قدرة الله فوقها ولا يعجزه احد وهو عزيز ذو انتقام ولا من ظالم الا سوف يبلى ويمتحن بظالم مثله كبلع الحية الفأرة ولدغ العقرب الحية او ذكر الظالم الثانى للمشاكلة كما فى قوله تعالى وجزاء سيئة سيئة مثلها اى ولا من ظالم الا سيصير اسيرا ومغلوبا فى يد امير عادل ﴿ واما الاستسرار بالخيانة فضعة ﴾ اى دناءة ولآمة وهذا هو الثانى من نوعى العفة عن المآثم ﴿ لانه ﴾ اى المستسر ﴿ بذل الخيانة مهين ﴾ اى حقير وذليل ﴿ ولقلة الثقة به مستكين ﴾ اى خاضع ومتواضع يعنى ظاهرا وفى الحقيقة كما قال السعدى كربا مسكين برداشتى تخم كنجشك برداشتى ﴿ وقد قيل فى منثور الحكم من يخن يهن ﴾ من هان يهون مهانة ﴿ وقال خالد الربعى ﴾ بكسر فسكون بطن من غطفان ﴿ قرأت فى بعض الكتب السالفة ان مما تعجل عقوبته ولا تؤخر الامانة ﴾ التى ﴿ تخان والاحسان ﴾ الذى ﴿ يكفر والرحم ﴾

التى ﴿ تقطع والبغى على الناس ولو لم يكن من ذم الخيانة ﴾ شئ ورد فى الشرائع او ثبت بالعقول ﴿ الا مايجده الخائن فى نفسه من المذلة لكفاه زاجرا ولو تصور ﴾ من اسر الخيانة ﴿ عقبى امانته وجدوى ثقته لعلم انذلك ﴾ الائتمان ﴿ من اربح بضائع جاهه واقوى شفعاء تقدمه ﴾ على اقرانه ﴿ مع مايجده فى نفسه من العز ﴾ بمقابلة المذلة ﴿ ويقابل عليه من الاعظام ﴾ فى اعين الناس بدل المهانة فى الخيانة ﴿ وقد روى عن النبى صلى الله عليه وسلم ﴾ على مارواه ابو داود عن ابى هريرة ﴿ انه قال اد الامانة ﴾ اى ردها سواء كانت لله تعالى وهى ما طلب الوفاء به من الاحكام او لغيره تعالى وهى حقوق الناس كالوديعة والرهن والعارية فقوله ﴿ الى من ائتمنك ﴾ ليس قيدا ﴿ ولاتخن من خانك ﴾ تسمية ذلك خيانة للمشاكلة اى لاتعامله بمثل خيانته نعم من ظفر بمال من له عليه مال وعجز عن اخذه منه جازان يأخذ مما ظفر به بقدر حقه لانه يستدرك ظلامته وان زاد على حقه فهى خيانة ﴿ وروى سعيد بن جبير قال لما نزلت هذه الآية ﴾ فى آل عمران ﴿ ومن اهل الكتاب ﴾ شروع فى بيان خيانتهم فى المال بعد بيان خيانتهم فى الدين ﴿ من ان تأمنه بقنطار يؤده اليك ﴾ اى بمال كثير يؤده اليك كعبد الله بن سلام استودعه قرشى الفا ومأتى اوقية ذهبا فاداه اليه ﴿ ومنهم من ان تأمنه بدينار لايؤده اليك ﴾ كفنحاص بن عازوراء استودعه قرشى آخر دينارا فجحده وقيل المأمونون على الكثير النصارى اذ الغالب فيهم الامانة والخائنون فى القليل اليهود اذ الغالب فيهم الخيانة ﴿ الا مادمت عليه قائما ﴾ استثناء مفرغ من اعم الاحوال او الاوقات اى لايؤده اليك فى حال من الاحوال اوفى وقت من الاوقات الاحال دوام قيامك او فى وقت دوام قيامك على رأسه مبالغا فى مطالبته بالتقاضى واقامة البينة ﴿ ذلك ﴾ اشارة الى ترك الاداء المدلول عليه بقوله تعالى لايؤده وما فيه من معنى البعد للايذان بكمال غلوهم فى الشر والفساد ﴿ بانهم ﴾ اى بسبب انهم ﴿ قالوا ليس علينا فى الاميين ﴾ اى فى شأن من ليس من اهل الكتاب ﴿ سبيل ﴾ اى عتاب ومؤاخذة (ويقولون على الله الكذب) بادعائهم ذلك (وهم يعلمون) انهم كاذبون مفترون على الله تعالى وذلك لانهم استحلوا ظلم من خالفهم وقالوا لم يجعل فى التوراة فى حقهم حرمة وقيل عامل اليهود رجالا من قريش فلما اسلموا تقاضوهم فقالوا سقط حقكم حيث تركتم دينكم وزعموا انه كذلك فى كتابهم كذا فى تفسير ابى السعود ﴿ يعنون ان اموال العرب حلال لهم لانهم من غير اهل الكتاب ﴾ ويزعمون انه كذلك فى كتابهم ﴿ قال رسول الله صلى الله عليه وسلم كذب اعداء الله ﴾ اى اليهود ﴿ ما من شئ كان فى الجاهلية ﴾ من دمائها وربائها ﴿ الا وهو تحت قدمى ﴾ يعنى باطل وهدر كالشئ الموضوع تحت القدم والمعنى كل شئ فعله احدكم قبل الاسلام من الجنايات فقد عفوت عنه وابطلته فلايؤاخذ عليه بعد الاسلام ﴿ الا الامانة فانها مؤداة الى البر والفاجر ﴾ سواء استودعها فى الجاهلية فاجرا او فى الاسلام برا او فاجرا . فى المشارق عن جابر (الا كل شئ من امر الجاهلية تحت قدمى موضوع ودماء الجاهلية موضوعة) لاقصاص ولادية ولا كفارة على القاتل بعد اسلامه (وان اول دم اضع من دمائنا) المستحقة لنا (دم ابن ربيعة بن الحارث) كان مسترضعا فى بنى سعد فاصابه حجر فى حرب بنى سعد مع قبيلة هذيل بدأ عليه السلام فى وضع دماء الجاهلية بوضع دم قريبه ليكون امكن فى قلوب السامعين

(وربا الجاهلية موضوع واول ربا اضع) اى اترك (ربا العباس بن عبدالمطلب فانه موضوع كله) المراد ماهو زائد على رأس المـال لا رأسـه لانه غير متروك انتهى ﴿ ولايجعل ﴾ من تصور عقى امانته وجدوى ثقته ﴿ ما يتظاهر به ﴾ اى يتعاون به على عزنفسه ﴿ من ﴾ اداء ﴿ الامانة زورا ولامايبديه من العفة غرورا ﴾ يغربه الناس ويرائيهم ليأتمنوا ﴿ فيتهتك الزور وينكشف الغرور فيكون مع هتكه ﴾ اى مع قبح هتك الزور ﴿ للتدليس اقبح ﴾ يقال دلس فى البيع اذا كتم عيب السلعة عن المشترى ﴿ ولمعرة الرياء افضح ﴾ اذالنار المخبوءة فى الاحجار يظهر بالزند ﴿ وقد روى عن النبى صلى الله عليه وسلم انه قال لاتزال امتى بخير مالم تر ﴾ الامة ﴿ الامانة مغنما ﴾ اى غنيمة وفيئا ﴿ والصدقة مغرما ﴾ اى غرامة وخسرانا والغرامة ماينفقه الرجل وليس يلزمه ﴿ وقال بعض الحكماء من التمس اربعا باربع التمس مالايكون من التمس الجزاء ﴾ الحسـن من الله او من الناس ﴿ بالرياء التمس مالايكون ﴾ لان الله يغضب على من خدعه وكذا الناس ﴿ ومن التمس مودة الناس بالغلظة التمس مالايكون ﴾ وقد قال الله تعالى فبما رحمة من الله لنت لهم ولوكنت فظا غليظ القلب لانفضوا من حولك ﴿ ومن التمس وفاء الاخوان بغير وفاء التمس مالايكون ﴾ اذ كل احد يجنى ماغرس ويحصد مازرع ﴿ ومن التمس العلم براحة الجسد التمس مالايكون ﴾ وقد قيل * لو كانت العلوم تحصل بالمنى . لم يبق اصلا فى البرية جاهل ﴿ والداعى الى الخيانة ﴾ سواء اسرها اواظهرها ﴿ شيئان المهانة وقلة الامانة فاذا حسمهما عن نفسه بما وصفت ﴾ من تصور عقبى الامانة ﴿ ظهرت مروءته فهذا ﴾ الحسم ﴿ شرط ﴾ من شروط المروءة ﴿ قد استوفينا فيه اقسام العفة ﴾ من ضبط الفرج عن الحرام وكف اللسان عن الاعراض والكف عن المجاهرة بالظلم وزجر النفس عن الاسرار بخيانة ﴿ واما النزاهة ﴾ التى هى الامر الثانى من شروط المروءة فى نفسه ﴿ فنوعان احدهما النزاهة ﴾ من نزه الرجل من الباب الخامس اذا تباعد عن كل مكروه ﴿ عن المطامع الدنية ﴾ جمع مطمع وهو مايرغب فيه ﴿ والثانى النزاهة عن مواقف الريبة * فاما المطامع الدنية فلان الطمع ﴾ المجرد ﴿ ذل والدناءة ﴾ العارية عن الطمع ﴿ لؤم وهما ﴾ على تقدير اجتماعهما ﴿ ادفع شئ للمروءة وقد كان النبى صلى الله عليه وسلم يقول فى دعائه انى اعوذبك من طمع يهدى ﴾ ويدنى ﴿ الى طبع ﴾ اى الى سجية يجبل عليها الانسان وقال الشاعر * لاتطمعن طمعا يهدى الى طبع . ان المطامع فقر والغنا يأس ﴿ وقال بعض الشعراء ﴾ من البسيط ﴿ لاتخضعن لمخلوق على طمع . فان ذلك نقص منك فى الدين ﴾ الخضوع التطامن والتواضع والسكون والانقياد كما هو حال من عرض حاجة يعنى لاترفع حاجتك الى من جبل على طمع لان خضوعك اليه نقص فى دينك لتعظيمك من حقره الله ﴿ واسترزق الله مما فى خزائنه . فانما هو بين الكاف والنون ﴾ يعنى اطلب رزقك من خزائن الله بمادة من مواده يرزقك الله فان ماطلبته فى قوله كن فيكون ماارادة من غير توقف ﴿ والباعث على ذلك شيئان الشره ﴾ بفتحتين غلبة الحرص ﴿ وقلة الانفة ﴾ هى الامتناع عما يوجب ذلا ونقيصة غيرة وعارا ﴿ فلايقنع بما اوتى وان كان كثيرا لاجل شرهه ولايستنكف مما منع وان كان حقيرا لقلة انفته وهذه حال من لايرى لنفسه قدرا ﴾ اصلا بلا مال ﴿ ويرى المال اعظم خطرا ﴾ بفتحتين اى شرفا ﴿ فيرى بذل اهون الامرين لاجلهما ﴾ اى لاجل شرهه وقلة انفته ﴿ مغنما وليس

(لمن كان)

لمن كان المال عنده اجل ونفسه عليه اقل ﴾ قدرا واحقر ﴿ اصغاء لتأنيب ﴾ وهو العتاب والاسكات بالبراهين ﴿ ولا قبول لتأديب ﴾ لان كلا من الاصغاء والقبول لمحافظة شرف النفس فلا شرف ولا اصغاء ﴿ وروى ان رجلا قال يارسول الله اوصنى ﴾ كما رواه الحاكم عن سعد بن عمارة ﴿ قال عليك ﴾ اسم فعل بمعنى الزم ﴿ باليأس ﴾ اى الزمه والباء زائدة فى مفعوله ﴿ عما فى ايدى الناس ﴾ واليأس ضد الرجاء وفى رواية (تعش حرا) ﴿ واياك والطمع ﴾ اى احذره ﴿ فانه فقر حاضر ﴾ لان صاحبه لا يزال فى تعب وان كان ذا كثرة من المال ﴿ واذا صليت فصل صلاة مودع ﴾ اى صلاة من لا يعود اليها فان من استحضر الموت ترك الشواغل الدنيوية واقبل على ربه بكليته ﴿ واياك ومايعتذر منه ﴾ اى احذر ان تنطق او تفعل بما يحوجك الى الاعتذار ﴿ وقال بعض الشعراء ﴾ ومن كانت الدنيا مناه وهمه. سبته المنى واستعبدته المطامع ﴾ يعنى من كانت الدنيا والمال غاية مايتمناه كان اسير امانيه وعبد مطامعه ﴿ وحسم هذه المطامع شيئان اليأس والقناعة ﴾ بالكفاف ﴿ وقد روى عبدالله بن مسعود ﴾ و ابو نعيم فى الحلية عن ابى امامة الباهلى ﴿ عن النبى صلى الله عليه وسلم انه قال ان روح القدس ﴾ اى جبريل سمى بذلك لتقديسه وتطهيره وان شاركه فى ذلك جميع الملائكة فخص بهذه التسمية لانه رئيسهم ﴿ نفث ﴾ اى نفخ بلاريق والتفل النفخ مع ريق وقال المناوى النفث اصطلاحا عبارة عن القاء العلوم الوهبية والعطايا الالهية فى روع من استعدلها ﴿ فى روعى ﴾ بضم الراء اى القى الوحى فى خلدى وبالى او فى نفسى او قلبى او عقلى من غير ان اسمعه ولا اراه ﴿ ان نفسا ﴾ بفتح الهمزة ﴿ لن تموت حتى تستكمل اجلها ﴾ الذى كتبه لها الملك وهى فى بطن امها ﴿ وتستوفى رزقها ﴾ غاير فى التعبير للتفنن فلا وجه للمذلة والكد والتعب قيل لبعضهم من اين تأكل قال لوكان من اين لفنى وقيل لآخر كذلك فقال سل من يطعمنى ﴿ فاتقوا الله ﴾ اى احذروا ان لاتثقوا بضمانه ﴿ واجملوا فى الطلب ﴾ بان تطلبوه بالطرق الجميلة بغير كد ولاحرص ولا تهافت قال بعض العارفين لاتكونوا بالرزق مهتمين فتكونوا للرازق متهمين يعنى غير واثقين به ﴿ ولا يحملنكم ابطاء الرزق على ان تطلبوه بمعاصى الله تعالى ﴾ وهذا وارد مورد الحث على الطاعة والتنفير من المعصية فليس مفهومه مرادا ﴿ فان الله تعالى لاينال ﴾ بالبناء للمفعول ﴿ ماعنده ﴾ من الرزق ﴿ الابطاعته ﴾ وفيه ان من الوحى مايتلى قرأنا ومنه غيره كما هنا ﴿ فهذا ﴾ الحسم بالنزاهة عن المطامع الدنية ﴿ شرط ﴾ ايضا للمروءة ﴿ واما مواقف الريبة فهى التردد بين منزلتى حمد وذم والوقوف بين حالتى سلامة وسقم فتتوجه اليه لائمة المتوهمين ويناله ذلة المريبين وكفى بصاحبها موقفا ان صح افتضح وان لم يصح امتهن وقد قال النبى صلى الله عليه وسلم ﴾ كما رواه احمد بن حنبل عن انس ﴿ دع مايريبك الى مالا يريبك ﴾ اى اترك ماتشك فيه الى مالاتشك فيه من الحلال البين لان من اتقى الشبهات فقد استبرأ لدينه وعرضه ﴿ وسئل محمد ﴾ الباقر ﴿ ابن على عن المروءة فقال ان لا تعمل فى السر عملا تستحى منه فى العلانية . وقال حسان بن ابى سنان ماوجدت شيئا هو اهون من الورع قيل له وكيف قال اذا ارتبت ﴾ بالمجهول من الارتياب اى اذا اذعنت انى سأتهم ﴿ بشئ تركته ﴾ قبل الاتهام به ﴿ والداعى الى هذه الحال ﴾ وهى الوقوف فى مواقف الريبة ﴿ شيئان الاسترسال ﴾ اى الانبساط وترك التكلف فى المعاملة ﴿ وحسن الظن ﴾ بالناس انهم لايتهمونه وان وقف فيما وقف ﴿ والمانع منهما

شيئان الحياء ﴾ بدل الاسترسال ﴿ والحذر ﴾ مقام حسن الظن ﴿ وربما انتفت الريبة بحسن الثقة وارتفعت التهمة بطول الخبرة. وقد حكى عن عيسى بن مريم عليه السلام انه رآه بعض الحواريين وقد خرج من منزل امرأة ذات فجور فقال ﴾ ذلك البعض ﴿ ياروح الله ماتصنع هنا فقال الطبيب انما يداوى المرضى ولكن ﴾ استدراك من قوله ربما انتفت الريبة ﴿ لا ينبغى ان يجعل ذلك ﴾ الانتفاء ﴿ طريقا الى الاسترسال وليكن الحذر عليه اغلب والى الخوف من تصديق التهم اقرب فما كل ريبة ينفيها حسن الثقة ﴾ لان اعداء المرء اكثر من اوداته وهم يتحرون مواقع الجرح كالذباب ﴿ هذا رسول الله صلى الله عليه وسلم وهو ابعد خلق الله من الريب واصونهم من التهم ﴾ لعصمة الانبياء عليهم السلام ﴿ وقف مع زوجته صفية ذات ليلة على باب المسجد ﴾ عند باب ام سلمة ﴿ يحادثها وكان معتكفا ﴾ وقد جاءته صفية رضى الله عنها تزوره فى اعتكافه ثم قامت تذهب الى منزلها فقام النبى صلى الله عليه وسلم معها يردها الى منزلها ﴿ فمر به رجلان من الانصار ﴾ هما اسيد بن حضير وعباد بن بشر ﴿ فلما رأياه ﴾ استحييا و ﴿ اسرعا ﴾ وفى رواية فرجعا ﴿ فقال لهما النبى صلى الله عليه وسلم ﴾ كما رواه البخارى عن على بن الحسين بن على بن ابى طالب رضى الله عنهم ﴿ على رسلكما ﴾ بكسر الراء وسكون السين اى امشيا على هيئتكما فليس شئ تكرهانه ﴿ انما هى صفية بنت حيي ﴾ مصغرا ابن اخطب النضرية من بنات هارون اخى موسى عليهما السلام سباها النبى عليه السلام عام فتح خيبر ثم اعتقها وتزوجها وجعل عتقها صداقها ﴿ فقالا ﴾ اى الرجلان ﴿ سبحان الله يارسول الله ﴾ اى تنزه الله عن ان يكون رسوله متهما بما لا ينبغى او كناية عن التعجب من هذا القول (وكبر عليهما) بضم الموحدة اى عظم وشق عليهما ماقال عليه الصلاة والسلام وفى رواية هشيم فقالا يارسول الله وهل نظن بك الاخيرا ﴿ فقال النبى صلى الله عليه وسلم ان الشيطان يجرى من احدكم مجرى لحمه ودمه ﴾ ووجه الشبه شدة الاتصال وعدم المفارقة وهو كناية عن الوسوسة ﴿ فخشيت ان يقذف ﴾ الشيطان ﴿ فى قلبيكما سوأ ﴾ وفى رواية شرا ولم يكن النبى صلى الله عليه وسلم نسبهما انهما يظنان به سوءا لما تقرر عنده من صدق ايمانهما ولكن خشى عليهما ان يوسوس لهما الشيطان ذلك لانهما غير معصومين فبادر الى اعلامهما حسما للمادة وتعليما لمن بعده اذا وقع له مثل ذلك وقال ابن دقيق العيد فيه دليل على التحرز مما يقع فى الوهم نسبة الانسان اليه مما لا ينبغى وهذا متأكد فى حق العلماء ومن يقتدى بهم فلا يجوز لهم ان يفعلوا فعلا يوجب ظن السوء بهم وان كان لهم فيه مخلص لان ذلك سبب الى ابطال الانتفاع بعلمهم كما فى القسطلانى ﴿ فكيف ﴾ حال ﴿ من تخالجت فيه الشكوك ﴾ اى تحركت واضطربت اواستوعبته ﴿ وتقابلت فيه الظنون ﴾ اى تعارضت وتناقضت فيه ظنون من خبره ومن لم يخبره ﴿ فهل يعرى فى مواقف الريب من قادح محقق ﴾ قدحه ﴿ ولائم مصدق ﴾ عند الناس لومه وان كان الواقف بريئا من التهمة ﴿ وقد روى عن النبى صلى الله عليه وسلم انه قال اذا لم يشق المرء ﴾ بالبناء للمفعول اى اذا لم يوقع فى المشقة ﴿ الا بما عمل ﴾ اى بعمله ﴿ فقد سعد ﴾ لانه باجتنابه مواقف الريب لايعاتب الا بما عمل ولا عمل بدون وقوف وهذه هى السعادة ﴿ واذا استعمل الحزم وغلب الحذر ﴾ على حسن ظنه ﴿ وترك مواقف الريب ومظان التهم ولم يقف موقف الاعتذار ولا عذر لمختار ﴾ فى ارادته وافعاله واقواله ﴿ لم يختلج فى نزاهته شك ولم يقدح فى عرضه افك ﴾ اى كذب

قال النضر بن شميل الحوارى خاصة الرجل الذى يستعين به فيما ينوبه وسمى الحواريون لبياض ثيابهم او لضياء قلوبهم او لكونهم نورانيين عليهم نور العبادة وبهاؤها وقال الثعلبى كانوا اصفياء عيسى واولياءه ووزراءه . وكانوا اثنى عشر رجلا واسماؤهم بطرس ويعقوبس ويحنس واندرايس وفيلبس وابرثلما ومتتا واوتوماس ويعقوب بن خلفانا وتديس وقنانيا ويوزس فهؤلاء حواريوا عيسى عليه السلام . واما حواريوا هذه الامة ابوبكر وعمر وعثمان وعلى وحمزة وجعفر وابو عبيدة بن الجراح وعثمان بن مظعون وعبد الرحمن بن عوف وسعد بن ابى وقاص وطلحة بن عبيد الله والزبير بن العوام رضى الله عنهم منه

(وامتراء)

وافتراء ﴿ وقد قال الشاعر ﴾ من الوافر ﴿ اصونك ان ادل عليك ظنا . لان الظن مفتاح اليقين ﴾
يعنى انزهك ان تكون مظنونا بسوء ومتهما بعيب لان بعض الظن مفتاح اليقين وهذا هو الظن
الناشئ عن دليل ظنى اوامارة والا فبعض الظن اثم ﴿ وقال سهل بن هرون مؤنة المتوقف ﴾ اى
المنحرف عن مظان التهم ﴿ ايسر من تكلف المتعسف ﴾ اى الظالم لنفسه بوقوعه فيها لان حبس
النفس ايسر من قطع السنة الوشاة ﴿ وقال بعض الحكماء من حسن ظنه بمن لا يخاف الله تعالى
فهو مخدوع ﴾ لان من تجرأ على الله وهتك محارمه فهو اجرأ على هتك اعراض خلقه ﴿ وانشدنى
بعض اهل الادب لابى بكر الصولى رحمه الله قوله ﴾ من البسيط المكبول اى المخلع ﴿ احسنت
ظنى باهل دهرى . فحسن ظنى بهم دهانى ﴾ اى اصابنى بداهية اى امر عظيم كالافك
﴿ لا آمن الناس بعد هذا . ما الخوف الا من الامان ﴾ والامان ضد الخوف يعنى لا آمنهم اذلا
تقع الامور المخوفة الامن عدم الخوف والحذر ولعله اراد بالداهية تسميتهم بالشطرنجى على
انه كان حاذقا فى الشعر والادب ايضا ﴿ وهذا شرط ﴾ من شروط المروءة فى نفسه ﴿ استوفينا
فيه نوعى النزاهة ﴾ النزاهة عن المطامع الدنية والنزاهة عن مواقف الريبة ﴿ واما الصيانة
وهى الامر الثالث من شروط المروءة فنوعان احدهما صيانة النفس بالتماس كفايتها وتقدير
مادتها ﴾ المحتاجة اليها عن مذلة السؤال ﴿ والثانى صيانتها عن تحمل المنن من الناس والاسترسال
فى الاستعانة ﴾ الى ان ينتظر منهم اعداد وضوءه والباس فروه واصلاح نعليه ونحوه ﴿ اما
التماس الكفاية وتقدير المادة ﴾ اى كونهما من صيانة النفس ﴿ فلان المحتاج الى الناس كل ﴾
بفتح وتشديد اى ثقيل عاجز لا خير فيه ﴿ مهتضم ﴾ اى منكسر القلب من الحزن او مغتصب
وظالم ﴿ وذليل مستثقل ﴾ عند الناس ﴿ وهو لما فطر عليه محتاج الى ما يستمده ليقيم
اود نفسه ﴾ الاود الاعوجاج والميل الى جانب والمحتاج مائل الى ما يحتاجه ﴿ ويدفع
ضرورة وقته ﴾ من مأكله وملبسه ﴿ ولذلك قالت العرب فى امثالها ﴾ اى امثال العرب ﴿ كلب
جوال خير من اسد رابض ﴾ اى قاعد على ركبتيه وقال على بن ابى طالب رضى الله عنه *
كد كد العبدان احببت ان تصبح حرا * واقطع الآمال عن مال بنى آدم طرا * لا تقل ذا
مكسب يز . رى فقصد الناس ازرى * انت ما استغنيت عن غيرك اعلى الناس قدرا ﴿ وما
يستمده ﴾ ويلتمسه لصون نفسه ﴿ نوعان لازم وندب * فاما اللازم فما اقام بالكفاية وافضى
الى سد الخلة ﴾ اى جوعه ومن لزمه نفقته شرعا ﴿ وعليه فى طلبه ﴾ اى على المستمد فى طلب اللازم
﴿ ثلاثة شروط * احدها استطابته من الوجوه المباحة وتوقى الوجوه المحظورة فان المواد المحرمة ﴾
كالتجارة بخمر او خنزير اوربا او ارتشاء ونحوها ﴿ مستخبثة الاصول ﴾ محكومة عليها بالخبث
كما قال الله تعالى انما الخمر والميسر والانصاب والازلام رجس من عمل الشيطان فاجتنبوه
لعلكم تفلحون ﴿ ممحوقة المحصول ﴾ من محق الله الشئ اى ذهب ببركته كما قال يمحق الله
الربا ويربى الصدقات ﴿ ان صرفها فى بر لم يؤجر ﴾ لما فى حديث ابى هريرة عند مسلم .
(ان الله طيب لا يقبل الا طيبا) من خباثة الشبهات طيبا انفاقه من خباثة الاغراض الدنيوية
والاخروية طيبا منفقها من خباثة النفاق والنظر الى غير الله ﴿ وان صرفها فى مدح لم يشكر ثم
هو لاوزارها محتقب ﴾ اى محتمل والحقيبة ما يشد فى مؤخر القتب او السرج ﴿ وعليها معاقب .
وقد قال رسول الله صلى الله عليه وسلم لا يعجبك رجل كسب مالا من غير حله ﴾ يعنى لا تغبط به

﴿ ومن انفقه ﴾ فى وجوه البر ﴿ لم يقبل منه وان امسكه فهو زاده الى النار ﴾ . وقال بعض الحكماء شر المال مالزمك اثم مكسبه و حرمت اجر انفاقه . و نظر بعض الخوارج الى رجل من اصحاب السلطان يتصدق على مسكين فقال انظر اليهم حسناتهم من سيئاتهم ﴿ اى مغاصبهم اورشاياهم ﴿ وقال على بن الجهم ﴾ ابوالحسن القرشى سخط عليه المتوكل فنفاه الى خراسان و كتب ان يصلب اذاورد ها وقال فى الحبس * قالت حبست فقلت ليس بضائر . حبسى واى مهند لايغمد * او مارأيت الليث يألف غيله . كبرا واوباش السباع تصيد * فالشمس لولاانه محجوبة . عن ناظريك لماأضاء الفرقد * والنار فى احجارها مخبوأة . لاتصطلى ان لم تثرها الازند * والحبس ان لم تغشه لدنية . شنعاء نعم المنزل المتورد * بيت يجدد للكريم كرامة . ويزار فيه ولايزور فيحمد * لولم يكن فى الحبس الاانه . لاتستذلك بالحجاب الاعبد * من الخفيف ﴿ سرمن عاش ماله فاذا حا . سبه الله سره الاعدام ﴾ من اعدم الرجل اذا افتقر لعدم حسابه او خفته ﴿ والثانى طلبه ﴾ اى طلب ماقام بالكفاية ﴿ من احسن جهاته التى لايلحقه فيها غض ﴾ الطرف حياء ﴿ ولايتدنس له بها عرض ﴾ كالمكاسب الخسيسة من الكناسة والحجامة ونحوها ﴿ فان المال يراد لصيانة الاعراض لالابتذالها ولعزالنفوس لالاذلالها ﴾ لان المال آلة للمكارم ﴿ وقال عبدالرحمن بن عوف رضى الله عنه ﴾ من اغنياء الصحابة واجوادهم ﴿ يا قوم ﴾ حبذا المال ﴾ اى غناه ونصرته فاكتسبوه ﴿ اصون به عرضى ﴾ بان انفقه فى محله ﴿ وارضى به ربى ﴾ باداء العبادات المالية ﴿ وقال ابو بشر الضرير * كفى حزنا انى اروح واغتدى . ومالى من مال اصون به عرضى ﴾ الحزن بفتحتين الهم والغم والاغتداء بمعنى الغدو اى ادخل وقت الصباح والرواح ﴿ واكثر ماالقى الصديق بمرحبا . وذلك لايكفى الصديق ولايرضى ﴾ وقد سبق فى الكسب وقال ابن سناء الملك * ثقل الزمان على حتى خف بين النحاس وزنى * القى الصديق بلاثراء والعدو بلامجن ﴿ وسئل ابن عايشة عن قول النبى صلى الله عليه وسلم ﴾ كما رواه البخارى فى تاريخه عن عايشة ﴿ اطلبوا الحوائج من حسان الوجوه ﴾ اى الطلقة المستبشرة وجوههم وقيل من له بشر عند الطلب وان لم يكن جميل الوجه ﴿ فقال معناه من احسن الوجوه التى تحل * والثالث ان يتأنى ﴾ اى لايستعجل ولايتأخر ﴿ فى تقدير مادته وتدبير كفايته ﴾ بان يمدها فى احيانها ﴿ بمالايلحقه خلل ﴾ لتأخيره زمانها وغلائها ﴿ ولايناله زلل ﴾ لتعجيله ﴿ فان يسير المال مع حسن التقدير واصابة التدبير اجدى نفعا واحسن موقعا من كثيره مع سوء التدبير وفساد التقدير كالبذر فى الارض اذا روعى يسيره ﴾ بسقيه وتطهيره عن النباتات المضرة ﴿ زكا ﴾ ذلك البذر وكثر ﴿ وان اهمل كثيره ﴾ ولم يحسد فى اوانه ﴿ اضمحل ﴾ وفسد وفى حديث ابن مسعود عند احمد ماعال من اقتصد وقال المتلمس * قليل المال تصلحه فيبقى . ولايبقى الكثير مع الفساد ﴿ وقال محمد ﴾ الباقر ﴿ بن على رضى الله عنه الكمال فى امور ﴾ ثلاثة العفة فى الدين والصبر على النوائب وحسن التدبير فى المعيشة وقيل لبعض الحكماء فلان غنى فقال لااعرف ذلك مالم اعرف تدبيره فى ماله فاذا استكمل هذه الشروط ﴾ الثلاثة ﴿ فيما يستمده من قدر الكفاية فقد ادى حق المروءة فى نفسه وسئل الاحنف بن قيس عن المروءة فقال العفة والحرفة وقال بعض الحكماء لابنه يابنى لاتكن على احد كلا فانك تزداد ذلا واضرب فى الارض ﴾ اى سر فيها تاجرا ﴿ عودا وبدأ ﴾ اى ايابا وذهابا ﴿ ولاتأسف لمال كان ﴾ لك

﴿فذهب﴾ الى غيرك ببيع اوغرامة ﴿ولا تعجز﴾ بفتح الجيم وكسرها ﴿عن الطلب﴾ اى لا تضعف ولا تفتر عنه ﴿لوصب﴾ اى لمرض يمكن معه الطلب ﴿ولا نصب﴾ اى ولا لتعب وجهد اعياك ﴿فهذا﴾ الطلب ﴿حال اللازم﴾ واما فى حال الندب فيعد مثل ذلك الطلب من الحرص والشره المذموم ﴿وقد كان ذووا الهمم العلية والنفوس الابية﴾ من ان ترى لغيرها فضلا عليها ﴿يرون ما وصل الى الانسان كسبا افضل مما وصل اليه ارثا لانه فى الارث فى جدوى غيره وبالكسب مجد﴾ اى ساع ﴿الى﴾ انتفاع ﴿غيره وفرق ما بينهما فى الفضل ظاهر﴾ لان الظفر بعد الطلب اعز من المنساق بلا تعب ﴿وقال كشاجم﴾ من الكامل ﴿لا استلذ العيش لم ادأب له . طلبا وسعيا فى الهواجر والغلس﴾ قوله لم ادأب من الباب الثالث اى لم اتعب ولم اجتهد وقوله طلبا وسعيا تمييز محرف عن الفاعل اى لم يتعبنى طلب ذلك العيش وكسبه والهواجر جمع هاجرة وهو وقت نصف النهار والغلس بفتحتين ظلمة آخر الليل وتخصيص هذين الوقتين بالذكر لشدة التعب فيهما لكونهما وقتى استراحة يعنى لا استلذ مالم اتركه راحتى ونومى ﴿وارى حراما ان يواتينى الغنى . حتى يحاول بالعناء ويلتمس﴾ اراد بالحرام التفاهة وعدم اللذة بقرينة المقابلة بالاستلذاذ ﴿فاصرف نوالك عن اخيك موفرا . فالليث ليس يسيغ الا ما افترس﴾ النوال والنول العطية وفى الاساس نولك ان تفعل كذا بمعنى حقك وما ينبغى ان تعطيه من نفسك استعمل فى معنى الحظ والنصيب وقوله يسيغ من الاساغة يقال اساغ الطعام او الشراب اذا سهل مدخله يعنى اذا لم يكن العيش لذيذا بدون العناء فاصرف حظك ونصيبك الذى تؤمله عن اخيك مكثرا ما لديه من الاموال واقطع طمعك عنها واستح من فعل السبع العادى حتى لا يكون له فضل عليك فان الاسد لا يهنأ الا تناول ما اصطاده وافترسه كما قال السعدى* نخورد شير نيم خوردهٔ سك . ور بسختى بميرد اندر غار ﴿واما الندب﴾ من نوعى الاستمداد والالتماس ﴿فهو ما فضل عن الكفاية وزاد على قدر الحاجة فان الامر فيه معتبر بحال طالبه فان كان﴾ الطالب ﴿ممن تقاعد عن مراتب الرؤساء﴾ اى فرغ عنها وتركها ﴿وتقاصر عن مطاولة النظراء﴾ جميع نظير ككريم وكرماء والمطاولة من باب المغالبة فى الطول بالفتح بمعنى الفضل والقدرة والغنى والسعة والرفاهية اى امتنع عن مفاخرة الامثال ﴿وانقبض﴾ ضد انبسط ﴿عن منافسة الاكفاء﴾ جمع كفؤ يقال نافس فى الشئ فلانا اذا رغب على وجه المباراة فى الكرم ﴿فحسبه ما كفاه فليس فى الزيادة الا شره﴾ غلبة الحرص ﴿ولا فى الفضول الا نهم﴾ بفتحتين ايضا وهو افراط الشهوة فى الطعام وان لا يمتلئ عين الآكل ولا يشبع من كثرة حرصه ﴿وكلاهما مذموم وقد قال النبى صلى الله عليه وسلم﴾ كما رواه احمد بن حنبل والبيهقى عن سعد بن مالك وابن ابى قاص ﴿خير الذكر الخفى﴾ اى ما اخفاه الذاكر عن الناس فهو افضل من الجهر ﴿وخير الرزق ما يكفى﴾ اى ما كان بقدر الكفاية وذلك كمسكن يأوى اليه وملبوس يقيه الحر والبرد وطعام يقيه الجوع فان الزيادة ربما تطغيه والنقص عن ذلك ربما يورثه السخط ﴿وقال على بن ابى طالب كرم الله وجهه الدنيا كل على العاقل﴾ اى كثرتها ثقلة عليه الا على سليمان عليه السلام لقوله تعالى هذا عطاؤنا فامنن او امسك بغير حساب ولذا قال رب اغفرلى وهب لى ملكا لا ينبغى لاحد من بعدى ﴿وقال عبد الله بن مسعود المستغنى﴾ اى طالب الغنى ﴿عن الدنيا بالدنيا﴾ اى بكثرة الاموال

﴿ كمطفي النار بالتبن وقال بعض الحكماء اشترماء وجهك بالقناعة وتسل ﴾ من التسلي
﴿ عن ﴾ التمتع بالملاذ ﴿ الدنيا لتحيا فيها عن الكرام ﴾ كالانبياء عليهم السلام ﴿ وان كان ﴾
الطالب ﴿ ممن سمى بعلو الهمم وتحركت فيه اريحية الكرم ﴾ بفتح الهمزة وتشديد الياء الاخيرة
عبارة عن خصلة السرور والنشاط عند العطية والاحسان يقال اخذته الاريحية اذا ارتاح للندى
كما قال بشار * ليس يعطيك للرجاء ولا الخوف ولكن يلذ طعم العطاء ﴿ وآثر ان يكون رأسا
ومقدما وان يرى في النفوس معظما ومفخما فالكفاية لاتقله ﴾ من اقل الشيء اذا حمله ورفعه
يعني لاتوصله الى مقاصده ﴿ حتى يكون ماله فاضلا ونائله فائضا فقد قيل لبعض العرب
ما المروءة فيكم قال طعام مأكول ونائل مبذول وبشر مقبول ﴾ والبشر الطلاقة والبشاشة
﴿ وقد قال الاحنف بن قيس ﴾ من المتقارب ﴿ فلو مد سروى بمال كثير . لجدت وكنت له
باذلا * فان المروءة لاتستطاع . اذا لم يكن مالها فاضلا ﴾ وقد سبق معنى البيتين في الكسب
وقد اكثر الشعراء في هذا المعنى ومن احسنها ماقاله الصفدي * وقائلة فيم اجتهادك للغنى .
وقد رقدت للحظ منك عيون * فقلت لها والله مابي حاجة . لتحصيل دنيا فالامور تهون *
ولكن حقوق للعلا قد ترتبت على ذمتي مفروضة وديون * ولو وجدت كفي لبرأت
ساحتي . وكنت اريك الجود كيف يكون * وقال الحريري * لولا المروءة ضاق العذر عن
فطن . اذا اشرأب الى ما جاوز القوتا * لكنه لابتناء المجد جد ومن . حب السماح ثنى نحو الغنى
ليتا * قوله اشرأب اي مد عنقه الى شيء ينظر اليه فاستعير للطمع وقوله حب السماح بالاضافة
ومن حرف جر اوفعل ومفعول ومن اسم موصول عائده فاعل حب بمعنى احب وقوله
الليت هو صفحة العنق ﴿ واما صيانتها ﴾ اي النفس ﴿ عن تحمل المنن والاسترسال في الاستعانة ﴾
من الناس وهذا هو النوع الثاني من الصيانة ﴿ فلان المنة ﴾ اي تحمل الاصطناع فالمصدر مبني
للمفعول ﴿ استرقاق الاحرار تحدث ذلة في الممنون وسطوة في المان به ﴾ اي عزة ﴿ والاسترسال
في الاستعانة تثقيل ومن ثقل على الناس هان ولا قدر عندهم لمهان ﴾ قيل لجالينوس
لم صار الرجل الثقيل اثقل من الحمل الثقيل قال لان ثقله على القلب دون الجوارح والحمل
الثقيل يستعين القلب بالجوارح عليه وقال طبيب للحجاج اياك ومجالسة الثقلاء فانا نجد في الطب
ان مجالستهم حمى الروح وقال بعض الاعراب في وصف ثقيل هو اثقل من الدين على وجع العين
ثقيل السكون بغيض الحركة كثير الشؤم قليل البركة فهو بين الجفن والعين قذاء وبين الاخمص
والنعل حصاء ﴿ وقال رجل لعمر رضي الله عنه خدمك بنوك فقال اغناني الله عنهم ﴾ لااستعين
بهم ولا بغيرهم ﴿ وقال علي بن ابي طالب لابنه الحسن رضي الله عنهما في وصيته له يا بني ان
استطعت ان لا يكون بينك وبين الله ذو نعمة ﴾ تستعين به ﴿ فافعل ولا تكن عبد غيرك ﴾
تحمل منته ﴿ وقد جعلك الله حرا فان اليسير من الله تعالى اكرم واعظم من الكثير من غيره
وان كان كل ﴾ من اليسير والكثير ﴿ منه ﴾ تعالى ﴿ كثيرا ﴾ لتتابعه وعدم انقطاعه
﴿ وقال زياد ﴾ بن ابيه ﴿ لبعض الدهاقين ﴾ جمع دهقان بكسر الدال وضمها معرب دهخان
اي امير القرية وهو بمنزلة شيخ القبيلة من العرب ﴿ ما المروءة فيكم قال اجتناب الريب فانه
لاينبل مريب ﴾ اي داع لنفسه الريبة ﴿ واصلاح الرجل ماله فانه مروءته وقيامه بحوائجه
وحوائج اهله فانه لاينبل من احتاج الى اهله ولا من احتاج اهله الى غيره ﴾ وتمامه وترك

الكذب فانه لايشرف الامن وثق بقوله والقيام بحاجات الناس فانه من رجى الفرج لديه كثرت غاشيته ﴿ وانشد ثعلب ﴾ من الكامل ﴿ من عف خف على الصديق لقاؤه . واخوالحوائج وجهه مملول ﴾ العفاف الكف والتحرز عما لايحل ولا يجمل والاخ الصاحب والملال السآمة ﴿ واخوك من وفرت ما كيسه . فاذا عبثت به فانت ثقيل ﴾ اى اذالميت بمافى كيسه بلا اخذ منه اواذا اخذت واقللت مافى كيسه فانت ثقيل كما قال بعضهم * كن زاهدافيماحوته يدالورى . تضحى الى كل الانام حبيبا * اوما ترى الخطاف حرم زادهم . فغدا مقيما فى البيوت ربيبا ﴿ وان كان الناس لحمة ﴾ على وزن غرفة القرابة ولحمة الثوب وهى ماسدى به بين سدى الثوب يعنى وان كانوا كسدى الثوب ولحمته ﴿ لا يستغنون عن التعاون ولا يستقلون عن المساعد والمظاهر ﴾ وقوله وان كان معطوف على قوله والاسترسال تثقيل وبيان للفرق بينهما والمخل للمروءة هو الاسترسال ﴿ فانما ذلك ﴾ التعاون ﴿ تعاون ائتلاف ﴾ ونسج ﴿ يتكافئون فيه ولا يتفاضلون وربما كان المستعين فيه ﴾ اى فى تعاون الائتلاف ﴿ مفضلا ﴾ اسم فاعل من الافضال ﴿ والمعين مستفضلا كاستعانة السلطان بجنده ﴾ قال الجامى * منت منه كه خدمت سلطان مى كنى . منت شناس ازو كه بخدمت بداشتت ﴿ والمزارع ﴾ صاحب المزرعة والارض ﴿ باكرته ﴾ بفتحات جمع اكار مثل حراث لفظا ومعنى ﴿ فليس من هذا ﴾ التعاون ﴿ بد ولا لاحد عنه غنى ﴾ المليس مخلا للمروءة ﴿ وانما ﴾ التعاون ﴿ الذى يتصون عنه الكرام تعاون التفضل فينقبضون عن ان يستعينوا لئلا يكون عليهم يد ويسارعون ان يعينوا لان يكون لهم يد ﴾ على غيرهم ﴿ ومن اقدم من غير اضطرار على الاستعانة بجاه اوبمال فقد اوهى مروءته واستبذل صيانته ومن دعاه الاضطرار لنائب الم ﴾ اى نزل ﴿ او حادث هجم الى الاستعانة ﴾ متعلق بدعا ﴿ بمن يتنفس به من خناق كربه ﴾ على وزن كتاب الحبل الذى يختنق به والكرب الحزن الذى يأخذ بالنفس اشدته ﴿ ويتخلص به من وثاق نوائبه فلا لوم على مضطر . فان اغنته الاستعانة بالجاه عن الاستعانة بالمال فلا عذر له فى التعرض للمال ﴾ بان يقدمه على الجاه ويسئله ﴿ ويعدل الى ولاة الامور فان الحوائج عندهم انجح ﴾ اى ايسر ﴿ وهى عليهم اسهل وهم لذلك ﴾ الاغناء بالجاه ﴿ مندوبون ﴾ من ندبه الى الامر اى وجهه ﴿ فهم لايجدون لهم ﴾ اى لانفسهم ﴿ مساويا ﴾ فى ولايتهم على امور العامة بخلاف المال فان الاغنياء كثير ﴿ وليصبرن على ابطائهم فان تراكم الامور عليهم يشغلهم الاعن الملح الصبور ولذلك ﴾ الالحاح ﴿ قيل قدم لحاجتك بعض لجاجتك ﴾ بفتح اللام التمادى والمواظبة فى الخصومة وانما قالوا بعض لان اللجوج كل اللجاج مطروح لايقضى حاجته ﴿ وقال ابوسارة سحيم ﴾ على وزن زبير ﴿ بن الاعرف ﴾ من الوافر ﴿ تعد قرابة وتعد صهرا . ويسعد بالقرابة من رعاها ﴾ يعنى تعد قرابة نسب وصهر بيننا ولاتراعى حقها فمنى الابيات اللوم على عدم اسعاده بالجاه ولعله كان ينتظران يولى بلا سؤال ليبارك له ويعان عليه كما فى الحديث فلما انقطع صبره اطلق لسانه بالسؤال مع اللوم ﴿ ومازرناك من عدم ولكن . يهش الى الامارة من رجاها ﴾ العدم الفقر وقوله يهش من الباب الثانى والرابع اى يرتاح وييسر ﴿ واياما فعلت فان نفسى . تعد صلاح نفسك من غناها ﴾ ايا مفعول فعلت المقدم عليه وجوبا اى اياما من الاسعاد

واذا سالت الى كريم حاجة . فلقاؤه يكفيك والتسليم . فاذا رآك مسلما ذكر الذى . حملته فكانه محتوم . واذا طلبت الى لئيم حاجة . فالح فى رفق وانت مديم . والزم قبالة بيته وفنائه . باشد مالزم الغريم غريم منه

بالامارة اوالتوسعة والصلة بالمال لماعرض به بقوله من عدم قملت جملتني كما تحب يعني ان تطلب صلاحي فاغنني فاني ارى انك لوكنت كما كنت لصرت افسد مني ﴿ فان تعذر عليه صلاح حاله الا بمال يستعين به على نوائبه كان له مع الضرورة فسحة ﴾ في سؤال مال ﴿ لكن ان وجده قرضا مردودا ﴾ في اجله ﴿ لم يأخذه صلة وجودا فان القرض مستسمح به في المروءات هذا رسول الله صلى الله عليه وسلم مع ما اعلى الله من قدره وفضله على خلقه قد اقترض ﴾ لما رواه الشيخان عن ابي هريرة انه قال كان لرجل على رسول الله صلى الله عليه وسلم حق فاغلظ له) في المطالبة وقد كان اعرابيا فقد جرى على عادته في الجفاء والغلظة في الطلب (فهم اصحابه) اى عزموا ان يؤذوه بالقول او الفعل لكنهم تركوا ذلك ادبا معه صلى الله عليه وسلم (فقال) عليه الصلاة والسلام (دعوه فان لصاحب الحق مقالا) اى صولة الطلب وقوة الحجة لكن مع مراعاة الادب المشروع (واشتروا له بعيرا فاعطوه اياه قالوا لا نجد الا افضل من سنه) اى فوق سن بعيره (قال اشتروه) اى الافضل (فاعطوه اياه فان خيركم احسنكم قضاء) وانما اقترض النبي صلى الله عليه وسلم للحاجة وكان يستعيذ بالله من المغرم وهو الدين وفيه انه يستحب لمن عليه دين من قرض وغيره ان يرد اجود من الذى عليه وهذا من السنة ومكارم الاخلاق وليس هو من قرض جر منفعة فانه منهى عنه لان المنهى عنه ماكان مشروطا في عقد القرض كذا في النووى وهذا ما اراده المصنف بقوله ﴿ ثم قضى فاحسن وقال صلى الله عليه وسلم من اعياه رزق الله تعالى ﴾ اى اعجزه ولم يهتد لوجهه ﴿ حلا لافليستدن على الله وعلى رسوله ﴾ اى بضمانهما اداءه وفي حديث ابي هريرة عند البخارى (من اخذ اموال الناس) بطريق القرض او غيره بوجه من وجوه المعاملات (يريد اداءها ادى الله عنه) اى يسر له مايؤديه من فضله لحسن نيته وروى ابن ماجة وابن حبان والحاكم من حديث ميمونة مرفوعا مامن مسلم يدان دينا يعلم الله انه يريد اداءه الا اداه الله عنه في الدنيا (ومن اخذ) اى اموال الناس (يريد اتلافها) على صاحبها (اتلفه الله) في معاشه اى يذهبه من يده فلا ينتفع به لسوء نيته ويبقى عليه الدين فيعاقبه به يوم القيامة وعن عائشة مرفوعا من حمل من امتي دينا ثم جهد في قضائه ثم مات قبل ان يقضيه فانا وليه كما في القسطلاني ﴿ وقال صلى الله عليه وسلم المستدين تاجر الله في ارضه وقال البحترى ﴾ من الكامل ﴿ ان لم يكن كنز فغل عطية . يبلغ بها باغي الرضا بعض الرضا ﴾ روى عن على رضى الله عنه اربعة آلاف ومادونها نفقة وما فوقها كنز ولغة المال المدفون ويقال كنز المال اذا دفنه في الارض وقوله غل بالمجهول اذا وضع في عنقه اويده الغل ومنه قوله تعالى ولاتجعل يدك مغلولة الى عنقك والمراد لازمه وهو تعذر العطية والفاء لعطف المسبب على السبب وقوله يبلغ بسكون الغين لضرورة الوزن والجملة صفة عطية يعني ان لم يوجد مال كثير زائد على الحوائج الضرورية فلذا حرمت من العطية التي يبلغ بها طالب رضوان الله بعض رضائه وذلك البعض اداء لعمة الاموال فالبعض المسكوت عنه اداء لعمة الابدان ﴿ اولم يكن هبة فقرض يسرت . اسبابه وكواهب من اقرضا ﴾ الهبة في اللغة ايصال الشئ للغير بما ينفعه مالا كان اوغير مال والموهبة العطية وفي الشرع تمليك بلا عوض في الحياة والقرض هو تمليك الشئ على رد بدله والفاء جزائية اى فليكن قرض يسرت

وسهلت اسبابه للمقرض والمستقرض بفعلهما النبى صلى الله عليه وسلم واصحابه وقوله كواهب من اقرض اى فى نيل الاجر والثواب لما فى حديث انس عند ابن ماجة (رأيت ليلة اسرى بى على باب الجنة مكتوبا) بذهب كما فى رواية (الصدقة بعشر امثالها والقرض بثمانية عشر) لان درهم القرض بدرهمى صدقة لكون الآخذ من شانه ان يكون عن احتياج وكرب ففيه تنفيس كربه وانتظاره الى رده ففيه عبادتان فكان بمنزلة درهمين وهما بعشرين حسنة فاذا رده بقى ثمانية عشر لانه باثنين (فقلت ياجبريل مابال القرض افضل من الصدقة قال لان السائل يسئل وعنده شئ من الدنيا) اى قد يكون كذلك (والمستقرض لايستقرض الالحاجة) كما فى الجامع الصغير ﴿ ولئن كان الدين رقا فهو اسهل من رق الافضال ﴾ ولذا استعاذ النبى صلى الله عليه وسلم من الدين فى دبر كل صلاة فقالت عائشة ما اكثر ماتستعيذ بالله يارسول الله من المغرم قال ان الرجل اذا غرم حدث فكذب ووعد فاخلف ﴿ وقد روى عن على بن ابى طالب كرم الله وجهه من اراد البقاء ﴾ بالعافية والمسرة ﴿ ولا بقاء ﴾ فى الدنيا لانها دار فناء وقبور ﴿ فليباكر الغداء ﴾ بالفتح والمهملة اسم طعام الغدوة اى الصباح يعنى لايؤخره عن وقته ومنه المباكرة مباركة وقال الاصمعى خير الغداء بواكره وخير العشاء بواصره يعنى مايبصر من الطعام قبل الظلام ﴿ وليخفف الرداء قيل وماخفة الرداء من البقاء قال قلة الدين ﴾ لانه لازم الرقبة كالملحفة وهو مايستر الاعلى ويقابل الازار وهو مايستر الاسفل من الانسان ﴿ فان اعوزه ذلك ﴾ معطوف على قوله ان وجده قرضا اى وان اشكل على المضطر اصطلاح حاله ﴿ الا استسماحا ﴾ لعدم مايرهنه ولا كفيل له ايضا ﴿ فهو الرق المذل ولذلك قيل لامروءة لمقل ﴾ اى فقير ﴿ وقال بعض الحكماء من قبل صلتك فقد باعك مروءته و اذل لقدرك عزه وجلالته والذى ﴾ مبتدأ خبره قوله اربعة امور ﴿ يتماسك به ﴾ اى يحتبس ويعتصم به على وجه لايرسله بالكلية ﴿ الباقى من مروءة الراغبين ﴾ الى الاستسماح ﴿ واليسير ﴾ معطوف على الذى ﴿ التافه ﴾ اسم فاعل من تفه الشئ من الباب الرابع اذا قل وخس ﴿ من صيانة السائلين وان لم يبق لذى رغبة مروءة ﴾ كاملة ﴿ ولا لسائل تصون ﴾ تام بعرضه ﴿ اربعة امور هى جهد المضطر ﴾ اى تلك الامور الاربعة غاية مايتكلفه المضطر لحفظ مروءته اليسيرة الباقية ﴿ احدها ان يتجافى ضرع السائلين ﴾ اى تذللهم ومسكنتهم من ضرع اليه ضرعا بفتحتين اذا خضع وذل واستكان ﴿ و ابهة المستقلين ﴾ بفتح فسكون العظمة و المهابة والاستقلال عد الشئ قليلا اى ويتباعد عن مهابة من يستقل ماطلبه لانه وان كان حقيرا فهو غال لكونه محتاجا اليه واراقته ماء وجهه ﴿ فيذل بالضرع ويحرم بالابهة وليكن من التجمل ﴾ والاستغناء ﴿ على مايقتضيه حال مثله من ذوى الحاجات وقد قيل لبعض الحكماء متى يفحش ﴾ من الباب الخامس اى يقبح كل القبح ﴿ زوال النعم قال اذا زال معها التجمل و انشد بعض اهل الادب لعلى بن الجهم ﴾ يعتذر للمتوكل ﴿ هى النفس ماحملتها تتحمل . وللدهر ايام تجور وتعدل ﴾ هى ضمير قصة ومبتدأ اول والنفس مبتدأ ثان وخبره جملة تحمل وهى خبر المبتدأ الاول ومفسرة لها وما مفعول تحمل المقدم عليه او قوله هى راجعة الى شئ مضمر فى النفس يعنى هذه هى نفسى فكأنه قيل ماشانها فقال تحمل ماحملتها ففى قوله وللدهر التفات من الخطاب الى الغيبة لتنزيه المخاطب عن الجور او للتعريض اليه ويؤيده قوله ﴿ وعاقبة الصبر الجميل جميلة . واحسن اخلاق الرجال التفضل ﴾

تعريض الى العفو والصفح ﴿ ولا عار ان زالت عن الحر النعمة . ولكن عارا ان يزول التجمل ﴾ وهذا البيت محل الاستشهاد فالمراد بزوال التجمل زوال الصبر الجميل وقد سبق ان الفقر والهموم مما يتغير به حسن الخلق والمستفاد ان المتوكل اخذ ماله كما يؤيده قوله * وما المال الاخضرة ان تركته . وغنم اذا قدمته متعجل ﴿ والثانى ان يقتصر فى السؤال على مادعته اليه الضرورة وقادته اليه الحاجة ولا يجمل ذلك ﴾ الامر الذى سوغ له الاستسماح ﴿ ذريعة الى الاغتنام فيحرم ﴾ عما اضطر اليه ﴿ ولا يعذر فى ضرورته وقد قال بعض الحكماء من الف المسألة الفه المنع * والثالث ان يعذر ﴾ من سأله ويرفع عنه اللوم ﴿ فى المنع ويشكر على الاجابة فانه ان منع ﴾ بالبناء للمفعول ﴿ فعما لا يملك ﴾ اى فقد منع عما لا يملكه ﴿ وان اجيب فالى مالا يستحق فقد قال النمر ﴾ بفتح فسكون ﴿ بن تولب ﴾ على وزن جعفر الذهلى يكنى ابا ربيعة مقل جيد كان ابو عمرو يسميه الكيس من حسن شعره وكان يشبه بشعر حاتم الطائى مخضرمى وله صحبة كان جوادا ولما كبر سنه خرق وكان يقول صبحوا الركب اغبقوا الركب اقروا انحروا للضيف اعطوا السائل لعادته بذلك فلم يزل يهذى بهذا وامثاله حتى مات وخرقت امرأة من حى كرام وكانت تقول زوجونى قولوا لزوجى يدخل فقال عمر رضى الله عنه ما لهج به النمر بن تولب فى خرقه افخر وامرى واجمل مما لهجت به صاحبكم ثم ترحم عليه من الكامل ﴿ لا تغضبن على امرئ فى ماله . وعلى كرائم صلب مالك فاغضب ﴾ قوله فى ماله اى لاجل منع ماله وكرائم جمع كريم والصلب بضم فسكون عظم من لدن الكاهل الى العجب والقوة والحسب وربما منع المرء كرم حسبه عن الاحتراف والتجارة اما حياء او استكبارا ففى قوله وعلى كرائم تهكم واستهزاء ان كان الخطاب خاصا وان كان عاما فالمراد بالصلب القوة وكرمها تصونها عن الابتذال وتعطيلها عن الاكتساب يعنى اغضب على قوتك لانها لم تكسب مالا تصون به عرضك ومروءتك ﴿ والرابع ان يعتمد على سؤال من كان للمسألة اهلا وكان النجح عنده مأمولا فان ذوى المكنة ﴾ يعنى ارباب الغنى واليسار ﴿ كثير والمعين منهم قليل ولذلك قال النبى صلى الله عليه وسلم ﴾ على ما رواه الخطيب عن ابن عمرو بن العاص ﴿ الخير كثير ﴾ اى طرقه وانواعه كثيرة ﴿ وقليل فاعله ﴾ لاقبال الناس على دنياهم واهمالهم ما ينفعهم فى اخراهم ﴿ والمرجو للاجابة من تكاملت فيه خصالها ﴾ اى الاجابة ﴿ وهى ثلاث * احداهن كرم الطبع فان الكريم مساعد واللئيم معاند ﴾ وقد سبق فى فصل البر ﴿ وقد قيل المخذول من كانت له الى اللئام حاجة * والثانية سلامة الصدر فان العدو الب على نكبتك ﴾ اى يسر لها ويتهالك على ايقاعها ﴿ وحرب فى نائبتك ﴾ على وزن كتف كالب اى حريص وراغب فيها ﴿ وقد قيل من اوغرت صدره ﴾ اى املأته من الغيظ عليك ﴿ استدعيت شره فان رق ﴾ العدو ﴿ لك بكرم طبعه ورحمك بحسن ظفره ﴾ حيث خضعت له من غير صنع منه وذلك ما يطلبه العدو من عدوه ﴿ فاعظم بها محنة ﴾ فعل تعجب ﴿ ان يصير عدوك لك راحما ﴾ مفعول فعل التعجب ﴿ وقد قال الشاعر ﴾ من المتقارب ﴿ وحسبك من حادث بامرئ . ترى حاسديه له راحمينا ﴾ اى يرحمه حساده واعداؤه وقال آخر * لم يبق الا نفس خافت . ومقلة انسانها باهت * ومغرم توقدا حشاؤه . بالنار الا انه ساكت * رق فما فى جسمه مفصل . الا وفيه سقم ثابت * يرثى له الشامت مما به . ياويح من يرثى له الشامت ﴿ والثالثة ظهور المكنة فان من سئل ما لا يمكن فقد احال ﴾ اى اتى بالمحال

(وطلبه)

وطلبه ﴿ وكان كمستنهض المسجون ﴾ من استنهض فلانا لكذا اذا امره بالنهوض والقيام له ﴿ ومستسعف المديون ﴾ اى طلب قضاء الحاجة منه ﴿ وكان بالرد خليقا وبالحرمان حقيقا وقد قال على كرم الله وجهه من لا يعرف لا ﴾ اى العدم ﴿ حتى يقال له لا فهو احمق ﴾ فمن لا يعرف بعد ان يقال فهو مجنون ﴿ ووصى عبدالله بن الاهتم ﴾ من بنى منقر كان خطيبا ذا مقامات ووفادات ﴿ ابنه ﴾ صفوان وكان خطيبا رئيسا وكذا ابنه خالد بن صفوان ﴿ فقال يا بنى لا تطلب الحوائج من غير اهلها ولا تطلبها فى غير حينها ولا تطلب مالست له مستحقا فانك ان فعلت ذلك كنت حقيقا بالحرمان وقال الشاعر ﴾ من المتقارب ﴿ ولا تسألن امرأ حاجة . يحاول من ربها مثلها ﴾ يحاول اى يروم ويطلب بالحيلة والرب بمعنى المتكفل والمتعهد والضمير للحاجة ﴿ فيترك ما كنت حملته . ويبدأ بحاجته قبلها ﴾ اى قبل حاجتك قال خالد بن صفوان لا تسأل الحوائج ثلاثة لا تسأ لها كذوبا فيقرب بعيدا ويبعد قريبا ولا احمق فانه يريدان ينفعك فيضرك ولا رجلا له الى صاحبك حاجة فانه يصير حاجتك بطانة لحاجته ﴿ فهذا ﴾ المذكور ﴿ ما يختص بشروط المروءة فى نفسه ﴾ اتى به لبعد المعطوف عليه لقوله ﴿ واما شروط المروءة فى غيره فثلاثة الموازرة والمياسرة والافضال * اما الموازرة ﴾ اى المعاونة ﴿ فنوعان احدهما الاسعاف بالجاه والثانى الاسعاف فى النوائب * فاما الاسعاف بالجاه ﴾ من اسعف بحاجته اذا قضاها له ﴿ فقد يكون من الاعلى قدرا والانفذ امرا وهو ارخص المكارم ثمنا ﴾ لانقضاء الحاجة بسلام او مكتوب ﴿ والطف الصنائع موقعا ﴾ لما فيه من تعجيل مسرة ذوى الحقوق ﴿ وربما كان اعظم من المال نفعا ﴾ لان المال ينفد والجاه تدوم فوائده ﴿ وهو الظل الذى يلجأ اليه المضطرون ﴾ فى امر المعيشة ﴿ والحمى الذى يأوى اليه الخائفون ﴾ من نحو السارق والغاصب كما قال الجامى * زبيداد خردان امان يابد آنكس . كه كيرد وطن در جوار بزركان ﴿ فان اوطأه ﴾ اى هيأ وسهّل ذو الجاه اسعافه ﴿ اتسع بكثرة الانصار والشيع وان قبضه انقطع بنفور الغاشية والتبع ﴾ التاء للمبالغة كما فى راوية وعلامة اولان موصوفه جمع يعنى نفور من يحيطون به كهالة القمر وينتظرون امره ﴿ فهو بالبذل ينمى ويزيد وبالكف ينقص ويبيد ﴾ اى ينقطع من باد الرجل اذا ذهب وانقطع أثره كما ان العلم كذلك ﴿ فلا عذر لمن منح ﴾ بالبناء للمفعول اى اعطى ﴿ جاها ان يبخل به فيكون اسوء حالا من البخيل بماله الذى قد يعده لنوائبه ﴾ بيان للفرق بين البخلين ﴿ ويستبقيه للذته ويكنزه لذريته وبضد ذلك من بخل بجاهه لانه قد اضاعه بالشح وبدده ﴾ اى فرقه ﴿ بالبخل ﴾ وان لله غير مرعاه مرعى وغير مائه مياها ﴿ وحرم نفسه غنيمة مكنته ﴾ وهى استرقاق الاحرار ﴿ وفرصة قدرته فلم يعقبه الا ندما على فائت ﴾ عند عزله ﴿ واسفا على ضائع ومقتا يستحكم فى النفوس وذما قد ينتشر فى الناس وقد روى عن النبى صلى الله عليه وسلم ﴾ كما رواه البزار عن انس ﴿ انه قال الخلق كلهم عيال الله ﴾ اى فقراؤه وهو الذى يعولهم ﴿ واحب خلق الله تعالى اليه احسنهم صنيعا الى عياله ﴾ وفى رواية انفعهم لعياله اى بالهداية اليه تعالى وتعليم ما يصلحهم وقضاء حوائجهم ﴿ وقال بعض الحكماء اصنع الخير عند امكانه يبق لك حمده عند زواله واحسن والدولة لك يحسن ﴾ بالبناء للمفعول والجزم لوقوعه بعد الامر ﴿ لك والدولة عليك واجعل زمان رخائك عدة لزمان بلائك ﴾ اى ذخراله ﴿ وقال بعض البلغاء من علامة الاقبال اصطناع الرجال ﴾ اى ايصال الافعال الجميلة اليهم ﴿ وقال

بعض الادباء بذل الجاه ﴿ باسعاف ذوى الحاجات ﴾ احد الحباءين ﴿ بكسر الحاء العطية التى لاعوض لها ولا امتنان فيها ﴾ وقال ابن الاعرابى العرب تقول من امل شيئا هابه ﴿ وقيل لهند بنت الخس من اعظم الناس فى عينك قالت من كانت لى اليه حاجة ﴾ ومن جهل شيئا عابه ﴿ لعدم اطلاعه على موضوعه وغايته ﴾ وبذل الجاه قد يكون من كرم النفس وشكر النعمة وضده من ضده وليس بذل الجاه لالتماس الجزاء ﴿ العاجل من المدح والثناء ﴾ بذلا مشكورا وانما هو بائع جاهه ومعاوض على نعم الله تعالى وآلائه فكان بالذم احق وانشد بعض الادباء لعلى بن عباس الرومى رحمه الله ﴿ من المنسرح ﴾ لا يبذل العرف حين يبذله . كمشترى الحمد او كمقاضه * بل يفعل العرف حين يفعله . لجوهر العرف لا لاعراضه ﴿ لان طالب الشكر والثناء كان صاحب سمعة ورياء وان طالب الجزاء والثواب كان تاجرا متربحا لا يستحق حمدا ولا مدحا كما تقدم فى السخاء ﴾ وعلى من اسعد بجاهه ثلاثة حقوق يستكثر بها الشكر ويستمد بها المزيد من الاجر * احدها ان يستسهل المعونة مسرورا ولا يستثقلها كارها فيكون بنعم الله تعالى متبرما ﴿ اى ملولا من تبرم منه اذا مل ﴾ ولا حسانه متسخطا . فقد روى عن النبى صلى الله عليه وسلم انه قال من عظمت نعمة الله تعالى عليه ﴿ بان جعله نافذ امر وصاحب حكم ﴾ عظمت مؤنة الناس عليه ﴿ من مان القوم اذا احتمل مؤنتهم والمؤنة ما به يسد الرمق ﴾ فمن لم يحتمل بطيب نفس ﴾ تلك المؤنة عرض تلك النعمة للزوال ﴿ لان ذلك التحمل هو شكر الجاه والنعمة الغير المشكور بها معروضة للزوال وقال الشاعر * ليس تخلو من زكاة نعمة . وزكاة الجاه رفد المستعين ﴾ والثانى مجانبة الاستطالة ﴿ اى التفضل او التكبر على من اسعف ﴾ وترك الامتنان فانهما من لؤم الطبع وضيق الصدر وفيهما هدم الصنيع واحباط الشكر وقد قيل للحكيم اليونانى من اضيق الناس طريقا واقلهم صديقا قال من عاشر الناس بعبوس وجهه واستطال عليهم بنفسه * والثالث ان لا يقرن ﴿ من الباب الاول والثانى اى لا يجمع ﴾ بمشكور سعيه تقريعا بذنب ﴿ اى عنفا وغلظة بذنب يعفى مثله عن مثله ﴾ ولا توبيخا على هفوة فلا يفى مضض التوبيخ ﴿ اى المه ووجعه ﴾ بادراك النجح ويصير الشكر وجدا ﴿ اى غضبا ﴾ والحمد عيبا ولذلك قال النبى صلى الله عليه وسلم ﴿ على ما رواه البخارى وابو داود عن عائشة ﴾ اقيلوا ذوى الهيئات ﴿ اى اهل المروآت والخصال الحميدة الذين لم تظهر منهم ريبة ولا يعرفون بالشر وقيل ذوى الوجوه من الناس والهيئات صورة الشئ وشكله وحالته وهم ايضا من لزم حالة واحدة وسمتا حسنا ﴾ عثراتهم ﴿ اى صغائر الذنوب اى ارفعوا عنهم العقوبة على زلاتهم فلا تؤاخذوهم بها (الا الحدود) اى اذا بلغت الامام والا حقوق الآدمى فان كلا منهما يقام فالمأمور بالعفو عنه هفوة او زلة لا حد فيها ولو بلغت الامام وهى من حقوق الحق والخطاب للائمة ومن فى معناهم والاستثناء منقطع او المراد بالعثرات الذنوب مطلقا وبالحدود ما يوجبها فيكون متصلا كما فى العزيزى ﴾ وقال النابغة الجعدى * الم تعلما ان الملامة نفعها . قليل اذا ما الشئ ولى فادبرا ﴿ الخطاب للرفيقين او التثنية للتكرير يعنى لا فائدة فى اللوم بعد ما كان ما كان ﴾ واما الاسعاف فى النوائب فلان الايام غادرة والنوازل غائرة ﴿ اسم فاعل من الغارة ﴾ والحوادث عارضة ﴿ من عرض له اذا ظهر عليه وبدا ﴾ والنوائب راكضة ﴿ من ركض الفرس برجليه اذا استحثه للعدو ﴾ فلا ينذر فيها ﴿ اى لا يفوز فى الايام الغادرة

ومنه يقال فى الحرب لمن الغدر اى النجح والغلبة ﴿ الا عليم ﴾ بغدر الايام وحازم ﴿ ولا يستنقذه منها ﴾ اى لا يخلص المصاب ولا ينجيه ﴿ الا سليم ﴾ من النوازل الغائرة ﴿ وقد قال عدى بن حاتم * كفى زاجرا للمرء ايام دهره . تروح له بالواعظات وتغتدى ﴾ يعنى كفى الايام زاجرا عن التبذير والاسراف وعدم الادخار لايام المصيبة حيث تصبح الايام وتمسى بالواعظات والسعيد من اعتبر بغيره ﴿ فاذا وجد الكريم مصابا بحوادث دهره حثه الكرم وشكر النعم ﴾ اسلاءتها فى تلك الكرة ﴿ على الاسعاف فيها بما استطاع سبيلا اليه ووجد قدرة عليه . روى عن النبى صلى الله عليه وسلم انه قال خير من الخير معطيه وشر من الشر فاعله قيل لبعض الحكماء هل شئ خير من الذهب والفضة ﴾ فى قضاء الحوائج ﴿ قال معطيهما . والاسعاف فى النوائب نوعان واجب وتبرع * فاما الواجب فما اختص بثلاثة اصناف وهم الاهل والاخوان والجيران اما الاهل فلمما سة الرحم وتعاطف النسب ﴾ كما سبق فى اسباب الالفة ﴿ وقد قيل لم يسد ﴾ من ساد يسود سيادة ﴿ من احتاج اهله الى غيره وقال حسان بن ثابت ﴾ من الطويل ﴿ وان امرأ نال المنى ثم لم ينل . قريبا ولا ذا حاجة لزهيد ﴾ لم ينل من اناله اياه اذا اعطاه وقوله زهيد اى ضيق الخلق كما هو حال الحريص والشحيح ﴿ وان امرأ عادى الرجال على الغنى . ولم يسئل الله الغنى لحسود ﴾ اى عاداهم لاجل غناهم ولم يسئل اى بسبب من اسباب الغنى ﴿ واما الاخوان ﴾ اى وجوب الاسعاف لهم ﴿ فلمستحكم الود ومتأكد العهد ﴾ على المواساة والنصرة على الحق بعقد الاخوة ﴿ سئل الاحنف بن قيس عن المروءة فقال ﴾ هى ﴿ صدق اللسان ومواساة الاخوان وذكر الله تعالى فى كل مكان ﴾ ظاهرا وبالقلب ﴿ وقال بعض حكماء الفرس صفة الصديق ان يبذل لك ماله عند الحاجة ونفسه عند النكبة ويحفظك عند المغيب ﴾ عن الذكر بسوء ﴿ ورأى بعض الحكماء رجلين يصطحبان لا يفترقان فسأل عنهما فقيل هما صديقان فقال ما بال احدهما فقير والآخر غنى ﴾ وهذا علامة التملق لا الصداقة ﴿ واما الجار فلدنو داره واتصال مزاره ﴾ اسم مكان من الزيارة ﴿ قال على كرم الله وجهه ليس حسن الجوار كف الاذى ﴾ بان لا يؤذى جاره ﴿ بل الصبر على الاذى ﴾ لو آذى جاره ﴿ وقال بعض الحكماء من اجار جاره ﴾ اى انقذه وحماه من ان يظلم ﴿ اعانه الله واجاره ﴾ اى اعاذه وخفره ﴿ وقال بعض البلغاء من احسن الى جاره فقد دل على حسن نجاره ﴾ بكسر النون وضمها الاصل والحسب ﴿ وقال بعض الشعراء ﴾ من الطويل ﴿ وللجار حق فاحترز من اذاته . وما خير جار لا يزال مؤاذيا ﴾ وفى حديث عائشة عند البخارى (مازال جبريل يوصينى بالجار) مسلما كان او كافرا عابدا او فاسقا صديقا او عدوا غريبا او بلديا ضارا او نافعا قريبا او اجنبيا قريب الدار او بعيدها (حتى ظننت انه سيورثه) اى انه يأمرنى عن الله تعالى بتوريث الجار من الجار بان يجعله مشاركا فى المال مع الاقارب بسهم يعطاه وفى حديث جابر عند الطبرانى يرفعه الجيران ثلاثة جار له حق وهو المشرك له حق الجوار . وجار له حقان وهو المسلم له حق الجوار وحق الاسلام . وجار له ثلاثة حقوق جار مسلم له رحم له حق الجوار والاسلام والرحم وقال حاتم * اذا ماصنعت الزاد فالتمسى له . اكيلا فانى لست آكله وحدى * وانى لعبد الضيف مادام ثاويا . ومافى الا تلك من شيمة العبد * ومن عفته قوله * اعشو اذا ماجارتى برزت . حتى يوارى جارتى الخدر * اعشو اى اظلم المشى ﴿ فيجب فى حقوق المروءة وشروط

الكرم فى هؤلاء الثلاثة تحمل اثقالهم واسعافهم فى نوائبهم ولافسحة لذى مروءة مع ظهور المكنة ان ❁ يترك اسعافهم و ❁ يكلهم الى ❁ تحمل ❁ غيره او ❁ يسعفهم لكن ❁ يلجئهم الى سؤاله ❁ وتضرعهم اليه ❁ وليكن السائل عنهم ❁ اى عن جانب هؤلاء ❁ كرم نفسه فانهم عيال كرمه ❁ جمع عيل كجيد وجياد وهم من تكفل بهم ❁ واضياف مروءته ❁ جمع ضيف ❁ فكما انه لايحسن ان يلجئ عياله واضيافه الى الطلب والرغبة فهكذا من اعاله كرمه واضافته مروءته ❁ اى اتخذهم عيالا واضيافا لان الكرم حسن الفطنة واللؤم سوء التغافل ولا يخفى احوال هؤلاء حتى يسألوا ❁ وقال بعض الشعراء ❁ من البسيط ❁ حق على السيد المرجو نائله . والمستجار به فى العرب والعجم ❁ قوله حق خبر مقدم وقوله ان لاينيل الآتى مبتدأ والاستجارة طلب الامان والحفظ والحماية ومنه من استجار بالله اجاره اى حماه وانقذه ❁ ان لاينيل الاقاصى صوب راحته . حتى يخص به الادنى من الخدم ❁ الاقاصى جمع اقصى يقال مكان اقصى وغاية قصوى اى بعيد وبعيدة والصوب بفتح فسكون الانصباب والراحة الكف وصوب الراحة كناية عن الجود والعطية والخدم جمع خادم ثم ضرب لذلك مثلا وذيله بقوله ❁ ان الفرات اذا جاشت غواربه . روّى السواحل ثم امتد فى الامم ❁ الفرات بضم الفاء نهر الكوفة ينبع من جبال ارضروم وقوله جاشت من جاش الوادى اذا فاض وزخر والغوارب جمع غارب لانه فاعل اسمى والغارب ما بين الكتفين بمعنى الكاهل وغوارب الماء عبارة عن اعالى امواجه بتشبيه بالغوارب يعنى ان الفرات اذا فاض وكثر ماؤه روى السواحل واسقاها اولا اى اهل السواحل ثم امتد فى الامم البعيدة عن السواحل ❁ واما التبرع ففيمن عدا هؤلاء الثلاثة من البعداء الذين لايدلون ❁ من الادلاء اى لايتوسلون ولا يرتبطون ❁ بنسب ولايتعلقون بسبب ❁ من المواخاة والجوار ❁ فان تبرع بفضل الكرم وفائض المرؤة فنهض فى حوادثهم وتكفل بنوائبهم فقد زاد ❁ ذلك القيام ❁ على شروط المروءة وتجاوزها الى شروط الرئاسة وقيل لبعض الحكماء اى شئ من افعال الناس يشبه افعال الآله قال الاحسان الى الناس ❁ انتسب اليه اولا قال السعدى ❁ اديم زمين سفرهٔ عام اوست . برين خوان يغما كه دشمن كه دوست ❁ وان كف ❁ تبرعه عنهم ❁ تشاغلا بما لزم فلا لوم مالم يلجأ اليه مضطر لان القيام بالكل معوز ❁ اى مشكل ❁ والتكفل بالجميع متعذر فهذا ❁ المذكور من الاسعاف بالجاه والاسعاف فى النوائب ❁ حكم الموازرة ❁ واما المياسرة ❁ التى هى الثانية من شروط المروءة فى غيره ❁ فنوعان احدهما العفو عن الهفوات والثانى المسامحة فى الحقوق . فاما العفو عن الهفوات فلانه لامبرأ من سهو وزلل ولاسليم من نقص وخلل ومن رام سليما من هفوة والتمس بريئا من نبوة ❁ اى من عيب ❁ فقد تعدى على الدهر بشططه ❁ بفتحتين التباعد عن الحق ❁ وخادع نفسه بغلطه وكان من وجود بغيته بعيدا ❁ بكسر الباء المطلوب والحاجة ❁ وصار باقتراحه فردا وحيدا ❁ من اقترح الشئ اذا استنبطه واستخرجه من غير سماع وابدعه ❁ وقد قال الحكماء لاصديق لمن اراد صديقا لاعيب فيه وقيل لانوشروان هل من احد لاعيب فيه قال من لاموت له ❁ وهو الله الحى الباقى ❁ واذا كان الدهر لايوجده ما طلب ولاينيله ما احب وكان الوحيد فى الناس مرفوضا قصيا ❁ اى متروكا وبعيدا ❁ والمنقطع عنهم وحشيا لزمه مساعدة زمانه فى القضاء ومياسرة اخوانه فى الصفح والاغضاء روى عن

(رسول)

رسول الله صلى الله عليه وسلم ﴿ على مارواه الديلمي عن عائشة ﴿ انه قال ان الله تعالى امرني بمداراة الناس ﴾ ندا اووجوبا ويدل للوجوب قوله ﴿ كما امرني باقامة الفرائض ﴾ اى امرني بملاينتهم والرفق بهم فأتألفهم ليدخل من دخل منهم فى الدين ويتقى شر غيره قال المناوى اما المداهنة وهى بذل الدين لصلاح الدنيا فحرمة وقد امتثل المصطفى امر ربه فبلغ فى المداراة الغاية التى لا ترتقى وبالمداراة واحتمال الاذى يظهر الجوهر النفسى وقد قيل لكل شئ جوهر وجوهر الانسان العقل وجوهر العقل المداراة فما من شئ يستدل به على قوة عقل الشخص ولا وفور علمه وحلمه كالمداراة و النفس لاتزال تشمئز ممن لايحسن المداراة ويستفزه الغضب وبالمداراة تنقطع حمية النفس ويرد طيشها و وفورها ﴿ وقال بعض الادباء ثلاث خصال لاتجمع الافى كريم حسن المحضر ﴾ لايمل احد من مجالسته ولايسأم من معاشرته ﴿ واحتمال الزلة ﴾ من مصاحبه ﴿ وقلة الملال ﴾ من تراكم الاشغال المرفوعة اليه ﴿ و قال ابن الرومى ﴿ فعذرك مبسوط لذنب مقدم . وودك مقبول باهل و مرحب ﴾ قوله مبسوط اى مقبول من بسط العذر اذا قبله وقوله باهل اى بان نقول لك اهلا و مرحبا اى اتيت اهلا لا اجانب و لا حقود و صادفت سعة لااستثقال عليك فلا تتوحش من ذنب تقدم وهفوة مضت فلما اضمر القول اعطى اعرابه لهما فاهلا و مرحبا مفعول به حذف فعلهما و جوبا سماعا ﴿ ولو بلغتنى عنك اذنى اقمتها . لدى مقام الكاشح المتكذب ﴾ اى لوسمعت اذنى شتمك اياى وبلغتنى حاكية عنك فهى مع كونها ثقتى ومعتمدى اقمتها لدى مقام الكاشح اى مضمر العداوة المتكذب اى المفترى يعنى اتهم اذنى بالصمم ولا اتهمك بالشتم وهذا ابلغ ماقيل فى الصفح والاغضاء وحذف مفعول بلغت لاستهجان التصريح به ولاستبعاده اتى بلو ففيه ايجاز حذف وقصر ﴿ فلست بتقليب اللسان مصارما . خليلا اذاما القلب لم يتقلب ﴾ التقليب التحويل عن وجهه وتحويل ظهر الشئ على بطنه والمصارمة القطع البائن يعنى اذا كان الحال على هذا المنوال فلست مصارما خليلى بتحويل لسانه عن المدح الى الذم مالم يتقلب قلبه بتصديق ماتقوّله لسانه او بتحويل لسانى كتحويله مالم يشهد قلبى على تقلب قلبه ولا يشهد فالاغضاء واجب ﴿ واذا كان الاغضاء حتما والصفح كرما ترتب بحسب الهفوة ﴾ اى ترتب الصفح بحسب صغر الهفوة وكبرها وخطأها وعمدها ﴿ وتنزل بقدر الذنب ﴾ المسامح له ﴿ والهفوات نوعان صغائر و كبائر . فالصغائر مغفورة والنفوس بها معذورة لان الناس مع اطوارهم المختلفة واخلاقهم المتفاضلة لايسلمون منها فكان الوجد فيها مطرحا ﴾ الوجد مادون الغضب ﴿ والعتب مستقبحا وقد قال بعض العلماء من هجر اخاه من غير ذنب ﴾ لان الذنب المغفور عرفا وعادة كلا ذنب ﴿ كان كمن زرع زرعا ثم حصده فى غير اوانه ﴾ يعنى قبل ان يدرك او بعد ان فسد واضمحل بيقى عليه تعب زرعه ولم ينتفع به ﴿ وقال ابو العتاهية ﴾ من المتقارب ﴿ ، شر الاخلاء من لم يزل . يعاتب طورا و طورا يذم ﴾ اى يعاتب حدا من المعاشرة و يذم آخر وليس حد يرضاه ﴿ يريك النصيحة عند اللقاء . و يبريك فى السر برى القلم ﴾ من برى السهم يبرى بريا اذا نحته و يلزمه الضعف والنحافة والقلم بفتحتين القصب المعروف وعلى قول ماقطع منه واعد للكتابة وهذا هو المراد ههنا لان بريه افساد له بخلاف القصب لان بريه اصلاح له وهو من وصف خير الاخلاء ﴿ واما الكبائر فنوعان .

الاول ان يهفو بها خاطيا و يزل بها ساهيا فالحرج فيها مرفوع والعتب عليها موضوع لان هفوة الخاطى هدر ولومه هذر ﴾ هما بفتحتين اى عبث وقد قال الله تعالى حكاية عن موسى على نبينا وعليه السلام قال لا تؤاخذنى بما نسيت ﴿ وقال بعض الحكماء لاتقطع اخاك الا بعد عجز الحيلة عن استصلاحه ﴾ بان سدت ابواب التأويل بالكلية ﴿ وقال الاحنف بن قيس حق الصديق ان تحتمل له ثلاثا ظلم الغضب ﴾ اى ظلمه الصادر عند غضبه وكذا قوله ﴿ وظلم الدالة ﴾ اى الغنج ﴿ وظلم الهفوة وحكى ﴾ عبدالله ﴿ ابن عون ﴾ بن ارطبان البصرى رأى انس بن مالك ولم يثبت له منه سماع وسمع القاسم بن محمد والحسن ومحمد بن سيرين وغيرهم وروى عنه جماعة ﴿ ان غلاما هاشميا عربد ﴾ اى اظهر سوء الخلق ولم يعاشر بنديمه ﴿ على قوم ﴾ من اهل المكارم فاشتكوه بعمه ﴿ فاراد عمه ان يسئ به ﴾ ويأدبه ﴿ فقال ياعم انى قد اسأت وليس معى عقلى ﴾ لسكره ﴿ فلا تسئ بى ﴾ بالضرب ﴿ ومعك عقلك ﴾ واست بسكران قال الجامى * كر سفيهى بحكم نفس وهوا . نه بوفق خرد كند كارى * برتو نفس وهوا چو غالب نيست . جز براه خرد مرو بارى * وطريق العقل هو العفو ﴿ وقال ابو نواس ﴾ من الخفيف ﴿ لم اؤاخذك اذ جنيت لانى . واثق منك بالاخاء الصحيح * فجميل العدو غير جميل . وقبيح الصديق غير قبيح ﴾ لان ضرب الحبيب زبيب وكون جميل العدو غير جميل لاحتمال المكيدة او الترفع على من اجمله ﴿ فان اشبه خطؤه بالعمد وسهوه بالقصد تثبت ﴾ اى تأنى ﴿ ولم يلم بالتوهم فيكون ﴾ بعد تحقق الخطأ وتقرر السهو ﴿ ملوما ﴾ على تعجيله اللوم وقال الاحنف رب ملوم لاذنب له وقال الشاعر * لعل له عذرا وانت تلوم ﴿ ولذلك قيل التثبت نصف العفو وقال بعض الحكماء لايفسدك الظن على صديق اصلحك اليقين له ﴾ لان اليقين لايزول بالشك ﴿ وقال بعض شعراء هذيل ﴾ من الوافر ﴿ فبعض الامر تصلحه ببعض . فان الغث يحمله السمين ﴾ يقال ضأن غث اى مهزول فالغث والسمين متقابلان وقوله يحمله من الاجمال اى يحسنه او بالحاء من الحمل اى يرفعه ويدفع هزاله يعنى التثبت السمين يحمل التوهم الغث ﴿ ولا تعجل بظنك قبل خبر . فعند الخبر تنقطع الظنون ﴾ الخبر بضم فسكون العلم بالكنه يعنى لاتعجل لومك بظنك الباطل قبل اختباره لان بالاختبار يحصل اليقين وتنقطع الظنون الفاسدة وذيل ذلك بقوله ﴿ ترى بين الرجال العين فضلا . وفيما اضمروا الفضل المبين ﴾ العين الجاسوس يعبر عنه بالطليعة وبمقدمة الجيش فالمراد بالرجال رجال الجيش والمعسكر والفضل الاول بمعنى الزائد اى الحشو واللغو والثانى بمعنى الدرجة والمزية والاستفهام المقدر للانكار يعنى اتظن الجاسوس لغوا وفى اضمارهم امام الجيش فضل مبين ومزية ظاهرة من تأمين سلامة السرية واخبارهم مكايد العدو ونحو ذلك ومابعث الجواسيس الا للخبرة فكأن قائلا قال يغنى ابصار الرجال عن عيون الجواسيس فاجابه بقوله ﴿ كاون الماء مشتبها وليست . تخبر عن مذاقته العيون ﴾ المذاقة مصدر بمعنى اختبار طعم الشئ وههنا اسم بمعنى الطعم يعنى كما لاتخبر حس البصر عن طعم الماء اذا كان مشتبها كذلك لاتغنى عيون الرجال عن تحقيق الجواسيس وكذلك لا يكفى الظن لاتهام الصديق بل لابد من التثبت والتحقيق وهذا هو الغرض المسوق له ﴿ والثانى ان يتعمد ما اجترم من كبائره ويقصد ما اجترح من سيئاته ولا يخلو فيما اتاه من اربع

احوال * فالحال الاولى ان يكون موتورا ﴾ من وتره اذا ادركه بمكروه ﴿ قد قابل على وترته
وكافأ على مسائته ﴾ لاخذ الثأر والانتقام ﴿ فالملامة على من وتره عائدة والى البادى
بها راجعة لان ﴾ البادى اظلم و ﴿ المكافئ اعذر وان كان الصفح اجمل ولذلك ﴾ العذر
﴿ قال النبي صلى الله عليه وسلم ﴾ كما رواه البيهقي عن ابى هريرة ﴿ اياكم ومشارة الناس ﴾
بتشديد الراء مفاعلة من الشر اى لا تفعلوا بهم شرا يحوجهم الى ان يفعلوا بكم مثله ﴿ فانها
تدفن الغرة ﴾ بغين معجمة وراء مشددة اى الصفات والاعمال الصالحة المشبهة بغرة الفرس
اى البياض فى جبهته ﴿ وتظهر العرة ﴾ بعين مهملة مضمومة وراء مشددة هى القذر استعير
للعيب والدنس اى كل عيب مدفون شبيه بالعرة يظهره الشر كذا فى الجامع الصغير ﴿ وقال
بعض الحكماء من فعل ماشاء ﴾ عند قدرته ﴿ لقى مالم يشأ ﴾ عند قدر الغير عليه ﴿ وقال
بعض الادباء من نالته اساءتك همه ﴾ وعزمه ﴿ مساءتك وقال بعض البلغاء من اولع بقبيح المعاملة
اوجع بقبيح المقابلة ﴾ اى من صار ذا ولع وحرص صار ذا وجع او بالبناء للمفعول فيهما ﴿ وقال
صالح بن عبد القدوس ﴾ شر الاخلاء من كانت مودته . مع الزمان اذا ماخاف اورغبا ﴿ اذا وترت
امرأ فاحذر عداوته . من يزرع الشوك لايحصد به عنبا * ان العدو وان ابدى مسالمة . اذا رأى منك
يوما فرصة وثبا ﴾ عليك وهجم ﴿ والاغضاء عن هذا اوجب ﴾ لاحراز كمال المروءة كما قال الله
تعالى فمن عفا واصلح فاجره على الله ﴿ وان لم تكن المكافأة ذنبا لانه قد رأى عقبى اساءته ﴾
بمكافأتك وجزاء سيئة سيئة مثلها ﴿ فان ﴾ لم يكتف البادى باساءته السابقة و ﴿ واصل
الشر ﴾ اللاحق بالسابق ﴿ واصلته المكافأة ﴾ على اللاحق ايضا ﴿ وقد قيل باعتزالك الشر
يعتزلك ﴾ الشر ولم يعتزل حتى لم تعتزل ﴿ وبحسن النصفة ﴾ بفتحات اسم من انصفه اى عامله بالعدل
والقسط ﴿ يكون المواصلون ﴾ ولم ينصف ﴿ وقال بعض الحكماء من كنت سببا لبلائه وجب عليك
التلطف له فى علاجه من دائه ﴾ ليلتئم جرحه ﴿ وقد قال اوس بن حجر * اذا كنت لم تعرض
عن الجهل والخنا . اصبت حليما اواصابك جاهل ﴾ من اصاب الدهر بنفوسهم واموالهم اى
فجعهم يعنى لاتخلو من ايذاء حليم يغضى عنك اوالتأذى بجاهل يكافئك كما صرحه فى قوله *
فاصبحت اما نال عرضك جاهل . سفيها واما نلت مالا تحاول * اى لا ترومه من ايذاء الحليم
﴿ والحالة الثانية ان يكون ﴾ من تعمد الكبائر ﴿ عدوا قد استحكمت شحناؤه ﴾ على وزن
صحراء اى عداوته وخصومته ﴿ واستوعرت ﴾ الوعر ضد السهل ﴿ سراؤه واستخشنت
ضراؤه ﴾ والسين للصيرورة فى الكل اى صارت ضراؤه خشنة وهو ضد اللين والسراء
والضراء متقابلان اى المسرة والبؤس ﴿ فهو يتربص بدوائر السوء انتهاز فرصه ﴾ اى
اغتنامها والسوء نقيض الخير ﴿ ويتجرع ﴾ عند عدم مايستعينه ﴿ بمهانة العجز مرارة غصصه
فاذا ظفر بنائبة ساعدها ﴾ واعانها قولا وفعلا ﴿ واذا شاهد ﴾ وصول ﴿ نعمة ﴾ له منعها
﴿ عاندها فالبعد منه حذرا ﴾ من شره ﴿ اسلم والكف عنه ﴾ اى عن عداوته ﴿ متاركة
اغنم فانه لايسلم من عواقب شره ولايفلت من غوائل مكره ﴾ اى لايخلص عنها ﴿ وقد قالت
الحكماء لاتعرضن لعدوك فى دولته ﴾ التعرض التصدى بشئ او التعوج له ﴿ فاذا زالت ﴾
دولته ﴿ كفيت شره ﴾ بمقابلته بالشر او المعنى اذا زالت عداوته منعت شره ﴿ وقال لقمان
لابنه يابنى كذب من قال ان الشر بالشر يطفأ فان كان ﴾ من يزعم ذلك ﴿ صادقا فليوقد

نارين ولينظر هل تطفئ احداها الاخرى وانما يطفئ الخير الشر كما يطفئ الماء النار . وقال
جعفر بن محمد كفاك من الله نصرا ان ترى عدوك يعصى الله فيك ﴾ بحسدك وتربص الدوائر
عليك ﴿ وقال بعض الحكماء بالسيرة العادلة يقهر المعادى ﴾ لماسبق ان الحسد اعدل الاخلاق
الذميمة لقتله الحاسد ﴿ وقال البحترى * واقسم لا اجزيك بالشر مثله . كفى بالذى جازيتنى
لك جازيا ﴾ يعنى ان استحييت قوله مثله حال من الشر اوصفة له اى مثل مافعلته يعنى لاافعل
شرا اصلا لامثل مافعلت ولا اعظم منه ويكفيك انك شرير او احذق بالشر ﴿ والحال الثالثة
ان يكون ﴾ متعمد الكبائر ﴿ لئيم الطبع خبيث الاصل قداضراه لؤم الطبع على سوء الاعتقاد
و بعثه خبث الاصل على اتيان الفساد فهو لايستقبح الشر ولايكف عن المكروه فهذه الحالة
اطم ﴾ اى اشد طامة وداهية من طم الشئ اذا كثر حتى علا وغلب ﴿ لان الاضرار بها اعم
ولا سلامة من مثله الا بالبعد والانقباض ولاخلاص منه الا بالصفح والاعراض فانه كالسبع
الضارى فى سوارح الغنم ﴾ جمع سارحة من سرح المال اذا رعى بنفسه ﴿ وكالنار المتأججة
فى يابس الحطب ﴾ اى الملتهبة فيه ﴿ لايقربها الاتالف ولا يدنو منها الاهالك روى مكحول
عن ابى امامة ﴾ الباهلى ﴿ رضى الله عنه عن النبى صلى الله عليه وسلم انه قال الناس كشجرة
ذات جنى ﴾ اى ذات ثمرة ﴿ ويوشك ان يعود ﴾ ويصير كشجرة غير مثمرة ﴿ وكشجرة
ذات شوك ان ناقدتهم ناقدوك ﴾ المناقدة التدقيق والاستقصاء فى المحاسبة يقال ناقده اذا ناقشه
﴿ وان هربت منهم طلبوك وان تركتهم لم يتركوك قيل يارسول الله وكيف المخرج ﴾ عن شرورهم
﴿ قال اقرضهم من عرضك ﴾ اى اقطع لهم بالصبر على اذاهم بحوسب وقذف ﴿ ليوم فاقتك ﴾
اليهم لتكف بهم سائر السفهاء وفى حديث زبير بن عدى عند البخارى قال اتينا انس بن مالك
فشكونا اليه مانلقى من الحجاج فقال اصبروا فانه لايأتى زمان الا والذى بعده شر منه حتى
تلقوا ربكم سمعته من نبيكم صلى الله عليه وسلم قال العينى كان عمر رضى الله عنه فمن بعده اذا
اخذوا العاصى اقاموه للناس و نزعوا عمامته فلما كان زياد ضرب فى الجنايات بالسياط ثم زاد
مصعب بن الزبير حلق اللحية فلما كان بشر بن مروان سمر كف الجانى بمسمار فلما قدم
الحجاج قال هذا كله لعب فقتل بالسيف ﴿ وقال عبدالله بن العباس العاقل الكريم صديق
كل احد الا من ضره والجاهل اللئيم عدو كل احد الا من نفعه ﴾ فيحسن اليه ويكفى شره
﴿ وقال شر ما فى الكريم ان يمنعك خيره وخير ما فى اللئيم ان يكف عنك شره وقال بعض البلغاء
اعداؤك داؤك وفى البعد عنهم شفاؤك ﴾ ولابن النقيب * اذا صرصر البازى فلاديك صارخ .
ولافاخت فى ايكة يترنم * وما الموت الا الطيب طعمه اذا . تدابك فروخ وزب خصرم ﴿ وقال
بعض البلغاء شرف الكريم تغافله عن اللئيم ووصى بعض الحكماء ابنه فقال يابنى اذا سلم الناس
منك ﴾ اى من شرك ﴿ فلا عليك ﴾ خبر مقدم ﴿ ان لا تسلم منهم ﴾ اى من شر الناس اولا
بأس عليك ﴿ فأنه قلما اجتمعت هاتان النعمتان وقال عبدالمسيح بن نفيلة ﴾ من المبسط
﴿ الخير والشر مقرونان فى قرن . فالخير مستتبع والشر محذور ﴾ القرن بفتحتين الجعبة التى
توضع فيها السهام ﴿ والحال الرابعة ان يكون ﴾ من متعمد الكبائر ﴿ صديقا . استحدث
نبوة وتغيرا اوخاقد استجد جفوة وتنكرا فابدى صفحة عقوقه واطرح لازم حقوقه وعدل
عن بر الاخاء الى جفوة الاعداء فهذا ﴾ العقوق ﴿ قد يعرض فى المودات المستقيمة كاتعرض

الامراض في الاجسام السليمة فأن عولجت اقلعت ﴾ الامراض ﴿ وان اهملت استقمت ثم اتلفت ولذلك قالت الحكماء دواء المودة كثرة التعاهد وقال كشاجم ﴾ من الوافر ﴿ اقل ذا الود عثرته وقفه . على سنن الطريق المستقيمه ﴾ قوله اقل امر من الاقالة وهو عفو الجرم والخطأ وقوله قف امر من وقفته وقفا اى فعلت به ما وقف يعني اوقفه وادمه على سنن الطريق المستقيمة والسنن بحركات السين اى نهجه وجهته ﴿ ولا تسرع بمعتبة اليه . فقد يهفو ونيته سليمة ﴾ المعتبة العتاب واللوم ﴿ ومن الناس من يرى ان متاركة الاخوان اذا نفروا اصلح واطراحهم اذا فسدوا اولى كاعضاء الجسد اذا فسدت كان قطعها اسلم فان شح بها سرت ﴾ فسادها ﴿ الى نفسه ﴾ فيهلك ﴿ وكالثوب اذا خلق كان اطراحه بالجديد بدله اجمل وقد قال بعض الحكماء رغبتك فيمن يزهد فيك ذل نفس وزهدك فيمن يرغب فيك صغر همة وقد قال بزرجمهر من تغير عليك في مودته فدعه حيث كان قبل معرفته وقال نصر بن احمد ﴾ البصري ﴿ الخبز ارزي ﴾ كانت صنعة خبز خبز الارز فعرف به وكان اديبا اميا وشاعرا سليقيا وكان ابن لنكك على ارتفاع قدره ينتاب دكانه فحضره يوما وعليه ثياب بيض فاخرة فتأذى بالدكان من الدخان وسوء اثره على ثيابه فانصرف وكتب اليه * لنصر في فؤادي فرط حب . ينيف به على كل الصحاب * اتيناه فبخرنا بخوزا . من السعف المدخن بالتهاب * فقمت مبادرا وحسبت نصرا . يريد بذاك طردي او ذهابي * وقال متى اراك اباحسين . فقلت له اذا اتسخت ثيابي * فلما قرئت الابيات عليه املى على من قرأها وكتب على ظهرها * منحت اباالحسين صميم ودي . فخاطبني بالفاظ عذاب * اتى وثيابه كبياض شيب . فعدن له كغربان الشباب * وبغضي للمشيب اعد عندي . سوادا لونه لون الخضاب * فان يكن المعطر فيه فخرا . فلم يكن الوصي اباتراب * جمع ابن لنكك اشعاره ورتب ديوانه من الكامل ﴿ صل من دنى وتناس من بعدا . لاتكرهن على الهوى احدا * قد اكثرت حواء اذ ولدت . فاذا جفا ولد فخذ ولدا ﴾ اراد بحواء ام البشر زوجة آدم عليهما السلام ﴿ فهذا ﴾ الرأى ﴿ مذهب من قل وفاؤه وضعف اخاؤه وساءت طرائقه وضاقت خلائقه ولم يكن فيه فضل الاحتمال ولاصبر على الادلال فقابل على الجفوة وعاقب على الهفوة واطرح سالف الحقوق وقابل العقوق بالعقوق فلا بالفضل اخذ ﴾ وهو الصبر والاحتمال ﴿ ولا الى العفو اخلد ﴾ اى ولاركن الى العفو مخلدا اخاءه اولا اخلد اخوته مائلا الى العفو والصفح فقوله الى متعلق باخلد بتضمين معنى الميل والركون كما فى قوله تعالى ولكنه اخلد الى الارض اى ركن اليها ظانا انه يخلد فيها ﴿ وقد علم ﴾ ذلك المتارك ﴿ ان نفسه قد تطغى عليه ﴾ يقال طغى الرجل اذا اسرف فى المعاصي والظلم ﴿ فترديه ﴾ من الارداء اى تهلكه بايقاعه فى المعاصي ﴿ وان جسمه قد يسقم عليه فيولمه ويوذيه وهما ﴾ اى النفس والجسم ﴿ اخص به واحنى عليه ﴾ اى اشفق وارحم ﴿ من صديق قد تميز بذاته وانفصل بادواته ﴾ اى بحواسه ومنافعها ﴿ فيريد من غيره لنفسه مالايجده من نفسه لنفسه هذا عين المحال ومحض الجهل ﴾ لان طلب المحال مع علم سفه وبلا علم جهل ﴿ مع ان من لم يحتمل بقى فردا وانقلاب الصديق فصار عدوا وعداوة من كان صديقا اعظم من عداوة من لم يزل عدوا ﴾ لافساده بعض سائر الاصدقاء ولا طلاعه على الاسرار ﴿ ولذلك قال النبي صلى الله عليه وسلم

اوصاني ربي بسبع ﴿ من الخصال ﴾ الاخلاص في السر والعلانية وان اعفو عمن ظلمني واعطي من حرمني واصل من قطعني و ان يكون صمتي فكرا ونطقي ذكرا ونظري عبرة وقال لقمان لابنه يابني لاتترك صديقك الاول فلا يطمئن اليك الثاني يابني اتخذ الف صديق والالف قليل ولا تتخذ عدوا واحدا والواحد كثير ﴿ باعوانه واصدقائه ﴾ وقيل للمهلب بن ابي صفرة ما تقول في العفو والعقوبة قال هما بمنزلة الجود والبخل فتمسك بايهما شئت وانشد ثعلب ﴿ وقد سبق في المواخاة ﴾ اذا انت لم تستقبل الامر لم تجد . بكفيك في ادباره متعلقا * اذا انت لم تترك اخاك وزلة . اذا زلها او شكتما ان تفرقا ﴿ يعني اذا لم تتخذا اخوانا قبل احتياجك اليهم لاتجد عند افتقارك اليهم واذا لم تبق اخاك مع زلة زلها قرب اخوتكما الى التفرق والتباين ﴾ فاذا كان الامر على ما وصفت فمن حقوق الصفح الكشف عن سبب الهفوة ليعرف الداء فيعالجه فان من لم يعرف الداء لم يقف على الدواء ﴿ لان لكل داء دواء يلائمه ولا يلائم غيره ﴾ كما قال المتنبي ﴿ في قصيدة من الوافر يمدح بها علي بن ابراهيم التنوخي * فلا تغررك السنة موال . تقلبهن افئدة اعادي * وكن كالموت لايرثي لباك . بكى منه ويروي وهو صادي ﴾ فان الجرح ينفر بعد حين . اذا كان البناء على فساد ﴿ يقال نفر الجرح ينكس اذا ورم بعد البرء يعني اذا نبت اللحم على ظاهره وله غور فاسد والمعنى انهم يخفون العداوة في انفسهم الى ان تمكنهم الفرصة اخذه من قول البحتري * اذا ما الجرح دام على فساد . تبين فيه تفريط الطبيب * وبعد البيت * وان الماء يجري من جماد . وان النار تخرج من زناد ﴾ واذا كان ذلك كذلك فلا يخلو حال السبب من ان يكون لمال او زلل فان كان لمال فودات الملوك ظل الغمام وحلم النيام ﴿ في سرعة الزوال ﴾ وقد قيل في منثور الحكم لاتأمنن الملول وان تحلى بالصلة ﴿ والجود ﴾ وعلاجه ان يترك على ملله ﴿ بلالوم عليه ﴾ فيمل الجفاء كما مل الاخاء وان كان ﴿ تعمده الكبائر ﴾ لزلل لوحظت اسبابه فان كان لها مدخل في التأويل وشبهة تؤل الى جميل ﴿ والشبهة عبارة عن اعتذار ضعيف لاتورث الا شبهة ﴾ حمله على اجمل تأويله وصرفه الى احسن جهته كالذي حكي عن خالد بن صفوان انه مر به صديقان له فعرج عليه احدهما ﴿ من التعريج في مقدمة الادب عرج عليه ايستاد بر وي يعني لم يوسع له طريقه بالتباعد عن قدامه ﴾ وطواه ﴿ الصديق ﴾ الآخر ﴿ تشحه اي اعرض عنه كليا كالاجانب ﴾ فقيل له في ذلك فقال ﴿ خالد مؤولا اسائتهما ﴾ نعم عرج علينا هذا بفضله وطوانا ذلك بثقته بنا ﴿ واذا استحكمت المودة ارتفعت الكلفة ﴾ وانشد بعض اهل الادب لمحمد بن داود الاصفهاني ﴿ من الطويل ﴾ ونزعم للواشين اني فاسد . عليك واني لست فيما عهدتني ﴿ من الصداقة ورعاية الحقوق ﴾ ومافسدت لي يعلم الله نية . عليك ولكن خنتني فاتهمتني ﴿ يعني اتهامك اياي من خيانتك لا من فساد نيتي والله شاهد على ذلك ﴾ غدرت بعهدي عامدا واخفتني . فخفت ولو آمنتني لامنتني ﴿ اي وجدتني امينا وقال محمد سليم لابن السماك بلغني عنك شيء كرهته فقال اذا لاابالي قال لم قال لانه ان كان حقا غفرته وان كان باطلا لم تقبله وقال آخر * وهبني مسيئا كالذي قلت ظالما . فعفوا جميلا كي يكون لك الفضل * فان لم اكن للعفو عندك للذي . اتيت به اهلا فانت له اهل ﴾ وان لم يكن لزلته في التأويل مدخل نظر حاله بعد زلله فان ظهر ندمه وبان خجله فالندم توبة والخجل

(انابه)

انابة ولا ذنب لتائب ولالوم على منيب ولا يكلف عذر اعما سلف فيلجأ الى ذل التحريف او خجل التعنيف ولذلك قال النبي صلى الله عليه وسلم اياكم والمعاذرفان اكثرها مفاجر ﴿ اى احذروا قولا او فعلا ما يحوجكم الى الاعتذار فان اكثره زور وكذب ﴾ وقال على رضى الله عنه كفى بما يعتذر منه تهمة وقال مسلم بن قتيبة لرجل اعتذر اليه لايدعونك امر قد تخلصت منه ﴾ بالاعتذار ﴿ الى الدخول فى امر لعلك لاتخلص منه ﴾ ومما قيل فى ترك الاعتذار * اذا كان وجه العذر ليس بين . فان اطراح العذر خير من العذر ﴿ وقال بعض الحكماء شفيع المذنب اقراره وتوبته اعتذاره وقال بعض البلغاء من لم يقبل التوبة عظمت خطيئته ومن لم يحسن الى التائب قبحت اساءته ﴾ كما قيل * اذا اعتذر الجانى محا العذر ذنبه . وكل امرئ لايقبل العذر مذنب ﴿ وقال بعض الحكماء الكريم اوسع المغفرة اذا ضاقت بالمذنب المعذرة وقال بعض الشعراء ﴾ من البسيط ﴿ العذر يلحقه التحريف والكذب . وليس فى غير مايرضيك لى ارب ﴾ اى حاجة ﴿ وقد اسأت فبالنعمى التى سلفت . الا منت بعفو ماله سبب ﴾ قوله وقد اسأت اقرار بالاعتراف بالاساءة والباء للقسم وجوابه محذوف يعنى فبحق نعمتك السالفة لاابرح عن مكانى اولا اتركك الاحين منك بعفو ماله سبب من الاسباب سوى كرمك الواسع ونعمتك السابقة وقال الحسن بن وهب * ما احسن العفو من القادر . لا سيما عن غير ذى ناصر * ان كان لى ذنب ولا ذنب لى . فماله غيرك من غافر * اعوذ بالود الذى بيننا . ان يفسد الاول بالآخر ﴿ وان يحل العذر قبل توبته وقدم التنصل قبل انابته ﴾ من تنصل الى فلان من الجناية اذا خرج وتبرأ تعدى بالى لتضمينه معنى الاعتذار ﴿ فالعذر توبة والتنصل انابة فلا يكشف عن باطن عذره ﴾ بانه صادق او كاذب ﴿ ولايعنف بظاهر غدره فيكون لئيم الظفر ﴾ على تقدير وضوح كذبه فى المعذرة ﴿ سئ المكافاة ﴾ على تنصله ﴿ وقد قيل من غلبته الحدة فلا تغترر بمودته ﴾ لان الحدة والغضب يغلبان العقل ويستزانه ومن لا عقل له لايميز الصديق من العدو ﴿ وقال بعض الحكماء شافع المذنب خضوعه الى عذره وقال بعض الشعراء * اقبل معاذير من يأتيك معتذرا . ان بر عندك فيما قال او فجرا ﴾ قوله اقبل امر من القبول ومعاذير جمع معذرة وان شرطية والجزاء محذوف لدلالة اقبل عليه على ماهو رأى البصريين او اقبل مقدما عليه على ماهو رأى الكوفين و او للتخيير والتسوية يعنى اقبل عذر المعتذر سواء كان صادقا فيما قاله من الاعتذار او كاذبا وسبب القبول قوله ﴿ فقد اطاعك من يرضيك ظاهره . وقد اجلك من يعصيك مستترا ﴾ قوله اجلك اى اعتقدك جليلا حيث لم يجسر على اعلان عصيانه ليمكن له الانكار عند الحاجة وفى الشفاء وكان رسول الله ابعد الناس غضبا واسرعهم رضى صلى الله عليه وسلم انتهى وفيه اسوة ﴿ وان ترك ﴾ المتعمد بالكبائر ﴿ نفسه فى زلله ولم يتداركه بعذره وتنصله ولا محاه بتوبته وانابته راعيت حاله فى المتاركة فستجده لاينفك فيها من امور ثلاثة * احدها ان يكون قد كف عن سئ عمله واقلع عن سالف زلله ﴾ اى انقطع عنها ﴿ فالكف احدى التوبتين والاقلاع احد العذرين فكن انت المعتذر عنه بصفحك والمتنصل له بفضلك فقد قال عمر بن الخطاب رضى الله عنه المحسن على المسئ امير ﴾ عليه او مطلقا فى السيادة كما يقال القنوع ملك بلا جنود ﴿ والثانى ان يكون ﴾ المرتكب الذى لم يتب ﴿ قد وقف على ما اسلف من زلله غير تارك ﴾ اياها لاعتيادها ﴿ ولا متجاوز ﴾ الى ماهو اعظم منه

﴿ فوقوف المرض احد البرئين ﴾ ان لم يكن دوام ذلك المقدار مهلكا ﴿ وكفه عن الزيادة احدى الحسنيين ﴾ تثنية حسنى مؤنث احسن ﴿ وقد استبقى بالوقوف ﴾ والكف ﴿ عن التجاوز احد شطريه ﴾ اى طلب بقاء احد شطرى الاخاء حيث لم تجاوز عقوقه المعتاد ﴿ فعوّل به ﴾ اى استعن بالوقوف ﴿ على صلاح شطره الآخر ﴾ الفاسد ﴿ واياك وارجاءه ﴾ اى احذر عن تأخير اصلاحه واعادة موالاته ﴿ فان الارجاء يفسد شطر صلاحه والتلافى ﴾ بملاقاته بالبشر ﴿ يصلح شطر فساده فان من سقم ﴾ شئ ﴿ من جسمه مالم يعالجه سرى السقم الى صحته وان عالجه ﴾ بلا تأخير ﴿ سرت الصحة الى سقمه ﴾ وهذا اكمل البرئين والسلامة من عداوة صديق هى اعظم الحسنيين ﴿ والثالث ان تجاوز ﴾ متعمد الكبائر ﴿ مع الاوقات فيزيد فيه ﴾ اى فيما ارتكبه ﴿ على مرور الايام ﴾ كازدياد سموم الافاعى والهوام ﴿ فهذا هو الداء العضال ﴾ على وزن الغراب المرض المشكل الذى يعجز الاطباء ويغلب عليهم ﴿ فان امكن استدراكه وتأتى استصلاحه رذلك ﴾ الاستصلاح ﴿ باستنزاله عنه ﴾ اى بتنزله واستعطافه عن المرتكب ﴿ ان علا ﴾ نسبا او دينا او جاها ومالا او سنا ﴿ وبارغابه ﴾ الى معاونته فيما يأمل ﴿ ان دنا ﴾ المرتكب ﴿ وبعتابه ان ساوى والا ﴾ اى وان لم ينفع شئ منها واعجز الراقى كما اعيى الطبيب ﴿ فآخر الداء العياء ﴾ على وزن سحاب الداء الذى لا يبرء منه ﴿ الكىّ ﴾ من كواه يكويه اذا احرق جلده بحديدة وهو مثل يضرب فى اعمال المخاشنة مع العدو اذا لم يجد معه اللين والمداراة ﴿ ومن بلغت به الاعذار الى غايتها فلا لائمة عليه ﴾ لمكافاته بالشر ﴿ والمقيم على شقاقه باغ مصروع ﴾ اى ظالم وعادل عن الحق حقيق بان يطرح على الارض فمصروع فى معنى الاستقبال ﴿ وقد قيل من سل سيف البغى اغمده فى رأسه فهذا ﴾ العفو عن الهفوات ﴿ شرط ﴾ من شروط المرؤة كما ان المذكور من نوعى المياسرة اصل من اصولها ﴿ واما المسامحة فى الحقوق ﴾ وهو الثانى من نوعى المياسرة الثانى من شروط المروءة فى غيره ﴿ فلان الاستيفاء ﴾ اى استيفاء جميع حقوقه من غير مساهلة ﴿ موحش ﴾ والاستقصاء منفر ومن اراد كل حقه من النفوس المستصعبة بشح اوطمع ﴾ اى بسبب شحهم او طمعهم او الباء متعلق باراد اى شح ذلك المريد ﴿ لم يصل اليه الا بالمنافرة ﴾ اى بالمراجعة الى حاكم الحقوق واصل المنافرة المراجعة الى حاكم رضى به المتخاصمان ليحكم بينهما فى الحسب والشرف ﴿ والمشاقة ﴾ كالمخالفة وزنا ومعنى ﴿ ولم يقدر عليه الا بالمخاشنة ﴾ اى باظهار الخشونة والغلظة ضد الملاينة ﴿ والمشاحة ﴾ اى بالشح والضنة ﴿ لما استقر فى الطباع ﴾ متعلق بقوله موحش منفر ﴿ من مقت من شاقها ونافرها وبغض من شاحها ونازعها كما استقر ﴾ فى الطباع ﴿ حب من ياسرها وسامحها فكان اليق لامور المروءة استلطاف النفوس بالمياسرة والمسامحة وتألفها بالمقاربة والمساهلة ﴾ بعفو بعض حقوقه اوبامهاله الى يساره ﴿ قال بعض الحكماء من عاشر اخوانه بالمسامحة دامت له مودتهم وقال بعض الادباء اذا اخذت عفو القلوب ﴾ اى ما اعطاك اهل القلوب بطيب نفس ﴿ زكا ريعك ﴾ اى نماؤك وكثر ربحك ﴿ وان استقصيت اكديت ﴾ يقال سأله فاكدى اى وجده مثل الكدية وهى الارض الصلبة المتحجرة ﴿ والمسامحة نوعان فى عقود وحقوق ﴾ فاما العقود فهو ان يكون فيها سهل المناجزة ﴾ اى المساومة ﴿ قليل المحاجزة ﴾ اى الممانعة ﴿ مأمون الغيبة ﴾ بان يكون ﴿ بعيدا من المكر والخديعة روى عن النبى صلى الله عليه وسلم ﴾ على مارواه ابن

ماجة وغيره عن ابى حميد الساعدى ﴿ انه قال اجملوا فى طلب الدنيا ﴾ قال العلقمى بقطع الهمزة اى اطلبوا الرزق طلبا جميلا بان تحسنوا السعى بلا كد و تكالب اى ترافع ﴿ فان كلا ﴾ من الخلق ﴿ ميسر ﴾ اى مهيأ مصروف مسهل ﴿ لما كتب ﴾ اى قدر ﴿ له منها ﴾ يعنى الرزق المقدر له سيأتيه فلا فائدة لاجهاد النفس ﴿ وقال صلى الله عليه وسلم الا ادلكم على شئ يحبه الله تعالى ورسوله قالوا بلى يارسول الله قال التغابن للضعيف ﴾ يعنى ان يكون مغبونا له فهو مطاوع غبنه او للتشارك من حيث ان الضعيف غبنه فى البيع وان القوى غبنه فى اخفاء صدقته فى صورة المشترى فالصورة مبايعة والحقيقة صدقة ﴿ وحكى ﴾ عبدالله ﴿ ابن عون ان عمر بن عبيدالله اشترى للحسن البصرى ازارا بستة دراهم ونصف فاعطى التاجر سبعة دراهم فقال ﴾ التاجر ﴿ ثمنه ستة دراهم ونصف فقال ﴾ ابن عبيدالله ﴿ انى اشتريته لرجل لايقاسم اخاه درهما ﴾ بل يعطيه بتمامه ﴿ ومن الناس من يرى ان المساهلة فى العقود عجز ﴾ وسفه من قلة الاذعان بقيم الاشياء ﴿ وان الاستقصاء فيها حزم حتى انه ﴾ اى الحازم ﴿ لينافس فى الحقير ﴾ ويضن به ﴿ وان جاد بالجليل الكثير ﴾ فى محل الجود ﴿ كالذى حكى عن عبدالله بن جعفر وقد ماكس فى درهم ﴾ باثما والمماكسة الحرص والضنة فى البيع والشراء يقال ماكسه فيه اذا شاحه ﴿ وهو يجود بما يجود به فقيل له فى ذلك فقال ذلك مالى اجود به ﴾ وان الواهب يعطى فضله ولا استكثر شيئا اعطيه لله ﴿ وهذا ﴾ المماكسة ﴿ عقلى بخلت به ﴾ لان المغبون يغبن عقله وقوله بما يجود الموصول للتفخيم حكى انه صادفه مجتد وهو يجهز لبعض اسفاره على راحلة فقال له يا ابن عم رسول الله صلى الله عليه وسلم انا ابن سبيل منقطع اريد رفدك لاستعين به وكان قد وضع رجله على ظهر الدابة فاخرج رجله وقال خذها بما عليها فاذا عليها مطارف خز والفا دينار ﴿ وهذا ﴾ اى كون الاستقصاء حزما ﴿ انما يسوغ ﴾ اى يجوز ويسهل تأويله ﴿ من اهل المروءة فى دفع ما يخادعهم به الادنياء ﴾ جمع دنى ﴿ ويغابنهم به الاشحاء وهكذا كانت حال عبدالله بن جعفر واما مماسكة الاسترزال والاستسماح فكلا ﴾ الرزل بضمتين الفضل والعطاء اى طلب الفضل والسماحة فلايقع اصلا ﴿ لانه مناف للكرم ومباين للمروءة ﴾ لانه نوع من السؤال لاسيما اذا كان مع رغبة وخضوع ﴿ واما الحقوق فتتنوع المسامحة فيها نوعين احدهما فى الاحوال والثانى فى الاموال * فاما المسامحة فى الاحوال فهى اطراح المنازعة ﴾ اى تركها وابعادها ﴿ فى الرتب وترك المنافسة فى التقدم ﴾ بين الاتراب والاقران ﴿ فان مشاحة النفوس فيها اعظم والعناد عليها اكثر فان سامح فيها لم ينافس كان مع اخذه بافضل الاخلاق ﴾ وهو التواضع ﴿ واستعماله لاحسن الآداب اوقع فى النفوس من افضاله برغائب الاموال ﴾ جمع رغيبة اى بنفائسها التى يرغب اليها ﴿ ثم هو ازيد فى رتبته وابلغ فى تقدمه ﴾ قال السعدى * تواضع زكردن فرازان نكوست . كدا كر تواضع كند خوى اوست ﴿ وان شاح فيها ونازع كان مع ارتكابه لاخشن الاخلاق ﴾ وهو التطاول ﴿ واستعماله لاهجن الآداب ﴾ اى اكثرها قبحا ﴿ انكى فى النفوس من حد السيف وطعن السنان ﴾ اى اشد جرحا منها عند النفوس ﴿ ثم هو اخفض للمرتبة وامنع من التقدم حكى ان فتى من بنى هاشم تخطى رقاب الناس عند ابن ابى داود ﴾ سليمان ابن اشعث السجستانى صاحب السنن توطن بالبصرة وتوفى فيها سنة خمس وثمانين ومأتين رحمه الله ﴿ فقال يا بنى ان الآداب ميراث الاشراف ولست ارى عندك من سلفك ارثا ﴾ وفى معناه ماقيل * لئن فخرت

بآباء ذوى شرف . لقد صدقت ولكن بئس ما ولدوا ﴿ واما المسامحة فى الاموال فتتنوع ثلاثة انواع مسامحة اسقاط لعدم ﴾ وفقر تبين عجزه عن الاداء كلا اوبعضا ﴿ ومسامحة تخفيف لعجز ﴾ المديون عن اداء جميع الدين ﴿ ومسامحة انكار لعسرة ﴾ معيشة المديون ولايقبل صدقة ولايرضى بالتخفيف ﴿ وهى مع اختلاف اسبابها افضل مأثور وتألف مشكور ﴾ لما فى حديث جابر عند البخارى مرفوعا (رحم الله رجلا سمحا اذا باع واذا اشترى واذا اقتضى) اى طلب قضاء حقه بالسهولة وفى رواية (واذا قضى) اى اعطى الذى عليه بسهولة . وروى عن كعب بن مالك انه تقاضى ابن ابى حدرد دينا كان عليه فى المسجد فارتفعت اصواتهما حتى سمعهما رسول الله صلى الله عليه وسلم وهو فى بيته فنادى يا كعب قال لبيك يارسول الله فقال ضع من دينك هذا واومأ الى الشطر قال لقد فعلت يارسول الله) ما امرت به من الوضع (قل) لابن ابى حدرد (قم فاقضه) على الفور وفى حديث ابى اليسر عند مسلم من انظر معسرا) اى اى امهل فقيرا مديونا (او وضع عنه اظله الله فى ظله يوم لاظل الا ظله) اى ظل عرشه اوالمراد به الكرامة يقال فلان فى ظل فلان اى فى كنفه وحمايته ﴿ واذا كان الكريم قد يجود بما تحويه يده ﴾ ولم يخرج منها بعد ﴿ وينفذ فيها تصرفه كان اولى ان يجود بما خرج عن يده فطاب نفسا بفراقه وقد تصل المسامحة فى الحقوق الى من لا يقبل البر ويأبى الصلة ﴾ مع احتياجه وذلك الوصول بانكار ماعليه ﴿ فيكون احسن موقعا وازكى محلا . وربما كانت المشاحة فيها ﴾ اى فى الحقوق ﴿ الم من رد السائل ومنع المجتدى لان السائل كما اجترأ على سؤالك فيسجترئ على سؤال غيرك ان رددته وليس كل من صار اسير حقك ورهين دينك يجد بدا من مسامحتك ومياسرتك ثم لك مع ذلك ﴾ الوصول ﴿ حسن الثناء ﴾ على الاقراض والنسيئة اولا ثم المسامحة ثانيا ﴿ وجزيل الاجر ﴾ آجلا وعاجلا ﴿ وقال محمود الوراق رحمه الله تعالى ﴾ من السريع ﴿ المرأ بعد الموت أحدوثة . يفنى وتبقى منه آثاره ﴾ الاحدوثة على وزن اضحوكة الخبر العجيب والكلام الغريب الذى يحدثه الناس وجمعه احاديث ومنه قوله تعالى فجعلناهم احاديث اى اخبارا يتحدثون بها يعنى يفنى كل امرئ بالموت وتبقى الآثار الصادرة منه حسنة كانت اوسيئة ﴿ فاحسن الحالات حال امرئ . تطيب بعد الموت اخباره ﴾ قيل لبعض الحكماء ما احمد الاشياء قال ان يبقى للانسان احدوثة حسنة فنظمه شعرا ﴿ فهذه ﴾ المذكورات من العفو عن الهفوات والمسامحة فى الحقوق ﴿ حال المياسرة * واما الافضال ﴾ الذى هو الثالث من شروط المروءة فى غيره ﴿ فنوعان افضال اصطناع وافضال استكفاف ودفاع ﴾ مصدر دافع يقال دفع اليه اى اناله واعطاه مالا ودفعه اذا نحاه ودفع عنه الاذى اى حماه ﴿ فاما افضال الاصطناع فنوعان احدهما ما اسداه جودا فى شكور ﴾ اى اعطاه ووضعه فى اهل الصنيعة ﴿ والثانى ماتألف به نبوة نفور ﴾ على وزن صبور اى اعراض المتباعد ﴿ وكلاهما من شروط المروءة لما فيهما من ظهور الاصطناع وتكاثر الاشياع والاتباع ومن قلت صنائعه فى الشاكرين واعرض من تألف النافرين كان فرد امهجورا وتابعا محقورا ولامروءة لمتروك مطرح ولا قدر لمحقور مهتضم ﴾ اى مظلوم قال الجامى * عذر خواهى بكن وعفو طلب شو چوقتد. رخنه در قاعدهٔ يارئ ياران قديم * ورنيايد بهم آن رخنه بگفتار زبان. درعمارت كريش كوش بخشت وز وسيم ﴿ وقال عمر بن عبد العزيز ماطا وعنى الناس على شئ اردته

من الحق حتى بسطت لهم طرفا من الدنيا وقال بعض الحكماء اقل مايجب ﴾ على المنعم عليه ﴿ للمنعم بحق نعمته ﴾ الباء للبدل والعوض ﴿ ان لايتوصل بها الى معصيته ﴾ اى لايتوسل بنعمته اليها ﴿ وانشدت لبعض الاعراب ﴾ من الرجز المشطور ﴿ من جمع المال ولم يجد به * وترك المال لعام جدبه * هان على الناس هوان كلبه ﴾ قوله لم يجد من جاد يجود ﴿ و قال اسحق بن ابراهيم الموصلي ﴾ اطبع المغنين المتأخرين كما ان معبد بن وهب اطبع المتقدمين كان محل اسحق من العلم والادب والرواية وتقدمه فى الشعر و سائر المحاسن اشهر من ان يوصف واما الغناء فكان اصغرعلومه وادنى ماوسم به وكان اجود الناس بالمال واجلهم بالغناء و مات وهوا شعر اهل زمانه. من الكامل ﴿ يبقى الثناء وتذهب الاموال . ولكل دهر دولة و رجال * ماناله محمدة الرجال و شكرهم . الا الجواد بماله المفضال ﴾ بكسر فسكون اى صاحب الفضل والسماحة ﴿ لاترض من رجل حلاوة قوله. حتى يصدق مايقول فعال ﴾ يعنى حتى يصدق انجازه وعده وقيل * لايغرنك من المرء قميص رقعه * او ازار فوق كعب الساق منه رفعه * او جبين لاح فيه . اثر قد قلعه * ولدى الدرهم فانظر . غيه اوورعه * ولذلك قيل اذا اثنى على الرجل جيرانه فى الحضر واصحابه فى السفر ومعاملوه فى الاسواق فلاتشكوا فى صلاحه ﴿ فان ضاقت به الحال عن الاصطناع بماله فقد عدم من آلة المكارم عمادها ﴾ الذى تقوم عليه كالخيمة ﴿ وفقد من شروط المروءة سنادها ﴾ اى اصلها الذى يعتمد عليه غيره ﴿ فليواس بنفسه مواساة المساعف ﴾ المصافى والمعاون ﴿ وليسعدها اسعاد المتألف ﴾ فى حديث ابى موسى الاشعرى عند البخارى مرفوعا (على كل مسلم صدقة ﴾ على سبيل الاستحباب المتأكد ولاحق فى المال سوى الزكاة الا على سبيل الندب ومكارم الاخلاق (فقالوا يا نبى الله فمن لم يجد) مايتصدق به (قال يعمل بيده فينفع نفسه ويتصدق قالوا فان لم يجد قال يعين ذا الحاجة الملهوف) شامل للمظلوم والعاجز (قالوا فان لم يجد قال فليعمل بالمعروف وليمسك عن الشر فانها له صدقة) والحاصل ان الصدقة تكون بمال موجود او مقدور التحصيل او بغير مال وذلك اما فعل وهو الاعانة او ترك وهو الامساك عن الشر مع نية القربة به ﴿ قال المتنبى ﴾ لاخيل عندك تهديها ولامال ﴿ فليسعد النطق ان لم تسعد الحال ﴾ واجز الامير الذى نعماه فاجئة. بغير قول ونعمى الناس اقوال ﴿ وان كان ﴾ الفاقد ﴿ لايراها وان اجهدها الاتبعا للمفضلين ﴾ باموالهم ﴿ قليلة ﴾ مكارمه ومروءته ﴿ بين المكثرين فان الناس لايساوون بين المعطى والمانع ولايقنعهم القول دون الفعل ﴾ اى بدونه ﴿ ولايغنيهم الكلام عن المال ويرونه كالصدى ﴾ وهو مايرده الجبل على المصوت ﴿ ان رد صوتا لم يجد نفعا ﴾ من الاجداء ﴿ كما قال الشاعر ﴾ من السريع ﴿ يجود بالوعد ولكنه. يدهن من قارورة فارغة ﴾ اى خالية عن الدهن يقال دهن رأسه من الباب الاول اذا بله بالدهن والقارورة الظرف او ما كان من زجاج ﴿ فكل ماخرج عندهم عن المال كان فارغا وكل ماعدا الافضال به كان هينا ﴾ ويسيرا لعدم مبالاتهم بغير المال قال ابو يوسف بن محمد يعقوب الاديب * عرضت على الخباز نحو المبرد. وكتبا حسانا للخليل بن احمد * ورؤيا ابن سيرين وخط مهلهل. وتجويد عمرو بعد فقه محمد * وانشدته شعر الكميت وجرول . وغنيته لحن الغريض ومعبد * فما نفعتنى دون ان قلت هاكها. مدورة صفرا تطن على اليد (٢) ﴾ وقد قدمنا من القول فى شروط

(٢) قال على بن الجهم قلت لقينة . هل تعلمين وراء الحب منزلة . تدنى اليك فان الحب اقصانى . قالت تأتى من باب الذهب وانشدت . اجعل شفيعك منقوشا تقدمه . فلم يزل مدنيا من ليس بالدانى . منه

الافضال ماقام ﴾ في فصل البر ﴿ واما افضال الاستكفاف فلان ذا الفضل لايعدم حاسد نعمة ومعاند فضيلة يعتريه الجهل باظهار عناده ويبعثه اللؤم على البذى بسفهه فان غفل ﴾ مع وفور النعمة ﴿ عن استكفاف السفهاء واعرض عن استدفاع اهل البذى صار عرضه هدفا للمثالب ﴾ جمع مثابة بفتح الميم وفتح اللام وضمها اسم للخصلة التى يلام بها ويعاب عليها ضد المنقبة ﴿ وحاله عرضة للنوائب ﴾ اى هدفا لها ﴿ واذا استكف السفيه واستدفع البذى صان عرضه ﴾ من المثالب ﴿ وحمى نعمته ﴾ من النوائب ﴿ وقد روى عن النبى صلى الله عليه وسلم انه قال ما وقى به المرء عرضه فهو صدقة وقالت عائشة رضى الله عنها ﴾ كما رواه ابن لال عنها والخطيب عن ابى هريرة ﴿ ذبوا ﴾ اى ادفعوا وامنعوا ﴿ باموالكم عن اعراضكم ﴾ تمامه عند مخرجه قالوا يارسول الله كيف نذب باموالنا عن اعراضنا قال تعطون الشاعر ومن تخافون لسانه ﴿ وامتدح رجل ﴾ محمد بن مسلم بن شهاب ﴿ الزهرى فاعطاه قميصه فقال له رجل اتعطى على كلام الشيطان ﴾ لعل المادح بالغ فيه وهو مذموم ومن عادة العرب وصف كل قبيح من شخص او فعل بالشيطان او فعله لقبح منظره وسوء فعله فى طباع الناس لاعتقادهم انه شر محض لاخير فيه كما قال الله تعالى فى مذمة شجرة الزقوم طلعها) اى ثمرها (كأنه رؤس الشياطين) لتناهى قبحه وهول منظره وهو تشبيه تخييلى كتشبيه الفائق فى حسن عظيم بملك كريم ﴿ فقال ﴾ الزهرى ﴿ من ابتغى الخير اتقى الشر ﴾ لان من امتدح لينال العطاء فهو يذم ان ايس ﴿ ولذلك قال النبى صلى الله وسلم من اراد برالوالدين فليعط الشعراء وهذا ﴾ الحديث ﴿ صحيح لان الشعر ساتر يستر به ماضمن من مدح اوهجاء ومن اجل ذلك قيل لاتواخ شاعرا فانه يمدحك بثمن ويهجوك مجانا ﴾ قال الخليل فى مدح الشعراء هم امراء الكلام يصرفونه انى شاؤا وجائز لهم مالايجوز لغيرهم من اطلاق المعنى وتقييده ومد مقصوره وقصر ممدوده والجمع بين لغاته وسئل غيره عنهم فقال ما ظنك بقوم الاقتصاد محمود الامنهم والكذب مذموم الامنهم وقال آخر اياكم والشاعر فانه يطلب على الكذب مثوبة ويقرع جليسه بادنى كلمة وقال ابن الرومى * يقولون مالا يفعلون مسبة * من الله مسبوب بها الشعراء ﴿ ولاستكفاف السفهاء بالافضال شرطان احدهما ان يخفيه حتى لاتنتشر فيه مطامع السفهاء فيتوصلوا الى اجتذابه بسببه والى ماله بثلبه ﴾ اى ذمه وقدحه ﴿ والثانى ان يتطلب له فى المجاملة وجها ﴾ من قرابة نسب او دار اورفاقة سفر او مدافعة عنه او عن ذويه وخليله ونحو ذلك ﴿ ويجعله فى الافضال عليه سببا ﴾ ويريهم انه يكافئهم وانه لاتضيع الصنائع لديه ﴿ لئلا يرى ﴾ السفيه المفضل عليه ﴿ انه على السفه قد اعطى ولاجل البذى قد جبى ﴾ بالمجهول فيهما والجباية جمع ماتفرق ﴿ فيغريه ذلك ﴾ الافضال ﴿ بزيادة السفه واستدامة البذى ﴾ كما فى اصل ﴿ واعلم انك ماحييت ملحوظ المحاسن محفوظ المساوى ثم من بعد ذلك ﴾ يعنى بعد الموت ﴿ حديث منتشر لايرافبك صديق ﴾ كيف وهو فى معرض الزوال والفناء ﴿ ولا يحامى عنك ﴾ اى لايمانع عن مساويك ﴿ شقيق ﴾ وهو الاخ نسبا كان او مصافاة ﴿ فكن احسن حديث ينشر يكن سعيك فى الناس مشكورا واجرك عندالله مذخورا ﴾ ومدخر الوقت حاجتك ﴿ فقد روى زياد بن الجراح عن عمرو بن ميمون ﴾ ابى عبدالله الكوفى ادرك زمن النبى صلى الله عليه وسلم ولم يلقه وحج مأة حجة وعمرة وادى صدقته الى عمال

رسـول الله صلى الله عليه وسلم وهو الذى رأى قردة زنت فى الجاهلية فاجتمعت القردة فرجموها فالحديث مرسل من طريقه . ورواه الحاكم عن ابن عباس ﴿ انه قال قال رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم اغتنم خمسا قبل خمس ﴾ اى افعل خمسة اشياء قبل حصول خمسة ﴿ حياتك قبل موتك ﴾ اى اغتنم ماتلقى نفعه بعد موتك فان من مات انقطع عمله ﴿ وصحتك قبل سقمك ﴾ اى العمل الصالح حال صحتك قبل حصول مانع كمرض ﴿ وفراغك قبل شغلك ﴾ بفتح فسكون اى فراغك فى هذه الدار قبل شغلك باهوال القيامة التى اول منازلها القبر ﴿ وشبابك قبل هرمك ﴾ اى افعل الطاعة حال قدرتك قبل هجوم الكبر عليك ﴿ وغناك قبل فقرك ﴾ اى التصدق بما فضل عن حاجة من تلزمك نفقته قبل عروض جائحة تتلف مالك فتصير فقيرا فى الدارين فهذه الخمسة لايعرف قدرها الا بعد زوالها كذا فى الجامع الصغير قال الجامى * درجوانى سعى كن كر بى خلل خواهى عمل . ميوه بى نقصان بود چون از درخت نو برست * وقال الحريرى * فخير مال الفتى مال اشاد له . ذكرا تناقله الركبان اوصيتا * وماعلى المشترى حمدا بوهبة . غبن ولوكان ماعطاه ياقوتا ﴿ فهذا ﴾ القدر اليسير ﴿ ما اقتضاه هذا الفصل ﴾ السابع ﴿ من شروط المروءة وان كان كل كتابنا هذا من شروطها وما اتصل بحقوقها والله سبحانه وتعالى اعلم ﴾ بحقائق الاشياء وتفاصيلها

﴿ الفصل الثامن فى آداب منثورة ﴾ اى متفرقة ﴿ اعلم ان الاداب مع اختلافها بتنقل الاحوال وتغير العادات لايمكن استيعابها ولا يقدر على حصرها وانما يذكر كل انسان مابلغه الوسع من آداب زمانه واستحسن بالعرف من عادات دهره ﴾ مع عدم المخالفة بسيرة النبى عليه الصلاة والسلام وسيرة اصحابه والاجماع السابق قال الله تعالى فماذا بعد الحق الا الضلال ﴿ ولو امكن ذلك ﴾ الحصر والاستيعاب ﴿ لكان الاول قد اغنى الثانى عنها والمتقدم كفى المتأخر تكلفها وانما حظ الاخيران يتمانى حفظ الشارد ﴾ اى النافر عن خاطر الاول ﴿ وجمع المتفرق . ثم يعرض ماتقدم ﴾ مما حفظه وجمعه ﴿ على حكم زمانه وعادات وقته فيثبت ما كان موافقا وينفى ما كان مخالفا ﴾ لحكم الزمان ﴿ ثم يستمد خاطره فى استنباط زيادة واستخراج فائدة ﴾ من نوع ماجمعه ﴿ فان اسعف ﴾ خاطره ﴿ بشئ فاز بدركه وحظى بفضيلته . ثم يعبر عن ذلك ﴾ المجموع والمستنبط ﴿ كله بما كان مألوفا من كلام الوقت وعرف اهله فان لاهل كل وقت فى الكلام عادة تؤلف وعبارة تعرف ليكون اوقع فى النفوس واسبق الى الافهام ﴾ بلا ايجاز مخل ولا اطناب ممل ﴿ ثم يرتب ذلك على اوائله ومقدماته ويبنيه على اصوله وقواعده حسبما يقتضيه الجنس ﴾ اى جنس الاصول ﴿ فان لكل نوع من العلوم طريقة ﴾ مخصوصة به ﴿ هى اوضح مسلكا واسهل مأخذا فهذه ﴾ المذكورات من حفظ الشارد والعرض والاستمداد والتعبير والترتيب على المقدمات ﴿ خمسة شروط هى حظ الاخير فيما يعانيه وكذا القول فى كل تصنيف مستحدث ولولا ذلك ﴾ الحظ ﴿ لكان تعاطى ماتقدم به الاول عناء ضائعا وتكلفا مستهجنا ﴾ لاغناء الاول الثانى ﴿ ونرجو الله تعالى ان يمدنا بالتوفيق لتأدية هذه الشروط وينهضنا المعونة بتوفية هذه الحقوق ﴾ التى لايقام بتأديتها الا بمعونته ﴿ حتى نسلم من ذم التكلف ونبرأ من عيوب التقصير ﴾ فى استنباط الزوائد ﴿ وان كان اليسير ﴾ من العيوب ﴿ مغفورا والخاطئ معذورا فقد قيل من صنف كتابا فقد استهدف ﴾ اى اتخذ نفسه هدفا يرميه الخاطئ والمصيب ﴿ فان

احسن فقد استعطف ﴾ اى احرز ميل القلوب ومحبتها ﴿ واراساء فقد استقذف ﴾ اى جلب كراهتها ونفرتها ﴿ وقد مضت ابواب ﴾ خمسة ﴿ تضمنت فصولا رأيت اتباعها بما لا احب الاخلال به ﴾ بعدم التعرض بذكره ﴿ فمن ذلك ﴾ اى مما لم احب الاخلال به ﴿ حال الانسان فى مأكله ومشربه فان الداعى الى ذلك شيئان حاجة ماسة ﴾ كالجوع والظمأ ﴿ وشهوة باعثة ﴾ الى الاكثار او الى تناول الالوان ﴿ فاما الحاجة فتدعو الى ماسد الجوع وسكن الظمأ وهذا مندوب اليه عقلا وشرعا لما فيه من حفظ النفس وحراسة الجسد ﴾ عن الهلاك ﴿ ولذلك ورد الشرع بالنهى عن الوصال ﴾ بين صوم اليومين ﴾ من غير افطار فى ليل الثانى ﴿ لانه يضعف الجسد ويميت النفس ﴾ اى شهوتها او احيانا ﴿ ويعجز عن القيام بالعبادة وكل ذلك يمنع منه الشرع ﴾ والاحاديث فى هذا الباب كثيرة وقد روى الشيخان عن ابن عمر رضى الله عنهما ان رسول الله صلى الله عليه وسلم واصل فى رمضان فواصل الناس فنهاهم قيل له انت تواصل قال انى لست مثلكم انى اطعم واسقى قال النووى معناه محبة تشغلنى عن الطعام والشراب والحب البالغ يشغل عنهما وبيان الحكمة فى نهيهم والمفسدة المترتبة على الوصال وهى الملل من العبادة والتعرض للتقصير فى بعض وظائف الدين من اتمام الصلاة بخشوعها واذكارها وآدابها وملازمة الاذكار وسائر الوظائف المشروعة فى نهاره وليله انتهى وقال العينى ذهب الجمهور ومالك والشافعى وابو حنيفة والثورى وجماعة من اهل الفقه الى كراهته انتهى ﴿ ويدفع عنه العقل وليس لمن منع نفسه قدر الحاجة حظ من بر ولا نصيب من زهد لان ما حرمها ﴾ اى تركها عجزا كالمحرم عليه ﴿ من فعل الطاعات بالعجز والضعف اكثر ثوابا واعظم اجرا ﴾ ويكفى افاتة النشاط واظهار الفتور فى العبادة ﴿ اذ ليس فى ترك المباح ﴾ وان نوى به التقرب ﴿ ثواب ﴾ جزيل ﴿ يقابل فعل الطاعات واتيان القرب ﴾ كما ان ترك الشر صدقة لمن لا يقدر على فعل المعروف واين الشر من المباح ﴿ ومن اخسر نفسه ربحا موفورا او احرمها اجرا مذخورا كان زهده فى الخير ﴾ واجتنابه منه ﴿ اقوى من رغبته ﴾ اليه ﴿ ولم يبق عليه من هذا التكلف الا الشهوة بريائه وسمعته ﴾ وفيهما عقاب ولا ثواب اصلا ﴿ واما الشهوة ﴾ الباعثة الى الاكل والشرب ﴿ فتنوع نوعين شهوة فى الاكثار والزيادة وشهوة فى تناول الالوان الملذة * فاما النوع الاول وهو شهوة الزيادة على قدر الحاجة والاكثار على مقدار الكفاية فهو ممنوع منه فى العقل والشرع ﴾ قال الله تعالى كلوا واشربوا ولا تسرفوا ﴿ لان تناول ما زاد على الكفاية نهم معر ﴾ النهم افراط الشهوة فى الطعام وان لا يمتلى عين الآكل ولا يشبع والمعرة نجاسة الآدمى والطيور وفى مقدمة الادب اعرت الدار باسر كين شد سراى اراد به كثرة التردد الى الخلاء ﴿ وشره مضر ﴾ للبدن لايرائه الامراض ولاستلزامه السعى البليغ لاكتساب ما يشبعه ﴿ وقد روى عن النبى صلى الله عليه وسلم انه قال اياكم والبطنة ﴾ وهى امتلاء البطن من الطعام والمبالغة فى الاكل ﴿ فانها مفسدة للدين ﴾ لان من اعتاد البطنة لايبالى بالشبهات بل بالحرام قال افلاطون الجوع سحاب يمطر العلم والحكمة والشبع سحاب يمطر الجهل والحمق ﴿ مورثة للسقم ﴾ لان التخمة رأس كل داء كما ان الحمية رأس كل دواء ﴿ مكسلة عن العبادة ﴾ لايراثها النوم والسنة والرخاوة فى الاعصاب ﴿ وقال على رضى الله عنه ان كنت بطنا فعد نفسك زمنا ﴾ قال الحرث بن كلدة اربعة اشياء

يهرم من البدن الغشيان على البطنة ودخول الحمام على الامتلاء واكل القديد ومجامعة العجوز وقيل لمشترى الرجل يأكل فى اليوم مرة قال اكل الصديقين قيل فمرتين قال اكل المؤمنين قيل فثلاثا قال قل لاهلك يبنوا لك معلفا ﴿ وقال بعض البلغاء اقلل طعاما تحمد منا ما ﴾ اى نوما اذ يخف نومه لخفة غدائه او رؤيا لصفوة الدم وفى اكثار الطعام يكثر الدم اويتكدر فيؤدى الى اضغاث احلام ﴿ وقال بعض الادباء الرعب اللؤم ﴾ بضم فسكون اسم بمعنى الفزع ينقطع به المرعوب عن الاقدام والعمل ﴿ والنهم شؤم ﴾ لان من كثر اكله كثر شربه وثقل نومه ومن ثقل نومه محيت بركة عمره . وعن عائشة ان النبى عليه السلام كان اذا اراد ان يشترى غلاما وضع بين يديه تمرا فان اكل كثيرا قال ردوه فان كثرة الاكل من الشؤم ﴿ وقال بعض الحكماء اكبر الدواء ﴾ لحفظ الصحة ﴿ تقدير الغذاء وقال بعض الشعراء ﴾ من الوافر وهو ابن هرمة ﴿ وكم من لقمة منعت اخاها . بلذة ساعة اكلات دهر ﴾ الاكل بالفتح مصدر اكل وبالضم ما اكل والاكلة بالفتح المرة الواحدة وجمعه اكلات وبالضم اللقمة وبالكسر هيئة الاكل قوله اخاها اى صاحبها اما لتصحيح معدته واما لهلاكه بها ﴿ وكم من طالب يسعى لامر . وفيه هلاكه لوكان يدرى ﴾ فالمراد بالامر الاكل (٢) ﴿ وقال آخر ﴾ من المنسرح ﴿ كم دخلت اكلة حشاشره . فاخرجت روحه من الجسد ﴾ الحشا الاعضاء الداخلية من الكرش ونحوه وشره على وزن كتف الحريص الاكول ﴿ لا بارك الله فى الطعام اذا . كان هلاك النفوس فى المعد ﴾ على وزن عنب جمع معدة لان الاكل والشرب لادامة الحياة لا لازالتها فاذا كان سببا للهلاك فغير مبارك ﴿ ورب اكلة هاضت الآكل ﴾ اى اضعفت وادخلت عليه هيضة وهى القئ والاسهال ﴿ وحرمته مآكل ﴾ جمع مأكل ﴿ وروى ابو يزيد المدنى عن عبد الرحمن بن المرقع قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ان الله لم يخلق وعاء ملئ شرا من بطن فان كان لابد فاعلا فاجعلوا ثلثا للطعام وثلثا للشراب وثلثا للريح ﴾ لفظ الحديث عند الترمذى وابن ماجة عن مقدام بن معديكرب (ماملأ ابن آدم وعاء شرا من بطنه) قال المناوى لان امتلاءه من الطعام يفضى الى فساد الدين والدنيا وغالب الامراض تنشأ عن كثرة الاكل (بحسب ابن آدم اكلات) فى جمعها للقلة ارشاد الى قلة عددها وفى رواية لقيمات اشارة الى قلة قدرها (يقمن صلبه) اى ظهره (فان كان لامحالة) اى لابد من التجاوز فليكن الثلاث (فثلث) يجعله (لطعامه وثلث لشرابه وثلث) يدعه (لنفسه) وبه يحصل نوع صفاء ورقة وسهولة مواظبة على الطاعة ومحافظة صحة البدن كما فى الجامع الصغير وقال على رضى الله عنه * توق مدى الايام ادخال مطعم . على مطعم من قبل هضم المطاعم * وكل طعام يعجز السن مضغه . فلا تقربنه فهو شر المطاعم * ووفر على الجسم الدماء فانها . لقوة جسم المرء خير الدعائم * واياك ان تنكح طوا عن سنهن . فان لها سما كسم الاراقم * وفى كل اسبوع عليك بقيئة . تكن آمنا من شر كل البلاغم * وقال جالينوس البطنة تقتل الرجال وتورث الفالج والاسهال الذريع والاقعاد وصنفا من الجذام لايسمع صاحبه ولايبصر ﴿ واما النوع الثانى وهو شهوة الاشياء الملذة ومنازعة النفوس الى طلب الانواع الشهية فمذاهب الناس فى تمكين النفس منها مختلفة . فمنهم من يرى ان صرف النفس عنها اولى وقهرها عن اتباع شهواتها احرى ليذل له قيادها ويهون عليه عنادها لان تمكينها وما تهوى ﴾ اى مع ماتهوى ﴿ بطر يطغى واشر يردى ﴾

(٢) لطيفة اعتذر بها اعرابى وقال . فان طعاما ضم كفى وكفها . لعمرك عندى فى الحياة مبارك . فمن اجلها استوعب الزاد كله . ومن اجلها تهوى يدى وتدارك منه

اى يهلك والبطر المرح والنشاط وكذا الاشر ﴿ لان شهواتها غيرمتناهية فاذا اعطاها المراد من شهوات وقتها تعدتها الى شهوات قد استحدثتها ﴾ وهلم جرا ولاحد للسفاهة حتى تقف عنده ﴿ فيصير الانسان اسير شهوات لاتنقضى وعبد هوى لاينتهى ومن كان بهذه الحال لم يرج له صلاح ولم يوجد فيه فضل وانشدت لابى الفتح البستى * ياخادم الجسم كم تشقى بخدمته . لتطلب الربح مما فيه خسران * اقبل على النفس واستكمل فضائلها . فانت بالنفس لا بالجسم انسان ﴾ النفس الروح . الانسان البشر كالانس مقابل للجن والملك والالف والنون زائدتان عند البعض وعند اهل التحقيق تثنية فى الاصل لان الانسان انسين انس بالحق بروحه وانس بالخلق بجسمه يعنى مكرم بذلك الانس لابهذا وتمام القصيدة فى كشكول وانشد آخر * كمل حقيقتك التى لم تكمل . والجسم دعه فى الحضيض الاسفل * اتكمل الفانى وتترك باقيا . هملا وانت بامره لم تحفل * الجسم للنفس النفيسة آلة . مالم تحصله به لم يحصل * يفنى وتبقى دائما فى غبطة . ابدية اوشقوة لاتنجلى * شرك كثير انت فى حبلاته . بادر الى وجه الخلاص وعجل * من يستطيع بلوغ اعلى منزل . ماباله يرضى بادنى منزل ﴿ وللحذر من هذه الحال ماحكى ان ابا حازم ﴾ الاعرج ﴿ رحمه الله كان يمر على الفاكهة فى الاسواق فيشتهيها ﴾ نفسه ﴿ فيقول ﴾ مجيبا النفسه ﴿ موعدك الجنة ﴾ لما فى حديث ابى بجير عند البيهقى (الايا) ايها الناس (رب نفس طاعمة ناعمة فى الدنيا) اى مشغولة بلذات المطاعم والملابس غافلة عن الآخرة (جائعة عارية) يوم القيامة (الايارب نفس جائعة عارية فى الدنيا طاعمة) من طعام دار الرضا (ناعمة يوم القيامة) لطاعتها لمولاها (الايارب مهين لنفسه) بمخالفتها واذلالها (وهو لها مكرم) يوم العرض (الايارب شهوة ساعة اورثت حزنا طويلا) فى الدارين كما فى الجامع الصغير ﴿ وقال آخرون تمكين النفس من لذاتها اولى واعطاؤها ما اشتهت من المباحات احرى لما فيه من ارتياح النفس بنيل شهوتها ونشاطها بادراك لذاتها فتنحسر عنها ﴾ اى تنكشف وتزول ﴿ ذلة المقهور وبلادة المجبور ولا تقصر عن درك ﴾ ماعرض لها او عليها لزوال بلادتها ﴿ ولا تعصى فى نهضة ﴾ اى فى القيام بمصالح صاحبها لان لها فيها حظا ولذة ﴿ ولا تكل ﴾ اى لاتعى ﴿ عن استعانة ﴾ غيرها لانها تصدق امل طالب الكثير اولزوال ذاتها ﴿ وقال آخرون بل توسط الامرين اولى لان فى اعطائها كل شهواتها بلادة ﴾ الشبع والملال كما ان فى منعها عن كل شهواتها بلادة الجوع والكلال ﴿ والنفس البليدة عاجزة ﴾ عن القيام بمصالحها ومنافعها ﴿ وفى منعها عن البعض كف لها عن السلاطة ﴾ اى عن تسلط النفس وقهرها ﴿ وفى تمكينها من البعض ﴾ اى بعض اللذائذ والمشتهيات ﴿ حسم لها عن البلادة وهذا لعمرى ﴾ جملة قسمية معترضة بين المبتدأ والخبر ﴿ اشبه المذاهب بالسلامة لان التوسط فى الامور احمد ﴾ فهذا محمود سئل الفضل عمن يترك الطيبات اللحم والخبيص للزهد فقال ماللزهد واكل الخبيص ليتك تأكل وتتقى الله ان الله لايكره ان تأكل الحلال اذا اتقيت الحرام انظر كيف برك بوالديك وصلتك للرحم وكيف عطفك على الجار وكيف رحمتك للمسلمين وكيف كظمك الغيظ وكيف عفوك عمن ظلمك وكيف احسانك الى من اساء اليك وكيف صبرك واحتمالك للاذى انت الى احكام هذا احوج من ترك الخبيص وقال الله تعالى قل من حرم زينة الله التى اخرج لعباده والطيبات من الرزق ﴿ واذ قد مضى الكلام فى المأكول والمشروب فينبغى ان يتبع بذكر الملبوس اعلم ان الحاجة وان كانت

خبيص خرما وياغدن معمول حلوادياز مرده اون حلواسى كبي منه

فى المأكول والمشروب ادعى ﴾ لانهما لادامة اصل الحياة والملبوس لحفظها عن العوارض ﴿ فهى الى الملبوس ماسة وبها اليه فاقة لما فى الملبوس من حفظ الجسد ودفع الاذى ﴾ اى ايذاء الحر والبرد والهوام والحشرات ﴿ وستر العورة وحصول الزينة قال الله تعالى ﴾ فى الاعراف ﴿ يابنى آدم قد انزلنا عليكم لباسا يوارى سوآتكم وريشا ولباس التقوى ذلك خير فمعنى قوله ﴾ تعالى ﴿ انزلنا عليكم لباسا اى خلقنالكم ماتلبسون من الثياب ﴾ بتدبيرات سماوية واسباب نازلة منها فصار كأنه تعالى انزل اللباس ومنه قوله تعالى وانزل لكم من الانعام ثمانية ازواج وقوله وانزلنا الحديد ﴿ يوارى سوآتكم اى يستر عوراتكم وسميت العورة سوءة لانه يسوء صاحبها انكشافها من جسده . وقوله وريشا فيه اربعة تأويلات احدها انه المال وهو قول مجاهد والثانى انه اللباس ﴾ اى لباس الزينة استعير من ريش الطير لانه لباسه وزينته اى انزلنا عليكم لباسين لباسا يوارى سوآتكم ولباسا يزينكم لان الزينة غرض صحيح كما قال لتركبوها وزينة وقال ولكم فيها جمال ﴿ والعيش والنعم وهو قول ابن عباس رضى الله عنهما ﴾ روى ثعلب عن ابن الاعرابى قال كل شئ يعيش به الانسان من متاع اومال او مأكول فهو ريش ورياش وقال ابن السكيت الرياش مختص بالثياب والاثاث والريش قد يطلق على سائر الاموال ﴿ والثالث انه المعاش وهو قول معبد الجهنى والرابع انه الجمال وهو قول عبد الرحمن بن زيد . وقوله ولباس التقوى فيه ستة تأويلات احدها ان لباس التقوى هو الايمان وهو قول قتادة والسدى ﴾ وابن جريج ﴿ والثانى انه العمل الصالح وهو قول ابن عباس رضى الله عنهما والثالث انه السمت الحسن ﴾ اى الهيئة الحسنة بان يكون نظيف الثوب والبدن وفى حديث انس السمت الحسن جزء من خمسة وسبعين جزأ من النبوة ﴿ وهو قول عثمان بن عفان رضى الله عنه والرابع هو خشية الله تعالى وهو قول عروة بن الزبير والخامس انه الحياء وهذا قول معبد الجهنى والسادس هو ستر العورة وهذا قول عبد الرحمن بن زيد ﴾ وانما حمل لفظ اللباس على هذه المجازات لان اللباس الذى يفيد التقوى ليس الا هذه الاشياء وان المؤمن لا تبدو عورته وان كان عاريا والفاجر لا تزال عورته مكشوفة وان كان كاسيا ﴿ وقوله ذلك خير فيه تأويلان احدهما ان ذلك راجع الى جميع ماتقدم من قوله قد انزلنا عليكم لباسا يوارى سوآتكم وريشا ولباس التقوى ثم قال ذلك خير اى ذلك الذى ذكرته خير كله ﴾ لا يخفى ان هذا التأويل يلائم نصب لباس التقوى كما قرأ به نافع والكسائى وابن عامر والعامل فيه انزلنا واما على تقدير الرفع كما قرأ به الباقون فلباس التقوى مبتدأ وقوله ذلك صفة او بدل او عطف بيان وخير خبره ومعنى قولنا صفة ان قوله ذلك اشير به الى اللباس كأنه قيل ولباس التقوى المشار اليه خير ﴿ والثانى ان ذلك راجع الى لباس التقوى ومعنى الكلام وان لباس التقوى خير ﴾ لصاحبه اذا اخذ به واقرب له الى الله تعالى مما خلق له ﴿ من الرياش واللباس ﴾ الذى يتجمل به كما فى التفسير الكبير ﴿ وهذا قول قتادة والسدى ﴾ (ذلك) اى انزال اللباس (من ايات الله) الدالة على عظيم فضله وعميم رحمته (لعلهم يذكرون) فيعرفون نعمته او يتعظون فيتورعون من القبائح ﴿ فلما وصف الله تعالى حال اللباس واخرجه مخرج الامتنان ﴾ لقوله تعالى ذلك من آيات الله ﴿ علم انه معونة منه لشدة الحاجة اليه واذا كان كذلك ففى اللباس ثلاثة اشياء احدها

دفع الاذى والثانى ستر العورة والثالث الجمال والزينة فاما دفع الاذى به فواجب بالعقل لان العقل يوجب دفع المضار واجتلاب المنافع وقد قال الله تعالى ﴿ فى النحل ﴾ والله جعل لكم مما خلق ﴿ من غير صنع من قبلكم ﴾ ظلالا ﴿ اشياء تستظلون بها من الحر كالغمام والشجر والجبل وغيرها امتن سبحانه بذلك لما ان تلك الديار غالبة الحرارة ﴾ وجعل لكم من الجبال اكنانا ﴿ مواضع تستكنون فيها من الكهوف والغيران والسروب ﴾ وجعل لكم سرابيل ﴿ جمع سربال وهو كل ما يلبس اى جعل لكم ثيابا من القطن والكتان والصوف وغيرها ﴾ تقيكم الحر وسرابيل ﴿ من الدروع والجواشن ﴾ تقيكم بأسكم ﴿ اى البأس الذى يصل الى بعضكم من بعض فى الحرب من الضرب والطعن ﴾ فاخبر بحالها ﴿ اى الملابس ﴾ ولم يأمر بها اكتفاء بما يقتضيه العقل واستغناء بما يبعث عليه الطبع ويعنى بالظلال الشجر وبالاكنان جمع كن ﴿ بكسر الكاف ﴾ وهو الموضع الذى يستكن فيه ﴿ بتشديد النون اى يستتر فيه ﴾ ويعنى بقوله سرابيل تقيكم الحر ثياب القطن والكتان والصوف ﴿ والخز للنساء ﴾ وبقوله وسرابيل تقيكم بأسكم الدروع التى تقى البأس وهو الحرب فان قيل كيف قال تقيكم الحر ولم يذكر البرد ﴿ مع ان الاحتياج فيه اكثر ﴾ وقال جعل لكم من الجبال اكنانا ولم يذكر السهل ﴿ ضد الجبل ﴾ فعن ذلك جوابان احدهما ان القوم ﴿ اى العرب ﴾ كانوا اصحاب جبال وخيام ﴿ ولذا كان المتقدمون من اصحاب الحديث وغيرهم يعرفون بقبائلهم وينسبون اليهم فحسب وغلبت النسبة فى المتأخرين الى البلدان والامصار ﴾ فذكر لهم الجبال وكانوا اصحاب حر دون برد فذكر لهم نعمته عليهم فيما هو مختص بهم ﴿ لان بلاد العرب شديدة الحر وحاجتهم الى الظل ودفع الحر شديدة ﴾ وهذا قول عطاء ﴿ وفيه تطييب لقلوبهم بايثارهم بتلك النعمة المختصة بهم ﴾ والجواب الثانى انه اكتفاء بذكر احدهما ﴿ اى احد الضدين ﴾ عن ذكر الآخر اذ كان معلوما ان السرابيل التى تقى الحر ايضا تقى البرد ومن اتخذ من الجبال اكنانا اتخذ من السهل وهذا قول الجمهور ﴿ قال فخر الدين الرازى ثبت فى العلوم العقلية ان العلم باحد الضدين يستلزم العلم بالضد الآخر فان الانسان متى خطر بباله الحر خطر بباله البرد ايضا وكذا القول فى النور والظلمة والسواد والبياض فلما كان الشعور باحدهما مستتبعا للشعور بالآخر كان ذكر احدهما مغنيا عن ذكر الآخر ﴾ واما ستر العورة فقد اختلف الناس فيه هل وجب بالعقل او بالشرع فقالت طائفة وجب سترها بالعقل لما فى ظهورها من القبح وما كان قبيحا فالعقل مانع منه الا ترى ان آدم وحواء لما اكلا من الشجرة التى نهيا عنها ﴿ اى عن تناول ثمرتها وكانت الشجرة فيما قيل الحنطة او الكرمة او التينة ﴾ بدت لهما سوآتهما ﴿ اى اخذتهما العقوبة وشؤم المعصية فتهافت عنهما لباسهما وظهرت لهما عوراتهما اختلف فى ان اللباس كان نورا او ظفرا او حلة ﴾ وطفقا يخصفان ﴿ طفق من افعال الشروع والتلبس كأخذ وجعل وانشأ اى اخذا يرقعان ويلزقان ورقة فوق ورقة ﴾ عليهما من ورق الجنة ﴿ قيل كان ذلك ورق التين ﴾ تنبها بعقولهما ﴿ اى بسبب عقولهما ﴾ لستر ما رأياه مستقبحا من سوآتهما لانهما لم يكونا قد كلفا ﴿ بعد اى ما داما فى الجنة ﴾ ستر مالم يبدلهما ولا كلفا بعد ان بدت لهما وقبل سترها ﴿ وقالت طائفة اخرى بل ستر العورة واجب بالشرع لانه بعض الجسد الذى لا يوجب العقل ستر باقيه وانما اختصت العورة بحكم شرعى فوجب ان يكون

(مايلزم)

مايلزم من سترها حكما شرعيا وقد كانت قريش واكثر العرب مع ما كانوا عليه من وفور العقل وصحة الالباب يطوفون بالبيت عراة ﴿ جمع عار ويقولون لانطوف فى ثياب اصبنا فيها الذنوب فكان الرجال يطوفون بالنهار والنساء بالليل ﴾ ويحرمون على نفوسهم اللحم والودك ﴿ اى دسم اللحم ﴾ ويرون ذلك ﴿ الطواف والتحريم ﴾ ابلغ فى القربة وانما القرب ﴿ المقاربة ﴾ ما استحسنت فى العقل حتى انزل الله تعالى ﴿ قوله فى الاعراف ﴾ يابنى آدم خذوا زينتكم ﴿ اى ثيابكم لمواراة عوراتكم ﴾ عند كل مسجد ﴿ اى طواف او صلاة ومن السنة ان يأخذ الرجل احسن هيئته فى الصلاة وفيه دليل على وجوب ستر العورة فى الصلاة ﴾ وكلوا واشربوا ولاتسرفوا انه لايحب المسرفين ﴿ اى لايرتضى فعلهم ﴾ يعنى بقوله خذوا زينتكم الثياب التى تستر عوراتكم وكلوا واشربوا ماحرمتموه على انفسكم من اللحم والودك وفى قوله تعالى ولاتسرفوا تأويلان احدها لاتسرفوا فى التحريم ﴿ بتحريم الحلال كتحريم ما احله الله تعالى فى ايام الحج وتحريم البحيرة والسائبة ﴾ وهذا قول السدى والثانى لاتأكلوا حراما فانه اسراف ﴿ وتجاوز عن الحد وكذا افراط الطعام والشره عليه ﴾ وهذا قول ابن زيد فاوجب الله تعالى بهذه الآية ستر العورة بعد ان لم يكن العقل موجبا له فدل ذلك على ان سترها وجب بالشرع دون العقل * واما الجمال والزينة فهو مستحسن بالعرف والعادة ﴿ مع تقرير الشرع اياهما كما قال تعالى لتركبوها وزينة ﴾ من غير ان يوجبه عقل او شرع وفى هذا النوع قد يقع التجاوز والتقصير والتوسط المطلوب فيه معتبر من وجهين احدهما فى صفة الملبوس وكيفيته والثانى فى جنسه وقيمته * فاما صفته ﴿ وهيئته ﴾ فمعتبرة بالعرف من وجهين احدهما عرف البلاد فان لاهل المشرق زيا مألوفا ولاهل المغرب زيا مألوفا وكذلك لما بينهما من البلاد المختلفة عادات فى اللباس مختلفة والثانى عرف الاجناس ﴿ والاصناف من اهل بلدة واحدة ﴾ فان للاجناد زيا مألوفا وللتجار ﴿ على وزن رجال اوعمال جمع تاجر ﴾ زيا مألوفا وكذلك لمن سواهما من الاجناس المختلفة ﴿ كالقضاة والكتاب وغيرهم ﴾ عادات فى اللباس وانما اختلفت عادات الناس فى اللباس من هذين الوجهين ليكون اختلافهم سمة يتميزون بها وعلامة لايخفون معها ﴿ فيستدل من يراجعهم بسمتهم ﴾ فان عدل احد عن عرف بلده وجنسه كان ذلك ﴿ العدول ﴾ منه خرقا وحمقا ولذلك قيل العرى ﴿ بضم فسكون اسم من التعرى ﴾ الفادح ﴿ بالفاء اى الثقيل على النفس ﴾ خير من الزى الفاضح * واما جنس الملبوس وقيمته فمعتبر من وجهين احدهما بالمكنة من اليسار والاعسار فان للموسر فى الزى قدرا وللمعسر دونه والثانى بالمنزلة والحال فان لذى المنزلة الرفيعة ﴿ كالوزراء والامراء ﴾ قدرا وللمنخفض عنه دونه ليتفاضل فيه على حسب تفاضل احوالهم فيصيروا به متميزين فان عدل الموسر الى زى المعسر كان شحا وبخلا ﴿ لمنع نفسه عما يستحقه ﴾ وان عدل الرفيع ﴿ منزلة ﴾ الى زى الدنى ﴿ رتبة ﴾ كان مهانة وذلا وان عدل المعسر الى زى الموسر كان تبذيرا وسرفا وان عدل الدنى الى زى الرفيع كان جهلا وتخلفا ﴿ نقيض التقدم ﴾ ولزوم العرف المعهود واعتبار الحد المقصود ادل على العقل وامنع من الذم ولذلك قال عمر بن الخطاب رضى الله عنه اياكم ولبستين لبسة مشهورة ولبسة محقورة وقال بعض الحكماء البس من الثياب

مالايزدريك فيه العظماء ﴾ اى لايحقرونك فيه لنظافته ﴿ ولايعيبه عليك الحكماء ﴾ لغلائه الغير المناسب لحاله ﴿ وقال بعض الشعراء ﴾ من الكامل ﴿ ان العيون رمتك اذ فاجأتها . وعليك من شهر الثياب لباس ﴾ جمع شهرة اى من الثياب المشهورة اما من جهة غاية النفاسة او غاية الخساسة ورمتك اى تركتك وطرحتك ولاتكون مطمح نظر اهلها ﴿ اما الطعام فكل لنفسك ماتشاء . واجعل لباسك ما اشتهاه الناس ﴾ قال الفقهاء رحمهم الله تعالى لبس الثوب الجميل المزين مباح فى الجمع والاعياد ومجامع الناس ومايستر العورة ويدفع الحر والبرد واجب وما فيه جمال لصاحبه مسنون بشرط ان لاينوى به العظمة والزينة بل اظهار نعمة الله وتعظيم من يجتمع لملاقاته وقد كان صلى الله عليه وسلم يفعله وقال الشهاب * نصيحة لطيفة . قالت بها الاكياس * كل ما اشتهيت والبس . ماتشتهيه الناس * وفى حديث عمر عند ابى داود وابن ماجة من لبس ثوب شهرة البسه الله يوم القيامة ثوب مذلة ﴿ واعلم ان المروءة ان يكون الانسان معتدل الحال فى مراعاة لباسه من غير اكثار ولا اطراح فان اطراح مراعاتها وترك تفقدها ﴾ من حيث نقاوتها ودنسها اوغبارها ونحوذلك ﴿ مهانة وذل وكثرة مراعاتها وصرف الهمة الى العناية لها دناءة ونقص ﴾ لان تلك العناية تستوعب كثيرا من اوقاته وامواله لوصرفهما الى غيره لربح ﴿ وربما توهم بعض من خلا من فضل وعرى عن تمييز ان ذلك ﴾ الصرف ﴿ هو المروءة الكاملة والسيرة الفاضلة لما يرى من تميزه بذلك عن الاكثرين وخروجه عن جملة العوام المستر ذلين وخفى عليه انه اذا تعدى طوره وتجاوز قدره كان اقبح لذكره وابعث على ذمه فكان كما قال المتنبى * لايعجبن مضيم حسن بزته . وهل يروق دفينا جودة الكفن ﴾ قوله مضيم فاعل لايعجب وحسن مفعوله يقال اضامه حقه اذا انتقصه وظلمه ويروق من راقه اذا اعجبه قال الواحدى شبه المظلوم الذى لايدفع الظلم عن نفسه بالميت وجعل ثوبه كالكفن انتهى وهذا بالنسبة الى نفسه وقال الحريرى بالنسبة الى غيره * ومن الغباوة ان تعظم جاهلا . لصقال ملبسه ورونق رقشه * او ان تهين مهذبا فى نفسه . لدروس بزته ورثة فرشه * ولكم اخى طمرين هيب لفضله . ومفوف البردين عيب لفحشه * واذا الفتى لم يغش عارا لم تكن . اسماله الا مراقى عرشه * ما ان يضر العضب كون قرابه . خلقا ولا البازى حقارة عشه ﴿ وحكى المبردان رجلا من قريش كان اذا اتسع لبس ارث ثيابه واذا ضاق لبس احسنها فقيل له فى ذلك فقال اذا اتسعت تزينت بالجود واذا ضقت فبالهيئة وقد اتى ابن الرومى بابلغ من هذا المعنى فى شعره فقال * وما الحلى الازينة لنقيصة . يتم من حسن اذا الحسن قصرا * فاما اذا كان الجمال موفرا . لحسنك لم يحتج الى ان يزورا * ولذلك قالت الحكماء ليست العزة فى حسن البزة ﴾ وانما المرء باصغريه اذا صال صال بجنان واذا قال قال ببيان وقال الشريف الرضى * لاتجعلن دليل المرء صورته . كم مخبر سمج فى منظر حسن ﴿ وقال بعض الشعراء ﴾ من الكامل ﴿ وترى سفيه القوم يدنس عرضه . سفها ويمسح نعله وشراكها ﴾ قوله يدنس من الادناس اى يفعل مايشين بعرضه ويراعى نعله وشراكها والشراك بالكسر مايلبس فى الرجل ﴿ واذا اشتد كلفه بمراعاة لباسه قطعه ذلك ﴾ الاشتداد ﴿ عن مراعاة نفسه وصار الملبوس عنده انفس ﴾ واعز من نفسه ﴿ وهو على

مراعاته احرص وقد قيل فى منثور الحكم البس من الثياب مايخدمك ولايستخدمك وقال خالد بن صفوان لاياس بن معاوية ﴿ القاضى المشهور بالفراسة ﴾ اراك لاتبالى مالبست فقال البس ثوبا ﴿ اى ان البس ﴾ اقى به نفسى احب الى من ثوب اقيه بنفسى فكما انه لايكون شديد التكلف بها فكذلك لايكون شديد الاطراح لها فقد حكى عن عائشة ان رجلا جاء الى النبى صلى الله عليه وسلم فنظر اليه رث الهيئة فقال مامالك قال ﴿ الرجل ﴾ من كل المال قد آتانى الله فقال ﴿ صلى الله عليه وسلم كما رواه البيهقى عن ابى هريرة ﴾ ان الله تعالى اذا انعم على عبد نعمة يحب ان يرى اثر النعمة عليه ﴿ قال المناوى لانه انما اعطاه مااعطاه ليبرزه الى جوارحه فيكون مكرما له فاذا منعه فقد ظلم نفسه (ويكره البؤس) سوء الحال والضجر والشكوى لبعض الناس من غير اظهار ذلك وافشاء (والتباؤس) اى تكلف ذلك واظهاره . ان قيل مامعنى كراهية الله للبؤس مع انه لا اختيار للانسان فيه فالجواب انه باعتبار سببه من نحو عدم تكسب اوما يجر اليه من نحو خيانة واكل مال يتيم ﴾ وقد قيل المروءة الظاهرة فى الثياب الطاهرة * وهكذا القول فى غلمانه ﴿ جمع غلام وهو المملوك عبدا كان او امة ﴾ وحشمه ﴿ بفتحتين يطلق على المفرد والجمع ويجمع على احشام يقال من هو حشمته واحشامه وحشمه اى خاصته الذين يغضبون له من اهل وعبيد او جيرة او قريب ﴾ ان اشتد كلفه بهم صار عليهم قيما ولهم خادما وان اطرحهم ﴿ كليا ﴾ قل رشادهم وظهر فسادهم فصار واسببا لمقته وطريقا الى ذمه ﴿ لما قيل ان العبد اذا شبع فسق وان جاع سرق ﴾ لكن يكفهم عن سيء الاخلاق ويأخذهم باحسن الآداب ليكونوا كما قال فيهم الشاعر ﴿ من الكامل ﴾ سهل الفناء ﴿ بكسر الفاء ما اتسع من امام الدار واطرافها والسهل ضد الحزن يسهل فيها المشئ للين ترابها يعنى لكثرة الوافدين والنازلين ﴾ اذا مررت ببابه . طلق اليدين ﴿ اى باسطهما وسمحهما ﴾ مؤدب الخدام ﴿ وقال ابن هرمة * لله در سميدع فجعت به . يوم البقيع حوادث الايام * هش اذا وفد الوفود ببابه . سهل الحجاب مؤدب الخدام * فاذا رأيت شقيقه وصديقه . لم تدرايهما اخو الارحام ﴾ وليكن فى تفقد احوالهم على مايحفظ تجمله ويصون تبذله ﴿ من تبذل الرجل اذا عمل عمل نفسه ﴾ فقد روى عن النبى صلى الله عليه وسلم انه قال ادهنوا ﴿ اى تطيبوا بطيب ﴾ يذهب البؤس عنكم ﴿ وسوء الحال ﴾ والبسوا ﴿ احسن ثيابكم ﴾ لظهر نعمة الله عليكم واحسنوا الى ماليككم فانه ﴿ اى الاحسان اليهم ﴾ اكبت لعدوكم ﴿ اى اشد قهرا واكثر اذلالا لان فى الرقية اثر الكفر فلهم ميل طبيعى الى الاعداء والاحسان يحسمه . وفى حديث ابى ذر الغفارى عند الستة (اخوانكم خولكم) اى خدمكم (جعلهم الله قنية تحت ايديكم) اى ملكا لكم (فمن كان اخوه تحت يده فليطعمه من طعامه وليلبسه من لباسه) والامر للاستحباب عند الاكثر (ولايكلفه مايغلبه) اى ماتعجز قدرته عنه والنهى للتحريم (فان كلفه مايغلبه فليعنه) بنفسه او بغيره ﴾ وليتوسط فيهم مابين حالتى اللين والخشونة فانه ان لان لهم ﴿ دائما ﴾ هان عليهم امره وان خشن مقتوه وكان على خطر منهم ﴿ لبغضهم ﴾ حكى ان المؤبذ ﴿ بضم الميم وفتح الباء فقيه الفرس وحاكم المجوس ﴾ سمع ضحك الخدام فى مجلس انو شروان فقال اما تمنع هؤلاء الغلمان ﴿ من سوء ادبهم ﴾ فقال انوشروان انما هم يهابنا اعداؤنا ﴿ وضحكهم عن وثوقهم

السميدع بفتح السين والميم والدال وضم السين خطأ السيد الكريم الشريف السخى الموطأ الاكناف واسم رجل . هش اى فرح مسرور منه

بعجبتنا وفرحهم بانعامنا لامن عدم مبالاتهم وسوء ادبهم . وقدقيل خيرالخدام من كان كاتم السر عادم الشر قليل المؤنة كثيرالمعونة صموت اللسان شكورالاحسان حلوالعبارة دراك الاشارة عفيف الاطراف عديم الاتراف ﴿ وقال ابو تمام الطائى ﴾ من الكامل ﴿ حشم الصديق عيونهم بحاثة . لصديقه عن صدقه ونفاقه ﴾ العيوب جمع عيب اوجمع عين والبحث من دلالة الحال ﴿ فليتظرن المرء من غلمانه . فهم خلائقه على اخلاقه ﴾ جمع خليفة وتاؤه للمبالغة اوللنقل اى فهم النائبون والقائمون مقام اخلاق صديقه فالصديق الذى لايرضى اخلاق غلمانه ليس صديقالك كما قال آخر * اذا صافى صديقك من تصافى . فقد صافاك ماحام الحمام * وان صافى صديقك من تعادى . فقد عاداك وانقطع الكلام ﴿ واعلم ان للنفس حالتين حالةاستراحة ان حرمتها اياها كلت ﴾ وسئمت عن اعمالها ﴿ وحالة تصرف ان ارحتها فيها تخلت ﴾ اى اعتادت الخلو والبطالة ﴿ فالاولى بالانسان تقدير حاليه حال نومه ودعته ﴾ اى راحته وسكونه ﴿ وحال تصرفه ويقظته فان لهما قدرا محدودا وزمانا مخصوصا ﴾ خصه الله بكل منهما وقال هو الذى جعل لكم الليل لتسكنوافيه والنهار مبصرا والتقدير هو الذى جعل لكم الليل مظلما لتسكنوا فيه والنهار مبصرا لتتحركوا لمصالحكم ومعاشكم فحذف فى كل واحد من الجانبين ماذكر فى الآخر اكتفاء بالمذكور عن المتروك واسناد الابصار الى النهار مجازى كما فى نهاره صائم ﴿ يضر بالنفس مجاوزة حدهما ﴾ عن القدر المحدود ﴿ وتغيير زمانهما ﴾ عن الوقت المعهود ﴿ فقد روى عن النبى صلى الله عليه وسلم انه قال نومة الصبحة ﴾ بضم فسكون من طلوع الفجر الى الزوال ومقابله المساء وهو من الزوال الى آخر نصف الليل الاول ﴿ معجزة منفخة ﴾ اى سبب عجز عن القيام بمصالحه وسبب انتفاخ من الريح ﴿ مكسلة مورمة ﴾ يقال ورم جلده اذا انتفخ وهو مرض يذهب بماء الوجه وضيائه ﴿ مفشلة ﴾ اى سبب كسل وضعف ﴿ منساة للحاجة ﴾ اى سبب لنسيانها اوتأخرها ﴿ وقال عبدالله بن العباس رضى الله عنهما النوم ثلاثة نوم خرق ﴾ وجهالة ﴿ وهى الصبحة ونوم خلق وهى القائلة ﴾ وفى حديث انس عند ابى نعيم (قيلوا فان الشياطين لاتقيل) قال فى النهاية المقيل والقيولة فى نصف النهار وان لم يكن معها نوم اى ناموا وقت القيلولة ندبا لمن يقوم فى الليل للتهجد ومطالعة علم ولا ثواب فيها بدون ذلك كما ان السحور لايطلب الا لمن يصوم ﴿ ونوم حمق وهو العشى ﴾ يعنى به مابين العشائين اومابعد العصر اذلا ينامها الا مجنون اوسكران كما قيل * الا ان نومات الضحى تورث الفتى . غموما ونومات العصير جنونا ﴿ وقدروى محمد بن يزدان عن ميمون بن مهران عن ابن عباس قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم نوم الضحى خرق والقيلولة خلق ونوم العشى حمق وقيل فى منثور الحكم من لزم الرقاد ﴾ بالضم نوم الليل ﴿ عدم المراد ﴾ وافاته لقوله تعالى كانوا قليلا من الليل مايهجعون وبالاسحارهم يستغفرون وانشدوا * يا ايها الراقدكم ترقد . قم ياحبيبى قددنا الموعد * وخذ من الليل وساعاته . حظا اذا ماهجع الرقد * من نام حتى ينقضى ليله . لم يبلغ المنزل اويجهد * قل لذوى الالباب اهل التقى . قنطرة الحشر لكم موعد ﴿ فاذا اعطى النفس حقها من النوم والدعة واستوفى حقه بالتصرف واليقظة خلص بالاستراحة من عجزها وكلالها وسلم بالرياضة من بلادتها وفسادها ﴾ وقال

داود لابنه سليمان عليهما السلام اياك وكثرة النوم فانه يفقرك اذا احتاج الناس الى اعمالهم ﴿ وحكى ان عبدالملك بن عمر بن عبدالعزيز دخل على ابيه فوجده نائما ﴾ القائلة ﴿ فقال يا ابت اتنام والناس ﴾ ينتظرون ﴿ بالباب ﴾ خروجك اليهم والحكومة بينهم ﴿ فقال يا بنى نفسى مطاتى ﴾ ارفق بها ﴿ واكره ان اتعبها ﴾ بترك قائلتها ﴿ فتقوم بى ﴾ اى فاقيمها من قامت الدابة اذا وقفت من كثرة التعب والكلال ويقال قام بى ظهرى اى اوجعنى ﴿ وينبغى ان يقسم حالة تصرفه ويقظته على المهم من حاجاته ﴾ فى الشفاء قال ابو العباس المبرد قسم كسرى ايامه فقال يصلح يوم الريح للنوم) لكون الوقت غير قابل للحركة ولا للقعود (ويوم الغيم للصيد) لعدم التأذى بشدة الحرارة (ويوم المطر للشرب) واللهو لعدم امكان الخروج (ويوم الشمس لقضاء الحوائج وقال ابن خالويه ما كان اعرفهم بسياسة دنياهم يعلمون ظاهرا من الحياة الدنيا وهم عن الآخرة هم غافلون ولكن نبينا صلى الله عليه وسلم جزأ نهاره ثلاثة اجزاء جزأ لله) بالاشتغال بعبادته (وجزأ لاهله وجزأ لنفسه ثم جزأ جزءه بينه وبين الناس) اى عموما بحسب حاجاتهم (فكان يستعين بالخاصة) من ارباب صحبته (على العامة ويقول ابلغوا حاجة من لا يستطيع ابلاغى فانه من ابلغ حاجة من لا يستطيع ابلاغها آمنه الله يوم الفزع الاكبر) انتهى ﴿ فان حاجة الانسان لازمة والزمان يقصر عن استيعاب المهم ﴾ من اداء حق الحق والاهل والنفس ﴿ فكيف به ان تجاوز الى ماليس بمهم ﴾ بالنسبة الى ماهو اهم اوقدم حاجة غيره على حاجته ﴿ هل يكون ﴾ المتجاوز ﴿ الا ﴾ احمق من نعامة يقال انها تخرج من حضنتها الطعام فتجد بيض غيرها فتحضنه وتترك بيض نفسها واياها عنى ابن هرمة بقوله من المتقارب ﴿ كتاركة بيضها بالعراء . وملبسة بيض غير جناحا ﴾ العراء بالفتح الفضاء لا يستتر فيه بشئ ولمح الزمخشرى الى هذا بقوله احمق من نعامه من افتخر بالزعامة ومن حمقها ايضا يقال ان القناص اذا ادركها ادخلت رأسها فى شئ تظن انها قد استترت منه وفى مقدمة مقدمة الادب قال ابن خالويه فى كتاب ليس ما فى الدنيا حيوان لا يشرب ماء ابدا ولا يستمع الا النعامة والا الضب وفى الضبع ايضا من هذه الحماقة انها تترك جراءها اذا خرجت تلتمس ما تأكل فتجد جراء اخرى قد خرجت ايضا امها لذلك وتركت جراءها فترضع اولاد غيرها وتترك اولادها فربما ضاعت جراءها فأكلها الذئب قال الشاعر * كمرضعة اولاد اخرى وضيعت . بنى بطنها هذا الضلال عن القصد * والضباع لا تفترس شيئا انما تأكل الجيف وتنبش القبور عن الموتى ﴿ ثم عليه ان يتصفح ﴾ اى يتأمل ويمعن النظر والفكر ﴿ فى ليله ماصدر من افعال نهاره فان الليل اخطر للخاطر واجمع للفكر ﴾ لسكون النفس فيه اولاستراحة القوى بالنوم ﴿ فان كان ﴾ ماصدر فى نهاره ﴿ محمودا امضاه واتبعه بما شاكله وضاهاه ﴾ اى شابهه ﴿ وان كان مذموما استدركه ان امكن ﴾ استدراكه واستينافه ﴿ وانتهى عن مثله فى المستقبل ﴾ ان لم يمكن ﴿ فانه اذا فعل ذلك ﴾ التأمل ﴿ وجدا فعاله لا تنفك من اربعة احوال . اما ان يكون قد اصاب فيها الغرض المقصود بها ﴾ فيمضيه ﴿ او يكون قد اخطأ فيها فوضعها فى غير موضعها . اويكون قد قصر فيها فنقصت عن حدودها او يكون قد زاد فيها حتى تجاوزت محدودها ﴾ فان امكن الاستيناف فى هذه الصور الثلاثة استدرك فيها والافينتهى

وفسر ابن الاعرابى بيضة البلد التى سار بها المثل ببيضة النعامة التى تتركها فلا يهتدى اليها فتفسد قال الراعى . لوكنت من احد يهجى هجوتكم . يا ابن الرقاع ولكن لست من احد . تأبى قضاعة ان ترضى لكم نسبا . وابنا نزار فانتم بيضة البلد

منه

عن مثلها فى المستقبل ﴿ وهذا التصفح انما هو استظهار ﴾ يقال استظهر الرجل اذا اتخذ ظهريا للحاجة والظهرى البعير الذى يتخذ احتياطا بملاحظة الاحتياج ﴿ بعد تقديم الفكر قبل الفعل ليعلم به مواقع الاصابة ﴾ من الفكر المتقدم ﴿ وينهز به استدراك الخطأ ﴾ فيرجع عن قريب وذلك لان الافعال اما ان تقع على وفق التصور بلازيادة ولا نقصان وذلك الحذق التام والتجربة الكاملة فى الامور او يصيب فى بعض ويخطئ فى بعض فثمرة الاستظهار تعديل ذلك والتمهر فى الفكر المتقدم ﴿ وقد قيل من كثر اعتباره قل عثاره ﴾ وفى حديث ابى هريرة وابن عمر عند اصحاب السنن (لايلدغ المؤمن من جحر مرتين) وهذا الكلام مما لم يسبق اليه صلى الله عليه وسلم قال الخطابى هذا لفظه خبر ومعناه امر اى ليكن المؤمن حازما حذرا لايؤتى من ناحية الغفلة فيخدع مرة بعد اخرى وقد يكون ذلك فى امر الدين كما يكون فى امر الدنيا وهوا ولاها بالحذر وفيه ادب شريف ادب به النبى صلى الله عليه وسلم امته ونبههم كيف يحذرون مما يخافون سوء عاقبته ﴿ وكما يتصفح احوال نفسه فكذا يجب ان يتصفح احوال غيره ﴾ من المجربين الذين حسنت احوالهم ﴿ فربما كان استدراكه الصواب ﴾ اى صواب امر نفسه ﴿ منها ﴾ من احوال غيره ﴿ اسهل بسلامة النفس من شبهة الهوى ﴾ الذى يحسنه ما احب ويقبحه ما اكره ﴿ وخلو الخاطر من حسن الظن ﴾ الذى يعلله بالمنى الكواذب ﴿ فان ظفر بصواب وجده من غيره او اعجبه جميل من فعله زين نفسه بالعمل به فان السعيد من تصفح افعال غيره فاقتدى باحسنها وانتهى عن سيئها وقد روى زيد بن خالد الجهنى ﴾ ابو عبدالرحمن حضر الحديبية وكان حامل لواء جهينة يوم فتح مكة روى عنه بنوه وبعض الاصحاب ﴿ عن رسول الله صلى الله عليه وسلم انه قال السعيد من وعظ ﴾ بصيغة المجهول اى اتعظ ﴿ بغيره ﴾ وتمامه والشقى من وعظ به غيره وهذا ايضا مما لم يسبق اليه صلى الله عليه وسلم كما فى الشفاء قال المناوى اى من تصفح افعال غيره فاقتدى باحسنها وانتهى عن قبيحها ﴿ وقال الشاعر ﴾ من البسيط وهو الحارث بن حلزة اليشكرى * لا اعرفنك ان ارسلت قافية. تلقى المعاذير ان لم تنفع العذر ﴿ ان السعيد له فى غيره عظة. وفى التجارب تحكيم ومعتبر ﴾ فالعظة مصدر اى اتعاظ والتحكيم المنع عن الفساد او عما يريده والاعتبار التعجب فالامر المعتبر النفيس الفاخر الذى يتعظ به مع التعجب والاستحسان ﴿ وانشدنى بعض اهل العلم لطاهر بن الحسين ﴾ من المتقارب ﴿ اذا اعجبتك خصال امرئ. فكنه يكن منك مايعجبك ﴾ قوله كن امر من كان واسمه الضمير المستتر والبارز المتصل خبره قال ابن الحاجب والمختار فى خبر كان الانفصال وقال الرضى انما كان المختار فى خبر كان واخواتها الانفصال لان اسمها فى الحقيقة ليس فاعلا حتى يكون كالجزء من عامله بل الفاعل فى الحقيقة مضمون الجملة لان الكائن فى قولك كان زيد قائما قيام زيد قال عمرو بن ربيعة * لئن كان اياه لقد حال بعدنا . عن العهد والانسان قد يتغير * ووجه الاتصال كون الاسم كالفاعل والخبر كالمفعول فكنته كضربته وقال ابو الاسود * فالا يكنها اوتكنه فانه . اخوها غذته امه بلبانها * انتهى يعنى اذا استحسنت خصال امرئ فافعل مثل مافعل ذلك المرء حتى يكون سرورك من نفسك ونشوك من ذاتك ﴿ فليس على المجد والمكرمات . اذا جئتها حاجب يحجبك ﴾ يعنى

لاتحذر ولاتوق من ذلك الكون والفعل اذ ليس على ابواب المجد والمكارم حاجب وبواب يحجب من قصدها قال الحافظ * هركه خواهد كوبيا وهرچه خواهد كوبكو . كبرو ناز وحاجب ودربان درين دركاه نيست ﴿ فاماما يرومه من اعماله ويوثر الاقدام عليه من مطالبه فيجب ان يقدم الفكر فيه قبل دخوله فان كان الرجاء فيه اغلب من الاياس منه وحمدت العاقبة فيه سلكه من اسهل مطالبه والطف جهاته وبقدر شرفه يكون الاقدام ﴾ لان الامور العظام تستلزم اقداما بليغا والملاك بعد الشروع عجز وجهالة ومن قرع بابا ولج ولج والجد يفتح كل باب مغلق ﴿ وان كان الاياس اغلب عليه من الرجاء مع شدة التغرير ﴾ هو عرض النفس للهلكة وههنا اعم منها ومن المال ﴿ ودناءة الامر المطلوب ﴾ قيد به لان تهوين النفوس والاموال فى المعالى هو اول واجب ومن خطب الحسناء لم يغلها المهر ﴿ فليحذر ان يكون له متعرضا فقد روى عن النبى صلى الله عليه وسلم انه قال اذا هممت بامر ففكر فى عاقبته ﴾ اى اذا اردت ان تفعل امرا فتدبر عاقبته كما رواه ابن المبارك عن ابى جعفر الهاشمى ﴿ فان كان رشدا ﴾ اى خيرا غير منهى عنه شرعا ﴿ فامضه ﴾ اى افعله ﴿ وان كان غيا ﴾ اى شرا منهيا عنه شرعا ﴿ فانته عنه ﴾ اى كف عن فعله لم يقل فى الثانى فلا تمضه اشارة الى التباعد عن ذلك فاذا تحير سن له ان يستخير وان يستشير ﴿ وقالت الحكماء طلب مالا يدرك عجز ﴾ وقال قيصر لقس بن ساعدة ماافضل الاكل قال ترك الاكثار منه فقال فما افضل الحكمة قال معرفة الانسان قدره قال فما افضل العقل قال وقوف الانسان عند علمه ﴿ وقال بعض الشعراء ﴾ وهو مضرس بن ربعى ﴿ فاياك والامر الذى ان توسعت . موارده ضاقت عليك المصادر ﴾ اى اتق نفسك ان تتعرض للامر الذى ان توسعت مواضع وروده ودخوله ضاقت عليك مواضع الصدور والرجوع عنه والمراد الحث على التدبر فى عواقب الامور قبل الشروع فيها فان من نظر فى العواقب امن من المعاطب ﴿ فما حسن ان يعذر المرء نفسه . وليس له من سائر الناس عاذر ﴾ قوله حسن خبر مقدم او مبتدأ وان يعذر فاعله ساد مسد الخبر ﴿ وليعلم ان لكل حين من ايام عمره خلقا وفى كل وقت من اوقات دهره عملا ﴾ يناسب ايام عمره ﴿ فان تخلق فى كبره ﴾ وشيخوخته ﴿ باخلاق الصغر وتعاطى افعال الفكاهة ﴾ بضم الفاء اى المزاح والمداعبة ﴿ والبطر ﴾ اى النشاط والسرور ﴿ استصغره من هو اصغر وحقره من هو اقل واحقر ﴾ قال عبد العزيز بن مروان من لم يتعظ بثلاثة لم ينته بشئ الاسلام والقرآن والشيب ﴿ وكان كالمثل المضروب بقول الشاعر ﴾ من المنسرح ﴿ وكل باز يمسه هرم . تخرا على رأسه العصافير ﴾ الباز والبازى من جنس الصقور يصاد به والهرم بفتحتين اقصى الكبر وتخره من باب الرابع اى تسلح وتلقى مايدفعه طبعه والعصافير جمع عصفور اراد به صغائر الطيور ﴿ فكن ايها العاقل مقبلا على شانك راضيا عن زمانك سلما ﴾ بكسر فسكون اى مصالحا كما تقول انا سلم لمن سالمنى وحرب لمن حاربنى اى مصالح ومحارب ﴿ لاهل دهرك جاريا على عادة عصرك منقادا لمن قدمه الناس عليك ﴾ كما قيل * قدر الله وارد حين يقضى وروده . فارد مايكون ان لم يكن ماتريده ﴿ متحننا ﴾ اى مترحما ومتعطفا ﴿ على من قدمك الناس عليه ولا تباينهم بالعزلة عنهم فيمقتوك ولا تجاهرهم بالمخالفة لهم فيعادوك فانه لاعيش لممقوت ولاراحة لمعادى وانشد بعض اهل الادب لبعضهم ﴾

من المتقارب ﴿ اذا اجتمع الناس فى واحد. وخالفهم فى الرضا واحد ﴾ قوله فى واحد اى فى تقدمه اوفضله ﴿ فقد دل اجماعهم دونه . على عقله انه فاسد ﴾ ضمير دونه وعقله راجع الى واحد الثانى وهو المخالف ﴿ واجمل نصح نفسك غنيمة عقلك ولاتداهنها باخفاء عيبك واظهار عذرك فيصير عدوك احظى منك فى زجر نفسه ﴾ عن المساوى ﴿ بانكارك ﴾ اثلا تجد له ما تذكره بسوء وبمجاهرتك من نفسك ماانكرته من عدوك ﴿ التى هى اخص بك ﴾ واعز لديك ﴿ لاغرائك ايها باعذارك وبمساماتك فحسبك سوءا رجل ينفع عدوه ويضر نفسه . وقد قال بعض الحكماء اصلح نفسك لنفسك يكن الناس تبعالك وقال بعض البلغاء من اصلح نفسه ارغم انف اعاديه ﴾ اى اذلهم بتقدمه وسده باب ذكر مساويه قال بعض الشعراء * عدوك بالتقى والعلم فاقهر. فانت بذا وذاك عليه تقوى * فما قرن الفتى شيئا بشىء. كمثل العلم يقرنه بتقوى ﴿ ومن اعمل جده بلغ كنه امانيه ﴾ اى غاية مايتمناه ﴿ وقال بعض الادباء من عرف معابه ﴾ بالفتح اى عيبه ﴿ فلا يلم من عابه ﴾ لانه صادق فيه ولالوم على صادق مالم يرد انشاء اغتياب او نميمة او سعاية ﴿ وانشدنى ابو ثابت النحوى لبعض الشعراء * ومصروفة عيناه عن عيب نفسه . ولوبان عيب من اخيه لابصرا ﴾ الواو واورب ومصروفة بالجر مبتدأ وخبره محذوف اى لقيته او ابصرته وتنكير عيب للتحقير كما ان تعريف الاول بالاضافة للتعظيم ﴿ ولوكان ذا الانسان ينصف نفسه . لامسك عن عيب الصديق وقصرا ﴾ اتى بذا التحقيره بدنو منزلته ومفعول امسك وقصر محذوف اى لامسك بصره عن ابصار عيب غيره وقصر لسانه عن ذكر مثالبه لاشتغاله بعيوب نفسه وقال آخر * قبيح من الانسان ينسى عيوبه . ويذكر عيبا فى اخيه قد اختفى * فلوكان ذاعقل لما عاب غيره . وفيه عيوب لورآها بها اكتفى (٢) ﴿ فهذب ايها الانسان نفسك بافكار عيوبك وانفعها كنفعها لعدوك ﴾ بلومه وتعبيره ﴿ فان من لم يكن من نفسه واعظ لم تنفعه المواعظ ﴾ لان ابواب الحصون لاتفتح الا من بطونها وقال ابو نواس * لاترجع النفس عن غيها . مالم يكن منهالها زاجر ﴿ اعاننا الله واياك ﴾ ايها الطالب المسترشد ﴿ على القول بالعمل وعلى النصح بالقبول وحسبنا الله وكفى ﴾ ونسأل الله تعالى قبول بضاعتنا المزجاة بجوده وامتنانه . ويفيض لنا الاجر برحمته واحسانه . انه جواد كريم . رؤف رحيم . وهذا آخر ماتيسر ايراده فى هذا التأليف .

والحمد لله على الكمال والتمام . والصلاة والسلام على افضل الرسل الكرام . محمد سيد الانام وعلى آله واصحابه الذين شيدوا لنا اركان الدين وقواعد الاسلام . وقدتم بفضله تعالى نقل هذا الشرح من السواد الى البياض فى دار الخلافة العلية . صانها الله تعالى عن الآفات والبلية . على يد مؤلفه اويس وفا ابن محمد الارزنجانى الحنفى يوم الاحد الحادى والعشرين من رجب لسنة سبع وعشرين وثلاثمائة والف من هجرة من له العز والشرف اللهم اجعله لنا ذخرا نافعا وخيرا باقيا بحرمة الانبياء والمرسلين صلوات الله وسلامه عليهم اجمعين

آمين

(٢) ترجمه . آلچق آدم كنديناك عيبك فراموش ايليوب . ديكرك عيب نهانك ذكره ايلر اجترا . عاقل اولسه غيرى تعييب ايلمز چون كنديناك . برچوق عيبى وار كورر آنلرله ايلر اكتفا منه

يقول مؤلفه قد طبع هذا الكتاب فى المرة الاولى فى زمن السلطان الاعظم (محمد رشاد) خان المعظم . لازالت لواءه منشورة . وبلاده معمورة . وعساكره منصورة . واعداؤه مقهورة . ماسجد ساجد . ووفد وافد * وقد قابلت المتن بنسخ خمس من مطبوع وغير مطبوع سوى ماصححت من الاصول والمآخذ من كتب التفاسير والاحاديث والاخلاق والدواوين وقدتم طبعه يوم الاحد التاسع من ذى الحجة لسنة ثمان وعشرين وثلاثمائة والف

تدقيق مؤلفات شرعيه مجلسندن بالبداهه سويلنوب اهدا بيوريلان تقريض وتاريخ جوهريدر .

ترقت نجوم سماء اليقين — بمنهاج آداب دنيا ودين
وذا روضة زينت بالغصون — وبحر محاط بدر ثمين
ففى كل لفظ بديع المعانى — وفى كل سطر جلاء العيون
يفيد الكرام كرام اللآلى — ويروى العطاش بماء معين
وتأليفه من اويس وفا — فسعدا له شرح متن متين
وبشرى لطالب آدابه — بمنهاجها هو نهج يقين
وبالجوهر قلت تاريخه — له عزم نظمى سميح الشؤن

تدقيق مؤلفات شرعيه رئيس فضائل انيسى شهرى احمد رامز افندى حضرتلرينك تقريض تحريرانه‌لريدر

يامن بيدك الخير فى البداية والنهاية * وفى كل شئ من مصنوعاتك على توحيدك آية * نحمدك على ما جعلت لغة العرب للغـات تاجا * واطلعت بها من اسرار كتابك سراجا وهـاجا * واوضحت بها لمن يريد حديث نبيك منهاجا * وبعد شكر بارئ النسمات ومبدع الكائنات وعرض الصلوات والتسليمات على سيد المرسلين وخاتم النبيين محمد رسول رب العالمين وشفيع من فى الدارين وعلى آله خير الآل وصحبه ذوى العلم والكمال فان الاخ اللبيب الامجد والعالم الفاضل الاديب الاوحد سمى القرنى اويس وفا الارزنجانى صانه الملك القوى ارانا توشيحاته وترتيباته على ادب الدنيا والدين وهى مشحونة بالفوائد وبمـا يفيد الطلاب من العوائد وما يستلذ به من الفرائد (شعر)

لو كان فى مدحه للنظم مفخرة الفت فى وصفه الفا من الكتب
لكنه البحر فى كل العلوم فما اهداء درّ الى بحر من الادب

فاكتفينا بحسن الانشاد اللهم اهدنا سبيل الرشاد الداعى الحقير وبالشهرى الشهير
احمد رامز

فاتح درسعام ومشار اليه حضرتلرينك تلاميذندن محمد رجب الايوبى افنديـنك تقريضلريدر

حمدا لك اللهم على ما اسبغتنا من النعم وشكرا لك اللهم على افهمتنا من العلوم الخادمة لمعرفة كلامك ذى الحكم خصوصا الفنون الادبية التى هى الواسطة العظمى لدرى مبانى القرآن العظيم المعظم الذى بلغ الرتبة القصوى ونصلى ونسلم على الصدر المعلى سيدنا ونبينـا محمد ابد الآباد رجاء ان يشفعنا يوم التناد وعلى الذين معه والذين اتبعوه اتباعا حسنا آملين التفاتهم ايانا يوما يجعل الولدان شيبا امابعد فحين مااراانا الخدن اللبيب والفاضل الاديب سمى اليمنى اويس الارزنجانى صانه المولى الغنى عن الشين الدنيوى والاخروى تمنيقه الذى سنح به خاطره وشرحه الذى اجاد اجادة بالعقل الموهوب من الملك الوهاب على ادب الدنيا والدين مسميا اياه والاسماء تنزل من السماء بمنهاج اليقين شكر الله تعـالى سعيه وقوى الله القوى وعيه اقتصرنا على بيت شعر

رأيت كثير ما يهدى قليلا لقدرك فاقتصرت على الدعاء

البائس الفقير الى آلاء ربه الغنى
محمد رجب الايوبى

بایزید درسعاملرندن عینتابلی عباس زاده عباس لطفی افندینك تقریض وتاریخلریدر

— تألیف بیعدیلك ، تاریخ جوهری —

کلدی هنکام سخن آماده اولمشدر زمین عرض مافی الخاطر ایت ای خامهٔ سحر آفرین!
مستحق الحمد ، اوفیاض البرایا ایلدی وارثان انبیانی رهبر دنیا ودین
بوالبشر ، آدم بتون اسمانی حقدن اوکرنوب بولدی هپ روحانیانه قارشی رجحان مبین
امر حقله صفحهٔ صدر نبیّ افضلی شرح ایدوب طولدیردی حکمت نفخهٔ روح الامین
چوق صلات اولسون او فخر کائناتك روحنه آیت رحمت وجودی ، رحمةٌ للعالمین
شاد اوله ارواح اصحابی بحق اولدیلر عزم شهراه شریعتده نجوم المهتدین
اجتهادیاته ، عقلیاته حصر عمر ایدوب معنوی چوق تحفه احضار ایتدی اسلاف کزین
فکر تسهیلات ایله هرفنده اخلاف کرام قویدیلر میدان تألیفاته آثار بهین
ایشته ! انلردن بو ارزنجانلی نحریرالزمان سعی مشکوریله ایتدی عالمه خیر برین
دین واخلاق وسیاست نقطه‌سین جامع دیه ایتدی برمتن متینك شرحنه عزم متین
محترم استاد أویسك واردات خاطری اولدی اخوان وفایه تحفهٔ بالا ترین
باشله ای لطفی ، دعایه عرض تعظیمات ایله سجده‌کاه طاعت حقه ایدوب وضع جبین
شارحك خورشید افکاری تجلی ایلسون نیرین اولدقجه نور افشان آفاق وزمین
سعینی ازهر جهت مشکور ومثمر ایلیوب باشقه آثاره موفق ایتسون الله المعین
جوهرین تاریخ ایله طلابی تبشیر ایلرم طاب خیراً مبدعاً تألیف منهاج الیقین

١٣٢٧

— تاریخ طبعی —

شارحك مصروف اولوب نقدینهٔ همتلری داخل اولدی سلك مطبوعاته شرح نوزمین
جاودان ایلر حیات مستعاری ، بو اثر دائمی رغبت بولور دنیاده بین الطالبین
طبعیچون تاریخ معجم ایتدی طبعمدن ظهور راه واضح ، شرح جامعدر بومنهاج الیقین

١٣٢٨

شارحك تلامیذندن
عباس لطفی

صحيفه	سطر	خطا	صواب
٠٠٢	٠١	الله	لله
٠٠٣	٢٣	التاء	الطاء
٠٠٣	٢٩	نجى	نجى
٠٠٥	٢٧	بيغام	پيغام
٠١٣	١٧	الوجود	الموجود
٠١٦	١٠	حتى	متى
٠٠٠	٢٥	لى	الى
٠١٧	٠٢	لا	الابا آبائه
٠٢٩	٢٤	الاشتهاد	الاستشهاد
٠٣١	٠٩	بمحتزج	بممتزج
٥٠	٢٠	الاربع	الاربعة
٦٣	١٧	هيوباه	
٠٦٤	٠٩	والحاء	والباء
٦٨	١٣	عملت	علمت
٨٠	٢٨	ذ	ذو
٩١	٠٢	بهومه	بهمومه
٩٥	١٧	تعيين	تعين
٩٩	٠١	المراعات	المراعاة
١٠٣	١٦	الزرقاء	الزرفاء
١٠٦	٣٣	بمنطحات	بمنتطحات
١٠٨	١٣	لانها	لانهما
١١٠	٢٨	أنيب	أنبت
١١٧	٣١	المأمور	المأمون
١٣١	٢٧	الخطباه	الخطباء
١٤٢	١٥	بيبصره	ببصره
٠٠٠	٢١	اليه	اليه
١٤٦	١٩	بوجك	بوجهك
١٥٢	٣٣	جميع	جمع
١٥٨	٣	آخورن	آخرون
٠٠٠	٣١	من غيره	غيره
١٥٩	٠٥	اخراق	احراق
١٦٣	١١	مخادعادت	مخادعات
١٦٥	٢٨	مسعود	بن مسعود
١٦٦	٢٦	يقلبون	يقبلون
١٦٧	١٤	فاصحبت	فاصبحت
١٨٩	٢٠	بابها	بابهما
١٩١	٢٠	الولا	لولا
٠٠٠	٣٠	سررا	سرورا
٢١٧	٣٠	ليطفى	لاطفى
٢٢٨	٠٤	بان	بانه
٢٣٦	٢٧	احس	احسن
٢٤٨	٢١	اعظمها	مما
٢٤٩	١٩	القسم	السقم
٠٠٠	٢٧	آساه	واماواساه
٠٠٠	٢٩	اجل	الاجل
٢٥٦	١٧	قبل	قبيل
٢٨٠	١٩	نكاه	نكاح
٢٩٣	٠٧	لاسباب	الاسباب
٢٩٦	٢٦	اشتخشناه	استخشناه
٣٢٠	٢٨	الاقواء	الافواء
٣٢٩	٢٧	سوه	سوء
٣٣٠	١٢	وودت	وددت
٣٣٥	١٠	وعبودية	وعبوديته
٣٤٠	١٩	لوجه	لوجهه
٣٤٥	٠٨	معوذ	معوز
٣٥٥	١٧	والنسر	والنثر
٣٦٦	٢٣	خبية	خبيئة
٣٧٢	٢٥	اى	الى
٣٧٣	٢٦	اقرب	عقرب
٣٨٦	٣٢	سهل	مسهول
٣٩١	١٧	الخادمين	الخاشين
٤٤٠	٠٧	يستخر	يسخر
٤٤١	٢٩	المتكن	المتمكن
٤٥٠	١٤	الديناه	الدنيا
٤٥١	١٣	اللفظة	اللفظية
٤٥٥	٢٢	فانا	فانما
٤٧٩	١٢	يكن	لم يكن
٠٠٠	٣٠	نعميها	لعيمها
٤٩٥	٠٥	ليجهتد	ليجتهد
٥٠٣	٢٢	وغيرة	وغيره

النواقص

صحيفه	سطر	
١٥	١٢	برأى جهانديدكان كاركير . كه لن آه
٢٦	٣٠	وابن رشد فى تهافت الفلاسفة
٧٩	٤٤	سبا به نك اوجى ابهامك دينه
٨٠	٣٣	عبرانية اوسريانية كانوا يتسابون وهى راعينا كانوا

فهرس منهاج اليقين على ادب الدنيا والدين

فهرس التراجم على ترتيب حروف الهجاء

فرغ من هذا الكتاب المبارك ... ضحا ... جامعا ...

ملك عمه خالد بن يزيد بن معاوية ... وانه كان خطيبا شاعرا ... في سنة خمس وثمانين ... الاقبال ... انه قال كان ... اجتمع على ...

كثير الادب وكان اول من ... كتب النجوم والطب والكيمياء ... البشرة ... باطنه ... وقال كان ... الناس ... جمع ...

فاعوذ بالله تعالى الى آل الزبير ... المقدم القرشي ... من ... يزيد بن معاوية ... بابيه ... زوج ... صحابية ...

اثر نافلة ... الخلافة وبويع له بعد موت يزيد ... بمحاصرة الا ... رضي الله عنه ...

اهل الحجاز واليمن والعراق ... ماتت الشام ... وعبد الله بن الزبير ... لم ... الا ... يقول ...

يبقى بالخندق الى ان حاصره الحجاج ... اول ... من آل الزبير ... اي ... الصلاة ...

الخير فانه رجب ... حتى ... الله عنه ... وقال ... صباحا ...

صلى الله عليه وسلم ... قال فارهنا ... احب ... فقال ... ما ... اعلم ... قال ...

بقوله فمن ... وللداري ... زمنه ... على ... ولا ... النصرانية ... من الناس ... التصحيح ...

اي لا ... ومنها ... اي ... اعتنقوا الحجاب ... بالنصرانية ... فيها ...

فانا ... والخطاب الى ... فالتفات ... الى غير ... تنصرت ... الناس ... فانه ... النصارى ... نصرانية ...

وثمة ... الالتفات الى النبي في قوله ... والتوجيه الى غير ... تنصرت ... بالخط ... ولم ... الثانية ...

عنه وانه كان ... غير ملتفت اليها ... لم ... ما ... ١٢٤٤ ...

النصرانية ... عنهم ... الله ... وذلك ... من ... مانسخه ...

ابنهم من ... مطلقا كما قال المصنف ... المتنبي ... ابن ...

السيد ... المخالفة ... ولد ... منهم ...

... المصنف ... الحنفي ... رحمهم الله ...